الضعيف والمسكوت عنه

تاريخ الطبري

تاريخ الخلافة في عهد الأمويين والعباسيين

للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري

(٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

حققه وخرج رواياته وعلق عليه

محمد بن طاهر البرزنجي

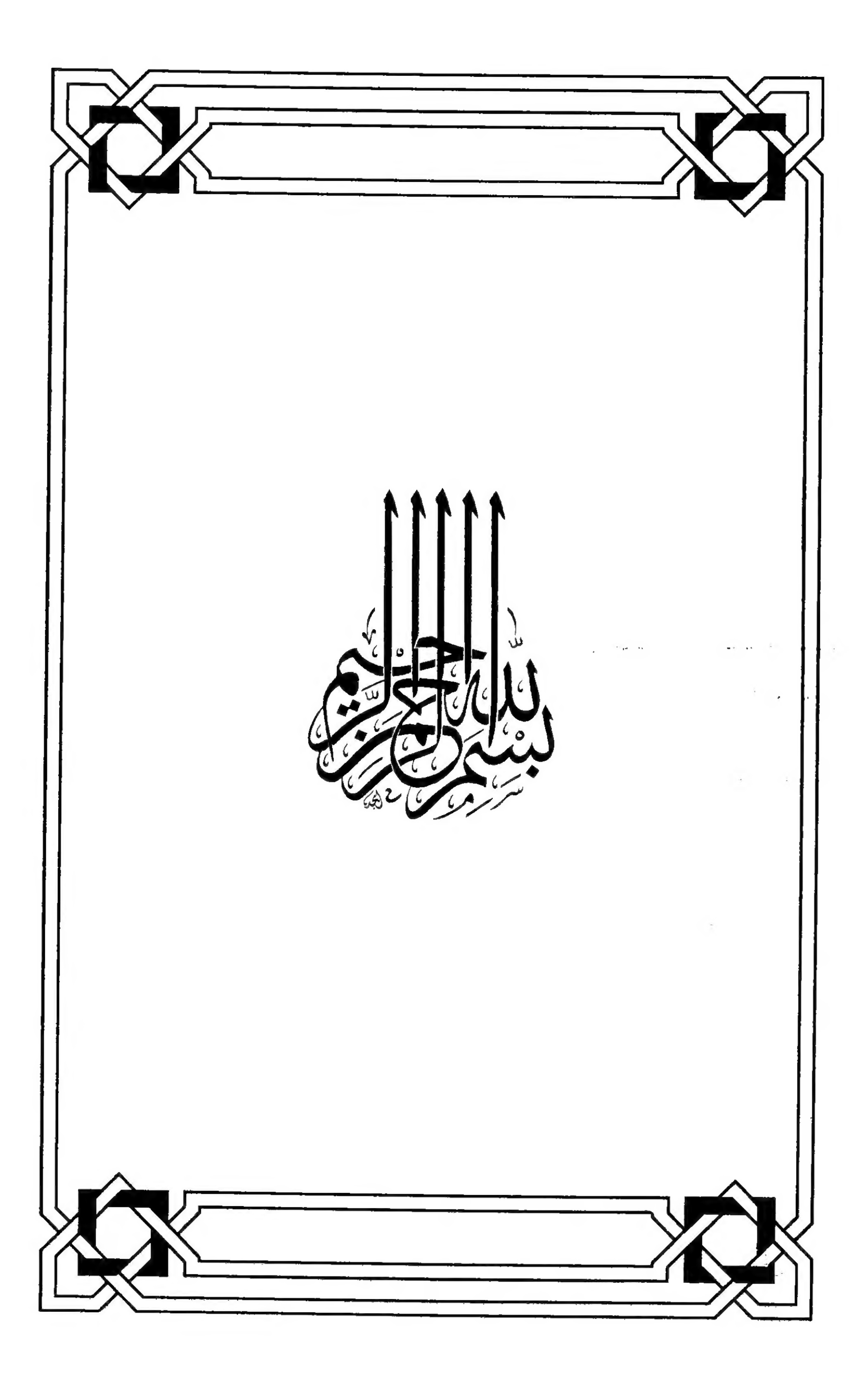
بإشراف ومراجعة المحقق

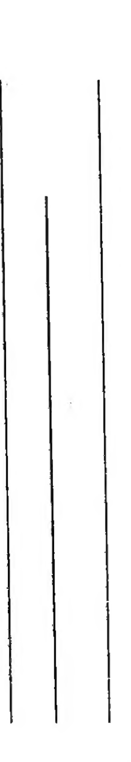
محمد صبحي حسن حلاق

المجلد التاسع



دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم



الضَّعِيفُ وَالمَسْكُوتُ عَنْهُ

تَارِيخُ الطَّبَرِي

تاريخ الخلافة في عهد الأمويين والعباسيين



الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2007 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : صحيح و ضعيف تاريخ الطبري 10\1

التأليف : الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 5616

القياس : 17×24

نوع التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 10 كغ

التنفيذ الطباعي : مطابع المستقبل

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد



دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com



المقدمــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد:

فقد وضعنا في قسم الضعيف هذا من الروايات التاريخية التي أخرجها الطبري من [٥/ ١٥٢ إلى ٦/ ٥٧٣] وبما أن الطبري يكرر أسانيد معروفة عنده عشرات وأحياناً مئات المرات رأينا من الضروري أن نذكر تلك الأسانيد الضعيفة في هذه المقدمة مع ذكر كلام أئمة الحديث وحكمهم على رجالها حتى لا يكرر كثيراً فيصاب القارىء الكريم بالملل، وهذه الروايات إما من طريق تالف هالك، أو متهم بالوضع والكذب، أو ضعيف جداً، أو رواه الطبري معضلاً، أو بلا إسناد.

١ - أغلب روايات هذا القسم من طريق التالف الهالك: أبي مخنف لوط بن يحيى.

فقد أخرج الطبري من طريقه في هذا القسم أكثر من (٢٤٠) رواية ومتونها مليئة بالنكارات والطعن في عدالة الصحابة والكذب والتزوير والتشويه، وإليك آراء العلماء في لوط بن يحيى هذا (أبي مخنف):

قال الحافظ ابن عدي: شيعي محترف صاحب أخبارهم.

وقال ابن معين: ليس بشيء.

وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا حاتم عنه، فنفض يده وقال: أحدٌ يسأل عن هذا؟

وقال الذهبي: أخباري تالف لا يوثق به.

[ميزان الاعتدال (ت ٧٤٥١)، لسان الميزان (٤/ ٥٨٤)، الكامل في ضعفاء الرجال (٦/ ١٦٢١)].

٢ ـ الواقدي (محمد عمر).

وتأتي رواياته بالدرجة الثانية بالنسبة لعددها مقارنة مع روايات أبي مخنف فقد أخرج عنه الطبري في هذا القسم في أكثر من (٩٠) موضعاً وقد ذكرنا جُلَّ مروياته في قسم الضعيف سوى ما يتعلق بالوفيات فلها ما يشهد لها مع روايات قليلة جداً له ما يؤيدها وإلاَّ فأغلب رواياته في قسم الضعيف هنا، وإليك ما قاله الأئمة فيه:

قال أحمد: هو كذاب.

وقال ابن عدي: ومتون أخبار الواقدي غير محفوظة.

وقال النسائي: متروك.

وقال البخاري: متروك.

واتهمه أبو حاتم، والنسائي بوضع الحديث.

وقال الذهبي: واستقر الإجماع على وهن الواقدي.

وقال ابن حجر: متروك على سعة علمه.

[التقريب (ت ٦١٧٥)، التاريخ الكبير (١/ ١/ ١٧٨)؛ الكامل في الضعفاء (٦/ ٢٤١/ ١٧١٩)، ميزان الاعتدال (ت ٨٤٥٧)، الضعفاء والمتروكين (١/ ٢١٧/ ت ٥٥٧)].

٣ ـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي.

أخرج عنه الطبري في هذا القسم أكثر من (٤٠) رواية بالإضافة إلى عشرات الروايات اجتمع فيها مع أبي مخنف فزاد الطين بلّةً والإسناد وهناً وهشاشةً وطامةً، وإليك أقول العلماء فيه:

قال الدارقطني: متروك.

وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة.

وقال ابن معين: غير ثقة وليس عن مثله يروى الحديث.

وقال ابن حبان: يروي عن أبيه ومعروف مولى سليمان والعراقيين العجائب والأخبار التي لا أصول لها.

وقال أيضاً: وكان غالياً في التشيع أخباره في الأغلوطات أشهر من أن تحتاج إلى الإغراق في وصفها.

وقال الذهبي: تركوه كأبيه وكانا رافضيين.

[لسان الميزان (٦/ ١٩٦)، ميزان الاعتدال (ت ٩٧٣٧)، المجروحين (٣/ ٩١)].

٣ - وما عدا هؤلاء الثلاثة (أبو مخنف، الواقدي، هشام الكلبي) فقد أخرج الطبري روايات أخرى متفرقة عن متروكين أو وضاعين أو ضعفاء ولكن مروياتهم قليلة كالهيثم بن عدي (٤) روايات.

وهو الذي قال فيه البخاري: كان يكذب.

وقال أبو حاتم: متروك الحديث محله محل الواقدي.

وقال أبو داود والعجلي: كذاب.

[الجرح والتعديل (٤/ ٢/ ٨٥)، لسان الميزان (٧/ ٢٩٦/ ت ٩٠٥٦)، التاريخ الكبير (٤/ ٢/ ٢١٨) تاريخ الثقات (٤٦/ ت ١٧٥٧)

بالإضافة إلى رواة وردت أسماؤهم مرة واحدة أو أكثر من أمثال علي بن جعدبة (٦/ ٤١٥)، وهو كذاب متهم بالوضع.

[تهذيب الكمال (ت ٧٠٣٥)].

وإسحاق بن يحيى بن طلحة [٦/ ٨٢]، وهو متروك منكر الحديث.

[ميزان الاعتدال (ت ٨٠٢)، الجرح والتعديل (٢/ ت ٨٣٠)].

وعلي بن مجاهد الكابلي، وهو كذاب متروك.

[التقريب (ت ٤٧٩٠)].

ومحمد بن حميد الرازي (٥/ ٤٨٣) الذي ضعفه جمهور أئمة الجرح والتعديل كالبخاري والنسائي ويعقوب بن شيبة وقال: كثير المناكير.

[تحرير التقريب (٣/ ت ٥٨٣٤)، تهذيب الكمال (٥/ ت ٦١٦٧)، الجرح والتعديل (٧/ ت ١٢٧٥)].

ومحمد بن السائب الكلبي (٦/ ١٠٣ ـ ٣٤٩ ـ ٣٦٤)، وهو متهم بالكذب ورمي بالرفض.

[تقريب التهذيب (ت ٥٩٠١)].

ومحمد بن مخنف، مجهول.

[لسان الميزان (ت ١٢٢٠)].

وأبو بكر بن أبي سبرة، رموه بالوضع.

[تقريب التهذيب (ت ١٠٠٢)].

وأبو بكر الهذلي. وهو أخباري متروك من السادسة توفي ١٦٧ هـ. [التقريب (ت ٨٠٣١)].

وزكريا بن يحيى بن أيوب الضرير، مجهول الحال.

وزياد بن جيل. مجهول.

[ميزان الاعتدال مع ذيل الميزان (ت ٣٢٥٥)].

وغيرهم من الرواة الذين ذكرنا حكم العلماء فيهم أثناء مرورنا بروايات الطبري في هذا القسم، ولقد فصلنا في ذكر تراجم الرواة في كتابنا [رجال تاريخ الطبري جرحاً وتعديلاً] فلا داعي للإطالة والتكرار.

ولعلنا ذكرنا رواية بعضهم في الصحيح وأخرى في الضعيف كالمفضل بن محمد فهو غير ثقة في الحديث ولكن إذا كان في إسناد مرسل متعدد المخارج، أو كان له ما يقويه ذكرنا روايته في قسم الصحيح اعتماداً على قول الخطيب: كان

أخبارياً موثقاً [لسان الميزان (٦/ ٨١)] ، هذا إن لم نجد في متنه نكارة أو طعناً في عدالة الصحابة ، أو مخالفة لما في الرواية الصحيحة والله أعلم.

وأخيراً فإننا قد توصلنا إلى قناعة تامة حول الروايات التاريخية فما من نكارة في المتن إلاَّ وله ما يبرره من السند من وجود راوٍ متروك أو وضاع أو كذاب ، وما إلى ذلك ، والحمد لله على نعمة الإسناد.

ولنبدأ الآن بذكر روايات قسم الضعيف المتمم لتاريخ القرن الهجري الأول فيما يتعلق بالصلح بين سيدنا الحسن وسيدنا معاوية رضي الله عنهم ثم عهد أمير المؤمنين معاوية وانتهاءً بوفاة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ.

* * *

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ذكر الخبر بذلك:

حدّثني عبد الله بن أحمد المروزيّ، قال: أخبرني أبي، قال: حدّثنا سليمان، قال: حدّثني عبد الله عن يونس، عن الزُّهريّ، قال: بايع أهلُ العراق الحسنَ بنَ عليّ بالخلافة، فطفِق يشترط عليهم الحسن: إنكم سامعون مطيعون، تُسالِمون مَنْ سالمْت، وتحارِبون مَن حاربت، فارتاب أهلُ العراق في أمرِهم حين اشترط عليهم هذا الشرط، وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، وما يريد هذا القتال؛ فلم يلبث الحسنُ عليه السلام بعدَ ما بايعوه إلا قليلاً حتى طُعِن طعنةً أشْوَتْه، فازداد لهم بُغْضاً، وازداد منهم ذُعْراً، فكاتب معاوية، وأرسل إليه بشروط، قال: إن أعطيتَني هذا فأنا سامع مطيع، وعليك أن تفيَ لي به. ووقَعت صحيفةُ الحسن في يد معاوية، وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء، مختوم على أسفلها، وكتب إليه أن اشترِط في هذه الصحيفة التي ختمتُ أسفلَها ما شئت فهو لك.

فلما أتت الحسنَ اشترط أضعافَ الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك، وأمسكها عنده، وأمسك معاويةُ صحيفةَ الحسن عليه السلام التي كتب إليه يسأله ما فيها، فلما التقى معاويةُ والحسن عليه السلام، سأله الحسن أن يعطيَه الشروط التي شَرَط في السجلّ الذي ختم معاوية في أسفله، فأبى معاوية أن يعطيَه ذلك، فقال: لك ما كنتَ كتبت إليّ أولاً تسألني أن أعطِيَكه، فإني قد أعطيتُك حين جاءني كتابك. قال الحسن عليه السلام: وأنا قد اشترطتُ حين جاءني كتابُك، وأعطيتني العهد على الوفاء بما فيه. فاختلَفا في ذلك، فلم يُنفِذ للحسن عليه السلام من الشروط شيئاً، وكان عَمرو بنُ العاص حين اجتمعوا بالكُوفة قد كلّم معاوية، وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب الناس، فكره ذلك معاوية، وقال: ما تريد إلى أن يَخْطُب الناس! فقال عَمرو: لكني أريد أن يَبدُوَ عِيُّه للناس؛

فلم يزل عَمرو بمعاوية حتى أطاعه ، فخرج معاوية فخطب الناس ، ثم أمر رجلاً فنادى الحسنَ بن عليٍّ عليه السلام؛ فقال: قم يا حَسَن فكلّم الناس ، فتَشهّد في بديهةِ أمرٍ لم يروّ فيه ، ثم قال: أما بعد ، يا أيّها الناس ، فإن الله قد هداكم بأوّلنا، وحَقَن دماءَكم بآخِرنا ، وإن لهذا الأمر مدّة ، والدنيا دوَل ، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١]؛ فلمّا قالها قال معاوية: اجلس ، فلم يزل ضَرِماً على عَمرو ، وقال: هذا من رأيك. ولحق الحسن عليه السلام بالمدينة[١]. (٥: ١٦٢/ ١٦٣).

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد ، قال: سلّم الحسن بن عليّ عليه السلام إلى معاوية الكوفَة ، ودخلها معاويةُ لخمس بقِين من ربيع الأوّل ، ويقال من جُمَادى الأولى سنة إحدى وأربعين[٢]. (٥: ١٦٣).

ذكر خبر الصلح بين معاوية وقيس بن سعد

وفي هذه السنة جرى الصّلحُ بين معاويةَ وقيس بن سعد بعد امتناع قيس من بيعته.

ذكر الخبر بذلك:

حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثني سليمان بن الفَضْل ، قال: حدّثني عبد الله عن يونس ، عن الزُّهريّ ، قال: لما كتب عبيدُ الله ابنُ عباس حين علم ما يريد الحسن من معاوية من طلب الأمان لنفسه إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التي قد أصاب ، فشَرَط ذلك له معاوية ، بعث إليه معاوية ابنَ عامر في خيلٍ عظيمة ، فخرج إليهم عبيد الله ليلاً حتى لحِق بهم ، ونزل وترك جندَه الذي هو عليه لا أمير لهم ، فيهم قيسُ بن سعد ، واشترط الحسنُ عليه السلام لنفسه ، ثم بايع معاوية ، وأمّرت شُرْطةُ الخميس قيسَ بنَ سعد على أنفسهم ، وتعاهدوا هو وهم على قتالِ معاوية حتى يشترط لشيعة عليّ عليه السلام ولمن كان اتّبعه على أموالهم ودمائهم. وما أصابوا في الفتنة؛ فَخلَص معاويةُ حين فرغ من عبيد الله بن عباس والحسن عليه السلام

(١) إسناده مرسل ضعيف.

(٢) إسناده معضل.

إلى مكايدة رجل هو أهمّ الناس عنده مكايدةً ، ومعه أربعون ألفاً ، وقد نزل معاوية بهم وعمرو وأهل الشام ، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكّره الله ويقول: على طاعة مَن تقاتل ، وقد بايَعني الذي أعطيتَه طاعتك؟ فأبى قيس أن يَلينَ له ، حتى أرسل إليه معاوية بسِجِلٍّ قد ختم عليه في أسفله ، فقال: اكتب في هذا السجلّ ما شئتَ ، فهو لك. قال عمرو لمعاوية: لا تُعطِه هذا ، وقاتِلْه ، فقال معاوية: على رِسْلِك! فإنا لا نَخلُص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادَهم من أهل الشام ، فما خيرُ العيش بعد ذلك! وإني والله لا أقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بدّاً. فلما بعث إليه معاوية بذلك السجلّ اشترط قيس فيه له و لشيعة عليّ الأمان على ما أ صابوا من الدّماء والأموال ، ولم يسأل معاوية في سجلّه ذلك مالاً ، وأعطاه معاوية ما سأل ، فدخل قيس ومَن معه في طاعته ، وكانوا يَعُدّون دهاةَ الناس حين ثارت الفتنة خمسةَ رهْط ، فقالوا: ذوو رأي العرب ومكيدتهم: معاوية بن أبي سُفْيان ، وعَمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد؛ ومن المهاجرين عبد الله بن بُدَيل الخُزاعيّ؛ وكان قيس وابن بُدَيل مع عليّ عليه السلام ، وكان المغيرة بن شعبة وعمرو مع معاوية ، إلا أنّ المغيرة كان معتزلاً بالطائف حتى حُكّم الحكَمان ، فاجتمعوا بأذرُح.

وقيل: إنّ الصلح تمّ بين الحَسَن عليه السلام ومعاوية في هذه السنة في شهر ربيع الآخر ، ودخل معاوية الكوفة في غرّة جمادى الأولى من هذه السنة ، وقيل: دَخلَها في شهر ربيع الآخر ، وهذا قول الواقديّ[1]. (٥: ١٦٣/ ١٦٤/ ١٦٥).

دخول الحسن والحسين المدينة منصرفين من الكوفة

وفي هذه السنة دخل الحسنُ والحسين ابنا عليّ عليه السلام منصرِفَين من الكوفة إلى المدينة.

ذكر الخبر بذلك:

ولما وقع الصلح بين الحسن عليه السلام وبين معاوية بمسكِن ، قام ـ فيما حُدّثت عن زياد البَكّائيّ ، عن عوانة ـ خطيباً في الناس فقال: يا أهلَ العراق ، إنه

(١) إسناده مرسل ضعيف.

سَخَّى بنفسي عنكم ثلاث: قتلُكم أبي ، وطعنُكم إيّاي ، وانتهابُكم مَتاعي. قال: ثم إن الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خرجوا بحَشَمهم وأثقالهم حتى أتَوا الكوفة ، فلما قَدِمها الحسن وبَرَأ من جِراحته ، خرج إلى مسجد الكوفة فقال: يا أهل الكوفة ، اتقوا الله في جِيرانكم وضِيفانكم ، وفي أهل بيتِ نبيِّكم ﷺ الذين أذهبَ الله عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيراً. فجعل الناسُ يَبكون ، ثم تحمَّلوا إلى المدينة. قال: وحال أهلُ البصرة بينه وبين خَراج دارابجرد؛ وقالوا: فيئنا ، فلما خرج إلى المدينة تلقّاه ناسٌ بالقادسيّة فقالوا: يا مُذِلّ العَرَب[1]! (٥ : ١٦٥).

ذكر خروج الخوارج على معاوية

وفيها خرجت الخوارجُ التي اعتزلتْ أيام عليّ عليه السلام بشَهْرَزور على معاوية.

ذكر خبرهم:

حدّثت عن زياد ، عن عَوانة ، قال: قدم معاوية قبل أن يَبرَح الحسن من الكوفة حتى نزل النُّخَيلة ، فقالت الحَرُوريّة الخمسمئة التي كانت اعتزلتْ بشَهْرَزور مع فَرْوة بن نوفل الأشجعيّ: قد جاء الآن ما لا شكّ فيه ، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه. فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكُوفة ، فأرسل إليهم معاويةُ خيلاً من خيل أهل الشام ، فكَشَفوا أهلَ الشام ، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمانَ لكم والله عندي حتى تكفّوا بَوائقَكم؛ فخرج أهلُ الكوفة إلى الخوارج فقاتَلوهم ، فقالت لهم الخوارج: ويْلَكم! ما تَبغُون منّا! أليس معاوية عدوّنا وعدوّكم! دعُونا حتى نُقاتِله ، وإن أصبْناه كنا قد كَفيناكم عدوَّكم ، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا ، قالوا: لا والله حتى نقاتِلَكم؛ فقالوا: رحم اللهُ إخوانَنا من أهل النّهر ، هم كانوا أعلمَ بكم يا أهلَ الكوفة. وأخذتْ أشجعُ صاحبَهم فَروة ابن نوفل ـ وكان سيّد القوم ـ واستعملوا عليهم عبدَ الله بن عَمرو بن العاص على الكُوفة ، فأتاه المغيرةُ بن شُعبة وقال لمعاوية: استعملتَ عبد الله بنَ عمرو على

---

(١) إسناده ضعيف جداً.

الكوفة وعَمراً على مصر ، فتكون أنت بين لَحيَي الأسَد! فعزلَ عبد الله ، ستعمَلَ المغيرةَ بن شعبة على الكوفة ، وبلغ عمراً ما قال المغيرة لمعاوية ، فدخل عمرو على معاوية فقال: استعملتَ المغيرةَ على الكوفة؟ فقال: نعم ، فقال: أجَعلتَه على الخراج؟ فقال: نعم؛ قال: تستعمل المغيرةَ على الخراج فيغتال المالَ ، فيذهب فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئاً؛ استعمِل على الخراج مَن يَخافك ويهابُك ويتّقيك. فعزل المغيرةَ عن الخراج ، واستعمله على الصّلاة ، فلقيَ المغيرةُ عمراً فقال: أنت المشيرُ على أمير المؤمنين بما أشرتَ به في عبدِ الله؟ قال: نعم؛ قال: هذه بتلك؛ ولم يكن عبدُ الله بنُ عَمرو بن العاص مضى فيما بلغني إلى الكوفة ولا أتاها[١]. (٥: ١٦٥/ ١٦٦).

ذكر ولاية بسر بن أبي أرطاة على البصرة

وفي هذه السنة غلب حُمران بن أبان على البَصْرة ، فوجّه إليه معاوية بُسراً ، أمره بقتل بني زياد.

ذكر الخبر عمّا كان من أمره في ذلك:

حدّثني عمر بن شبّة ، قال: حدّثني عليّ بن محمد ، قال: لما صالح الحسن ابن عليّ عليه السلام معاويةَ أوّل سنة إحدى وأربعين ، وَثَب حُمران بن أبان على البصرة فأخذها ، وغلب عليها ، فأراد معاوية أن يَبعث رجلاً من بني القَيْن إليها ، فكلّمه عبيدُ الله بن عباس ألاّ يَفعل ويبعث غيره ، فبعث بُسر بن أبي أرطاة ، وزعم أنه أمرَه بقتل بني زياد[٢]. (٥: ١٦٧).

فحدثني مَسلمة بن مُحارب ، قال: أخذ بعض بني زياد فحبسه ـ وزياد يومئذ بفارس ، كان عليّ عليه السلام بعثَه إليها إلى أكراد خرجوا بها ، فظَفر بهم زياد ، وأقام بإصْطَخْر ـ قال: فركب أبو بكْرة إلى معاوية وهو بالكوفة ، فاستأجَل بُسراً ، فأجّله أسبوعاً ذاهباً وراجعاً ، فسار سبعة أيام ، فقتل تحته دابّتين ، فكلّمه ، فكتب معاوية بالكفّ عنهم.

---

(١) إسناده ضعيف جداً وفي متنه نكارة وطعن في عدالة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) إسناده معضل.

قال: وحدّثني بعضُ علمائنا: أنّ أبا بكْرة أقبل في اليوم السابع وقد طلعت الشمس، وأخرج بُسْر بني زياد ينتظر بهم غروبَ الشمس ليقتلَهم إذا وجبتْ، فاجتمع الناس لذلك وأعينُهم طامحة ينتظرون أبا بكْرة؛ إذ رُفِع علم على نَجِيب أو برْذَون يكُدّه ويجهده، فقام عليه، فنزل عنه، وألاح بثوبه، وكبّر وكبّر الناسُ، فأقبل يسعى على رجليه حتى أدرك بُسْراً قبل أن يقتلَهم، فدفع إليه كتابَ معاوية، فأطلقهم[1]. (٥ : ١٦٧).

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ بن محمد، قال: خطب بُسْر على مِنبرِ البَصرة، فَشتَم عليّاً عليه السلام، ثم قال: نشدْتُ الله رجلاً عَلِم أني صادق إلا صَدّقني، أو كاذب إلا كذّبني! قال: فقال أبو بكْرة: اللهمّ إنا لا نعلمك إلا كاذباً؛ قال: فأمَر به فخُنِق، قال: فقام أبو لؤلؤة الضّبيّ فرمى بنفسه عليه، فمنعه، فأقطعه أبو بكْرة بعد ذلك مئةَ جَريب. قال: وقيل لأبي بكْرة: ما أردتَ إلى ما صنعت! قال: أيُناشِدُنا بالله ثم لا نصدّقه! قال: فأقام بُسْر بالبَصرة ستّة أشهر، ثم شَخَص لا نَعلَمه ولّى شرطتَه أحداً[2]. (٥ : ١٦٧/ ١٦٨).

حدّثني أحمد بن زهير، قال: حدّثنا عليّ، قال: أخبرني شيخٌ من ثَقيف، عن بُسر بن عُبيد الله، قال: خرج أبو بَكْرة إلى معاويةَ بالكوفة فقال له معاوية: يا أبا بَكْرة، أزائراً جِئتَ أم دعتْك إلينا حاجة؟ قال: لا أقول باطلاً، ما أتيتُ إلا في حاجة! قال: تُشَفَّع يا أبا بَكْرة ونرى لك بذلك فضلاً، وأنت لذلك أهل، فما هو؟ قال: تؤمّن أخي زياداً وتكتب إلى بُسر بتَخْلية ولده وبترك التعرّض لهم؛ فقال: أما بنو زياد فنكتب لك فيهم ما سألت؛ وأما زياد ففي يده مالٌ للمسلمين، فإذا أدّاه فلا سبيل لنا عليه؛ قال: يا أميرَ المؤمنين، إن يكن عنده شيء فليس يحبسه عنك إن شاء الله. فكتب معاوية لأبي بكْرة إلى بُسْر ألاّ يتعرّض لأحد من ولد زياد، فقال معاوية لأبي بَكْرة: أتعهد إلينا عهداً يا أبا بكرة؟ قال: نعم، أعهد إليك يا أميرَ المؤمنين أن تنظرَ لنفسك ورعيّتك، وتعمل صالحاً فإنك قد تقلدت عظيماً، خلافةَ الله في خلقه، فاتّق اللهَ فإنّ لك غاية لا تعدوها، ومن ورائك

---

(١) إسناده مرسل.

(٢) إسناده معضل وفي متنه نكارة.

طالب حَثيث ، فأوشك أن تبلغ المدَى ، فيلحق الطالب ، فتصير إلَى من يسألك عمّا كنتَ فيه ، وهو أعلم به منك ، وإنما هي محاسبة وتوقيف ، فلا تؤثرنّ على رضا الله عزّ وجلّ شيئاً[١] . (٥ : ١٦٩) .

حدّثني أحمد ، قال : حدّثنا عليّ ، عن سلَمة بن عثمان ، قال : كتب بُسر إلى زياد : لئن لم تُقدِم لأصلبنّ بَنيك . فكتب إليه : إن تفعل فأهل ذلك أنتَ ، إنما بعث بك ابنُ آكلة الأكباد . فركب أبو بكْرة إلى معاوية ، فقال : يا معاوية ، إنّ الناس لم يُعطوك بَيعتهم على قتل الأطفال ، قال : وما ذاك يا أبا بَكْرة؟ قال : بُسر يريد قتلَ أولاد زياد ، فكتب معاوية إلى بُسر : أن خلّ مَن بيدك من ولد زياد.

وكان معاوية قد كتب إلى زياد بعد قتل عليّ عليه السلام يتوعّده[٢] . (٥ : ١٦٩/ ١٧٠) .

فحدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثني عليّ عن حبّان بن موسى ، عن المجالد، عن الشعبيّ ، قال : كَتب معاوية حين قتِل عليّ عليه السلام إلى زياد يتهدده ، فقام خطيباً فقال : العجبُ من ابن آكِلة الأكباد ، وكهفِ النفاق ، ورئيسِ الأحزاب؛ كتب إليّ يتهدّدني وبيني وبينه ابنا عمّ رسول الله ﷺ - يعني ابن عباس والحسنَ بن عليّ - في تسعين ألفاً ، واضعي سيوفَهم على عواتقهم ، لا ينثنون ، لئن خَلَص إليّ الأمرُ ليجدني أحمزَ ضَرّاباً بالسيف . فلم يزل زياد بفارسَ والياً حتى صالح الحسن عليه السلام معاوية ، وقدم معاويةُ الكوفة ، فتحصّن زيادٌ في القلعة التي يقال لها : قلعةُ زياد[٣] . (٥ : ١٧٠) .

ولاية عبد الله بن عامر البصرة وحرب سِجِستان وخُراسان

وفي هذه السنة ولّى معاويةُ عبدَ الله بنَ عامر البَصرة وحرب سجستان وخُراسان .

---

(١) في إسناده مبهم .

(٢) إسناده معضل وفي متنه نكارة .

(٣) إسناده مرسل ضعيف ومتنه منكر وعلته مجالد والله أعلم .

ذكر الخبر عن سبب ولاية ذلك وبعض الكائن في أيام عمله لمعاوية بها:

حدّثني أبو زيد، قال: حدّثنا عليّ، قال: أراد معاوية توجيهَ عتبة بن أبي سُفيان على البَصرة، فكلمه ابن عامر وقال: إنّ لي بها أموالاً وودائع، فإنْ لم توجّهني عليها ذهبتْ. فولاّه البصرة، فقَدِمها في آخر سنة إحدى وأربعين وإليه خُراسان وسجِستان، فاراد زيدَ بن جَبَلة على ولاية شرطته فأبى، فولّى حبيبَ بن شهاب الشاميّ شُرْطته ـ وقد قيل: قيس بن الهيثم السُّلميّ ـ واستقضى عميرة بن يَثربيّ الضَبيّ أخا عمرو بن يثربيّ الضّبيّ[1]. (٥: ١٧٠).

حدّثني أبو زيد، قال: حدّثنا عليّ بن محمد، قال: خرج في ولاية ابن عامر لمعاوية يزيدُ مالك الباهليّ، وهو الخَطيم ـ وإنما سمّي الخَطيم لضربة أصابتْه على وجهه ـ فخرج هو وسهمُ بن غالب الهجيميّ فأصبحوا عند الجسِر، فوجدوا عبادة بن قرص الليثيّ أحد بني بُجير ـ وكانت له صحبة ـ يصلي عند الجسر، فأنكروه فقتلوه، ثم سألوه الأمان بعد ذلك، فآمنهم ابنُ عامر، وكتب إلى معاوية: قد جعلت لهم ذمّتك. فكتب إليه معاوية: تلك ذمّةٌ لو أخفرتَها؛ لَسُئِلْتَ عنها، فلم يزالوا آمنين حتى عُزل ابن عامر[2]. (٥: ١٧٠/ ١٧١).

وفي هذه السنة ولد عليّ بن عبد الله بن عباس وقيل: وُلد في سنة أربعين قبل أن يُقتل عليّ عليه السلام، وهذا قول الواقديّ.

وحجّ بالناس في هذه السنة عُتبة بن أبي سُفيان في قول أبي معشر، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت عمّن حدّثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه.

وأما الواقديّ فإنه ذكر عنه: أنه كان يقول: حجّ بالناس في هذه السنة ـ أعني سنة إحدى وأربعين ـ عَنْبَسة بن أبي سُفيْان[3]. (٥: ١٧١).

---

(١) إسناده معضل.

(٢) إسناده معضل.

(٣) في إسناده مبهم، وكذلك ذكر الذهبي في تأريخ الإسلام (عهد معاوية/ ٨).
وأما خليفة فقد وافق الواقدي في قوله فقال: وأقام الحج عنبسة بن أبي سفيان بن حرب.

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا المسلمون اللاّن ، وغزَوْا أيضاً الرّوم ، فهزموهم هزيمةً منكرَة ـ فيما ذكروا ـ وقَتلوا جماعةً من بَطارِقتهم[١] .

وقيل : في هذه السنة وُلد الحجّاج بن يوسف (٥ : ١٧٢) .

وذكر عليّ بن محمد عن محمد بن الفضل العبسيّ ، عن أبيه ، قال : بعث عبد الله بن عامر قيسَ بن الهيثم على خُراسان حين ولاّه معاوية البَصرة وخُراسان ، فأقام قيس بخُراسان سنتين[٢] . (٥ : ١٧٢) .

وقد قيل في أمر ولاية قيس ما ذكره حمزة بن أبي صالح السُّلَميّ عن زياد بن صالح ، قال : بعث معاوية حين استقامت له الأمور قيسَ بنَ الهيثم إلى خُراسان ، ثم ضمَّها إلى ابن عامر ، فترك قيساً عليها[٣] . (٥ : ١٧٢) .

ذكر الخبر عن تحرّك الخوارج

وفي هذه السنة تحرّكت الخوارجُ الذين انحازوا عمّن قُتل منهم بالنَّهرَوان ومن كان ارتُثّ من جَرْحاهم بالنَّهروان ، فبرَؤوا ، وعفا عنهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[٤] . (٥ : ١٧٢) .

ذكر الخبر عمّا كان منهم في هذه السنة :

ذكر هشام بن محمد عن أبي مِخْنف ، قال : حدّثني النَّضْر بن صالح بن حبيب عن جَرير بن مالك بن زُهير بن جَذيمة العبسيّ ، عن أبيّ بن عُمارة العبسيّ : أن حيّان بن ظَبيان السُّلَميّ كان يرى رأيَ الخوارج ، وكان ممن ارتُثّ يومَ النّهراون ،

---

(١) لم نجد مصدراً تأريخياً متقدماً موثوقاً كالمعرفة والتأريخ للبلاذري ، وأما تأريخ ابن خياط يذكر فيها هذه الغزوة برواية مسندة موصولة صحيحة والله أعلم .

(٢) إسناده ضعيف جداً .

(٣) إسناده ضعيف جداً .

(٤) ضعيف .

فعفا عنه عليّ عليه السلام في الأربعمئة الذين كان عفا عنهم من المرتثّين يوم النّهر ، فكان في أهله وعشيرته ، فلبث شهراً أو نحوَه. ثم إنه خرج إلى الرّيّ في رجال كانوا يَرَوْن ذلك الرأي ، فلم يزالوا مقيمين بالرّيّ حتى بلغهم قتلُ عليّ كرّم الله وجهه ، فدعا أصحابه أولئك ـ وكانوا بضعةَ عشر رجلاً ، أحدهم سالم بن ربيعة العبسيّ ـ فأتَوْه ، فحمدَ الله وأثنَى عليه ثم قال: أيّها الإخوان من المسلمين ، إنه قد بلغني أنّ أخاكم ابن ملجم أخا مُراد قَعد لقتل عليّ ابن أبي طالب عند أغباش الصُّبح مقابل السُّدّة التي في المسجد مسجد الجماعة ، فلم يبرح راكداً ينتظر خروجَه حتى خرج عليه حين أقام المقيمُ الصّلاة صلاة الصبح ، فشدّ عليه فضرب رأسَه بالسيف ، فلم يَبْقَ إلا ليلتين حتى مات ، فقال سالم بن ربيعة العبسيّ: لا يقطع الله يميناً علتْ قَذالَه بالسَّيف؛ قال: فأخذ القومُ يَحمَدون الله على قتلِه عليه السلام ورضي الله عنه ولا رضيَ عنهم ولا رحمهم!

قال النّضْر بن صالح: فسألت بعد ذلك سالمَ بن ربيعة في إمارة مُصعب بن الزبير عن قوله ذلك في عليّ عليه السلام ، فأقرّ لي به ، وقال: كنت أرى رأيهم حيناً ، ولكن قد تركتُه؛ قال: فكان في أنفسنا أنه قد تركه؛ قال: فكان إذا ذكروا له ذلك يُرْمضه. قال: ثمّ إنّ حيّان بن ظَبيان قال لأصحابه: إنه والله ما يَبقى على الدّهر باقٍ ، وما تَلبث الليالي والأيام والسنُون والشهور على ابن آدم حتى تُذيقَه الموت ، فيفارق الإخوان الصالحين ، ويدَع الدّنيا التي لا يَبكي عليها إلا العَجَزة ، ولم تزل ضارّةً لمن كانت له همّاً وشَجَناً؛ فانصرِفوا بنا رحمكم الله إلى مصرِنا ، فلنأت إخوانَنا فلندْعُهم إلى الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر ، وإلى جهاد الأحزاب ، فإنه لا عذرَ لنا في القعود ، ووُلاتُنا ظَلَمة ، وسنّة الهدى متروكة ، وثأرنا الّذين قتلوا إخواننا في المجالس آمنون ، فإن يُظفرنا الله بهمْ نعمِد بعد إلى التي هي أهدَى وأرضَى وأقومَ ، ويَشفي الله بذلك صدورَ قوم مؤمنين ، وإن نُقتل فإنّ في مفارقة الظالمين راحةً لنا ، ولنا بأسلافنا أسوة. فقالوا له: كلّنا قائل ما ذكرتَ ، وحامدٌ رأيَك الذي رأيت ، فرِدْ بنا المِصرَ فإنا معك ، راضون بهُداك وأمرك؛ فخرج وخرجوا معه مقبِلين على الكُوفة ، فذلك حين يقول:

خليلَيَّ ما بي من عَزاءٍ ولا صَبْرِ ... ولا إرْبَةٍ بعد المُصابِينَ بالنَّهْرِ

سِوَى نَهَضاتٍ في كتائِبَ جَمَّةٍ ... إلى الله ما تَدْعُو وفي الله ما تَفْرِي

إذا جـاوزَتْ قُسْطـانَـةَ الـرَّيِّ بَغلَتـي فلسـتُ بسـارٍ نحْـوَهـا آخِـرَ الـدَّهـرِ
ولكنَّنِـي سـارٍ وإِنْ قـلّ نـاصِـرِي قريباً فلا أُخزِيكما مَع مَنْ يَسْرِي

قال: وأقبل حتى نزل الكوفة، فلم يزل بها حتى قَدِم معاوية، وبعث المغيرة ابن شعبة والياً على الكوفة، فأحبّ العافية، وأحسن في الناس السيرة، ولم يفتِّش أهلَ الأهواء عن أهوائهم، وكان يؤتَى فيقال له: إنّ فلاناً يَرَى رأيَ الشِّيعة، وإنّ فلاناً يرى رأيَ الخوارج. وكان يقول: قضى الله ألا تزالون مختلفين، وسيَحْكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، فأمِنه الناس، وكانت الخوارج يَلقَى بعضهم بعضاً، ويتذاكرون مكانَ إخوانهم بالنَّهْروان ويرَوْن أن في الإقامة الغَبْن والوكَف، وأنّ في جهادِ أهل القبلة الفضل والأجر[1]. (٥: ١٧٣/ ١٧٤).

قال أبو مخنف: فحدّثني النَّضْر بن صالح، عن أبيّ بن عُمارة: أنّ الخوارج في أيام المُغيرة بن شُعبة فَزِعوا إلى ثلاثةِ نفر؛ منهم المستورِد بن عُلّفة، فخرج في ثلاثة رجالٍ مقبلاً نحو جَرْجَرايا على شاطىء دِجلْة[2]. (٥: ١٧٤).

قال أبو مِخْنف: وحدّثني جعفر بن حُذَيفة الطائيّ من آل عامر بن جُوَين عن المحلّ بن خليفة: أنّ الخوارج في أيام المغيرة بن شعبة فزعوا إلى ثلاثة نفر؛ منهم المستورِد بن عُلّفة التّيميّ من تَيْم الرِّباب، وإلى حيّان بن ظَبيان السُّلميّ، وإلى معاذ بن جُوَين بن حُصين الطائيّ السِّنْبِسيّ - وهو ابن عمّ زيد بن حُصَين، وكان زيد ممن قتله عليّ عليه السلام يوم النَّهْروان، وكان معاذ بن جُوَين هذا في الأربعمئة الذين ارتُثُّوا من قَتلَى الخوارج، فعفا عنهم عليّ عليه السلام - فاجتمعوا في منزل حيّان بن ظَبيان السُّلميّ، فتشاوروا فيمن يولُّون عليهم. قال: فقال لهم المستورِد: يا أيُّها المسلمون والمؤمنون، أراكم الله ما تحبّون، وعزلَ عنكم ما تكرَهون، ولُّوا عليكم مَنْ أحببتم، فوالذي يَعلَم خائنةَ الأعين وما تُخفِي الصّدور ما أبالي مَن كان الوالي عليّ منكم! وما شرفَ الدنيا نريد، وما إلى البقاء فيها من سبيل، وما نريد إلا الخلود في دار الخلود. فقال حيّان بن ظَبْيان: أمّا أنا فلا حاجة لي فيها وأنا بك وبكلّ امرئٍ من إخواني راضٍ، فانظروا مَن شئتم

---

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة ومخالفة لما في الروايات الصحيحة التي ذكرنا في نتائج معركة النهروان وغير ذلك.

(٢) إسناده تالف.

منكم فسمّوه ، فأنا أوّل من يُبايعه. فقال لهم معاذ بن جُوَين بن حصين: إذا قلتما أنتما هذا؛ وأنتما سيِّدا المسلمين ، وذَوَا أنسابهم في صَلاحِكما ودِينكما وقَدرِكما ، فمن يرأس المسلمين ، وليس كلّكم يصلح لهذا الأمر! وإنما ينبغي أن يليَ على المسلمين إذا كانوا سواء في الفضل أبصرهم بالحرب ، وأفقَهُهم في الدين ، وأشدُّهم اضطلاعاً بما حُمِّل ، وأنتما بحمد الله ممن يُرضى بهذا الأمر ، فليتولّه أحدكما. قالا: فتولّه أنت ، فقد رضيناك ، فأنتَ والحمدُ لله الكامل في دينك ورأيك ، فقال لهما: أنتما أسنّ مني ، فليتولّه أحدكما ، فقال حينئذ جماعة مَن حضرهما من الخوارج: قد رضينا بكم أيّها الثلاثة ، فولوا أيَّكم أحببتم؛ فليس في الثلاثة رجل إلا قال لصاحبه: تولّها أنت ، فإني بك راضٍ ، وإني فيها غيرُ ذي رغبة. فلما كثر ذلك بينهم قال حيّان بن ظَبيان ، فإنّ معاذ بن جُوَين قال: إنّي لا ألي عليكما وأنتما أسنّ مني ، وأنا أقول لك مِثلَ ما قال لي ولك ، لا ألي عليك وأنت أسنّ مني ، ابسطْ يدَك أبايعْك. فبَسَط يده فبايعه ، ثم بايعه معاذ بن جوين ، ثم بايعه القومُ جميعاً ، وذلك في جُمادى الآخرة. فاتّعد القوم أن يتجّهزوا ويتيسرُوا ويستعدُوا ، ثم يخرجوا في غرّة الهلال هلالِ شعبانَ سنة ثلاث وأربعين ، فكانوا في جهازهم وعدّتهم[1]. (٥: ١٧٤/ ١٧٥/ ١٧٦).

وقيل: في هذه السنة سار بُسر بن أبي أرطاة العامريّ إلى المدينة ومكة واليَمن ، وقَتل من قَتله في مسيره ذلك من المسلمين.

وذلك قول الواقديّ ، وقد ذكرتُ مَن خالفه في وقت مسيره هذا السير[2]. (٥: ١٧٦).

وزعم الواقديّ: أن داودَ بن حيّان حدّثه عن عطاء بن أبي مروان ، قال: أقام بسر بن أبي أرطاةَ بالمدينة شهراً يَستعرض الناسَ ، ليس أحدٌ ممن يقال هذا أعان على عثمان إلا قَتَله[3]. (٥: ١٧٦).

وقال عطاء بن أبي مَرْوان: أخبرني حَنْظلة بن عليّ الأسلميّ ، قال: وجد قوماً

---

(١) إسناده تالف.
(٢) ضعيف.
(٣) في إسناده متروك.

من بني كعب وغِلمانهم على بئرٍ لهم فألقاهم في البئر[١]. (٥ : ١٧٦).

ذكر قدوم زياد على معاوية

وفي هذه السنة قَدِم زيادٌ ـ فيما حدّثني عمر ـ قال: حدّثنا أبو الحسن عن سليمان بن أرقم: قدم على معاوية من فارسَ، فصالحه على مال يحمِله إليه[٢]. (٥ : ١٧٦).

وكان سبب قدومه بعد امتناعه بقلعة من قلاع فارس وما حدّثني عمر قال: حدّثنا أبو الحسن عن مسلمة بن محارب، قال: كان عبد الرحمن بن أبي بكْرة يلِي ما كان لزياد بالبصرْة، فبلغ معاوية: أنّ لزياد أموالاً عند عبد الرحمن، وخاف زيادٌ على أشياءَ كانت في يد عبد الرحمن لزياد، فكتب إليه يأمره بإحرازها، وبعث معاوية إلى المغيرة بن شُعبة لينظرَ في أموال زياد، فقدم المغيرة، فأخذ عبد الرحمن، فقال: لئن كان أساء إليّ أبوك لقد أحسن زياد. وكتب إلى معاوية: إني لم أصب في يد عبد الرحمن شيئاً يَحِلّ لي أخْذُه. فكتب معاويةُ إلى المغيرة أنْ عَذِّبه. قال: وقال بعض المشيخة: إنه عَذّب عبد الرحمن بن أبي بَكْرة إذْ كتب إليه معاوية، وأراد أن يُعْذِر ويبلغَ معاوية ذلك، فقال: احتفظ بما أمرك به عمُّك، فألقى على وجهه حريرةً ونضَحَها بالماء، فكانت تَلتزِق بوجهه، فغُشي عليه، ففعل ذلك ثلاث مرّات، ثم خلّاه، وكتب إلى معاوية: إني عذّبته، فلم أصب عنده شيئاً، فحفظ لزياد يدَه عنده[٣]. (٥ : ١٧٦/ ١٧٧).

حدّثني عمر، قال: حدّثنا أبو الحسن، عن عبد الملك بن عبد الله الثَّقَفيّ، عن أشياخ من ثَقيف، قالوا: دخل المغيرة بن شُعبة على معاوية، فقال معاوية حين نظر إليه:

إنَّمَا موضعُ سِرّ المرءِ إن ... باحَ بالسِّرِّ أَخوه لمُنْتَصِحْ

فإذا بُحْتَ بِسِرٍّ فإلى ... ناصحٍ يَستُرُه أَوْ لا تَبُحْ

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده مرسل وسليمان ضعيف من السابعة.

(٣) إسناده مرسل ضعيف.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن تستودعْني تستودعْ ناصحاً شفيقاً وَرِعاً وثيقاً، فما ذاك يا أميرَ المؤمنين؟ قال: ذكرتُ زياداً واعتصامه بأرض فارسَ، وامتناعَه بها، فلم أنم ليلتي. فأراد المغيرة أن يطأطىء من زياد، فقال: ما زياد هناك يا أمير المؤمنين! فقال معاوية: بئس الوطْء العجْزُ، داهية العرب معه الأموال، متحصّن بقلاع فارسَ، يدبِّر ويربِّص الحِيَل، ما يؤمِنني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت، فإذا هو قد أعاد عليّ الحرب خُدَعة. فقال المغيرة: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إتيانه! قال: نعم، فائْتِه وتلطف له، فأتى المغيرة زياداً، فقال زياد حين بلغه قدوم المغيرة: ما قَدِم إلا لأمر، ثم أذن له، فدخل عليه وهو في بَهْوٍ له مستقبل الشمسِ، فقال زياد: أفلح رائد! فقال: إليك ينتهي الخبَر أبا المغيرة، إنّ معاوية استخفه الوَجَل حتى بعثني إليك، ولم يكن يعلم أحداً يمدّ يده إلى هذا الأمر غير الحسن، وقد بايع معاوية، فخذْ لنفسك قبل التَّوطِين، فيستغني عنك معاوية، قال: أشِرْ عليّ، وارم الغرضَ الأقصى، ودعْ عنك الفضول، فإنّ المستشارَ مؤتَمن؛ فقال المغيرة: في مَحْض الرأي بَشاعة، ولا خيرَ في المَذِيق، أرى أن تصلَ حبلَك بحبله، وتَشخَص إليه؛ قال: أرَى ويقضي الله[1].

(٥ : ١٧٧).

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ، عن مَسلمة بن محارب، قال: أقام زياد في القلعة أكثرَ من سنة، فكتب إليه معاوية: علامَ تُهلِك نفسَك؟ إليّ فأعلِمْني عِلمَ ما صار إليك مما اجتبيتَ من الأموال، وما خرج من يديك، وما بقي عندك، وأنت آمِن، فإن أحببتَ المُقام عندنا أقمتَ، وإن أحببتَ أن تَرجِع إلى مأمَنك رجعتَ. فخرج زياد من فارسَ، وبلغ المغيرة بن شعبة: أن زياداً قد أجمع على إتيان معاوية، فشَخَص المغيرة إلى معاوية قبل شخوص زياد من فارسَ، وأخذ زياد من إصْطَخْرَ إلى أرّجان، فأتى ماه بَهْزاذان، ثم أخذ طريق حُلْوان حتى قدم المَدائن، فخرج عبد الرحمن إلى معاوية يخبره بقدوم زياد، ثمّ قدِم زياد الشام، وقدم المغيرة بعد شهر، فقال له معاوية: يا مغيرة! زياد أبعدُ منك بمسيرة شهر، وخرجتَ قبلَه وسبَقَك. فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنّ الأريب إذا كلَّم الأريب

(١) في إسناده من لم يُسَم.

أفحَمَه؛ قال: خذ حِذْرَك، واطوِ عنِّي سِرّك، فقال: إنّ زياداً قدم يرجو الزّيادة، وقدمت أتخوّف النقصان، فكان سيرنا على حسب ذلك؛ قال: فسأل معاوية زياداً عمّا صار إليه من أموال فارسَ، فأخبره بما حمل منها إلى عليّ رضي الله عنه، وما أنفق منها في الوجوه التي يحتاج فيها إلى النفقة، فصدّقه معاوية على ما أنفق، وما بقيَ عنده، وقبضَه منه، وقال: قد كنت أمينَ خلفائنا[١]. (٥: ١٧٧/١٧٨).

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا أبو مِخْنف وأبو عبد الرحمن الأصبهَانيّ وسَلَمة بن عثمان وشيخ من بني تميم وغيرهم ممّن يوثَق بهم، قال: كتب معاوية إلى زياد وهو بفارسَ يسأله القدومَ عليه، فخرج زيادٌ من فارسَ مع المِنجاب بن راشد الضّبيّ، وحارثة بن بدر الغُدانيّ، وسرَّح عبدَ الله بن خازم في جماعة إلى فارس، فقال: لعلك تَلقَى زياداً في طريقك فتأخذه. فسار ابنُ خازم إلى فارسَ، فقال بعضُهم: لقيَه بسوق الأهواز، وقال بعضهم: لقيَه بأرّجان، فأخذ ابن خازم بعِنان زياد، فقال: انزِل يا زياد، فصاح به المِنجاب بن راشد: تنحّ يا بن سَوْداء، وإلا علَّقتُ يدَك بالعِنان. قال: ويقال: انتهى إليهم ابن خازم وزياد جالس، فأغلظ له ابن خازم، فشتَمَ المنجاب بن خازم، فقال له زياد: ما تريد يا بن خازم؟ قال: أريد أن تجيء إلى البصرة، قال: فإني آتيها؛ فانصرف ابن خازم استحياءً من زياد.

وقال بعضهم: التقى زياد، وابن خازم بأرَّجان، فكانت بينهم منازعة، فقال زياد لابن خازم قد أتاني أمان مُعاوية، فأنا أريده، وهذا كتابه إليَّ. قال: فإن كنتَ تريد أميرَ المؤمنين فلا سبيل عليك، فمضى ابن خازم إلى سابورَ، ومضى زياد إلى ماه بَهْرَاذان. وقَدِم على معاوية، فسأله عن أموال فارسَ، فقال: دفعتُها يا أميرَ المؤمنين في أرزاق وأعطيات وحمَالات، وبقيتْ بقيَّة أودعتها قوماً، فمكث بذلك يردّده، وكتب زياد كتباً إلى قوم منهم شِعبة بن القِلْعم: قد علمتم ما لي عندكم من الأمانة، فتدبَّروا كتابَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ... ﴾ الآية، فاحتفِظوا بما قِبَلكم. وسمَّى في الكتب

---

(١) إسناده مرسل ضعيف.

بالمبلغ الذي أقرَّ به لمعاوية ، ودسَّ الكتب مع رسوله ، وأمره أن يعرض لبعض من يُبْلغ ذلك معاوية ، فتعرَّض رسولُه حتى انتشر ذلك ، وأخذ فأتيَ به معاوية ، فقال معاوية لزياد: لئن لم تكن مكرتَ بي إنَّ هذه الكتب من حاجتي. فقرأها ، فإذا هي بمثلِ ما أقرَّ به؛ فقال معاوية: أخاف أن تكون قد مكرتَ بي ، فصالحْني على ما شئت ، فصالَحه على شيء مما ذكره أنه عنده. فحمله، وقال زياد: يا أميرَ المؤمنين ! قد كان لي مال قبل الولاية ، فوددتُ أنَّ ذلك المالَ بقيَ ، وذهب ما أخذت من الولاية. ثم سأل زياد معاوية أن يأذن له في نزول الكوفة فأذن له ، فشَخَص إلى الكوفة ، فكان المغيرة يكرمه ويعظِّمه ، فكتب معاوية إلى المغيرة: خذ زياداً وسليمانَ بن صُرَد وحُجْرَ بنَ عديٍّ وشَبَث بن رِبْعيّ وابن الكوَّاء ، وعَمرو بن الحَمقِ بالصلاة في الجماعة؛ فكانوا يَحضُرون معه في الصلاة[1].

حدَّثني عمر بن شبَّة ، قال: حدَّثنا عليُّ عن سليمان بن أرقم ، قال: بلغني أنَّ زياداً قدم الكوفة ، فحضرتِ الصلاة ، فقال له المغيرة: تقدَّم فصلِّ؛ فقال: لا أفعل ، أنت أحقُّ منِّي بالصَّلاة في سلطانك. قال: ودخل عليه زياد وعند المغيرة أمّ أيوبَ بنتَ عُمَارة بن عقبة بن أبي مُعيط ، فأجلسَها بين يديه ، وقال: لا تستترِي من أبي المغيرة ، فلما مات المغيرة تزوَّجها زياد وهي حَدَثة ، فكان زياد يأمر بفيل كان عنده ، فيُوقَف ، فتَنظر إليه أمّ أيوب ، فسمِّيَ بابَ الفيل[2]. (٥: ١٧٩/ ١٨٠).

وحجّ بالناس في هذه السنة عَنْبسة بن أبي سُفْيان ، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر[3]. (٥: ١٨٠).

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

ذكر الخبر عمَّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غَزْوة بُسر بن أبي أرطاةَ الرّوم ، ومشتاه بأرضهم حتى بلغ

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده مرسل ضعيف لضعف سليمان بن أرقم.

(٣) إسناده ضعيف وكذلك قال خليفة بن خياط (تأريخ خليفة/ ٢٠٥).

القُسْطَنْطينيّة ـ فيما زعم الواقديّ ـ وقد أنكر ذاك قومٌ من أهل الأخبار. فقالوا: لم يكن لبُسْر بأرض الروم مَثنىً قطّ[1]. (٥: ١٨١).

وفيها ولّى معاويةُ عبد الله بن عمرو بن العاص مصرَ بعد موت أبيه، فوَلِيها له ـ فيما زعم الواقديّ ـ نحواً من سنتين[2]. (٥: ١٨١).

خبر قتل المستورد بن علّفة الخارجيّ

وفيها قُتل المستورِد بن عُلفة الخارجيّ فيما زعم هشام بن محمد، وقد زعم بعضهم أنه قتل في سنة اثنتين وأربعين.

* ذكر الخبر عن مقتله:

قد ذكرنا ما كان من اجتماع بقايا الخوارج الذين كانوا ارتُثُّوا يومَ النهر، ومن كان منهم انحاز إلى الرّي وغيرهم إلى النفر الثلاثة الذين سمّيت قبلُ؛ الذين أحدُهم المستورِد بن عُلّفة، وذكرْنا بيعتهم المستورد، واجتماعهم على الخروج في غرّة هلال شعبان من سنة ثلاث وأربعين.

فذكر هشام، عن أبي مِخْنف: أنّ جعفر بن حذيفة الطائيّ حدثه عن المحلّ بن خليفة: أن قُبيصة بن الدّمّون أتى المغيرة بن شُعبة ـ وكان على شُرطته ـ فقال: إن شمّر بن جَعْوَنة الكِلابيّ جاءني فخبّرني: أنّ الخوارج قد اجتمعوا في منزل حيّان بن ظَبيان السُّلمَيّ، وقد اتّعدوا أن يخرجوا إليك في غرة شعبان، فقال المغيرة بن شعبة لقبيصة بن الدمّون ـ وهو حليف لثَقِيف، وزعموا أنّ أصلَه كان من حضرمَوْت من الصّدف ـ: سِرْ بالشُّرْطة حتى تحيط بدارِ حيّان بن ظَبيان فائْتِني به، وهم لا يرَوْن إلا أنه أمير تلك الخوارج. فسار قَبيصة في الشُّرْطة وفي كثير من الناس، فلم يشعر حيّان بن ظبيَان إلا والرّجال معه في دارِه نصفَ النهار، وإذا معه معاذ بن جُوَين ونحوٌ من عشرين رجلاً من أصحابهما، وثارت امرأته؛ أمُّ ولد له، فأخذتْ سيوفاً كانت لهم، فألقتْها تحت الفِراش، وفَزِع بعضُ القوم إلى سيوفهم فلم يجدوها، فاستسلموا فانطلق بهم إلى المُغيرة بن

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

شعبة ، فقال لهم المغيرة: ما حَمَلكم على ما أردتم من شقّ عصا المسلمين؟ فقالوا: ما أردْنا من ذلك شيئاً ، قال: بلى ، قد بلغني ذلك عنكم ، ثم قد صدّق ذلك عندي جماعتكم؛ قالوا له: أمّا اجتماعنا في هذا المنزل فإنْ حيّان بن ظَبيان أقرأنا القرآن ، فنحن نجتمع عنده في منزله فنقرأ القرآن عليه.

فقال: اذهبوا بهمْ إلى السجن ، فلم يزالوا فيه نحواً من سنة ، وسمع إخوانُهم بأخذهم فَحذِروا ، وخرج صاحبهم المستورِد بن عُلَّفة فنزل داراً بالحيرة إلى جنب قصر العدسيّين من كَلْب ، فبعث إلى إخوانه ، وكانوا يختلفون إليه ويتجهّزون ، فلما كثر اختلاف أصحابه إليه قال لهم صاحبهم المستورِد بن عُلَّفة التيميّ: تحوّلوا بنا عن هذا المكان ، فإنّي لا آمَن أن يُطّلع عليكم ، فإنهم في ذلك يقول بعضهم لبعض: نأتي مكانَ كذا وكذا ، ويقول بعضهم: نأتي مكان كذا وكذا؛ إذْ أشرف عليهم حجّار بن أبْجر من دار كان هو فيها وطائفة من أهله ، فإذا هم بفارِسَيْن قد أقبَلا حتى دخلا تلك الدار التي فيها القوم ، ثم لم يكن بأسرعَ من أن جاء آخران فَدَخلا ، ثمّ لم يكن إلا قليل حتى جاء آخر فدخل ، ثم آخرُ فدخل ، وكان ذلك بعينِه ، وكان خروجُهم قد اقترب ، فقال حجّار لصاحبة الدار التي كان فيها نازلاً وهي تُرضِع صبيّاً لها: وَيْحكِ! ما هذه الخيل التي أراها تَدخُل هذه الدار؟ قالت: واللهِ ما أدري ما همْ! إلا أنَّ الرجال يختلفون إلى هذه الدار رجالاً وفُرساناً لا ينقطعون ، ولقد أنكرْنا ذلك منذ أيام ، ولا ندري مَن هم! فركب حجّار فرسَه ، وخرج معه غلام له ، فأقبل حتى انتهى إلى باب دارِهم ، فإذا عليه رجلٌ منهم ، فكلّما أتى إنسان منهم إلى الباب دخل إلى صاحبه أعلمه ، فأذن له ، فإن جاءه رجل من معروفيهم دَخَل ولم يستأذن ، فلمّا انتهى إليه حجّار لم يعرفه الرجل ، فقال: مَن أنت رحمك الله؟ وما تريد؟ قال: أردت لقاءَ صاحبي. قال له: وما اسمك؟ قال له: حجّار بن أبجر؛ قال: فكما أنت حتى أوذِنهم بك ، ثم أخرج إليك ، فقال له حجّار: ادخُل راشداً! فدخل الرجل ، واتّبعه حجار مسرعاً ، فانتهى إلى باب صُفّة عظيمة هم فيها ، وقد دخل إليهم الرّجل فقال: هذا رجل يستأذن عليك أنكرتُه فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا حجّار بن أبجر ، فسمعهم يتفزّعون ويقولون: حَجّار بن أبجر! والله ما جاء حجّار بن أبجر بخير ، فلما سمع القول منهم أراد أن ينصرف ويكتفيَ بذلك من الاسترابة بأمرهم ، ثم

أبت نفسُه أن ينصرف حتى يعاينهم ، فتقدّم حتى قام بين سِجْفَي باب الصُّفّة وقال: السلام عليكم ، فنظر فإذا هو بجماعة كثيرة ، وإذا سلاحٌ ظاهر ودروع ، فقال حجّار: اللهمّ اجمعْهم على خير ، مَن أنتم عافاكم الله؟ فعرفه عليّ بن أبي شمر بن الحصين ، من تيم الرّباب ـ وكان أحدَ الثمانية الذين انهزَموا من الخوارج يومَ النهر ، وكان من فُرسان العرب ، ونُسَّاكهم وخِيارهم ـ فقال له: يا حجّار بن أبجر ، إن كنتَ إنما جاء بك التماس الخبر فقد وجدتَه ، وإن كنت إنما جاء بك أمرٌ غير ذلك فادخل ، وأخبِرنا ما أتى بك؛ فقال: لا حاجة لي في الدخول ، فانصرف ، فقال بعضهم لبعض: أدرِكوا هذا فاحبِسوه ، فإنه مؤذنٌ بكم ، فخرجتْ منهم جماعةٌ في أثره ـ وذلك عند تطفيل الشمس للإياب ـ فانتهَوْا إليه وقد ركب فرسَه ، فقالوا له: أخبِرنا خَبَرَك ، وما جاء بك؟ قال: لم آت لشيء يروعُكم ولا يَهُولكم ، فقالوا له: انتظر حتى ندنوَ منك ونكلّمكَ ، أو تدنوَ منا؛ أخبرنا فنعلمك أمرَنا ، ونذكر حاجتَنا ، فقال لهم: ما أنا بدانٍ منكم ، ولا أريد أن يدنوَ مني منكم أحد؛ فقال له عليّ بن أبي شمر بن الحصين: أفمؤمِّننا أنت من الإذن بنا هذه الليلة وأنت مُحسِن ، فإنَّ لنا قَرابةً وحَقّاً؟ قال: نعم ، أنتم آمنون من قبَلي هذه الليلة وليالي الدهر كلِّها ، ثم انطلق حتى دخل الكوفة وأدخل أهلَه معه. وقال الآخرون بعضهم لبعض: إنا لا نأمن أن يؤذن بنا هذا ، فاخرجوا بنا من هذا الموضع ساعتَنا هذه ، قال: فصلَّوا المغرب ، ثمّ خرجوا من الحِيرة متفرّقين ، فقال لهم صاحبُهم: الحقوا بي في دار سُلَيْمِ بن محدوج العبديّ من بني سَلِمة ، فخرج من الحِيرة ، فمضى حتى أتى عبد القيس. فأتى بني سليم فبعث إلى سُليم بن محدوج ـ وكان له صهراً ـ فأتاه ، فأدخله وأصحاباً له خمسةً أو ستّة ، ورجع حَجّار بن أبجر إلى رَحْله ، فأخذوا ينتظرون منه أن يبلغهم منه ذكرٌ لهم عند السلطان أو الناس ، فما ذكرهم عند أحد منهم ، ولا بلغهم عنه في ذلك شيء يكرهونه.

فبلغ الخبرُ المغيرةَ بن شُعْبة: أنّ الخوارج خارجةٌ عليه في أيامه تلك ، وأنهم قد اجتمعوا على رجل منهم ، فقام المغيرة بن شعبة في الناس ، فحمِد الله وأثنَى عليه ثم قال: أمّا بعد ، فقد علمتم أيّها الناس أني لم أزل أحبّ لجماعتكم العافية ، وأكفّ عنكم الأذى ، وأنّي والله لقد خشيت أن يكون ذلك أدب سوء

لسفهائكم ، فأمّا الحُلَماء الأتقياء فلا ، وايمُ الله لقد خشيتُ ألا أجد بدّاً من أن يُعصَبَ الحليم التقي بذنْب السفيه الجاهل ، فكفُّوا أيُّها الناس سفهاءَكم قبلَ أن يَشملَ البلاءُ عوامَّكم ، وقد ذُكر لي : أنّ رجالاً منكم يريدون أن يَظهَروا في المصر بالشقاق والخلاف ، وايمُ الله لا يخرجون في حيٍّ من أحياء العرب في هذا المصْر إلا أبَدْتهم وجعلْتُهم نكالاً لمن بعدهم ، فنظر قومٌ لأنفسهم قبل الندم ، فقد قمت هذا المقامَ إرادةَ الحجّة والإعذار .

فقام إليه مَعقِل بن قيس الرّياحيّ فقال : أيُّها الأمير ! هل سُمّيَ لك أحدٌ من هؤلاء القوم؟ فإن كانوا سُمُّوا لك فأعلِمْنا مَنْ هم؟ فإن كانوا منا كَفيناكَهم ، وإن كانوا من غيرنا أمرتَ أهلَ الطاعة من أهل مصرِنا ، فأتتْك كلّ قبيلة بسفهائها ، فقال : ما سُمِّيَ لي أحد منهم ، ولكن قد قيل لي : إنّ جماعةً يريدون أن يخرجوا بالمِصر ؛ فقال له معقِل : أصلحك الله ! فإني أسير في قومي ، وأكفيك ما هم فيه ، فليكفِك كلّ امرىء من الرؤساء قومَه ، فنزل المغيرةُ بن شعبة ، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم ، ثم قال لهم : إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم ، وقد قلت ما قد سمعْتم ، فليكفني كل امرىء من الرؤساء قومَه ، وإلاّ فوالذي لا إله غيره لأتحوّلنّ عما كنتم تَعرِفون إلى ما تُنكِرون ، وعمّا تحبّون إلى ما تكرَهون ، فلا يَلُمِ لائمٌ إلا نفسَه ، وقد أعذرَ من أنذر ، فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم ، فناشَدوهم اللهَ والإسلامَ إلا دلُّوهم على مَن يروْن أنه يريد أن يهيج فتنةً ، أو يفارِق جماعةً ؛ وجاء صَعْصعة بن صُوحان فقام في عبد القيس[1] . (٥ : ١٨١ / ١٨٢ / ١٨٣ / ١٨٤ / ١٨٥) .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدّثني الأسود بن قيس العبديّ عن مرّة بن النعمان ، قال : قام فينا صَعْصعة بن صُوحان ، وقد والله جاءه من الخبر بمنزل التَّيميّ وأصحابه في دار سليم بن محدوج ، ولكنه كَرِه على فِراقه إيّاهم وبغضِه لرأيهم أن يؤخذوا في عشيرته ، وكره مَساءة أهل بيت من قومه ، فقال : قَوْلاً حسناً ، ونحن يومئذ كثيرٌ أشرافنا ، حسنٌ عددُنا ، قال : فقام فينا بعد ما صلّى العصر ، فقال : يا معشرَ عباد الله ! إنّ الله ـ وله الحمد كثيراً ـ لمّا قسم الفضلَ بين المسلمين خصّكم منه بأحسن القسْم ، فأجبْتم إلى دين الله الذي اختاره الله

(١) إسناده تالف .

لنفسه ، وارتضاه لملائكته ورُسله ، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسولَه ﷺ ثم اختلف الناس بعدَه فثبتت طائفة ، وارتدّت طائفة ، وأدهنَتْ طائفة ، وتربّصت طائفة ، فلزمْتم دينَ الله إيماناً به وبرسوله ، وقاتلتم المرتدّين حتى قام الدّين ، وأهلَك الله الظالمين ، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كلّ شيء ، وعلى كلّ حال ، حتى اختلفتْ الأمّة بينها ، فقالت طائفة: نريد طلحةَ والزبير وعائشة ، وقالت طائفة: نريد أهلَ المغرب ، وقالت طائفة: نريد عبد الله بن وهب الراسبيّ ، راسب الأزْد ، وقلتم أنتم: لا نريد إلا أهلَ البيت الذي ابتدأنا الله من قِبَلهم بالكرامة ، تسديداً من اللهِ لكم وتوفيقاً ، فلم تزالوا على الحقّ لازمين له ، آخذِين به ، حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مِثل هداكم ورأيكم الناكِثين يومَ الجمل ، والمارِقين يومَ النّهر - وسكت عن ذكر أهل الشأم ، لأن السلطان كان حينئذ سلطانهم - ولا قوم أعدَى لله ولكم ولأهل بيت نبيِّكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة ، الذين فارَقوا إمامَنا ، واستحلُّوا دماءَنا ، وشهدوا علينا بالكُفْر؛ فإياكم أن تُؤْووهم في دُوركم ، أو تكتموا عليهم ، فإنه ليس ينبغي لحيّ من أحياء العرب أن يكون أعدَى لهذه المارقة منكم ، وقد والله ذُكِر لي: أن بعضهم في جانب من الحيّ ، وأنا باحثٌ عن ذلك وَسَائلٌ ، فإن كان حُكيَ لي ذلك حقّاً تقرّبت إلى الله تعالى بدمائهم ، فإنّ دماءهم حلال ، ثم قال: يا معشرَ عبدِ القيس ! إنّ وُلاتنا هؤلاء هم أعرَف شيء بكم وبرأيكم ، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً ، فإنهم أسرَع شيء إليكم وإلى أمثالكم ، ثم تنحّى فجلس ، فكلّ قومه قال: لَعنَهم الله! قال: بريء الله منهم ، فلا والله ، فلا نُؤْويهم ولئن عَلِمنا بمكانهم؛ لنطلعنّك عليهم ، غير سُليم بن محدوج ، فإنه لم يقل شيئاً ، فرجع إلى قومه كئيباً واجماً ، يكرَه أن يخرجَ أصحابه من منزله فيَلُومُوه ، وقد كانت بينهم مصاهَرة ، وكان لهم ثقة ، ويكره أن يُطلَبوا في داره فيَهلِكوا ويَهلِك ، وجاء فدخل رحلَه ، وأقبل أصحابُ المستورِد يأتونه ، فليس منهم رجلٌ إلا يخبره بما قام به المغيرة بن شُعبة في الناس وبما جاءهم رؤساؤهم ، وقاموا فيهم ، وقالوا له: اخرُج بنا ، فوالله ما نأمن أن نؤخذ في عشائرنا ، قال: فقال لهم: أما ترَوْن رأسَ عبد القيس قام فيهم كما قامت رؤساءُ العشائر في عشائرهم؟ قالوا: بلى والله نرى. قال: فإنّ صاحب منزلي لم يذكر لي شيئاً؛ قالوا: نرى والله: أنه استحيا منك ، فدعاه فأتاه ، فقال: يابن محدوج؛ إنه قد بلغني أن رؤساء العشائر قاموا

إليهم ، وتقدّموا إليهم فيّ وفي أصحابي ، فهل قام فيكم أحدٌ يذكر لكم شيئاً من ذلك؟ قال: فقال: نعم، قد قام فينا صعصعة بن صُوحان، فتقدّم إلينا في ألا نؤوِيَ أحداً من طِلْبتهم، وقالوا أقاويلَ كثيرةً كرهتُ أن أذكرَها لكم فتحسَبوا أنه ثَقُل عليّ شيء من أمركم؛ فقال له المستورد: قد أكرمْتَ المثوَى، وأحسنت الفِعل، ونحن إن شاء الله مُرتحِلون عنك ، ثم قال: أما والله لو أرادوك في رَحْلي ما وَصلوا إليك ولا إلى أحد من أصحابك حتى أموتَ دونكم ، قال: أعاذك الله من ذلك!

وبلغ الذين في مَحبِس المغيرة ما أجمع عليه أهلُ المِصر من الرأي في نفي من كان بينهم من الخوارج ، وأخذِهم ، فقال معاذ بن جُوَين بن حصين في ذلك:

ألا أيّها الشارُون قد حان لامرىءٍ	شرَى نفسَه لله أن يَترحَّلاَ
أَقَمتُم بدار الخاطئين جَهالةً	وكلُّ امرىءٍ منكم يُصادُ لِيُقْتَلاَ
فشُدُّوا علَى القومِ العُداةِ فإنَّما	أقامَتْكُمُ للذبْح رأْياً مُضَلَّلاَ
ألا فاقصِدُوا يا قومِ للغايةِ التي	إذا ذُكِرَتْ كانت أَبرَّ وأعْدَلاَ
فياليتني فيكم على ظهر سابحٍ	شديدِ القُصَيْرَى دارِعاً غيرَ أَعْزَلا
وياليتني فيكم أعادي عدوَّكمْ	فيَسقيَني كأْسَ المَنِيَّة أَوَّلا
يعزّ عليَّ أن تُخافوا وتطْرَدُوا	ولما أُجَرِّدْ في المُحِلِّين مُنْصُلا
ولما يُفرّقْ جَمْعَهم كلُّ ماجِدٍ	إذا قلتَ قد وَلَّى وأَدْبَرَ أَقبَلاَ
مُشِيحاً بنَصْلِ السيف في حَمَس الوَغَى	يرى الصبْرَ في بعض المواطِنِ أَمْثَلا
وعزَّ عليّ أن تُضاموا وتُنْقَصوا	وأَصْبَح ذا بثٍّ أَسيراً مُكَبَّلا
ولو أنني فيكمْ وقد قصدوا لكمْ	أَثَرْتُ إذاً بين الفريقيْنِ قَسْطَلا
فيا رُبّ جَمْعٍ قد فَللتُ وغارةٍ	شهِدْتُ وقِرْنٍ قد تركْتُ مُجَدَّلا

فبعث المستورِد إلى أصحابه فقال لهم: اخرُجوا من هذه القبيلة لا يُصِب امرأ مسلماً في سببنا بغير علمٍ معرّةٌ. وكان فيهم بعضُ من يرى رأيهم ، فاتّعدوا سوراً، فخرجوا إليها متقطعين من أربعة وخمسة وعشرة ، فتتامّوا بها ثلاثمئة رجل ، ثم ساروا إلى الصَّراة ، فباتوا بها ليلةً.

ثم إنّ المغيرة بن شُعبة أخبِر خبرَهم ، فدعا رؤساء الناس ، فقال: إنّ هؤلاء الأشقياء قد أخرجهم الحيْن وسوءُ الرأي ، فمن تَرَوْن أبعث إليهم؟ قال: فقام إليه

عديّ بن حاتم ، فقال: كلُّنا لهم عدوّ ، ولرأيهم مسفِّه ، وبطاعتك مستمسِك ، فأيّنا شئت سار إليهم.

فقام معقل بن قيس ، فقال: إنك لا تبعث إليهم أحداً ممن ترى حولَك من أشراف المصر إلا وجدتَه سامعاً مطيعاً ، ولهم مفارقاً ، ولهلاكهم محبّاً ، ولا أرى أصلَحَك الله أن تَبعَث إليهم أحداً من الناس أعدَى لهم ولا أشدّ عليهم منّي ، فابعثني إليهم فإني أكفيكَهم بإذن الله؛ فقال: اخرج على اسم الله؛ فجهّز معه ثلاثة آلاف رجل.

وقال المغيرة لقَبِيصة بن الدمُّون: الصق لي بشيعة عليٍّ ، فأخرجهم مع مَعقل بن قيس ، فإنه كان من رؤوس أصحابه ، فإذا بعثت بشيعته الذين كانوا يُعرَفون فاجتمعوا جميعاً ، استأنس بعضُهم ببعض وتنَاصَحوا وهم أشدّ استحلالاً لدماءِ هذه المارِقة ، وأجرأ عليهم من غيرهم ، وقد قاتلوا قبل هذه المرّة[1].

(٥: ١٨٥/١٨٦/١٨٧/١٨٨).

قال أبو مخنف: فحدّثني الأسود بن قيس ، عن مرّة بن منقذِ بن النعمان ، قال: كنتُ أنا فيمن نُدِب معه يومئذ؛ قال: لقد كان صعصعة بن صُوحان قام بعد معقِل بن قيس ، وقال: ابعثْني إليهم أيّها الأمير ، فأنا والله لدمائهم مستحلّ ، وبحَملِها مستقِلّ ، فقال: اجلس؛ فإنما أنت خطيب ، فكان أحفظه ذلك ، وإنما قال ذلك لأنه بلغه أنّه يعيب عثمانَ بن عفّان رضي الله عنه ، ويُكثِر ذكرَ عليّ ويفضّله ، وقد كان دعاه ، فقال: إيّاك أن يبلغَني عنك أنّك تعيب عثمانَ عند أحد من الناس ، وإيّاك أن يَبلُغني عنك أنك تُظهِر شيئاً من فضل عليٍّ علانيةً ، فإنك لست بذاكر من فضل عليٍّ شيئاً أجهَلُه ، بل أنا أعلَم بذلك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر ، وقد أخِذْنا بإظهار عيبه للناس ، فنحن نَدع كثيراً مما أمِرنا به ، ونذكر الشيءَ الذي لا نجد منه بدّاً ، ندفع به هؤلاء القومَ عن أنفسنا تقيّة ، فإن كنتَ ذاكراً فضلَه فاذكره بينَك وبين أصحابك وفي منازِلكم سرّاً ، وأما علانيةً في المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفةُ لنا ، ولا يعذرنا به ، فكان يقول له: نعم أفعل ، ثم يَبلُغه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه ، فلما قام إليه ، وقال له: ابعثْني إليهم

---

(١) إسناده تالف.

وجد المغيرة قد حَقَد عليه خلافه إياه ، فقال: اجلس فإنما أنت خطيب ، فأحفَظَه ، فقال له: أوَما أنا إلا خطيب فقط! أجل والله ، إنّي للَخطيب الصّليب الرئيس ، أما والله لو شهدتَني تحت راية عبد القَيْس يومَ الجمل حيث اختلفت القنا ، فشؤون تُفْرَى ، وهامةٌ تُختلَى؛ لعلمتَ أني أنا الليث الهِزَبر؛ فقال: حَسْبك الآن ، لعمري لقد أوتيتَ لساناً فصيحاً ، ولم يلبَث قبيصة بن الدمُّون أن أخرج الجيشَ مع معقل. وهم ثلاثة آلاف نُقاوة الشيعة وفُرسانهم[١].

(٥ : ١٨٨/ ١٨٩).

قال أبو مخنف: فحدّثني النّضر بن صالح ، عن سالم بن ربيعة ، قال: إني جالس عند المغيرة بن شُعْبة حين أتاه معقل بن قيس يسلِّم عليه ويودّعه ، فقال له المغيرة: يا معقلِ بن قيس ! إنِّي قد بعثت معك فُرسانَ أهلِ المصْر ، أمرت بهم فانتُخبوا انتخاباً ، فسرْ إلى هذه العصابة المارقة الذين فارَقوا جماعتَنا ، وشهدوا عليها بالكُفْرِ ، فادعهم إلى التَّوْبة ، وإلى الدّخول في الجَماعة ، فإن فعلوا فاقبل منهم ، وأكففْ عنهم ، وإن هم لم يفعلوا فناجِزْهم ، واستعِن بالله عليهم.

فقال معقل بن قيس: سندعُوهم ونعذِر ، وايمُ الله ما أرَى أن يقبلوا ، ولئن لم يقبلوا الحقّ لا نَقبل منهم الباطل ، هل بلغَك ـ أصلَحك الله ـ أين منزل القوم؟ قال: نعم ، كتب إليّ سماك بن عُبَيد العبسيّ ـ وكان عاملاً له على المدائن ـ يُخبِرني: أنهم ارتحلوا من الصَّراة ، فأقبلوا حتى نزلوا بَهُرَسير ، وأنهم أرادوا أن يَعْبروا إلى المدينة العتيقة التي بها منازل كسرى وأبيَض المدائن ، فمنعهم سماك أن يجوزوا ، فنزلوا بمدينة بَهُرَسِير مقِيمينِ ، فاخرج إليهم ، وانكمِش في آثارهم حتى تَلحقَهم ، ولا تَدَعهم والإقامةَ في بلد ينتهى إليهم فيه أكثر من الساعة التي تدعوهم فيها ، فإن قبلوا وإلا فناهِضْهم ، فإنهم لن يقيموا ببلد يومين إلا أفسدوا كلّ من خالَطَهم.

فخرج من يوم فبات بسورا ، فأمر المغيرة مولاه ورّاداً ، فخرج إلى الناس في مسجد الجماعة ، فقال: أيّها الناس ! إنّ معقل بن قيس قد سار إلى هذه المارقة ، وقد بات الليلةَ بسورا ، فلا يتخلّفنّ عنه أحد من أصحابه.

(١) إسناده تالف ، وفي متنه نكارة.

ألا وإنّ الأمير يُحَرِّج على كلّ رجل من المسلمين منهم ، ويَعزِم عليهم أن يبيتوا بالكوفة ، ألا وأيُّما رجل من هذا البعث وجَدناه بعد يَومِنا بالكوفة فقد أحلّ بنفسه[1] . (٥ : ١٨٩/ ١٩٠) .

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الرحمن بن جندب عن عبد الله بن عُقْبة الغَنَويّ ، قال: كنت فيمن خرج مع المستورِد بن عُلّفة ، وكنت أحدثَ رجلٍ فيهم ، قال: فخرجنا حتى أتينا الصَّراة ، فأقمنا بها حتى تتامّت جماعتُنا ، ثم خرجْنا حتى انتهينا إلى بَهْرسير ، فدخلناها ونذِر بنا سماك بن عبيد العبسيّ ، وكان في المدينة العتيقة ، فلما ذهبنا لنعبر الجسرَ إليهم قاتلْنا عليه ، ثم قطعه علينا ، فأقمنا ببَهُرسير. قال: فدعاني المستورِد بن عُلّفة ، فقال: أتكتب يابن أخي؟ قلت: نعم ، فدعا لي برَقٍّ ودَواة ، وقال: اكتب: مِنْ عبد الله المستورِد أميرِ المؤمنين إلى سماك بن عبيد ، أمّا بعد: فقد نقِمْنا على قومنا الجَوْر في الأحكام ، وتعطيلَ الحدود ، والاستئثارَ بالفيء ، وإنا ندعوك إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه ﷺ ، وولاية أبي بكر وعمرَ رضوان الله عليهما ، والبراءة من عثمانَ وعليّ ، لإحداثهما في الدّين ، وتركهما حكمَ الكتاب ، فإنْ تقبَل؛ فقد أدركت رُشْدَك ، وإلا تَقْبَل؛ فقد بالغنا في الإعذار إليك ، وقد آذنّاك بحرب ، فنَبَذْنا إليك على سواء ، إنّ الله لا يحبّ الخائنين. قال: فقال المستورِد: انطلق إلى سماك بهذا الكتاب فادفعهُ إليه ، واحفظ ما يقول لك ، والقَنِي.

قال: وكنت فتىً حَدَثاً حين أدركتَ ، لم أجرّب الأمور ، ولا علمَ لي بكثير منها ، فقلت: أصلحك الله! لو أمرتَني أن أستعرضَ دِجلة فألقِيَ نفسي فيها ما عصيتُك ، ولكن تأمن عليّ سماكاً أن يتعلق بي ، فيَحبِسني عنك ، فإذا أنا قد فاتني ما أترجّاه من الجهاد! فتبسّم وقال: يابن أخي ! إنما أنت رسولٌ ، والرسولِ لا يُعرَض له ، ولو خشيتُ ذلك عليك لم أبعثْك ، وما أنت على نفسك بأشفق مني عليك ، قال: فخرجتُ حتى عبرتُ إليهم في معْبَر ، فأتيت سماك بن عبيد ، وإذا الناس حولَه كثير ، قال: فلما أقبلتُ نحوَهم أَبَدُّوني أبصارَهم ، فلما دنوت منهم ابتدرني نحوٌ من عشرة ، وظننتُ والله أنّ القومَ يريدون أخذي ، وأنّ الأمرَ

---

(١) إسناده تالف.

عندهم ليس كما ذكر لي صاحبي ، فانتضَيْت سيفي ، وقلتُ: كلاً ، والذي نفسي بيَدِه ، لا تَصِلون إليّ حتى أعذِر إلى الله فيكم ، قالوا لي: يا عبدَ الله ، من أنت؟ قلت: أنا رسولُ أمير المؤمنين المستورِد بن عُلّفة ، قالوا: فلِمَ انتضيَت سيفك؟ قلت: لابتِداركم إليّ ، فخفت أن توثقوني ، وتغدروا بي ، قالوا: فأنت آمِن ، وإنما أتيناك لنقوم على جَنْبِك ، ونُمسِكَ بقائم سيفك ، وننظرَ ما جئت له ، وما تسأل؛ قال: فقلت لهم: ألست آمِناً حتى تردّوني إلى أصحابي؟ قالوا: بلى! فشِمْتُ سيفي ، ثم أتيت حتى قمت على رأسِ سماك بن عُبَيْد وأصحابُه قد ائتشبوا بي ، فمنهم مُمسِك بقائمِ سيفي ، ومنهم ممسِكٌ بعَضُدِي ، فدفعتُ إليه كتابَ صاحبي ، فلما قرأه؛ رفَع رأسه إليّ ، فقال: ما كان المستورِد عندي خليقاً لِما كنت أرَى من إخباته وتَواضُعه أن يخرج على المسلمين بسَيْفه ، يَعْرِض عليَّ المستورِد البراءة من عليّ وعثمان ، ويدعوني إلى ولايته! فبئسَ والله الشيخ أنا إذاً! قال: ثم نظر إليّ فقال: يا بُنيّ! اذهبْ إلى صاحبِك فقل له: اتّق الله وارجع عن رأيك ، وادخُل في جماعة المسلمين ، فإن أردتَ أن أكتبَ لك في طلب الأمان إلى المغيرة فعلت، فإنك ستجده سريعاً إلى الإصلاح، محباً للعافية. قال: قلت له - وإنّ لي فيهم يومئذ بصيرة -: هيهات! إنما طلبْنا بهذا الأمر الذي أخافنا فيكم في عاجل الدنيا الأمن عند الله يوم القيامة. فقال لي: بؤساً لك! كيف أرحمُك! ثم قال لأصحابه: إنهم خلَوْا بهذا، ثم جعلوا يقرؤون عليه القرآن، ويتخضّعون ، ويتباكون فظنّ بهذا: أنهم على شيء من الحقّ ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً، والله ما رأيتُ قوماً كانوا أظهرَ ضلالة ، ولا أبينَ شؤماً ، من هؤلاء الذي تروْن!

قلت: يا هذا! إنني لَمْ آتِك لأشاتِمك ولا أسمع حديثك وحديثَ أصحابك ، حدِّثني ، أنت تجيبني إلى مافي هذا الكتاب أم لا تفعل فأرجع إلى صاحبي؟ فنظر إليّ ثم قال لأصحابه: ألا تَعجَبون إلى هذا الصبيّ! والله إنّي لأرآني أكبر من أبيه ، وهو يقول لي: أتجيبني إلى مافي هذا الكتاب! انطلِق يا بُنيَّ إلى صاحبك ، إنما تندَم لو قد اكتنفتكُم الخيلُ ، وأشرِعت في صدوركم الرِّماح ، هناك تَمنَّى لو كنتَ في بيت أمِّك! قال: فانصرفتُ من عنده فعبرتُ إلى أصحابي ، فلما دنوتُ من صاحبي قال: ما ردّ عليك؟ قلت: ما ردّ خيراً ، قلت له: كذا ، وقال لي: كذا ،

فقصصتُ عليه القصّة، قال: فقال المستورد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قال: فلبثنا بمكاننا ذاك يومين أو ثلاثَة أيّام، ثم استبان لنا مسير معقلِ بن قيس إلينا. قال: فجمعَنَا المستورِد، فحَمِد الله وأثنَى عليه، ثم قال: أمّا بعدُ، فإن هذا الخَرِق معقل بن قيس قد وجّه إليكم وهو من السَّبَئِيَّة المفترين الكاذبين، وهو لله ولكم عدوّ، فأشيروا عليّ برأيكم. قال: فقال له بعضنا: والله ما خرجْنا نريد إلا الله، وجهاد مَن عادى الله، وقد جاؤونا فأين نذهب عنهم! بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين، وقالت طائفة أخرى: بل نَعتزِل ونتنحَّى ندعو الناسَ ونحتجّ عليهم بالدعاء.

فقال: يا معشر المسلمين! إني والله ما خرجتُ ألتمس الدنيا ولا ذكرَها ولا فخرَها ولا البقاءَ، وما أحبّ أنها لي بحذافيرها، وأضعاف ما يُتنافَس فيه منها بقِبَالِ نعلي! وما خرجتُ إلا التماسَ الشهادة، وأن يهديَني الله إلى الكرامة بهَوان بعض أهل الضّلالة، وإني قد نظرت فيما استشرتُكم فيه فرأيت ألاّ أقيمَ لهم حتى يُقدِموا عليّ وهم جامّون متوافِرون، ولكن رأيت أن أسيرَ حتى أمعِن فإنهم إذا بلغهم ذلك خرجوا في طَلَبِنا، فتقطّعوا وتبدّدوا، فعَلَى تلك الحال ينبغي لنا قِتالهم، فاخرجوا بنا على اسم الله عزّ وجل.

قال: فخرجنا فمضينا على شاطىء دِجْلة حتى انتهينا إلى جَرْجَرايا، فعبَرْنا دِجلة، فمضينا كما نحن في أرض جُوخَى حتى بلغنا المَذار، فأقمنا فيها، وبلغ عبد الله بن عامر مكاننا الذي كنا فيه، فسأل عن المغيرة بن شعبة، كيف صنع في الجيش الذي بعث إلى الخوارج؟ وكم عِدّتهم؟ فأخبِر بعِدّتهم، وقيل له: إن المغيرة نظر إلى رجل شريف رئيس قد كان قاتلَ الخوارج مع عليّ عليه السلام، وكان من أصحابه، فبَعثَه وبعث معه شيعةَ علي لعداوتهم لهم، فقال: أصاب الرأيَ، فبعثَ إلى شريك بن الأعور الحارثيّ - وكان يَرَى رأيَ عليٍّ عليه السلام - فقال له: اخرج إلى هذه المارِقة فانتخِب ثلاثة آلافِ رجل من الناس، ثم أتبعْهم حتى تُخرجَهم من أرض البَصْرة أو تقتلهم، وقال له بينه وبينه: اخرج إلى أعداء الله بمن يستحلّ قتالَهم من أهل البصرة، فظَنّ شريك به إنما يعني شيعَة عليّ عليه

السلام ، ولكنه يكره أن يسمِّيَهم ، فانتخب الناس ، وألحّ على فُرسان ربيعة الذين كان رأيهم في الشيعة ، وكان تجيبه العظماء منهم ، ثمّ إنه خرج فيهم مقبلاً إلى المستورِد بن عُلّفة بالمذار [٢] . (٥ : ١٩٠/١٩١/١٩٢/١٩٣/١٩٤)

قال أبو مخنف : وحدّثني حُصيرة بن عبد الله بن الحارث عن أبيه عبد الله بن الحارث ، قال : كنت في الذين خرجوا مع معقِل بن قيس ، فأقبلتُ معه ، فوالله ما فارقتُه ساعةً من نهار منذ خرجتُ ، فكان أوّل منزل نزلْناه سُورا .

قال : فمكثْنا يوماً حتى اجتمع إليه جُلُّ أصحابه ، ثمّ خرجنا مسرِعين مبادِرين لعدوّنا أن يفوتَنا ، فبعثْنا طليعةً ، فارتحلنا فنزلنا كُوثَى ، فأقمْنا بها يوماً حتى لحق بنا مَنْ تخلَّف ، ثم أدلَج بنا من كُوثَى ، وقد مَضَى من الليل هزيع ، فأقبلْنا حتى دنوْنا من المدائن ، فاستقبَلَنا الناسُ فأخبَرونا أنهم قد ارتحلوا ، فشقّ علينا واللهِ ذلك ، وأيقَنّا بالعَناء وطولِ الطَّلَب .

قال : وجاء معقلُ بن قيس حتى نزل باب مدينة بَهُرَسير ، ولم يدخلْها ، فخرج إليه سماك بن عبيد ، فسلَّم عليه ، وأمر غلمانَه ومواليه فأتَوْه بالجزَر والشعير والقَتّ ، فجاؤوه من ذلك بكلّ ما كفاه وكفى الجُنْد الذين كانوا معه .

ثم إن معقل بن قيس بعد أن أقام بالمدائن ثلاثاً جمعَ أصحابَه فقال : إن هؤلاء المارقة الضُّلَّال إنما خرجوا فذهبوا على وجوههم إرادةً أن تتعجّلوا في آثارهم ، فتقطّعوا وتبدّدوا ، ولا تلحقوا بهم إلا وقد تَعِبتم ونَصِبْتم ، وأنه ليس شيء يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مثله ، فخرج بنا من المدائن ، فقدم بين يديه أبو الروّاغ الشاكريّ في ثلاثمئة فارس ، فاتبع آثارَهم ، فخرج معقل في أثره ، فأخذ أبو الروّاغ يسأل عنهم ، ويَركب الوجه الذي أخذوا فيه ، حتى عَبَروا جَرْجرايا في آثارهم ، ثم سلك الوجه الذي أخذوا فيه ، فاتّبعهم ، فلم يزل ذلك دأبه حتى لحقهم بالمذار مقيمين ، فلما دنا منهم استشار أصحابه في لقائهم وقِتالهم قبل قدوم معقل عليه ، فقال له بعضهم : أقدم بنا عليهم فلنقاتلْهم ، وقال بعضهم واللهِ ما نرى أن تَعجَل إلى قتالهم حتى يأتيَنا أميرُنا ، ونلقاهم بجماعتِنا [٢] . (٥ : ١٩٤/١٩٥)

---

(١) إسناده تالف .
(٢) إسناده تالف .

قال أبو مخنف: فحدّثني تليد بن زيد بن راشد الفائشيّ: أنّ أباه كان معه يومئذ. قال: فقال لنا أبو الروّاغ: إنّ معقل بن قيس حين سرّحني أمامَه أمرني أن أتبع آثارَهم، فإذا لحقتُهم لم أعْجَل إلى قتالهم حتى يأتيَني.

قال: فقال له جميع أصحابه: فالرأي الآن بيِّن، تنحَّ بنا فلنكن قريباً منهم حتى يقدم علينا صاحبُنا، فتنحّينا ـ وذلك عند المساء ـ قال: فبتنا ليلتَنا كلها متحارسين حتى أصبحنا، فارتفع الضُّحَى، وخرجوا علينا، قال: فخرجوا إليهم وعِدّتهم ثلاثمئة ونحن ثلاثمئة، فلما اقتربوا شَدّوا علينا، فلا والله ما ثبت لهم منا إنسان، قال: فانهزمنا ساعة، ثم إن أبا الرّواغ صاح بنا، وقال: يا فُرسان السوء، قبّحكم الله سائر اليوم! الكرّة الكرّة! قال: فحَمَل وحملْنا معه، حتى إذا دنوْنا من القوم كرّ بنا، فانصرفنا وكَرّوا علينا، وكشَفونا طويلاً، ونحن على خيل مُعَلمة جيادٍ، ولم يُصَب منا أحد، وقد كانت جِراحات يسيرة، فقال لنا أبو الرّواغ: ثَكِلتْكم أمهاتكم! انصرِفوا بنا فنكرّ قريباً منهم، لا نزايلهم حتى يقدَم علينا أميرُنا، فما أقبح بنا أن نرجع إلى الجيش وقد انهزمنا من عدوّنا ولم نصبر لهم حتى يشتد القتال وتكرّ القتلى، قال: فقال رجل منا يجيبه: إنّ الله لا يستحيي من الحقّ قد والله هزمونا، قال أبو الروّاغ: لا أكثر الله فينا ضربَك! إنّا ما لم ندع المعركة فلم نهزَم، وإنا متى عطفنا عليهم وكنا قريباً منهم فنحن على حال حسنة حتى يقدم علينا الجيش، ولم نرجع عن وَجْهنا، إنه والله لو كان يقال: انهزم أبو حمران حُمَيِّر بن بجيْر الهمْدانيّ ما باليت، إنما يقال: انهزم أبو الروّاغ: فقفوا قريباً، فإن أتَوْكم فعجَزْتم عن قِتالِهم فانحازوا، فإن حملوا عليكم فعجزْتم عن قتالهم فتأخّروا وانحازوا إلى حامِيَة فإذا رجعوا عنكم فاعطِفوا عليهم، وكونوا قريباً منهم، فإن الجيش آتِيكم إلى ساعة، قال: فأخذت الخوارجُ كلّما حملتْ عليهم انحازوا وهم كانوا حامية، وإذا أخذوا في الكرّة عليهم فتفرّق جماعتُهم قرب أبو الرّواغ وأصحابه على خيلهم في آثارهم، فلما رأوا أنهم لا يفارقونهم، وقد طاردوهم هكذا من ارتفاع الضحى إلى الأولى، فلما حضَرت صلاةُ الظهر نزل المستورِد للصّلاة، واعتزل أبو الرّواغ وأصحابه على رأس ميل منهم أو ميلين، ونزل أصحابُه فصلَّوا الظهر، وأقاموا رجلين رَبيئةً، وأقاموا مكانَهم حتى صلَّوا العصر، ثم إن فتى جاءهم بكتاب معقلِ بن قيس إلى أبي الرّواغ، وكان

أهل القرى وعابر السبيل يمرّون عليهم ويرونهم يقتتلون ، فمن مَضى منهم على الطريق نحو الوَجْه الذي يأتي من قِبله مَعقل استقبل معقلاً فأخبَره بالْتِقاء أصحابه والخوارج ، فيقول : كيف رأيتموهم يصنعون؟

فيقولون : رأينا الحَرُورية تطرد أصحابَك ، فيقول : أما رأيتم أصحابي يَعطِفون عليهم ويقاتلونهم؟ فيقولون : بلى ، يعطفون عليهم وينهزمون : فقال : إن كان ظنيّ بأبي الروّاغ صادقاً لا يقدم عليك منهزِماً أبداً ، ثم وقف عليهم فدعا مُحرِز بن شهاب بن بجير بن سفيان بن خالد بن مِنقَر التميميّ فقال له : تخلَّف في ضَعفة الناس ، ثم سِر بهم على مهَل ، حتى تقدم بهم عليّ ، ثم نادِ في أهل القوّة : ليتعجل كلّ ذي قوّة معي ، اعجَلوا إلى إخوانكم ، فإنهم قد لاقوْا عدوّهم ، وإني لأرجو أن يُهلِكَهم الله قبل أن تصلوا إليهم .

قال : فاستجمعَ من أهل القوّة والشجاعة وأهلِ الخيلِ الجياد نحو من سبعمئة ، وسار فأسرع ، فلما دنا من أبي الروّاغ قال أبو الروّاغ : هذه غَبَرة الخيل ، تقدَّموا بنا إلى عدوّنا حتى يقدم علينا الجند ، ونحن منهم قريب ، فلا يَرَوْن أننا تنحّينا عنهم ولاهِبنَاهم . قال : فاستقدم أبو الروّاغ حتى وقف مقابل المستورِد وأصحابه ، وغشِيَهم معقل في أصحابه ، فلما دنا منهم غَرَبت الشمس ، فنزل فصلَّى بأصحابه ، ونزل أبو الرّواغ فصلّى بأصحابه في جانب آخر ، وصلّى الخوارج أيضاً ، ثم إنّ معقل بن قيس أقبل بأصحابه حتى إذا دنا من أبي الروّاغ دعاه فأتاه ، فقال له : أحسنت أبا الروّاغ! هكذا الظنّ بك ، الصبر والمحافظة . فقال : أصلحك الله! إنّ لهم شدّات منكراتٍ ، فلا تكن أنت تَليها بنفسك ، ولكن قدّم بين يديك من يقاتلهم ، وكن أنت من وراء الناس رِدءاً لهم؛ فقال : نِعمَ ما رأيت! فوالله ما كان إلا رَيْثَما قالها حتى شدّوا عليه وعلى أصحابه ، فلما غَشوه انجَفل عنه عامّةُ أصحابه ، وثبتَ ونزل ، وقال : الأرضَ الأرضَ يا أهل الإسلام! ونزل معه أبو الروّاغ الشاكريّ وناسٌ كثيرٌ من الفُرسان وأهلِ الحفاظ نحو مئتي رجل ، فلما غشيَهم المستورِد وأصحابهُ استقبلوهم بالرّماح والسيوف ، وانجفلتْ خيلُ معقل عنه ساعة ، ثم ناداهم مسكين بن عامر بن أنَيْف بن شُريح بن عمرو بن عُدُس ـ وكان يومئذ من أشجع الناس وأشدِّهم بأساً ـ فقال : يا أهل الإسلام ، أين الفِرار ، وقد نزل أميركم ! ألا تَستحيون ! إنّ الفرار

مَخزاةٌ وعار ولؤم ، ثمّ كرّ راجعاً ، ورجعتْ معه خيلٌ عظيمة ، فشدّوا عليهم ومعقِل بن قيس يُضارِبهم تحتَ رايته مع ناس نَزلُوا معه من أهل الصّبر ، فضَرَبوهم حتى اضطرّوهم إلى البيوت ، ثمّ لم يلبثوا إلا قليلاً حتى جاءهم مُحرِز بن شهاب فيمن تخلّف من الناس ، فلما أتوهم أنزَلَهم ثم صفّ لهم ، وجعل ميمنةً وميسَرة ، فجعل أبا الروّاغ على ميمنته ومحرزَ بن بُجير بن سُفيان على مَيسرته ومسكينَ بن عامر على الخيل ، ثم قال لهم : لا تَبرَحوا مَصافّكم حتى تصبحوا ، فإذا أصبحْتم ثُرْنا إليهم فناجَزْناهم ، فوقف الناس مواقفهَم على مَصافِّهم[1] . (٥ : ١٩٥/١٩٦/١٩٧) .

قال أبو مخنف : وحدّثني عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عُقْبة الغَنوِي ، قال : لما انتهى إلينا معقل بن قيس قال لنا المستورد : لا تَدَعُوا مَعقِلاً حتى يعبِّيَ لكم الخيل والرَّجْل ، شُدّوا عليهم شَدَّةً صادقةً ، لعلّ الله يَصرَعه فيها . قال : فشددْنا عليهم شدة صادقة ، فانكشفوا فانفضّوا ثم انجفلوا ووثب مَعقِل عن فرسِه حين رأى إدبارَ أصحابه عنه ، فرفع رايتَه ، ونزل معه ناس من أصحابه ، فقاتَلوا طويلاً ، فصَبروا لنا ، ثم إنهم تداعَوا علينا ، فعطفوا علينا من كلّ جانب ، فانحَزْنا حتى جعلنا البيوتَ في ظهورنا ، وقد قاتلْناهم طويلاً ، وكانت بيننا جِراحةٌ وقتلٌ يسير[2] . (٥ : ١٩٧/١٩٨) .

قال أبو مخنف : حدّثني حصيرة بن عبد الله عن أبيه : أنّ عُمَير بن أبي أشاءة الأزديّ قُتِل يومئذ وكان فيمن نزل مع معقلِ بن قيس ، وكان رئيساً .

قال : وكنتُ أنا فيمن نَزَل معه ، فوالله ِما أنسَى قولَ عُمَيْر بن أبي أشاءة ونحن نقتتِل وهو يضارِبهُم بسيفه قُدُما :

قد عَلِمتْ أَنّي إذا ما أَقْشَعُوا عنّيَ والتاثَ اللئامُ الوُضَّعُ
أَحْوَسُ عند الرَّوْعِ نَدْبٌ أَرْوَعُ

وقاتل قتالاً شديداً ما رأيت أحداً قاتَلَ مثلَه ، فجَرح رجالاً كثيراً ، وقتَل وما أدري أنه قتل ، ما عدا واحداً وقد علمت أنه اعتنقه ، فخرّ على صدره

---

(١) إسناده تالف .
(٢) إسناده تالف .

فذبحه ، فما حزّ رأسَه حتى حمل عليه رجلٌ منهم فطعنَه بالرمح في ثُغْرة نَحرِه ، فخرّ عن صدره ، وانجَدَل ميّتاً ، وشددْنا عليهم ، وحُزْناهم إلى القَرْيَة ، ثم انصرفْنا إلى معركتِنا ، فأتيتُه وأنا أرجو أن يكون به رَمَق ، فإذا هو قد فاظ ، فرجعتُ إلى أصحابي فوقفتُ فيهم[1] . (٥ : ١٩٨) .

قال أبو مخنف: وحدّثني عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عقبة الغنويّ ، قال: إنا لمتواقِفون أوّلَ الليل إذ أتانا رجل كنا بعثْناه أوّلَ الليل ، وكان بعض من يمرّ الطريق قد أخبَرَنا أنّ جيشاً قد أقبل إلينا من البَصرة ، فلم نكترِث ، وقُلْنا لرجل من أهل الأرض وجعلْنا له جُعْلاً: اذهبْ فاعلم هل أتانا من قبل البصرة جيش؟ فجاء ونحن مواقفو أهل الكوفة. وقال لنا: نعم ، قد جاءكم شريكُ بن الأعور ، وقد استقبلت طائفة على رأس فرسخ عند الأولى ، ولا أرى القومَ إلا نازلين بكم الليل ، أو مُصبِّحيكم غُدْوة ، فأسقِط في أيدينا.

وقال المستورد لأصحابه: ماذا ترون؟

قلنا: نرى ما رأيت ، قال: فإني لا أرى أن أقيمَ لهؤلاء جميعاً ، ولكن نرجع إلى الوجه الذي جئنا منه ، فإنّ أهلَ البَصْرة لا يتبعونا إلى أرض الكوفة ، ولا يتبعنا حينئذ إلا أهلُ مِصْرنا: فقلنا له: ولِمَ ذاك؟ فقال: قتال أهلِ مصرٍ واحدٍ أهوَن علينا من قتال أهلِ المِصْرَين؛ قالوا: سِرْ بنا حيث أحببتَ ، قال: فانزلوا عن ظهور دوابّكم فأريحوا ساعة ، وأقضِموها ، ثم انظروا ما آمُركم به ، قال: فنزلْنا عنها ، فأقضمْنَاها ، قال: وبيننا وبينهم حينئذ ساعة قد ارتفعوا عن القرية مخافة أن نبيّتهم؛ قال: فلما أرحْناها وأقْضَمْناها أمَرَنا فاستوَيْنا على مُتونها ، ثم قال: ادخلُوا القرية ، ثم اخرجوا من ورائها ، وانطلِقوا معكم بعِلْجٍ يأخذ بكم من ورائها ، ثم يعود بكم حتى يَردّكم إلى الطريق الذي منه أقبلْتم ودعْوا هؤلاء مكانَهم، فإنهم لم يشعُروا بكم عامة الليل ، أو حتى تصبحوا. قال: فدخلْنا القرية وأخذْنا عِلْجاً، ثمّ خرجْنا به أمامنا ، فقلنا: خذْ بنا من وراء هذا الصّفّ حتى نعودَ إلى الطريق الذي منه أقبلْنا ، ففعل ذلك ، فجاء بنا حتى أقامَنا على الطريق الذي

---

(١) إسناده تالف.

منه أقبلْنا ، فلزِمناه راجِعين ، ثم أقبلْنا حتى نزلْنا جَرْجَرايا[1] . (٥ :١٩٨/ ١٩٩).

قال أبو مخنف: حدّثني حُصَيرة بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث ، قال: إنّي أوّل من فَطِن لذَهابهم ، قال: فقلت: أصلحك الله! لقد رابني أمر هذا العدوّ منذ ساعة طويلة ، إنهم كانوا مواقفين نرى سوادَهم ، ثمّ لقد خَفِيَ عليَّ ذلك السوادُ منذ ساعة ، وإني لخائف أن يكونوا زالوا من مكانهم ليَكيدوا الناسَ ، فقال: وما تخاف أن يكونَ من كيدهم؟ قلت: أخاف أن يبيّتوا الناسَ ، قال: والله ما آمَن ذلك؛ قال: فقلتُ له: فاستعدّ لذلك ، قال: كما أنت حتى أنظر. يا عتّاب ، انطلِق فيمن أحببتَ حتى تدنَو من القرية فتنظرَ هل ترى منهم أحداً أو تسمَع لهم رِكزاً! وسَلْ أهلَ القرية عنهم.

فخرج في خُمُس الغُزاة يَركض حتى نظر القرية فأخذ لا يرى أحداً يكلّمه ، وصاح بأهل القرية ، فخرج إليه منهم ناسٌ ، فسألهم عنهم ، فقالوا: خرجوا فلا ندري كيف ذَهَبوا! فرجع إليه عتّاب فأخبره الخبر ، فقال معقِل: لا آمن البَيات ، فأين مُضَر؟ فجاءت مضر فقال: قفوا هاهنا ، وقال: أين ربيعة؟ فجعل ربيعة في وجه ، وتميماً في وجه ، وهمْدان في وجه ، وبقيّة أهل اليَمَن في وجه آخر ، وكان كلّ ربع من هؤلاء في وجه وظهره مما يلي ظهر الرّبع الآخر ، وجالَ فيهم معقل حتى لم يَدع ربعاً إلا وقف عليه ، وقال: أيّها الناس ! لو أتوكم فبدَؤوا بغيركم فقاتَلوهم فلا تبرَحوا أنتم مكانكم أبداً حتى يأتيَكم أمري ، وليُغْنِ كلّ رجل منكم الوجَه الذي هو فيه ، حتى نُصبحَ فنرى رأيَنا ، فمكثوا متحارِسين يخافون بياتَهم حتى أصبحوا ، فلما أصبحوا نزلوا فصلّوا ، وأتُوا فأخبِروا أنّ القوم قد رجعوا في الطريق الذي أقبلوا منه عودَهم على بدئهم ، وجاء شَريك بن الأعور في جيش من أهل البَصرة حتى نزلوا بمعقل بن قيس فلقيه ، فتساءَلا ساعة ، ثم إن معقلاً قال لشريك: أنا متَّبع آثارَهم حتى ألحقَهم لعلّ الله أن يُهلِكهم ، فإني لا آمن إن قصّرتُ في طلبهم أن يكثروا فقام شريك فجمع رجالاً من وجوه أصحابه ، فيهم خالد بنُ مَعْدان الطائيّ وبيْهسَ بن صُهَيب الجَرْميّ ، فقال لهم: يا هؤلاء ! هل لكم في خير؟ هل لكم في أن تسيروا مع إخواننا من أهل الكوفة في طلب هذا

---

(١) إسناده تالف.

العدوّ الذي هو عدوّ لنا ولهم حتى يستأصلَهم الله ثم نرجع؟ فقال خالد بن مَعْدان وبَيْهس الجَرْميّ: لا والله ، لا نفعل ، إنما أقبلْنا نحوَهم لننفيَهم عن أرضنا ، ونمنَعَهم من دخولها ، فإنْ كفانا الله مؤونَتَهم فإنا منصَرِفون إلى مِصْرِنا ، وفي أهل الكوفة من يَمنعون بلادَهم من هؤلاء الأكلب؛ فقال لهم: وَيْحَكم أطيعوني فيهم ، فإنهم قومُ سُوء ، لكم في قتالِهم أجرٌ وحُظْوة عند السلطان ، فقال له بَيْهس الجَرميّ: نحن والله إذاً كما قال أخو بني كنانة:

كَمُـرْضِعَـةٍ أَوْلَادَ أُخْـرَى وضيّعـتْ بَنِيهـا فَلَـمْ تَـرْقَـعْ بـذَلـك مَـرْقَعَـا

أما بَلَغك: أنّ الأكراد قد كفروا بجبال فارسَ! قال: قد بلغني ، قال: فتأمرنا أن ننطَلق معك نحمِي بلادَ أهل الكوفة ، ونقاتل عدوّهم ، ونترك بلادَنا ، فقال له: وما الأكراد! إنما يكفيهم طائفة منكم؛ فقال له: وهذا العدوّ الذي تَندُبنا إليه إنما يكفيه طائفة من أهل الكوفة ، إنهم لعَمْري لو اضطُرّوا إلى نُصْرتنا لكان علينا نُصرتَهُم ، ولكنهم لم يحتاجوا إلينا بعد ، وفي بلادنا فتقٌ مثل الفَتْق الذي في بلادهم ، فليُغنوا ما قِبَلهم ، وعلينا أن نغنيَ ما قِبلَنا ، ولَعَمري لو أنَّا أطعناك في اتباعهم فاتّبعتهم كنتَ قد اجترأتَ على أميرك ، وفعلتَ ما كان ينبغي لك أن تطلع فيه رأيه ، ما كان ليحتمِلها لك ، فلما رأى ذلك قال لأصحابه: سيروا فارتحِلوا ، وجاء حتى لقي معقلاً ـ وكانا متحابَّيْن على رأي الشيعة متوادَّين عليه ـ فقال: أما والله لقد جَهدت بمن معي أن يتبعوني حتى أسير معكم إلى عدوكم فغلبوني ، فقال له معقل: جزاك الله من أخ خيراً! إنا لم نحتجْ إلى ذلك ، أما والله إنّي أرجو أن لو قد جهدوا لا يُفلت منهم مُخبر[1]. (٥: ١٩٩/ ٢٠٠/ ٢٠١).

قال أبو مخنف: حدّثني الصَّقْعَب بن زُهير عن أبي أمامة عُبيد الله بن جُنادة ، عن شريك بن الأعور ، قال: حدّثنا بهذا الحديث شَرِيك بن الأعور ، قال: فلمّا قال: والله إني لأرجو أن لو جهدوا لا يُفلت منهم مخبِر ، كرهتُها والله له ، وأشفقتُ عليه ، وحسبت أن يكون شبَه كلام البَغْي؛ قال: وايمُ اللهِ ما كان من أهل البَغي[2]. (٥: ٢٠١/ ٢٠٢).

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده تالف.

قال أبو مخنف: حدّثني حُصَيرة بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن الحارث الأزديّ ، قال: لما أتانا أنّ المستوردَ بن عُلفة وأصحابه قد رجعوا عن طريقهم سُرِرْنا بذلك ، وقلنا: نتبعهم ونستقبلهم بالمدائن ، وإن دنوا من الكُوفة كان أهلَك لهم؛ ودَعا معقلُ بن قيس أبا الروّاغ فقال له: اتّبعه في أصحابك الذين كانوا معك حتى تحبسه عليّ حتى ألحَقك ، فقال له: زدني منهم فإنه أقوَى لي عليهم إن هم أرادوا مناجَزتي قبل قدومك ، فإنا كنا قد لقينا منهم بَرْحاً ، فزاده ثلاثمئة ، فاتّبعهم في ستمئة ، وأقبلوا سِراعاً حتى نزلوا جَرْجرَايا ، وأقبل أبو الرّواغ في إثرهم مسرعاً حتى لحقهم بجَرْجَرايا ، وقد نزلوا ، فنزل بهم عند طلوع الشمس ، فلما نظروا إذا هم بأبي الرواغ في المقدِّمة ، فقال بعضهم لبعض: إنّ قتالكم هؤلاء أهونُ من قتال من يأتي بعدَهم.

قال: فخرجوا إلينا ، فأخذوا يُخرُجون لنا العَشَرة فُرسان منهم والعشرين فارساً ، فنخرج لهم مثلهم ، فتطارد الخَيْلان ساعةً يَنتصِف بعضُنا من بعض ، فلما رأوا ذلك اجتمعوا فشدّوا علينا شَدّةً واحدة صَدَقوا فيها الحملة.

قال: فصَرفونا حتى تركْنا لهم العَرْصة ، ثم إن أبا الروّاغ نادى فيهم ، فقال: يا فُرسان السوء ، يا حُماة السوء ، بئس ما قاتلتم القوم! إليّ إليّ !. فعالجَ نحواً من مئةِ فارس ، فعطف عليهم ، وهو يقول:

إنّ الفَتى كلّ الفتى من لم يُهَلْ إذا الجَبانُ حادَ عن وَقْعِ الأَسَلْ
قد عَلِمَتْ أَنّي إذا البأْسُ نزلْ أروَعُ يومَ الهَيْجِ مِقدامٌ بَطَلْ

ثم عطف عليهم فقاتلَهم طويلاً ، ثم عطف أصحابُه من كلّ جانب، فصدَقوهم القتال حتى ردّوهم إلى مكانهم الذي كانوا فيه ، فلما رأى ذلك المستورِد وأصحابه ظنوا أنّ معقلاً إن جاءهم على تفِئة ذلك لم يكن دونَ قتله لهم شيء؛ فمضى هو وأصحابُه حتى قَطعَوا دجلة ، ووَقَعوا في أرض بَهُرسير ، وقطعوا أبو الروّاغ في آثارهم فاتّبَعهم وجاء معقل بن قيس فاتّبع إثْرَ أبي الروّاغ ، فقطع في إثره دِجْلة ، ومضى المستورِد نحوَ المدينة العتيقة ، وبلغ ذلك سِماك بن عُبيد ، فخرج حتى عبر إليها ، ثم خرج بأصحابه ، وبأهل المَدائن ، فصفّ على بابها ، وأجلس رجالاً رُماةً على السُور ، فبلغهم ذلك ، فانصرفوا حتى نزلوا سابَاطَ ، وأقبل أبو الروّاغ في طلب القوم حتى مرّ بسماك بن عبيد بالمدائن ، فخبّره

بِوَجههم الذي أخذوا فيه ، فاتبعهم حتى نزل بهم سابَاط[1] . (٥ : ٢٠٢/ ٢٠٣) .

قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمن بن جندب عن عبد الله بنِ عُقْبة الغَنَوي ، قال: لمّا نزل بنا أبو الروّاغ دعا المستورِد أصحابَه ، فقال: إنّ هؤلاء الذين نزلوا بكم مع أبي الروّاغ هم حُرّ أصحاب معقل ، ولا والله ما قَدِم إليك إلا حُماتُه وفُرسانُه ، والله لو أعلم أني إذا بادرت أصحابه هؤلاء إليه أدركته قبل أن يفارِقوه بساعة لبادرتهم إليه ، فليخرج منكم خارج فيسأل عن معقل أين هو؟ وأين بلغ؟ قال: فخرجتُ أنا فاستقبلت عُلُوجاً أقبَلوا من المدائن ، فقلت لهم: ما بلغكم عن معقِل بن قيس؟ قالوا: جاء فَيْج لسماك بن عبيد من قبَله كان سرّحه ليستقبلَ معقلاً فينظر أين انتهى؟ وأين يريد أن ينزل؟ فجاءه فقال: تركته نزل ديلمايا ـ وهي قرية من قرى إسْتان بَهُرَسير إلى جانب دِجْلة ، كانت لقُدامة بن العجلان الأزديّ ـ قال له: كم بيننا وبينهم من هذا المكان؟ قالوا: ثلاثة فراسخ ، أو نحو ذلك .

قال: فرجعتُ إلى صاحبي فأخبرتُه الخبر ، فقال لأصحابه: اركبوا ، فرَكِبوا ، فأقبل حتى انتهى بهم إلى جسر سابَاط ، وهو جسر نهرِ الملك ، وهو من جانبه الذي يلي الكوفة ـ وأبو الروّاغ وأصحابه مما يلي المدائن . قال: فجئْنا حتى وقفنا على الجسر ، قال: ثم قال لنا: لتنزل طائفةٌ منكم: قال: فنزل منا نحوٌ من خمسين رجلاً ، فقال: اقطَعوا هذا الجسر ، فنزَلْنا فقطعناه ، قال: فلما رأوْنا وُقوفاً على الخيل ظنّوا أنا نريد أن نعبرُ إليهم؛ قال: فصفّوا لنا ، وتعبّوْا ، واشتغلوا بذلك عنا في قَطْعنا الجسر ، ثمّ إنا أخَذْنا من أهل ساباطَ دليلاً فقلنا له: احضُر بين أيدينا حتى ننتهي إلى ديلمايا ، فخرج بين أيدينا يسعى ، وخرجنا تلمع بنا خيلُنا ، فكان الخَبَب والوَجيف ، فما كان إلا ساعة حتى أطللْنا على معقل وأصحابه وهم يتحمّلون ، فما هو إلا أن بَصُر بنا وقد تفرّق أصحابُه عنه ، ومقدمتهِ ليست عنده ، وأصحابه قد استقَدم طائفةً منهم ، وطائفة تَرحَل ، وهم غارّون لا يَشعرُون ، فلما رآنا نَصَب رايتَه ، ونزل ونادى: يا عباد الله ! الأرضَ الأرضَ! فنزل معه نحو من مئتي رجل؛ قال: فأخَذْنا نحمل عليهم فيَستقبلونا

---

(١) إسناده تالف.

بأطراف الرّماح جُثاةً على الرُّكَب فلا نَقدر عليهم ، فقال: لنا المستورد: دَعُوا هؤلاء إذا نزلوا وشُدّوا على خَيْلهم حتى تَحُولوا بينها وبينهم ، فإنكم إن أصبتم خيلَهم فإنهم لكم عن ساعة جُزرٌ؛ قال: فشَدَدْنا على خيلهم ، فحُلْنَا بينهم وبينها ، وقطعْنا أعنّتها ، وقد كانوا قَرَنوها ، فذهبتْ في كلّ جانب ، قال: ثمّ مِلْنا على الناس المترحّلين والمتقدّمين ، فحمَلْنا عليهم حتى فرقنا بينهم ، ثم أقبلنا إلى معقل بن قيس وأصحابه جُثاة على الرُّكب على حالهم التي كانوا عليها ، فحَمَلْنا عليهم ، فلم يتحَلحَلوا ، ثم حَمَلْنا عليهم أخرىٍ ، ففعلوا مِثلَها ، فقال لنا المستورد: نازِلوهم ، لينزلِ إليهم نصفُكم ، فنزل نصفنا ، وبقي نصفنا معه على الخيل ، وكنتُ في أصحاب الخيل.

قال: فلما نزل إليهم رجّالتنا قاتلتْهم ، وأخذنا نَحمِل عليهم بالخيل ، وطمِعنا والله فيهم ، قال: فوالله إنَّا لَنُقاتلهم ونحن نُرَى أن قد عَلَوناهم إذْ طلعتْ علينا مقدّمة أصحاب أبي الروّاغ ، وهم حُرّ أصحابه وفُرسانُهم ، فلما دنَوا منّا حملوا علينا ، فعند ذلك نزلنا بأجمعنا فقاتلناهم حتى أصيب صاحبنا وصاحبُهم ، قال: فما علمتُه نجا منهم يومئذ أحدٌ غيري ، قال: وإني أحدثُهم رَجُلاً فيما أرَى[١]. (٥: ٢٠٣/ ٢٠٤/ ٢٠٥).

قال أبو مخنف: حدَّثني عبد الرحمن بن جندب عن عبد الله بن عُقْبة الغَنَويّ، قال: وحدّثنا بهذا الحديث مرّتين من الزمن ، مرّة في إمارة مصعب بن الزبير بباجُمَيْرَا ، ومرّةً ونحن مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بَديْر الجماجم ، قال: فقُتِل والله يومئذ بدَيْر الجماجم يومَ الهزيمة ، وإنه لمقْبِل عليهم يضاربهم بسيفه وأنا أراه؛ قال: فقلت له بدير الجماجم: إنك قد حدّثتني بهذا الحديث بباجُمَيرا مع مصعب بن الزبير ، فلم أسألك كيف نجوتَ من بين أصحابك؟ قال: أحدّثك ، والله إنّ صاحبنا لما أصيب قُتِل أصحابُه إلا خمسة نفر أو ستة؛ قال: فشَدَدْنا على جماعة من أصحابه نحو من عشرين رجلاً ، فانكَشَفوا.

قال: وانتهيت إلى فرس واقف عليه سَرْجُه ولجامه ، وما أدري ما قصّة صاحِبه أقُتِل أم نَزل عنه صاحبُه يقاتل وتركه! قال: فأقبلتُ حتى أخذتُ بلِجامه ،

---

(١) إسناده تالف.

وأضع رجلي في الرّكاب وأستوِي عليه. قال: وشدّ والله أصحابه عليّ، فانتهوا إليَّ، وغمزتُ في جنب الفرس، فإذا هو والله أجوَد ما سُخِّر، ورَكَض منهم ناس في أثَري فلم يعلَقُوا بي، فأقبلتُ أركُض الفرسَ، وذلك عند المساء، فلما علمتُ أني قد فتُّهم وأمنت، أخذت أسيرُ عليه خَبَباً وتقريباً، ثمّ إني سرتُ عليه بذلك من سيره، ولقيت عِلْجاً فقلت له: اسعَ بين يديّ حتى تُخرِجني الطريق الأعظم، طريقَ الكوفة؛ ففعل، فوالله ما كانت إلا ساعة حتى انتهيت إلى كُوثَى، فجئت حتى انتهيت إلى مكان من النّهر واسع عريض، فأقحمتُ الفرس فيه، فعبَرْتُه، ثم أقبلتُ عليه حتى آتي ديرَ كعب، فنزلتُ فعلفتُ فرسي وأرحتُه وهوَّمت تهويمة، ثم إني هببت سريعاً، فحُلْت في ظهر الفرس، ثم سِرتْ في قِطْع من الليل فاتّخذت بقيّة الليل جَمَلاً، فصلّيت الغداة بالمزاحميّة على رأس فرسخين من قُبِّين، ثمّ أقبلتُ حتى أدخلَ الكوفة حينَ متَع الضّحى، فآتي من ساعتي شريك بن نملة المحاربيّ، فأخبرته خبري وخبرَ أصحابه، وسألته أن يَلقَى المغيرةَ بن شُعبة فيأخذَ لي منه أماناً، فقال لي: قد أصبتَ الأمان إن شاء الله، وقد جئتَ ببشارة، والله لقد بتّ الليلة وإنّ أمر الناس ليَهمّني.

قال: فخرج شريك بن نملة المحاربيّ حتى أتى المُغيرة مسرعاً فاستأذَن عليه، فأذن له، فقال: إن عندي بُشرَى، ولي حاجة، فاقض حاجتي حتى أبشّرك ببشارتي، فقال له: قُضِيتْ حاجتُك، فهاتِ بُشْراك؛ قال: تؤمِّن عبدَ الله بن عُقبة الغَنَوِي، فإنه كان مع القوم، قال: قد آمنته، والله لَودِدْت أنك أتيتني بهم كلهم فآمنتهم، قال: فأبشِر؛ فإنّ القوم كلهم قد قُتلوا، كان صاحبي مع القوم، ولم ينجُ منهم فيما حدّثني غيره، قال: فما فعل معقل بن قيس؟ قال: أصلحك الله! ليس له بأصحابنا عِلم. قال: فما فرغ من منطقة حتى قدم عليه أبو الروّاغ ومسكين بن عامر بن أنيف مبشّرين بالفتْح فأخبروا: أن معقل بن قيس والمستورِد بن عُلّفة مشَى كلّ واحد منهما إلى صاحبه، بيَدِ المستورِد الرّمح وبيَد معقل السيف، فالتَقَيا، فأشرَع المستورد الرّمح في صدرِ معقل حتى خرج السنان من ظهره، فضربه معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيفُ أمّ الدماغ، فخرّا ميّتَيْن[1]. (٥: ٢٠٥/٢٠٦/٢٠٧).

---

(١) إسناده تالف.

قال أبو مخنف: حدّثني حُصَيرة بن عبد الله، عن أبيه، قال: لما رأينا المستورِد بن عُلّفة وقد نزلْنا به ساباط أقبل إلى الجِسْر فقطعه، كنا نظنّ أنه يريد أن يَعبُر إلينا. قال: فارتَفعْنا عن مظلم ساباط إلى الصَّحراء التي بين المدائن وساباط فتعبّأنا وتهيّأنا، فطال علينا أن نراهم يخرجون إلينا. قال: فقال أبو الروّاغ: إن لهؤلاء لشأناً، ألا رجل يَعلَم لك عِلمَ هؤلاء؟ فقلت: أنا ووهيب بن أبي أشاءة الأزديّ: نحن نَعلَمُ لك عِلمَ ذلك، ونأتيك بخبرهم، فقربنا على فَرسيْنا إلى الجسر فوجَدْناه مقطوعاً، فظننّا القومَ لم يقطعوه إلا هيبةً لنا ورُعْباً منا، فرجَعْنا نَركُض سراعاً حتى انتهينا إلى صاحبنا، فأخبرنا بما رأينا، فقال: ما ظنّكم؟ قال: فقلنا: لم يَقطَعوا الجسرَ إلا لهيبتنا ولِمَا أدخل اللهُ في قلوبهم من الرّعب منّا. قال: لعمري ما خرج القومُ وهم يريدون الفِرار، ولكنّ القوم قد كادوكم، أتسمعون! والله ما أراهم إلا قالوا: إنّ معقلاً لم يبعث إليكم أبا الروّاغ إلا في حرّ أصحابه، فإن استطعتم فاتركوا هؤلاء بمكانهم هذا، وجدّوا في السير نحو معقل وأصحابه، فإنكم تجدُونهم غارّين آمنين إن تأتوهم؛ فقطعوا الجسرَ لكيما يشغلوكم به عن لَحاقكم إياهم حتى يأتوا أميرَكم على غرّة، النّجاء النّجاء في الطلب! قال: فوقع في أنفسنا أنّ الذي قال لنا كما قال. قال: فصحْنا بأهلِ القرية؛ قال: فجاؤوا سراعاً: فقلنا لهم: عجّلوا عقد الجسر، واستحَثْثْناهم فما لَبِثوا أن فرغوا منه، ثم عَبرْنا عليه، فاتّبعناهم سِراعاً ما نلوي على شيء، فلزمنا آثارهم، فو الله ما زلْنا نسأل عنهم، فيقال: هم الآن أمامَكم، لحقتموهم، ما أقربَكم منهم، فو الله ما زلنا في طلبهم حِرْصاً على لَحاقهم حتى كان أوّل من استقبلنا مَن الناس فلّهم وهم منهزمون لا يلوي أحدٌ على أحد. فاستقبلهم أبو الروّاغ، ثمّ صاح بالناس: إليّ إليّ؛ فأقبَل الناس إليه، فلاذوا به، فقال: ويْلَكم! ما وراءكم؟ فقالوا: لا ندري، لمَ يَرُعْنا إلاّ والقوم معنا في عسكرنا ونحن متفرّقون. فشدّوا علينا. ففرّقوا بيننا، قال: فما فعل الأمير؟ فقائل يقول: نزل وهو يقاتل؛ وقائل يقول: ما نراه إلا قُتل؛ فقال لهم: أيّها الناس! ارجعوا معي، فإنْ نُدْرِكْ أميرَنا حيّاً نقاتل معه، وإن نجدْه قد هلك قاتلْناهم، فنحن فُرسانُ أهلِ المصْر المنتخَبون لهذا العدوّ، فلا يفسدنّ فيكم رأي أميركم بالمصْر، ولا رأي أهل المصْر، وايمُ الله لا ينبغي لكم إن عاينتموه وقد قتلوا

معقلاً أن تفارقوهم حتى تُبيروهم أو تباروا ، سيروا على بركة الله. فساروا وسِرْنا ، فأخذ لا يستقبل أحداً من الناس إلا صاح به وردّه ، ونادى وجوهَ أصحابه وقال: اضربوا وجوهَ الناس وردّوهم. قال: فأقبلْنا نردّ الناس حتى انتَهيْنا إلى العسكر ، فإذا نحن براية معقل بن قيس منصوبة ، فإذا معه مئتا رجل أو أكثر فُرسان الناس ووجوههم ليس فيهم إلا راجل ، وإذا هم يقتتلون أشدّ قتال سَمع الناس به ، فلما طلعنا عليهم إذا نحن بالخوارج قد كادوا يعلُون أصحابَنا ، وإذا أصحابُنا على ذلك صابرون يجالدونهم ، فلما رأوْنا كَرّوا ثم شدّوا على الخوارج ، فارتفعتْ الخوارج عنهم غيرَ بعيد ، وانتهينا إليهم ، فنظر أبو الروّاغ إلى معقل فإذا هو مستقدم يذمِّر أصحابه ويحرّضهم ، فقال له: أحيٌّ أنت فِداك عمّي وخالي! قال: نعم؛ فشدّ القوم ، فنادى أبو الروّاغ أصحابه: ألا تَرَون أميركم حيًّا! شُدّوا على القوم ، قال: فَحمَل وحملْنا على القوم بأجمعنا؛ قال: فصدَمْنا خيلَهم صدمةً منكرَة ، وشدّ عليهم معقل وأصحابه ، فنزل المستورِد ، وصاح بأصحابه: يا معشر الشُّراة ، الأرضَ الأرضَ ، فإنها واللهِ الجنّة! والذي لا إله غيره لمن قتل صادق النيّة في جهاد هؤلاء الظَّلَمة وجلاحهم. فتنازَلوا من عند آخرهم ، فنزلنا من عند آخرنا ، ثم مضَيْنا إليه منصلتين بالسيوف ، فاضطرَبْنا بها طويلاً من النهار كأشدّ قتال اقتَتلَه الناس قطّ ، غير أن المستورِد نادى معقلاً فقال: يا معقل ! ابرُز لي ، فخرج إليه معقل ، فقلنا له: نَنشُدك أن تَخرُج إلى هذا الكلب الذي قد آيَسه الله من نفسِه! قال: لا والله لا يدعوني رجل إلى مبارَزة أبداً فأكونَ أنا النّاكل؛ فمشى إليه بالسيف ، وخرج الآخر إليه بالرمح ، فناديناه أنْ الْقه برمح مثل رمحه ، فأبى ، وأقبل عليه المستورد فطعنه حتى خرج سنان الرمح من ظهره ، وضربه معقلٌ بالسيف حتى خالط سيفه أمَّ الدّماغ ، فوقع ميّتاً ، وقتل معقل ، وقال لنا حين برز إليه: إن هلكتُ فأميرُكم عمرو بن محرز بن شهاب السعديّ ثم المِنقَريّ: قال: فلما هلك معقل أخذ الراية عمرو بن محرز ، وقال عمرو: إن قتلت فعليكم أبو الروّاغ ، فإن قتل أبو الروّاغ فأميرُكم مسكين بن عامر بن أنيف ، وإنه يومئذ لفتىً حَدَث ، ثم شدّ برايته ، وأمر الناس أن يشدّوا عليهم ، فما لبَّثوهم أن قتلوهم[1]. (٥: ٢٠٧/٢٠٨/٢٠٩).

---

(١) إسناده تالف.

[ذكر ولاية عبد الله بن حازم خراسان]

ومما كان في هذه السنة تولية عبد الله بن عامر عبدَ الله بن خازم بن ظَبْيان خُراسان ، وانصراف قيس بن الهيثم عنه ، وكان السبب في ذلك ـ فيما ذكر أبو مِخْنف عن مقاتل بن حيّان ـ: أن ابنَ عامر استبطأ قيسَ بن الهيثم بالخراج ، فأراد أن يَعزِله ، فقال له ابن خازم: ولّني خُراسانَ فأكفيكَها وأكفيكَ قيسَ بن الهيثم. فكتب له عهدَه أو همَّ بذلك ، فبلغ قيساً أن ابن عامر وجَد عليه لاستخفافه به ، وإمساكه عن الهديّة ، وأنه قد ولّى ابن خازم ، فخاف ابن خازم أن يشاغبه ويحاسبه ، فترك خُراسان ، وأقبل فازداد عليه ابن عامر غضباً ، وقال: ضيَّعت الثَّغر! فضَرَبه وحَبسَه ، وبعث رجلاً من بني يَشكُرَ على خُراسان[1]. (٥ : ٢٠٩).

قال أبو مخنف: بعث ابن عامر أسلم بن زُرْعة الكلابيّ حين عَزَل قيسَ بن الهيثم؛ قال عليّ بن محمد: أخبَرَنا أبو عبد الرحمن الثّقفيّ ، عن أشياخه ، أنّ ابن عامر استعمل قيسَ بنَ الهيثم على خُراسان أيام معاوية ، فقال له ابن خازم: إنك وجّهت إلى خُراسانَ رجلاً ضعيفاً ، وإني أخاف إنْ لقيَ حرباً أن ينهزم بالناس ، فَتهْلك خُراسان ، وتَفتضح أخوالك. قال ابن عامر: فما الرأي؟ قال: تكتب لي عهداً: إن هو انصرف عن عدوّك؛ قمت مقامه. فكتب له ، فجاشت جماعةٌ من طُخَارِستان ، فشاور قيس بن الهيثم فأشارَ عليه ابن خازم أن ينصرفَ حتى يجتمعَ إليه أطرافه؛ فانصرف ، فلما سار من مكانه مرحلةً أو مرحلتين أخرج ابنُ خازم عهدَه ، وقام بأمر الناس ، ولقي العدوّ فهزمهم ، وبلغ الخبر المصرَيْن والشأم فغضب القيسيّة وقالوا: خدَع قيساً وابن عامر؛ فأكثروا في ذلك حتى شكَوْا إلى معاوية ، فبعث إليه فقَدِم ، فاعتذر مما قيل فيه؛ فقال له معاوية: قم فاعتذر إلى الناس غداً؛ فرجع ابن خازم إلى أصحابه فقال: إني قد أمرت بالخطبة ، ولست بصاحب كلام ، فاجلسوا حولَ المنبر ، فإذا تكلّمت فصدّقوني ، فقام من الغد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال: إنما يتكلّف الخُطبة إمامٌ لا يجد منها بدًّا ، أو أحمقُ يهمر من رأسه لا يبالي ما خرج منه ، ولست بواحد منهما؛ وقد علم من

---

(١) إسناده تالف.

عرفني: أني بصير بالفُرَص، وثّاب عليها، وقّاف عند المهالك، أنفذُ بالسرِيّة، وأقسم بالسويّة؛ أنشدكم بالله من كان يعرف ذلك منّي لما صدّقني! قال أصحابه حولَ المنبر: صدقت؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنك ممّن نشدت فقل بما تعلم؛ قال: صدقت[١]. (٥: ٢٠٩/ ٢١٠).

قال عليّ: أخبَرَنا شيخٌ من بني تميم يقال له: مَعمر، عن بعض أهل العلم أن قيسَ بنَ الهيثمِ قَدِم على ابن عامر من خُراسان مراغماً لابن خازم، قال: فضربه ابن عامر مئةً وحَلَقه وحبسه، قال: فطلبتْ إليه أمُّه، فأخرجه[٢]. (٥: ٢١٠).

وحجَّ بالناس في هذه السنة ـ فيما قيل ـ مروانُ بن الحَكَم، وكان على المدينة، وكان على مكّة خالدُ بن العاص بن هشام، وعلى الكوفة المغيرةُ بن شُعبة، وعلى قضائها شُريح، وعلى البَصرة وفارسَ، وسِجستان، وخُراسان، عبد الله بن عامر، وعلى قضائها عُمَير بن يثربيّ[٣]. (٥: ٢١١).

ثم دخلت سنة أربع وأربعين
ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك دخولُ المسلمين مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلادَ الرّوم ومَشتاهم بها، وغزو بُسْر بن أبي أرطاةَ البحر[٤]. (٥: ٢١٢).

عزل عبد الله بن عامر عن البصرة

وفي هذه السنة عَزل معاويةُ عبدَ الله بن عامر عن البصرة.

ذكر الخبر عن سبب عزله:

كان سبب ذلك أن ابن عامر كان رجلاً ليّناً كريماً، لا يأخذ على أيدي

(١) إسناده تالف.

(٢) ذكر الطبري هذا عن علي المدائني معلقاً.

(٣) قلنا: ذكر الطبري حج مروان بن الحكم بالناس بصيغة التمريض وأما خليفة فقد ذكر ذلك بصيغة الجزم فقال: وأقام الحج مروان بن الحكم (تأريخ خليفة/ ٢٠٦) وكذلك قال الذهبي (وأقام الحج مروان) (تأريخ الإسلام/ عهد معاوية/ ١١).

(٤) ضعيف.

السفهاء ، ففَسَدت البصرةُ بسبب ذلك أيّامَ عمله بها لمعاوية ، فحدثني عُمر بن شبّة ، قال: أخبرنا يزيد الباهليّ ، قال: شكا ابنُ عامر إلى زياد فسادَ الناس وظهور الخُبث ، فقال: جرِّد فيهم السيف ، فقال: إني أكرَه أن أصلِحهم بفسادِ نفسي[١]. (٥: ٢١٢).

حدّثني عمر ، قال: قال أبو الحسن: كان ابن عامر ليّناً سهلاً ، سهلَ الولاية ، لا يعاقِب في سلطانه ، ولا يقطع لصًّا ، فقيل له في ذلك؛ فقال: أنا أتألّف الناس ، فكيف أنظر إلى رجل قد قطعتُ أباه وأخاه![٢] (٥: ٢١٢).

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حدّثنا مَسلَمة بن محارب ، قال: وفد ابن الكوّاء ـ واسم ابن الكوّاء: عبد الله بن أبي أوفَى ـ إلى معاوية ، فسأله عن الناس ، فقال ابن الكَوّاء: أمّا أهل البَصرة فقد غلب عليها سُفهاؤها ، وعاملُها ضعيف ، فبلغ ابن عامر قولُ ابن الكَوّاء ، فاستعمل طُفيل بن عوف اليشكريّ على خُراسان ، وكان الذي بينه وبين ابن الكوّاء متباعداً ، فقال ابن الكَوّاء: إن ابن دَجاجة لقليلُ العلم فيَّ ، أظَنَّ أنّ ولاية طُفَيل خُراسانَ تسوءني! لَودِدت أنه لم يبق في الأرض يشكريٌّ إلا عاداني ، وأنه ولاّهم. فعزل معاوية ابن عامر ، وبعث الحارث بن عبد الله الأزديّ. قال: وقال القَحذميّ: قال ابن عامر: أيّ الناس أشدّ عداوةً لابن الكوّاء؟ قالوا: عبد الله بن أبي شيخ ، فولاّه خُراسان؛ فقال ابن الكوّاء ما قال[٣]. (٥: ٢١٢/ ٢١٣).

وذكر عن عمر عن أبي الحسن ، عن شيخ من ثقيف ، وأبي عبد الرحمن الأصبهانيّ: أنّ ابن عامر أوفد إلى معاوية وَفداً ، فوافقوا عنده وفدَ أهل الكوفة ، وفيهم ابن الكوّاء اليشكريّ ، فسألهم معاوية عن العراق وعن أهل البصرة خاصّة؛ فقال له ابن الكَوّاء: يا أميرَ المؤمنين ، إنّ أهل البَصرة أكَلَهم سفهاؤهم ، وضَعُف عنهم سلطانُهم. وعَجّز ابنَ عامر وضعّفه. فقال له معاوية: تكلَّمُ عن أهل البصرة وهم حضور! فلما انصرف الوفد إلى البَصرة بَلّغوا ابنَ عامر ذلك ، فَغضِب ، فقال: أيّ أهلِ العراق أشَدّ عداوةً لابن الكَوّاء! فقيل له: عبد الله بن أبي شيخ

---

(١) إسناده معضل.
(٢) إسناده معضل.
(٣) إسناده مرسل.

اليشكريّ ، فولاّه خُراسان ، وبلغ ابنَ الكوّاء ذلك فقال ما قال[١]. (٥ : ٢١٣).

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ، قال: لما ضعف ابن عامر عن عمله ، وانتشر الأمر بالبصرة عليه ، كتب إليه معاوية يستزيره ، قال عمر : فحدّثني أبو الحسن : أنّ ذلك كان في سنة أربع وأربعين، وأنه استخلف على البَصرة قيسَ ابن الهيثم ، فقَدِم على معاوية، فردّه على عمله، فلما ودّعه قال له معاوية : إني سائلك ثلاثاً ، فقل: هنّ لك. قال: هُنَّ لك ، وأنا ابن أمّ حكيم ، قال: تردّ عليّ عملي ، ولا تَغضَب، قال: قد فعلت؛ قال: وتهب لي مالَكَ بعَرَفة؛ قال: قد فعلت. قال: وتهب لي دُورَك بمكة؛ قال: قد فعلتُ ، قال: وصلَتْك رَحِم! قال: فقال ابن عامر: يا أميرَ المؤمنين ! إني سائلك ثلاثاً فقل: هنّ لك؛ قال: هُنّ لك ، وأنا ابن هند؛ قال: تردّ عليّ مالي بعَرَفة ، قال: قد فعلت، قال: ولا تُحاسب لي عاملاً ، ولا تتّبع لي أثراً. قال: قد فعلت ، قال: وتُنكِحني ابنتك هنداً؛ قال: قد فعلت.

قال: ويقال: إنّ معاوية قال له: اختِرْ بين أن أتتبّع أثرك وأحاسبَك بما صار إليك ، وأردّك إلى عمَلك ، وبين أن أسوّغك ما أصبت ، وتعتزل ، فاختار أن يسوِّغه ذلك ويَعتزل[٢]. (٥ : ٢١٣/ ٢١٤).

استلحاق معاوية نسب زياد ابن سمية بأبيه

وفي هذه السنة استلحق معاويةُ نسبَ زياد بن سميّة بأبيه أبي سُفيان فيما قيل.

حدّثني عمرُ بن شبّة ، قال: زعموا: أنّ رجلاً من عبد القيس كان مع زياد لمّا وفد على معاوية ، فقال لزياد: إنّ لابن عامر عندي يداً ، فإن أذنتَ لي أتيتُه ، قال: على أن تحدّثني ما يجري بينَك وبينَه؛ قال: نعم ، فأذن له فأتاه ، فقال له ابن عامر: هيه هيه! وابن سميّة يقبّحُ آثاري ، ويعرّض بعُمّالي! لقد هممتُ أن آتيَ بقَسامة من قريش يَحلفون أنّ أبا سُفيان لم يرَ سُمية؛ قال: فلما رجع سأله زياد ، فأبى أن يُخبره ، فلم يَدَعْه حتى أخبره ، فأخبر ذلك زيادٌ معاويةَ ، فقال معاوية لحاجبه: إذا جاء ابن عامر فاضرب وجهَ دابّته عن أقصى الأبواب ، ففعل ذلك

---

(١) إسناده مرسل ضعيف.

(٢) إسناده معضل.

به ، فأتى ابن عامر يزيد ، فشكا إليه ذلك ، فقال له: هل ذكرتَ زياداً؟ قال: نعم ، فركب معه يزيدُ حتى أدخلَه ، فلما نظر إليه معاوية قام فدخل ، فقال يزيد لابن عامر: اجلس فكم عسى أن تَقعُد في البيت عن مجلسه! فلما أطالا خرج معاويةُ وفي يده قَضيبٌ يَضرِب به الأبواب ، ويتمثّل:

لنا سِياقٌ ولكمْ سِياقُ قد عَلِمَت ذلكمُ الرِّفاقُ

ثم قعد فقال: يابن عامر ! أنت القائل في زياد ما قلت! أما والله لقد علمَت العربُ أني كنت أعزَّها في الجاهليَّة ، وإنّ الإسلام لم يزدني إلا عزًّا ، وأنّي لم أتكثر بزيادٍ من قلّة ، ولم أتعزّز به من ذِلّة ، ولكن عرفتُ حقًّا له فوضعتهُ موضعَه ، فقال: يا أمير المؤمنين ! نرجع إلى ما يحبّ زياد ، قال: إذاً نرجع إلى ما تحبّ؛ فخرج ابن عامر إلى زياد فترضَّاه[١] . (٥: ٢١٤/ ٢١٥).

حدّثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال: حدّثنا عمرو بن هاشم عن عُمر بن بشير الهمْدانيّ ، عن أبي إسحاق: أنّ زياداً لما قدم الكُوفة ، قال: قد جئتُكم في أمرٍ ما طلبتُه إلا إليكم ، قالوا: ادعنا إلى ما شئتَ ، قال: تُلحِقون نسبي بمعاوية؛ قالوا: أمّا بشهادة الزُّور فلا؛ فأتى البَصرة ، فشهد له رجل[٢] . (٥: ٢١٥).

وحجّ بالناس في هذه السنة معاوية.

وفيها عَمِل مروانُ المقصورةَ ، وعَمِلها ـ أيضاً فيما ذكر ـ معاوية بالشأم[٣] . (٥: ٢١٥).

ثم دخلت سنة خمس وأربعين
ذكر الأحداث المذكورة التي كانت فيها

فمن ذلك استعمال معاويةَ الحارث بن عبدِ الله الأزديّ فيها على البصرة.

---

(١) ذكر ابن شبة هذا الخبر تعليقاً.

(٢) إسناده ضعيف جداً وعبد الرحمن بن صالح معروف بوضعه في مثالب الصحابة وعمر بن بشير ضعيف كذلك وعمرو بن هاشم ضعفه غير واحد فالإسناد مسلسل بالضعفاء.

(٣) ضعيف.

فحدّثني عمرُ ، قال: حدّثني عليُّ بن محمد ، قال: عزل معاويةُ ابنَ عامر وولّى الحارثَ بنَ عبد الله الأزديّ البَصرة في أوّل سنة خمس وأربعين ، فأقام بالبصرة أربعةَ أشهر ، ثم عَزَله. قال: وقد قيل: هو الحارث بن عَمرو وابن عَبْد عَمْرو. وكان من أهل الشأم ، وكان معاوية عزل ابنَ عامر ليوليَ زياداً ، فولّى الحارث كالفرس المحلِّل ، فولّى الحارثُ شُرْطَته عبدَ الله بن عمرو بن غيلان الثّقفيّ ، ثم عَزَله معاوية وولّاها زياداً[١]. (٥: ٢١٦).

ذكر الخبر عن ولاية زياد البصرة

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليٌّ ، قال: حدّثنا بعضُ أهلِ العلم: أنّ زياداً لما قدِم الكوفة ظَنّ المغيرة أنه قدم والياً على الكوفة ، فأقام زياد في دار سَلْمان بن ربيعة الباهليّ ، فأرسل إليه المغيرة وائلَ بنَ حُجر الحضرميّ أبا هُنَيدة ، وقال له: اعلم لي عِلمَه. فأتاه فلم يَقدر منه على شيء ، فخرج من عنده يريد المغيرة ، وكان زاجراً ، فرأى غُراباً يَنعَق ، فرجع إلى زياد فقال: يا أبا المغيرة ، هذا الغراب يرحِّلك عن الكوفة. ثم رجع إلى المغيرة ، وقدم رسولُ معاويةَ على زياد من يومه: أن سِرْ إلى البَصْرة[٢]. (٥: ٢١٦).

وأما عبد الله بن أحمد المَروَزيّ فحدّثني ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثني سليمان ، قال: حدّثني عبد الله عن إسحاق ـ يعني ابن يحيى ـ عن معبد بن خالد الجدَليّ ، قال: قَدِم علينا زيادٌ ـ الذي يقال له: ابنُ أبي سُفيان ـ من عندِ معاويةَ ، فنزل دارَ سلمان بن ربيعة الباهليّ ينتظر أمرَ معاوية قال: فبلغ المغيرةَ بن شعبة ـ وهو أميرٌ على الكوفة ـ أنّ زياداً ينتظر أن تجيءَ إمارتُه على الكوفة ، فدعا قطَن بن عبد الله الحارثيّ فقال: هل فيك من خير؟ تكفيني الكُوفة حتى آتيَك من عندِ أمير المؤمنين؟ قال: ما أنا بصاحب ذا ، فدعا عتيبة بن النهّاس العِجْليّ ، فعرض عليه فقبل ، فخرج المغيرة إلى معاوية ، فلما قدم عليه سأله أن يَعزِله ، وأن يَقطَع له منازلَ بقَرْقِيسيَا بين ظهريْ قيس ، فلما سمع بذلك معاوية خاف

(١) إسناده معضل.
(٢) إسناده معضل وفي متنه نكارة.

بائقتَه ، وقال: والله لترجعنّ إلى عملكَ يا أبا عبد الله ! فأبى عليه ، فلم يزِدْه ذلك إلا تُهمة ، فردّه إلى عمله ، فطرقَنا ليلاً ، وإني لفَوْق القَصْر أحرُسه ، فلما قرع البابَ أنكرْناه ، فلما خاف أن ندَلّيَ عليه حَجَراً تسمَّى لنا ، فنزلتُ إليه فرحّبت له وسلّمت ، فتمثّل:

بمثلـي فـافْـزعـي يـا أُمَّ عَمْـرٍو إذا مـا هـاجَنـي السَّفَـرُ النَّعُـورُ

اذهب إلى ابن سُميّة فرحِّله حتى لا يصبح إلا من وراء الجسر. فخرجْنا فأتينا زياداً ، فأخرجْناه حتى طرحناه من وراء الجسر قبل أن يصبح[١].

(٥: ٢١٦/ ٢١٧).

فحدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حدّثنا مسلمةَ والهُذليّ وغيرُهما: أنّ معاوية استَعمل زياداً على البصرة وخراسان وسِجِسْتان ، ثم جمع له الهند والبحرَيْن وعُمان ، وقَدِم البصرة في آخر شهر ربيع الآخر ـ أو غرّة جُمادَى الأولى ـ سنة خمس ، والفِسْق بالبَصرة ظاهر ، فاشٍ ، فخطب خُطبةً بَتْراءَ لَم يَحمَد الله فيها ، وقيل: بل حَمِد الله فقال:

الحمدُ لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيدَ من نِعَمه ، اللهمّ كما رزقْتنا نعماً ، فألهِمْنا شكراً على نعمتك علينا.

أمّا بعد ، فإنّ الجهالة الجَهْلاء ، والضّلالة العَمْياء ، والفَجْر المُوقِد لأهله النارَ الباقيَ عليهم سعيرُها ، ما يأتي سفهاؤكم ، ويشتَمل عليه حُلَماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى منها الكبير ، كأن لم تَسمعوا بآي الله ، ولم تقرؤوا كتابَ الله ، ولم تَسمَعوا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السَّرمد الذي لا يزول. أتكونون كمن طرفتْ عينه الدنيا ، وسدّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانيةَ على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدَثتم في الإسلام الحدَث الذي لم تُسْبَقوا به من ترككم هذه المَواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر؛ والعدد غير قليل! ألم تكن منكم نُهاةٌ تَمنع الغُواةَ عن دَلجِ الليل وغارةِ النهار! قرّبتم القرابة ، وباعدتم الدّين ، تعتذرون بغير العذر ، وتُغَطُّون على المختلس ، كلّ امرىء منكم يذبُّ

(١) في إسناده إسحاق بن يحيى ضعيف ، وقال أحمد: متروك الحديث.

عن سفيهه ، صنيعُ من لا يخاف عقاباً ، ولا يرجو مَعاداً. ما أنتم بالحُلَماء ، ولقد اتّبعتم السفهاء ، ولم يزل بهم ما تروْن من قيامكم دونَهم ، حتى انتهكوا حُرَم الإسلام ، ثم أطرَقوا وراءكم كُنوساً في مَكانس الرِّيَب. حُرِّم عليَّ الطعامُ والشرابُ حتى أسوّيَها بالأرض هَدْماً وإحراقاً. إنّي رأيت آخرَ هذا الأمرِ لا يَصلُح إلاّ بما صلَح [به] أوّلُه ، لينٌ في غير ضَعْف ، وشدّة في غير جَبريّة وعُنْف. وإنّي أقسم بالله لآخذنّ الوليّ بالوليّ ، والمقيمَ بالظاعن ، والمقْبِل بالمدبِر ، والصحيحَ منكم بالسقيم ، حتى يَلقَى الرجلُ منكم أخاه فيقول: انجُ سَعْد فقد هَلَك سعيد ، أو تستقيم لي قَناتُكم. إنّ كذبة المنبر تَبقَى مشهورة ، فإذا تعلّقتم عليّ بكذبة فقد حلّت لكم معصيتي ، [وإذا سمعتموها مني فاغتمزوها فيّ واعلموا أن عندي أمثالها] مَنْ بُيِّت منكم فأنا ضامنٌ لما ذهب له. إيّاي ودَلَج اللّيل ، فإنّي لا أوتَى بمدلج إلا سفكْتُ دَمه ، وقد أجّلتكم في ذلك بقدْر ما يأتي الخبر الكُوفة ويرجعُ إليّ. وإيّايَ ودعوى الجاهليّة ، فإنّي لا أجد أحداً دعَا بها إلا قطعت لسانَه. وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثْنا لكلّ ذنب عقوبة ، فمن غرّق قوماً غرّقتُه ، ومن حرّق على قومٍ حرّقناه ، ومن نَقَب بيتاً نقبتُ عن قلبه ، ومن نَبَش قبراً دفنتهُ [فيه] حيًّا؛ فكفوا عنّي أيديَكم وألسنتكم أكففْ يدي وأذايَ ، لا يَظهر من أحد منكم خلافُ ما عليه عامّتكم إلاّ ضربتُ عنقَه.

وقد كانت بيني وبين أقوام إحَن ، فجعلت ذلك دَبْرَ أذُني وتحتَ قدمي ، فمن كان منكم محسناً فليزدَدْ إحساناً ، ومن كان مسيئاً فلينزِع عن إساءته. إني لو علمت: أنّ أحدكم قد قتلَه السُّلّ من بغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له ستراً؛ حتى يُبديَ لي صفحتَه ، فإذا فعل لم أناظرْه؛ فاستأنفوا أمورَكم ،و أعينوا على أنفسِكم ، فربّ مبتئسٍ بقدومنا سيُسَرّ ، ومسرورٍ بقدومِنا سَيبْتئس.

أيّها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادة ، نَسوسُكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوّلنا ، فلنا عليكم السمعُ والطاعة فيما أحببْنا ، ولكم علينا العدلُ فيما وُلِّينا ، فاستوجبوا عدلَنا وفيئنا بمناصَحتكم. واعلَموا أني مهما قصّرت عنه فإني لا أقصّر عن ثلاث: لستُ محتجباً عن طالبِ حاجة منكم ولو أتاني طارقاً بليل ، ولا حابساً رِزْقاً ولا عطاءً عن إبّانه ، ولا مجمِّراً لكم بعْثاً. فادعوا الله بالصّلاح لأئمتكم ، فإنهم ساسَتُكم المؤدِّبون

لكم ، وكَهْفُكم الذي إليه تأوون ، ومتى تَصلحوا يصلحوا. ولا تُشرِبوا قلوبَكم بغضَهم ، فيشتدَّ لذلك غيظُكم ، ويطولَ له حُزنكم ، ولا تُدرِكوا حاجَتكم؛ مع أنه لو استجيبَ لكم؛ كان شرًّا لكم.

أسأل الله أن يعين كلاًّ على كلّ ، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمرَ فأنفذوه على أذلاله ، وايمُ الله إنّ لي فيكم لصرعَى كثيرة ! فليحذر كلّ امرىءٍ منكم أن يكون من صَرْعاي.

قال: فقام عبد الله بن الأهتم فقال: أشهد أيّها الأمير أنك قد أُوتيتَ الحكمةَ ، وفَصْلَ الخِطاب ، فقال: كذبتَ ، ذاك نبيّ الله داود عليه السلام.

قال الأحنف: قد قلتَ فأحسَنت أيّها الأمير ، والثناء بعد البلاء ، والحمدُ بعدَ العطاء ، وإنا لن نُثنيَ حتى نُبتلَى؛ فقال زياد: صَدقت.

فقام أبو بلال مِرْداس بن أديّة يَهمِس وهو يقول: أنبأ الله بغير ما قلت ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾؛ فأوعَدَنا الله خيراً مما واعدت يا زياد ، فقال زياد: إنا لا نَجِد إلى ما تريد أنتَ وأصحابُك سبيلاً حتى نخوضَ إليها الدماء[1].

(٥: ٢١٧/ ٢١٨/ ٢١٩/ ٢٢٠/ ٢٢١).

حدّثني عمرُ ، قال: حدّثنا خلاّد بن يزيد ، قال: سمعتُ من يخبر عن الشعبيّ ، قال: ما سمعتُ متكلّماً قطّ تكلَّم فأحسن إلا أحببتُ أن يَسكُت خوفاً أن يسيء إلا زياداً ، فإنه كان كلّما أكثر كان أجَود كلاماً[2]. (٥: ٢٢١).

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ عن مسلمة ، قال: استعمل زيادٌ على شُرْطته عبدَ الله بن حصن ، فأمهَل الناس حتى بلغ الخبرُ الكوفةَ ، وعاد إليه وصولُ الخبر إلى الكوفة ، وكان يؤخّر العشاء حتى يكون آخر مَن يصلّي ثم يصلّي؛ يأمر رجلاً فيقرأ سورةَ البقرة ومثلها ، يرتّل القرآن ، فإذا فرغ أمهل بقدر ما يرَى أنّ إنساناً يبلغ الخُرَيْبة ، ثم يأمر صاحب شُرطته بالخروج ، فيخرج ولا يرى إنساناً إلا

---

(١) في إسناده مرسل ضعيف والهذلي متروك ولم نجد خبر الخطبة البتراء برواية صحيحة السند والله أعلم.

(٢) في إسناده مبهم.

قتله. قال: فأخذ ليلةً أعرابيّاً، فأتى به زياداً، فقال: هل سمعتَ النداء؟ قال: لا والله، قدمتُ بحَلوبة لي، وغشيني الليلُ، فاضطررْتها إلى موضع، فأقمتُ لأصبح، ولا علمَ لي بما كان من الأمير. قال: أظنك واللهِ صادقً، ولكن في قتلك صلاحُ هذه الأمّة؛ ثم أمر به فضُربتْ عُنقُه.

وكان زياد أوّلَ من شدّ أمرَ السلطان، وأكّد الملك لمعاوية، وألزَم الناسَ الطاعة، وتقدّم في العقوبة، وجرّد السيف، وأخذ بالظِّنّة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناسُ في سُلطانه خوفاً شديداً، حتى أمِن الناسُ بعضُهم بعضاً، حتى كان الشيء يَسقُط من الرجل أو المرأة فلا يَعرِض له أحد حتى يأتيَه صاحبه فيأخذه، وتَبيت المرأة فلا تُغلِق عليها بابها، وساس الناسَ سياسةً لم يُرَ مثلُها، وهابه الناس هَيْبةً لم يهابوها أحداً قبلَه، وأدرَّ العطاءَ، وبنى مدينَة الرّزق.

قال: وسمع زياد جَرْساً من دارِ عُمير، فقال: ما هذا؟ فقيل: محترس. قال: فليكفّ عن هذا، أنا ضامنٌ لما ذهب له؛ ما أصاب من إصْطَخْر.

قال: وجعلَ زياد الشُّرَط أربعةَ آلاف، عليهم عبد الله بن حِصْن، أحد بني عُبيد بن ثعلبة صاحب مقبرة ابن حصن، والجَعْد بن قيس النميريّ صاحب طاقِ الجَعْد، وكانا جميعاً على شُرَطه، فبينا زياد يوماً يسير وهما بين يديه يسيران بحرْبتيْن؛ تَنازَعا بين يديه، فقال زياد: يا جَعد، ألقِ الحربة! فألقاها، وثبت ابن حصن على شُرَطه حتى مات زياد.

وقيل: إنه ولّى الجعْد أمرَ الفُسّاق، وكان يتتبّعهم؛ وقيل لزياد: إن السُّبُلِ مَخُوفة؛ فقال: لا أعاني شيئاً سوى المِصْر حتى أغلب على المِصر وأُصلِحه، فإنْ غلبني المِصر فغيره أشدّ غلبة؛ فلما ضبط المِصْر تكلف ما سوى ذلك فأحكَمَه. وكان يقول: لو ضاع حَبْلٌ بيني وبين خُراسانَ علمتُ مَن أخَذَه.

وكتب خمسمئة من مشيخة أهلِ البَصرة في صحابته، فرزقهم ما بين الثلاثمئة إلى الخمسمئة، فقال فيه حارثةُ بن بدر الغُدَانيّ:

ألا مَنْ مُبْلغٌ عنّي زِياداً ... فنعْم أخو الخليفة والأميرُ!
فأَنتَ إمامُ مَعْدَلةٍ وقَصْدٍ ... وحَزْمٍ حين تَحضُرك الأُمورُ
أخُوكَ خليفةُ الله ابْنُ حَرْبٍ ... وأَنْتَ وزيرُهُ، نِعْمَ الوزيرُ!
تُصيب على الهَوَى منه وتأْتي ... محِبَّك ما يُجِنُّ لنا الضَّميرُ

بـــأَمـــر الله مَنْصُـــورٌ مُعـــانٌ ... إذا جـــارَ الـــرعِيـــةُ لا تَجُـــورُ
يَـدِرُّ علـى يَـدَيْـك لمـا أَرادوا ... مـن الـدُّنيـا لهـم حَلَـبٌ غـزِيـرُ
وتقســم بــالسّــواءِ فــلا غَنــيٌّ ... لضَيْـــمٍ يَشْتَكيـــكَ ولا فقيـــرُ
وكنــتَ حيـاً وجئـتَ علـى زمـانٍ ... خبيـــث ، ظـــاهـــرٌ فيـــه شُـــرُورُ
تَقــاسَمَــتِ الــرّجــالُ بــه هــواهــا ... فمــا تُخْفِـي ضَغـائِنَهـا الصُّـدُورُ
وخــافَ الحــاضــرون وكــلّ بــادٍ ... يقِيـمُ علـى المخـافـة أَو يَسِيـرُ
فلمّـــا قـــام سيْـــفُ الله فيهـــم ... زيـــادٌ قـــام أَبْلَـــجُ مُسْتَنيـــرُ
قـــويٌّ لا مِـــنَ الحَـــدَثـــانِ غِـــرٌّ ... ولا جـــزِعٌ ولا فـــانٍ كبيـــرُ[1]

(٥: ٢٢١/ ٢٢٢/ ٢٢٣/ ٢٢٤).

حدّثني عمرُ بن شبّة ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد ، قال: استعان زيادٌ بعدّةٍ من أصحاب النبيّ ﷺ ، منهم عمران بن الحصين الخُزاعيّ ولاّه قضاءَ البصرة ، والحَكَم بن عمرو الغِفاريَّ ولاّه خُراسان ، وسَمُرة بن جُندب ، وأنَس بن مالك ، وعبد الرحمن بن سَمُرة؛ فاستعفاه عمران فأعفاه. واستقضى عبدَ الله بن فضالة الليثيّ ، ثم أخاه عاصمَ بن فَضالة ، ثم زُرارة بن أوفَى الحَرشيّ ، وكانت أختُه لُبابة عند زياد.

وقيل: إنّ زياداً أوّل مَن سِير بين يَديه بالحراب ، ومُشِيَ بين يديه بالعُمُد ، واتّخذ الحرس رابطة خمسمئة ، واستعمل عليهم شَيْبان صاحب مَقبُرة شيبان ، من بني سعد ، فكانوا لا يَبرَحون المسجد[2]. (٥: ٢٢٤).

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: جعل زيادٌ خُراسانَ أرباعاً ، واستعمل على مَرْوَ أمَيْر بن أحمر اليشكريّ ، وعلى أبْرَشهر خُلَيد بن عبد الله الحنفيّ ، وعلى مَرْوَ الرُّوذ والفارِياب والطالَقان قيسَ بن الهيثم ، وعلى هَراةَ وباذغيس وقادس وبوشَنْج نافع بن خالد الطاحِيّ[3]. (٥: ٢٢٤).

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حدّثنا مسلمة بن محارب وابن

---

(١) إسناده مرسل ضعيف.
(٢) إسناده معضل.
(٣) إسناده معضل.

أبي عمرو؛ شيخ من الأزْد: أنّ زياداً عَتَب على نافع بن خالد الطاحيّ ، فحبسه ، وكتب عليه كتاباً بمئة ألف ، وقال بعضهم: ثمانمئة ألف ، وكان سبب مَوْجِدته عليه: أنه بعث بِخُوان بازهر قوائمه منه ، فأخذ نافع قائمة ، وجعل مكانها قائمة من ذهب ، وبعث بالخُوان إلى زياد مع غلام له يقال له: زيد ، كان قيّمَه على أمرِه كلّه ، فسعى زيدٌ بنافع ، وقال لزياد: إنه قد خانك ، وأخَذَ قائمةً من قوائم الخوان ، وجعل مكانها قائمة من ذهب ، قال: فمشى رجال من وُجوه الأزْد إلى زياد ، فيهم سَيْف بن وهب المَعْوَليّ ، وكان شريفاً وله يقول الشاعر:

اعْمِدْ بسَيْفٍ للسماحة والنَّدَى   واعْمِدْ بِصَبْرَةَ للفعال الأعظمِ

قال: فدخلوا على زياد وهو يَسْتاك ، فتمثّل زيادٌ حين رآهم:

اذكر بنا مَوْقِفَ أَفْراسنا   بالحِنْوِ إذ أَنت إلينا فَقِيرْ

قال: وأمّا الأزد فيقولون: بل تمثّل سيفُ بن وهب أبو طلحة المَعْوَليّ بهذا البيت حين دخل على زياد ، فقال: نعم. قال: وإنما ذكّره أيّام أجارَه صَبْرة ، فدعا زياد بالكتاب فمحاه بسِواكه وأخرَج نافعاً[1] . (٥: ٢٢٤/ ٢٢٥).

حدّثني عمرُ بن شبّة ، قال: حدّثنا عليّ عن مَسلَمة: أنّ زياداً عزل نافعَ بن خالد الطاحيّ وخُلَيد بنَ عبد الله الحنفيّ وأمَيْر بن أحمر اليشكُريّ ، فاستعمل الحَكَم بن عَمرو بن مجدّع بن حذيَمَ بن الحارث بن نُعيلة بن مُليك ـ ونُعيلة أخو غفار بن مُليك ـ ولكنهم قليل ، فصاروا إلى غفار.

قال مسلمة: أمَرَ زيادٌ حاجبَه فقال: ادعُ لي الحَكَم ـ وهو يريد الحكم بنَ أبي العاص الثَّقَفي ـ فخرج الحاجبُ فرأى الحَكَم بن عَمرو الغِفاريّ فأدخلَه ، فقال زيادٌ: رجل له شَرَف وله صحبةٌ من رسول الله ﷺ ، فعقَد له على خُراسان ، ثم قال له: ما أردْتُك ، ولكنّ الله عزّ وجلّ أرادَك[2] . (٥: ٢٢٥).

حدّثني عمر قال: حدّثنا عليّ قال: أخبرَنا أبو عبد الرحمن الثَّقَفيّ ومحمد بن الفضل عن أبيه: أنّ زياداً لمّا ولي العراقَ استعمل الحكمَ بنَ عَمرو الغفاريَّ على خُراسان ، وجعل معه رجالاً على كُوَرٍ ، وأمرَهم بطاعته ، فكانوا على جِباية

---

(١) إسناده مرسل.
(٢) إسناده مرسل.

الخَراج ، وهم: أسلم بن زُرعة ، وخُلَيد بن عبد الله الحنفيّ ، ونافع بنُ خالد الطاحيّ ، وربيعةُ بن عَسَل اليربوعيّ ، وأميرُ بن أحمرَ اليشكريّ ، وحاتمُ بن النعمان الباهليّ؛ فمات الحَكَم بن عمرو ، وكان قد غزا طُخارِسْتان ، فغَنم غنائمَ كثيرة ، واستَخلف أنسَ بن أبي أناس بن زُنيم ، وكان كتَبَ إلى زياد: إني قد رضيتُه لله وللمسلمين ولك ، فقال زياد: اللهمّ إنّي لا أرضاه لدينك ولا للمسلمين ولا لي. وكتب زيادٌ إلى خُلَيد بنِ عبدِ الله الحنفيّ بولاية خُراسان ، ثم بعث الربيعَ بنَ زياد الحارثيّ إلى خُراسان في خمسين ألفاً؛ من البَصرة خمسة وعشرين ألفاً ، ومن الكوفة خمسةً وعشرين ألفاً ، على أهل البَصرة الربيع ، وعلى أهل الكُوفة عبدُ الله بن أبي عَقِيل ، وعلى الجماعة الرَّبيع بن زياد[١].

(٥: ٢٢٥/٢٢٦).

وقيل: حجّ بالناس في هذه السنة مَرْوانُ بن الحَكَم وهو على المدينة[٢].

(٥: ٢٢٦).

وفي هذه السنة كان مَشتَى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بأرضِ الرُّوم[٣].

(٥: ٢٢٦).

ثم دخلت سنة ست وأربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مَشتَى مالك بن عبد الله بأرضِ الرّوم ، وقيل: بل كان ذلك عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل بل كان مالك بن هُبيرة السَّكونيّ[٤].

(٥: ٢٢٧).

---

(١) في إسناده محمد بن الفضل. قال الحافظ في التقريب كذبوه.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف ، وكذلك قال خليفة بن خياط (تأريخ خليفة/ ٢٠٧).

(٤) وقال خليفة نقلاً عن ابن الكلبي (فيها شتىٰ مالك بن عبد الله أبو حكيم بأرض الروم ويقال بل شتىٰ ابن مالك بن هبيرة ، تأريخ خليفة/ ٢٠٨).

خبر انصراف عبد الرحمن بن خالد إلى حمص وهلاكه

وفيها انصراف عبدُ الرحمن بن خالد بن الوليد من بلاد الرُّوم إلى حِمْص فدَسّ ابن أثال النَّصرانيّ إليه شَرْبةً مسمومةً ـ فيما قيل ـ فشرِبهَا فقتَلَتْه.

ذكر الخبر عن سبب هلاكه:

وكان السبب في ذلك ما حدّثني عمر، قال: حدثني عليّ عنَ مسلمة بن محارب: أنّ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عَظُم شأنُه بالشأم، ومالَ إليه أهلُها، لما كان عندَهم من آثار أبيه خالد بنِ الوليد، ولغَنائه عن المسلمين في أرض الرُّوم وبأسِه، حتى خافه معاويةُ، وخشيَ على نفسه منه، لميل الناس إليه، فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله، وضَمِن له إنْ هو فعل ذلك أن يضع عنه خَراجَه ما عاش، وأن يولِّيَه جبايةَ خراج حمصَ، فلمّا قدم عبد الرحمن بن خالد حِمْصَ منصرفاً من بلاد الرومِ دَسّ إليه ابنِ أثال شربةً مسمومةً مع بعض مماليكه، فشَربها فمات بحِمْص، فوفَّى له معاويةُ بما ضَمِن له، وولّاه خراجَ حِمْص، ووضع عنه خراجَه.

قال: وقَدِم خالد بنُ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المدينةَ، فجلس يوماً إلى عُرْوة بن الزُّبير، فسلّم عليه، فقال له عُروة: مَن أنت؟ قال: أنا خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛ فقال له عُرْوة: ما فعل ابن أثال؟ فقام خالد من عنده، وشخص متوجِّهاً إلى حمصَ، ثم رَصَد بها ابنَ أثال، فرآه يوماً راكباً، فاعترض له خالدُ بن عبد الرحمن، فضَرَبه بالسيف، فقَتَله، فرفع إلى معاوية، فحبسه أياماً، وأغرَمَه ديتَه، ولم يقدْه منه. ورجع خالدٌ إلى المدينة، فلمّا رجع إليها أتَى عروةَ فسلم عليه، فقال له عُرْوة: ما فعل ابن أثال؟ فقال: قد كفيتُك ابنَ أثال، ولكن ما فَعل ابن جُرْموز؟ فسكت عروةُ. وقال خالدُ بن عبد الرحمن حين ضرب ابن أثال:

أَنـا ابـنُ سيْـفِ الله فـاعْـرِفُـوني ... لـم يبْـقَ إلا حَسَبـي ودينـي

وصـارِمٌ صَـلَّ بـه يَمينـي[1]

(٥: ٢٢٧/٢٢٨).

---

(١) إسناده مرسل وفي متنه نكارة.

ذكر خروج سهم والخَطيم

وفيها خرج الخَطِيم ، وسهم بن غالبِ الهُجَيميّ ، فحكّما ، وكان من أمرهما ما حدّثني به عمر ، قال : حدّثنا عليّ ، قال : لمّا وُلِّيَ زياد خافه سهم بنُ غالب الهُجيميّ ، والخَطيم ـ وهو يزيد بن مالك الباهليّ ـ فأما سهم فخرج إلى الأهواز فأحدَث ؛ وحكَّم ، ثم رَجَع فاختفى وطلب الأمان ، فلم يؤمّنه زياد ، وطلبه حتى أخذه ، وقَتَله ، وصلَبه على بابه . وأما الخَطيم فإنّ زياداً سيّره إلى البحرين ، ثم أذن له فقَدِم ، فقال له : الزَم مصرَك ؛ وقال لمسلم بن عمرو : اضمَنْه ؛ فأبَى ، وقال : إن بات عن بيته أعلمتُك . ثم أتاه مسلم فقال : لم يبت الخَطيم الليلةَ في بيته ، فأمر به فقُتل ، وألقي في باهلة[١] . (٥ : ٢٢٨) .

وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان[٢] .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كان مَشتَى مالك بن هُبيرة بأرض الرّوم ، ومشتَى أبي عبد الرحمن القينيّ بأنطاكيَةَ[٣] . (٥ : ٢٢٩) .

ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حُدَيج

وفيها عُزِل عبدُ الله بنِ العاص عن مصر ، ووليهَا معاويةُ بن حُدَيج ، وسار ـ فيما ذكر الواقديّ ـ في المغرب ، وكان عثمانيّاً .

قال : ومرّ به عبد الرحمن بن أبي بكر وقد جاء من الإسكَندِرّية ، فقال له : يا معاوية ! قد لَعَمْري أخذتَ من معاوية جزاءَك ، قتلت محمد بن أبي بكر لأنْ تليَ مصرَ ، فقد وليتَها ، قال : ما قتلتُ محمد بنَ أبي بكر إلا بما صنع بعُثمان ؛

---

(١) إسناده معضل .

(٢) ضعيف .

(٣) ضعيف وانظر تاريخ خليفة (٢٠٨) .

فقال عبد الرحمن: فلو كنتَ إنما تَطلب بدم عثمان لم تشرك معاوية فيما صنع حيث صَنَع عمرو بن العاص بالأشعريّ ما صَنَع ، فوثبتَ أوّل الناس فبايعته[١]. (٥ : ٢٢٩).

* * *

ذكر غزو الغَوْر

وقال بعضُ أهلِ السيَر : وفي هذه السنة وجّه زياد الحَكَم بن عمرو الغِفاريَّ إلى خُراسان أميراً، فغزا جبالَ الغَور وفراونده، فقهرهم بالسيف عَنْوةً ففتحها، وأصاب فيها مغانمَ كثيرة وسبايا ، وسأذكر من خَالَف هذا القولَ بعدُ إنْ شاء الله تعالى.

وذكَر قائل هذا القول: أن الحَكم بن عمرو قَفَل من غَزْوته هذه ، فمات بمرو[٢]. (٥ : ٢٢٩).

واختلفوا فيمن حجّ بالناس في هذه السنة ، فقال الواقديّ: أقام الحجَّ في هذه السنة عُتبةُ بن أبي سُفيان ، وقال غيره: بل الذي حجّ في هذه السنة عَنْبسة بن أبي سُفْيان[٣]. (٥ : ٢٢٩).

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين
ذكر الأحداث التي كانت فيها

وكان فيها مَشْتَى أبي عبد الرحمن القَيْني أنطاكيَة ، وصائفة عبد الله بن قيس الفزاريّ ، وغزوة مالك بنِ هُبيرة السَّكونيّ البحر ، وغزوة عُقبة بن عامر الجهنيّ بأهل مصرَ البحر ، وبأهل المدينة ، وعلى أهل المدينة المنذرُ بنُ الزّهير ، وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

وقال بعضهم: فيها وجّه زيادٌ غالبَ بن فَضالة الليثيّ على خُراسان ، وكانت له صحبةٌ مِن رسول الله ﷺ[٤]. (٥ : ٢٣١).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

وهو يتوقع العزلَ لمَوْجِدة كانت من معاويةَ عليه ، وارتجاعِه منه فَدَك ، وقد كان وهَبَها له[١] . (٥ : ٢٣١)

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

وفيها كانت غَزوةُ فضالة بن عبيد جَربّة ، وشتا بجَربّة ، وفتِحتْ على يديه ، وأصاب فيها سَبْياً كثيراً.

وفيها كانت صائفةُ عبد الله بن كُرْز البَجَلّي.

وفيها كانت غزوة يزيد بن شَجَرة الرّهاويّ في البحر ، فَشتَا بأهل الشام.

وفيها كانت غزوةُ عقبةَ بن نافع البحر ، فشتا بأهلِ مصرَ.

وفيها كانت غزوةُ يزيدَ بن معاوية الرّوم حتى بلغ قُسْطَنطينيّة ، ومعه ابن عباس وابن عمر وابن الزّبير وأبو أيوبَ الأنصاريَ.

وفيها عَزَل معاويةُ مروان بن الحَكَم عن المدينة في شهر ربيع الأوّل.

وأمَّرَ فيها سعيدَ بن العاص على المدينة في شهر ربيع الآخر؛ وقيل: في شهر ربيع الأوّل.

وكانت ولايةُ مروانَ كلّها بالمدينة لمعاويةَ ثمان سنينَ وشهرين.

وكان على قضاء المدينة لمرْوان ـ فيما زعم الواقديّ ـ حين عُزِل عبد الله بن الحارث بن نوفل ، فلما ولي سعيد بن العاص عزَلَه عن القضاء ، واستَقضَى أبا سَلَمة بن عبد الرّحمن بن عوف.

وقيل: في هذه السنة وقع الطاعون بالكُوفة ، فهرب المغيرةُ بن شُعبة من الطاعون ، فلما ارتفع الطاعون قيل له: لو رجعتَ إلى الكُوفة! فقَدِمها فُطعِن فمات؛ وقد قيل: مات المغيرة سنة خمسين ، وضمّ معاويةُ الكوفَة إلى زياد ، فكان أوّل من جمِع له الكُوفة والبَصرة[٢] . (٥ : ٢٣٢).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

وحجّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بن العاص[١]. (٥ : ٢٣٣).

ثم دخلت سنة خمسين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة بُسر بن أبي أرطاة، وسُفْيان بن عوف الأزديّ أرضَ الرُّوم. وقيل: كانت فيها غَزْوة فَضالَة بن عبيد الأنصاريّ البحرَ[٢]. (٥ : ٢٣٤).

* * *

ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة

وفيها - في قول الواقديّ والمدائنيّ - كانت وفاةُ المُغيرة بن شعْبة، قال محمد بن عمر: حدّثني محمد بن أبي موسى الثقفيّ عن أبيه، قال: كان المغيرة بنُ شُعبةَ رجلاً طُوالاً، مصابَ العَين، أصيب باليَرْمُوك، توفِّيَ في شعبان سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة[٣]. (٥ : ٢٣٤).

وأما عَوانة فإنه قال - فيما حدّث عن هشام بن محمد، عنه - هلَك المغيرُة سنة إحدى وخمسين.

وقال بعضهم: بل هلك سنة تسع وأربعين[٤]. (٥ : ٢٣٤).

حدّثني عمرُ بن شبّة، قال: حدّثني عليّ بن محمد، قال: كان زيادٌ على البَصرة وأعمالِها إلى سنة خمسين، فمات المغيرة بن شعبةَ بالكُوفة وهو أميرُها، فكتب معاويةُ إلى زياد بعَهْده على الكُوفة والبَصْرة، فكان أوّل من جمع له الكُوفة والبَصْرة، فاستخلف على البصرة سَمُرَة بن جُنْدَب، وشَخَصَ إلى الكُوفة، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكُوفة، وستة أشهرُ بالبَصْرة[٥].

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) في إسناده الواقدي وهو متروك.
(٤) إسناده ضعيف جداً.
(٥) إسناده معضل.

حدّثني عمر ، قال: حدّثني عليّ عن مسلمة بن محارب ، قال: لما مات المغيرة؛ جُمِعت العراقُ لزياد ، فأتى الكوفةَ فصَعِد المنبرَ ، فحمِد اللهَ وأثنَى عليه ، ثم قال: إن هذا الأمر أتاني وأنا بالبَصْرة ، فأردت أن أشخص إليكم في ألفين من شُرْطة البَصْرة ، ثمّ ذكرتُ أنكم أهل حقّ ، وأنّ حقّكم طالما دفع الباطل ، فأتيتُكم في أهل بيتي ، فالحمد لله الذي رَفَع مني ما وَضَع الناس ، وحَفِظ مني ما ضيَّعوا. . . حتى فرَغ من الخطبة ، فحُصِب على المِنبر ، فجلس حتى أمسكُوا ، ثم دعا قوماً من خاصّته ، وأمرَهم ، فأخذوا أبوابَ المسجد ، ثم قال: ليأخذْ كلّ رجل منكم جليسَه ، ولا يقولنّ: لا أدْرِي من جليسي؟ ثم أمر بكرسيّ فوضع له على باب المسجد ، فدعاهم أربعةً أربعةً يحلفون بالله ما مِنّا مَنْ حَصَبَك ، فمن حَلَف خلاّه ، ومن لم يَحلِف حبَسه وعَزَله ، حتى صار إلى ثلاثين ، ويقال: بل كانوا ثمانين ، فقطَّع أيديَهم على المكان[١] . (٥ : ٢٣٤/ ٢٣٥).

قال الشعبيّ: فوالله ما تعلَّقنا عليه بكذْبة ، وما وعدنا خيراً ولا شرّاً إلا أنفذَه.

حدّثني عمر قال: حدّثنا عليّ عن سلمة بن عثمان ، قال: بلغني عن الشعبيّ أنه قال: أوّل رجل قَتَله زيادٌ بالكوفة أوفَى بن حصن ، بلغه عنه شيء فطلبه فهرب ، فعرض الناسَ زياد ، فمرّ به ، فقال: مَن هذا؟ قالوا: أوفَى بن حصن الطائيّ؛ فقال زياد: أتتك بحائن رِجْلاه ، فقال أوْفَى:

إنَّ زيــاداً أبَــا المغيــرة لا ... يعجَــلُ والنــاسُ فيهِــمْ عَجَلــهْ
خِفتُــكَ واللهِ فــاعْلَمَــن حَلِفــي ... خــوفَ الحَفـافِيـثِ صَـولَـةَ الأَصَلـهْ
فجِئــتُ إذْ ضــاقَــتِ البــلاد فَلَـم ... يكــنْ عليهــا لخِــائِــفٍ وألَــهْ

قال: ما رأيُك في عثمان؟ قال ختَن رسولِ الله ﷺ على ابنتَيه ، ولم أنكِره ، ولي محصولُ رأي ، قال: فما تقول في معاوية؟ قال:

جوَاد حليم؛ قال: فما تقول فيّ؟ قال: بلغني أنك قلتَ بالبصَرة: والله لآخذن البرىء بالسقيم ، والمقبلَ بالمدبر؛ قال: قد قلتُ ذاك ، قال: خبطتَها عَشْواء؛ قال زياد: ليس النفاخ بشَرِّ الزَّمَرة ، فقتَله؛ فقال عبد الله بن همّام السَّلوليّ:

---

(١) إسناده مرسل.

خَيَّبَ اللهُ سَعْيَ أَوفَى بنِ حِصنٍ حينَ أَضْحَى فَرُّوجَةَ الرَّقَاءِ
قَادَهُ الحَيْنُ والشقاءُ إلى لَيْـ ـثِ عَرِينٍ وحَيَّةٍ صَمَّاءِ

قال: ولما قدم زياد الكوفةَ؛ أتاه عُمَارة بن عُقبة بن أبي مُعَيط، فقال: إنّ عمرو بن الحَمِق يجتمع إليه من شيعة أبي تُراب، فقال له عمرو بن حُرَيث: ما يدعوك إلى رفع ما لا تيقّنُه ولا تدري ما عاقبتُه! فقال زياد: كلاكما لم يُصِب، أنت حيث تكلمني في هذا علانيةً وعمرو حِينَ يردُّك عن كلامك، قُومَا إلى عمرو بن الحَمِق فقولا له: ما هذه الزُّرافات التي تجتمع عندك! من أرادك، أو أردتَ كلامَه ففي المسجد.

قال: ويقال: إنّ الذي رفع على عمرو بن الحَمِق، وقال له: قد أنْغَل المِصرَيْن يزيد بن رُوَيْم، فقال عمرو بن الحريث: ما كان قطّ أقبل على ما يَنفعه منه اليوم؛ فقال زياد ليزيدَ بن رُوَيم: أما أنت فقد أشطْت بدَمِه، وأما عمرو فقد حَقَن دمه، ولو علمت: أن مخّ ساقه قد سال من بغضي ماهِجته حتى يخرج عليّ.

واتخذ زيادٌ المقصورة حين حَصَبه أهلُ الكوفة[1]. (٥: ٢٣٥/ ٢٣٦).

وولّى زياد حين شَخَص من البصرة إلى الكُوفة سَمُرة بن جُنْدب، فحدّثني عمر، قال: حدّثني إسحاق بن إدريس، قال: حدّثني محمد بن سليم، قال: سألت أنس بن سيرينَ: هل كان سَمُرة قَتَل أحداً؟ قال: وهل يُحصَى من قَتَل سَمُرة بن جندب! استخلفه زيادٌ على البصرة، وأتى الكوفة، فجاء وقد قتل ثمانيةَ آلافٍ من الناس، فقال له: هل تخاف أن تكون قد قتلتَ أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلتُ إليهم مثلهم ما خشيتُ ـ أو كما قال[2]. (٥: ٢٣٦/ ٢٣٧).

حدّثني عمر، قال: حدّثني موسى بن إسماعيل، قال: حدّثنا نوح بن قيس، عن أشعث الحُدّانيّ، عن أبي سوّار العدويّ، قال: قتل سَمُرة من قومي في غَداةٍ سبعة وأربعين رجلاً قد جَمَع القرآن[3]. (٥: ٢٣٧)

---

(١) في إسناده انقطاع.
(٢) في إسناده محمد بن سليم وهو ضعيف وفي متنه نكارة.
(٣) في إسناده نوح بن قيس صدوق كان يتشيع ولا تقبل روايته هذه لأنه طعن في سمرة رضي الله عنه لأنه عمل والياً في عهد الأمويين فهذه الرواية تتماشى مع هواه في بدعته.

حدّثني عمر، قال: حدّثني عليّ بن محمد عن جعفر الصّدَفيّ، عن عوف، قال: أقبل سَمُرة من المدينة، فلما كان عند دور بني أسد خرج رجل من بعض أزقّتهم، ففجأ أوائلَ الخيل، فحمل عليه رجلٌ من القوم فأوْجَرَه الحرْبَة، قال: ثم مضت الخيل، فأتَى عليه سَمُرة بن جندب، وهو متشحِّط في دمه، فقال: ما هذا؟ قيل: أصابتْه أوائلُ خيل الأمير، قال: إذا سمعتم بنا قد ركبْنا فاتّقوا أسنّتنا[1]. (٥: ٢٣٧).

(١) في إسناده جعفر الصدفي لم نجد له ترجمة والإسناد مرسل.

سمرة بن جندب وما حاكته الروايات الواهية حول شخصيته

لقد استغل أعداء التاريخ الإسلامي (من المبتدعة والمستشرقين وغيرهم) كل رواية واهية أو موضوعة للنيل من صحابة رسول الله ﷺ والصحابي الجليل سمرة بن جندب رضي الله عنه من هؤلاء، والسبب في ذلك كما قال الإمام الجزري: وكان شديداً على الخوارج وكان إذا أتي بواحد منهم قتله، ويقول: شر قتلى تحت أديم السماء يكفرون المسلمين ويسفكون الدماء فالحرورية ومن قاربهم في مذهبهم يطعنون عليه وينالون منه (أسد الغابة ٢/ ت ٢٢٤٣).

ولقد أورد الطبري روايات ثلاث لا يحتجّ بهن لضعف إسنادهن ونكارة متنهنّ أما الأولى فهي من طريق محمد بن سليم وهو ضعيف.

والرواية الثانية في إسنادها نوح بن قيس وهو صدوق قال عنه الإمام أحمد: كان يتشيع وطبيعي من راوٍ كهذا أن يروي ما يقوي بدعته ويطعن في صحابي مثل سمرة ويحمل عليه لأنه يكره من عمل والياً لمعاوية رضي الله عنه وسمرة كان أميراً للبصرة في عهد معاوية رضي الله عنه ولذلك ذكر أئمة الجرح والتعديل هذه المسائل وبيّنوا بدعة كل راوٍ.

أما الرواية الثالثة ففي إسنادها جعفر الصدفي لم نجد له ترجمة وكذلك فالرواية عن عوف المعروف بالتشيع ـ إضافة إلى أنه توفي سنة (١٤٦ هـ) وله ست وثمانون أي أنه ولد في السنة التي توفي فيها معاوية رضي الله عنه فروايته مرسلة هنا ـ إضافة إلى الضعف السابق الذي ذكرنا ـ ولقد روّج الرواة الضعفاء والمبتدعة لحديث (آخركم موتاً في النار) وخلاصة هذه الرواية: أن النبي ﷺ قال لمجموعة من الصحابة (لعشرة أو أقل): (آخركم موتاً في النار) وكان من ضمن هؤلاء سمرة بن جندب والذي كان آخرهن موتاً.

ولكن روايات هذا الحديث ضعيفة لا تصلح للاحتجاج بها إضافة إلى أن متنها مخالف لما تواتر عن عدالة الصحابة وفي روايات هذا الحديث ما رواه أبو سلمة عن أبي نضرة عن أبي هريرة، وقال الذهبي معقباً على هذه الرواية:

أبو نضرة لم يسمع من أبي هريرة ـ والرواية الأخرى من طريق إسماعيل بن حكيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس بن حكيم الضبي.

=

= قلنا: وإسماعيل هذا مجهول الحال.

والرواية الأخرى من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أوس بن خالد قال: كنت إذا قدمت على أبي محذورة سألني عن سمرة وإذا قدمت على سمرة سألني عن أبي محذورة، فسألته فقال: إني كنت أنا وسمرة وأبو هريرة في بيت فجاء النبي ﷺ فقال: «آخركم موتاً في النار» فمات أبو هريرة ثم مات أبو محذورة.

قلنا: وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف من الرابعة.

والرواية الأخرى من طريق عبد الله بن طاووس وغيره مرفوعاً وهذا إسناد معضل والله أعلم.

وهذه الروايات ذكرها الحافظ الذهبي في ترجمة سمرة (عهد معاوية/ ٢٣٣) ورواية أخرى لم يذكرها الذهبي أخرجها ابن عبد البر، وفي إسنادها أحمد بن محمد بن الحجاج قال ابن عدي في ترجمته: كذبوه وأنكرت عليه أشياء:

قلنا: وذكر الذهبي في بواطيله (ميزان الاعتدال ١/ ٥٣٧).

فهل هذه أسانيد يعتمد عليها ويحتج بها في مخالفة عدالة الصحابة؟

ثم: إن صح متن هذه الروايات فالمقصود بها نار الدنيا لا نار الآخرة فسمرة هذا مات حرقاً رضي الله عنه وأرضاه ولقد ذكر الحافظ الذهبي من طريق وهب بن جرير عن أبيه سمع أبا يزيد المديني يقول: لما مرض أصابه برد شديد، فأوقدت له نار في كانون بين يديه، وكانون خلفه، وكانون عن يمينه، وآخر عن شماله، فجعل لا ينتفع بذلك، وكان يقول: كيف أصنع بما في جوفي، فلم يزل كذلك حتى مات، ثم قال الذهبي: وإن صحَّ هذا فيكون إن شاء الله قوله عليه الصلاة والسلام: «آخركم موتاً في النار» متعلقاً بموته في النار لا بذاته (عهد معاوية/ ٢٣٤).

وكذلك قال الحافظ ابن عبد البر في ترجمة سمرة: سقط في قدر مملوء ماءً حاراً كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فسقط في القدر الحار فمات فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله ﷺ له ولثالث معهما آخركم موتاً في النار. (الاستيعاب / ٢/ ٦٥٣).

قلنا: ومعروف عند أئمة التابعين المشهورين بالعلم والتقوى والصدق كانوا يقولون عن الصحابي الجليل سمرة بن جندب خلاف ما يروجه المبتدعة تماماً كما أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب قال حدثنا عبد الوارث بن سفيان ثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير ثنا أحمد بن حنبل ثنا عبد الصمد ثنا أبو هلال ثنا عبد الله بن صبيح عن محمد بن سيرين قال: «كان سمرة ما علمت عظيم الأمانة صدوق الحديث يحب الإسلام وأهله»، وأخرجه =ابن عبد البر في طريق آخر: «عبد الرحمن بن يحيى حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: ثنا محمد بن علي بن مروان (الاستيعاب ٢/ ٢١٤).

وقال ابن الجزري في ترجمته: وكان شديداً على الخوارج وكان إذا أتي بواحد منهم قتله، =

حدّثني عمر، قال: حدّثنا أبو عبيدة، قال: قال زياد يومئذ على المِنبر: يا أهل البصرة! والله لتكفنّي هؤلاء أو لأبْدأنّ بكم، والله لئن أفلتَ منهم رجلٌ لا تأخذون العامَ من عطائكم درهماً، قال: فثار الناسُ بهم فقتلوهم[١].

(٥: ٢٣٨)

ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة

قال محمد بن عمر: وفي هذه السنة أمر معاوية بمنبر رسول الله ﷺ أن يُحمَل إلى الشام، فحُرّك فكُسِفت الشمس حتى رُئيت النجوم باديةً يومئذ، فأعظم الناس ذلك، فقال: لم أرِدْ حملَه، إنما خفت أن يكون قد أرِضَ، فنظرت إليه، ثم كساه يومئذ[٢]. (٥: ٢٣٨).

وذكر محمد بن عمرَ: أنه حدّثه بذلك خالد بن القاسم عن شعيب بن عمرو الأمويّ[٣]. (٥: ٢٣٩).

قال محمد بن عمر: حدّثني يحيى بن سعيد بن دينار عن أبيه، قال: قال معاوية: إني رأيتُ أنّ منبرَ رسول الله ﷺ وعصاه لا يُتركَان بالمدينة، وهم قَتَلة أمير المؤمنين عثمان وأعداؤه، فلمّا قدم طلب العصا وهي عند سعد القَرَظ، فجاءه أبو هريرة، وجابرُ بن عبد الله، فقالا: يا أمير المؤمنين؛ نذكّرك الله عزّ وجلّ أن تفعلِ هذا، فإنّ هذا لا يصلح، تُخرِج منبرَ رسولِ الله ﷺ من موضع وضعه، وتُخرِج عصاه إلى الشام؛ فانقل المسجد! فأقصر وزاد فيه ستّ درجات، فهو اليوم ثماني درجات، واعتذر إلى الناس مما صنع[٤].

(٥: ٢٣٩)

= ويقول: شر قتلى تحت أديم السماء يكفرون المسلمين ويسفكون الدماء فالحرورية ومن قاربهم في مذهبهم يطعنون عليه وينالون منه/ أسد الغابة (٢/ت ٢٢٤٣).

(١) إسناده معضل.

(٢) ذكر الطبري هذا الخبر عن محمد بن عمر الواقدي وهو متروك وانظر تعليقنا بعد (٥: ٢٣٩/ ٢٤٠).

(٣) في إسناده الواقدي وهو متروك.

(٤) ذكر الطبري هذا الخبر منقطعاً بينه وبين الواقدي والواقدي متروك وانظر تعليقنا بعد الرواية (٥: ٢٣٩/ ٢٤٠).

قال محمد بن عمر: وحدّثني سُويد بن عبد العزيز عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فَرْوة، عن أبان بن صالح، عن قَبِيصة بن ذُؤَيب، قال: كان عبد الملك قد همّ بالمنبر، فقال له قَبيصة بن ذؤيب: اذكُّرك اللهَ عزّ وجلّ أن تفعل هذا، وأن تحوّله! إنّ أمير المؤمنين معاوية حرّكه فكُسفت الشمس، وقال رسولُ الله ﷺ: «من حلف على مِنبري آثماً فليتبوّأ مقعَدَه من النار»، فتخرجه من المدينة وهو مقطّع الحقوق بينهم بالمدينة! فأقصَر عبدُ الملك عن ذلك، وكفّ عن أن يذكره، فلما كان الوليد وحجّ همّ بذلك وقال: خبّرانِي عنه، وما أراني إلا سأفعل: فأرسل سعيد بن المسيِّب إلى عمرَ بن عبد العزيز، فقال: كلِّم صاحبَك يتّق الله عزّ وجلّ ولا يتعرّض لله سبحانه ولسُخْطه، فكلّمه عمر بن عبد العزيز، فأقصَر وكفّ عن ذِكره، فلمّا حجّ سليمان بن عبد الملك أخبَرَه عمر بن عبد العزيز بما كان الوليد همّ به وإرسال سعيد بن المسّيب إليه، فقال سليمان: ما كنت أحبّ أن يذكر هذا عن أمير المؤمنين عبد الملك ولا عن الوليد، هذا مكابَرة، وما لَنا ولهذا! أخذنا بالدنيا فهي في أيدينا، ونريد أن نَعمد إلى عَلَم من أعلام الإسلام يوفَد إليه، فنحمله إلى ما قِبلَنا! هذا ما لا يَصلُح[1]. (٥: ٢٣٩/ ٢٤٠).

وفيهـا عُزِلَ معاويـة بن حُدَيْج عن مصرَ ووُلِّـيَ مسلمـة بن مخلّـد مصر وإفريقيّة، وكان معاويةُ بن أبي سُفيان قد بعث قبل أن يولّي مسلمة مصر وإفريقيَة عُقْبَة بن نافع الفِهريّ إلى إفريقية، فافتتحها، واختطّ قَيْروانَها وكان موضعه غَيْضَةً ـ فيما زعم محمد بن عمر ـ لا تُرام من السباع والحيّات وغير ذلك من الدّوابّ، فدعا الله عزّ وجلّ عليها فلم يَبْق منها شيء إلا خرج هارباً، حتى إنّ

(١) الواقدي متروك، قلنا: هذه روايات ثلاث من طريق الواقدي المتهم بالكذب، والوضع من قبل الشافعي، والنسائي وأبو حاتم الرازي وقال الذهبي: (استقر الإجماع على وصف الواقدي). (تهذيب التهذيب ٩/ ٣٦٧).
فليس من الغريب أن تصدر هذه الروايات المكذوبة والمفتراة من أمثال الواقدي ولم نجد تأييداً لما ذكر ولو من رواية مرسلة والحمد لله على نعمة الإسناد ـ وسيدنا معاوية كاتب وحي رسول الله ﷺ أجلُّ وأرفع من أن يفكر بهذه الصورة ولكن ماذا نقول لقوم أعمى الحقد على صحابة رسول الله بصائرهم فاتكؤوا على هذه الروايات الواهية المكذوبة وروّجوا لها مع صنوهم من المستشرقين الحاقدين على التاريخ الإسلامي والمرء يحشر مع من أحب نسأل الله الستر والسلامة.

السباع كانت تحمِل أولادها(١) . (٥ : ٢٤٠) .

قال محمد بن عمر : حدّثني موسى بن علي ، عن أبيه ، قال : نادى عُقبة بن نافع :

إنّـا نـازلـونـا فـاظْعَنـوا عِـزينـا

فخرجن من جِحرَتهنّ هوارب(٢) . (٥ : ٢٤٠) .

قال : وحدّثني المفضّل بن فَضالة ، عن زيد بن أبي حبيب ، عن رجل من جند مصر ، قال : قَدِمنا مع عُقْبة بن نافع ، وهو أوّل الناس اختطّها وأقطعها للناس مساكن ودوراً ، وبنى مسجدها ، فأقمْنا معه حتى عُزل ، وهو خير والٍ وخير أمير . (٥ : ٢٤٠) .

ثم عَزَل معاويةُ في هذه السنة ـ أعني سنة خمسين ـ معاويةَ بن حُدَيج عن مصر ، وعُقْبة بن نافع عن إفريقيَة ، وولّى مسلَمة بن مخلّد مصر والمغرب كلّه ، فهو أوّل من جُمِع له المغرب كله ومصر وبَرْقة وإفريقيَة وطرابلُس ، فولّى مسلمة بن مخلّد مولىً له يقال له : أبو المهاجِر أفريقيَة ، وعزل عُقبة بن نافع ، وكشَفَه عن أشياءَ ، فلم يزل والياً على مصر والمغرب ، وأبو المهاجر على إفريقية من قِبَله حتى هلك معاوية بن أبي سُفْيان(٣) . (٥ : ٢٤٠) .

واختُلِف فيمن حجّ بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حجّ بهم معاوية ، وقال بعضهم : بل حجّ بهم ابنه يزيد ، وكان الوالي في هذه السنة على المدينة سعيد بن العاص ، وعلى البَصْرة والكوفة والمشرق وسِجِسْتان وفارس والسّند والهند زياد(٤) . (٥ : ٢٤٠/ ٢٤١) .

ذكر هرب الفرزدق من زياد

وفي هذه السنة طَلب زيادٌ الفرزدقَ ، واستَعْدت عليه بنو نَهْشل وفُقَيم ،

---

(١) ضعيف .

(٢) الواقدي متروك .

(٣) الواقدي متروك .

(٤) ضعيف .

فهرب منه إلى سعيد بن العاص ـ وهو يومئذ والي المدينة من قِبَل معاوية ـ مستجِيراً به ، فأجاره[١]. (٥ : ٢٤١).

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدّثني عمرُ بن شبّة ، قال: حدّثنا أبو عبيدة ، وأبو الحسن المدائنيّ ، وغيرهما: أنّ الفرزدق لما هجا بني نهشل ، وبني فُقَيم لم يزد أبو زيد في إسناده خبره على ما ذكرت[٢]. (٥ : ٢٤١).

وأما محمد بن عليّ فإنه حدّثني عن محمد بن سعد عن أبي عبيدة ، قال: حدّثني أعيَن بن لَبَطة بن الفرزدق ، قال: حدّثني أبي عن أبيه ، قال: لما هاجَيْت الأشهبَ بنَ رُمَيلة والبَعيث فَسَقَطا، استعدَتْ عليّ بنو نَهْشل ، وبنو فُقَيم زيادَ بن أبي سُفيان ، وزعم غيرُه: أنّ يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعيّ بن سلمي بن جندل بن نهشل استعدى أيضاً عليه ، فقال أعين: فلم يعرفه زياد حتى قيل له: الغلام الأعرابيّ الذي أنهبَ ورقه ، وألقى ثيابه؛ فعرفه.

قال أبو عبيدة: أخبرَني أعين بن لَبَطة ، قال: أخبَرني أبي عن أبيه ، قال: بعثني أبي غالبٌ في عِير له وجَلَبٍ أبيعُه وأمتَار له وأشتَري لأهله كُساً ، فقدمتُ البصرة ، فبعْتُ الجَلب ، فأخذتُ ثمنَه فجعلتهُ في ثوبي أزاوله ، إذ عرَض لي رجل أراه كأنه شيطان ، فقال: لشَدّ ما تستوثق منها! فقلت: وما يمنعني! قال: أما لو كان مكانَك رجل أعرفه ما صبر عليها؛ فقلت: ومَن هو؟ قال: غالب بن صَعْصعة؛ قال: فدعوتُ أهل المِرْبد فقلت: دُونَكموها ـ ونثرتُها عليهم ـ فقال لي قائل: ألقِ رداءك يا بن غالب ، فألقَيتُه ، وقال آخر: ألق قميصَك؛ فألقَيتُه ، وقال آخر: ألقِ عمامَتك فألقيتُها حتى بقيتُ في إزارٍ ، فقالوا: ألْقِ إزارَك ، فقلت: لن ألقيَه وأمشي مجرّداً ، إنّي لست بمجنون ، فبلغ الخبرُ زياداً ، فأرسل خيلاً إلى المِرْبد ليأتوهِ بي ، فجاء رجل من بني الهُجَيم على فَرس؛ قال: أتِيتَ فالنَّجاء! وأرْدَفني خلفه ، ورَكَض حتى تغيّب ، وجاءت الخيلُ وقد سبقت ، فأخذ زياد عَمّين لي: ذهيلاً والزحّاف ابني صعصة ـ وكانا في الدّيوان على ألفين

(١) ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

ألفين ، وكانا معه ـ فحبسهما فأرسلتُ إليهما: إن شئتما أتيتُكما ، فبعَثَا إليّ: لا تَقرَبْنا ، إنّه زياد! وما عسى أن يَصنَع بنا ، ولم نُذنِب ذنباً! فمكثا أيّاماً ، ثم كُلّم زياد فيهما ، فقالوا: شيخان سامعان مطيعان ، ليس لهما ذنب مما صنع غلام أعرابيّ من أهل البادية؛ فخلّى عنهما؛ فقالا لي: أخْبرنا بجميع ما أمَرَك أبوك من مِيرةٍ أو كسوة؛ فخبّرتهما به أجمع ، فاشترياه وانطلقتُ حتى لحقت بغالب ، وحملتُ ذلك معي أجمع ، فأتيتُه وقد بلغه خبري ، فسألني: كيف صنعتَ؟ فأخبرتُه بما كان؛ قال: وإنك لتُحسن مِثلَ هذا! ومَسَح رأسي ، ولم يكن يومئذ يقول الشّعر ، وإنما قال الشعر بعد ذلك ، فكانت في نفس زياد عليه.

ثمّ وفَد الأحنفُ بنُ قيس ، وجاريةُ بنُ قدامة من بني ربيعة بن كعب بن سعد ، والجوْن بن قَتادة العَبْشَميّ ، والحُتات بن يزيد أبو منازل أحد بني حُويّ بن سُفيان بن مجاشع إلى معاوية بن أبي سُفْيان ، فأعطى كلّ رجل منهم مئة ألف ، وأعطى الحُتات سبعين ألفاً ، فلما كانوا في الطريق سأل بعضهم بعضاً ، فأخبروه بجوائزهم ، فكان الحُتات أخذ سبعين ألفاً ، فرجع إلى معاوية ، فقال: ما ردّك يا أبا منازل؟ قال: فضَحْتَني في بني تميم ، أما حسبي بصحيح! أوَلَسْتُ ذا سِنّ! أوَلَسْتُ مطاعاً في عشيرتي! فقال معاوية: بلى ! قال: فما بالك خَسَسْت بي دون القوم! فقال: إني اشتريت من القوم دينَهم ووكَلْتُك إلى دينِك ورأيك في عثمان بن عفان ـ وكان عثمانيّاً ـ فقال: وأنا فاشترِ منّي دِيني ، فأمر له بتمامِ جائزةِ القوم ، وطعن في جائزته ، فحبسها معاوية ، فقال الفرزدق في ذلك:

أَبــوك وعمــي يــا معــاوِيَ أَوْرثــا ... تــراثــاً فيخْتــارُ التُّــراثَ أقــاربُــهْ
فمــا بــالُ ميــراث الحُتــات أَخــذتَــه ... وميــراثُ حــرْبٍ جــامــدٌ لــك ذائبُــهْ!
فلــو كــانَ هــذا الأَمــر فــي جــاهليَّــةٍ ... علِمْــتَ مــن المــرءُ القليــلُ حَــلائبــهْ
ولــو كــان فــي ديــنٍ ســوى ذا شَنِئْتُــمُ ... لنــا حقّنــا أو غَــصَّ بــالمــاء شــاربُــهْ
ولو كان إذ كنّا وفي الكفّ بسطةٌ ... لَصمّم عَضْبٌ فيك ماضٍ مَضارِبُهْ

ـ وأنشد محمد بن عليّ «وفي الكفّ مبسط» ـ

وقــد رُمْــتَ شيئــاً يــا معــاوِيَ دونَــهُ ... خيــاطِــف عِلْــودٌ صعــاب مــراتبُــهْ
وما كنتُ أُعطى النّصَف من غير قدرةٍ ... ســواكَ ، ولــو مــالــتْ علــيَّ كتــائبــه
أَلَســتُ أعــزَّ النــاس قــومــاً وأســرةً ... وأمنعَهُــمْ جــاراً إذا ضِيــمَ جــانبُــهْ

وما ولـدَتْ بعـدَ النبـيِّ وآلِـهِ كمِثْلي حَصانٌ في الرجالِ يقارِبهْ
أبـي غـالـبٌ والمـرءُ نـاجيـةُ الَّـذي إلى صعصعٍ يُنمَى فمَن ذا يناسبه!
وبيْتـي إلـى جنـب الثـريّـا فِنـاؤه ومـن دونِـه البـدْرُ المضِـيءُ كـواكبُـه
أنا ابنُ الجبال الصُّمِّ في عدَدِ الحَصَى وعرْقُ الثَّرَى عِرقي، فمن ذا يُحاسبه!
أنا ابنُ الَّذي أحيا الوئيدَ وضامِنٌ على الدهرِ إذْ عزَّتْ لِدهرٍ مكاسبُهْ
وكم من أَبٍ لي يا معاوِيَ لم يَزَل أغـرَّ يبـاري الـريـح مـا ٱزْوَرَّ جـانبُـهْ
نمتْـهُ فـروعُ المـالكيْـنِ ولـم يكُـن أبوكَ الذي من عبدِ شمسٍ يقارِبُهْ
تـرهُ كنَصْـلِ السَّيـف يهتَـزُّ للنـدى كرِيماً يُلافى المجدَ ما طَرَّ شاربه
طويل نِجاد السيف مذ كان لم يكنْ قصـيٌّ وعبدُ الشمـس ممَّـنْ يخـاطبُـهْ

فردّ ثلاثين ألفاً على أهله، وكانت أيضاً قد أغضبت زياداً عليه، قال: فلما استعدتْ عليه نهشل، وفُقَيم ازدادَ عليه غضباً، فطلبه فهرب، فأتى عيسى بنَ خُصَيلة بن معتّب بن نصر بن خالد البَهْزيّ، ثم أحد بني سُليم، والحجّاج بن عِلاط بن خالد السَّلَميّ[1]. (٥: ٢٤١/ ٢٤٢/ ٢٤٣/ ٢٤٤).

قال ابن سعد: قال أبو عبيدةَ: فحدّثني أبو موسى الفضل بن موسى بن خُصَيلة، قال: لما طرد زياد الفرزدقَ جاء إلى عمِّي عيسى بن خُصَيلة ليلاً فقال: يا أبا خُصَيلة! إنّ هذا الرجل قد أخافني، وإنّ صديقي وجميع من كنت أرجو قد لفظوني، وإني قد أتيتك لتغيِّبَني عندك؛ قال: مَرْحباً بك! فكان عنده ثلاثَ ليالٍ، ثم قال: إنه قد بدا لي أن ألحق بالشام، فقال: ما أحببتَ! إنْ أقمتَ معي ففي الرّحب والسعة؛ وإن شَخَصتَ فهذه ناقة أرحبيّة أمتِّعُك بها، قال: فركب بعدَ ليل، وبعث عيسى معه حتى جاوز البيوت، فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث ليالٍ، فقال الفرزدق في ذلك:

حَباني بها البَهزيُّ حُمْلان مَنْ أبى من الناس والجانِيُّ تُخافُ جرائمهْ
ومنْ كـان يـا عيسـى يـونّـبُ ضيْفـهُ فضَيْفُـكَ محْبُـورٌ هنـيٌّ مطـاعِمُـهْ
وقـال تعلَّـمْ أنَّهـا أَرْحَبِيّـةٌ وأَنَّ لهـا الليـلَ الـذي أَنت جـاشمُـهْ
فـأصبحـتُ والملقَـى ورائـي وحَنْبَـلٌ وما صَدَرَتْ حتى علا النَّجْم عاتِمُهْ

(١) لم نجد ترجمة لأعين بن لبطة، ولا لأبيه. والله أعلم.

تَـزاوَرُ عـن أَهـلِ الحُفَيـر كـأنّهـا ظليـمٌ تبـارَى جنـحَ ليـلٍ نَعـائمـهْ
رأتْ بيــن عينيهــا دُويَّــةَ وانجلــى لها الصّبح عن صَعْلٍ أَسيلٍ مخاطِمُهْ
كـأن شـراعـاً فيـه مَجْـرَى زمـامهـا بــدِجْلَــةَ إلاَّ خَطمُــهُ ومــلاغمُــهْ
إذا أنتِ جاوَزتِ الغَرِيَّيْنِ فاسلَمِي وأعـرَضَ مـن فَلْجٍ ورائي مخارِمُـهْ

وقال أيضاً:

تداركني أسبابُ عيسى من الرَّدى ومــن يَـكُ مَـولاهُ فليْـسَ بـواحِـدِ

وهي قصيدة طويلة.

قال: وبلغ زياداً أنه قد شَخَص، فأرسل عليّ بن زَهْدم أحد بني نَوْلة بن فُقَيم في طلبه.

قال أعيَن: فطلبه في بيت نصرانّية يقال لها: ابنة مرّار، من بني قيس بن ثعلبة تنزل قَصِيمة كاظمة؛ قال: فسلَّتْه مِنْ كِسْرِ بيتها، فلم يقدر عليه؛ فقال في ذلك الفرزدق:

أتيـت ابنَـةَ المَـرّار أهبِلـتَ تبتغِـي ومـا يُبتَغـى تحـت السَّـويَّـةِ أَمثالِـي
ولكــن بُغــائـي لــو أردتَ لقــاءَنــا فضـاءُ الصحـارى لا ابتغـاءٌ بـأدغـال

وقيل: إنها ربيعة بنت المرّار بن سلامة العِجليّ أمّ أبي النجم الرّاجز.

قال أبو عبيدة: قال مِسمَع بن عبد الملك: فأتى الرَّوحاءَ، فنزل في بكر بن وائل، فأمِن، فقال يمدحهم:

وقـد مثَلـتْ أَيـن المسيرُ فلـم تجـدْ لفَـوْرتهـا كـالحـيِّ بكْـر بـن وائـل
أعــفَّ وأوفــى ذمــةً يعْقِــدونهــا إذا وازنــتْ شُــمَّ الـذُّرَا بـالكـواهِـل

وهي قصيدة طويلة، ومدحهم بقصائدَ أُخَر غيرها.

قال: فكان الفرزدق إذا نزل زياد البَصرة نزل الكوفة، وإذا نزل زيادٌ الكوفة نزل الفرزدق البَصرة، وكان زياد ينزل البصرة ستّة أشهر والكوفة ستّة أشهر، فبلغ زياداً ما صنع الفرزدق، فكتب إلى عامله على الكوفة عبدِ الرحمن ابن عُبيد: إنّما الفرزدق فحلُ الوحوش يَرعَى القِفار، فإذا ورد عليه الناس ذُعِر ففارقهم إلى أرض أخرى فرتع؛ فاطلبه حتى تظفر به، قال الفرزدق: فطُلبت أشدّ طلب، حتى جعل مَن كان يُؤويني يُخرجني من عنده، فضاقت عليّ الأرض،

فبينا أنا ملفّف رأسي في كسائي على ظهر الطريق ، إذ مرّ بي الذي جاء في طلبي ، فلمّا كان الليل أتيتُ بعضَ أخوالي من بني ضَبّة وعندهم عُرْس ـ ولم أكن طعمتُ قبلَ ذلك طعاماً ، فقلت : آتيهم فأصيب من الطعام ـ قال : فبينا أنا قاعد إذ نظرت إلى هادِي فرسٍ وصدرِ رُمح قد جاوَز بابَ الدار داخلاً إلينا ، فقاموا إلى حائط قصب فرفعوه ، فخرجت منه ، وألقَوا الحائط فعاد مكانَه ، ثم قالوا : ما رأيناه ، وبحثوا ساعةً ثم خرجوا ، فلمّا أصبحنا جاؤوني فقالوا : اخرُج إلى الحجاز عن جوار زياد لا يظفر بك ، فلو ظفر بك البارحَة أهلكتَنَا؛ وجمعوا ثمن راحلتين ، وكلّموا لي مقاعِساً أحد بني تَيْم الله بن ثعلبة ـ وكان دليلاً يسافر للتجار ـ قال : فخرجْنا إلي بانِقْبا حتى انتهينا إلى بعض القصور التي تُنزل ، فلم يُفتح لنا الباب ، فألقينا رحالَنا إلى جنب الحائط والليلة مُقمِرة ، فقلت : يا مقاعس ! أرأيت إن بعث زياد بعدما نصبح إلى العتيق رجالاً ، أيقدرون علينا؟ قال : نعم ، يَرصُدوننا ـ ولم يكونوا جاوزوا العتيق وهو خَندَق كان للعَجَم ـ قال : فقلت : ما تقول العرب؟ قال : يقولون : أمهِلْه يوماً وليلة ثم خذه ، فارتحل؛ فقال إني أخاف السباعَ ، فقلت : السباعُ أهوَن من زياد ، فارتحلْنا لا نرى شيئاً إلا خلّفناه ، ولزِمَنا شخصٌ لا يُفارقنا ، فقلت : يا مُقاعس ، أترى هذا الشخص! لم نمرْ بشيء إلاّ جاوزناه غيره ، فإنه يسايرنا منذ الليلة ، قال : هذا السَّبُع ، قال : فكأنه فهِمَ كلامَنا ، فتقدّم حتى رَبَض على مَتْن الطريق ، فلما رأينا ذلك نزلْنا فشددْنا أيدي ناقتَيْنا بثِنايَيْن وأخذتُ قوسي ، وقال مقاعس :

يا ثعلب ، أتدري ممّن فرْرنا إليك؟ من زياد ، فأحْصَب بذَنَبه حتى غشيَنا غبارُه وغشيَ ناقتَيْنا ، قال : فقلت : أرميه ، فقال : لا تَهجْه ، فإنه إذا أصبح ذهب ، قال : فجعل يُرعِد ويُبرِق ويزئِر ومُقاعس يتوعّده حتى انشقّ الصبح ، فلما رآه ولّى ، وأنشأ الفرزدق يقول :

مـا كنـتُ أحْسِبُنـي جَبـانـاً بعـدمـا	لاقَيْـتُ ليلـةَ جـانِـبِ الأَنهـارِ
ليْثـاً كـأَنّ علـى يـدَيْـه رِحـالـةً	شثْـنَ البـراثِـنِ مُـؤجَـدَ الأَظفـارِ
لمـا سَمِعْـتُ لـه زَمـازمَ أجْهَشَـتْ	نفْسـي إلـيّ وقلـت أَيـنَ فِـراري!
ورَبَطْتُ جِرْوتَها وقلتُ لها اصْبِري	وشَـدَدْتُ فـي ضِيـقِ المقـامِ إزارِي

فلأَنتَ أَهْوَنُ من زيادٍ جانِباً اذْهَبْ إليك مُخرِّم الأَسفارِ[١]
(٥: ٢٤٤/ ٢٤٥/ ٢٤٦/ ٢٤٧).

قال ابن سعد: قال أبو عُبيدة: فحدّثني أعيَن بن لَبطَة، قال: حدّثني أبي عن شَبَث بن رِبعيّ الرياحيّ، قال: فأنشدتُ زياداً هذه الأبيات فكأنه رقّ له، وقال: لو أتاني لآمنته وأعطيتُه، فبلغ ذلك الفرزدق؛ فقال:

تَذَكَّرَ هذا القلبُ من شَوْقِهِ ذِكْرَا تذَكَّرَ شَوْقاً ليس ناسيَهُ عَصْرَا
تَذَكّرَ ظَمياءَ الَّتي ليس ناسِيا وإن كان أَدْنى عَهْدِها حِجَجاً عَشْرا
وما مُغْزِلٌ بالغَوْر غَوْرِ تِهامةٍ ترَعَّى أراكاً في منابتِهِ نَضْرا
من الأُدْمِ حَوَّاءِ المدامعِ تَرْعَوِي إلى رَشاءٍ طِفلٍ تخالُ به فَتْرا
أصابَتْ بِوادي الوَلْولاَن حِبالَةً فما اسْتَمْسَكَتْ حتى حسِبْنَ بها نفرا
بأحْسَنَ من ظَمْياءَ يومَ تَعَرَّضَتْ ولا مُزْنَةٌ راحَتْ غمامتها قصْرا
وكم دونها من عاطفٍ في صريمة وأَعداءِ قوم يَنْذُرُونَ دمي نَذْرَا!
إذا أَوْعَدُوني عند ظَمياءَ ساءَها وعيدي وقالت لا تقولوا له هُجرا
دعاني زيادٌ للعطاءِ ولم أَكنْ لآتِيَهُ ما ساقَ ذو حَسَبٍ وَفرا
وعند زيادٍ لو يُريدُ عطاءَهُمْ رجالٌ كثيرٌ قد يرَى بِهِم فقرا
قُعُودٌ لدى الأَبوابِ طُلاَّبُ حاجةٍ غَوانٍ من الحاجاتِ أو حاجةً بِكْرا
فلمّا خشيت أن يكون عطاؤه أداهِمَ سوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمْرا
نميَتُ إلى حَرْفٍ أَضَرَّ بِنِيِّها سُرَى الليل واستعرَاضُها البلدَ القَفرا
تنَفَّس في بهوٍ من الجوف واسعٍ إذا مَدَّ حيزومَا شَراسِيفها الضَّفرا
تَراها إذا صامَ النَّهارُ كأَنَّما تسامِى فَنيقاً أو تُخالسُهُ خَطْرا
تخُوضُ إذا صاح الصَّدى بعد هَجعةٍ من الليل مُلتجّاً غياطلهُ خُضرا
فإن أعرَضَتْ زَوراءُ أو شَمَّرَتْ بها فلاةٌ ترَى منها مخارِمَها غُبْرا
تعادَيْنَ عن صُهبِ الحَصى وكأَنما طحنَّ به من كلّ رَضراضةٍ جَمْرا
وكم من عَدُوٍّ كاشحٍ قد تجاوَزَتْ مخافتَهُ حتى تكون لها جِسْرا
يَؤمُّ بها المَوماةَ مَنْ لا يرى له إلى ابن أَبي سُفيان جاهاً ولا عُذْرا
ولا تُعجلاني صاحبيَّ فربّما سَبَقتُ بورد الماءِ غاديةً كُدْرا

(١) إسناده ضعيف.

وحِضْنيـن مـن ظلمـاءِ ليـلٍ سَـرَيتُـهُ ... بـأغيَـدَ قـد كـان النعـاس لـه سُكْـرا
رماه الكرى في الرأس حتى كأنَّه ... أميـمُ جـلاميـدٍ تـركـنَ بـه وَقْـرا
مـن السَّيْـرِ والإدلاج تحْسِـبُ أنمـا ... سقـاهُ الكرى فـي كـلِّ منزلـة خَمْـرا
جـرَرنـا وفَـدَّينـاه حتـى كـأَنمـا ... يـرى بهـوادِي الصُّبْـح قَنبلـةً شُقـرا

قال: فمضينا وقَدِمنا المدينة وسعيد بن العاص بن أميّة عليها، فكان في جنازة، فتبعتُه فوجدتُه قاعداً والميّت يُدفَن حتى قمت بين يديه، فقلت: هذا مَقامُ العائذ من رجلٍ لم يُصِب دماً ولا مالاً! فقال: قد أجَرْتُ إن لم تكن أصبتَ دماً ولا مالاً؛ وقال: مَنْ أنت؟ قلت: أنا همّام بن غالب بن صعصعة، وقد أثنيتُ على الأمير، فإنْ رأى أن يأذن لي فأسمِعَه فليفعل؛ قال: هاتِ فأنشدتُه:

وكُـــومٍ تُنْعِـــمُ الأَضيـــافَ عينـــاً ... وتصْبِـــحُ فـــي مَبـــاركهـــا ثِقـــالاَ

حتى أتيتُ إلى آخرِها؛ قال: فقال مروان:

قُعُـــوداً ينظـــرون إلـــى سَعيـــد

قلتُ: والله إنك لقائم يا أبا عبد الملك.

قال: وقال كعب بن جُعَيل: هذه واللهِ الرّؤيا التي رأيت البارحة؛ قال سعيد: وما رأيتَ؟ قال: رأيتُ كأني أمشي في سكّة من سكك المدينة، فإذا أنا بابن قِتْرة في جُحْر، فكأنه أراد أن يتناولني، فاتّقيته، قال: فقام الحطيئة فشقّ ما بين رجُلين حتى تجاوز إليّ، فقال: قل ما شئت فقد أدركتَ من مضى، ولا يدركك من بقي، وقال لسعيد: هذا والله الشِّعر، لا يعلّل به منذ اليوم، قال: فلم نزل بالمدينة مرّة وبمكة مرّة، وقال الفرزدق في ذلك:

ألا مـــن مُبلـــغٌ عنِّـــي زيـــاداً ... مغَلْغلـــةً يَخُـــبُّ بهـــا البَـــرِيـــدُ
بـــأنّـــي قـــد فَـــررتُ إلـــى سَعيـــدٍ ... ولا يُسْطـــاعُ مـــا يَحْمِـــي سَعيـــدُ
فَـــرَرتُ إليـــه مـــن لَيْـــثٍ هِـــزَبْـــرٍ ... تفـــادَى عـــن فـــرِيسَتِـــهِ الأُسُـــودُ
فـإن شئـتَ ٱنتسبـتُ إلـى النَّصـارى ... وإن شئـتَ ٱنتسبـتُ إلـى اليهـود
وإن شئـــت ٱنتسبـــتُ إلـــى فُقَيـــمٍ ... ونـــاسبنـــي ونـــاسبـــتُ القُـــرُودُ

ويُروَى:

ونـــاسبنـــي ونـــاسبـــت اليهـــودُ

وأبغَضُهـــم إلـــيّ بنـــو فُقَيـــمٍ ... ولكـــنْ ســـوف آتِـــي مـــا تـــرِيـــدُ

وقال أيضاً:

أتـانـي وعيـدٌ مـن زيـادٍ فلـم أَنـمْ وسَيْلُ اللِّوَى دوني فَهضْبُ التَّهائمِ
فبــتُّ كــأَنــي مُشعَــرٌ خَيبَــريّــةً سَرَت في عظامي أو سِمَامَ الأَراقمِ
زيـادَ بـن حَـربٍ لـن أظُنَّـكَ تـاركـي وذا الضِّغْـنِ قـد خَشَّمْتَـهُ غيـرَ ظـالـم

قال: وأنشدَنيه عمرو:

وبالضّغن قد خشّمتني غير ظالم

وقـد كـافَحـت منِّـي العـراقَ قَصيـدةٌ رَجُومٌ مع الماضي رؤوسَ المخارِمِ
خَفيفـــةُ أفـــواهِ الـــرُّواةِ ثقيلـــة علـى قِـرْنهـا نَـزّالـةٌ بـالمـوَاسـم

وهي طويلة.

فلم نزل بين مكة والمدينة حتى هلك زياد[1]. (٥: ٢٤٧/ ٢٤٨/ ٢٤٩/ ٢٥٠)

* * *

ذكر الخبر
عن غزوة الحكم بن عمرو جبل الأشل وسبب هلاكه

حدّثني عمرُ بن شبّة، قال: حدّثني حاتم بن قَبيصة، قال: حدّثنا غالب بن سليمان عن عبد الرحمن بن صبح، قال: كنتُ مع الحكَم بن عمرو بخُراسان، فكتب زيادٌ إلى عمرو: إنّ أهلَ جبل الأشلّ سلاحُهم اللُّبود، وآنيتهم الذّهب. فغزاهم حتى توسّطوا، فأخذوا بالشِّعاب والطرق، فأحدقوا به، فعيّ بالأمر، فولّى المهلّب الحرب، فلم يزل المهلب يحتال حتى أخذ عظيماً من عظمائهم، فقال له: اخترْ بين أن أقتلَك، وبين أن تُخرِجَنا من هذا المَضيق؛ فقال له: أَوْقِد النارَ حيالَ الطريق من هذه الطُّرُق، ومر بالأثقال فلتُوجَّه نحوه، حتى إذا ظنّ القوم أنكم قد دخلتم الطريق لتسلكوه فإنّهم يستجمعون لكم، ويُعَرُّون ما سواه من الطرق، فبادِرْهم إلى غيره فإنهم لا يدركونك حتى تخرج منه، ففعلوا ذلك،

(١) إسناده ضعيف.

فنجا وغَنِموا غنيمةً عظيمة[١]. (٥: ٢٥٠/ ٢٥١).

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ بن محمد؛ قال: لما قفل الحَكم بن عمرو من غَزْوة جبل الأشلّ ولّى المهلّب ساقتَه، فسلكوا في شِعاب ضيّقة، فعارَضَه التُّرك فأخذوا عليهم بالطُّرق، فوجدوا في بعض تلك الشِّعاب رجلاً يتغنّى من وراء حائط ببيتين:

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَدِّكَ لا تَرَى ... سَنام الحِمَى أُخرى اللّيالي الغوابر

كأنّ فؤادي من تذكُّرِيَ الحِمَى ... وأهلَ الحمى يهفو به ريشُ طائرِ

فأتي به الحكَم، فسأله عن أمره، فقال: غايرتُ ابنَ عمّ لي، فخرجتُ تَرفَعني أرض وتَخفِضني أخرى، حتى هَبَطتُ هذه البلاد، فحمله الحكمُ إلى زياد بالعراق.

قال: وتخلّص الحَكم من وجهه حتى أتى هَراةَ، ثم رجع إلى مَرْو[٢].
(٥: ٢٥١)

قال عمر: قال عليّ بن محمد: لما حَضَرت الحكَم الوفاةُ بمرْو، استخلفَ أنس بن أبي أناس، وذلك في سنة خمسين[٣]. (٥: ٢٥٢)

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها مشتَى فضالة بن عُبيد بأرض الروم، وغزوة بُسْر بن أبي أرطاةَ الصائفة، ومقتلَ حُجْر بن عَدِيّ وأصحابه.

ذكر مقتل حُجْر بن عديّ وأصحابه

* ذكر سبب مقتله:

(١) في إسناده حاتم بن قبيصة مجهول الحال.
(٢) إسناده معضل.
(٣) إسناده معضل.

قال هشام بن محمد: عن أبي مخنف، عن المجالد بن سعيد، والصقْعب بن زهير، وفضيل بن خَدِيج، والحسين بن عُقْبة المراديّ، قال: كلٌّ قد حدّثني بعضَ هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سُقت من حديث حُجْر بن عديّ الكِنْديّ وأصحابه: إنّ معاوية بن أبي سُفيان لما ولّى المغيرة بن شُعبة الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دَعاه، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد فإن لذي الحِلْم قبل اليومِ ما تُقرَع العَصَا، وقد قال المتلمّس:

لِذِي الحِلْم قبلَ اليوم ما تُقْرَعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلاَّ ليعْلَما

وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إيصاءك بأشياءَ كثيرة، فأنا تاركُها اعتماداً على بَصرك بما يرضيني ويُسعِد سلطاني، ويُصْلَحُ به رعيّتي، ولست تاركاً إيصاءك بخَصْلة: لا تتحمَّ عن شتمِ عليّ وذمّه، والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب عليّ، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم؛ وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه، والإدناء لهم، والاستماع منهم، فقال المغيرة: قد جَرّبْتُ وجُرّبتُ، وعملتُ قَبْلك لغيرك، فلم يُذْممْ بي دَفْع ولا رفع ولا وَضْع، فستبلو فَتحْمَد أو تَذُمَّ. قال: بل نحمَد إن شاء الله[1].

(٥: ٢٥٣/ ٢٥٤)

قال أبو مخنف: قال الصقعب بن زهير: سمعتُ الشعبيّ يقول: ما ولِينَا والٍ بعده مثله، وإن كان لاحقاً بصالح مَن كان قبله من العمّال.

وأقام المغيرةُ على الكوفة عاملاً لمعاوية سبعَ سنين وأشهراً، وهو من أحسن شيء سيرةً، وأشدّه حبّاً للعافية، غير أنه لا يدَع ذمّ عليّ والوقوعَ فيه والعيبَ لقتَلة عثمان، واللّعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار، والتزكيةَ لأصحابه، فكان حُجْر بن عديّ إذا سمع ذلك قال: بل إيّاكم فذمّم الله ولعن! ثم قال فقال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾، وأنا أشهد أن من تذّمون وتعيّرون لأحقّ بالفضل، وأن من تزكّون وتُطْرُون أوْلى بالذّم؛ فيقول المغيرة: يا حُجْر، لقد رُمِيَ بسهمك؛ إذ كنتُ أنا الوالي عليك، يا حُجْر

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة.

وَيْحك! اتّق السلطان اتق غضبَه وسطوتَه ، فإنّ غضْبَة السلطان أحياناً مما يُهلِك أمثالَك كثيراً. ثم يكفّ عنه ويصفح.

فلم يزل حتى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال في عليّ وعثمان كما كان يقول ، وكانت مقالته: اللهمّ ارحم عثمانَ بن عفان وتجاوَزْ عنه ، وأجزِه بأحسنِ عمله ، فإنه عَمِل بكتابك ، واتّبع سنة نبيك ﷺ ، وجمَعَ كلمتنا ، وحقَن دماءَنا ، وقُتل مظلوماً؛ اللهم فارحم أنصارَه وأولياءه ومحبّيه والطالبين بدمه! ويدعو على قتَلته ، فقام حُجْر بن عديّ فنعَر نعرةً بالمغيرة سِمَعها كلّ مَن كان في المسجد وخارجاً منه ، وقال: إنك لا تدري بمن تولع من هَرَمك! أيها الإنسان ، مُر لنا بأرزاقنا وأعطِياتنا ، فإنك قد حبستَها عنا ، وليس ذلك لك ، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلَك ، وقد أصبحت مولَعاً بذمٍّ أمير المؤمنين ، وتقريظِ المجرِمين ، قال: فقام معه أكثر من ثُلُثي الناس يقولون: صَدَق والله حُجْر وبَرّ ، مُرْ لنا بأرزاقنا وأعطِياتنا ، فإنا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يجدى علينا شيئاً؛ وأكثروا في مِثل هذا القول ونحوه ، فنزل المغيرة ، فدخل واستأذن عليه قومُه ، فأذن لهم ، فقالوا: علامَ تترك هذا الرجلَ يقول هذه المقالة ، ويجترىء عليك في سلطانك هذه الجرأة! إنَّك تجمع على نفسك بهذا خصلتين: أما أوّلهما فتهوين سلطانِك ، وأما الأخرى فإنّ ذلك إن بلغ معاوية كان أسخَطَ له عليه ـ وكان أشدّهم له قولاً في أمر حُجْر والتعظيم عليه عبد الله أبي عقيل الثَّقَفيّ ـ فقال لهم المغيرة: إنّي قد قتلته؛ إنه سيأتي أميرٌ بعدي فيحسَبه مثل فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي ، فيأخذه عند أوّل وهلة فيقتله شرّ قتلة ، إنه قد اقترب أجلي وضَعُف عملي ، ولا أحبّ أنْ ابتدىء أهلَ هذا المِصر بقتل خيارِهم ، وسَفكِ دمائهم ، فيسعدوا بذلك وأشقى ، ويعزّ في الدنيا معاوية ويذلّ يوم القيامة المغيرة؛ ولكني قابلٌ من محسنهم ، وعافٍ عن مسيئهم ، وحامدٌ حليمَهم ، وواعظٌ سِفيهَهم ، حتى يفرّق بيني وبينهم الموت ، وسيذكرونني لو قد جرّبوا العمّالَ بعدي[1].

(٥ : ٢٥٤/ ٢٥٥)

قال أبو مخنف: سمعتُ عثمان بنَ عقبة الكنديّ ، يقول: سمعت شيخاً للحيّ

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة.

يذكرِ هذا الحديث يقول: قد واللهِ جرّبناهم فوجدناه خيرَهم أحمَدهم للبريء، وأغفرَهم للمسيء، وأقبَلَهم للعذر[١]. (٥: ٢٥٥).

قال هشام: قال عَوانة: فوِليَ المغيرة الكوفة سنة إحدى وأربعين في جُمادى، وهلك سنة إحدى وخمسين، فجُمِعت الكوفة والبَصرة لزياد بن أبي سُفيان، فأقبل زياد حتى دخل القصر بالكوفة، ثم صعد المنبر فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد، فإنّا قد جَرّبنا وجُرّبنا، وسُسْنا وساسَنا السائسون، فوجدْنا هذا الأمر لا يَصلُح آخره إلاّ بما صَلَح أوّله، بالطاعة اللّينة المشبّه سرّها بعلاَنيتها، وغيْب أهلها بشاهدهم، وقلوبهم بألسنتهم، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلاّ لين في غير ضَعْف، وشدّة في غير عُنْف وإني والله لا أقوم فيكم بأمر إلا أمضيته على أذلاله، وليس من كذبة الشاهد عليها من الله والناس أكبر من كِذْبة إمام على المنبر، ثم ذكر عثمانَ وأصحابَه فقرّظهم، وذكَر قتلَته ولعَنَهم فقام حُجر ففعل مِثل الذي كان يفعل بالمغيرة، وقد كان زيادٌ قد رجع إلى البصرة وولّىٰ الكوفة عمرو بن الحريث، ورجع إلى البصرة فبَلَغه أنّ حُجْراً يجتمع إليه شيعة عليّ، ويُظهرون لعنَ معاوية والبراءة منه، وأنهم حَصَبوا عمرو بن الحريث، فشَخَص إلى الكوفة حتى دخلها، فأتى القصر فدخله، ثم خرج فصَعِد المنبر وعليه قَباء سُنْدس ومُطرَف خَزّ أخضر، قد فرق شعره، وحُجْر جالسٌ في المسجد حولَه أصحابُه أكثر ما كانوا، فحمِد الله وأثنَى عليه، ثم قال: أمّا بعد، فإنّ غِبَّ البَغْي والغيّ وخيم، إنّ هؤلاء جمّوا فأشِروا، وأمنوني فاجترؤوا عليَّ، وايمُ الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم؛ وقال: ما أنا بشيء إن لم أمنع باحةَ الكوفة من حُجْر وأدَعْه نكالاً لمن بعَده! ويلُ أمّك يا حُجر! سَقَط العَشاء بك على سِرْحان، ثم قال:

أبلـغْ نُصَيحَـةَ أنّ راعِـي إبْلِهـا سَقـط العَشـاءُ بِـه علـى سِـرْحـان

وأما غيرُ عوانة، فإنه قال في سبب أمر حُجْر[٢]: (٥: ٢٥٥/٢٥٦)

حدّثني عليّ بن حسن قال: حدّثنا مسلم الجَرْمي، قال: حدّثنا مخلَد بن

---

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده ضعيف جداً وفي متنه نكارة.

الحسن عن هشام ، عن محمد بن سيرين ، قال: خطب زياد يوماً في الجمعة فأطال الخطبة وأخّر الصلاة ، فقال له حُجْر بن عديّ: الصلاة! فمضى في خطبته ، ثم قال: الصلاة! فمضى في خطبته ، فلما خشي حُجر فَوْتَ الصلاة ضرب بيده إلى كفّ من الحصا ، وثارَ إلى الصلاة وثار الناسُ معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلّى بالنّاس ، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره ، وكثَّر عليه.

فكتب إليه معاوية أن شُدَّه في الحديد ، ثم احمله إليّ ، فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قومُ حُجر أن يمنَعوه ، فقال: لا ، ولكن سمعٌ وطاعة ، فشدّ في الحديد ، ثم حُمل إلى معاوية ، فلما دخل عليه قال: السّلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، فقال له معاوية: أمير المؤمنين! أما والله لا أقِيلك ولا أستَقِيلك ، أخرجوه فاضربوا عنقَه ، فأخرج من عنده ، فقال حُجر للذين يَلُون أمرَه: دعوني حتى أصلّي ركعتين؛ فقالوا: صلّ؛ فصلّى ركعتين خففّ فيهما ، ثم قال: لولا أن تظنّوا بي غيرَ الذي أنا عليه لأحببتُ أن تكونا أطولَ مما كانتا ، ولئن لم يكن فيما مضى من الصلاة خيرٌ فما في هاتين خير؛ ثم قال لمن حضره من أهله: لا تُطلِقوا عني حديداً ، ولا تغسلوا عني دماً ، فإني ألاقي معاوية غداً على الجادّة ، ثم قُدِّم فضربتْ عنقُه.

قال مخلد: قال هشام: كان محمد إذا سئل عن الشهيد يُغسَّل ، حدَّثهم حديثَ حُجْر.

قال محمد: فلقيَتْ عائشة أمّ المؤمنين معاوية ـ قال مخلد: أظنّه بمكة ـ فقالت: يا معاوية ، أين كان حِلمُك عن حُجْر! فقال لها: يا أمّ المؤمنين ! لم يحضرني رشيد!

قال ابن سيرين: فبلغنا أنه لما حضرتْه الوفاة جعل يُغرغِر بالصوت ويقول: يومي منك يا حُجْر يومٌ طويل![1] (٥ : ٢٥٦/ ٢٥٧).

---

(١) في إسناده مسلم الجرمي مجهول الحال إن لم يكن مجهول العين ، ومخلد بن الحسن البصري مقبول (أي: إذا توبع وإلا فلين الحديث) وكذلك أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ت ٥٣٧) وفي إسناده أحمد بن محمد بن الحجاج ، قال ابن عدي : كذبوه وأنكرت عليه أشياء وذكر الذهبي بعضاً من بواطيله في الميزان وقال ابن أبي حاتم: سمعت منه بمصر=

قال هشام: عن أبي مخنف، قال: حدّثني إسماعيل بن نُعَيم النّمَريّ، عن حسين بن عبد الله الهمْدانيّ، قال: كنت في شُرَط زياد، فقال زياد: لينطلِقْ بعضُكم إلى حُجْر فليدْعُه؛ قال: فقال لي أمير الشُّرْطة - وهو شدّاد بن الهيثم الهلاليّ: اذهب إليه فادْعه؛ قال: فأتيتُه، فقلت: أجِبِ الأميرَ؛ فقال أصحابه: لا يأتيه ولا كرامة! قال: فرجعت إليه فأخبرته، فأمر صاحبَ الشُّرْطة أن يبعث معي رجالاً، قال: فبعث نفراً؛ قال: فأتيناه فقلنا: أجب الأمير، قال: فسبّونا وشتَمونا، فرجعنا إليه فأخبرناه الخبر، قال: فوثب زياد بأشراف أهل الكوفة، فقال: يا أهل الكوفة! أتشجّون بيدٍ وتأسُون بأخرى! أبدانكم معي وأهواؤكم مع حُجْر! هذا الهَجهاجة الأحمق المذبوب أنتم معي وإخوانُكم وأبناؤكم وعشائركم مع حُجر! هذا والله من دَحْسكم وغِشّكم! والله لتظهرَنّ لي براءَتُكم أو لآتينّكم بقوم أقيم بهم أوَدكم وصَعَركم! فوَثَبوا إلى زياد، فقالوا: معاذ الله سبحانه أن يكون لنا فيما هاهنا رأي إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين، وكلّ ما ظننا أنّ فيه رضاك، وما يَستبين به طاعتَناوخلافنا لحُجر فمُرْنا به، قال: فليقم كلّ امرىء منكم إلى هذه الجماعة حول حُجر فليدْعُ كلّ رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كلّ مَن استطعتم أن تقيموه، ففعلوا ذلك، فأقاموا جُلّ من كان مع حُجْر بن عدّي، فلما رأى زياد أنّ جُلَّ مَن كان مع حُجْر أقيم عنه، قال لشدّاد بن الهيثم الهلاليّ - ويقال: هيثم بن شدّاد أمير شرطته -: انْطلِق إلى حُجْر، فإن تَبِعك فائْتني به، وإلا فمرْ مَن معك فلينتزعوا عُمُد السوق، ثم يشدّوا بها عليهم حتى يأتوني به ويضربوا من حال دونَه، فأتاه الهلاليّ فقال: أجب الأميرَ؛ قال: فقال أصحاب حُجْر: لا ولا نُعمةَ عين! لا نجيبه، فقال لأصحابه: شُدّوا على عُمُد السوق، فاشتدّوا إليها، فأقبلوا بها قد انتزعوها، فقال عمير بن يزيدَ الكنديّ من بني هند - وهو أبو العَمَرَّطة: إنه ليس معك رجل معه سيفٌ غيري، وما يغني عنك! قال: فما ترى؟ قال: قُمْ من هذا المكان

= ولم أحدث عنه لما تكلموا فيه (الجرح والتعديل ١/ ١/ت ١٠٣).

وتوهم عبد السلام علوش في تحقيقه للمستدرك إذ قال في الحاشية (٤/ ٥٩١/ح ٦٠٣٥): وأخرجه ابن عبد من وجه آخر. . . . فثبتت الواقعة.

قلنا: كيف تثبت ورواية ابن عبد البر هذه حالها وطريقها؟

فالحق بأهلِك يَمنَعْك قومُك ، فقام زياد ينظر إليهم وهو على المنبر ، فغشوا بالعُمُد ، فضرب رجل من الحمراء ـ يقال له: بكر بن عبيد ـ رأس عمرو بن الحَمِق بعمود فوقع ، وأتاه أبو سُفْيان بن عُوَيمر والعَجْلان بن ربيعة ـ وهما رجلان من الأزْد ـ فحَمَلاه؛ فأتَيَا به دار رَجل من الأزْد ـ يقال له: عبيد الله بن مالك ـ فخبّأه بها ، فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها.

ثم رجع إلى أوّل الحديث ، قال: فلما ضرب عمراً تلك الضربة وحمَلَه ذانك الرّجلان ، انحاز أصحابُ حُجْر إلى أبواب كِنْدة ، ويضرب رجلٌ من جُذام كان في الشُّرْطة رجلاً يقال له: عبدُ الله بن خليفة الطائيّ بعمود ، فضَرَبه ضربةً فصرعه ، فقال وهو يرتجز:

قــد علِمَــتْ يَــوْمَ الهِيــاج خُلَّتــي ... أنــي إذا مــا فِئِتــي تَــولّــتِ
وكَثُــرَتْ عُــداتُهــا أو قلّــتِ ... أنّــيَ قتّــالٌ غــداةَ بَلّــتِ

وضُربتْ يد عائذ بن حملة التميميّ ، وكُسرتْ نابه ، فقال:

إنْ تَكْسِـروا نـابـي وعَظْـمَ ساعِـدِي ... فــإِنَّ فــيَّ ســوْرَةَ المُنــاجِــدِ
وبعــضَ شَغْــبِ البَطَــلِ المُبــالِــدِ

وينتزع عموداً من بعض الشُّرْطة ، فقاتل به وحمَى حُجْراً وأصحابه؛ حتى خرجوا من تلقاء أبواب كِنْدة ، وبغلة حُجْر موقوفة ، فأتى بها أبو العمرطة إليه ، ثم قال: اركب لا أبَ لغيرك! فوالله ما أراك إلاّ قد قتلتَ نفسك ، وقتلتَنا معك؛ فوضع حُجْر رجلَه في الرِّكاب؛ فلم يستطع أن ينهض ، فحمله أبو العمرّطةَ على بغلته ، ووثب أبو العمرّطة على فرسه؛ فما هو إلا أن استوى عليه حتى انتهى إليه يزيد بن طريف المسْلِيّ ـ وكان يغْمِز ـ فضرب أبا العمّرطة بالعمود على فخذه ، ويخترط أبو العمرّطة سيفه ، فضرب به رأس يزيد بن طريف ، فخرّ لوجهه ، ثم إنه برأ بعدُ ، فله يقول عبد الله بن همّام السّلوليّ:

أَلُؤمَ ابْنَ لُـؤمٍ مـا عـدا بـك حـاسِراً ... إلــى بَطَــلٍ ذي جُــرْأَةٍ وشَكِيــمِ!
معــاود ضَـرْبِ الــدّارعيــن بسَيْفِـهِ ... علـى الهـام عنـد الـرَّوْع غيْـرَ لئيم
إلــى فــارِسِ الغــارَيْــنِ يــومَ تــلاقَيـا ... بصِفيــن قَــرْمٍ خَيْــرِ نَجــل قُــرُوم
حَسِبْـتَ ابـنَ بَـرصاءَ الحِتار قِتالَـهُ ... قِتــالَــك زَيْــداً يَــوْمَ دارِ حَكيــم

وكان ذلك السيف أوّل سيف ضُرب به في الكوفة في الاختلاف بين الناس ،

ومضى حُجْر وأبو العَمرّطة حتى انتهيا إلى دار حُجْر ، واجتمع إلى حُجْر ناس كثير من أصحابه ، وخرج قيس بن فهدان الكِنديّ على حمار له يسير في مجالس كِنْدة ، يقول:

يـا قَـوْمَ حُجْـرٍ دافِعُـوا وصـاوِلـوا وعَـنْ أخيكـمْ سـاعَـةً فقـاتِلـوا
لا يُلْفَيـا مِنكـمْ لحُجْـرٍ خـاذِلُ أَلَيْـسَ فيكُـمْ رامـحٌ ونـابـلُ
وفـارِسٌ مُسْتَلْئِـمٌ وراجـلٌ وضـارِبٌ بـالسَّيْـفِ لا يُـزايـلُ!

فلم يأته من كِنْدة كثير أحد ، وقال زياد وهو على المنبر: ليقم همْدان وتميم وهَوازن وأبناء أعصُر ومذحِج وأسد وغَطفان فليأتوا جبّانةَ كِنْدة ، فليَمْضوا مِنْ ثمّ إلى حُجْر فليأتوني به ، ثم إنه كره أن يسيّرَ طائفةً من مضرَ مع طائفة من أهل اليَمنِ فيقع بينهم شَغَب واختلاف ، وتفسُد ما بينهم الحميّة ، فقال: لتقُم تميم وهَوازن وأبناء أعصُر وأسَد وغَطَفان ولتمضِ مَذحِج وهَمْدان إلى جبّانة كِنْدة ، ثم لينهضوا إلى حُجْر فليأتوني به ، وليَسِر سائر أهلِ اليمن حتى ينزلوا جبانة الصائديّين ، فليمضوا إلى صاحبهم ، فليأتوني به ، فخرجَتِ الأزْدُ وبَجيلةُ وخثعم والأنصار وخُزاعة وقضاعة ، فنزلوا جبّانة الصائديّين ، ولم تخرج حضرموت مع أهل اليَمن لمكانهم من كِنْدة ، وذلك أنّ دعوة حضرموتَ مع كِنْدة ، فكرهوا الخروجَ في طلب حجر[1]. (٥: ٢٥٧/٢٥٨ ، تكملة ٢٥٨/٢٥٩/٢٦٠/٢٦١).

قال أبو مخنف: فحدّثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، قال: لما انصرفنا من غزوة باجُمَيرا قبل مَقتل مُصعب بعام ، فإذا أنا بأحمريّ يسايرني ـ ووالله ما رأيتُه من ذلك اليوم الذي ضرب فيه عمرو بن الحَمِق ، وما كنت أرى لو رأيتُه أن أعرفَه ـ فلما رأيته ظننتُ أنه هو هو؛ وذاك حين نظرْنا إلى أبيات الكوفة ، فكرهتُ أن أسألَه: أنت الضارب عمرو بن الحَمِق؟ فيُكابرني ، فقلت له: ما رأيتُك من اليوم الذي ضربتَ فيه رأسَ عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد إلى يومي هذا ، ولقد عرفتُك الآن حين رأيتُك؛ فقال لي: لا تَعْدم بصرَك ، ما أثبتَ نظرَك! كان ذلك أمرُ الشيطان ، أما إنه قد بلغني أنه كان امرأ صالحاً ، ولقد ندمتُ على تلك الضربة ، فأستغفر الله ، فقلت له: ألا ترى والله

---

(١) إسناده تالف.

لا أفترق أنا وأنت حتى أضربَك على رأسك مِثلَ الضّربة التي ضربتَها عمرو بن الحمق أو أموت أو تموت! فناشدَني الله وسألني الله ، فأبَيْتُ عليه ، ودعوتُ غلاماً لي يُدعَى رشيداً من سَبْي أصبهان معه قَناة له صلْبة ، فأخذتُها منه ، ثم أحمل عليه بها ، فنزل عن دابّته ، وألحقه حين استوت قَدَماه بالأرض ، فأصفع بها هامَتَه ، فخرّ لوجهه ، ومضيتُ وتركته ، فبَرأ بعدُ؛ فلقيتُه مرّتين من الدهر ، كلّ ذلك يقول: الله بيني وبينك! وأقول: الله عزّ وجلّ بينك وبين عمرو بن الحَمِق[1]! (٥ : ٢٥٨/ ٢٥٩).

قال أبو مخنف: حدّثني يحيى بن سعيد بن مخنف عن محمد بن مخنف ، قال: إني لمع أهل اليَمَن في جبّانة الصائديّين؛ إذ اجتمع رؤوس أهلِ اليَمَن يتشاورون في أمر حُجْر ، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخنف: أنا مشير عليكم برأيٍ إذا قبلتموه رجوتُ أن تسلموا منِ اللائمة والإثم ، أرى لكم أن تَلبثوا قليلاً فإنّ سُرْعان شباب هَمْدان ومذحِج يُكفونكم ما تكرهون أن تلُوا من مساءة قومكم في صاحبكم قال: فأجمع رأيهم على ذلك ، قال: فوالله ما كان إلا كلا ولا حتى أتِينا ، فقيل لنا: إن مذحِج وهَمْدانَ قد دخلوا فأخَذوا كلّ من وجدوا من بني جَبَلَة قال: فمرّ أهلِ اليمن في نواحي دور كِندة معذِّرة ، فبلغ ذلك زياداً ، فأثنى على مذحِج وهَمْدانَ وذمّ سائرَ أهلِ اليمن ، وإنّ حُجراً لما انتهى إلى داره فنظر إلى قلّة مَنْ معه من قومه ، وبلغه أنّ مذحِج وَهَمْدان نزلوا جبّانة كندة وسائر أهل اليمن جبّانة الصائديّين قال لأصحابه: اِنصرفوا فوالله مالكم طاقةٌ بمن قد اجتمع عليكم من قومكم ، وما أحبّ أن أعرّضكم للهلاك؛ فذهبوا لينصرفوا ، فلحقتْهم أوائلُ خيل مذحِج وهَمْدان ، فعطف عليهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بن عمرو البدِيّ وعبد الرحمن بن مُحرِز الطّمحيّ ، وقيس بن شمر ، فتقاتلوا معهم ، فقاتلوا عنه ساعة فجرِحوا ، وأسِر قيس بن يزيد ، وأفلت سائر القوم ، فقال لهم حجر: لا أبَالكم! تفرّقوا لا تقاتلوا فإني آخُذُ في بعض السِّكك ، ثم آخذ طريقاً نحوَ بني حرب ، فسار حتى انتهى إلى دارِ رجل منهم يقال له: سليم بن يزيد ، فدخل دارَه ، وجاء القومُ في طلبه حتى انتهوا إلى تلك الدار ، فأخذ سليم بن يزيد سيفه ، ثم ذهب ليخرج إليهم ، فبكتْ بناتُه؛ فقال له حُجْر:

---

(١) إسناده تالف.

ما تريد؟ قال: أريد والله أسألهم أن ينصرفوا عنك ، فإن فعلوا وإلا ضاربتُهم بسيفي هذا ما ثبتَ قائمُه في يدي دونك؛ فقال حُجر: لا أبا لغيرك! بئس ما دخلتَ به إذاً على بناتك! قال: إنّي والله ما أمُونُهنّ ، ولا رزقُهنّ إلا على الحيّ الذي لا يموت؛ ولا أشتري العارَ بشيء أبداً ، ولا تخرج من داري أسيراً أبداً وأنا حيّ أملك قائمَ سيفي ، فإنْ قتِلتُ دونك فاصنع ما بدا لك. قال حُجر: أما في دارك هذه حائط أقتحمه ، أو خَوْخة أخرج منها ، عسى أن يسلمني الله عزّ وجلّ منهم ويسلّمك، فإذا القوم لم يقَدِروا عليّ عندك لم يضروك! قال: بلى هذه خَوْخة تخرجك إلى دور بني العنبر وإلى غيرهم من قومك ، فخرج حتى مرّ ببني ذُهْل ، فقالوا له: مَرَّ القومُ آنفاً في طلبك يقْفون أثرَك. فقال: منهم أهرُب؛ قال: فخرج ومعه فِتْية منهم يتقصّوْن به الطريق ، ويسلُكون به الأزقّة حتى أفضى إلى النَّخَع ، فقال لهم عند ذلك: انصرِفوا رحمكم الله! فانصرَفوا عنه ، وأقبل إلى دار عبد الله بن الحارث أخي الأشتر فدخلها ، فإنّه لكذلك قد ألقى له الفرُشَ عبدُ الله ، وبسط له البُسُط ، وتلقّاه ببَسْط الوجه ، وحُسن البِشْر ، إذ أتي فقيل له: إنّ الشُّرَط تسأل عنك: في النَّخَع ـ وذلك أنّ أمةً سوداء يقال لها: أدماء ، لقيتْهم ، فقالت: مَنْ تطلبون قالوا: نطلب حُجْراً؛ قالت: ها هو ذا قد رأيتُه في النَّخَع ، فانصرَفوا نحو النَّخَع ـ فخرج من عند عبد الله متنكِّراً ، ورَكِب معه عبدُ الله بنُ الحارث ليلاً حتى أتى دارَ ربيعة بن ناجد الأزديّ في الأزْد ، فنزلها يوماً وليلة ، فلما أعجَزَهم أن يقدروا عليه دعا زياد بمحمد بن الأشعث فقال له: يا أبا مَيْثاء ، أما والله لتأتينّي بحُجْر أو لا أدَع لك نخلةً إلا قطعتُها ، ولا داراً إلا هدمتها ثم لا تسلَم مني حتى أقطِّعَك إرْباً إرْباً؛ قال: أمهِلني حتى أطلبه؛ قال: قد أمهلتك ثلاثاً ، فإن جئتَ به وإلا عُدّ نفسك مع الهَلْكَى. وأخرِج محمداً نحو السجن منتقع اللون يُتلّ تلاً عنيفاً ، فقال حُجر بن يزيد الكنديّ لزياد: ضَمنّيه وخلّ سبيلَه يطلب صاحبه ؛ فإنه مخلّى سَرْبُه أحْرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً ، فقال: أتضمنه؟ قال: نعم؛ قال: أما والله لئن حاصَ عنك لأزيرنّك شَعوب ، وإن كنت الآن عليّ كريماً ، قال: إنه لا يفعل فخلّى سبيله.

ثمّ إن حُجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد ، وقد أُتِيَ به أسيراً ، فقال لهم: ما على قيس بأس، قد عرفْنا رأيَه في عثمان، وبلاءَه يومَ صِفّين مع أمير المؤمنين،

ثم أرسل إليه فأُتِيَ به ، فقال له : إني قد علمتُ أنك لم تقاتل مع حُجْر : أنك ترى رأيَه ، ولكن قاتلتَ معه حميّة قد غفرتُها لك لما أعلَم من حُسن رأيك ، وحُسن بلائك؛ ولكن لن أدعَك حتى تأتيَني بأخيك عمير؛ قال : أجيئك به إن شاء الله؛ قال : فهات من يضْمَنُه لي معك ، قال : هذا حُجر بن يزيد يضْمنه لك معي؛ قال : حُجْر بن يزيد : نعم أضمنه لك ، على أن تؤمّنه على ماله ودمِه ، قال : ذلك لك ، فانطلَقا ، فأتيا به وهو جريح ، فأمَرَ به فأوقِر حديداً ، ثم أخذتْه الرجال ترفعه ، حتى إذا بلغ سُرَرَها ألقَوْه ، فوقع على الأرض ، ثم رفعوه وألقوه ، ففعلوا به ذلك مِراراً ، فقام إليه حُجر بن يزيدَ فقال : ألم تؤمّنه على ماله ودمِه أصلحك الله! قال : بلى ، قد آمنته علِى ماله ودمه ، ولست أهريق له دماً ، ولا آخذ له مالاً ، قال : أصلحك الله! يُشفى به على الموت ، ودنا منه وقامَ من كان عنده من أهل اليمن ، فدنَوا منه وكلَّموه ، فقال : أتضمنونه لي بنفسه ، فمتى ما أحدث حدثاً أتيتموني به؟ قالوا : نعم؛ قال : وتضمنون لي أرْش ضربة المسلّى ، قالوا : ونضمنها؛ فخلّى سبيلَه .

ومكث حُجر بن عديّ في منزل ربيعة بن ناجد الأزديّ يوماً وليلة ، ثم بعث حُجر إلى محمد بن الأشعث غلاماً له يدعى رشيداً من أهل إصبهان : إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبّار العنيد ، فلا يهولنّك شيء من أمره ، فإنّي خارج إليك ، أجمع نفراً من قومك ثم أدخل عليه فأسأله أن يُؤَمِّنني حتى يبعث بي إلى معاوية فيرى فيّ رأيه .

فخرج ابن الأشعث إلى حُجْر بن يزيد وإلى جرير بن عبد الله وإلى عبد الله بن الحارث أخي الأشتر ، فأتاهم فدخلوا إلى زياد فكلّموه وطلبوا إليه أن يؤمّنه حتى يبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه ، ففعل ، فبعثوا إليه رسوله ذلك يعلمونه أنه قد أخذْنا الذي تسأل ، وأمروه أن يأتي؛ فأقبل حتى دخل على زياد فقال زياد : مرحباً بك أبا عبد الرحمن! حرب في أيام الحرب ، وحربٌ وقد سالم الناس! على أهلها تَجنِي بَراقِش ، قال : ما خالعت طاعة ، ولا فارقت جماعة ، وإني لَعلى بيعتي؛ فقال : هيهات هيهات يا حُجر! تَشُجّ بيد وتأسو بأخرى ، وتريد إذا أمكَن الله منك أن نرضى! كلاّ والله ! .

قال : ألم تؤمّنّي حتى آتيَ معاوية فيرى فيّ رأيه! قال : بلى قد فعلْنا ، انطلقوا

به إلى السجن ، فلما قُفّيَ به من عنده قال زياد: أما والله لولا أمانُه ما برح أو يلفظ مهجة نفسه[١] . (٥ : ٢٦١/ ٢٦٢/ ٢٦٣/ ٢٦٤).

قال هشام بن عروة: حدّثني عوانة ، قال: قال زياد: والله لأحرِصنّ على قطع خيط رقبته[٢] . (٥ : ٢٦٤)

قال هشام بن محمد: عن أبي مخنف ، وحدثني المجالد بن سعيد عن الشعبيّ ، وزكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق: أنّ حُجراً لما قُفِّيَ به من عند زياد نادَى بأعلى صوْتِهِ: اللهمّ إنّي على بيْعتي ، لا أقِيلُها ولا أستقيلُها ، سماعَ اللهِ والناس ، وكان عليه بُرنُس في غداة باردة ، فحبس عشرَ ليال ، وزيادٌ ليس له عمل إلا طلب رؤساء أصحاب حُجر ، فخرج عمرو بن الحَمَق ، ورفاعة بن شدّاد؛ حتى نزلا المدائن ، ثم ارتَحلا حتى أتيا أرض الموصل ، فأتيا جبلاً فَكمَنا فيه ، وبلغ عاملَ ذلك الرّستاق: أنّ رجلين قد كمَنا في جانب الجبل ، فاستنكر شأنهما ـ وهو رجل من هَمْدان يقال له: عبد الله بن أبي بَلْتعة ـ فسار إليهما في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد ، فلما انتهى إليهما خرجا ، فأما عمرو بن الحَمِق فكان مريضاً ، وكان بطنُه قد سُقِيَ فلم يكن عنده امتناع؛ وأما رفاع بن شدّاد ـ وكان شاباً قوياً ـ فوثب على فرس له جواد ، فقال له: أقاتل عنك؟ قال: وما ينفعني أن تقاتل! انجُ بنفسك إن استطعتَ ، فحمل عليهم ، فأفرجوا له ، فخرج تنفِر به فرسُه ، وخرجت الخيلُ في طلبه ـ وكان رامياً ـ فأخذ لا يلحقه فارسٌ إلا رماه فجرحه أو عَقَره ، فانصرفوا عنه ، وأخذ عمرو بن الحَمِق ، فسألوه: مَن أنت؟ فقال: مَن إن تركتموه كان أسَلَم لكم ، وإن قتلتموه كان أضرّ لكم؛ فسألوه: فأبَى أن يخبرهم ، فبعث به ابن أبي بَلْتعة إلى عامل الموصل ـ وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفيّ ـ فلما رأى عمَرو بن الحَمِق عَرفّه ، وكتب إلى معاوية بخبره، فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمانَ بن عفان تسع طَعَنات بمَشاقصَ كانت معه ، وإنا لا نريد أن نعتديَ عليه ، فأطعنه تسعَ

(١) إسناده تالف.
(٢) إسناده تالف.

طَعَنات كما طعن عثمان ، فأُخرِج ، فطُعِن تسعَ طَعَنات ، فمات في الأولى منهنّ أو الثانية[1]. (٥ : ٢٦٤/ ٢٦٥).

قال أبو مخنف: وحدّثني المجالد عن الشعبيّ وزكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق ، قال: وجّه زياد في طلب أصحاب حُجر ، فأخذوا يَهرُبون منه ، ويأخذ من قَدَر عليه منهم ، فبعث إلى قَبيصة بن ضُبيعة بن حرْملة العبسيّ صاحب الشُّرْطة ـ وهو شدّاد بن الهيثم ـ فدعا قَبيصة في قومه ، وأخذ سيفه ، فأتاه ربعيّ بن خراش بن جَحْش العبسيّ ورجال من قومه ليسوا بالكثير ، فأراد أن يقاتل ، فقال له صاحب الشُّرْطة: أنت آمن على دمك ومالك ، فلِمَ تقتل نفسك؟ فقال له أصحابُه: قد أومِنتَ ، فعَلام تقتل نفسَك وتقتلنا معك ؟! قال: ويحكم! إنّ هذا الدَّعيَّ ابن العاهرة ، واللهِ لئن وقعتُ في يده لا أفلت منه أبداً أو يقتلني؛ قالوا: كلا ! فوضع يدَه في أيديهم ، فأقبَلوا به إلى زياد ، فلما دخلوا عليه قال زياد: وحيّ عَبْسٍ تُعِزّوني على الدّين ، أما والله لأجعلنّ لك شاغلاً عن تلقيح الفِتَنِ ، والتوثُّب على الأمراء ! قال: إني لم آتك إلا على الأمان؛ قال: انطلقوا به إلى السجن ، وجاء قيس بن عباد الشيبانيّ إلى زياد، فقال له: إنّ امرأً منّا من بني همام يقال له: ضيفيّ بن فَسيل من رؤوس أصحاب حُجْر ، وهو أشدّ الناس عليك ، فبعث إليه زياد ، فأُتِيَ به ، فقال له زياد: يا عدوّ الله ! ما تقول في أبي تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب؛ قال: ما أعرَفَك به! قال: ما أعرفه ! قال: أما تعرف عليّ بن أبي طالب؟ قال: بلى ، قال: فذاك أبو تراب ، قال: كلا ، ذاك أبو الحسن والحسين ، فقال له صاحب الشُّرْطة: يقول لك الأمير: هو أبو تُراب ، وتقول أنتَ: لا! قال: وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب وأشهدَ له على باطل كما شهد! قال له زياد: وهذا أيضاً مع ذنبك! عليَّ بالعصا ، فأُتِي بها ، فقال: ما قولك [في عليّ؟] ، قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله [أقوله في] المؤمنين ، قال: اضرِبوا عاتِقه بالعصا حتى يلصق بالأرض ، فضرب حتى لزِمَ الأرض ، ثمّ قال: أقلِعوا عنه ، إيهِ ، ما قولُك في عليّ؟ قال: والله لو شرَّحْتَني بالموَاسي والمُدَى ما قلتُ إلا ما سمعتَ منّي؛ قال لتلعَنّه أو لأضربنّ عنقكَ؛ قال: إذاً تضربها والله قبل ذلك ، فإن أبيتَ إلا أن تضربَها رضيتُ بالله ،

---

(١) إسناده تالف.

وشقيتَ أنت؛ قال: ادفعوا في رقبته، ثم قال: أوقِروه حديداً، وألقُوه في السجن.

ثم بعث إلى عبد الله بن خليفة الطائيّ ـ وكان شهد مع حُجْر وقاتَلهم قتالاً شديداً ـ فبعث إليه زيادٌ بُكَيرَ بن حُمران الأحمريّ ـ وكان تبيعَ العمّال ـ فبعثه في أناس من أصحابه، فأقبلوا في طلبه فوجدوه في مسجد عديّ بن حاتم، فأخرجوه، فلما أراد أن يذهبوا به ـ وكان عزيز النفس ـ امتنَع منهم فحارَبَهم وقاتلهم، فشجّوه ورَمَوه بالحجارة حتى سقط، فنادتْ ميثاء أخته: يا معشرَ طيّىء أتسلمون ابنَ خليفة لسانَكم وسِنانَكم!

فلما سمع الأحمريّ نداءها خشيَ أن تجتمع طيّىء فيهلك، فهرب وخرج نسوةٌ من طيّىء فأدخلنَه داراً، وينطلق الأحمريّ حتى أتى زياداً، فقال: إنّ طيّئاً اجتمعتْ إليّ فلم أطِقهم، فأتيتك، فبعث زيادٌ إلى عديّ ـ وكان في المسجد ـ فحبسه وقال: جئني به ـ وقد أخبر عديّ بخبر عبد الله ـ فقال عديّ: كيف آتيك برجل قد قتلَه القوم: قال: جئْني حتى أرى أن قد قتلوه، فاعتلّ له، وقال: لا أدري أين هو، ولا ما فعل! فحبسه، فلم يبق رجلٌ من أهل المِصْر من أهل اليَمَن وربيعة ومضرَ إلا فزع لعديّ، فأتَوا زياداً فكلّموه فيه، وأخرج عبد الله فتغيّب في بُحْتر، فأرسل إلى عديّ: إن شئتَ أن أخرجَ حتى أضع يَدِي في يدِك فعلتُ؛ فبعث إليه عديّ: والله لو كنت تحتَ قدميَّ ما رفعتُهما عنك، فدعا زياد عديّاً، فقال له: إني أخلّي سبيلَك على أن تجعل لي لِتنفِيَه من الكوفة، ولتسيرَ به إلى الجبلين؛ قال: نعم، فرجع وأرسل إلى عبد الله بن خليفة: اخْرج، فلو قد سكن غضبه لكلّمته فيك حتى ترجع إن شاء الله؛ فخرج إلى الجبلين.

وأتِيَ زياد بكريم بن عَفيف الخثعميّ فقال: ما اسمك؟ قال: أنا كريم بن عفيف؛ قال: ويحْك، أو وَيلك! ما أحسن اسمَك واسمَ أبيك، وأسوأ عَمَلك ورأيَك! قال: أما والله إنّ عهدك برأيي لمنذ قريب، ثم بعث زيادٌ إلى أصحاب حُجْر حتى جمع اثني عشر رجلاً في السجن، ثم إنه دعا رؤوسَ الأرباع، فقال: اشهَدوا على حُجْر بما رأيتم منه ـ وكان رؤوس الأرباع يومئذ: عمرو بن حُرَيث على رُبْع أهل المدينة، وخالد بن عُرْفطة على رُبع تميم وهَمْدان، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على رُبع ربيعة وكِنْدة، وأبو بُرْدة بن أبي موسى

على مَذْحِج وأسد ـ فشهِد هؤلاء الأربعةُ أنَّ حُجْراً جمع إليه الجموع ، وأظهر شتمَ الخليفة ، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين ، وزعم أن هذا الأمر لا يَصلح إلا في آل أبي طالب ، ووثب بالمصْر وخرج عاملَ أمير المؤمنين ، وأظهر عذرَ أبي تراب والترحُّم عليه ، والبراءة من عدوّه وأهل حربه ، وأنّ هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه ، وعلى مثِل رأيه وأمره ، ثم أمر بهم ليخرجوا ، فأتاه قيس بن الوليد فقال: إنه قد بلغني أنّ هؤلاء إذا خُرِج بهم عَرَض لهم ، فبعث زياد إلى الكُناسة فابتاع إبلاً صِعاباً ، فشدّ عليها المَحامِل ، ثم حملهم عليها في الرّحَبة أوّل النهار ، حتى إذا كان العشاء قال زياد: مَن شاء فليعرِض ، فلم يتحرّك من الناس أحد ، ونظر زياد في شهادة الشهود فقال: ما أظنّ هذه الشهادة قاطعة ، وإني لأحب أن يكون الشهود أكثرَ من أربعة[1] . (٥ : ٢٦٦/ ٢٦٧/ ٢٦٨).

قال أبو مخنف: فحدّثني الحارث بن حُصَيرة عن أبي الكَنُود ـ وهو عبد الرحمن بن عبيد ـ وأبو مخنف عن عبد الرحمن بن جندب وسليمان بن أبي راشد عن أبي الكنود بأسماء هؤلاء الشهود:

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، هذا ما شَهِد عليه أبو بُرْدة بن أبي موسى لله ربّ العالمين؛ شهد: أنّ حُجْر بن عديّ خلعَ الطاعة ، وفارقَ الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموعَ يدعوهم إلى نَكْث البيعة وخَلْعِ أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله عزّ وجلّ كَفْرةً صَلْعاء.

فقال زياد: على مِثل هذه الشهادة فاشهدوا ، أما والله لأجْهَدنّ على قطع خيط عنق الخائن الأحمق ، فشَهِد رؤوس الأرباع [الثلاثة الآخرون] على مِثل شهادته ـ وكانوا أربعة ـ ثم إنّ زياداً دعا الناس فقال: اشهَدوا على مثل شهادة رؤوس الأرباع ، فقرأ عليهم الكتاب ، فقام أوّل الناس عناق بن شُرَحبيل بن أبي دَهم التيميّ تيم الله بن ثعلبة ، فقال: بيّنوا اسمي ، فقال زياد: ابدؤوا بأسامي قريش ، ثمّ اكتبوا اسمَ عناق في الشهود ، ومَنْ نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالنّصيحة والاستقامة.

فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله ، وموسى بن طلحة ، وإسماعيل بن

(١) إسناده تالف.

طلحة بن عبيد الله، والمنذر بن الزبير، وعُمارة بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط، وعبد الرحمن بن هنَّاد، وعمر بن سعد بن أبي وقّاص، وعامر بن مسعود بن أميّة بن خلف، ومحرِز بن جارية بن ربيعة بن عبد العزّى بن عبد شمس، وعبيد الله بن مسلم بن شعبة الحضرميّ، وعناق بن شُرحبيل بن أبي دَهْم، ووائل بن حُجْر الحضرميّ، وكثِير بن شهاب بن حصين الحارثيّ، وقَطن بن عبد الله بن حُصين، والسريّ بن وقّاص الحارثيّ ـ وكتب شهادتَه وهو غائب في عمله ـ والسائب بن الأقرع الثقفيّ، وشَبث بن رِبْعيّ، وعبد الله بن أبي عَقِيل الثقفيّ، ومصقَلة بن هبيرة الشيبانيّ، والقعقاع بن شور الذهليّ، وشدّاد بن المنذر بن الحارث بن وَعْلة الذّهليّ ـ وكان يدعى ابن بُزَيعة، فقال: ما لهذا أبٌ ينسب إليه! ألقوا هذا من الشهود، فقيل له: إنه أخو الحضَين، وهو ابن المنذر، قال: فانسبوه إلى أبيه، فنُسب إلى أبيه. فبلغتْ شدّاداً، فقال: وَيْلي على ابن الزانية! أوَليست أمُّه أعَرفَ من أبيه! واللهِ ما ينسب إلاّ إلى أمّه سمية، وحَجّار بن أبجر العجليّ فغضبتْ ربيعة على هؤلاء الشهود الذين شهدوا من ربيعة وقالوا لهم: شهدتهم على أوليائنا وحلفائنا! فقالوا: ما نحن إلا من الناس، وقد شهد عليهم ناس من قومهم كثير ـ وعمرو بن الحجاج الزّبيديّ ولبيد بن عُطارد التميميّ، ومحمد بن عُمَير بن عطاردٍ التّميميّ، وسُوَيد بن عبد الرحمن التميميّ من بني سعد، وأسماء بن خارجة الفزاريّ ـ كان يعتذر من أمره ـ وشمِر بن ذي الجَوْشن العامريّ، وشدّاد ومَرْوان ابنا الهيثم الهلاليّان، ومحفّز بن ثعلبة من عائذةِ قريش، والهيثم بن الأسود النخعيّ ـ وكان يعتذر إليهم ـ وعبد الرحمن بن قيس الأسديّ، والحارث وشداد ابنا الأزمع الهَمْدانيّان، ثم الوادِعيّان، وكُرَيب بن سلمة بن يزيد الجعفيّ، وعبد الرحمن بن أبي سَبْرة الجُعفيّ، وزحْر بن قيس الجُعفيّ، وقُدامة بن العَجْلان الأزْديّ وعَزرة بن عَزْرة الأحمسيّ ـ ودعا المختار بن أبي عُبيد وعُرْوة بن المغيرة بن شعبة ليشهَدوا عليه، فراغاً ـ وعمر بن قيس ذي اللحية وهانىء بن أبي حية الوادعيّان.

فشهد عليه سبعون رجلاً، فقال زياد: ألقُوهم إلا من قد عُرف بحسَب وصَلاح في دِينه، فألقُوا حتى صُيّرُوا إلى هذه العدّة، وألقيتْ شهادة عبد الله بن الحجّاج التغلبيّ وكتِبتْ شهادة هؤلاء الشهود في صحيفة، ثم دفعها إلى وائل بن حُجْر

الحضرميّ وكثير بن شهاب الحارثيّ ، وبعثهما عليهم ، وأمرهما أن يخرجا بهم ، وكتب في الشهود شُريح بن الحارث القاضي وشُريح بن هانىء الحارثيّ؛ فأما شريح فقال: سألني عنه ، فأخبرتُه: أنه كان صوّاماً قوّاماً ، وأما شريح بن هانىء الحارثيّ فكان يقول: ما شهدتُ ، ولقد بلغني أن قد كتبتْ شهادتي ، فأكذبته ولُمْتُه ، وجاء وائل بن حُجْر ، وكَثِير بن شهاب ، فأخرج القوم عشيّة ، وسار معهم صاحبُ الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة.

فلما انتهوا إلى جبّانة عَرْزَم نظر قَبِيصة بن ضُبَيعة العبسيّ إلى داره وهي في جبّانة عرْزم ، فإذا بناتُه مشرِفات ، فقال لوائل وكَثير: ائْذَنا لي فأوصِي أهلي ، فأذِنا له ، فلمّا دنا منهنّ وهنّ يبكين ، سكت عنهنّ ساعة ثم قال: اسكتْنَ؛ فسكَتْن ، فقال: اتَّقين الله عزّ وجلّ ، واصبْرن فإني أرجو من ربيّ في وجهي هذا إحدى الحُسْنَيَين: إمَّا الشهادة ، وهي السعادة؛ وإما الانصراف إليكنّ في عافية ، وإن الذي كان يرزِقكُنّ ويكفيني مُؤنتكُنّ هو الله تعالى ـ وهو حيّ لا يموت ـ ألاّ يضيّعَكُنّ وأن يحفظني فيكنّ ثم انصرف فمرّ بقومه ، فجعل القوم يدعون الله له بالعافية ، فقال: إنه لمِمّا يعدل عندي خطرَ ما أنا فيه هلاكُ قومي ، يقول: حيث لا ينصرونني ، وكان رجا أن يتخلّصوه[1] . (٥: ٢٦٨/ ٢٦٩/ ٢٧٠/ ٢٧١).

قال أبو مخنف: فحدّثني النضر بن صالح العبسيّ عن عبيد الله بن الحرّ الجعفي ، قال: والله إني لواقف عند باب السريّ بن أبي وقّاص حين مرّوا بحُجر وأصحابه ، قال: فقلتُ: ألا عشرة رَهْط أستنقِذ بهم هؤلاء! ألاَ خمسة! قال: فجعل يتلهّف ، قال: فلم يجبني أحدٌ من الناس ، قال: فمضَوا بهم حتى انتهوا بهم إلى الغَريّيْنِ ، فلَحِقهم شُريح بن هانىء معه كتاب ، فقال لكثير: بلّغ كتابي هذا إلى أمير المؤمنين ، قال: ما فيه؟ قال: لا تسألْني فيه حاجتي؛ فأبى كثير وقال: ما أحبّ أن آتيَ أميرَ المؤمنين بكتاب لا أدري ما فيه ، وعسى ألاّ يوافقه! فأتى به وائلَ بن حُجْر فقَبِله ، ثم مَضَوا بهم حتى انتهَوا بهم إلى مَرْج عَذْراء ، وبينها وبين دمشقَ اثنا عشر مِيلاً[2] . (٥: ٢٧١).

* * *

(١) إسناده تالف.

(٢) إسناده تالف.

تسمية الذين بعث بهم إلى معاوية

حُجر بن عديّ بن جَبَلة الكنديّ ، والأرقم بن عبد الله الكنديّ من بني الأرقم ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ ، وصيفيّ بن فسيل ، وقَبِيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسيّ ، وكريم بن عفيف الخثعميّ من بني عامر بن شهران ، ثم من قحافة ، وعاصم بن عوف البَجَليّ ، وورقاء بن سُمَيّ البَجليّ ، وكدام بن حيّان ، وعبد الرحمن بن حَسّان العَنَزِيّان من بني هُمَيم ، ومحرز بن شهاب التميميّ من بني مِنْقَر ، وعبد الله بن حَوِّية السعديّ من بني تميم؛ فمضَوا بهم حتى نزلوا مرْجَ عذراء ، فحُبسوا بها ، ثم إنّ زياداً أتبعهم برجلين آخَرَين مع عامر بن الأسْود العِجْليّ بعتبة بن الأخنس من بني سعد بن بكر بنِ هوازن ، وسعيد بن نمران الهمْدانيّ، ثم الناعطيّ، فتمّوا أربعة عشر رجلاً، فبعث معاوية إلى وائل بن حُجر ، وكَثير بن شهاب فأدخلهما ، وفضّ كتابهما ، فقرأه على أهل الشام ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله معاويةَ أمير المؤمنين من زياد بن أبي سُفْيان ، أمّا بعد: فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء ، فكاد له عدوّه ، وكفاه مؤنة من بَغَى عليه . إن طواغيتَ من هذه التُّرابيّة السبئيّة؛ رأسهم حُجْر بن عديّ خالَفوا أميرَ المؤمنين ، وفارَقوا جماعةَ المسلمين ، ونصبوا لنا الحرب ، فأظهرَنا الله عليهم ، وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيارَ أهل المِصر ، وأشرافهم ، وذوي السنّ والدين منهم ، فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا ، وقد بعثتُ بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبت شهادةَ صلحاء أهلِ المِصْر وخيارِهم في أسفل كتابي هذا .

فلما قرأ الكتابَ وشهادةَ الشهود عليهم ، قال: ماذا تَرَوْن في هؤلاء النّفر الذين شهد عليهم قومُهم بما تستمعون؟ فقال له يزيد بن أسد البَجَليّ: أرَى أن تفرّقهم في قُرَى الشام فيكفيكَهم طواغيتُها .

ودفَع وائل بن حُجر كتابَ شُريح بن هانىء إلى معاوية ، فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرّحمن الرحيم ، لعبد الله معاوية أميرِ المؤمنين من شُريح بن هانىء أما بعد: فإنه بلغني أنّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حُجْر بن عديّ ، وأن

شهادتي على حُجْر أنه ممن يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويديم الحجّ والعمرة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، حرام الدّم والمال ، فإن شئتَ فاقتله ، وإن شئت فدَعْه ! فقرأ كتابَه على وائل بن حُجْر وكَثِير ، فقال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسَه من شهادتكم.

فحبس القوم بمرْج عذراء ، وكتب معاوية إلى زياد: أما بعد ، فقد فهمتُ ما اقتصصتَ به من أمر حُجر وأصحابه ، وشهادة من قبَلك عليهم ، فنظرتُ في ذلك ، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم ، وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم والسلام.

فكتب إليه زيادٌ مع يزيد بن حُجيّة بن ربيعة التيميّ: أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت رأيَك في حُجْر وأصحابه ، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم ، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم ، فإن كانت لك حاجةٌ في هذا المِصْر فلا تَرُدنّ حجراً وأصحابه إليّ.

فأقبل يزيد بن حُجَيّة حتى مرّ بهم بعذراء ، فقال: يا هؤلاء أما والله ما أرى براءَتَكم ، ولقد جئتُ بكتاب فيه الذّبح ، فمرُوني بما أحببتم مما ترون: أنه لكم نافع أعمل به لكم وأنطِق به ، فقال حُجر: أبلغ معاوية أنّا على بيعتنا ، لا نستقيلها ولا نُقيلها ، وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأظِنّاء. فقدم يزيدُ بالكتاب إلى معاويةَ فقرأه ، وبلَّغه يزيد مقالةَ حُجْر؛ فقال معاوية: زياد أصدق عندنا من حُجْر؛ فقال عبد الرحمن بن أمّ الحكم الثقفيّ - ويقال: عثمان بن عمير الثقفيّ: جَذَاذُها جَذَاذُها ، فقال له معاوية: لا تَعَنَّ أبْراً ، فخرج أهل الشام ولا يدرون ما قال معاوية وعبد الرحمن ، فأتَوا النعمانَ بن بشير فقالوا له مقالة ابنِ أمّ الحكم ، فقال النّعمان: قتل القوم ، وأقبل عامر بن الأسوَد العجليّ وهو بعذراء يريد معاويةَ ليُعلِمه علمَ الرجلين اللّذَين بَعَث بهما زياد ، فلما ولّى ليمضي؛ قام إليه حُجر بن عديّ يَرْسُف في القيود ، فقال: يا عامر ! اسمع مني ، أبلِغْ معاويةَ أنّ دماءنا عليه حرام ، وأخبره أنا قد أومِنّا وصالَحناه ، فليتق الله ، ولينظر في أمرنا ، فقال له نحواً من هذه الكلام ، فأعاد عليه حُجْر مراراً ، فكان الآخر عرّض ، فقال قد فهمت لك - أكثرت ، فقال له حُجْر: إنّي ما سمعْت بعيب ، وعلى أيّةٍ تلوم! إنك والله تُحبَى وتُعْطَى ، وإن حُجراً يُقَدّمُ ويقتل ، فلا ألومك أن تستثقل كلامي ،

اذهب عنك، فكأنه استحيا، فقال: لا والله ما ذلك بي، ولأبلغنّ ولأجهَدنّ، وكأنه يزعم أنه قد فعل وأنّ الآخر أبى.

فدخل عامر على معاويةَ فأخبره بأمر الرّجلين، قال: وقام يزيد بن أسد البجَليّ، فقال: يا أمير المؤمنين! هب لي ابنَيْ عمِّي - وقد كان جرير بن عبد الله كتب فيهما: إنّ امرَأيْن من قومي من أهل الجماعة والرأي الحسن، سَعَى بهما ساعٍ ظَنِين إلى زياد، فبعث بهما في النّفر الكوفيّين الذين وجّه بهم زياد إلى أمير المؤمنين وهما ممن لا يُحدِث حدَثاً في الإسلام ولا بغياً على الخليفة، فلينفعهما ذلك عند أمير المؤمنين - فلما سألهما يزيدُ ذكرَ معاوية كتاب جرير، فقال: قد كتب إليّ ابنُ عمّك فيهما جرير محسناً عليهما الثناء، وهو أهلٌ أن يصدَّق قولُه، وتُقبل نصيحتُه، وقد سألتَني ابنَيْ عمك، فهُما لك، وطلب وائل بن حُجْر في الأرقم، فتركه له، وطلب أبو الأعور السُّلميّ في عُتْبة بن الأخنس، فوهبه له، وطلب حُمرة بن مالك الهمْدانيّ في سعيد بن نمران الهمْداني، فوهبه له، وكلّمه حبيب بن مسلمة في ابن حَويّة، فخلّى سبيله.

وقام مالك بن هُبيرة السَّكونيّ، فقال لمعاوية: يا أمير المؤمنين! دَعْ لي ابنَ عمِّي حُجْراً، فقال: إنّ ابن عمك حُجراً رأس القوم، وأخاف إنْ خلّيت سبيلَه أن يُفسد عليّ مِصْرِي، فيضطرنا غداً إلى أن نُشخِصك وأصحابك إليه بالعراق، فقال له: والله ما أنصفتَني يا معاوية! قاتلتُ معك ابن عمك فتلقّاني منهم يومٌ كيوم صِفّين، حتى ظفرتْ كفّك، وعلا كعبُك ولم تُخَف الدوائر، ثم سألتُك ابنَ عمي فسطوتَ وبسطت من القول بما لا أنتفع به؛ وتخوّفت فيما زعمت عاقبة الدوائر! ثم انصرف فجلس في بيته، فبعث معاويةُ هُدبةَ بنَ فيّاض القُضاعيّ من بني سَلامان بن سعد والحُصين بن عبد الله الكلابيّ وأبا شريفٍ البدّيّ، فأتَوْهم عند المساء، فقال الخثعميّ حين رأى الأعور مقبلاً: يُقتَل نصفنا وينجو نصفنا؛ فقال سعيد بن نمران: اللهمّ اجعلني ممّن ينجو وأنت عني راضٍ؛ فقال عبد الرحمن بن حسن العَنَزيّ: اللهمّ اجعلني ممّنْ يُكْرَمُ بهوانِهم وأنت عنّي راضٍ؛ فطالما عرّضتُ نفسي للقتل، فأبى اللهُ إلا ما أراه!.

فجاء رسول معاوية إليهم بتخلية ستّة وبقتل ثمانية، فقال لهم رسول معاوية: إنّا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعنَ له، فإن فعلتم تركناكم،

وإن أبيتم قتلناكم ، وإنّ أمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهلِ مصْركم عليكم ، غير أنه قد عفا عن ذلك ، فابرؤوا من هذا الرجل نُخَلِّ سبيلَكم ، قالوا: اللهمّ إنّا لسنا فاعلِي ذلك ، فأمر بقبورهم فحفرتْ ، وأدنيتْ أكفانُهم ، وقاموا الليلَ كلَّه يصلّون ، فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء ، لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة ، وأحسنتم الدعاء ، فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أوّل من جار في الحكم ، وعَمِل بغير الحقّ؛ فقال أصحاب معاوية: أميرُ المؤمنين كان أعلمَ بكم؛ ثم قاموا إليهم فقالوا: تبرؤون من هذا الرجل! قالوا: بل نتولاّه ونتبرّأ ممن تبرّأ منه؛ فأخذ كلّ رجل منهم رجلاً ليقتلَه ، ووقع قَبِيصة بن ضبيعة في يديْ أبي شريف البدّي ، فقال له قَبِيصة: إنّ الشّر بين قَومي وقومك أمِنٌ ، فليقتلْني سواك؛ فقال له: برّتك رَحِم! فأخذ الحضرميّ فقتله ، وقتل القضاعيّ قَبِيصة بن ضُبَيعة.

قال: ثم إنّ حُجراً قال لهم: دعوني أتوضّأ ، قالوا له: توضّأ ، فلما أن توضّأ قال لهم: دعوني أصلّ ركعتين فأيْمُنُ الله ما توضّأت قطّ إلا صلّيت ركعتين؛ قالوا: لتُصلّ ، فصلَّى ، ثم انصرف فقال: والله ما صليت صلاةً قطّ أقصرَ منها ، ولولا أن تروْا أن ما بي جَزِع من الموت لأحببتُ أن أستكثرَ منها ، ثم قال: اللهمّ إن نستعديك على أمّتنا ، فإنّ أهل الكوفة شهدوا علينا ، وإن أهل الشام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتموني بها إني لأوّل فارس من المسلمين هَلَك في واديها ، وأوّل رجل من المسلمين نبحَتْه كلابها ، فمشى إليه الأعور هُدْبة بن فيّاض بالسيف ، فأرعِدت خَصائله ، فقال: كلاّ ، زعمتَ أنك لا تجزع من الموت؛ فأنا أدعك فابرأ من صاحبك ، فقال: مالي لا أجزعُ وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيفاً مشهوراً؛ وإني والله إنْ جزعتُ من القتل لا أقول ما يُسخط الرّب ، فقَتَله؛ وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قَتلوا ستة ، فقال عبد الرحمن بن حسّان العَنَزي وكريم بن عَفيف الخثعميّ: ابعثَوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول في هذا الرّجل مِثلَ مقالته؛ فبعثوا إلى معاوية يخبرونه بمقالتهما ، فبعث إليهم أن ائتوني بهما.

فلما دخلا عليه قال الخثعميّ: اللهَ اللهَ يا معاوية ! فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ثم مسؤول عمّا أردت بقتلنا ، وفيمَ سفكت

دماءَنا؛ فقال معاوية: ما تقول في عليّ؟ قال: أقول فيه قولك، قال: أتبرأ من دين عليّ الذي كان يَدِينُ اللهَ به؟ فسكَت، وكَرِه معاوية أن يجيبَه.

وقام شَمِر بن عبد الله من بني قحافة، فقال: يا أميرَ المؤمنين! هب لي ابن عمّي؛ قال: هو لك، غير أني حابسُه شَهْراً، فكان يرسل إليه بين كلّ يومين فيكلمه، وقال له: إني لأنفس بك على العراق أن يكون فيهم مثلك.

ثمّ إنّ شَمِراً عاوده فيه الكلام، فقال: نُمِرُّك على هبة ابن عمك، فدعاه فخلّى سبيله على ألا يدخل إلى الكوفة ما كان له سلطان، فقال: تخيّر أيّ بلاد العرب أحبّ إليك أن أسيّرك إليها، فاختار المَوْصلَ فكان يقول: لو قد مات معاوية قدمتُ المِصْر، فمات قبل معاوية بشهر.

ثم أقبل عبد الرحمن العَنَزيّ فقال: إيه يا أخا ربيعة! ما قولك في عليّ؟ قال: دَعْني ولا تسألْني فإنه خيرٌ لك؛ قال: والله لا أدَعك حتى تخبرَني عنه؛ قال: أشهد أنه كان من الذّاكرين اللهَ كثيراً، ومن الآمرين بالحقّ والقائمين بالقِسط، والعافينِ عن الناس؛ قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أوّل مَن فتح باب الظلم، وأرْتجَ أبواب الحقّ؛ قال: قتلتَ نفسَك؛ قال: بل إيّاك قتلتُ؛ ولا ربيعة بالوادي ـ يقول حين كلّم شَمِر الخعثميّ في كريم بن عَفيف الخثعميّ، ولم يكنِ له أحدٌ من قومه يكلّمه فيه ـ فبعث به معاوية إلى زياد، وكتب إليه: أما بعد، فإنّ هذا العَنَزيّ شرّ مَن بَعثْت فعاقبْه عقُوبته التي هو أهلها، واقتلْه شرّ قِتلة.

فلما قُدِم به على زياد بعث به زياد إلى قُسّ الناطف، فدُفِن به حيّاً.

قال: ولما حُمِل العَنَزيّ والخثعميّ إلى معاوية قال العَنزي لحُجْر: يا حُجْر! لا يبعدَنْك الله، فنِعم أخو الإسلام كنتَ! وقال الخثعميّ: لا تَبْعَدْ ولا تُفْقَد، فقد كنتَ تأمر بالمعروف وتَنهى عن المنكر، ثم ذهب بهما وأتبعَهُما بصرَه، وقال: كَفَى بالموت قطّاعاً لحبل القرائن! فذهب بعُتبة بن الأخنس وسعيد بن نَمِران بعد حُجْر بأيام، فخلّى سبيلهما.

* * *

تسمية من قتل من أصحاب حُجْر رحمه الله:

حُجْر بن عديّ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ، وصَيْفيّ بن فسيل الشيبانيّ،

وقَبيصة بن ضبيعة العبسيّ ، ومُحرِز بن شهاب السعديّ ثم المِنْقَريّ ، وكدام بن حيّان العَنَزيّ ، وعبد الرحمن بن حسّان العَنَزيّ ، فبعث به إلى زياد فدُفن حيّاً بقسّ الناطف ، فهم سبعة قُتلوا وكفنوا وصُلى عليهم.

قال: فزعموا أن الحسن لما بلغه قتل حُجْر وأصحابه ، قال: صلُّوا عليهم ، وكفّنوهم ، واستقبلوا بهم القبلة ؟ قالوا: نعم؛ قال: حجّوهم وربِّ الكعبة!

* * *

تسمية من نجا منهم:

كريم بن عفيف الخثعميّ ، وعبد الله بن حويّة التميميّ ، وعاصم بن عوف البَجَليّ ، وورقاء بن سُميّ البَجَليّ ، والأرقم بن عبد الله الكِنْديّ ، وعتبة بن الأخنس ، من بني سعيد بن بكر ، وسعيد بن نمران الهمدانيّ فهم سبعة.

* * *

وقال مالك بن هُبيرة السَّكوني حين أَبَى معاوية أن يهبَ له حُجْراً وقد اجتمع إليه قومُه من كِندَة والسَّكون وناس من اليَمَن كثير ، فقال: والله لنحن أغنَى عن معاوية من معاوية عنّا، وإنّا لنجِد في قومه منه بدلاً، ولا يجد منّا في الناسِ خلَفاً، سيروا إلى هذا الرجل فلنُخلّه من أيديهم؛ فأقبَلوا يسيرون ولم يشكّوا أنهم بَعذْراء؛ لم يُقتلوا ، فاستقبلَتْهم قتَلَتُهم قد خرجوا منها ، فلما رأوْه في الناس ظنّوا أنما جاء بهم ليخلّص حُجْراً من أيديهم، فقال لهم: ما وراءكم؟ قال: تاب القوم، وجئنا لنخبر معاوية ، فسكت عنهم ، ومضى نحو عذراء، فاستقبله بعضُ من جاء منها فأخبره أنّ القوم قد قُتلوا، فقال: عليّ بالقوم! وتبعتْهم الخيلُ وسبَقُوهم حتى دخلوا على معاوية فأخبروه خبرَ ما أتى له مالكَ بن هبيرة ومن معه من الناس ، فقال لهم معاوية: اسكنُوا ، فإنما هي حرارةٌ يجدها في نفسه، وكأنها قد طفئتْ ، ورجع مالك حتى نزل في منزله ، ولم يأتِ معاوية ، فأرسل إليه معاوية فأبَى أن يأتيه ، فلما كان الليل بعث إليه بمئة ألف درهم ، وقال له: إنّ أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفِّعك في ابن عمّك إلا شَفقة عليك وعلى أصحابك أن يُعيدوا لكم حَرْباً أخرى، وإن حُجْر بن عديّ لو قد بقي خشيت أن يكلِّفك وأصحابك الشخوص إليه ، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قَتْل

حُجْر. فقَبِلها ، وطابت نفسهُ ، وأقبل إليه من غده في جموعِ قومه حتى دخل عليه ورضيَ عنه[١] . (٥ : ٢٧١/ ٢٧٢/ ٢٧٣/ ٢٧٤/ ٢٧٥/ ٢٧٦/ ٢٧٧/ ٢٧٨) .

قال أبو مخنف : وحدّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق : أنّ عائشةَ رضي الله عنها بعثتْ عبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حُجر وأصحابه ، فقدِم عليه وقد قتلَهم فقال له عبد الرحمن : أين غاب عنك حلمُ أبي سُفيان؟ قال : غاب عني حين غاب عني مِثلُك من حُلَماء قومي ، وحَمّلني ابن سُميّة فاحتملت[٢] . (٥ : ٢٧٨/ ٢٧٩) .

قال أبو مخنف : قال عبد الملك بن نوفل : كانت عائشة تقول : لولا أنا لم نغيِّر شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشدّ مما كنا فيه لغيَّرنا قتل حُجْر ، أما والله إن كان ما علمتُ لمَسلماً حَجّاجاً معتمِراً[٣] . (٥ : ٢٧٩) .

قال أبو مخنف : وحدّثني عبدِ الملك بن نوفل عن سعيد المقبريّ : أنّ معاوية حين حجّ مرّ على عائشة ـ رضوانُ الله عليهما ـ فاستأذن عليها ، فأذِنتْ له ، فلما قعد قالت له : يا معاوية ، أأمِنْتَ أن أخبئَ لك من يقتلك؟ قال : بيتَ الأمن دخلت ، قالت : يا معاوية : أما خشيتَ الله في قَتْل حُجْر وأصحابه؟! قال : لستُ أنا قتلتُهم ، إنما قتَلَهم من شهد عليهم[٤] . (٥ : ٢٧٩) .

قال أبو مخنف : حدّثني زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق ، قال : أدركتُ الناسَ وهم يقولون : إن أوّل ذُلّ دخل الكوفة موتُ الحسن بن عليّ وقتلُ حُجْر بن عديّ ، ودعوةُ زياد[٥] . (٥ : ٢٧٩) .

قال أبو مخنف : وزعموا أنّ معاوية قال عند موته : يومٌ لي من ابن الأدبرِ طويلٌ! ثلاثَ مرات ـ يعني : حُجراً[٦] . (٥ : ٢٧٩) .

---

(١) ذكر الطبري هذه التفاصيل بلا إسناد والأغلب أنها امتداد لرواية أبي مخنف (٥/ ٢٧١/م ١٠١) والله أعلم .

(٢) إسناده تالف ، وراجع تعليقنا على الرواية (٥ : ٢٥٦/ ٢٥٧) .

(٣) إسناده تالف .

(٤) إسناده تالف .

(٥) إسناده تالف .

(٦) إسناده تالف .

قال أبو مخنف: عن الصقعب بن زهير، عن الحسن، قال: أربع خصال كنّ في معاوية؛ لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت مُوبِقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتى ابْتَزَّها أمرَها بغير مَشُورة منهم وفيهم بقايا الصّحابة وذو الفضيلة. واستخلافُه ابنه بعده سِكّيراً خِمّيراً، يلبس الحرير ويَضرِب بالطنابير. وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفِراش، وللعاهِر الحجَرُ». وقتلهُ حُجْراً، ويْلاً له من حُجْرٍ! مرّتين.

وقالت هند ابنة زيد بن مخرمة الأنصاريّة، وكانت تَشَيَّع تَرثِي حُجْراً:

تَـرفَّـع أيّهـا القمـرُ المنِيـرُ ... تبَصَّـرْ هـل تـرى حُجْـراً يَسيـرُ
يسيـرُ إلـى معـاويـةَ بـن حـرْبٍ ... ليقْتُلَـهُ كمـا زعـم الأَميـرُ
تجَبَّـرَتِ الجَبـابِـرُ بعـد حُجْـرٍ ... وطـابَ لهـا الخَـوَرْنَـقُ والسَّـدِيرُ
وأصَبَحَـتِ البِـلادُ بهـا مُحُـولاً ... كـأَن لـم يُحْيهـا مُـزْنٌ مَطِيـرُ
ألا يـا حُجْـرُ حجْـر بنـي عَـدِيٍّ ... تلقَّتـكَ السـلامـةُ والسُّـرُور
أخـافُ عليـك مـا أَرْدَى عَـدِيّـاً ... وشَيخـاً فـي دِمشـقَ لـه زئيـرُ
يَـرَى قتـلَ الخِيـارِ عليـه حقّـاً ... لـه مـن شَـرِّ أُمَّتِـهِ وَزيـر
ألا يـا ليـتَ حُجْـراً مـات مَـوْتـاً ... ولـم يُنحَـرْ كمـا نُحِـرَ البعيـرُ
فـإن تَهلِـكْ فكـلُّ زعيـمِ قَـومٍ ... مـن الـدنيـا إلـى هُلْـكٍ يَصِيـرُ

وقالت الكنديّة ترثي حُجراً ـ ويقال: بل قائلها هذه الأنصاريّة:

دُمـوعُ عيْنِـي دِيمـةٌ تَقطُـرُ ... تبكِـي علـى حُجْـرٍ ومـا تَفْتُـرُ
لـو كـانـت القـوْس علـى أَسـرِه ... مـا حُمِّـلَ السيـفَ لـه الأَعـورُ

وقال الشاعر يحرّض بني هند من بني شَيْبانَ على قيس بن عُباد حين سعى بصَيفيّ بن فَسِيل:

دَعـا اْبـنُ فسيـل يـالَ مُـرَّةَ دعـوةً ... ولاقى ذبابَ السيف كَفَّاً ومِعْصما
فحَـرِّضْ بنـي هِنـد إذا مـا لَقِيتَهُـمْ ... وقُـلْ لِغِيـاثٍ وابنـهِ يَتكلَّمـا
لِتَبْـكِ بنـي هِنـدٍ قُتَيلـةُ مِثـلَ مـا ... بكَـتْ عِـرسُ صَيْفِـيٍّ وتبعثُ مأْتما

غياث بن عمران بن مرّة بن الحارث بن دُبّ بن مرّة بن ذهل بن شَيْبان، وكان شريفاً، وقُتيلَةُ أخت قيس بن عُباد، فعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الأشعث في مواطنه، فقال حَوْشب للحجّاج بن يوسف: إن منّا امرأ صاحب

فتن ووثوب على السلطان ، لم تكن فتنةٌ في العراق قطّ إلا وثب فيها ، وهو ترابيّ يلعن عثمان ، وقد خرج مع ابن الأشعث فشهد معه في مواطنه كلها ، يحرّض الناسَ حتى إذا أهلكهم الله؛ جاء فجلس في بيته ، فبعث إليه الحجاجُ فضرب عنقَه ، فقال بنو أبيه لآل حوشب: إنما سعيتمْ بنا سعياً ، فقالوا لهم: وأنتم إنما سعيتم بصاحبنا سعياً[١] . (٥ : ٢٧٩/ ٢٨٠/ ٢٨١) .

فقال أبو مخنف: وقد كان عبد الله بن خليفة الطائيّ شهد مع حُجْر بن عدي ، فطلبه زياد ، فتوارَى ، فبعث إليه الشُّرَط ، وهم أهل الحمراء يومئذ ، فأخذوه ، فخرجتْ أخته النوّار فقالت: يا معشر طيىء ، أتسلمون سنانكم ولسانكم عبدَ الله بن خليفة! فشدّ الطائيُّون على الشُّرَط فضربوهم وانتَزعوا منهم عبدَ الله بن خليفة! فرجعوا إلى زياد ، فأخبروه ، فوَثَب على عديّ بن حاتم ، وهو في المسجد ، فقال: ائتني بعبد الله بن خليفة؛ قال: وما له! فأخبره ، قال: فهذا شيء كان في الحيّ لا علمَ لي به؛ قال: والله لتأتيَنِّي به؛ قال: لا ، والله لا آتيك به أبداً ، أجيئك بابن عمّي تقتُلُه! والله لو كان تحت قدميّ ما رفعتُهما عنه ، قال: فأمر به إلى السجن؛ قال: فلم يَبق بالكوفة يمانيٌّ ولا رَبَعيٌّ إلاّ أتاه وكلّمه ، وقالوا: تفعل هذا بعديّ بن حاتم صاحبِ رسول الله ﷺ ! قال: فإني أخرجه على شرط ، قالوا: ما هو؟ قال: يخرج ابن عمّه عني فلا يدخل الكوفة ما دام لي بها سلطان ، فأتِيَ عديّ فأخبر بذلك ، فقال: نعم ، فبعث عديّ إلى عبد الله بن خليفة فقال: يا بن أخي ! إنّ هذا قد لجّ في أمرِك ، وقد أبى إلا إخراجَك عن مِصْرِك ما دام له سلطان ، فالحقْ بالجبلين ، فخرج؛ فجعل عبد الله بن خليفة يكتب إلى عديّ ، وجعل عديٌّ يمنّيه ، فكتب إليه:

تـذكَّـرتُ ليلـى والشَّبيبـةَ أَعصُـرا ... وذكْـرُ الصِّبَـا بَـرْحٌ علـى مـن تـذكَّـرا
ووَلّـى الشَّبـابُ فـافتقـدتُ غُضُـونَـهُ ... فيـا لـك مـن وَجْـد بـه حيـنَ أَدْبَـرا
فـدع عنـك تـذكـار الشبـابِ وفَقـدهُ ... وآثـارهُ إذ بـانَ منـك فـأَقصَـرا
وبَـكِّ علـى الخُـلانِ لمّـا تُخُـرِّمُـوا ... ولم يجدُوا عن مَنهَلِ الموتِ مَصدرا
دعَتهـمْ مَنـايـاهـمْ ومَـنْ حـانَ يَـومُـهُ ... مـن النـاسِ فـاعلـم أنـه لـن يـؤخَّـرا
أولـئـك كـانـوا شِيعـةً لـي ومَـوْئـلاً ... إذا اليـوم أُلفِـي ذا احتِـدَام مُـذَكَّـرا

(١) إسناده تالف وفي متنه نكارة وأما الحديث المرفوع (الولد للفراش وللعاهر الحجر) فصحيح .

وما كنتُ أهوى بعدهمْ مُتعلّلاً … بشيءٍ من الدنيا ولا أن أُعَمَّرا

أقولُ ولا والله أنسى ادِّكارَهمْ … سجِيسَ اللَّيالي أو أموتَ فأُقْبَرا

على أَهلِ عذراءَ السلامُ مُضاعَفاً … من الله وليُسْقَ الغمامَ الكَنهْوَرا

ولاقى بها حُجْرٌ من الله رحمةً … فقد كان أَرْضى اللهَ حجرٌ وأعذرا

ولا زالَ تَهْطالٌ مُلِثٌّ وديمةٌ … على قبرِ حُجْرٍ أو ينادَى فيُحْشَرا

فيا حُجْرُ مَنْ للخيلِ تُدْمَى نُحُورُها … وللمَلِكِ المُغْزِي إذا ما تَغَشْمَرا

ومَن صادِعٌ بالحقّ بعدكَ ناطِق … بتقوى ومَنْ إن قيلَ بالجَوْرِ غيّرا

فنِعْمَ أخو الإسلام كنتَ وإنني … لأطمَعُ أن تُؤتى الخلودَ وتُحْبَرا

وقد كنتَ تعطى السيفَ في الحرب حَقَّه … وتَعرِفُ مَعرُوفاً وتنكِرُ مُنكَرا

فيا أخَوَيْنا من هُمَيمٍ عُصِمْتُما … ويُسِّرْتُما للصالحاتِ فأَبْشِرا

ويا أخَوَيَّ الخِندفِيَّين أَبْشِرا … فقد كنتما حيِّيتُما أن تُبَشَّرا

ويا إخْوَتا من حضرموتَ وغالبٍ … وشيبانَ لُقِّيتُمْ حساباً مُيَسَّرا

سَعِدْتُم فلم أسمع بأصوَبَ مِنكُمُ … حِجاجاً لدَى الموتِ الجليل وأصبَرا

سأبكيكُمُ ما لاح نجْمٌ وغرّدَ الـ … حمامُ ببَطْنِ الوادِيَيْنِ وقَرقَرا

فقلتُ ولم أظلم أغوثَ بنَ طيّئٍ … متى كنتُ أخشَى بينكم أن أُسَيّرا!

هَبِلتُمُ ألا قاتَلتُمُ عن أخيكُمُ … وقد ذَبَّ حتى مال ثم تجَوَّرا

ففرّجتُمُ عني فغُودِرتُ مُسلَماً … كأني غريب في إيادٍ وأعصُرا

فمن لكُم مِثلي لدَى كلِّ غارةٍ … ومن لكُم مثلي إذا البأسُ أصحرا

ومن لكمُ مثلي إذا الحربُ قلّصتْ … وأوضعَ فيها المُستَمِيتُ وشَمَّرا

فَها أنا ذا داري بأجبَال طَيّئٍ … طَريداً ولو شاءَ الإلهُ لغَيّرَا

نَفاني عَدُوّي ظالماً عن مُهاجِري … رضيتُ بما شاءَ الإلهُ وقَدَّرا

وأسلَمَني قومي لغيرِ جِنايةٍ … كأن لم يكونوا لي قَبيلاً ومَعشَرا

فإنْ أُلْفَ في دارٍ بأَجبالِ طيّئٍ … وكان معاناً من عُصَيْرٍ ومحضَرا

فماكنتُ أخشى أن أُرَى مُتغرِّبا … لحَا اللهُ من لاحَى عليه وكثَّرا

لحا اللهُ قتلَ الحضرميّين وائلاً … ولاَقى الفَنَا من السنان الموفَّرا

ولاَقى الرّدى القومُ الذين تحزّبوا … علينا وقالوا قَولَ زُورٍ ومُنكَرا

فلا يَدْعُني قومٌ لَغوثِ بن طيئٍ … لأنْ دهرُهم أشقَى بهم وتغيّرا

فلم أغزُهمْ في المُعلَمِينَ ولم أُثر … عليهمْ عَجاجاً بالكُوَيفةِ أكدَرا

فبلِّـغ خليلـي إن رحَلـتَ مُشَـرِّقـاً جَـديلـةَ والحَيَّيْـن مَعْنـاً وبُحتُـرا
ونَبْهـانَ والأَفْنـاءَ مـن جِـذْم طيـىءٍ ألـم أَكُ فيكـمْ ذا الغنـاءِ العَشنـزرا!
ألـم تـذكـروا يـومَ العُـذَيـب أليّتـي أمـامكُـمُ ألاَّ أرَى الـدّهـرَ مُـدبِـرا!
وكَرِّي على مِهرانَ والجمعُ حاسر وقَتلِـي الهُمـام المُستَميـتَ المُسَـوّرا
ويـومَ جَلـولاءِ الـوَقيعـة لـم أُلَـمْ ويـومَ نِهـاوَنـدِ الفُتُـوح وتُستَـرا
وتَنسَـونني يـومَ الشَّـريعـةِ والقنَـا بصِفّيـنَ فـي أكتـافهـم قـد تكَسَّـرَا
جَـزَى رَبُّـهُ عنـي عَـديَّ بـن حـاتـمٍ بـرَفضـي وخِـذلانـي جـزاءً مُـوفَّـرا
أَتنسَـى بَـلائِـي سـادِراً يـا بـنَ حـاتـمٍ عشيَّـةَ مـا أغنَـت عَـدِيُّـكَ حِـزْمَـرا!
فدافَعتُ عنك القومَ حتى تخَاذَلوا وكنـتُ أنـا الخصـمَ الألَـدَّ العَـذَوَّرا
فَـوَلَّـوا ومـا قـامـوا مقـامـي كـأنمـا رأَونِـيَ لَيثـاً بـالأَبَـاءَة مُخـدرا
نَصَرتُكُم إذ خامَ القريبُ وأبعَطَ الـ بَعِيـدُ وقـد أفـرِدتُ نَصـراً مـؤزراً
فكـان جـزائـي أن أجَـرَّد بينكـم سَجينـاً وأن أُولَـى الهـوانَ وأوسَـرا
وكـم عِـدَة لـي منـك أنـك راجِعِـي فلـم تُغـنِ بـالميعـادِ عنِّـي حبتَـرا
فأَصبحتُ أرعَى النِّيبَ طَوراً وتارة أُهَرْهِرُ إن راعي الشُّوَيهات هرهَرا
كـأنِـيَ لـم أركَـب جَـواداً لغـارةٍ ولـم أتـرُكِ القِـرن الكمـيَّ مُقَطَّـرا
ولـم أَعتَـرِض بـالسَّيـفِ خَيـلاً مُغِيـرةً إذا النّكسُ مَشى القَهقَرى ثم جَرجَرا
ولم أستحِثَّ الركضَ في إثرِ عُصْبةٍ مُيَمّمَـةٍ عُليـا سِجـاسٍ وأبهَـرَا
ولـم أذعـرِ الأَبْـلامَ منـي بغـارةٍ كَـوِرْدِ القَطـائـم انحـدرتْ مُظَفَّـرا
ولـم أرَ فـي خَيـلٍ تُطـاعِـن بـالقَنَـا بقَـزويـنَ أو شَـروِيـنَ أو أغـزُ كُنـدُرا
فـذلـك دهـرٌ زال عنـي حميـدُهُ وأصبـح لـي معـروفُـه قـد تَنكَّـرا
فـلا يَبعَـدَنْ قـومـي وإن كنـت غـائبـاً وكنـتُ المُضـاعَ فيهـمُ والمُكَفَّـرا
ولا خيرَ في الدنيا ولا العيش بعدهمْ وإن كنتُ عنهم نائيَ الدار مُحصَرا

فمات بالجبَلين قبل موت زياد.

وقال عُبيدة الكنديّ ثم البدّيّ؛ وهو يعيّر محمد بن الأشعث بخِذْلانه حُجْراً:

أَسلمـتَ عمَّـك لـم تُقـاتِـلْ دونَـهُ فَـرَقـاً ولـولا أنـتَ كـان منيعَـا
وقتلـتَ وافِـدَ آلِ بَيـت محمّـدٍ وسَلَبْـتَ أَسيـافـاً لـه ودُروعـا

لو كنتَ من أَسدٍ عرفتَ كرامتي ورأيتَ لي بيتَ الحُباب شفيعا[١]

(٥ : ٢٨١/ ٢٨٢/ ٢٨٣/ ٢٨٤/ ٢٨٥) .

* * *

(١) إسناده تالف.

ـ خلاصة القول في قتل حجر بن عدي ـ

ذكر الطبري روايات عدة في هذه المسألة استغرقت الصفحات (٢٥٣ ـ ٢٨٥) وجميعها من طريق التالف الهالك أبي مخنف وهو متروك غير موثوق به ، ومعروف بطعنه في عدالة الصحابة ويعمد إلى الخبر الصحيح فيزيد عليه أضعافاً من الكذب والافتراء والطعن ـ سوى رواية واحدة أخرجها الطبري من طريق آخر (٥/ ٢٥٦) وفي إسناده مسلم الجرمي مجهول الحال إن لم يكن مجهول العين ومخلد بن الحسن البصري مقبول (أي: إذا توبع، وإلا فلين) وكذلك أخرجها ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ت ٥٣٧) وفي إسناده أحمد بن محمد بن الحجاج ، قال ابن عدي: كذبوه وأنكرت عليه أشياء وذكر الذهبي من بواطيله في ترجمته في الميزان وقال ابن أبي حاتم: سمعت منه بمصر ولم أحدث عنه لما تكلموا فيه. (الجرح والتعديل ١/ ١/ ١٠٣) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٦٩) عن ابن سيرين مع بعض الاختلاف وفي أول إسناده علي بن عيسى جاء ذكره في تكملة الإكمال لابن نقطة (٢/ ٤٨٤) والمشتبه للذهبي (١/ ١٨٥) ولم نجد من يوثقه (والله أعلم).

وتوهم عبد السلام علوش في تحقيقه للمستدرك إذ قال في الحاشية (٤/ ٥٩١/ ح ٦٠٣٥): وأخرجه ابن عبد البر من وجه آخر . . . فثبتت الواقعة.

قلنا إن كان ذلك من أجل تقوية رواية الحاكم برواية ابن عبد البر فقد بينا قبل قليل: أن في إسناد، أحمد بن محمد بن الحجاج الذي قال فيه ابن عدي كذبوه وذكر الذهبي في بواطيله ولم يحدث عنه ابن أبي حاتم لما تكلموا فيه والله أعلم.

وسنذكر هنا ما ورد في هذه المسألة:

أخرج يعقوب بن سفيان عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فعاتبته في قتل حجر وأصحابه قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقتل من بعدي أناس يغضب الله لهم وأهل السماء) (المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢٠) وقال الحافظ في إسناده انقطاع (الإصابة ١/ ٣١٤).

وأخرج يعقوب بن سفيان من طريق حرملة عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجراً وأصحابه. فقال: يا أم المؤمنين إني رأيت في قتلهم صلاحاً للأمة . . . إلخ (المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢٠).

وقال الحافظ ابن كثير: وهذا إسناد ضعيف منقطع (البداية والنهاية ٨/ ٥٧).

ثم أخرج ابن كثير رواية مغايرة فقال: وقد رواه عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن أبي الأسود: أن عائشة قالت: بلغني أنه سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء (٨/ ٥٧).

= وأخرج يعقوب بن سفيان (٣/ ٣٢١) حدثني ابن لهيعة حدثني الحارث عن يزيد عن عبد الله بن أبي رزين الغافقي قال سمعت علياً يقول: (يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء ، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود قال: يقتل حجر وأصحابه) وقال الحافظ ابن كثير: ابن لهيعة ضعيف (البداية والنهاية ٨/ ٥٧).

وقال الأستاذ العمري في حاشية المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٣١): في السند انقطاع وأقل ما يكون بين يعقوب وابن لهيعة راوٍ وأحسبه هنا يحيى بن عبد الله بن بكير. ا هـ.

قلنا: ورواية أخرجها البلاذري من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن مروان بن الحكم قال: دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت: يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه وفعلت الذي فعلت... الخبر... وفي اخره قال معاوية: فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عز وجل (المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢١).

قلنا: وفي إسناده علي بن يزيد وهو ضعيف والله أعلم.

وأخرج أحمد عن عفان عن ابن عليه عن أيوب عن عبد الله بن أبي مليكه (أو غيره): لما قدم معاوية المدينة دخل على عائشة فقالت: أقتلت حجراً؟.. الحديث وفي اخره قال: فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عز وجل) (البداية والنهاية ٨/ ٥٨).

قلنا: وإن صح هذا فقد تأول معاوية واجتهد فأخطأ في اجتهاده وتأويله وكان يعتقد أن ذلك سيقطع الطريق على بقية من خرج على طاعة أمير المؤمنين ومن قبله أخطأ خالد أو أخطأ أصحابه على الأصح (كما بينا في عهد الخلفاء الراشدين) ثم بيّن عذره لأبي بكر رضي الله عنه فقبل عذره وامتنع من عزله وقال لسيدنا عمر تأوّل فأخطأ كف لسانك عن خالد ، لا أشيم سيفاً سله الله على المشركين).

والروايات الواردة في هذا الباب تبين لنا بعض الغموض، ففي إحدى الروايات: أنه رضي الله عنه كان يرى قتل رجلٍ خيراً من قتل ألف أي أنه لو لم يقتله لاستفحل أمره وظهرت الفتنة مرة أخرى بين المسلمين ويكفيهم فتنة الجمل وصفين... ونحن بصدد تاريخ بشر غير معصومين (الصحابة) ولكنهم خير القرون، وكفى بالمرء فخراً أن تعدّ مساوئه، فإن كان المبتدعة الجهال ينبشون ويبحثون بين الروايات عسى أن يتشبثوا ولو برواية واحدة تثبت أن سيدنا معاوية يتحمل قسطاً من مسؤولية قتل حجر بن عدي فالبشر يخطئون وسبحان من لا يخطيء.

والصحابة اجتهد بعضهم فأخطأ كذلك فقد عفا بعضهم أحياناً كما في عصيان الصحابة أوامر الرسول ﷺ والنزول من جبل الرماة في غزوة أُحُد ، وَأَحَدُ الصحابة كان يشرب الخمر فيأمر رسول الله بجلده ، وكذلك أخطأ خالد ودخل مكة من إحدى الطرق وخرج وعلى سيفه دم فماذا قال رسول الله ﷺ ؟ قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد» ولكن لم يتبرأ من خالد وإنما من فعلته ومن قبل تاب الله على الذين عصوا أمر رسول الله ﷺ وحوادث متفرقة وغيرها ولكنها حوادث معدودة على عدد الأصابع ولا تخرج الصحابة من عدالتهم التي أصبحت سمة

ذكر استعمال الربيع بن زياد على خراسان

وفي هذه السنة وجّه زيادٌ الربيعَ بن زياد الحارثيّ أميراً على خُراسان بَعد موت الحكم بن عمرو الغِفاريّ، وكان الحكم قد استَخلف على عمله بعد موته أنسَ بن أبي أناس، وأنس هو الذي صلى على الحكم حين مات فدُفن في دار خالِد بن عبد الله أخي خُليد بن عبد الله الحنفيّ، وكتب بذلك الحَكَم إلى زياد، فعزَل زيادٌ أَنساً، وولّى خُلَيد بن عبد الله الحنفيّ[١]. (٥: ٢٨٥).

فحدّثني عمر، قال: حدّثني عليّ بن محمد، قال: لما عزل زيادٌ أنساً، وولى مكانَه خُليد بن عبد الله الحنفيّ قال أنسٌ:

ألا مَــنْ مُبلِــغٌ عنــي زِيــاداً ... مغَلغَلَــةً يَخُــبُّ بهــا البَــرِيــدُ

أتعــزِلنــي وتطعِمُهــا خُليــداً ... لقــد لاقــت حَنيفَــةُ مــا تــريــدُ

عليكــم بــاليمــامــةِ فــاحــرُثــوهــا ... فــأوّلُكــم وآخــرُكــم عَبيــدُ

فولى خُليداً شهراً ثم عزله، وولى خُراسانَ ربيع بن زياد الحارثي في أول سنة إحدى وخمسين، فنقل الناسُ عيالاتِهم إلى خُراسان، ووطنوا بها، ثم عزل الربيع[٢]. (٥: ٢٨٦).

فحدّثني عمر، قال: حدّثني عليّ، عن مسلمة بن محارب وعبد الرحمن بن أبان القرشيّ، قالا: قدم الربيع خُراسان ففتح بلخ صُلْحاً، وكانوا قد أغلقوها بعدما صالحهم الأحنف بن قيس، وفتح قُهِسْتان عنوةً، وكانت بناحيتها أتراك، فقتلهم وهزمهم، وكان ممن بقي منهم نيزك طَرخان، فقتله قُتيبةُ بن مسلم في ولايته[٣]. (٥: ٢٨٦).

= عامة مميزة لهم ثم إن حجراً اعترف بخطئه وسار مختاراً إلى دار الخلافة وكان باستطاعته أن يسمع كلام قومه ويبدأ بعصيان عسكري يقود فيها بني قومه ضد أمير المؤمنين ولكنه لم يفعل وقتل رضي الله عنه وأرضاه.

(١) ضعيف.

(٢) إسناده معضل.

(٣) إسناده مرسل ضعيف.

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: غزا الربيع فقطع النهر ومعه غلامه فرّوخ وجاريته شريفةُ ، فغنم وسلم ، فأعتَقَ فرّوخاً ، وكان قد قطع النّهر قبله الحَكَم بن عمرو في ولايته ولم يفتح[١] . (٥ : ٢٨٦) .

فحدّثني عمر ، عن عليّ بن محمد ، قال: كان أوّل المسلمين شرب من النهر مولىً للحَكم ، اغترف بتُرسه فشرب ، ثم ناوَلَ الحكم فشرب ، وتوضّأ وصلى من وراء النهر ركعتين ، وكان أوّل الناس فعلَ ذلك ، ثم قَفَل[٢] . (٥ : ٢٨٦) .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة يزيدُ بن معاوية؛ حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت عمّن ذكره عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقديّ[٣] .
(٥ : ٢٨٦) .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين

فزعم الواقديّ: أنّ فيها كانت غَزوة سُفْيان بن عوف الأزديّ ، ومشتاه بأرض الرّوم ، وأنه توفِّي بها ، واستخلف عبد الله بن مسعدة الفزاريّ.

وقال غيره: بل الذي شتا بأرض الروم في هذه السنة بالناس بُسْر بن أبي أرْطاةَ ، ومعه سُفْيان بن عوف الأزديّ ، وغزا الصائفة في هذه السنة محمد بن عبد الله الثّقَفي.

وحجّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بن العاص في قول أبي معشر ، والواقديّ ، وغيرِهما[٤] . (٥ : ٢٨٧) .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مشتَى عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم الثقفيّ بأرض الرّوم.

---

(١) إسناده معضل.
(٢) إسناده معضل.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

وفيها فتحت رُودُس ـ جزيرة في البحر ـ ففتحها جُنادة بن أبي أميّة الأزْديّ ، فنزلها المسلمون ـ فيما ذكر محمد بن عمر ـ وزَرَعوا واتّخذوا بها أموالاً ومواشيَ يَرْعَوْنها حولَها ، فإذا أمسَوْا أدخلوها الحصن ، ولهم ناطورٌ يحذّرهم ما في البحر ممن يريدهم بكَيْد ، فكانوا على حَذرٍ منهم ، وكانوا أشدّ شيء على الرّوم، فيعترضونهم في البحر فيقطعون سفنَهم ، وكان معاوية يُدِرّ لهم الأرزاق والعطاء، وكان العدوّ قد خافهم، فلما مات معاوية أقفلهم يزيدُ بن معاوية [١]. (٥ : ٢٨٨).

وفيها كانت وفاةُ زياد بن سُميّة.

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا زهير ، قال: حدّثنا وهيب ، قال: حدّثني أبي عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن الزّبير ، عن فيل مولَى زياد ، قال: ملك زياد العراقَ خمسَ سنين ، ثم مات سنة ثلاث وخمسين [٢]. (٥ : ٢٨٨).

حدّثني عمر ، قال ، حدّثنا عليّ بن محمد ، قال: لما نزل زياد على العراق بقيَ إلى سنة ثلاث وخمسين ، ثم مات بالكوفة في شهر رمضانَ وخليفته على البصرة سَمُرة بن جندَب [٣]. (٥ : ٢٨٨).

ذكر سبب مهلك زياد بن سُمَية

حدّثني عبد الله بن أحمدَ المروزيّ ، قال: حدّثنا أبي ، قال حدثني سليمان ، قال: حدّثني عبد الله بن المبارك ، قال: أخبرني عبدُ الله بن شَوْذب ، عن كثير بن زياد: أنّ زياداً كتب إلى معاوية: إني ضبطت العراقَ بشمالي ، ويميني فارغة. فضمّ إليه معاوية العَرُوض ـ وهي اليمامة وما يليها ـ فدعا عليه ابن عمَر ، فطُعِن ومات. فقال ابن عمرَ حين بلغه الخبر: اذهبْ إليك ابنَ سُميّة ، فلا الدّنيا بقيَتْ لك ، ولا الآخرةَ أدركتَ [٤]. (٥ : ٢٨٨/ ٢٨٩).

---

(١) ضعيف لأن الواقدي متروك ، وأما خليفة ويعقوب بن سفيان فقد أخرجا روايات في فتح رودس ضمن أحداث سنة (٥٩) هـ والله أعلم.

(٢) في إسناده مجهول الحال.

(٣) إسناده معضل.

(٤) إسناده مرسل وقال ابن حبان: زياد بن كثير يروي عن الحسن وأهل العراق الأشياء المقلوبة =

حدثني عمر ، قال: حدثني عليّ ، قال: كتب زيادٌ إلى معاوية: قد ضبطتُ لكَ العراق بشمالي ؛ ويميني فارغة ، فاشغلها بالحجاز ، وبعث في ذلك الهيثم بن الأسودَ النخعيّ ، وكتب له عهدَه مع الهَيْثم ، فلما بلغ ذلك أهل الحجاز أتى نفر منهم عبدَ الله بن عمَر بن الخطاب ، فذكروا ذلك له ، فقال: ادعوا الله عليه يَكفيكموه ، فاستقْبَل القبلةَ واستقبلوها فدَعوا ودعا ، فخرجت طاعونةٌ على أصبعه ، فأرسل إلى شريح ـ وكان قاضيَه ـ فقال: حَدَث بي ما تَرَى ، وقد أمِرْت بقطعها ، فأشِرْ عليّ؛ فقال له شُريح: إني أخشى أن يكون الجراح على يدك ، والألمُ على قلبك ، وأن يكون الأجلُ قد دنا ، فتلقَى اللهَ عزَّ وجلّ أجْذَم ، وقد قطعْتَ يدَكَ كراهيةً للقائه ، أو أن يكون في الأجل تأخير وقد قطعتَ يدكَ فتعيش أجذَمَ وتُعيّر ولدكَ. فتركها؛ وخرج شريح فسألوه ، فأخبرَهم بما أشار به ، فلامُوه ، وقالوا: هلاّ أشرتَ عليه بقطعها! فقال: قال رسولُ الله ﷺ : «المستشار مؤتمَن»[١] . (٥ : ٢٨٩).

حدّثني عبد الله بن أحمد المروزيّ ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثني سليمان ، قال: قال عبد الله: سمعتُ بعضَ مَنْ يحدّث: أنه أرسل إلى شُريح يستشيره في قطع يده ، فقال: لا تفعل؛ إنك إن عشتَ صرتَ أجذَمَ ، وإن هلكتَ إيّاك جانياً على نفسك ، قال: أنام والطاعون في لحاف! فعزم أن يفعل ، فلما نظر إلى النار والمَكاوي جَزِع وترك ذلك[٢] . (٥ : ٢٨٩).

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عبد الملك بن قُرَيب الأصمعيّ ، قال: حدّثني ابن أبي زياد ، قال: لما حضرتْ زياداً الوفاةُ ؛ قال له ابنه: يا أبتِ ! قد هيّأت لك ستين ثوباً أكفّنك فيها؛ قال: يا بنيّ ، قد دنا من أبيك لباسٌ خيرٌ من لباسه هذا ، أو سلبٌ سريع. فمات فدُفن بالثُّوَيّة إلى جانب الكوفة ، وقد توجه يزيد إلى الحجاز والياً عليها ، فقال مسكين بن عامر بن شُريح بن عَمرو بن عُدُس بن زيد ابن عبد الله بن دارم:

= استحب مجانبة ما انفرد به من الروايات (المجروحين ٢/ ٢٢٤).

(١) إسناده معضل.

(٢) في إسناده مبهم.

رَأَيْــتُ زيــادَةَ الإســلامِ وَلَّــتْ جِهــاراً حيــنَ ودَّعَنــا زيــادُ[١]

(٥ : ٢٨٩/ ٢٩٠).

وقال الفرزدق لمسكين - ولم يكن هجا زياداً حتى مات :

أَمِسْكِيــنُ أَبكــى اللهُ عيْنَــك إنمــا جـرَى فـي ضـلالٍ دَمعُهـا فتَحَـدَّرَا
بَكيْـتَ امـرأً مِـن آلِ مَيْسـانَ كـافِراً كِكِسـرى علـى عِـدّانـه أَو كقَيْصَـرا
أقــولُ لــه لمّــا أتــانــي نَعِيُّــهُ بــه لا بِظَبْـيٍ بـالصَّـريمـةِ أَعْفَـرا

فأجابه مسكين ، فقال :

ألا أَيُّهـا المـرءُ الـذي لَسْـتُ نـاطقـاً ولا قـاعِـداً فـي القوم إلا انْبَرَى لِيَـا
فجِئنــي بِعَــمٍّ مِثْــلِ عمّــيَ أَو أَبٍ كمثْـلِ أبـي أَو خـالِ صـدْقٍ كخـاليـا
كعَمْـرِو بـن عمـرٍو أَو زُرارةَ والـداً أَوِ البِشْـرِ مـن كـلٍّ فَـرَعـتُ الـرَّوابيـا
ومـا زال بـي مِثْـلُ القَنـاةِ وسـابـحٍ وخَطَّـارةٍ غِـبَّ السُّـرَى مِـن عيـاليـا
فهــذا لأيّــام الحِفــاظِ وهــذِهِ لِـرَحْلـي وهـذا عُـدَّة لارتحـاليـا!

وقال الفرزدق :

أَبلـغ زِيـاداً إذا لاقَيْـتَ مَصْـرَعَـهُ أنَّ الحمـامـة قـد طـارت مـن الحَـرَمِ
طـارَت فمـا زال يَنْمِيهَـا قَـوادِمُهـا حتى استَغاثتْ إلى الأنْهار والأَجَمِ[٢]

(٥ : ٢٩٠).

حدّثني عبدُ الله بن أحمَد ، قال : حدّثني أبي عن سليمان ، قال : حدّثني عبد الله عن جَرير بن حازم ، عن جرير بن يزيد ، قال : رأيت زياداً فيه حُمرةٌ ، في عينه اليمنى انكسار ، أبيض اللحية مخروطها ، عليه قميص مرقوع ، وهو على بغلة عليها لجامُها قد أرسنها[٣] . (٥ : ٢٩٠).

---

(١) في إسناد يزيد بن أبي زياد ، وقال ابن معين لا يحتج بحديثه وقال أبو زرعة : لين يكتب حديثه ولا يحتج به.
وقال ابن عدي : ومع ضعفه يكتب حديثه (تهذيب الكمال ٣٢/ ١٤٠/ت ٧٥٩٢) وقال الحافظ في التقريب ضعيف (ت ٧٧١٧).

(٢) ضعيف.

(٣) في إسناده جريد بن يزيد ضعيف.

ذكر الخبر عن وفاة الربيع بن زياد الحارثي

ذكر الخبر عن سبب وفاته:

حدّثني عمر، قال: حدّثني عليّ بن محمد، قال: وَلِي الربيعُ بنُ زياد خُراسانَ سنتين وأشهراً، ومات في العام الذي مات فيه زياد، واستخلف ابنه عبدَ الله بن الربيع، فولي شهرين، ثم مات عبدُ الله. قال: فقدم عهده من قبل زياد على خُراسانَ وهو يُدفن، واستَخلف عبدُ الله بن الربيع على خُراسان خُليدَ بن عبد الله الحنفيّ[1]. (٥: ٢٩١).

قال عليّ: وأخبرني محمد بن الفضل عن أبيه، قال: بلغني: أنّ الرّبيع بن زياد ذكر يوماً بخُراسان حُجْرَ بن عديّ، فقال: لا تزال العَرَب تُقتل صبراً بعدَه، ولو نفرتْ عند قتله لم يُقتل رجل منهم صَبْراً، ولكنها أقرّت فذلّت، فمكث بعد هذا الكلام جمعةً، ثم خرج في ثياب بياض في يوم جمعة، فقال: أيّها الناس، إني قد مَلِلتُ الحياة، وإني داعٍ بدعوة فأمّنوا. ثم رفع يده بعد الصلاة، وقال: اللهمّ إنْ كان لي عندك خيرٌ فاقبضني إليك عاجلاً. وأمّن الناسُ فخرج. فما توارتْ ثيابُه حتى سقط فحُمل إلى بيته، واستخلفَ ابنهُ عبد الله، ومات من يومه، ثم مات ابنه، فاستخلف خليد بن عبد الله الحنفيّ، فأقره زياد، فمات زياد وخُلَيد على خُراسان، وهلك زياد وقد استَخلف على عمله على الكوفة عبدَ الله بن خالد بن أسيد، وعلى البصرة سَمُرة بن جُندب الفَزاريّ[2]. (٥: ٢٩١).

فحدثني عمر بن شبّة، قال: حدّثني عليّ، قال: مات زياد وعلى البصرة سَمُرة بن جُندب خليفة له، وعلى الكُوفة عبدُ الله بن خالد بن أسيد، فأقرّ سَمُرة على البصرة ثمانية عشر شهراً[3]. (٥: ٢٩١).

قال عمر: وبلَغني عن جعفر بن سليمان الضبعيّ، قال: أقرّ معاوية سَمُرة بعد زياد ستة أشهر، ثم عَزَله، فقال سَمُرة: لعن الله معاوية! والله لو أطعتُ اللهَ كما

---

(١) إسناده معضل.

(٢) إسناده معضل.

(٣) إسناده معضل.

أطعتُ معاوية ما عذَّبني أبداً[١] . (٥ : ٢٩١) .

حدّثني عمر ، قال: حدّثني موسى بن إسماعيل ، قال: حدّثني سليمان بن مسلم العِجليّ ، قال: سمعتُ أبي يقول: مررت بالمسجد ، فجاء رجلٌ إلى سَمُرة فأدّى زكاة ماله ، ثم دخل فجعل يصلي في المسجد ، فجاء رجل فضرب عنقَه ، فإذا رأسُه في المسجد ، وبدنُه ناحيةً ، فمرّ أبو بكْرة ، فقال: يقول الله سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ ، قال أبي: فشهدتُ ذاك ، فما مات سَمُرة حتى أخذه الزَّمْهرير ، فمات شرّ ميتة ، قال: وشهدته وأُتيَ بناسٍ كثير وأنَاس بين يديه فيقول للرجل: ما دينُك؟ فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه وأني بريءٌ من الحَروريّة ، فيقدَّم فيُضرَب عنقه حتى مرّ بضعةٌ وعشرون[٢] . (٥ : ٢٩٢) .

وحجّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بن العاص في قول أبي معشر الواقديّ وغيرِهما[٣] . (٥ : ٢٩٢) .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشتَى محمد بن مالك أرض الرّوم ، وصائفة مَعْن بن يزيد السُّلَميّ .

وفيها ـ فيما زعم الواقديّ ـ فَتَح جُنادةُ بن أبي أميّة جزيرةً في البحر قريبةً من قُسْطنطينيّة يقال لها: أرْواد .

وذكر محمد بن عمرَ: أنّ المسلمين أقاموا بها دهْراً ، فيما يقال سبع سنين ، وكان فيها مجاهد بنِ جَبْر . قال: وقال تُبَيع ابنُ امرأةِ كعب: تروْن هذه الدرجة؟ إذا انقلعت جاءت قفلتنا . قال: فهاجَتْ ريحٌ شديدة فقلعتْ الدّرجة ، وجاء نعيّ

(١) ذكره الطبري من قول عمر بلا إسناد ـ وقال الحافظ ابن كثير تعقيباً على هذه الرواية: وهذا لا يصح عنه (أي عن سمرة) (البداية والنهاية / ٨/ ٦٩).
(٢) سليمان بن مسلم العجلي مجهول الحال وكذلك أبوه وفي متن هذه الرواية نكارة شديدة.
(٣) ضعيف.

معاوية وكتاب يزيد بالقَفْل فَقفَلْنا ، فلم تَعْمُرْ بعد ذلك وخَرِبت ، وأَمِن الروم[١] . (٥ : ٢٩٣).

ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان

وفيها عَزَل معاويةُ سعيدَ بن العاص عن المدينة ، واستَعملَ عليها مَرْوانَ بنَ الحكم.

ذكر سبب عزل معاوية سعيداً واستعمال مَرْوان :

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد عن جُويرة بن أسماء ، عن أشياخه : أنّ معاوية كان يُغرِي بين مرْوان وسعيد بن العاص ، فكتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة: اهدم دارَ مَرْوان؛ فلم يَهدِمها ، فأعاد عليه الكتابَ بهدمها ، فلم يَفعل ، فعزَلَه وولّى مروان.

عاد الحديث إلى حديث عمر عن عليّ بن محمد ، قال: فلما ولّى مَرْوان كتب إليه: اهدِم دارَ سعيد ، فأرسل الفَعَلة ، ورَكِب ليهدمَها ، فقال له سعيد: يا أبا عبد الملك ، أتهدم دارِي! قال: نعم ، كتب إليّ أميرُ المؤمنين ، ولو كتب في هدم داري لفعلتَ؛ قال: ما كنتُ لأفعلَ؛ قال: بلى ، واللهِ لو كتب إليك لهدمتَها ، قال: كلاّ أبا عبد الملك. وقال لغلامه: انطلق فجئني بكتاب معاوية؛ فجاء بكتاب معاوية إلى سعيد بن العاص في هدم دار مَروانَ بن الحكم ، قال: مَروانُ كَتبَ إليك يا أبا عثمان في هدم داري ، فلم تَهْدم ولم تُعلمني. قال: ما كنتُ لأهدمَ دارَك ، ولا أمُنَّ ، عليك؛ وإنما أراد معاوية أن يحرّض بيننا ، فقال مَرْوان: فِداك أبي وأمّي! أنت والله أكثرُ منا ريشاً وعَقَباً. ورجع مروانُ ولم يَهدِم دارَ سعيد[٢]. (٥ : ٢٩٣/ ٢٩٤/ ٢٩٥).

وأما محمد بن عمر؛ فإنه ذكر: أنّ معاوية كتب إلى سعيد بن العاص يأمره بقبض أموالِ مروانَ كلّها فيجعلَها صافيةً ، ويقبضَ فدَكَ منه ـ وكان وهبها له ، فراجَعَه سعيد بن العاص في ذلك ، وقال: قرابتُه قريبة. فكتب إليه ثانية يأمره

---

(١) ضعيف والواقدي متروك.
(٢) في إسناده من لم يُسَمَّ.

باصطفاء أموالِ مَرْوان ، فأبى ، وأخذ سعيد بن العاص الكتابَيْن فوضعهما عند جارية ، فلما عُزِل سعيد عن المدينة فوليهَا مروان ، كتب معاويةُ إلى مَرْوان بن الحكم يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالحجاز ، وارسل إليه بالكتاب مع ابنه عبد الملك ، فخبّره أنه لو كان شيئاً غير كتاب أمير المؤمنين لتجافيتُ ، فدعا سعيدُ بن العاص بالكتابيْن اللّذَين كتب بهما معاويةُ إليه في أموال مَرْوانَ يأمره فيهما بقبض أموالِه ، فذهب بهما إلى مَرْوان ، فقال: هوَ كان أوصَلَ لنا مِنّا له! وكفّ عن قبض أموالِ سعيد.

وكتب سعيدُ بن العاص إلى معاوية: العَجبُ مما صنع أمير المؤمنين بنا في قَرابتنا ، أن يُضْغن بعضَنا على بعض! فأمير المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الأجنبيْن ، وعفوه وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء ، وتوارث الأولاد ذلك ، فوالله لو لم نكن بني أب واحد إلاّ بما جمعنا الله عليه من نَصْر الخليفة المظلوم ، واجتماع كلمتنا؛ لكان حقًّا علينا أنْ نَرعَى ذلك ، والذي أدركنا به خير. فكتب إليه يتنصّل من ذلك ، وأنه عائدٌ إلى أحسن ما يَعهده[١].

(٥: ٢٩٣/ ٢٩٤).

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حدّثنا أبو محمد بن ذَكْوان القرشيّ ، قال: قدم سعيد بن العاص على معاوية ، فقال له: يا أبا عثمان ! كيف تركتَ أبا عبد الملك؟ قال: تركتُه ضابطاً لعَمِلك ، منفذِاً لأمرك. قال: إنه كصاحب الخُبْزة كُفيَ نُضجَها فأكلَها ، قال: كلاّ ، واللهِ يا أمير المؤمنين ! إنه لمع قوم لا يُحمل بهم السوط ، ولا يحلّ لهم السيف ، يتهادَوْن كوَقْع النّبل ، سهمٌ لك وسهمٌ عليك؛ قال: ما باعدَ بينك وبينه؟ قال: خافني على شرَفه ، وخِفتُه على شرفي ، قال: فماذا له عندَك؟ قال: أسرّه غائباً ، وأسرّه شاهداً؛ قال: تركتَنا يا أبا عثمان في هذه الهَنات ! قال: نعم يا أمير المؤمنين ، فتحمّلتُ الثِّقْل ، وكفيتُ الحزم ، وكنتُ قريباً لو دعوتَ أجبتُ ، ولو ذهبتَ رفعتُ[٢].

(٥: ٢٩٥)

---

(١) خبر منكر ولا غرابة فقد ذكره الواقدي هكذا بلا إسناد وهو متروك.

(٢) إسناده معضل.

وفي هذه السنة كان عزل معاوية سَمُرة بن جُنْدب عن البصرة ، واستعمل عليها عبدَ الله بن عمرو بن غيلان. فحدثني عمر ، قال: حدّثني عليّ بن محمد قال: عزل معاويةُ سمرةَ وولى عبدَ الله بن عمرو بن غَيْلان ، فأقرّه ستة أشهر ، فولى عبدُ الله بن عمرو شرطتَه عبد الله بن حِصْن[1]. (٥ : ٢٩٥).

ذكر تولية معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان

وفي هذه السنة ولى معاويةُ عبيدَ الله بن زياد خُراسان[2]. (٥ : ٢٩٥).

ذكر سبب ولاية ذلك:

حدّثني عمر؛ قال: حدّثني عليّ بن محمد ، قال: حدّثنا مسلمة بن محارب ومحمد بن أبَان القرشيّ ، قالا: لما مات زيادٌ وفد عُبيد الله إلى معاوية ، فقال له: مَن استخلَفَ أبي على عمله بالكُوفة؟ قال: عبدَ الله بن خالد بن أسِيد؛ قال: فمَن استعمل على البَصرة؟ قال: سَمُرة بن جُندب الفزاريّ ، فقال له معاوية: لو استعملك أبوك استعملتك ، فقال له عبيد الله: أنشُدك الله أن يقولها إليّ أحدٌ بعدَك: لو ولاّك أبوك وعمّك لولّيتك!.

قالا: وكان معاوية إذا أراد أن يولّي رجلاً من بني حَرْب ولاّه الطائف ، فإن رأى منه خيراً وما يعجبه ولاّه مكة معها ، فإن أحسن الولايةَ وقام بما وُلِّيَ قياماً حسناً جمع له معهما المدينةَ ، فكان إذا ولى الطائف رجلاً قيل: هو في أبي جاد ، فإذا ولاّه مكة قيل: هو في القرآن ، فإذا ولاّه المدينة قيل: هو قد حَذَق.

قالا: فلما قال عبيد الله ما قال ولاّه خُراسان ، ثم قال له حين ولاّه: إني قد عهدتُ إليك مثل عهدي إلى عمّالي ، ثم أوصيك وصيّة القرابة لخاصّتك عندي: لا تبيعنّ كثيراً بقليل ، وخذْ لنفسك من نفسِك ، واكتف فيما بينك وبين عدوّك بالوفاء تخفّ عليك المؤونة وعلينا منك ، وافتح بابَك للناس تكن في العلم منهم أنت وهم سواء ، وإذا عزمتَ على أمر فأخرجه إلى الناس ولا يكن لأحد فيه

---

(١) إسناده معضل.

(٢) أما خليفة فقد ذكر أن عبيد الله بن زياد قد غزا خراسان في هذه السنة (تأريخ خليفة/ ٢٢٢). وأما الذهبي فقد ذكر أن معاوية أمّر عبيد الله في سنة (٥٣) هـ (عهد معاوية/ ١٥٦).

مَطمَع ، ولا يرجعنّ عليك وأنت تستطيع ، وإذا لقيت عدوّك فغَلَبوك على ظهر الأرض فلا يَغلبوك على بطنها ، وإن احتاج أصحابك إلى أن تؤاسيَهم بنفسِك فآسِهِم[١] . (٥ : ٢٩٥/٢٩٦) .

حدّثني عمر ، قال : حدّثني عليّ ، قال : أخبرنا عليّ بن مجاهد عن ابن إسحاق ، قال : استعمل معاويةُ عبيدَ الله بن زياد وقال :

استمسـك الفَسْفـاسَ إن لـم يقطـع

وقال له : اتقّ الله ولا تؤثرنّ على تقوى الله شيئاً ، فإن في تقواه عِوَضاً ، عِرْضَك من أن تُدنِّسه ، وإذا أعطيتَ عهداً؛ فَفِ به ، ولا تبيعنَّ كثيراً ولا تُخرِجنّ منك أمراً حتى تُبرِمَه ، فإذا خرج فلا يُردنّ عليك ، وإذا لقيت عدوّك فكن أكثَرَ من معك ، وقاسمهم على كتاب الله ، ولا تُطْمِعَنَّ أحداً في غير حقه ، ولا تؤيسنّ أحداً من حقّ له . ثم وَدَّعَه[٢] . (٥ : ٢٩٦/٢٩٧) .

حدثني عمر ، قال : حدّثنا عليّ ، قال : حدّثنا مسلمة ، قال : سار عبيد الله إلى خراسان في آخر سنة ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وعشرين سنة من الشام ، وقدم إلى خُراسان أسلمُ بن زُرْعة الكلابيّ ، فخرج ، فخرج معه من عبْد بن قيس النَّمَريّ يَرجُز بين يديه بمرثية زياد يقول فيها :[٣] (٥ : ٢٩٧) .

حدّثني عمرُ مرّة أخرى في كتابه الذي سمّاه كتاب «أخبار أهل البصرة» ، حدّثني أبو الحسن المدائنيّ قال : لما عقد معاويةُ لعبيد الله بن زياد خراسان خرج وعليه عمامةٌ ـ وكان وَضيئا ـ والجعْد بن قيس يُنْشِده مرثية زياد :

أبـقِ علَـيّ عـاذِلـي مـن اللّـومْ فيمـا أُزيلـتْ نِعْمَتـي قبلَ اليـومْ
قـد ذَهَـبَ الكَريـمُ والظِّـلُّ الـدّومْ والنَّعَـمُ المُـؤَثـلُ الـدّثـرُ الْحَـومْ
والمـاشيـات مِشْيـةَ بعـدَ النَّـومْ ليْـتَ الجيـادَ كلَّهـا مـع القـومْ
سقيـن سُـمَّ سـاعـةٍ قَبْـلَ اليـومْ لأربَـع مَضيْـنَ مـن شهـرِ الصَّـومْ

وحجّ بالناس في هذه السنة مَروانُ بن الحَكَم، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت ،

---

(١) إسناده معضل .
(٢) في إسناده علي بن مجاهد فإن كان الكابلي فهو متروك بالإضافة إلى كون السند مجهول .
(٣) إسناده معضل .

عمّن حدّثه عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقديّ وغيرُه[١]. (٥ : ٢٩٥).

ثم دخلت سنة خمس وخمسين
ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مَشتَى سُفْيان بن عوف الأزديّ بأرض الرّوم في قول الواقديّ.

وقال بعضهم : بل الذي كان شَتَا بأرض الرُّوم في هذه السنة عَمرو بنُ محرز.

وقال بعضهم : بل الذي شَتَا بها عبدُ الله بن قيس الفَزَاريّ.

وقال بعضهم : بل ذلك مالكُ بن عبد الله[٢]. (٥ : ٢٩٩).

وفيها عَزَل معاويةُ عبد الله بن عَمرو بن غَيْلانَ عن البَصرة وولاها عُبيد الله بنَ زياد[٣]. (٥ : ٢٩٩).

ذكر الخبر عن سبب عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان وتوليته عبيد الله البصرة

حدّثني عمر ، قال : حدّثنا الوليد بن هشام وعليّ بن محمد ـ قال : واختلفا في بعض الحديث ـ قالا : خطب عبدُ الله بنُ عمرو بن غيْلانَ على منبر البَصرة ، فحصَبه رجل من بني ضَبّة ـ قال عمر : قال أبو الحسن : يُدعَى جبيرَ بن الضحاك أحد بني ضِرار ـ فأمَر به فقُطعتْ يده ، فقال :

السمــعُ والطــاعَــةُ والتسليــمْ خيــرٌ وأعفــى لبنــي تميــمْ

فأتتْه بنو ضَبّة ، فقالوا : إنّ صاحبنا جَنى ما جنى على نفسه ، وقد بالغَ الأميرُ في عقوبته ، ونحن لا نأمن أن يَبلُغ خبرُه أميرَ المؤمنين ، فيأتي من قِبله عقوبة تخصّ أو تَعمُّ ، فإنْ رأى الأميرُ أن يكتب لنا كتاباً يخرج به أحدنا إلى أمير

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) وأما الذهبي فقد ذكر هذا ضمن أحداث سنة (٥٤) هـ ، والله أعلم.

المؤمنين يُخبره أنه قطعه على شُبْهة وأمر لم يَضِحْ ، فكتب لهم بعد ذلك إلى معاوية ، فأمسكوا الكتاب حتى بلغ رأس السنة ـ وقال أبو الحسن: لم يَزد على ستة أشهر ـ فوجّه إلى معاوية ، ووافاه الضَّبّيون ، فقالوا: يا أمير المؤمنين ، إنه قطع صاحبنا ظلماً ، وهذا كتابُه إليك ، وقرأ الكتاب ، فقال: أما القَوَدَ من عمّالي فلا يصحّ ، ولا سبيل إليه ، ولكن إن شئتم ودَيْتُ صاحبَكم؛ قالوا: فَدِه؛ فوَدَاه من بيت المال ، وعَزَل عبدَ الله ، وقال لهم: اختاروا مَن تحبون أن أولّي بلدَكم؛ قالوا: يتخيّر لنا أميرُ المؤمنين ، وقد علم رأيَ أهل البصرة في ابن عامر؛ فقال: هل لكم في ابن عامر؟ فهو مَن قد عرفتم في شرفه وعفافه وطهارته ، قالوا: أميرُ المؤمنين أعلمُ ، فجعل يُردّد ذلك عليهم ليَسْبُرَهم ، ثم قال: قد ولّيت عليكم ابنَ أخي عُبيد الله بن زياد[١]. (٥: ٢٩٩/ ٣٠٠).

قال عمر: حدّثني عليّ بن محمد، قال: عَزَل معاويةُ عبدَ الله بن عَمرو، وولى عُبيدَ الله بن زياد البصرة في سنة خمسٍ وخمسين وولى عبيد الله أسلم بن زُرْعة خُراسان فلم يغزُ ، ولم يفتح بها شيئاً ، وولّى شُرَطه عبدَ الله بن حصن ، والقَضاء زُرارة بن أوفى ، ثم عَزَله ، وولى القضاءَ ابن أذينة العبديّ[٢]. (٥: ٣٠٠).

وفي هذه السنة عزل معاويةُ عبدَ الله بن خالد بن أسيد عن الكُوفة ، وولاّها الضحّاك بن قيس الفِهْريّ[٣]. (٥: ٣٠٠).

وحجّ بالناس في هذه السنة مَروانُ بنُ الحَكَم ، حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر[٤]. (٥: ٣٠٠).

ثم دخلت سنة ست وخمسين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مشتَى جُنادة بن أبي أميّة بأرض الرّوم؛ وقيل: عبد الرحمن بن مسعود.

---

(١) إسناده معضل.
(٢) إسناده معضل.
(٣) ضعيف.
(٤) في إسناده مبهم.

وقيل غزا فيها في البحر يزيد بن شَجَرة الرّهاويّ ، وفي البرّ عِياض بن الحارث[١] . (٥ : ٣٠١) .

وحجّ بالناس ـ فيما حدّثني أحمد بن ثابت عمن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ـ الوليد بن عُتبة بن أبي سُفْيان .

وفيها اعتَمَر معاوية في رجب[٢] . (٥ : ٣٠١) .

ذكر خبر البيعة ليزيد بولاية العهد

وفيها دعا معاويةُ الناسَ إلى بيعة ابنه يزيدَ من بعده ، وجعله وليّ العهد .

ذكر السبب في ذلك :

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا عليّ بن محمد ، قال : حدّثنا أبو إسماعيل الهمْدانيّ وعليّ بن مجاهد ، قالا : قال الشعبيّ : قَدِم المغيرةُ على معاويةَ واستعفاه وشكا إليه الضَّعف ، فأعفاه ، وأراد أن يولّيَ سعيدَ بن العاص ، وبلغ كاتب المغيرة ذلك ، فأتى سعيدَ بن العاص فأخبرَه وعنده رجل من أهل الكوفة يقال له : ربيعة ـ أو الربيع ـ من خُزاعة ، فأتى المغيرة فقال : يا مغيرة ! ما أرى أميرَ المؤمنين إلاّ قد قلاَك ، رأيتُ ابن خُنَيس كاتِبَك عند سعيد بن العاص يخبره : أنّ أمير المؤمنين يولّيه الكوفَة ، قال المغيرة : أفلا يقول كما قال الأعشى :

أَمْ غابَ رَبُّكَ فاعْتَرتْكَ خَصاصةٌ ... ولعلّ ربَّك أن يعودَ مؤيَّدَا

رُوَيْداً! ادخُل على يزيد؛ فدخل عليه فعرّض له بالبيعة ، فأدّى ذلك يزيد إلى أبيه ، فردَّ معاوية المغيرة إلى الكوفة ، فأمره أن يعمل في بيعة يزيد ، فشَخَص المغيرة إلى الكوفة ، فأتاه كاتبُه ابن خُنَيْس ، فقال : والله ما غششْتك ولا خُنْتُك ، ولا كرهتُ ولايَتَك ، ولكنّ سعيداً كانت له عندي يَدٌ وبلاء ، فشكرتُ ذلك له ، فرضيَ عنه وأعداه إلى كتابته ، وعَمِل المغيرةُ في بيعة يزيد ، وأوفد في ذلك وافداً إلى معاوية[٣] . (٥ : ٣٠١/ ٣٠٢) .

---

(١) إسناده ضعيف .

(٢) في إسناده مبهم .

(٣) علي بن مجاهد متروك إن كان الكابلي وإلا فمجهول وأبو إسماعيل هذا لم نجد له ترجمة .

حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا عليّ عن مَسلَمة ، قال: لما أراد معاوية أن يبايع ليزيدَ كتب إلى زياد يستشيره ، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النُّميريّ ، فقال: إنّ لكلّ مستشير ثقة ، ولكلّ سرٍّ مستودَع ، وإنّ الناس قد أبدعت بهم خصلتان: إذاعة السرّ ، وإخراج النصيحة إلى غير أهلها ، وليس موضع السرّ إلا أحد رجلين ، رجلُ آخرة يرجو ثواباً ، ورجل دُنْيا له شَرَف في نفسه وعَقْل يصون حَسَبَه ، وقد عجمْتُهما منك ، فأحمدت الذي قِبَلك ، وقد دعوتُك لأمر اتّهمتُ عليه بطونَ الصّحُف؛ إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد ، وهو يتخوّف نَفْرةَ الناس ، ويرجو مطابقَتهم ، ويستشيرني ، وعلاقةُ أمرِ الإسلام وضمانُه عظيم ، ويزيد صاحبُ رَسْلَة وتهاون ، مع ما قد أولِع به من الصيد ، فالقَ أمير المؤمنين مؤدّياً عني؛ فأخبره عن فَعَلات يزيد؛ فقال له: رُوَيْدَك بالأمر ، فأقْمَنُ أن يتمّ لك ما تريد ، ولا تَعجَل فإنّ دَرَكاً في تأخير خيرٌ من تعجيل عاقبَتُهُ الفَوْت. فقال عُبيد له: أفلا غير هذا! قال: ما هو؟ قال: لا تُفسِد على معاويةَ رأيَه ، ولا تمقِّت إليه ابنَه ، وألقَى أنا يزيدَ سرّاً من معاوية فأخبِره عنك أنّ أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في بيعته ، وأنك تخوَّفُ خلاف الناس لهنَاتٍ ينقمونها عليه ، وأنّك ترى له ترك ما يُنقَمُ عليه ، فيستحكم لأمير المؤمنين الحجّة على الناس ، ويسهل لك ما تريد ، فتكونَ قد نصحت يزيد وأرضيتَ أميرَ المؤمنين؛ فسلمت مما تخاف من علاقة أمر الأمّة. فقال زياد: لقد رميت الأمر بحَجَرِه ، اشخَص على بركة الله ، فإن أصبت فما لا ينكر ، وإن يكن خطأ فغير مستغَشّ وأبْعُد بك إن شاء الله من الخطأ ، قال: تقول بما ترى ، ويقضي الله بغيب ما يَعلمَ. فقدم على يزيدَ فذاكره ذلك. وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة ، وألاّ يَعجَل ، فقبل ذلك معاوية ، وكفّ يزيد عن كثير مما كان يصنع ، ثم قدم عُبيد على زياد فأقطعه قطيعة[1]. (٥: ٣٠٢/ ٣٠٣).

حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: لما مات زياد دعا معاويةُ بكتاب فقرأه على الناس باستخلاف يزيد ، إن حدَثَ به حدثُ الموت فيزيد وليّ عهد ، فاستوسق له الناس على البيعة ليزيدَ غير خمسة نفر[2]. (٥: ٣٠٣).

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده معضل.

فحدّثني يعقوبُ بن إبراهيم ، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال: حدّثنا ابن عون ، قال: حدّثني رجل بنخلة ، قال: بايع الناسُ ليزيدَ بن معاوية غير الحسين بن عليّ ، وابن عمرَ ، وابن الزّبير ، وعبد الرحمن بن أبي بَكر ، وابن عبّاس؛ فلما قدم معاوية أرسل إلى الحسين بن عليّ ، فقال: يابن أخي ! قد استوسق الناسُ لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودُهْم؛ يا بنَ أخي ! فما إرْبك إلى الخلاف؟ قال: أنا أقودهم! قال: نعم ، أنت تقودهم؛ قال: فأرسل إليهم ، فإنْ بايعوا كنتُ رجلاً منهم ، وإلا لم تكن عجلتَ عليّ بأمر؛ قال: وتفعل؟ قال: نعم؛ قال: فأخذ عليه ألاّ يُخبر بحديثهم أحداً قال: فالْتوى عليه ، ثم أعطاه ذلك ، فخرج وقد أقعدَ له ابنُ الزبير رجلاً بالطريق قال: يقول لك أخوك ابن الزبير: ما كان؟ فلم يزل به حتى استخرج منه شيئاً.

ثم أرسل بعدَه إلى ابن الزّبير ، فقال له: قد استوسق الناسُ لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم؛ يا بن أخي! فما إرْبك إلى الخلاف؟ قال: أنا أقودهم! قال: نعم ، أنت تقودهم؛ قال: فأرسل إليهم فإن بايعوا كنتُ رجلاً منهم ، وإلا لم تكن عجلتَ عليَّ بأمر؛ قال: وتفعل؟ قال: نعم؛ قال: فأخذ عليه ألا يخبر بحديثهم أحداً قال: يا أمير المؤمنين ، نحن في حَرَم الله عزّ وجلّ ، وعهدُ الله سبحانه ثقيل ، فأبى عليه ، وخرج.

ثم أرسل بعدَه إلى ابن عمر فكلّمه بكلام هو ألْيَن من كلام صاحبه ، فقال: إنّي أرهب أن أدعَ أمة محمد بعدي كالضأن لا راعيَ لها ، وقد استوسَق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ، فما إرْبك إلى الخلاف! قال: هل لك في أمرٍ يُذهب الذمّ ، ويحقن الدم ، وتُدرك به حاجتك؟ قال: وددتُ! قال: تبرز سريرك ، ثم أجيء فأبايعك ، على أنّي أدخل بعدَك فيما تجتمع عليه الأمة ، فو الله لو أنّ الأمة اجتمعتْ بعدك على عبد حبشيّ لدخلتُ فيما تدخل فيه الأمة؛ قال: وتفعل؟ قال: نعم ، ثم خرج فأتى منزلَه فأطبق بابَه ، وجعل الناسُ يجيئون فلا يأذن لهم.

فأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال: يا بن أبي بكر ، بأيّة يدٍ أو رِجل تُقدِم على معصيتي! قال: أرجو أن يكون ذلك خيراً لي؛ فقال: والله لقد هممتُ

أن أقتلَك؛ قال: لو فعلتَ لأتبعَك الله به لعنةً في الدنيا، وأدخلك به في الآخرة النار.

قال: ولم يذكر ابن عباس[١]. (٥: ٣٠٣/ ٣٠٤)

وكان سبب ولايته خُراسانَ ما حدّثني عمر، قال: حدّثني عليّ، قال: أخبرني محمد بن حفص، قال: سأل سعيد بن عثمانَ معاوية أن يستعمله على خُراسان، فقال: إنّ بها عبيد الله بن زياد، فقال: أما لقد اصطنعك أبي ورَفاك حتى بلغتَ باصطناعه المَدَى الذي لا يُجارَى إليه ولا يُسامَى، فما شكرتَ بلاءه، ولا جازيته بآلائه، وقدّمت عليَّ هذا ـ يعني: يزيد بن معاوية ـ وبايعتَ له؛ ووالله لأنا خير منه أباً وأمًّا ونفساً؛ فقال: فقال معاوية: أمّا بلاء أبيك فقد يحقّ عليّ الجزاء به، وقد كان من شكري لذلك أني طلبتُ بدمه حتى تكشفت الأمور، ولست بلائم لنفسي في التّشمير؛ وأما فضل أبيك على أبيه فأبوك والله خيرٌ مني وأقربُ برسول الله ﷺ؛ وأما فضل أمّك على أمه فما يُنكَر، امرأةٌ من قريش خير من امرأة من كلب، وأما فضلُك عليه فو الله ما أحبّ أن الغُوطة دُحِسَتْ ليزيد رجالاً مثلك. فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين، ابنُ عمّك، وأنت أحقّ مَن نظر في أمره، وقد عَتَب عليك فأعتبه. قال: فولاه حربَ خُراسان، وولى إسحاق ابنَ طلحة خَراجها، وكان إسحاق ابن خالة معاوية، أمّه أمّ أبان ابنة عُتبة بن ربيعة، فلما صار بالرّيّ مات إسحاق بن طلحة فولى سعيد خراجَ خُراسان وحربَها[٢]. (٥: ٣٠٥).

حدّثني عمر، قال: حدّثني عليّ، قال: أخبرنا مسلمة، قال: خرج سعيد إلى خُراسان، وخرج معه أوس بن ثعلبة التّيميّ صاحب قصر أوس؛ وطلحة بن عبد الله بن خَلَف الخُزاعيّ، والمهلّب بن أبي صُفرة، وربيعة بن عِسْل أحدُ بني عمرو بن يَربوع؛ قال: وكان قومٌ من الأعراب يقطعون الطريقَ على الحاجّ ببطن فَلْج، فقيل لسعيد: إنّ هاهنا قوماً يقطعون الطريق على الحاجّ ويُخيفون السبيل، فلو أخرجتَهم معك! قال: فأخرج قوماً من بني تميم، منهم مالك بن الرَّيْب

(١) في إسناده مبهم.
(٢) إسناده ضعيف.

المازنيّ في فِتْيان كانوا معه ، وفيهم يقول الراجز:

الله أنجــاك مــن القصيــم ومــن أبــى حَـرْدبَـةَ الأثيـم
ومــن غُـوَيْـثٍ فـاتـح العُكُـومِ ومـالِـكٍ وسيفـه المَسْمُـومِ

قال عليّ: قال مسَلَمة: قدم سعيد بنُ عثمانَ ، فقطع النّهر إلى سَمرْقَنْد، فخرج إليه أهل الصُّغد ، فتواقفوا يوماً إلى الليل ثم انصرفوا من غير قتال، فقال مالكُ بن الرَّيْب يذمّ سعيداً:

مـا زلـتَ يـومَ الصُّغْـدِ تُـرعَـدُ واقفـاً مـن الجُبـن حتـى خِفـتُ أن تَتَنصَّـرا
ومـا كـان فـي عثمـانَ شـيءٌ عَلِمتُـه سـوى نَسْلِـهِ فـي رهطِـه حيـن أدبـرَا
ولـولا بنـو حـرب لَظَلَّـتْ دمـاؤُكُـمْ بُطُـونَ العَظـايـا مـن كسيـرٍ وأَعـورَا

قال: فلما كان الغدُ خرج إليهم سعيدُ بن عثمانَ ، وناهَضَه الصُّغد ، فقاتلهم فهزَمهم وحصَرهم في مدينتهم ، فصالحوه وأعطَوْه رُهُناً منهم خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم ، وعَبَر فأقام بالتِّرْمِذ ، ولم يفِ لهم ، وجاء بالغلْمان الرّهن معه إلى المدينة.

قال: وقدم سعيد بن عثمانَ خُراسان وأسلم بن زُرْعة الكلابيّ بها من قبَل عُبيد الله بن زياد ، فلم يزل أسلم بن زُرعة بها مقيماً حتى كتب إليه عُبيد الله بن زياد بعهده على خُراسان الثانية ، فلما قدِم كتابُ عبيد الله على أسلم طرق سعيد بن عثمانَ ليلاً ، فأسقطتْ جاريةٌ له غلاماً ، فكان سعيد يقول: لأقتلنّ به رجلاً من بني حرب؛ وقدم على معاوية فشكا أسلم إليه ، وغضبت القيسيّة؛ قال: فدخل همّام بن قَبيصة النَّمَري فنظر إليه معاويةِ محمرَّ العينين ، فقال: يا همام! إنّ عينيك لمحمرّتان؛ قال همّام: كانتا يومَ صفين أشدّ حُمرة؛ فغمّ معاوية ذلك ، فلما رأى ذلك سعيد كفّ عن أسلم ، فأقام أسلم بن زُرْعة على خُراسان والياً لعُبيد الله بن زياد سنتين[1]. (٥: ٣٠٥/ ٣٠٦/ ٣٠٧).

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

وكان فيها مَشتّى عبد الله بن قيس بأرض الرّوم.

---

(١) إسناده مرسل ضعيف.

وفيها صُرف مروانُ عن المدينة في ذي القعدة في قول الواقديّ؛ وقال غيره: كان مروانُ إليه المدينة في هذه السنة.

وقال الواقديّ: استعمل معاويةُ على المدينة حين صَرَف عنها مروانَ الوليدَ بن عُتْبة بن أبي سُفْيان.

وكالذي قال الواقديّ: قال أبو معشر: حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت الرازيّ عمّن حدّثه، عن إسحاق بن عيسى، عنه[١].

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها نزعَ معاويةُ مروانَ عن المدينة في ذي القعدة في قول أبي معشر، وأمَّر الوليد بن عتبة بن أبي سُفيان عليها؛ حدّثني بذلك أحمدُ بن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عنه[٢]. (٥: ٣٠٩).

وفيها غزا مالكُ بن عبد الله الخثعميّ أرضَ الروم.

وفيها قتل يزيد بن شجرة في البحر في السفن في قول الواقديّ. قال: ويقال عمرو بن يزيد الجُهَنيّ، وكان الذي شتا بأرض الروم، وقد قيل: إنّ الذي غزا في البحر في هذه السنة جُنادة بن أبي أميّة[٣]. (٥: ٣٠٩).

وحجّ بالناس في هذه السنة الوليدُ بن عُتبة بن أبي سُفْيان، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال الواقديّ وغيره[٤]. (٥: ٣٠٩).

عزل الضحّاك عن الكوفة واستعمال عبد الرحمن بن أمّ الحكم

وفي هذه السنة ولى معاويةُ الكوفةَ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن

(١) ضعيف وكذلك قال خليفة (تأريخ خليفة/ ٢٢٤).
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف

عثمان بن ربيعة الثقفيّ ، وهو ابن أمّ الحَكَم أخت معاوية بن أبي سُفْيان ، وعزل عنها الضحّاك بن قيس ، ففي عمله في هذه السنة خرجتْ الطائفة الذين كان المغيرةُ بنِ شعبة حبَسَهم في السّجن من الخوارج الذين كانوا بايعوا المستورد بن عُلَّفة ، فظَفِر بهم فاستَودعَهم السجن ، فلما مات المغيرةُ خرجا من السجن[١] .
(٥ : ٣٠٩)

فذكر هشام بن محمد: أنّ أبا مخنف ، حدّثه عن عبد الرحمن بن جُندب ، عن عبد الله بن عُقْبة الغَنَوِيّ: أنّ حيّان بن ظَبْيان السُّلَميّ جمع إليه أصحابه ، ثم إنه حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال لهم: أمّا بعد ، فإنّ الله عزّ وجلّ كتب علينا الجهاد ، فمنّا من قَضَى نَحْبَه ، ومنّا من يَنتظر ، وأولئك الأبرار الفائزون بفضلهم ، ومَنْ يكن منّا من ينتظر فهو من سلَفنا القاضين نحبَهم ، السابقين بإحسان؛ فمن كان منكم يريد الله وثوابةَ فليَسلك سبيلَ أصحابه وإخوانه يؤته اللهُ ثوابَ الدنيا وحُسنَ ثوابِ الآخرة والله مع المحسنين.

قال معاذ بن جُوَين الطائيّ: يا أهل الإسلام ! إنا والله لو علمْنا أنا إذا تركنا جهاد الظلمة وإنكار الجوْر؛ كان لنا به عند الله عذر ، لكان تركه أيْسَر علينا ، وأخفَّ من ركوبه ، ولكنّا قد علمنا واستيقنّا أنه لا عذر لنا ، وقد جعل لنا القلوب والأسماع حتى ننكر الظلم ، ونُغيّر الجوْر ، ونجاهِد الظالمين؛ ثم قال: ابسط يَدك نبايعك ، فبايعه وبايَعَه القومُ ، فضربوا على يد حيَّان بن ظَبْيان ، فبايعوه ، وذلك في إمارة عبد الرحمنِ بن عبد الله بن عثمان الثقفيّ ، وهو ابن أمّ الحَكَم ، وكان على شرطته زائدة بن قُدامة الثقفيّ .

ثم إن القوم اجتمعوا بعد ذلك بأيام إلى منزل معاذ بن جوين بن حصين الطائيّ. فقال لهم حيَّان بن ظَبْيان: عبادَ الله ! أشيروا برأيكم ، أين تأمروني أن أخرج؟ فقال له معاذ: إني أرى أن تسير بنا إلى حُلوان حتى ننزلها ، فإنها كورةٌ بين السهل والجبل ، وبين المصر والثّغر ـ يعني بالثغر: الري ـ فمن كان يرى رأيَنا من أهل المِصْر والثَّغر والجبال والسواد لحق بنا. فقال له حيّان: عدوُّك مُعاجلك قبل اجتماع الناس إليك ، لَعَمري لا يتركونكم حتى يجتمعوا إليكم ، ولكن قد رأيت

---

(١) ضعيف.

أن أخرجَ معكم في جانب الكوفة والسَّبخة أو زُرارة والحيرة ، ثم نقاتلهم حتى نلحق بربّنا ، فإني والله لقد علمتُ: أنكم لا تقدرون وأنتم دون المئة رجل أن تَهزموا عدوَّكم ، ولا أن تشتدّ نكايتكم فيهم؛ ولكن متى عَلم الله: أنكم قد أجهدتم أنفسَكم في جهادِ عدوّه وعدوّكم كان لكم به العذر ، وخرجتم من الإثم. قالوا: رأينا رأيك ، فقال لهم عتريس بن عُرقوب أبو سليمان الشيبانيّ: ولكن لا أرى رأيَ جماعتكم ، فانظروا في رأي لكم ، إنِّي لا إخالُكم تجهَلون معرفتي بالحرب ، وتجربتي بالأمور. فقالوا له: أجَل ، أنت كما ذكرت ، فما رأيك؟ قال: ما أرى أن تخرجوا على الناس بالمصر ، إنكم قليل في كثير ، والله ما تزيدون على أن تجزروهم أنفسكم؛ وتقرّوا أعينهم بقتلكم ، وليس هكذا تكون المكايدة إذْ آثرتم أن تَخرجوا على قومكم ، فكيدوا عدوَّكم ما يضرّهم؛ قالوا: فما الرأي؟ قال: تسيرون إلى الكُورة التي أشار بنزولها مُعاذ بن جُوَين بن حصين ـ يعني: حُلوان ـ أو تسيرون بنا إلى عَين التّمر فنقيم بها ، فإذا سمع بنا إخواننا أتَوْنا من كلّ جانبٍ وأوْب؛ فقال له حيّان بن ظَبْيان: إنك والله لو سرتَ بنا أنت وجميع أصحابك نحو أحدِ هذين الوجهين ما أطمَأنَنْتم به حتى يلحق بكم خيولُ أهل المِصْر ، فأنى تشْفُونَ أنفسَكم! فو الله ما عِدَّتكم بالكثيرة التي ينبغي أن تَطمَعوا معها بالنصر في الدّنيا على الظالمين المعتدين ، فاخرجوا بجانب من مِصركم هذا فقاتلوا عن أمر الله من خالفَ طاعة الله ، ولا تربّصوا ولا تنتظروا فإنكم إنما تبادرون بذلك إلى الجنة ، وتُخرِجون أنفسكم بذلك من الفتنة. قالوا: أما إذا كان لابدّ لنا فإنا لن نخالفك ، فاخرج حيث أحببت.

فمكث حتى إذا كان آخر سنة من سني ابن أمّ الحَكَم في أوّل السنة ـ وهو أوّل يوم من شهر ربيع الآخر ـ اجتمع أصحابُ حيّان بن ظَبْيان إليه ، فقال لهم: يا قوم ! إنّ الله قد جمعكم لخير وعلى خيرٍ ، والله الذي لا إله غيره ما سررتُ بشيء قطّ في الدنيا بعد ما أسلمت سُروري لمُخرَجي هذا على الظَّلمة الأثمَة ، فوالله ما أحبّ أنّ الدنيا بحذافيرها لي وأن الله حَرَمني في مُخرَجي هذا الشهادة. وإني قد رأيت أن نخرج حتى ننزل جانب دار جرير ، فإذا خرج إليكم الأحزابُ ناجزْتمُوهم. فقال عتْريس بن عُرقوب البَكْريّ: أمّا أن نقاتلَهم في جوف المِصْر فإنه يقاتلنا الرّجال ، وتَصعَد النساءُ والصّبيان والإماء فيرموننا بالحجارة؛ فقال

لهم رجل منهم: انزلوا بنا إذاً من وراء المِصْر الجسرَ ـ وهو موضع زرارة ، وإنما بنيت زُرارة بعد ذلك إلا أبياتاً يسيرة كانت منها قبل ذلك ـ فقال لهم معاذ بن جوين بن حصين الطائيّ: لا ، بل سيروا بنا فلننزل بانقِيَا فما أسرع ما يأتيكم عدوّكم ، فإذا كان ذلك استقبلْنا القومَ بوجوهنا ، وجعلْنا البيوت في ظهورنا ، فقاتلْناهم من وجه واحد. فخرجوا ، فبُعث إليهم جيش ، فقُتلوا جميعاً.

ثم إنّ عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم طرده أهل الكوفة ، فحدّثت عن هشام بن محمد ، قال: استعمل معاويةُ ابن أمّ الحكم على الكوفة فأساء السيرة فيهم ، فطردوه ، فلحق بمعاوية وهو خاله ، فقال له: أولّيك خيراً منها؛ مِصرَ؛ قال: فولاّه ، فتوجه إليها ، وبلغ معاويةَ بن حُديج السَّكونيّ الخبر ، فخرج فاستقبله على مَرْحلتين من مصر ، فقال: ارجع إلى خالك فلَعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة.

قال: فرجع إلى معاوية ، وأقبل معاوية بن حُدَيج وافداً؛ قال: وكان إذا جاء قُلِّسَتْ له الطريق ـ يعني ضُربت له قِباب الرّيحان ـ قال: فدخل على معاوية وعنده أمّ الحكم ، فقالت: مَن هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: بخٍ! هذا معاوية بن حُدَيج؛ قالت: لا مرحَباً به! تَسمعَ بالمُعَيْديّ خيرٌ من أن تراه؛ فقال: على رِسْلِكِ يا أمّ الحكم! أما والله لقد تزوّجتِ فما أكرمتِ ، وولدتِ فما أنْجَبْتِ ، أردتِ أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة؛ ما كان الله ليُريَه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربْناه ضرباً يطأطىء منه ، وإن كره ذلك الجالس. فالتفت إليها معاوية ، فقال: كُفّي[1]. (٥: ٣٠٩/ ٣١٠/ ٣١١/ ٣١٢).

وأما مِرْداس بن أديّة فإنه خرج بالأهواز وقد كان ابن زياد قبل ذلك حَبَسه ـ فيما حدّثني عمر ، قال: حدّثني خلّاد بن يزيدَ الباهليّ ، قال ـ: حبس ابن زياد ـ فيمن حَبَسَ ـ مرداسَ بن أديّة ، فكان السجّان يرى عبادته واجتهادَه ، وكان يأذن له في الليل ، فينصرف ، فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن ، وكان صديقٌ لمرداس يسامرُ ابنَ زياد ، فذكر ابن زياد الخوارج ليلةً فعزم على قتلهم إذا أصبح ، فانطلق صديقُ مرداس إلى منزل مِرداس فأخبرهم ، وقال: أرسلوا إلى

---

(١) إسناده تالف.

أبي بلال في السجن فليعهدْ فإنه مقتول ، فسمع ذلك مرداس ، وبلغ الخبرُ صاحبَ السجن ، فبات بليلة سوء إشفاقاً من أن يعلم الخبر مِرداس فلا يرجع ، فلما كان الوقت الذي كان يرجع فيه إذا به قد طلع ، فقال له السجّان: هل بلغك ما عزم عليه الأمير؟ قال: نعم؛ قال: ثمّ غدوتَ! قال: نعم ، ولم يكن جزاؤك مع إحسانك أن تعاقَب بسببي؛ وأصبح عُبيد الله فجعل يَقتل الخوارج ، ثم دعا بمرداس ، فلمّا حضر وَثَب السجّان ـ وكان ظئراً لعبيد الله ـ فأخذ بقدمه ، ثم قال: هب هذا؛ وقصّ عليه قصّته ، فوهبه له وأطلَقه[1]. (٥ : ٣١٣).

وقيل: مات في هذه السنة عُميرة بن يثربيّ قاضي البَصرة ، واستُقضِيَ مكانَه عليها هشامُ بن هُبيرة.

وكان على الكوفة في هذه السنة عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم. وقال بعضهم: كان عليها الضحّاك بن قيس الفِهْريّ ، وعلى البَصْرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح.

وحجّ بالناس الوليدُ بنُ عُتبة في هذه السنة ، كذلك قال أبو معشر والواقديّ[2]. (٥ : ٣١٤).

ثم دخلت سنة تسع وخمسين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشتَى عَمرو بن مرّة الجُهَنيّ أرض الروم في البرّ؛ قال الواقديّ: لم يكن عامَئذٍ غزوٌ في البحر. وقال غيره: بل غزا في البحر جُنادة بنُ أبي أميّة.

وفيها عُزِل عبدُ الرحمن بن أمّ الحكم عن الكوفة ، واستُعمل عليها النعمانُ بنُ بَشير الأنصاريّ؛ وقد ذكرنا قبلُ سببَ عزل ابن أمّ الحَكَم عن الكوفة[3].

(٥ : ٣١٥)

---

(١) إسناده معضل.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان

وفي هذه السنة ولَّى معاوية عبدَ الرحمن بنَ زياد بن سُمَيَّة خُراسان.

ذكر سبب استعمال معاوية إيَّاه على خراسان:

حدّثني الحارث بن محمد، قال: حدّثنا عليّ بن محمد، قال: حدّثنا أبو عمرو، قال: سمعتُ أشياخَنا يقولون: قدم عبدُ الرحمن بنُ زياد وافداً على معاوية، فقال: يا أميرَ المؤمنين! أمَا لنا حقٌّ؟ قال: بلَى؛ قال: فماذا تولّيني؟ قال: بالكوفة النعمان رشيدٌ، وهو رجل من أصحاب النبيّ ﷺ، وعبيد الله بن زياد على البَصرة وخُراسان، وعبّاد بن زياد على سِجِسْتان، ولست أرى عملاً يُشبهك إلا أن أشركك في عمل أخيك عبيد الله؛ قال أشركني، فإنَّ عمله واسع يحتمل الشركة، فولاّه خُراسان[1]. (٥: ٣١٥)

قال علي: وذكر أبو حفص الأزديّ، قال: حدّثني عمر، قال: قدم علينا قيسُ بنُ الهيثم السُّلَميّ، وقد وجّهه عبد الرحمن بن زياد، فأخذ أسلم بن زُرْعة فحبسه، ثم قَدِم عبد الرحمن، فأغرَمَ أسلم بن زرْعة ثلاثَمئة ألف درهم[2]. (٥: ٣١٥/٣١٦)

قال: وذكر مصعب بن حيّان، عن أخيه مُقاتل بن حيّان، قال: قدمَ عبدُ الرحمن بن زياد خُراسانَ، فقدمَ رجلٌ سخيٌّ حريصٌ ضعيفٌ لم يغزُ غزوةً واحدةً، وقد أقام بخُراسان سنتين[3]. (٥: ٣١٦)

قال عليّ: قال عوانة: قدم عبدُ الرحمن بن زياد على يزيدَ بن معاوية من خُراسان بعد قتل الحسين عليه السلام، واستخلف على خُراسان قيسَ بن الهيثم[4]. (٥: ٣١٦)

قال: وحدّثني مسلمة بن محارب وأبو حفص، قالا: قال يزيدُ لعبد الرحمن

---

(١) في إسناده من لم يسم (بعض أشياخنا).

(٢) في إسناده انقطاع.

(٣) في إسناده مصعب بن حيان، لين الحديث.

(٤) إسناده مرسل ضعيف.

ابن زياد: كم قدمتَ به معك من المال من خُراسان؟ قال: عشرين ألف ألف درهم؛ قال: إن شئتَ؛ حاسبناك وقبضناها منك، ورددناك على عملك، وإن شئتَ؛ سوّغناك وعزَلْناك، وتعطي عبدَ الله بن جعفر خمسمئة ألف درهم؛ قال: بل تسوّغني ما قلت، ويُستعمل عليها غيري. وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم، وقال: خمسمئة ألف من قِبَلِ أمير المؤمنين، وخمسمئة ألف من قبلي[1]. (٥: ٣١٦)

ذكر وفود عبيد الله بن زياد على معاوية

وفي هذه السنة وَفَد عُبيد الله بن زياد على معاوية في أشراف أهل البَصرة، فعزله عن البصرة، ثم ردّه عليها وجدّد له الولاية.

ذكر من قال ذلك:

حدّثني عمر، قال: حدّثني عليّ، قال: وفد عُبيد الله بن زياد في أهل العراق إلى معاوية فقال له: ائذنْ لوفدك على منازلهم وشرفهم، فأذِن لهم، ودخل الأحنفُ في آخرهم، وكان سَيّيء المنزلة من عُبيد الله، فلما نظر إليه معاويةُ رحّب به، وأجلسه معه على سريره، ثم تكلم القومُ فأحسنوا الثناءَ على عبيد الله، والأحنفُ ساكت، فقال: مالَكَ يا أبا بَحْر لا تتكلّم! قال: إن تكلّمتُ؛ خالفتُ القومَ. فقال: انهضوا فقد عزلْته عنكم، واطلبوا والياً ترضَوْنه، فلم يَبق في القوم أحد إلا أتى رجلاً من بني أميّة أو من أشراف أهل الشأم، كلّهم يطلب، وقعد الأحنف في منزله، فلم يأت أحداً، فلبثوا أياماً، ثم بعث إليهم معاوية فجمعهم، فلما دخلوا عليه قال: مَن اخترتم؟ فاختلفتْ كلمتهم، وسمّى كلّ فريق منهم رجلاً والأحنف ساكتٌ، فقال له معاوية: مالَك يا أبا بحرٍ لا تتكلّم! قال: إن ولّيت علينا أحداً من أهل بيتك لم نعدل بعُبَيد الله أحداً، وإنْ ولّيت من غيرهم فانظر في ذلك، قال معاوية: فإني قد أعدته عليكم، ثم أوصاه بالأحنف، وقبّح رأيَه في مباعدته، فلما هاجت الفتنةُ لم يفِ لعُبيد الله غيرُ الأحنف[2]. (٥: ٣١٦/٣١٧)

---

(١) إسناده مرسل ضعيف.

(٢) إسناده معضل.

ذكر هجاء يزيد بن مفرّغ الحميري بني زياد

وفي هذه السنة كان ما كان من أمر يزيد بن مفرِّغ الحميريّ وعبّاد بن زياد وهجاء يزيد بني زياد.

ذكر سبب ذلك:

حدّثت عن أبي عُبيدة مَعمر بن المثنّى: أن يزيدَ بن ربيعة بن مفرِّغ الحِمْيَريّ كان مع عبّاد بن زياد بسِجستان، فاشتغل عنه بحرب التّرك، فاستبطأه، فأصاب الجند مع عبّاد ضِيقٌ في أعلاف دوابّهم، فقال ابنِ مفرِّغ:

ألا لَيْـتَ اللِّحَـى عـادتْ حَشيشـاً ... فنعْلِفهـا خُيُـولَ المُسْلِمينَـا!

وكان عبّاد بن زياد عظيمَ اللحية، فأنهيَ شِعْرُه إلى عبّاد؛ وقيل: ما أراد غيرَك، فطلبه عبّاد، فهرب منه، وهجاه بقصائد كثيرة، فكان مما هجاه به قولُه:

إذا أَوْدَى مُعـاويـةُ بـنُ حَـرْبٍ ... فبَشِّـرْ شعْـبَ قعْبـكَ بـانصـداع

فـأَشْهـدُ أنَّ أُمـكَ لـم تُبـاشِـرْ ... أبـا سُفيـانَ واضعـةَ القِنـاعِ

ولكِـنْ كـان أَمـراً فيـه لَبْـسٌ ... علـى وَجَـلٍ شَـديـدٍ وارتيـاعِ

وقوله:

ألا أَبْلـغْ مُعـاويَـةَ بـن حَـرْبٍ ... مُغَلْغَلـةً مـن الـرَّجُـل اليمـانـي

أَتَغْضـبُ أن يُقـال أَبُـوكَ عَـفٌّ ... وتَـرضَـى أن يُقـالَ أَبُـوكَ زَانِ!

فـأَشْهَـد أنَّ رِحْمَـكَ مـن زِيـادٍ ... كـرِحْـم الفِيـل مـن ولَـدِ الأتـان[١]

(٥: ٣١٧/ ٣١٨).

فحدثّني أبو زيد، قال: لما هجا ابن المفرِّغ عبّاداً فارقه مقبلاً إلى البَصرة، وعبيد الله يومئذ وافدٌ على معاوية، فكتب عبّاد إلى عُبيد الله ببعض ما هجاه به، فلمّا قرأ عُبيد الله الشعرَ دخل على معاوية فأنشده إياه، واستأذنه في قتل ابن مفرِّغ، فأبى عليه أن يقتلَه، وقال: أدِّبْه ولا تبلغ به القتل، وقدم ابن مفرِّغ

---

(١) بين الطبري وأبي عبيدة من لم يُسَمّ ثم ذكره أبو عبيدة بلا إسنادٍ والله أعلم.

البَصرة ، فاستجار بالأحنف بن قيس ، فقال: إنا لا نجير على ابن سميّة ، فإن شئتَ كفيتُك شعراءَ بني تميم؛ قال: ذاك ما لا أبالي أنْ أكفاه ، فأتى خالد بن عبد الله فوعده ، وأتى أميّة فوعده ، ثم أتَى عمر بن عبيد الله بن معمر فوعده ، ثم أتى المنذرَ بن الجارود فأجاره ، وأدخله دارَه ، وكانت بَحْرِيَّة بنت المنذر عند عُبيد الله ، فلما قدم عبيد الله البَصرة أخبر بمكان ابن مفرِّغ عند المنذر ، وأتَى المنذرُ عبيدَ الله مسلِّماً ، فأرسل عبيد الله الشُّرَط إلى دار المنذر ، فأخذوا ابن مفرِّغ ، فلم يشعر المنذر وهو عند عُبيد الله إلا بابن مفرِّغ قد أقيم على رأسه ، فقام إلى عُبيد الله ، وقال: أيّها الأمير ! إني قد أجرته ، قال: والله يا منذر ليمدحنّك وأباك ويهجوني أنا وأبي ، ثم تجيره عليّ! فأمر به فسُقي دواءً ، ثم حُمل على حمار عليه إكافٌ فجعل يطاف به وهو يَسلَح في ثيابه ، فيُمَرُّ به في الأسواق ، فمرّ به فارسي فرآه ، فسأل عنه ، فقال: إين جيست؟ ففهمها ابن مفرّغ ، فقال:

آبْ اســـــتْ نبيـــــذ اســـــت عصـــــارات زبيـــــب اسْـــت
سُمَيّـــــة روسپـــــد اســـــتْ

ثم هجا المنذر ابن الجارود:

تـركـتُ قُـرَيشـاً أن أُجـاورَ فيهـمُ وجاوَزْتُ عبدَ القيسِ أهْلَ المُشَقَّرِ
أُنـاسٌ أَجـارُونـا فكـان جـوارُهُـمْ أعـاصيـرَ مـن فَسْـوِ العِـراق المُبَـذِّرِ
فـأَصبـح جارِي من جُـذيمَـةَ نـائمـاً ولا يمنَـعُ الجِيـران غَيـرُ المُشمّـر

وقال لعُبيد الله:

يَغْسِـلُ المـاءُ مـا صَنَعْـتَ وقَـوْلـي راسِـخٌ منـكَ فـي العظـامِ البَـوالـي

ثم حمله عُبيد الله إلى عبّاد بسِجستان ، فكلّمت اليمانية فيه بالشأم معاوية ، فأرسل رسولاً إلى عبّاد ، فحمل ابن مفرّغ من عنده حتى قَدِم على معاوية ، فقال في طريقه:

عَـدَسْ مـا لِعبّـادٍ عَلَيْـكِ إمـارةٌ نجَـوْتِ وهـذا تحمليـنَ طَليـقُ
لَعَمْـرِي لقـد نجّـاكِ مـن هُـوَّةِ الرَّدى إمـامٌ وحبْـلٌ لـلأنـام وَثِيـقُ
سأشكُرُ ما أَوْلَيْتَ من حُسْنِ نِعْمةٍ ومِثْلـي بِشُكْـرِ المنعِميـنَ حقيـقُ

فلما دخل على معاوية بكى ، وقال: رُكبَ مني ما لم يُرْكَبْ من مسلم على غير حَدَث ولا جريرة! قال: أوَ لست القائل:

ألا أبلــغ معـــاويــةَ بــن حَــرْبٍ   مُغلغلــةً مــن الــرَّجـلِ اليَمــانــي!

القصيدة ـ قال: لا والذي عظَّم حقَّ أمير المؤمنين ما قلتُ هذا؛ قال: أفلمْ تقل:

فــأَشهَــدُ أَن أُمَّــكَ لــم تُبــاشِــرْ   أَبــا سُفْيــانَ واضعــةَ القِنــاع

في أشعار كثيرة هجوتَ بها ابن زياد! اذهب فقد عفونا لك عن جُرمك، أما لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شيء، فانطلق؛ وفي أيّ أرض شئتَ فانزل، فنزل المَوْصِلَ، ثمّ إنه ارتحل إلى البَصرة، فقدمها، ودخل على عُبيد الله فآمنه[1]. (٥: ٣١٨/ ٣١٩/ ٣٢٠).

وأما أبو عُبيدة فإنه قال في نزول ابن مفرّغ الموصل عن الذي أخبرني به أبو زيد، قال: ذكر أنّ معاويةَ لما قال له: ألست القائل:

ألاَ أبلــغْ معــاويــةَ بَــن حَــرْبٍ   مُغلغَلــةً مــن الــرّجــل اليَمــانــي

الأبيات؛ حَلف ابن مفرّغ أنه لم يقله، وأنه إنما قاله عبدُ الرحمن بن أُمّ الحَكَم أخو مرْوان، واتخذني ذريعةً إلى هجاء زياد، وكان عَتَب عليه قبل ذلك، فغضب معاويةُ على عبد الرحمن بن أم الحكم وحرَمه عطاءَه، حتى أضرّ به، فكُلّم فيه، فقال: لا أرضى عنه حتى يَرضَى عُبيد الله؛ فقدم العراق على عبيد الله، فقال عبد الرحمن له:

لأنــتَ زيــادةٌ فــي آل حَــرْبٍ   أَحَــبُّ إلــيّ مــن إحــدى بنــانِــي

أراكَ أخــاً وعمَّــا وابــنَ عــمٍّ   ولا أَدري بِغَيْــبٍ مــا تــرانِــي

فقال: أراك واللهِ شاعر سَوْء! فرضيَ عنه، فقال معاوية لابن مفرّغ: ألستَ القائل:

فَــأَشْهــدُ أنَّ أُمّــك لَــم تُبــاشِــرْ   أَبــا سُفْيــانَ واضعــةَ القِنــاعِ

الأبيات! لا تعودَنّ إلى مثلها، عَفَوْنا عنك. فأقبل حتى نزل الموصلَ، فتزوّج امرأة، فلما كان في ليلة بنائها خرج حين أصبح إلى الصّيد، فلقيَ ذَهّاناً أو عطّاراً على حمار له، فقال له ابن مفرّغ: من أين أقبلت؟ قال: من الأهواز؛ قال: وما فعل ماءُ مسْرُقانَ؟ قال: على حاله؛ قال: فخرج ابن مفرّغ فتوجه قِبَل

---

(١) ذكر أبو زيد هذا الخبر بلا إسناد.

البصرة ، ولم يُعلِم أهلَه بمسيره ، ومضى حتى قدم على عُبيد الله بن زياد بالبصرة ، فدخل عليه فآمنه ، ومكث عنده حتى استأذنه في الخروج إلى كَرْمان ، فأذن له في ذلك ، وكتب إلى عامله هنالك بالوَصاة والإكرام له ، فخرج إليها. وكان عامل عُبيد الله يومئذ على كَرْمانَ شريكُ بنُ الأعور الحارثيّ[١].
(٥ : ٣٢٠/ ٣٢١)

وحجّ بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سُفْيان ، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقديّ وغيره[٢]. (٥ : ٣٢١)

ثم دخلت سنة ستين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة كانت غزوةُ مالك بن عبد الله سُوريَة ودخولُ جُنادةَ بن أبي أميّة رودس ، وهدمه مدينتها في قول الواقديّ.

ذكر عهد معاوية لابنه يزيد

وفيها كان أخذ معاوية على الوفد الذين وفدوا إليه مع عُبيد الله بن زياد البيْعة لابنه يزيد ، وعهد إلى ابنه يزيد حين مرض فيها ما عهد إليه في النّفر الذين امتنعوا من البيعة ليزيد حين دعاهم إلى البَيعة[٣]. (٥ : ٣٢٢)

وكان عهدُه الذي عهد ما ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف ، قال: حدّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مَخرَمة: أنّ معاويةِ لما مَرِض مرضَتَه التي هلك فيها دعا يزيد ابنَه ، فقال: يا بنيَّ ، إنّي قد كَفَيتك الرّحلة والتّرحال ، ووطّأت لك الأشياء ، وذلّلت لك الأعداء ، وأخضعتُ لك أعناقَ العرب ، وجمعتُ لك من جمع واحد ، وإني لا أتخوّف أن ينازعك هذا الأمر

(١) بين الطبري وأبي عبيدة انقطاع وقد ذكره أبو عبيدة بلا إسناد.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

الذي استتبّ لك إلاّ أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزّبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر؛ فأمّا عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقَذَته العبادة ، وإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك ، وأما الحسين بن عليّ فإنّ أهل العراق لن يَدَعوه حتى يُخرجوه ، فإن خرج عليك فظفرتَ به فاصفح عنه فإنّ له رَحماً ماسّة وحقًّا عظيماً؛ وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابَه صنعوا شيئاً صنع مثلَهم ، ليس له همّة إلا في النساء واللّهو ، وأما الذي يجثم لك جثومَ الأسد ، ويراوغك مراوَغة الثعلب ، فإذا أمكنتْه فرصةٌ وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعَلَها بك فقَدَرت عليه فقطّعه إرْباً إرْباً[١]. (٥: ٣٢٢/ ٣٢٣).

قال هشام: قال عَوانة: قد سمعْنا في حديث آخر: أنّ معاوية لما حضره الموت ـ وذلك في سنة ستين ـ وكان يزيد غائباً ، فدعا بالضحّاك بنِ قيس الفهريّ ـ وكان صاحب شرطته ـ ومسلم بن عقبة المرّيّ ، فأوصى إليهما فقال: بلّغا يزيدَ وصيّتي ، انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك ، فأكرِم من قدم عليك منهم ، وتعاهد مَن غاب ، وانظر أهلَ العراق ، فإن سألوك أن تَعزِل عنهم كلّ يوم عاملاً فافعل ، فإنّ عَزْلَ عامل أحبّ إليّ من أن تُشهر عليك مئة ألف سيف ، وانظر أهل الشأم فليكونوا بطانتك وعَيْبَتَك ، فإن نابك شيء من عدوّك فانتصر بهم ، فإذا أصبتَهم فارددْ أهلَ الشأم إلى بلادهم ، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم؛ وإني لست أخاف من قريش إلاّ ثلاثة: حسينَ بن عليّ ، وعبدَ الله بن عمر ، وعبَد الله بن الزّبير؛ فأمّا ابن عمرَ فرجل قد وقَذَه الدّين ، فليس ملتمساً شيئاً قبَلك ، وأما الحسين بن عليّ فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قَتَل أباه ، وخَذَل أخاه ، وإنّ له رَحماً ماسَّة ، وحقًّا عظيماً ، وقرابةً من محمد ﷺ ، ولا أظنّ أهلَ العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن قدرتَ عليه فاصفح عنه ، فإنّي لو

---

(١) إسناده تالف ويكفي كشفاً لزيف أبي مخنف إذا علمنا أنَّ عبد الرحمن بن أبي بكر قد توفي قبل موت معاوية بسنتين كذلك قال ابن كثير وصححه (البداية والنهاية ٨/ ١١٨) وقال البلاذري: ورویٰ بعضهم أن عبد الرحمن كان باقياً حتى مات، وذلك باطل (أنساب الأشراف ٤/ ١٤٦).
وكعادة أبي مخنف فهو يستغل كل مناسبة ليكيل الشتائم ويطعن ويغمز ويلمز وما دریٰ بأن أئمة الجرح والتعديل رحمهم الله قد قطعوا الطريق علىٰ أمثاله من الكذابين فبيّنوا أحوال كلٍّ بما يستحق.

أني صاحبه عفوتُ عنه ، وأما ابن الزبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ ، فإذا شَخَص لك فالبِدْ لَهُ ، إلاّ أن يلتمس منك صُلحاً ، فإن فعل فاقبلْ ، واحْقُنْ دماءَ قومك ما استطعت[١] . (٥ : ٣٢٣) .

ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان

وفي رجب منها ـ فقال هشام بن محمد ـ : مات معاويةُ لهلالِ رجبٍ من سنة ستين .

وقال الواقديّ : مات معاويةُ للنّصف من رجب .

وقال عليّ بن محمّد : مات معاويةُ بدمشقَ سنة ستّين يوم الخميس لثمانٍ بقين من رَجَب ؛ حَدّثني بذلك الحارث عنه[٢] . (٥ : ٣٢٤) .

ذكر الخبر عن مدة ملكه

وحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني يحيى بن سعيد بن دينار السعديّ عن أبيه ، قالوا : توفيَ معاوية ليلةَ الخميس للنصف من رجب سنة ستين ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً[٣] . (٥ : ٣٢٤) .

وحَدّثني عمر ، قال : حدّثنا عليّ ، قال : بايع أهل الشأم معاويةَ بالخلافة في سنة سبع وثلاثين في ذي القعدة حين تفرّق الحكَمان ، وكانوا قبلُ بايَعوه على الطلب بدم عثمان ، ثمّ صالحه الحسنُ بنُ عليّ ، وسلّم له الأمر سنة إحدى وأربعين ، لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل ، فبايع الناسُ جميعاً معاوية ، فقيل : عام الجماعة ؛ ومات بدمشق سنة ستين ، يوم الخميس لثمان بقين من رجب . وكانت ولايتُه تسعَ عشرةَ سنةً وثلاثةَ أشهر وسبعةً وعشرين يوماً[٤] . (٥ : ٣٢٤) .

---

(١) إسناده تالف .

(٢) ضعيف .

(٣) الواقدي متروك .

(٤) إسناده معضل وفي متنه نكارة .

قال: ويقال: كان بين موت عليّ عليه السلام وموتِ معاويةَ تسعَ عشرةَ سنةً وعشرةُ أشهر وثلاثُ ليالٍ[١]. (٥: ٣٢٤)

وقال هشام بنُ محمد: بويعٍ لمعاوية بالخلافة في جُمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، فولي تسع عشرةَ سنةً وثلاثةَ أشهر إلاّ أياماً، ثم مات لهلال رجب من سنة ستين[٢]. (٥: ٣٢٥)

ذكر مدّة عمره

واختَلَفوا في مدّة عمره، وكم عاش؟ فقال بعضهم: مات يومَ مات وهو ابن خمسٍ وسبعين سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدّثني عمر، قال: حدّثنا محمد بن يحيى، قال: أخبرني هشام بن الوليد، قال: قال ابن شهاب الزّهريّ: سألني الوليدُ عن أعمار الخلفاء، فأخبرتُه: أنّ معاوية مات وهو ابن خمس وسبعين سنة؛ فقال: بَخٍ بَخٍ! إن هذا لعُمْر[٣].
(٥: ٣٢٥)

وقال آخرون: مات وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدّثني عمر، قال: حدّثني أحمد بن زهير، قال: قال عليّ بن محمد: مات معاويةُ وهو ابن ثلاث وسبعين؛ قال: ويقال: ابن ثمانين سنة.

وقال آخرون: توفي وهو ابن ثمان وسبعين سنة[٤]. (٥: ٣٢٥)

ذكر من قال ذلك:

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن

---

(١) ضعيف.

(٢) هشام بن محمد متروك.

(٣) هشام بن الوليد لم نعرف من هو.

(٤) إسناده معضل.

عمر ، قال: حدّثني يحيى بن سعيد بن دينار عن أبيه ، قال: توفي معاوية وهو ابن ثمان وسبعين سنة[١] . (٥ : ٣٢٥)

وقال آخرون: توفي وهو ابن خمس وثمانين سنة ، حُدّثتُ بذلك عن هشام بن محمد: أنه كان يقوله عن أبيه[٢] . (٥ : ٣٢٥)

ذكر العلَّة التي كانت فيها وفاته

حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا محمد بن سعد ، قال: حدّثنا أبو عُبيدة عن أبي يعقوب الثقفيّ ، عن عبد الملك بن عمير ، قال: لما ثَقُل مُعاوية وحدَّث الناس: إنه الموت ، قال لأهله: احشُوا عيني إثمِداً ، وأوسِعوا رأسي دُهناً ، ففعلوا ، وبرّقوا وجهَه بالدّهن ، ثم مُهِّدَ له ، فجلس وقال: أسندوني ، ثم قال: ائذنوا للناس فليسلّموا قياماً ، ولا يَجلس أحدٌ ، فجعل الرجل يدخل فيسلّم قائماً فيراه مكتحلاً مُدّهناً فيقول: يقول الناس: هو لمآبِه ، وهو أصحّ الناس ، فلما خرجوا من عنده قال معاوية:

وتجَلُّدي للشامِتينَ أُرِيهمُ ... أنّي لِرَيبِ الدهرِ لا أَتَضَعْضَعُ
وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبتْ أَظْفارَها ... أَلفَيْتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنفعُ

قال: وكان به النُّفاثات ، فمات من يومه ذلك[٣] . (٥ : ٣٢٦)

حدّثني أحمد بن زهير عن عليّ بن محمد ، عن إسحاق بن أيوب ، عن عبد الملك بن ميناس الكلبيّ ، قال: قال معاوية ، لابنتيه في مرضه الذي مات فيه وهما تقلّبانه: تُقلّبان حُوّلاً قُلّباً ، جمع المال من شُبَّ إلى دُبَّ إن لم يدخل النار ، ثم تمثّل:

لقد سعيتُ لكم من سَعْيِ ذي نَصَب ... وقد كَفَيتُكُمُ التّطْوافَ والرِّحَلا

---

(١) فيه الواقدي وهو متروك.

(٢) هشام بن محمد متروك.

(٣) إسناده ضعيف ومتنه منكر والصحيح الثابت عنه أنه كان يطلب المغفرة من ربه وينقطع لله سبحانه (راجع قسم الصحيح ـ الفصل الأخير).

ويقال: «من جمع ذي حسب»[١] . (٥ : ٣٢٦) .

ذكر الخبر عمَّن صلّى على معاوية حين مات

حدّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، قال: صلّى على معاوية الضحّاك بن قيس الفهريّ ، وكان يزيد غائباً حين مات معاوية[٢] . (٥ : ٣٢٧) .

وحُدّثت عن هشام بن محمد عن أبي مخنف ، قال: حدّثني عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق بن عبد الله بن مَخرمة ، قال: لما مات معاوية خرج الضحاك بن قيس حتى صعِد المنبرَ وأكفانُ معاوية على يديه تلوح ، فَحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال: إنّ معاوية كان عُود العرب ، وحدّ العرب ، قطع الله عزّ وجلّ به الفتنة ، ومَلّكهُ على العباد ، وفتح به البلاد. ألا إنه قد مات ، فهذه أكفانه ، فنحن مُدْرِجُوه فيها ، ومُدْخلوه قبرَه ، ومُخلُّون بينه وبين عمله ، ثمّ هو البرزخ إلى يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن يَشهَده فليحضُر عند الأولى. وبعث البَريدَ إلى يزيدَ بوجع معاوية ، فقال يزيد في ذلك:

جاءَ البريدُ بقرطاسٍ يَخُبُّ بِهِ ... فأَوْجَسَ القلبُ من قرطاسِهِ فَزَعا
قلنا: لك الويلُ ماذا في كتابِكُمُ؟ ... قالوا: الخليفةُ أمْسَى مُثْبَتاً وجِعا
فمادتِ الأرضُ أَو كادَتْ تَميدُ بنا ... كأَنَّ أغْبَرَ من أركانها انقطعا
من لا تَزَلْ نفسُهُ تُوفِي على شَرَفٍ ... تُوشكْ مقاليدُ تلك النفسِ أن تقعا
لمّا انتهَيْنا وبابُ الدار مُنْصَفِقٌ ... وصوتُ رَملةَ ريعَ القلبُ فانصَدَعا[٣]

(٥ : ٣٢٧/ ٣٢٨) .

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ عن إسحاقَ بن خُليدَ ، عن خليد بن عَجْلان مولى عبّاد ، قال: مات معاويةُ ويزيد بحُوّارِين ، وكانوا كتبوا إليه حين مرض ، فأقبل وقد دُفِن ، فأتى قبرَه فصلى عليه ، ودعا له ، ثم أتى منزلَه ، فقال: «جاء البريد بقِرْطاس. . . . » الأبيات.[٤] (٥ : ٣٢٨) .

---

(١) (م/ ١٦٨): في إسناده عبد الملك بن ميناس لم نجد له ترجمة.
(٢) إسناده معضل، وتفيد هذه الرواية أن ابنه يزيد كان غائباً حين توفي أبوه معاوية رضي الله عنه.
(٣) إسناده تالف.
(٤) إسناده ضعيف ، وفي إسناده إسحاق بن خليد ، وخليد بن عجلان لم نجد لهما ترجمة. =

ذكر نسائه وولده

ومنهنّ فاختة ابنة قَرَظة بن عبد عَمرو بن نوفل بن عبد مناف. ولدتْ له عبدَ الرحمن وعبد الله ابني معاوية ، وكان عبد الله محمَّقاً ضعيفاً ، وكان يُكنى أبا الخير. حدّثني أحمد عن عليّ بن محمد ، قال: مرّ عبد الله بن معاوية يوماً بطحّان قد شدّ بغلَه في الرّحا للطحن ، وجعل في عنقه جَلاجلَ ، فقال له: لِمَ جعلتَ في عنق بغلك هذه الجلاجل؟ فقال الطحّان: جعلتُها في عنقه لأعلمَ إنْ قد قام فلم تَدُر الرّحا ، فقال له: أرأيت إن هو قام وحرّك رأسه كيف تعلم أنه لا يدير الرحا؟ فقال له الطحان: إنّ بغلي هذا ـ أصلح الله الأمير ـ ليس له عَقْل مِثل عقل الأمير!

وأما عبد الرحمن فإنه مات صغيراً[1]. (٥ : ٣٢٩).

ومنهنّ نائلة بنت عُمارة الكلبية ، تزوّجها؛ فحدّثني أحمد عن عليّ قال: لما تزوج معاوية نائلة قال لميْسون: انطلقي فانظري إلى ابنة عمك ، فنظرت إليها ، فقال: كيف رأيتِها؟ فقالت: جميلة كاملة ، ولكن رأيت تحتَ سرّتها خالاً ليوضعنّ رأس زوجها في حِجْرها ، فطلّقها معاوية ، فتزوّجها حبيب بن مسلمة الفهريّ ، ثم خلف عليها بعد حبيب النعمان بن بَشير الأنصاريّ ، فقتل ، ووضع رأسه في حِجْرها[2]. (٥ : ٣٢٩).

= وأخرج البلاذري قال: حدثني العمري عن ابن عدي عن ابن عياش قال: كان يزيد بن معاوية حين مات أبوه بحوارين فقدم وقد دفن أبوه عند الباب الصغير بدمشق (أنساب الأشراف ٤/ ١٥٦/ح ٤٣٧) ولا يخفى ضعف هذا الإسناد بسبب ابن عدي إضافة إلى أنه مرسل والله أعلم.

أما الحافظ الذهبي فقد قال: قال أبو مسهر: صلىٰ الضحاك بن قيس الفهري على معاوية (عهد معاوية/ ٣١٧).

وأما تلميذه الحافظ ابن كثير فقد قال: قال محمد بن إسحاق ، والشافعي: صلىٰ عليه ابنه يزيد (البداية والنهاية ٨/ ١٤٦).

قلنا: ولم نجد رواية صحيحة السند تؤيد أياً من الرأيين ولعلّ معاوية رضي الله عنه مات وابنه يزيد غائب فصلىٰ عليه الضحاك بن قيس ثم لما جاء يزيد صلىٰ علىٰ قبره والله تعالىٰ أعلم.

(١) إسناده معضل.

(٢) إسناده معضل.

ذكر بعض ما حضرنا من ذكر أخباره وسيره

حدّثني أحمد بن زهير عن عليّ ، قال: لما بويع لمعاوية بالخلافة صيّر على شرطته قيس بن حمزة الهمْدانيّ ، ثم عزله ، واستعمل زُميل بن عمرو العُذْريّ ـ ويقال: السَّكْسَكيّ. وكان كاتبه وصاحبَ أمره سرجون بن منصور الرّوميّ ، وعلى حَرَسه رجلٌ من الموالي يقال له: المختار؛ وقيل: رجل يقال له: مالك ، ويكنى أبا المخارق ، مولى لحميرَ. وكان أوّل مَن اتّخذ الحرس. وكان على حجّابه سعد مولاه ، وعلى القضاء فَضالة بن عبيد الأنصاريّ ، فمات فاستقضى أبا إدريس عائذ الله بن عبد الله الخَوْلانيّ. إلى ها هنا حديث أحمد عن علي[١].

(٥: ٣٢٩/ ٣٣٠)

وقال غير عليّ: وكان على ديوان الخاتَم عبد الله بن مِحصَن الحِمْيَريّ ، وكان أوّل من اتّخذ ديوان الخاتم. قال: وكان سبب ذلك: أن معاوية أمر لعَمرو بن الزُّبير في معونته وقضاء دَينه بمئة ألف درهم ، وكتب بذلك إلى زياد بن سُميّة وهو على العراق ، ففضّ عمرو الكتاب وصيّر المئة مئتين ، فلما رفع زياد حسابَه أنكرها معاوية ، فأخذ عمراً بردّها وحبسه ، فأدّاها عنه أخوه عبد الله بن الزبير ، فأحدث معاوية عند ذلك ديوانَ الخاتم وخَزْم الكتب ، ولم تكن تُخْزَم[٢].

(٥: ٣٣٠)

حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثني سليمان ، قال: قرأت على عبد الله عن فُليح ، قال: أخبرت: أنّ عمرو بنَ العاص وفد إلى معاوية ومعه أهلُ مصر ، فقال لهم عمرو: انظروا ، إذا دخلتم على ابن هند فلا تُسلّموا عليه بالخلافة ، فإنه أعظم لكم في عينه ، وصغّروه ما استطعتم. فلما قدموا عليه قال معاوية لحجّابه: إني كأني أعرف ابن النابغة وقد صغّر أمري عند القوم ، فانظروا إذا دخل الوفد فتَعتعوهم أشدّ تَعْتَعة تقدرون عليها ، فلا يبلغني رجل منهم إلاّ وقد همّه نفسه بالتّلف. فكان أوّل مَنْ دخل عليه رجل من أهل مصرَ يقال له

(١) إسناده معضل.

(٢) ضعيف.

ابن الخيّاط ، فدخل وقد تُعتِع ، فقال: السّلام عليك يا رسولَ الله ، فتتابع القومُ على ذلك ، فلما خرجوا قال لهم عمرو: لعنكم الله! نهيتكم أن تسلّموا عليه بالإمارة ، فسلّمتم عليه بالنبوّة!

قال: ولبس معاوية يوماً عمامتَه الحرَقانيّة واكتَحَل ، وكان من أجمل الناس إذا فعل ذلك. شكّ عبد الله فيه: سمعه ، أو لم يسمعْه[1]. (٥: ٣٣٠/ ٣٣١)

حدّثني أحمد بن زهير عن عليّ بن محمد ، قال: حدّثنا أبو محمد الأمويّ ، قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ، فرأى معاوية في موكب يتلقّاه ، وراح إليه في موكب ، فقال له عمر: يا معاوية! تَروحُ في موكب وتغدو في مِثلِه؛ وبلغني أنك تُصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك! قال: يا أمير المؤمنين! إنّ العدوّ بها قريب منا ، ولهم عيون وجواسيس ، فأردتُ يا أمير المؤمنين أن يَرَوْا للإسلام عزًّا؛ فقال له عمر: إنّ هذا لكيدُ رجل لبيب ، أو خُدْعَةُ رجل أريب؛ فقال معاوية: يا أمير المؤمنين! مُرْني بما شئتَ أصِرْ إليه؛ قال: وَيْحَك! ما ناظرتُك في أمر أَعِيب عليك فيه إلا تركتَني ما أدري آمرك أم أنهاك![2] (٥: ٣٣١)

حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثني سليمان ، قال: حدّثني عبد الله عن مَعمَر ، عن جعفر بن بُرْقان: أنّ المغيرة كتب إلى معاوية: أمّا بعد ، فإني قد كَبِرَتْ سني ، ودَقّ عظمي ، وشَنِفَتْ لي قريش ، فإنْ رأيتَ أن تعزلَني ؛ فاعزِلني.

فكتبَ إليه معاوية: جاءني كتابُك تذكر فيه أنه كبِرتْ سنُّك ، فلعَمري ما أكل عمرَك غيرُك ، وتذكر أنّ قريشاً شنفتْ لك ، ولَعَمري ما أصبتَ خيراً إلاّ منهم. وتسألني أن أعزِلك ، فقد فعلت؛ فإنْ تك صادقاً فقد شفّعتُك ، وإن تك مخادعاً فقد خدعتُك[3]. (٥: ٣٣١)

حدّثني أحمد عن عليّ بن محمد ، عن عليّ بن مجاهد ، قال: قال معاوية:

---

(١) في إسناده فليح صدوق كثير الخطأ ولم يدرك معاوية وفي متنه نكارة.
(٢) إسناده معضل.
(٣) رجاله ثقات غير جعفر بن برقان فهو صدوق بهم في حديث الزهري ولم يدرك زمن المغيرة والله أعلم.

إذا لم يكن الأمويّ مصلحاً لماله ، حليماً ، لم يُشبه مَن هو منه ، وإذا لم يكن الهاشميّ سخيًّا جواداً لم يشبه من هو منه ، ولا يقدمْك من الهاشميّ اللسان والسخاء والشجاعة[1]. (٥ : ٣٣٢).

حدّثني أحمد عن عليّ ، عن عوانة وخلّاد بن عبدة ، قال: تغدَّى معاوية يوماً وعنده عُبيد الله بن أبي بكْرة ، ومعه ابنُه بشير ـ ويقال: غير بشير ـ فأكثر من الأكل ، فلحَظه معاوية ، وفَطن عبيد الله بن أبي بَكْرة ، فأراد أن يغمِز ابنه ، فلم يمكنه ، ولم يرفع رأسَه حتى فرغ ، فلما خرج لامَه على ما صنع ، ثم عاد إليه وليس معه ابنه ، فقال معاوية: ما فعل ابنُك التِّلقامة؟ قال: اشتكَى؛ فقال: قد علمتُ أن أكلَه سيورِّثه داءً[2]. (٥ : ٣٣٢).

حدّثني أحمد عن عليّ ، عن جويرية بن أسماء ، قال: قدم أبو موسى على معاوية ، فدخل عليه في بُرنُسٍ أسوَد ، فقال: السّلام عليك يا أمينَ الله ! قال: وعليك السلام؛ فلما خرج قال معاوية: قدم الشيخِ لأوَلِّيَه ، ولا والله لا أوَلّيه[3]. (٥ : ٣٣٢).

حدّثني أحمد عن عليّ ، عن شهاب بن عبيد الله ، عن يزيدَ بن سويد ، قال: أذن معاوية للأحنف وكان يبدأ بإذنه ، ثم دخل محمد بن الأشعث فجلس بين معاوية والأحنف ، فقال معاوية: إنا لم نأذن له قبلك فتكونَ دونه ، وقد فعلتَ فعالَ من أحسّ من نفسه ذُلاً ، إنا كما نَملِك أمورَكم نملك إذنكم ، فأريدوا منا ما نريد منكم ، فإنه أبقى لكم[4]. (٥ : ٣٣٢).

حدّثني أحمد عن عليّ ، عن سُحَيم بن حفص ، قال: خطب ربيعة بن عِسْل اليربوعيّ إلى معاوية ، فقال معاوية: اسقُوه سَوِيقاً؛ وقال له معاوية: يا ربيعة ! كيف الناسُ عندكم؟ قال: مختلفون على كذا وكذا فرقةً؛ قال: فمن أيّهم أنت؟ قال: ما أنا على شيء من أمرهم؛ فقال معاوية: أراهم أكثر ممّا قلت؛ قال: يا أمير المؤمنين ! أعنّي في بناء داري باثني عشرَ ألف جِذْع؛ قال معاوية: أين

(١) في إسناده علي بن مجاهد فإن كان الكابلي فهو متروك وإلا فمجهول.
(٢) إسناده معضل.
(٣) إسناده معضل.
(٤) ضعيف.

دارُك؟ قال: بالبَصرة، وهي أكثر من فرسخين في فرسخين؛ قال: فدارُك في البَصرة، أو البَصرة في دارك! فدخل رجلٌ من ولده على ابن هُبيْرة فقال: أصلح الله الأمير! أنا ابنُ سيِّد قومه، خطب أبي إلى معاوية، فقال ابن هبيرة لسلْم بن قتيبة: ما يقول هذا؟ قال: هذا ابن أحمق قومِه؛ قال ابن هبيرة: هل زوّج أباك معاوية؟ قال: لا، قال: فلا أرى أباك صنع شيئاً[1]. (٥: ٣٣٣).

حدّثني أحمد عن عليّ، عن أبي محمّد بن ذَكوان القرشيّ، قال: تنازع عُتبة وعنبسة ابنا أبي سُفيان ـ وأمّ عتبة هند وأمّ عنبسة ابنة أبي أُزَيْهِر الدَّوْسيّ ـ فأغلظ معاويةُ لعنبسةَ، وقال عنبسة: وأنت أيضاً يا أميرَ المؤمنين! فقال: يا عنبسَة! إنّ عُتبةَ ابنُ هند، فقال عنبسة:

كنّـا بخيـر صـالحـاً ذاتُ بينِنـا قـديمـاً فـأَمسـت فـرّقَـتْ بيننا هندُ
فـإنْ تـك هنـدٌ لـم تلِـدْني فـإنّني لبيضـاءَ يَنميهـا غَطـارفـةٌ نُجُـدُ
أبوها أبو الأضياف في كلِّ شتْوةٍ ومأوى ضعافٍ لا تَنُوْءُ من الجَهدِ
جُفَيْنَـاتُـه مـا إنْ تـزال مُقيمـة لمن خافَ من غَوْرَي تهامةَ أو نجدِ

فقال معاوية: لا أعيدها عليك أبداً[2]. (٥: ٣٣٣).

حدّثني عبد الله، قال: حدّثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: حدّثني عبد الله بن المبارك عن جرير بن حازم، قال: سمعت محمد بن الزبير يحدّث، قال: حدّثني عبد الله بن مسعدة بن حَكَمة الفزاريّ من بني آل بدر، قال: انتقل معاويةُ من بعض كورِ الشأم إلى بعض عمله، فنزل منزلاً بالشأم، فبَسُط له على ظهر إجّار مُشرِف على الطريق، فأذن لي، فقعدت معه، فمرّت القُطُرات والرّحائل والجواري والخيول، فقال: يابن مسعدة! رحم الله أبا بكر! لم يُرد الدنيا ولم تُرِده الدنيا، وأما عمر ـ أو قال: ابن حَنْتمة ـ فأرادتْه الدنيا، ولم يردْها، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابتْ منه، وأما نحن فتمرّغنا فيها، ثم كأنه ندم، فقال: والله إنّه لمُلْك آتانا الله إيّاه[3]. (٥: ٣٣٤).

---

(١) إسناده معضل.

(٢) إسناده معضل.

(٣) في متنه نكارة شديدة وهو من قبل محمد بن الزبير متروك كما قال الحافظ، وقال البخاري: منكر الحديث وفيه نظر وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً (تهذيب الكمال ت ٥٨١٩).

حدّثني أحمد عن عليّ بن محمّد ، عن عليّ بن عبيد الله ، قال: كتب عَمرو بن العاص إلى معاوية يسأله لابنه عبدِ الله بن عمرو ما كان أعطاه أباه من مصر ، فقال معاوية: أراد أبو عبد الله أن يكتب فهدَر ، أشهدكم أني إن بقيتُ بعدَه فقد خلعتُ عهدَه. قال: وقال عمرو بن العاص: ما رأيت معاوية متّكئاً قطّ واضعاً إحدى رجليه على الأخرى كاسراً عينه يقول لرجل: تكلّم ، إلا رحمتُه[١]. (٥: ٣٣٥)

قال أحمد: قال عليُّ بن محمد: قال عمرو بن العاص لمعاوية: يا أمير المؤمنين ! ألستُ أنصحَ الناس لك؟ قال: بذلك نلتَ ما نلت[٢]. (٥: ٣٣٥)

قال أحمد: قال عليّ: عن جويرية بن أسماء: أنّ بسر بن أبي أرطاة نال من عليٍّ عند معاوية وزيد بن عمر بن الخطاب جالس ، فعلاه بِعَصاً فشجه ، فقال معاوية لزيد: عمدت إلى شيخ من قريش سيّد أهل الشأم فضربتَه! وأقبل على بُسر ، فقال: تَشتمُ عليًّا وهو جدّه؛ وابن الفاروق على رؤوس الناس ، أو كنت ترى أنه يَصبر على ذلك! ثم أرضاهما جميعاً. قال: وقال معاوية: إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنبٌ أعظم من عفوي ، وجهلٌ أكثر من حلمي ، أو عورةٌ لا أُواريها بستري ، أو إساءةٌ أكثر من إحساني. قال: وقال معاوية: زَين الشريف العفاف؛ قال: وقال معاوية: ما من شيء أحبّ إليّ من عين خرّارة ، في أرض خَوّارة ، فقال عمرو بن العاص: ما من شيء أحبّ إليّ من أن أبيت عَروساً بعقيلةٍ من عقائل العرب؛ فقال وَرْدان مولَى عَمرو بن العاص: ما من شيء أحبّ إليّ من الإفضال على الإخوان ، فقال معاوية: أنا أحقّ بهذا منك؛ قال: ما تحبّ فافعل[٣]. (٥: ٣٣٥)

حدّثني أحمد عن عليّ ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال: كان عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يُبرد بريداً إلى معاوية ؛ أمر مُنادِيَه فنادَى: مَن له

---

(١) إسناده معضل.

(٢) إسناده معضل.

(٣) إسناده معضل.

حاجةٌ يكتب إلى أمير المؤمنين؛ فكتب زِرّ بن حُبيش ـ أو أيْمَن بن خُرَيم ـ كتاباً لطيفاً ورَمَى به في الكُتُب ، وفيه :

إذا الـــرجــالُ وَلَــدَتْ أولادُهـــا واضطَـرَبَـتْ مـن كِبَـر أعْضـادُهـا

وجَعلـــتْ أسقـــامُهـــا تعْتـــادُهـــا فهـــي زُرُوعٌ قـــد دَنـــا حَصـــادُهـــا

فلمّا وردت الكتب عليه فقرأ هذا الكتاب؛ قال : نعى إليّ نفسي[١] .

(٥ : ٣٣٥/٣٣٦)

قال : وقال معاوية : ما من شيء ألذّ عندي من غيظ أتجرّعه .

قال : وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحَكَم بن أبي العاص : يا بن أخي ! إنك قد لهجْتَ بالشعر ، فإيّاك والتشبيبَ بالنساء فتعُرّ الشريفة ، والهجاء فتعرّ كريماً ، وتستثير لئيماً ، والمدح ، فإنه طُعمة الوَقاح ، ولكن افخرْ بمَفاخر قومك ، وقلْ من الأمثال ما تزين به نفسَك ، وتؤدّب به غيرَك[٢] . (٥ : ٣٣٦)

حدّثني أحمد عن علي ، قال : قال الحسن بن حماد : نظر معاويةُ إلى النُّما في عباءة ، فازدراه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ العباءة لا تكلّمك ، وإنما يكلّمك مَن فيها[٣] . (٥ : ٣٣٦)

حدّثني أحمد عن عليّ ، عن سليمان ، قال : قال معاوية : رجلان إن ماتا؛ لم يموتا ، ورجُلٌ إنْ مات؛ مات ، أنا إنْ متّ خَلَفني ابني ، وسعيد إن مات خلفه عمرو ، وعبد الله بن عامر إن مات مات؛ فبلغ مرْوان ، فقال : أمَا ذكر ابني عبد الملك؟ قالوا : لا؛ قال : ما أحبّ أن لي بابني ابنَيْهما[٤] . (٥ : ٣٣٦)

حدّثني أحمد عن عليّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن صالح ، قال : قال رجل لمعاوية : أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال : أشدّهم لي تحبيباً إلى الناس. قال : وقال معاوية : العقل والحلم أفضل ما أعطِيَ العبد ، فإذا ذُكِّر؛ ذَكر ، وإذا أعطِي؛

---

(١) إذا كان أحمد هو ابن إبراهيم بن المطلب الذي يروي عن أبيه فهو مقبول ، وإن كان محمد بن إبراهيم بن عثمان ، فهو ثقة ولكن أبان ضعيف وللحديث شاهد.

(٢) ضعيف.

(٣) إسناده معضل.

(٤) إسناده معضل.

شَكَر ، وإذا ابتُلي؛ صَبَر ، وإذا غَضِب؛ كَظَم ، وإذا قدَر؛ غَفر ، وإذا أساء؛ استغفر ، وإذا وَعَد؛ أنجز [١]. (٥ : ٣٣٦).

حدّثني أحمد عن عليّ ، عن محمد بن عامر ، قال : لامَ معاوية عبدَ الله بن جعفر على الغناء ، فدخل يوماً على معاوية ومعه بُدَيْحٌ ، ومعاوية واضع رِجلاً على رِجل ، فقال عبد الله لبُديح : إيهاً يا بديح! فتغنّى ، فحرّك معاوية رِجلَه ، فقال عبدُ الله : مهْ يا أميرَ المؤمنين! فقال معاوية : إن الكريم طَروب .

قال : وقَدِم عبدُ الله بن جعفر على معاوية ومعه سائبُ خاثر ـ وكان مولًى لبني لَيث ، وكان فاجراً ـ فقال له : ارفع حوائجكَ ؛ ففعل ، ورفَع فيها حاجة سائبِ خاثر ؛ فقال معاوية : مَن هذا؟ فخَبَّره ؛ فقال : أدخِله ، فلمّا قام على باب المجلس غنَّى :

لِمَن الديارُ رُسُومُها قَفْرُ لَعِبَتْ بها الأرواحُ والقَطْرُ!
وخَلاَ لَهَا من بعد ساكِنِها حِجَجٌ خَلَوْنَ ثَمان أَو عَشْرُ
والزّعفران على تَرائِبها شَرِقاً به اللَّبّاتُ والنَّحرُ

فقال أحسنتَ ، وقضى حوائجَه [٢]. (٥ : ٣٣٦/ ٣٣٧).

حدّثني عبد الله ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني سليمان ، قال : حدّثني عبد الله عن سُفيانَ بن عيينة ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن قبيصة بن جابر الأسديّ ، قال : ألاَ أخبركم مَن صحبتُ؟ صحبتُ عمر بنَ الخطاب فما رأيت رجلاً أفقَه فِقْهاً ، ولا أحسنَ مُدارَسة منه ؛ ثم صحبتُ طلحةَ بنَ عبيد الله ، فما رأيت رجلاً أعطَى للجزيل من غير مسألة منه ؛ ثم صحبتُ معاويةَ فما رأيت رجلاً أحبَّ رفيقاً ، ولا أشبَهَ سريرةً بعلانية منه ، ولو أنّ المغيرة جُعِل في مدينة لا يُخرَج من أبوابها كلِّها إلاّ بالغدر ؛ لخرجَ منها [٣]. (٥ : ٣٣٧).

خلافة يزيد بن معاوية

وقال هشام بن محمد ، عن أبي مخنَف ؛ وليَ يزيد في هلال رجب سنة

---

(١) إسناده معضل .
(٢) إسناده معضل .
(٣) في إسناده مجالد ليس بالقوي وتغير بآخره .

ستين ، وأمير المدينة الوليدُ بن عُتبة بن أبي سُفيان ، وأمير الكوفة النّعمان بن بشير الأنصاري ، وأمير البَصرة عُبيد الله بن زيادٍ ، وأمير مكّة عَمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يكن ليزيد همّة حين ولي إلا بيعة النفر الذين أبَوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيدَ حين دعا الناس إلى بيعته ، وأنه ولي عهده بعدَه ، والفراغ من أمرهم ، فكتب إلى الوليد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، مِن يزيدَ أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد : فإنَّ معاوية كان عبداً من عباد الله ، أكرمه الله واستخلَفه ، وخوّله ، ومكّن له ، فعاش بقَدَر ، ومات بأجَل ، فرحمه الله ، فقد عاش محموداً ، ومات برّاً تقيّاً ، والسلام .

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذْنُ فأرة :

أما بعد : فخذ حُسَيناً ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير بالبيْعة أخْذاً شديداً ليست فيه رُخصة حتى يبايعوا ، والسلام .

فلما أتاه نَعِيُّ معاوية فَظِع به ، وكبُر عليه ، فبعث إلى مروانَ بن الحكم فدعاه إليه ـ وكان الوليد يومَ قدم المدينة قَدِمها مروانُ متكارِهاً ـ فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه ، فبلغ ذلك مرْوان ، فجلس عنه وصرَمه ، فلم يزل كذلك حتى جاء نعيّ مُعاوية إلى الوليد ، فلما عظُم على الوليد هلاكُ معاوية وما أُمِر به من أخذ هؤلاء الرّهط بالبيْعة ، فزع عند ذلك إلى مروان ، ودعاه ، فلما قرأ عليه كتابَ يزيدَ؛ استرجع وترحّم عليه ، واستشاره الوليدُ في الأمر وقال : كيف ترى أن نصنع؟ قال : فإني أرى أن تبعث الساعةَ إلى هؤلاء النفر فتدعوَهم إلى البيعة والدّخول في الطاعة ، فإن فعلوا؛ قَبِلْتَ منهم ، وكَففتَ عنهم ، وإن أبَوا قدّمتَهم فضربتَ أعناقَهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فإنهم إن علموا بموت معاوية وثَبَ كلّ امرىء منهم في جانب ، وأظهرَ الخلافَ والمنابذَة ، ودعا إلى نفسه لا أدري؛ أما ابنُ عمرَ فإني لا أراه يرَى القتال ، ولا يحبّ أنه يُوَلَّى على الناس ، إلاّ أن يُدفَع إليه هذا الأمر عَفْواً . فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ وهو إذ ذاك غلامٌ حَدَث ـ إليهما يدعوهما ، فوجدهما في المسجد وهما جالسان ، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ، ولا يأتيانه في مثلها ، فقال : أجيبَا ، الأمير يدعوكما ، فقالا له : انصرف؛ الآن نأتيه ، ثم أقبل أحدُهما على الآخر ،

فقال عبد الله بن الزبير للحسين: ظُنّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها! فقال حُسين: قد ظننتُ. أرى طاغِيتَهُم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يَفْشُوَ في الناس الخبر؛ فقال: وأنا ما أظنّ غيرَه. قال: فما تريد أن تصنع؟ قال: أجمَع فِتْياني الساعة، ثم أمشي إليه، فإذا بلغتُ البابَ احتبستهم عليه، ثم دخلت عليه. قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت؛ قال: لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر، فقام فجمع إليه مواليَهُ وأهلَ بيته، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه: إني داخلٌ، فإن دعوتُكم أو سمعتم صوتَه قد علا فاقتحموا عليّ بأجمعكم، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم، فدخل فسلّم عليه بالإِمْرة ومرْوانُ جالسٌ عندَه، فقال حسين؛ كأنه لا يظنّ ما يظنُّ من موت معاوية: الصّلة خيرٌ من القطيعة، أصلَح اللهُ ذاتَ بينكما! فلم يجيباه في هذا بشيء، وجاء حتى جلس، فأقرأه الوليد الكتابَ، ونَعَى له معاوية، ودعاه إلى البيعة، فقال حسين: إنا لله وإنا إليه راجعون! ورَحِم الله معاوية، وعَظَّم لك الأجر! أمّا ما سألتني من البَيعة فإنّ مثلي لا يُعطي بَيعته سرّاً، ولا أراك تجتزىء بها مني سرّاً دون أن نُظهِرَها على رؤوس الناس علانية؛ قال: أجَلْ، قال: فإذا خرجتَ إلى الناس فدعوتَهم إلى البيعة دعوتَنا مع الناس فكان أمراً واحداً؛ فقال له الوليد ـ وكان يحبّ العافية: فانصرِف على اسم الله حتى تأتيَنا مع جماعة الناس؛ فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يُبايع؛ لا قدرتَ منه على مثلها أبداً حتى تَكثُر القتلَى بينكم وبينه، احبس الرجلَ، ولا يخرج من عندك حتى يبايع، أو تضرب عنقَه؛ فوثب عند ذلك الحسين، فقال: يا بن الزّرقاء، أنت تقتلني أم هو! كذبت والله وأثمت! ثم خرج فمرّ بأصحابه، فخرجوا معه حتى أتى منزله. فقال مروانُ للوليد: عصيتَني، لا والله لا يُمكنك مِن مثلها مِن نفسه أبداً، قال الوليد: وَبِّخْ غيرَك يا مروان، إنك اخترتَ لي التي فيها هلاكُ ديني، والله ما أحبّ أن لي ما طلعتْ عليه الشمس وغربتْ عنه من مال الدنيا ومُلكِها، وأني قتلتُ حُسيْناً، سبحان الله! أقتل حسيناً أن قال: لا أبايع! والله إني لا أظنّ امرأً يحاسَبُ بدمِ حسين لخفيفُ الميزان عند الله يوم القيامة! فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيكَ فقد أصبتَ فيما صنعت، يقول هذا له؛ وهو غير الحامد له على رأيه.

وأما ابنُ الزبير ، فقال: الآن آتيكم ، ثمّ أتى دارَه فكمن فيها ، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمِعاً في أصحابه متحرّزاً ، فألحّ عليه بكثرة الرّسُل والرجال في إثر الرجال؛ فأما حُسين فقال: كُفّ حتى تنظر وننظر ، وتَرى ونَرى؛ وأما ابنُ الزبير فقال: لا تعجلوني فإني آتيكم ، أمهِلوني فألحوا عليهما عشيتهما تلك كلها وأوّل ليلهما ، وكانوا على حسين أشدّ إبقاءً ، وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالي له فشتموه ، وصاحوا به: يا بن الكاهليّة ، والله لتأتينّ الأميرَ أو ليقتلنّك ! فلبث بذلك نهارَه كلَّه وأوّل ليلة يقول: الآن أجيء ، فإذا استحثّوه قال: والله لقد استربت بكثرة الإرسال ، وتتابع هذه الرجال ، فلا تُعْجلوني حتّى أبعث إلى الأمير مَنْ يأتيني برأيه وأمرِه ، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير ، فقال: رحمك الله! كفّ عن عبد الله فإنك قد أفزعْته وذعَرْته بكثرة رُسلك ، وهو آتيك غداً إن شاء الله ، فمُرْ رُسلك فلْينصرِفوا عنّا ، فبعث إليهم فانصرفوا ، وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفرْع هو وأخوه جعفر ، ليس معهما ثالث ، وتجنّب الطريق الأعظم مخافَةَ الطلب ، وتوجّه نحو مكة ، فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج ، فقال مروان: واللهِ إن أخطأ مكة ! فسَرِّحْ في أثره الرجال ، فبعث راكباً من موالي بني أمية في ثمانين راكباً ، فطلبوه فلم يَقدِروا عليه ، فرجعوا فتشاغلوا عن حُسين بطلب عبدِ الله يومهم ذلك حتى أمسَوْا ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال: أصبحوا ثم ترَون ونَرى ، فكفوا عنه تلك الليلة ، ولم يُلِحّوا عليه ، فخرج حسين من تحت ليلته ، وهي ليلة الأحد ليومَين بقِيَا من رجب سنة ستّين.

وكان مخرج ابن الزبير قبلَه بليلة. خرج ليلةَ السبت فأخذ طريقَ الفُرْع ، فبينا عبد الله بن الزبير يُسايرُ أخاه جعفراً ؛ إذ تمثّل جعفرٌ بقول صَبِرة الحنظليّ:

وكــلُّ بنــى أُمٍّ سَيُمْسُــون ليلــةً ولـم يَبْـق مـن أَعْقـابِهِـمْ غَيْـرُ واحِـد

فقال عبد الله! سبحان الله ، ما أردتَ إلى ما أسمعُ يا أخي! قال: والله يا أخي ما أردتُ به شيئاً مما تكره؛ فقال: فذاك والله أكرهُ إليّ أن يكون جاء على لسانك من غير تعمّد ـ قال: وكأنه تطيّرَ منه ـ وأما الحُسين فإنه خرج ببنيه وإخوَتِه وبني أخيه وجلّ أهل بيته ، إلا محمد بن الحنفيّة فإنه قال له: يا أخي ! أنتَ أحبّ الناس إليّ ، وأعزّهم عليّ ، ولست أدّخر النصيحة لأحد من الخلق أحقّ بها

منك ، تَنَحّ بِتَبَعَتِك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ، ثم ابعث رُسُلَك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإنْ بايَعوا لك حمدتَ الله على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيرك لم يَنقُص الله بذلك دِينَك ولا عقلَك ، ولا يُذهب به مروءتَك ولا فَضلك ، إني أخاف أن تدخل مِصْراً من هذه الأمصار ، وتأتيَ جماعةً من الناس ، فيختلفون بينهم ، فمنهم طائفة معك ، وأخرى عليك ، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنّة ، فإذا خير هذه الأمة كلّها نفساً ، وأباً ، وأمّاً أضْيَعُها دماً ، وأذلّها أهلاً؛ قال له الحسين: فإني ذاهب يا أخي ! قال: فانزل مكة فإن اطمأنّتْ بك الدارُ فسبيلٌ ذلك ، وإن نَبَتْ بك لحقتَ بالرمال ، وشَعَف الجبال ، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس ، وتعرف عند ذلك الرأي ، فإنك أصْوَب ما تكون رأياً وأحْزَمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً ، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكَل منها حين تستدبرها استدباراً؛ قال: يا أخي قد نصحتَ فأشفقتَ ، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفَّقاً[١] ! (٥ : ٣٣٨ ـ ٣٤٢) .

قال أبو مخنف: وحدّثني عبد الملك بن نوفل بن مُساحق عن أبي سعد المَقْبُريّ ، قال: نظرت إلى الحسين داخلاً مسجدَ المدينة ، وإنه ليمشي وهو معتمد على رَجُلين ، يعتمد على هذا مرّةً وعلى هذا مرّة ، وهو يتمثّل بقول ابن مفرِّغ:

لا ذَعَـرْتُ السَّـوامَ فـي فَلَـق الصّبْـ ـحِ مُغِيـراً ولا دُعِيـتُ يَـزِيـدا
يـومَ أُعْطَـى مـن المهـابـةِ ضَيمـاً والمَنَـايَـا يَـرْصُـدْنَنِـي أَن أَحيـدا

قال: فقلت في نفسي: والله ما تمثّل بهذين البيتين إلا لشيء يريد ، قال: فما مكث إلا يومين حتى بلغني: أنه سار إلى مكة .

ثم إن الوليد بعث إلى عبد الله بن عمرَ فقال: بايعْ ليزيد ، فقال: إذا بايع الناسُ بايعت؛ فقال رجل: ما يمنعك أن تبايع؟ إنما تريد أن يختلف الناسُ فيقتتلوا ويتَفانوْا ، فإذا جَهَدهم ذلك قالوا: عليكم بعبد الله بن عمرَ ، لم يَبْق غيرُه ، بايِعوه! قال عبد الله: ما أحبّ أن يقتتلوا ، ولا يختلفوا ، ولا يتفانَوْا. ولكن إذا بايع ولم يَبق غيري بايعتُ؛ قال: فتركوه وكانوا لا يتخوّفونه .

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

قال: ومضى ابن الزّبير حتى أتى مكة وعليها عمرو بن سعيد ، فلما دخل مكّة قال: إنما أنا عائذ ، ولم يكن يصلّي بصلاتهم ، ولا يُفيض بإفاضتهم ، كان يقف هو وأصحابُه ناحيةً ، ثم يُفيض بهم وحدَه ، ويصلّي بهم وحدَه ، قال: فلما سار الحسين نحومكة ، قال: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . فلما دخل مكة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [١].
(٥: ٣٤٢ ـ ٣٤٣)

* * *

ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد

وفي هذه السنة عَزل يزيدُ الوليد بن عُتبة عن المدينة ، عزله في شهر رمضان ، فأقرّ عليها عمرو بن سعيد الأشدق.

وفيها قَدِم عمرو بن سعيد بن العاص المدينةَ في رمضان ، فزعم الواقديّ: أن ابن عمرَ لم يكن بالمدينة حين ورد نعيّ معاوية وبيعة يزيدَ على الوليد ، وأنّ ابنَ الزّبير والحسين لما دُعِيا إلى البيعة ليزيد أبَيَا وخرجَا من ليلتهما إلى مكة ، فلقيهما ابنُ عباس وابن عمر جائِيَيْنِ من مكة ، فسألاهما ، ما وراءكما؟ قالا: موتُ معاوية والبَيعة ليزيد؛ فقال لهما ابن عمر: اتَّقيا الله ، ولا تفرّقا جماعة المسلمين! وأما ابنُ عمر فقَدِم فأقام أيّاماً ، فانتظر حتى جاءت البيعة من البُلدان ، فتقدّم إلى الوليد بن عتبة فبايَعه ، وبايَعه ابن عباس. (٥: ٣٤٣)

وفي هذه السنة وجّه عَمرو بن سعيد عَمرَو بن الزبير إلى أخيه عبدِ اللهِ بنِ الزبير لحربِه.

* ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر محمد بن عمر: أنّ عَمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قَدِم المدينة في رمضان سنة ستين فدخل عليه أهلُ المدينة ، فدخلوا على رجل عظيم الكِبرَ مفوّه.

قال محمّد بن عمر: حدّثنا هشام بن سعيد ، عن شيبة بن نصاح ، قال: كانت

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

الرسل تجري بين يزيدَ بن معاوية وابن الزبير في البَيعة ، فحلف يزيد ألاّ يقبل منه حتى يؤتَى به في جامعة ، وكان الحارث بن خالد المخزوميّ على الصلاة ، فمنعه ابن الزبير ، فلما منعه كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد: أن ابعث جيشاً إلى ابن الزبير ، وكان عمرو بن سعيد لما قدم المدينة ولّى شُرطته عمرو بن الزبير ، لِمَا كان يعلم ما بينه وبين عبد الله بن الزبير من البغْضاء ، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضَرْباً شديداً. (٥ : ٣٤٣ ـ ٣٤٤)

قال محمد بن عمر: حدّثني شُرَحبيل بن أبي عون عن أبيه ، قال: نظر إلى كل من كان يَهوى هَوَى ابن الزّبير فَضرَبه ، وكان ممن ضرب: المنذر بن الزبير ، وابنه محمد بن المنذر ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوثَ ، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، وخُبيب بن عبد الله بن الزبير ، ومحمد بن عمّار بن ياسر ، فضرَبَهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين ، وفرّ منه عبد الرحمن بن عثمان ، وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس إلى مكّة ، فقال عمرو بن سعيد لعمرو بن الزبير: مَن رجلٌ نوجّه إلى أخيك؟ قال: لا توجّه إليك رجلاً أبداً أنكأ له منّي ، فأخرج لأهل الديوان عشرات ، وخرج من موالي أهلِ المدينة ناسٌ كثير ، وتوجّه معه أنيس بن عمرو الأسلميّ في سبعمئة ، فوجّهه في مقدّمته ، فعسكر بالجرف ، فجاء مروان بن الحَكم إلى عمرو بن سعيد فقال: لا تَغزُ مكة ، واتّق الله ، ولا تُحِلّ حرمةَ البيت ، وخلّوا ابن الزبير فقد كَبِر ، هذا له بِضعٌ وستون سنةً ، وهو رجلٌ لَجوج ، والله لئن لم تقتلوه ليموتَنّ ، فقال عمرو بن الزبير: والله لنقاتلنه ولنغزونّه في جوف الكعبة على رغم أنف من رَغِم؛ فقال مروان: والله إنّ ذلك ليسوءني؛ فسار أنَيس بن عمرو الأسلميّ حتى نزل بذي طُوىً ، وسار عمرو بن الزبير حتى نزل بالأبطح ، فأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه: بُرَّ يَمينَ الخليفة ، واجعل في عنقك جامعة من فضّة لا ترى ، لا يضرب الناس بعضهم بعضاً ، واتَّقِ الله فإنك في بلد حرام.

قال ابن الزبير: موعدك المسجد؛ فأرسل ابن الزبير عبدَ الله بن صفوان الجمحيّ إلى أنيس بن عمرو من قبل ذي طُوىً ، وكان قد ضوى إلى عبد الله بن صَفوان قومٌ ممن نزل حول مكة ، فقاتلوا أنيس بن عمرو ، فهزم أنيس بن عمرو أقبَح هزيمة ، وتفرّق عن عمرو جماعةُ أصحابه ، فدخل دارَ علقمة ، فأتاه

عبيدة بن الزبير ، فأجارَه ، ثم جاء إلى عبد الله بن الزبير فقال: إني قد أجَرْته؛ فقال: أتجير من حقوق الناس؟ هذا ما لا يصلح!. (٥: ٣٤٤ ـ ٣٤٥).

قال محمد بن عمر: فحدّثت هذا الحديثَ محمد بنَ عُبيد بن عمير فقال: أخبَرَني عمرو بن دينار، قال: كتب يزيدُ بن معاويَة إلى عمرو بن سعيد: أن استعمل عمرو بن الزبير على جيش، وابعثه إلى ابن الزبير، وابعث معه أنيس بن عمرو، قال: فسار عمرو بن الزبير حتى نزل في داره عند الصّفا، ونزل أنيس بن عمرو بذي طُوىً، فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس، ويصلي خلفه عبد الله بن الزبير، فإذا انصرف شبّك أصابعه في أصابعه، ولم يبق أحدٌ من قريش إلا أتى عمرو بن الزبير، وقعد عبد الله بنُ صفوان فقال: مالي لا أرى عبد الله بنَ صفوان! أما والله لئن سرت إليه ليعلمنّ أن بني جُمَح ومَنْ ضَوى إليه من غيرهم قليل، فبلغ عبد الله بن صفوان كلمتُه هذه، فحرّكته، فقال لعبد الله بن الزبير: إني أراك كأنك تريد البُقْيا على أخيك، فقال عبد الله: أنا أبقِي عليه يا أبا صَفوان! والله لو قَدرتُ على عَوْن الذَّرّ عليه لاستعنتُ بها عليه؛ فقال ابنُ صفوان: فأنا أكفيك أنيس بن عمرو، فاكفني أخاك؛ قال ابن الزبير: نعم؛ فسار عبد الله بن صفوان إلى أنيس بن عمرو وهو بذي طُوىً، فلاقاه في جمع كثير من أهل مكّة وغيرهم من الأعوان، فهزم أنيس بن عمرو ومن معه، وقتلوا مدبِرَهم، وأجهزوا على جَريحِهم، وسار مصعب بن عبد الرحمن إلى عمرو، وتفرّق عنه أصحابه حتى تخلّص إلى عمرو بن الزبير، فقال عبيدة بن الزبير لعمرو: تعالَ أنا أجيرك، فجاء عبد الله بن الزبير، فقال: قد أجرت عمراً، فأجره لي، فأبى أن يجيرَه، وضرَبَه بكلِّ من كان ضَرَب بالمدينة، وحبَسه بسجن عارم. (٥: ٣٤٥).

قال الواقديّ: قد اختلفوا علينا في حديث عمرو بن الزّبير، وكتبت كلّ ذلك.

حدّثني خالد بن إلياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهشم، قال: لمّا قدم عمرو بن سعيد المدينة والياً؛ قدم في ذي القعدة سنة ستّين، فولّى عمرَو ابن الزبير شُرطتَه، وقال: قد أقسَم أميرُ المؤمنين ألاّ يقبل بيعةَ ابن الزبير إلا أن يؤتَى به في جامعة، فَلْيُبِرَّ يمين أمير المؤمنين، فإني أجعل جامعة خفيفةً من ورِق أو ذهب، ويلبس عليهما بُرْنُساً، ولا تُرَى إلا أن يُسمع صوتُها، وقال:

خُـذْهـا فليسـتْ للعـزيـز بخُطَّـةٍ وفيهـا مقـالٌ لامـرىءٍ مُتَـذَلِّـلِ
أعـامِـرُ إنَّ القَـومَ سـامـوكَ خُطَّـةً ومـالـكَ فـي الجيـران عـذلُ مُعَذِّل
(٥: ٣٤٦)

قال محمّد: وحدّثني رِياح بن مسلم عن أبيه، قال: بُعِث إلى عبد الله بن الزّبير عمرو بن سعيد، فقال له أبو شُريح: لا تَغْزُ مكة فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنما أذن الله لي في القتال بمكة ساعةً من نهار، ثم عادت كحُرْمتها»، فأبى عمرو أن يسمع قوله، وقال: نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ؛ فبعث عمرو جيشاً مع عمرو ومعه أُنَيْس بن عمرو الأسلميّ، وزيد غلام محمد بن عبد الله بن الحارث بن هشام، ـ وكانوا نحو ألفين ـ فقاتلهم أهلُ مكة، فقُتل أُنَيْس بن عمرو والمهاجر مولى القَلَمَّس في ناس كثير، وهُزم جيشُ عمرو، فجاء عبيدة بن الزبير، فقال لأخيه عمرو: أنت في ذمتي، وأنا لك جار، فانطَلَق به إلى عبد الله، فدخل على ابن الزبير فقال: ما هذا الدّم الذي في وجهك يا خبيث! فقال عمرو:

لَسْنـا علـى الأَعقـاب تَـدْمَـى كُلـومُنـا ولكـنْ علـى أقـدامنـا تَقْطُـرُ الـدِّمَـا

فحبسه وأخفر عُبيدة، وقال: أمرْتُك أن تجير هذا الفاسق المستحِلّ لحرمات الله؛ ثم أقاد عَمراً من كلّ من ضربه إلا المنذر وابنه، فإنهما أَبيَا أن يستقيدا، ومات تحت السِّياط، قال: وإنما سمّي سجن عارِم لعبد كان يقال له: زيد عارِم، فسمّيَ السِّجنُ به، وحَبَس ابنَّ الزبير أخاه عمراً فيه. (٥: ٣٤٦ ـ ٣٤٧).

قال الواقدي: حدّثنا عبد الله بن أبي يحيى، عن أبيه: قال: كان مع أُنَيس بن عمرو ألفان. (٥: ٣٤٧).

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:
وفي هذه السنة (أي: ٦٠ هـ) وجّه أهل الكوفة الرسل إلى الحسين عليه السلام وهو بمكة يدعونه إلى القدوم عليهم، فوجه إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنهما.

* * *

ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيِّين الحُسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمْر مسلم بن عقيل رضي الله عنه

حدّثني زكريّا بن يحيى الضرير، قال: حدّثنا أحمد بن جناب المَصِّيصيّ ـ ويكنَى أبا الوليد ـ قال: حدّثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القَسْريّ، قال: حدّثنا عمار الدُّهنيّ، قال: قلت لأبي جعفر: حدّثْنِي بمقتَل الحسين حتّى كأنّي حضرتُه؛ قال: مات معاويةُ والوليدُ بن عُتبة بن أبي سُفيان على المدينة، فأرسل إلى الحسين بن عليّ ليأخذ بيعته، فقال له: أخِّرني وارفُق، فأخّره، فخرج إلى مكة، فأتاه أهلُ الكوفة ورُسُلهم: إنا قد حبسنا أنفسَنا عليك، ولسنا نحضر الجُمُعة مع الوالي، فأقدم علينا ـ وكان النعمان بن بَشير الأنصاريّ على الكوفة؛ قال: فبعث الحسين إلى مسلم بن عَقِيل بن أبي طالب ابن عمّه فقال له: سِرْ إلى الكوفة فانظر ما كَتبوا به إليّ، فإنْ كان حقّاً؛ خرجْنا إليهم. فخرج مسلم حتى أتى المدينة، فأخذ منها دليلين، فمرّا به في البرّيّة، فأصابهم عطَشٌ، فمات أحدُ الدَّليلين، وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه، فكتب إليه الحسين: أن امضِ إلى الكوفة، فخرج حتى قَدِمها، ونزل على رجل من أهلها يقال له: ابن عَوْسجة؛ قال: فلمّا تحدّث أهل الكوفة بمَقدَمه دبّوا إليه فبايعوه، فبايعه منهم اثنا عشرَ ألفاً. قال: فقام رجل ممن يَهوَى يزيد بن معاوية إلى النّعمان بن بَشير، فقال له: إنك ضعيف أو متضعِّف؛ قد فسدَت البلاد! فقال له النعمان: أن أكونَ ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحبّ إلي من أن أكون قوياً في معصية الله، وما كنتُ لأهتك ستراً ستَرَهُ الله.

فكتب بقول النعمان إلى يزيد، فدعا مولىً له يقال له: سَرْجون؛ ـ وكان يستشيره ـ فأخْبرَه الخبر، فقال له: أكنتَ قابلاً من معاوية لو كان حيّاً؟ قال: نعم. قال: فاقبل منّي، فإنه ليس للكوفة إلاّ عُبيد الله بن زياد، فولِّها إيّاه ـ وكان يزيد عليه ساخطاً، وكان همّ بعزله عن البصْرة ـ فكتب إليه برضائه، وأنه قد ولاّه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عَقِيل فيقتلَه إنْ وجده.

قال: فأقبل عُبيد الله في وجوه أهل البَصْرة حتى قدم الكوفة متلثِّماً، ولا يمرّ

على مجلس من مجالسهم فيسلّم إلاّ قالوا: عليك السلام يابن بنتِ رسول الله - وهم يظنون أنه الحسين بن عليّ عليه السلام - حتى نزل القصر، فدعا مولىً له فأعطاه ثلاثةَ آلاف، وقال له: اذهبْ حتى تسأل عن الرجل الذي يبايع له أهلُ الكوفة فأعلمه أنك رجل من أهلِ حِمْصَ جئتَ لهذا الأمر، وهذا مالٌ تدفعه إليه ليتقوّى، فلم يزل يتلطّف ويَرفُق به حتى دُلّ على شيخ من أهل الكوفة يلي البيعة، فلقيَه فأخبره، فقال له الشيخ: لقد سَرَّني لقاؤك إيّاي، وقد ساءني؛ فأما ما سرّني من ذلك فما هداك الله له، وأما ما ساءني فإنّ أمرَنا لم يستحكم بعدُ، فأدخَلَه إليه، فأخذ منه المال وبايعه، ورجع إلى عبيدالله فأخبَرَه.

فتحوّل مسلم حين قدم عُبيد الله بن زياد من الدّار التي كان فيها إلى منزل هانىء بن عُروة المُراديّ، وكتب مسلم بن عَقيل إلى الحسين بن عليّ عليه السلام يخبره ببيعة اثني عشر ألفاً من أهل الكُوفة، ويأمره بالقدوم، وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة: مالي أرى هانىءَ بنَ عروةَ لم يأتني فيمن أتاني! قال: فخرج إليه محمّد بن الأشعث في ناس من قومه وهو على باب داره، فقالوا: إنّ الأمير قد ذكَرَك واستبطأك، فانطلق إليه، فلم يزالوا به حتى ركب معهم وسار حتّى دخل على عُبيد الله وعنده شُريح القاضي، فلما نظر إليه قال لشريح: «أتتْك بحائنٍ رِجْلاه»؛ فلمّا سلّم عليه قال: يا هانىء، أين مسلم؟ قال: ما أدري؛ فأمر عبيد الله مولاه صاحب الدراهم، فخرج إليه، فلما رآه قُطع به، فقال: أصلح الله الأمير! والله ما دعوتُه إلى منزلي ولكنه جاء فطرح نفسه عليّ؛ قال: ائتني به؛ قال: والله لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه؛ قال: أدنُوه إليّ، فأدنِيَ فضربه على حاجبه فشجّه، قال: وأهوَى هانىءٌ إلى سيفِ شُرَطيّ ليسلّه، فدُفع عن ذلك، وقال: قد أحلّ الله دمك، فأمر به فحُبِس في جانب القصر[1]. (٥:٣٤٧ - ٣٤٩).

---

(١) ولنا وقفة عند إسناد الطبري هذا، فأما شيخه زكريا بن يحيى الضرير فقد ترجم له الخطيب دون جرح أو تعديل.
وأما خالد بن يزيد القسري، فقد سكت عنه ابن حجر في التقريب وهو ضعيف، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها لا يتابع عليها.
وسيرجع الطبري مرة أخرى إلى هذا الإسناد عند الحديث عن استشهاد الحسين رضي الله عنه.=

رجع الحديث إلى حديث عمّار الدُّهنيّ: عن أبي جعفر، قال: فبينا هو كذلك إذ خرج الخبر إلى مذْحِج، فإذا على باب القصر جَلَبَة سمعها عبيد الله، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مَذحج، فقال لشُريح: اخرج إليهم فأعلِمهم أني إنما حبسته لأسائله، وبعث عَيناً عليه من مواليه يسمع ما يقول، فمرّ بهانيء بن عروة، فقال له هانيء: اتّق الله يا شُريح، فإنه قاتلي، فخرج شريح حتى قام على باب القصر، فقال: لابأس عليه، إنما حبسه الأمير ليسائله، فقالوا: صدق، ليس على صاحبكم بأس، فتفرّقوا، فأتى مسلِماً الخبرُ، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته، وعَبّى ميَمنَته ومَيْسَرته، وسار في القلب إلى عُبيد الله، وبعث عُبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فلما سار إليه مسلم فانتهى إلى باب القصر أشرَفوا على عشائرهم فجعلوا يكلمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسلَّلون حتى أمسى في خَمسمئة، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً.

فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده يتردّد في الطُّرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني، فسقتْه، ثمّ دخلتْ فمكثتْ ما شاء الله، ثم خرجت فإذا هو على الباب؛ قالت: يا عبدَ الله! إنّ مجلسك مجلسُ ريبة، فقمْ؛ قال: إني أنا مسلم بن عَقِيل، فهل عندكِ مأوىً؟ قالت: نعم، ادخل، وكان ابنها مولىً لمحمد بن الأشعث، فلما علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره، فبعث عُبيد الله عمرو بن حريث المخزوميَ - وكان صاحبَ شُرَطه - إليه ومعه عبد الرحمن بن محمد بن

= وقال غير أبي جعفر: الذي جاء بهانيء بنِ عُروة إلى عُبيد الله بن زياد عمرو بن الحجّاج الزَّبيديّ:

* ذكر من قال ذلك:

حدّثنا عمرو بن عليّ، قال: حدّثنا أبو قُتيبة، قال: حدّثنا يونس بن أبي إسحاق عن العَيْزار بن حُرَيث، قال: حدّثنا عُمارة بن عُقْبة بن أبي مُعَيط، فجلس في مجلس ابن زياد فحدّث، قال: طردتُ اليوم حُمُراً فأصبتُ منها حماراً فعقرتُه، فقال له عمرو بن الحجاج الزُّبيديّ: إنّ حماراً تَعْقِرُهُ أنتَ لَحِمارٌ حائن؛ فقال: ألا أخبرك بأحْيَنَ من هذا كلّه! رجل جيء بأبيه كافراً إلى رسول الله ﷺ، فأمَر به أن يضرب عنقه، فقال: يا محمد فمن لِلصِّبْية؟ قال: النارُ، فأنت من الصبية، وأنت في النار؛ قال: فضحك ابن زياد. (٥: ٣٤٩).

الأشعث ، فلم يَعلم مُسلم حتى أحيط بالدار ، فلما رأى ذلك مسلمٌ خرج إليهم بسيفه فقاتَلَهم ، فأعطاه عبد الرحمن الأمان ، فأمكن من يده ، فجاء به إلى عبيد الله ، فأمر به فأصعِد إلى أعلى القصر فضُربت عنقُه ، وألقَى جُثَّتَه إلى الناس ، وأمر بهانىء فسُحب إلى الكُناسة ، فصُلب هنالك ، وقال شاعرُهم في ذلك :

فإنْ كنتِ لا تدرينَ ما الموتُ فانظري إلى هانىء في السُّوقِ وٱبنِ عقِيلِ
أصابَهُمَا أَمْرُ الإمام فأصبحا أحاديثَ مَنْ يَسْعى بكلِّ سبيلِ
أيركبُ أسماءُ الهمَالِيج آمناً وقد طَلَبَتْهُ مَذْحِجٌ بِذُحول!

(٥ : ٣٤٩ ـ ٣٥١).

وأما أبو مِخْنف فإنه ذكر من قصّة مسلم بن عَقيل وشخوصِه إلى الكُوفة ومقتله قصةً هي أبشع وأتمّ من خبر عمَّار الدّهنيّ عن أبي جعفر الذي ذكرناه ما حُدِّثت عن هشام بن محمد ، عنه ، قال : حدثني عبد الرحمن بنُ جُندَب ، قال : حدّثني عُقبة بن سَمْعان مولى الرِّباب ابنة امرىء القيس الكلبيَّة امرأة حسين ـ وكانت مع سُكينة ابنة حسين ، وهو مولَى لأبيها ، وهي إذ ذاك صغيرة ـ قال : خرجْنا فلزمنا الطريقَ الأعظم ، فقال للحسين أهلُ بيته : لو تنكَّبتَ الطريقَ الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب؛ قال : لا ، والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو أحبّ إليه ، قال : فاستقبَلَنا عبدُ الله بن مُطيع فقال للحسين : جُعلت فِداك! أين تريد ؟ قال : أما الآن فإني أريد مكة ، وأما بعدها فإني أستخير الله ، قال : خار الله لك ، وجَعلَنا فداك؛ فإذا أنت أتيت مكَّة فإياك أن تَقرُب الكوفة ، فإنها بلدةٌ مشؤومة ، بها قُتل أبوك ، وخُذِل أخوك ، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه؛ الزَم الحَرَم؛ فإنَّك سيِّد العرب ، لا يَعدِل بك والله أهلُ الحجاز أحداً ، ويتداعَى إليك الناسُ من كلّ جانب ، لا تفارق الحرَم فِدَاك عمّي وخالي ! فوالله لئن هلكتَ لنُسترَقَّنَ بعدك!.

فأقبل حتى نزل مكة ، فأقبل أهلُها يختلفون إليه ويأتونه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق ، وابن الزبير قد لزم الكَعبة ، فهو قائم يصلِّي عندها عامَّة النهار ويطوف ، ويأتي حُسَيناً فيمن يأتيه ، فيأتيه اليومين المتواليَيْن ، ويأتيه بين كلّ يومين مرّة ، ولا يزال يشير عليه بالرّأي وهو أثقل خلْق الله على ابن الزُّبير ، قد عرف أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام حسين بالبلد ، وأنّ

حسيناً أعظم في أعينهم وأنفسهم منه ، وأطوَعُ في الناس منه .

فلما بلغ أهلَ الكوفة هلاكُ معاوية أرجف أهلُ العراق بيزيد ، وقالوا : قد امتنع حسين وابن الزبير ، ولَحِقا بمكة ، فكتب أهل الكوفة إلى حسين ، وعليهم النعمان بن بَشير [١]. (٥ : ٣٥١ ـ ٣٥٢).

قال أبو مخنف : فحدّثني الحجّاج بنِ عليّ عن محمد بن بشر الهَمْدانيّ ، قال : اجتمعت الشيعة في منزل سليمانَ بن صُرد ، فذكرْنا هلاكَ معاويـة ، فحمِدنْا الله عليه ، فقال لنا سليمان بن صُرَد : إنّ معاوية قد هلك ، وإنّ حسيناً قد تقبّضَ على القوم ببيعته ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإنْ كنتم تعلَمون : أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه ، وإن خفتم الوهَلَ والفشَل فلا تغرُّوا الرّجلَ من نفسه ، قالوا : لا ، بل نقاتل عدوَّه ونقتل أنفسنا دونه؛ قال : فاكتبوا إليه ، فكَتَبوا إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لحسين بن عليّ من سُليمان بن صُرَد ، والمسيّب بن نَجبَة ، ورفاعة بن شدّاد ، وحبيب بن مُظاهر ، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة ، سلامٌ عليك ، فإنا نحمَد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فالحمد لله الذي قَصَم عدوَّك الجبَّار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزّها أمرَها ، وغصَبَها فَيْئَهَا وتأمّر عَلَيْها بغير رضاً منها ، ثم قتل خيارَها ، واستبقَى شِرارَها ، وجعل مال الله دُولةً بين جبابرتها وأغنيائها ، فبُعْداً له كما بَعِدتْ ثمود! إنه ليس علينا إمام ، فأقبِلْ لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جُمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغَنا أنك قد أقبلتَ إلينا أخرجْناه حتى نلحقه بالشأم إن شاء الله؛ والسلام ورحمةُ الله عليك .

قال : ثم سرّحنا بالكتاب مع عبد الله بن سَبُع الهَمْدانيّ وعبد الله بن وال ، وأمرناهما بالنَّجاء؛ فخرج الرجلان مسرِعَيْن حتى قَدِما على حسين لعشر مضين من شهر رمضانَ بمكة ، ثم لبثْنا يومين ، ثم سرّحنا إليه قيسَ بن مُسْهر الصَّيداويّ وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبيّ وعُمارة بن عبيد السَّلوليّ ، فحملوا

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفةً؛ [الصحيفة] من الرجل والاثنين والأربعة.

قال: ثمّ لبثنا يومين آخرَين، ثم سرّحنا إليه هانئَ بن هانىء السَّبيعيّ وسعيد بن عبد الله الحنفيّ، وكتبْنا معهما:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، لحسين بن عليّ من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد: فحيَّهلا، فإنّ الناس ينتظرونك، ولا رأيَ لهم في غيرك، فالعجَل العجَل، والسلام عليك.

وكتب شبَث بن رِبْعي وحجّار بن أبْجَر ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُويم وعَزْرة بن قيس وعمرو بن الحجّاج الزُّبيديّ ومحمد بن عُمير التميميّ:

أما بعد: فقد اخضرّ الجنَاب، وأينعَت الثمار، وطَمَّت الجِمام، فإذا شئت فاقدَم على جندٍ لك مجنَّد؛ والسلام عليك.

وتلاقت الرسُل كلها عنده، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن أمر الناس، ثم كتب مع هانىء بن هانىء السَّبيعيّ وسعيد بن عبد الله الحنفيّ، وكانا آخر الرسل:

بسم الله الرحمن الرحيم، من حسين بن عليّ إلى الملإ من المؤمنين والمسلمين؛ أما بعد: فإن هانئاً وسعيداً قدِمَا عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جُلِّكم: إنه ليس علينا إمام، فأقبِل لعلّ الله أن يجمعَنَا بك على الهدى والحقّ، وقد بعثتُ إليكم أخي وابن عمتي وثقتي من أهل بيتي، وأمرتُه أن يكتب إليّ بحالكم وأمرِكم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنه قد أجمع رأي مَلَئِكم وذوي الفضل والحِجَى منكم على مثل ما قدمتْ عليَّ به رُسُلكم، وقرأتُ في كُتُبكم؛ أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله؛ فلَعَمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسَه على ذات الله، والسلام[1]. (٥: ٣٥٢ ـ ٣٥٣).

قال أبو مخنف: وذكر أبو المخارق الراسبيّ، قال: اجتمع ناس من الشيعة بالبَصْرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها: مارية ابنة سعْد ـ أو منقذ ـ أياماً وكانت تَشيَّع، وكان منزلُها لهم مألَفاً يتحدّثون فيه، وقد بلغ ابنَ زياد إقبالُ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

الحسين ، فكتب إلى عامله بالبَصرة أن يضع المناظر ويأخذ بالطريق .

قال: فأجمع يزيد بن نُبَيط الخروج ـ وهو من عبد القيس ـ إلى الحسين ، وكان له بَنونَ عشرة ، فقال: أيُّكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له: عبد الله وعبيد الله ، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعتُ على الخروج ، وأنا خارج ، فقالوا له: إنا نخاف عليك أصحابَ ابن زياد؛ فقال: إنّي والله لو قد استوت أخفافهما بالجَدَد لَهَان عليّ طلب من طلبني .

قال: ثم خرج فتقدَّى في الطريق حتَّى انتْهى إلى حسين عليه السلام ، فدخل في رحله بالأبطح ، وبلغ الحسينَ مجيئُه ، فجعل يطلبه ، وجاء الرجل إلى رَحْل الحسين ، فقيل له: قد خرج إلى منزلك ، فأقبل في أثرِه ، ولما لم يجده جلس في رحله ينتظره ، وجاء البصري فوجَدَه في رَحْله جالساً ، فقال: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ قال: فسلَّم عليه ، وجلس إليه ، فخبّره بالذي جاء له ، فدعا له بخير ، ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه ، فقتِل معه هو وابناه ، ثم دعا مسلم بن عقيل فسرّحه مع قيس بن مُسهر الصيداويّ ، وعمارة بن عبيد السَّلوليّ ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبيّ ، فأمره بتقوى الله وكتمانِ أمرِه ، واللطفِ ، فإن رأى الناسَ مجتمعين مستوسِقين عجّل إليه بذلك .

فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلّى في مسجدِ رسول الله ﷺ ، وودّع من أحبّ من أهله ، ثم استأجر دليلين من قيس ، فأقبلاَ به ، فضلا الطريق وجارا ، وأصابهم عطش شديد ، وقال الدّليلان: هذا الطريقَ حتى تنتهي إلى الماء ، وقد كادوا أن يموتوا عطشاً ، فكتب مسلم بن عَقِيل مع قيس بن مسهر الصيداويَ إلى حسين ، وذلك بالمَضيق من بطن الخُبيت:

أما بعد: فإني أقبلتُ من المدينة معي دليلان لي ، فجارا عن الطريق وضلاّ ، واشتدّ علينا العطش ، فلم يلبثا أن ماتا ، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء ، فلم ننجُ إلا بُحشاشة أنفسنا ، وذلك الماء بمكان يُدعَى المَضيق من بطن الخُبيت؛ وقد تطيّرت من وجهي هذا ، فإن رأيتَ أعفيتني منه ، وبعثتَ غيري ، والسلام.

فكتب إليه حسين:

أمّا بعد: فقد خشيت ألاّ يكون حَمَلك على الكتاب إليّ في الاستعفاء من

الوجه الذي وجهتك له إلا الجُبْن ، فامض لوجهك الذي وجهتُك له؛ والسلام عليك.

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب: هذا ما لستُ أتخوّفه على نفسي؛ فأقبَل كما هو حتى مرّ بماء لطيِّيء ، فنزل بهم ، ثمّ ارتحل منه ، فإذا رجل يرمي الصَيْد ، فنظر إليه قد رَمَى ظَبْياً حين أشرف له ، فصرعه ، فقال مُسلِم: يُقتل عدوُّنا إن شاء الله ، ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة ، فنزل دارَ المختار بن أبي عبيد ـ وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب ـ وأقبلتْ الشيعة تختلف إليه فلما اجتمعت إليه جماعةٌ منهم قرأ عليهم كتابَ حسين ، فأخذوا يبكون.

فقام عابس بن أبي شَبيب الشاكريّ ، فحَمِد الله وأثنَى عليه ثم قال: أما بعد ، فإني لا أخبرك عن الناس ، ولا أعلم مافي أنفسهم ، وما أغرُّك منهم ، والله لأحدّثنّك عما أنا موطِّن نفسي عليه ، واللهِ لأجيبنّكم إذا دعوتم ، ولأقاتلنّ معكم عدوّكم ، ولأضربنّ بسيفي دونـكم حتى ألقَى الله ، لا أريد بذلك إلا ما عند الله.

فقام حبيب بن مظاهِر الفَقْعسيّ؛ فقال: رحمك الله! قد قضيتَ مافي نفسك ، بواجز مِنْ قولك ، ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه.

ثم قال الحنفيّ مِثلَ ذلك. فقال الحجاج بن عليّ: فقلت لمحمد بن بِشر: فهل كان منك أنت قولٌ؟ فقال: إن كنتُ لأحبّ أن يعزّ الله أصحابي بالظَّفر ، وما كنتُ لأحبّ أن أقتل ، وكرهتُ أن أكذب.

واختلفت الشيعة إليه حتى عُلِم مكانه ، فبلغ ذلك النعمان بن بَشير[١]. (٥: ٣٥٣ ـ ٣٥٥).

قال أبو مِخْنف: حدّثني نُمير بن وَعلة ، عن أبي الودّاك ، قال: خرج إلينا النعمان بن بَشير فصعِد المنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ، فاتقوا الله عبادَ الله ، ولا تُسارِعوا إلى الفتنة والفُرْقة ، فإنّ فيهما يَهلِك الرجال وتُسفك الدماء ، وتُغصَب الأموال ـ وكان حليماً ناسكاً يحبّ العافية ـ قال: إنّي لم أقاتل من لم يقاتلني ، ولا أثِب على مَن لا يَثِب عليّ ، ولا أشاتمكم ، ولا أتحرَّش بكم ، ولا آخذ بالقَرْف ولا الظِّنة ولا التُّهمة ، ولكنكم إن أبْديتمْ صفحتكم لي ،

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ونكثْتُم بَيْعتكم ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنّكم بسيفي ما ثبت قائمهُ في يدي ، ولو لم يكن لي منكم ناصر ، أمَا إنّي أرجو أن يكون من يعرف الحقّ منكم أكثر مما يُرْديه الباطل.

قال: فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرميّ حليف بني أميّة فقال: إنه لا يصلح ما ترى إلاّ الغَشْم ، إنَّ هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوّك رأيُ المستضعَفين؛ فقال: أنْ أكون من المستضعَفين في طاعة الله أحبُّ إليّ من أن أكون من الأعزِّين في معصية الله؛ ثم نزل.

وخرج عبد الله بن مسلم ، وكتب إلى يزيد بن معاوية: أما بعد ، فإن مسلم بن عَقيل قد قدم الكُوفة فبايعتْه الشيعةُ للحُسَين بن عليّ ، فإن كان لك بالكوفة حاجةٌ فابعث إليها رجلاً قويّاً ينفِّذ أمرَك ، ويعمَل مثلَ عملك في عدوّك ، فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف؛ أو هو يتضعّف. فكان أوّل من كتب إليه.

ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه ، ثم كتب إليه عمر بنُ سعد بن أبي وقّاص بمثل ذلك[١]. (٥: ٣٥٥ ـ ٣٥٦).

قال هشام: قال عَوانة: فلما اجتمعت الكتب عند يزيدَ ليس بين كتبهم إلا يومان ، دعا يزيد بن معاوية سَرْجون مولى معاوية فقال: ما رأيك؟ فإنّ حسيناً قد توجّه نحو الكوفة ، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين ، وقد بلغني عن النعمان ضعْفٌ وقوْلٌ سيىء ـ وأقرأه كتبهم ـ فما ترى من أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عُبيد الله بن زياد؛ فقال: سرجون: أرأيتَ معاويةَ لو نُشِر لك ، أكنتَ آخذاً برأيه؟ قال: نعم؛ فأخرج عهدَ عبيد الله على الكوفة فقال: هذا رأيُ معاوية ، ومات وقد أمر بهذا الكتاب ، فأخذ برأيه وضّم المصرَين إلى عبيد الله ، وبعث إليه بعهده على الكوفة.

ثم دعا مسلم بن عمرو الباهليّ ـ وكان عنده ـ فبعثه إلى عبيد الله بعهده إلى البصرة ، وكتب إليه معه: أما بعد ، فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أنّ ابن عَقِيل بالكوفة يجمع الجموعَ لشقّ عصا المسلمين؛ فسِرْ حين

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

تقرأ كتابي هذا حتى تأتيَ أهلَ الكوفة فتطلبَ ابنَ عَقيل كطلب الخرزَة حتى تَثْقَفَه فتُوثِقِه، أو تقتلَه، أو تنفيه؛ والسلام.

فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عُبيد الله بالبصرة، فأمر عُبيد الله بالجهاز والتَّهيؤ والمسير إلى الكوفة من الغد.

وقد كان حسين كتبَ إلى أهل البصرة كتاباً؛ قال هشام: قال أبو مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير عن أبي عثمان النَّهديّ، قال: كتب حسين مع مولى لهم يقال له: سليمان، وكتب بنُسخة إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف؛ فكتب إلى مالك بن مِسمعَ البكريّ، وإلى الأحنف بن قيس، وإلى المنذر بن الجارود، وإلى مسعود بن عمرو، وإلى قيس بن الهيثم، وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمَر، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها: أمّا بعد، فإنّ الله اصطفى محمداً ﷺ على خلقه، وأكرَمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلَّغ ما أرسِل به ﷺ، وكنا أهلَه وأولياءَه وأوصياءَه وورثتَه وأحقَّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرَضينا وكرهْنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أن أحقّ بذلك الحقّ المستحَقّ علينا ممن تولاّه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحرَّوُا الحقّ، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم. وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ، فإنّ السنّة قد أميتت، وإن البدعة قد أحيِيت، وإن تَسمَعوا قولي وتطيعوا أمري أهدِكُمْ سبيلَ الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله.

فكلُّ من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتمَه، غيرُ المنذر بن الجارود، فإنَّه خشيَ بزعمه أن يكون دَسيساً من قبَل عبيد الله، فجاءه بالرسول من العشيَّة التي يريد صبيحتَها أن يسبق إلى الكوفة، وأقرأه كتابَه. فقدَّم الرسولَ فضرب عنقه. وصَعد عبيد الله منبرَ البصرة فحمد الله وأثنَى عليه، ثم قال:

أما بعد: فوالله ما تُقرَن بي الصّعْبة، ولا يُقعقع لي بالشِّنان، وإنّي لَنِكلٌ لمن عاداني، وسَمٌّ لمن حاربني، أنصف القارةَ مَنْ راماها، يا أهلَ البصرة، إن أمير المؤمنين ولاّني الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة، وقد استخلفتُ عليكمُ عثمان بن زياد بن أبي سُفيان، وإيّاكم والخلاف والإرجاف، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنّه وعريفه ووليّه، ولآخذنّ الأدنى بالأقصى حتى

تستمعوا لي ، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاقّ ، أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطىء الحصى ولم ينتزعني شبَه خال ولا ابن عمّ.

ثم خرج من البَصرة واستخلف أخاه عثمانَ بن زياد ، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهليّ ، وشريك بن الأعور الحارثيّ وحشمه وأهل بيته ، حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء ، وهو متلثّم والناس قد بلغهم إقبال حسين إليهم ، فهم ينتظرون قدومَه ، فظنُّوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين ، فأخذ لا يمرّ على جماعة من الناس إلاّ سلّموا عليه ، وقالوا: مرحباً بك يابنَ رسول الله! قدمتَ خيرَ مَقْدَم ، فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه ، فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا: تأخّروا ، هذا الأميرُ عُبيد الله بن زياد ، فأخذ حين أقبل على الظهر؛ وإنما معه بضعة عشر رجلاً ، فلما دخل القصرَ وعلم الناسُ أنه عبيد الله بن زياد دَخلَهم من ذلك كآبة وحُزن شديد ، وغاظ عبيدَ الله ما سمع منهم ، وقال: ألا أرى هؤلاء كما أرى. (٥: ٣٥٦ ـ ٣٥٨)[١].

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدّثني المعلَّى بن كليب ، عن أبي ودّاك ، قال: لما نزل القصر نودي: الصلاة جامعة؛ قال: فاجتمع الناس ، فخرج إلينا ، فحمِد الله وأثنَى عليه ، ثم قال: أما بعد ، فإنّ أمير المؤمنين أصلحه الله ولاني مصرَكم وثغرَكم ، وأمرني بإنصاف مظلومكم ، وإعطاءِ محرومكم ، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم ، وأنا متّبع فيكم أمرَه ، ومنفّذ فيكم عهدَه ، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ ، وسوطي وسيفي على مَنْ ترك أمري ، وخالفَ عهدي ، فليُبقِ امرؤٌ على نفسه. الصدق ينبىء عنكَ لا الوعيد؛ ثم نزل.

فأخذ العُرفاء والناس أخذاً شديداً ، فقال: اكتبوا إليّ الغرباءَ ، ومن فيكم من طِلْبة أمير المؤمنين ، ومَن فيكم من الحروريّة ، وأهلِ الرّيَب الذين رأيُهم الخلاف والشقاق ، فَمن كَتبهم لنا فبرىء ، ومن لم يكتب لنا أحداً ، فيضمن لنا مافي عرافته ألاّ يخالفنا منهم مخالِف ، ولا يبغي علينا منهم باغٍ ، فمن لم يفعل برئتْ منه الذمّة ، وحلال لنا مالُه وسفكُ دمه ، وأيُّما عريفٍ وجِد في عرافته من

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

بُغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صُلب على باب داره ، وألقِيت تلك العرافة من العطاء ، وسُيِّر إلى موضع بعُمانَ الزّارة.

وأما عيسى بن يزيدَ الكنانيّ فإنه قال ـ فيما ذكر عمر بن شبّة ، عن هارون بن مسلم ، عن عليّ بن صالح ، عنه ـ قال: لمّا جاء كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد؛ انتخب من أهل البَصرة خمسمئة ، فيهم عبد الله بن الحارث بن نوفل ، وشريك بن الأعور ـ وكان شيعةً لعليّ ، فكان أوّل من سقط بالناس شريك ، فيقال: إنه تساقط غَمْرةً ومعه ناس ـ ثم سقط عبد الله بن الحارث وسقط معه ناس ، ورجَوْا أن يلوي عليهم عُبيد الله ويسبقه الحسين إلى الكوفة ، فجعل لا يلتفت إلى مَن سقط ، ويمضي حتى ورَد القادسيّة ، وسقط مِهْران مولاه ، فقال: أيا مِهران ، على هذه الحال ، إن أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر فلك مئة ألف ، قال: لا ، والله ما أستطيع ، فنزل عُبيد الله فأخرج ثياباً مقطَّعة من مقطّعات اليَمَن ، ثم اعتجر بمعجَرة يمانية ، فركب بغلته ، ثم انحدر راجلاً وحده ، فجعل يمرّ بالمحَارس فكلّما نظروا إليه لم يشكّوا أنه الحسين ، فيقولون: مرحباً بك يا بن رسولِ الله! وجَعَل لا يكلّمهم ، وخرج إليه الناس من دُورهم وبيُوتهم ، وسمع بهم النعمان بن بشير فغلّق عليه وعلى خاصّته ، وانتَهى إليه عبيد الله وهو لا يشك أنه الحسين ، ومعه الخلق يضجّون ، فكلّمه النعمان ، فقال: أنشـدُك اللهَ إلا تنحَّيتَ عني! ما أنا بمسلم إليك أمَانتي ، ومالي في قَتْلك من أرب؛ فجعل لا يكلمه ، ثم إنه دنا وتدلّى الآخر بين شُرْفتينِ ، فجعلِ يكلّمه فقال: افتح لا فَتحتَ ، فقد طال ليْلُك ، فسمعها إنسانٌ خلفه ، فتكفى إلى القوم ، فقال: أيْ قومُ ، ابن مَرجانة ، والذي لا إله غيره! فقالوا: وَيْحك! إنما هو الحسين ، ففتح له النعمان ، فدخل ، وضربوا الباب في وجوه الناس ، فانَفضّوا ، وأصبح فجلس على المنبر فقال: أيُّها الناس ! إني لأعلم أن قد سار معي ، وأظهر الطاعةَ لي من هو عدوّ للحسين حين ظنّ أنّ الحسين قد دخل البلد وغلب عليه ، واللهِ ما عرفتُ منكم أحداً؛ ثم نزل.

وأخبِر أن مسلم بن عَقيل قدم قبله بلِيلة ، وأنه بناحية الكوفة ، فدعى مولىً لبني تميم ، فأعطاه مالاً ، وقال: انتحلْ هذا الأمرَ ، وأعنْهم بالمال ، واقصد لهانىء ومسلم وانزل عليه؛ فجاء هانئاً فأخبره أنه شيعة ، وأنّ معه مالاً ، وقدم

شريك بن الأعور شاكياً ، فقال لهانىء : مُرْ مسلماً يكن عندي ، فإنّ عبيد الله يعودني؛ وقال شريك لمسلم: أرأيتَك إن أمكنتُك من عُبيد الله أضارِبه أنت بالسيف؟ قال: نعم والله. وجاء عبيدُ الله شريكاً يعوده في منزل هانىء ـ وقد قال شريك لمسلم: إذا سمعتني أقول: اسقُوني ماءً فاخرجْ عليه فاضرْبه ـ وجلس عبيد الله على فراش شريك ، وقام على رأسه مِهْران ، فقال: اسقوني ماء ، فخرجتْ جاريةٌ بقدح ، فرأت مسلماً ، فزالت ، فقال شريك: اسقونِي ماءً؛ ثم قال الثالثة: ويلَكم تحموني الماء! اسقُونيه ولو كانت فيه نفسي؛ ففطن مِهران فغمز عبيدَ الله ، فوثب ، فقال شريك: أيّها الأمير ، إنّي أريد أن أوصي إليك؛ قال: أعود إليك ، فجعل مِهران يطَّرد به؛ وقال: أراد والله قتلك؛ قال: وكيف مع إكرامي شريكاً وفي بيت هانىء ويد أبي عنده يده! فرجع فأرسل إلى أسماءَ بن خارجة ومحمَّد بن الأشعث فقال: ائتياني بهانىء ، فقالا له: إنه لا يأتي إلا بالأمان؛ قال: وما لَه وللأمان! وهل أحدثَ حدَثاً! انطلقا فإن لم يأتِ إلا بأمان فآمناه ، فأتياه فدعَواه ، فقال: إنه إن أخذني قتَلَني ، فلم يزالا به حتى جاءا به وعبيد الله يخطب يومَ الجمعة ، فجلس في المسجد ، وقد رجَّل هانىء غدَيرتَيْه ، فلمَّا صلَّى عُبيد الله ، قال: يا هانىء ، فتَبِعه ، ودخل فسلَّم ، فقال عبيد الله: يا هانىء ، أما تعلم أنّ أبي قَدِم هذا البلد فلم يترك أحداً من هذه الشيعة إلا قتله غير أبيك وغير حُجر ، وكان من حُجْر ما قد علمتَ ، ثمّ لم يزل يُحسنُ صُحْبتَك ، ثم كتب إلى أمير الكوفة: إن حاجتي قبلَك هانىء؟ قال: نعم ، قال: فكان جزائي أن خبأتَ في بيتك رجلاً ليقتلني! قال: ما فعلت ، فأخرج التميميَّ الذي كان عيناً عليهم ، فلمَّا رآه هانىء علم أن قد أخبره الخبر ، فقال: أيّها الأمير ، قد كان الذي بلغك ، ولن أضيّع يدك عنِّي ، فأنت آمنٌ وأهلك ، فسرْ حيثُ شئت.

فكَبَا عبيد الله عندها ، ومهْران قائم على رأسه في يده معْكَزة ، فقال: واذلاّه! هذا العبد الحائك يؤمِّنك في سلطانك! فقال: خذه؛ فطرح المعكزة ، وأخذ بضفيرتيْ هانىء ، ثم أقنع بوجهه ، ثم أخذ عبيد الله المعكزة فضرب بها وجهَ هانىء ، وندرَ الزُّجّ ، فارتزّ في الجدار ، ثم ضرب وجهَه حتى كسر أنفه وجبينَه ، وسمع الناسُ الهيْعة ، وبلغ الخبر مَذْحج ، فأقبلوا فأطافوا بالدار ، وأمر عبيد الله بهانىء فألقي في بيت ، وصيَّح المذحِجيّون ، وأمر عبيد الله مِهران أن يُدخل عليه

شُرَيْحاً ، فخرج فأدخله عليه ، ودخلت الشُّرَط معه ، فقال: يا شريح ! قد ترى ما يصنع بي! قال: أراك حيّاً؛ قال: وحيٌّ أنا مع ما ترى! أخبرْ قومي: أنهم إن انصرفوا قتلني؛ فخرج إلى عبيد الله فقال: قد رأيتُه حياً ، ورأيت أثراً سيّئاً؛ قال: وتُنكر أن يعاقب الوالي رعيَّته! اخرج إلى هؤلاء فأخبرهم ، فخرج وأمر عبيد الله الرجلَ فخرج معه ، فقال لهم شريح: ما هذه الرّعة السيّئة! الرجل حيٌّ ، وقد عاتبه سلطانُه بضرب لم يبلغ نفسه ، فانصرفوا ولا تُحِلُّوا بأنفسكم ولا بصاحبكم. فانصرفوا.[1]. (٥: ٣٥٨ ـ ٣٦١).

وذكر هشام عن أبي مخنف ، عن المعلَّى بن كليب ، عن أبي الودّاك ، قال: نزل شريك بن الأعور على هانىء بن عُرْوة المراديّ ، وكان شريك شيعيّاً ، وقد شهد صِفين مع عمَّار.

وسمع مسلم بن عَقيل بمجيء عبيد الله ومقالته التي قالها ، وما أخذ به العُرَفاء والناس، فخرج من دار المختار ـ وقد عُلِم به ـ حتى انتهى إلى دار هانىء بن عُروة المراديّ ، فدخل بابه ، وأرسل إليه أن اخرج ، فخرج إليه هانىء ، فكره هانىء مكانه حين رآه ، فقال له مسلم: أتيتك لتجيرَني وتُضِيفني؛ فقال: رحمك الله! لقد كلفْتَنِي شطَطا، ولولا دخولُك داري وثقتُك لأحببتُ ولسألتُك أن تخرج عني، غير أنه يأخذني من ذلك زِمامٌ ، وليس مردود مثلي على مثلك عن جهَل ادخُل.

فآواه ، وأخذتِ الشيعةُ تختلف إليه في دار هانىء بن عروة ، ودعا ابن زياد مولىً له يقال له: معقل ، فقال له: خذ ثلاثةَ آلاف درهم ، ثم اطلب مسلم بن عَقيل ، واطلب لنا أصحابه ، ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف ، فقل لهم: استعينوا بها على حرب عدوّكم ، وأعلِمهم أنك منهم ، فإنّك لو قد أعطيتَها إياهم اطمأنوا إليك ، ووثقوا بك ، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم؛ ثم اغدُ عليهم ورُحْ ، ففعل ذلك ، فجاء حتى أتى إلى مسلم بن عَوْسجة الأسديّ من بني سعد بن ثعلبة في المسجد الأعظم وهو يصلّي ، وسمع الناسَ يقولون: إنّ هذا يبايع للحسين ، فجاء فجلس حتى فرغ من صلاته ثم قال: يا عبدَ الله ، إني امرؤ من أهل الشأم ، مولى لذي الكَلاع ، أنعَم الله عليّ بحُبّ أهل هذا البيت وحبِّ مَن أحبَّهم ، فهذه

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ثلاثة آلاف دِرهم أردتُ بها لقاءَ رجلٍ منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله ﷺ ، وكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلّني عليه ولا يعرف مكانه ، فإنّي لجالسٌ آنفاً في المسجد إذ سمعتُ نفراً من المسلمين يقولون: هذا رجلٌ له علْم بأهل هذا البيت؛ وإنّي أتيتك لتقبض هذا المال وتدخلَني على صاحبكْ فأبايعه ، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه ، فقال: احمد الله على لقائك إيّاي ، فقد سرّني ذلك لتنال ما تحبّ ، ولينصر الله بك أهلَ بيت نبيِّه ، ولقد ساءَني معرفتك إيّاي بهذا الأمر من قبل أن يَنْمى مَخافة هذا الطاغية وسَطوته.

فأخذ بيعته قبل أن يبرح ، وأخذ عليه المواثيقَ المغلَّظة ليناصحنّ ، وليكتُمنّ ، فأعطاه من ذلك ما رَضِيَ به ، ثم قال له: اختلِف إليّ أيّاماً في منزلي ، فأنا طالبٌ لك الإذنَ على صاحبك. فأخذ يختلف مع الناس ، فطلب له الإذن ، فمرض هانىء بن عروة ، فجاء عبيد الله عائداً له ، فقال له عُمارة بن عُبيد السَّلوليّ: إنّما جماعتنا وكيدُنا قتل هذا الطاغية ، فقد أمكَنَك الله منه فاقتله؛ قال هانىء: ما أحبّ أن يُقتلَ في داري ، فخرج فما مكث إلا جمعةً حتى مرض شريك بن الأعورَ ـ وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء ، وكان شديد التشيُّع ـ فأرسل إليه عُبيد الله: إني رائحٌ إليك العشيّة؛ فقال لمسلم: إن هذا الفاجر عائدي العشيّة ، فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله ، ثم اقعد في القصر ، ليس أحدٌ يحُول بينك وبينه ، فإن برئتُ من وَجَعي هذا أيامي هذه سرْتُ إلى البصرة وكفَيتُك أمرَها.

فلما كان من العشيّ أقبل عُبيد الله لعيادة شريك ، فقام مسلم بن عَقِيل ليَدخل ، وقال له شريك: لا يفوتّنك إذا جلس؛ فقام هانىء بنُ عروة إليه فقال: إني لا أحبّ أن يُقتَل في داري ـ كأنه استَقبح ذلك ـ فجاء عبيد الله بن زياد فدخل فجلس ، فسأل شريكاً عن وجعه ، وقال: ما الذي تجدُ؟ ومتى أشكَيت؟ فلمّا طال سؤاله إياه ، ورأى أن الآخَر لا يَخرج ، خشيَ أن يفوته ، فأخذ يقول:

ما تنتظرون بسَلمَى أن تُحيُّوها

اسقنيها وإن كانت فيها نفسي ، فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً؛ فقال عبيد الله ، ولا يَفطن ما شأنُه: أترونْه يهجُر؟ فقال له هانىء: نعم أصلحك الله! ما زال هذا دَيدنَه قبيل عَماية الصبح حتى ساعته هذه ، ثم إنه قام فانصرف ، فخرج مسلم ،

فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ فقال: خَصْلتان: أما إحداهما فكراهة هانىء أن يُقتَلِ في داره، وأما الأخرى فحديثٌ حدّثه الناسُ عن النبيّ ﷺ: «إنّ الإيمان قيّد الفتْك، ولا يفتك مؤمن»؛ فقال هانىء: أما والله لو قتلتَه لقتلتَ فاسقاً فاجراً كافراً غادراً، ولكن كرهتُ أن يُقتَل في داري، ولبث شريك بن الأعور بعد ذلك ثلاثاً ثم مات، فخرج ابن زياد فصلّى عليه، وبلغ عُبيد الله بَعد ما قَتَل مسلماً وهانئاً: أن ذلك الذي كنتَ سمعت من شريك في مرضه إنما كان يُحرّضُ مسلماً، ويأمره بالخروج إليك ليقتلَك؛ فقال عبيد الله: والله لا أصلّي على جنازة رجل من أهلِ العراق أبداً، ووالله لولا أنّ قبر زياد فيهم لنَبَشْتُ شريكاً.

ثم إن مَعقلاً مولى ابن زياد الذي دسّه بالمال إلى ابن عَقِيل وأصحابه اختلف إلى مسلم بن عَوْسجة أياماً ليدخلـه على ابن عَقِيل، فأقبل بـه حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور، فأخبَره خبره كلَّه، فأخذ ابن عَقِيل بيعته، وأمَرَ أَبَا ثُمامة الصائديّ، فقبض مالَه الَّذي جاء به ـ وهو الذي كان يقبض أموالهم، وما يعين به بعضهم بعضاً، يشتري لهم السلاح، وكان به بصيراً، وكان من فُرسان العرب ووجوهِ الشيعة ـ وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أول داخل وآخر خارج، يَسمَع أخبارهم، ويَعلم أسرارَهم، ثم ينطلِق بها حتّى يُقرّها في أذن ابن زياد. قال: وكان هانىء يغدو ويَروح إلى عُبيد الله، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتَمارَض، فجعل لا يَخرُج، فقال ابن زياد لجلسائه: ما لي لا أرى هانئاً! فقالوا: هو شاكٍ، فقال: لو علمتُ بمرضه لعدْتُه! (٥: ٣٦١ ـ ٣٦٤).

قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد، قال: دعا عبيد الله محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة. (٥: ٣٦٤)[١].

قال أبو مخنف: حدثني الحسن بن عُقبة المراديّ: أنه بعث معهما عمرو بن الحجّاج الزّبيدي[٢]. (٥: ٣٦٤).

قال أبو مخنف: وحدّثني نُمَير بن وعلة، عن أبي الودّاك، قال: كانت رَوْعة

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

أخت عمرو بن الحجاج تحت هانىء بن عروة ، وهي أمّ يحيى بن هانىء ، فقال لهم: ما يمنع هانىء بن عروة من إتياننا؟ قالوا: وما ندري أصلحك الله!

وإنه ليَتشكّى؛ قال: قد بلغني أنه قد برأ ، وهو يجلس على باب دارِه ، فالقَوه ، فمُروه ألاّ يدَعَ ما عليه في ذلك من الحقّ ، فإنّي لا أحبّ أن يَفسُد عندي مِثلُه من أشراف العَرب. فأتَوه حتى وقفوا عليه عشيّةً وهو جالسٌ على بابه ، فقالوا: ما يمنعك من لقاء الأمير؛ فإنه ذكرك ، وقد قال: لو أعلمُ أنه شاكٍ لعُدْته؟ فقال لهم: الشكَوى تَمنعُني ، فقالوا له: يبلُغه أنك تجلس كلّ عشيَّة على باب دارك ، وقد استبطأك والإبطاء والجفاء لا يحتملُه السلطان ، أقسَمْنا عليك لمّا ركبتَ معنا! فدعا بثيابه فلبسها ، ثم دعا ببغلة فركِبها حتى إذا دنا من القصر؛ كأنّ نفسه أحسَّت ببعض الذي كان ، فقال لحسَّان بن أسماء بن خارجة: يا بنَ أخي! إنّي والله لِهذا الرجل لخَائف ، فما ترى؟ قال: أيْ عمّ ، والله ما أتخوّف عليك شيئاً ، ولِمَ تجعل على نفسك سبيلاً وأنت بريءٌ! وزعموا أن أسماءَ لم يَعلَم في أيّ شيء بَعث إليه عُبيد الله؛ فأما محمد فقد عَلِم به؛ فدخل القوم على ابن زياد ، ودخل معهم ، فلما طلع قال عُبيد الله: أتتْك بحائنٍ رِجْلاه! وقد عرَّس عُبيد الله إذ ذاك بأمّ نافع ابنة عُمارة بن عُقبة؛ فلما دنا من ابن زياد وعنده شُريح القاضي التَفت نحوَه ، فقال:

أريدُ حِباءَهُ ويريدُ قَتْلي عذِيرَكَ من خليلك من مُرادِ

وقد كان له أوّل ما قدم مُكْرِماً مُلْطِفاً ، فقال له هانىء: وما ذاك أيها الأمير؟ قال: إيهٍ يا هانىء بن عروة! ما هذه الأمور التي تَرَبَّصُ في دُورك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين! جئتَ بمسلم بن عَقِيل فأدخلتَه دارك ، وجمعتَ له السلاح والرجال في الدّور حولك ، وظننتَ أنّ ذلك يخفَى عليّ لك!

قال: ما فعلت ، وما مسلم عندي ، قال: بلى قد فعلت؛ قال: ما فعلت؛ قال: بلى ، فلما كثُر ذلك بينهما ، وأبى هانىءٌ إلا مجاحدَتَه ومناكَرته ، دعا ابنُ زياد معقلاً ذلك العين ، فجاء حتى وقف بين يديه فقال: أتعرِف هذا؟ قال: نعم ، وعَلِم هانىءٌ عند ذلك أنه كان عيناً عليهم ، وأنه قد أتاه بأخبارهم ، فسُقط في خَلَده ساعةً ، ثم إنّ نفسَه راجعتْه ، فقال له: اسمع مني ، وصدّق مقالتي ، فوالله لا أكذِبك ، والله الذي لا إله غيرُه ما دعوتُه إلى منزلي ، ولا علمتُ بشيء

من أمره ، حتى رأيته جالساً على بابي ، فسألني النزولَ عليّ ، فاستحييتُ من ردّه ، ودَخلَني من ذلك ذِمام ، فأدخلتُه داري وضفْتُه وآويته ، وقد كان من أمره الذي بلغك ، فإن شئتَ أعطيتُ الآن موثقاً مغلَّظاً وما تطمئنّ إليه ألاّ أبغيك سوءاً ، وإن شئت أعطيتُك رهينةً تكون في يدك حتى آتيَك ، وأنطلق إليه فآمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض ، فأخرج من ذمامه وجواره؛ فقال: لا والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيَني به؛ فقال: لا ، والله لا أجيئك أبداً ، أنا أجيئك بضيفي تَقتلُه! قال: والله لتأتينّي به ، قال: والله لا آتيك به.

فلما كثُر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهليّ - وليس بالكوفة شأميّ ولا بَصْريّ غيره - فقال: أصلح الله الأمير! خلّني وإياه حتى أكلّمه - لمّا رأى لجَاجته وتأبِّيَه على ابن زياد أن يدفع إليه مسلماً - فقال لهانىء: قم إليّ هاهنا حتى أكلمك؛ فقام فخلا به ناحيةً من ابن زياد ، وهما منه على ذلك قريب حيث يراهما؛ إذا رَفَعا أصواتهما سمع ما يقولان ، وإذا خَفَضا خفيَ عليه ما يقولان؛ فقال له مسلم: يا هانىء ، إني أنشدُك الله أن تقتلَ نفسَك ، وتُدخل البلاءَ على قومك وعشيرتك! فوالله إني لأنفس بك عن القتل ، وهو يرى أنّ عشيرته ستحرّك في شأنه أنّ هذا الرجل ابن عمّ القوم ، وليسوا قاتليه ولا ضائريه ، فادفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك مَخزاة ولا مَنقصة ، إنما تدفعه إلى السلطان ، قال: بلى ، والله إنّ عليّ في ذلك للخِزْيُ والعارُ ، أنا أدفع جاري وضيفي وأنا حيٌّ صحيح أسمَعُ وأرى ، شديد الساعد ، كثير الأعوان! والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصرٌ لم أدفعْه حتى أموت دونَه ، فأخذ يناشده وهو يقول: والله لا أدفَعه إليه أبداً ، فسمع ابن زياد ذلك ، فقال: أدنُوه منّي ، فأدنَوْه منه ، فقال: والله لتأتينِّي به أو لأضربنّ عنقك؛ قال: إذاً تكثر البارقة حولَ دارك ، فقال: والهفا عليك! أبالبارقة تخوّفني! وهو يظنُ أنّ عشيرته سيمنعونه ، فقال ابن زياد: أدنُوه مني ، فأدنِيَ ، فاستَعرض وجهَه بالقضيب ، فلم يزل يضرب أنفه وجبينَه وخدَّه حتى كسر أنفه ، وسيّل الدماءَ على ثيابه ، ونثر لحمَ خدّيه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب ، وضرب هانىء بيده إلى قائم سيف شُرطيّ من تلك الرّجال ، وجابَذه الرجلُ ومنِع فقال عبيد الله: أحَروريّ سائر اليوم! أحللتَ بنفسك ، قد حلّ لنا قتلُك ، خذوه فألقوهُ في بيت من بيوت الدار ، وأغلقوا عليه بابه ، واجعلوا عليه حَرساً ، ففعِلَ

ذلك به ، فقام إليه أسماء بن خارجة فقال: أرُسُل غَدْر سائر اليوم! أمرْتَنا أن نجيئك بالرّجل حتى إذا جئناك به ، وأدخلناه عليك هشمْتَ وجهَه ، وسيّلت دمَه على لحيته ، وزعمَت أنك تقتله! فقال له عبيد الله! وإنك لهاهنا! فأمر به فَلُهِزَ وتُعْتِعَ به ، ثم تُرِكَ فحبِس.

وأما محمد بن الأشعث فقال: قد رضينا بما رأى الأمير؛ لنا كان أم علينا ، إنما الأمير مؤدّب ، وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانئاً قد قُتل ، فأقبَل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمعٌ عظيم ، ثمّ نادى: أنا عمرو بن الحجّاج ، هذه فُرْسان مَذحِج ووُجوهُها ، لم تخلع طاعةً ، ولم تفارق جماعة ، وقد بلغهم أنّ صاحبهم يُقتل ، فأعظَموا ذلك؛ فقيل لعبيد الله: هذه مذحِج بالباب. فقال لشُريح القاضي: ادخُل على صاحبهم فانظر إليه ، ثم اخرج فاعلمْهم أنه حيّ لم يُقتل ، وأنك قد رأيتَه ، فدخل إليه شريح فنَظَر إليه[1]. (٥: ٣٦٤ ـ ٣٦٧).

فقال أبو مخنف: فحدّثني الصّقْعب بن زهير ، عن عبد الرحمن بن شرَيح ، قال: سمعته يحدّث إسماعيل بن طلحة ، قال: دخلت على هانىء ، فلما رآني قال: يا الله ! يا للمُسلمين! أهَلكتْ عشيرتي؟ فأين أهل الدين ؟! وأين أهل المِصْر ؟! تفاقدوا! يُخلُّوني وعدوّهم وابنَ عدوّهم! والدماء تسيل على لحيته ، إذ سمع الرّجة على باب القصر ، وخرجت واتّبعني ، فقال: يا شريح ! إني لأظنُّها أصواتُ مذحِج وشيعتي من المسلمين ، إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني؛ قال: فخرجتُ إليهم ومعي حُميد بن بكير الأحمريّ ـ أرسله معي ابن زياد ، وكان من شُرَطه ممّن يقوم على رأسه ـ وايمُ الله لولا مكانُه معي لكنتُ أبلغتُ أصحابَه ما أمَرَني به؛ فلما خرجتُ إليهم قلت: إنّ الأمير لما بلغه مكانُكم ومقالتُكم في صاحبكم أمرَني بالدخول إليه ، فأتيتُه فنظرتُ إليه ، فأمرني أن ألقاكم ، وأن أعلِمكم أنه حيّ ، وأن الذي بلغكم من قتله كان باطلاً. فقال عمرو وأصحابه: فأمّا إذْ لم يُقتَل فالحمدُ لله؛ ثم انصرفوا[2]. (٥: ٣٦٧ ـ ٣٦٨).

قال أبو مخنف: حدّثني الحجاج بن عليّ ، عن محمد بن بشر الهمْدانيّ ،

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

قال: لما ضرب عُبيد الله هانئاً وحَبَسه خشيَ أن يَثبَ الناسُ به، فخرج فصَعِد المنبَر ومعه أشراف الناس وشُرَطُه وحشمه، فحَمِد الله وأثنَى عليه، ثم قال: أمّا بعد، أيها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا؛ فتَهلكوا وتَذِلّوا وتقتلوا وتُجْفوا وتحرموا، إنّ أخاك من صدَقك، وقد أعْذَر مَنْ أنذر.

قال: ثم ذهب لينزل، فما نزل عن المنبَر حتى دخلت النّظارة المسجد من قبل التَّمّارين يشتدّون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عُبيد الله القصرَ مسرعاً، وأغلق أبوابه[1]. (٥: ٣٦٨).

قال أبو مخنف: حدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن خازم، قال: أنا والله رسول ابن عَقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمرُ هانىء، قال: فلما ضُرب وحُبس ركبتُ فرسي، وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عَقيل بالخبر، وإذا نسوةٌ لمراد مجتمعات ينادين: يا عَثْرتاه! يا ثُكلاه! فدخلت على مسلم بن عَقِيل بالخبر، فأمرني أن أناديَ في أصحابه وقد ملأ منهم الدُّور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: نادِ: يا منصور أمتْ؛ فناديتُ: يا منصورُ أمتْ؛ وتنادَى أهلُ الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزير الكنديّ على رُبْع كندة وربيعة، قال: سِرْ أمامي في الخيل، ثم عقد لمسلم بن عَوْسجة الأسديّ على رُبْع مَذْحج، وأسَد، وقال: انزِل في الرّجال فأنت عليهم؛ وعقد لأبي ثُمامة الصائديَ على رُبع تميم وهَمْدان، وعقد لعباسِ بن جَعْدة الجدليّ على رُبْع المدينة، ثم أقبل نحو القصر، فلما بلغ ابنَ زياد إقبالُه تحرّز في القصر، وغَلّقَ الأبواب[2]. (٥: ٣٦٨ ـ ٣٦٩)

قال أبو مخنف: وحدّثني يونس بن أبي إسحاق، عن عبّاس الجَدليّ قال: خرجنا مع ابن عَقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصرَ إلا ونحن ثلاثمئة.

قال: وأقبل مسلم يسيرُ في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر، ثم إنّ الناس تداعَوْا إلينا واجتَمعوا، فوالله ما لبثْنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

والسوق ، وما زالوا يَثوّبون حتى المساء ، فضاق بعبيد الله ذَرْعه ، وكان كُبْر أمرِه أن يتمسَّك بباب القصر ، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشُّرَط وعشرون رجلاًمن أشراف الناس وأهل بيته ومواليه ، وأقبل أشراف الناس يأتون ابنَ زياد من قِبَل الباب الذي يلي دارَ الروميِّين ، وجعل مَن بالقصر مع ابن زياد يُشرِفون عليهم ، فينظرون إليهم فيتَّقون أن يرمُوهم بالحجارة ، وأن يشتموهم وهم لا يَفترون على عبيد الله وعلى أبيه ، ودعا عبيدُ الله كثيرَ بن شهاب بن الحصين الحارثيّ فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحِج ، فيسير بالكوفة ؛ ويخذّل الناس عن ابن عَقِيل ويخوّفهم الحرب ، ويحذّرهم عقوبةَ السلطان ، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كِنْدة وحَضْرَموْت . فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وقال مثلَ ذلك للقعقاع بن شَوْر الذهليّ وشَبَث بن رِبْعي التميميّ وحَجّار بن أبجر العجْليّ وشَمر بن ذي الجَوْشن العامريّ ، وحبس سائرَ وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد مَن معه من الناس ، وخرج كَثير بن شهاب يُخذِّل الناس عن ابن عَقيل[1] . (٥ : ٣٦٩) .

قال أبو مخنف : فحدّثني أبو جناب الكلبيّ : أن كثيراً ألفَى رجلاً من كلب يقال له عبد الأعلى بن يزيد ، قد لبس سلاحه يريد ابنَ عقيل في بني فِتْيان ، فأخَذَه حتى أدخله على ابن زياد ، فأخبره خبرَه ، فقال لابن زياد : إنما أردتك؛ قال : وكنتَ وعدتَني ذلك من نفسك؛ فأمر به فحبِس ، وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دُورِ بني عمارة ، وجاءه عمارة بن صَلْخَب الأزديّ وهو يريد ابن عَقيل ، عليه سلاحه ، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه ، فبعث ابن عقيل إلى محمد ابن الأشعث من المسجد عبد الرحمن بن شُريح الشبّاميّ ، فلما رأىٰ محمد بن الأشعث كثرةَ من أتاهُ ، أخذ يتنحى ويتأخر ، وأرسل القعقاع بن شور الذّهليّ إلى محمد بن الأشعث : قد جُلْتُ على ابن عقيل من العرارِ ، فتأخّرْ عن موقفهِ ، فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبَل دار الروميين ، فلما اجتمعَ عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم ، قال له كثير ـ وكانوا مناصحين لابن زياد ـ : أصلَحَ اللهُ الأمير! معكَ في القصرِ ناسٌ كثير من أشراف الناس ومن شُرَطك وأهل بيتك ومَواليكَ ، فاخرج بنا إليهم ، فأبىٰ عُبيد الله ،

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

وعقد لشبَث بن رِبْعيّ لواءً ، فأخرجه ، وأقامَ الناسُ مع ابن عقيل يكبّرون ويثوّبون حتى المساء ، وأمرُهم شديد ، فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه ، ثم قال: أشرِفوا على الناسِ فمنُّوا أهل الطاعة الزّيادةَ والكرامة ، وخوّفوا أهلَ المعصية الحرمانَ والعقوبةَ ، وأعلموهم فُصولَ(١) الجنود من الشأم إليهم.

قال أبو مخنف: حدّثني سُليمان بن أبي راشد ، عن عبد الله بن خازم الكثيريّ من الأزْد ، من بني كثير ، قال: أشرف علينا الأشرافُ ، فتكلم كثير ابن شهاب أوّل الناس حتى كادت الشمس أن تَجِب ، فقال: أيّها الناس ، الحقوا بأهاليكم ، ولا تعجّلوا الشرّ ، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل ، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين يزيدُ قد أقبلتْ ، وقد أعطىٰ الله الأميرُ عهداً: لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيَّتكم أن يحرم ذرّيتكم العطاء ، ويفرّقَ مُقاتِليكم في مَغازِي أهلِ الشام على غير طمع ، وأن يأخذ البريء بالسقيم ، والشاهد بالغائب ، حتى لا يبقىٰ لهُ فيكم بقيَّة من أهل المعصية إلا أذاقها وبالَ ما جرَّت أيديها ، وتكلَّمَ الأشراف بنحو من كلامِ هذا؛ فلما سمعَ مقالتَهم الناسُ أخذوا يتفرّقون وأخذوا ينصرفون.

قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد؛ أن المرأة كانت تأتي ابنَها أو أخاها فتقول: انِصرِفْ؛ الناسُ يكفونك ، ويجيء الرّجلُ إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيكَ أهلُ الشام ، فما تصنع بالحرب والشرّ! انصرف. فيذهب به؛ فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتى أمسىٰ ابن عقيل وما معهُ ثلاثون نفساً في المسجد، حتى صُلِّيَتِ المغرب ، فما صلّىٰ مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً. فلما رأىٰ أنه قد أمسىٰ وليسَ معهُ إلا أولئكَ النَّفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كنْدة ، وبلغ الأبواب ومعهُ منهم عشرة ، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسانٌ ، والتفتَ فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق ، ولا يدُلّه على منزل ولا يواسيهِ بنفسهِ إنْ عرض له عدوٌّ ، فمضىٰ على وجههِ يتلدّد في أزقَّةِ الكُوفة لا يَدْري أينَ يَذهب! حتى خرج إلى دُورِ بني جَبَلة من كندة ، فمشىٰ حتى انتهىٰ إلى باب امرأة يقالُ لها: طَوْعة أمّ ولد ـ كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها فتزوّجها أسيد الحضرميّ فولدتْ له بلالاً ، وكان بلالٌ قد خرج من الناس وأمه قائمة تنتظره ـ فسلَّم عليها ابن عَقيل ، فردّت عليه ، فقال لها: يا أمة الله ، اسقيني ماءً ، فدخلت فسقته ، فجلس وأدخلت

الإناء ، ثم خرجت فقالت: يا عبد الله ألم تشرب! قال: بلَى ، قالت: اذهب إلى أهلك؛ فسكت؛ ثم عادت فقالت مثلَ ذلك ، فسكت؛ ثم قالت له: فيّ الله ، سبحان الله يا عبد الله! فمرّ إلى أهلك عافاك الله؛ فإنه لا يَصلح لك الجلوس على بابي ، ولا أحلّه لك؛ فقام فقال: يا أمَة الله ، مالي في هذا المصر منزلٌ ولا عشيرة؛ فهل لك إلى أجر ومعروف ، ولعلّي مكافئك به بعد اليوم! فقالت: يا عبد الله ، وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عَقيل ، كَذَبني هؤلاء القوم وغَرّوني؛ قالت: أنت مسلم! قال: نعم ، قالت: ادخُل ، فأدخلتْه بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه ، وفرشتْ له ، وعرضتْ عليه العَشاء فلم يتعشَّ ، ولم يكن بأسرعَ من أن جاء ابنها فرآها تُكثر الدخولَ في البيت والخروجَ منه ، فقال: والله إنه ليَريبني كثرةُ دخولِك هذا البيتَ منذ الليلة وخروجك منه! إن لك لشأناً؛ قالت: يا بنيّ ، الْهُ عن هذا ، قال لها: والله لتخبرنّي: قالت: أقبلْ على شأنك ولا تسألني عن شيء ، فألحّ عليها ، فقالت: يا بنيّ ، لا تحدّثنّ أحداً من الناس بما أخبرك به؛ وأخذتْ عليه الأيمان ، فحلف لها ، فأخبرتْه ، فاضطجع وسكت ـ وزعَموا أنه قد كان شريداً من الناس ، وقال بعضهم: كان يشرب مع أصحاب له ـ ولما طال على ابن زياد ، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عَقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هَلْ تَرَوْن منهم أحداً! فأشرَفوا فلم يَرْوا أحداً؛ قال: فانظروا لعلّهم تحت الظلال قد كَمَنوا لكم؛ ففرَعوا بحابحَ المسجد ، وجعلوا يخفضون شُعَلَ النار في أيديهم ، ثم ينظرون: هل في الظلال أحدٌ؟ وكانت أحياناً تُضيء لهم ، وأحياناً لا تُضيء لهم كما يريدون ، فدلّوا القناديل وأنصاف الطِّنان تشَدّ بالحبال ، ثم تُجعل فيهم النيران ، ثم تُدَلَّى ، حتى تنتهي إلى الأرض ، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظُّلّة التي فيها المنبر ، فلما لم يروْا شيئاً أعلموا ابنَ زياد ، ففتح باب السُّدّة التي في المسجد ، ثم خرج فصعد المنبرَ ، وخرج أصحابهُ معه ، فأمرهم فجلسوا حوله قبيْل العَتَمة ، وأمر عمرو بن نافع فنادى: ألا بَرِئت الذّمة من رجل من الشّرْطة والعُرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلَّى العَتَمة إلا في المسجد؛ فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس ، ثم أمر مناديَه فأقام الصلاةَ ، فقال الحُصَين بن تميم: إن شئتَ صليتَ بالناس ، أو يصلِّي بهم غيرُك ، ودخلتَ أنت فصلَّيتَ في القصر ، فإني لا آمن أن يغتالَك بعضُ أعدائك! فقال: مُرْ حَرَسي

فلْيقوموا ورائي كما كانوا يقفون ، ودُرْ فيهم فإني لست بداخل إذاً. فصلّى بالناس ، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ، فإنّ ابن عَقِيل السفيه الجاهل ، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق ، فبرئت ذمّة الله من رجل وجدْناه في داره ، ومن جاء به فله دِيتُهُ ، اتقوا الله عباد الله ، والزَموا طاعتكم وبَيعَتكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً. يا حُصين بن تميم ، ثكلتْك أمّك إنْ صاح بابُ سكّةٍ من سكك الكُوفة ، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به ، وقد سلَّطتُك على دُور أهل الكوفة ، فابعث مُراصِدةً على أفواه السكَك ، وأصْبِح غداً واستَبْرِ الدُّور وجُسْ خلالَها حتى تأتيَني بهذا الرجل ـ وكان الحصين على شُرَطه ، وهو من بني تميم ـ ثم نزل ابن زياد فدخل وقد عقد لعَمرو بن حُرَيْث رايةً وأمَّره على الناس ، فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه ، وأقبل محمد بن الأشعث فقال: مَرْحباً بمن لا يُسْتَغَشّ ولا يُتَّهَم! ثم أقعده إلى جنبه ، وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أَسِيد الذي آوت أمه ابنَ عقيل ، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبَرَه بمكان ابن عَقِيل عند أمه؛ قال: فأقبل عبد الرحمن حتى أتي أباه وهو عند ابن زياد ، فسارّه ، فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ قال: أخبرني أنّ ابن عَقِيل في دار من دورنا ، فنَخَسَ بالقضيب في جَنْبه ثم قال: قم فائتني به الساعة[1]. (٥ : ٣٧١ ـ ٣٧٣).

قال أبو مخنف: فحدّثني قُدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفيّ: أنّ ابن الأشعث حين قام ليأتيه بابن عَقيل بعث إلى عمرو بن حُرَيْث وهو في المسجد خليفته على الناس؛ أن ابعَثْ مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قَيْس ـ وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أنّ كلّ قوم يكرَهون أن يُصادَف فيهم مثل ابن عَقيل ـ فبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عبَّاس السُلَميّ في ستين أو سبعين من قَيْس ، حتى أتوا الدارَ التي فيها ابن عَقِيل ، فلما سمع وقعَ حَوافر الخيل وأصواتَ الرجال عَرَف أنه قد أُتِيَ ، فخرج إليهم بسيفه ، واقتحموا عليه الدار ، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ، ثم عادوا إليه ، فشدّ عليهم كذلك ، فاختلف هو وبُكَيْر بن حُمْران الأحْمَريّ ضربتين ، فضرب بُكَيْر فمَ مسلم فقطع شفَتَه العُلْيا ، وأشْرَعَ السيف في السّفْلى ، ونصلتْ له ثنيّتاه ، فضربه مسلم

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ضربةً في رأسه مُنكرةً ، وثَنى بأخرى على حبل العاتق كادت تَطلُع على جَوْفه ، فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت ، فأخذوا يرمُونه بالحجارة ، ويُلْهبون النارَ في أطنان القصب ، ثمّ يَقْلبونها عليه من فوق البيت ، فلما رأى ذلك خرج عليهم مصْلتاً بسيفه في السكة فقاتلهم ، فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال: يا فتى ، لك الأمان ، لا تَقْتُلْ نفسَك؛ فأقبَل يقاتلُهم ، وهو يقول:

أَقْسَمْـــتُ لا أُقْتَـــلُ إلاَّ حُـــرَّا ... وإن رأَيـــتُ المَـــوت شيئـــاً نُكْـــرَا

كُـــلُّ امـــرئٍ يـــومـــاً مُـــلاقٍ شَـــرَّا ... ويُخلـــط البـــارد سُخْنـــاً مُـــرَّا

رُد شُعـــاع الشمـــس فـــاستقـــرا ... أَخـــافُ أَن أُكْـــذَبَ أو أُغَـــرا

فقال له محمد بن الأشعث: إنك لا تُكْذَب ولا تُخْدَع ولا تُغرّ ، إنّ القوم بنوعمِّك ، وليسوا بقاتليك ولا ضارِبيك ، وقد أُثْخِن بالحجارة، وعجز عن القتال وانْبَهَر ، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار؛ فدنا محمد بن الأشعث ، فقال: لك الأمان ، فقال: آمِنٌ أنا؟ قال: نعم؛ وقال القوم: أنت آمنٌ؛ غير عمرو بن عبيد الله بن العباس السلَميّ فإنه قال: لا ناقةَ لي في هذا ولا جَمَل ، وتنحَّى.

وقال ابن عَقِيل: أما لو لم تؤمّنوني ما وضعتُ يدي في أيديكم ، وأُتِيَ ببغلة فحُمِل عليها ، واجتمعوا حولَه ، وانتزعوا سيفه من عنقه ، فكأنه عند ذلك آيسٌ من نفسه ، فدمَعَت عيناه ، ثم قال: هذا أوّل الغدر؛ قال محمد بن الأشعث: أرجو ألاّ يكون عليك بأس؛ قال: ما هو إلا الرّجاء؛ أين أمانُكم! إنا لله وإنا إليه راجعون! وبكى؛ فقال له عمرو بن عُبيد الله بن عباس: إنْ من يطلب مثلَ الذي تطلب إذا نزل به مثْلُ الذي نزلِ بك لم يبكِ ، قال: إنّي والله ما لنفسي أبكي ، ولا لها من القتل أرْثي ، وإن كنت لم أحبّ لها طُرْفة عين تلفاً ، ولكن أبكي لأهل المُقْبلين إليّ ، أبكي لحسين وآلِ حسين! ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: يا عبدَ الله ! إني أراك والله ستعجز عن أماني ، فهل عندك خير ؟! تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً ، فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً ، أو هو خرج غداً هو وأهلُ بيته ، وإنّ ما ترى من جزعي لذلك ، فتقول: إنّ ابن عَقِيل بعثني إليك ، وهو في أيدي القوم أسير لا يَرَى أن تمشيَ حتى تُقتل ، وهو يقول: ارجعْ بأهل بيتك ، ولا يغرّك أهلُ الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقَهم بالموت أو القتل؛ إنّ أهلَ الكوفة قد كذّبوك وكذّبوني ، وليس

لمكذّب رأي؛ فقال ابن الأشعث: والله لأفعلنّ؛ ولأعلمنّ ابنَ زياد أني قد أمَّنتُك[١]. (٥: ٣٧٣ ـ ٣٧٥).

قال أبو مخنف: فحدّثني جعفر بن حذيفة الطائيّ ـ وقد عرف سعيد بن شيبان الحديث ـ قال: دعا محمد بن الأشعث إياس بن العثل الطائيّ من بني مالك بن عَمرو بن ثمامة، وكان شاعراً، وكان لمحمد زَوّاراً، فقال له: اِلْقَ حسيناً فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره ابن عَقِيل، وقال له: هذا زادُك وجَهازُكَ، ومُتْعة لعيالك؛ فقال: من أين لي براحلة، فإنّ راحلتي قد أنضيْتُها؟ قال: هذه راحلة فاركْبها برَحلها، ثم خرج فاستقبله بزُبالةَ لأربع ليال، فأخبره الخبر، وبلّغه الرسالة، فقال له حسين: كلُّ ما حُمَّ نازل، وعند الله نحتسب أنفسَنا، وفساد أمَّتنا.

وقد كان مسلم بن عَقِيل حيث تحوَّل إلى دار هانىء بن عروة وبايَعه ثمانية عشر ألفاً، قدّم كتاباً إلى حسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكريّ: أما بعد، فإن الرائد لا يَكْذِب أهلَه، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّلِ الإقبالَ حين يأتيك كتابي، فإنّ الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوَىً؛ والسلام.

وأقبل محمد بن الأشعث بابن عَقِيل إلى باب القصر، فاستاذن فأذِن له، فأخبر عبيد الله خبرَ ابن عَقِيل وضرب بُكيْر إياه، فقال: بُعْداً له! فأخبره محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إيَّاه، فقال عبيد الله: ما أنت والأمان! كأنا أرسلْناك تؤمِّنُه! إنما أرسلناك لتأتيَنا به؛ فسكت. وانتهى ابن عَقيل إلى باب القصر وهو عطشان، وعلى باب القصر ناسٌ جلوس ينتظرون الإذنَ، منهم عمارة بن عُقبة بن أبي مُعَيْط، وعمرو بن حُريث، ومسلم بن عمرو، وكثير بن شهاب. (٥: ٣٧٥)[٢].

قال أبو مخنف: فحدّثني قُدامة بن سعد: أنّ مسلم بن عَقيل حين انتهى إلى باب القصر فإذا قُلَّة باردة موضوعة على الباب، فقال ابن عَقِيل: اسقُوني من هذا

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

الماء ، فقال له مسلم بن عَمرو: أتراها ما أبرَدها! لا والله لا تذوق منها قطرةً أبداً حتى تذوقَ الحميم في نار جهنَّم! قال له ابن عَقيل: وَيْحك! مَنْ أنت؟ قال: أنا ابن مَن عرفَ الحقّ إذ أنكرتَه ، ونصحَ لإمامه إذْ غششتَه ، وسمع وأطاع إذ عصيتَه وخالفتَ ، أنا مسلم بن عمرو الباهليّ؛ فقال ابن عَقِيل: لأمّك الثكْلُ! ما أجفاك ، وما أفظَّك؛ وأقسَى قلبَك وأغلَظك! أنت يا بن باهلة أوْلى بالحميم والخلود في نار جهنم مني؛ ثم جلس متسانداً إلى حائط. (٥: ٣٧٥ ـ ٣٧٦)[١].

قال أبو مخنف: فحدّثني قُدامة بن سعد: أنّ عمرو بن حُريث بعث غلاماً يُدعَى سليمان. فجاءَه بماء في قُلَّة فسقاه[٢]. (٥: ٣٧٦).

قال أبو مخنف: وحدّثني سعيد بن مدرك بن عُمارة: أن عُمارة بن عُقبة بعث غلاماً له يُدعى قيْساً ، فجاءه بقُلَّة عليها منديل ومعه قَدَح فصبّ فيه ماءً ، ثم سقاه ، فأخذ كلَّما شرب امتلأ القدح دماً ، فلما ملأ القدحَ المرّة الثالثة ذهب ليشرب فسقطتْ ثنيَّتاه فيه ، فقال: الحمد لله! لو كان لي من الرزق المقسوم شربتُه. وأدخِل مسلمٌ على ابن زياد فلم يسلِّم عليه بالإمْرة ، فقال له الحَرَسيّ: ألا تسلّم على الأمير! فقال له: إن كان يريد قتلي فما سَلامي عليه! وإن كان لا يريد قتلي فلَعَمري ليَكثُرنّ سلامي عليه؛ فقال له ابن زياد: لعَمري لتُقْتلنّ؛ قال: كذلك؟ قال: نعم؛ قال: فدَعني أوصِ إلى بعض قومي ، فنظر إلى جلساءِ عبيد الله وفيهم عمر بن سعد ، فقال: يا عمر ، إنّ بيني وبينك قرابةً ، ولي إليك حاجة ، وقد يجب لي عليك نُجْحُ حاجتي ، وهو سرّ ، فأبى أن يمكِّنه من ذكرها ، فقال له عبيد الله: لا تمتنع أنْ تنظر في حاجة ابن عمّك ، فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد ، فقال له: إنّ عليّ بالكوفة دَيْناً استدنتُه منذ قدمتُ الكوفةَ ، سبعمئة درهم ، فاقضها عني ، وانظر جُثّتي فاستوهبْها من ابن زياد ، فوارِها ، وابعثْ إلى حسين مَنْ يردّه ، فإني قد كتبتُ إليه أعلمه: أن الناس معه ، ولا أراه إلا مقبلاً. فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي؟ إنه ذَكر كذا وكذا؛ قال له ابن زياد: إنه لا يخونُك الأمينُ ، ولكن قد يُؤتَمن الخائن ، أمَّا مالُكَ فهو لك ، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببتَ؛ وأما حسين؛ فإنه إن لم يُرِدْنا لم

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

نُرِدْه ، وإن أرادنا؛ لم نكفَّ عنه ، وأما جُثَّته فإنا لن نشفّعك فيها ، إنه ليس بأهل منَّا لذلك ، قد جاهَدنَا وخالفَنا ، وجهَد على هلاكنا. وزعموا أنه قال: أما جُثَّته فإنّا لا نبالي إذ قتلناه ما صُنع بها. ثم إنّ ابن زياد قال: إيه يا بنَ عَقيل! أتيتَ الناس وأمرُهم جميع ، وكَلِمتُهم واحدة ، لتُشتِّتَهم ، وتُفرّق كلمتَهم ، وتَحمل بعضَهم على بعض! قال: كلاَّ ، لستُ أتيتُ ، ولكنّ أهل المِصْر زعموا: أنّ أباك قَتَل خيارَهم ، وسفك دماءَهم ، وعمل فيهم أعمالَ كسرَى وقيصَر ، فأتيناهم لنأمُر بالعدل وندعوَ إلى حكم الكتاب ، قال: وما أنت وذاك يا فاسقُ! أوَلم نكن نعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر! قال: أنا أشرب الخمر! واللهِ إنّ الله ليعلم أنك غيرُ صادق ، وأنك قلتَ بغير علم ، وأني لستُ كما ذكرتَ ، وإنّ أحقّ بشرب الخمر مني وأوْلى بها من يَلَغُ في دماء المسلمين ولْغاً فيقتل النفس التي حرّم الله قتلَها ، ويَقتُل النفسَ بغير النفس ، ويسفك الدَم الحرام ، ويَقتل على الغضَب والعداوة وسوء الظنّ ، وهو يلهو ويلعب كأنْ لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق ! إنّ نفسك تمنِّيك ما حالَ اللهُ دونه ، ولم يرَك أهلَه؛ قال: فمن أهلُه يا بن زياد! قال: أمير المؤمنين يزيد. فقال: الحمد لله على كلّ حال ، رضِينا بالله حَكَماً بيننا وبينكم؛ قال: كأنك تظنّ أنّ لكم في الأمر شيئاً! قال: والله ما هو بالظنّ ، ولكنه اليقين؛ قال: قتلني اللهُ إن لم أقتُلك قِتلةً لم يُقْتَلها أحدٌ في الإسلام! قال: أما إنك أحقّ مَنْ أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه ، أما إنك لا تَدَعُ سوءَ القِتْلة ، وقبح المُثْلة ، وخُبثَ السيرة ، ولؤم الغلبة ، ولا أَحَدَ من الناس أحقّ بها منك ، وأقبل ابن سُمية يَشتمه ، ويَشتم حسيناً ، وعليّاً ، وعَقيلاً ، وأخذ مسلم لا يكلّمه ، وزعم أهلُ العلم أنّ عبيد الله أمر له بماء فسُقيَ بخَزفةٍ ، ثم قال له: إنه لم يمنعنا أن نسقيَك فيها إلا كراهة أن تحرم بالشرب فيها. ثم نقتلك ولذلك سقيناك في هذا ، ثم قال: اصْعَدوا به فوق القصر فاضربوا عنقَه ، ثم أتبعوا جسدَه رأسَه ، فقال: يا بن الأشعث ، أما والله لولا أنك آمنتَني ما استسلمت؛ قمْ بسيفك دوني فقد أخفِرَتْ ذمّتُك ، ثم قال: يا بن زياد ! أما والله لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتَني؛ ثم قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابنُ عقيل رأسَه بالسيف وعاتقَه؟ فدُعيَ ، فقال: اصْعَدْ فكن أنت الذي تضرب عنقَه ، فصُعِد به وهو يكبّر ويستغفر ويصلّي على ملائكة الله ورسله وهو يقول:

اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكَذَبونا وأذلّونا ، وأشرف به على موضع الجزّارين اليوم ، فضُربت عُنقهُ ، وأتبع جسده رأسه. (٥ : ٣٧٦ ـ ٣٧٨)[1].

قال أبو مخنف : حدّثني الصقعب بن زهير ، عن عون بن أبي جُحَيْفة قال : نزل الأحمريّ بُكَيْر بن حُمران الذي قتل مسلماً ، فقال له ابن زياد : قتلتَه؟ قال : نعم ، قال : فما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال : كان يكبِّر ويسبّح ويستغفر ، فلمّا أدنيتُه لأقتُله قال : اللهمّ احكم بيننا وبين قوم كذَبونا وغَرّونا وخَذلونا وقتلونا؛ فقلت له : ادنُ منّي ، الحمد لله الذي أقادني منك ! فضربته ضربة لم تغن شيئاً؛ فقال : أما ترى في خدش تَخدِشُنيه وفاءً من دمك أيها العبد! فقال ابن زياد : أوَ فخراً عند الموت! قال : ثمّ ضربتُه الثانية فقتلتُه.

قال : وقام محمَّد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد فكلّمه في هانىء بن عُروة ، وقال : إنك قد عرفتَ منزلةَ هانىء بن عروة في المصْر ، وبيْتَه في العشيرة ، وقد علم قومُه أني وصاحبي سُقناه إليك ، فأنشدك اللهَ لمّا وهبتَه لي ، فإنّي أكره عداوةَ قومه ، هم أعزّ أهل المِصْر ، وعُدَدُ أهل اليَمَن!.

قال : فوعده أن يفعل ، فلما كان من أمر مسلم بن عَقيل ما كان ، بدا له فيه ، وأبَى أن يفيَ له بما قال.

قال : فأمر بهانىء بن عروة حين قُتِل مسلم بن عَقيل فقال : أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقَه ، قال : فأخرِج بهانىء حتى انتهى إلى مكان من السوق كان يُباع فيه الغَنَم وهو مكتوف ، فجعل يقول : وامَذْحِجاه! ولا مَذحجَ لي اليوم! وامَذْحجاه ، وأين مني مَذْحج! فلما رأى أنّ أحداً لا ينصره جذَبَ يدَه فنزعها من الكتاف ، ثم قال : أما من عصاً أو سكّين أو حجر أو عظم يُجاحش به رجلٌ عن نفسه!

قال : ووثبوا إليه فشدُّوه وثَاقاً ، ثم قيل له : امْدُد عنقَك ، فقال : ما أنا بها مُجْدٍ سَخيّ ، وما أنا بمعينِكم على نفسي.

قال : فضربه مولىً لعُبيد الله بن زياد ـ تركيّ يقال له : رشيد ـ بالسيف ، فلَم

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

يصنع سيفهُ شيئاً ، فقال هانىء: إلى الله المَعاد! اللهمّ إلى رحمتك ورضوانِك! ثم ضربه أخرى فقتَلَه.

قال: فبصُر به عبد الرحمن بن الحصين المراديّ بخازِرَ ، وهو مع عُبيد الله بن زياد؛ فقال الناس: هذا قاتلُ هانىء بن عُروة؛ فقال ابن الحصين: قتلني الله إنْ لم أقتلْه أو أُقتلَ دونَه! فحَمَل عليه بالرُّمح فطعنه فقتَله. ثم إن عُبيد الله بن زياد لما قتل مسلم بن عَقِيل وهانىء بن عُروة دعا بعبد الأعلى الكلبيّ الذي كان أخذه كَثِير بن شهاب في بني فِتْيان ، فأُتِيَ به ، فقال له: أخبرني بأمرك؛ فقال: أصلَحَك الله! خرجتُ لأنظرَ ما يصنع الناس ، فأخذني كثير بن شهاب. فقال له: فعليك وعليك ، من الأيمان المغلّظة ، إن كان أخرجك إلا ما زعمت! فأبَى أن يَحلِف ، فقال عُبيد الله: انطلِقوا بهذا إلى جبّانة السَّبيع فاضربوا عنقه بها؛ قال: فانطلِقَ به فضُربت عنقه. قال: وأخرج عمارة بن صلخب الأزديّ ـ وكان ممن يريد أن يأتي مسلم بن عَقِيل بالنصرة لينصرَه ـ فأتي به أيضاً عبيد الله فقال له: ممّن أنت؟ قال: من الأزد. قال: انطلقوا به إلى قومه ، فضُربتْ عنقُه فيهم ، فقال عبد الله بن الزَّبير الأسديّ في قِتلةِ مُسلمِ بن عَقيل وهانىء بن عُروة المراديّ ـ ويقال: قاله الفرزدق:

إن كنت لا تدرينَ ما الموتُ فانظري	إلى هانىء في السُّوقِ وٱبن عقيل
إلى بطَل قد هشَّمَ السيفُ وجْهَهُ	وآخر يهْوِي من طَمار قَتِيلِ
أَصابَهما أمْرُ الأَميرِ فأَصبحا	أَحاديثَ من يَسْري بكلِّ سبيل
ترىْ جسداً قد غيَّر الموتُ لوْنَهُ	ونَضْحَ دمٍ قد سال كلَّ مسِيلِ
فتىً هو أحْيا من فَتاةٍ حَيِيّة	وأقطعُ من ذي شَفرتَين صقيل
أيرْكَبُ أَسماءُ الهمالِيج آمِناً	وقد طلبتْه مَذْحِجٌ بِذُحول!
تُطِيفُ حوالَيْه مُرادٌ وكلهُم	على رِقْبة من سائل ومَسُول
فإنْ أنتمُ لم تثأَرُوا بأَخيكُمُ	فكونوا بغايَا أُرْضِيَتْ بقليل

(٥: ٣٧٨ ـ ٣٨٠)[1].

قال أبو مخنف: عن أبي جناب يحيى بن أبي حيّة الكلبّي ، قال: ثم إن

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

عبيد الله بن زياد لما قتل مسلماً وهانئاً بعث برؤوسهما مع هانىء بن أبي حيّة الوادعيّ والزبير بن الأروح التميميّ إلى يزيدَ بن معاوية ، وأمرَ كاتبَه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيدَ بن معاوية بما كان من مسلم وهانىء ، فكتب إليه كتاباً أطال فيه ـ وكان أولَ من أطال في الكتب ـ فلما نظر فيه عُبيد الله بن زياد كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ اكتُب:

أمّا بعد ، فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه ، وكفاه مؤنة عدوّه. أخبر أمير المؤمنين أكرَمه الله: أن مسلم بن عَقِيل لجأ إلى دار هانىء بن عروة المُراديّ ، وأنّي جعلت عليهما العيون ، ودسستُ إليهما الرجال ، وكِدْتُهما حتى استخرجتُهما ، وأمكن الله منهما ، فقدّمتهما فضربتُ أعناقهما ، وقد بعثتُ إليك برؤوسهما مع هانىء بن أبي حيّة الهَمْدانيّ والزبير بن الأرْوَاح التميمي ـ وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة ـ فليسألهما أميرُ المؤمنين عما أحبّ من أمر ، فإن عندهما عِلماً وصدقاً ، وفَهماً ووَرعاً ، والسلام.

فكتب إليه يزيد: أما بعد ، فإنك لم تَعْدُ أن كنت كما أحبّ ، عملتَ عملَ الحازم ، وصُلتَ صَوْلة الشجاع الرابِط الجأش ، فقد أغنيتَ وكفيتَ ، وصدّقتَ ظنّي بك ، ورأيي فيك ، وقد دعوتُ رسولَيك فسألْتُهما ، وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت؛ فاستَوصِ بهما خيراً ، وإنه قد بلغني أن الحسين بن عليٍّ قد توجّه نحو العراق؛ فضَع المنَاظر والمَسالح ، واحترس على الظنّ ، وخُذ على التهمة ، غير ألا تقتل إلَا من قاتلك ، واكتب إليّ في كل ما يَحدُث من الخبر؛ والسلام عليك ورحمة الله. (٥: ٣٨٠ ـ ٣٨١)[١].

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير ، عن عون بن أبي جُحَيفة ، قال: كان مُخرج مسلم بن عَقِيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمانِ ليال مضَين من ذي الحجّة سنة ستين ، ويقال يوم الأربعاء لسبع مضَيْن سنة ستين من يوم عرفة بعد مُخَرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم ـ قال: وكان مُخرَج الحسين من المدينة إلى مكة يومَ الأحد للَيْلتين بقيَتا من رجب سنة ستّين ، ودخل مكة ليلَة الجمعة لثلاث مضَين من شعبان ، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوّالاً وذا القعدة ،

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ثم خرج منها لثمانٍ مضَين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم الترْوَية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عَقِيل.

وذكر هارون بن مسلم عن عليّ بن صالح، عن عيسى بن يزيد، أن المختار بن أبي عُبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم، خرج المختار براية خضراء، وخرج عبد الله براية حمراء، وعليه ثياب حُمْر، وجاء المختار برايته فركزها على باب عمرو بن حُريث، وقال: إنما خرجتُ لأمنع عمراً، وإن ابن الأشعث والقعقاع بن شَوْر وشَبَث بن رِبعيّ قاتلوا مسلماً وأصحابَه عشيّة سار مسلم إلى قصر ابن زياد قِتالاً شديداً، وأن شَبَثاً جعل يقول: انتظروا بهم الليل يتفرقوا؛ فقال له القعقاع: إنك قد سددتَ على الناس وجَه مصيرهم، فافرُج لهم يَنسرِبوا، وإن عُبيد الله أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث، وجعل فيهما جُعْلاً، فأتيَ بهما فحُبِسا. (٥: ٣٨١)[1].

* * *

ذكر مسير الحسين إلى الكوفة

وفي هذه السنة كان خروج الحسين عليه السلام من مكّة متوجِّهاً إلى الكوفة.

* ذكر الخبر عن مسيره إليها وما كان أمره في مسيره ذلك:

قال هشام عن أبي مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ، قال: لما قدمتْ كتُب أهل العراق إلى الحسين وتهيّأ للمسير إلى العراق، أتيتُه فدخلتُ عليه وهو بمكة، فحمِدت الله وأثنيتُ عليه، ثم قلت: أما بعد، فإني أتيتك يا بن عم لحاجة أريد ذكرها لك نصيحة، فإن كنتَ ترى أنك تستنصحني وإلا كففتُ عما أريد أن أقول؛ فقال: قل، فوالله ما أظنك بسيّيء الرأي، ولا هو للقبيح من الأمر والفعل؛ قال: قلت له: إنه قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق، وإني مشفقٌ عليك من مسيرك؛ إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمراؤه، ومعهم بيوتُ الأموال، وإنما الناسُ عَبيدٌ لهذا الدرهم والدينار، ولا آمَنُ عليك أن يقاتلك من وعدك نصرَه، ومن أنت أحبّ

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

إليه ممن يقاتلك معه؛ فقال الحسين: جزاك الله خيراً يا بن عمّ؛ فقد واللهِ علمتُ أنك مشيتَ بنُصح، وتكلّمت بعقل، ومهما يُقضَ من أمر؛ يكن، أخذتُ برأيك أو تركتُه، فأنت عندي أحمدُ مُشيرٍ، وأنصَح ناصح

قال: فانصرفتُ من عنده فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام، فسألني: هل لقيتَ حسيناً؟ فقلت له: نعم؛ قال: فما قال لك، وما قلت له؟ قال: فقلت له: قلت كذا وكذا، وقال كذا وكذا؛ فقال: نصحتَه وربِّ المَرْوَة الشَّهباء، أما وربّ البنيّة إنّ الرأي لما رأيتَه قَبِلهُ أو تركه، ثم قال:

رُبَّ مستنصَحٍ يَغُشُّ ويُرْدِي وظَنينٍ بالغَيْبِ يُلْفَى نَصِيحَا

(٥: ٣٨٢)[1].

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب الوالبيّ عن عقبة بن سِمْعان: أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال: يا بن عمّ، إنك قد أرجف الناسُ أنك سائر إلى العراق، فبيِّن لي ما أنت صانع؟ قال: إني قد أجمعتُ المسير في أحد يومَيَّ هذين إن شاء الله تعالى؛ فقال له ابن عبّاس: فإني أعيذك بالله من ذلك، أخبِرْني رحمك الله! أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرَهم، وضبطوا بلادهم، ونَفَوْا عَدُوَّهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسرْ إليهم، وإن كانوا إنما دَعَوْك إليهم وأميرُهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تَجبِي بلادَهم، فإنهم إنما دعَوك إلى الحرب والقتال، ولا آمَن عليك أن يغرُّوك ويكذبوك، ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك؛ فقال له حسين: وإني أستخير الله وأنظر ما يكون.

قال: فخرج ابن عباس من عنده، وأتاه ابن الزبير فحدَّثه ساعةً، ثم قال: ما أدري ما تَرْكُنا هؤلاء القوم وكفُّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، ووُلاة هذا الأمر دونهم! خبّرْني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: واللهِ لقد حدّثتُ نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليَّ شِيعتي بها وأشرافُ أهلِها، وأستخير الله، فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثلُ شيعتك ما عدلتُ بها؛ قال: ثم إنه خَشيَ أن يتّهمه، فقال: أما إنك لو أقمتَ بالحجاز ثم أردتَ هذا الأمر هاهنا ما خُولفَ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

عليك إن شاء الله؛ ثم قام فخرج من عنده ، فقال الحسين: ها إنّ هذا ليس شيء يُؤتاه من الدنيا أحبَّ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق ، وقد علم: أنه ليس له من الأمر معي شيء ، وأن الناس لم يَعدِلوه بي ، فودّ أني خرجت منها لتخلو له.

قال: فلما كان من العشيّ أو من الغد ، أتى الحسينَ عبدُ الله بن العباس فقال: يا بن عمّ إني أتصبّر ولا أصبر ، إني أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال؛ إن أهلَ العراق قوم غُدُر ، فلا تقربنَّهم ، أقم بهذا البلد فإنك سيّد أهل الحجاز؛ فإنْ كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ، ثم أقدم عليهم فإن أبيْتَ إلا أنه تَخرج فسر إلى اليَمن فإن بها حصوناً وشِعاباً ، وهي أرضٌ عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس في عُزْلة ، فتكتب إلى الناس وترسل ، وتبثّ دُعاتك ، فإني أرجو أن يأتيَك عند ذلك الذي تحبُّ في عافية؛ فقال له الحسين: يا بن عمّ ، إني والله لأعلم أنك ناصحٌ مشْفِق ، ولكنّي قد أزمعتُ وأجمعتُ على المسير؛ فقال له ابن عباس: فإن كنتَ سائراً فلا تَسِرْ بنسائك وصبْيَتِك ، فوالله إني لخائف أن تُقْتَلَ كما قُتِل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه. ثم قال ابن عباس: لقد أقررتَ عينَ ابنِ الزبير بتخلِيَتك إياه والحجازَ والخروج منها ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحدٌ معك ، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذتُ بشعرِك وناصيتِك حتى يجتمعَ عليَّ وعليك الناسُ أطعتَني؛ لفعلتُ ذلك ، قال: ثم خرج ابن عباس من عنده ، فمرَّ بعبد الله بن الزبير ، فقال: قرّت عينُك يا بن الزبير! ثم قال:

يـــا لـــكِ مـــن قُبَّـــرة بمعَمْـــرِ خَـلالَـكِ الجوُّ فبِيضي وٱصْفِرِي
ونَقِّـــرِي مـــا شِئْـــتِ أَنْ تُنَقِّـــري

هذا حسينُ يخرج إلى العراق ، وعليك بالحجاز. (٥: ٣٨٣ ـ ٣٨٤)[١].

قال أبو مخنف: قال أبو جناب يحيى بن أبي حيّة عن عديّ بن حرملة الأسديّ ، عن عبد الله بن سُليم والمذريّ بن المشمعلّ الأسَديّين قالا: خرجنا حاجَّيْن من الكوفة حتى قدمنا مكة ، فدخلنا يوم الترويَة ، فإذا نحن بالحسين

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

وعبد الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحُجْر والباب ، قالا : فتقرّبنا منهما ، فسمعنا ابن الزبير ، وهو يقول للحسين : إن شئتَ أن تقيم أقمت فولِّيتَ هذا الأمر ، فآزرناك وساعدناك ، ونصحْنا لك وبايعناك؛ فقال له الحسين : إنّ أبي حدثني : أن بها كبشاً يستحلّ حرمتها ، فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش؛ فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئتَ وتولِّيني أنا الأمر فتطاع ولا تُعصَى؛ فقال : وما أريد هذا أيضاً؛ قالا : ثم إنّهما أخفيَا كلامهما دوننا ، فما زالا يتناجيَان حتى سمعنا دعاء الناس رائحين متوجِّهين إلى منىً عند الظهر؛ قالا : فطاف الحسين بالبيت وبين الصَّفا والمروَة ، وقصَّ من شعره ، وحلّ من عُمرته ، ثم توجّه نحو الكوفة ، وتوجّهنا نحوَ الناس إلى منىً. (٥ : ٣٨٤ ـ ٣٨٥)[١] .

قال أبو مخنف : عن أبي سعيد عَقيصَى ، عن بعض أصحابه ، قال : سمعتُ الحسينَ بن عليّ وهو بمكة وهو واقف مع عبد الله بن الزُّبير ، فقال له ابن الزبير : إليّ يا بن فاطمة ، فأصغَى إليه ، فسارّه ، قال : ثم التفت إلينا الحسين فقال : أتدرون ما يقول ابنُ الزبير؟ فقلنا : لا ندري ، جعلَنا الله فداك! فقال : قال : أقمْ في هذا المسجد أجمع لك الناس؛ ثم قال الحسين : والله لأن أقتَلَ خارجاً منها بشبرٍ أحبّ إليّ من أقتلَ داخلاً منها بشبر ، وايم الله لو كنت في جُحْر هامّة من هذا الهوامّ لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم ، ووالله ليعتدُن عليّ كما اعتدت اليهود في السَّبت. (٥ : ٣٨٥)[٢] .

قال أبو مخنف : حدّثني الحارث بن كعب الوالبيّ ، عن عُقبة بن سِمعان قال : لما خرج الحسين من مكة اعترضه رُسلُ عمرو بن سعيد بن العاص ، عليهم يحيى بن سعيد ، فقالوا له : انصرِف؛ أين تذهب! فأبى عليهم ومضى ، وتَدافَع الفريقان ، فاضطربوا بالسّياط ، ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعاً قويّاً ، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه ، فنادَوه : يا حسين ! ألا تتقي الله! تَخرُج من الجماعة ، وتفرِّق بين هذه الأمة! فتأوّل حسينٌ قولَ الله عز وجل : ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

قال: ثم إن الحسين أقبل حتى مرّ بالتَّنعيم ، فلقيَ بها عِيراً قد أقبِل بها من اليَمَن ، بَعَث بها بَحِير بن رَيْسِانِ الحِميريّ إلى يزيدَ بن معاوية ، ـ وكان عامله على اليمن ـ وعلى العِير الوَرْسُ والحُلَل يُنطلَقَ بها إلى يزيد فأخَذَها الحسين ، فانطلق بها؛ ثم قال لأصحاب الإبل: لا أكرِهكم ، مَن أحبَّ أن يمضيَ معنا إلى العراق أوْفينا كِراءه وأحسنا صحبته ، ومن أحبّ أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكِراء على قدر ما قطع من الأرض؛ قال: فمن فارقه منهم حوسب فأوفي حقّه ، ومن مضى منهم معه أعطاه كِراءَه وكَساه. (٥ : ٣٨٥ ـ ٣٨٦)[١].

قال أبو مخنف: عن أبي جَناب ، عن عدّي بن حَرْملة ، عن عبد الله بن سليم والمذري قالا: أقبلنا حتى انتهينا إلى الصِّفاح ، فلقينَا الفرزدق بن غالب الشاعر ، فواقف حسيناً فقال له: أعطاك الله سُؤلَك وأملك فيما تحبّ ، فقال له الحسين: بَيّنْ لنا نبأ الناس خلفك ، فقال له الفرزدق: مِن الخبير سألتَ ، قلوبُ الناس معك ، وسيوفُهم مع بني أميّة ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء. فقال له الحسين: صدقتَ ، لله الأمر ، والله يفعل ما يشاء ، وكلّ يوم ربُّنا في شأن ، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمَد الله على نَعمائه ، وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرّجاء؛ فلم يَعتدِ مَن كان الحقُّ نيّته ، والتقوى سريرته. ثم حرّك الحسينُ راحلتَه فقال: السلام عليك؛ ثم افترقا. (٥ : ٣٨٦)[٢].

قال هشام: عن عوانة بن الحكم ، عن لَبَطة بن الفرزدق بن غالب ، عن أبيه ، قال: حججتُ بأمّي ، فأنا أسوق بعيرَها حين دخلت الحَرم في أيام الحجّ ، وذلك في سنة ستين ، إذ لقيت الحسينَ بن عليّ خارجاً من مكة معه أسيافه وتِراسُه ، فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحُسين بن عليّ ، فأتيته فقلت: بأبي وأمي يا بن رسول الله! ما أعجَلك عن الحجّ؟ فقال: لو لم أعجل لأخذتُ؛ قال: ثم سألني: ممّن أنت؟ فقلت له: امْرؤٌ من العراق؛ قال: فوالله ما فتّشني عن أكثرَ من ذلك ، واكتفى بها منّي ، فقال: أخبِرني عن الناس خلفك؟ قال: فقلت له: القلوب معك ، والسيوف مع بني أميّة ، والقضاء بيد الله؛ قال: فقال لي:

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

صدقتَ؛ قال: فسألته عن أشياءَ، فأخبرني بها من نذور ومناسِك؛ قالَ: وإذا هو ثقيل اللسان من بِرسام أصابَه بالعراق، قال: ثم مضيتُ فإذا بفسطاط مضروب في الحرم، وهيئته حسنَة، فأتيته فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص، فسألني، فأخبرتُه بلقاء الحسين بن عليّ، فقال لي: ويلك: فهلاّ اتّبعتَه، فوالله ليملكنّ، ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه، قال: فهممت والله أن ألحق به، ووقع في قلبي مقالته، ثمّ ذكرت الأنبياءَ وقَتْلَهم، فصدّني ذلك عن اللَّحاق بهم، فقدمتُ على أهلي بعُسْفانَ، قال: فوالله إني لعندهم؛ إذ أقبلت عِيرٌ قد امتارت من الكوفة، فلما سمعتُ بهم خرجتُ في آثارهم حتى إذا أسمعتُهم الصوت وعجِلْتُ عن إتيانهم صرختُ بهم: ألا ما فعل الحسينُ بنُ عليّ؟ قال: فردُّوا عليّ: ألا قد قُتل؛ قال: فانصرفتُ وأنا ألعنُ عبدَ الله بن عمرو بن العاص؛ قال: وكان أهلُ ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر، وينتظرونه في كلّ يوم وليلة، قال: وكان عبدُ الله بن عمرو يقول: لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصّغير حتى يظهر هذا الأمر؛ قال: فقلت له: فما يمنعك أن تبيع الوَهْط؟ قال: فقال لي: لعنةُ الله على فلان ـ يعني معاوية ـ وعليك؛ قال: فقلت لا، بل عليك لعنة الله؛ قال: فزادني من اللعن ولم يكن عنده من حشمه أحدٌ فألقى منهم شرّاً؛ قال: فخرجتُ وهو لا يعرفني ـ والوَهْط حائطٌ لعبد الله بن عمرو بالطائف؛ قال: وكان معاوية قد ساوَمَ به عبدَ الله بن عمرو، وأعطاه به مالاً كثيراً، فأبى أن يبيعه بشيء ـ قال: وأقبل الحسين مُغِذّاً لا يَلوِي على شيء حتى نزل ذاتَ عِرْق. (٥: ٣٨٦ ـ ٣٨٧).

قال أبو مخنف: حدّثني الحارث بن كعب الوالبيّ، عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب قال: لما خرجنا من مكة كتب عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين بن عليّ مع ابنيه: عَون ومحمد: أما بعد، فإنّي أسألك بالله لَمَّا انصرفت حين تنظر في كتابي، فإنّي مُشفِقٌ عليك من الوجه الذي توجّه له أن يكون فيه هلاكُك واستئصالُ أهلِ بيتك، إن هلكتَ اليومَ طَفىء نورُ الأرض، فإنك عَلَمُ المهتدين: ورجاء المؤمنين؛ فلا تعجَل بالسير فإني في أثر الكتاب؛ والسلام.

قال: وقام عبد الله بنُ جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه.

وقال: اكتبْ إلى الحسين كتاباً تَجعَل له فيه الأمان، وتمنّيه فيه البِرّ والصّلة، وتوثّق له في كتابك، وتسأله الرجوع لعله يطمئنّ إلى ذلك فيرجع؛ فقال عمرو بن

سعيد: اكتب ما شئتَ وائتِني به حتى أختمَه، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب، ثمّ أتى به عمرو بن سعيد فقال له: اختِمه، وابعثْ به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحْرَى أن تطمئنّ نفسُه إليه، ويعلم: أنه الجِدّ منك، ففعل، وكان عمرو بن سعيد عاملَ يزيدَ بن معاوية على مكة، قال: فلحقه يحيى، وعبد الله بن جعفر، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب، وجهدْنا به، وكان مما اعتذَر به إلينا أن قال: إني رأيتُ رؤيا فيها رسول الله ﷺ، وأمِرت فيها بأمر أنا ماضٍ له، عليّ كان أوْ لي؛ فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدّثت أحداً بها، وما أنا محدّث بها حتى ألقَى ربِّي.

قال: وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ: بسم الله الرّحمن الرّحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ، أما بعد: فإني أسأل الله أن يصرفك عمّا يوبقُك، وأن يهديَك لما يرشدُك؛ بلغني أنك قد توجّهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإنّي أخاف عليك فيه سلاكَ، وقد بعثتُ إليكَ عبدَ الله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبِلْ إليّ معهما، فإنّ لك عندي الأمان والصّلة والبرّ وحُسن الجوار لك، الله عليّ بذلك شهيدٌ، وكفيلٌ، ومُراعٍ ووكيلٌ؛ والسلام عليك.

قال: وكتب إليه الحسين: أما بعد؛ فإنه لم يشاقِقِ الله ورسوله مَنْ دعا إلى الله عز وجلّ وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين؛ وقد دعوتَ إلى الأمان والبرّ والصّلة، فخير الأمان أمانُ الله، ولن يؤمنَ الله يومَ القيامة مَنْ لم يخفه في الدّنيا، فنسأل الله مخافةً في الدنيا تُوجب لنا أمانه يومَ القيامة، فإن كنتَ نويتَ بالكتاب صلتي وبرّي، فجُزيت خيراً في الدنيا والآخرة؛ والسلام. (٥: ٣٨٧ ـ ٣٨٩)[١].

رجع الحديث إلى حديث عمار الدّهنيّ عن أبي جعفر، فحدّثني زكريا بن يحيى الضرير، قال: حدّثنا أحمد بن جناب المصّيصيّ قال: حدّثنا خالد بن يزيدَ ابن عبد الله القسريّ قال: حدّثنا عمار الدُّهنيّ قال: قلت لأبي جعفر: حدّثني عن مَقتلِ الحسين حتى كأني حضرته؛ قال: فأقبَل حسينُ بن عليّ بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه، حتى إذا كان بينه وبين القادسيّة ثلاثة أميال، لقيَه الحُرّ بن يزيدَ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

التميميّ ، فقال له : أين تريد؟ قال : أريد هذا المِصْر؛ قال له : ارجع فإني لم أدعْ لك خلفي خيراً أرجوه ، فهمّ أن يرجع ، وكان معه إخوةُ مسلم بن عَقِيل ، فقالوا : واللهِ لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نُقتَل؛ فقال : لا خيرَ في الحياة بعدكم! فسار فلقيَتْه أوائلُ خيلِ عُبيد الله ، فلما رأى ذلك عدلَ إلى كربلاء فأسند ظهرَه إلى قصباء وخلاًّ كيلا يقاتل إلا من وجه واحد ، فنزل وضرب أبنيته ، وكان أصحابُه خمسةً وأربعين فارساً ومئة راجل ، وكان عُمر بن سعد بن أبي وقّاص قد ولاّه عبيد الله بن زياد الرّيّ وعهد إليه عهدَه فقال : اكفني هذا الرجل؛ قال : أعفني ، فأبَى أن يُعفيَه؛ قال : فأنظِرْني الليلة؛ فأخَّره ، فنظر في أمره فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمر به ، فتوجّه إليه عُمر بن سعد ، فلما أتاه قال له الحسين : اخترْ واحدةً من ثلاث : إما أن تدعوَني فأنصرِف من حيث جئتُ ، وإما أن تدعوَني فأذهب إلى يزيد ، وإما أن تدعوَني فألحق بالثغور؛ فقبل ذلك عمر ، فكتب إليه عُبيد الله : لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي! فقال له الحسين : لا والله لا يكون ذلك أبداً ، فقاتله فقُتل أصحابُ الحسين كلُّهم ، وفيهم بضعة عشَرَ شاباً من أهل بيته ، وجاء سهمٌ فأصاب ابناً له معه في حجره ، فجعل يمسح الدم عنه ويقول : اللهمّ احكم بيننا وبين قوم دَعَوْنا لينصرونا فقتلونا؛ ثم أمر بحبرة فشقّقها ، ثم لبسها وخرج بسيفه ، فقاتل حتى قُتِل صلوات الله عليه؛ قتله رجلٌ من مذْحج وحزّ رأسه . وانطلق به إلى عبيد الله وقال :

أَوْقِرْ ركابي فِضّةً وذَهَبا ... فقد قَتَلْتُ المَلِكَ المُحجَّبا
قَتَلتُ خَيْرَ الناسِ أُمًّا وأبَا ... وخَيْرهُمْ إذ يُنْسبُونَ نَسبا

وأوفده إلى يزيدَ بن معاوية ومعه الرأس ، فوضع رأسَه بين يديه وعنده أبو برزة الأسلميّ ، فجعل ينكُتُ بالقَضيب على فيه ويقول :

يُفَلِّقْنَ هاماً مِن رجالٍ أعِزَّة ... علَينا وَهُمْ كانوا أعقَّ وأظْلَما

فقال له أبو برْزة : ارفع قضيبَك ، فو الله لربما رأيتُ فا رسولِ الله ﷺ على فيه يلثمه! وسرّح عمر بن سعد بحرَمه وعياله إلى عبيد الله ، ولم يكن بقيَ من أهل بيت الحسين بن علي عليه السلام إلا غلام كان مريضاً مع النساء ، فأمر به عُبيد الله ليُقتل ، فطرحتْ زينب نفسَها عليه وقالت : والله لا يُقتل حتى تقتلوني! فرقَّ لها ، فتَركه وكفّ عنه .

قال: فجهَّزهم وحملهم إلى يزيدَ، فلما قدموا عليه جمع مَنْ كان بحضرته من أهلِ الشام، ثم أدخلوهم، فهنَّؤوه بالفتح، قال رجل منهم أزرق أحمر ونظر إلى وصيفةٍ من بناتهم، فقال: يا أمير المؤمنين! هبْ لي هذه، فقالت زينب: لا والله ولا كرامة لك ولا له إلا أن يخرُج من دين الله، قال: فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كُفَّ عن هذا! ثم أدخلهم على عياله، فجهّزهم وحملهم إلى المدينة، فلما دخلوها خرجت امرأةٌ من بني عبد المطلب ناشرةً شعرها، واضعةً كمَّها على رأسها تلقاهم وهي تبكي وتقول:

مـاذا تقـولـون إن قـال النَّبـيُّ لكـم ... مـاذا فَعلْتـمْ وأنْتـمْ آخِـرُ الأُمَـمِ!
بعتـرتـي وبـأَهْلـي بعْـدَ مُفتَقَـدِي ... منهـم أُسـارَى وقتلَـى ضَـرِّجـوا بِـدَمِ
ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم ... أن تُخْلُوني بسوءٍ في ذوي رحِمي!

(٥: ٣٨٩ _ ٣٩٠)[1].

---

(١) قلنا: أما شيخ الطبري: زكريا بن يحيى الضرير فلم نجد له ترجمة إلاَّ عند الخطيب البغدادي فقد ترجم له ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وذكر له أكثر من راويين فهو مجهول الحال [تاريخ بغداد (٨/ ٤٥٧)]. وأما خالد بن يزيد القسري فقد سكت عنه ابن حجر في التقريب. وقال ابن عدي: وهو عندي ضعيف إلاَّ أن أحاديثه إفرادات ومع ضعفه كان يكتب حديثه [الكامل (٨/ ٥٧٨)].
وقال أيضاً: أحاديثه كلها لا يتابع عليها.
وقال أبو حاتم: ليس بالقوي.
وذكره ابن حبان في الثقات (٦/ ٢٥٦) وهو والي العراق في العهد الأموي [ميزان الاعتدال (ت ٢٤٧٩)].
قلنا: هذا حال هذا الإسناد ولكنه أحسن حالاً ألف مرة من تلفيقات أبي مخنف، وشبهات الواقدي وغيرهما.
وفي متن هذه الرواية من المقاطع ما يؤيدها من الرواية الصحيحة الأولى عند الطبري (٥/ ٣٩١)، وهي من طريق الحصين، وسنذكر مافي متن هذه الرواية الثانية من أمور لا توافقها الروايات الصحيحة:
ـ تذكر هذه الرواية (الثانية) أي: رواية عمار الدهني عن أبي جعفر أن الحر بن يزيد لقي الحسين بن علي على بُعد ثلاثة أميال من القادسية وحذَّره من مغبة القدوم فهم الحسين أن يرجع.
بينما تذكر رواية الحصين أن الحسين أوجس في نفسه حين سأل الأعراب فأخبروه أنهم لا يعرفون ما الأمر وأنهم منعوا من الدخول أو الخروج فانطلق يريد الشام ثم إن الحر بن يزيد=

قال حصين: فلما قتِل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثةً ، كأنما تلطّخ الحوائط بالدماء ساعة تطلُع الشمس حتى ترتفع. (٥: ٣٩٣).

قال: وحدّثني العلاء بن أبي عاثة قال: حدّثني رأس الجالوت عن أبيه قال: ما مررت بكربَلاء إلا وأنا أركُض دابتي حتى أخلّف المكان ، قال: قلت: لِمَ؟ قال: كنا نتحدّث أنّ ولَد نَبيّ مقتول في ذلك المكان؛ قال: وكنت أخاف أن أكون أنا ، فلمّا قتِل الحسين قلنا: هذا الذي كنا نتحدّث. قال: وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ، ولا أركض. (٥: ٣٩٣).

حدّثني الحارث قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: حدّثني عليّ بن محمّد عن جعفر بن سليمان الضّبَعيّ قال: قال الحسين: والله لا يدَعوني حتى يستخرجوا هذه العَلَقة من جَوْفي ، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم مَن يذلّهم حتى يكونوا أذلّ من فَرَم الأمَة؛ فقَدِم للعراق فقُتِل بنِينوَى يومَ عاشوراء سنة إحدى وستين. (٥: ٣٩٣ ـ ٣٩٤).

قال الحارث: قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: قُتل الحسينُ بن

= لقيه أثناء المعركة وانضم إلى صفوف الإمام رضي الله عنه وأرضاه.
ـ والأمر الثاني هو أن عمار الدهني ذكر في روايته عن أبي جعفر: أن ابن زياد همَّ بقتل علي بن الحسين.

ولكن الرواية الأولى الصحيحة لا تذكر ذلك بل تؤكد أن ابن زياد أكرم بقية أهل بيتِ الحسين ، وأمر لهم بمنزل في مكان منعزل وأجرى لهم الرزق والكسوة والنفقة وأنه همَّ بضرب عنق من أساء إليهم وقتل منهم غلامين وهما يفران ـ وهما لعبد الله بن جعفر ـ ثم أمر ابن زياد بهدم دار ذلك الرجل وهو من طيئ.
ـ وذكر أبو عمار الدهني في روايته عن أبي جعفر: أن ابن زياد أرسل الرأس إلى يزيد.
بينما في الرواية الأولى عند الطبري فإن الحصين ذكر أن ابن زياد أرسل رأس الحسين إلى يزيد ولكنه أبهم اسم الراوي الذي أخبره ـ أي: أخبر الحصين ـ بذلك ووصفه بقوله: وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال: لما أُتي يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه.
ـ وأخيراً فإن هذه الرواية الضعيفة السند في متنها: أن أبا برزة الأسلمي كان عند يزيد حين وضع الرأس الشريف بين يديه وهذا غريب لأن أبا برزة كان اعتزل الجميع وهو يرى أن الأطراف جميعاً تقاتل من أجل الملك فكيف يجالس يزيداً؟
فرواية البخاري تذكر رأيه الواضح في الاعتزال في تلك المحنة.

علي عليه السلام في صفر سنة إحدى وستين وهو يومئذ ابن خمس وخمسين.

حدّثني بذلك أفلح بن سعيد، عن ابن كعب القُرَظيّ، قال الحارث: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر عن أبي معشر، قال: قُتِل الحسين لعشر خلوْن من المحرّم. قال الواقديّ: هذا أثبت. (٥: ٣٩٤).

قال الحارث: قال ابن سعد: أخبَرَنا محمد بن عمر، قال: أخبرَنا عطاء بن مسلم عمّن أخبره، عن عاصم بن أبي النَّجود، عن زِرّ بن حُبَيْش، قال: أول رأس رُفع على خشبة. رأس الحسين رضي الله عنه وصلّى الله على رُوحه. (٥: ٣٩٤).

قال أبو مخنف: عن هشام بن الوليد، عمّن شهد ذلك، قال: أقبل الحسين بن عليّ بأهله من مكة ومحمد بن الحنفيّة بالمدينة؛ قال: فبلغه خبرُه، وهو يتوضّأ في طَسْت؛ قال: فبكى حتى سمعتُ وكْفَ دموعه في الطَّست. (٥: ٣٩٤)(1).

قال أبو مخنف: حدّثني يونس بن أبي إسحاق السَّبِيعيّ، قال: ولما بلغ عبيدَ الله إقبالُ الحسين من مكة إلى الكوفة، بعث الحصين بن تميم صاحب شُرَطه حتى نزل القادسيّة ونظم الخيلَ ما بين القادسيَة إلى خَفّان، وما بين القادسيّة إلى القُطْقُطانة وإلى لَعْلَع، وقال الناس: هذا الحسين يريدُ العراق. (٥: ٣٩٤)(2).

قال أبو مخنف: وحدّثني محمد بن قيس: أنّ الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرُّمَّة بعث قيس بن مُسهِر الصّيداويّ إلى أهل الكوفة، وكتب معه إليهم:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلامٌ عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنّ كتابَ مسلم بن عَقِيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع مَلَئكم على نصرنا، والطلبِ بحقِّنا، فسألتُ الله أن يُحسن لنا الصنعِ، وأن يثيبَكم على ذلك

---

(1) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(2) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

أعظم الأجر ، وقد شخصتُ إليكم من مكّة يومَ الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التَرْويَة ، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمرَكم وجدّوا ، فإني قادم عليكم في أيّامي هذه إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكان مسلم بن عَقيل قد كان كتب إلى الحسين قبلِ أن يُقتل لسبع وعشرين ليلة : أما بعد ، فإنّ الرائد لا يَكذِب أهلَه ، إنَّ جَمْع أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابي ، والسلام عليك .

قال : فأقبل الحسين بالصّبيان والنساء معه لا يَلوِي على شيء ، وأقبل قيس بن مُسهر الصّيداويّ إلى الكُوفة بكتاب الحسين ، حتى إذا انتهى إلى القادسيّة أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له عبيد الله : اصعَد إلى القصر فَسُبّ الكذّاب بن الكذّاب ؛ فصعِد ثم قال : أيها الناس ؛ إنّ هذا الحسين بن عليّ خير خَلق الله ؛ ابن فاطمة بنتِ رسول الله ، وأنا رسولَه إليكم ، وقد فارقتُه بالحاجر ، فأجيبوه ؛ ثمّ لعن عُبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعليّ بن أبي طالب ، قال : فأمر به عُبيد الله بن زياد أن يُرمَى به من فوق القصر ، فرُمي به ، فتقطّع فمات ، ثم أقبل الحسين سيراً إلى الكوفة ، فانتهى إلى ماء من مياه العرب ، فإذا عليه عبدُ الله بن مطيع العدَويّ ، وهو نازل هاهنا ، فلما رأى الحسينَ قام إليه ، فقال : بأبي أنت وأمّي يا بن رسول الله! ما أقْدَمَك! واحتَمله فأنزله ، فقال له الحسين : كان من موت معاوية ما قد بلغك : فكتب إليّ أهلُ العراق يدعونني إلى أنفسهم ، فقال له عبد الله بن مُطيع : أذكِّرك الله يا بن رسول الله وحرمةَ الإسلام أن تُنتهَك! أنشدكَ اللهَ في حُرمة رسولِ اللهﷺ ! أنشدك الله في حُرمة العرب! فوالله لئن طلبت مافي أيدي بني أميّة ليقتُلنّك ، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً ، والله إنها لحُرْمة الإسلام تُنتهَك ، وحُرْمةُ قريش وحُرْمة العرب ، فلا تَفعل ، ولا تأتِ الكوفة ، ولا تَعرَّضْ لبني أميّة ؛ قال : فأبى إلا أن يمضي ؛ قال : فأقبل الحسين حتى كان بالماء فوق زَرُود . (٥ : ٣٩٤ _ ٣٩٦)[١] .

قال أبو مخنف : فحدّثني السدّي ، عن رجل من بني فَزارة قال : لما كان زمن

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

الحجّاج بن يوسف كنا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التّمّارين؛ التي أقطعت بعدُ زهيرَ بن القَين ، من بني عمرو بن يَشكرَ من بَجيلة ، وكان أهل الشأم لا يدخلونها ، فكنا مُخْتَبِئين فيها ، قال: فقلت للفزاريّ: حدّثْني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن عليّ. قال: كنا مع زهير بن القَيْن البَجَليّ حين أقبلنا من مكة نساير الحسينَ ، فلم يكن شيء أبغضَ إلينا من أن نسايرَه في منزل ، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القَيْن ، وإذا نزل الحسينُ تقدّم زهير ، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بُدّاً من أن ننازله فيه ، فنزل الحسين في جانب ، ونزلنا في جانب ، فبينا نحن جلوس نتغدّى من طعام لنا ، إذ أقبل رسولُ الحسين حتى سلّم ، ثم دخل فقال: يا زهير بن القَيْن ! إنّ أبا عبد الله الحسين بن عليّ بعثني إليك لتأتيَه؛ قال: فطرح كلّ إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير. (٥: ٣٩٦)[١].

قال أبو مخنف: فحدّثتْني دلهم بنت عَمرو امرأة زهير بن القَيْن ، قالت: فقلت له: أيَبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه! سبحان الله! لو أتيتَه فسمعتَ من كلامه! ثم انصرفت؛ قالت: فأتاه زهير بن القَيْن ، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهُه؛ قالت: فأمر بفُسطاطه وثقَله ومتاعه فقُدّم ، وحُمل إلى الحسين ، ثم قال لامرأته: أنتِ طالقٌ ، الحقي بأهلك ، فإني لا أحبّ أن يصيبك من سببي إلا خير ، ثمّ قال لأصحابه: مَنْ أحبّ منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد ، إني سأحدّثكم حديثاً ، غزوْنا بلَنْجَر ، ففتح الله علينا ، وأصبْنا غنائم ، فقال لنا سَلْمان الباهليّ: أفرِحْتم بما فتح الله عليكم ، وأصبتم من الغنائم! فقلنا: نعم ، فقال لنا: إذا أدركتم شبابَ آل محمد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم ، فأمّا أنا فإنّي أستودعكم الله؛ قال: ثمّ والله ما زال في أوّل القوم حتى قُتل.

قال أبو مخنف: حدّثني أبو جَناب الكلبيّ عن عديّ بن حرملة الأسَديّ ، عن عبد الله بن سُليم والمذري بن المشمعلّ الأسديّين قالا: لما قضينا حجنا لم يكن لنا همّة إلا اللّحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه ، فأقبلنا

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

تُرْقل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزَرودَ ، فلما دنوْنا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين؛ قالا: فوقف الحسين كأنه يريده ، ثم تركه ، ومضى ومضينا نحوَه ، فقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا فلنسأله ، فإن كان عنده خبر الكوفة علمناه ، فمضينا حتى انتهينا إليه ، فقلنا: السلام عليك ، قال: وعليكم السلام ورحمة الله ، ثم قلنا: فمَن الرجل؟ قال: أسديّ ، فقلنا: فنحن أسديّان فمَن أنت؟ قال: أنا بكير بن المثعبة ، فانتسبنا له ، ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءك ، قال: نعم لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عَقيل وهانىء بن عروة ، فرأيتهما يُجَرّان بأرجلهما في السوق ، قالا: فأقبلنا حتى لحقْنَا بالحسين ، فسايرناه حتى نزل الثعلبيّة ممسياً ، فجئناه حين نزل ، فسلّمنا عليه فردّ علينا ، فقال له: يرحمك الله؛ إنّ عندنا خبراً فإن شئت حدّثنا علانيةً ، وإن شئتَ سرّاً؛ قال: فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سرّ؛ فقلنا له: أرأيت الراكبَ الذي استقبلك عشاءَ أمس؟ قال: نعم ، وقد أردتُ مسألته؛ فقلنا: قد استبرأنا لك خبَره ، وكفيناك مسألته ، وهو امرؤ من أسد منا ، ذو رأي وصدق ، وفضل وعقل ، وإنه حدّثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عَقيل وهانىء بن عروة ، وحتى رآهما يُجَرّان في السوق بأرجلهما ، فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون! رحمة الله عليهما ، فردّد ذلك مراراً ، فقلنا: نَنشدُك الله في نفسك وأهلِ بيتك إلا انصرفتَ من مكانك هذا ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصرٌ ولا شيعة ، بل نتخوّف أن تكون عليك! قال: فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب. (٥ : ٣٩٦ ـ ٣٩٧).

قال أبو مخنف: حدّثني عمر بن خالد عن زيد بن عليّ بن حسين ، وعن داود بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، أنّ بني عقيل قالوا: لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرَنا ، أو نذوقَ ما ذاق أخونا. (٥ : ٣٩٧)[1].

قال أبو مخنف: عن أبي جَناب الكلبيّ، عن عديّ بن حرملة ، عن عبد الله بن سُلَيم والمذري بن المشمعلّ الأسديّين ، قالا: فنظر إلينا الحسين فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء؛ قالا: فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير؛ قالا: فقلنا:

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

خارَ الله لك! قالا: فقال: رحمكما الله! قالا: فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عَقيل، ولو قدمتَ الكوفة لكان الناسُ إليك أسرع؛ قال الأسديّان: ثم انتظر حتى إذا كان السَّحَر قال لفتيانه وغلمانه: أكثروا من الماء فاستَقوا وأكثروا، ثمّ ارتحلوا وساروا حتى انتهَوْا إلى زُبالة. (٥: ٣٩٨)[١].

قال أبو مخنف: حدّثني أبو عليّ الأنصاريّ، عن بكر بن مصعب المُزنيّ، قال: كان الحسين لا يمرّ بأهل ماء إلا اتبعوه حتى إذا انتهى إلى زُبَالة سقط إليه مَقْتل أخيه من الرّضاعة، مقتلُ عبد الله بن بُقْطُر، وكان سرّحه إلى مسلم بن عَقيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب، فتلقاه خيلُ الحصين بن تميم بالقادسيّة، فسرّح به إلى عُبيد الله بن زياد، فقال: اصعد فوق القصر فالعَنِ الكذّاب ابنَ الكذّاب، ثم انزِل حتى أرى فيك رأيي! قال: فصعد، فلما أشرَف على الناس قال: أيّها الناس، إني رسول الحسين بن فاطمةَ بنت رسول الله ﷺ لتنصروه وتؤازِروه على ابن مَرْجانة بن سمّية الدعيّ، فأمر به عُبيد الله فألقيَ من فوق القصر إلى الأرض فكُسرت عظامُه وبقي به رَمَق، فأتاه رجل يقال له: عبد الملك بن عُمَير اللَّخميّ فذبحه، فلمّا عيب ذلك عليه قال: إنما أردت أن أريحَه. (٥: ٣٩٨)[٢].

قال هشام: حدّثنا أبو بكر بن عياش عمّن أخبره قال: والله ما هو عبد الملك بن عمير الذي قام إليه فذبحه، ولكنه قام إليه رجل جعْد طُوال يشبه عبَد الملك بن عمير، قال: فأتى ذلك الخبرُ حسيناً وهو بزُبالة، فأخرج للناس كتاباً، فقرأ عليهم:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، أما بعد، فإنه قد أتانا خبر فظيع، قتل مُسلم بن عقيل، وهانىء بن عروة وعبد الله بن بُقْطُر، وقد خذلتْنا شيعتُنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرفْ، ليس عليه منا ذِمام.

قال: فتفرّق الناس عنه تفرّقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقيَ في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، وإنما فعل ذلك لأنه ظنّ أنما اتبعه الأعراب،

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

لأنهم ظنّوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعةُ أهله ، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون عَلاَم يقدمون ، وقد علم أنّهم إذا بَيَّنَ لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموتَ معه ، قال: فلما كان من السَّحَر أمر فتيانَه فاستقَوْا الماء وأكثَروا ، ثم سار حتى مرَّ ببطْنِ العَقَبة ، فنزَل بها. (٥: ٣٩٨ ـ ٣٩٩).

قال أبو مخنف: فحدّثني لَوْذان أحدُ بني عكْرِمة: أنّ أحدَ عمومته سأل الحسين عليه السلام أين تريد؟ فحدَّثه ، فقال له: إنّي أنشدُك الله لمّا انصرفت ، فوالله لا تقدم إلا على الأسنَّة وحدّ السيوف ، فإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوْك مؤنة القتال ، ووطَّؤوا لك الأشياء فقدمتَ عليهم كان ذلك رأياً ، فأمّا على هذا الحال التي تذكرها فإنّي لا أرى لك أن تفعل ، قال: فقال له: يا عبدَ الله ! إنه ليس يخفى عليّ ، الرأيُ ما رأيتَ ، ولكنّ الله لا يُغلَب على أمره؛ ثم ارتحل منها. (٥: ٣٩٩)[١].

ونَـزَع يزيـدُ بن معاوية في هذه السنـة الوليدَ بن عتبـة عن مكـة ، وولاّها عمرو بن سعيد بن العاص ، وذلك في شهر رمضانَ منها ، فحجّ بالناس عمرو بن سعيد في هذه السنة؛ حدّثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر.

وكان عامله على مكة والمدينة في هذه السنة بعدما عزل الوليد بن عُتبة عمرو بن سعيد ، وعلى الكوفة والبصرة وأعمالها عبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُرَيح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة. (٥: ٣٩٩).

ثم دخلت سنة إحدى وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مقتل الحسين رضوان الله عليه

حُدّثت عن هشام ، عن أبي مخنف ، قال: حدّثني أبو جناب عن عدّي بن حرملة ، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعلّ الأسديّين قالا: أقبل الحسين عليه السلام حتى نزل شَراف ، فلما كان في السَّحَر أمر فتيانَه فاستَقَوْا من

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

الماء فأكثَروا ، ثم ساروا منها ، فرسموا صدرَ يومهم حتى انتصف النهار ، ثم إنّ رجلاً قال: الله أكبر! فقال الحسين: الله أكبر ما كبَّرتَ؟ قال: رأيتُ النخل ، فقال له الأسديان: إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلةً قطّ؛ قالا: فقال لنا الحسين: فما تَريانه رأى؟ قلنا: نراه رأى هَوادِيَ الخيل؛ فقال: وأنا والله أرى ذلك؛ فقال الحسين: أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ، ونستقبل القومَ من وجه واحد؟ فقلنا له: بلى ، هذا ذو حُسُمٍ إلى جنبك ، تَميل إليه عن يسارك ، فإن سبقتَ القوم إليه فهو كما تريد ، قالا: فأخذ إليه ذاتَ اليسار؛ قالا: وملنا معه فما كان بأسرع من أن طلعتْ علينا هوادي الخيل ، فتبيّناها ، وعدنا ، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأنّ أسنّتهم اليعاسيب ، وكأنّ راياتهم أجنحة الطير ، قال: فاستبقنا إلى ذي حُسُم ، فسبقناهم إليه ، فنزل الحسين ، فأمر بأبنيته فضُربتْ ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحُرِّ بن يزيد التميميّ اليربوعيّ حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حَرّ الظَّهيرة ، والحسين وأصحابه معتمّون متقلدو أسيافهم ، فقال الحسين لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء ورشِّفوا الخيل ترشيفاً ، فقام فتيانه فرشّفوا الخيل ترشيفاً ، فقام فتية وسقَوا القوم من الماء حتى أرووهم ، وأقبلوا يملؤون القصاع والأتْوار والطِّساس من الماء ثم يُدنونَها من الفرَس ، فإذا عبَّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلتْ عنه ، وسقَوا آخَرَ حتى سَقَوا الخيل كلَّها. (٥: ٤٠٠ ـ ٤٠١)[1].

قال هشام: حدّثني لَقيط عن عليّ بن الطّعان المحاربيّ: كنت مع الحُرّ بن يزيد ، فجئت في آخر مَن جاء من أصحابه ، فلما رأى الحسينُ ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الرّاوية ـ والراوية عندي السقاء ـ ثم قال: يابن أخِي ! ، أنخ الجمل ، فأنختُه ، فقال: اشربْ ، فجعلت كلما شربتُ سال الماء من السقاء ، فقال الحسين: اخنث السقاء ـ أي: اعطفه ـ قال: فجعلتُ لا أدري كيف أفعل! قال: فقام الحسين فخنَثَه ، فشربتُ وسَقَيتُ فَرسي ، قال: وكان مجيء الحُرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسيّة ، وذلك: أنّ عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبالُ الحسين بعث الحصين بن تميم التميميّ ـ وكان على شُرَطه ـ فأمَرَه أن ينزل القادسيّة ، وأن يضع المَسالحَ فينظم ما بين القُطْقطانة إلى خَفّان ، وقدّم الحُرّ بن

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

يزيد بين يديه في هذه الألف من القادسيّة ، فيستقبل حسيناً . قال : فلَم يزل مواقفاً حسيناً حتى حضرت الصّلاة صلاة الظهر ، فأمر الحسين الحجّاج بن مسروق الجعفيّ أن يؤذّن ، فأذّن ، فلمّا حضرت الإقامة خرج الحسين في إزار ورداء ، ونعلين ، فحَمِد الله وأثنَى عليه ثمّ قال : أيّها الناس ، إنها معذرة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم ؛ إنّي لم آتكمْ حتى أتتْني كُتُبكم ، وقدمتْ عليّ رُسُلكم : أن اقدمْ علينا ، فإنه ليس لنا إمام ، لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى ؛ فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم ، فإن تُعطوني ما أطمئنُّ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصرَكم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقْدمي كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه إليكم ، قال : فسكتوا عنه وقالوا للمؤذّن : أقم ، فأقام الصلاة ، فقال الحسين عليه السلام للحُرّ : أتريدُ أن تصلّي بأصحابك! قال : لا ، بل تصلّي أنت ونصلّي بصلاتك ؛ قال : فصلّى بهم الحسين ، ثم إنه دخل واجتمع إليه أصحابه ، وانصرف الحُرّ إلى مكانه الذي كان به ، فدخل خَيْمَةً قد ضُربت له ، فاجتمع إليه جماعةٌ من أصحابه ، وعاد أصحابُه إلى صَفهم الذي كانوا فيه ، فأعادوه ، ثم أخذ كلّ رجل منهم بعنان دابّته وجلس في ظلها ، فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيؤوا للرّحيل ، ثم إنه خرج فأمر مناديَه فنادى بالعصر ، وأقام فاستقدم الحسين فصلى بالقوم ثم سلم ، وانصرف إلى القوم بوجهه فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحقّ لأهله ؛ يكن أرضى لله ، ونحن أهل البيت أولَى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدَّعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجوْر والعدوان ، وإن أنتم كرهتمونا ، وجهلتم حقنا ، وكان رأيُكم غيرَ ما أتتْني كتبكم ، وقدمتْ به عليَّ رُسُلكم ؛ انصرفتُ عنكم ، فقال له الحُرّ بن يزيد : إنّا والله ما ندري ما هذه الكُتُب التي تذكر! فقال الحسين : يا عقبة بن سِمْعان ! أخرج الخرجَيْن اللّذَين فيهما كتبهم إليّ ، فأخرج خرْجين مملوءين صُحُفاً ، فنشرها بين أيديهم ؛ فقال الحُرّ : فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ؛ ألاّ نفارقَك حتى نُقدمك على عبيد الله بن زياد ؛ فقال له الحسين : الموتُ أدنَى إليك من ذلك ، ثم قال لأصحابه : قوموا فاركبوا ، فركبوا وانتظروا حتى ركبتْ نساؤهم ، فقال لأصحابه : انصرفوا بنا ، فلما ذهبوا لينصرفوا حالَ القومَ بينهم وبين الانصراف ، فقال الحُسين للحر : ثكلتْك أمُّك! ما تريد! قال : أما والله لو غيرُك من العرب

يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركتُ ذكْر أمه بالثُّكل أن أقولَه كائناً من كان ، ولكنْ والله مالي إلى ذكْر أمِّك من سبيل إلاّ بأحسن ما يقدَر عليه؛ فقال له الحسين: فما تريد؟ قال الحرّ: أريد والله أن أنطلق بك إلى عُبيد الله بن زياد ! قال له الحسين: إذاً والله لا أتْبعك ، فقال له الحُرُّ: إذاً والله لا أدَعك؛ فترادّا القولَ ثلاث مرّات ، ولما كثر الكلامُ بينهما قال له الحرّ: إنّي لم أومَر بقتالك ، وإنما أمِرت ألاّ أفارقَك حتى أقدمَك الكُوفة ، فإذا أبيتَ فخذ طريقاً لا تُدخلك الكوفة ، ولا تردّك إلى المدينة ، تكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد ، وتكتب أنتَ إلى يزيدَ بن معاوية إن أردتَ أن تكتب إليه ، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئتَ ، فلعلّ الله إلى ذاك أن يأتيَ بأمر يرزقني فيه العافية من أن ابتلَى بشيء من أمرك؛ قال: فخذ هاهنا فتياسرْ عن طريق العُذَيْب والقادسيّة ، وبينه وبين العُذَيب ثمانية وثلاثون ميلاً ، ثمّ إنّ الحسين سار في أصحابه والحُرّ يسايره. (٥ : ٤٠١ ـ ٤٠٣).

قال أبو مخنف: عن عقبة بن أبي العَيزار: إنّ الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحُرّ بالبِيضَة ، فحمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيها الناس ! إنّ رسول الله ﷺ قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لُحرَم الله ، ناكثاً لعَهْد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يَعملُ في عباد الله بالإثم والعُدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يُدخله مُدخلَه». ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرّحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حَرام الله ، وحرّموا حلالَه ، وأنا أحقّ من غَيّر ، قد أتتْني كتبكم ، وقدمتْ عليّ رُسُلكم ببيعتكم؛ أنكم لا تُسلموني ولا تَخذُلوني ، فإن تممتم على بيعتكم تصيبُوا رشدَكم ، فأنا الحسين بنُ عليّ ، وابن فاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ ، نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم ، فلكم فيَّ أسْوة ، وإن لم تفعلوا ونقضْتم عهدكم ، وخلعتُم بيعَتي من أعناقكم ، فلَعَمْري ما هي لكم بنُكْر ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ، والمغرور من اغترّ بكم ، فحظَّكم أخطأتم ، ونصيبَكم ضيعتم ، ومَن نكث فإنما يَنكُث على نفسه ، وسيُغني الله عنكم ، والسلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته.

وقال عقبة بن أبي العَيزار: قام حسينٌ عليه السلام بذي حُسُم ، فحَمِد الله

وأثنَى عليه ثمّ قال: إنه قد نزل من الأمر ما قد تروْن ، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت ، وأدبر معروفُها واستمرّت جدّاً ، فلم يَبْقَ منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء ، وخسيسُ عيشٍ كالمَرعَى الوَبيل ، ألا ترون أنّ الحق لا يُعْمَل به ، وأنّ الباطلَ لا يُتناهى عنه! لَيرغب المؤمن في لقاء الله مُحقّاً ، فإني لا أرى الموت إلا شهادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَماً.

قال: فقام زهير بن القَيْن البَجَليّ ، فقال لأصحابه: تكلَّمون أم أتكلم؟ قالوا: لا؛ بل تكلم ، فَحمِد الله فأثنَى عليه ثم قال: قد سمعْنا ـ هَداك الله ـ يا بنَ رسول الله مقالتَك ، والله لو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنا فيها مخلَّدين إلا أنّ فراقها في نصرك ومواساتك؛ لآثرْنا الخروجَ معك على الإقامة فيها.

قال: فدعا له الحسين ثم قال له خيراً ، وأقبل الحُرّ يسايره وهو يقول له: يا حسين! إني أذكّرك اللهَ في نفسك ، فإنّي أشهد لئن قاتلتَ لتُقتلن ، ولئن قوتلتَ لتهلكنّ فيما أرى ، فقال له الحسين: أفبالموت تخوّفني! وهل يعدو بكم الخَطْب أن تقتلوني! ما أدري ما أقول لك! ولكن أقول كما قال أخو الأوْس لابن عمه ، ولقيَه وهو يريد نُصرةَ رسولِ الله ﷺ ، فقال له: أين تذهب؟ فإنك مقتول؛ فقال:

سأَمضِي وما بالموتِ عارٌ على الفتَى ... إذا ما نَوَى حقّاً وجاهدَ مسلمَا
وآسى الرجالَ الصالِحينَ بنفسِه ... وفارق مثبوراً يَغُشُّ ويُرْغما

قال: فلما سمع ذلك منه الحُرّ تنحّى عنه ، وكان يسير بأصحابه في ناحية وحسين في ناحية أخرى ، حتى انتهوا إلى عُذيب الهِجانات ، وكان بها هَجائن النعمان تَرعَى هنالك ، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم ، يجنبُون فرساً لنافع بن هلال يقال له: الكامل ، ومعهم دليلُهم الطِّرِمّاح بن عديّ على فرسه ، وهو يقول:

يا ناقتِي لا تُذعَرِي من زَجْرِي ... وشمّري قبلَ طلوعِ الفَجْرِ
بخيرِ رُكْبانٍ وخيرِ سَفْرِ ... حتَّى تَحِلِّي بكريمِ النَّجْرِ
الماجِدِ الحرِّ رَحيبِ الصدرِ ... أَتَى بهِ اللهُ لخيرِ أَمْرِ
ثُمّتَ أبقاه بقاءَ الدَّهرِ

قال: فلما انتهوا إلى الحسين أنشَدوه هذه الأبيات ، فقال: أما والله إني لأرجو

أن يكون خيراً ما أراد الله بنا ، قُتلنا أم ظَفرنا؛ قال: وأقبل إليهم الحرّ بن يزيدَ فقال: إن هؤلاء النفرَ الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك ، وأنا حابسهم أو رادّهم ، فقال له الحسين: لأمنعنّهم مما أمنع منه نفسي ، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني ، وقد كنتَ أعطيتَني ألاّ تَعرض لي بشيء حتى يأتيَك كتاب من ابن زياد ، فقال: أجلْ ، لكن لم يأتوا معك ، قال: هم أصحابي ، وهم بمنزلة من جاء معي ، فإن تممتَ على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتُك؛ قال: فكفَّ عنهم الحرّ؛ قال: ثمّ قال لهم الحسين: أخبِروني خبرَ الناس وراءكم ، فقال له مجمِّع بن عبد الله العائذيّ ، وهو أحد النَّفر الأربعة الذين جاؤوه: أما أشراف الناس فقد أعظِمتْ رِشوَتُهم ، ومُلئت غَرائرُهم ، يُستمال ودّهم ، ويستخلص به نصيحتهم ، فهم ألْبٌ واحدٌ عليك ، وأما سائر الناس بعد ، فإنّ أفئدتهم تَهوي إليك ، وسيوفَهم غداً مشهورة عليك؛ قال: أخبروني ، فهل لكم برسولي إليكم؟ قالوا: من هو؟ قال: قيس بن مُسْهر الصيْداويّ؛ فقالوا: نعم ، أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابنُ زياد أن يلعنك ويلعن أباك ، فصلى عليك وعلى أبيك ، ولعَنَ ابنَ زياد وأباه ، ودعا إلى نُصْرتك ، وأخبرهم بقدومك ، فأمر به ابن زياد فأُلقيَ من طَمارِ القصر. فترقرقتْ عينا حُسين عليه السلام ولم يملك دمعةَ ، ثم قال: ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ اللهم اجعلْ لنا ولهم الجنة نُزلا ، واجمع بيننا وبينهم في مستقرّ من رحمتك ، ورغائب مذخور ثوابك! (٥: ٤٠٣ ـ ٤٠٥)(١).

قال أبو مخنف: حدّثني جميل بن مَرْثد من بني مَعْن ، عن الطرمّاح بن عديّ: أنه دنا من الحسين فقال له: والله إني لأنظر فما أرى معك أحداً ، ولو لم يقاتلْك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازِميك لكان كفى بهم؛ وقد رأيتُ قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهرَ الكوفة وفيه من الناس ما لم تَر عيناي في صعيد واحد جَمْعاً أكثر منه ، فسألت عنهم ، قيل: اجتَمعوا ليُعرَضوا ، ثم يسرَّحون إلى الحسين ، فأنشِدُك الله إن قدرتَ على ألاّ تقدم عليهم شبراً إلاّ فعلت! فإن أردتَ أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك. ويستبين لك ما أنت صانع ، فسرْ حتى أنزلك مَناع جبلنا الذي يُدعَى أجَأ ، امتنعْنا والله به من ملوك غسّانَ وحميَر ومن

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر. والله إن دخل علينا ذلّ قطُّ؛ فأسير معك حتى أنزلك القُرَيّة ، ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجَأ وسَلمَى من طيّىء ، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيَك طيَىء رجالاً ورُكباناً ، ثم أقم فينا ما بدا لك ، فإن هاجك هَيْج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائيّ يَضربون بين يديك بأسيافهم ، والله لا يُوصَل إليك أبداً ومنهم عين تَطرف؛ فقال له: جزاك الله وقومَك خيراً! إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ، ولا ندري علامَ تَنصرف بنا وبهم الأمورُ في عاقبِه! (٥ : ٤٠٦)[١].

قال أبو مخنف: فحدّثني جميل بن مَرْثَد ، قال: حدّثني الطِّرِماح بن عَديّ ، قال: فودّعتُه وقلتُ له: دفع الله عنك شرّ الجن والإنس ، إنّي قد امترتُ لأهلي من الكوفة ميرةً ، ومعي نفقة لهم ، فآتيهم فأضع ذلك فيهم ، ثم أُقبل إليك إن شاء الله ، فإن ألحقك فوالله لأكوننّ من أنصارك؛ قال: فإن كنتَ فاعلاً فعجِّلْ رحمك الله؛ قال: فعلمتُ أنه مستوحشٌ إلى الرجال حتى يسألني التعجيل ، قال: فلما بلغتُ أهلي وضعتُ عندهم ما يصلحهم ، وأوصيت ، فأخذ أهلي يقولون: إنك لتصنع مَرّتَك هذه شيئاً ما كنتَ تصنعه قبل اليوم ، فأخبرتُهم بما أريد. وأقبلتُ في طريق بني ثُعَل حتى إذا دنوتُ من عُذَيب الهجانات ، استقبلَني سَماعة بن بدر ، فنعاه إليّ ، فرجعت ، قال: ومضى الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل ، فنزل به ، فإذا هو بفسطاط مضروب. (٥ : ٤٠٦ ـ ٤٠٧)[٢].

قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد عن عامر الشَّعبي: أنّ الحسين بن عليّ رضي الله عنه قال: لمَن هذا الفساط؟ فقيل: لعبيد الله بن الحُرّ الجعفيّ؛ قال: ادعوه لي ، وبَعَثَ إليه ، فلما أتاه الرسول ، قال: هذا الحسين بن عليّ يدعوك؛ فقال عبيد الله بن الحُرّ: إنَّا لله وإنا إليه راجعون! والله ما خرجتُ من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها ، والله ما أريد أن أراه ولا يراني ، فأتاه الرسولُ فأخبَرَه ، فأخذ الحسين نعليْه فانتعل ، ثم قام فجاءه حتى دخل عليه ، فسَلّم وجلس ، ثمّ دعاه إلى الخروجِ معه ، فأعاد إليه ابن الحُرّ تلك المقالة ، فقال: فإلا تنصرْنا فاتّق الله أن تكونَ ممّن يقاتلنا ، فوالله لا يسمع واعيَتنا

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك؛ قال: أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله ، ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رَحلَه. (٥ : ٤٠٧)[1].

قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمن بن جُنْدُب عن عقبة بن سِمْعان قال: لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء ، ثم أمَرَنا بالرحيل ، ففعلْنا؛ قال: فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرْنا ساعةً خفق الحسين برأسه خَفْقة ، ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين؛ قال: ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً ، قال: فأقبل إليه ابنُه عليّ بن الحسين على فرس له فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين ، يا أبتِ جُعلْت فداك! مِمَّ حمِدتَ الله واسترجعتَ؟ قال: يا بنيّ ، إني خفقتُ برأسي خَفْقَةً فعنّ لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تَسرِي إليهم ، فعلمتُ أنها أنفسُنا نُعيَتْ إلينا ، قال له: يا أبتِ! لا أراك الله سوءاً ، ألسْنا على الحقّ! قال: بلى والذي إليه مرجع العباد؛ قال: يا أبت ، إذاً لا نبالي ، نموت محقِّين ، فقال له: جزاك الله من وَلدٍ خيرَ ما جزَى وَلَداً عن والده؛ قال: فلما أصبح نزل فصلى الغداة ، ثمّ عجّل الركوب ، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم ، فيأتيه الحُرّ بن يزيدَ فيردّهم فيردّه ، فجعل إذا ردّهم إلى الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا ، فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نِينَوَى؛ المكان الذي نزل به الحسين؛ قال: فإذا راكبٌ على نجيب له وعليه السلاح متنكّب قوساً مُقبلٌ من الكوفة ، فوقفوا جميعاً ينتظرونه ، فلما انتهَى إليهم سلّم على الحُرّ بن يزيد وأصحابه ، ولم يسلّم على الحسين عليه السلام وأصحابه ، فدفع إلى الحُرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد فإذا فيه: أما بعد ، فجَعْجِعْ بالحسين حين يبلغُك كتابي ، ويَقدُم عليك رسولي ، فلا تُنزله إلا بالعَراء في غير حصن وعلى غير ماء ، وقد أمرتُ رسولي أن يلزَمك ولا يفارقك حتى يأتيَني بإنفاذك أمري؛ والسلام.

قال: فلما قرأ الكتاب قال لهم الحرُّ: هذا كتاب الأمير عُبيد الله بنِ زياد يأمرني فيه أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابُه ، وهذا رسوله ، وقد أمره ألا يفارقني حتى أنفِذ رأيَه ، وأمْرَه ، فنظر إلى رسول عُبيد الله يزيدُ بن زياد بن

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

المهاصِر أبو الشعثاء الكِنْديّ ثم البهدليّ فعنّ له ، فقال: أمالك بن النُّسير البَدّيّ؟ قال: نعم ـ وكان أحد كِنْدة ـ فقال له يزيد بن زياد: ثكلتْك أمك! ماذا جئتَ فيه؟ قال: وما جئتُ فيه! أطعتُ إمامي ، ووفيتُ ببَيْعتي ، فقال له أبو الشعثاء: عصيتَ ربّك ، وأطعتَ إمامك في هلاك نفسك ، كسبت العار والنار ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ ، فهو إمامك. قال: وأخذ الحرُّ بن يزيدَ القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية ، فقالوا: دَعْنا نَنزِلْ في هذه القرية ، يعنون: نِينَوَى ـ أو هذه القرية ـ يعنون: الغاضريّة ـ أو هذه الأخرى ـ يعنون: شُفَيّة. فقال: لا والله ما أستطيع ذلك ، هذا رجل قد بعث إليّ عيناً ، فقال له زهير بن القَيْن: يا بن رسول الله ، إن قتال هؤلاء أهوَن من قتال من يأتينا من بعدِهم ، فلعَمري ليأتينا من بَعدُ من ترى ما لا قِبَل لنا به؛ فقال له الحسين: ما كنتُ لأبدأهم بالقتال؛ فقال له زهير بن القين: سرْ بنا إلى هذه القرية حتى تَنزلها فإنها حصينة ، وهي على شاطىء الفرات ، فإنْ منعونا قاتلْناهم ، فقتالُهم أهوَنُ علينا من قتال من يجيء من بعدهم؛ فقال له الحسين: وأية قرية هي؟ قال: هي العَقْر ، فقال الحسين: اللهم إني أعوذ بك من العَقْر ، ثم نزل ، وذلك يوم الخميس ، وهو اليوم الثاني من المحرّم سنة إحدى وستين فلما كان من الغد قدم عليهم عمرُ بن سعد بن أبي وقّاص من الكوفة في أربعة آلاف. قال: وكان سبب خروج ابن سعد إلى الحسين عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكُوفة يسير بهم إلى دَسْتَبَى ، وكانت الديلَم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها ، فكتب إليه ابنُ زياد عهدَه على الرَّيّ ، وأمَرَه بالخروج.

فخرج معسكِراً بالناس بحمّام أعيَن ، فلمّا كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابنُ زياد عمرَ بن سعد ، فقال: سرْ إلى الحسين ، فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرتَ إلى عملك ، فقال له عمر بن سعد: إنْ رأيتَ ـ رحمك الله ـ أن تُعفِيَني فافعل ، فقال له عبيد الله: نعم ، على أن تردّ لنا عهدَنا؛ قال: فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد: أمهلْني اليومَ حتى أنظرَ؛ قال: فانصرف عمر يستشير نُصَحاءه ، فلم يكن يستشير أحداً إلا نهاه ، قال: وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة ـ وهو ابن أخته ـ فقال: أنشُدكَ الله يا خال أن تسير إلى الحسين فتأثم بربّك ،

وتقطعَ رحِمَك! فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلِّها لو كان ذلك ، خيرٌ لك من أن تَلقَى اللهَ بدم الحسين! فقال له عمر بن سعد: فإني أفعل إن شاء الله. (٥: ٤٠٧ ـ ٤٠٩)[1].

قال هشام: حدّثني عوانة بن الحَكَم عن عمّار بن عبد الله بن يسار الجُهَنيّ ، عن أبيه ، قال: دخلتُ على عمرَ بن سعد ، وقد أُمِر بالمسير إلى الحسين ، فقال لي: إن الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين ، فأبيتُ ذلك عليه ، فقلتُ له: أصاب الله بك ، أرشَدَك الله ، أجِلْ فلا تفعل ولا تَسِرْ إليه. قال: فخرجتُ من عنده ، فأتاني آتٍ وقال: هذا عمُر بن سعد يَندب الناسَ إلى الحسين؛ قال: فأتيتُه فإذا هو جالس ، فلما رآني أعرَض بوجهِه فعرفتُ أنه قد عزم على المسير إليه ، فخرجتُ من عنده؛ قال: فأقبل عمر بن سعد إلى ابن زياد فقال: أصلحك الله! إنك ولَّيتَني هذا العمل ، وكتبت لي العهد ، وسَمع به الناسُ ، فإن رأيتَ أن تنفذ لي ذلك فافعلْ وابعثْ إلى الحسين في هذا الجيش من أشراف الكوفة من لستُ بأغنى ولا أجزأ عنك في الحرب منه؛ فسمّى له أناساً ، فقال له ابن زياد: لا تُعلِمني بأشراف أهل الكُوفة ، ولست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث ، إن سرتَ بجندنا ، وإلا فابعث إلينا بعهدنا ، فلما رآه قد لجّ قال: فإني سائر؛ قال: فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نِينوَى.

قال: فبعث عُمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عَزْرة بن قيس الأحمَسيّ ، فقال: ائته فسَلْه ما الّذي جاء به؟ وماذا يريد؟ وكان عَزْرة ممن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيَه ، قال: فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه ، فكلُّهم أبى وكرهه ، قال: وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبيّ ـ وكان فارساً شجاعاً ليسَ يُردّ وجهَه شيءٌ ـ فقال: أنا أذهب إليه ، والله لئن شئتَ لأفتكنّ به ، فقال له عمر بن سعد: ما أريد أن يُفتك به ، ولكن ائته فسَلْه ما الذي جاء به؟ قال: فأقبل إليه ، فلما رآه أبو ثمامة الصائديّ قال للحسين: أصلحك الله أبا عبد الله! قد جاءك شرُّ أهل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه ، فقام إليه ، فقال: ضَعْ سيفَك؛ قال: لا والله ولا كرامة ، إنما أنا رسول ، فإن سمعتم مني أبلغتُكم ما أرسِلتُ به

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

إليكم ، وإن أبيتم انصرفتُ عنكم؛ فقال له: فإني آخذٌ بقائِم سيفك ، ثم تكلمُ بحاجتك ، قال: لا والله ، لا تمسّه فقال له: أخبرني ما جئتَ به وأنا أبلِغه عنك ، ولا أدعُك تدنو منه ، فإنك فاجر؛ قال: فاستبّا ، ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ، قال: فدعا عمر قرّة بن قيس الحنظليّ فقال له: وَيحْك يا قرّة! القَ حسيناً فسَله ما جاء به؟ وماذا يريد؟ قال: فأتاه قرّة بن قيس ، فلما رآه الحسين مقبلاً قال: أتعرفون هذا؟ فقال حبيب بن مُظاهر: نعم ، هذا رجل من حنظلة تميميّ ، وهو ابن أختنا ، ولقد كنتُ أعرفه بحسن الرأي ، وما كنتُ أراه يشهدُ هذا المشهد ، قال: فجاءَ حتى سلّم على الحسين ، وأبلغه رسالةَ عمر بن سعد إليه له ، فقال الحسين: كتب إليّ أهلُ مصركم هذا أنْ اقدَم ، فأما إذ كَرهوني فأنا أنصرف عنهم؛ قال: ثم قال له حبيب بن مظاهر: وَيْحك يا قرة بن قيس! أنّى ترجع إلى القوم الظالمين! انصرْ هذا الرجل الذي بآبائه أيّدك الله بالكرامة وإيّانا معك؛ فقال له قرّة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته ، وأرَى رأيي؛ قال: فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ، فقال له عمر بن سعد: إني لأرجو أن يعافيَني الله من حربه وقتاله. (٥: ٤٠٩ ـ ٤١١).

قال هشام: عن أبي مخنف ، قال: حدّثني النضر بن صالح بن حبيب بن زهير العبسيّ ، عن حسان بن فائد بن بكير العبسيّ ، قال: أشهد: أن كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد وأنا عنده فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإني حيث نزلتُ بالحسين بعثتُ إليه رسولي ، فسألته عما أقدَمَه ، وماذا يطلب ويسأل ، فقال: كتب إليَّ أهلُ هذه البلاد وأتتْني رسُلهم ، فسألوني القدومَ ففعلت؛ فأما إذ كرهوني فبدَا لهم غير ما أتتْني به رُسُلهم ، فأنا منصرفٌ عنهم ، فلما قُرِىء الكتاب على ابن زياد قال:

الآن إذا عَلِقَتْ مَخالِبُنا بِهِ ... يرجو النجاةَ ولاتَ حِينَ مناصِ!

قال: وكتب إلى عمَر بن سعد:

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، أما بعد ، فقد بلغني كتابُك ، وفهمتُ ما ذكرتَ ، فاعرِض على الحسين أن يبايع ليزيدَ بن معاوية هو وجميع أصحابه ، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا ، والسلام.

قال: فلما أتى عمرَ بن سعد الكتابُ ، قال: قد حسبتُ ألاّ يقبل ابن زياد العافية. (٥: ٤١١ ـ ٤١٢)(١).

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الأزديّ ، قال: جاء من عُبيد الله بن زياد كتاب إلى عمرَ بن سعد: أما بعد ، فُحلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ولا يذوقوا منه قطرة ، كما صُنع بالتقىّ الزّكيّ المظلوم أميرِ المؤمنين عثمان بن عفان ، قال: فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجّاج على خمسمئة فارس ، فنزلوا على الشريعة ، وحالوا بين حسين وأصحابه ، وبين الماء أن يُسقَوا منه قطرة ، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث. قال: ونازَلَه عبد الله بن أبي حُصين الأزديّ ـ وعِداده في بَجيلة ـ فقال: يا حسين ! ألا تنظر إلى الماء كأنه كَبد السماء! والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عَطشاً؛ فقال حسين: اللهمّ اقتُله عَطَشاً ، ولا تَغفِرْ له أبداً. قال حميد بن مسلم: والله لعُدتُه بعد ذلك في مرضه ، فوالله الذي لا إله إلاّ هو لقد رأيتُه يَشرَب حتى يبغر ، ثم يقيء ، ثم يعود فيَشرَب حتى يبغر فما يَروَى ، فما زال ذلك دأبه حتى لَفَظ عصبه ، يعني نفسه ـ قال: ولما اشتدَّ على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه ، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ، وبعث معهم بعشرين قِربةً ، فجاؤوا حتى دنَوا من الماء ليلاً واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجمليّ ، فقال عمرو بن الحجاج الزبيديّ: من الرجل؟ فجيء فقال: فاشربْ هنيئاً ، قال: لا والله ، لا أشرب منه قطرةً وحسينٌ عطشان ومن ترى من أصحابه ، فطَلَعوا عليه ، فقال: لا سبيلَ إلى سقي هؤلاء ، إنما وُضِعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء، فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله: املؤوا قِرَبكم، فشدّ الرّجالة فملؤوا قِرَبهم ، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه ، فحمل عليهم العباس بن عليّ، ونافع بن هلال فكفوهم، ثم انصرفوا إلى رحالهم ، فقالوا: امضوا ، ووقَفوا دونهم ، فعطف عليهم عمرو بن الحجّاج وأصحابه واطَّردوا قليلاً، ثم إن رجلاً من صُداء طُعِن من أصحاب عمرو بن الحجاج طعنه نافع بن هلال ، فظنّ: أنها ليست بشيء ، ثم إنها انتقضت بعد ذلك، فمات

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

منها، وجاءَ أصحابُ حسين بالقِرَب فأدخلوها عليه. (٥: ٤١٢ ـ ٤١٣)[1].

قال أبو مخنف: حدّثني أبو جَنَاب، عن هانيء بن ثُبَيْت الحضرميّ ـ وكان قد شهد قتلَ الحسين، قال: بعث الحسينُ عليه السلام إلى عمَر بن سعد عمرو بن قرظةَ بن كعب الأنصاريّ: أن القَني الليلَ بين عسكري وعسكرك. قال: فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً، وأقبل حسين في مثلِ ذلك، فلما التقوْا أمر حسين أصحابَه أن يتنحّوا عنه، وأمر عمر بن سعد أصحابَه بمِثل ذلك؛ قال: فانكشفنا عنهما بحيث لا نسمَع أصواتَهما ولا كلامَهما؛ فتكلّما فأطالا حتى ذهب من الليل هَزِيعٌ، ثم انصرف كلٌّ واحد منهما إلى عسكره بأصحابه، وتحدّث الناس فيما بينهما؛ ظنّاً يظنّونه أنّ حسيناً قال لعمر بن سعد: اخرُج معي إلى يزيدَ بن معاوية وندع العسكرَيْن؛ قال عمر: إذنْ تُهدَم داري؛ قال: أنا أبنيها لك، قال: إذنْ تؤخذ ضِياعي؛ قال: إذن أعطيك خيراً منها من مالي بالحِجاز، قال: فتكرّه ذلك عمر؛ قال: فتحدَّث الناس بذلك، وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه. (٥: ٤١٣)[2].

قال أبو مخنف: وأمّا ما حدّثنا به المجالد بن سعيد والصَّقْعَب بن زهير الأزديّ وغيرهما من المحدّثين، فهو ما عليه جماعة المحدّثين، قالوا: إنه قال: اختاروا منّي خصالاً ثلاثاً: إمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرَى فيما بيني وبينه رأيَه، وإما أن تسيّروني إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئتم، فأكونَ رجلاً من أهلِه، لي ما لَهم وعليَّ ما عليهم. (٥: ٤١٣)[3].

قال أبو مخنف: فأما عبد الرحمن بن جندَب فحدّثني عن عقبة بن سمْعان قال: صحبتُ حسيناً فخرجتُ معه من المدينة إلى مكة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أفارقْه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق، ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتُها ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس، وما يزعمون من أنَ يضع يده في يد يزيد بن معاوية،

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٣) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ولا أن يسيّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال: دعوني فلأذْهَبْ في هذه الأرض العريضة حتى ننظرَ ما يصير أمرُ الناس. (٥ : ٤١٣ ـ ٤١٤)[١].

قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد الهمْدانيّ والصّقعب بن زهير: أنهما كانا التقَيَا مراراً ثلاثاً أو أربعاً؛ حسين وعمر بن سعد ، قال: فكتب عمر بن سعد إلى عُبيد الله بن زياد: أما بعد ، فإن الله قد أطفأ النائرة ، وجمع الكلمة ، وأصلَح أمر الأمة ، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتَى ، أو أن نسيّره إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئنا ، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لَهم ، وعليه ما عليهم ، أو أن يأتيَ يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده ، فيرى فيما بينه وبينه رأيه ، وفي هذا لكم رضاً ، وللأمة صلاحٌ ، قال: فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لأميرِه ، مشفِق على قومِه ، نعمْ قد قبلتُ. قال: فقام إليه شمر بن ذي الجوشن. فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك! والله لئن رحل من بلدك ، ولم يضع يده في يدك ، ليكوننّ أولى بالقوّة والعزّة ولتكوننّ أولى بالضَّعف والعجز ، فلا تُعطِه هذه المنزلَة فإنها من الوَهَن ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبتَ فأنت وليّ العقوبة ، وإن غفرتَ كان ذلك لك ، واللهِ لقد بلغني: أنَّ حسيناً وعمر بن سعد يجلسان يبن العسكرين فيتحدّثان عامّة الليل ، فقال له ابن زياد: نعم ما رأيتَ! الرأيُ رأيُك. (٥ : ٤١٤)[٢].

قال أبو مخنف: فحدّثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم ، قال: ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد دعا شَمِر بنَ ذي الجَوْشن فقال له: اخرجْ بهذ الكتاب إلى عُمَر بن سعد فلْيعرض على الحسين وأصحابه النزول على حُكمِي ، فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ مسلماً ، وإن هم أبَوا فليقاتلْهم فإن فعل فاسمع له وأطع ، وإن هو أبى فقاتِلهم ، فأنت أمير الناس. وثِبْ عليه فاضرب عنقه ، وابعث إليَّ برأسه[٣]. (٥ : ٤١٤).

قال أبو مخنف: حدّثني أبو جَناب الكلبيّ ، قال: ثم كتب عبيد الله بن زياد

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٣) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

إلى عمر بن سعد: أما بعد: فإني لم أبعثك إلى حسين لتكفّ عنه ولا لتطاوِلَه، ولا لتمنِّـيَه السلامة والبقاء، ولا لتقعدَ له عندي شافعاً... انظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوْا فازحف إليهم حتى تقتُلَهم وتمثِّل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتِل حسين فأوْطئ الخيلَ صدرَه وظهرَه، فإنه عاقّ مشاقّ، قاطع ظلوم، وليس دهري في هذا أن يُضَرّ بعد الموت شيئاً، ولكن عليَّ قول لو قد قلتُه فعلت هذا به، إن أنتَ مضيتَ لأمرِنا فيه جَزَيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيتَ فاعتزِلْ عمَلَنا وجندَنا، وخلِّ بين شمِر بن ذي الجوْشن وبين العسكر، فإنا قد أمرناه بأمرنا، والسلام[1]. (٥: ٤١٥).

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حَصيرة، عن عبد الله بن شريك العامريّ قال: لمّا قبض شمر بن ذي الجوشَن الكتاب قام هو وعبد الله بن أبي المحلّ وكانت عمته أمّ البنين ابنة حزام عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فولدتْ له العبّاسَ وعبَد الله وجعفراً وعثمانَ - فقال عبد الله بن أبي المحلّ بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير! إن بني أختنا مع الحسين، فإن رأيتَ أن تكتب لهم أماناً فعلت؛ قال: نعم ونعمةَ عَيْن. فأمر كاتبه، فكتب لهم أماناً، فبعث به عبد الله بن أبي المحلّ مع مولىً له يقال له: كُزمان، فلما قدم عليهم دعاهم، فقال: هذا أمانٌ بعثَ به خالكم، فقال له الفتية: اقرئ خالَنا السلام، وقل له: أن لا حاجةَ لنا في أمانكم، أمانُ الله خيرٌ من أمان ابن سمية. قال: فأقبل شمِر بن ذي الجَوْشن بكتاب عبَيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلما قدم به عليه فقرأه عليه قال له عمر: مالَك ويْلَك! لا قرّب الله دارَك، وقبّح الله ما قدمت به عليّ! والله إني لأظنُّك أنت ثـنَيتَه أن يقبَل ما كتبتُ به إليه، أفسدت علينا أمراً كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إنّ نفساً أبيّةً لبَيْن جنبَيْه، فقال له شَمِر: أخبِرْني ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوّه، وإلا فخلّ بيني وبين الجند والعسكر؛ قال: لا ولا كرامةَ لك، وأنا أتولّى ذلك؛ قال: فدونك، وكن أنت على الرّجال؛ قال: فنهض إليه عشيّة الخميس لتسعٍ مضَين من المحرّم؛ قال: وجاء شمِر حتى وقف على أصحاب الحسين،

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

فقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو عليّ ، فقالوا له: ما لَك وما تريد؟ قال: أنتم يا بني أختي آمنون؛ قال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك! لئن كنت خالنا أتؤمّننا وابن رسول الله لا أمانَ له! قال: ثمّ إنّ عمر بن سعد نادى: يا خيلَ الله اركبي وأبشري ، فركِب في الناس ، ثم زحف نحوَهم بعد صلاة العصر ، وحسين جالس أمامَ بيته محتبياً بسيفه ، إذ خفق برأسه على ركبَتَيْه ، وسمعتْ أخته زينت الصيحة فدنتْ من أخيها ، فقالت: يا أخي ، أما تسمع الأصوات قد اقتربت! قال: فرفع الحسينُ رأسه فقال: إنّي رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا؛ قال: فلطمتْ أختُه وجهَها وقالت: يا ويلنا! فقال: ليس لكِ الويل يا أخيّة ، اسكّني رحمكِ الرّحمن! وقال العباس بن عليّ: يا أخي أتاك القومُ؛ قال: فنهض ثم قال: يا عباس اركَب بنَفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم؟ وما بدَا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم؟ فأتاهم العباس؛ فأستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر ، فقال لهم العباس: ما بدا لكم؟ وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نَعرِض عليكم أن تنزلوا على حُكمه أو ننازِلكم؛ قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرِض عليه ما ذكرتم؛ قال: فوقفوا ثم قالوا: القَه فأعلِمه ذلك ، ثمّ القنَا بما يقول؛ قال: فانصرف العبّاس راجعاً يركض إلى الحسينَ يُخبره بالخبر ، ووقف أصحابُه يخاطبون القومَ ، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلِّم القومَ إن شئتَ ، وإن شئتَ كلمتُهم ، فقال له زهير: أنت بدأت بهذا ، فكن أنت تكلّمهم ، فقال له حبيب بن مظاهر: أما والله لبئسَ القومُ عند الله غداً قومٌ يقدَمون عليه قد قتلوا ذرّية نبيّه عليه السلام وعترتَه وأهلَ بيته ﷺ وعبّاد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار ، والذاكرِين اللهَ كثيراً؛ فقال له عَزْرة بن قيس: إنك لتُزكّي نفسك ما استطعتَ ، فقال له زهير: يا عَزْرة ، إنّ الله قد زكّاها وهداها ، فاتَق الله يا عزرة ، فإني لك من الناصحين ، أنشُدُك اللهَ يا عَزْرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكيّة! قال: يا زهير ، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت ، إنما كنتَ عثمانياً ، قال: أفَلستَ تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم! أما والله ما كتبتُ إليه كتاباً قطّ ، ولا أرسلتُ إليه رسولاً قطّ ، ولا وعدتُه نُصرتي قطّ ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه ، فلما رأيته ذكرتُ به رسولَ الله ﷺ ومكانَه منه ، وعرفت ما يقدم عليه من عدوّه وحزبكم ، فرأيت أن أنصرَه ، وأن أكون في

حزبه ، وأن أجعل نفسي دونَ نفسه ، حِفظاً لما ضيّعتم من حقّ الله وحقّ رسوله عليه السلام ، قال: وأقبل العبّاس بن عليّ يركض حتى انتهى إليهم ، فقال: يا هؤلاء ، إنّ أبا عبد الله يسألكم أن تَنصرِفوا هذه العشيّة حتى ينظر في هذا الأمر ، فإنّ هذا أمرٌ لم يُجْرِ بينكم وبينه فيه مَنطقٌ ، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله ، فإمّا رضيناه فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه ، أو كرهْنا فردَدْناه ، وإنما أراد بذلك أن يردّهم عنه تلك العشيّة حتى يأمر بأمره ، ويوصي أهله ، فلما أتاهم العباس بن عليّ بذلك قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمِر؟ قال: ما ترى أنت ، أنت الأمير والرأي رأيك؛ قال: قد أردت ألاّ أكون؛ ثم أقبل على الناس فقال: ماذا ترون؟ فقال عمرو بن الحجّاج بن سلمة الزُّبيديّ: سبحان الله! والله لو كانوا من الدّيلم ثم سألوك هذه المنزلةَ لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها؛ وقال قيس بن الأشعث: أجِبْهم إلى ما سألوك ، فلَعَمري ليصبحُنّك بالقتال غُدْوة؛ فقال: والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرجتُهم العشيّة؛ قال: وكان العباس بن عليّ حين أتى حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد قال: ارجع إليهم ، فإن استطعتَ أن تؤخّرَهم إلى غُدْوة وتدفعَهم عند العشيّة لعلنا نصلّي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يَعلم أني قد كنتُ أحبّ الصلاة له وتلاوةَ كتابه وكثرةَ الدعاء والاستغفار! [١] (٥: ٤١٥ ـ ٤١٧).

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن حَصِيرة ، عن عبد الله بن شريك العامريّ ، عن عليّ بن الحسين قال: أتانا رسولٌ من قِبَل عمر بن سعد فقام مثل حيث يُسمَع الصوت ، فقال: إنا قد أجّلناكم إلى غد ، فإن استسلمتم سرّحنا بكم إلى أميرنا عُبيد الله بن زياد ، وإن أبَيتم فلسنا تارِكِيكُمْ [٢]. (٥/ ٤١٧ ـ ٤١٨).

قال أبو مخنف: وحدّثني عبد الله بن عاصم الفائشيّ ، عن الضحاك بن عبد الله المشرقي ـ بَطْن من هَمْدان ـ: أنّ الحسين بن عليّ عليه السلام جمع أصحابه [٣]. (٥: ٤١٨).

قال أبو مِخْنف: وحدّثني أيضاً الحارث بن حَصيرة عن عبد الله بن شريك

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٣) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

العامريّ ، عن عليّ بن الحسين ، قالا : جمع الحسين أصحابَه بعد ما رجع عمر بن سعد ، وذلك عند قرب المساء ، قال عليّ بن الحسين : فدنوتُ منه لأسمع وأنا مريض ، فسمعتُ أبي وهو يقول لأصحابه : أُثني على الله تبارك وتعالى أحسنَ الثناء ، وأحمده على السرّاء والضرّاء ، اللهم إنِّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة ، وعلّمتنا القرآن ، وفقّهتنا في الدين ، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ، ولم تجعلنا من المشركين ؛ أما بعد ، فإني لا أعلم أصحاباً أولَى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصلَ من أهل بيتي ، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً ؛ ألا وإني أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً ، ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ، ليس عليكم منّي ذِمام ، هذا ليلٌ قد غشيكم ، فاتّخِذوه جَمَلا[1]. (٥ : ٤١٨).

قال أبو مخنف : حدّثنا عبد الله بن عاصم الفائشيّ ـ بطن من هَمْدان ـ عن الضّحاك بن عبد الله المشرقيّ ، قال : قدمت ومالك بن النضر الأرحبيّ على الحسين ، فسلّمنا عليه ، ثم جلسنا إليه ، فردّ علينا ، ورحَّب بنا ، وسألنا عما جئنا له ، فقلنا : جئنا لنسلّم عليك ، وندعوَ الله لك بالعافية ، ونحدِثَ بك عهداً ، ونخبرك خبر الناس ، وإنا نحدّثك أنهم قد جمعوا على حربك فرَ رأيك . فقال الحسين عليه السلام : حسبي الله ونعم الوكيل! قال : فتذممنا وسلمنا عليه ، ودعَوْنَا اللهَ له ، قال : فما يمنعكما من نُصرتي؟ فقال مالك بن النّضر : عليّ دَين ، ولي عيال ، فقلتُ له : إنّ عليّ دَيناً ، وإنّ لي لعيالاً ، ولكن إن جعلتني في حِلٍّ من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً ، وعنك دافعاً! قال : قال : فأنت في حلٍّ ؛ فأقمتُ معه ، فلما كان الليل قال : هذا الليل قد غشيكم ، فاتَّخِذُوه جَمَلا ، ثم ليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، تفرّقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله ، فإنّ القوم إنما يطلبوني ، ولو قد أصابوني لهَوْا عن طَلِب غيري ؛ فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر : لِمَ نفعل؟ لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبداً ؛ بدأهم بهذا القول العباس بن عليّ ، ثم إنهم تكلّموا بهذا ونحوه ، فقال الحسين عليه السلام : يا بني عقيل ، حسبكم من القتل بمسلم ، اذهبوا قد أذنتُ لكم ؛ قالوا : فما يقول

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

الناس! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ، ولم نرْم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برُمح ، ولم نضربْ معهم بسيف ، ولا ندري ما صنعوا! لا والله لا نفعل ولكن تَفدِيك أنفسنا وأموالُنا وأهلُونا ، ونقاتل معك حتى نَرِدَ مَوردكَ ، فقبح الله العيش بعدَك[1]! (٥ : ٤١٨ ـ ٤١٩).

قال أبو مخنف: حدّثني عبد الله بن عاصم ، عن الضّحاك بن عبد الله المِشرقيّ ، قال: فقام إليه مسلم بن عَوْسجة الأسديّ فقال: أنحنُ نخلّي عنك ولمّا نُعذِر إلى الله في أداء حقك! أما والله حتى أكسرَ في صدورهم رُمْحي ، وأضربَهم بسيفي ما ثبت قائمهُ في يدي ، ولا أفارقك؛ ولو لم يكن معي سلاح أقاتلُهم به لقذفتُهم بالحجارة دونَك حتى أموت معك.

قال: وقال سعيد بن عبد الله الحنفيّ: والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبةَ رسول الله ﷺ فيك ، والله لو علمتُ أني أقتل ثم أحيا ثمّ أُحرَق حيّاً ثم أذرّ؛ يُفعلُ ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتُك حتى ألقَى حِمامي دونَك ، فكيف لا أفعل ذلك! وإنما هي قَتْلة واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

قال: وقال زهير بن القَيْن: والله لوددتُ أنّي قُتِلت، ثم نشِرت ، ثم قتِلت حتى أقتل كذا ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك ، قال: وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضُه بعضاً في وجه واحد ، فقالوا: والله لا نفارِقُك ، ولكنْ أنفسنا لك الفداء نَقِيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا ، فإذا نحن قُتلنا كنّا وَفيْنا ، وقَضينا ما علينا[2]. (٥ : ٤١٩ ـ ٤٢٠).

قال أبو مخنف: حدّثني الحارث بن كعب وأبو الضّحاك ، عن عليّ بن الحسين بن عليّ قال: إني جالس في تلك العشيّة التي قُتِل أبي صبيحتَها ، وعمتي زينب عندي تمرّضني؛ إذ اعتزلِ أبي بأصحابه في خِباء له ، وعنده حُوَيّ مولى أبي ذَرّ الغِفاريّ ، وهو يعالج سيفه ويصلِحُه وأبي يقول:

يا دهرُ أُفٍّ لك من خليلِ ... كم لك بالإشراقِ والأَصيلِ
مِن صاحبٍ أو طالبٍ قَتيلِ ... والدَّهر لا يقنعُ بالبَدِيلِ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

وإنمـــا الأَمـــرُ إلـــى الجليـــلِ وكـــلُّ حـــيٍّ سَـــالـــكُ السّبيـــل

قال: فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتى فهمتُها، فعرفتُ ما أراد، فخنقتْني عَبرتي، فرددتُ دمعي ولزمت السكون، فعلمتُ أنّ البلاء قد نزل؛ فأما عمتي فإنها سمعتْ ما سمعتُ، وهي امرأة، وفي النساء الرِّقَّة والجَزَع، فلم تملكْ نفسها أن وثبتْ تجرّ ثوبَها، وإنها لَحاسرة حتى انتهت إليه؛ فقالت: واثكْلاه! ليت الموتَ أعدَمَني الحياةَ! اليوم ماتت فاطمة أمي وعليّ أبي وحسن أخي، يا خليفة الماضي، وثِمال الباقي، قال: فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: يا أُخَيّة! لا يُذهبنَّ حِلمك الشيطان؛ قالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله! استقتلَت نفسي فِداك؛ فردّ غُصّته، وترقرقتْ عيناه، وقال: لو ترِك القَطَا لَيْلاً لنام؛ قالت: يا ويلَتي! أفتغصب نفسك اغتصاباً، فذلك أقْرَح لقلبي، وأشدُّ على نفسي! ولطمتْ وجهَها، وأهوَتْ إلى جَيْبها وشَقَّته، وخرَّت مغشيّاً عليها، فقام إليها الحسين فصبّ على وجهها الماء، وقال لها: يا أُخيّة! اتَّقي الله وتعزَّيْ بعزاء الله.. واعلمي: أنّ أهلَ الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يَبقْون، وأن كلّ شيء هالكٌ إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحدَه، أبي خيرٌ مني، وأمي خيرٌ مني، وأخي خيرٌ مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة؛ قال: فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أخيّة! إني أقسم عليك فأبرِّي قَسمي، لا تشقِّي عليّ جيباً، ولا تَخمِشي عليّ وجهاً، ولا تَدْعي عليّ بالوَيْل والثبُور إذا أنا هلكتُ؛ قال: ثم جاء بها حتى أجلسها عندي، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّبوا بعضَ بيوتهم من بعض، وأن يُدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوّهم[١]. (٥: ٤٢٠ ـ ٤٢١).

قال أبو مخنف: عن عبد الله بن عاصم، عن الضحاك بن عبد الله المِشْرَقيّ، قال: فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليلَ كلَّه يصلّون ويستغفرون، ويَدْعون ويتضرّعون، قال: فتمرّ بنا خيلٌ لهم تحرسنا، وإنّ حسيناً ليقرأ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾. فسمِعَها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا فقال: نحن وربِّ الكعبة الطيِّبون، مُيِّزنا منكم. قال: فعرفتُه فقلتُ لبُرَير بن حُضَير: تدري مَن هذا؟ قال: لا؛ قلت هذا أبو حَرْب السَّبِيعيّ عبد الله بن شهر - وكان مِضْحاكاً بَطّالاً، وكان شريفاً شُجاعاً فاتكاً، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في جناية - فقال له بُرير بن حُضَير: يا فاسق! أنتَ يجعلك الله في الطيِّبين! فقال له: من أنت؟ قال: أنا بُرَير بن حُضَير، قال: إنا لله! عزّ عليَّ! هلكتَ والله، هلكت والله يا بُرَير! قال: يا أبا حرب! هل لَك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام! فوالله إنا لنحن الطيِّبون، ولكنكم لأنتم الخَبيثون؛ قال: وأنا على ذلك من الشاهدينَ، قلتُ: ويحك! أفلا ينفعك معرفتُك! قال: جُعلت فداك! فمن ينادم يزيدَ بن عذرة العَنَزيّ من عَنَز بن وائل! قال: هاهو ذا معي؛ قال: قبح الله رأيَك على كلّ حال! أنت سفيه. قال: ثم انصرف عنّا، وكان الذي يحرُسنا بالليل في الخيل عَزْرة بن قيس الأحْمسيّ، وكان على الخيل؛ قال: فلما صلّى عمر بن سعد الغداةَ يوم السبت - وقد بلغَنا أيضاً أنه كان يوم الجمعة، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء - خرج فيمن معه من الناس.

قال: وعبّأ الحسين أصحابه، وصلّى بهم صلاةَ الغَداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، فجعل زهير بنَ القين في ميمنة أصحابه، وحبيبَ بن مُظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطَى رايتَه العباس بن عليّ أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيُوت يُحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم، قال: وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفِض كأنه ساقية، فحفروه في ساعة من الليل، فجعلوه كالخندق، ثمّ ألقَوْا فيه ذلك الحَطب والقصب، وقالوا: إذا عَدَوْا علينا فقاتَلُونا ألقَيْنا فيه النار كيلا نُؤتَى من ورائنا، وقاتلنا القوم من وجه واحد، ففعلوا، وكان لهم نافعاً[١]. (٥: ٤٢١ - ٤٢٢).

قال أبو مخنف: حدّثني فُضيل بن خَديج الكنديُّ عن محمد بن بشر، عن عمرو الحضرميّ، قال: لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على رُبْع أهل المدينة

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

يومئذ عبدُ الله بن زهير بن سُليم الأزديّ، وعلى رُبْع مُذْحِج وأسَد عبد الرحمن بن أبي سَبْرة الجعفيّ وعلى رُبْع ربيعة وكِنْدة قيس بن الأشعث بن قيس، وعلى ربع تميم وهمْدان الحرّ بن يزيد الرّياحيّ؛ فشهد هؤلاء كلُّهم مقتلَ الحسين إلا الحُرّ بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين، وقُتل معه، وجعل عمرُ على ميمنته عمرو بن الحجّاج الزُّبيديّ، وعلى ميسرته شَمر بن ذي الجوْشن بن شُرَحبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية ـ وهو الضِّباب بن كلاب ـ وعلى الخيل عزْرة بن قيس الأحمسيّ، وعلى الرّجال شَبَث بن رِبْعيّ الرياحيّ، وأعطى الراية ذُوَيداً مولاه[1]. (٥: ٤٢٢).

قال أبو مخنف: حدّثني عمرو بن مرّة الجمَليّ عن أبي صالح الحنفيّ، عن غلام لعبد الرّحمن بن عبد ربّه الأنصاريّ، قال: كنت مع مولاي، فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين؛ أمر الحسينُ بفساط فضُرب، ثم أمر بمسك، فميثَ في جَفنة عظيمة أو صَحْفة؛ قال: ثم دخل الحسين ذلك الفُسْطاطَ فتطلَّى بالنُّورة، قال: ومولاي عبدُ الرحمن بنُ عبد رّبه وبُرَير بن حُضَير الهمْدانيّ على باب الفُسْطاط تحتكّ مناكبهما، فازدحما أيهما يَطّلي على أثره، فجعل بريَر يهازل عبدَ الرحمن، فقال له عبد الرحمن: دعنا، فوالله ما هذه بساعة باطل، فقال له بُرَير: والله لقد علم قومي أني ما أحببتُ الباطل شابّاً ولا كَهْلاً، ولكنْ والله إنّي لمستبشرٌ بما نحن لاقون، والله إنْ بيننا وبين الحُور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولَوددتُ أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم، قال: فلما فرغ الحسين دخلنا فاطّلينا، قال: ثمّ إن الحسين ركب دابّته ودعا بمصحف فوضعه أمامَه؛ قال: فاقتتل أصحابُه بين يديه قتالاً شديداً، فلما رأيتُ القوم قد صُرِعوا أفلَتّ وتركتُهم[2]. (٥: ٤٢٢ ـ ٤٢٣).

قال أبو مخنف: عن بعض أصحابه، عن أبي خالد الكاهليّ، قال: لما صبّحت الخيل الحسينَ رفع الحسين يديه، فقال: اللهمّ أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزَل بي ثقة وعُدّة، كم من همّ يَضعُف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمَت فيه العدوّ أنزلتَه

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

بك ، وشكوته إليك ، رغبةً مني إليك عمّن سواك ، ففرّجته ، وكشفتَه ، فأنت وليّ كلّ نعمة ، وصاحب كلّ حسنة ، ومُنتَهى كلّ رغبة [١]. (٥ : ٤٢٣).

قال أبو مخنف : فحدّثني عبد الله بن عاصم ، قال : حدّثني الضحّاك المِشرقيّ قال : لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب الذي كنا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلا يأتونا من خَلفنا ؛ إذْ أقبل إلينا منهم رجل يَركُض على فرس كامل الأداة ، فلم يكلّمنا حتى مرّ على أبياتنا ، فنظر إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلاّ حطباً تلتهب النار فيه ، فرجع راجعاً ، فنادى بأعلى صوته : يا حسين ، استعجلتَ النارَ في الدنيا قبل يوم القيامة! فقال الحسين : مَن هذا؟ كأنه شَمِر بن ذي الجَوْشن! فقالوا : نعم ، أصلحك الله! هو هو ، فقال : يا بن راعية المِعْزَى ، أنت أَوْلى بها صلِيّاً؛ فقال له مسلم بن عَوْسَجَة : يا بن رسول الله ، جُعِلتُ فِداك! ألا أرميه بسهم! فإنه قد أمكنني ، وليس يَسقُط [منّي] سهم ، فالفاسق من أعظم الجَبّارين ، فقال له الحسين : لا ترمِه ، فإني أكره أن أبدأهم ، وكان مع الحسين فرس له يُدْعى لاحقاً حمل عليه ابنَه عليّ بن الحسين ؛ قال : فلما دنا منه القوم عاد براحلتِه فركبها ، ثم نادى بأعلى صوته دُعاءً يُسمع جُلَّ الناس : أيها الناس ! اسمَعوا قولي ، ولا تُعجلوني حتى أعِظَكم بما لحقٍّ لكم عليّ ، وحتى أعتذرَ إليكم من مقدَمي عليكم ، فإن قبلتم عذري ، وصدَّقتم قولي ، وأعطيتموني النَّصف ، كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم عليّ سبيل ، وإن لم تقبلوا منّي العذر ، ولم تُعطُوا النَّصَف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ ؛ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ . قال : فلما سمع أخواته كلامه هذا صِحْن وبكيْن ، وبكى بناته فارتفعت أصواتُهنّ ، فأرسل إليهن أخاه العباس بن عليّ وعليّاً ابنه ، وقال لهما : أسْكِتاهنَّ ، فلَعمري ليكثرن بكاؤهنّ؛ قال : فلما ذهبا ليُسكتاهنّ قال : لا يبْعد ابن عباس؛ قال : فظننا أنه إنما قالها حين سمع بكاؤهنّ ، لأنه قد كان نهاه أن يخرج بهنّ ، فلما سكتن حَمِد الله وأثنى عليه ، وذَكَر الله بما هو أهلُه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وعلى ملائكته وأنبيائه ، فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يُحصَى ذكرُه ، قال : فوالله ما سمعتُ متكلِّماً قطّ قبلَه ولا بعدَه أبلغَ في

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

منطق منه؛ ثم قال: أمّا بعد، فانسبوني فانظروا مَن أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا؛ هل يحلّ لكم قتلي وانتهاكُ حرمتي؟ ألستُ ابن بنت نبيِّكم ﷺ وابنَ وصيِّه وابن عمّه، وأوّل المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه! أوَليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي! أوَليس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي! أوَ لم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إنّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لي ولأخي: «هذان سيّدا شباب أهل الجنة»! فإن صدَّقتموني بما أقول ـ وهو الحقّ ـ فوالله ما تعمَّدت كذباً مذ علمتُ أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به من اختلقه، وإن كذَّبتموني فإنّ فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبَركم؛ سَلُوا جابرَ بنَ عبد الله الأنصاريّ، أو أبا سعيد الخُدْريّ، أو سهل بن سعد الساعديّ، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك؛ يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، أفَما في هذا حاجز لكم عن سَفك دمي؟! فقال له شَمِر بن ذي الجوشن: هو يَعبد الله على حَرْفٍ إن كان يدري ما يقول! فقال له حبيب بن مُظاهر: والله إني لأراك تَعبُد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول؛ قد طبع اللهُ على قلبك؛ ثم قال لهم الحسين: فإنْ كنتم في شكّ من هذا القول أفتشكّون أثَراً ما أنّي ابنُ بنت نبيّكم! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنتِ نبيّكم خاصّة. أخبروني، أتطلبوني بقتيل منكم قتلتُه، أو مالٍ لكم استهلكته، أو بقِصاص من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه، قال: فنادى: يا شَبَث بن رِبْعيّ، ويا حجّار بن أبجر! ويا قيس بن الأشعث! ويا يزيد بن الحارث! ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعَت الثمار، واخضرّ الجنَاب، وطمَّت الجمام، وإنما تقدُم على جند لك مُجنَّد، فأقبِلْ؟! قالوا له: لم نفعل، فقال: سبحان الله! بلى والله، لقد فعلتم! ثم قال: أيها الناس! إذْ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمَني من الأرض، قال: فقال له قيس بن الأشعث: أوَ لا تنزل على حكم بني عمّك، فإنهم لن يُرُوك إلا ما تحبّ، ولن يصل إليك منهم مكروه؟ فقال الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثَرَ من دم مسلم بن عَقيل، لا والله لا أعطيهم بيدي إعطَاء الذليل، ولا أقرُّ إقرارَ العبيد، عباد الله! ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾، ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾؛ قال: ثمّ إنه أناخ راحلته، وأمر عقبة بن سمِعْان فعقَلها،

وأقبلوا يزحفون نحوه[١] . (٥/ ٤٢٣ ـ ٤٢٦) .

قال أبو مخنف: فحدّثني عليّ بن حنظلة بن أسعد الشاميّ عن رجل من قومه شهد مقتلَ الحسين حين قُتِل يقال له: كثير بن عبد الله الشعبيّ؛ قال: لما زحفنا قِبَل الحسين خرج إلينا زُهير بن قَيْن على فرس له ذنوب شاكٍ في السلاح ، فقال: يا أهلَ الكوفة ! نَذارِ لكم من عذاب الله نَذار! إنّ حقّاً على المسلم نصيحةَ أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة ، وعلى دين واحد ، ومِلّة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم لنصيحة منا أهلٌ ، فإذا وقع السيف انقطعت العِصمة ، وكنا أمّة وأنتم أمة ، إنَّ الله قد ابتلانا وإياكم من بذرّيّة نبيه محمدﷺ لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخِذلان الطاغية عُبيد الله بن زياد ، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عُمْر سلطانهما كلِّه ، ليَسملانِّ أعينَكم ، ويقطّعانِّ أيديكم وأرجلَكم ، ويمثّلانِّ بكم ، ويرفعانّكم على جُذُوع النخل ، ويقتّلانِّ أماثلَكم وقُرّاءَكم ، أمثال حُجر بن عَديّ وأصحابه ، وهانئ بن عروة وأشباهه ، قال: فسبُّوه ، وأثنَوا على عُبيد الله بن زياد ، ودَعوا له ، وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومَنْ معه ، أو نبعثَ به وبأصحابه إلى الأمير عُبيد الله سِلْماً؛ فقال لهم: عباد الله ! إنَّ ولد فاطمة رضوان الله عليها أحقّ بالودّ والنصر من ابن سُمَيّة ، فإنْ لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم؛ فخلّوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيدَ بن معاوية ، فلَعَمري إنَّ يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين؛ قال: فرَماه شَمِر بن ذي الجوْشن بسهم وقال: اسكتْ أسكتَ الله نأمَتك ، أبرمْتَنا بكثرة كلامك! فقال له زهير: يا بنَ البَوّال على عَقبَيْه ، ما إيّاكَ أخاطب ، إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تُحكِم من كتاب الله آيتَين ، فأبشِرْ بالخزي يومَ القيامة والعذاب الأليم؛ فقال له شمِر: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة؛ قال: أفبالموت تُخوّفِني ؟! فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخُلد معكم ! قال: ثمّ أقبل على الناس رافعاً صوته ، فقال: عبادَ الله ! لا يغرّنّكم من دينكم هذا الجِلْف الجافي وأشباهه ، فوالله لا تنال شفاعةُ محمد ﷺ قوماً هَراقوا دماء ذُرّيته وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم وذبَّ عن حريمهم ، قال: فناداه رجل فقال له: إنّ أبا عبد الله يقول لك: أقبل ، فلَعمري لئن كان

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

مؤمنُ آل فرعون نصح لقومه وأبلَغ في الدعاء ، لقد نصحتَ لهؤلاء وأبلغتَ لو نفع النصح والإبلاغ![1] (٥ : ٤٢٦ ـ ٤٢٧) .

قال أبو مخنف : عن أبي جَناب الكَلْبي ، عن عديٍّ بن حرمَلة ، قال : ثمّ إنْ الُحرّ بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له : أصلحك الله! مُقاتِلٌ أنت هذا الرجل؟ قال : إي والله قتالاً أيسرُه أن تسقط الرؤوسُ وتطيح الأيدي ، قال : أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضاً؟ قال عمر بن سعد : أما والله لو كان الأمر إليَّ لفعلت ، ولكنّ أميركَ قد أبى ذلك؛ قال : فأقبل حتى وقف من الناس موقفاً ، ومعه رجل من قومه يقال له : قرّة بن قيس ، فقال : يا قرّة ! هل سقيتَ فرسَكَ اليوم؟ قال : لا؛ قال : إنما تريد أن تسقيَه؟ قال : فظننت والله أنه يريد أن يتنحَّى فلا يشهد القتالَ ، وكره أن أراه حين يصنع ذلك ، فيخاف أن أرفعه عليه؛ فقلت له : لم أسقه ، وأنا منطلِق فساقيه؛ قال : فاعتزلت ذلك المكانَ الذي كان فيه؛ قال : فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين؛ قال : فأخذ يدنو من حُسَين قليلاً قليلاً ، فقال له رجل من قومه يقال له : المهاجر ابن أوس : ما تريد يابن يزيدَ ؟! أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العُرَوَاء ، فقال له يا بن يزيد ، والله إنّ أمرك لمريب ، والله ما رأيتُ منك في موقف قطّ مثلَ شيء أراه الآن ، ولو قيل لي : مَن أشجع أهلِ الكوفة رجلاً ما عدوْتُك ، فما هذا الذي أرى منك ؟! قال : إني والله أخيِّر نفسي بين الجنة والنار ، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطِّعتُ وحُرِّقت؛ ثم ضرب فرسَه فلحِق بحسين عليه السلام ، فقال له : جعلني الله فِداك يا بن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستُك عن الرجوع ، وسايرتُك في الطريق. وجَعجعت بك في هذا المكان ، واللهِ الذي لا إله إلا هو ما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضتَ عليهم أبداً ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة ، فقلت في نفسي : لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ، ولا يرون أني خرجتُ من طاعتهم ، وأمّا هم فسيقبلون من حسين هذه الخصالَ التي يعرض عليهم ، ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبتُها منك؛ وإنّي قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربي ، ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك ، أفترى ذلك لي توبة؟! قال : نعم ، يتوب الله عليك ، ويغفر لك ، ما اسمك؟

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

قال: أنا الحُرّ بن يزيد؛ قال: أنت الحُرّ كما سمّتك أمك، أنت الحرّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة؛ انزلْ؛ قال: أنا لك فارساً خيرٌ منِّي راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمري، قال الحسين: فاصنع يَرحمك الله ما بدا لك! فاستقدم أمامَ أصحابه ثم قال: أيّها القوم، ألا تقبلون من حسين خَصلةً من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافيَكم الله من حربه وقتاله؟ قالوا: هذا الأمير عمر بن سعد فكلّمْه، فكلّمَه بمثل ما كلمه به قبل، وبمثل ما كلّم به أصحابه، قال عمر: قد حرصتُ، ولو وجدتُ إلى ذلك سبيلاً فعلت، فقال: يا أهل الكوفة، لأمِّكم الهَبَل والعُبْر إذْ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتُموه، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكَظْمه، وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه التوجّهَ في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهلُ بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يَملك لنفسه نفعاً، ولا يَدفع ضرّاً، وحلأتموه ونساءه وأصَيْبِيتَه وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهوديّ والمجوسيّ، والنصرانيّ، وتمرَّغُ فيه خنازير السواد وكلابه، وهاهم أولاء قد صرعهم العطش، بئسما خَلَفتم محمَّداً في ذريته! لا سقاكم الله يومَ الظمأ إن لم تتوبوا وتَنزِعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه! فحملتْ عليه رَجَّالة لهم ترميه بالنَّبل؛ فأقبل حتى وقف أمام الحسين[1]. (٥: ٤٢٧ ـ ٤٢٩).

قال أبو مخنف: عن الصّقعب بن زهير وسليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: وزحف عمر بن سعد نحوَهم، ثمّ نادى: يا ذوَيْد! أدْنِ رايتَك؛ قال: فأدناها ثم وضع سَهمه في كَبد قوسه، ثمّ رمى فقال: اشهَدوا أني أوّل مَنْ رمى[2]. (٥: ٤٢٩).

قال أبو مخنف: حدَّثني أبو جناب، قال: كان منا رجل يدعَى عبدَ الله بن عُمير من بني عُليم، كان قد نزل الكوفة، واتّخذ عند بئر الجَعْد من هَمْدان داراً، وكانت معه امرأةٌ له من النَّمِر بن قاسط يقال لها: أمّ وهب بنت عبد، فرأى القوم بالنُّخيلة يُعرَضون ليُسرَّحوا إلى الحسين، قال: فسأل عنهم، فقيل له: يسرّحون

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

إلى حسينِ بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ؛ فقال: والله لقد كنتُ على جهاد أهل الشرك حريصاً، وإني لأرجو ألاّ يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيّهم أيسرَ ثواباً عند الله من ثوابه إيَّاي في جهاد المشركين؛ فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سَمع، وأعلَمها بما يريد، فقالت: أصبتَ أصاب الله بك أرشدَ أمورك، افعلْ وأخرجْني معك؛ قال: فخرج بها لَيْلاً حتى أتى حسيناً، فأقام معه، فلما دنا منه عمر بنِ سعد ورمى بسهم ارتمى الناس، فلما ارتمَوْا؛ خرج يسار مولَى زياد بن أبي سفيان؛ وسالم مولى عُبيد الله بن زياد، فقالا: مَنْ يبارز؟ ليخرجْ إلينا بعضُكم، قال: فوثب حبيب بن مُظاهر؛ وبُرَيْرُ بن حُضَيْر، فقال لهما حسين: اجلسا؛ فقام عبد الله بن عمير الكلبيّ فقال: أبا عبد الله، رحمك الله! ائذن لي فلأخرج إليهما؛ فرأى حسين رجُلاً آدم طويلاً شديدَ الساعدين بعيدَ ما بين المنكبين، فقال حسين: إنِّي لأحسبه للأقران قتَّالاً، اخرجْ إن شئتَ؛ قال: فخرج إليهما، فقالا له: مَنْ أنت؟ فانتَسَب لهما، فقالا: لا نعرفك، ليخرجْ إلينا زهير بن القَيْن، أو حبيب بن مُظاهر، أو بُرير بن حُضَير، ويسار مُستنتِلٌ أمامَ سالم، فقال له الكلبيّ: يا بن الزانية! وبك رغبةٌ عن مُبارَزة أحد من الناس، وما يخرج إليك أحد من الناس إلا وهو خير منك؟ ثم شدَّ عليه فضربه بسيفه حتى برد، فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شدّ عليه سالم، فصاح به: قد رَهَقك العبد؛ قال: فلم يأبهْ له حتى غشيَه فبدَره الضّربة، فاتَّقاه الكلبيّ بيده اليسرى، فأطار أصابع كفه اليسرى، ثم مال عليه الكلبيّ فضربه حتى قتله، وأقبل الكلبيّ مرتجِزاً وهو يقول، وقد قتلهما جميعاً:

إنْ تُنكـرُونـي فـأَنـا ابـن كلـبِ ... حسْبـيَ بَيْتِـي فـي عُلَيـمٍ حَسْبـي

إن امـرُؤٌ ذو مِـرّةٍ وعصْـبِ ... ولسـتُ بـالخَـوَّارِ عنـدَ النكْـبِ

إنِّـي زعيـمٌ لـكِ أُمَّ وهـبِ ... بـالطعـنِ فيهـمْ مُقـدِمـاً والضـربِ

ضَـرْبِ غُـلام مـؤمـنٍ بـالـرَّبِّ

فأخذتْ أمّ وهب امرأته عموداً، ثم أقبلتْ نحو زوجها تقول له: فداك أبي وأمي! قاتِلْ دون الطيِّبين ذريّة محمد، فأقبل إليها يردّها نحو النّساء فأخذتْ تجاذب ثوبَه، ثمّ قالت: إني لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها حسين، فقال: جُزيتم من أهلِ بيت خيراً، ارجعي رحمكِ الله إلى النساء فاجلسي معهنّ،

فإنه ليس على النساء قتال؛ فانصرفت إليهنّ. قال: وحمَل عمرو بن الحجّاج وهو على ميمنة الناس في الميمنة، فلما أن دنا من حسين جَثَوْا له على الرُّكَب، وأشرَعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح، فذهبت الخيل لترجع، فرَشَقُوهم بالنَّبل، فصرعوا منهم رجالاً، وجَرَحوا منهم آخرين [١]. (٥: ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

قال أبو مخنف: فحدّثني حسين أبو جعفر، قال: ثمّ إنّ رجلاً من بني تميم ـ يقال له: عبد الله بن حَوْزة ـ جاء حتى وقف أمام الحسين، فقال: يا حسين، يا حسين! فقال حسين: ما تشاء؟ قال: أبشرْ بالنار؛ قال: كلاّ، إني أقدِم على ربّ رحيمٍ، وشفيع مطاع، من هذا؟ قال له أصحابه: هذا ابن حَوْزة، قال: ربِّ حُزْه إلى النار؛ قال: فاضطرب به فرسُه في جدْوَل فوقع فيه، وتعلّقتْ رجلُه بالركاب، ووقع رأسُه في الأرض ونَفر الفرس، فأخذ يمرُّ به فيضرب برأسه كلّ حجرٍ وكلّ شجرةٍ حتى مات [٢]. (٥: ٤٣٠ ـ ٤٣١).

قال أبو مخنف: وأمّا سُوَيد بن حَيَّة؛ فزعم لي: أنّ عبد الله بن حَوْزة حين وقع فرسه بقيتْ رجلُه اليسرى في الرّكاب، وارتفعت اليُمنى فطارت، وعَدا به فرسُه يضرب رأسه كلَّ حَجَر وأصل شجرة حتى مات [٣]. (٥: ٤٣١).

قال أبو مخنف: عن عطاء بن السائب، عن عبد الجبّار بن وائل الحضرميّ، عن أخيه مسروق بن وائل، قال: كنتُ في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لعلِّي أصيب رأسَ الحسين، فأصيب به منزلةً عند عُبيد الله بن زياد؛ قال: فلما انتهينا إلى حسين تقدّم رجلٌ من القوم يقال له: ابن حَوْزة، فقال: أفيكم حسين؟ قال: فسكَت حسينٌ؛ فقالها ثانية، فأسكت حتى إذا كانت الثالثة قال: قولوا له: نَعَم، هذا حسين، فما حاجتُك؟ قال: يا حسين، أبشرْ بالنار؛ قال: كذبتَ، بل أقدم على ربٍّ غفور وشفيع مطاع، فمَن أنت؟ قال: ابن حَوْزة؛ قال: فرفع الحسين يدَيه حتى رأينا بياض إبطَيْه من فوق الثياب، ثم قال: اللهمّ حُزْه إلى النار، قال: فغضب ابن حَوْزة، فذهب ليُقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر؛ قال: فعَلقتْ قدمُه بالرّكاب، وجالت به الفرس فسقط

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٣) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

عنها؛ قال: فانقطعت قدمه وساقُه وفخذُه، وبقيَ جانبه الآخر متعلقاً بالرّكاب، قال: فرجع مسروق وترك الخيلَ من ورائه؛ قال: فسألتُه، فقال: لقد رأيتُ من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً؛ قال: ونشب القتال[1]. (٥: ٤٣١).

قال أبو مخنف: وحدّثني يوسف بن يزيد، عن عَفيف بن زهير بن أبي الأخنس ـ وكان قد شهد مَقتلَ الحسين ـ قال: وخرج يزيد بن معقل من بني عَميرة بن ربيعة وهو حليف لبني سَليمة من عبد القيس، فقال: يا بُرَير بن حُضَير! كيف ترى الله صَنَع بك؟ قال: صنع اللهُ واللهِ بي خيراً، وصنع الله بك شرّاً؛ قال: كذبتَ، وقبل اليوم ما كنت كذّاباً، هل تذكر وأنا أماشيك في بني لوذان وأنت تقول: إنّ عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً، وإنّ معاوية بن أبي سُفيان ضالّ مُضلّ، وإن إمام الهدى والحقّ عليّ بن أبي طالب؟ فقال له برير: أشهد أنّ هذا رأيي وقولي؛ فقال له يزيد بن معقل: فإنّي أشهد أنك من الضالين؛ فقال له بُرَير بن حُضَير: هل لك فلأُباهِلْك، ولندْعُ اللهَ أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل، ثمّ اخرجْ فلأبارزك؛ قال: فخرجا فرفعا أيديَهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المُحقُّ المبطلَ؛ ثم برز كلّ واحد منهما لصاحبه، فاختلفا ضربتين، فضَرب يزيدُ بن معقل بُرَيْر بن حُضَير ضربةً خفيفة لم تضرّه شيئاً، وضربه برير بن حُضير ضربةً قدّت المِغفر، وبلغت الدّماغَ، فخرَّ كأنما هَوَى من حالق، وإن سيف ابنَ حُضَير لثابت في رأسه، فكأني أنظر إليه يُنْضنضه من رأسه، وحمل عليه رضيّ بن مُنقذ العبديّ فاعتنق بُرَيراً، فاعتركا ساعةً، ثمّ إنّ بُريراً قعد على صدره فقال رضيّ: أين أهل المِصاع والدفاع؟ قال: فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزديّ ليحمل عليه، فقلت: إنّ هذا بُرَير بن حُضير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد؛ فحمل عليه بالرّمح حتى وضعه في ظهره، فلمّا وجد مسَّ الرّمح برك عليه فعضّ بوجهه، وقطع طرف أنفه، فطعنه كعب بن جابر حتى ألقاه عنه، وقد غيّب السنانَ في ظهره، ثمّ أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله؛ قال عفيف: كأني أنظر إلى العبديِّ الصريع قام ينفض الترابَ عن قَبائه، ويقول: أنعمت عليّ يا أخا الأزد نعمةً لن أنساها أبداً؛ قال: فقلت: أنت رأيت هذا؟ قال: نعم، رأيَ عيني وسمْعَ أذني.

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

فلمَّا رجع كعب بن جابر قالت له امرأته ، أو أخته النَّوار بنت جابر : أعنتَ على ابن فاطمةَ ، وقتلتَ سيِّد القُرَّاء؛ لقد أتيتَ عظيماً من الأمر ، والله لا أكلِّمك من رأسي كلمةً أبداً.

وقال كعب بن جابر :

سَلِي تُخبَري عنّي وأَنتِ ذميمةٌ ... غَداةَ حُسينٍ والرِّماحُ شوارعُ
أَلمْ آتِ أَقصى ما كرهتِ ولَم يُخِلْ ... عليَّ غداةَ الرَّوْع ما أَنا صانعُ
معي يَزنيٌّ لم تَخُنْه كعوبُهُ ... وأَبْيضُ مخشوبُ الغِرَارين قاطع
فجرَّدْتُه في عُصبةٍ ليس دينُهمْ ... بديني وإنِّي بابنِ حربٍ لقانعُ
ولم تَر عيني مِثلهم في زمانِهمْ ... ولا قبلَهم في الناس إذ أنا يافعُ
أشدَّ قِراعاً بالسيوفِ لدى الوَغَى ... ألا كلُّ مَنْ يحمي الذِّمارَ مُقارعُ
وقد صبرُوا للطعنِ والضربِ حُسَّراً ... وقد نازلوا لو أنَّ ذلك نافعُ
فأبلغْ عبيد الله إمّا لقيتَه ... بأنِّي مُطيعٌ للخليفةِ سامعُ
قَتلتُ بُريراً ثم حَمَّلتُ نِعمةً ... أَبا مُنقذ لمَّا دعا: من يُماصعُ؟[1]

(٥: ٤٣١ ـ ٤٣٣).

قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرّحمن بن جُندَب ، قال: سمعتُه في إمارة مُصْعَب بن الزُّبير؛ وهو يقول: يا ربّ إنا قد وَفيْنا ، فلا تجعلنا يا ربّ كمن قد غدر! فقال له أبي: صدق ، ولقد وَفَى وكَرُم ، وكَسبت لنفسك شرّاً؛ قال: كلا ، إنّي لم أكسب لنفسي شرّاً ، ولكنّي كسبتُ لها خيراً.

قال: وزعموا: أن رضيّ بن منقذ العبديّ ردَّ بعدُ على كعب بن جابر جوابَ قوله ، فقال:

لو شاءَ ربّي ما شهدتُ قِتالَهُمْ ... ولا جعَل النَّعْماءَ عندي ابْنُ جابرِ
لقد كانَ ذاكَ اليومُ عاراً وسُبَّةً ... يُعيِّرُهُ الأَبناءُ بعد المعاشرِ
فياليتَ أني كنتُ من قبلِ قتلِهِ ... ويوم حُسينٍ كنت في رَمْسِ قابرِ

قال: وخرج عمرو بن قَرَظَة الأنصاريُّ يقاتل دون حسين وهو يقول:

قد علمَتْ كتيبةُ الأنصارِ ... أنِّي سأَحْمِي حوْزَةَ الذِّمارِ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ضَـرْبَ غُـلام غيـر نكْـس شـارِي دون حسيـنٍ مُهجتـي وداري[١]

(٥: ٤٣٣ ـ ٤٣٤) .

قال أبو مخنف: عن ثابت بن هبيرة ، فقتل عمرو بن قرظة بن كعب ، وكان مع الحسين ، وكان عليّ أخوه مع عمر بن سعد ، فنادى عليُّ بن قُريظة: يا حسينُ ، يا كذّاب ابن الكذّاب ، أضللتَ أخي وغررتَه حتى قتلتَه ! قال: إنّ الله لم يضلّ أخاك ، ولكنه هَدَى أخاك وأضلّك؛ قال: قتلني اللهُ إن لم أقتلك أو أموتَ دونك؛ فحمَل عليه ، فاعترضه نافع بن هلال المراديّ ، فطعنه فصرعه ، فحمله أصحابُه فاستنقذوه ، فدُووي بعدُ فبَرأ[٢] . (٥: ٤٣٤) .

قال أبو مخنف: حدّثني النضر بن صالح أبو زهير العبسيّ أنّ الحرّ بن يزيدَ لما لحق بحسين قال رجل من بني تميم من بني شَقرة ـ وهم بنو الحارث بن تميم ـ يقال له ـ يزيد بن سُفيان: أما والله لو أني رأيتُ الحُرّ بنَ يزيدَ حين خرج لأتبعته السِّنان؛ قال: فبينا الناس يتجاولون ويقتتلون والحرّ بن يزيدَ يَحمل على القوم مقدماً ويتمثّل قولَ عَنْتَرة:

مـازِلـتُ أَرْميهِـمْ بثُغْـرَةِ نَحْـرِهِ وَلَبـانِـهِ حتَّـى تَسَـرْبَـلَ بـالـدَّمِ

قال: وإنّ فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه ، وإن دماءه لَتسيل ، فقال الحصين بن تميم ـ وكان على شُرطة عبيد الله ، فبعثه إلى الحسين ، وكان مع عمر بن سعد ، فولاّه عمر مع الشرطة المجففة ـ ليزيد بن سُفيان: هذا الحرّ بن يزيد الذي كنت تتمنّى؛ قال: نعم فخرج إليه فقال له: هل لك يا حرّ بن يزيد في المبارزة؟ قال: نعم قد شئتُ ، فبرز له؛ قال: فأنا سمعتُ الحصين بن تميم يقول: والله لأبرز له؛ فكأنما كانت نفسُه في يده.

فما لبّثه الحُرّ حين خرج إليه أن قتَله[٣] . (٥: ٤٣٤ ـ ٤٣٥) .

قال هشام بن محمّد ، عن أبي مخنّف ، قال: حدّثني يحيى بن هانئ بن

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٣) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

عروة: أنّ نافع بنَ هلال كان يقاتل يومئذ وهو يقول: «أنا الجَمَلِي، أنا عَلى دينِ عَلي».

قال: فخرج إليه رجل يقال له: مُزاحم بن حُرَيث، فقال: أنا على دين عثمان، فقال له: أنت على دين شيطان، ثمّ حمل عليه فقتله، فصاح عمرو بن الحجّاج بالناس: يا حَمقى، أتدرون من تقاتلون! فرسانَ المِصْر؛ قوماً مستميتين، لا يبرزنَّ لهم منكم أحد، فإنهم قليل، وقلّما يبقون، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم؛ فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأيُ ما رأيتَ، وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألاّ يبارز رجلٌ منكم رجلاً منهم[1].

(٥: ٤٣٥).

قال أبو مخنف: حدّثني الحسين بن عقبة المراديّ: قال الزّبيدي: إنه سمع عمرو بن الحجّاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول: يا أهلَ الكوفة! الزَموا طاعتكم وجماعتَكم، ولا ترتابوا في قتل من مَرَق من الدّين، وخالَفَ الإمام، فقال له الحسين: يا عمرو بن الحجّاج! أعليَّ تحرّض الناس؟ أنحن مَرَقنا وأنتم ثبتُّم عليه؟ أما والله لتعلمنّ لو قد قبضتْ أرواحكم، ومِتُّم على أعمالكم، أيّنا مَرَق من الدّين، ومن هو أولى بصليّ النار! قال: ثمّ إنّ عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفُرات، فاضطربوا ساعةً؛ فصرِع مسلم بن عَوْسجة الأسديّ أوّل أصحاب الحسين، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه، وارتفعت الغَبرَة، فإذا هم به صريع، فمشى إليه الحسين فإذا به رَمَقٌ، فقال: رحمك ربُّك يا مسلم بن عوسجة، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.

ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عزَّ عليَّ مصرعُك يا مسلم، أبشر بالجنة! فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير! فقال له حبيب: لولا أني أعلم أنّي في أثرك لا حقٌ بك من ساعتي هذه لأحببتُ أن توصيني بكلّ ما أهمَّك حتى أحفظَك في كلّ ذلك بما أنت أهلٌ له في القرابة والدّين؛ قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله ـ وأهوَى بيَدِه إلى الحسين ـ أن تموت دونه، قال: أفعل وربِّ الكعبة؛ قال:

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم ، وصاحت جاريةٌ له ، فقالت: يا بن عوسجتاهْ! يا سيّداهْ! فتنادَى أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلْنا مسلمَ بنَ عوسجة الأسديّ؛ فقال شَبَث لبعض مَن حوله من أصحابه: ثَكِلتْكم أمهاتكم! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم ، وتذللون أنفسكم لغيركم ، تفرحون أن يُقتَل مثل مسلم بن عوسجة! أما والذي أسلمت له لرُبَّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم! لقد رأيته يوم سَلَقِ آذربيجان قَتَل ستّةً من المشركين قبل تتامِّ خيول المسلمين ، أفيُقتل منكم مثله وتفرحون!

قال: وكان الذي قتل مسلمَ بن عَوْسجة مسلمُ بن عبد الله الضَّبابيّ ، وعبد الرحمن بن أبي خُشكارة البَجَليّ. قال: وحمل شَمِر بن ذي الجَوْشن في الميسرة على أهل الميسرة فثبتوا له ، فطاعَنوه وأصحابه ، وحَمَل على حسين وأصحابه من كلّ جانب ، فقُتل الكلبيّ وقد قَتَلَ رجلين بعد الرّجلين الأوّلَين ، وقاتل قتالاً شديداً ، فحمل عليه هانئ بن ثُبَيْت الحضرميّ وبُكير بن حَيّ التّيميّ. من تيم الله بن ثعلبة ، فقَتَلاه ، وكان القتيلَ الثاني من أصحاب الحسين ، وقاتلهم أصحابُ الحسين قتالاً شديداً ، وأخذتْ خيلُهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً ، وأخذتْ لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفتْه ، فلما رأى ذلك عَزْرَة بن قيس ـ وهو على خيل أهل الكوفة ـ أنَّ خيله تنكشف من كلّ جانب ، بعث إلى عمر بن سعد عبدَ الرحمن بن حصن ، فقال: أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العِدّة اليسيرة! ابعث إليهم الرّجال والرّماةَ؛ قال لشَبَث بن رِبْعيّ: ألا تقدم إليهم! فقال: سبحان الله! أتعمِد إلى شيخ مُضَر وأهلِ المصر عامة تبعثه في الرّماة! لم تجد مَنْ تندب لهذا ويجزئ عنك غيري! قال: وما زالوا يرون من شَبَث الكراهةَ لقتاله. قال: وقال أبو زهير العبسيّ: فأنا سمعتُه في إمارة مصعب يقول: لا يعطي الله أهلَ هذا المِصر خيراً أبداً ، ولا يسدّدهم لرُشْد ، ألا تَعجَبون أنّا قاتْلنا مع عليّ بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سُفيان خمسَ سنين ، ثم عدَوْنا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتلُه مع آل معاوية وابن سميّة الزانية! ضلال يا لك من ضلال!

قال: ودعا عمر بن سعد الحصينَ بن تميم فبعث معه المجفّفة وخمسمئة من المرامية ، فأقبلوا حتى إذا دنَوا من الحسين وأصحابه رشَقُوهم بالنَّبل ، فلم يلَبثوا

أن عقروا خيولهم ، وصاروا رَجَّالةً كلَّهم[١]. (٥ : ٤٣٥ ـ ٤٣٧).

قال أبو مخنف: حدّثني نُمير بن وَعْلة أن أيّوب بن مِشْرَح الخيْواني كان يقول: أنا والله عقرتُ بالحُرّ بن يزيدَ فرسَه ، حشأتُه سهماً ، فما لبث أن أرعِد الفرس واضطرب وكبا ، فوَثب عنه الحرّ كأنه ليث والسيف في يده وهو يقول:

إن تَعْقِرُوا بي فأَنا ابنُ الحُرِّ أَشْجَعُ من ذي لِبَدٍ هِزَبْرِ

قال: فما رأيت أحداً قطّ يفري فرْيَه؛ قال: فقال له أشياخٌ من الحيّ: أنت قتلتَه؟ قال: لا والله ما أنا قتلتُه ، ولكنْ قتلَه غيري ، وما أحبّ أني قتلتُه ، فقال له أبو الودّاك: ولِمَ؟ قال: إنه كان زعموا من الصّالحين ، فوالله لئن كان ذلك إثماً لأنْ ألقَى الله بإثم الجراحة والموقف أحبّ إليَّ من أن ألقاه بإثم قتل أحد منهم ، فقال له أبو الودّاك: ما أراك إلا ستلقَى الله بإثم قتلِهم أجمعين؛ أرأيتَ لو أنك رميت ذا فعقرت ذا ، ورميتَ آخَرَ ، ووقفتَ موقفاً ، وكررتَ عليهم ، وحرّضتَ أصحابك ، وكثَّرت أصحابك ، وحمل عليك ، فكرهت أن تفرّ ، وفعل آخر من أصحابك كفعلك ، وآخر وآخر ، كان هذا وأصحابه يقتلون! أنتم شركاءُ كلكم في دمائهم؛ فقال له: يا أبا الودّاك ، إنك لتقنِّطنا من رحمة الله ، إن كنتَ وليّ حسابنا يوم القيامة فلا غَفر الله لكَ إنْ غفرتَ لنا! قال: هو ما أقول لك؛ قال: وقاتلوهم حتى انتصف النهار أشدَّ قتال خَلَقه الله ، وأخذوا لا يقدرون على أن يأتوهم إلاّ من وجهٍ واحد لاجتماع أبنيتهم وتقارُبِ بعضِها من بعض.

قال: فلما رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاً يقوِّضونها عن أيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم؛ قال: فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخلّلون البيوت فيشدّون على الرجل وهو يقوّض وينتهب فيقتلونه ويرمُونه من قريب ويعقرونه ، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال: أحرقوها بالنار ، ولا تَدخُلوا بيتاً ولا تقوّضوه ، فجاؤوا بالنار ، فأخذوا يحرّقون ، فقال حسين: دَعُوهم فليحرقوها ، فإنهم لو قد حرَّقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها ، وكان ذلك كذلك ، وأخذوا لا يقاتلونهم إلاّ من وجه واحد. قال: وخرجت امرأة الكلبيّ تمشي إلى زوجها حتى جلستْ عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

الجنّة! فقال شمر بن ذي الجوْشَن لغلام يسمَّى رُستَم: اضرِب رأسها بالعمود؛ فضرب رأسَها فشَدخه، فماتت مكانَها؛ قال: وحَملَ شَمِر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمحه، ونادى: عليّ بالنار حتى أحرّقَ هذا البيت على أهله، قال: فصاح النساء وخرجن من الفسطاط؛ قال: وصاح به الحسين: يا بن ذي الجوشَن! أنت تدعو بالنار لتحرّق بيتي على أهلي. حرَقك الله بالنار![1] (٥: ٤٣٧ ـ ٤٣٨).

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد عن حُميد بن مسلم، قال: قلت لشَمر بن ذي الجوشن: سبحان الله! إنّ هذا لا يصلح لك، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين، تعذّب بعذاب الله، وتقتل الولدان والنساء! والله إنّ في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك؛ قال: فقال: من أنت؟ قال: قلت: لا أخبرك من أنا، قال: وخشيتُ والله أن لو عرفني أن يضرّني عند السلطان؛ قال: فجاءه رجل كان أطوَعَ له مني؛ شَبَث بن رِبْعيّ، فقال: ما رأيتُ مقالاً أسوأ من قولك، ولا موقفاً أقبحَ من موقفك، أمُرعِباً للنساء صرتَ! قال: فأشهد أنه استحيا، فذهب لينصرف، وحَمَل عليه زهيرُ بن القَيْن في رجال من أصحابه عشرة، فشدّ على شمر بن ذي الجوْشن وأصحابه، فكشَفهم عن البيوت حتى ارتقوا عنها، فصَرَعوا أبا عزّة الضِّبَابيّ فقتلوه، فكان من أصحاب شَمِر، وتعطّف الناس عليهم فكثروهم، فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل، فإذا قتِل منهم الرّجل والرّجلان تبيّن فيهم، وأولئك كثير لا يتبيَّن فيهم ما يقتَل منهم؛ قال: فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائديّ قال للحسين: يا أبا عبد الله! نفسي لك الفِداء! إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تُقتل حتى أُقتلَ دونك إن شاء الله، وأحبّ أن ألقى ربي وقد صلّيتُ هذه الصلاة التي دنا وقتُها؛ قال: فرفع الحسينُ رأسَه ثم قال: ذكرتَ الصلاة، جعلك الله من المصلّين الذاكرين! نعم، هذا أوّل وقتها؛ ثم قال: سلوهم أن يكفُّوا عنا حتى نصلّي؛ فقال لهم الحصين بن تميم: إنها لا تُقبَل؛ فقال له حبيب بن مظاهر: لا تُقبَل زعمتَ! الصلاة من آل رسولِ الله ﷺ لا تُقبلَ وتُقبلَ منك يا حمار! قال: فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبّ ووقع عنه،

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

وحمَله أصحابُه فاستنقذوه ، وأخذ حبيب يقول:

أُقسِمُ لو كُنَّا لكم أَعْداداً أو شَطْرَكمْ ولَّيتمُ أكتَادا
يا شَرَّ قوم حَسباً وآدا

وقال: وجعل يقول يومئذ:

أنا حبيب وأبي مُظاهِرُ فارِسُ هيجاءَ وحرب تُسعَرُ
أنتمْ أَعَدُّ عُدَّة وأكثرُ ونحن أَوفَى منكُمُ وأَصْبَرُ
ونحن أَعْلى حُجَّةً وأَظهرُ حقّاً وأَتقَى منكمُ وأَعْذَرُ

وقاتل قتالاً شديداً ، فحَمَل عليه رجلٌ من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله ـ وكان يقال له: بديل بن صُرَيْم من بني عُقْفان ـ وحمل عليه آخرُ من بني تميم فطعنه فوقع ، فذهب ليقوم ، فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف ، فوقع ، ونزل إليه التميميّ فاحتزّ رأسه ، فقال له الحصين: إنّي لشريكك في قتله ، فقال الآخر: والله ما قتَلَه غيري؛ فقال الحصين: أعطِنيه أعلِّقه في عُنق فرسي كيْما يرى الناسُ ويَعلَموا أني شَركتُ في قتله؛ ثم خذه أنت بعدُ فامضِ به إلى عبيد الله بن زياد ، فلا حاجةَ لي فيما تعطاه على قتلك إياه ، قال: فأبى عليه ، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا ، فدفع إليه رأسَ حبيب بن مظاهر ، فجال به في العسكر قد علّقه في عنق فرسه ، ثمّ دفعه بعد ذلك إليه ، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخرُ رأسَ حبيب فعلقه في لَبَان فرسه ، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد في القصر فبَصُر به ابنُه القاسم بن حبيب ، وهو يومئذ قد راهق ، فأقبل مع الفارس لا يفارقه ، كلَّما دخل القصر دخل معه ، وإذا خرج خرج معه ، فارتاب به ، فقال: مالك يا بنيّ تتبعني! قال: لا شيء ، قال: بلى ، يا بنيّ أخبرني ، قال له: إنّ هذا الرأس الذي معك رأس أبي ، أفتعطينيه حتى أدفنَه؟ قال: يا بنيّ ، لا يرضى الأميرُ أن يُدفَن وأنا أريد أن يثيبَني الأميرُ على قتله ثواباً حسناً؛ قال له الغلام: لكنّ الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب: أما والله لقد قتلتَ خيراً منك ، وبكى ، فمكث الغلامُ حتى إذا أدرك لم يكن له همَّةٌ إلا اتّباعُ أثر قاتل أبيه ليجد منه غِرّةً فيقتلهُ بأبيه ، فلما كان زمان مُصعَب بن الزبير وغزا مصعب باجُمَيْرا دخل عسكرَ مصعب فإذا قاتِلُ أبيه في فسطاطه ، فأقبل يختلف في طلبه والتماس

غِرَّته، فدخل عليه وهو قائلٌ نصفَ النهار فضربه بسيفه حتى برد[١]. (٥: ٤٣٨ ـ ٤٤٠).

قال أبو مخنف: حدّثني محمد بن قيس، قال: لما قُتِل حبيب بن مظاهر هدّ ذلك حسيناً وقال عند ذلك: أحتَسِب نفسي وحُماةَ أصحابي، قال: فأخذ الحُرّ يرتجز ويقول:

آليتُ لا أُقتلُ حتَّى أَقتُلاَ ولنْ أُصابَ اليومَ إلاَّ مُقبلاَ
أضْرِبُهُمْ بالسيف ضَرْباً مِقْصَلاَ لا ناكِلاً عَنْهمْ ولا مهلّلاَ

وأخذ يقول أيضاً:

أضْرِبُ في أعراضِهِمْ بالسيفْ عن خيرِ مَنْ حَلّ مني والخَيْفْ

فقاتل هو وزهير بن القَيْن قتالاً شديداً، فكان إذا شدَّ أحدُهما؛ فإن استُلحِمَ شدّ الآخر حتى يخلّصه، ففعلا ذلك ساعة، ثمّ إنّ رجّالة شدّت على الحرّ بن يزيد فقتل، وقتَل أبو ثمامة الصائديّ ابنَ عمّ له كان عدوّاً له، ثم صلّوا الظهر، صلى بهم الحسين صلاةَ الخوف، ثمّ اقتتلوا بعد الظهر فاشتدّ قتالهم، ووُصِل إلى الحسين، فاستقدم الحنفيّ أمامَه، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه، فما زال يُرمى حتى سقط، وقاتل زهير بن القَيْن قتالاً شديداً، وأخذ يقول:

أنا زُهيرٌ وأَنا ابنُ القَيْنِ أَذُودُهمْ بالسيفِ عن حسين

قال: وأخذ يَضرِب على مَنكِب حسين ويقول:

أَقدِمْ هُدِيتَ هادِياً مَهدِياً فاليومَ تَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّا
وحَسناً والمرتضىَ عليّاً وذا الجنَاحَيْنِ الفتَى الكَميَّا
وأسدَ اللهِ الشهيدَ الحيَّا

قال: فشدّ عليه كثيرُ بن عبد الله الشعبيّ ومهاجرُ بن أوْس فقتَلاه، قال: وكان نافع بن هلال الجمليّ، قد كتب اسمَه على أفواق نَبْله، فجعل يرمي بها مسوّمةً وهو يقول: «أنا الجمَليّ، أنَا على دين عَلي».

فقتَل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى مَنْ جرح؛ قال: فضرِب حتى

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

كُسرت عضداه وأخذ أسيراً؛ قال: فأخذه شَمِر بن ذي الجوشن ، ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتى أتىٰ به عمر بن سعد ، فقال له عمر بن سعد: ويْحك يا نافع! ما حمَلك على ما صنعتَ بنفسك! قال: إنّ ربي يعلم ما أردتُ؛ قال: والدماء تسيل على لحيته وهو يقول: والله لقد قتلتُ منكم اثني عشر سوَى من جرحتُ ، وما ألوم نفسي على الجهد ، ولو بقيتْ لي عضد وساعدٌ ما أسرتموني؛ فقال له شمِر: أُقتُلْه أصلحك الله! قال: أنت جئتَ به ، فإن شئتَ فاقتله ، قال: فانتضى شمر سيفه ، فقال له نافع: أما والله أنْ لو كنت من المسلمين لَعَظُم عليك أن تلقى اللهَ بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يديْ شِرارِ خلقه؛ فقتله.

قال: ثمّ أقبل شمِر يحمل عليهم وهو يقول:

خَلُّوا عُداةَ اللهِ خلّوا عن شَمِرْ ... يَضرِبُهُمْ بسيفه ولاَ يَفِرْ

وهو لكم صابٌ وسَمٌ ومَقِرْ

قال: فلما رأى أصحابُ الحسين أنهم قد كُثِروا ، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسيناً ولا أنفسَهم ، تنافسوا في أن يُقتَلوا بين يديه ، فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عَزْرة الغِفاريّان ، فقالا: يا أبا عبد الله ! عليك السلام ، حازَنَا العدوّ إليك ، فأحبَبْنا أن نُقتَل بين يديْك ، نمنعك وندفع عنك ، قال: مرحباً بكما! أدنُوَا منّي ، فدنَوَا منه ، فجعلا يقاتلان قريباً منه ، وأحدهما يقول:

قد علِمتْ حقّاً بنو غِفارِ ... وخِنْدِفٌ بعد بني نزارِ

لنَضْرِبَنَّ معْشَرَ الفُجّارِ ... بكلّ عَضْبٍ صارمٍ بَتَّارِ

يا قوم ذُودُوا عن بني الأَحرارِ ... بالمَشْرِفيّ والقَنا الخطّارِ

قال: وجاء الفَتيَان الجابريّان: سيف بن الحارث بن سُرَيْع ، ومالك بن عبد بن سريع ، وهما ابنا عمّ ، وأخوان لأمّ ، فأتيا حسيناً فدَنَوا منه وهما يبكيان ، فقال: أي ابنَيْ أخي ! ما يُبكيكما؟ فوالله إنّي لأرجو أن تكونا عن ساعة قريريْ عين ، قالا: جعلنا الله فِداك! لا والله ما على أنفسنا نبكي ، ولكنّا نبكي عليك ، نراك قد أحيط بك ، ولا نقدر على أن نمنعك؛ فقال: جزاكما الله يا بَنيْ أخي بوَجْدكما من ذلك ، ومواساتكما إيّاي بأنفسكما أحسنَ جزاءِ المتقين؛ قال: وجاء حنظلة بن أسعد الشّباميّ فقام بين يدي حسين ، فأخذ ينادي: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ

يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يا قوم تقتلوا حسيناً فيُسْحِتَكُمُ الله بعذاب ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ فقال له حسين: يا بن أسعد، رحمك الله! إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتَهم إليه من الحقّ، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابَك، فكيف بهم الآن وقد قَتلوا إخوانَك الصالحين! قال: صدقت، جعلت فداك! أنت أفقه مني وأحقّ بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟ فقال: رُحْ إلى خيرٍ من الدنيا وما فيها، وإلى مُلكٍ لا يَبْلى، فقال: السلام عليك أبا عبدِ الله، صلى الله عليك وعلى أهلِ بيتك، وعرّف بيننا وبينك في جنّته، فقال: آمين آمين؛ فاستقدم فقاتل حتى قتل.

قال: ثمّ استقدم الفَتَيان الجابريّان يلتفتان إلى حسين ويقولان: السَّلام عليك يابنَ رسول الله! فقال: وعليكما السلام ورحمة الله؛ فقاتَلَا حتى قُتلا؛ قال: وجاء عابس بن أبي شَبيب الشاكريّ، ومعه شوْذَب مولَى شاكر، فقال: يا شَوْذب! مافي نفسك أن تصنع؟ قال: ما أصنع! أقاتلِ معك دون ابن بنت رسول الله ﷺ حتى أقتلِ؛ قال: ذلك الظنّ بك، أمّا لا فتقدّمْ بين يديْ أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتَسب غيرَك من أصحابه، وحتى أحتسِبك أنا، فإنه لو كان معي الساعة أحدٌ أنا أَوْلَى به منّي بك لسرّني أن يتقدّم بين يديّ حتى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجرَ فيه بكلّ ما قدَرْنا عليه، فإنه لا عملَ بعد اليوم، وإنما هو الحساب؛ قال: فتقدّم فسلّم على الحسين، ثم مضى فقاتل حتى قتل. ثم قال عابس بن أبي شبيب: يا أبا عبد الله! أما والله ما أمسَى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزَّ عليَّ ولا أحبَّ إليَّ منك؛ ولو قدرتُ على أن أدفع عنك الضّيمَ والقتلَ بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلته؛ السلام عليك يا أبا عبد الله! أشهدُ الله أني على هَدْيك وهدْي أبيك؛ ثم مشى بالسيف مصلتاً نحوَهم وبه ضربة على جبينه[١]. (٥: ٤٤٠ ـ ٤٤٤).

قال أبو مخنف: حدّثني نمير بن وَعْلة، عن رجلٍ من بني عبد من هَمْدان يقال له: ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم، قال: لما رأيتُه مُقبلاً عرفته وقد شاهدتُه في

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

المَغازِي ، وكان أشجعَ الناس ، فقلت : أيُّها الناس ، هذا الأسد الأسوَد ، هذا ابن أبي شبِيب ؛ لا يخرجنْ إليه أحد منكم ، فأخذ ينادي : ألا رجلٌ لرجل! فقال عمر بن سعد : ارضَخُوه بالحجارة ؛ قال : فرُمِيَ بالحجارة من كلّ جانب ، فلما رأى ذلك ألقَى دِرْعه ومِغفرَه ، ثمّ شدّ على الناس ، فوالله لرأيتهُ يكرُد أكثرَ من مئتين من الناس ؛ ثم إنهم تعطَّفوا عليه من كلّ جانب ، فقتِل ؛ قال : فرأيت رأسَه في أيدي رجال ذوي عُدَّة ؛ هذا يقول : أنا قتلته ، وهذا يقول : أنا قتلته ، فأتَوا عمرَ بن سعد فقال : لا تختصموا ، هذا لم يقتلْه سنان واحد. ففرّق بينهم بهذا القول [1]. (٥ : ٤٤٤).

قال أبو مخنف : حدّثني عبد الله بن عاصم ، عن الضحّاك بن عبد الله المِشرقيّ. قال : لما رأيتُ أصحاب الحسين قد أصيبوا ، وقد خُلِص إليه وإلى أهل بيته ، ولم يبق معه غيرُ سُوَيد بن عمرو بن أبي المطاع الخثْعَميّ ، وبُشَير بن عمرو الحضرميّ ، قلت له : يا بن رسولِ الله ! قد علمتَ ما كان بيني وبينك ؛ قلتُ لك : أقاتل عنك ما رأيتُ مقاتلاً ، فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حِلّ من الانصراف ؛ فقلتَ لي : نعم ؛ قال : فقال : صدقتَ ، وكيف لك بالنَّجاء! إن قدَرتَ على ذلك فأنتَ في حلّ ؛ قال : فأقبلتُ إلى فرسي وقد كنت حيث رأيت خيلَ أصحابنا تُعقَر ، أقبلتُ بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت ، وأقبلت أقاتل معهم راجلاً ، فقَتلت يومئذ بين يَدِي الحسين رجلَيْن ، وقطعت يدَ آخر ، وقال لي الحسين يومئذ مراراً : لا تُشلل ، لا يقطع الله يَدَك ، جزاك الله خيراً عن أهلِ بيتِ نبيِّك ﷺ! فلما أذن لي استخرجتُ الفرس من الفساط ، ثم استويْتُ على متْنها ، ثم ضربتُها حتى إذا قامت على السنابك رميتُ بها عُرْضَ القوم ، فأفرجوا لي ، واتبعني منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيتُ إلى شُفَيَّة ؛ قرية قريبة من شاطئ الفرات ، فلما لحقوني عطفتُ عليهم ، فعرَفَني كثير بن عبد الله الشعبيّ وأيوب بن مِشْرَح الخَيْوانيّ وقيس بن عبد الله الصائديّ ، فقالوا : هذا الضحّاك بن عبد الله المِشرقيّ ، هذا ابنُ عمِّنا ، نَنشُدكم اللهَ لما كففتم عنه! فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم : بلى والله لنجيبنّ إخوانَنا وأهلَ دعوتنا إلى ما أحبُّوا من الكفّ عن صاحبهم ؛ قال : فلما تابع التميميُّون أصحابي كفّ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

الآخَرون؛ قال: فنَجّاني الله[1]. (٥ : ٤٤٤ ـ ٤٤٥).

قال أبو مخنف: حدّثني فُضَيل بن خُديج الكندي: أنّ يزيد بن زياد؛ وهو أبو الشعثاء الكنديّ من بني بَهْدَلة جَثَا على ركبتيه بين يدي الحسين، فرَمَى بمئة سهم ما سقط منها خمسة أسهم، وكان رامياً، فكان كلّما رَمَى قال: أنا ابن بهدلهْ. فُرْسانِ العَرْجلهْ؛ ويقول حسين: اللهمّ سَددْ رميتَه، واجعلْ ثوابَه الجنَّةَ؛ فلما رمى بها، قام فقال: ما سقط منها إلا خمسة أسهم، ولقد تبيَّن لي أني قد قتلتُ خمسة نفر، وكان في أوّل من قُتل، وكان رجزُه يومئذ:

أَنــا يــزيــدُ وأَبــي مُهــاصِــرْ أشجــعُ مــن ليــثٍ بِغيــلٍ خــادرْ
يــا ربّ إنِّــي للحسيْــن نــاصِــرْ ولابــن سعــدٍ تــاركٌ وهــاجــرْ

وكان يزيد بن زياد بن المهاصر ممّن خرج مع عُمر بن سعد إلى الحسين، فلما ردّوا الشُّروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قُتل، فأمّا الصيداويّ عمر بن خالد، وجابر بن الحارث السلمانيّ، وسعد مولى عمر بن خالد، ومجمّع بن عبد الله العائذيّ، فإنهم قاتلوا في أوّل القتال، فشدّوا مُقْدِمين بأسيافهم على الناس، فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم، وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد، فحمل عليهم العباس بن عليّ فاستنقذهم، فجاؤوا قد جُرِّحوا، فلما دنا منهم عدوّهم شدّوا بأسيافهم فقاتلَوا في أوّل الأمر حتى قُتِلوا في مكان واحد[2]. (٥ : ٤٤٥ ـ ٤٤٦).

قال أبو مخنف: حدّثني زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعميّ، قال: كان آخر من بقي مع الحسين من أصحابه سُويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعميّ، قال: وكان أوّل قتيل من بني أبي طالب يومئذ عليٌّ الأكبر بن الحسين بن عليّ ـ وأمه ليلى ابنة أبي مُرّة بن عُروة بن مسعود الثقفيّ ـ وذلك أنه أخذ يشدّ على الناس وهو يقول:

أَنــا عَلــيُّ بــنُ حسيــنِ بــن عَلِــي نَحــن وربِّ البيــت أَولَــى بــالنَّبِــي
تــالله لا يَحْكُــمُ فينــا ابــنُ الــدَّعِــي

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

قال: ففعل ذلك مراراً، فبَصر به مُرّة بن منقذ بن النعمان العبديّ ثمّ الليثيّ، فقال: عليّ أثَامُ العرب إنْ مَرّ بي يفعل مِثلَ ما كان يفعل إنْ لم أثكِله أباه؛ فمرَّ يشدّ على الناس بسيفه، فاعترضه مرّة بن منقذ، فطعنه فصُرع؛ واحتَوَله الناس فقطّعوه بأسيافهم[1]. (٥: ٤٤٦).

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الأزديّ، قال: سماعُ أذني يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قوماً قتلوك يا بنيّ! ما أجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول! على الدنيا بعَدَك العَفاء!

قال: وكأني أنظر إلى امرأة خرجتْ مسرعةً كأنها الشمس الطالعة تنادي: يا أخيّاهْ! ويا بن أخَيّاهْ! قال: فسألتُ عليها، فقيل: هذه زينب ابنة فاطمةَ ابنة رسول الله ﷺ، فجاءت حتى أكبّت عليه، فجاءها الحسين فأخذ بيَدها فردَّها إلى الفسطاط، وأقبل الحسين إلى ابنه، وأقبل فتيانه إليه، فقال: احمِلوا أخاكم، فحملوه مِنْ مَصَرعه حتى وضعوه بين يدَي الفساط الذي كانوا يقاتلون أمامه. قال: ثمّ إن عمرو بن صُبيح الصّدائيّ رَمَى عبد الله بن مسلم بن عَقيل بسهم فوضع كفَّه على جبهته، فأخذ لا يستطيع أن يحرّك كفَّيه، ثم انتحَى له بسهم آخرَ ففلق قلَبه، فاعتَوَرهم الناس من كلّ جانب، فحمل عبد الله بن قطْبَة الطائيُّ ثم النّبهانيّ على عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقَتله، وحمل عامر بن نهْشَلْ التيميُّ على محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتلَه؛ قال: وشدّ عثمان بن خالد بن أسَيْر الجهُنيّ، وبشر بن سوط الهمْدانيّ ثمّ القابضيّ على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب فقَتَلاه، ورمى عبد الله بن عزرة الخثعميّ جعفرَ بن عَقِيل بن أبي طالب فقتَله[2]. (٥: ٤٤٦ ـ ٤٤٧).

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حُميد بن مسلم، قال: خرج إلينا غلام كأنَّ وجهه شقّة قمر، في يده السيف، عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شِسْع أحدهما، ما أنسَى أنها اليسرى، فقال لي عمرو بن سعد بن نُفَيل الأزديّ: والله لأشدّنّ عليه؛ فقلت له: سبحان الله! وما تريد إلى ذلك! يكفيك

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم؛ قال: فقال: والله لأشدّنّ عليه؛ فشد عليه فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف، فوقع الغلامُ لوجهه، فقال: يا عمّاه! قال: فجلّى الحسين: ما يجلّي الصقر، ثم شدّ شدّةَ ليث غُضُبٍّ، فضرب عمراً بالسيف، فاتقاه بالساعد، فأطنّها من لَدُن المِرفق، فصاح، ثمّ تنحّى عنه، وحملتْ خيلٌ لأهل الكوفة لسيتنقذوا عمراً من حسين، فاستقبلت عمراً بصدورها، فحرّكت حوافرَها وجالت الخيل بفرسانها عليه، فوطئَتْه حتى مات، وانجلت الغبرة، فإذا أنا بالحسين قائمٌ على رأس الغلام، والغلام يَفحصُ برجليه؛ وحسين يقولُ: بُعداً لقوم قتلوك؛ ومن خَصمهم يوم القيامة فيك جَدُّك! ثم قال: عزَّ والله على عمِّك أن تدعوَه فلا يُجيبُك، أو يجيبُك ثم لا ينفعك! صوتٌ والله كَثر واتِرُه، وقلّ ناصِرهُ، ثم احتمله فكأني أنظر إلى رِجلَي الغلام يخطّان في الأرض، وقد وضع حسين صدرَه على صدره؛ قال: فقلتُ في نفسي: ما يصنع به! فجاء به حتى ألقاه مع ابنه عليّ بن الحسين وقَتلَى قد قُتلتْ حوْلَه من أهل بيته، فسألتُ عن الغلام، فقيل: هو القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب. قال: ومكث الحسين طويلاً من النهار كلّما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه، وكره أن يتولّى قتلَه وعظيم إثمه عليه؛ قال: وإنّ رجلاً من كِنْدة يقال له: مالك بن النُّسير من بني بَدّاء، أتاه فَضَربَه على رأسه بالسيف، وعليه بُرنُس له، فقطع البرنس، وأصاب السيف رأسَه، فأدمى رأسَه، فامتلأ البرنس دماً، فقال له الحسين: لا أكلت بها ولا شربتَ، وحشرك الله مع الظالمين! قال: فألقى ذلك البرنس، ثمّ دعا بقَلَنْسُوة فلبسها، واعتمّ، وقد أعيا وبَلّد. وجاء الكنديّ حتى أخذ البرنس ـ وكان من خزّ ـ فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أمّ عبد الله ابنة الحرّ أخت حسين بن الحرّ البَدّيّ، أقبل يَغسِل البرنسَ من الدم، فقالت له امرأته: أسَلبَ ابن بنت رسول الله ﷺ تدخِلُ بيتي! أخرِجْه عنّي؛ فذكر أصحابُه أنه لم يزل فقيراً بشرّ حتى مات. قال: ولما قعد الحسين أتي بصبيّ له فأجلسَه في حِجره زعموا أنه عبد الله بن الحسين[1]. (٥: ٤٤٧ ـ ٤٤٨).

قال أبو مخنف: قال عُقْبة بن بشير الأسديّ: قال لي أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين: إنَّ لنا فيكم يا بني أسد دماً؛ قال: قلت: فما ذنبي أنا في ذلك

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

رحمك الله يا أبا جعفر! وما ذلك؟ قال: أتِيَ الحسين بصبيّ له، فهو في حِجْره، إذ رماه أحدُكم يا بني أسد بسهم فذَبَحه، فتلقى الحسينُ دمه، فلما ملأ كفيه صبّه في الأرض ثم قال: ربِّ إنْ تك حبستَ عنا النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقمْ لنا من هؤلاء الظالمين؛ قال: ورمى عبدُ الله بن عقبة الغنويّ أبا بكر بن الحسين بن عليّ بسهم فقتله، فلذلك يقول الشاعر؛ وهو ابن أبي عَقِب:

وعِندَ غَنِيٍّ قَطرَةٌ من دِمائِنا وفي أَسدٍ أخرى تُعَدُّ وتُذْكَرُ

قال: وزعموا: أنّ العبّاس بن عليّ قال لإخوته من أمِّه: عبد الله، وجعفر وعثمان: يا بنِي أمِّي، تقدّموا حتى أرِثكم، فإنه لا ولدَ لكم، ففعلوا، فقتِلوا. وشدّ هانئ بن ثُبَيت الحضرميّ على عبد الله بن عليّ بن أبي طالب فقتله، ثمّ شدّ على جعفر بن عليّ فقتله وجاء برأسه، ورمى خَوَليُّ بن يزيد الأصبحيّ عثمانَ بن عليّ بن أبي طالب بسهم، ثم شدَّ عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتَله، وجاءَ برأسه، ورمى رجلٌ من بني أبان بن دارم محمد بن عليّ بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه[1]. (٥: ٤٤٨ ـ ٤٤٩).

قال هشام: حدّثني أبو الهُذَيل ـ رجلٌ من السَّكون ـ عن هانئ بن ثبيت الحضرميّ، قال: رأيتُه جالساً في مجلس الحضرميّين في زمان خالد بن عبد الله وهو شيخ كبير؛ قال: فسمعتُه وهو يقول: كنت ممن شهد قتلَ الحسين، قال: فوالله إني لواقف عاشرَ عشرة ليس منّا رجل إلا على فرس، وقد جالت الخيلُ وتصعصعتْ؛ إذ خرج غلامٌ من آل الحسين وهو مُمسِك بعُود من تلك الأبنية، عليه إزار وقميص، وهو مذعور، يتلفت يميناً وشمالاً، فكأني أنظر إلى دُرّتَين في أذنيه تذبذبان كلما التَفتَ، إذْ أقبل رجل يركض، حتى إذا دنا منه مالَ عن فرسه، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف.

قال هشام: قال السَّكونيّ: هانئ بن ثُبَيت هو صاحب الغلام، فلما عُتب عليه كَنى عن نفسه. (٥: ٤٤٩).

قال هشام: حدّثني عمرو بن شمر عن جابر الجُعْفيّ، قال: عطش الحسين

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

حتى اشتدَّ عليه العطش ، فدنا ليشرب من الماء ، فرماه حصين بن تميم بسهم ، فوقع في فمه ، فجعل يتلقى الدمَ من فمه ، ويرَمِي به إلى السماء ، ثم حَمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ جمع يديه فقال: اللهم أحصِهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تَذَرْ على الأرض منهم أحداً. (٥ : ٤٤٩) .

قال هشام عن أبيه محمد بن السائب ، عن القاسم بن الأصبغ بن نُباتة ، قال: حدّثني من شهد الحسينَ في عسكره: أنّ حسيناً حين غُلِب على عسكره ركب المسنّاة يريد الفرات ، قال: فقال رجل من بني أبان بن دارم: وَيْلكم! حُولوا بينه وبين الماء لا تتامّ إليه شيعته؛ قال: وضرب فرسه ، واتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين الفرات ، فقال الحسين: اللهمّ أظْمِهِ ، قال: وينتزع الأبانيّ سهم ، فأثبَتَه في حنك الحسين ، قال: فانتزع الحسين السهمَ ، ثمّ بسط كفيه فامتلأتْ دماً ، ثم قال الحسين: اللهمّ إني أشكو إليك ما يُفعل بابن بنتِ نبيِّك ، قال: فوالله إنْ مكث الرجل إلا يسيراً حتى صبّ الله عليه الظمأ ، فجعل لا يَروَى. (٥ : ٤٤٩ ـ ٤٥٠) .

قال القاسم بن الأصبغ: لقد رأيتُني فيمن يروّح عنه والماء يبرَّد له فيه السَّكَر وعِساس فيها اللبن ، وقِلال فيها الماء ، وإنه ليقول: ويْلكم! اسقُوني قتلني الظمأ ، فيُعطَى القُلّة أو العُسَّ كان مروياً أهل البيت فيشربه ، فإذا نزعه من فيه اضطجع الهُنيْهةَ ثم يقول: وَيْلكم! اسقوني قتلني الظمأ ، قال: فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقدّ بطنُه انقداد بطن البعير. (٥ : ٤٥٠) .

قال أبو مخنف في حديثه: ثم إنّ شَمِر بن ذي الجوشن أقبلَ في نفرٍ نحو من عشرة من رجّالة أهل الكوفة قبَل منزل الحسين الذي فيه ثقَله وعيالُه ، فمشى نحوَه ، فحالوا بينه وبين رَحْلِه ، فقال الحسين: ويلكم! إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخانون يومَ المعاد ، فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب ، امنعوا رَحْلي وأهلي من طَغَامكم وجُهّالكم ، فقال ابن ذي الجوْشن: ذلك لك يا بن فاطمة؛ قال: وأقدَم عليه بالرجّالة ، منهم أبو الجَنوب ـ واسمه عبد الرحمن الجُعفيّ ـ والقَثْعَم بن عمرو بن يزيد الجعفيّ ، وصالح بن وهب اليزَنيّ ، وسنان بن أنس النخَعيّ ، وخَوَليّ بن يزيد الأصبحيّ ، فجعل شمر ابن ذي الجوشن يحرّضهم ، فمرّ بأبي الجَنوب وهو شاكٍ في السلاح فقال له: أقدِم عليه؛

قال: وما يمنعك أن تقدم عليه أنت! فقال له شمِر: ألِي تقول ذا! قال: وأنت لي تقول ذا! فاستبَّا، فقال له أبو الجَنُوب ـ وكان شجاعاً: والله لهممتُ أن أخضخض السنان في عينك؛ قال: فانصرف عنه شمر، وقال: والله لئن قدرتُ على أن أضرّك لأضرّنّك قال: ثمّ إنّ شمر بن ذي الجوشن أقبل في الرجّالة نحو الحسين؛ فأخذ الحسين يشدّ عليهم فينكشفون عنه، ثم إنهم أحاطوا به إحاطةً، وأقبل إلى الحسين غلام من أهله، فأخذتْه أخته زينب ابنة عليّ لتحبسه، فقال لها الحسين: احبسيه، فأبى الغلام، وجاء يشتدّ إلى الحسين، فقام إلى جنبه؛ قال: وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيد الله ـ من بني تيْم الله بن ثعلبة بن عكابة ـ إلى الحسين بالسيف، فقال الغلام: يابن الخبيثة، أتقتل عمِّي! فضربه بالسيف، فاتقاه الغلام بيده فأطنّها إلا الجلدة، فإذا يده معلَّقة، فنادى الغلام: يا أمَّتاه! فأخذه الحسين فضمَّه إلى صدره، وقال: يابن أخي! اصبِر على ما نزل بك، واحتسِب في ذلك الخير، فإنّ الله يُلحقك بآبائك الصالحين؛ برسول الله ﷺ، وعليّ بن أبي طالب، وحمزة، وجعفر، والحسن بن عليّ؛ صلى الله عليهم أجمعين[1].

(٥: ٤٥٠ ـ ٤٥١).

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم، قال: سمعت الحسينَ يومئذ وهو يقول: اللهمّ أمسك عنهم قَطْرَ السماء، وامنعهم بركاتِ الأرض، اللهمّ فإنْ متّعتَهم إلى حينٍ ففرّقهم فِرَقا، واجعلهم طرائقَ قِدَداً، ولا تُرْض عنهم الوُلاة أبداً، فإنهم دعَوْنا لينصرونا فعَدَوْا علينا فقتلونا، قال: وضارب الرَّجَّالة حتى انكشفوا عنه؛ قال: ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة، دعا بسراويلَ محقَّقة يلمع فيها البَصَر، يَمانيّ محقَّق، ففزره ونكثه لكيلا يسلبَه، فقال له بعض أصحابه: لو لبست تحته تُبَّاناً! قال: ذلك ثوب مذلّة، ولا ينبغي لي أن ألبسه: قال: فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجرَّداً[2]. (٥: ٤٥١).

قال أبو مخنف: فحدّثني عمرو بن شعيب، عن محمد بن عبد الرحمن أنّ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

يدَيْ بحر بن كعب كانتا في الشتاء تَنضَحان الماء ، وفي الصيف تَيْبسان كأنهما عود[١]. (٥ : ٤٥١).

قال أبو مخنف عن الحجّاج ، عن عبد الله بن عمّار بن عبد يغوث البارقيّ: وعُتِب على عبد الله بن عمّار بعد ذلك مشهده قتل الحسين ، فقال عبد الله بن عمار: إنّ لي عند بني هاشم لَيَداً ، قلنا له: وما يَدُك عندهم؟ قال: حملتُ على حسين بالرُّمح فانتهيت إليه ، فوالله لو شئت لطعنتُه ، ثم انصرفتُ عنه غيرَ بعيد ، وقلت: ما أصنع بأن أتولّى قتلَه! يقتله غيري ، قال: فشدّ عليه رَجّالة ممّن عن يمينه وشماله ، فحمل على مَن عن يمينه حتى ابذعرُّوا ، وعلى من عن شماله حتى ابذعرُّوا ، وعليه قميص له من خَزّ وهو معتمٌّ؛ قال: فوالله ما رأيت مكسوراً قطّ قد قتِل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ، ولا أمضى جَناناً ولا أجرأ مقدماً منه ، والله ما رأيتُ قبلَه ولا بعَده مِثلَه؛ أن كانت الرّجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشافَ المِعزَى إذا شدّ فيها الذئب؛ قال: فوالله إنه لكذلك؛ إذ خرجتْ زينبُ ابنة فاطمة أخته ، وكأني أنظر إلى قُرْطها يجول بين أذنيها وعاتقها وهي تقول: ليت السماء تطابقتْ على الأرض! وقد دنا عمر بن سعد من حسين؛ فقالت: يا عمر بن سعد ، أيُقتَل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه! قال: فكأني أنظر إلى دموع عمرَ وهي تسيل على خدّيه ولحيته؛ قال: وصرف بوجهه عنها[٢]. (٥ : ٤٥١ ـ ٤٥٢).

قال أبو مخنف: حدّثني الصَّقْعب بن زهير ، عن حُميد بن مسلِم ، قال: كانت عليه جُبَّة من خزّ وكان معتمّاً ، وكان مخضوباً بالوَسِمة ، قال: وسمعتُه يقول قبل أن يُقتَل ، وهو يقاتل على رجليه قتالَ الفارس الشجاع يتَّقي الرمية ، ويفترصُ العورة ، ويشدّ على الخيل ، وهو يقول: أعَلى قتلي تَحاثُّون! أما والله لا تَقتُلون بعدي عَبْداً من عباد الله اللهُ أسخطَ عليكم لقَتْلِهِ منّي؛ وايم الله إني لأرجُو أن يكرِمني الله بهوانكم ، ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون ! أمّا والله أن لو قد قتلتموني لقد ألقَى الله بأسَكُم بينكم ، وسفك دماءَكم ، ثم لا يرضَى لكم حتى يضاعفَ لكم العذاب الأليم ! قال: ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

يقتلوه لفعلوا ، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض ، ويحبّ هؤلاء أن يكفيَهم هؤلاء؛ قال: فنادى شمر في الناس: وَيْحكم؛ ماذا تنظرون بالرجل! اقتلوه ثكِلتْكم أمّهاتكم! قال: فحُمل عليه من كلّ جانب ، فضُربت كفُّه اليُسرَى ضربةً ، ضربها زُرْعَة بن شريك التميميّ ، وضُرِب على عاتقه ، ثم انصرفوا وهو يَنُوء ويَكْبو؛ قال: وحَمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النَّخَعي فطَعَنه بالرّمح فوقع ، ثم قال لخوليّ بن يزيد الأصبحيّ: احتزّ رأسه ، فأراد أن يفعل ، فضَعف فأرعِد ، فقال له سنان بن أنس: فتّ الله عَضُديك ، وأبان يَدَيْكَ! فنزل إليه فَذَبَحَه واحتزّ رأسه ، ثُم دِفع إلى خَوليّ بن يزيد ، وقد ضرِب قبل ذلك بالسيوف[1]. (٥: ٤٥٢ ـ ٤٥٣).

قال أبو مخنف: عن جعفر بن محمد بن عليّ ، قال: وجد بالحسين عليه السلام حين قُتل ثلاثٌ وثلاثون طعنة وأربعٌ وثلاثون ضربة؛ قال: وجعل سِنان بن أنس لا يدنُو أحدٌ من الحسين إلاّ شدّ عليه مخافة أن يُغلب على رأسه ، حتى أَخذ رأسَ الحسين فدَفعَه إلى خَولي؛ قال: وسُلِب الحسينُ ما كان عليه ، فأخذ سراويله بحر بن كعب ، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته ـ وكانت من خزّ ، وكان يسمَّى بعدُ: قيس قطيفة ـ وأخَذ نعليه رجل من بني أوْد يقال له: الأسود ، وأخذ سيفه رجل من بني نَهشَل بن دارم ، فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بُدَيل؛ قال؛ ومال الناس على الوَرْس والحُلَل والإبل وانتهبوها؛ قال: ومال الناسُ على نساء الحسين وثقَله ومتاعِه ، فإنْ كانت المرأة لَتنازع ثوبَها عن ظهرها حتى تُغلبَ عليه فيُذهَب به منها[2]. (٥: ٤٥٣).

قال أبو مخنف: حدّثني زهير بن عبد الرحمن الخثعميّ: أن سويد بن عمرو بن أبي المطاع كان صُرِع فأثخن ، فوقع بين القتلى مُثخَناً ، فسمعهم يقولون: قُتل الحسين ، فوجد إفاقةً ، فإذا معه سكّين وقد أُخِذ سيفه ، فقاتَلَهم بسكّينه ساعةً ، ثم إنه قُتل ، قتَله عروة بن بطار التغلبيّ ، وزيد بن رُقاد الجنبيّ ، وكان آخر قتيل[3]. (٥: ٤٥٣).

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٣) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حُميد بن مسلم، قال: انتهيتُ إلى عليّ بن الحسين بن عليّ الأصغر وهو منبسط على فراش له، وهو مريض، وإذا شَمِر بن ذي الجوشَن في رَجّالة معه يقولون: ألا نقتل هذا؟ قال: فقلتُ: سبحان الله! أنقتل الصبيانَ! إنما هذا صبيّ؛ قال: فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كلَّ من جاء حتى جاء عمر بن سعد، فقال: ألا لا يدخلنّ بيتَ هؤلاء النسوة أحد، ولا يَعرِضنّ لهذا الغلام المريض، ومَنْ أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم، قال: فوالله ما ردّ أحد شيئاً؛ قال: فقال عليّ بن الحسين: جُزيت من رجل خيراً! فوالله لقد دفع الله عني بمقالتك شرّاً؛ قال: فقال الناس لسنان بن أنس: قتلتَ حسين بن عليّ وابن فاطمة ابنةَ رسولِ الله ﷺ، قتلتَ أعظمَ العرب خطراً؛ جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم، فائْتِ أمراءَك فاطلب ثوابك منهم، لو أعطَوْك بيوتَ أموالِهم في قتل الحسين كان قليلاً؛ فأقبل على فرسه، وكان شجاعاً شاعراً، وكانت به لُوثة، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد، ثمّ نادى بأعلى صوته:

أوقِرْ ركابي فضّةً وذَهبا ... أنا قتلتُ المَلِك المحجَّبَا

قتلتُ خير الناس أُمّاً وأَبَا ... وخيرَهم إذْ يُنسبون نسبَا

فقال عمر بن سعد: أشهد إنك لمجنون ما صححتَ قطّ، أدخِلوه عليّ، فلما أدخِل حَذَفه بالقضيب ثم قال: يا مجنون! أتتكّلم بهذا الكلام! أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقَك؛ قال: وأخذ عمر بن سعد عُقْبة بن سِمْعان ـ وكان مولىً للرَّباب بنت امرئ القيس الكلبيَّة، وهي أمّ سُكينة بنت الحسين ـ فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبدٌ مملوك، فخلّى سبيله، فلم ينجُ منهم أحد غيره، إلا أن المرقّع بن ثمامة الأسديّ كان قد نثر نبلَه وجثا على ركبتيه، فقاتل، فجاءه نفر من قومه، فقالوا له: أنت آمِن، اخرُج إلينا، فخرج إليهم، فلما قدم بهم عمر بن سعد على ابن زياد وأخبره خبرَه سيَّره إلى الزارة، قال: ثمّ إن عمر بن سعد نادى في أصحابه: من ينْتدب للحسين ويوطئه فرسَه؟ فانتدب عشرة، منهم: إسحاق بن حَيْوَةَ الحضرميّ، وهو الذي سلب قميصَ الحسين ـ فبرِص بعدُ ـ وأحبَش بن مرثد بن علقمة بن سلامة الحضرميّ، فأتوْا فداسوا الحسين بخيُولهم حتى رضّوا ظهرهَ وصدرَه، فبلغني: أنّ أحبش بن مرثَد بعد ذلك بزمان أتاه سهمُ

غَرْب؛ وهو واقف في قتال ففَلَق قلبَه ، فمات؛ قال: فقُتِل من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلاً ، ودفَن الحسينَ وأصحابه أهلُ الغاضريّة من بني أسد بعدما قُتلوا بيوم ، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجَرحى ، فصلّى عليهم عمر بن سعد ودَفنهم؛ قال: وما هو إلا أن قتِل الحسين ، فسرِّح برأسه من يومه ذلك مع خوليّ بن يزيد وحميد بن مسلم الأزديّ إلى عُبيد الله بن زياد ، فأقبل به خَوليّ فأراد القصر ، فوجد بابَ القصر مُغلقاً ، فأتى منزله فوضعه تحت إجّانة في منزله ، وله امرأتان: امرأة من بني أسد ، والأخرى من الحضرميّين يقال لها: النَّوار ابنة مالك بن عقرب ، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرميّة[1] . (٥: ٤٥٣ ـ ٤٥٥) .

قال هشام: فحدّثني أبي عن النّوار بنت مالك ، قالت: أقبل خَوليّ برأس الحسين فوضَعَه تحت إجّانة في الدار ، ثم دخل البيت ، فأوى إلى فراشه ، فقلت له: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال: جئتكِ بغنَى الدهر ، هذا رأس الحسين معك في الدار؛ قالت: فقلت: ويلك ـ جاء الناس بالذهب والفضة وجئتَ برأس ابن رسول الله ﷺ ! لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيتٌ أبداً؛ قالت: فقمت من فراشي ، فخرجتُ إلى الدار ، فدعا الأسديّة فأدخلها إليه ، وجلستُ أنظر ، قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يَسْطع مِثلَ العمود من السماء إلى الإجّانة ، ورأيت طيراً بيضاً تُرفرِف حولها .

قال: فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد ، وأقام عمر بن سعد يوَمه ذلك والغد ، ثمّ أمر حميد بن بكير الأحمريّ فأذّن في الناس بالرحيل إلى الكوفة ، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومنْ كان معه من الصبيان ، وعليّ بن الحسين مريضٌ . (٥: ٤٥٥) .

قال أبو مخنف: فحدّثني أبو زهير العبسيّ ، عن قرّة بن قيس التميميّ ، قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صِحْن ، ولطمْنَ وجوههنّ ، قال: فاعترضتُهنَّ على فَرَس ، فما رأيت مَنظرَاً من نسوة قطّ كان أحسنَ من منظر رأيته منهنّ ذلك [اليوم] ، والله لهنّ أحسَنُ من مهَايَبْرِين .

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

قال: فما نسيتُ من الأشياء لا أنْس قولَ زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمّداه، يا محمَّداه! صلى عليك ملائكةُ السماء، هذا الحسينُ بالعَراء، مرمَّل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتَّلة، تَسفِي عليها الصَّبا. قال: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق؛ قال: وقُطف رؤوس الباقين، فسُرّح باثنين وسبعين رأساً مع شَمِر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزْرة بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عُبيد الله بن زياد. (٥: ٤٥٥ ـ ٤٥٦).

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد عن حُميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرَّحني إلى أهله لأبشّرهم بفتح الله عليه وبعافيته، فأقبلتُ حتى أتيتُ أهله، فأعلمتُهم ذلك، ثمّ أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس، وأجد الوفد قد قدموا عليه؛ فأدخلهم، وأذن للناس، فدخلتُ فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو يَنكُت بقضيب بين ثنيّتيه ساعةً، فلما رآه زيد بن أرقم لا يُنجِم عن نكْته بالقضيب، قال له: أُعْلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيّتين، فوالذي لا إله غيرُه! لقد رأيت شَفَتيْ رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبّلهما، ثم انفضخ الشيخُ يبكي؛ فقال له ابن زياد: أبكَى الله عينيك! فوالله لولا أنك شيخ قد خَرِفتَ وذهب عقلُك لضربتُ عنقَك! قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعتُ الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقَتَله؛ قال: فقلت: ما قال؟ قالوا: مرّ بنا وهو يقول: مَلَّكَ عَبْدٌ عبداً، فاتّخذهم تُلداً؛ أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمَّرتم ابن مُرْجانة، فهو يقتل خيارَكم، ويستعبد شِرارَكم، فرضيتم بالذلّ، فبعداً لمن رضى بالذّل!

قال: فلما دُخل برأس حسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبستْ زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها، وتنكّرت وحفّتْ بها إماؤها، فلما دخلتْ جلست، فقال عبيد الله بن زياد: مَن هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه؛ فقال ذلك ثلاثاً، كلّ ذلك لا تكلّمه، فقال بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة؛ قال: فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضَحكم وقتّلكم وأكذَبَ أحدُوثتكم! فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وطهَّرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت، إنما

يفتضح الفاسق ، ويكذِّب الفاجر؛ قال: فكيف رأيتِ صنعَ الله بأهل بيتك! قالت: كُتب عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينَك وبينَهم ، فتحاجّون إليه ، وتَخاصمون عنده؛ قال: فغضب ابن زياد واستشاط؛ قال: فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير! إنما هي امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها! إنها لا تؤاخذ بقول، ولا تُلام على خَطل، فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك ، والعُصاة المَردة من أهل بيتك؛ قال: فبكتْ ثم قالت: لَعَمري لقد قتلتَ كَهْلي ، وأبرْت أهلي ، وقطّعت فَرْعِي ، واجتثثتَ أصلي ، فإن يَشْفِك هذا فقد اشتفيت ، فقال لها عبيد الله: هذه شجاعة ، قد لعَمرِي كان أبوك شاعراً شجاعاً؛ قالت: ما للمرأة والشجاعة! إنّ لي عن الشجاعة لشُغْلا ، ولكنّ نفْثي ما أقول[١] . (٥ : ٤٥٦ ـ ٤٥٧) .

قال أبو مخنف عن المجالد بن سعيد: إنّ عُبيد الله بن زياد لما نظر إلى عليّ بن الحسين قال لشرطيّ: انظر هل أدرك ما يدرِك الرّجال؟ فكَشَط إزاره عنه ، فقال: نعم ، قال انطلقوا به فاضربوا عنقه ، فقال له عليّ: إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهنّ رجلاً يحافظ عليهنّ؛ فقال له ابن زياد: تعالَ أنتَ ، فبعثَه معهنّ[٢] . (٥ : ٤٥٧) .

قال أبو مخنف: وأما سليمان بن أبي راشد ، فحدّثني عن حُميد بن مسلم قال: إنّي لقائم عند ابن زياد حين عُرض عليه عليّ بن الحسين ، فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا عليّ بن الحسين ، قال: أو لم يقتُل الله عليّ بن الحسين! فسكت ، فقال له ابن زياد: ما لَك لا تتكلم! قال: قد كان لي أخ يقال له أيضاً عليّ ، فقتله الناس ، قال: إن الله قد قتله ، قال: فسكت عليّ ، فقال له: مالك لا تتكلم! قال: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ، قال: أنت والله منهم ، وَيْحك! انظروا هل أدرك؟ والله إنّي لأحسبه رجلاً؛ قال: فكشف عنه مُريّ بن معاذ الأحمريّ ، فقال: نعم قد أدرَك؛ فقال: اقتله؛ فقال عليّ بن الحسين: من توَكِّل بهؤلاء النسوة؟ وتعلقتْ به زينب عمته

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

فقالت: يا بن زياد ! حسبُك منّا ، أما رَوِيتَ من دمائنا ؟! وهل أبقيت منا أحداً ؟! قال: فاعتنقتْه ، فقالت: أسألك بالله إن كنت مؤمناً إنْ قتلتَه لما قتلتَني معه! قال: وناداه عليّ فقال: يا بن زياد ! إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهنّ رجلاً تقيّاً يصحبهنّ بصحبة الإسلام؛ قال: فنظر إليها ساعة ، ثم نظر إلى القوم فقال: عجباً للرّحِم! والله إنّي لأظنها ودَّت لو أنّي قتلتُه أنّى قتلتُها معه؛ دعوا الغلام ، انطلق مع نسائك[1] . (٥ : ٤٥٧ ـ ٤٥٨) .

قال حميد بن مسلم: لما دخل عبيد الله القصرَ ودخل الناسُ ، نوديَ: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس في المسجد الأعظم ، فصَعد المنبَر ابن زياد فقال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهلَه ، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبَه ، وقَتَل الكذَّاب ابن الكذّاب ، الحسينَ بن عليّ وشيعته ! فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عَفيف الأزديّ ثم الغامديّ ، ثم أحد بني والبة ـ وكان من شيعة عليّ كرّم الله وجهه ، وكانت عينُه اليسرى ذهبتْ يومَ الجمل مع عليّ ، فلما كان يومَ صِفين ضُرِب على رأسه ضربةً ، وأخرى على حاجبه ، فذهبتْ عينُه الأخرى ، فكان لا يكاد يفارق المسجدَ الأعظم يصلي فيه إلىٰ الليل ثم ينصرف ـ قال: فلما سمع مقالةَ ابن زياد ، قال: يا بن مَرْجانة ! إنّ الكذّاب ابنَ الكذّاب أنت وأبوك والذي ولاّك وأبوه ! يا بن مرجانة ! أتقتلون أبناء النبيّين ، وتكلّمون بكلام الصدّيقين ؟! فقال ابن زياد: عليَّ به؛ قال: فوثبتْ عليه الجَلاوزة فأخذوه؛ قال: فنادى بشعار الأزد: يا مبرور ـ قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزديّ جالس ـ فقال: ويح غيرك! أهلكت نفسك ، وأهلكتَ قومك ، قال: وحاضر الكوفة يومئذ من الأزْد سبعمئة مقاتل؛ قال: فوثَب إليه فتيةٌ من الأزد فانتزعوه فأتَوْا به أهلَه فأرسل إليه من أتاه به ، فقَتَله وأمَرَ بصَلْبه في السَّبَخة ، فصُلب هنالك . (٥ : ٤٥٨ ـ ٤٥٩) .

قال أبو مخنف: ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة ، فجعل يُدار به في الكوفة ، ثم دعا زَحْر بن قيس فسرّح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيدَ بن معاوية ، وكان مع زحْر أبو بُردة بن عوف الأزديّ وطارق بن

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

أبي ظَبيان الأزديّ ، فخرجوا حتى قدموا بها الشأم على يزيدَ بن معاوية [١].

(٥ : ٤٥٩).

قال هشام : فحدّثني عبد الله بن يزيد بن رَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ عن أبيه ، عن الغاز بن ربيعة الجُرشيّ ؛ من حمير ، قال : والله إنا لعند يزيدَ بن معاوية بدمشق ؛ إذ أقبل زَحْر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية ، فقال له يزيد : ويلك! ما وراءك؟ وما عندك؟ فقال : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ، وَرَدَ علينا الحسينُ بن عليّ في ثمانية عشر من أهل بيته وستِّين من شيعته ، فسرنا إليهم ، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حُكم الأمير عُبيدِ الله بن زياد ، أو القتال ؛ فاختاروا القتال على الاستسلام ، فعدوْنا عليهم مع شروق الشمس ، فأحطْنا بهم من كلّ ناحية ، حتى إذا أخذتِ السيوفُ مأخَذَها من هام القوم ، يَهربون إلى غير وَزَر ، ويلوذون منا بالآكام والحُفر ، لواذاً كما لاذ الحمَائم من صقر ، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جَزْرَ جَزور أو نومةَ قائلٍ حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادُهم مجرَّدة ، وثيابُهم مرمَّلة وخدودهم معفَّرة ، تصهرُهم الشمس ، وتَسفي عليهم الريح ، زُوّارهم العِقْبان والرَّخَم بقيّ سَبْسَب ، قال : فدمعتْ عينُ يزيد ، وقال : قد كنت أرضَى من طاعتكم بدون قتلِ الحسين ، لعن الله ابن سُميّة! أما والله لو أنّي صاحبه لعفوتُ عنه ، فرحم الله الحسينَ! ولم يصله بشيء .

قال : ثم إن عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبيانه فجُهِّزن ، وأمر بعليّ بن الحسين فَغُلَّ بغلّ إلى عنقه ، ثم سرّح بهم مع مُحَفز بن ثعلبة العائذيّ ، عائذة قريش ومع شمر بن ذي الجوشن ، فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد ، فلم يكن عليّ بن الحسين يكلم أحداً منهما في الطريق كلمة حتى بلغوا ، فلمّا انتهَوا إلى باب يزيدَ رفع مُحَفز بن ثعلبة صوتَه ، فقال : هذا محفز بن ثعلبة أتيٍ أميرَ المؤمنين باللئام الفجَرة ، قال : فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدتْ أم مَحفز شرٌّ وألأم [٢]. (٥ : ٤٥٩ ـ ٤٦٠).

قال أبو مخنف : حدّثني الصقعب بن زهير ، عن القاسم بن عبد الرحمن

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

مولًى يزيد بن معاوية ، قال: لما وُضعت الرؤوس بين يديْ يزيدَ ـ رأسُ الحسين وأهل بيته وأصحابه ـ قال يزيد:

يُفَلِّقْنَ هاماً من رجالٍ أعِزَّةٍ عَلَيْنا وَهُمْ كانوا أعَقَّ وأَظْلَما

أما والله يا حسينُ ، لو أنا صاحبُك ما قتلتُك[1]! (٥ : ٤٦٠).

قال أبو مخنف: حدّثني أبو جعفر العبسيّ ، عن أبي عمارة العبسيّ ، قال: فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم:

لهامٌ بجَنْبِ الطَّفِّ أدْنى قَرابةً من ٱبن زيادِ العَبْدِ ذي الحسَب الوَغْل

سُمَيَّةُ أمسى نَسْلها عدد الحصى وبنتُ رَسُولِ الله لَيْسَ لها نَسْل

قال: فضرب يزيدُ بن معاوية في صدر يحيى بن الحكَم وقال: اسكت.

قال: ولمَّا جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشأم فأجلسهم حولَه ، ثم دعا بعليِّ بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخِلوا عليه والناس ينظرون ، فقال يزيد لعليّ: يا عليّ! أبوك الذي قطع رَحمي ، وجَهل حَقي ، ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيتَ! قال: فقال عليّ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾. فقال يزيد لابنه خالد: اردُد عليه؛ قال: فما دَرَى خالد ما يردّ عليه؛ فقال له يزيد: قل: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ ، ثم سكت عنه؛ قال: ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه ، فرأى هيئةً قبيحة ، فقال: قبح الله ابنَ مَرْجانة! لو كانت بينه وبينكم رَحِم أو قرابةٌ ما فعل هذا بكم ، ولا بَعث بكم هكذا[2]. (٥ : ٤٦٠ ـ ٤٦١).

قال أبو مخنف: عن الحارث بن كعب ، عن فاطمة بنت عليٍّ ، قالت: لما أجلِسْنا بين يديْ يزيدَ بن معاوية؛ رقّ لنا ، وأمَرَ لنا بشيء ، وألطَفنا؛ قالت: ثم إنّ رجلاً من أهل الشأم أحمرَ قام إلى يزيدَ فقال: يا أمير المؤمنين! هبْ لي هذه ـ يعنيني ، وكنتُ جاريةً وَضيئةً ـ فأرعِدْتُ وفَرِقْتُ ، وظَننتُ أنّ ذلك جائز لهم ، وأخذتُ بثياب أختي زينب؛ قالت: وكانت أختي زينب أكبرَ منّي وأعقلَ ، وكانت

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

تعلم أنّ ذلك لا يكون ، فقالت: كذبتَ واللهِ ولؤُمتَ! ما ذلك لك وله ، فغضب يزيد ، فقال: كذبت واللهِ ، إنّ ذلك لي ، ولو شئتُ أن أفعلَه لفعلتُ؛ قالت: كلاَّ والله ، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملَّتنا ، وتدينَ بغير ديننا؛ قالت: فغضب يزيد واستطار ، ثم قال: إيَّاي تستقبلين بهذا! إنما خرج من الدّين أبوكِ وأخوكِ؛ فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدّي اهتديتَ أنتَ وأبوك وجدك ، قال: كذبتِ يا عدّوة الله ! قالت: أنت أميرٌ مسلَّط ، تشتم ظالماً ، وتقهر بسلطانك ! قالت: فوالله لكأنه استحيا؛ فسكتَ ثم عاد الشاميّ فقال: يا أمير المؤمنين ! هبْ لي هذه الجارية؛ قال: اعزُبْ ، وهَب الله لك حَتْفاً قاضياً! قالت: ثمّ قال يزيدُ بنُ معاوية: يا نعمان بن بشير ! جهِّزْهم بما يُصلِحهم ، وابعث معهم رجلاً من أهل الشأم أميناً صالحاً ، وابعث معه خيلاً وأعواناً فيسير بهم إلى المدينة ، ثمّ أمر بالنسوة أن يُنْزلن في دارٍ على حِدَة ، معهنّ ما يصلحهنّ ، وأخوهنّ معهنّ عليّ بن الحسين ، في الدار التي هنّ فيها قال: فخرجن حتى دخلن دار يزيد فلم تبق من آل معاوية امرأةٌ إلا استقبلتْهنَ تبكي وتنوح على الحسين ، فأقاموا عليه المناحةَ ثلاثاً ، وكان يزيد لا يتغدّى ولا يتعشى إلا دعا عليّ بن الحسين إليه؛ قال: فدعاه ذاتَ يوم ، ودعا عمر بن الحسن بن علي وهو غلام صغير ، فقال لعمر بن الحسن: أتقاتل هذا الفتى؟ يعني خالداً ابنه ، قال: لا ، ولكنْ أعطني سكيناً وأعطِه سكيناً ، ثم أقاتله ، فقال له يزيد: وأخذه فضمه إليه ثمّ قال: «شِنْشِنةٌ أعرِفُها من أخْزَم»؛ هل تَلِد الحيّة إلاّ حيّة! قال: ولما أرادوا أن يخرجوا؛ دعا يزيدُ عليّ بنَ الحسين ثمّ قال: لعن الله ابنَ مرجانة ، أما والله لو أني صاحبُه ما سألني خصلةً أبداً إلا أعطيتُها إياه ، ولدفعتُ الحتْف عنه بكلّ ما استطعتُ ولو بهلاك بعض ولَدي ، ولكنّ الله قضى ما رأيت ، كاتِبْني وأنه كلَّ حاجة تكون لك ، قال: وكساهم وأوْصَى بهم ذلك الرسول؛ قال: فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه ، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرّق هو وأصحابُه حولَهم كهيئة الحرَس لهم ، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاءَ حاجة لم يحتشم ، فلم يزل يُنازلهم في الطريق هكذا ، ويسألهم عن حوائجهم ، ويُلطِفهم حتى دخلوا المدينة.

وقال الحارث بن كعب: فقالت لي فاطمة بنت عليّ: قلت لأختي زينب:

يا أخَيَّة ، لقد أحسنَ هذا الرجلِ الشأمي إلينا في صحبتنا ، فهل لكِ أن نصِلَه؟ فقالت: واللهِ ما معنا شيء نصِلُه به إلاّ حُليّنا؛ قالت لها: فنعطيه حُليَّنا؛ قالت: فأخذتُ سِواري ، ودُمْلُجي ، وأخذتْ أختي سِوارَها ، ودُملجَها ، فبعثنا بذلك إليه ، واعتذرْنا إليه ، وقلنا له: هذا جزاؤكَ بصحبتك إيّانا بالحسَن من الفعل؛ قال: فقال: لو كان الذي صنعتُ إنما هو للدنيا كان في حليّكنّ ما يرضيني ودونَه ، ولكنْ والله ما فعلتُه إلا لله ، ولقرابتكم من رسول الله ﷺ[1] .

(٥: ٤٦١ ـ ٤٦٣) .

قال هشام: وأما عَوانة بن الحكم الكلبيّ فإنه قال: لما قُتل الحسين وجيء بالأثقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عُبيد الله ، فبينا القومُ محتبسون إذ وقع حجَر في السجن ، معه كتاب مربوط ، وفي الكتاب خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيدَ بن معاوية ، وهو سائر كذا وكذا يوماً ، وراجع في كذا وكذا ، فإن سمعتم التكبيرَ فأيقنوا بالقتل ، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله؛ قال: فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد أُلقيَ في السجن ، ومعه كتاب مربوط ومُوسَى ، وفي الكتاب: أوصُوا واعهَدُوا فإنما يُنتظر البريد يوم كذا وكذا ، فجاء البريد ولم يُسمع التكبير ، وجاء كتاب بأن سرّح الأسارى إليّ. قال: فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذي الجَوْشن ، فقال: انطلقوا بالثقَل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية؛ قال: فخرجوا حتى قدموا على يزيدَ ، فقام مُحفز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته: جئنا برأس أحمَق الناس وألأمِهم؛ فقال يزيد: ما ولدتْ أمّ مُحفز ألأمَ وأحمقَ ، ولكنه قاطعٌ ظالم؛ قال: فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين ، قال:

يفلِّقن هاماً من رجالٍ أعزَّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلَما

ثم قال: أتدرون من أين أُتِي هذا؟ قال: أبي عليٌّ خيرٌ من أبيه ، وأمِّي فاطمة خيرٌ من أمه ، وجدّي رسولُ الله خيرٌ من جدّه ، وأنا خيرٌ منه وأحقّ بهذا الأمر منه؛ فأما قوله: «أبوه خيرٌ من أبي» ، فقد حاجّ أبي أباه ، وعلم الناسُ أيُّهما حكم له؛ وأما قولُه: «أمّي خير من أمّه» ، فلَعَمري فاطمةُ ابنة رسولِ الله ﷺ خيرٌ من

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

أميّ؛ وأما قوله: «جدّي خيرٌ من جدّه» ، فلعمري ما أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر يَرَى لرسول الله فينا عِدْلاً ولا نِدّاً ، ولكنه إنما أُتِيَ من قبَل فقهه ، ولم يقرأ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، ثم أدخِل نساء الحسين على يزيد ، فصاح نساء آل يزيد ، وبنات معاوية ، وأهله ، ووَلْوَلنَ ، ثم إنهن أدخِلن على يزيد ، فقالت فاطمة بنت الحسين ـ وكانت أكبرَ من سُكينةَ: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد! فقال يزيد: يا ابنة أخي ! أنا لهذا كنت أكره؛ قالت: والله ما ترِك لنا خُرْص ، قال: يا ابنة أخي ! ما آتٍ إليكِ أعظَم مما أخِذَ منكِ ، ثم أخرجن فأُدخلن دارَ يزيد بن معاوية ، فلم تبق امرأةٌ من آل يزيدَ إلا أتتهنّ ، وأقمن المأتَم ، وأرسل يزيد إلى كلّ امرأة: ماذا أخِذ لك؟ وليس منْهنّ امرأة تدَّعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا قد أضعفه لها ، فكانت سكينة تقول: ما رأيتُ رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد بنِ معاوية ، ثم أدخل الأسارى إليه وفيهم عليُّ بن الحسين ، فقال له يزيد: إيهٍ يا عليّ! فقال عليّ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ، فقال يزيد: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ ثم جهزه وأعطاه مالاً ، وسرّحه إلى المدينة. (٥: ٤٦٣ ـ ٤٦٤).

قال هشام: عن أبي مخنف ، قال: حدّثني أبو حمزة الثُّماليُّ ، عن عبد الله الثُّماليّ ، عن القاسم بن بُخَيْت ، قال: لما أقبل وفدُ أهلِ الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق ، فقال لهم مروان بن الحكم ، كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً ، فأتينا والله على آخرهم ، وهذه الرؤوس والسَّبايا ، فوثب مروان فانصرف ، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم ، فقال: ما صنعتم؟ فأعادوا عليه الكلام ، فقال: حُجبتم عن محمد يومَ القيامة؛ لن أجامعَكم على أمر أبداً ثم قام فانصرف ، ودخلوا على يزيدَ فوضعوا الرأسَ بين يديه ، وحدّثوه الحديث. قال: فسمعتْ دَوْرَ الحديثِ هند بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيز ـ وكانت تحت يزيد بن معاوية ـ فتقنّعَتْ بثوبها ، وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين ! أرأس الحسين بن فاطمةَ بنت رسول الله! قال: نعم فأعْوِلي عليه ، وحُدّي على

ابن بنت رسول الله ﷺ وصريحة قريش؛ عجلَ عليه ابن زياد فقتله قَتَله الله! ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيبٌ فهو ينكُت به في ثغره، ثم قال: إنّ هذا وإيّانا كما قال الحُصَين بنُ الحُمَام المُرّيّ:

يفلِّقن هاماً من رجالٍ أحبةٍ إلينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له أبو برزة الأسلميّ: أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين! أما لقد أخَذ قضيبُك من ثغره مأخذاً، لربما رأيتُ رسول الله ﷺ يَرشِفه، أما إنك يا يزيد تجيء يومَ القيامة، وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا يومَ القيامة ومحمد ﷺ شفيعه؛ ثم قام فولّى[1]. (٥: ٤٦٥).

قال هشام: حدّثني عَوَانة بن الحكم، قال: لما قَتل عبيدُ الله بن زياد الحسينَ بن عليّ وجيء برأسه إليه، دعا عبد الملك بن أبي الحارث السُّلَمِيّ، فقال: انطلقْ حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص فبشِّره بقَتْل الحسين ـ وكان عمرو بن سعيد بن العاص أميرَ المدينة يومئذ ـ قال: فذهب ليعتلّ له، فزجره ـ وكان عبيد الله لا يُصطلَى بنارِه ـ فقال: انطلق حتى تأتيَ المدينة، ولا يسبقك الخبر؛ وأعطاه دنانير، وقال: لا تعتلّ، وإن قامت بك راحلتُك، فاشتر راحلة؛ قال عبد الملك: فقدمتُ المدينة، فلقيَني رجل من قريش، فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! قُتِل الحسين بن عليّ؛ فدخلتُ على عمرو بن سعيد فقال: ما وراءك؟ فقلت: ما سَرَّ الأمير، قُتِل الحسين بن عليّ؛ فقال: نادِ بقَتْله، فنادَيْت بقتله، فلم أسمع والله واعيةً قطّ مثل واعية نساء بني هاشم في دُورهنّ على الحسين، فقال عمرو بن سعيد وضحك:

عجَّت نساءُ بني زياد عجّةً كَعجيجِ نِسْوتنا غداةَ الأَرْنب

والأرنب: وقعةٌ كانت لبني زُبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب، من رهط عبد المدان، وهذا البيتُ لعَمرو بن معديكرَب، ثم قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمانَ بن عفّان، ثم صعد المنبَر فأعْلَمَ الناسَ قتلَه. (٥: ٤٦٥ ـ ٤٦٦).

قال هشام: عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن عبد الرحمن بن

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

عبيد أبي الكَنود ، قال: لما بلغ عبدَ الله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنيه مع الحسين؛ دخل عليه بعضُ مواليه والناس يعزّونه ـ قال: ولا أظنّ مولاه ذلك إلا أبا اللِّسلاس ـ فقال: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين! قال: فحذَفه عبد الله بن جعفر بنعله ، ثم قال: يا بن اللَّخناء ، أللحسين تقول هذا! والله لو شهدتُه لأحببتُ ألاّ أفارقَهُ حتى أقتلَ معه ، والله إنه لما يسخِّي بنفسي عنهما ، ويهوّن عليّ المصابَ بهما ، أنهما أصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيَيْن له؛ صابرَيْن معه ، ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله عزّ وجلّ على مصرَع الحسين ، إلا تكن آستْ حسيناً يدي ، فقد آساه ولَديَّ ، قال: ولَمَّا أتى أهلَ المدينة مقتلُ الحسين خرجتْ ابنةُ عَقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوى بثوبها وهي تقول:

مـاذَا تقـولـونَ إنْ قـالَ النبـيُّ لكـمْ ... مـاذا فعلتـمْ وأنتـمْ آخِـرُ الأُمَـمِ

بعِتْـرتـي وبـأهلـي بعَـد مُفتَقَـدي ... منهمْ أُسارَى ومنهمْ ضُرّجِوا بدم![1]

(٥: ٤٦٦ ـ ٤٦٧).

قال هشام: عن عوانة ، قال: قال عُبيد الله بن زياد لعمَر بن سعد بعد قتله الحسين: يا عمر ! أين الكتاب الذي كتبتُ به إليك في قتل الحسين؟ قال: مضيتُ لأمرك وضاع الكتاب؛ قال: لتجيئنّ به؛ قال: ضاع؛ قال: والله لتجيئنّي به؛ قال: تُركَ والله يُقرأ على عجائز قريش اعتذاراً إليهنّ بالمدينة ، أمّا والله لقد نصحتُك في حسين نصيحةً لو نصحتُها أبي سعد بن أبي وّقاص كنت قد أدّيت حقه ، قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله ، لوَددتُ أنه ليس من بني زياد رجلٌ إلا وفي أنفه خِزامةٌ إلى يوم القيامة وأنّ حسيناً لم يُقتل؛ قال: فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله. (٥: ٤٦٧).

قال هشام: حدّثني بعض أصحابنا ، عن عمرو بن أبي المقدام ، قال: حدّثني عمرو بن عكرمة ، قال: أصبحنا صبيحةَ قتل الحسين بالمدينة ، فإذا مولىً لنا يحدّثنا ، قال: سمعتُ البارحة منادياً ينادي وهو يقول:

أيّهَـا القـاتلـون جَهْـلاً حُسينـاً ... أبشِـروا بـالعـذابِ والتَّنكيـلِ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

كلُّ أهل السماء يدعو عليكمْ   من نبيٍّ وملأَكٍ وقبيل
قد لُعِنتمْ على لسان ابن داو   دَ وموسى وحامِل الإنجيل

قال هشام: حدّثني عمر بن حيزوم الكلبيّ، عن أبيه، قال: سمعتُ هذا الصوت. (٥: ٤٦٧).

ذكر أسماء من قُتل من بني هاشم مع الحسين عليه السلام وعدد من قُتل من كلّ قبيلة من القبائل التي قاتلته:

قال هشام: قال أبو مخنف: ولما قِتل الحسين بن عليّ عليه السلام جيء برؤوس مَن قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عُبيد الله بن زياد، فجاءت كِنْدة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هَوازنُ بعشرين رأساً وصاحبهم شَمر بن ذي الجوْشن، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستة أرؤس، وجاءت مَذْحِج بسبعة أرؤس، وجاء سائرُ الجيش بسبعة أرؤس، فذلك سبعون رأساً.

قال: وقُتل الحسين ـ وأمّه فاطمةَ بنت رسول الله ﷺ ـ قتلَه سنان بن أنس النَّخعيّ ثم الأصبحيّ وجاء برأسه خَوْليّ بن يزيد، وقُتل العباس بن عليّ بن أبي طالب ـ وأمّه أمّ البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد ـ قتله زيد بن رُقاد الجَنبيّ، وحكيم بن الطفيل السِّنْبِسيّ، وقتل جعفر بن عليّ بن أبي طالب ـ وأمه أمّ البنين أيضاً ـ وقُتل عبد الله بن عليّ بن أبي طالب ـ وأمه أمّ البنين أيضاً ـ وقتل عثمان بن عليّ بن أبي طالب ـ وأمه أمّ البنين أيضاً ـ رماه خوليّ بن يزيدَ بسهم فقتله ـ وقتل محمد بن عليّ بن أبي طالب ـ وأمه أم ولد ـ قتله رجل من بني أبان بن دارم، وقتل أبو بكر بن عليّ بن أبي طالب ـ وأمه ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربْعيّ بن سُلْمَي بن جندل بن نَهْشَل بن دارم، وقد شُكّ في قتله، وقُتل عليّ بن الحسين بن عليّ ـ وأمه ليلى ابنة أبي مرَّة بن عروة بن مسعود بن معتِّب الثقفيّ، وأمها ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب ـ قتله مرّة بن مُنقذ بن النعمان العبديّ، وقتل عبد الله بن الحسين بن عليّ ـ وأمه الرّباب ابنة امرئ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم من كلْب ـ قتله هانئ بن ثُبيت الحضرميّ، واستصغِر عليّ بن الحسين بن عليّ فلم يُقتل، وقُتل أبو بكر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ وأمه أمّ ولد ـ قتله عبدُ الله بن عقبة

الغَنَويّ ، وقُتل عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ وأمه أمّ ولد ـ قتله حرملة بن الكاهن ، رماه بسهم؛ وقتل القاسم بن الحسن بن عليّ ـ وأمّه أم ولد ـ قتله سعد بن عمرو بن نُفيل الأزديّ ، وقتل عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ـ وأمه جمانة ابنة المسيَّب بن نَجَبة بن ربيعة بن رياح من بني فَزارة ـ قتله عبد الله بن قُطْبَة الطائي ثم النَّبْهانيّ ، وقتِل محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ـ وأمّه الخوصاء ابنة خَصَفة بن ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل ـ قتَله عامر بن نَهْشل التيميّ ، وقُتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب ـ وأمه أمّ البنين ابنة الشقر بن الهضاب ـ قتله بشر بن حَوْط الهمْدانيّ ، وقُتِل عبد الرحمن بن عَقِيل ـ وأمه أمّ ولد ـ قتله عثمان بن خالد بن أسير الجُهنيّ ، وقتل عبد الله بن عقيل بن أبي طالب ، وأمه أمّ ولد ـ رماه عمرو بن صُبيَح الصدائيّ فقتله؛ وقتل مسلم بن عَقِيل بن أبي طالب ـ وأمّه أمّ ولد ، ولد بالكوفة ـ وقتِل عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وأمّه رُقيّة ابنة عليّ بن أبي طالب وأمها أمّ ولد ـ قتله عمرو بن صبيح الصدائيّ؛ وقيل: قتله أسيد بن مالك الحضرميّ ، وقتل محمد بن أبي سعيد بن عقيل ـ وأمه أمّ ولد ـ قتله لقيط بن ياسر الجهنيّ ، واستُصغر الحسن بن الحسن بن عليّ ، وأمه خولة ابنة منظور بن زبّان بن سيار الفزاريّ ، واستصغر عمر بن الحسين بن عليّ فتُرِك فلم يُقتل ـ وأمه أمّ ولد ـ وقُتِل من الموالي سليمان مولى الحسين بن عليّ ، قتله سليمان بن عوف الحضرميّ ، وقتل مُنْجِح مولى الحسين بن عليّ ، وقتل عبد الله بن بُقْطُر رضيع الحسين بن عليّ[1] . (٥ : ٤٦٧ ـ ٤٦٩) .

قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي: أن عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين تفقد أشراف أهل الكوفة ، فلم ير عبيد الله بن الحُرّ ، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه ، فقال: أين كنت يابن الحرّ؟ قال: كنت مريضاً؛ قال: مريض القلب ، أو مريض البدن! قال: أما قلبي فلم يمرض ، وأما بدني فقد منَّ الله عليَّ بالعافية ، فقال له ابن زياد: كذبتَ؛ ولكنك كنتِ مع عدوّنا؛ قال: لو كنت مع عدوّك لرُئيَ مكاني ، وما كان مثل مكاني يخفى؛ قال: وغفل عنه ابن زياد غفلةً ، فخرج ابن الحرّ فقعد على فرسه ، فقال ابن زياد: أين ابن الحرّ؟

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

قالوا: خرج الساعة؛ قال: عليَّ به؛ فأحضِرَت الشُّرَط فقالوا له: أجب الأميرَ؛ فدفع فرسه ثم قال: أبلغوه أنِّي لا آتيه والله طائعاً أبداً؛ ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد الطائيّ فاجتمع إليه في منزله أصحابه، ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم، فاستغفر لهم هو وأصحابه، ثم مضى حتى نزل المدائن، وقال في ذلك:

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقَّ غادرٍ: ألاَ كنتَ قاتَلْتَ الشهيد ابنَ فاطمةْ!
فيا نَدمي ألاّ أكونَ نصرتُهُ ألا كلُّ نفس لا تُسدّد نادِمَهْ
وإنِّي لأنِّي لم أكُن من حُماتِهِ لذُو حسرةٍ ما إن تفارق لازمَه
سَقَى الله أرواحَ الذين تأزّروا على نصرهِ سُقْيَا من الغيْثِ دائمةْ
وقفتُ على أجْداثِهِمْ ومجالِهِمْ فكاد الحَشَا ينفضُّ والعينُ ساجمَه
لَعَمْري لقد كانوا مَصَاليتَ في الوَغى سِراعاً إلى الهيجا حُماةً خَضارمَهْ
تآسَوْا على نَصْر ابن بنتِ نبيِّهمْ بأسيافهمْ آسادَ غِيلٍ ضَراغِمَهْ
فإن يُقتلوا فكلُّ نفسٍ تقيَّةٍ على الأَرض قد أَضْحَت لذلك واجمَهْ
وما إن رأى الرَّاؤُون أفضلَ منهُمُ لدى الموتِ ساداتٍ وزُهْراً قماقِمهْ
أتقتلهمْ ظلماً وترجو ودادَنا فَدَع خُطَّةً ليست لنا بملائمهْ!
لعمري لقد راغَمتُمونا بقتلهمْ فكم ناقِمٍ مِنَّا عليكم وناقِمَهْ
أهُمّ مِراراً أن أَسِيرَ بجَحْفلٍ إلى فئةٍ زاغتْ عن الحقِّ ظالِمهْ
فكُفُّوا وإلاَّ ذُدتُكمْ في كَتَائبٍ أشَدَّ عليكمْ من زُحُوفِ الديالِمَهْ[1]

(٥: ٤٦٩ ـ ٤٧٠)

ذكر خبر مقتل مرداس بن عمرو بن حُدَير

وفي هذه السنة قتِل أبو بلال مرداس بن عمرو بن حُدَير من ربيعة بن حنظلة.

ذكر سبب مقتله:

قال أبو جعفر الطبريّ: قد تقدم ذكر سبب خروجه، وما كان من توجيه عبيد الله بن زياد إليه أسلَم بن زُرعة الكلابيّ في ألفَيْ رجل، والتقائهم بآسَك وهزيمة أسلم وجيشه منه ومن أصحابه فيما مضى من كتابنا هذا.

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ولما هزم مرداس أبو بلال أسلمَ بن زرعة ، وبلغ عبيدَ الله بن زياد؛ سرَّح إليه ـ فيما حُدّثتُ عن هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال: حدّثني أبو المخارق الراسبيّ ـ ثلاثة آلاف ، عليهم عبّاد بن الأخضر التميميّ ، فأتبعه عبّاد يطلبه حتى لحقه بتَوَّج ، فصفّ له ، فحمل عليهم أبو بلال وأصحابه ، فثبتوا ، وتعطّف الناس عليهم فلم يكونوا شيئاً ، وقال أبو بلال لأصحابه: مَنْ كان منكم إنما خرج للدنيا فليذهب ، ومن كان منكم إنما أراد الآخرة ولقاءَ ربِّه فقد سبق ذلك إليه ، وقرأ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ ، فنزل ونزل أصحابه معه لم يفارقه منهم إنسان ، فقُتلوا من عند آخرهم ، ورجع عبّاد بن الأخضر ، وذلك الجيش الذي كان معه إلى البصرة ، وأقبل عبيدة بن هلال معه ثلاثة نفر هو رابعهم ، فرصد عبّاد بن الأخضر ، فأقبل يريد قصر الإمارة وهو مردف ابناً له غلاماً ، صغيراً ، فقالوا: يا عبد الله ! قف حتى نستفتيك؛ فوقف ، فقالوا: نحن إخوةٌ أربعة ، قُتل أخونا ، فما تَرَى؟ قال: استَعدُوا الأميرَ ، قالوا: قد استعدَيناه فلم يُعْدِنا؛ قال: فاقتلوه ، قتله الله! فوَثَبوا عليه فحكَّموا ، وألقى ابنَه فقتلوه[1] . (٥ : ٤٧٠ ـ ٤٧١) .

ذكر خبر ولاية سَلْم بن زياد على خراسان وسجستان

وفي هذه السنة وَلَّى يزيد بن معاوية سَلْمَ بن زياد سِجستانَ وخُراسان .

ذكر سبب توليته إياه :

حدّثني عمر ، قال: حدّثني عليّ بن محمد ، قال: حدّثنا مسلَمة بن مُحارب بن سلم بن زياد ، قال: وفد سَلْم بن زياد على يزيدَ بن معاوية وهو ابن أربع وعشرين سنة ، فقال له يزيد: يا أبا حرْب ! أولّيك عمل أخوَيك: عبد الرحمن وعبّاد؟ فقال: ما أَحَبَّ أميرُ المؤمنين. فولاّه خُراسان وسجِستان ، فوجّه سلْم الحارثَ بن معاوية الحارثيّ جدّ عيسى بن شبيب من الشأم إلى خُراسان ، وقَدِم سلم البصرة ، فتجهز وسار إلى خراسان ، فأخذ الحارث بن قيس بن الهيثم السُّلمِيّ فحبسه ، وضرب ابنه شبيباً ، وأقامه في سراويلَ ، ووّجه أخاه يزيد بن زياد إلى سجستان ، فكتب عبيد الله بن زياد إلى عبّاد أخيه ـ وكان له

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

صديقاً - يخبره بولاية سَلْم ، فقسم عبّاد مافي بيت المال في عبيده ، وفَضَلَ فضلٌ فنادَى مناديه: من أراد سلفاً فليأخذ ، فأسلف كلّ من أتاه ، وخرج عبّاد عن سِجِسْتان ، فلمْا كان بجِيرَفْت بلغه مكانُ سَلْم - وكان بينهما جبل - فعدل عنه ، فذهب لعبّاد تلك الليلة ألف مملوك ، أقلُّ ما مع أحدهم عشرة آلاف ، قال: فأخذ عبّاد على فارس ، ثمّ قدم على يزيد ، فقال له يزيد: أين المال؟ قال: كنتُ صاحبَ ثغر ، فقسمتُ ما أصبتُ بين الناس ، قال: ولما شخَصَ سَلْم إلى خُراسانَ شخص معه عمران بن الفصِيل البُرْجميّ ، وعبد الله بنِ خازم السلَميّ ، وطلحة بن عبد الله بن خَلَف الخُزاعيّ ، والمهلَّب بن أبي صُفرَةَ ، وحنظلة بن عَرَادة ، وأبو حُزّابة الوليد بن نَهيك أحد بني ربيعة بن حنظلة ، ويحيى بن يَعْمَر العَدْوانيّ حليف هُذَيل ، وخلْق كثير من فُرسان البصرة وأشرافهم ، فقَدِم سَلْم بن زياد بكتاب يزيدَ بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد بنُخْبَةِ ألفي رجلٍ ينتخبهم - وقال غيره: بل نُخبةِ ستة آلاف - قال: فكان سلْم ينتخب الوجوهَ والفرسان ، ورغب قوم في الجهاد فطلبوا إليه أن يُخرجهم ، فكان أول من أخرجه سلم حنظلة بن عَرَادة ، فقال له عُبيد الله بن زياد: دعه لي؛ قال: هو بيني وبينك ، فإن اختارك فهو لك ، وإن اختارني فهو لي ، فاختار سَلْماً؛ وكان الناس يكلّمون سلماً ويطلبون إليه أن يكتبهم معه ، وكان صلة بن أشْيَم العَدوِيّ يأتي الديوان فيقول له الكاتب: يا أبا الصّهباء ، ألا أثبتُ اسمك ، فإنه وجهٌ فيه جهادٌ وفَضْل؟ فيقول له: أستخير الله وأنظرُ ، فلم يزل يدافع حتى فرغ من أمرِ الناس ، فقالت له امرأته مُعاذة ابنة عبد الله العَدوّية: ألاَ تكتب نفسك؟ قال: حتى أنظر ، ثم صلى واستخار الله؛ قال: فرأى في منامه آتياً أتاه ، فقال له: أخرج فإنك تَرْبَح وتُفلِح وتنجح؛ فأتى الكاتب فقال له: أثبتني؛ قال: قد فرغْنا ولن أدعَك ، فأثبته وابنه ، فخرج سلْم فصيَّره سلم مع يزيد بن زياد فسار إلى سِجِستان. (٥: ٤٧١ ـ ٤٧٣).

قال عليّ بن محمد: ذكر الحسن بن رشيد الجُوزَجانيُّ عن شيخ من خُزاعة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال: غزوت مع سَلم بن زياد خُوارَزْم ، فصالحوه على مال كثير ، ثم عبر إلى سمرقند فصالحه أهلُها ، وكانت معه امرأته أمّ محمد ، فولدتْ له في غزاته تلك ابناً ، وأرسلتْ إلى امرأة صاحب الصُّغْد تستعير منها حليّاً ، فبعثتْ إليها بتاجها؛ وقَفَلوا ، فذهبتْ بالتاج. (٥: ٤٧٣ ـ ٤٧٤).

ذكر سبب عزل يزيد عمرَو بن سعيد عن المدينة
وتوليته عليها الوليد بن عتبة

وكان السبب في ذلك وسبب إظهار عبد الله بن الزّبير الدعاءَ إلى نفسه ـ فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن عبد الملك بن نَوْفل ـ قال : حدّثني أبي ، قال : لما قُتل الحسين عليه السلام قام ابن الزُّبير في أهل مكة وعظَّم مقتلَه ، وعاب على أهل الكوفة خاصّة ، ولامَ أهلَ العراق عامة ، فقال بعد أن حَمِد الله وأثْنَى عليه وصَلى على محمد ﷺ: إنّ أهل العراق غُدُرٌ فُجُرٌ إلا قليلاً ، وإن أهل الكوفة شِرارُ أهل العراق؛ وإنهم دَعَوا حُسيناً لينصروه ويولّوه عليهم ، فلما قدِم عليهم ثاروا إليه ، فقالوا له: إمّا أن تضع يدَك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سميَّة سِلْماً فيُمضِيَ فيك حكمَه ، وإما أن تحارب؛ فرأى ـ والله إنه هو وأصحابه قليل في كثير ، وإن كان الله عزّ وجلّ لم يُطلع على الغيب أحداً ـ: أنه مقتول ، ولكنّه اختار الميتة الكريمةَ على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسيناً ، وأخزَى قاتلَ حسين! لعَمري لقد كان من خلافهم إيّاه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناهٍ عنهم ، ولكنه ما حُمَّ نازل ، وإذا أراد الله أمراً لن يُدْفَع ، أفبعد الحسين نطمئنّ إلى هؤلاء القوم ونصدّق قولهم ونقبل لهم عهداً؟! لا ، ولا نراهم لذلك أهلاً؛ أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صيامه ، أحقَّ بما هم فيه منهم وأوْلى به في الدّين والفضل! أما والله ما كان يبدّل بالقرآن الغناءَ، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداء ، ولا بالصّيام شرب الحرام ، ولا بالمجالس في حَلَق الذكر الرّكض في تَطْلاب الصيد ـ يعرِّض بيزِيد ـ فسوف يلقون غَيّاً.

فثارَ إليه أصحابه فقالوا له: أيُّها الرجل أظهِر بيعتك ، فإنه لم يبقَ أحد ـ إذْ هَلَك حسين ـ ينازعك هذا الأمر ، وقد كان يبايع الناس سرّاً ، ويُظهر: أنه عائذ بالبيت ، فقال لهم: لا تعجلوا. وعمرو بن سعيد بن العاص يومئذ عامل مكة ، وقد كان أشدّ شيء عليه وعلى أصحابه ، وكان مع شدّته عليهم يداري ويرفق. فلما استقرّ عند يزيدَ بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير من الجُموع بمكة ، أعطى الله عهداً ليُوثِقَنّه في سلسلة ، فبعث بسلسلة من فضّة ، فمرّ بها البريد على مَرْوان بن الحَكَم بالمدينة ، فأخبِر خبر ما قدم له وبالسلسلة التي معه ، فقال مروان:

خُـذْهـا فليسـتْ للعـزيـزِ بخُطَّـةٍ ... وفيهـا مقـالٌ لامـرىءٍ مُتضعِّـفِ

ثم مضى من عندِه حتى قدم على ابن الزبير ، فأتى ابنَ الزبير فأخبَرَه بممرّ البريد على مروان ، وتمثُّل مروان بهذا البيت ، فقال ابن الزبير: لا والله لا أكون أنا ذلك المتضعّف؛ وردّ ذلك البريد ردّاً رقيقاً.

وعلا أمر ابن الزبير بمكة ، وكاتَبه أهلُ المدينة ، وقال الناس: أمّا إذ هَلَك الحسين عليه السلام فليس أحدٌ ينازع ابن الزبير[١]. (٥ : ٤٧٤ ـ ٤٧٥).

قال هشام: عن خالد بن سعيد ، عن أبيه سعيد بن عمرو بن سعيد: إن عمرو بن سعيد لما رأى الناس قد اشرأبُّوا إلى ابن الزُّبير ، ومَدُّوا إليه أعناقَهم؛ ظَنّ أنّ تلك الأمور تامّةٌ له ، فبعث إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ـ وكانت له صُحبة ، وكان مع أبيه بمِصْر ، وكان قد قرأ كتب دنيال هنالك ، وكانت قريش إذ ذاك تَعُدّه عالماً ـ فقال له عمرو بن سعيد: أخبِرْني عن هذا الرجل ، أتَرَى ما يطلب تاماً له؟ وأخبِرْني عن صاحبي إلى ما ترى أمرَه صائراً إليه؟ فقال: لا أرى صاحبَك إلا أحد الملوك الذين تتمُّ لهم أمورهم حتى يموتوا وهم ملوك ، فلم يزدد عند ذاك إلا شدّةً على ابن الزبير وأصحابه ، مع الرفق بهم ، والمداراة لهم.

ثمّ إنّ الوليد بن عتبة وناساً معه من بني أمية قالوا ليزيد بن معاوية: لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك ، فسرّح الوليد بن عُتْبة على الحجاز أميراً ، وعزل عَمراً. (٥ : ٤٧٦ ـ ٤٧٧).

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

ذكر الخبر عمّا كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية

ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه:

وكان السبب في ذلك ـ فيما ذكر لوط بن يحيى ، عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق ، عن عبد الله بن عروة: أنّ يزيد بن معاوية لما سرّح الوليد بن عُتْبة على الحجاز أميراً ، وعَزَل عمرو بن سعيد؛ قدم الوليدُ المدينةَ فأخذ غلماناً كثيراً لعمرو ومواليَ له ، فحبَسَهم ، فكلّمه فيهم عمرو ، فأبى أن يخلّيَهم ، وقال له:

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

لا تجزع يا عمرو؛ فقال أخوه أبان بن سعيد بن العاص: أعمرو يَجزع! والله لو قبضتم على الجَمْرِ وقبض عليه ما تَرَكه حتى تتركوه ، وخرج عمرو سائراً حتى نزل من المدينة على ليلتين ، وكتب إلى غلمانه ومواليه وهم نحوٌ من ثلاثمئة رجل: إني باعث إلى كلّ رجل منكم جَمَلاً وحقيبةً وأداته ، وتُناخ لكم الإبل في السوق ، فإذا أتاكم رسولي فاكسروا بابَ السجن ، ثم ليقمْ كلُّ رجل منكم إلى جَمَله فليركبْه ، ثمّ أقبِلوا عليّ حتى تأتوني؛ فجاء رسولُه حتى اشترى الإبل ، ثمّ جهّزها بما ينبغي لها ، ثمّ أناخها في السوق ، ثمّ أتاهم حتى أعلمهم ذلك ، فكسروا باب السجن ، ثم خرجوا إلى الإبل فاستوَوْا عليها ، ثمّ أقبلوا حتى انتهوا إلى عمرو بن سعيد فوجدوه حين قدم على يزيدَ بن معاوية ، فلما دخل عليه رحّب به وأدنى مجلسَه .

ثمّ إنه عاتبه في تقصيره في أشياء كان يأمره بها في ابن الزّبير ، فلا ينفّذ منها إلا ما أراد ، فقال: يا أمير المؤمنين ! الشاهدُ يَرَى ما لا يَرَى الغائبُ ، وإنّ جُلَّ أهلِ مكة وأهل المدينة قد كانوا مالُوا إليه وهوَوه وأعطوه الرّضا ، ودعا بعضهم بعضاً سِرّاً وعلانية ، ولم يكن معي جند أقوى بهم عليه لو ناهضتهُ ، وقد كان يحذَرُني ويتحرَّز مني ، وكنت أرفُق به وأداريه لأستمكر منه فأثبَ عليه ، مع أني قد ضَيَّقتُ عليه ، ومنعتُه من أشياءَ كثيرة لو تركته وإياها ما كانت له إلا معونةً ، وجعلتُ على مكة وطُرُقها وشعابها رجالاً لا يَدَعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا إليّ باسمه واسم أبيه ، ومن أيّ بلاد الله هو ، وما جاء به وما يريد؛ فإنْ كان من أصحابه أو ممن أرى أنه يريده رددتُه صاغراً ، وإن كان ممن لا أتّهم ، خلّيتُ سبيلَه ، وقد بعثتَ الوليد ، وسيأتيك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضلَ مبالغتي في أمرك ، ومناصحتي لك إن شاء الله ، واللهُ يصنع لك ، ويَكبت عدوّك يا أمير المؤمنين ! .

فقال له يزيد: أنت أصدَق ممن رقَّى هذه الأشياء عنك ، وحَمَلَني بها عليك ، وأنت ممن أثق به ، وأرجو معونته ، وأدخره لرأبِ الصَّدْع ، وكفاية المُهمّ ، وكشفِ نوازل الأمور العظام؛ فقال له عمرو: وما أرى يا أميرَ المؤمنين أنّ أحداً أولَى بالقيام بتشديد سلطانك ، وتوهين عدوك ، والشدّة على من نابَذَك مني .

وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير ، فلا يجده إلا متحذّراً متمنّعاً ، وثار

نَجْدة بن عامر الحنفيّ باليمامة حين قُتل الحسين ، وثار ابن الزبير ، فكان الوليد يُفيض من المُعَرَّف ، وتُفيض معه عامة الناس ، وابن الزبير واقف وأصحابه ، ونجدة واقفٌ في أصحابه ، ثم يُفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه ، لا يُفيض واحد منهم بإفاضة صاحبه ، وكان نجدة يَلقَى ابن الزّبير فيكثِّر حتى ظنّ الناس أنه سيبايعه ، ثمّ إنّ ابن الزبير عمل بالمكر في أمر الوليد بن عُتبة ، فكتب إلى يزيدَ بن معاوية: إنك بعثتَ إلينا رجلاً أخرَق ، لا يَتَّجه لأمر رشَد ، ولا يَرعَوي لعظَة الحكيم ، ولو بعثتَ إلينا رجلاً سهلَ الخُلُق ، ليِّن الكتف؛ رجوتُ أن يَسْهُل من الأمور ما استَوْعَر منها ، وأن يجتمع ما تفرّق ، فانظر في ذلك ، فإنّ فيه صلاح خواصّنا وعوامّنا إن شاء الله؛ والسلام.

فبعث يزيدُ بن معاوية إلى الوليد فعزَله وبعث عثمان بن محمد بن أبي سُفْيان ـ فيما ذكر أبو مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن حميد بن حمزة؛ مولىً لبني أمية ، قال: فقَدِم فتى غرٌّ حَدَثٌ غَمْرٌ لم يُجرّب الأمور ، ولم يحنّكه السنّ ، ولم تُضرّسه التجارب؛ وكان لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله ، وبعث إلى يزيدَ وفداً من أهل المدينة فيهم عَبدُ الله بن حنظلة الغَسيل الأنصاريّ وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزوميّ ، والمنذر بن الزبير ، ورجالاً كثيراً من أشراف أهل المدينة ، فقدموا على يزيدَ بن معاوية ، فأكرمهم ، وأحسنَ إليهم ، وأعظم جوائزَهم ، ثمّ انصرفوا من عنده ، وقَدِموا المدينة كلهم إلاّ المنذر بن الزبير فإنه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة ـ وكان يزيد قد أجازه بمئة ألف درهم ـ فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينةَ قاموا فيهم فأظهروا شَتْمَ يزيدَ وعُتبة ، وقالوا: إنا قدمْنا من عندِ رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، ويَعزِف بالطنابير ، ويَضرِب عنده القيان ، ويَلعَب بالكلاب ، ويسامر الخُرَّاب والفتيان ، وإنا نُشهدكم أنا قد خلعناه؛ فتابَعَهم الناس [١].
(٥ : ٤٧٨ ـ ٤٨٠).

قال لوط بن يحيى: فحدّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، أنّ الناس أتَوا عبد الله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم [٢]. (٥ : ٤٨٠).

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

قال لوط: وحدثني أيضاً محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف: ورجع المنذر من عند يزيدَ بن معاوية، فقَدِم على عُبيد الله بن زيادة البصرةَ، فأكرمه وأحسن ضيافتَه، وكان لزياد صديقاً، إذ سقط إليه كتابٌ من يزيد بن معاوية حيث بلغه أمرُ أصحابه بالمدينة، أن أوثِقْ المنذرَ بن الزبير واحبِسه عندَك حتى يأتيَك فيه أمري؛ فكره ذلك عبيد الله بن زياد لأنه ضيْفه، فدعاه فأخبره بالكتاب وأقرأه إياه، وقال له: إنك كنت لزياد وُدّاً وقد أصبحتَ لي ضيفاً، وقد آتيتُ إليك معروفاً، فأنا أحبُّ أن أسدِيَ ذلك كله بإحسان، فإذا اجتمع الناس عندي فقُمْ فقُلْ: ائذنْ لي فلأنصرفْ إلى بلادي، فإذا قلتُ: لا بَلْ أقِمْ عندي فإنّ لك الكرامةَ والمواساة والأثَرةَ، فقُل: لي ضيعةٌ وشُغْلٌ، لا أجد من الانصراف بُدّاً فائْذَنْ لي، فإني آذنُ لك عند ذلك؛ فالحقْ بأهلك.

فلما اجتمع الناس عند عُبيد الله قام إليه فاستأذنه فقال: لا بل أقِمْ عندي فإني مُكرمُك ومُواسيك ومؤثرُك، فقال له: إنّ لي ضيعةً وشُغلاً، ولا أجدُ من الانصراف بدّاً فائْذَنْ لي؛ فأذن له، فانطلق حتى لحِق بالحجاز، فأتي أهلَ المدينة، فكان فيمن يحرِّض الناسَ على يزيد، وكان من قوله يومئذ: إن يزيدَ والله لقد أجازني بمئة ألف درهم، وإنه لا يمنعني ما صنع إليّ أن أخبركم خبرَه، وأصدُقكم عنه، والله إنه ليَشرب الخمر، وإنه ليَسكَر حتى يدَع الصلاة؛ وعابَه، بمثل ما عابه به أصحابُه الذين كانوا معه وأشدَّ، فكان سعيد بن عمرو يحدِّث بالكوفة: أنّ يزيدَ بن معاوية بلغه قولُه فيه فقال: اللهمَّ إني آثرتُه وأكرمتُه، ففعل ما قد رأيت، فاذكرْه بالكذب والقطيعة[1]. (٥: ٤٨٠ ـ ٤٨١).

قال أبو مخنف: فحدّثني سعيد بن زيد أبو المثلم: أنّ يزيدَ بن معاوية بعث النعمانَ بن بشير الأنصاريّ فقال له: ائتِ الناس وقومك فافثأهم عمّا يريدون، فإنهم إنْ لم ينهضوا في هذا الأمر لم يجترئ الناسُ على خلافي، وبها من عشيرتي من لا أحبّ أن ينهض في هذه الفتنة فيَهلك.

فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومَه، ودعا الناس إليه عامّة، وأمَرَهم بالطاعة ولزوم الجماعة، وخوّفهم الفتنةَ، وقال لهم: إنه لا طاقةَ لكم بأهل الشام؛ فقال

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

عبد الله بن مطيع العدويّ: ما يحملك يا نُعمانُ على تفريق جماعتنا، وفسادِ ما أصلَح الله من أمرنا! فقال النعمان: أمَا والله لكأني بك لو قد نزلتْ تلك التي تدعو إليها، وقامت الرَجال على الرُّكَب تَضرِب مفَارقَ القوم وجباهَهم بالسيوف، ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربتَ على بغلتك تضرب جنبيْها إلى مكّة، وقد خلّفت هؤلاء المساكينَ ـ يعني الأنصار ـ يُقتلون في سِكَكِهم ومساجدهم، وعلى أبواب دُورهم! فعصاه الناس، فانصرف، وكان والله كما قال[1].

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من إخراج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية عثمانَ بن محمد بن أبي سفيان من المدينة، وإظهارهم خلعَ يزيد بن معاوية وحصارهم من كان بها من بني أمية

ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن حبيب بن كُرّة: أنّ أهل المدينة لمّا بايعوا عبد الله بن حنظلة الغَسيل على خلع يزيد بن معاوية؛ وثبوا على عثمانَ بن محمد بن أبي سُفْيان، ومن بالمدينة من بني أميّة ومواليهم ومَن رأى رأيَهم من قريش، فكانوا نحواً من ألف رجل، فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دارَ مروان بن الحكم، فحاصَرَهم الناسُ فيها حصاراً ضعيفاً، قال: فدعت بنو أميّة حبيب بن كرّة، وكان الذي بَعَث إليه منهم مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان بن عفان، وكان مروان هو يدبِّر أمرهم. فأما عثمان بن محمد بن أبي سُفْيان فإنما كان غلاماً حدَثاً لم يكن له رأي قال عبد الملك بن نوفل: فحدّثني حبيب بن كرة، قال: كنت مع مروان، فكتب معي هو وجماعة من بني أميّة كتاباً إلى يزيدَ بن معاوية، فأخذ الكتابَ عبدُ الملك بن مروان حتى خرج معي إلى ثنيّة الوَدَاع، فدفع إليّ الكتاب وقال: قد أجّلتك اثنتي عشرة ليلةً ذاهباً واثنتي عشرة ليلةً مُقبلاً، فوافِني لأربع وعشرين ليلة في هذا المكان تجدني إن شاءَ الله في هذه الساعة جالساً أنتظرك. وكان الكتاب:

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

بسم الله الرّحمن الرّحيم: أمّا بعد، فإنه قد حُصِرنا في دار مروان بن الحَكم، ومُنِعنا العذْب، ورُمِينا بالجَبوب، فياغَوْثاه! يا غَوْثاه!

قال: فأخذتُ الكتاب ومضيت به حتى قدمتُ على يزيد وهو جالس على كُرسيّ، واضع قدمَيْه في ماءِ طست من وَجَع كان يجده فيهما ـ ويقال: كان به النِّقْرِس ـ فقرأه ثمّ قال فيما بلغَنا متمثّلاً:

لقد بدّلوا الحِلم الَّذي مِن سَجيَّتي فبدّلتُ قومي غِلظةً بليانِ

ثم قال: أما يكون بنو أميَّة ومواليهم ألفَ رجل بالمدينة؟ قال: قلت: بلى، والله وأكثر؛ قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار! قال: فقلتُ: يا أمير المؤمنين! أجمع الناس كلهم عليهم، فلم يكن لهم بجمع الناس طاقةٌ؛ قال: فبعث إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتابَ، وأخبَرَه الخبر، وأمَرَه أن يسير إليهم في الناس، فقال له: قد كنتُ ضبطتُ لك البلاد، وأحكمتُ لك الأمور، فأمّا الآن؛ إذ صارت إنما هي دِماء قريش تُهراق بالصّعيد، فلا أُحبّ أن أكون أنا أتولى ذلك، يتولاّها منهم مَن هو أبعد منهم منّي، قال: فبعثني بذلك الكتاب إلى مسلم بن عُقْبة المرّيّ ـ وهو شيخ كبير ضعيف مريض ـ فدفعتُ إليه الكتاب، فقرأه، وسألني عن الخبر فأخبرتُه، فقال لي مِثلَ مقالة يزيدَ: أمَا يكون بنو أمية ومواليهم وأنصارهم بالمدينة ألفَ رجل! قال: قلت: بل يكونون؛ قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار! ليس هؤلاء بأهل أن يُنصَروا حتى يَجهَدوا أنفسهم في جهاد عدّوهم، وعِزّ سلطانهم؛ ثم جاء حتى دخل على يزيدَ فقال: يا أمير المؤمنين! لا تنصرْ هؤلاء فإنهم الأذلاَّء؛ أما استطاعوا أن يقاتلوا يوماً واحداً أو شَطْرَه، أو ساعةً منه ؟! دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهَدوا أنفسهَم في جهاد عدوّهم، وعزّ سلطانهم، ويستبينَ لك من يقاتل منهم على طاعتك، ويصبر عليها أو يستسلم؛ قال: وَيحْك! إنه لا خيرَ في العيش بعدهم، فاخرج فأنْبِئْني نبأك، وسِرْ بالناس؛ فخرج مناديه فنادَى: أن سيروا إلى الحِجاز على أخذِ أعطياتكم كَمَلاً ومعونةِ مئة دينار توضَعُ في يد الرجل من ساعته، فانتدب ذلك اثنا عشر ألف رجل[1]. (٥: ٤٨٢ ـ ٤٨٣).

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا جرير، عن مغيرة، قال: كتب يزيد إلى ابن مَرْجانة: أن اغزُ ابنَ الزبير؛ فقال: لا أجمعهما للفاسق أبداً، أقتل ابنَ بنت رسولِ الله ﷺ، وأغزو البيتَ!

قال: وكانت مَرْجانة امرأة صدق، فقالت لعبيد الله حين قتِل الحسين عليه السلام: ويْلك! ماذا صنعتَ! وماذا ركبت! (٥ : ٤٨٣ ـ ٤٨٤).

رجع الحديث إلى حديث حبيب بن كُرّة، قال: فأقبلت حتى أوفِيَ عبد الملك بن مروان في ذلك المكان في تلك الساعة أو بُعَيدَها شيئاً.

قال: فوجدتُه جالساً متقنّعاً تحت شجرة، فأخبرته بالذي كان، فُسرّ به، فانطلقنا حتى دخلنا دارَ مروانَ على جماعة بني أمية، فنبّأتهم بالذي قُدِمتُ به، فحمِدوا الله عزّ وجلّ[1]. (٥ : ٤٨٤).

قال عبد الملك بن نوفل: حدَّثني حبيب: أنه بلغه في عشرة، قال: فلم أبرحْ حتى رأيت يزيد بن معاوية خرج إلى الخيل يتصفحها وينظر إليها؛ قال: فسمعتُه وهو يقول وهو متقلّد سيفاً، متنكبٌ قوساً عربيّة:

أَبلِغْ أبا بَكرٍ إذا الليلُ سَرَى ... وهَبَطَ القومُ على وادِي القُرَى
عشرون ألفاً بين كهلٍ وفتى ... أَجَمْع سكرانَ مِنَ القوم تَرَى!
أم جَمْع يَقظانَ نُفي عنه الكَرَى! ... يا عجباً مِن مُلْحِدٍ يا عَجبا!
مُخادع في الدين يقْفُو بالعُرى

قال عبد الملك بن نوفل: وفَصَل ذلك الجيش من عند يزيدَ وعليهم مُسلِم بن عُقْبة، وقال له: إن حَدث بك حَدَثٌ فاستخلفْ على الجيش حصين بن نُمَير السَّكونيّ؛ وقال له: ادعُ القومَ ثلاثاً، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلْهم، فإذا أظْهِرتَ عليهم فأبِحْها ثلاثاً، فما فيها من مالٍ أو رِقَةٍ أو سِلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاثُ فاكفُف عن الناس؛ وانظر عليّ بن الحسين، فاكففْ عنه، واستَوْصِ به خيراً، وأدنِ مجلسَه، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه، وقد أتاني كتابُه، وعليّ لا يعلم بشيء مما أوصَى به يزيد بن معاوية مسلمَ بن عقبة، وقد كان عليّ بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشأم أوى إليه ثَقَل مروان بن

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

الحكم ، وامرأتَه عائشة بنت عثمان بن عفّان ، وهي أمّ أبان بن مروان.

(٥ : ٤٨٤ ـ ٤٨٥) .

وقد حدّثت عن محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال: لما أخرج أهلُ المدينة عثمانَ بن محمد من المدينة ، كلّم مروان بن الحكم بن عمر أن يغيِّب أهلَه عنده ، فأبى ابن عمر أن يفعل ، وكلم عليَّ بن الحسين ، وقال: يا أبا الحسن ، إن لي رحِماً وحُرَمي تكون مع حُرَمك ، فقال: أفعل؛ فبعث بحُرَمه إلى عليّ بن الحسين ، فخرج بحُرمه وحُرَم مروان حتى وضعهم بيَنْبُعَ ، وكان مروانُ شاكراً لعليّ بن الحسين ، مع صداقة كانت بينهما قديمة.

(٥ : ٤٨٥) .

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن عبد الملك بن نَوْفل ، قال: وأقبل مسلم بن عُقبة بالجيش حتى إذا بلغ أهلَ المدينة إقبالُه وثبوا على مَنْ معهم من بني أميّة ، فحصروهم في دار مَرْوان ، وقالوا: والله لا نكفّ عنكم حتى نستنزلَكم ونضربَ أعناقكم ، أو تُعطونا عهدَ الله وميثاقَه لاتَبْغونا غائلةً ، ولا تدلّوا لنا على عَوْرة ، ولا تظَاهِروا علينا عدوّاً ، فنكفّ عنكم ونُخرجَكم عنّا ، فأعطَوْهم عهدَ الله وميثاقَه لا نبغيكم غائلةً ، ولا ندلّ لكم على عورة ، فأخرَجوهم من المدينة ، فخرجتْ بنو أمية بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القُرى ، وخرجتْ عائشة بنت عثمان بن عفان إلى الطائف ، فتمر بعلي بن حسين وهو بمالٍ له إلى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيئاً من أموالهم ، فقال لها: احملي ابني عبد الله معكِ إلى الطائف فحملتْه إلى الطائف حتى نُقِضتْ أمورُ أهل المدينة.

ولما قدمت بنو أميّة على مسلم بن عُقبة بوادي القرى دعا بعَمرو بن عثمان بن عفان أوّلَ الناس فقال له: أخبرني خبرَ ما وراءك ، وأشِرْ عليّ؛ قال: لا أستطيع أن أخبرَك ، أخِذ علينا العهودَ والمواثيقَ ألاّ ندلَّ على عورة ، ولا نظاهرَ عدوّاً ، فانتهره ثم قال: والله لولا أنّك ابنُ عثمانَ لضربتُ عنقَك ، وَايمُ الله لا أقيلها قُرَشيّاً بعدك ، فخرج بما لقي من عنده إلى أصحابه ، فقال مَرْوان بن الحكَم لابنه عبد الملك: ادخُلْ قبلي لعلّه يجتزِئ بك عني ، فدخل عليه عبد الملك ، فقال: هاتِ ما عندَك ، أخبِرني خبرَ الناس ، وكيف ترى؟ فقال له: نعم أرى أن تسير بمن معك؛ فتنكَّبَ هذا الطريقَ إلى المدينة ، حتى إذا انتهيتَ إلى أدنى نَخل بها

نزلتَ ، فاستظلَّ الناس في ظلّه ، وأكلوا من صَقْره؛ حتى إذا كان الليلُ أذكيتَ الحرس الليل كلّه عقباً بين أهل العسكر ، حتى إذا أصبحت صلّيتَ بالناس الغداةَ ، ثمّ مضيتَ بهم وتركت المدينة ذاتَ اليسار ، ثمّ أدَرْت بالمدينة حتى تأتيَهم من قبل الحرّة مُشرّقاً ، ثمّ تستقبل القومَ ، فإذا استقبلتَهم وقد أشرقَتْ عليهم وطلعت الشمسُ طلعت بين أكتاف أصحابك ، فلا تؤذيهم ، وتقع في وجوههم فيؤذيهم حَرُّها ، ويصيبهم أذاها ، ويرون ما دمتُم مُشَرقين من ائتلاق بيضكم وحِرابِكم ، وأسنَّة رماحِكم وسيوفِكم ودروعِكم وسَواعدكم ما لا ترونه أنتم لشيء من سلاحهم ما داموا مغرِّبين ، ثم قاتِلْهم واستَعِنْ بالله عليهم ، فإن الله ناصِرُك؛ إذا خالفوا الإمام ، وخرجوا من الجماعة ، فقال له مسلم: لله أبوك! أيَّ امرئٍ ولد إذ ولدك! لقد رأى بك خَلفاً ، ثمّ إنّ مروان دخَل عليه فقال له: إيه! قال: أليس قد دخل عليك عبد الملك! قال: بلى ، وأيّ رجل عبد الملك! قلّما كلمت من رجال قريش رجلاً به شبيهاً؛ فقال له مروان: إذا لقيتَ عبد الملك فقد لقيتَني؛ قال: أجَل ، ثمّ ارتحل من مكانه ذلك ، وارتحل الناسُ معه حتى نزل المنزل الذي أمره به عبد الملك ، فصنع فيه ما أمره به ، ثم مضى في الحَرّة حتى نزلها ، فأتاهم من قِبَل المشرق ، ثمّ دعاهم مسلم بن عقبة ، فقال: يا أهلَ المدينة ! إنّ أمير المؤمنين يزيدَ بن معاوية يزعم أنكم الأصل ، وإني أكره هِراقةَ دمائكم ، وإنّي أؤجّلكم ثلاثاً ، فمن ارعوَى وراجَع الحقّ قبلنا منه ، وانصرفت عنكم ، وسرت إلى هذا المُلْحد الذي بمكة ، وإن أبَيتم كنا قد أعذرنا إليكم - وذلك في ذي الحِجّة من سنة أربع وستّين؛ هكذا وجدتُه في كتابي ، وهو خطأ ، لأنَّ يزيد هلك في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، وكانت وقعة الحَرّة في ذي الحجة في سنة ثلاث وستين يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه .

ولما مضت الأيام الثلاثة قال: يا أهل المدينة ! قد مضت الأيام الثلاثة ، فما تصنعون؟ أتسالمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب؛ فقال لهم: لا تفعلوا ، بل ادخلوا في الطاعة ، ونجعل حدَّنا وشوكتنا على هذا الملحِد الذي قد جمع إليه المُرّاقَ والفُسّاق من كلّ أوْب ، فقالوا لهم: يا أعداءَ الله ! والله لو أردتم أن تجوزوا إليهم ما تركناكم حتى نقاتلَكم ، نحن نَدعكم أن تأتوا بيت الله الحرام ، وتخِيفوا أهلَه ، وتلحدوا فيه ، وتستحلّوا حرمتهُ! لا والله لا نفعل !.

وقد كان أهل المدينة اتّخذوا خندقاً في جانب المدينة ، ونزله جمع منهم عظيمٌ ، وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن عمّ عبد الرحمن بن عوف الزهريّ ، وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر في جانب المدينة ، وكان مَعْقِل بن سنان الأشْجَعيّ على ربع آخر في جانب المدينة ، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاريّ ، في أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً[١] . (٥ : ٤٨٥ ـ ٤٨٧) .

قال هشام : وأما عوانة بن الحكم الكلبي ، فذكر : أنّ عبد الله بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة ، وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار ، ومعقِل بن سنان على المهاجرين . (٥ : ٤٨٧) .

قال هشام : عن أبي مخنف : قال عبد الملك بن نوفل : وصمد مسلم بن عُقْبة بجميع من معه ، فأقبل من قِبل الحَرّة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة ، ثم وجّه الخيل نحو ابن الغسيل ، فحمل ابن الغسيل على الخيل في الرجال الذين معه حتى كشف الخيل ، حتى انتهوا إلى مسلم بن عقبة ، فنهض في وجوههم بالرّجال ، وصاح بهم ، فانصرفوا فقاتلوا قتالاً شديداً .

ثمّ إنّ الفضلَ بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى عبد الله بن حنظلة الغسيل فقاتل في نحو من عشرين فارساً قتالاً شديداً حَسْناً . ثم قال لعبد الله : مُر من معك فارساً فليأتني فليقفْ معي ، فإذا حملتُ فليحْملوا ، فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلماً ، فإمّا أن أقتلَه ، وإما أن أقتَل دونه ، فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بني عبد الأشهل من الأنصار : نادِ في الخيل فلْتَقف مع الفضل بن العباس ، فنادى فيهم فجمعهم إلى الفضل ، فلما اجتمعت الخيل إليه حمل على أهل الشأم فانكشفوا ، فقال لأصحابه : ألا ترونهم كُشْفاً لئاماً! احملوا أخرى جُعِلتُ فداكم! فوالله لئن عاينتُ أميرهم ، لأقتلنه أو لأقتَلنَّ دونه ، إنّ صبر ساعة مُعقِبٌ سرور أبد ، إنه ليس بعدُ لصبرنا إلا النصرُ ، ثم حمل وحمل أصحابه معه ، فانفرجت خيلُ أهل الشأم عن مسلم بن عقبة في نحو من خمسمئة راجل جُثاة على الرُّكَب ، مشرعي الأسنة نحو القوم ، ومضى

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

كما هو نحوَ رايته حتى يضربَ رأس صاحب الراية ، وإنّ عليه لمِغفراً ، فقطّ المغفر ، وفلق هامته فخرّ ميتاً ، فقال: خذها منيّ وأنا ابن عبد المطلب! فظنّ أنه قَتَل مسلماً ، فقال: قتلتُ طاغيةَ القوم وربِّ الكعبة ! فقال مسلم: أخطأت استُك الحُفرةَ! وإنما كان ذلك غلاماً له ، يقال له: روميّ وكان شجاعاً ، فأخذ مسلم رايتَه ونادى: يا أهلَ الشأم ، أهذا القتال قتالُ قوم يريدون أن يدفعوا به عن دينهم ، وأن يُعزّوا به نصر إمامهم! قبّح الله قتالَكم منذُ اليوم! ما أوجعه لقلبي ، وأغيظه لنفسي! أمَا والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تُحرَموا العطاءَ ، وأن تجمّروا في أقاصي الثغور ، شدّوا مع هذه الراية ، ترّح الله وجوهكم إن لم تُعتِبوا! فمشى برايته ، وشدّت تلك الرّجال أمام الراية ، فصُرع الفضل بن عباس ، فقُتل وما بينه أطناب مسلم بن عقبة إلاّ نحو من عشرة أذرع ، وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف ، وقُتل معه إبراهيم بن نُعيم العدويّ في رجال من أهل المدينة كثير[1] .

(٥ : ٤٨٧ ـ ٤٨٩) .

قال هشام ، عن عوانة: وقد بلغنا في حديث آخر: أنّ مسلم بن عقبة كان مريضاً يومَ القتال ، وأنه أمر بسرير وكرسيٍّ فوُضع بين الصفَّين ، ثم قال: يا أهل الشأم ، قاتِلوا عن أميركم أو دَعُوا ، ثمّ زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمِدون لرُبعٍ من تلك الأرباع إلا هزموه ، ولا يقاتلون إلا قليلاً حتى تولّوا.

ثم إنه أقبل إلى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشدَّ القتال ، واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع إلى عبد الله بن حنظلة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فحمل الفضل ابن العبّاس بن ربيعة في جماعة من وجوه الناس وفُرسانهم يريد مسلمَ بن عقبة ، ومسلم على سريره مريض ، فقال: احمِلوني فضعوني في الصفّ ، فوضعوه بعدما حملوه أمام فسطاطه في الصّف ، وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى إلى السرير ، وكان الفضل أحمَر ، فلما رفع السيفَ ليضربَه صاح بأصحابه: إن العبد الأحمر قاتلي ، فأين أنتم يا بَني الحرائر! اشْجروه بالرّماح ، فوثبوا إليه فطعنوه حتى سقط. (٥ : ٤٨٩) .

قال هشام: قال أبو مخنف: ثمّ إنّ خيل مسلم ورجالَه أقبلتْ نحو عبد الله بن

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

حنظلة الغسيل ورجاله بعده ـ كما حدّثني عبد الله بن مُنْقذ ـ حتى دنَوا منه ، وركب مسلم بن عُقْبة فرساً له ، فأخذ يسير في أهل الشأم ويحرّضهم ويقول: يا أهل الشأم ! إنكم لستُم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها ، ولا أكثرها عدداً ، ولا أوسعها بلداً ، ولم يخصُصْكم الله بالذي خصّكم به من النصر على عدوّكم ، وحسن المنزلة عند أئمتكم ، إلا بطاعتكم واستقامتكم؛ وإنَّ هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيَّروا فغيَّر الله بهم ، فتِمّوا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتمّم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفَلْج ، ثمّ جاء حتى انتهى إلى مكانه الذي كان فيه ، وأمر الخيل أن تقدم على ابن الغسيل ، وأصحابه ، فأخذتِ الخيلُ إذا أقدمتْ على الرّجال فثاروا في وجوهها بالرّماح والسيوف نفرتْ وابذعرّتْ وأحجمتْ ، فنادى فيهم مسلم بن عقبة: يا أهلَ الشأم ! ما جعلهم الله أولَى بالأرض منكم ، يا حُصَيْن بن نُمَير ، انزِل في جندك؛ فنزل في أهل حِمْصَ ، فمشى إليهم، فلما رآهم قد أقبلوا يمشون تحت راياتهم نحو ابن الغسيل قام في أصحابه فقال: يا هؤلاء؛ إنّ عدوّكم قد أصابوا وَجْه القتال الذي كان ينبغي أن تقاتلوهم به ، وإني قد ظننت ألاّ تلبثوا إلا ساعةً حتى يفصل الله بينكم وبينهم إمّا لكم وإمّا عليكم ، أمّا إنكم أهل البصيرة ودار الهجرة ، والله ما أظنّ ربّكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضَي منه عنكم ، ولا على أهل بلد من بُلدان العرب بأسخطَ منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ، إنّ لكل امرئ منكم ميتةً هو ميِّت بها ، والله ما من ميتة بأفضلَ من ميتة الشهادة ، وقد ساقها الله إليكم فاغتنموها ، فوالله ما كلّ ما أردتموها وجدْتموها ، ثم مشى برايته غيرَ بعيد ، ثمّ وقف ، وجاء ابن نمير برايته حتى أدناها ، وأمر مسلم بن عُقْبة عبد الله بن عضاه الأشعريّ فمشى في خمسمئة مُرامٍ حتى دنَوا من ابن الغسيل وأصحابه ، فأخذوا ينضحونهم بالنّبل ، فقال ابن الغسيل: علامَ تستهدفون لهم! من أراد التعجّل إلى الجنة فليلزم هذه الراية؛ فقام إليه كلّ مستميت، فقال: الغدُوّ إلى ربّكم ، فوالله إني لأرجو أن تكونوا عن ساعة قريرِي عَيْن؛ فنهض القوم بعضُهم إلى بعض فاقتتلوا أشدّ قتال رُئيَ في ذلك الزمان ساعةً من نهار ، وأخذ يقدّم بنيه أمامه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه ، وابن الغسيل يضرب بسيفه ، ويقول:

بُعْداً لمن رامَ الفسادَ وطَغَى ... وجانَبَ الحقَّ وآيات الهدى

لا يُبْعِدِ الرحْمَنُ إلاَّ مَنْ عَصَى

فقُتِل، وقُتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس، استقدم فقاتل حتى قتِل، وقال: ما أحبّ أنّ الديلم قتلوني مكانَ هؤلاء القوم؛ ثم قاتل حتى قُتل وقُتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، فمرَّ عليه مروان بن الحَكَم وكأنه بِرْطيل من فِضّة، فقال: رحمك الله! فرُبَّ سارية قد رأيتك تطيل القيامَ في الصلاة إلى جنبها[1]. (٥: ٤٨٩ ـ ٤٩١).

قال هشام: فحدّثني عوانة، قال: فبلغنا: أنّ مسلم بن عقبة كان يجلس على كرسيّ ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يوم الحَرّة وهو يقول:

أحْيا أَباه هاشِمُ بن حَرْمَلَهْ يوم الهَبَاتَيْن ويومَ اليعْمُلَهْ
كلُّ المُلوك عِنْدَهُ مُغَرْبَلَهْ ورُمْحُهُ للوالدات مثكلَهْ
لا يُلبِثُ القتيلَ حتى يَجْدِلهْ يَقْتُل ذا الذَّنْبِ ومن لا ذَنْبَ لهْ

(٥: ٤٩١).

قال هشام عن أبي مخنف: وخرج محمد بن سعد بن أبي وقّاص يومئذ يقاتل، فلما انهزم الناسُ مال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمةُ، فذهب فيمن ذهب من الناس، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناسَ ويأخذون الأموالَ؛ فأفزع ذلك من كان بها من الصحابة، فخرج أبو سعيد الخُدْريّ حتى دخل في كَهْف في الجبل، فبَصُر به رجل من أهل الشأم، فجاء حتى اقتحم عليه الغار[2]. (٥: ٤٩١).

قال أبو مخنف: فحدّثني الحسن بن عطية العَوْفيّ عن أبي سعيد الخُدْريّ، قال: دخل إليَّ الشاميّ يمشي بسيفه، قال: فانتضيتُ سيفي فمشيت إليه لأرعِبَهُ لعله ينصرف عنيّ، فأبى إلا الإقدامَ عليَّ، فلما رأيت أن قد جدّ شمْتُ سيفي، ثمّ قلتُ له: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فقال لي: من أنت لله أبوك! فقلت: أنا أبو سعيد الخُدْريّ، قال: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعمَ؛ فانصرف عنّي[3]. (٥: ٤٩١).

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٣) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

قال هشام: حدّثني عوانة ، قال: دعا الناسَ مُسلم بن عُقْبة بقُبَاء إلى البيعة ، وطلب الأمان لرجلين من قريش: ليزيدَ بن عبد الله بن زَمْعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى ومحمد بن أبي الجَهْم بن حذيفة العدويّ ولمعقل بن سنان الأشجعيّ ، فأتِي بهما بعد الوقعة بيوم فقال: بايعا ، فقال القرشيّان: نبايعك على كتاب الله وسنَّة نبيِّه؛ فقال: لا والله لا أقيلكم هذا أبداً ، فقدّمهما فضرب أعناقهما ، فقال له مروان: سبحان الله! أتقْتل رجليْنِ من قريش أتَيَا ليؤمنا فضَربتَ أعناقهما! فنَخسَ بالقضيب في خاصرتِه ثم قال: وأنتَ والله لو قلتَ بمقالتهما ما رأيتَ السماءَ إلا بَرْقَةً. (٥ : ٤٩١ ـ ٤٩٢).

قال هشام: قال أبو مخنف: وجاء مَعقل بن سنان ، فجلس مع القوم ، فدعا بشراب ليُسقَى ، فقال له مسلم: أيّ الشراب أحبّ إليك؟ قال: العسل ، قال: اسقوه ، فشَرِب حتى ارتَوى ، فقال له: أقضيت رِيَّك من شرابِك؟ قال: نعم ، قال: لا والله لا تشرب بعده شراباً أبداً إلا الحميمَ في نار جهنم ، أتذكر مقالتكَ لأمير المؤمنين: سرتُ شهراً ، ورجعتُ شهراً ، وأصبحتُ صِفراً ، اللهمّ غيِّر. تعني: يزيدَ! فقدمه فضرب عنقه [1]. (٥ : ٤٩٢).

قال هشام: وأمّا عوانة بن الحَكم فذكر: أن مسلم بن عقبة بعث عمرو بن مُحْرِز الأشجعيّ فأتاه بمَعقِل بن سنان فقال له مسلم: مرحباً بأبي محمد! أراك عطشان! قال: أجَل ، قال: شُوبوا له عسلاً بالثلج الذي حملتموه معنا ـ وكان له صديقاً قبل ذلك ـ فشابوه له ، فلما شرب معقل قال له: سقاك الله من شراب الجنة؛ فقال له مسلم: أمَا والله لا تشربُ بعدها شراباً أبداً حتى تشربَ من شراب الحَميم؛ قال: أنشُدُك الله والرَّحِمَ! فقال له مسلم: أنت الذي لقيتني بطبريّة ليلةَ خرجت من عند يزيد ، فقلت: سرْنا شهراً ورجعْنا من عند يزيد صفراً ، نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق ، ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين! فيمَ غطفان وأشجع من الخلع والخلافة! إنّي آليت بيمين لا ألقاك في حرب أقدر فيه على ضرب عنقك إلا فعلت ، ثمّ أمر به فقُتِل.

قال هشام: قال عوانة: وأتِيَ بزيد بن وهب بن زَمْعة؛ فقال: بايعْ ، قال:

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

أبايعك على سنّة عمر؛ قال: اقتلُوه؛ قال: أنا أبايع! قال: لا والله لا أقيلك عثرتَك، فكلّمه مروان بن الحكم ـ لصهر كان بينهما ـ فأمر بمروان فوجِئتْ عنقُه، ثم قال: بايعوا على أنكم خوَل ليزيدَ بن معاوية، ثمّ أمر به فقُتل. (٥: ٤٩٢ ـ ٤٩٣).

قال هشام: قال عوانة: عن أبي مخنف، قال: قال عبد الملك بن نوفل بن مساحق: ثمّ إنّ مروانَ أتِيَ بعليّ بن الحسين، وقد كان عليّ بن الحسين حين أخرِجت بنو أميّة منع ثَقَل مروان وامرأته وآواها، ثمّ خرجتْ إلى الطائف، فهي أمّ أبان ابنة عثمان بن عفان، فبعث ابنه عبد الله معها، فشكر ذلك له مروان ـ وأقبل عليّ بن الحسين يمشي بين مروان وعبد الملك يلتمس بهما عند مسلم الأمان، فجاء حتى جلس عنده بينهما، فدعا مروان بشراب ليتحرّم بذلك من مسلم، فأتى له بشراب، فشرب منه مروان شيئاً يسيراً، ثمّ ناوله عليّاً، فلما وقع في يده قال له مسلم: لا تشرب من شرابنا، فأرعِدت كفه، ولم يأمنْه على نفسه، وأمسك القَدَح بكفه لا يشربه ولا يضعه، فقال: إنك إنما جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي؛ والله لو كان هذا الأمر إليهما لقتلتك، ولكنّ أمير المؤمنين أوصاني بك، وأخبَرَني أنك كاتبته، فذلك نافِعُك عندي، فإن شئت فاشرب شرابك الذي في يدك، وإن شئت دعونا بغيره، فقال: هذه التي في كفّي أريد، قال: اشرَبها، ثم قال: إليّ هاهنا، فأجلَسه معه[1]. (٥: ٤٩٣).

قال هشام: وقال عوانة بن الحكم: لما أتى بعليّ بن الحسين إلى مسلم، قال: مَن هذا؟ قالوا: هذا عليّ بن الحسين؛ قال: مرحباً وأهلاً؛ ثم أجلَسَه معه على السرير والطِّنفِسة، ثم قال: إنّ أمير المؤمنين أوصاني بك قبلاً، وهو يقول: إنّ هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وُصْلتك؛ ثم قال لعليّ: لعلّ أهلك فزِعوا! قال: إي والله! فأمر بدابّته فأسرِجتْ، ثمّ حمله فردّه عليها. (٥: ٤٩٣ ـ ٤٩٤).

قال هشام: وذكر عوانة: أنّ عَمرو بن عثمان لم يكن فيمن خرج من بني أميّة، وأنه أتي به يومئذ إلى مسلم بن عُقْبة فقال: يا أهل الشام! تعرفون هذا؟ قالوا: لا؛ قال: هذا الخبيث ابن الطيّب، هذا عمرو بن عثمانَ بن عفان أمير

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

المؤمنين ، هيه يا عمرو! إذا ظهر أهل المدينة قلتَ: أنا رجل منكم ، وإن ظهر أهلُ الشام قلتَ: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فأمر به فنُتِفت لحيتُه ، ثم قال: يا أهل الشام ! إنّ أمّ هذا كانت تدخِل الجُعَل في فيها ثم تقول: يا أمير المؤمنين ! حاجيْتك ما في فمي ؟ وفي فمها ما ساءَها وناءَها ، فخلّي سبيله ، وكانت أمُّه من دَوْس. (٥ : ٤٩٤).

وقعة الحرة

وقد ذُكر من أمر وقعة الحرّة ومقتل ابن الغسيل أمرٌ غيْرُ الذي رُوي عن أبي مخنف ، عن الذين رَوَى ذلك عنهم ، وذلك ما حدّثني أحمد بن زهير قال: حدّثنا أبي ، قال: حدّثنا وهب بن جرير ، قال: حدّثنا جويرية بن أسماء ، قال: سمعتُ أشياخَ أهل المدينة يحدّثون: أنّ معاوية لمّا حضرته الوفاة دعا يزيدَ فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإنْ فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفتُ نصيحتَه. فلما هلك معاوية وفد إليه وفدٌ من أهل المدينة ، وكان ممن وفد عليه عبدُ الله بنُ حنظلة بن أبي عامر ، وكان شريفاً فاضلاً سيّداً عابداً ، معه ثمانية بنينَ له ، فأعطاه مئةَ ألف درهم ، وأعطَى بنيه لكلّ واحد منهم عشرة آلاف سوى كُسوتهم وحُملانهم ، فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة أتاه الناس ، فقالوا: ما وراءك؟ قال: جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنيَّ هؤلاء لجاهدتهُ بهم؛ قالوا: قد بلغَنا: أنه أجداك، وأعطاك ، وأكرمك؛ قال: قد فعل ، وما قبلتُ منه إلا لأتقوَّى به؛ وحضَّض الناسَ فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد ، فبعث مُسْلم بن عُقْبة إليهم ، وقد بعث أهل المدينة إلى كلّ ماء بينهم وبين الشأم ، فصبّوا فيه زقّاً من قَطِران ، وعُوِّر ، فأرسل الله السماء عليهم ، فلم يستقوا بدَلْوٍ حتى ورَدُوا المدينة ، فخرج إليهم أهلُ المدينة بجموع كثيرة ، وهيئة لم يُرَ مِثلُها ، فلما رآهم أهل الشأم هابُوهم وكرهوا قتالَهم ، ومسلم شديدُ الوجع ، فبينما الناس في قتالهم؛ إذ سمعوا التكبيرَ من خلْفهم في جوف المدينة ، وأقحم عليهم بنو حارثة أهلَ الشأم ، وهم على الجَدّ ، فانهزم الناسُ ، فكان من أصيب في الخندق أكثرَ ممن قُتل من الناس ، فدخلوا المدينة ، وهُزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستندٌ إلى أحد بنيه يغطّ نوماً ، فنبّهه ابنه ، فلما فتح عينيه فرأى ما صنع

الناسُ أمرَ أكبرَ بنيه ، فتقدّم حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة ، فدعا الناسَ للبيعة على أنهم خَوَلٌ ليزيدَ بن معاوية ، يحْكم في دمائهم وأموالهم وأهلِيهم ما شاء. (٥ : ٤٩٥).

ثم دخلت سنة أربع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

قال أبو جعفر : فمن ذلك مسيرُ أهل الشأم إلى مكة لحرب عبد الله بن الزّبير ومَنْ كان على مثل رأيه في الامتناع على يزيدَ بن معاوية.

ولما فرغ مسلم بن عُقْبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جندِه أموالهم ثلاثاً ، شَخَص بمن معه من الجند متوجّهاً إلى مكة ، كالذي ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف ، قال : حدّثني عبد الملك بن نوفل : أنّ مسلماً خرج بالناس إلى مكة يريد ابن الزبير ، وخلّف على المدينة رَوْح بن زِنباع الجُذاميّ.

وأما الواقديّ فإنه قال : خلَّف عليها عمرو بن محرز الأشجعيّ؛ قال : ويقال : خلَّف عليها رَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ. (٥ : ٤٩٦).

ذكر موت مسلم بن عقبة ورمي الكعبة وإحراقها

رجع الحديث إلى أبي مخنف ، قال : حتى إذا انتهى إلى المُشلَّل ـ ويقال : إلى قفا المشلَّل ـ نزل به الموت ، وذلك في آخر المحرَّم من سنة أربع وستين ، فدعا حصين بن نمير السَّكونيّ فقال له : يا بن برذعة الحمار ، أمَا والله لو كان هذا الأمر إليّ ما ولَّيتُك هذا الجندَ ! ولكنّ أمير المؤمنين ولاّك بعدي ، وليس لأمر أمير المؤمنين مَرَدٌّ؛ خُذ عني أربعاً : أسرع السيرَ ، وعجّل الوِقاع ، وعمّ الأخبار ، ولا تُمكِنْ قُرَشياً من أذنك ! ثمّ إنه مات ، فدُفن بقَفا المشلّل[١]. (٥ : ٤٩٦).

قال هشام بن محمد الكلبيّ : وذكر عَوَانة : أنّ مسلم بن عُقْبة شخص يريد ابن الزبير ، حتى إذا بلغ ثنيّة هَرْشَا نزل به الموت ، فبعث إلى رؤوس الأجناد ،

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

فقال: إنّ أمير المؤمنين عهد إليَّ إنْ حدَثَ بي حَدَثُ الموت أن أستخلف عليكم حصينَ بن نمير السَّكونيّ، والله لو كان الأمر إليّ ما فعلت، ولكن أكره معصية أمرِ أمير المؤمنين عند الموت، ثم دعا به فقال: انظر يا برذعة الحمار، فاحفظ ما أوصيك به: عمِّ الأخبار، ولا تُرْعِ سمعَك قريشاً أبداً، ولا تردّنّ أهل الشأم عن عدوّهم، ولا تقيمنّ إلا ثلاثاً حتى تناجزَ ابن الزبير الفاسق؛ ثمّ قال: اللهمّ إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله أحبَّ إليّ من قتلي أهلِ المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة، ثمّ قال لبني مُرَّة: زرَّاعتي التي بَحوْرانَ صدقةٌ على مرَّة، وما أغلقتْ عليه فلانة بابَها فهو لها ـ يعني أمَّ ولدِه ـ ثم مات.

ولما مات خرج حصين بن نمير بالناس، فقَدِم على ابن الزبير مكة وقد بايعه أهلُها، وأهلُ الحجاز. (٥: ٤٩٦ ـ ٤٩٧).

قال هشام: قال عوانة: قال مسلم قبل الوصيّة: إنَّ ابني يزعم: أنّ أم ولدي هذه سقتْني السمّ؛ وهو كاذب، هذا داءٌ يُصيبُنا في بطوننا أهلَ البيت، قال: وقدم عليه ـ يعني: ابن الزبير ـ كلُّ أهل المدينة، وقد قدم عليه نَجْدة بن عامر الحنفيّ في أناس من الخوارج يمنعون البيت، فقال لأخيه المنذر: ما لهذا الأمر ولدفع هؤلاء القوم غيري وغيرُك ـ وأخوه المنذر ممن شهد الحرّة، ثمّ لحق به ـ فجرّد إليهم أخاه في الناس، فقاتلهم ساعةً قتالاً شديداً. ثمّ إنّ رجلاً من أهل الشأم دعا المنذر إلى المبارزة ـ قال: والشأميُّ على بغلة له ـ فخرج إليه المنذر، فضرب كلُّ واحد منهما صاحبَه ضربةً خرّ صاحبُه لها ميّتاً، فجثا عبدُ الله بنُ الزّبير على ركبتيه وهو يقول: يا ربّ أَبِرْها من أصلها ولا تَشدَّها، وهو يدعو على الذي بارز أخاه، ثمّ إنّ أهل الشأم شدُّوا عليهم شَدّةً منكرةً، وانكشف أصحابُه انكشافةً، وعثرتْ بغلته فقال: تعْساً! ثم نزل وصاح بأصحابه: إليَّ؛ فأقبَلَ إليه المِسْوَر بن مَخْرمة بن نوفل بن أهْيَب بن عبد مناف بن زُهرة، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزّهريّ، فقاتلوا حتى قُتلوا جميعاً، وصابرَهم ابنُ الزبير يجالدهم حتى الليل، ثمّ انصرفوا عنه؛ وهذا في الحصار الأوّل، ثمّ إنهم أقاموا عليه يقاتلونه بقيّة المحرّم وصفر كله، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع

الأوّل يوم السبت سنة أربع وستين قَذَفوا البيتَ بالمجَانيق، وحرّقوه بالنار، وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطَّارةٌ مِثلُ الفنِيق المزبدِ نَرْمِي بها أَعْوَادَ هذا المسْجِدِ

قال هشام: قال أبو عوانة: جعل عمرو بنُ حَوْط السدوسيّ يقول:

كيف تَرى صنيع أُمِّ فَرْوَهْ تأْخُذُهُمْ بين الصَّفَا والمَرْوَهْ

(٥: ٤٩٧ ـ ٤٩٨).

يعني بأمّ فروةَ المنجنيق.

وقال الواقديّ: سار الحُصين بن نمير حين دُفن مسلم بن عُقبة بالمشلَّل لسبعٍ بقين من المحرّم، وقدم مكة لأربع بقين من المحرّم، فحاصر ابنَ الزبير أربعاً وستين يوماً حتّى جاءهم نعْي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر. (٥: ٤٩٨).

ذكر الخبر عن حرق الكعبة

وفي هذه السنة حُرقت الكعبة.

ذكر السبب في إحراقها:

قال محمد بن عمر: احترقت الكعبة يومَ السبت لثلاث ليال خلوْن من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين قبل أن يأتيَ نعيُ يزيدَ بن معاوية بتسعة وعشرين يوماً، وجاء نعيه لهلال ربيع الآخر ليلة الثلاثاء. (٥: ٤٩٨).

قال محمد بن عمر: حدّثنا رياح بن مسلم عن أبيه، قال: كانوا يوقدون حولَ الكعبة، فأقبلتْ شَرَرة هبّت بها الريح، فاحترقتْ ثياب الكعبة، واحترق خشبُ البيت يومَ السبت لثلاثِ ليال خلوْن من ربيع الأوّل. (٥: ٤٩٨).

قال محمد بن عمر: وحدّثني عبد الله بن زيد، قال: حدّثني عروة بن أذَيْنَة، قال: قدمتُ مكة مع أمّي يومَ احترقت الكعبة قد خَلَصتْ إليها النار، ورأيتُها مجرّدة من الحرير، ورأيت الرّكن قد اسودّ وانصدع في ثلاثة أمكنة، فقلت: ما أصاب الكعبة؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب عبد الله بن الزبير، قالوا: هذا احترقتْ بسببه، أخذ قبَساً في رأس رمح له فطيّرت الريحُ به، فضرَبتْ أستارَ الكعبة ما بين الركن اليمانيّ والأسوَد. (٥: ٤٩٨ ـ ٤٩٩).

وأما هشام بن محمد الكلبيّ فإنه قال في سنّ يزيدَ خلافَ الذي ذكره الزهريّ؛ والذي قال هشامٌ في ذلك ـ فيما حُدِّثنا عنه ـ: استُخلف أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان وهو ابن اثنتين وثلاثين سنةً وأشهر في هلال رجب سنة ستين ، وولي سنتين وثمانية أشهر ، وتوفي لأربع عشرةَ ليلةً خلت من ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستين وهو ابن خمسن وثلاثين ، وأمّه مَيْسون بنت بَحْدل بن أنيف بن وَلْجة بن قُنافةَ بن عديّ بن زهير بن حارثة الكلبيّ. (٥ : ٤٩٩) .

خلافة معاوية بن يزيد

فحدّثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال: حدّثنا عبد العزيز بن خالد بن رُسْتم الصنعانيّ أبو محمد ، قال: حدّثنا زياد بن جيل ، قال: بينا حُصَين بن نمير يقاتل ابنَ الزبير؛ إذْ جاء موت يزيد؛ فصاح بهم ابن الزبير ، فقال: إنّ طاغِيتَكم قد هلك ، فمن شاء منكم أن يدخلَ فيما دخل فيه الناس فلْيفعلْ ، فمن كَرِه فليلْحقْ بشأمه ، فغَدَوْا عليه يقاتلونه.

قال: فقال ابن الزبير للحصين بنِ نُمَير: أُدنُ مني أحدّثْك ، فدنا منه فحدّثه ، فجعل فرسُ أحدهما يجْفِل ـ والجَفل: الرَّوْث ـ فجاء حَمام الحَرَم يلتقط من الجَفل ، فكفّ الحصين فرسَه عنهنّ ، فقال له ابن الزبير: ما لَك؟ قال: أخاف أن يَقتُل فرسي حَمامَ الحرَم؛ فقال له ابن الزبير: أتتحرَّجُ من هذا وتريد أن تَقتُل المسلمين! فقال له: لا أقاتلك؛ فائْذَنْ لنا نَطفْ بالبيت ، وننصرف عنك ، ففعل فانصرفوا. (٥ : ٥٠١) .

وأما عوانة بن الحكَم فإنه قال ـ فيما ذكر هشام ، عنه ـ قال: لما بلغ ابنَ الزبير موتُ يزيد ، وأهل الشأم لا يعلمون بذلك ، قد حصروه حصاراً شديداً وضيّقوا عليه ـ أخذ يناديهم هو وأهل مكّة: علامَ تقاتلون؟ قد هلك طاغيتُكم؛ وأخذوا لا يصدّقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المُنْقَع النخَعيّ من أهل الكوفة في رؤوس أهل العراق ، فمرّ بالحصين بن نمير ـ وكان له صديقاً ، وكان بينهما صِهْر ، وكان يراه عند معاوية ، فكان يعرف فضلَه وإسلامَه وشرفَه ـ فسأل عن الخبر ، فأخبره بهلاك يزيدَ ، فبعث الحصين بن نُمَير إلى عبد الله بن الزبير ، فقال: موعدُ ما بيننا وبينك الليلةَ الأبطحُ ، فالتقيا ، فقال له الحصين: إن يكُ هذا الرجل قد

هلك فأنت أحقّ الناس بهذا الأمر؛ هلمَّ فلنبايعْك ، ثمّ اخرج معي إلى الشأم ، فإنّ هذا الجند الذي معي هم وجوهُ أهل الشأم وفُرسانُهم ، فوالله لا يختلف عليك اثنان ، وتؤمّن الناس وتُهدِر هذه الدّماء التي كانت بيننا وبينك ، والتي كانت بيننا وبين أهلِ الحرَّة؛ فكان سعيد بن عمرو يقول: ما مَنَعه أن يبايعَهم ويخرج إلى الشأم إلاّ تطَيّرٌ ، لأن مكة التي منعه الله بها ، وكان ذلك من جند مروان ، وإن عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشأم ما اختلف عليه منهم اثنان ، فزعم بعضُ قريش: أنه قال: أنا أهدِر تلك الدماء! أما والله لا أرضى أن أقتُل بكلّ رجل منهم عَشرة ، وأخذ الحصينُ يكلّمه سرّاً ، وهو يجهر جهراً ، وأخذ يقول: لا والله لا أفعل؛ فقال له الحصين بن نمير: قبح اللهُ من يعدّك بعد هذه داهياً قطّ أو أديباً! قد كنتُ أظنّ أنّ لك رأياً ، ألا أراني أكلمك سرّاً وتكلمني جهراً ، وأدعوك إلى الخلافة ، وتعِدُني القتلَ والهَلَكة!

ثم قام فخرج وصاح في الناس ، فأقبل فيهم نحوَ المدينة ، وندم ابن الزبير على الذي صنع ، فأرسل إليه: أمّا أن أسيرَ إلى الشأم فلستُ فاعلاً ، وأكره الخروج من مكة ، ولكن بايعوا لي هنالك فإنّي مؤمّنكم وعادلٌ فيكم ، فقال له الحصين: أرأيتَ إن لم تقدم بنفسك ، ووجدتُ هنالك أناساً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس ، فما أنا صانعٌ؟ فأقبَل بأصحابه ومَنْ معه نحوَ المدينة ، فاستقبله عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ومعه قتٌّ وشعيرٌ ، وهو على راحلة له ، فسلّم على الحصين ، فلم يكد يلتفت إليه ، ومع الحصين بن نمير فرسٌ له عتيق ، وقد فَنِيَ قَتُّهُ وشعيرُه ، فهو غَرِضٌ ، وهو يسبّ غلامَه ويقول: من أين نجد هنا لدابّتنا عَلفاً! فقال له عليّ بن الحسين: هذا علفٌ عندنا ، فاعلف منه دابّتك ، فأقبل على عليٍّ عند ذلك بوَجهه ، فأمر له بما كان عنده من عَلَف ، واجترأ أهلِ المدينة وأهلُ الحجاز على أهل الشأم فذلّوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلاّ أخِذَ بلجام دابته ثم نُكِس عنها ، فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفترقون.

وقالت لهم بنو أميّة: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشأم ، ففعلوا ، ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشأم ، وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد ، فَلم يلبث إلاّ ثلاثة أشهر حتى مات[1]. (٥ : ٥٠١ ـ ٥٠٣).

---

(١) والنكارة أن ابن الزبير عالم من علماء الصحابة ولم يصح أنه قال عن يزيد بأنه طاغية بل كل =

ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد

حدّثني عمر ، قال زهير : قال : حدّثنا وهب ، قال : وحدّثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سُمَير : أنّ شقيق بن ثور ، ومالك بن مِسْمع ، وحضين بن المنذر أتوا عبيد الله ليلاً وهو في دار الإمارة ، فبلغ ذلك رجلاً من الحيّ من بني سَدُوس ؛ قال : فانطلقتُ فلزمتُ دار الإمارة ، فلبثوا معه حتى مضى عليه الليل ، ثمّ خرجوا ومعهم بغلٌ موقَرٌ مالاً ؛ قال : فأتيت حضيناً فقلت : مُرْ لي من هذا المال بشيء ، فقال : عليك ببني عمّك ، فأتيت شقيقاً فقلت : مُرْ لي من هذا المال بشيء ـ قال : وعلى المال مولىً له يقال له : أيّوب ـ فقال : يا أيوب ! أعطِه مئة درهم ؛ قلت : أما مئة درهم والله لا أقبلها ، فسكت عني ساعةً ، وسارَ هنَيْهة ، فأقبلتُ عليه فقلتُ : مُرْ لي من هذا المال بشيء ، فقال : يا أيّوب ! أعطه مئتي درهم ، قلت : لا أقبل والله مئتين ، ثم أمر بثلاثمئة ثم أربعمئة ، فلما انتهينا إلى الطُّفاوة قلت : مُرْ لي بشيء ؛ قال : أرأيتَ إن لم أفعل ما أنت صانع؟ قلتُ : أنطلق والله حتى إذا توسَّطتُ دُورَ الحيّ وضعتُ إصبعيّ في أذنيَّ ، ثمّ صرختُ بأعلى صوتي : يا معشر بكر بن وائل ! هذا شقيق بن ثور ، وحضَين بن المنذر ، ومالك بن المسمع ، قد انطلقوا إلى ابن زياد ، فاختلفوا في دمائكم ؛ قال : ما له فعَل الله به وفعل! ويلك أعطِه خمسمئة درهم ؛ قال : فأخذتها ثمّ صبَّحت غادياً على مالك ـ قال وهب : فلم أحفظ ما أمر له به مالك ـ قال : ثمّ رأيت حضَيناً فدخلت عليه ، فقال : ما صنع ابن عمّك؟ فأخبرتُه وقلت : أعطني من هذا المال ؛ فقال : إنَّا قد أخذْنا هذا المال ونجوْنا به ، فلن نَخشَى من الناس شيئاً ، فلم يعطِني شيئاً . (٥ : ٥٠٥ ـ ٥٠٦) .

قال أبو جعفر : وحدّثني أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى : أنّ يونس بن حبيب الجَرْميّ حدّثه ، قال : لما قتَل عُبيدُ الله بنُ زياد الحسينَ بن عليّ عليه السلام وبني أبيه ؛ بعث برؤوسهم إلى يزيدَ بن معاوية ، فسُرّ بقَتْلهم أوّلاً ، وحسُنَتْ بذلك

= ما أخذه عليه أنه لا يستحق أن يكون خليفة لربما لفسقه أو لغير ذلك وامتنع عن البيعة له ، أما أن يقول له : طاغية فلا ولم يصح والله أعلم .

منزلةُ عُبيد الله عنده ، ثمّ لم يلبث إلاّ قليلاً حتى ندم على قتل الحسين ، فكان يقول: وما كان عليّ لو احتملتُ الأذى وأنزلتُه معي في داري، وحكّمته فيما يريد؛ وإن كان عليّ في ذلك وكَفٌ وَوَهنٌ في سلطاني ، حِفظاً لرسولِ الله ﷺ ورعايةً لحقه وقرابته! لعن الله ابنَ مَرْجانة ، فإنه أخرجه واضطرّه ، وقد كان سأله أن يُخَلِّيَ سبيلَه ، ويرجع فلم يفعل ، أو يضع يَده في يدي ، أو يلحق بثَغْر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله عزّ وجل فلم يفعل ، فأبى ذلك وردّه عليه وقتله ، فبغّضني بقتله إلى المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوةَ ، فبَغَضَني البَرُّ والفاجرُ ، بما استعظم الناس من قتلي حُسيناً؛ مالي ولابن مرجانة لعنه الله ، وغضِب عليه!

ثمّ إنّ عبيد الله بعث مولىً يقال له: أيوب بن حَمْران إلى الشأم ليأتيَه بخبر يزيدَ ، فركب عبيد الله ذاتَ يوم حتى إذا كان في رَحْبة القصّابين؛ إذا هو بأيوب بن حُمران قد قَدِم ، فلحقه فأسرّ إليه موتَ يزيدَ بن معاوية ، فرجع عبيد الله من مسيره ذلك فأتى منزلَه ، وأمر عبد الله بن حِصْن أحد بني ثعلبة بن يربوع فنادى: الصلاة جامعة .

قال أبو عبيدة: وأما عمير بن معن الكاتب ، فحدّثني قال: الذي بعثه عُبيد الله حُمران مولاه ، فعاد عُبيد الله عبدَ الله بن نافع أخا زياد لأمه ، ثم خرج عبيد الله ماشياً من خَوْخة كانت في دار نافع إلى المسجد ، فلما كان في صحنه إذا هو بمولاه حُمران أدنى ظلمة عند المساء ـ وكان حُمران رسولَ عبيد الله بن زياد إلى معاوية حياتَه وإلى يزيدَ ـ فلما رآه ولم يكن [آن] له أن يقدم ـ قال: مَهْيَم! قال: خيرٌ ، قال: وما وراءك؟ قال: أدنو منك. قال: نعم ـ وأسرّ إليه موتَ يزيد واختلاف أمر الناس بالشأم ، وكان يزيدُ ماتَ يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الأولّ سنة أربع وستين ـ فأقبل عبيد الله مِن فَوْرِهِ ، فأمر منادياً فنادى: الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعِد المنبرَ فنعَى يزيدَ ، وعرّض بثلبِه لِقَصْد يزيد إياه قبل موته حتى يخافه عبيد الله ، فقال الأحنف لعبيد الله: إنه قد كانت ليزيدَ في أعناقنا بَيْعة ، وكان يقال: أعْرِضْ عن ذي فَنَن ، فأعرَض عنه ، ثم قام عبيد الله يذكر اختلاف أهل الشام ، وقال: إنّي قد وليتكم. . . ثم ذكر نحو حديث عمر بن شبّة عن زهير بن حرب إلى: فبايعوه عن رِضاً منهم ومشورةٍ.

ثم قال: فلمّا خرجوا من عنده جعلوا يمسحون أكفّهم بباب الدار وحيطانه ،

ويقولون: ظَنَّ ابن مرجانة أنا نوليه أمرَنا في الفرقة! قال: فأقام عبيد الله أميراً غيرَ كثير حتى جعل سلطانه يضعف، ويأمرنا بالأمر فلا يقضى، ويرى الرأي فيُرَدّ عليه، ويأمر بحبس المخطئ فيُحال بين أعوانه وبينه. (٥: ٥٠٦ ـ ٥٠٧).

قال أبو عبيدة: فحدّثني غيرُ واحد، عن سَبْرة بن الجارود الهُذليّ، عن أبيه الجارُود، قال: وقال عبيدُ الله في خطبته: يا أهلَ البصرة! والله لقد لبسْنَا الخزّ واليُمنة واللّيّن من الثياب حتى لقد أجمَنا ذلك وأجمَتْه جلوُدنا، فما بِنَا إلى أن نُعقِبها الحديدَ! يا أهل البصرة! والله لو اجتمعتم على ذَنب عَيْر لتكسروه ما كَسرتُموه، قال الجارود: فوالله ما رُمي بجُمّاح حتى هَرب، فتَوارَى عند مسعود فلما قُتل مسعود لحق بالشام.

قال يونس: وكان في بيت مال عبيد الله يومَ خطب الناس قبل خروج سلمة ثمانية آلاف ألف أو أقلّ ـ وقال عليّ بن محمد: تسعة عشر ألف ألف ـ فقال للناس: إنّ هذا فيئكم، فخذوا أعطياتِكم وأرزاق ذراريّكم منه، وأمر الكَتَبَةَ بتحصيل الناس وتخريج الأسماء، واستعجل الكتّاب في ذلك حتى وكّل بهم من يحبسهم بالليل في الديوان، وأسرجوا بالشمع.

قال: فلما صنعوا وقعدوا عنه، وكان من خلاف سلمة عليه ما كان؛ كفّ عن ذلك، ونقلها حين هرب، فهي إلى اليوم تَردّدُ في آل زياد، فيكون فيهم العُرس أو المأتم فلا يُرى في قريش مثلهم، ولا في قريش أحسن منهم في الغَضارة والكسوة. فدعا عبيد الله رؤساءَ خاصّة السلطان، فأرادهم أن يقاتلوا معه، فقالوا: إنْ أمَرَنا قُوّادُنا قاتلْنا معك، فقال إخوةُ عبيد الله لعبيد الله: والله ما من خليفة فتقاتلَ عنه فإن هُزِمتَ فئتَ إليه وإن استمددتَه أمدّك، وقد علمتَ أنّ الحرب دُوَل، فلا ندري لعلها تدول عليك، وقد اتّخذنا بين أظهر هؤلاء القوم أموالاً، فإن ظفروا أهلَكونا وأهلَكوها، فلم تَبقَ لك باقية. وقال له أخوه عبد الله لأبيه وأمّه مرجانة: والله لئن قاتلَ القوم لأعْتمِدنَّ على ظُبَة السيف حتى يخرج من صُلبي. فلما رأىٰ ذلك عبيد الله أرسل إلى حارث بن قيس بن صُهْبان بن عون بن علاج بن مازن بن أسود بن جَهْضَم بن جذَيمة بن مالك بن فَهْم، فقال له: يا حارِ! إنّ أبي كان أوصاني إن احْتجتُ إلى الهرب يوماً أن أختاركم، وإنّ نفسي تأبى غيركم، فقال الحارث: قد أبلَوْك في أبيك ما قد علِمت، وأبلَوْه فلم يجدوا

عنده ولا عندَك مُكافأةً ، وما لك مَرَدٌّ إذا اخترتنَا ، وما أدري كيف أتأتّى لك إن أخرَجتك نهاراً! إني أخاف ألاّ أصِلَ بك إلى قومي حتى تُقْتَلَ وأقتَلَ ، ولكنّي أقيم معك حتى إذا وارى دَمْسٌ دَمْساً وهَدَأت القدَمُ؛ ردفتَ خلفي لئلا تُعرف ، ثم أخذتك على أخوالي بني ناجِية ، قال عبيد الله: نِعْمَ ما رأيت ، فأقام حتى إذا قيل: أخوك أم الذئب؛ حمله خَلْفَه ، وقد نَقل تلك الأموال فأحرزها ، ثمّ انطلق به يمرّ به على الناس ، وكانوا يتحارسون مخافة الحروريّة فيسأل عبيد الله أين نحن؟ فيخبره ؛ فلما كانوا في بني سُليم قال عبيد الله: أين نحن؟ قال: في بني سُلَيم؛ قال: سلِمنا إن شاء الله ، فلما أتى بني ناجية قال: أين نحن؟ قال: في بني ناجية؛ قال: نجوْنا إن شاء الله ؛ فقال بنو ناجية: مَن أنتَ؟ قال: الحارث بن قيس ؛ قالوا: ابن أختِكم ؛ وعرف رجل منهم عبيدَ الله فقال: ابن مرجانة! فأرسل سهماً فوقع في عمامته ، ومضى به الحارث حتى ينزله دارَ نفسه في الجهاضم ، ثمّ مضىٰ إلى مسعود بن عمرو بن عديّ بن محارب بن صُنَيم بن مُليح بن شَرْطان بن مَعْن بن مالك بن فهم ، فقالت الأزد ومحمد بن أبي عيينة: فلما رآه مسعود قال: يا حارِ ، قد كان يُتعوّذ من سوء طوارق الليل ، فنعوذ بالله من شرّ ما طرقتَنا به ؛ قال الحارث: لم أطرقك إلا بخير ، وقد علمتَ: أنّ قومك قد أنجَوا زياداً فوفَوْا له ، فصارت لهم مكرُمة في العرب يفتخرون بها عليهم ، وقد بايَعْتم عبيد الله بيعةَ الرضا؛ رِضاً عن مَشورَة ، وبيعةً أخرىٰ قد كانت في أعناقكم قبل البيعة ـ يعني: بيعةَ الجماعة ـ فقال له مسعود: يا حارِ ، أترى لنا أن نعاديَ أهلَ مِصْرِنا في عبيد الله ، وقد أبليْنا في أبيه ما أبلينا ، ثم لم نُكافأ عليه ، ولم نُشكَر! ما كنتُ أحسب أن هذا من رأيك؛ قال الحارث: إنه لا يُعاديك أحد على الوَفاء ببيْعتك حتى تبلغَه مأمنَه (٥: ٥٠٨ ـ ٥١٠).

هروب عبيد الله بن زياد من البصرة متوجهاً إلى الشام بعد اضطراب الأمور في العراق سنة ٦٤ هـ بعد وفاة يزيد

قال وهب: فحدّثنا أبو بكر بن الفضل ، عن قبيصة بن مروان: أنهم جعلوا يقولون: أين ترونه توجّه؟ فقالت عجوز من بني عقيل: أين ترونه توجّه! اندَحسَ والله في أجَمَةِ أبيه.

وكانت وفاةُ يزيدَ حين جاءت ابن زياد وفي بيوت مال البصرة ستة عشر ألف

ألف ، ففرّق ابن زياد طائفةً منها في بني أبيه ، وحمل الباقي معه ، وقد كان دعا البخارّية إلى القتال معه ، ودعا بني زياد إلى ذلك فأبَوا عليه. (٥ : ٥١١).

حدّثني عمر ، قال: حدّثني زهير بن حرب ، قال: حدّثنا الأسوَد بن شيبان عن عبد الله بن جَرير المازنيّ ، قال: بعث إليّ شقيق بن ثور ، فقال لي: إنه قد بلغني: أنّ ابن منجوف هذا وابن مسمع يُدلجان بالليل إلى دار مسعود ليردّا ابن زياد إلى الدار ليصلوا بين هذَيْن الغاريْن ، فيهريقوا دماءكم ، ويُعِزُّوا أنفسهم ، ولقد هممتُ أن أبعَثَ إلى ابن منجوف فأشدَّه وثاقاً ، وأخرِجَه عني؛ فاذهب إلى مسعود ، فاقرأ عليه السلام منّي ، وقل له: إنّ ابن منجوف وابن مسمع يفعلان كذا وكذا ، فأخرج هذين الرجلين عنك ، قال: وكان معه عُبيد الله ، وعبد الله ابنا زياد ، قال: فدخلتُ على مسعود وابنا زياد عنده: أحدُهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، فقلت: السلام عليك أبا قَيْس ، قال: وعليك السلام؛ قلتُ: بعثني إليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام ، ويقول لك: إنه بلغني؛ فردّ الكلام بعينه إليّ: «فأخرِجهما عنك»؛ قال مسعود: والله فعلت ذاك؛ فقال عبيد الله: كيف أبا ثور ـ ونَسِي كُنْيَتَه ، إنما كان يُكنَى أبا الفضل ـ فقال أخوه عبد الله: إنا والله لا نخرج عنكم ، قد أجرْتُمونا ، وعقدتم لنا ذِمَّتَكم ، فلا نخرج حتى نُقتَلَ بين أظهُرِكم ، فيكون عاراً عليكم إلى يوم القيامة. (٥ : ٥١١ ـ ٥١٢).

قال أصحابنا: دعت مُضرُ إلى العبّاس بن الأسود بن عوف الزهريّ ، ابن أخي عبد الرحمن بن عوف ، ودعَتِ اليَمن إلى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، فتراضى الناسُ أن حكّموا قيسَ بن الهيثم والنعمان بن صُهْبان الراسبيّ لينظرا في أمر الرجلين ، فاتفق رأيُهما على أن يولّيا المضريّ الهاشميّ إلى أن يجتمع أمرُ الناس على إمام؛ فقيل في ذلك:

نـزَعْنَـا وَوَلَّيْنـا وبَكْـرُ بـنُ وائـلٍ   تَجُـرُّ خُصـاهَـا تَبتغِي مـن تحـالِـفُ

فلما أمّروا ببّة على البصرة ولّى شرطتَه هِميان بن عديّ السَّدُوسيّ.
(٥ : ٥١٢ ـ ٥١٣).

قال أبو جعفر: وأمّا أبو عُبيدة فإنّه ـ فيما حدّثني محمد بن عليّ ، عن أبي سعدان ، عنه ـ قصّ من خبر مسعود وعبيد الله بن زياد وأخيه غيرَ القصّةِ التي قصّها وهب بن جرير ، عمّن روى عنهم خبرَهم ، قال: حدّثني مسلمة بن

محارب بن سلم بن زياد وغيره من آل زياد ، عمّن أدرك ذلك منهم ومِنْ مواليهم ـ والقوم أعلم بحديثهم ـ: أنّ الحارث بن قيس لم يكلِّم مسعوداً ، ولكنه آمن عبيدَ الله ، فحمل معه مئةَ ألف درهم ، ثمّ أتى بها إلى أمّ بسطام امرأة مسعود ، وهي بنت عمّه ، ومعه عُبيد الله وعبد الله ابنا زياد ، فاستأذن عليها ، فأذِنتْ له ، فقال لها الحارث: قد أتيتُكِ بأمر تَسُودِين به نساءَكِ وتتمّين به شرفَ قومك ، وتعجّلين غنىً ودنيا لك خاصّة ، هذه مئة ألف درهم فاقبضيها ، فهي لك ، وضُمّي عبيد الله ، قالت: إني أخاف ألاّ يرضى مسعود بذلك ولا يقبله؛ فقال الحارث: ألبسيه ثوباً من أثوابي ، وأدخليه بيتك ، وخلّي بيننا وبين مسعود؛ فقبضت المال ، وفعلت ، فلمّا جاءَ مسعود أخبرتْه ، فأخذ برأسها ، فخرج عبيد الله والحارث من حَجَلتها عليه ، فقال عبيد الله: قد أجارتْني ابنة عمّك عليك ، وهذا ثوبك عليّ ، وطعامُك في بطني ، وقد التفّ عليّ بيتُك؛ وشهد له على ذلك الحارث ، وتلطّفا له حتى رضي.

قال أبو عبيدة: وأعطى عبيد الله الحارث نحواً من خمسين ألفاً ، فلم يزل عبيد الله في بيت مسعود حتى قُتِل مسعود. (٥ : ٥١٣).

قال أبو عبيدة: فحدّثني يزيد بن سُمَير الجَرْميّ عن سَوّار بن عبد الله بن سعيد الجرميّ؛ قال: فلما هرب عبيد الله غبَر أهلُ البَصْرِة بغير أمير ، فاختلفوا فيمن يؤمّرون عليهم ، ثم تراضَوْا برجلين يختاران لهم خِيرَة ، فيرضون بها إذا اجتمعا عليها ، فتراضوا بقيس بن الهيثم السُّلَميّ ، وبنعمان بن سُفْيان الراسبيّ ، راسب بن جَرْم بن رَبّان بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ـ أن يختارا مَن يرضيان لهم ، فذكَرا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ـ وأمه هند بنت أبي سُفْيان بن حرب بن أميّة ـ وكان يلقب بَبّة ، وهو جدّ سليمان بن عبد الله بن الحارث ، وذكرا عبد الله بن الأسود الزّهريّ ، فلما أطبقا عليهما اتَّعدا المِرْبَد ، وواعدا الناس أن تجتمع آراؤهم على أحد هذَيْن.

قال: فحضر الناسُ ، وحضرتُ معهم قارعةَ المِربد ـ أي: أعلاه ـ فجاء قيس بن الهيثم ، ثمّ جاء النعمان بعد ، فتجاوَلَ قيس والنعمان ، فأرى النعمان قيساً: أنّ هواه في ابن الأسود ، ثمّ قال: إنّا لا نستطيع أن نتكلم معاً ، وأراده أن يجعل الكلام إليه ، ففعل قيس وقد اعتقد أحدهما على الآخر ، فأخذ النعمان

على الناس عهداً لَيَرْضَوُنَّ بما يختار ، قال: ثمّ أتى النعمانُ عبدَ الله بن الأسود فأخذ بيده ، وجعل يشترط عليه شرائطَ حتى ظنّ الناس: أنه مبايِعه ، ثمّ تركه ، وأخذ بيد عبد الله بن الحارث ، فاشترط عليه مِثلَ ذلك ، ثمّ حمِد الله تعالى وأثنَى عليه ، وذكر النبيّ ﷺ وحقّ أهل بيته وقرابته ، ثم قال: يا أيّها الناس ! ما تَنقِمون من رجل من بني عمّ نبيّكم ﷺ ، وأمّه هند بنت أبي سُفيان! فإن كان فيهم فهو ابن أختكم؛ ثم صفق على يده وقال: ألا إني قد رضيتُ لكم به ، فنادَوْا: قد رَضِينا؛ فأقبَلوا بعبد الله بن الحارث إلى دار الإمارة حتى نزلها ، وذلك في أوّل جُمادى الآخرة سنة أربع وستين ، واستعمل على شُرطته هميان بن عديّ السدوسيّ ، ونادى في الناس: أن احضروا البيعة ، فحضروا فبايعوه ، فقال الفرزدق حين بايعه:

وبايعتُ أقواماً وفَيت بعهدِهم ... وبَبّةُ قد بايعتُهُ غيرَ نادِمِ

(٥: ٥١٣ ـ ٥١٤).

قال أبو عبيدة: فحدَّثني زهير بن هُنَيد ، عن عمرو بن عيسى ، قال: كان منزل مالك بن مسْمَع الجَحْدَريّ في الباطنة عند باب عبد الله الإصبهانيّ في خُطّ بني جَحدر ، الذي عند مسجد الجامع ، فكان مالك يحضر المسجد ، فبينا هو قاعد فيه ـ وذلك بعد يسيرٍ من أمر ببّة ـ وافى الحلْقةَ رجلٌ من ولد عبد الله عامر بن كُرَيْز القرشيّ يريد ببّة ، ومعه رسالة من عبد الله بن خازم ، وبيعته بَهَراة ، فتنازعوا ، فأغلظ القرشيُّ لمالك ، فلطم رجلٌ من بكر بن وائل القرشيَّ ، فتهايج مَنْ ثمَّ مِنْ مضر وربيعة ، وكثرتهم ربيعة الذين في الحلقة ، فنادى رجل: يالَ تميم! فسمعَت الدّعوةَ عصبةٌ من ضَبّة ابن أدّ ـ كانوا عند القاضي ـ فأخذوا رماح حَرَس من المسجد وتِرَسَتَهم ، ثم شدّوا على الرَّبَعيّين فهزموهم ، وبلغ ذلك شقيق بن ثور السدوسيّ ـ وهو يومئذ رئيس بكر بن وائل ـ فأقبل إلى المسجد فقال: لا تجدُنّ مضريّاً إلا قتلتموه ، فبلغ ذلك مالك بن مسمع ، فأقبل متفضلاً يُسكّن الناس ، فكفّ بعضُهم عن بعض ، فمكث الناس شهراً أو أقلّ ، وكان رجل من بني يشكر يجالس رجلاً من بني ضبّة في المسجد ، فتذاكرا لطمة البَكْريّ القرشيَّ ، ففخر اليشكريّ ، قال: ثمّ قال: ذهبت ظَلْفاً ، فأحفظ الضّبيّ بذلك ، فوجأ عنقَه ، فوقَذه الناس في الجمعة ، فحُمِل إلى أهله ميتاً ـ أعني: اليشكريّ ـ

فثارت بكر إلى رأسهم أشيمَ بن شقيق ، فقالوا: سِرْ بنا؛ فقال: بل أبعث إليهم رسولاً ، فإن سيّبوا لنا حقّنا وإلا سرنا إليهم ، أبتْ ذلك بكر ، فأتَوْا مالك بن مسمع - وقد كان قبل ذلك مملَّكاً عليهم قبل أشيم ، فغلب أشيمَ على الرّياسة حين شخص أشيم إلى يزيدَ بن معاوية؛ فكتب له إلى عبيد الله بن زياد أن ردّوا الرّياسة إلى أشيم ، فأبت اللّهازم ، وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عنزة وشيع اللات وحلفاؤها عجل حتى توافوا هم وآل ذهل بن شيبان وحلفاؤها يَشكُر ، وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضُبيْعة بن ربيعة بن نزار؛ أربع قبائل وأربع قبائل ، وكان هذا الحلف في أهل الوَبَر في الجاهلية ، فكانت حنيفة بقيتْ من قبائل بكر لم تكن دخلتْ في الجاهلية في هذا الحلف ، لأنهم أهلُ مَدَر ، فدخلوا في الإسلام مع أخيهم عجل ، فصاروا لِهْزمةً ، ثمّ تراضوْا بحكم عمران بن عِصام العَنَزيّ أحد بني هُمَيْم ، وردّها إلى أشيَم ، فلما كانت هذه الفتنة استخفّت بكر مالك بن مسمع ، فخفّ وجمع وأعدّ ، فطلب إلى الأزد أن يجدّدوا الحِلْف الذي كان بينهم قبل ذلك في الجماعة على يزيد بن معاوية ، فقال حارثة بن بدر في ذلك:

نـزعْنـا وأَمَـرْنـا وبكـرُ بـن وائـل ... تجر خُصاها تبتغي من تحالِفُ
ومـا بـاتَ بَكـريٌّ مـن الـدهـرِ ليلـةً ... فيُصْبِـحَ إلاَّ وهـو لِلـذُّلّ عـارِفُ

قال: فبلغ عبيد الله الخبر - وهو في رحْلِ مسعود - من تباعد ما بين بكر وتميم ، فقال لمسعود: اِلقَ مالكاً فَجدّدِ الحِلف الأوّل؛ فلقِيَه ، فترادّا ذلك ، وتأبّى عليهما نفر من هؤلاء وأولئك ، فبعث عبيد الله أخاه عبد الله مع مسعود ، فأعطاه جزيلاً من المال ، حتى أنفق في ذلك أكثر من مئتي ألف درهم على أن يبايعوهما ، وقال عبيد الله لأخيه: استوثق من القوم لأهل اليمن ، فجددوا الحِلْف ، وكتبوا بينهم كتاباً سوى الكتابين اللذين كانا كتُبا بينهما في الجماعة ، فوضعوا كتاباً عند مسعود بن عمر . (٥ : ٥١٤ ـ ٥١٦) .

قال أبو عبيدة: فحدثني بعض ولد مسعود: أنّ أول تسمية من فيه الصّلت بن حُريْث بن جابر الحنفيّ ، ووضعوا كتاباً عند الصّلت بن حريث أوّل تسميته ابن رجاء العَوْذيّ ، من عَوْذ بن سُود ، وقد كان بينهم قبل هذا حِلف . (٥ : ٥١٦) .

قال أبو عبيدة: وزعم محمد بن حفص ويونس بن حبيب وهبيرة بن حُدَير وزهير بن هنيد: أنّ مضر كانت تَكثُر ربيعةَ بالبصرة ، وكانت جماعة الأزد آخرَ من

نزل بالبَصرة ، كانوا حيث مُصِّرت البصرة ، فحوّل عمر بن الخطاب رحمه الله من تَنُوخَ من المسلمين إلى البَصرة ، وأقامت جماعة الأزد لم يتحولوا ، ثم لحقوا بالبَصرة بعد ذلك في آخر خلافة معاوية ، وأوّل خلافة يزيدَ بن معاوية ، فلمَّا قدموا قالت بنو تميم للأحنف : بادرْ إلى هؤلاء قبل أن تسبقنَا إليهم ربيعة ، وقال الأحنف : إنْ أَتَوكم فاقبلوهم ، وإلاّ ؛ لا تأتوهم فإنكم إن أتيتموهم صرتم لهم أتباعاً . فأتاهم مالكُ بنُ مِسمَع ورئيس الأزْد يومئذ مسعود بن عمرو المعني ، فقال مالك : جدّدوا حِلفنَا وحلف كندة في الجاهليّة ، وحلْف بني ذُهْل بن ثعلبة في طيّئ بن أدَد من ثُعَل ، فقال الأحنف : أما إذ أتوهم ، فلن يزالوا لهم أتباعاً أذناباً .

(٥ : ٥١٦ ـ ٥١٧) .

قال أبو عبيدة : فحدثني هبيرة بن حُدَير عن إسحاق بن سويد ، قال : فلما أن جرت بكر إلى نصر الأزد على مضرَ ، وجدّدوا الحِلف الأوَّل ، وأرادوا أن يسيروا ، قالت الأزد : لا نسير معكم إلا أن يكون الرئيس منّا ، فرأسوا مسعوداً عليهم . (٥ : ٥١٧) .

قال أبو عبيدة : فحدثني مسلمة بن محارب ، قال : قال مسعود لعبيد الله : سرْ معنا حتى نعيدَك في الدار ؛ فقال : ما أقدر على ذلك ، امضِ أنتَ ، وأمر برواحله فشدّوا عليها أدواتها وسوادها ، وتزمّل في أهبة السفر ، وألقوا له كرسيّاً على باب مسعود ، فقعد عليه ؛ وسار مسعود ، وبعث عبيد الله غلماناً له على الخيل مع مسعود ، وقال لهم : إني لا أدري ما يحْدُث فأقول : إذا كان كذا ؛ فليأتني بعضُكم بالخبر ، ولكن لا يحدثَنّ خير ولا شرّ إلاّ أتاني بعضكم به ، فجعل مسعود لا يأتي على سكّة ، ولا يتجاوز قبيلةً إلا أتى بعض أولئك الغلمان بخبر ذلك ، وقدم مسعود ربيعةَ ، وعليهم مالك بن مسمع ، فأخذوا جميعاً سكّة المربد ، فجاء مسعود حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، وعبد الله بن الحارث في دار الإمارة ، فقيل له : إنّ مسعوداً وأهل اليمن وربيعة قد ساروا ، وسيهيج بين الناس شرّ ، فلو أصلحتَ بينهم أو ركبت في بني تميم عليهم ! فقال : أبعدهم الله ! لا والله لا أفسدت نفسي في إصلاحهم ، وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول :

لأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ جارِيَةً في قبَّهْ
تَمْشُطُ رأسَ لَعْبَهْ

فهذا قول الأزْد وربيعة ، فأما مضرُ فيقولون: إنَّ أمه هند بنت أبي سُفْيان كانت ترقّصِه وتقول هذا؛ فلما لم يحلْ أحد بين مسعود وبين صعود المِنبر؛ خرج مالك بن مسمع في كتيبته حتى علا الجبَّان من سكة المرْبد ، ثم جعل يمرّ بِعِداد دور بني تميم حتى دخل سكة بني العدويّة من قِبل الجبَّان ، فجعل يحرّق دورَهم - للشَّحناء التي في صدورهم لقتل الضبيّ اليشكريّ ، ولاستعراض ابن خازم ربيعة بهَراة ، قال: فبينا هو في ذلك إذ أتَوْه فقالوا: قتلوا مسعوداً ، وقالوا: سارت بنو تميم إلى مسعود ، فأقبل حتى إذا كان عند مسجد بني قيس في سكّة المِربد ، وبلغه قتلُ مسعود ، وقف. (٥: ٥١٧ ـ ٥١٨).

قال أبو عبيدة: فحدّثني زهير بن هُنيد ، قال: حدّثنا الضحاك ـ أو الوضّاح بن خيثمة أحد بني عبد الله بن دارِم ـ قال: حدّثني مالك بن دينار ، قال: ذهبت في الشباب الذين ذهبوا إلى الأحنف ينظرون؛ قال: فأتيته وأتتْه بنو تميم ، فقالوا: إنّ مسعوداً قد دخل الدار ، وأنت سَيدنا ، فقال: لستُ بسيّدكم ، إنما سيّدكم الشيطان. (٥: ٥١٨).

وأما هبيرة بن حدير ، فحدّثني عن إسحاق بن سويد العدويّ ، قال: أتيت منزل الأحنف في النظّارة ، فأتوا الأحنف ، فقالوا: يا أبا بحر ، إنّ ربيعة والأزد قد دخلوا الرَّحبَة ، فقال: لستم بأحقَّ بالمسجد منهم؛ ثم أتوه فقالوا: قد دخلوا الدار؛ فقال: لستم بأحقَّ بالدار منهم؛ فتسرّع سلمة بن ذؤيب الرّياحيّ ، فقال: إليّ يا معشر الفتيان ، فإنما هذا جِبْسٌ لا خير لكم عنده ، فبدرت ذؤبان بني تميم فانتدب معه خمسمئة ، وهم مع ماه أفريذون ، فقال لهم سلمة: أين تريدون؟ قالوا: إيّاكم أردنا؛ قال: فتقدّموا. (٥: ٥١٨).

فحدّثني زهير ، قال: حدّثنا أبو ريحانة العُرَيْنيّ ، قال: كنتُ يومَ قتل مسعود تحت بطن فرس الزرد بن عبد الله السعديّ أعْدُو حتى بلغْنا شريعة القديم. (٥: ٥١٩).

قال إسحاق بن سويد: فأقبلوا ، فلما بلغوا أفواهَ السّكَك وقفوا ، فقال لهم ماه أفريذون بالفارسيّة: ما لكم يا معشر الفِتْيان؟ قالوا: تلقّونا بأسنّة الرّماح؛ فقال لهم بالفارسية: صكّوهم بالفنجقان ـ أي بخمس نُشَّابات في رَمْيَة ، بالفارسيّة ـ والأساورة أربعمئة ، فصكّوهم بألفي نشّابة في دفعة ، فأجلوا عن أبواب

السكّك ، وقاموا على باب المسجد ، ودلفت التميميّة إليهم ، فلما بلغوا الأبواب؛ وقفوا ، فسألهم ماه أفريذون: مالَكم؟ قالوا: أسندوا إلينا أطرافَ رماحِهم؛ قال: ارموهم أيضاً؛ فرمَوْهم بألفيْ نشّابة ، فأجلوهم عن الأبواب ، فدخلوا المسجدَ ، فأقبلوا ومسعود يخطب على المنبر ويحضّض ، فجعل غَطَفان بن أنيف بن يزيد بن فهدة. أحد بني كعب بن عمرو بن تميم ـ وكان يزيد بن فهدة فارساً في الجاهلية يقاتل ويحضُّ قومَه ويرتجِز:

يـــال تميـــمٍ إنَّهـــا مـــذكـــوره   إنْ فـــات مسعـــودٌ بهـــا مَشْـــوَرَهْ
فـــاستمسِكـــوا بجـــانـــبِ المقْصـــورَهْ

أي: لا يهرب فيفوت.

قال إسحاق بن يزيد: فأتَوْا مسعوداً وهو على المِنبَر يحضّ ، فاستنزلوه فقتلوه ، وذلك في أوّل شوّال سنة أربع وستين ، فلم يكن القوم شيئاً ، فانهزموا. وبادر أشْيمُ بن شَقِيق القوم بباب المقصورة هارباً ، فطعنه أحدُهم فنجا بها ، ففي ذلك يقول الفرزدق:

لـــو أنَّ أشْيـــمَ لـــم يَسْبـــقْ أَسِنَّتَنـــا   وأخطـــأ البـــابَ إذْ نِيـــرانُنـــا تَقِـــد
إذاً لصـــاحَـــبَ مسْعـــوداً وصـــاحِبـــه   وقـــد تهـــافَتَـــتِ الأعفـــاجُ والكَبِـــدُ

(٥: ٥١٩ ـ ٥٢٠).

قال أبو عبيدة: فحدّثني سلاّم بن أبي خَيْرة ، وسمعتُه أيضاً من أبي الخَنْساء كُسَيْب العنبريّ يحدّث في حَلْقة يونسَ ، قالا: سمعنا الحسنَ بن أبي الحسن يقول في مجلسه في مسجد الأمير: فأقبل مسعود من هاهنا ـ وأشار بيده إلى منازل الأزْد في أمثال الطير ـ مُعْلِماً بقباء ديباج أصفر مغيّر بسواد ، يأمر الناسَ بالسنّة ، وينهى عن الفتنة: ألا إنّ من السّنة أن تأخذ فوق يديك ، وهم يقولون: القَمر القَمَرَ ، فوالله ما لبثوا إلاّ ساعةً حتى صار قمرهم قُميْراً ، فأتوه فاستنزلوه عن المِنبر وهو عليه ـ قد علم الله ـ فقتلوه.

قال سلاّم في حديثه: قال الحسن: وجاء الناس من هاهنا ـ وأشار بيده إلى دُور بني تميم. (٥: ٥٢٠).

قال أبو عُبيدة: فحدّثني مسْلَمة بن محارب ، قال: فأتَوا عُبيدَ الله ، فقالوا: قد صعد مسعود المنبر ، ولم يُرمَ دون الدار بكُتّاب ، فبيناه في ذلك يتهيّأ ليجيء

إلى الدار؛ إذ جاؤوا فقالوا: قد قتل مسعود، فاغترز في ركابه فلحق بالشأم، وذلك في شوّال سنة أربع وستين. (٥ : ٥٢١).

قال أبو عبيدة: فحدثني رَوَّاد الكعبيّ، قال: فأتى مالكَ بن مسمع أناسٌ من مضرَ، فحصروه في داره، وحرّقوا، ففي ذلك يقول غَطَفان بن أنيف الكعبيّ في أرجوزة:

وأصْبَحَ ابنُ مِسْمَعٍ مَحْصورَا يبْغِي قُصوراً دونَهُ وَدُورَا
حَتَّى شَبَبْنا حَوْلَهُ السَّعِيرَا

ولما هرب عُبيد الله بن زياد اتَّبعوه، فأعجز الطلبَة، فانتهبوا ما وجدوا له، ففي ذلك يقول وافد بن خليفة بن أسماء، أحد بني صخر بن مِنقرَ بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد:

يا رُبَّ جَبَّار شَدِيد كَلْبُهْ قد صَارَ فينا تاجُهُ وسَلَبُهْ
مِنْهُم عُبَيْدُ اللهِ حينَ نَسْلُبهْ جيادَهُ وبزَّه ونَنْهَبُهْ
يوْم التَقَى مِقْنَبُنا ومِقْنَبُهْ لَوْ لَمْ يُنْجِّ ابنَ زيادٍ هَرَبُهْ

وقال جرهم بن عبد الله بن قيس، أحد بني العدويّة في قتل مسعود في كلمة طويلة:

ومسْعودَ بن عَمرو إذْ أَتانا صبَحْنَا حَدَّ مَطْرُور سَنينَنا
رجا التَّأْمِيرَ مسعودٌ فأَضحى صَريعاً قد أَزرْناهُ المَنونَا
(٥ : ٥٢١)

قال أبو جعفر محمد بن جرير: وأمّا عُمر؛ فإنه حدّثني في أمر خروج عبيد الله إلى الشام، قال: حدّثني زهير، قال: حدّثنا وهب بن جرير بن حازم، قال: حدّثنا الزبير بن الخِرِّيت، قال: بعث مسعود مع ابن زياد مئةً من الأزْد، عليهم قرّة بن عمرو بن قيس، حتى قاموا به الشام. (٥ : ٥٢١ ـ ٥٢٢).

وحدّثني عمر، قال: حدّثنا أبو عاصم النبيل، عن عمرو بن الزبير وخلّاد بن يزيد الباهليّ والوليد بن هشام عن عمّه، عن أبيه، عن عمرو بن هُبيرة، عن يَسَاف بن شُرَيح اليشكريّ، قال: وحدّثنيه عليّ بن محمد، قال ـ وقد اختلفوا فزاد بعضُهم على بعض: إنّ ابن زياد خرج من البَصْرة، فقال ذات ليلة: إنه قد ثَقُل عليّ ركوبُ الإبل، فوطِّئوا لي على ذي حافر؛ قال: فألِقيتْ له

قطيفةٌ على حمار ، فركبه وإنّ رجليه لتكادان تخُدّان في الأرض. قال اليشكريُّ: فإنه لَيسير أمامي إذ سكتَ سكْتَةً ، فأطالها ، فقلت في نفسي: هذا عُبيد الله أميرُ العراق أمس نائمٌ الساعةَ على حمار ، لو قد سقط منه أعْنَتَه ، ثمّ قلت: والله لئن كان نائماً لأنغّصنّ عليه نومَه؛ فدنوتُ منه ، فقلت: أنائم أنت؟ قال: لا؛ قلت: فما أسكتك؟ قال: كنتُ أحدّث نفسي؛ قلتُ: أفلا أحدّثك ما كنت تحدّث به نفسَك؟ قال: هاتِ ، فوالله ما أراك تكيس ، ولا تصيب! قال: قلتُ: كنت تقول: ليتني لم أقتل الحسين ، قال: وماذا؟ قلتُ: تقول: ليتني لم أكن قتلتُ من قتلت؛ قال: وماذا؟ قلتُ: كنتَ تقول: ليتني لم أكن بنَيتُ البَيضَاء؛ قال: وماذا؟ قلت: تقول: ليتني لم أكن استعملت الدّهاقِين ، قال: وماذا؟ قلتُ: تقول: ليتني كنت أسخى مما كنتُ؛ قال: فقال: والله ما نطقتَ بصواب ، ولا سكتَّ عن خطأ ، أما الحسين فإنه سار إليّ يريد قتلي ، فاخترت قتلَه على أن يقتلني؛ وأما البيضاء فإني اشتريْتها من عبد الله بن عثمان الثقفيّ ، وأرسل يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها ، فإن بقيتُ فلأهلي ، وإن هلِكتُ لم آسَ عليها مما لم أعنِّف فيه؛ وأما استعمال الدّهاقين فإنّ عبد الرحمن بن أبي بَكرة وزاذان فرُّوخ وقَعا فيَّ عند معاوية حتى ذكرا قشورَ الأرزّ ، فبلغَا بخراج العراق مئة ألف ألف ، فخيَّرني معاوية بين الضّمان والعزْل؛ فكرهتُ العزل ، فكنت إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج ، فتقدّمت إليه أو أغرمت صدور قومه ، أو أغرمت عشيرته أضررت بهم ، وإن تركتُه تركتُ مالَ الله وأنا أعرِف مكانَه ، فوجدتُ الدّهاقينَ أبصر بالجباية ، وأوفَى بالأمانة ، وأهوَن في المطالبة منكم ، مع أني قد جعلتكم أمناءَ عليهم لئلا يظلِموا أحداً ، وأما قولك في السخاء ، فوالله ما كان لي مال فأجودَ به عليكم ، ولو شئتُ لأخذتُ بعض مالِكم فخصَصْتُ به بعضَكم دون بعض ، فيقولون: ما أسخاه! ولكني عمَمتكم ، وكان عندي أنفع لكم ، وأما قولك: ليتني لم أكن قتلتُ من قتلتُ؛ فما عملت بعد كلمة الإخلاص عملاً هو أقربُ إلى الله عندي من قتلي من قتلتُ من الخوارج ، ولكني سأخبرك بما حدّثت به نفسي؛ قلت: ليتني كنتُ قاتلت أهلَ البَصرة ، فإنهم بايعوني طائعين غيرَ مكرهين ، وايمُ الله لقد حرَصتُ على ذلك؛ ولكن بني زياد أتَوْني فقالوا: إنك إذا قاتلتهم فظَهَروا عليك لم يبقوا منا أحداً ، وإن تركتهم تغيَّب الرجل منّا عند أخواله وأصهاره ، فرفقت لهم فلم أقاتل ، وكنتُ أقول: ليتني كنت أخرجتُ أهلَ السجن

فضربتُ أعناقَهم ، فأما إذ فاتت هاتان فليتني كنت أقدم الشام ولم يُبرِموا أمراً.

قال بعضهم: فقدم الشأم ولم يُبرموا أمراً ، فكأنما كانوا معه صبياناً؛ وقال بعضهم: قدم الشام وقد أبرموا ، فنقض ما أبرموا إلى رأيه. (٥ : ٥٢٢ ـ ٥٢٣).

وفي هذه السنة طرد أهلُ الكوفة عَمرو بن حُرَيث وعَزَلوه عنهم ، واجتمعوا على عامر بن مسعود.

ذكر الخبر عن عزلهم عمرو بن حُريث وتأميرهم عامراً.

قال أبو جعفر: ذكر الهيثم بن عديّ ، قال: حدّثنا ابن عيَّاش ، قال: كان أوّل من جُمع له المِصران: الكوفة والبَصرة زياداً وابنه ، فقتلا من الخوارج ثلاثة عشر ألفاً ، وحبس عبيد الله منهم أربعة آلاف ، فلما هلك يزيد قام خطيباً ، فقال: إنّ الذي كنا نقاتل عن طاعته قد مات ، فإن أمّرتموني جبَيْت فَيْئكم ، وقاتلتُ عدوّكم ، وبعث بذلك إلى أهل الكوفة مُقاتِل ابن مِسمَع وسعيد بن قرحا ، أحد بني مازن ، وخليفته على الكوفة عمرو بن حُرَيث ، فقاما بذلك ، فقام يزيد بن الحارث بن رُوَيم الشيبانيّ ، فقال: الحمد لله الذي أراحنا من ابن سُمَيَّة ، لا ولا كرامة! فأمر به عمرو فلبِّب ومُضِيَ به إلى السجن ، فحالت بكْر بينهم وبينه ، فانطلق يزيد إلى أهله خائفاً ، فأرسل إليه محمد بن الأشعث: إنَّك على رأيك ، وتتابعت عليه الرُّسُل بذلك ، وصعد عمرو المنبر فحَصبُوه ، فدخل دارَه ، واجتمع الناسُ في المسجد فقالوا: نؤمِّر رجلاً إلى أن يجتمعَ الناسُ على خليفة ، فأجمعوا على عمر بن سعد ، فجاءت نساء هَمْدان يبكين حُسيْناً ورجالُهم متقلدو السيوف ، فأطافوا بالمِنبر ، فقال محمد بن الأشعث: جاء أمرٌ غيرَ ما كنا فيه ، وكانت كِنْدة تقوم بأمرِ عمر بن سَعْد لأنهم أخوالُه ، فاجتمعوا على عامر بن مسعود ، وكتبوا بذلك إلى ابن الزبير ، فأقرّه. (٥ : ٥٢٣ ـ ٥٢٤).

وأما عوانة بن الحَكم؛ فإنه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه: لما بايع أهلُ البَصرة عُبيد الله بن زياد بعث وافدين من قبله إلى الكوفة: عمرو بن مِسمَع ، وسعد بن القرحا التميمّي؛ ليعلم أهل الكوفة ما صنع أهل البصرة ، ويسألانهم البيعةَ لعُبيد الله بن زياد ، حتى يصطلح الناس ، فجمع الناس عمرو بن حريث ، فحَمِد الله وأثنَى عليه ثمّ قال: إنّ هذين الرجلين قد أتيَاكم من قِبَل أميركم يدعُوانكم إلى أمر يجمعَ الله به كلمَتكم ، ويُصلح به ذات بينكم ، فاسمعوا

منهما ، واقبلوا عنهما ، فإنهما بِرُشْدٍ ما أتيَاكم .

فقام عمرو بن مسمع ، فحمدَ الله وأثنَى عليه ، وذكَرَ أهل البصرة ، واجتماعَ رأيهم على تأمير عُبيد الله بن زياد حتى يرى الناسُ رأيهم فيمن يولّون عليهم ، وقد جئناكم لنجمع أمرنا وأمرَكم فيكونَ أميرُنا وأميركم واحداً ، فإنما الكوفة من البَصْرة والبَصْرة من الكوفة ، وقام ابن القرحا فتكلم نحواً من كلام صاحبه .

قال : فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشيبانيّ ـ وهو ابن رُويم ـ فحَصَبهما أوّل الناس ، ثمّ حصبهما الناسُ بعد ، ثم قال : أنحن نبايع لابن مَرْجانة! لا ولا كرامة؛ فشرّفت تلك الفعلة يزيدَ في المِصْر ورفعتْه ، ورجع الوفد إلى البصرة فأعلم الناس الخبر فقالوا : أهلُ الكوفة يخلعونه ، وأنتم تولّونه وتبايعونه! فوثب به الناس ، وقال : ما كان في ابن زياد وصمةٌ إلا استجارته بالأزد .

قال : فلمّا نابذَه الناسُ استجار بمسعود بن عمرو الأزديّ ، فأجاره ومنعه ، فمكث تسعين يوماً بعد موت يزيدَ ، ثمّ خرج إلى الشام ، وبعثت الأزد وبكر بن وائل رجالاً منهم معه حتى أوردوه الشام ، فاستخلف حيث توجّه إلى الشام مسعود بن عمرو على البصرة ، فقالت بنو تميم وقيس : لا نرضَى ولا نجيز ولا نولّي إلاّ رجلاً ترضاه جماعتُنا ، فقال مسعود : فقد استخلفني فلا أدَعُ ذلك أبداً؛ فخرج في قومه حتى انتهى إلى القصر فدخله ، واجتمعتْ تميم إلى الأحنف بن قيس ، فقالوا له : إنّ الأزد قد دخلوا المسجد؛ قال : ودخل المسجد فمَهْ! إنما هو لكم ولهم ، وأنتم تدخلونه؛ قالوا : فإنه قد دخل القصر ، فصَعِد المنبرَ ، وكانت خوارجُ قد خرجوا ، فنزلوا بنهر الأساورة حين خرج عُبيد الله بن زياد إلى الشام ، فزعم الناس أنّ الأحنف بعث إليهم أنّ هذا الرجل الذي قد دخل القصر لنا ولكم عدوّ ، فما يَمنَعكم من أن تبدؤوا به! فجاءت عصابةٌ منهم حتى دخلوا المسجد ، ومسعود بن عمرو على المنبر يبايع مَن أتاه ، فيرميه عِلْج يقال له : مُسلم من أهل فارسَ ، دخل البصرة فأسلم ثمّ دخل في الخوارج ، فأصاب قلبَه فقتله وخرج ، وجال الناسُ بعضُهم في بعض فقالوا : قُتِل مسعود بن عمرو ، قتلتْه الخوارج ، فخرجَتْ الأزْد إلى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجَرّحوا ، وطردوهم عن البَصرة ، ودفنوا مسعوداً ، فجاءهم الناس فقالوا لهم : تعلمون أنّ بني تميم يزعمون أنهم قتلوا مسعود بن عمرو ، فبعثَت الأزدُ تسأل عن ذلك؛ فإذا

أناسٌ منهم يقولونه ، فاجتمعت الأزد عند ذلك فرأّسوا عليهم زيادَ بن عمرو العتكيّ ، ثم ازدَلفوا إلى بني تميم وخرجتْ مع بني تميم قيس ، وخرج مع الأزد مالك بن مسمع وبكر بن وائل فأقبلوا نحو بني تميم ، وأقبلت تميم إلى الأحنف يقولون: قد جاء القوم ، اخرج. وهو متمكّث ، إذ جاءته امرأةٌ من قومه بمجمر فقالت: يا أحنف اجلس على هذا ، أي إنما أنت امرأة؛ فقال: اسْتك أحقّ بها ، فما سُمِع منه بعد كلمةٌ كانت أرفثَ منها ، وكان يُعرَف بالحلم ، ثمّ إنه دعا برايته فقال: اللهمّ انصُرْها ولا تُذللها ، وإن نُصرتها ألا يُظهرَ بها ولا يُظهَر عليها؛ اللهمّ احقنْ دماءَنا ، واصلح ذاتَ بيننا ، ثم سار وسار ابن أخيه إياس بن معاوية بين يديه ، فالتقَى القوم فاقتتلوا أشدَّ القتال ، فقُتل من الفريقين قَتلَى كثيرة ، فقالت لهم بنو تميم: الله الله يا معشر الأزد في دمائنا ودمائكم! بيننا وبينكم القرآن ومَنْ شئتم من أهل الإسلام ، فإن كانت لكم علينا بيّنةٌ أنّا قتلنا صاحبكم ، فاختاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه بصاحبكم ، وإن لم تكن لكم بيّنة فإنا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ، ولا نعلم لصاحبكم قاتلاً ، وإن لم تريدوا ذلك فنحن نَدِي صاحبكم بمئة ألف درهم ، فاصطلحوا ، فأتاهم الأحنف بن قيس في وجوه مضرَ إلى زياد بن عمرو العَتَكيّ ، فقال: يا معشر الأزد! أنتم جيرَتنا في الدار ، وإخوتُنا عند القتال ، وقد أتيناكم في رحالكم لإطفاء حشيشتكم ، وسلِّ سخيمتكم ، ولكم الحكمُ مرسلاً ، فقولوا على أحلامنا وأموالنا ، فإنه لا يتعاظمُنا ذهاب شيء من أموالنا كان فيه صلاح بيننا ، فقالوا: أتدون صاحبَنا عشرَ ديات؟ قال: هي لكم ، فانصرف الناس واصطلحوا؛ فقال الهيثم بن الأسود:

أعْلَى بمسعودٍ النّاعِي فقلتُ له ... نِعْمَ اليماني تجرُّواْ على الناعي

أَوْفَى ثمانين ما يسطِيعُهُ أحدٌ ... فتىً دعاهُ لرأس العدَّةِ الداعِي

آوَى آبن حرب وقد سُدَّتْ مذاهبُه ... فأَوسعَ السَّرْبَ منه أيَّ إيساعَ

حتَّى توارت به أرضٌ وعامِرها ... وكانَ ذا ناصرٍ فيها وأشيَاعِ

وقال عُبيد الله بن الحُرّ:

ما زِلتُ أَرجو الأَزدَ حتَّى رأيتُها ... تقصَّرُ عن بنْيانِها المتطاوِلِ

أيُقتلُ مسعودٌ ولم يثْأَرُوا به ... وصارَتْ سيوفُ الأزدِ مِثلَ المناجِلِ

وما خيرُ عقلٍ أوْرَثَ الأَزْدَ ذِلَّةً ... تسَبُّ به أحياؤهم في المحافِلِ

علـى أَنَّهـمْ شُمْـطٌ كـأنَّ لِحـاهُـمُ   ثعـالِـبُ فـي أعنـاقِهـا كـالجَـلاجِـلِ

واجتمع أهلُ البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميراً يصلي بهم حتى يجتمع الناس على إمام ، فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهراً ، ثم جعلوا ببَّة ـ وهو عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب ـ فصلى بهم شهرَين ، ثمّ قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن مَعْمر من قبَلِ ابن الزبير ، فمكث شهراً ، ثمّ قدم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ بعزله ، فوليها الحارث وهو القُباع.

(٥ : ٥٢٤ ـ ٥٢٧).

قال أبو جعفر: وأما عمر بن شبَّة؛ فإنه حدّثني في أمر عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كُرَيز وأمر ببَّة ومسعود وقتله ، وأمر عمر بن عبيد الله غيرَ ما قال هشام عن عوانة ، والذي حدّثني عمر بن شبّة في ذلك: أنه قال: حدّثني عليّ بن محمد ، عن أبي مُقرِّن عبيد الله الدّهنيّ ، قال: لما بايع الناسُ ببَّة ولّى ببّة شُرطته همْيَان بن عديّ ، وقدم على ببَّة بعضُ أهل المدينة ، وأمر هميان بن عديّ بإنزاله قريباً منه ، فأتى هميان داراً للفيل مولى زياد التي في بني سُليم وهمّ بتفريغها ليُنزلَها إيَّاه ، وقد كان هرب وأقفل أبوابَه ، فمنعت بنو سُليم هميان حتى قاتلوه ، واستصرخوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كُرَيز ، فأرسل بُخارِيَّته ومواليه في السلاح حتى طردوا هميان ومنعوه الدار ، وغدا عبد الملك من الغد إلى دار الإمارة ليسلِّم على بَبَّـة ، فلقيَه على الباب رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة ، فقال: أنت المعيّن علينا بالأمس! فرفع يدَه فلطمه ، فضرب قوم من البخاريّة يدَ القيسيّ فأطارها؛ ويقال: بل سلِم القيسيّ ، وغضب ابن عامر فرجع ، وغضبتْ له مضر ، فاجتمعتْ وأتت بكر بن وائل أشيمَ بن شقيق بن ثور فاستصرخوه ، فأقبل ومعه مالك بن مسمع حتى صعد المنبر فقال: أيّ مضريّ وجدتموه فاسلبوه ، وزعم بنو مسمع: أنّ مالكاً جاء يومئذ متفضّلاً في غير سلاح ليردّ أشيم عن رأيه ، ثمّ انصرفت بكر وقد تحاجزوا هم والمضريّة ، واغتنمت الأزد ذلك ، فحالفوا بكراً ، وأقبلوا مع مسعود إلى المسجد الجامع ، وفزعَتْ تميم إلى الأحنف ، فعقد عمامتَه على قناة ، ودفَعها إلى سلمة بن ذُؤَيب الرّياحيّ ، فأقبل بين يديه الأساورة حتى دخل المسجد ومسعود يخطب ، فاستنزَلوه فقتلوه ، وزَعمَت الأزْد: أن الأزَارقَة قتلوه ، فكانت الفتْنة ، وسفر بينهم عمر بن

عبيد الله بن معمر ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام حتى رَضيت الأزدُ من مسعود بعشر ديَات ، ولزم عبد الله بن الحارث بيته ، وكان يتديّن ، وقال: ما كنتُ لأصلح الناس بفساد نفسي. (٥ : ٥٢٧ ـ ٥٢٨) .

قال عمر: قال أبو الحسن: فكتب أهلُ البصرة إلى ابن الزبير ، فكتب إلى أنس بن مالك يأمره بالصّلاة بالناس ، فصلّى بهم أربعين يوماً. (٥ : ٥٢٨) .

حدّثني عمر ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد ، قال: كتب ابن الزبير إلى عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر التيميّ بعهده على البَصرة ، ووجّه به إليه ، فوافقه وهو متوجّه يريد العُمْرة ، فكتب إلى عُبيد الله يأمره أن يصلِّيَ بالناس ، فصلى بهم حتى قدم عمر. (٥ : ٥٢٨) .

حدّثني عمر ، قال: حدّثني زهير بن حرب ، قال: حدّثنا وهب بن جرير ، قال: حدّثني أبي ، قال: سمعتُ محمد بن الزبير ، قال: كان الناس اصطلحوا على عبد الله بن الحارث الهاشميّ ، فولي أمرهم أربعة أشهر ، وخرج نافع بن الأزرق إلى الأهواز ، فقال الناس لعبد الله: إن الناس قد أكل بعضُهم بعضاً؛ تؤخذ المرأة من الطريق فلا يَمنَعُها أحد حتى تُفضَح؛ قال: فتريدون ماذا؟

قالوا: تضَع سيفَك ، وتَشدُّ على الناس؛ قال: ما كنت لأصلحهم بفساد نفسي ، يا غلام! ناوِلني نعلي ، فانتعل ثمّ لحق بأهله ، وأمَّر الناس عليهم عُمَر بن عبيد الله بن مَعمَر التيميّ. قال أبي ، عن الصَّعْب بن زيد:

إن الجارف وقع وعبد الله على البصرة ، فماتت أمُّه في الجارف ، فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة أعلاج فحملوها إلى حُفرتها ، وهو الأمير يومئذ. (٥ : ٥٢٨ ـ ٥٢٩) .

حدّثني عمر ، قال: حدّثني عليّ بن محمد ، قال: كان ببّة قد تناول في عمله على البَصرة أربعين ألفاً من بيت المال ، فاستودَعها رجلاً ، فلما قدم عمر بن عبيد الله أميراً أخذ عبد الله بن الحارث فحبسه ، وعذّب مولىً له في ذلك المال حتى أغرمه إياه. (٥ : ٥٢٩) .

حدّثني عمر قال: حدَّثني عليُّ بن محمَّد عن القافْلانيّ ، عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير ، قال: قلت لعبد الله بن الحارث بن نوفل: رأيتك زمان

استعمِلت علينا أصبْتَ من المال ، واتَّقيت الدم ، فقال: إنّ تَبِعة المال أهوَن من تبِعة الدم. (٥: ٥٢٩).

ذكر الخبر عن ولاية عامر بن مسعود على الكوفة

وفي هذه السنة ولَّى أهلُ الكوفة عامرَ بن مسعود أمرَهم ، فذكر هشام بن محمد الكلبيّ ، عن عوانة بن الحكم: أنهم لما ردّوا وافدَيْ أهل البصرة اجتمع أشرافُ أهل الكوفة ، فاصطلحوا على أن يصلّيَ بهم عامر بن مسعود ـ وهو عامر بن مسعود بن خلف القرشيّ ، وهوُ دحروجَةُ الجُعَل الذي يقول فيه عبد الله بن هَمَّام السَّلوليّ:

اشْـدُدْ يـديْـكَ بـزيْـدٍ إن ظَفِـرْتَ بـهِ   واشفِ الأَرامِلَ مَن دُحرُوجَةِ الجُعلِ

وكان قصيراً ـ حتى يرى الناس رأيهم ، فمكث ثلاثةَ أشهر من مَهلك يزيدَ بن معاوية ، ثم قدم عليهم عبدُ الله بن يزيدَ الأنصاريّ ثم الخَطْميّ على الصلاة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج ، فاجتمع لابن الزبير أهلُ الكوفة وأهل البصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الشام ، وأهل الجزيرة إلا أهلَ الأردُنّ. (٥: ٥٢٩ ـ ٥٣٠).

خلافة مروان بن الحكم

وفي هذه السنة بُويع لمروانَ بن الحكم بالخلافة بالشام.

ذكر السبب في البيعة له:

حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: حدّثنا محمد بن عمرَ ، قال: لما بويع عبدُ الله بن الزبير ولَّى المدينةَ عُبيدةَ بن الزبير ، وعبد الرحمن بن جَحْدَم الفِهْريّ مصرَ ، وأخرجَ بني أميّة ومراون بن الحكم إلى الشام ـ وعبد الملك يومئذ ابن ثمان وعشرين ـ فلما قدم حصين بن نمير ومَن معه إلى الشام أخبر مَرْوانَ بما خلّفَ عليه ابن الزبير ، وأنه دعاه إلى البيعة ، فأبى فقال له ولبني أمية: نراكم في اختلاط شديد ، فأقيموا أمرَكمِ قبل أن يدخل عليكم شامكم ، فتكون فتنة عمياءَ صمَّاء؛ فكان من رأي مروانَ أن يرحل فينطلق إلى ابن الزبير فيبايعه ، فقَدِم

عبيد الله بن زياد ، واجتمعت عنده بنو أميّة ، وكان قد بلغ عبيد الله ما يريد مروان ، فقال له: استحييتُ لك مما تريد! أنت كبيرُ قريش وسيِّدها ، تصنع ما تصنعه! فقال: ما فات شيءٌ بعدُ؛ فقام معه بنو أميَّة ومواليهم ، وتجمع إليه أهلُ اليمن ، فسار وهو يقول: ما فات شيءٌ بعدُ؛ فقدم دمشقَ ومن معه ، والضّحاك بن قيس الفهريّ قد بايعه أهلُ دمشق على أن يصلِّيَ بهم؛ ويقيمَ لهم أمرهم حتى يجتمع أمرُ أمَّة محمد. (٥ : ٥٣٠).

وأما عوانة فإنه قال ـ فيما ذكر هشام عنه ـ إنّ يزيد بن معاوية لما مات وابنه معاوية من بعده ، وكان معاوية بن يزيدَ بن معاوية ـ فيما بلغني ـ أمَرَ بعد ولايته فنوديَ بالشام: الصلاة جامعة! فحَمد الله وأثنَى عليه ثم قال: أما بعد ، فإني قد نظرت في أمركم فضعفتُ عنه ، فابتغيت لكم رجلاً مثلَ عمرَ بن الخطّاب رحمة الله عليه حين فزع إليه أبو بكر فلم أجدْه ، فابتغيت لكم ستَةً في الشورى مثل ستّة عمر ، فلم أجدها ، فأنتم أولَى بأمركم ، فاختاروا له من أحببتم ، ثم دخل منزلَه ولم يخرج إلى الناس ، وتغيَّب حتى مات ، فقال بعض الناس: دُسّ إليه فسُقي سماً ، وقال بعضهم: طُعن. (٥ : ٥٣٠ ـ ٥٣١).

رجع الحديث إلى حديث عوانة ، ثمّ قدم عبيد الله بن زياد دمشق وعليها الضحاك بن قيس الفهريّ ، فثار زُفَر بن الحارث الكلابيّ بقِنَّسرِين يبايع لعبد الله بن الزبير ، وبايع النعمان بن بشير الأنصاريّ بحمص لابن الزبير ، وكان حسان بن مالك بن بحْدَل الكلبيّ بفلَسْطين عاملاً لمعاوية بن أبي سُفيان ، ثمّ ليزيد بن معاوية بعده ، وكان يهوَى هَوَى بني أميَّة ، وكان سيِّدَ أهل فلَسطين ، فدعا حسَّان بن مالك بن بحدل الكلبيّ رَوْحَ بن زنْباع الجُذاميّ ، فقال: إني مستخلفك على فلسطين ، وأدخل هذا الحيَّ من لَخْم وجُذام ، ولست بدون رجل إذ كنت عينهم قاتلت بمن معك من قومك. وخرج حسَّان بن مالك إلى الأردُنّ واستخلف رَوْح بن زَنْباع على فلسطين ، فثار ناتل بن قيس بروح بن زنباع فأخرجه ، فاستولى على فلَسطين ، وبايع لابن الزبير ، وقد كان عبد الله بن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن ينفيَ بني أميَّةَ من المدينة ، فنُفوا بعيالاتهم ونسائهم إلى الشام ، فقدِمتْ بنو أميّة دمشق وفيها مروان بن الحكم ، فكان الناس فريقين: حسّان بن مالك بالأردن يَهوَى هَوى بني أمية ، ويدعو إليهم؛ والضحَّاك بن قيس

الفهريّ بدمشقَ يَهوَى هَوَى عبد الله بن الزبير ، ويدعو إليه .

قال : فقام حسان بن مالك بالأردنّ ، فقال : يا أهلَ الأردنّ ! ما شهادتُكم على ابن الزبير وعلى قَتْلَى أهلِ الحرّة؟ قالوا : نشهد أنّ ابن الزبير منافق ، وأنّ قتلى أهلِ الحرّة في النار؛ قال : فما شهادتُكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرّة؟ قالوا : نشهد أنّ يزيد على الحقّ ، وأنّ قتلانا في الجنة؛ قال : وأنا أشهد لئن كان دينُ يزيدَ بن معاوية وهو حيّ حقّاً يومئذ إنه اليومَ وشيعتُه على حقّ؛ وإن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل إنه اليومَ على باطل وشيعته؛ قالوا له : قد صدقتَ ، نحن نبايعك على أن نقاتل مَن خالفك من الناس ، وأطاعَ ابنَ الزبير ، على أن تجنِّبنا هذين الغلامين ، فإنا نكره ذلك ـ يعنُون : ابنَي يزيد بن معاوية عبد الله ، وخالداً ـ فإنهما حديثةٌ أسنانهما ، ونحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبيّ ، وقد كان الضحاك بن قيس بدمشقَ يَهوى هَوَى ابن الزبير ، وكان يمنعه من إظهار ذلك أنّ بني أميّة كانوا بحضرته ، وكان يعمل في ذلك سرّاً ، فبلغ ذلك حسان بن مالك بن بحدل ، فكتب إلى الضحاك كتاباً يعظّم فيه حقّ بني أمية ، ويذكر الطاعة والجماعة وحُسْنَ بلاءِ بني أميّة عندَه وصنيعهم إليه ، ويدعوه إلى طاعتهم ، ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ، ويذكر : أنه منافق ، قد خلع خليفتَين ، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس ، ودعا رجلاً من كَلْب يُدعى ناغضة فسرَّح بالكتاب معه إلى الضحَّاك بن قيس ، وكتب حسَّان بن مالك نسخةَ ذلك الكتاب ، ودفَعه إلى ناغضة ، وقال : إن قرأ الضحَّاك كتابي على الناس وإلاّ فقم فاقرأ هذا الكتاب على الناس؛ وكتب حسَّان إلى بني أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك ، فقَدِم ناغضةُ بالكتاب على الضحَّاك فدفعه إليه ودفع كتابَ بني أميَّة إليهم ، فلما كان يومَ الجمعة صعِد الضحَّاك المنبر فقام إليه ناغضة ، فقال : أصلح الله الأمير! ادعُ بكتاب حسَّان فاقرأه على الناس ، فقال له الضحاك : اجلس ، فجلس ، ثمّ قام إليه الثانية فقال له : اجلس؛ ثمّ قام إليه الثالثة فقال له : اجلس؛ فلما رآه ناغضة لا يفعل أخرج الكتابَ الذي معه فقرأه على الناس ، فقام الوليد بن عُتبة بن أبي سُفْيانَ فصدّق حساناً وكذّب ابنَ الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن أبي النِّمس الغسّانيّ ، فصدّق مقالة حسان وكتابَه ، وشتم ابن الزبير ، وقامَ سُفيان بن الأبرد الكلبيّ فصدّق مقالة حسان وكتابه ، وشتم ابن الزبير .

وقام عمرو بن يزيد الحكميّ فشتم حسّان وأثنَى على ابن الزبير ، واضْطرب الناس تبعاً لهم ، ثمّ أمر الضحاك بالوليدَ بنَ عُتبة ويزيد بن أبي النّمس وسُفْيان بن الأبرد الذين كانوا صدّقوا مقالةَ حسان وشتَموا ابن الزبير فحُبسوا ، وجال الناسُ بعضُهم في بعض ، ووثبت كَلْب على عمرو بن يزيد الحَكَميّ ، فضربوه وحرّقوه بالنار ، وخرّقوا ثيابه.

وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرْقاتين من المنبر ، وهو يومئذ غلام. والضحَّاك بن قيس على المنبر ، فتكلَّم خالد بن يزيد بكلام أوْجَز فيه لم يُسمع مثلُه ، وسكن الناسِ ونزل الضحاك فصلَّى بالناس الجمعة ، ثمّ دخل فجاءت كلب فأخرجوا سفيانَ بن الأبرد ، وجاءت غسَّان فأخرجوا يزيد بن أبي النِّمس ، فقال الوليد بن عتبة ، لو كنتُ من كلب أو غسان أخرِجت.

قال: فجاء ابنا يزيد بن معاوية: خالد ، وعبد الله؛ معهما أخوالُهما من كلب فأخرجوه من السِّجن ، فكان ذلك اليوم يسمِّيه أهل الشام يومَ جَيْرون الأوّل.

وأقام الناس بدمشقَ ، وخرج الضحَّاك إلى مسجد دمشقَ ، فجلس فيه فذكر يزيدَ بنَ معاوية ، فوقع فيه ، فقام إليه شابٌّ من كلب بِعَصاً معه فضربه بها ، والناس جلوس في الحلق متقلِّدي السُّيوف ، فقام بعضُهم إلى بعض في المسجد ، فاقتتلوا؛ قيس تدعو إلى ابن الزبير ونُصرْة الضحَّاك ، وكلْب تدعو إلى بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد ، ويتعصّبون ليزيد ، ودخل الضحاك دارَ الإمارة ، وأصبح الناس فلم يخرج إلى صلاة الفجر ، وكان من الأجناد ناس يهوَوْن هَوَى بني أمية ، وناس يهوَوْن هَوَى ابن الزبير ، فبعث الضحاك إلى بني أميَّة فدخلوا عليه من الغد ، فاعتذر إليهم ، وذكر حُسنَ بلائهم عند مواليه وعنده ، وأنه ليس يريد شيئاً يكرهونه.

قال: فتكتبون إلى حسّان ونكتب ، فيسير من الأردنّ حتى ينزل الجابية ، ونسير نحن وأنتم حتى نوافيَه بها ، فنبايع لرجل منكم ، فرضيَتْ بذلك بنو أميّة ، وكتبوا إلى حسّان ، وكتب إليه الضحَّاك ، وخرج الناس وخرجت بنو أميّة واستقبلت الرايات ، وتوجَّهوا يريدون الجابية ، فجاء ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السُلَميّ إلى الضحاك ، فقال: دعوْتَنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعْناك على ذلك ، وأنت تسير إلى هذا الأعرابيّ من كَلْب تستخلف ابنَ أخيه خالد بن يزيد!

فقال له الضحّاك: فما الرأي؟ قال: الرأي أن نُظهر ما كنا نسرّ وندعو إلى طاعة ابن الزبير، ونقاتل عليها، فمالَ الضحّاك بمن معه من الناس فعَطفهم، ثمّ أقبل يسير حتى نزل بمَرْج راهطَ.

واختُلف في الوقعة التي كانت بمرج راهط بين الضحّاك بن قيس ومروان بن الحَكَم، فقال محمد بن عمرَ الواقديّ: بُويع مروانُ بنُ الحكم في المحرّم سنة خمس وستين، وكان مروانُ بالشام لا يُحدّث نفسه بهذا الأمر حتى أطْمَعَه فيه عُبيد الله بن زياد حين قَدِم عليه من العراق، فقال له: أنت كبيرُ قريش ورئيسها، يلي عليك الضحاك بن قيس! فذلك حين كان ما كان، فخرج إلى الضحاك في جيش، فقَتلهم مروان والضحاك يومئذ في طاعة ابن الزبير، وقُتلت قيس بمرج راهط مقتلةً لَمْ يُقتل مِثلُها في موطن قطّ. (٥: ٥٣١ ـ ٥٣٤).

قال محمد بن عمر: حدّثني ابن أبي الزناد، عن هشام بن عُروة، قال: قُتِل الضحاك يومَ مَرْج راهط على أنه يدعو إلى عبد الله بن الزبير، وكُتِبَ به إلى عبد الله لما ذُكِر عنه من طاعته وحسن رأيه. (٥: ٥٣٤).

وقال غيرُ واحد: كانت الوقعة بمرج راهط بين الضحاك ومروان في سنة أربع وستّين.

وقد حُدِّثت عن ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال: حدّثني موسى بن يعقوب عن أبي الحُوَيْرث، قال: قال أهل الأردنّ وغيرهم لمروان: أنت شيخٌ كبير، وابن يزيد غلام وابن الزبير كَهْل، وإنما يُقرع الحديدُ بعضُه ببعض، فلا تباره بهذا الغلام، وارمِ بنحرك في نحره، ونحن نبايعك، ابسُط يدَك، فَبَسَطها، فبايعوه بالجابِيَة يومَ الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين. (٥: ٥٣٤).

قال محمد بن عمر: وحدّثني مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله: أن الضّحاك لما بلغه: أنّ مروان قد بايعه من بايعه على الخلافة، بايع من معه لابن الزبير، ثم سار كلّ واحد منهما إلى صاحبه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل الضحاك وأصحابه. (٥: ٥٣٤ ـ ٥٣٥).

قال محمد بن عمر: وحدّثني ابن أبي الزّناد، عن أبيه؛ قال: لما ولي المدينة

عبد الرحمن بن الضحاك كان فتىً شابّاً ، فقال: إنّ الضحاك بن قيس قد كان دعا قيساً وغيرَها إلى البيعة لنفسه ، فبايعهم يومئذ على الخلافة ، فقال له زُفَر بن عقيل الفِهريّ: هذا الذي كنا نعرف ونسمع ، وإنّ بني الزبير يقولون: إنما كان بايع لعبد الله بن الزبير ، وخرج في طاعته حتى قتل ، الباطلَ والله يقولون؛ كان أوّل ذاك أنّ قريشاً دعتْه إليها ، فأبى عليها حتى دخل فيها كارهاً. (٥ : ٥٣٥).

ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحَّاك بن قيس ومروان بن الحكم وتمام الخبر عن الكائن من جليل الأخبار والأحداث في سنة أربع وستين

قال أبو جعفر: حدّثنا نوح بن حبيب ، قال: حدّثنا هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحَكم الكلبيّ ، قال: مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسَّان بن مالك ، فعَطَفهم ، ثمّ أقبل يسير حتى نزل بمرْج راهط ، وأظهر البيعة لابن الزبير ، وخلع بني أميَّة ، وبايعه على ذلك جُلّ أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم.

قال: وسارت بنو أميّة ومَن تبعهم حتى وافَوا حسّانَ بالجابية ، فصلّى بهم حسّان أربعين يوماً ، والناس يتشاورون ، وكتب الضحاك إلى النعمان بن بشير وهو على حِمْص ، وإلى زُفر بن الحارث وهو على قِنَّسرين ، وإلى ناتل بن قيس ، وهو على فِلسطين يستمدّهم ، وكانوا على طاعة ابن الزبير ، فأمدّه النعمان بشُرَحبْيل بن ذي الكلاَع ، وأمدّه زُفَر بأهل قنَّسْرِين ، وأمدّه ناتل بأهل فلَسطين ، فاجتمعت الأجناد إلى الضحاك بالمرْج.

وكان الناس بالجابية لهم أهواء مختلفة ، فأمّا مالك بن هبيرة السَّكُونيّ فكان يَهَوى هوى بني يزيد بن معاوية ، ويحبّ أن تكون الخلافة فيهم ، وأما الحصين ابن نمير السَّكونيّ فكان يهوَى أن تكون الخلافة لمروانَ بن الحكم ، فقال مالك ابن هبيرة لحصين بن نمير: هلمّ فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه ، وهو ابن أختنا ، فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه ، فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً ـ يعني: خالد بن يزيد ـ فقال الحصين: لا ، لعمر الله ! لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبيّ؛ فقال مالك: هذا ولم تردى تهامة ، ولما يَبلُغ الحزامُ الطُّبيين.

فقالوا: مهلاً يا أبا سليمان! فقال له مالك: والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدُنَّك على سوطك وشراك نعلك وظلّ شجرة تستظلّ بها؛ إنّ مروان أبو عشيرة، وأخو عشيرة، وعمّ عشيرة، فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم، ولكن عليكم بابن أختكم خالد، فقال حصين: إنّي رأيت في المنام قِنْديلاً معلَّقاً من السماء، وإنّ من يمدّ عنقه إلى الخلافة تناوَله فلم ينله، وتناوله مروان فناله، والله لنستخلفنَّه؛ فقال له مالك: ويحك يا حصين! أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلم أنهم أهل بيت من قيس! فلما اجتمع رأيُهم للبيعة لمروان بن الحكم قام روح بن زنباع الجذاميّ، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: أيُّها الناس، إنكم تذكرون عبد الله بن عمر بن الخطاب وصُحبتَه من رسول الله ﷺ، وقدمَه في الإسلام، وهو كما تذكرون؛ ولكن ابن عمر رجلٌ ضعيفٌ، وليس بصاحب أمة محمد الضعيفُ، وأما ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدعون إليه من أمره فهو والله كما يذكرون بأنه لابنُ الزبير حواريّ رسول الله ﷺ وابن أسماء ابنة أبي بكر الصدّيق ذات النِّطاقين، وهو بعدُ كما تذكرون في قدمه وفضْله، ولكنّ ابن الزبير منافق، قد خلع خليفتين: يزيد وابنه معاوية ابن يزيد، وسَفَك الدماء، وشقّ عصا المسلمين، وليس صاحبَ أمر أمة محمد ﷺ المنافقُ؛ وأمّا مروان بن الحكم؛ فو الله ما كان في الإسلام صَدَعٌ قطُّ إلا كان مروان ممَّن يشعب ذلك الصّدع، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار، والذي قاتل عليّ بن أبي طالب يومَ الجمل، وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبُّوا الصغير - يعني بالكبير: مروان ابن الحكم، وبالصغير: خالد بن يزيد بن معاوية، قال: فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان، ثمّ لخالد بن يزيد من بعده، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد، على أنّ إمارة دمشق لعمرو ابن سعيد بن العاص، وإمارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية، قال: فدعا حسان بن مالك بن بحدل خالد بن يزيد فقال: يَابْنَ أختي! إنّ الناس قد أبَوْك لحداثة سنِّك، وإني والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك، وما أبايع مروان إلا نظراً لكم؛ فقال له خالد بن يزيد: بل عُجِّزت عنا، قال: لا والله ما عُجِّزت عنك، ولكنّ الرأي لك ما رأيتُ ثمّ دعا حسان بمروان فقال: يا مروان! إن الناس والله ما كلُّهم يرضى بك، فقال له مروان: إن يُرِد الله أن يعطنيها لا يمنعني إياها أحدٌ من خلقه، وإن يُردْ أن يمنَعنيها لا يُعطنيها أحدٌ من خلقه. قال: فقال له

حسان: صدقت، وصَعِد حسان المنبر يومَ الاثنين، فقال: يا أيها الناس! إنا نستخلف يوم الخميس إن شاء الله. فلما كان يوم الخميس بايع لمروانَ، وبايع الناسُ له، وسار مروان إلى الجابية في الناس حتى نزل مَرْجَ راهط على الضحاك في أهل الأردنّ من كلب، وأتته السَّكاسك والسَّكون وغسان، وربع حسان بن مالك بن بحدل إلى الأردنّ.

قال: وعلى ميمنته ـ أعني: مروان ـ عمرو بن سعيد بن العاص، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد، وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العُقَيْليّ وعلى ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه، وكان يزيد بن أبي النِّمس الغسانيّ لم يشهد الجابية، وكان مختبئاً بدمشق، فلما نزل مروانُ مرجَ راهط ثار يزيد ابن أبي نمس بأهل دمشق في عبيدها، فغلب عليها، وأخرج عامل الضحاك منها، وغلب على الخزائن وبيت المال، وبايع لمروان وأمدَّه بالأموال والرجال والسلاح، فكان أوّلَ فتح فتحَ على بني أميّة. قال: وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلةً كان، ثم هُزِم أهل المرج، وقُتِلوا وقُتل الضحاك، وقُتل يومئذ من أشراف الناس من أهل الشام ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ القطيفة، والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين في العطاء، وقتل أهل الشام يومئذ مقتلةً عظيمةً لم يقتلوا مثلها قطّ من القبائل كلها، وقتل مع الضحاك يومئذ رجل من كلب من بني عُليم يقال له: مالك بن يزيد بن مالك بن كعب، وقُتل يومئذ صاحب لواء قُضاعة حيث دخلت قضاعة الشام، وهو جدّ مُدلَّج ابن المقدام بن زَمْل بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الجُرَشيّ، وقُتِل ثور بن معن بن يزيد السُّلميّ، وهو الذي كان ردّ الضحاك عن رأيه. قال: وجاء برأس الضحاك رجلٌ من كلب؛ وذكروا: أنّ مروان حين أتِيَ برأسه ساءه ذلك، وقال: الآن حين كبِرتْ سنّي ودقّ عظمي وصرتُ في مثل ظِمءِ الحمار، أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض!

قال: وذكروا: أنه مرّ يومئذ برجل قتيل فقال:

ومَا ضرَّهُمْ غير حَيْنِ النُّفُو ... سِ أيُّ أمِيري قريش غَلَبْ

وقال مروان حين بُويع له ودعا إلى نفسه:

لما رأيتُ الأَمرَ أمراً نَهْبا ... سيّرت غسّان لهمْ وكلَبا

والسَّكسكيِّين رجالاً غُلبا ... وطَيِّئاً تأْبَاه إلاّ ضَرْبا

والقَيْن تمشي في الحديد نُكبا ومن تنوخَ مشمَخِرّاً صعبا
لا يأْخذون المُلْكَ إلاَّ غَصْبَا وإنْ دَنَتْ قيسٌ فقل لا قربَا
(٥ : ٥٣٥ ـ ٥٣٨).

قال هشام بن محمد: حدّثني أبو مخنف لوط بن يحيى؛ قال: حدّثني رجل من بني عبد ود من أهل الشام ، قال: حدّثني من شهد مقتل الضحاك بن قيس ، قال: مرّ بنا رجلٌ من كلب يقال له: زُحنة بن عبد الله ، كأنما يرمي بالرجال الجَدَّاء ، ما يطعن رجلاً إلا صَرَعهُ ، ولا يضرب رجلاً إلا قتله ، فجعلت أنظر إليه أتعجب من فعله ومن قتله الرجال؛ إذ حمل عليه رجل فصرعه زُحنة وتركه ، فأتيته فنظرت إلى المقتول فإذا هو الضحاك بن قيس ، فأخذت رأسه فأتيتُ به إلى مروان ، فقال: أنت قتلته؟ فقلت: لا ، ولكن قتله زُحنة بن عبد الله الكلبي ، فأعجبه صدقي إيّاه ، وتركي ادعاءه ، فأمرَ لي بمعروف ، وأحسنَ إلى زحنة[١].
(٥ : ٥٣٨)

قال أبو مخنف: وحدّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حبيب بن كرّة ، قال: والله إنّ راية مروان يومئذ لمعي ، وإنه ليدفع بنعل سيفه في ظهري ، وقال: ادْنُ برايتك لا أبا لك! إنّ هؤلاء لو قد وجدوا لهم حدّ السيوف انفرجوا انفراجَ الرأس ، وانفراج الغنم عن راعيها ، قال: وكان مروان في ستة آلاف ، وكان على خيله عبيد الله بن زياد ، وكان على الرَّجال مالك بن هُبيرة؛ قال عبد الملك بن نوفل: وذكروا: أنّ بِشر بن مروان كانت معه يومئذ رايةٌ يقاتل بها وهو يقول:
إنَّ على الرئيسِ حقاً حقَّا أن يَخضِبَ الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقَّا

قال: وصُرع يومئذ عبد العزيز بن مروان. قال: ومرَّ مروان يومئذ برجل من محارب وهو في نفر يسيرٍ تحت راية يقاتل عن مروان ، فقال مروان: يرحمك الله! لو أنك انضممت بأصحابك ، فإني أراك في قلة! فقال: إنّ معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مدداً أضعاف من تأمرنا ننضمّ إليه ، قال: فُسرَّ بذلك مروان وضحك ، وضمَّ أناساً إليه ممّن كان حوله؛ قال: وخرج الناس منهزمين من المرج إلى أجنادهم ، فانتهى أهل حمص إلى حمص والنعمان بن بشير عليها ،

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

فلمّا بلغ النعمان الخبر خرج هارباً ليلاً ومعه امرأته نائلة بنت عُمارة الكلبيَّة ، ومعه ثَقَله ولدُه ، فتحيَّر ليلته كلَّها ، وأصبح أهل حمص فطلبوه؛ وكان الذي طلبه رجل من الكلاعيِّين يقال له: عمرو بن الخليّ فقتله ، وأقبل برأس النعمان بن بشير وبنائلة امرأته وولدها ، فألقى الرأس في حجر أمّ أبان ابنة النعمان التي كانت تحتَ الحجّاج بن يوسف بعد. قال: فقالت نائلة: ألقُوا الرأس إليّ فأنا أحقّ به منها ، فألقي الرأسُ في حجرها ، ثمّ أقبلوا بهم وبالرأس حتى انتهوا بهم إلى حمص ، فجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة وولدها. قال: وخرج زُفَر بن الحارث من قنَّسرين هارباً فلحق بقرقيسيا ، فلما انتهى إليها وعليها عياض الجرشي وهو ابن أسلم بن كعب بن مالك بن لغز بن أسود بن كعب بن حدس بن أسلم ـ وكان يزيد بن معاوية ولاه قرقيسيا ، فحال عياض بين زفر وبين دخول قرقيسيا ، فقال له زفر: أوثق لك بالطلاق والعتاق إذا أنا دخلت حمّامها أن أخرج منها؛ فلما انتهى إليها ودخلها لم يدخل حمّامها وأقام بها ، وأخرج عياضاً منها ، وتحصّن زُفر بها وثابتْ إليه قيس. قال: وخرج ناتل بن قيس الجُذاميّ صاحب فلسطين هارباً ، فلحق بابنِ الزبير بمكة ، وأطبق أهل الشام على مروان ، واستوثقوا له ، واستعمل عليها عمّاله[1]. (٥: ٥٣٩ ـ ٥٤٠).

قال أبو مخنف: حدّثني رجل من بني عبد ودّ من أهل الشام ـ يعني: الشرقيّ ـ قال: وخرج مروان حتى أتى مصر بعد ما اجتمع له أمر الشام ، فقدم مصر وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشيّ يدعو إلى ابن الزبير ، فخرج إليه فيمن معه من بني فهر ، وبعث مروان عمرو بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصر ، وقام على منبرها يخطب الناس ، وقيل لهم: قد دخل عمرو مصر ، فرجعوا ، وأمَّر الناس مروان وبايعوه ، ثمّ أقبل راجعاً نحو دمشق ، حتى إذا دنا منها بلغه أنّ ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزُّبير نحو فلسطين ، فسرّح إليه مروان عمرو بن سعيد بن العاص في جيش ، واستقبله قبل أن يدخل الشام ، فقاتله فهزم أصحاب مصعب ، وكان معه رجل من بني عذرة يقال له محمد بن حريث بن سليم ، وهو خال بني الأشدق ، فقال: والله ما رأيت مثل مصعب بن الزبير رجلاً قط أشدّ قتالاً فارساً وراجلاً ، ولقد رأيته في الطريق يترجّل فيطّرد بأصحابه ، ويشدّ على

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

رجليه ، حتى رأيتهما قد دميتا. قال: وانصرف مروانُ حتى استقرت به دمشق ، ورجع إليه عمرو بن سعيد.

قال: ويقال: إنه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق ، فنزل الشام أصاب بني أميَّة بتدمُر ، قد نفاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ، ومن الحجاز كله ، فنزلوا بتدمرُ ، وأصابوا الضّحاك بن قيس أميراً على الشام لعبد الله بن الزبير ، فقدم ابن زياد حين قدم ومروان يريد أن يركب إلى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة ، فيأخذ منه الأمان لبني أميَّة؛ فقال له ابن زياد: أنشدُك الله ألاّ تفعل ، ليس هذا برأي أن تنطلق وأنت شيخ قريش إلى أبي خبيب بالخلافة ، ولكن ادع أهل تدمر فبايعهم ، ثم سر بهم وبمن معك من بني أمية إلى الضحّاك بن قيس حتى تخرجَه من الشام؛ فقال عمرو بن سعيد بن العاص: صدق والله عبيد الله بن زياد ، ثمّ أنت سيد قريش وفرعها ، وأنت أحقّ الناس بالقيام بهذا الأمر ، إنما ينظر الناس إلى هذا الغلام - يعني: خالد بن يزيد بن معاوية - فتزوج أمّه فيكون في حجرك؛ قال: ففعل مروان ذلك ، فتزوج أمّ خالد بن يزيد. وهي فاختة ابنة أبي هاشم بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس. ثمّ جمع بني أميّة فبايعوه بالإمارة عليهم ، وبايعه أهلُ تدمر ثم سار في جمع عظيم إلى الضحاك بن قيس ، وهو يومئذ بدمشق ، فلما بلغ الضحّاك ما صنع بنو أميّة ومسيرتُهم إليه؛ خرج بمن تبعه من أهل دمشق وغيرهم ، فيهم زفر بن الحارث ، فالتقوا بمرج راهط ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل الضحاك بن قيس الفهريّ وعامّة أصحابه ، وانهزم بقيّتهم فتفرّقوا ، وأخذ زفر بن الحارث وجهاً من تلك الوجوه ، هو وشابّان من بني سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم ، فلما خاف السُّلميّان أن تلحقهم خيل مروان قالا لزفر: يا هذا ، انجُ بنفسك ، فأما نحن فمقتولان ، فمضى زفر وتركهما حتى أتى قرقيسيا ، فاجتمعت إليه قيس ، فرأسوه عليهم ، فذلك حيث يقول زفر بن الحارث:

أريني سلاحي لا أبا لكِ إنَّني ... أرى الحرب لا تزدَادُ إلاّ تماديا
أَتَانيَ عَنْ مرْوَانَ بالغَيْبِ أَنّهُ ... مقِيدٌ دَمي أَو قاطعٌ من لسانِيا
ففِي العِيس منْجَاةٌ وفي الأَرْض مَهْرَب ... إذا نحْنُ رفَّعْنا لَهُنَّ المَثانِيَا
فلا تحْسِبُوني إنْ تَغَيَّبْتُ غافِلاً ... ولا تفْرَحوا إنْ جئتُكمْ بلِقائيا
فقَدْ يَنْبُتُ المَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثّرَى ... وتَبْقَى حزازاتُ النُّفُوس كما هِيَا

أتـذهَـبُ كَلْـبٌ لـم تَنَلْهـا رِمـاحُنـا ... وتُتْـرَكُ قَتلَـى رَاهِـط هِـيَ مـا هِيَـا!
لَعمـرِي لقـد أبْقـتْ وَقيعَـةُ رَاهِـطٍ ... لِحَسَّـان صَـدْعـاً بَيّنـاً متنـائيـا
أَبَعْدَ ابـن عمـرٍو وابـنِ مَعْنٍ تتابعـا ... ومقْتَـلِ هَمّـام أُمَنَّـى الأَمـانِيَـا!
فلـم تُـرَ مِنِّـي نبـوَةٌ قَبْـلَ هـذه ... فِـرَارِيَ وتَـرْكـي صـاحبيَّ ورَائيَـا
عشِيـةَ أعْـدو بـالقِـرانِ فـلا أَرَى ... مـن النـاسِ إلا مَـنْ عَلَـيّ ولا ليَـا
أيَـذهَـبُ يـوْمٌ واحـدٌ إنْ أَسَـأْتُـهُ ... بِصـالـح أَيّـامـي وحُسْـنِ بَـلائيـا
فلا صُلْحَ حَتَّى تَنحِطَ الخَيْلُ بالقَنَا ... وتثْـأَرَ مِـنْ نِسْـوَانِ كَلْـبٍ نِسَـائِيَـا
ألاَ لَيْتَ شِعْرِي هلْ تُصيبَنَّ غارتي ... تَنـوخـاً وحَـيَّ طَيِّـءٍ مـن شِفـائيـا

فأجابه جَوّاس بن قَعْطل:

لعَمْـرِي لَقَـدْ أبقَـتْ وقِيعَـةُ راهِـطٍ ... علـى زُفَـرٍ دَاءً مِـنَ الـدَّاءِ بـاقِيَـا
مقِيمـاً ثَـوَى بَيْـنَ الضُّلـوعِ مَحَلُّـه ... وبَيْنَ الحَشا أَعْيا الطَّبِيبَ المُداوِيا
تُبَكِّـي عَلَـى قَتلَـى سُلَيْـم وعَـامِـرٍ ... وذُبْيَـانَ مَعْـذوراً وتُبْكِـي البـواكِيَـا
دَعـا بِسِـلاَحٍ ثـمَّ أَحْجَـمَ إذْ رأَى ... سُيُـوفَ جنَـابٍ والطـوالَ المـذَاكِيـا
عليْهـا كـأُسْـدِ الغـابِ فِتْيـانُ نجْـدَةٍ ... إذا شَـرعُـوا نحْـوَ الطِّعـان العـوالِيَـا

فأجابه عمر بن المِخْلاَة الكلبيّ من تيم اللاّت بن رُفَيْدة، فقال:

بكـى زُفَـرُ القيسِـيُّ مـن هُلـكِ قَـوْمِـهِ ... بعَبْـرَةِ عَيْـنٍ مـا يَجِـفُّ سُجُـومُهَـا
يُبكِّـي علـى قَتْلـى أُصِيبَـتْ بِـرَاهِـطٍ ... تجَـاوبُـهُ هـامُ القِفـارِ وبُـومُهَـا
أَبحْنَـا حِمـىً للحـيِّ قَيْـسٍ بِـراهِـط ... ووَلّـتْ شِـلاَلاً واستُبِيـح حـرِيمُهـا
يُبَكِّيهـمُ حَـرَّانَ تجْـرِي دُمـوعُـهُ ... يُـرَجِّـي نِـزاراً أَنْ تَثُـوبَ حُلـومُهـا
فَمُـتْ كمـداً أَوْ عِـشْ ذَليـلاً مُهضَّمَـاً ... بِحَسْـرَةِ نَفْـس لا تَنَـامُ هُمُـومُهَـا
إذا خَطَـرتْ حَـوْلـي قُضَـاعَـةُ بـالقَنـا ... تَخَبَّـطُ فِعْـلَ المُصعَبَـاتِ قُـرُومُهَـا
خَبطْتُ بهِـمْ مـن كـادَنـي مِـنْ قبيلـة ... فمـن ذا إذا عَـزَّ الخُطـوبُ يـرُومُهَـا

وقال زُفر بن الحارث أيضاً:

أَفـي الله أمّـا بَحْـدَلٌ وابـنُ بَحْـدَل ... فيحيـا وأمّـا ابـن الـزُّبيـر فيُقْتَـلُ!
كـذبْتُـمْ وبيْـتِ الله لا تَقْتُلـونَـهُ ... ولمّـا يَكـنْ يـومٌ أغـرُّ مُحَجَّـلُ
ولمّـا يكُـن للمشْـرَفيَّـة فَـوْقكـم ... شُعـاعٌ كقَرْنِ الشَّمـسِ حِيـن تَـرجَّـلُ

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم، أخو مروان بن الحكم، فقال:

أتذهب كلب قد حمتْها رماحُها ... وتتركُ قَتْلى راهطٍ ما أُجنَّتِ!
لَحا الله قَيْساً قَيْسَ عيْلانَ إنها ... أضاعتْ ثُغُورَ المسلمين وَولَّتِ
فباهِ بقيْسٍ في الرَّخاء ولا تكنْ ... أخاها إذا ما المَشْرفِيّةُ سُلَّتِ

قال أبو جعفر: ولما بايع حصين بن نمير مروان بن الحكم وعصا مالكَ بن هبيرة فيما أشار به عليه من بيعة خالد بن يزيد بن معاوية، واستقرّ لمروانَ بن الحكم المُلك، وقد كان الحصين بن نمير اشترط على مروان أن يُنزل البَلْقاءَ من كان بالشام من كندة، وأن يَجعلَها لهم مأكلةً، فأعطاه ذلك؛ وإنّ بني الحكم لما استوثق الأمرُ لمروان، وقد كانوا اشترطوا لخالد بن يزيد بن معاوية شروطاً؛ قال مروان ذات يوم وهو جالسٌ في مجلسه، ومالك بن هبيرة جالس عنده: إن قوماً يدّعون شروطاً منهم عطّارة مكحلة ـ يعني: مالك بن هبيرة وكان رجلاً يتطيّب ويكتحل ـ فقال مالك بن هبيرة ـ هذا ولمّا تَرِدِي تهامة، ولما يبلغ الحزام الطُّبْيَيْن؛ فقال مروان: مهلاً يا أبا سليمان، إنما داعبناك؛ فقال مالك: هو ذاك، وقال عويج الطائيّ يمتدح كَلْباً وحُميد بن بَحْدَل:

لقد علِمَ الأقوامُ وقْع ابنِ بَحْدَلٍ ... وأُخْرَى عليهم إن بقَي سَيُعيدُها
يَقْودونَ أولادَ الوجِيه ولاحقٍ ... من الرِّيفِ شهراً ما يَني من يَقُودُها
فهذا لهذا ثم إني لنافِضٌ ... على الناسِ أقواماً كثيراً حُدودُها
فلولا أميرُ المؤمنين لأصْبَحت ... قُضاعةُ أَرْباباً وقَيْس عبيدُها

وفي هذه السنة بايع جُنْد خُراسان لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية، على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة. (٥: ٥٤٠ ـ ٥٤٤).

ذكر الخبر عن فتنة عبد الله بن خازم وبيعة سلم بن زياد

قال عليّ بن محمد: وحدّثنا شيخٌ من أهل خُراسان، قال: لم يحبّ أهلُ خُراسان أميراً قط حُبّهم سلَم بن زياد، فسُمّي في تلك السنين التي كان بها سلْم أكثر من عشرين ألف مولود بسَلْم، من حُبِّهم سَلْما.

قال: وأخبرَنا أبو حفص الأزديّ، عن عمه قال: لما اختلف الناس بُخراسان ونكثوا بيعة سَلْم، خرج سَلْم عن خُراسان وخلّف عليها المهلب بن أبي صُفرة، فلما كان بسَرَخْسَ لقيه سليمان بن مَرْثَد أحد بني قيس بن ثعلبة، فقال له: مَنْ

خَلّفت على خراسان؟ قال: المهلب؛ فقال: ضاقت عليك نِزارٌ حتى ولّيتَ رجلاً من أهل اليمن! فولاّه مَرْوَ الرُّوذ، والفارياب، والطالَقان، والجُوزَجان، وولى أوس بن ثعلبة بن زفر ـ وهو صاحب قصر أوس بالبَصرة ـ هراةَ، ومضَى فلما صار بنَيسابور لقيه عبد الله بن خازم، فقال: مَنْ ولّيت خُراسان؟ فأخبره، فقال: أمَا وجدت في مُضَرَ رجلاً تستعمله حتى فرّقت خُراسان بين بكر بن وائل ومَزُون عمَانَ! وقال له: اكتبْ لي عَهْداً على خُراسان؛ قال: أوالي خراسان أنا! قال: اكتب لي عهداً وخَلاك ذمّ.

قال: فكتب له عهداً على خُراسان، قال: فأعنّي الآن بمئة ألف درهم فأمَرَ له بها، وأقبل إلى مَرْو، وبلغ الخبرُ المهلبَ بن أبي صُفرة، فأقبل واستخلف رجلاً من بني جُشَم بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

قال: وأخبرَنا المفضَّل بن محمد الضَّبّيُّ عن أبيه، قال: لما صار عبد الله بن خازم إلى مروَ بعهد سَلْم بن زياد؛ منعه الجُشميّ، فكانت بينهما مناوشَة، فأصابت الجشميّ رميةٌ بحجَر في جبهته، وتحاجزوا وخَلَّى الجشميّ بين مرْو الرُّوذ وبينَه، فدخلها ابن خازم، ومات الجشميّ بعد ذلك بيومين. (٥: ٥٤٥ ـ ٥٤٦).

قال: وكان الذي وليَ قتلَ عمرو بن مرثد زهير بن حيّان العدويّ فيما يروون، فقال الشاعر:

أتذهبُ أيّامُ الحروبِ ولم تُبِئْ زهير بن حيّانٍ بعَمْرِو بنِ مَرْثَدِ!

قال: وحدّثنا أبو السَّريّ الخُراسانيّ ـ وكان من أهل هَراة ـ قال: قتل عبد الله ابن خازم سليمان وعمراً ابنْي مرثد المرثديَّين من بني قيس بن ثعلبة ثم رجع إلى مَرْو، وهرب مَن كان بمروَ الرّوذ من بكر بن وائل إلى هَراة، وانضم إليها من كان بكُور خُراسان من بكر بن وائل، فكان لهم بها جمعٌ كثير عليهم أوْس بن ثعلبة؛ قال: فقالوا له: نبايعك على أن تسير إلى ابن خازم، وتُخرجَ مُضرَ من خُراسان كلِّها؛ فقال لهم: هذا بَغْيٌ، وأهلُ البغي مخذولون، أقيموا مكانكم هذا، فإنْ ترَكَكُم ابن خازم ـ وما أراه يفعل ـ فارضوا بهذه الناحية، وخلّوه وما هو فيه؛ فقال بنو صُهيب ـ وهم موالي بني جحْدَر: لا والله لا نَرضَى أن نكون نحن ومُضر في بلد، وقد قتلوا ابني مَرْثَد، فإن أجبتَنا إلى هذا، وإلا أمَّرْنا علينا غيرَك؛ قال:

إنما أنا رجلٌ منكم ، فاصنعوا ما بدا لكم؛ فبايَعوه ، وسار إليهم ابن خازم ، واستخلف ابنه موسى ، وأقبل حتى نزل على واد بين عسكره وبين هَراة ، قال: فقال البكريّون لأوس: اخرجْ فخندِقْ خندقاً دون المدينة فقاتِلْهم فيه ، وتكون المدينة من ورائنا ، فقال لهم أوس: الزموا المدينة فإنها حصينة ، وخلّوا ابن خازم ومنزلَه الذي هو فيه؛ فإنه إن طال مُقامُه ضجِر فأعطاكم ما ترضون به ، فإن اضطررتم إلى القتال قاتلتم ، فأبَوْا ، وخرجوا من المدينة ، فخندقوا خندقاً دونها ، فقاتلهم ابن خازم نحواً من سنة.

قال: وزعم الأحنف بن الأشهب الضبيّ ، وأخبرنا أبو الذيال زهير بن الهُنَيد: سار ابن خازم إلى هراةَ وفيها جمعٌ كثير لبكر بن وائل قد خندقوا عليهم ، وتعاقدوا على إخراج مضرَ إن ظفروا بخُراسان ، فنزل بهم ابن خازم ، فقال له هلال الضّبيّ أحد بني ذُهْل ، ثم أحد بني أوس: إنما تقاتل إخوتَك من بني أبيك ، والله إن نِلتَ منهم ما تريد؛ مافي العيش بعدَهم من خير ، وقد قتلت بمرو الرّوذ منهم من قتلت ، فلو أعطيتهم شيئاً يرضَوْن به ، أو أصلحتَ هذا الأمر! قال: والله لو خرجتُ لهم عن خُراسان ما رَضُوا به ، ولو استطاعوا أن يُخرجوكم من الدنيا لأخرجوكم ، قال: لا ، والله لا أرمي معك بسهم ، ولا رجلٌ يطيعني من خِندف حتى تُعْذِر إليهم؛ قال: فأنت رسولي إليهم فأرضِهم ، فأتى هلال إلى أوس بن ثعلبة فناشدَه اللهَ والقرابة ، وقال: أذكّرك الله في نزار أن تسفك دماءها ، وتضربَ بعضَها ببعض! قال: لقيتَ بني صهيب؟ قال: لا والله؛ قال: فالقهم؛ فخرج فلقي أرقم بن مطرّف الحنفيّ ، وضَمْضَم بن يزيد ـ أو عبد الله بن ضمضم بن يزيد وعاصم بن الصّلت بن الحريث الحنفيّين ، وجماعة من بكر بن وائل وكلمهم بمثل ما كلم به أوساً ، فقالوا: هل لقيت بني صُهيب؟ فقال: لقد عظّم الله أمر بني صُهَيب عندكم ، لا لم ألقهم ، قالوا: القهم ، فأتى بني صهيب فكلّمهم ، فقالوا: لولا أنك رسولٌ لقتلناك؛ قال: أفما يرضيكم شيء؟ قالوا: واحدةٌ من اثنتين ، إما أن تخرجوا عن خُراسان ، ولا يدْعو فيها لمُضرَ داعٍ ، وإما أن تقيموا وتنزلوا لنا عن كل كُراع وسلاح وذهب وفضّة؛ قال: أفما شيء غير هاتين؟ قالوا: لا ، قال: حسبُنا الله ونعم الوكيل! فرجع إلى ابن خازم ، فقال: ما عندك؟ قال: وجدتُ إخوتَنا قُطّعاً للرَّحم ، قال: قد أخبرتُك أنّ ربيعة لم تزل غِضاباً على ربّها

منذ بَعث اللهُ النبيَّ ﷺ من مضرَ. (٥: ٥٤٧ ـ ٥٤٨).

قال أبو جعفر: وأخبرنا سليمان بن مجالد الضّبيّ ، قال: أغارت الترك على قصر إسفاد وابن خازم بَهراةَ ، فحصروا أهله ، وفيه ناس من الأزْد هم أكثر مَن فيه ، فهزمتْهم ، فبعثوا إلى من حولهم من الأزْد فجاؤوا لينصروهم فهزمتْهم الترك فأرسلوا إلى ابن خازم ، فوجَّه إليهم زهيرَ بن حيان في بني تميم وقال له: إياك ومُشاوَلة الترك ، إذا رأيتموهم فاحملوا عليهم ، فأقبَل فوافاهم في يوم بارد ، قال: فلما التقَوا شدُّوا عليهم فلم يثْبتوا لهم ، وانهزمت الترك واتّبعوهم حتى مضى عامّةُ الليل حتى انتهوا إلى قصر في المفازة ، فأقامت الجماعة، ومضى زهير في فوارسَ يتبعهم ، وكان عالماً بالطريق ، ثمّ رجع في نصف من الليل ، وقد يَبِسَتْ يدُه على رُمحه من البَرد ، فدعا غلامَه كعباً ، فخرج إليه ، فأدخله ، وجعل يُسخن له الشَّحم فيضعه على يده ، ودهنوه وأوقدوا له ناراً حتى لانَ ودفِئ؛ ثم رجع إلى هَراة ، فقال في ذلك كعبُ بنُ معدانَ الأشْقَريّ:

أتاك أَتاك الغوثُ في بَرْقِ عارِضٍ ... دُرُوعٌ وبَيْضٌ حشْوهُنَّ تميمُ
أَبَوا أن يَضُمُّوا حَشْو ما تجمَعُ القُرَى ... فضَمَّهُمُ يومَ اللقاءِ صَميمُ
ورزْقهُمُ من رائحاتٍ تزينُها ... ضروع عَريضات الخَواصِرِ كومُ

وقال ثابت قُطْنة:

فدَتْ نفسي فَوارِس من تميمٍ ... على ما كان من ضَنْكِ المُقامِ
بِقصر الباهِليِّ وقد أَراني ... أُحامِي حين قَلَّ به المُحامِي
بسيفي بعد كسرِ الرُّمْح فيهم ... أذودُهمُ بِذِي شطَبٍ حُسامِ
أكُرُّ عليهمُ اليحْمُومَ كَرّاً ... كَكَر الشَّرْبِ آنِيَةَ المُدامِ
فلولا الله لَيس له شريكٌ ... وضرْبِي قَونَسَ المَلِكِ الهُمَامِ
إذاً فاظتْ نساءُ بَني دِثارٍ ... أمام التُّرْك بادِيةَ الخِدامِ

(٥: ٥٤٩ ـ ٥٥٠)

* * *

قال أبو جعفر: وحدّثني أبو الحسن الخُراسانيّ عن أبي حمّاد السُّلَميّ قال: أقام ابن خازم بهَراةَ يقاتل أوسَ بن ثعلبة أكثر من سنة ، فقال يوماً لأصحابه: قد طال مُقامُنا على هؤلاء ، فنادُوهم: يا معشرَ ربيعة ! إنكم قد اعتصمتم

بخندقكم ، أفرضيتم من خُراسانَ بهذا الخندق؟! فأحفَظَهم ذلك ، فتنادى الناس للقتال ، فقال لهم أوس بن ثعلبة: الزموا خندقكم وقاتلوهم كما كنتم تقاتلونهم ، ولا تَخرجوا إليهم بجماعتكم ، قال: فعصَوْه وخرجوا إليهم ، فالتقى النّاس ، فقال ابن خازم لأصحابه: اجعلوه يومَكم فيكونَ المُلْك لمن غلب ، فإن قُتلتُ فأميركم شَّماس بن دِثار العُطارِديّ ، فإن قُتل فأميركم بكيْر بن وِشاح الثقفيّ. (٥ : ٥٥٠).

قال عليّ: وحدّثنا أبو الذيّال زهير بن هُنَيد عن أبي نَعامة العَدَويّ عن عبيد بن نقيد ، عن إياس بن زهير بن حيّان: لما كان اليوم الذي هرب فيه أوس بن ثعلبة وظفر ابن خازم ببكر بن وائل ، قال ابن خازم لأصحابه حين التقوا: إني قِلْع فشدّوني على السرج ، واعلموا أن عليّ من السلاح ما لا أقتلُ قدرَ جَزُوْرَيْن ، فإن قيل لكم: إنّي قد قُتِلت فلا تصدّقوا.

قال: وكانت راية بني عديّ مع أبي وأنا على فرس مُحزَّم ، وقد قال لنا ابن خازم: إذا لقيتم الخيلَ فاطعنوها في مناخِرها ، فإنه لن يطعن فرسٌ في نخْرته إلا أدبر أو رَمَى بصاحبه ، فلما سمع فرسي قَعقَعَة السلاح وثب بي وادياً كان بيني وبينهم؛ قال: فتلقاني رجل من بكر بن وائل فطعنت فرسَه في نُخرته فصرعه وحمل أبي ببني عدّي ، واتبعتْه بنو تميم من كلّ وجه ، فاقتتلوا ساعةً ، فانَهزمتْ بكر بن وائل حتى انتهَوا إلى خندقهم وأخذوا يميناً وشمالاً ، وسقط ناسٌ في الخندق فقُتلوا قتلاً ذريعاً ، وهرب أوسُ بن ثعلبة وبه جراحات ، وحلف ابن خازم لا يؤتَى بأسيرٍ إلا قتَله حتى تغيب الشمس ، فكان آخرَ من أتِي به رجلٌ من بني حنيفة يقال له: مَحْمِيَة فقالوا لا بن خازم: قد غابت الشمس ، قال: وفُّوا به القتلَى؛ فقُتِل. (٥ : ٥٥٠ ـ ٥٥١).

قال: فأخبرَني شيخٌ من بني سعد بن زيد مَناة: أنّ أوس بن ثعلبة هرب وبه جِراحاتٌ إلى سِجِستان ، فلما صار بها أو قريباً منها؛ مات.

وفي مقتل ابن مرثد وأمْر أوس بن ثعلبة يقول المغيرةُ بن حَبْناء ، أحد بني ربيعة بن حنظلة:

وفي الحرب كنتمْ في خُراسان كلِّها ... قتيـلاً ومَسجـونـاً بهـا ومُسيّـرا
ويوم احْتَوَاكمْ في الحفِيرِ ابنُ خازمٍ ... فلـم تَجـدوا إلاَّ الخنـادِق مَقْبَـرا

ويومَ تَركتمْ في الغبارِ ابن مرثدٍ وأَوساً تركتمْ حيثُ سار وعَسكرا
(٥ : ٥٥١).

قال: وأخبرَني أبو الذّيال زهير بن هنيد عن جدِّه أبي أمّه، قال: قُتل من بكر بن وائل يومئذ ثمانيةُ آلاف. (٥ : ٥٥١).

قال: وحدّثنا التميميّ، رجل من أهل خُراسان، عن مولىً لابن خازم، قال: قاتل ابن خازم أوسَ بن ثعلبة وبكر بن وائل، فظَفِر بهرَاةَ، وهرب أوس وغلبه ابن خازم على هَراة، واستعمل عليها ابنَه محمداً، وضّم إليه شّماس بن دثار العُطارديّ، وجعل بُكَير بن وِشَاح على شُرطِتِه، وقال لهما: ربِّياه؛ فإنه ابن أختكما، فكانت أمه من بني سعد يقال لها: صفيّة، وقال له: لا تخالفهما، ورجع ابن خازم إلى مَرْو. (٥ : ٥٥١).

ذكر الخبر عن تحرُّك الشيعة للطلب بدم الحسين

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة تحرّكت الشيعة بالكوفة، واتّعدوا الاجتماع بالنُّخَيلة في سنة خمس وستين للمسير إلى أهل الشام للطلب بدم الحسين بن عليّ، وتكاتَبوا في ذلك.

ذكر الخبر عن مبدأ أمرهم في ذلك:

قال هشام بنُ محمد: حدّثنا أبو مخنف: قال: حدّثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزديّ، قال: لما قتل الحسين بن عليّ، ورجع ابن زياد من مُعسكَره بالنَّخَيْلة، فدخل الكوفة؛ تلاقتِ الشيعة بالتلاوُم والتندُّم، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدُعائهم الحسينَ إلى النصرة وتركهم إجابتَه، ومقتِله إلى جانبهم لم يَنصروه، ورأوا أنه لا يُغسل عارُهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل مَن قَتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكُوفة إلى خمسةِ نفر من رؤوس الشيعة إلى سليمان بن صُرَد الخُزاعيّ، وكانت له صُحبة مع النبيّ ﷺ، وإلى المُسَيّب بن نجبَة الفزارِيّ، وكان من أصحاب عليّ وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزديّ، وإلى عبد الله بن والِ التَّيميّ، وإلى رِفاعة بن شَدَّاد البَجَليّ.

ثمّ إنّ هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صُرَد ، وكانوا من خيار أصحاب عليّ ، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم.

قال: فلما اجتمعوا إلى منزل سليمانَ بن صُرَد؛ بدأ المسيّب بن نَجَبة القوم بالكلام ، فتكلَّم فحمدَ الله وأثنَى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال:

أما بعد ، فإنا قد ابتُلينا بطول العمر ، والتعرّض لأنواع الفِتَن فنرغب إلى ربنا ألاّ يجعلنا ممن يقول له غداً: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾؛ فإنّ أمير المؤمنين قال: العُمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة ، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه ، وقد كنا مُغرَمين بتزكِيَة أنفسنا ، وتقريظِ شيعتنا ، حتى بلا الله أخيارَنا فوجدنَا كاذبين في موطنَيْن من مواطن ابن ابنة نبيّنا ﷺ ، وقد بلغتْنا قبل ذلك كُتُبه ، وقدمَت علينا رُسُله ، وأعذَر إلينا يسألنا نَصره عَوْداً وبدءاً ، وعلانيةً وسرّاً ، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتِل إلى جانبنا ، لا نحن نصرناه بأيدينا؛ ولا جادلْنا عنه بألسِنَتِنا ، ولا قوّيناه بأموالنا ، ولا طلبنا له النُّصرة إلى عشائرنا ، فما عُذرنا إلى ربّنا وعند لقاء نبيِّنا ﷺ وقد قُتل فينا ولدُه وحبيبه ، وذرّيتهُ ونَسلُه! لا والله ، لا عُذرَ دون أن تَقتلُوا قاتلَه والمُوالين عليه ، أو تُقتلوا في طلب ذلك ، فعسى ربّنا أن يَرضَى عنّا عند ذلك ، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمِن. أيها القوم ! ولّوا عليكم رجلاً منكم فإنه لابدّ لكم من أمير تَفزَعون إليه ، وراية تحفون بها ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فبدر القومَ رِفَاعة بن شدّاد بعد المسيّب الكلام ، فحَمِد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ ﷺ ثم قال: أما بعد ، فإنّ الله قد هداك لأصوبَ القول ، ودعوت إلى أرشَد الأمور ، بدأتَ بحمد الله والثناءَ عليه ، والصلاة على نبيّه ﷺ ، ودعوتَ إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فمسموعٌ منك ، مستجابٌ لك ، مقبول قولُك؛ قلتَ: ولُّوا أمرَكم رجلاً منكم تَفزَعون إليه ، وتحفّون برايته ، وذلك رأيٌ قد رأينا مثلَ الذي رأيتَ ، فإن تكن أنت ذلك الرجل عندنا مرضيّاً، وفينا متنصّحاً، وفي جماعتنا محَبّاً، وإن رأيتَ رأي أصحابنا ذلك؛ ولّينا هذا الأمر شيخَ الشيعة صاحبَ رسول الله ﷺ ، وذا السابقة والقَدَم سليمان بن صُرَد المحمود في بأسه ودينه ، والموثوق بحزمه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال: ثمّ تكلم عبد الله بن وال وعبد الله بن سعد ، فحَمِدا ربَّهما وأثنَيا عليه ، وتكلما بنحو من كلام رفاعة بن شدّاد ، فذكرا المسيَّب بن نجَبَة بفضله ، وذكرا سليمان بن صُرَد بسابقته ، ورضاهما بتوليته ، فقال المسيّب بن نجَبَة: أصبتم ووفقتم ، وأنا أَرَى مِثلَ الذي رأيتم ، فولّوا أمرَكم سليمانَ بنَ صُرَد[1] . (٥: ٥٥١ ـ ٥٥٣) .

قال أبو مخنف: فحدّثت سليمانَ بن أبي راشد بهذا الحديث ، فقال: حدّثني حُميد بن مسلم ، قال: والله إنّي لَشاهدٌ بهذا اليوم ، يوم ولَّوا سليمان بن صُرَد ، وإنّا يومئذ لأكثر من مئة رجل من فُرسان الشيعة ووجوهِهم في داره .

قال: فتكلّم سليمان بن صرد فشدّد ، وما زال يردّد ذلك القولَ في كل جمعة حتى حفظتُه ، بدأ فقال: أثني على الله خيراً ، وأحمد آلاءَه وبلاءَه .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسوله ، أمّا بعد: فإني والله لخائف ألاّ يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدتْ فيه المعيشة ، وعظُمت فيه الرّزية، وشَمِل فيه الجورُ أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير؛ إنا كنا نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبيّنا ، ونمنّيهم النصرَ ، ونحثّهم على القدوم ، فلما قدموا ونَيْنا وعجزْنا ، وادّهنّا ، وتربّصنا ، وانتظرنا ما يكون حتى قُتل فينا وَلَدُ نبيّنا وسُلالتُه وعُصارتُه وبضعةٌ من لحمه ودمه؛ إذ جعل يستصرِخ فلا يُصرَخ ، ويسأل النّصف فلا يُعطاه ، اتّخذه الفاسقون غرَضاً للنَّبل ، ودريّة للرّماح حتى أقصدوه ، وعدَوْا عليه فسلبوه ، ألا انهضوا فقد سخِط ربُّكم ، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله ، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجِزوا من قتله ، أو تُبيروا ، ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤٌ قطّ إلا ذلّ ، كونوا كالأولَى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيُّهم: ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ ، فما فعل القومُ؟ جَثَوا على الرُّكب واللهِ ، ومدّوا الأعناق ورضُوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذّنب إلاّ الصبر على القتل ، فكيف بكم لو قد دُعيتم إلى مثل ما دُعِي القوم إليه! اشحَذوا السيوف ،

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

وركِّبوا الأسنّة ، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ ، حتى تُدعوا حين تُدْعَون وتُستنفرون .

قال : فقام خالد بن سعد بن نُفيل ، فقال : أما أنا فوالله لو أعلم أنّ قتلي نفسي يُخرِجني من ذنبي ويُرضي ربّي لقتلتُها ، ولكن هذا أمِر به قومٌ كانوا قبلنا ونُهينا عنه ، فأشهد اللهَ ومَن حضر من المسلمين أنّ كلَّ ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوّي صدقةً على المسلمين ، أقوّيهم به على قتال القاسطين .

وقام أبو المعتمر حَنَش بن ربيعة الكِنانيّ فقال : وأنا أشهِدكم على مثل ذلك .

فقال سليمان بن صُرَد : حَسْبُكم ؛ مَنْ أراد من هذا شيئاً فليأت بماله عبدَ الله بن وال التيميّ تيم بكر بن وائل ، فإذا اجتمع عنده كلّ ما تريدون إخراجَه من أموالكم جهّزْنا به ذوي الخَلَّة والمَسكَنة من أشياعكم[١] . (٥ : ٥٥٤ ـ ٥٥٥).

قال أبو مخنف لوط بن يحيى ، عن سليمان بن أبي راشد ، قال : فحدّثنا حُمَيد بن مسلم الأزديّ : أنّ سليمان بن صُرَد قال لخالد بن سعد بن نفيل حين قال له : والله لو علمت أنّ قتلي نفسي يُخرِجني من ذنبي ويَرضَى عني ربي لقتلتُها ، ولكنّ هذا أمِر به قوم غيرنُا كانوا من قبلنا ونُهينا عنه ؛ قال : أخوكم هذا غداً فَريسُ أوّلِ الأسنَّة ؛ قال : فلما تصدّق بماله على المسلمين قال له : أبشر بجزيل ثواب الله للّذين لأنفسُهم يَمهَدون[٢] . (٥ : ٥٥٥).

قال أبو مخنف : حدّثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نُفيل قال : أخذت كتاباً كان سليمان بن صُرَد كتب به إلى سعد بن حذيفة بن اليَمانِ بالمدائن ، فقرأتُه زمانَ وليَ سليمان ، قال : فلما قرأتُه أعجبني ، فتعلَّمته فما نسيته ، كتب إليه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، من سليمانَ بن صُرَد إلى سعد بن حذيفة ومَن قِبَله من المؤمنين ، سلام عليكم ، أما بعد ؛ فإنّ الدنيا دارٌ قد أدبر منها ما كان معروفاً ، وأقبل منها ما كان مُنكَراً ، وأصبحتْ قد تشنّأتْ إلى ذوِي الألباب ، وأزمَع بالتَّرحال منها عبادُ الله الأخيار ، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقَى بجزيلِ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

مثوبة عند الله لا تَفنى ، إنّ أولياءَ من إخوانكم ، وشيعة آل نبيِّكم نظروا لأنفسهم فيما ابتُلوا به من أمر ابن بنت نبيّهم الذي دُعِيَ فأجاب ، ودعا فلم يجَب ، وأراد الرجعة فحُبِس ، وسأل الأمان فمُنع ، وترك الناسَ فلم يتركوه ، وعَدَوا عليه فقتلوه ، ثم سلبوه وجرّدوه ظلماً وعُدواناً وغِرَّةً بالله وجهلاً ، وبعين الله ما يعملون ، وإلى الله ما يرجعون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ ، فلما نظر إخوانكم وتدبّروا عواقبَ ما استقبلوا؛ رأوا أن قد خطئوا بخذلان الزّكيّ الطيّب، وإسلامه، وترك مواساته ، والنصر له خطأ كبيراً ليس لهم منه مخرجٌ ولا توبة ، دون قتل قاتِليه أو قتلهم حتى تفنَى على ذلك أرواحهم؛ فقد جَدّ إخوانكم فجِدّوا ، وأعِدّوا واستعدّوا ، وقد ضربْنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه ، وموطناً يَلقَوننا فيه؛ فأما الأجل فغُرّةُ شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين ، وأمّا الموطن الذي يَلقَوننا فيه فالنُّخَيلة.

أنتم الذين لم تزالوا لنا شيعة وإخواناً ، وإلا وقد رأينا أن ندعوَكم إلى هذا الأمر الذي أراد الله به إخوانكم فيما يزعمون ، ويُظهرون لنا أنهم يتوبون ، وإنكم جُدَرَاءُ بتَطْلاب الفضل ، والتماس الأجر ، والتوبة إلى ربّكم من الذنب ، ولو كان في ذلك حزُّ الرقاب ، وقتلُ الأولاد ، واستيفاء الأموال ، وهلاك العَشائر؛ ما ضرّ أهلَ عذراء الذين قُتلوا ألاّ يكونوا اليوم أحياءً عند رَبّهم يُرزَقون ، شهداء قد لَقُوا الله صابرين محتسبين ، فأثابهَم ثوابَ الصابرين - يعني حُجراً وأصحابه - وما ضرّ إخوانكم المُقتَّلين صَبْراً ، المُصلَّبين ظُلماً ، والممثَّل بهم ، المعتدَى عليهم، ألاّ يكونوا أحياء مبتلَيْن بخطاياكم ، قد خيرَ لهم فلقوا ربهم ، ووفّاهم الله إن شاء الله أجرهم ، فاصبروا رحمكم الله على البأساء والضرّاء وحينَ البأس ، وتوبوا إلى الله عن قريب؛ فوالله إنكم لأحرياء ألاّ يكون أحدٌ من إخوانكم صبر على شيء من البلاء إرادة ثوابه إلا صبرتم التماسَ الأجر فيه على مثله ، ولا يطلب رضاءَ الله طالبٌ بشيء من الأشياء ، ولو أنه القتلُ إلا طلبتم رضا الله به ، إنّ التقوى أفضلُ الزّاد في الدنيا ، وما سوى ذلك يبور ويفنَى ، فلتعزِف عنها أنفسُكم ، ولتكن رغبتُكم في دارِ عافيتِكم وجهادِ عدّو الله وعدوّكم ، وعدوّ أهل بيت نبيِّكم حتى تقدموا على الله تائبين راغبين ، أحيانا الله وإياكم حياة طيّبةً ، وأجارنا وإيّاكم من النار ، وجعل منايانا قتلاً في سبيله على يديْ أبغض خَلقه إليه

وأشدّهم عداوةً له؛ إنه القدير على ما يشاء، والصانع لأوليائه في الأشياء؛ والسلام عليكم.

قال: وكتب ابن صُرَد الكتاب وبعثَ به إلى سعد بن حذيفة بن اليَمان مع عبد الله بن مالك الطائيّ، فبعث به سعد حين قرأ كتابه إلى مَن كان بالمدائن من الشيعة، وكان بها أقوامٌ من أهل الكوفة قد أعجبتهم فأوطَنوها وهم يقدمون الكوفة في كلّ حين عطاءٍ ورِزْق، فيأخذون حقوقَهم، وينصرفون إلى أوطانهم، فقرأ عليهم سعد كتابَ سليمان بن صرد، ثمّ إنه حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد، فإنكم قد كنتم مجتمعين مُزْمِعِين على نصر الحسين وقتال عدوِّه، فلم يَفجأكم أوّلُ من قتله، والله مثيبُكم على حُسن النيّة وما أجمعتم عليه من النصر أحسنَ المثوبة، وقد بعث إليكم إخوانُكم يستنجدونكم ويستمدّونكم، ويدعونكم إلى الحقّ وإلى ما ترجون لكم به عند الله أفضلَ الأجر والحظّ، فماذا ترون؟ وماذا تقولون؟ فقال القوم بأجمعهم: نجيبُهم ونقاتلُ معهم، ورأينا في ذلك مثل رأيهم.

فقام عبد الله بن الحنظل الطائيّ ثم الحِزْمِريّ، فحَمِد الله وأثنَى عليه ثم قال: أما بعد، فإنا قد أجبنا إخوانَنا إلى ما دعونا إليه، وقد رأيْنا مثلَ الذي قدر رَأوْا، فسرّحنْي إليهم في الخيل، فقال له: رويداً، لا تعجلْ، استعدّوا للعدوّ، وأعدّوا له الحرب، ثمّ نسير وتسيرون.

وكتب سعد بن حذيفة بن اليمَانِ إلى سليمانَ بن صُرَد مع عبد الله بن مالك الطائيّ:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، إلى سليمان بن صرد، من سعد بن حذيفة ومن قبَله من المؤمنين، سلام عليكم، أما بعد، فقد قرأنا كتابَك، وفهمنا الذي دعوْتَنا إليه من الأمر الذي عليه رأيُ الملأ من إخوانك، فقد هُدِيتَ لحظك، ويُسِّرتَ لرُشدك، ونحن جادّون مجدُّون، معدُّون مُسرِجون مُلْجِمون ننتظر الأمر، ونستمع الداعي؛ فإذا جاء الصَّريخ؛ أقبلْنا ولم نُعَرّج إن شاء الله؛ والسلام.

فلما قرأ كتابه سليمان بن صُرَد قرأه على أصحابه، فسُرّوا بذلك.

قالوا: وكتب إلى المثنّى بن مخرِّبة العبديّ نسخة الكتاب الذي كان كتب به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان وبعث به مع ظَبْيان بن عُمارة التميميّ من بني

سعد ، فكتب إليه المثنّى: أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وأقرأته إخوانك ، فحمدوا رأيك ، واستجابوا لك ، فنحن مُوافُوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت وفي الموطن الذي ذكرت؛ والسلام عليك ، وكتب في أسفل كتابه:

تبَصَّرْ كأنِّي قد أتيتُك مُعْلِماً ... على أَتْلِع الهادي أجَشَّ هَزِيمِ
طويلِ القَرَانَهْدِ الشَّوَاةِ مقلَّصٍ ... مُلِحٍّ على فأْسِ اللجام أَزُومِ
بكلِّ فتىً لا يملأُ الرَّوْع نَحرَه ... مُحِسٍّ لِعَضّ الحربِ غير سؤوم
أَخي ثقةٍ يَنوِي الإلـه بِسَعْيهِ ... ضَرُوبٍ بِنَصلِ السيفِ غير أَثيم[1]

(٥: ٥٥٥ ـ ٥٥٨).

قال أبو مخنف لوط بن يحيى ، عن الحارث بن حَصيرة ، عن عبد الله بن سعد بن نفيل ، قال: كان أوّل ما ابتدعوا به من أمرهم سنة إحدى وستين ، وهي السنة التي قُتلَ فيها الحسين رضي الله عنه ، فلم يزل القومُ في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ، ودعاء الناس في السرّ مِن الشيعة وغيرها إلى الطلب بدم الحسين ، فكان يجيبهم القوم بعد القوم ، والنّفر بعد النّفر.

فلم يزالوا كذلك وفي ذلك حتى مات يزيدُ بنُ معاوية يومَ الخميس لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين ، وكان بين قتل الحسين وهلاك يزيدَ بن معاوية ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام ، وهلك يزيدُ وأمير العراق عبيدُ الله بن زياد ، وهو بالبصرة ، وخليفته بالكوفة عمرو بن حُريث المخزوميّ ، فجاء إلى سليمان أصحابه من الشيعة ، فقالوا: قد مات هذا الطاغية ، والأمر الآن ضعيف ، فإن شئت وثَبنا على عمرو بن حريث فأخرجْناه من القصر ، ثمّ أظهرنا الطلبَ بدم الحسين ، وتتبّعنا قَتَلَتَه ، ودعوْنا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثرَ عليهم ، المدفوعين عن حقهم ، فقالوا في ذلك فأكثروا؛ فقال لهم سليمان بن صُرَد: رُويداً ، لا تعجلوا ، إني قد نظرت فيما تذكرون ، فرأيت أنّ قتلَة الحسين هم أشراف أهل الكوفة ، وفُرسان العرب وهم المطالَبون بدمه ، ومتى علموا ما تريدون ، وعلموا أنهم المطالبون؛ كانوا أشدّ عليكم ، ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرَهم ، ولم

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

يَشفُوا أنفسَهم، ولم ينكوا في عدوّهم، وكانوا لهم جَزَراً، ولكن بُثّوا دُعاتكم في المصر، فادعوا إلى أمركم هذا، شيعتكم وغيرَ شيعتكم، فإنّي أرجو أن يكون الناس اليومَ حيث هلك هذا الطاغية أسرعَ إلى أمركم استجابةً منهم قبل هلاكه، ففعلوا؛ وخرجتْ طائفة منهم دُعاةٌ يدعون الناسَ، فاستجاب لهم ناسٌ كثير بعد هلاك يزيد بن معاوية أضعافُ من كان استجاب لهم قبل ذلك[1]. (٥: ٥٥٨ ـ ٥٥٩).

قال هشام: قال أبو مخنف: وحدّثنا الحصين بن يزيد، عن رجل مُزَينة قال: ما رأيتُ من هذه الأمة أحداً كان أبلغَ من عبيد الله بن عبد الله المرّيّ في مَنطِق ولا عظة، وكان من دُعاةِ أهل المصر زمانَ سليمان بن صُرَد، وكان إذا اجتمعت إليه جماعةٌ من الناس فوعظهم بدأ بحَمْد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ، ثم يقول: أما بعد، فإنّ الله اصطفى محمداً ﷺ على خلقه بنبوّته، وخصّه بالفضل كلِّه، وأعزكم باتباعه وأكرمكم بالإيمان به، فحقَن به دماءكم المسفوكة، وأمّن به سُبُلَكم المَخُوفة، ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، فهل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقاً على هذه الأمة من نبيها؟ وهل ذرّية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظمُ حقاً على هذه الأمة من ذرية رسولها؟ لا والله، ما كان ولا يكون لله أنتم! ألمْ ترَوْا ويبلغكم ما اجترِم إلى ابن بنت نبيِّكم! أما رأيتم إلى انتهاك القوم حُرمتَه، واستضعافِهم وحدَته، وترميلِهم إيّاه بالدّم، وتجرارهِمُوه على الأرض! لم يرقُبوا فيه ربّهم ولا قرابتَه من الرسول ﷺ؛ اتّخذوه للنبل غرضاً، وغادروه للضّباع جَزَراً، فلله عيناً من رأى مِثلَه! ولله حسين بن عليّ، ماذا غادروا به ذا صِدْق وصَبْر، وذا أمانة ونجدة وحزم! ابنُ أوّل المسلمين إسلاماً، وابن بنت رسول ربّ العالمين، قلّت حُماته، وكثرت عُداتُه حولَه، فقتَلَه عدوُّه، وخذَلَه وليُّه، فويل للقاتِل، وملامـة للخاذِل! إنّ الله لم يجعل لقاتله حُجّـة، ولا لخاذله مَعْذِرةً، إلاّ أن يناصِح لله في التوبة، فيجاهد القاتلين، وينابذَ القاسطين؛ فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة، ويُقيل العثرة؛ إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة نَبيّه، والطلب بدماء أهل بيته، وإلى جهاد المُحلِّين والمارقين، فإن قُتلنا، فما عند الله خيرٌ للأبرار، وإن ظَهَرنا؛ ردَدْنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبيِّنا.

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

قال: وكان يعيد هذا الكلامَ علينا في كلّ يوم حتى حَفِظه عامّتنا.

قال: ووثب الناس على عمرو بن حُرَيث عند هلاك يزيدَ بن معاوية، فأخرجوه من القصر، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أميّة بن خلف الجُمَحيّ. وهو دُحْرُوجة الجُعَل الذي قال له ابنُ همّام السّلُوليّ:

اشددْ يديْك بزيدٍ إنْ ظفِرْتَ بِهِ   واشفِ الأَرامِلَ من دُحْرُوجَةِ الجُعَلِ

وكان كأنه إبهامٌ قِصَراً، وزيد مولاه وخازنُهُ، فكان يصلّي بالناس.

وبايع لابن الزبير، ولم يزل أصحاب سليمانَ بن صُرَد يدعون شعيتهم وغيرهم من أهل مصرهم حتى كثر تبعهم، وكان الناس إلى اتباعهم بعد هلاك يزيدَ بن معاوية أسرعَ منهم قبل ذلك، فلما مضت ستّة أشهر من هلاك يزيدَ بن معاوية، قدم المختارُ بن أبي عُبَيد الكوفة، فقدم في النصف من شهر رمضان يومَ الجمعة، قال: وقَدِم عبد الله بن يزيد الأنصاريّ ثمّ الخطميّ مِن قِبَل عبد الله بن الزبير أميراً على الكوفة على حربها وثَغرِها، وقدم معه من قِبَل ابن الزبير إبراهيمُ بن محمد بن طلحة بن عبيد الله الأعرج أميراً على خَراج الكوفة، وكان قدوم عبد الله بن يزيدَ الأنصاريّ ثمّ الخطمي، يومَ الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربع وستّين.

قال: وقدم المختار قبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بثمانية أيام، ودخل المختار الكوفة، وقد اجتمعت رؤوس الشيعة ووجوهُها مع سليمان بن صُرَد فليس يَعدِلونه به، فكان المختار إذا دعاهم إلى نفسه وإلى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة: هذا سليمان بن صُرَد شيخ الشيعة، قد انقادوا له واجتمعوا عليه، فأخذ يقول للشيعة: إني قد جئتكم من قِبل المهديّ محمد بن عليّ بن الحنفيَّة مؤتمنَاً مأموناً، منتجَباً ووزيراً، فوالله ما زال بالشّيعة حتى انشعبت إليه طائفةٌ تُعَظِّمُه وتجيبه، وتنتظر أمره، وعُظْمُ الشِّيعة مع سليمانَ بن صُرَد، فسليمان أثقل خلق الله على المختار.

وكان المختار يقول لأصحابه: أتدرون ما يريد هذا؟ يعني: سليمان بن صُرَد ـ إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم، ليس له بصرٌ بالحروب، ولا له علمٌ بها.

قال: وأتى يزيد بن الحارث بن يزيدَ بن رُوَيْم الشيبانيّ عبدَ الله بن يزيد الأنصاريّ فقال: إنّ الناس يتحدّثون: أنّ هذه الشيعة خارجةٌ عليك مع ابن صُرَد ، ومنهم طائفة أخرى مع المختار ، وهي أقلّ الطائفتين عدداً ، والمختار فيما يذكر الناس لا يريد أن يخرج حتى ينظر إلى ما يصير إليه أمرُ سليمان بن صُرَد ، وقد اجتمع له أمره ، وهو خارج من أيّامه هذه ، فإن رأيت أن تَجمعَ الشُّرَط والمقاتِلَة ووجوه الناس ، ثمّ تنهض إليهم ، وننهض معك ، فإذا دفعت إلى منزله دعوتَه ، فإن أجابك فحَسْبُه ، وإنْ قاتلك قاتلتَه ، وقد جمعتُ له وعبأت وهو مغترّ ، فإني أخاف عليك إن هو بدأك وأقررته حتى يخرج عليك أن تشتدّ شوكتُه ، وأن يتفاقم أمرُه.

فقال عبد الله بن يزيد: اللهُ بيننا وبينهم ، إنْ هم قاتلونا قتلناهم ، وإن تركونا لم نطلبهم ، حدِّثني: ما يريد الناس؟ قال: يذكر الناس أنهم يطلبون بدم الحسين بن عليّ؛ قال: فأنا قتلتُ الحسين! لعن اللهُ قاتِلَ الحسين! قال: وكان سليمان بن صُرَد وأصحابه يريدون أن يثبوا بالكُوفة ، فخرج عبد الله بن يزيد حتى صَعِد المنبرَ ، ثم قام في الناس فحَمِد الله وأثنَى عليه ، ثم قال: أمَّا بعد ، فقد بلغني: أنّ طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألتُ عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو؟ فقيل لي: زعموا: أنهم يطلبون بدم الحسين بن عليّ ، فرحم الله هؤلاء القوم ، قد والله دُلِلتُ على أماكنهم ، وأمِرت بأخذهم ، وقيل: ابدأهم قبل أن يبدؤوك ، فأبيت ذلك ، فقلت: إنْ قاتلوني قاتلتُهم ، وإن تركوني لم أطلبهم؛ وعلامَ يقاتلونني! فوالله ما أنا قتلتُ حسيناً ، ولا أنا ممن قاتَلَه ، ولقد أصِبْت بمقتله رحمة الله عليه! فإن هؤلاء القوم آمنون ، فليخرجوا ولينتشِروا ظاهرين ليسيروا إلى مَنْ قاتل الحسين ، فقد أقبل إليهم ، وأنا لَهم على قاتِلِه ظَهير؛ هذا ابن زياد قاتل الحسين ، وقاتل خياركم وأماثِلكم ، قد توجّه إليكم؛ عَهْدُ العاهد به على مسيرة ليلة من جسر مَنبِج ، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشَد من أن تجعلوا باسَكم بينكم ، فيقتل بعَضُكم بعضاً ، ويسفك بعضُكم دماءَ بعض ، فيلقاكم ذلك العدوّ غداً وقد رققتم ، وتلك والله أمنيّة عدوّكم ، وإنه قد أقبل إليكم أعدى خلق الله لكم ، مَن ولي عليكم هو وأبوه سبع سنين ، لا يُقلِعان عن قتل أهل العَفاف والدّين ، هو الذي قتلكم ، ومن قِبَله أُتيتم ، والذي قتل من

تثأرون بدمه ، قد جاءكم فاستقبلوه بحدكم وشوكتكم ، واجعلوها به ، ولا تجعلوها بأنفسكم؛ إني لم آلُكُم نصحاً ، جمع الله لنا كلمتَنا ، وأصلح لنا أئمّتنا!

قال: فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة: أيُّها الناس ، لا يغرّنّكم من السيف والغشم مقالةُ هذا المُداهنِ الموادِع؛ والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنّه ، ولئن استقينا أن قوماً يريدون الخروجَ علينا لنأخذنّ الوالد بولده ، والمولودَ بوالده ، ولنأخذنّ الحميم بالحميم ، والعريف بما في عرافته حتى يدِينوا للحقّ ، ويذلُّوا للطاعة. فوثب إليه المسيِّب بن نَجَبة فقطع عليه منطقه ثم قال: يابن الناكثين ! أنت تهدّدنا بسيفك وغشمك! أنت والله أذلّ من ذلك؛ إنا لا نلومك على بغضنا ، وقد قتلنا أباك وجدّك ، والله إني لأرجو ألا يخرجك الله من بين ظهرانيْ أهل هذا المصر حتى يثلِّثوا بك جدّك وأباك ، وأمّا أنت أيها الأمير فقد قلتَ قولاً سديداً ، وإني والله لأظنّ مَن يريد هذا الأمر مستنصحاً لك ، وقابلاً قولَك.

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة: إي والله ! ليقتلنّ وقد أدهن ثمّ أعلن. فقام إليه عبد الله بن وال التيميّ ، فقال: ما اعتراضُك يا أخا بني تيم بن مرّة فيما بيننا وبين أميرنا! فوالله ما أنت علينا بأمير ، ولا لَك علينا سلطان ، إنما أنت أميرُ الجِزْية ، فأقبِل على خراجِك ، فلعَمر الله لئن كنت مفسداً ما أفسد أمر هذه الأمة إلا والدك وجدّك الناكثان ، فكانت بهما اليدان ، وكانت عليهما دائرة السَّوْء.

قال: ثم أقبل مسيِّب بن نَجَبَة وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا: أمّا رأيك أيها الأمير فوالله إنا لنرجو أن تكون به عند العامّة محموداً وأن تكون عند الذي عَنَيْتَ واعتريت مقبولاً. فغضب أناسٌ من عمال إبراهيمَ بن محمد بن طلحة وجماعة مِمَّن كان معه ، فتشاتموا دونه ، فشتَمهم الناس وخصَموهم.

فلما سمع ذلك عبد الله بن يزيد نزل ودخل. وانطلق إبراهيم بن محمد وهو يقول: قد داهن عبد الله بن يزيد أهلَ الكوفة ، والله لأكتبنّ بذلك إلى عبد الله بن الزبير ، فأتى شَبَث بن رِبعيّ التيميّ عبدَ الله بن يزيد فأخبره بذلك ، فركب به وبيزيد بن الحارث بن رُوَيم حتى دخل على إبراهيم بن محمد بن طلحة ، فحلف له بالله ما أردتُ بالقول الذي سمعتَ إلا العافية وصلاحَ ذات البين ، إنما أتاني يزيد بن الحارث بكذا وكذا ، فرأيتُ أنْ أقوم فيهم بما سمعت إرادةَ ألاّ تختلف

الكلمة ، ولا تتفرّق الألفة ، وألاّ يقع بأس هؤلاء القوم بينهم ، فعَذَره وقَبِل منه .

قال : ثمّ إنّ أصحاب سليمان بن صُرَد خرجوا ينشرون السلاح ظاهرين ، ويتجهّزون يجاهرون بجهازهم وما يُصلِحهم[١] . (٥ : ٥٥٩ _ ٥٦٣).

ذكر الخبر عن فراق الخوارج عبد الله بن الزبير

وفي هذه السنة فارق عبد الله بن الزبير الخوارجُ الذين كانوا قَدِموا عليه مكة ، فقاتلوا معه حصين بن نمير السَّكونيّ ، فصاروا إلى البصرة ، ثمّ افترقت كلمتُهم فصاروا أحزاباً .

ذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير ، والسبب الذي من أجله فارقوه ، والذي من أجله افترقتْ كلمتهم :

حُدّثت عن هشام بن محمد الكلبيّ ، عن أبي مخنف لوط بن يحيى قال : حدّثني أبو المخارق الراسبيّ ، قال : لما ركب ابن زياد من الخوارج بعد قتل أبي بلال ما ركِب ، وقد كان قبل ذلك لا يكفّ عنهم ولا يستبقيهم غير أنه بعد قتل أبي بلال تجرّد لاستئصالهم وهلاكِهم ، واجتمعت الخوارجُ حين ثار ابن الزبير بمكّة ، وسار إليه أهلُ الشام ، فتذاكروا ما أتَى إليهم ، فقال لهم نافع بن الأزرق : إنّ الله قد أنزل عليكم الكتاب ، وفَرَض عليكم فيه الجهاد ، واحتجّ عليكم بالبيان ، وقد جرّد فيكم السيوفَ أهلُ الظلم ، وأولو العِدَا والغَشْم ، وهذا من قد ثار بمكة ، فاخرجوا بنا نأتِ البيت ونَلْقَ هذا الرّجل ، فإن يكن على رأينا جاهدْنا معه العدوّ ، وإن يكن على غير رأينا دافعْنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك في أمورنا ، فخرجوا حتى قدموا على عبد الله بن الزبير ، فسُرّ بمقدَمهم ، ونبّأهم أنه على رأيهم ، وأعطاهم الرّضا من غير توقُّف ولا تفتيش؛ فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية ، وانصرف أهل الشام عن مكة ، ثمّ إنّ القوم لقيَ بعضهم بعضاً ، فقالوا : إنّ هذا الذي صنعتم أمسِ بغير رأي ولا صواب من الأمر ، تقاتلون مع رجل لا تدرون لعلّه ليس على رأيكم ، إنما كان أمسِ يقاتلكم

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

هو وأبوه ينادي: يالَ ثارات عثمان! فَأْتوه وسَلُوه عن عثمان، فإنْ برىء منه؛ كان وليَّكم، وإن أبي كان عدوَّكم، فمشَوا نحوَه فقالوا له: أيها الإنسان، إنا قد قاتلنا معك، ولم نُفتِّشك عن رأيك حتى نعلم أمِنَّا أنت أم مِنْ عدوّنا! خبّرنا ما مقالتُك في عثمان؟ فنظر فإذا من حوله من أصحابه قليلٌ، فقال لهم: إنكم أتيتموني فصادفتموني حين أردتُ القيام، ولكن رُوحوا إليّ العشيّة حتى أعلمكم من ذلك الذي تريدون.

فانصرفوا، وبعث إلى أصحابه فقال: البسوا السلاح، واحضرُوني بأجمعكم العشيّة، ففعلوا، وجاءت الخوارج، وقد أقام أصحابه حولَه سِمَاطَيْن عليهم السلاحُ، وقامت جماعةٌ منهم عظيمة على رأسه بأيديهم الأعمدة، فقال ابن الأزرق لأصحابه: خشيَ الرجل غائلتَكم، وقد أزمع بخلافكم، واستعدّ لكم؛ ما تَرَوْن؟

فدنا منه ابن الأزرق، فقال له: يابن الزبير! اتّق الله رّبك، وأَبْغِض الخائن المستأثر، وعادِ أوّل من سنّ الضلالة، وأحدث الأحداث، وخالفَ حُكمَ الكتاب، فإنك إن تفعل ذلك تُرْضِ ربَّك، وتَنْج من العذاب الأليم نفسُك، وإن تركتَ ذلك فأنت من الذين استمتَعوا بخَلاقِهم، وأذهبوا في الحياة الدنيا طيِّباتِهم.

يا عبيدة بن هلال! صِف لهذا الإنسان ومن معه أمْرَنا الذي نحن عليه، والذي ندعو الناس إليه، فتقدّم عبيدة بن هلال[1]. (٥/ ٥٦٣ ـ ٥٦٥).

قال هشام: قال أبو مخنف: وحدّثني أبو علقمة الخثعمي عن قبيصة بن عبد الرحمن القحافيّ، من خثعم، قال: أنا والله شاهدٌ عبيدة بن هلال؛ إذ تقدّم فتكلّم، فما سمعت ناطقاً قطّ ينطق كان أبلغَ ولا أصوَبَ قولاً منه، وكان يرى رأيَ الخوارج.

قال: وإن كان لَيَجمع القولَ الكثير في المعنى الخطير، في اللفظ اليسير.

قال: فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله بعث محمداً ﷺ يدعُو إلى عبادة الله، وإخلاص الدّين، فدعا إلى ذلك، فأجابه المسلمون، فعمِل

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

فيهم بكِتاب الله وأمرِه ، حتى قبضه الله إليه ﷺ ، واستخلف الناس أبا بكر ، واستخلف أبو بكر عُمَر ، فكلاهما عمل بالكتاب وسنّة رسول الله ، فالحمد لله ربّ العالمين ، ثمّ إنّ الناس استخلفوا عثمانَ بنَ عفان ، فحمى الأحماءَ ، وآثر القُربَى ، واستعمل الفتى ورفع الدِّرّة ، ووضع السَّوْط ، ومزّق الكتاب ، وحقّر المسلم ، وضربَ مُنْكِري الجوْر ، وآوى طريدَ الرسول ﷺ ، وضرب السابقين بالفضل ، وسَيَّرهم وحَرَمهم ، ثم أخذ فيءَ الله الذي أفاءه عليهم فقسَمه بين فُسّاقِ قريش ، ومُجّان العرب ، فسارت إليه طائفةٌ من المسلمين أخذ الله ميثاقَهم على طاعته ، لا يُبالون في الله لومةَ لائم ، فقتلوه ، فنحن لهم أولياءُ ، ومن ابن عفان وأوليائه بُرآء ، فما تقول أنت يا بن الزبير؟! قال: فحَمِد الله ابنُ الزبير وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد ، فقد فهمتُ الذي ذكرتَ ، وذكرتَ به النبيّ ﷺ ، فهو كما قلت ﷺ وفوق ما وصفته ، وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر ، وقد وُفِّقت وأصبت ، وقد فهمتُ الذي ذكرتَ به عثمان بن عفان رحمة الله عليه ، وإني لا أعلم مكانَ أحد من خلق الله اليوم أعلمَ بابن عفان وأمره منّي ، كنت معه حيث نقم القوم عليه ، واستعتبوه فلم يَدعْ شيئاً استعتَبَهُ القوم فيه إلا أعتبهم منه ، ثم إنهم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون: أنه كتبه فيهم ، يأمر فيه بقتلهم فقال لهم: ما كتبتُه ، فإن شئتم فهاتوا بيّنتكم؛ فإن لم تكن حلفتُ لكم؛ فوالله ما جاؤوه ببيّنة ، ولا استحلفوه ، ووثبوا عليه فقتلوه ، وقد سمعت ما عبتَه به ، فليس كذلك ، بل هو لكل خيرٍ أهل ، وأنا أشهِدكم ومن حضر أني وليٌّ لابن عفان في الدنيا والآخرة ، ووليّ أوليائه ، وعدوّ أعدائه ، قالوا: فبرئَ اللهُ منك يا عدوّ الله ! قال: فبرئَ الله منكم يا أعداءَ الله !

وتفرّق القوم ، فأقبل نافع بن الأزرق الحنظلّي ، وعبد الله بن صَفّار السعديّ من بني صَريم بن مقاعس ، وعبد الله بن إباض أيضاً من بني صريم ، وحنظلة بن بَيْهس، وبنو الماحوز: عبد الله ، وعبيد الله ، والزبير ، من بني سَلِيط بن يربوع ، حتى أتوا البصرة ، وانطلق أبو طالوتَ من بني زِمَّان بن مالك بن صعب بن علّي بن مالك بن بكر بن وائل وعبد الله بن ثور أبو فُدَيْك من بني قيس بن ثعلبة وعطيّة بن الأسود اليشكريّ إلى اليمامة ، فوثبوا باليمامة مع أبي طالوت ، ثمّ أجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفيّ ، فأما البصريّون منهم فإنهم قَدِموا

البصرة وهم مُجمِعون على رأي أبي بلال[١] . (٥ : ٥٦٥ ـ ٥٦٧)

قال هشام: قال أبو مخنف لوط بن يحيى: فحدّثني أبو المثنّى عن رجل من إخوانه من أهل البصرة ، أنهم اجتمعوا فقالت العامّة منهم: لو خرج منّا خارجون في سبيل الله ، فقد كانت منّا فَترة منذ خرج أصحابُنا ، فيقوم علماؤنا في الأرض ، فيكونون مصابيحَ الناس يدعونهم إلى الدّين ، ويخرج أهلُ الوَرَع والاجتهاد فيلحقون بالربّ ، فيكونون شُهَداءَ مرزوقين عند الله أحياء.

فانتدب لها نافع بن الأزرق ، فاعتقد على ثلاثمئة رجل ، فخرج وذلك عند وثوب الناس بعبيد الله بن زياد ، وكَسْر الخوارج أبوابَ السجون وخروجهم منها ، واشتغل الناس بقتال الأزْد ، وربيعة ، وبني تميم ، وقيس في دم مسعود بن عمرو ، فاغتنمت الخوارج اشتغالَ الناس بعضهم ببعض ، فتهَيّؤوا واجتمعوا ، فلما خرج نافع بن الأزرق تبعوه ، واصطلح أهلُ البَصرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يصلِّي بهم ، وخرج ابن زياد إلى الشام ، واصطلحت الأزْد وبنو تميم ، فتجرّد الناس للخوارج ، فاتبعوهم وأخافوهم حتى خرج من بقي منهم بالبصرة ، فلَحِق بابن الأزرق ، إلا قليلاً منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك ، منهم عبُد الله بن صَفّار ، وعبدُ الله بن إباض ، ورجالٌ معهما على رأيهما ، ونظر نافع بن الأزرق ورأى: أنّ ولايةَ من تخلّف عنه لا تنبغي ، وأنّ من تخلَّف عنه لا نجاةَ له ، فقال لأصحابه: إنّ الله قد أكرمكم بمُخرَجكم ، وبصّركم ما عَمِيَ عنه غيرُكم؛ ألستم تعلمون أنكم إنما خرجتم تطلبون شريعته ، وأمرَه ؟! فأمرُه لكم قائد ، والكتاب لكم إمام ، وإنما تتبعون سُننَه وأثره ، فقالوا: بلى ! فقال: أليس حكمُكم في وليّكم حكم النبيّ ﷺ في وليّه ، وحكمُكم في عدوّكم حكم النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في عدوّه ، وعدوّكم اليوم عدوّ الله وعدوّ النّبيِّ ﷺ ، كما أنّ عدوّ النبيّ ﷺ يومئذ هو عدوّ الله وعدوّكم اليوم ؟! فقالوا: بلىٰ؛ قال: فقد أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ .

وقال: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ ، فقد حرّم الله ولايتَهم ، والمُقامَ

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

بين أظهُرهم ، وإجازةَ شهادتهم ، وأكلَ ذبائحهم وقبول علم الدّين عنهم ، ومناكحتهم ، ومواريثهم ، وقد احتجّ الله علينا بمعرفة هذا ، وحق علينا أن نُعلِّم هذا الدّينَ الذين خرجْنا من عندهم ، ولا نكتم ما أنزل الله ، والله عزّ وجلّ يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ ، فاستجاب له إلى هذا الرأي جميعُ أصحابه .

فكتب : من عُبيد الله نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن صفّار ، وعبد الله بن إباض ، ومن قِبلَهما من الناس ، سلامٌ على أهل طاعة الله من عباد الله ، فإنّ من الأمر كيتَ وكيتَ ؛ فقصّ هذه القصّة ، ووصف هذه الصفة ، ثمّ بعث بالكتاب إليهما ، فأتيَا به ، فقرأه عبد الله بن صفّار ، فأخذه فوضعه خلفه ، فلم يقرأه على الناس خشيةَ أن يتفرّقوا ، ويختلفوا ، فقال له عبدُ الله بن إباض : ما لَكَ للهِ أبوك! أيَّ شيء أصبْت! أأن قد أصيب إخواننا ، أو أسِر بعضهم! فدفَع الكتابَ إليه ، فقرأه ، فقال : قاتله الله! أيَّ رأي رأى! صَدق نافع بن الأزرق ، لو كان القوم مشركين كان أصوبَ الناس رأياً وحُكماً فيما يشير به ، وكانت سيرتُه كسِيرة النبيّ ﷺ في المشركين ، ولكنه قد كذَب ، وكذَّبنَا فيما يقول ، إنّ القوم كفار بالنِّعم والأحكام ، وهم بُرآء من الشِّرْك ، ولا تَحلّ لنا إلا دماؤهم ، وما سِوَى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام ؛ فقال ابن صفار : برئَ اللهُ منك ، فقد قصرت ، وبرئَ الله من ابن الأزرق فقد غلا ، برئَ الله منكما جميعاً ؛ وقال الآخر : فبرئَ الله منك ومنه .

وتفرّق القوم ، واشتدّت شوكة ابن الأزرق ، وكثرت جُمُوعه ، وأقبل نحوَ البصرة حتى دنا من الجسر ، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عُبيس بن كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في أهل البصرة[١] . (٥ : ٥٦٧ ـ ٥٦٩).

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

ذكر الخبر عن مقتل أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة قَتَلَ بُكيرُ بنُ وِشاح السعديّ أمية بنَ عبد الله بن خالد بن أسيد:

* ذكر سبب قتله إيّاه:

وكان سبب ذلك ـ فيما ذكر عليّ بن محمد، عن المفضّل بن محمد ـ أنّ أمية بن عبد الله وهو عاملُ عبدِ الملك بنِ مروانَ على خُراسان، ولَّى بكيراً غزوَ ما وراءِ النهر، وقد كان ولاه قبل ذلك طُخارسْتان، فتجهّز للخروج إليها، وأنفق نفقةً كثيرةً فوشى به إليه بحير بن ورقاء الصُرَيميّ على ما بيّنت قبلُ، فأمَره أميّة بالمقام.

فلما ولاّه غزوَ ما وراء النهر تجهّز وتكلف الخيل والسلاح، وادّان من رجالِ السُّغْد وتجارِهم، فقال بحير لأميَّة: إنْ صار بينك وبينه النهر ولقي الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه، فأرسل إليه أمية: أقم لَعَلِّي أغزو فتكون معي، فغضب بكير، وقال: كأنه يُضارّني، وكان عتابُ اللِّقْوة الغُدَانيّ استدان ليخرج مع بكير، فلما أقام أخذه غرماؤه، فحبِس فأدّى عنه بُكير وخرج، ثمّ أجمع أميَّة على الغَزْو، قال: فأمر بالجهاز ليغزوَ بخارَى، ثمّ يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالتِّرْمِذ، فاستعدّ الناسُ وتجهّزوا، واستخلف على خُراسان ابنَه زياداً، وسار معه بكير فعسكَر بكُشْماهَن، فأقام أياماً، ثمّ أمر بالرحيل، فقال له بحير: إنّي لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبُكَير: فلتكن في الساقة ولتحشر الناس، قال: فأمَره أميَّة فكان على الساقة حتى أتى النهر، فقال له أمية: اقطع يا بكير؛ فقال عتّاب اللِّقوة الغُدانيّ: أصلَحَ الله الأمير! اعبر ثمّ يَعبرُ الناسُ بعدَك، فعبَر ثمّ عبَر الناس، فقال أمية لبكير: قد خفت ألاّ يضبط ابني عمله وهو غلام حَدث، فارجع إلى مروَ فاكفِنيها فقد ولّيتُكَها فزيّن ابني وقم بأمرِه، فانتخب بكير فُرساناً من فُرسان خُراسان قد كان عرفهم ووَثِق بهم وعبرَ، ومضى أمية إلى بُخارَى وعلى مقدّمته أبو خالد ثابت مولى خُزاعة، فقال عتّاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية: إنا قتلْنا أنفسَنا وعشائرَنا حتى ضبطْنا خُراسان، ثم طلبنا أميراً من قُريش يجمع أمرنا، فجاءنا أميرٌ يَلعَب بنا يحوّلنا من سجن إلى سجن، قال: فما ترى؟

قال: احرقْ هذه السفن، وامضِ إلى مَرْوَ فاخلع أمية، وتقيم بمروَ تأكلها إلى يوم ما؛ قال: فقال الأحنف بن عُبد الله العنبريّ: الرأي ما رأى عتّاب، فقال بكير: إنّي أخاف أن يَهلِك هؤلاء الفُرسان الذين معي، فقال: أتخاف عدم الرّجال! أنا آتيك من أهل مروَ بما شئت إنْ هلك مِنْ هؤلاء الذين معك، قال: يهلك المسلمون؛ قال: إنما يكفيك أن ينادي منادٍ: مَن أسلمَ رفعْنا عنه الخَراج فيأتيك خمسون ألفاً من المصلين أسَمع لك من هؤلاء وأطوع؛ قال: فيهلك أميةُ ومَن معه؛ قال: ولِمَ يهلِكون ولهم عُدّة وعَدَد ونَجْدة وسلاحٍ ظاهر، وأداة كاملة، ليقاتلوا عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين! فأحرَق بكير السفن، ورجع إلى مَرْوَ، فأخذ ابن أمية فحبسه، ودعا الناسَ إلى خلع أمية فأجابوه، وبلغ أمية، فصالح أهل بُخارى على فِدْية قليلة، ورجع فأمر باتخاذ السفن، فاتُّخذت له وجُمعت، وقال لمن معه من وجوه تميم: ألا تعجبون من بكير! إنّي قدمتُ خُراسانَ فحذّرته، ورُفع عليه وشُكي منه، وذكروا أموالاً أصابها. فأعرضت عن ذلك كله، ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحداً من عُمّاله، ثمّ عرضت عليه شرطتي فأبَى، فأعفيته، ثمّ وليته فحُذّرته، فأمرتُه بالمُقام، وما كان ذلك إلا نظراً له، ثمّ رددته إلى مروَ، ووليّته الأمر، فكفر ذلك كلَّه، وكافأني بما ترون، فقال له قوم: أيها الأمير، لم يكن هذا من شأنه، إنما أشار عليه بإحراق السفن عتابُ اللِّقوة، فقال: وما عتّاب! وهل عتاب إلا دجاجة حاضنة، فبلغ قولُه عتاباً، فقال عتاب في ذلك:

إنَّ الحَــواضِــنَ تلقـاهـا مجفَّفَـةً ... غُلْبَ الرِّقاب على المنسوبةِ النُّجُبِ
تـركـتَ أمرَكَ مـن جُبْنٍ ومـن خَوَرٍ ... وجئتَنَـاحُمُقَـاً يـا ألأمَ العـربِ
لمـا رَأيـتَ جبـالَ السُّغْـدِ مُعْـرضـةً ... ولَّيتَ موسى ونوحاً عُكْوةَ الذَّنَبِ
وجئـتَ ذيخـاً مُغِـذّاً مـا تُكلمُنـا ... وطِرْتَ من سَعَفِ البحرينِ كالخَرب
أَوعِـدْ وعِيـدكَ إنـي سـوف تَعـرِفني ... تحتَ الخوافِقِ دون العارض اللجِبِ
يَخُـبُّ بـي مشـرفٌ عـار نـواهقـهُ ... يغْشَى الكتيبةَ بيـن العَدْوِ والخَبـبِ

قال: فلمّا تهيأت السفن، عبَرَ أمية وأقبَلِ إلى مروَ، وترك موسى بن عبد الله، وقال: اللهمّ إني أحسنت إلى بُكير، فكفر إحساني، وصنع ما صنع، اللهم اكفنيه.

فقال شمّاس بن دثار ـ وكان رجع من سجِسْتانَ بعد قتل ابن خازم ، فغزا مع أمية : أيها الأمير ، أنا أكفيكه ، إن شاء الله ، فقدَّمَه أميةُ في ثمانمئة ، فأقبَل حتى نزل باسان وهي لبني نصر ، وسار إليه بكيرٌ ومعه مُدركُ بن أنيف وأبوه مع شماس ، فقال : أما كان في تميم أحدٌ يحاربني غيرك! ولامَه ، فأرسل إليه شماس : أنت ألوَم وأسوأ صنيعاً مني ، لم تَفِ لأمية ولم تشكر له صنيعَه بك؛ قَدم فأكرمك ولم يَعرِض لك ولا لأحد من عمّالك .

قال : فبيّته بكير ففرّق جمعَه ، وقال : لا تَقتلُوا منهم أحداً ، وخذوا سلاحَهم ، فكانوا إذا أخذوا رجلاً سلَبوه وخلّوا عنه ، فتفرّقوا ، ونزَل شماس في قرية لطّيئ يقال لها : بُوينَه ، وقدِم أمية فنزل كَشْماهن ، ورجع إليه شمّاس بنُ دِثار فقدّم أمية ثابتَ بن قطبة مولى خُزاعة ، فلقيَه بكير فأسر ثابتاً وفرّق جمعَه ، وخلى بكير سبيلَ ثابت لِيَدٍ كانت له عنده .

قال : فرجع إلى أمية ، فأقبل أمية في الناس ، فقاتله بكير وعلى شُرطة بكير أبو رُستم الخليل بن أوْس العَبْشَميّ ، فأبلى يومئذ ، فنادَوه : يا صاحب شرطة عارمة ـ وعارمةُ جاريةُ بكير ـ فأحجمَ ، فقال له بكير : لاأبَالَك ، لا يَهدّك نداءُ هؤلاء القوم ، فإنّ للعارمة فَحْلا يمنعها ، فقدّمْ لواءَك ، فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط ، فنزل السوقَ العتيقة ، ونزل أمية بَاسَان فكانوا يلتقون في ميدانِ يَزيدَ ، فانكشفوا يوماً ، فحماهم بكير ، ثمّ التقَوا يوماً آخر في الميدان ، فضرب رجلٌ من بني تميم على رجله فجعل يَسحبها ، وهُريم يَحميه ، فقال الرجل : اللهمّ أيّدنا فأمِدَّنا بالملائكة ، فقال له هُريم : أيها الرّجل ، قاتلْ عن نفسك ، فإنّ الملائكة في شُغْل عنك ، فتَحامَلَ ثمّ أعاد قولَه : اللهمّ أمِدّنا بالملائكة ، فقال هُريم : لتكُفنّ عني أو لأدعنّك والملائكة ، وحماهُ حتى ألحقَه بالناس ، قال : ونادى رجلٌ من بني تميم : يا أميةُ ، يا فاضحَ قريش؛ فآلى أمية إنْ ظَفِر به أن يذبحه ، فَظفِر به فذبحه بين شُرْفَتَيْن من المدينة ، ثمّ التقَوا يوماً آخر ، فضرب بكير بن وشاح ثابتَ بن قطبة على رأسه وانتمَى : أنا ابنُ وشاح؛ فحمل حُريث بن قطبة أخو ثابت على بكير ، فانحاز بكير ، وانكشف أصحابُه ، وأتبع حُريث بكيراً حتى بلغ القنطرة ، فناداه : أين يا بكير؟ فكرّ عليه ، فضَرَبَه حريثٌ على رأسه ،

فقطع المِغفَر ، وعضّ السيفُ برأسه ، فصُرِع ، فاحتمَلَه أصحابُه ، فأدخَلوه المدينة .

قال: فكانوا على ذلك يقاتلونهم ، وكان أصحابُ بكير يَغدُون متفضّلين في ثياب مصبّغة ، وملاحفَ وأزُر صُفر وحُمْر ، فيجلسون على نواحي المدينة ، يتحدَّثون ، وينادي منادٍ: مَن رَمى بسهم رَمَيْنا إليه برأس رجل من ولدِه وأهلِه؛ فلا يرميهم أحد .

قال: فأشفق بكير ، وخاف إن طال الحصار أن يخذُله الناس ، فطلب الصّلح ، وأحبّ ذلك أيضاً أصحابُ أمية لمكان عِيالاتهم بالمدينة ، فقالوا لأمية: صالِحْه ـ وكان أمية يحبّ العافية ـ فصالحه على أن يقضيَ عنه أربعمئة ألف ، ويَصِلَ أصحابَه ويولّيه أيضاً أيّ كُوَر خُراسانَ شاء ، ولا يسمع قولَ بَحِير فيه ، وإن رابَه منه رَيْب فهو آمِن أربعين يوماً حتى يخرج عن مروَ ، فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك ، وكَتَب له كتاباً على باب سِنْجان ، ودخل أميّةُ المدينة .

قال: وقوم يقولون: لم يخرج بكير مع أمية غازياً ، ولكنّ أمية لما غزا استخلفه على مروَ فخلعه ، فرجع أميّةُ فقاتَله ، ثمّ صالحه ودخَل مروَ ووفَى أميةُ لبكير ، وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحُسْن الإذن ، وأرسَل إلى عتّاب اللقوة ، فقال: أنت صاحبُ المَشُورة: فقال: نعَم أصلحَ الله الأمير! قال: ولِمَ؟ قال: خف ما كان في يدي ، وكَثُر دَيْني ، وأعديت على غرمائي؛ قال: وَيْحك! فضربْت بين المسلمين ، وأحرقت السفن والمسلمون في بلاد العدوّ ، وما خفت الله! قال: قد كان ذلك ، فاستغفرِ الله ، قال: كم دينُك؟ قال: عشرون ألفاً؛ قال: تكفّ عن غِشّ المسلمين وأقضِي دينَك؟ قال: نعم ، جعلني الله فِداك! قال: فَضحِك أميّة وقال: إنّ ظني بك غير ما تقول ، وسأقضي عنك ، فأدّى عنه عشرين ألفاً ، وكان أمية سهلاً ليناً سخيّاً ، لم يُعط أحدٌ من عُمال خُراسان بها مثل عطاياه؛ قال: وكان مع ذلك ثقيلاً عليهم ، كان فيه زَهْو شديد ، وكان يقول: ما أكتفِي بخُراسان وسِجِسْتان لمَطْبخي ، وعَزل أميةُ بحيراً عن شرطته ، وولاّها عطاءَ بن أبي السائب ، وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمرِ بكير وصفحِه عنه ، فضرب عبدُ الملك بَعْثاً إلى أميّة بخُراسان فتَجاعَلَ الناس ، فأعطَى شقيقَ بن سَليل الأسديّ جعَالَته رَجُلاً من جَرْم ، وأخذ أمية الناس بالخراج ، واشتدّ عليهم فيه ،

فجلس بكير يوماً في المسجد وعنده ناسٌ من بني تميم ، فذكروا شِدّة أمية على الناس ، فذمّوه ، وقالوا : سلّط علينا الدّهاقين في الجباية وبَحِير وضِرار بن حُصَين وعبد العزيز بن جارية بن قُدامة في المسجد ، فنقل بَحِير ذلك إلى أمية فكذّبه فادّعى شهادة هؤلاء ، وادّعى شهادة مُزاحم بن أبي المُجشر السلميّ ، فدعا أميةُ مزاحماً فسأله فقال : إنما كان يمزَح ، فأعرض عنه أمية ، ثم أتاه بحير فقال : أصلح الله الأمير! إنّ بكيراً والله قد دعاني إلى خَلعك ، وقال : لولا مَكانك لقتلتُ هذا القرشيّ وأكلتُ خُراسانَ ، فقال أميَّة : ما أصدَق بهذا وقد فعل ما فعل ؛ فآمنتُه ووصَلْته .

قال : فأتاه بضِرار بن حُصين وعبد العزيز بن جارية فشهِدا أنّ بكيراً قال لهما : لو أطعتُماني لقتلتُ هذا القرشيّ المخنَّث ، وقد دعانا إلى الفتْك بك ، فقال أمية : أنتم أعلم وما شهِدْتم ، وما أظُنّ هذا به وإن تركه ، وقد شهدتم بما شهدتم عجزٌ ؛ وقال لحاجبه عبيدة ولصاحبِ حَرسِه عطاء بن أبي السائب : إذا دخل بكير ، وبدل وشمردل ابنا أخيه ، فنهضتُ فخذوهم ، وجلس أمية للناس وجاء بكير وابنا أخيه ، فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل ، وخرج الناس وخرج بكير ، فحبسوه وابنَيْ أخيه ، فدعا أمية ببكير فقال : أنت القائل كذا وكذا؟ قال : تَـثَـبَّت أصلحك الله ، ولا تسمعنّ قول ابنِ المحلوقة! فحَبَسه ، وأخذ جاريته العارمَة فحبَسها ، وحبَس الأحنف بن عبد الله العنبريّ ، وقال : أنت ممن أشار على بُكَير بالخَلْع .

فلما كان من الغد أخرج بُكَيراً فشهد عليه بحيرٌ وضِرار وعبد العزيز بن جارية أنه دعاهم إلى خلْعه والفتكِ به ، فقال : أصلحك الله! تثبّتْ فإنّ هؤلاء أعدائي ، فقال أمية لزياد بن عُقْبة ـ وهو رأسُ أهل العالية ـ ولابن والان العدويّ ـ وهو يومئذ من رؤساء بني تميم ـ وليعقوب بن خالد الذّهليّ : أتقتلونه؟ فلم يجيبوه ؛ فقال لبَحِير : أتقتُلُه؟ قال : نعم ، فدفعه إليه ، فنهض يعقوبُ بن القَعْقاع الأعْلم الأزْديّ من مجلسه ـ وكان صديقاً لبُكير ـ فاحتَضَن أميّة ، وقال : أذكّرك اللهَ أيها الأمير في بكير ، فقد أعطيتَه ما أعطيتَه من نفسك ، قال : يا يعقوب ما يقتله إلا قومه ، شهدوا عليه ، فقال عطاءُ بن أبي السائب الليثيّ وهو على حَرَس أميّة : خلّ عن الأمير؛ قال : لا ، فضَرَبه عطاء بقائم السيف ، فأصاب أنفه فأدماه ،

فخرج ، ثمّ قال لبحِير : يا بحير ، إنّ الناس أعطوا بكيراً ذمّتهم في صلحه ، وأنت منهم ، فلا تخفر ذمّتك؛ قال: يا يعقوب ما أعطيته ذمّةً ، ثمّ أخذ بحير سيفَ بكير الموصول الذي كان أخذه من أسوار الترجمان تَرْجُمان ابن خازم ، فقال له بكير: يا بحير ، إنك تُفرّق أمرَ بني سعد إن قتلْتني ، فدَع هذا القرشيّ يلي مني ما يريد؛ فقال بحير: لا والله يا بن الإصبهانية لا تصلح بنو سعد ما دُمنا حيَّيْن ، قال: فشأنك يا بن المحلوقة ، فقتَلَه ، وذلك يوم جمعة.

وقتَل أمية ابني أخي بكير ، ووهب جارية بكير العارمةَ لبَحير ، وكلِّمَ أمية في الأحنف بن عبد الله العنبريّ ، فدعا به من السجن ، فقال: وأنتَ ممن أشار على بُكَير ، وشَتَمه ، وقال: قد وهبتُك لهؤلاء ، قال: ثمّ وجّه أميّةُ رجلاً من خُزاعة إلى موسى بن عبد الله بن خازم ، فقتَله عمرو بن خالد بن حُصين الكلابيّ غِيلةً ، فتفرّق جيشهُ؛ فاستأمن طائفةٌ منهم موسى ، فصاروا معه ، ورجع بعضُهم إلى أمية[1]. (٦/ ٣١١ ـ ٣١٧).

وفي هذه السنة عبر النهرَ ، نهرَ بَلخْ أمية للغَزْو ، فحُوصِر حتى جُهِد هو وأصحابه ، ثمّ نجوْا بعدما أشرَفوا على الهلاك؛ فانصرف والذين معه من الجُنْد إلى مروَ ، وقال عبد الرحمن بنُ خالدِ بن العاص بنِ هشام بن المغيرة يهجو أميّة:

ألاَ أَبلِغْ أُميةَ أَنْ سيُجزَى ... ثَوابَ الشَّرِّ إنَّ لهُ ثَوابَا
ومَن يَنظر عتابَكَ أَو يُرِدْهُ ... فلستُ بناظر منكَ العِتَابَا
محا المعروفَ منك خلالُ سَوْءٍ ... مُنحتَ صَنِيعَهَا باباً فبابَا
ومَن سَمَّاكَ إذْ قسَم الأَسامِي ... أُميةَ إذ وُلِدتَ فقد أَصَابا

(٦/ ٣١٧ ـ ٣١٨)

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن أبي بكرة رتْبيل

وفيها غزا عُبيد الله بن أبي بكرة رُتْبيل.

---

(١) هذا الخبر الطويل الذي استغرق صفحات ، رواه المدائني من طريق المفضل ولم نعتد بمروياته ولم يؤيده الآخرون كما هاهنا.

ذكر الخبر عن غزوته إيّاه:

قال هشام: حدّثني أبو مِخنَف، عن أبي المُخارق الراسبيّ، قال: لما ولّى الحجّاجُ المهلَّبَ خرُاسانَ، وعبيد الله بنِ أبي بَكْرة سجستانَ، مضى المهلّب إلى خُراسان وعبيد الله بن أبي بَكرة سجستانَ، وذلك في سنة ثمان وسبعين. فمكث عبيد الله بن أبي بَكْرة بقية سنته. ثمّ إنه غزا رُتْبيل وقد كان مصالحاً، وقد كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خرَاجاً، وربَّما امتنع فلم يفعل، فبعث الحجاج إلى عُبيد الله بن أبي بَكْرة أنْ ناجزْه بمن معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيحَ أرضَه، وتَهدم قِلاعَه، وتَقتُل مُقاتلته، وتَسبي ذرّيته. فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهلِ البَصرة، وكان على أهل الكوفة شُرَيح بن هانئ الحارثيّ ثمّ الضبّانيّ، وكان من أصحاب عليّ، وكان عُبيد الله على أهل البَصْرة، وهو أمير الجماعة، فمضى حتى وَغَل في بلاد رُتْبيل، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء وَهدّم قلاعاً وحصُوناً، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة، وأصحاب رُتْبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض، حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم، وكانوا منها ثمانية عشر فرسخاً، فأخذوا على المسلمين العقابَ والشِّعاب، وخلّوهم والرَّساتيق، فسُقط في أيدي المسلمين، وظنوا أنْ قد هلكوا، فبعث ابن أبي بَكرْة إلى شُرَيح بن هانئ: إنّي مصالح القوم على أن أعطِيَهم مالاً، ويخلوا بيني وبين الخروج، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمئة ألف درهم، فلقيَه شُريح فقال: إنك لا تصالح على شيء إلا حَسبه السلطان عليكم في أعطياتكم، قال: لو منُعنا العطاءَ ما حَيِينا كان أهوَن علينا من هلاكنا؛ قال شُريح: والله لقد بلغتُ سنّاً، وقد هلكتُ لِدَاتي. ما تأتي عليّ ساعة من ليل أو نهار فأظنّها تمضي حتى أموت، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان، ولئن فاتتني اليومَ ما أخالني مُدْركها حتى أموت، وقال: يا أهل الإسلام، تعاونوا على عدوّكم؛ فقال له ابن أبي بَكْرة: إنك شيخ قد خَرِفْتَ، فقال شريح: إنما حسبك أن يقال: بُستان ابن أبي بَكرة وحمَام ابن أبي بَكْرة يا أهل الإسلام، من أراد منكم الشهادة فإليّ. فاتبعه ناسٌ من المتطوّعة غير كثير، وفرُسان الناس وأهل الحِفاظ، فقاتلوا حتّى أصيبوا إلا قليلاً، فجعل شُريح يرتجز يومئذ ويقول:

أصبحتُ ذا بَثٍّ أُقاسي الكِبرَا ... قد عِشتُ بين المشركين أعصُرَا
ثمّتَ أدركتُ النبيَّ المُنذِرا ... وبعدَه صِدّيقَهُ وعَمرَا
ويومَ مِهرانَ ويومَ تُستَرَا ... والجَمْعَ في صِفينِهم والنَّهرَا
وباجُمَيْرَاتٍ مع المُشَقَّرا ... هيهاتَ ما أطولَ هذا عُمُرا

فقاتل حتى قُتل في ناس من أصحابه ، ونجا من نجا ، فخرجوا من بلاد رُتْبيل حتى خرجوا منها ، فاستقبلَهم مَن خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة ، فإذا أكلَ أحدُهم وشبع مات ، فلما رأى ذلك الناسُ حذروا يطعمونهم ، ثمّ جعلوا يطعمونهم السَّمْن قليلاً قليلاً ، حتى استمرؤوا. وبلغ ذلك الحجاج ، فأخذه ما تقدّم وما تأخّر ، وبلغ ذلك منه كلّ مبلغ ، وكتب إلى عبد الملك :

أما بعد: فإنّ جُند أمير المؤمنين الذين بسِجستان أصيبوا فلم يَنج منهم إلا القليل ، وقد اجترأ العدوّ بالذي أصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادَهم ، وغلبوا على حصونهم وقصورهم ، وقد أردت أن أوجّه إليهم جنداً كثيفاً من أهل المِصرَين ، فأحببتُ أن أستطلع رأيَ أمير المؤمنين في ذلك فإنْ رأى لي بعثةَ ذلك الجند أمضيتُه ، وإن لم يَرَ ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنده ، مع أني أتخوّف إن لم يأت رُتْبيل ومن معه من المشركين جندٌ كثيف عاجلاً أن يستوْلُوا على ذلك الفَرْج كلِّه[1]. (٦/ ٣٢٢ ـ ٣٢٤).

ثم دخلت سنة ثمانين ذكر الأحداث الجليلة التي كانت في هذه السنة

تسيير الجنود مع ابن الأشعث لحرب رتبيل

وفي هذه السنة وجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك ، وقد اختلف أهل السير في سبب توجيهه إياه إليها ، وأين كان عبدُ الرحمن يومَ ولاّه الحجّاج سجستان وحرب رُتْبيل؛ فأما يونس بن إسحاق ـ فيما حدّث هشام ، عن أَبي مِخنَف عنه ـ فإنه ذَكر أنّ عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحجّاج بن يوسف بخبر الجيش الذي كان مع عُبيدالله بن أبي بَكْرة في بلاد رُتْبيل وما لَقُوا بها كتب إليه: أما بعد ، فقد أتاني كتابُك تَذكُر فيه مُصاب

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

المسلمين بسجستانَ وأولئك قومٌ كَتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وعلى الله ثوابهم . وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنود وإمضائها إلى ذلك الفرْج الذي أصيب فيه المسلمون أو كفها ، فإنّ رأيي في ذلك أن تُمضِيَ رأيَك راشداً موفَّقاً .

وكان الحجّاج وليس بالعراق رجلٌ أبغضَ إليه من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان يقول: ما رأيته قطّ إلا أردتُ قتلَه[1] . (٦/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) .

قال أبو مِخنَف: فحدّثني نمير بن وَعْلة الهَمْداني ، ثم النياعيّ عن الشعبيّ ، قال: كنت عند الحجاج جالساً حين دخل عليه عبدُ الرحمن بنُ محمد ابن الأشعث ، فلما رآه الحجاج قال: انظر إلى مشيَته ، والله لَهممتُ أن أضربَ عنقه . قال: فلما خرج عبد الرّحمن خرجت فسبقتُه وانتظرته على باب سعيد بن قيس السَبيعيّ ، فلما انتهى إليّ قلت: ادخل بنا الباب ، إني أريد أن أحدثك هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجّاج . فقال: نعم ، فأخبرتُه بمقالة الحجاج له؛ فقال: وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاول أن أزِيلَهَ عن سلطانه ، فأجهَد الجهد إذ طال بي وبه بقاء .

ثمّ إنّ الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ، وعشرين ألف رجل من أهل البَصْرة ، وجدّ في ذلك وشمّر ، وأعطى الناس أعطياتَهم كمَلاً ، وأخذهم بالخيول الرّوائع ، والسلاح الكامل ، وأخذ في عرض الناس ، ولا يرى رجلاً تُذكرَ منه شجاعةٌ إلا أحسن معونَته ، فمرّ عبيد الله بن أبي محْجن الثقفيّ على عباد بن الحصين الحَبَطيّ ، وهو مع الحجاج يريد عبد الرحمن بن أم الحَكمَ الثقفيّ ، وهو يَعرض الناس ، فقال عبّاد: ما رأيت فرساً أرْوعَ ولا أحسن من هذا ، وإنّ الفرس قوّة وسلاح وإنّ هذه البغلة عَلَنْداة ، فزاده الحجاج خمسين وخمسمئة درهم ، ومرّ به عطية العنبريّ ، فقال له الحجاج؛ يا عبد الرّحمن ، أحسنْ إلى هذا . فلما استتَبّ له أمرُ ذَيْنك الجندَين ، بعث الحجاج عطارد بن عمرَ التميميّ فعَسكرَ بالأهواز ، ثمّ بعث عُبيد الله بن حجَر بن ذي الجوشن العامريّ من

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

بني كلاب. ثم بدا له، فبعث عليهم عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعث وعزل عبيد الله بن حجر، فأتَى الحجاجَ عمُّه إسماعيلَ بن الأشعث، فقال له: لا تبعثه فإني أخاف خلافَه، والله ما جازَ جسر الفرات قطّ فرأى لوالٍ من الوُلاة عليه طاعةً وسلطاناً. فقال الحجاج: ليس هناك، هُو لي أهيَب وفيَّ أرغَب من أن يخالف أمري أو يخرج من طاعتي؛ فأمضاه على ذلك الجيش، فخرج بهم حتى قدم سِجستان سنة ثمانين؛ فجمع أهلَها حين قَدِمَها[1]. (٦/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨).

قال أبو مِخنَف: فحدّثني أبو الزّبير الأرحَبيّ ـ رجل من هَمْدان كان معه ـ أنه صَعد منبرَها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنّ الأمير الحجّاج ولاّني ثغرَكم، وأَمَرَني بجهاد عدوّكم الذي استباح بلادكم وأباد خيارَكم، فإياكم أن يتخلّف منكم رجل فيُحل بنفسه العقوبة، اخرجُوا إلى معسكركم فعسكروا به مع الناس. فعسكر الناسُ كلهم في معسكرهم ووضعت لهم الأسواق، وأخذ الناس بالجهاز والهيئة بآلة الحرب، فبلغ ذلك رُتبيل، فكتَبَ إلى عبد الرحمن بن محمد يعتذر إليه من مُصاب المسلمين ويخبره أنه كان لذلك كارهاً، وأنهم ألجؤوه إلى قتالهم، ويسأله الصّلح ويَعرض عليه أن يَقبلَ منه الخراج، فلم يُجبه، ولَم يقبَل منه. ولَم ينشب عبد الرحمن أن سار في الجنود إليه حتى دخل أوّل بلاده، وأخذ رُتْبيل يضمّ إليه جندَه، ويدع له الأرض رُستاقاً رستاقاً، وحصناً حصناً، وطفق ابن الأشعث كلما حوَى بلَداً بعث إليه عاملاً، وبعَثَ معه أعواناً، ووضع البُرُد فيما بين كل بلد وبلد، وجعل الأرصاد على العِقاب والشعاب، ووضع المَسالح بكلّ مكان مخوف، حتى إذا جاز من أرضه أرضاً عظيمة، وملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة، حبس الناسَ عن الوُغول في أرض رُتْبيل وقال: نكتفي بما أصبْناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها، وتجترئَ المسلمون على طُرقها، ثمّ نتعاطى في العام المقبل ما وراءها، ثمّ لم نزل نتنقّصهم في كلّ عام طائفةً من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريِّهم، وفي أقصى بلادهم، وممتنَع حصونهم، ثم لا نزايل بلادهم حتى يُهلكهم الله.

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ثم كتب إلى الحجّاج بما فتح الله عليه من بلاد العدوّ ، وبما صنع الله للمسلمين ، وبهذا الرأي الذي رآه لهم. (٦/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩).

وأما غيرُ يونس بن إسحاق وغيرُ من ذكرت الرواية عنه في أمر ابن الأشعث فإنه قال في سبب ولايته سجستانَ ومسيره إلى بلاد رُتْبيل غير الذي رويت عن أبي مخنَف ، وزَعم أَن السبب في ذلك كان أن الحجاجِ وجّه هميان بن عديّ السدوسيّ إلى كرمانَ ، مَسلَحة لها ليمد عاملَ سجستانَ والسِّند إن احتاجا إلى مَدَد ، فعصى هِمْيان ومن معه ، فوجّه الحجاج ابن الأشعث في محاربته فهزمه ، وأقام بموضعه[1]. (٦/ ٣٢٩).

ومات عُبيد الله بن أبي بَكْرة ، وكان عاملاً على سِجستان ، فكتب الحجاج عهدَ ابن الأشعث عليها ، وجهّز إليها جيشاً أنفق عليهم ألفَي ألف سوى أعطياتهم ، كان يُدعى جيش الطواويس ، وأمره بالإقدام على رُتْبيل(٦/ ٣٢٩).

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ذكر ماكان فيها من الأحداث

ذكر الخبر عن مقتل بَحِير بن ورقاءَ بخراسان

وفي هذه السنة قُتل بحير بن ورقاء الصُّريميّ بخُراسان.

ذكر الْخبر عن مقتله :

وكان سببُ قتله أنّ بَحيراً كان هو الذي تولى قَتل بُكَير بن وشاح بأمرِ أمية بن عبد الله إياه بذلك ، فقال عثمان بنُ رجاء بن جابر بن شدّاد أحدُ بني عَوف بن سعد من الأبناء يحضّ رجلاً من الأبْناء من آل بُكَير بالوِتْر :

لعَمْري لَقَدْ أَغْضَيْتَ عَيْناً عَلَى القَذَى ... وبِتَّ بَطِيناً مِن رَحِيقٍ مُرَوَّقِ

وخَلَّيْتَ ثَأراً طُلَّ واختَرتَ نَوْمةً ... ومَن شرب الصَّهْبَاءَ بالوِتْرِ يُسْبَقِ

فلو كنْتَ مِنْ عوْفِ بن سعدٍ ذُؤابَةً ... تركْتَ بَحِيراً في دَم مُتَرَقرِقِ

فقل لبَحِيرٍ نَمْ ولا تخشَ ثائراً ... بعَوفٍ فعوفٌ أهلُ شاةٍ حَبَلَّقِ

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

دَع الضأْنَ يوماً قد سُبِقْتُم بوِترِكمْ وصرتُم حَدِيثاً بيْنَ غَربٍ ومَشْرقِ
وَهُبّوا فلو أَمسى بُكَيْرٌ كعَهْدِهِ صحيحاً لَغَاداهم بِجَأْواءَ فَيلَقِ

وقال أيضاً:

فلو كان بكرٌ بارِزاً في أَداتِهِ وذي العَرْشِ لم يُقْدِم عليه بَحِيرُ
ففي الدهر إنْ أَبْقَانِيَ الدّهرُ مَطلَبٌ وفي الله طَلّابٌ بذاكَ جديرُ

وبلغ بَحِيراً أنّ الأبناء يتوعّدونه، فقال:

توعَّدني الأَبناءُ جَهْلاً كأَنما يَرَون فِنائِي مُقْفِراً من بني كعبِ
رفَعْتُ له كفي بحدّ مُهنَّد حُسامٍ كلون المِلح ذي رَوْنَقٍ عَضْبِ

فذكر عليّ بنُ محمد، عن المفضّل بن محمد، أن سبعة عشر رجلاً من بني عوف بن كعب بن سعد تعاقَدوا على الطلب بدم خُراسان، فنظر إلى بحير واقفاً، فشدّ عليه فطعنه فصرَعه، فظن أنه قد قتله، وقال الناس: خارجيّ، فراكَضَهم، فعثَر فرسُه فندَر عنه فقُتِل.

ثمّ خرج صَعْصعة بن حُرب العَوْفيّ، ثمّ أحد بني جُندُب، من البادية وقد باع غُنَيْماتٍ له، واشترى حماراً، ومضى إلى سِجستانَ فجاور قَرابةً لبَحِير هناك ولاطَفهم، وقال: أنا رجل من بني حنيفة من أهل اليمامة، فلم يَزلْ يأتيهم ويجالسُهم حتى أنِسوا به، فقال لهم: إنّ لي بخُراسان ميراثاً قد غُلبتُ عليه، وبلغني أنّ بَحيراً عظيمُ القَدْر بخُراسان، فاكتُبوا لي إليه كتاباً يُعينُني على طلب حقي، فكتبوا إليه، فخرج فقَدِم مَرْوَ والمهلّب غازٍ. قال: فلقيَ قوماً من بني عوف، فأخبرَهم أمرَه، فقام إليه مولىً لبكير صَيْقَل فقبّل رأسه، فقال له صعصعة: اتخذ لي خِنجراً فعمل له خنجراً وأحماه وغَمَسه في لَبَنِ أتانٍ مِراراً، ثمّ شخَص من مَرْوَ فقطع النهر حتى أتى عسكرَ المهلب وهو بأخرون يومئذ، فلقي بَحيراً بالكتاب، وقال: إني رجل من بني حنيفة، كنتُ من أصحاب ابن أبي بَكْرة، وقد ذهب مالي بسِجِستان، ولي ميراثٌ بمَرْو، فقدِمت لأبيعَه، وأرجع إلى اليمامة.

قال: فأمر له بنفقة وأنزله معه، وقال له: استعن بي على ما أحببتَ، قال: أقيمُ عندَك حتى يقفُل الناسُ، فأقام شهراً أو نحواً من شهرٍ يحضُر معه بابَ المهلَّب ومجلسه حتى عرف به، قال: وكان بحِير يخاف الفتْك به، ولا يأمن أحداً، فلما قَدِم صعصعةُ بكتابِ أصحابه قال: هو رجلٌ من بكر بن وائل،

فأمنه ، فجاء يوماً وبحير جالس في مجلس المهلّب ، عليه قميص ورداء ونعلان ، فقعد خلفه ، ثمّ دنا منه ، فأكبّ عليه كأنه يكلمه ، فوَجأه بخِنجره في خاصرته ، فغيّبه في جوفه ، فقال الناس: خارجيّ! فنادَى: يالَثارات بُكير ، أنا ثائر ببكير! فأخذه أبو العَجْفاء بن أبي الخَرْقاء ، وهو يومئذ على شُرَط المهلب ، فأتيَ به المهلّب فقال له: بُؤساً لك! ما أدركتَ بثأرك ، وقتلتَ نفسَك ، وما على بَحِيرِ بأس ، فقال: لقد طعنته طعنةً لو قُسمتْ بين الناس لمَاتُوا ، ولقد وجدتُ ريح بطنِه في يدِي ، فحَبَسه فدخل عليه السجن قومٌ من الأبناء فقبّلوا رأسَه ، قال: ومات بَحِير من غد عند ارتفاع النهار ، فقيل لصَعْصعة: مات بَحير ، فقال: اصنَعوا بي الآن ما شئتم ، وما بدا لكم ، أليس قد حلّت نُذورُ نساء بني عوف ، وأدركتُ بثأري! لا أبالي ما لقيت ، أما والله لقد أمكنني ما صنعتُ خالياً غَيْرَ مرّة ، فكرهت أن أقتلَه سرّاً؛ فقال المهلّب: ما رأيتُ رجلاً أسخَى نفساً بالمَوت صبراً من هذا؛ وأمرَ بقتله أبا سُوَيقة ابن عمّ لبَحِير ، فقال له أنس بن طلق: وَيحك! قتِل بحير فلا تقتلوا هذا ، فأبى وقَتَله ، فشتمَه أنس.

وقال آخرون: بعث به المهلّب إلى بَحِير قبل أن يموت ، فقال له أنَس بن طَلْق العَبْشَميّ: يا بحير ، إنك قتلتَ بكيراً ، فاستحْي هذا ، فقال بحير: أدنوه منّي ، لا والله لا أموت وأنت حيّ ، فأدنَوْه منه ، فوضع رأسَه بين رجليه وقال: اصبِر عفاق ، إنه شرّ باق ، فقال ابن طلحة لبَحِير: لعنك الله! أكلّمك فيه وتقتله بين يديّ! فطعنه بَحِير بسيفِه حتى قتلَه ومات بَحِير ، فقال المهلب: إنا لله وإنا إليه راجعون ، غزوَة أصيبَ فيها بَحِير؛ فَغَضب عوف بنُ كعب والأبناء وقالوا: علام قُتِل صاحبنا ، وإنما طلب بثأره! فنازعتهم مُقاعس والبُطون حتى خاف الناس أن يَعظُم البأس ، فقال أهلُ الحِجَى: احِملوا دمَ صَعْصَعة ، واجْعَلوا دمَ بحير بَواءً ببُكيْر فوَدَوا صَعْصعة ، فقال رجل من الأبناء يمدَح صعصعة:

لله دَرُّ فتـــىً تجَـــاوزَ هَمّـــهُ ... دونَ العِـــرَاق مَفَـــاوِزاً وبُحُـــورَا

مـــا زال يَـــدْأَبُ نَفْسَـــهُ ويكُـــدُّهـــا ... حتَّـــى تَنَـــاولَ فـــي خَـــرُونَ بَحيـــرَا

قال: وخرج عبدُ ربّه الكبير أبو وَكيع ، وهو من رَهْط صَعْصعة إلى البادية ، فقال لرَهْط بُكَير: قُتِل صعصعة بطَلَبه بدمِ صاحبكم ، فودَوْه ، فأخذ لصعصعة دِيتَين. (٦/ ٣٣١ ـ ٣٣٤).

* * *

ذكرَ هشامٌ عن أبي مِخنَف قال: قال أبو المُخارِق الراسبيّ: كتب الحجّاج إلى عبد الرحمن بن محمد جواب كتابه:

أما بعد، فإن كتابك أتاني، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه، وكتابُك كتاب امرئٍ يحبّ الهدْنة، ويستريح إلى الموادَعة، قد صانع عدوّاً قليلاً ذليلاً، قد أصابوا من المسلمين جُنداً كان بلاؤهم حَسناً، وغَناؤهم في الإسلام عظيماً، لعمرُك يا بن أمّ عبد الرحمن؛ إنك حيث تكفّ عن ذلك العدوّ بجُندي وحَدّي لسخِيُّ النفس عمّن أصيب من المسلمين، إني لم أعدد رأيكَ الذي زعمت أنك رأيته رأيَ مكيدة، ولكني رأيتُ أنه لم يحملك عليه إلا ضَعفك، والتياثُ رأيك، فامضِ لما أمرتك به من الوغول في أرضهم، والهدمِ لحصونهم، وقتلِ مُقاتلتِهم، وسَبْي ذراريِّهم.

ثم أَردَفه كتاباً فيه:

أما بعد، فمُرْ مَن قِبلَك من المسلمين فليحرُثوا وليقيموا، فإنها دارُهم حتى يَفتَحها الله عليهم.

ثمّ أردفه كتاباً آخر فيه:

أما بعد، فامضِ لما أمرتكَ به من الوغول في أرضهم، وإلاّ فإن إسحاق بن محمّد أخاك أمير الناس، فخلّه وما وُلِّيَتَهُ.

فقال حين قرأ كتابَه: أنا أحمِل ثقل إسحاق؛ فعرَض له، فقال: لا تَفعل، فقال: وربّ هذا ـ يَعني المُصحَف ـ لئن ذكرتَه لأحد لأقتلنّك، فظنّ أنه يريد السيف، فوضع يده على قائم السيف، ثمّ دعا الناسَ إليه، فحَمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني لكم ناصح، ولصلاحِكم مُحِبّ، ولكم في كل ما يُحيط بكم نفعُه ناظر، وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوّكم رأيٌ استشرتُ فيه ذوي أحلامِكم، وأولي التجربة للحَرْب منكم، فرضُوه لكم رأياً، ورأوْه لكم في العاجل والآجل صلاحاً، وقد كتبت إلى أميركم الحجّاج، فجاءني منه كتاب يعجّزني ويضعفني، ويأمُرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدوّ، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها بالأمس، وإنما أنا رجل منكم أمضي إذا مضَيتم، وأأبى

إذا أبيتم، فثارَ إليه الناسُ فقالوا: لا، بل نأبَى على عدوّ الله، ولا نَسمَع له ولا نطيع[١]. (٦/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

قال أبو مِخنَف: فحدّثني مطرّف بن عامر بن واثلة الكنانيّ أنّ أباه كان أوّل متكلّم يومئذ، وكان شاعراً خطيباً، فقال بعدَ أنْ حَمِد الله وأثنى عليه:

أما بعد، فإنّ الحجّاج والله ما يَرَى بكم إلا ما رأى القائل الأوّل إذ قال لأخيه: احمِل عبدَك على الفرَس، فإنْ هَلَك هلك، وإن نجا فَلك، إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطرَ بكم فيُقحِمَكم بلاداً كثيرة اللُّهوب واللُّصوب، فإن ظفِرتم فغنمتم أكَلَ البلاد وحازَ المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظَفر عدوّكم كنتم أنتم الأعداء البُغَضاء الذي لا يبالي عنتهم، ولا يبقي عليهم، اخلعوا عدوَّ الله الحجاج، وبايعوا عبدَ الرحمن، فإني أشهدكم أنّي أوّل خالعٍ، فنادَى الناس من كلّ جانب، فعلنا فعلنا، قد خلعْنا عدوّ الله، وقام عبدُ المؤمن بن شَبَث بن ربِعيّ التميميّ ثانياً ـ وكان على شُرْطته حين أقبَل ـ فقال: عبادَ الله، إنكم إنِ أطعتم الحجّاج جعل هذه البلاد بلادَكم ما بقيتم، وجمّركم تجميرَ فرعون الجنود، فإنه بلغني أنه أول من جمّر البعُوث، ولن تعاينوا الأحبّة، فيما أرى أو يموتَ أكثركم، بايِعوا أميرَكم، وانصرِفوا إلى عدوّكم فانفوه عن بلادِكم، فوثَب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه، فقال: تبايعوني على خَلع الحجّاج عدوّ الله وعلى النصرة لي وجِهاده معي حتى ينفيَه الله من أرض العراق، فبايعه الناس، ولم يذكر خلع عبد الملك إذا ذاك بشيء[٢]. (٦/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦).

قال أبو مِخنَف: حدّثني عمر بن ذَرّ القاصّ، أنّ أباه كان معه هنالك، وأنّ ابن محمد كان ضرَبَه وحبَسه لانقطاعه إلى أخيه القاسم بن محمد، فلمّا كان من أمره الذي كان من الخلاف دعاه فحمَلَه وكساه وأعطاه، فأقبَل معه فيمن أقبَل، وكان قاصّاً خطيباً[٣]. (٦/ ٣٣٦).

قال أبو مخنَف: حدّثني سيف بن بشْر العِجليّ، عن المنخّل بن حابس

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٣) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

العبديّ ، أنَّ ابنَ محمّد لما أقبل من سِجستانَ أمّر على بُسْتِ عياضَ بن هيمان البَكريّ ، من بني سَدُوس بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثعلبة ، وعلى زَرْنج عبد الله بن عامر التميميّ ، ثم الدارِميّ ، ثم بعث إلى رُتْبيل ، فصالحه على أنّ ابنَ الأشعث إن ظَهَر فلا خَرَاجَ عليه أبداً ما بَقيَ ، وإن هُزم فأراده ألجأه عندَه[1] . (٦/ ٣٣٦) .

قال أبو مِخنَف : حدثني خُشَينة بنُ الوَليد العبسيّ أنّ عبد الرحمن لمّا خرج من سِجِستَانَ مقبلاً إلى العراق سار بين يديه الأعشَى على فرس ، وهو يقول :

شَطَّتْ نَوَى مَنْ دارُهُ بالإِيوانْ ... إِيوانِ كِسْرى ذي القُرَى والرَّيحانْ
مِنْ عاشِقٍ أَمسَى بزَابُلِسْتَانْ ... إنَّ ثقيفاً منهمُ الكذَّابانْ
كذَّابُهَا الماضِي وكذابٌ ثانْ ... أمكَنَ ربِّي من ثقيفٍ هَمْدانْ
يوماً إلى الليل يُسَلّى ما كانْ ... إنّا سَمَوْنا للكَفُورِ الفَتَّانْ
حينَ طَغَى في الكفرِ بعدَ الإِيمانْ ... بالسَّيّدِ الغِطْرِيفِ عبدِ الرّحمٰنْ
سارَ بجمْعٍ كالدَّبَى من قَحْطانْ ... ومِن مَعَدٍّ قد أتى ابنُ عَدْنانْ
بِجَحْفَلٍ جَمٍّ شديدِ الإِرْنَانْ ... فقلْ لحجَّاجٍ وليِّ الشيطانْ
يثبُتْ لِجَمْعِ مَذْحِجٍ وَهَمْدانْ ... فإنَّهمْ ساقُوه كأسَ الذَّيْفَانْ

ومُلحِقُوهُ بقُرَى ابنِ مَرْوَانْ

قال : وبعَث على مقدمته عطية بن عمرو العنبريّ ، وبعث الحجاج إليه الخيل ، فجعل لا يَلقَى خيلاً إلا هزمَها ، فقال الحجاج : من هذا؟ فقيل له : عطيّة ، فذلك قولُ الأعشى :

فإذا جَعلتَ دُرُوبَ فا ... رِسَ خَلْفَهُمْ دَرْباً فَدَرْبَا
فابْعَثْ عطِيَّةَ في الخُيو ... لِ يَكُبُّهُنَّ عَلَيْكَ كَبَّا

ثمّ إن عبد الرحمن أقبل يسير بالناس ، فسأل عن أبي إسحاق السَّبيعيّ ، وكان قد كتبه في أصحابه ، وكان يقول : أنت خالي ، فقيل له : ألا تأتيه فقد سأل عنك! فكرِه أن يأتيَه ، ثمّ أقبل حتى مرّ بكَرْمان فبعث عليهم خَرَشة بن عمرو التميميّ ، ونزل أبو إسحاق بها ، فلم يدخل في فتنته حتى كانت الجماجم ، ولما دخل الناسُ فارسَ اجتمع الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا : إنا إذا خلعنا الحجّاجَ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

عاملَ عبد الملك فقد خلعْنا عبدَ الملك؛ فاجتمعوا إلى عبد الرحمن، فكان أول الناس[1]. (٦/ ٣٣٧ـ٣٣٨).

قال أبو مخنف فيما حدثني أبو الصلت التيمي: خلع عبد الملك بن مروان تيحانُ بن أبْجر من بني تيم الله بن ثعلبة، فقام فقال: أيها الناس، إني خلعت أبا ذِبَّان كَخلْعي قميصِي، فخلعه الناسُ إلاّ قليلاً منهم، ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه، وكانت بيعتُه: تُبايعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحِلِّين، فإذا قالوا: نعم بايَع، فلما بلغ الحجّاج خلعُه كتب إلى عبد الملك يخبره خبرَ عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه، وبعث كتابه إلى عبدِ الملك يتمثّل في آخره بهذه الأبيات، وهي للحارث بن وَعْلة:

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرْمٍ هل جَنَيْتُ لهمْ حَـرْبـاً تُفَـرِّقُ بيـن الجِيـرَةِ الخُلُـطِ
وهــلْ سمَــوْتُ بِجَـرَّارٍ لــه لَجَــبٌ جَـمٍّ الصَّـوَاهِـلِ بيـن الجـمِّ والفُـرُط
وهـل تـركـتُ نسـاءَ الحَـيِّ ضـاحيـةً في سَاحَةِ الدّار يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ

وجاء حتى نزل البصْرة، وقد كان بلغ المهلبَ شقاق عبد الرحمن وهو بسِجِسْتان، فكتب إليه:

أما بعد، فإنك وضعتَ رجْلك يا بن محمد في غَرْز طويل الغَيّ على أمة محمد ﷺ، اللهَ الله فانظر لنفسك لا تُهلِكْها؛ ودماء المسلمين فلا تَسفِكْها، والجماعة فلا تفرّقها، والبَيعة فلا تَنكُثْها، فإن قلتَ: أخاف الناس على نفسِي فالله أحقّ أن تخافه عليها من الناس، فلا تُعرّضها لله في سَفْك دم، ولا استحلال محرّم والسلام عليك.

وكتَبَ المهلّب إلى الحجّاج:

أما بعد فإنّ أهلَ العراق قد أقبلوا إليك وهم مِثل السَّيْل المنحدر من عَل، وليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره، وإنّ لأهل العراق شِرَّةً في أوّل مخرجهم، وصَبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يردّهم حتى يَسقُطوا إلى

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

أهليهم ، ويشمّوا أولادهم ، ثمّ واقِفهم عندها ، فإنّ الله ناصرُك عليهم إن شاء الله .

فلما قرأ كتابَه قال: فعَل الله به وفَعل ، لا والله ِمالي نَظَر ، ولكنْ لابن عمّه نَصَح ، لما وقع كتابُ الحجاج إلى عبد الملك هاله ثمّ نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بنِ معاوية ، ودعاه فأقْرأه الكتاب ، ورأى ما به من الجَزع ، فقال: يا أميرَ المؤمنينِ ، إنْ كان هذا الحدث من قِبَل سِجستان ، فلا تَخفه ، وإن كان من قِبَل خُراسانَ تخوّفته ، قال: فخرج إلى الناس فقام فيهم فَحِمد الله وأثنَى عليه ثم قال:

إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجَلوا قَدَرِي ، اللهم سلط عليهم سيوفَ أهل الشام حتى يَبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سُخْطك . ثمّ نزل .

وأقام الحجّاجُ بالبَصْرة وتجهّز ليَلقَى ابنَ محمّد ، وترك رأيَ المهلب وفُرسان الشام يسقُطون إلى الحجاج ، في كلّ يوم مئة وخمسون وعشرة وأقلّ على البُرد من قبَل عبد الملك ، وهو في كلّ يوم تَسقُط إلى عبدِ الملك كتُبه ورُسله بخبر ابن محمد أيَّ كورة نَزَل ، ومن أيّ كورة يَرتحِل ، وأيُّ الناس إليه أسرَع[١] . (٦/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) .

قال أبو مخنَف: حدّثني فُضيل بن خديج أنّ مكتبه كان بكَرْمان ، وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فلما مرّ بهم ابن محمد بن الأشعث ، انجَفلوا معه ، وعزم الحجاج رأيه على استقبال ابن الأشعث ، فسار أهل الشام حتى نزل تُسْتَر ، وقدم بين يديه مطهر بن حرّ العكّيّ ـ أو الجُذاميّ ـ وعبد الله بن رُمَيْثة الطائيّ ، ومطهّر على الفريقين ، فجاؤوا حتى انتهوْا إلى دُجَيْل وقد قطَع عبد الرحمن بن محمد خيلاً له ، عليها عبد الله بن أبان الحارثيّ في ثلاثمئة فارس ـ وكانت مَسلحةً له وللجُند ـ فلما انتهى إليه مطهّر بن حرّ أمَرَ

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

عبد الله بن رُمَيثة الطائيّ فأقدَم عليهم ، فهزمتْ خيلُ عبد الله حتى انتهتْ إليه ، وجُرح أصحابه[١] . (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) .

قال أبو مِخنف: فحدّثني أبو الزبير الهمْداني ، قال: كنت في أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثمّ قال: اعبُروا إليه من هذا المكان ، فأقحم الناسُ خيولَهم دُجيلَ من ذلك المكان الذي أمرهم به ، فوالله ما كان بأسرَع من أن عَبَرَ عُظْم خيولِنا ، فما تكاملت حتى حملْنا على مطهّر بن حرّ والطائيّ فهزمناهما يوم الأضحى في سنة إحدى وثمانين وقتلناهم قَتْلا ذريعاً ، وأصبنا عسكرَهم ، وأتت الحجاجَ الهزيمةُ وهو يخطُب ، فصَعِد إليه أبو كعب بن عبيد بن سَرْجِس فأخبَره بهزيمة الناس ، فقال: أيّها الناس ، ارتحِلوا إلى البصرة إلى معسَكر ومقاتَل وطعام ومادّة ، فإنّ هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند ، ثمّ انصرفَ راجعاً وتبعتْه خيولُ أهل العراق ، فكلما أدركوا منهم شاذّاً قتَلوه ، وأصابوا ثِقْلاً حوْه ، ومضى الحجاج لا يَلوى على شيء حتى نزل الزاوية وبعث إلى طعامِ التجار بالكلاّء فأخذه فحَمله إليه ، وخلّى البَصرةَ لأهل العراق ، وكان عامله عليها الحَكم بن أيّوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفيّ ، وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة ، وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصّدمة وأقبل راجعاً دعا بكتاب المهلّب ، فقرأه ثمّ قال: لله أبوه! أيّ صاحب حرب هو! أشار علينا بالرأي ، ولكنّا لم نقبل[٢] . (٦/ ٣٤٠) .

وقال غيرُ أبي مِخنَف: كان عامل البصرة يومئذ الحَكم بن أيّوب على الصّلاة والصدقة ، وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشُّرَط ، فسار الحجاج في جيشه حتى نزل رُسْتُقْباذ وهي من دَسْتَوَى من كور الأهواز ، فعَسكر بها ، وأقبل ابنُ الأشعث فنزل تُسْتَر ، وبينهما نهر ، فوجّه الحجاج مُطَهّر بنَ حرّ العَكيّ في ألفي رجل ، فأوقعوا بمسلحة لابن الأشعث ، وسار ابن الأشعث مبادراً ، فواقَعهم ، وهي عشيّةُ عرفَة من سنة إحدى وثمانين فيقال: إنهم قَتلوا من أهل الشام ألفاً وخمسمئة ، وجاءه الباقون منهزمين ، ومعه يومئذ مئةً وخمسون ألف ألف ، ففرّقها في قُوّاده ، وضمّنهم إياها ، وأقبل منهزِماً إلى البَصْرة ، وخطب

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

ابن الأشعث أصحابَه فقال: أما الحجّاج فليس بشيء، ولكنا نريد غزوَ عبدِ الملك، وبلغ أهلَ البصرة هزيمةُ الحجّاج، فأراد عبدُ الله بنُ عامر بن مِسمَع أن يقطع الجِسر دونَه، فرَشاه الحَكم بن أيّوبَ مئة ألف، فكفّ عنه، ودخل الحجاج البَصرة، فأرسل إلى ابن عامر فانتزع المئةَ الألف منه. (٦/ ٣٤٠ ـ ٣٤١).

رَجْع الحديث إلى حديث أبي مِخنَف عن أبي الزبير الهَمْدانيّ.

فلما دخل عبدُ الرحمن بنُ محمد البَصرة بايعه على حرب الحجاج، وخلْع عبدِ الملك جميعُ أهلها من قُرّائها وكُهولها، وكان رجل من الأزد من الجَهاضِم يقال له عُقْبة بن عبد الغافر له صحابة، فنزا فبايع عبد الرحمن مستبصراً في قتال الحجاج، وخَنْدق الحجّاجُ عليه، وخندقَ عبدُ الرحمن على البصرة، وكان دخولُ عبدِ الرحمن البَصرة في آخر ذي الحجة من سنة إحدى وثمانين[1]. (٦/ ٣٤١).

* * *

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبدِ الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية.

ذكر هشامُ بنُ محمد، عن أبي مخنَف، قال: حدّثني أبو الزّبير الهَمْدانيّ قال: كان دخولُ عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة، واقتتلوا في المحرّم من سنة اثنتين وثمانين، فتزاحفوا ذاتَ يوم، فاشتدّ قتالهم، ثمّ إن أهل العراق هزموهم حتى انتهوْا إلى الحجاج، وحتى قاتلوهم على خنادِقهم، وانهزمتْ عامة قريش وثَقيف، حتى قال عبيد بن مَوهَب مولى الحجاج وكاتبه:

فــر البَــراءُ وابــن عَمِّــهِ مُصْعــبٌ وفــرَّتْ قــريــشٌ غيْــرَ آل سَعِيــد

ثمّ إنهم تزاحَفوا في المحرّم في آخره في اليوم الذي هزمَ فيه أهلُ العراقِ أهلَ الشام، فنكصتْ ميمنتهم وميسرتهم، واضطربتْ رِماحهم، وتقوّض صفّهم؛ حتى دَنوا منّا فلما رأى الحجاج ذلك جثا على ركْبتيه، وانتَضى نحواً من شِبر من سيْفه، وقال: لله دَرّ مُصْعَب! ما كان أكرمه حين نزل به ما نَزَل! فعلمت أنه والله لا يريد أن يفرّ. قال: فغمزتُ أبي بعيني ليأذن لي فيه فأضربَه بسيفي، فغمَزني غمزةً شديدة، فسكنت، وحانتْ مني التفاتة، فإذا سُفيان بنُ الأبرد الكلبيّ قد حَمل عليهم فهزَمهم من قِبَل الميمنة، فقلتُ: أبِشر أيُّها الأمير، فإنّ الله قد هَزَم العدوّ، فقال لي: قم فانظر؛ قال: فقمتُ فنظرت؛ فقلتُ: قد هزمهم الله، قال: قُمْ يا زياد فانظر؛ قال: فقام فنظر فقال: الحقّ أصلحك الله يقيناً قد هُزِموا، فخرّ ساجداً، فلما رجعت شتمني أبي وقال: أردتَ أن تُهلِكني وأهل بيتي.

وقتل في المعركة عبد الرحمن بن عَوْسجة أبو سُفْيان النهميّ، وقتِل عقبة بن عبد الغافر الأزديّ ثمّ الجهضميّ في أولئك القرّاء في رِبْضة واحدة، وقُتِل عبد الله بن رِزام الحارثيّ، وقُتِل المنذرُ بنُ الجارود، وقُتل عبد الله بن عامر بن مسمَع، وأُتيَ الحجاجُ برأسه، فقال: ما كنتُ أرى هذا فارقني حتى جاءني الآن برأسه؛ وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلاً يومئذ فقتَله، وزعموا أنه كان مولىً للفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان شجاعاً

يُدعَى نُصَيراً ، فلما رأى مشيتَه بين الصفَّين ، وكان يلومه على مِشْيته قال: لا ألومُه على هذه المِشْية أبداً.

وقتِل الطفيل بن عامر بن واثلة ، وقد كان قال وهو بفارسَ يُقبل مع عبد الرحمن من كَرْمان إلى الحجاج :

أَلا طَرَقَتْنا بالغَريَّيْنِ بَعدَما	كلِلْنَا على شَحْط المَزارِ جَنُوبُ
أَتوْكَ يقُودُون المَنايا وإنَّمَا	هدَتها بأَوَلاَنا إليك ذُنوبُ
ولا خيْرَ في الدّنيا لِمن لم يكُن لهُ	منَ اللهِ في دَارِ القرَارِ نصيب
ألا أَبلِغ الحجّاج أَنْ قد أَظَلَّهُ	عذاب بأَيْدِي المؤمنينَ مُصيبُ
متى نَهْبط المصرَين يهْرُبْ مُحمّدٌ	ولَيْسَ بِمُنْجِى ابنِ اللعين هرُوبُ

قال: منّيتَنا أمراً كان في علم الله أنَّك أولَى به ، فعجَّلَ لك في الدنيا ، وهو معذبك في الآخرة ، وانهزمَ الناسُ ، فأقبل عبد الرحمن نحوَ الكوفة وتبعه من كان معه من أهلِ الكوفة ، وتَبِعه أهلُ القوّة من أصحاب الخيل من أهل البَصْرة.

ولما مضى عبدُ الرحمن نحوَ الكوفة وَثَب أهل البَصرة إلى عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتَل بهم خمسَ ليال الحجّاج أشدّ قتال رآه الناس ، ثمّ انصرف فلَحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البَصْرة فلَحِقوا به ، وخرجِ الحَرِيش بن هلال السعديّ وهو من بني أنيف الناقة ـ وكان جريحاً ـ إلى سَفوانَ فماتَ من جِراحتِه ، وقُتِل في المعركة زيادُ بنُ مقاتل بن مِسمَع من بني قيس بن ثعلبة ، فقامت حَمِيدة ابنتُه تَندبُه ، وكان على خُمس بكرِ بن وائل مع ابن الأشعث وعلى الرّجال ، فقالت :

وحامَى زيادٌ على رايتَيْهِ	وفرَّ جُدَيُّ بني العَنبَرِ

فجاء البلتَع السعديّ فسمعها وهي تَندُب أباها ، وتعيب التميميّ ، فجاء وكان يبيع سَمْناً بالمِربَد ، فترك سَمْنه عند أصحابه ، وجاء حتى قام تحتها فقال:

علامَ تلُومينَ من لم يُلِمْ	تَطاول لَيْلكِ من مُعْصِرِ!
فإنْ كانَ أَردَى أَباكِ السِّنانُ	فقَدْ تلْحَقُ الخَيْلُ بالمدْبِرِ
وقَدْ تَنْطَحُ الخَيْلُ تحْتَ العَجَا	ج غَيْرَ البريّ ولا المُعْذِرِ
ونَحْنُ منَعْنَا لواءَ الحَرِيشِ	وطاح لواءُ بني جحْدرِ

فقال عامر بن واثلة يرثي ابنَه طُفيلاً :

خَلَّى طُفيلٌ عَلَيَّ الهَمَّ فانشَعَبا وهَدَّ ذلك رُكنِي هَدَّةً عجبَا
وابْنَيْ سُمَيَّةَ لا أنساهما أَبَداً فيمن نسيتُ وكل كان لي نَصَبَا
وأخْطأَتْني المنايا لا تُطَالعُني حتى كبِرْتُ ولم يَتْرُكنَ لي نشَبَا
وكنْتُ بعْدَ طُفَيْلٍ كالذي نَضَبَتْ عنه المِيَاه وفاض الماءُ فانْقَضَبَا
فلا بَعِيرَ لَهُ في الأرضِ يَركَبُهُ وإن سَعى إثر مَنْ قَدْ فاتَهُ لَغَبَا
وسارَ من أَرضِ خاقانَ الَّتي غلَبت أبناءُ فارسَ في أَرْبائها غَلَبَا
ومنْ سِجِستَانَ أَسبابٌ تُزَيِّنُهَا لك المَنِيَّةُ حَيْناً كان مُجْتَلَبَا
حتى وَرَدت حياض الموتِ فانكَشَفتْ عنك الكتائِبُ لا تخفى لها عقبا
وغَادَرُوكَ صريعاً رهْن معْركَةٍ تُرَى النُّسورُ على القتلى بها عُصَبا
تعاهَدُوا ثمَّ لَمْ يُوفُوا بما عَهِدُوا وأَسلَمُوا لِلعَدُوِّ السَّبْيَ والسَّلَبَا
يا سَوءَةَ القَوْمِ إِذْ تُسْبى نِسَاؤُهُمُ وهُمْ كثِيرٌ يَرَونَ الخزيَ والحربَا[١]
(٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٥)

قال أبو مخنَف: فحدّثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفيّ أنّ الحجّاج أقام بقيّة المحرّم وأوّل صفر، ثم استعمل على البَصرة أيّوب بن الحكم بن أبي عقيل، ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة، وقد كان الحجاجُ خلّف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضْرميّ، حليف حَرْب بن أمية على الكوفة[٢]. (٦/ ٣٤٥).

قال أبو مخنَف ـ كما حدّثني يونس بن أبي إسحاق ـ: إنه كان على أربعة آلاف من أهل الشام[٣]. (٦/ ٣٤٥).

قال أبو مخنَف: فحدّثني سهمُ بنُ عبد الرحمن الجُهنيّ أنهم كانوا ألفين، وكان حنظلة بنُ الورّاد من بني رِياح بن يَرْبوع التميميّ وابن عتّاب ابنِ وَرْقاء على المدائن، وكان مطرُ بن ناجية من بني يَرْبوع على المعونة، فلما بلغه ما كان من أمر ابن الأشعث أقبلَ حتى دنا من الكوفة، فتحصّن منه ابنُ الحضْرميّ في القصر، ووثب أهلُ الكوفة مع مطر بن ناجية بابن الحضْرميّ، ومن معه من أهل

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٣) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

الشام ، فحاصَرَهم ، فصالحوه على أن يخرجوا ويخلّوه والقصر ، فصالحهم[(١)] . (٦/ ٣٤٥) .

قال أبو مخنَف : فحدّثني يونسُ بن أبي إسحاقَ أنه رآهم يَنزلون من القصر على العَجَل ، وفتِح باب القصر لمطر بن ناجيةِ ، فازدَحَم الناسُ على باب القصر ، فزُحم مَطر على باب القصر ، فاخترط سيفه ، فضَرَب به جحْفلة بغل من بغالِ أهل الشام ، وهم يخرجون من القصر ، فألقى جحْفلته ودخل القَصْر ، واجتمع الناس عليه فأعطاهم مئتي درْهم ، قال يونس : وأنا رأيتها تُقسَم بينهم ، وكان أبو السقر فيمن أعطِيَها ، وأقبل ابنُ الأشعث منهزماً إلى الكوفة ، وتبعَه الناسُ إليها[(٢)] . (٦/ ٣٤٥) .

وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كانت وقعة دَيْر الجَماجم بين الحجاج وابن الأشعث في قول بعضهم . قال الواقدي : كانت وقعةُ دَيْر الجَماجم في شعبان من هذه السنة ، وفي قول بعضهم : كانت في سنة ثلاث وثمانين .

* ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الأشعث إلى دَيْر الجمَاجم وذكر ما جرى بينه وبين الحجّاج بها :

ذكر هشام عن أبي مخنَف ، قال : حدّثني أبو الزبير الهَمْداني ثمّ الأرجيّ ، قال : كُنت قد أصابتْني جِراحة ، وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابنَ الأشَعث حين أقبل ، فاستقبلوه بعدما جازَ قنطرَة زبارا ، فلما دنا منها قال لي : إن رأيتَ أن تعدل عن الطريق - فلا يرى الناسُ جراحتَك فإني لا أحبّ أن يستقبلهم الجرحى - فافعل ، فعدلتُ ودخل الناسُ ، فلما دخل الكوفة مالَ إليه أهلُ الكوفة كلهم ، وسبقتْ همْدان إليه ، فحفّت به عند دارِ عمرِو بنُ حُرَيث إلا طائفةً من تميم لَيْسوا بالكثير قد أتَوا مطرَ بنَ ناجية ، فأرادوا أن يقاتِلوا دونَه ، فلم يُطيقوا قتالَ الناس ، فدعا عبد الرحمن بالسلاليم والعَجل ، فوُضِعتْ ليَصعدَ الناسُ القَصْر ، فصعِد

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .
(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

الناسُ القصر فأخذوه ، فأتِيَ به عبد الرحمن بن محمد ، فقال له: استبقني فإني أفضلُ فُرسانِك وأعظمُهم عنك غَناء ؛ فأمر به فحُبس ، ثمّ دعا به بعد ذلك فعفا عنه وبايَعه مَطَرٌ ، ودخلَ الناس إليه فبايعوه ، وسَقَط إليه أهلُ البصرة ، وتَقَوَّضَتْ إليه المَسالِح والثغور ، وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن بنُ العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعرِف بذلك ، وكان قد قاتل الحجاج بالبَصْرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثاً ، فبلغ ذلك عبد الملك بنَ مروان ، فقال: قاتل الله عُديّ الرَّحْمن ، إنه قد فرّ! وقاتل غلمانٌ من غِلمان قريشٍ بعده ثلاثاً ، وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البرّ حتى مرّ بين القادسيَة والعُذَيب ، ومَنَعوه من نزول القادسيّة ، وبعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العبّاس في خيل عظيمة من خيل المصرَيْن فمنعوه من نزول القادسيّة ، ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادي السباع ، ثمّ تَسايَروا حتى نزل الحجاج ديرَ قُـرَّة ، ونزل عبدُ الرحمن بنُ العباس ديرَ الجماجم ، ثمّ جاء ابن الأشعث فنزل بديرِ الجمَاجم والحجاج بدير قُرَّة ، فكان الحجاج بعد ذلك يقول: أما كان عبدُ الرحمن يزْجُر الطيرَ حيث رآني نزلتُ ديرَ قُرَّة ، ونزل ديرَ الجماجم!

واجتمع أهلُ الكوفة وأهلُ البَصْرة وأهلُ الثغور والمسالح بدَيْر الجماجم والقرّاء من أهل المِصرَين ، فاجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج ، وجمَعَهم عليه بغضُهم والكراهية له ، وهم إذ ذاك مئة ألف مُقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مَواليهم ، وجاءت الحجاجَ أيضاً أمدادُه من قِبَل عبد الملك من قبل أن ينزل ديرَ قُرَّة ، وقد كان الحجاج أراد قبل أن يَنزِل ديرَ قُرَّة أن يرتفع إلى هِيتَ وناحية الجزيرة إرادةَ أن يقترب من الشام والجزيرة فيأتيَه المددُ من الشام من قريب ، ويقترب من رَفاغة سِعْر الجزيرة ، فلما مرّ بدَيْر قرة قال: ما بهذا المنزل بُعدٌ من أمير المؤمنين ، وإنّ الفلاليج وعين التمر إلى جَنْبنا ، فنزل فكان في عسكره مخندِقاً وابن محمد في عسكره مخندقاً ، والناس يخرجون في كلّ يوم فيقتتلون ، فلا يزال أحدهما يُدنِي خَندقَه نحو صاحبه ، فإذا رآه الآخر خندقَ أيضاً ، وأدنَى خندقه من صاحبه ، واشتدّ القتال بينهم ، فلما بلغ ذلك رؤوس قريش وأهلُ الشام قِبَل عبد الملك ومَواليه قالوا: إن كان إنما يُرْضِي أهل العراق أن يُنزَعَ عنهم الحجاج ، فإنّ نزع الحجاج أيسرُ من حَرْب أهلِ العراق ، فانزِعْه

عنهم تُخْلص لك طاعتُهم ، وتحقن به دِماءنا ودماءَهم ، فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض المَوْصل يأمره بالقدوم عليه ، فاجتمَعا جميعاً عنده؛ كلاهما في جُنْدَيهما؛ فأمرهما أن يَعرِضا على أهل العراق نزعَ الحجّاج عنهم ، وأن يُجرِيَ عليهم أعطياتِهم كما تُجرَى على أهل الشام ، وأن ينزل ابن محمد أيّ بلد من عراق شاءَ ، يكون عليه والياً ما دام حيّاً ، وكان عبد الملك والياً؛ فإن هم قبلوا ذلك عُزل عنهم الحجاج ، وكان محمد بن مروان أمير العراق ، وإنِ أبَوا أن يقبلوا فالحجّاج أميرُ جماعة أهلِ الشام ووليّ القتال ، ومحمد بن مروانَ وعبد الله بن عبد الملك في طاعته ، فلم يأتِ الحجاجَ أمرٌ قطَ كان أشدّ عليه ولا أغيَظ له ولا أوَجعَ لقَلْبه منه مخافةَ أن يقبلوا فيُعزَلَ عنهم ، فكتَب إلى عبد الملك:

يا أميرَ المؤمنين ، والله لئن أعطيتَ أهلَ العراق نَزْعى لا يلبثون إلاّ قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلاّ جرأةً عليك ، ألم تر وتَسمع بوُثوب أهلِ العراق مع الأشتر على ابن عفّان ، فلما سألهم ما يريدون قالوا: نزعَ سعيد بن العاص ، فلما نزعه لم تتمّ لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه! إنّ الحديدَ بالحديدِ يُفْلَح خارَ الله لك فيما ارتأيتِ ، والسلام عليك.

فأبَى عبدُ الملك إلاّ عرضَ هذه الخِصال على أهل العراق إرادةَ العافية من الحَرْب ، فلما اجتمعا مع الحجاج خرج عبدُ الله بن عبد الملك فقال: يا أهل العراق ، أنا عبدُ الله بن أمير المؤمنين ، وهو يُعطيكم كذا وكذا ، فذكَر هذه الخصال التي ذكرْنا ، وقال محمد بنُ مروان: أنا رسولُ أمير المؤمنين إليكم ، وهو يَعرِض عليكم كذا وكذا ، فذكَرَ هذه الخصالَ ، قالوا: نرجع العشيّة ، فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يَبقَ قائدٌ ولا رأس قوم ولا فارسٌ إلاّ أتاه ، فَحمِد الله ابنُ الأشعث وأثنَى عليه ثمّ قالَ:

أما بعد ، فقد أعطِيتم انتهازكم اليوم إياه فرصة ، ولا آمن أن يكون على ذِي الرّأي غداً حَسْرة ، وإنكم اليومَ على النّصف وإن كانوا اعتدّوا بالزاوية فأنتم تعتدّون عليهم بيَوْم تُسْتَرَ فاقبلوا ما عَرضوا عليكم وأنتم أعزّاءُ أقوياءُ ، والقومُ لكم هائبون وأنتم لهم منتقِصون ، فلا واللهِ لا زِلتم عليهم جُرّاء ، ولا زلتمْ عندهم أعزّاء ، إن أنتم قبلتم أبداً ما بقيتم.

فوَثب الناسُ من كل جانب ، فقالوا: إنّ الله قد أهلكهم فأصبحوا في الأزْل والضّنْك والمجاعة والقلّة والذلّة ، ونحن ذوو العَدَد الكثير ، والسعر الرفيغ والمادّة القريبة ، لا والله لا نقبل.

فأعادوا خلعَه ثانية ، وكان عبد الله بن ذواب السلميّ وعمَير بن تيحان أوّل من قام بخلعه في الجمَاجم ، وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم أجمع من خلعهم إياه بفارسَ.

فرجع محمد بنُ مروانَ وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا: شأنَك بعَسْكرك وجندِك فاعمل برأيك ، فإنا قد أمِرْنا أن نَسمَع لك ونطيع ، فقال: قد قلتُ لكما: إنه لا يُراد بهذا الأمر غيرُكما ، ثم قال: إنما أقاتل لكما ، وإنما سلطاني سلطانُكما ، فكانا إذا لَقِياه سلّما عليه بالإمرة ، وقد زَعَم أبو يزيدَ السَّكْسكيّ أنه إنما كان أيضاً يسلّم عليهما بالإمرة إذا لقيَهما ، وخلّياه والحرب فتولاّها[1] . (٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٩).

قال أبو مخنَف: فحدّثني الكلبيّ محمد بن السائب أنّ الناس لما اجتمعوا بالجماجم سمعتُ عبد الرحمن بن محمد وهو يقول: ألا إنّ بني مَرْوان يعيَّرون بالزّرقاء ، والله ما لهم نسبٌ أصحّ منه إلا أن بنى أبي العاص أعلاجٌ من أهل صَفورِيَة ، فإن يكنْ هذا الأمر في قريش فعنّي فُقئتْ بَيضة قريش ، وإن يَك في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس ـ ومدّ بها صوتَه يُسمِع الناسَ ـ وبَـرَزوا للقتال ، فجعل الحجّاجُ على ميمنته عبدَ الرحمنِ بنَ سُليم الكلبيّ ، وعلى ميسرَته عُمارة بن تميم اللّخميّ ، وعلى خَيلِه سُفيان بن الأبرد الكلبي ، وعلى رجّالته عبد الرحمن بن حبيب الحكميّ ، وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجّاج بن جـاريـة الخثعمـيّ ، وعلـى ميسَـرتـه الأبـرد بـن قـرّة التميمـيّ ، وعلـى خَيلِـه عبد الرّحمن بن عباس بن ربيعة بنِ الحارث الهاشميّ ، وعلى رجّالته محمد بن سعد بن أبي وقّاص ، وعلى مجففته عبد الله بن رِزَام الحارثيّ ، وجعل على القرّاء جَبَلة بن زَحْر بن قيس الجعفيّ ، وكان معه خمسةَ عشرَ رجلاً من قريش ،

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

وكـان فيهـم عـامـر الشعبـيّ ، وسعيـد بـنُ جبيـر ، وأبـو البختـريّ الطـائـيّ ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

ثم إنهم أخذوا يتزاحفون في كلّ يوم ويقتتلون؛ وأهل العراق تأتيهم موادّهم من الكوفة ومن سوادِها فيما شاؤوا من خِصبِهم ، وإخوانُهم من أهل البَصْرة وأهل الشام في ضِيق شديد ، قد غلتْ عليهم الأسعار ، وقَلّ عندهم الطعام ، وفَقَدوا اللّحم ، وكانوا كأنهم في حصار ، وهم على ذلك يُغادون أهلَ العراق ويراوِحُونهم ، فيقَتتلون أشدّ القتال ، وكان الحجاجُ يُدنى خندقه مرّة وهؤلاء أخرى ، حتى كان اليوم الذي أصيبَ فيه جَبلة بن زحْر ، ثمّ إنه بعث إلى كُمَيل بن زياد النخعيّ وكان رَجُلاً رَكيناً وقوراً عند الحرب ، له بأس وصوتٌ في الناس ، وكانت كتيبتُه تُدعى كتيبة القرّاء ، يُحمل عليهم فلا يكادون يبرحون ، ويحملون فلا يكذبون ، فكانوا قد عرفوا بذلك ، فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون ، وخرج الناسُ ، فعبّى الحجاج أصحابَه ، ثمّ زحف في صُفوفه ، وخرج ابن محمّد في سبعة صفوف بعضها على أثَر بعض ، وعبّى الحجاج لكتيبة القرّاء التي مع جَبلَة بن زَحْر ثلاث كتائب ، وبعث عليها الجرّاح بن عبد الله الحَكَميّ ، فأقبلوا نحوَهم[1]. (٦/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠).

قال أبو مخنف: حدّثني أبو يزيد السَّكْسَكيّ ، قال: أنا والله في الخيلِ التي عُبِّيت لجبلَة بن زَحْر ، قال: حملْنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات؛ كلّ كتيبة تحمل حَمْلة ، فلا والله ما استنقَصْنا منهم شيئاً[2]. (٦/ ٣٥٠).

ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلّب

وفي هذه السنة تُوُفِّي المغيرةُ بنُ المهلّب بخُراسانَ.

ذكَر عليّ بنُ محمد ، عن المفضل بن محمد ، قال: كان المغيرةُ بنُ المهلب خليفةَ أبيه بمَرْو على عَمله كله ، فمات في رجَب سنة اثنتين وثمانين ، فأتى الخبر يزيد ، وعلمَه أهلُ العسكر فلم يُخبِروا المهلّب ، وأحبّ يزيد أن يبلّغه ، فامر

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

النساء فصرَخْن ، فقال المهلّب : ما هذا؟ فقيل : مات المغيرة ، فاسترْجعَ وجَزِع حتى ظهر جزَعُه عليه ، فلاَمه بعضُ خاصّته ، فدعا يزيدَ فوجّهَه إلى مَرْوَ ، فجعل يُوصِيه بما يَعمَل ودموعه تَنْحدِر على لحيته ، وكتب الحجّاج إلى المهلب يعزّيه عن المغيرة ، وكان سيداً ، وكان المهلب يومَ مات المغيرة مقيماً بكِسّ وراء النهر لحرْب أهلِها .

قال: فسار يزيدُ في ستين فارساً ـ ويقال: سبعين ـ فيهم مُجّاعة بن عبد الرحمن العَتَكيّ ، وعبد الله بن مُعمّر بن سُمير اليَشكريّ ، ودينار السجِسْتانيّ ، والهيثم بن المنخّل الجُرْموزيّ ، وغَزوان الإسكاف صاحب زَمّ ـ وكان أسلَمَ على يد المهلب ـ وأبو محمد الزّميّ ، وعطية ـ مولى لعتيك ـ فلقيَهم خمسمئة من الترك في مَفازةِ نَسَفَ ، فقالوا: ما أنتم؟ قالوا: تجّار؛ قالوا: فأين الأثقال؟ قالوا: قدّمناها؛ قالوا: فأعطُونا شيئاً ، فأبى يَزيد ، فأعطاهم مُجّاعة ثوباً وكرابيسَ وقَوساً ، فانصرَفوا ثمّ غَدرُوا وعادوا إليهم ، فقال يزيد: أنا كنتُ أعلمُ بهم فقاتِلوهم ، فاشتدّ القتال بينهم ، ويزيدُ على فرس قريب من الأرض ، ومعه رجلٌ من الخَوارج كان يزيدُ أخَذه ، فقال: استَبْقني؛ فمنّ عليه ، فقال له: ما عندَك؟ فحمَل عليهم حتى خالطهم ، وصار من ورائِهم وقد قَتَل رَجلاً ، ثمّ كرّ فخالطهم حتى تقدّمهم وقَتَل رجلاً ثمّ رجع إلى يزيدَ ، وقتَل يزيدُ عظيماً من عظمائهم ، ورُمي يزيدُ في ساقه ، واشتدّت شوكتهم ، وهرب أبو محمد الزّميّ ، وصبر لهم يزيدُ حتى حاجَزوهم ، وقالوا: قد غَدرنا ، ولكن لا ننصرف حتى نموتَ جميعاً أو تموتوا أو تُعطونا شيئاً ، فحلف يزيدُ لا يعطيهم شيئاً ، فقال مُجّاعة: أذكّرك اللهَ ، قد هلك المغيرة ، وقد رأيتَ ما دخل على المهلب من مصابه ، فأنشُدك الله أن تصابَ اليومَ!

قال: إنّ المغيرة لم يَعْدُ أجلَه ، ولستُ أعدو أجَلي ، فرمى إليهم مُجّاعة بِعمامة صفراءَ فأخذوها وانصَرَفوا ، وجاء أبو محمد الزّميّ بفوارسَ وطعام ، فقال له يزيد: أسلَمتنا يا أبا محمد؛ فقال: إنما ذهبتُ لأجيئكم بمَدَد وطعام ، فقال الراجز:

يـزيـدُ يـا سَيـفَ أَبـي سعيـدْ	قـد علـمَ الأقـوامُ والجنـودْ
والجمـعُ يَـوم المجمـع المشهـودْ	أنـك يـوم التُّـركِ صَلـبُ العـودْ

وقال الأشقريّ:

والتُّرك تعلمُ إذ لاَقى جُموعَهُمُ أنْ قد لقوهُ شِهاباً يَفرِج الظُّلمَا

بفِتيَةٍ كأُسُودِ الغابِ لم يَجِدوا غيرَ التأسِّي وغيرَ الصبرِ مُعْتَصَمَا

نرى شَرائجَ تَغشى القومَ من علقٍ وما أَرى نبوةً منهمْ ولا كَزَما

وتحتَهُمْ قرَّحٌ يَرْكبْنَ ما ركِبوا من الكريهة حتى ينْتلعن دَمَا

في حازَّةِ الموتِ حتى جنَّ لَيْلُهُمُ كِلاَ الفريقين ما وَلَّى ولا انهزما[1]

(٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢).

* * *

وفي هذه السنة صالَح المهلب أهل كسّ على فِدْية ، ورحلَ عنها يريد مَرْوَ.

ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلّب عن كِسّ:

ذكر عليّ بنُ محمد ، عن المفضّل بن محمد ، أن المهلب اتّهم قوماً من مُضرَ فحبسهم وقَفَل من كِسّ وخَلّفهم ، وخَلّف حريث بنَ قُطْبة مولَى خُزاعة ، وقال: إذا استوفيتَ الفِدْية فرُدَّ عليهم الرُّهُن ، وقطع النَّهر فلما صار ببَلْخَ أقام بها وكَتَب إلى حُرَيث: إني لستُ آمن إن رددت عليهم الرّهُن أن يغيروا عليك ، فإذا قبضتَ الفِديَة فلا تخلّى الرُّهُن حتى تقدم أرض بَلْخ. فقال حُرَيث لِملك كِسّ: إنّ المهلب كتب إليّ أن أحبس الرُّهُن حتى أقدم أرض بَلْخ ، فإن عَجّلت لي ما عليك سلّمتُ إليك رهائنَك ، وسرت فأخبرتُه أن كتابه ورد ، وقد استوفيتُ ما عليكم ، ورددتُ عليكم الرهُن؛ فعجّل لهم صُلحَهم ، وردّ عليهم من كان في أيديهم منهم ، وأقبَل ، فعرَضَ لهم الترك ، فقالوا: افْدِ نفسَك ومن معك ، فقد لقينا يزيدَ بن المهلّب ففدَى نفسه ، فقال حُرَيث: ولَدَتْني إذاً أمّ يزيد! وقاتَلَهم فقَتَلهم ، وأسرَ منهم أسرَى ففدوْهم ، فمنّ عليهم وخلاّهم ، وردّ عليهم الفِداء ، وبلغ المهلّبَ قولُه: ولدتْني أمّ يزيدَ إذاً ، فقال: يأنف العبدُ أن تَلده رَحِمهُ! وغَضِب.

---

(١) المفضل بن محمد غير ثقة في الحديث علاّمة ثقة في التاريخ كما قال الخطيب البغدادي ، وانظر لسان الميزان.

وهو لم يشهد تلك الأحداث إنما يرسل الرواية عنها وقد أخذنا بروايته إذا تابعه آخرون ولم يتابع هنا والله أعلم.

فلما قدم عليه بَلْخَ قال له: أين الرّهُن؟ قال: قبضتُ ما عليهم وخلّيتهُم، قال: ألم أكتبْ إليك ألاّ تخلّيَهم! قال: أتاني كتابُك وقد خليتُهم، وقد كُفيتُ ما خفتَ؛ قال: كذبتَ، ولكنك تقرّبت إليهم وإلى مَلكِهم فأطلعتَه على كتابي إليك، وأمَرَ بتجريده، فجَزِع من التجريد حتى ظنّ المهلبُ أن به برصاً، فجرّده وضَرَبه ثلاثين سَوْطاً، فقال حُرَيث: وَدِدتُ أنه ضربني ثلاثمئة سَوْط ولم يجرّدني، أنَفاً واستِحياء من التجريد، وحلف ليَقتلنّ المهلّب.

فرَكِب المهلب يوماً ورَكِب حُرَيث، فأمر غلامين له وهو يَسيرُ خلفَ المهلّب أن يضرباه، فأبى أحدُهما وتَرَكه وانصرف، ولم يجترئ الآخَر لمّا صار وحده أن يُقدمَ عليه، فلما رجع قال لغلامه: ما منعك منه؟ قال: الإشفاق والله عليك، وواللهِ ما جزعتُ على نفسي، وعلمتُ أنا إنْ قتلناه أنك ستُقتَل ونقتَل، ولكن كان نظري لك، ولو كنت أعلم أنك تسلم مِنْ القَتل لقتلتُه.

قال: فترك حُرَيث إتيانَ المهلّب، وأظهر أنه وَجِعٌ، وبلغ المهلّب أنه تمارَض وأنه يريد الفتك به، فقال المهلب لثابت بن قطبة: جئني بأخيك، فإنما هو كبعض ولدي عِنْدي، وما كان ما كان منّي إليه إلاّ نظراً له وأدباً، ولربما ضربتُ بعضَ ولدي أؤدّبه، فأتى ثابت أخاه فناشَدَه، وسأله أن يركَبَ إلى المهلب، فأبى وخافَه، وقال: واللهِ لا أجيئُه بعدما صَنَع بي ما صَنَع، ولا آمنُه ولا يأمنُني، فلما رأى ذلك أخوه ثابت قال له: أما إنْ كان هذا رأيُك فاخرج بنا إلى موسى بن عبد الله بن خازم، وخاف ثابت أن يَفتِك حريثٌ بالمهلّب فيُقتلون جميعاً؛ فخرجا في ثلاثمئة من شاكريّتهما والمنقطِعين إليهما من العرب[١]. (٦/ ٣٥٢ _ ٣٥٣).

خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة توفي المهلب بن أبي صفرة.

* ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته:

قال عليّ بن محمد: حدّثني المفضّل، قال: مضى المهلب منصرَفَهُ من كِسّ

(١) انظر التعليقة السابقة على الرواية التي مرت آنفاً.

يريد مَرْوَ ، فلما كان بزاغولَ من مَرْو الرُّوذ أصابتْه الشَّوْصة ـ وقوم يقولون: الشوْكة ـ فدعا حبيباً ومَن حضَره من ولده ، ودعا بسهام فحُزمتْ ، وقال: أترونكم كاسرِيها مجتمعةً؟ قالوا: لا ، قال: أفترَوْنكم كاسِريها متفرّقة؟ قالوا: نعم؛ قال: فهكذا الجماعة ، فأوصيكم بتَقْوى الله وصلةِ الرّحِم ، فإن صِلَة الرّحِم تُنسئ في الأجل ، وتُثْرى المال ، وتُكثر العَدَدِ؛ وأنهاكم عن القطيعة ، فإن القطيعة تُعْقِب النار ، وتورِث الذلّة والقِلّة ، فتحابّوا وتواصَلوا ، وأجمِعوا أمرَكم ولا تختَلفوا ، وتبارُّوا تجتمعْ أمورُكم؛ إنّ بني الأمّ يختلفون ، فكيف ببني العَلّات! وعليكم بالطاعة والجماعة ، وليكن فعالُكم أفضل من قولكم ، فإني أحبّ للرجل أن يكون لعمله فضلٌ على لسانه ، واتقوا الجوَابَ وزلّة اللسان ، فإن الرجل تزِلّ قدمُه فينتعِش من زَلته ، ويزِلّ لسانُه فيَهلِك ، اعرِفوا لمَن يغشاكم حقَّه ، فكفى بغَدوّ الرجل ورَواحِه إليكم تذكرةً له ، وآثروا الجُودَ على البُخْل ، وأحِبّوا العَرَب واصطنعوا العُرْف ، فإنّ الرجل من العرب تَعدُه العِدةَ فيموتَ دونَك ، فكيف الصنيعة عندَه! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة ، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإنْ أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوّه قيل: أتى الأمرَ من وَجْهه ، ثمّ ظفِر فحُمد ، وإن لم يَظفر بعد الأناة قيل: ما فرّط ولا ضَيّع ، ولكنّ القضاء غالب ، وعليكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنَن ، وأدب الصّالحين ، وإياكم والخِفة وكثرَة الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفتُ عليكم يزيدَ ، وجعلتُ حبيباً على الجُنْد حتّى يَقدم بهم على يزيد ، فلا تُخالفوا يزيدَ ، فقال له المفضّل: لو لم تقدّمه لقدّمناه.

ومات المهلّب وأوصى إلى حبيب ، فصلّى عليه حبيب ، ثمّ سار إلى مَرْوَ ، وكتب يزيدُ إلى عبد الملك بوَفاةِ المهلب واستخلافهِ إياه ، فأقرّه الحجّاج.

ويقال: إنه قال عند موته ووصيّته: لو كان الأمرُ إليّ لولّيتُ سيد ولدي حبيباً ، قال: وتوفِّيَ في ذي الحِجة سنة اثنتين وثمانين ، فقال نَهارُ بنُ تَوسِعة التميميّ:

أَلاَ ذَهبَ الغزوُ المُقَرِّبُ للغِنَى ... ومات النَّدى والجُودُ بعد المهلَّبِ
أقامَا بمروَ الرُّوذِ رَهنَيْ ضريحِهِ ... وقد غُيِّبَا عن كلّ شرقٍ ومغربِ
إذا قيلَ أيُّ الناسِ أَولى بنعمةٍ ... على الناسِ؟ قلناه ولم نتَهَيَّبِ
أَباحَ لنا سهلَ البلادِ وحزنَها ... بخيلٍ كأَرسالِ القَطَا المُتَسَرِّبِ

يُعــرِّضُهــا للطَّعــنِ حتّــى كــأنَّمــا يجلِّلهــا بــالأرجُــوان المُخضَّــبِ
تُطيـفُ بـه قَحطـانُ قـد عُصِّبـتْ بـه وأحـلافُهـا مـن حـيّ بكـرٍ وتَغلِـبِ
وحَيَّــا مَعــدٍّ عُــوَّذٌ بِلِــوائــه يُفــدُّونَــه بــالنفــس والأم والأَب

(٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥)

* * *

وفي هذه السنة ولّى الحجّاجُ بن يوسفَ يزيدَ بنَ المهلب خُراسانَ بعد موت المهلّب.

وفيها عَزَل عبدُ الملك أبانَ بن عثمان عن المدينة؛ قال الواقديّ: عزله عنها لثلاث عشرة ليلة خلتْ من جُمادَى الآخرة.

قال: وفيها ولّى عبدُ الملك هشامَ بن إسماعيلَ المخزوميّ المدينة، وعَزَل هشامُ بن إسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفَلَ بن مُساحق العامريّ، وكان يحيى بن الحَكم هو الذي استقضاه على المدينة، فلما عُزل يحيى ووَلِيهَا أبانُ بنُ عثمان أقرّه على قضائها؛ وكانت ولاية أبانَ المدينةَ سبع سنينَ وثلاثةَ أشهر وثلاث عشرةَ ليلة، فلما عَزَل هشامُ بن إسماعيلُ نوفَلَ بن مُساحِق عن القضاء ولَّى مكانَه عمرو بن خالد الزُّرَقيّ.

وحجّ بالناس في هذه السنة أبانُ بنُ عثمان، كذلك حدّثني أحمدُ بنُ ثابت عمّن ذكره، عن إسحاقَ بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان على الكوفة، والبَصْرة والمَشرِق الحجّاجُ، وعلى خُراسانَ يزيدُ بنُ المهلب من قبَل الحجّاج. (٦/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦).

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين
ذكر الأحداث التي كانت فيها

خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم

فمما كان فيها من ذلك هزيمةُ عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث بدَيْر الجمَاجم.

* ذكر الخبر عن سبب انهزامه:

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنَف، قال: حدّثني أبو الزّبير الهمْدانيّ،

قال: كنتُ في خَيْل جَبَلة بن زحْل ، فلما حَمَل عليه أهلُ الشام مرة بعد مرّة نادانا عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال: يا معشرَ القرّاء ، إنّ الفِرار ليس بأحد من الناس بأقبحَ منه بكم؛ إني سمعتُ عليّاً ـ رفع الله درجتَه في الصّالحين ، وأثابَه أحسَن ثوابَ الشهداء والصدّيقين ـ يقول يومَ لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون ، إنه مَن رأى عُدواناً يُعمَل به ، ومُنكَراً يُدعَى إليه ، فأنكرَه بقَلْبه فقد سَلم وبَرِئ ، ومن أنكر بلِسانه فقد أجِر ، وهو أفضلُ من صاحبه ، ومَن أنكَره بالسيف لتكون كلمةُ الله العُلَيا وكلمةُ الظالمين السفْلَى ، فذلك الذي أصابَ سبيلَ الهُدى ، ونوّر في قلبه اليقين ، فقاتِلوا هؤلاء المُحِلّين المُحدِثين المبتدِعين الذين جهلوا الحقّ فلا يعرفونه ، وعَمِلوا بالعدوان فليس يُنْكرونه.

وقال أبو البَخْتَريّ: أيّها الناس ، قاتلوهم على دينكم ودُنْياكم ، فوالله لئن ظهَروا عليكم ليُفسِدُنّ عليكم دينكم ، وليَغلِبُنّ على دنياكم.

وقال الشعبيّ: يا أهل الإسلام قاتِلُوهم ولا يأخذْكم حَرَجٌ من قتالهم ، فوالله ما أعلم قوماً على بَسيطِ الأرض أعمَل بِظُلم ، ولا أجْوَرَ منهم في الحُكم ، فليكن بهم البدار.

وقال سعيد بنُ جُبير: قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين ، وعلى آثامهم قاتِلوهم على جَوْرِهم في الحُكْم ، وتجبّرهم في الدين ، واستذلالِهم الضّعفاء وإماتتهم الصّلاة[1]. (٦/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨).

قال أبو مخنَف: قال أبو الزّبير: فتهيّأنا للحَمْلة عليهم ، فقال لنا جَبَلة: إذا حملتم عليهمْ فاحملوا حملةً صادقة ، ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتى تُواقِعوا صفَّهم ، قال: فحملنا عليهم حملةً بجدّ منّا في قتالِهم ، وقوّة منا عليهم ، فضربنا الكتائبَ الثلاث حتى اشفترّت ، ثمّ مضينا حتى واقعْنا صفهم فضربناهم حتى أزلْناهم عنه ، ثمّ انصرفْنا فمررنا بجَبَلة صريعاً لا نَدري كيف قُتل.

قال: فهدّنا ذلك وَجبُنّا فوقَفْنا موقفنا الذي كنّا به ، وإنّ قُرّاءنا لمتوافِرون ونحن نتنَاعى جبلةَ بن زَحْر بيننا ، كأنما فقدَ به كلّ واحد منا أباه أو أخاه ، بل هو

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

في ذلك المَوطِن كان أشدّ علينا فَقداً، فقال لنا أبو البَخْتريّ الطائيّ: لا يستبينَنّ فيكم قتلُ جَبَلة بن زَحْر، فإنما كان كرجل منكم أتتْه منيّته ليَومها، فلم يكن ليتقدّم يومُه ولا ليتأخّر عنه، وكلّكم ذائق ما ذاقَ، ومدعوّ فمجيب، قال: فنظرتُ إلى وجوه القُرّاء فإذا الكآبةُ على وجوههم بيّنة، وإذا ألسنتهم منقطِعة، وإذا الفشَل فيهم قد ظَهَر، وإذا أهلُ الشام قد سُرّوا وجَذِلوا، فنادَوا: يا أعداءَ الله، قد هَلَكتم، وقد قَتَل الله طاغُوتكم[١]. (٦/ ٣٥٨).

قال أبو مخنَف: فحدّثني أبو يزيد السَّكسكيّ أنّ جبَلة حين حَمل هو وأصحابُه علينا انكشفنا، وتبعونا، وافترقتْ منا فِرقة فكانت ناحيةً، فنظرْنا فإذا أصحابه يتبعون أصحابَنا، وقد وقف لأصحابه ليرجعوا إليه على رأس رَهوة فقال بعَضُنا: هذا والله جَبَلة بن زَحْر، احملوا عليه ما دام أصحابه مشاغيلَ بالقِتال عنه لعلّكم تصيبونه، قال: فحملْنا عليه، فأشهَدُ ما وَلّى ولكن حَمل علينا بالسيف، فلمّا هبط من الرَّهوة، شَجرْناه بالرّماح فأذْرَيناه عن فرسه فوقع قتيلاً، ورجع أصحابُه، فلما رأيناهم مقبلين تنحيْنا عنهم، فلما رأوه قتيلاً رأينا من استرجاعهم وجزعِهم ما قرّت به أعيُننا؛ قال: فتبينّا ذلك في قتالهم إيانا وخروجِهم إلينا[٢]. (٦/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

قال أبو مخنَف: حدّثني سهم بنُ عبد الرحمن الجُهَنيّ، قال: لما أصيب جَبلة هدّ الناسَ مقتلُه، حتى قدم علينا بِسطام بن مَصقَلة بن هُبيرة الشيبانيّ، فشجع الناسَ مقدَمُه، وقالوا: هذا يقوم مقامَ جَبَلة، فسَمِع هذا القولَ من بعضهم أبو البَختريّ، فقال: قُبِّحتم! إن قتل منكم رجل واحد ظننتمْ أن قد أحِيط بكم، فإن قُتل الآن ابنَ مصقَلة ألقَيتم بأيديكم إلى التهلكة، وقلتم: لم يَبق أحد يقاتِل معه! ما أخلَقكم أن يُخلَفَ رجاؤنا فيكم! وكان مَقدم بِسطام من الرّيّ، فالتقى هو وقتيبة في الطريق، فدعاه قُتيبة إلى الحجّاج وأهل الشام، ودعاه بِسطام إلى عبد الرحمن وأهل العراق، فكلاهما أبى على صاحبه، وقال بِسطام: لأن أموتَ مع أهل العراق أحَبّ إليّ من أن أعيشَ مع أهل الشام، وكان قد نزل ماسَبَذانَ؛ فلمّا قدم قال لابن محمد: أمِّرْني على خيل ربيعةَ؛ ففعل، فقال لهم: يا معشر

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.
(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ربيعة ، إنّ فيّ شَرسَفةً عند الحرب فاحتملوها لي ـ وكان شُجاعاً ـ فخرج الناسُ ذاتَ يوم ليَقتتلوا ، فَحمل في خيلِ ربيعةَ حتى دخل عسكرَهم ، فأصابوا فيهم نحواً من ثلاثين امرأةً من بين أمَة وسُرّيّة ، فأقبل بهن حتى إذا دنا من عسكره ردّهنّ ، فجئن ودخلْنَ عسكر الحجاج ، فقال: أوْلَى لهم! مَنَع القومُ نساءَهم ، أما لو لم يردّوهنّ لسبيت نساؤهم غداً إذا ظَهرت ثم اقتَتلوا يوماً آخَر بعد ذلك ، فحمَل عبدُ الله بنُ مُلَيل الهَمْدانيّ في خيل له حتى دخل عسكرهم فسبا ثمانيَ عشرةَ امرأةً ، وكان معه طارقُ بنُ عبد الله الأسديّ ـ وكان رامياً ـ فخرج شيخٌ من أهل الشام من فُسْطاطِه ، فأخَذ الأسديّ يقول لبعض أصحابه: استرْ منّي هذا الشيخَ لعلّني أرمِيه أو أحمل عليه فأطعنه ، فإذا الشيخ يقول رافعاً صوتَه: اللهمّ لُمّنا وإيّاهم بعافية؛ فقال الأسَديّ: ما أحبّ أن أقتَل مِثلَ هذا ، فتركه وأقبَل ابنُ مليل بالنساء غيرَ بعيد؛ ثمّ خلّى سبيلَهنّ أيضاً ، فقال الحجّاج مِثلَ مقالتِه الأولى[1] . (٦/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) .

قال هشام: قال أبي: أقبل الوليد بن نُحيْت الكلبيّ من بني عامر في كتيبة إلى جَبَلة بن زحْر ، فانحطّ عليه الوليد من رابية ـ وكان جسيماً ، وكان جبَلة رجلاً رَبْعةً ـ فالتَقيا ، فضربَه على رأسه فسَقَط ، وانهزَم أصحابُه وجِيء برأسِه. (٦/ ٣٦٠) .

قال هشام: فحدّثني بهذا الحديث أبو مِخنَف وعَوانة الكلبيّ ، قال: لمّا جيء برأس جبلة بن زَحْر إلى الحجاج حَمَله على رمحين ثمّ قال: يا أهل الشام ، أبشِروا؛ هذا أوّل الفتح ، لا والله ما كانت فِتنة قطّ فخبَتْ حتى يُقتل فيها عظيمٌ من عظماء أهل اليَمَن ، وهذا من عظمائهم ، ثمّ خرجوا ذاتَ يوم فخرج رجلٌ من أهل الشام يدعو إلى المبارَزة ، فخرج إليه الحجّاج بن جارية ، فحمل عليه ، فطعنَه فأذْراه ، وحمل أصحابُه فاستنقَذوه ، فإذا هو رجل من خَثْعَم يقال له أبو الدّرداء ، فقال الحجاج بن جارية: أما إنّي لم أعرفه حتى وقع ، ولو عرفتُه ما بارزته ، ما أحِبّ أن يصابَ من قومي مِثله ، وخرج عبد الرحمن بن عوف الرّؤاسيّ أبو حميد فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه ابن عمّ له من أهل الشام ،

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

فاضطربا بسيْفَيهما ، فقال كلّ واحد منهما : أنا الغلام الكلابيّ ، فقال كلّ واحد منهما لصاحبه : مَنْ أنت؟ فلمّا تساءَلا تحاجَزا ، وخرج عبدُ الله بنُ رِزام الحارثيّ إلى كَتيبة الحجاج ، فقال : اخرُجوا إليّ رجلاً رجلاً ، فأخرج إليه رجلٌ ، فقتَلَه ثمّ فعل ذلك ثلاثة أيام ، يَقتُل كلّ يوم رجلاً ، حتى إذا كان اليوم الرابع أقبَل ، فقالوا : قد جاء لا جاء الله به! فدعا إلى المبارَزة ، فقال الحجاج للجرّاح : اخُرج إليه ، فخرج إليه ، فقال له عبدُ الله بنُ رِزام ـ وكان له صديقاً : ويْحَك يا جرّاح! ما أخرجك إليّ! قال : قد ابتُليتُ بك ، قال : فهل لك في خير؟ قال : ما هو؟ قال : أنهزِم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنتَ عندَه وحَمِدَك ، وأما أنا فإني أحتمل مقالَة الناس في انهزامي عنك حُبّاً لسلامتك ، فإني لا أحبّ أن أقتلَ من قومي مثلك؛ قال : فافعل ، فحَملَ عليه فأخذ يَستَطرد له ـ وكان الحارثيّ قد قطعتْ لهاتُه ، وكان يَعطش كثيراً ، وكان معه غلامٌ له معه إدَاوةٌ من ماء ، فكلّما عَطِش سقاهُ الغلام ـ فاطَّرد له الحارثيّ ، وحمَل عليه الجرّاح حملةً بجد لا يريد إلاّ قتله ، فصاح به غُلامُه : إنّ الرجل جادّ في قتلك! فعَطَف عليه فضربه بالعمود على رأسه فصَرَعه ، فقال لغلامه : انضَحْ على وجهه من ماء الإداوة ، واسقِه؛ ففعلَ ذلك به ، فقال : يا جرّاح ، بئْسَما جزَيْتني ، أردتُ بك العافية وأردتَ أن تُزيرني المنيّة! لم أرِدْ ذلك ، فقال : انطَلِقْ فقد تركتُك للقرَابة والعشيرة[1] . (٦/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) .

قال محمّد بن عمر الواقديّ : حدّثني ابن أبي سَبْرة ، عن صالح بن كَيْسان ، قال : قال سعيد الحَرَشيّ : أنا في صفّ القتال يومئذ إذ خرج رجلٌ من أهل العراق ، يقال له : قدامة بن الحَريش التميميّ ، فوقف بين الصّفين ، فقال : يا معشر جَرامِقة أهلِ الشام ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله ، فإن أبيتم فليخرج إليّ رجلٌ ، فخرج إليه رجلٌ من أهل الشام فقتَله ، حتى قتل أربعة ، فلما رأى ذلك الحجاج أمر منادياً فنادَى : لا يَخرج إلى هذا الكَلْب أحد ، قال : فكفّ الناس ، قال سعيد الحَرَشيّ : فدنوتُ من الحجاج فقلت : أصلَح الله الأمير! إنك رأيتَ ألاّ يَخرُج إلى هذا الكلب أحد ، وإنما هلك مَن هلك من هؤلاء النفر بآجالهم ، ولهذا الرجل أجَلٌ ، وأرجو أن يكون قد حضر ، فائْذن لأصحابي الذين قَدِموا معي فليخرج إليه رجل منهم ، فقال الحجّاج : إن هذا الكلب لم يزل

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

هذا، له عادة وقد أرعب الناس، وقد أذنت لأصحابك، فمن أحبَّ أن يقوم فليَقم.

فرجع سعيد الحَرشيّ إلى أصحابه فأعلمهم، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز بَـرَز إليه رجل من أصحاب الحرشيّ، فقتله قدامةُ، فشقّ ذلك على سعيد، وثَقُل عليه لكلامه الحجاج، ثم نادى قدامة: مَن يُبارِز؟ فدنا سعيد من الحجاج، فقال: أصلَحَ الله الأمير! ائذَن لي في الخروج إلى هذا الكَلْب، فقال: وعندَك ذلك؟ قال سعيد: نعم، أنا كما تحبّ؛ فقال الحجاج: أرِني سيفك، فأعطاه إياه، فقال الحجّاج - ونظر إلى سعيد فقال: ما أجوَدَ دِرعَك وأقوى فرسك! ولا أدري كيف تكون مع هذا الكلب! قال سعيد: أرجو أن يُظفِرني الله به، قال الحجاج: اخرج على بَـرَكة الله، قال سعيد: فخرجتُ إليه، فلما دنوتُ منه، قال: قفْ يا عدوّ الله، فوقفتْ، فسرّني ذلك منه، فقال: اختَر إما أنْ تُمكِنني فأضربَك ثلاثاً، وإما أن أمكِنك فتضرَبني ثلاثاً، ثمّ تُمكِنني، قلت: أمكِنّي، فوَضَع صدرَه على قَرَبوسه ثمّ قال: اضربْ، فجمعتَ يديّ على سَيْفي، ثم ضربتَ على المِغفرَ متمكّناً، فلم يصنع شيئاً، فساءني ذلك من سيفي ومِن ضَرْبتي، ثمّ أجمع رأيي أن أضربَه على أصل العاتق، فإما أن أقطع وإما أن أوهن يدَه عن ضربته، فضربتُه فلم أصنع شيئاً؛ فساءني ذلك ومن غاب عني ممّن هو في ناحية العسكر حتى بلغه ما فعلت، والثالثةَ كذلك، ثمّ اخترط سيفاً ثم قال: أمكنّي، فأمكَنْته، فضربني ضربةً صَرَعني منها، ثم نزل عن فرسه وجلس على صَدري، وانتَزعَ من خُفيْه خِنْجراً أو سكّيناً فوضعها على حَلْقي يريد ذَبْحي، فقلتُ له: أُنشدُك الله! فإنك لست مصيباً من قتلى الشرف والذكر مثلَ ما أنت مصيب من تَرْكي، قال: ومن أنتَ؟ قلت: سعيد الحَرشيّ، قال: أوْلى يا عدو الله! فانطلِقْ فأعلِم صاحبك ما لقيت.

قال سعيد: فانطلقتُ أسعى حتى انتهيتُ إلى الحجاج، فقال: كيف رأيتَ! فقلتُ: الأميرُ كان أعلمَ بالأمر. (٦/ ٣٦٧ ـ ٣٦٣).

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مِخنَف، عن أبي يزيد، قال: وكان

أبو البَخْتري الطائيّ وسعيد بن جُبَير يقولان: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ... ﴾ إلى آخر الآية، ثم يَحمِلان حتى يُواقِعا الصّفّ.

قال أبو المُخارِق: قاتلْناهم مئةَ يوم سَواء أعدّها عدّاً. قال: نَزلْنا ديرَ الجماجم مع ابن محمد غداةَ الثلاثاء لليلة مضتْ من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين، وهُزمنا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضتْ من جُمادى الآخرة عند امتداد الضّحى ومُتوع النهار، وما كنا قطّ أجرأ عليهم ولا هم أهوَن علينا منهم في ذلك اليوم.

قال: خرجْنا إليهم وخرجوا إلينا يومَ الأربعاء، لأربع عشرة مضتْ من جُمادى الآخِرة، فقاتلْناهم عامّة النهار أحسنَ قتال قاتلناهُمُوه قَطّ، ونحن آمنون من الهزيمة، عالُون للقوم، إذ خرج سُفيان بنُ الأبرد الكلبيّ في الخيل من قِبَل ميمنة أصحابه، حتى دنا من الأبرد بن قُرّة التميميّ، وهو على مَيْسرة عبد الرحمن بن محمد، فوالله ما قاتَلَه كبير قتال حتى انهزم، فأنكرها الناسُ منه، وكان شجاعاً، ولم يكن الفِرار له بعادة، فظنّ الناسُ أنه قد كان أومِن، وصُولح على أن يَنهزم بالناس، فلما فعلها تقوَّضَت الصفوفُ من نحوه، ورَكِب الناس وجوههم وأخذوا في كلّ وجه، وصَعِد عبد الرحمن بن محمد المِنبَر، فأخذ يُنادِي الناس: عبادَ الله، إليّ أنا ابنُ محمد؛ فأتاه عبدُ الله بن رزام الحارثيّ، فوقف تحت منبره، وجاء عبدُ الله بن ذؤاب السُّلَميّ في خيل له، فوقف منه قريباً، وثبت حتى دنا منه أهل الشام، فأخذتْ نَبلُهم تحوزُه، فقال: يا بن رِزام، احِمل على هذه الرجال والخيل، فحمل عليهم حتى أمعنوا، ثم جاءت خيل لهم أخرى ورَجّالة، فقال: احمل عليهم يا بن ذُؤاب، فحمَل عليهم حتى أمعَنوا، وثبت لا يبرَح مِنبرَه، ودخل أهل الشام العسكر، فكبَّروا، فصَعِد إليه عبدَّالله بن يزيد بن المغفل الأزديّ ـ وكانت مُلَيكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن ـ فقال: انزل، فإني أخافُ عليك إن لم تنزل أن تؤسَر، ولعلك إن انصرفْتَ أن تجمع لهم جَمْعاً يُهلكُهم الله به بعد اليوم، فنزل وخَلَّى أهل العراق العسكر، وانهزَموا لا يلوُون على شيء، ومضى عبدُ الرحمن بنُ محمد مع ابن جَعدة بن هُبيرة ومعه أناس من أهل بيته؛ حتى إذا حاذَوا قريةَ بني جَعْدة بالفلّوجة دعوا بِمعبَر، فعبَروا فيه، فانتهى إليهم بِسطام بنُ مَصقَلة، فقال: هل في السفينة عبدُ الرحمن بن محمد؟ فلم يكلّموه، وظنّ أنه فيهم، فقال:

لا وألَتْ نفس عليها تُحاذِرُ

ضَرَّمَ قَيْسٌ عليَّ البِلا   دَ حتى إذا اضْطَرَمت أجْذَمَا

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح، وهو على فرسه لم يَنزل عنه، فخرجتْ إليه ابنتُه فالتزمها، وخرج إليه أهلُه يبكون، فأوصاهم بوصيّة وقال: لا تَبكُوا، أرأيتم إن لم أترُكْكم، كم عسَيتُ أن أبقَى معكم حتى أموت! وإن أنا مِتّ فإن الذي رَزَقكم الآن حيٌّ لا يموت، وسَيرْزقكم بعدَ وَفاتي كما رَزقكم في حياتي، ثمّ ودّع أهلَه وخرج من الكُوفة[1]. (٦/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤).

قال أبو مِخنف: فحدّثني الكلبيّ محمد بن السائب، أنهم لما هُزِموا ارتفاعَ النهار حين امتدّ ومَتَع، قال: جئتُ أشتدّ معي الرمح والسيف والتُّرس حتى بلغتُ أهلي من يومي، ما ألقيتُ شيئاً من سلاحي، فقال الحجاج: اتركوهم فليتبدّدوا ولا تتبعوهم، ونادى المنادِي: مَن رجع فهو آمِن، ورجع محمد بنُ مروانَ إلى الموصل، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الوقعة، وخلّيا الحجّاج والعراق، وجاء الحجّاج حتى دخل الكوفة، وأجلس مَصقَلة بن كرب بن رَقَبة العبدّي إلى جَنْبه، وكان خطيباً، فقال: اشتم كلَّ امرئ بما فيه ممّن كُنّا أحسنا إليه، فاشتمه بقلّة شكره، ولؤم عهده؛ ومن علمتَ منه عيباً فعبْه بما فيه، وصغّرْ إليه نفسَه، وكان لا يبايعه أحدٌ إلا قال له: أتشهد أنك قد كفرتَ؟ فإذا قال: نعم، بايَعه وإلا قتَله، فجاء إليه رجل من خَثْعَم قد كان مُعتزِلاً للناس جميعاً من وراء الفرات، فسأله عن حاله فقال: ما زلتُ معتزلاً وراءَ هذه النّطفة، منتظِراً أمرَ الناس حتى ظهرتَ، فأتيتُك لأبايعَك مع الناس؛ قال: أمتربِّص! أتَشْهَد أنك كافر؟ قال: بئسَ الرَّجل أنا إن كنتُ عبدتُ الله ثمانين سنةً ثمّ أشهد على نفسي بالكفر؛ قال: إذاً أقتُلَكَ؛ قال: وإن قتلتَني فوالله ما بقي من عُمْري إلاّ ظِمْءُ حِمار، وإني لأنتظر الموتَ صباحَ مساءَ، قال: اضربوا عنقه، فضُربتْ عنقه، فزَعموا أنه لم يبق حولَه قرشيّ ولا شاميّ، ولا أحد من الحزْبَيْن إلاّ رحمه ورَثى له من القَتْل.

وَدَعَا بكُميل بن زياد النَّخَعيّ فقال له: أنت المقتصّ من عثمانَ أمير المؤمنين؟ قد كنت أحبّ أن أجدَ عليك سبيلاً، فقال: واللهِ ما أدري على أيّنا أنتَ أشدّ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

غضباً؟ عليه حين أقادَ من نفسه ، أم عليّ حين عفوتُ عنه؟ ثمّ قال: أيّها الرجل من ثَقيف ، لا تَصرِف عليَّ أنيابَك ، ولا تهدَّمْ عليَّ تهدُّم الكَثِيب ، ولا تكشِرْ كَشَرانَ الذئب ، والله ما بقي من عمري إلاّ ظِمْءُ الحمار ، فإنه يشرب غُدوةً ويموت عشيّة ، ويشرب عشيّة ويموت غُدْوة ، اقضِ ما أنتَ قاض ، فإنّ الموعد اللهُ ، وبعد القتل الحساب ، قال الحجاج: فإنّ الحجة عليك ، قال: ذلك إن كان القضاء إليك ، قال: بلى ، كنتَ فيمن قتلَ عثمانَ ، وخلعتَ أميرَ المؤمنين ، اقتلوه.

فقُدِّم فقُتل ، قتَلَه أبو الجَهْم بن كنانة الكلبيّ من بني عامر بن عوف ، ابن عمّ منصور بن جمهور.

وأتِيَ بآخرَ من بعده ، فقال الحجّاج: إني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكُفر ، فقال: أَخادِعي عن نفسي! أنا أكفر أهلِ الأرض ، وأكفر من فرعون ذِي الأوتادِ ، فضحك الحجاج وخلّى سبيلَه.

وأقام بالكوفة شهراً. وعَزَل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة[١]. (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥).

هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقَعة مسكن

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمَسْكن بين الحجّاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم.

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها:

قال هشام: حدّثني أبو مِخنَف ، عن أبي يزيدَ السَّكْسكيّ ، قال: خرج محمّد بن سعد بن أبي وَقاص بعد وَقْعة الجماجم حتى نزل المدائن ، واجتمع إليه ناسٌ كثير ، وخرج عُبيد الله بنُ عبد الرّحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس القُرَشيّ حتى أتى البَصرة وبها أيّوب بن الحكَم بن أبي عقِيل ، ابن عمّ الحجاج ، فأخذها ، وخرج عبد الرّحمن بن محمد حتى قدم البَصرة وهو بها ، فاجْتمعَ

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

الناسُ إلى عبد الرحمن ونزل ، فأقبل عُبيد الله حينئذ إلى ابن محمد بن الأشعث ، وقال له : إني لم أرِد فِراقَك ، وإنما أخذتها لك ، وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن ، فأقام عليها خَمْساً حتى هيأ الرجال في المعَابر ، فلما بلغ محمد بن سعد عبورُهم إليهم خرجوا حتى لحِقوا بابن الأشعث جميعاً ، وأقبَل نحوَهم الحجاج ، فخرج الناسُ معه إلى مَسكن على دُجَيل ، وأتاه أهلُ الكوفة والفلول من الأطراف ، وتَلَاوم الناسُ على الفِرار ، وبايع أكثرهم بِسطام بن مَصقَلة على الموت ، وخنَدَقَ عبدُ الرحمن على القوم؛ فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرّحمن فأدركه بالسوس ، فقاتَلَه ساعةً من نهار ، ثمّ إنه انهزَم هو وأصحابه فمضَوا حتى أتَوا سابور ، واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكرَادُ مع من كان معه من الفلول ، فقَاتَلَهم عمارة بن تميم قتالاً شديداً على العَقَبة حتى جُرِح عمارة وكثيرٌ من أصحابه ، ثمّ انهزم عمارة وأصحابه وخلَّوْا لهم عن العَقَبة ، ومضى عبدُ الرحمن حتى مرّ بكَرمان[1] . (٦/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) .

قال الواقديّ: كانت وقعة الزاوية بالبَصرة في المحرّم سنة ثلاث وثمانين. (٦/ ٣٦٨) .

قال أبو مخنفَ: حدّثني سيف بن بِشْر العجْليّ ، عن المنخلْ بن حابس العبديّ ، قال: لما دخل عبد الرحمن بن محمد كَرْمان تلقاه عمرو بن لَقيط العبديّ ـ وكان عاملَه عليها ـ فهيأ له نُـزُلاً فنَزل ، فقال له شيخ من عبد القيس يقال له مَعقِل: واللهِ لقد بَلَغنا عنك يا بنِ الأشعث أن قد كنت جَباناً ، فقال عبدُ الرحمن: واللهِ ما جَبُنْتُ ، والله لقَد دلَفْتُ الرّجال بالرّجال ، ولففتُ الخيلَ بالخيل ، ولقد قاتلت فارساً ، وقاتلت راجلاً ، وما انهزمتُ ولا تركتُ العرْصة للقوم في مَوْطن حتى لا أجِد مُقاتَلاً ولا أرى معي مقَاتلاً ، ولكني زاولتُ مُلْكاً مؤجلاً ، ثمّ إنه مضى بمن معه حتى فوّز في مَفازةِ كرْمان[2] . (٦/ ٣٦٨) .

قال أبو مخنَف: فحدّثني هشام بن أيّوب بن عبد الرحمن بن أبي عَقِيل الثقفيّ ، قال: لما مضى ابن محمد في مفازة كَرمان وأَتْبعه أهلُ الشام دخل بعضُ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

أهل الشام قصراً في المَفازة ، فإذا فيه كتاب قد كتَبه بعضُ أهل الكوفة من شِعْر أبي جلدة اليَشكُريّ ، وهي قصيدة طويلة :

أَيـا لَهْفـاً ويـا حَـزنـاً جميعـاً ويـا حَـرَّ الفـؤاد لِمَـا لَقِينَـا!
تـركنـا الـدّيـنَ والـدنيـا جميعـاً وأَسلمْنـا الحـلائـلَ والبنِينَـا
فمـا كنّـا أُنـاسـاً أهـلَ ديـنٍ فنَصبِـرَ فـي البـلاءِ إذا ابتلينـا
ومـا كنّـا أُنـاسـاً أهـلَ دنْيَـا فنمْنَعَهَـا وَلَـوْ لـم نـرجُ دينـا
تـركنـا دُورنـا لطَغَـامِ عَـكٍّ وأنبـاطِ القُـرَى والأَشْعـرينـا

ثمّ إنّ ابن محمد مضى حتى خرج على زَرَنْج مدينة سِجِستَان وفيها رجل من بني تميم قد كان عبد الرحمن استعمَلَه عليها ، يقال له عبد الله بن عامر البعّار من بني مُجَاشع بن دارِم ، فلما قَدِم عليه عبد الرّحمن بن محمد على أصحابه ، وبَشَقَ الماء من جانب ، فجعل القتال من وجه واحد ، وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القَسْريّ من خُراسان في ناس من بَعْث الكوفة ، فاقتَتَلوا خمسَ عشرةَ ليلةً من شعبان أشدَّ القتال حتى قُتِل زيادُ بن غُنيم القَينيّ ، وكان على مَسالِح الحجّاج ، فهدّه ذلك وأصحابَه هدّاً شديداً[١] . (٦/ ٣٦٦) .

قال أبو مِخنَف : حدّثني أبو جَهْضَم الأزْديّ ، قال : بات الحجّاج ليلَه كلَّه يسير فينا يقول لنا : إنكم أهل الطاعة ، وهم أهل المعصية ، وأنتم تَسعَوْن في رضوان الله ، وهم يَسعَون في سُخْط الله ، وعادة الله عندكم فيهم حَسَنة ؛ ما صدقتمُوهم في موطِن قطّ ولا صبرتُم لهم إلاّ أعقَبَكم الله النصرَ عليهم والظفر بهم ؛ فأصبِحوا إليهم عادِين جادّين ، فإني لست أشكّ في النصر إن شاء الله .

قال : فأصبَحْنا ، وقد عبّأنا في السَّحَر ، فباكرناهم فقاتَلْناهم أشدَّ قتال قاتلناهُمُوه قطّ ، وقد جاءنا عبدُ الملك بن المهلب مجفّفاً ، وقد كُشفتْ خيل سُفيان بن الأبرد ، فقال له الحجاج : ضّم إليك يا عبد الملك هذا النّشَر لعلي أحمِل عليهم ، ففعَل ، وحمل الناسُ من كلّ جانب ، فانهزم أهلُ العراق أيضاً ، وقتِل أبو البَخْتريّ الطائيّ ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقالا قبل أن يُقتَلا : إنّ الفِرار كلّ ساعة بنا لَقبيح ، فأصيبا .

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

قال: ومشى بِسطام بن مَصقَلة الشيبانيّ في أربعة آلاف من أهل الحِفاظ من أهل المصرَيْن، فكَسَروا جفونَ السيوف، وقال لهم ابن مَصقَلة: لو كنا إذا فررنا بأنفسنا من الموت نجوْنا منه فَرَرنا، ولكنا قد علمنا أنه نازل بنا عما قليل، فأين المَحيد عما لابدّ منه! يا قوم إنكم مُحِقون، فقاتِلوا على الحقّ، واللهِ لو لم تكونوا على الحقّ لكان موتٌ في عزّ خيراً من حياة في ذُلّ.

فقاتَلَ هو وأصحابُه قتالاً شديداً كَشَفوا فيه أهلَ الشام مراراً، حتى قال الحجّاج: عليّ بالرماة لا يقاتلهم غيرُهم، فلما جاءتْهم الرّماة وأحاطَ بهم الناس من كلّ جانب قُتلوا إلا قليلاً، وأخذ بكير بن ربيعة بن ثَرْوان الضّبيّ أسيراً، فأتِيَ به الحجاج فقتله[1]. (٦/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧).

قال أبو مِخنَف: فحدّثني أبو الجَهْضَم، قال: جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس، فقال الحجاج: يا أهل الشام، إنه من صُنْع الله لكم أنّ هذا غلام من الغِلْمان جاء بفارس أهل العراق أسيراً، اضرب عنقَه، فقتله.

قال: ومضى ابن الأشعث والفَلّ من المنهزِمين معه نحو سِجِسْتانَ فأتْبَعهم الحجّاج عمارة بن تميم اللخميّ، ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أميرٌ منهزماً أغلَق باب المدينة دونَه، ومنعه دخولَها، فأقام عليها عبد الرّحمن أياماً رجاءَ افتتاحها ودخولها، فلما رأى أنه لا يصل إليها خرج حتى أتى بُسْتَ، وقد كان استعمل عليها رجلاً من بكر بن وائل يقال له عِياض بن هِمْيان أبو هِشام بن عياضِ السدوسيّ، فاستقبَلَه، وقال له: انزِل، فجاء حتى نزل به، وانتظر حتى إذا غَفل أصحاب عبد الرحمن وتفرّقوا عنه وثب عليه فأوثَقَه، وأراد أن يأمَن بها عند الحجاج، ويتخذ بها عندَه مكاناً، وقد كان رُتْبيل سمع بمقدم عبد الرّحمن عليه، فاستقبله في جنوده، فجاء رُتْبيل حتّى أحاط ببُسْت، ثمّ نزل وبعث إلى البكريّ: والله لئن آذيتَه بما يُقذِي عينَه، أو ضررته ببعض المضرّة، أو رزأته حَبْلاً من شَعَر لا أبرح العَرْصة حتى أستنزِلَك فأقتُلَك وجميع من معك، ثمّ أسبي ذراريّكم، وأقسِّم بين الجند أموالَكم، فأرسل إليه البكريّ، أن أعطنا أماناً على أنفسِنا وأموالنا، ونحن ندفعه إليك سالماً، وما كان له من مال مُوَفّراً،

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

فصالحهم على ذلك ، وآمنهم ففَتحوا لابن الأشعث الباب وخلّوا سبيلهُ ، فأتى رُتْبيل فقال له : إنّ هذا كان عاملي على هذه المدينة ، وكنت حيث ولّيته واثقاً به ، مطمئناً إليه ، فغدَرَ بي وركب مني ما قد رأيتَ ، فائْذَنْ لي في قَتْله ، قال : قد آمنتُه وأكرَه أن أغدِر به ، قال : فأْذن لي في دفْعه وَلهزِه ، والتصغير به ، قال : أمّا هذا فنعم ، ففعَل به عبدُ الرحمن بن محمد ، ثمّ مضى حتىٰ دخل مع رُتبيل بلاده ، فأنزله رُتْبيل عنده وأكرمه وعظّمه ، وكان معه ناس من الفلّ كثير .

ثمّ إن عُظْم الفُلول وجماعةَ أصحاب عبد الرحمن ومن كان لا يرجو الأمان؛ من الرّؤوس والقادة الذين نصبوا للحجّاج في كلّ موطن مع ابن الأشعث ، ولم يقبَلوا أمان الحجّاج في أوّل مرّة ، وجهَدوا عليه الجهْدَ كلَّه ، أقبلوا في أثر ابن الأشعث وفي طلبه حتى سَقَطوا بسِجِستانَ ، فكان بها منهم وممن تَبِعهم من أهل سِجِسْتان وأهل البلد نحو من ستّين ألفاً ، ونزلوا على عبد الله بنِ عامر البعّار فحصروه ، وكَتَبوا إلى عبد الرحمن يخبرونه بقدومِهم وعَددِهم وجماعتِهم ، وهو عند رُتْبيل ، وكان يصلي بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فكَتَبوا إليه : أن أقبِلْ إلينا لعلنا نسير إلى خُراسان ، فإنّ بها منا جُنْداً عظيماً ، فلعلّهم يبايعوننا على قتال أهلِ الشام ، وهي بلادٌ واسعة عريضة ، وبها الرّجال والحُصون ، فخرجَ إليهم عبد الرحمن بن محمد بمن معه ، فحصروا عبد الله بن عامر البعّار حتى استنزَلوه ، فأمر به عبد الرحمن فضُرِب وعُذّب وحُبِس ، وأقبل نحوَهم عمارة بن تميم في أهل الشام ، فقال أصحابُ عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن : اخرُج بنا عن سِجِستَان فلندعها له ونأتيَ خُراسان ، فقال عبدُ الرحمن بن محمد : على خُراسان يزيد بن المهلب ، وهو شابٌ شجاع صارم ، وليس بتارك لكمْ سلطانَه ، ولو دخلتمُوها وجدتموه إليكم سريعاً ، ولن يدع أهل الشام اتّباعكم ، فأكره أن يجتمعَ عليكم أهلُ خُراسان وأهل الشام ، وأخاف ألاّ تنالوا ما تَطلبون ، فقالوا : إنما أهل خُراسان منّا ، ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من يتبعنا منهم أكثر ممن يقاتلنا ، وهي أرضٌ طويلة عريضة ننتحِي فيها حيث شئنا ، ونمكث حتى يُهلِك الله الحجّاج أو عبد الملك ، أو نرى من رأينا ، فقال لهم عبد الرحمن : سيرُوا على اسم الله .

فساروا حتى بلغوا هَراةَ ، فلم يشعُروا بشيء حتى خرج من عسكره عُبيد الله بن

عبد الرحمن بن سَمُرة القرشيّ في ألفين ، ففارَقَه فأخذ طريقاً سوى طريقِهم ، فلمَّا أصبح ابن محمد قام فيهم فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ، ثمّ قالِ:

أما بعد ، فإني قد شهدتكم في هذه الموَاطن ، وليس فيها مَشهَد إلاّ أصبر لكم فيه نفسي حتى لا يَبقَى منكم فيه أحد ، فلما رأيتُ أنكم لا تقاتلون ، ولا تَصبرون ، أتيتُ ملجأ ومأمناً فكنتُ فيه ، فجاءتني كتبُكم بأن أقبل إلينا ، فإنا قد اجتمعْنا وأمرُنا واحد ، لعلنا نقاتل عدوّنا ، فأتيتكم فرأيت أن أمضيَ إلى خُراسان وزعمتم أنكم مجتمعون لي ، وأنكم لن تفرّقوا عني ، ثمّ هذا عبيد الله بن عبد الرّحمن قد صنع ما قد رأيتم ، فَحسبي منكم يومي هذا فاصنعوا ما بدا لكم ، أما أنا فمنصرف إلى صاحبي الذي أتيتكم من قبَله ، فمن أحبّ منكم أن يتّبعني فليتّبعْني ، ومن كَرِه ذلك فليذهبْ حيث أحبّ في عياذ من الله.

فتفرّقت منهم طائفة ، ونزلتْ معه طائفة ، وبقي عُظْم العسكر ، فَوثَبُوا إلى عبد الرحمن بن العبّاس لما انصرف عبدُ الرحمن ، فبايعوه ، ثمّ مضى ابن محمد إلى رُتْبيل ومضَوا هم إلى خُراسان حتى انتَهوا إلى هَرَاةَ ، فلقوا بها الرّقاد الأزديّ من العَتيك ، فقتَلوه ، وسار إليهم يزيد بن المهلب.

وأما عليّ بن محمد المدائنيّ فإنه ذكر عن المفضّل بن محمد أنّ ابن الأشعث لما انهزَم من مَسكِن مضى إلى كابُل ، وأنّ عبيد الله بن عبد الرّحمن بن سَمُرة أتى هَراةَ فذمَ ابنَ الأشعث وعابَه بفراره ، وأتى عبدُ الرّحمن بن عباس سِجِسْتان فانضمّ إليه فَلّ ابنِ الأشعث ، فسار إلى خُراسانَ في جمع يقال في عشرين ألفاً ، فنَزل هراةَ ولقوا الرُّقّاد بن عبيد العَتَكى فقتَلوه ، وكان مع عبد الرحمن من عبد القيس عبدُ الرحمن بن المنذر بن الجارود ، فأرسل إليه يزيدُ بن المهلّب: قد كان لك في البلاد متَّسعٌ ، ومن هو أكلّ مني حَدّاً وأهوَنُ شَوْكة ، فارتحِلْ إلى بلد ليس فيه سلطان ، فإني أكره قِتالَك ، وإن أحببتَ أن أمِدَّك بمال لسفرِك أعنتُك به؛ فأرسَلَ إليه: ما نزلْنا هذه البلاد لمحاربة ولا لمقام ، ولكنا أردنا أن نريحَ ، ثمّ نَشخَص إن شاء الله ، وليست بنا حاجةٌ إلى ما عرضتَ. فانصرَف رسولُ يزيدَ إليه ، وأقبل الهاشميّ على الجباية ، وبلغ يزيدَ ، فقال: من أراد أن يُريحَ ثمّ يجتازَ لم يجْبِ الخَراجَ ، فقدّم المفضّل في أربعة آلاف ـ ويقال في ستة آلاف ـ ثمّ أتبعه في أربعة آلاف ، ووَزَن يزيدُ نفسَه بسلاحِه ، فكان أربعَمئة رطل ، فقال:

ما أراني إلا قد ثَقُلت عن الحرب ، أيّ فرس يحملني! ثمّ دعا بفرسه الكامل فرَكبِه ، واستخلَف على مرَو خالَه جُدَيع بن يزيد ، وصيّر طريقَه على مَرْوَ الرُّوذ ، فأتى قبرَ أبيه فأقام عندَه ثلاثة أيام ، وأعطى من معه مئَة درهم مئَة درهم ، ثمّ أتى هَراةَ فأرسل إلى الهاشميّ: قد أرحْتَ وأسمنْتَ وجَبَيْتَ ، فلك ما جَبَيْتَ ، وإن أردتَ زيادةً زِدناك ، فاخرج فوالله ما أحِبّ أن أقاتلَك ، قال: فأبى إلاّ القتالَ ومعه عُبيد الله بنُ عبد الرحمن بن سَمُرة ، ودسَّ الهاشميّ إلى جند يزيدَ يمنِّيهم ويدعوهم إلى نفسِه ، فأخبر بعضهم يزيدَ ، فقال: جَلَّ الأمرُ عن العتاب ، أتغدّى بهذا قبل أن يتعشَّى بي؛ فسار إليه حتى تَدانَى العسكران ، وتأهبّوا للقتال ، وأُلقِيَ ليزيدَ كرسيّ فقعد عليه ، وولَّى الحربَ أخاه المفضّل ، فأقبل رجلٌ من أصحاب الهاشميّ ـ يقال له خُلَيد عَيْنَيْنِ من عبد القيس ـ على ظَهْر فرَسه ، فرفع صوتَه فقال:

دَعـتْ يـا يَـزِيـدَ بـنَ المهلَّـب دَعْـوَةً ... لهـا جَـزَعٌ ثـم استهلَّـتْ عيُـونُهـا
ولـو يُسمِـعِ الـداعي النِّداء أَجابَها ... بصُـمِّ القَنَـا والبيض تُلْقَـى جفُـونُهـا
وقـدْ فَـرَّ أَشْـرافُ العِـرَاق وغـادرُوا ... بهـا بقَـراً للحيْـنِ جُمّـاً قُـرونُهـا

وأراد أن يحضّ يزيد ، فسكت يزيدُ طويلاً حتى ظنّ الناس أن الشِّعر قد حرَّكه ، ثمّ قال لرجل: نادِ وأسِمعْهم ، جَشّموهم ذلك ، فقال خُلَيد:

لبئـس المنـادِي والمنـوَّهُ بـاسِمـه ... تُنَـادِيـه أَبكـارُ العِـراقِ وعُـونُهـا
يَـزِيـدُ إذا يُـدعَـى لِيَـوْم حَفيظَـةٍ ... ولا يَمْنَـعُ السَّـوْآتِ إلاَّ حُصُـونهـا
فـإِنّـي أَراه عـن قليـلٍ بنفسِـهِ ... يُـدانُ كمـا قـد كـان قَبْلُ يَـدِينُهـا
فـلا حُـرَّةٌ تَبكِيـهِ لكـنْ نـوَائـحُ ... تُبكّـي عليـه البُقْـعُ منهـا وَجُـونُهـا

فقال يزيدُ للمفضّل: قدِّم خيلَك ، فتقدّم بها ، وتهايَجوا فلم يكن بينهم كبيرُ قتال حتى تفرّق الناس عن عبد الرحمن ، وصبر وصبرتْ معه طائفةٌ من أهل الحفاظ ، وصبر معه العبديّون ، وحمل سعد بن نجد القُرْدوسيّ على حُلَيس الشيبانيّ وهو أمام عبد الرحمن ، فطعنه حُلَيس فأذراه عن فرسِه ، وحماه أصحابُه ، وكثرهم الناس فانكشفوا ، فأمر يزيدُ بالكَفّ عن اتباعهم ، وأخذوا ما كان في عسكرهم ، وأَسَروا منهم أسرَى ، فولى يزيدُ عطاءَ بنَ أبي السائب العسكر ، وأمَرَه بضّم ما كان فيه ، فأصابوا ثلاثَ عشرةَ امرأة ، فأتوا بهنّ يزيدَ

فدفعهنّ إلى مرّة بن عطاء بن أبي السائب ، فحمَلَهنّ إلى الطَّبَسَين ، ثمّ حملهنّ إلى العِراق ، وقال يزيد لسعد بن نجد: مَن طعنَك؟ قال: حليس الشيبانيّ ، وأنا والله راجلاً أشدّ منه وهو فارس. قال: فبلغ حُليساً ، فقال: كذب واللهِ ، لأنا أشدُّ منه فارساً وراجلاً ، وهرب عبد الرحمن بنُ منذر بن بِشر بن حارثة فصار إلى موسى بنِ عبد الله بنِ خازم ، قال: فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعمرو بن موسى بن عبيد الله بن مَعمَر ، وعيّاش بن الأسوَد بن عوف الزّهريّ والهلقام بن نُعيم بن القَعقاع بن مَعبد بن زُرارة ، وفَيروز حصين ، وأبو العِلْج مولَى عُبيد الله بن معمَرَ ، ورجل من آل أبي عَقيل ، وسَوّار بن مروان ، وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خَلَف ، وعبد الله بن فَضالة الزّهرانيّ.

ولحق الهاشميّ بالسِّند ، وأتى ابنُ سَمُرة مروَ ، ثمّ انصرف يزيدُ إلى مروَ وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع سَبْرة بن نَخْف بن أبي صُفرة ، وخلى عن ابن طلحة وعبدِ الله بن فضَالة ، وسعى قومٌ بعُبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة ، فأخذه يزيدُ فحبسه[1]. (٦/ ٣٦٨ ـ ٣٧٣).

وأمّا هشام فإنه ذكر أنه حدّثه القاسم بن محمد الحضرمي ، عن حفص بن عمرو بن قَبيصة ، عن رجل من بني حنيفة يقال له جابر بن عمارة ، أنّ يزيدَ بن المهلب حبس عندَه عبدَ الرحمن بن طلحة وآمنَه ، وكان الطلحيّ قد آلَى على يمينٍ ألا يَرَى يزيدَ بنَ المهلب في موقف إلاّ أتاه حتى يقبّل يدَه شكراً لما أبلاه ، قال: وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ليزيدَ: أسألك بدعوةِ أبي لأبيك! فخلّى سبيلَه ، ولقول محمد بن سعد ليزيدَ: «أسألك بدعوةِ أبى لأبيك» حديثٌ فيه بعضُ الطول. (٦/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

قال هِشام: حدّثني أبو مِخنَف: قال: حدّثني هشام بن أيّوب بن عبد الرحمن بن أبي عَقيل الثقفيّ ، قال: بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى إلى الحجاج بن يوسفَ؛ بعمَر بن موسى بن عُبيد الله بن مَعمَر ، فقال: أنت صاحبُ شرطة عبد الرحمن؟ فقال: أصلح الله الأمير! كانت فتنةٌ شملت البَرَّ والفاجر ،

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

فدخلنا فيها ، فقد أمكنَك الله منا ، فإنْ عفوتَ فبِحلمك وفضلِك ، وإن عاقبْت عاقبتَ ظَلَمَةً مذنِبين ، فقالِ الحجّاج : أما قولك : «إنها شمِلتِ البرّ والفاجرَ» فكذبتَ ، ولكنها شملت الفُجّارَ ، وعُوفيَ منها الأبرار ، واما اعترافك بذَنْبك فعسى أن يَنفعَك ، فعُزِل ، ورجا الناس له العافية حتى قُدِم بالهلقام بن نعيم ، فقال له الحجاج : أخبِرْني عنك ، ما رجوتَ من اتباع عبد الرحمن بن محمد؟ أرجوتَ أن يكون خليفةً؟ قال : نعم ، رجوتُ ذلك ، وطمِعت أن يُنزلني منزلتَك من عبد الملك ، قال : فغضب الحجاج وقال : اضربوا عنقَه ، فقُتل.

قال : ونظر إلى موسى بن عمر بن عبيد الله بن مَعْمرَ وقد نُحِّي عنه فقال : اضِربُوا عُنقَه ، وقتل بقيّتهم ، وقد كان آمن عمرو بن أبي قرّة الكنديّ ثمّ الحجْريّ وهو شريف وله بيتٌ قديم ، فقال : يا عمرو ، كنت تُفضي إليّ وتحدّثني أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ، ثمّ تبعتَ عبد الرّحمن بن محمد بن الأشعث ؛ والله ما بك عن اتّباعهم رغبةٌ ، ولا نَعمةَ عين لك ولا كرامة.

قال : وقد كان الحجاجُ حين هُزِم الناس بالجماجم نادى مناديه : مَن لِحق بقتَيْبة بن مسلم بالريّ فهو أمانُه ، فلحق ناسٌ كثير بقتيبة ، وكان فيمن لحق به عامر الشَّعبيّ ، فذكر الحجّاجُ الشعبيَّ يوماً فقال : أين هو؟ وما فعل؟ فقال له يزيد بنُ أبي مسلم : بلغني أيها الأمير أنه لحق بقتيبة بن مسلم بالرّيّ ، قال : فابعث إليه فلنُؤتَ به ، فكَتَبَ الحجّاج إلى قتيبة : أمّا بعد ، فابعث إليّ بالشعبيّ حين تَنظُر في كتابي هذا ؛ والسّلام عليك ؛ فسُرّح إليه. (٦/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

قال أبو مِخنَف : فحدّثني السرّيّ بن إسماعيل عن الشعبيّ ، قال : كنتُ لابن أبي مسلم صَدِيقاً ، فلما قُدِم بي على الحجاج لقيتُ ابن أبي مسلم فقلتُ : أشِرْ عليّ ؛ قال : ما أدري ما أشيرُ به عليك غير أن أعتَذِر ما استطعت من عذر! وأشار بمثلِ ذلك عليّ نُصَحائي وإخواني ، فلما دخلتُ عليه رأيتُ واللهِ غيرَ ما رأوا لي ، فسلّمت عليه بالإمرة ثم قلت : أيّها الأمير ، إنّ الناس قد أمروني أن أعتذرَ إليك بغير ما يَعلم الله أنه الحقّ ، وايمُ الله لا أقول في هذا المقام إلاّ حقّاً ، قد والله سوّدنا عليك ، وحرّضنا وجهدنا عليك كلّ الجهد ، فما آلونا ، فما كنا بالأقوياء الفَجَرة ، ولا الأتقياء البَرَرَة ، ولقد نصرك اللهُ علينا ، وأظفرَك بنا ، فإن سطوتَ فبذُنوبنا وما جَرّت إليه أيدينا ، وإن عفوتَ عنا فبحلمك ، وبعد الحجة،

لكَ علينا ، فقال له الحجاج: أنت واللهِ أحبّ إليّ قولاً ممن يدخل علينا يَقطر سيفُه من دمائنا ثمّ يقول: ما فعلتُ ولا شهدتُ؛ قد أمِنْتَ عندنا يا شَعبيُّ ، فانصرِفْ ، قال: فانصرفتُ ، فلما مَشَيتُ قليلاً قال: هلّم يا شعبيّ؛ قال: فوَجِل لذلك قلبي ، ثمّ ذكرتُ قولَه: «قد أمِنْت يا شعبيّ» فاطمأنت نفسي ، قال: كيف وجدتَ الناس يا شعبيّ بعدنا؟ قال ـ وكان لي مكرماً: فقلتُ: أصلَح اللهُ الأمير! اكتحلتُ واللهِ بعدَك السَّهَر ، واستوعَرْتُ الجَناب ، واستحلَسْتُ الخوف ، وفقدْتُ صالح الإخوان ، ولم أجد من الأمير خَلَفاً. قال: انصرِف يا شَعبيّ ، فانصرَفْتُ[1]. (٦/ ٣٧٥).

قال أبو مِخنَف: قال خالد بن قَطَن الحارثيّ: أتِيَ الحجّاجُ بالأعشى ، أعشَى همْدانَ فقال: إيه يا عَدُوّ الله! أنشِدْني قولَك: «بين الأشجّ وبين قيس» ، أنفِذْ بيتَك ، قال: بل أنشدُك ما قلتُ لك؛ قال: بل أنشدْني هذه؛ فأنشدَهَ:

أبــى الله إلا أَن يُتَمِّــمَ نُـورَهُ ... ويُطْفِـئَ نُـورَ الفَـاسِقِيـنَ فيَخمُـدا
ويُظهِرَ أَهْلَ الحَقّ في كلّ مَوْطِنٍ ... ويُعْدِلَ وقْعَ السَّيْفِ من كان أَصيَدا
ويُنْـزِلَ ذُلاّ بـالعِـرَاقِ وأهلِـهِ ... لِما نَقَضُوا العَهْدَ الوثيقَ الموكَّدَا
ومـا أَحْـدَثـوا مِـنْ بِـدْعَـةٍ وعظيمـةٍ ... من القوْلِ لم تَصْعدْ إلى اللهِ مَصْعدا
ومـا نكثـوا مِـنْ بَيْعـةٍ بعْـد بَيْعَـةٍ ... إذا ضَمِنُوها اليَوْمَ خَاسُوا بها غَدَا
وجُبْنـاً حَشـاهُ رَبهُـمْ فـي قلـوبِهِـمْ ... فمـا يقْـربُـونَ النـاس إلا تَهـدُّدا
فلا صِدْقَ في قَولٍ ولا صَبْرَ عِنْدَهُم ... ولكِـنَّ فخـراً فيهِـمُ وتَـزيُّـدا
فكَيْـفَ رأيـت اللهَ فَـرَّقَ جَمْعَهُـمْ ... ومـزَّقهُـمْ عَـرْضَ البـلادِ وشـرَّدَا!
فقَتْـلاهـم قتلَـى ضَـلالٍ وفتْنـةٍ ... وحيُّهُـمُ أَمسـى ذَلِيـلاً مُطـرَّدا
ولمـا زَحَفْنَـا لابـنِ يُـوسُـفَ غُـدْوةً ... وأَبْـرَقَ مِنَّـا العَـارِضَـانِ وأَرْعَـدا
قَطَعْنَـا إليـه الخنـدقَيـن وإِنَّمـا ... قطَعْنا وأفضينا إلى الموت مُرْصِدا
فكـافَحَنَـا الحجّـاجُ دُونَ صُفـوفِنَـا ... كِفاحاً ولَمْ يضْرِبْ لذلك موْعِدَا
بِصَفٍّ كـأَنَّ البَـرقَ فِـي حَجَـراتِـهِ ... إذا مـا تجلَّـى بيْضُـهُ وتَـوقّـدا
دلفْنَـا إليـه فـي صُفُـوفٍ كـأَنَّهـا ... جِبَـالُ شَـرَوْرَى لـو تُعـانُ فتَنْهُـدا
فمـا لَبـثَ الحجّـاجُ أَنْ سَـلَّ سَيْفَـهُ ... علَيْنَـا فـولَّـى جَمْعُنـا وتَبـدَّدَا

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ومــا زاحَــفَ الحجّــاجُ إلا رأيْتَــهُ مُعــانــاً مُلَقًّــى للْفتُــوحِ مَعُــوَّدَا
وإنَّ ابْـنَ عبـاسٍ لفـي مـرجَجِنَّـةٍ نُشبِّهُهَـا قِطْعـاً مـن الليْـلِ أَسْـوَدا
فمـا شَـرَعُـوا رُمْحـاً ولا جَـرَّدُوا لـه ألا رُبَّمـا لاقـى الجَبـانُ فَجَـرَّدا
وكـرَّتْ علَيْنـا خَيْـلُ سُفْيَـانَ كَـرَّةً بفُـرْسـانهـا والسَمْهَـريِّ مُقَصـدَا
وسُفْيَـان يَهْـدِيهـا كـأنَّ لـواءَهُ من الطعن سِنْدٌ بات بالصِّبغ مُجسدا
كهـولٌ ومُـرْدٌ مـن قُضَـاعَـةَ حَـوْلَـهُ مَسَـاعيـر أبَطـال إذا النّكْسُ عَـرَّدا
إذا قـال شُـدُّوا شَـدَّةً حمَلـوا مَعـاً فـأَنْهَـلَ خِـرْصـانَ الـرِّمـاح وأوردَا
جُنُـودُ أَميـر المـؤمنيـنَ وخَيْلُـهُ وسلطَـانُـهُ أمسـى عـزيـزاً مـؤيَّـدَا
فيَهْنـى أميـرَ المـؤمنيـنَ ظُهُـورُه علـى أمّـة كـانـوا بُغـاةً وحسّـدا
نـزَوْا يَشتكـونَ البغْـيَ مـن أمرائِهِـمْ وكـانـوا هُـمُ أبغَـى البغـاةِ وأَعنَـدا
وجَـدْنـا بَنِـي مـروَانَ خَيْـرَ أئمـةٍ وأفضلَ هذي النّاسِ حِلْماً وسُودَدَا
وخَيْـرَ قُـريـشٍ فـي قـريـش أرُومَـةً وأكـرمَهُـم إلا النبـيَّ محمّـدا
إذا مـا تَـدَبَّـرنَـا عَـواقِـبَ أمـرهِ وجَـدْنـا أَميـر المـؤمنيـن مُسَـدَّدا
سيُغلَـب قـوم غـالبُـوا الله جَهـرةً وإن كـايَـدُوهُ كـانَ أقـوَى وأكْيَـدا
كـذاك يضِـلُّ اللهُ مـن كـان قلبُـه مريضـاً ومَـنْ والـى النِّفاقَ وأَلْحـدَا
فقد تركوا الأَهلِينَ والمالَ خلفهُمْ وبيضـاً عليهـنَّ الجـلابيـب خُـرَّدًا
يُنـادينهـم مُسْتَعْبـرات إليهـم ويُـذْرِيـنَ دَمعـاً فـي الخُـدُودِ وإثمِـدَا
فـإلاّ تُنَـاوِلْهُـنَّ مِنـكَ بـرحْمـةٍ يكـنَّ سَبـايَـا والبُعُـولَـةُ أعبُـدَا
أنكْثـاً وعِصْيَـانـاً وغَـدْراً وذِلّـةً أهـان الإلـهُ مـن أهـانَ وأبْعَـدَا
لقـد شـأم المِصْـريْـنِ فَـرْخُ مُحَمـدٍ بحـقّ ومـا لاقـى من الطَيـر أسْعـدَا
كمـا شـأَمَ اللهُ النُّجَيْـرَ وأهلَـهُ بجَـدٍّ لـهُ قـد كـانَ أشقـى وأنكـدَا

فقال أهل الشام: أحْسَنَ، أصلح الله الأمير! فقال الحجّاج: لا، لم يحسْن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثمّ قال: يا عدوّ الله، إنا لسنا نحْمَدُك على هذا القول، إنما قلت: تأسَّفَ ألا يكون ظَهَر وظَفِر وتحريضاً لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألناك، أنفِذْ لنا قولَك:

بيْـنَ الأشَـجّ وبيْـنَ قيْـسٍ بـاذخٌ

فأنفذَها، فلما قال:

بَـــخْ بَـــخْ لِـــوالِـــدِه وللمَـــوْلـــودِ

قال الحجاج: لا واللهِ لا تُبَخبخ بعدَها لأحد أبداً، فقَدّمه فضَرَب عُنقَه[1].
(٦/ ٣٧٥ ـ ٣٧٨).

وقد ذُكر من أمر هؤلاء الأسرى الذين أسَرَهم يزيدُ بن المهلب ووجّههم إلى الحجّاج ومن فُلول ابن الأشعث الذين انهزَموا يومَ مسكِن أمرٌ غيرَ ما ذكره أبو مِخنَف عن أصحابه، والذي ذُكِر عنهم من ذلك أنه لما انهزم ابنُ الأشعث مضى هؤلاء مع سائر الفَلّ إلى الرّي، وقد غلب عليها عُمر بن أبي الصّلت بن كنارا مولى بني نَصْر بن معاوية، وكان من أفْرَس الناس، فانضمّوا إليه، فأقبَل قتيبةُ بن مسلم إلى الرّيّ مِن قِبَل الحجاج وقد ولاّه عليها. فقال النفرُ الذين ذكرت أنّ يزيد بن المهلّب وجّههم إلى الحجاج مقيّدين وسائر فلّ ابن الأشعث الذين صاروا إلى الرّي لعمرَ بن أبي الصّلت: نولّيك أمرَنا وتحارب بنا قتيبة؛ فشاور عُمر أباه أبا الصّلت، فقال له أبوه: والله يا بُنيّ ما كنتُ أبالي إذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تُقتَل من غد، فعقد لواءه، وسار فَهُزم وهُزم أصحابه، وانكشفوا إلى سِجِستانَ، واجتمعتْ بها الفُلول، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رُتْبِيل، ثمّ كان من أمرهم وأمر يزيدَ بن المهلب ما قد ذكرتُ.

وذكَر أبو عُبيدة أنّ يزيدَ لما أراد أن يوجّه الأسرى إلى الحجّاج قال له أخوه حبيب: بأيّ وجه تَنظر إلى اليمانية وقد بعثت ابن طلحة! فقال يزيدُ: هو الحجاج، ولا يُتعرّض له! وقال: وَطن نفسَك على العَزْل، ولا تُرسل به، فإنّ له عندنا بلاءً، قال: وما بلاؤه؟ قال لُزِم المهلب في مسجد الجماعة بمئتي ألف، فأدّاها طلحة عنه، فأطلقَه، وأرسل بالباقين، فقال الفرزدق:

وَجَـد ابـنُ طلحـةَ يـومَ لاقـى قـومَـه ... قَحطـانَ يـوم هَـراةَ خيـرَ المعشَـرِ

(٦/ ٣٧٨ـ٣٧٩).

وقيل: إنّ الحجاج لما أتِي بهؤلاءِ الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه: إذا دعوتُك بسيِّدهم فائْتني بفيْرُوز، فأبرز سريره ـ وهو حينئذ بِواسِط القَصَب قبل أن تُبنَى مدينة واسط ـ ثمّ قال لحاجبه: جئني بسيّدهم؛ فقال لفيْروز:

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

قم؛ فقال له الحجاج: أبا عثمان، ما أخرجك مع هؤلاء؟ فوالله ما لحمُك من لحومِهم، ولا دَمُك من دمائهم! قال: فتنةٌ عمّت الناس، فكنّا فيها، قال: اكتبْ لي أموالَك، قال: ثمّ ماذا؟ قال: اكتبها أوّل؛ قال: ثمّ أنا آمِن على دمي؟ قال: اكتبها، ثمّ أنظر؛ قال: اكتبْ يا غلام، ألف ألف ألفيْ ألف، فذكَرَ مالاً كثيراً، فقال الحجاج: أين هذه الأموال؟ قال: عندي، قال: فأدّها؛ قال: وأنا آمِن على دمي؟ قال: والله لتؤدّينها ثمّ لأقتلنك؛ قال: والله لا تَجمَع مالي ودمي، فقال الحجاج للحاجب: نَحِّهِ، فنحّاه.

ثمّ قال: ائتني بمحمد بن سعد بن أبي وقّاص، فدعاه، فقال له الحجاج: إيهاً ياظِلّ الشيطان أعظمَ الناس تِيهاً وكِبراً، تأَبى بيعةَ يزيدَ بن معاوية، وتشبّه بحسين وابن عُمر، ثمّ صرتَ مؤذناً لابن كنارا عبد بني نصر - يَعْني عمر بن أبي الصَّلت - وجعل يَضرِب بعُود في يده رأسَه حتى أدماه؛ فقال له محمد: أيها الرجل، مَلكتَ فأسجح! فكَفّ يدَه، فقال: إن رأيتَ أن تكتبَ إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفوٌ كنتَ شريكاً في ذلك محموداً، وإن جاءك غيرُ ذلك كنتَ قد أعذَرتَ، فأطرق مَلِيّاً ثمّ قال: اضرب عنقَه، فضُرِبت عنُقه.

ثمّ دعا بعمرَ بن موسى فقال: يا عبدَ المرأة، أتقوم بالعَمود على رأس ابن الحائك، وتَشرَبَ معه الشراب في حمّام فارسَ، وتقول المقَالَة التي قلت! أين الفرزدق؟ قم فأنشِدْه ما قلت فيه. فأنشَدَه:

وخضَبْتَ أيْرَكَ للزِّناءِ ولم تكنْ يومَ الهِيَاج لتَخْضِبَ الأبطَالا

فقال: أما واللهِ لقد رفعتُه عن عقائلِ نِسائك، ثمّ أمَر بضَرْب عنِقه.

ثمّ دعا ابنَ عبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمرة، فإذا غلام حَدَث، فقال: أصلَحَ الله الأمير! ما لي ذنبٌ، إنما كنت غلاماً صغيراً مع أبي وأمي لا أمرَ لي ولا نَهْي، وكنت معهما حيث كانا، فقال: وكانت أمُّك مع أبيك في هذه الفِتن كلّها؟ قال: نعم، قال: على أبيك لعنةُ اللهِ.

ثمّ دعا بالهلْقام بن نعيم فقال: اجعل ابنَ الأشعث طلَبَ ما طَلَب، ما الذي أمّلت أنتَ معه؟ قال: أمّلتُ أن يملك فيولّيني العراقَ كما ولاّك عبدُ الملك، قال: قم يا حَوْشَب فاضربْ عنقَه، فقام إليه، فقال له الهِلْقام: يا بن لقيطة، أَتَنكَأ القرح! فضرب عنقه.

ثمّ أُتِيَ بعبد الله بن عامر ، فلما قدم بين يديه قال: لا رأتْ عيناك يا حجّاج الجنة إن أقلتَ ابن المهلب بما صَنَع ، قال: وما صَنَع؟ قال:

لأنّــه كــاس فــي إطــلاقِ أُســرَتِــهِ وقــادَ نحــوَكَ فــي أغــلالهــا مُضَــرَا
وَقَــى بقــومِــكَ ورد المــوتِ أســرَتَــه وكــان قــومُــك أدنــى عنــدَه خَطَــرا

فأطْرَق الحجّاج مَلِيّاً ، ووَقرَتْ في قلبه ، وقال: وما أنتَ وذاك! اضرِبَ عنقَه ، فضُربتْ عنقُه ، ولم تزل في نفس الحجّاج حتى عَزلَ يزيدَ عن خُراسان وحَبَسه.

ثمّ أمر بفَيْروزَ فعذّب ، فكان فيما عُذّب به أن كان يُشدّ عليه القصب الفارسيّ المشقوق ، ثم يجرّ عليه حتى يخرّق جسدَه ، ثم يُنْضَح عليه الخَلّ والمِلح ، فلما أحسّ بالموت قال لصاحب العذاب: إن الناس لا يَشُكّون أني قد قُتلتُ ، ولي ودائع وأموال عند الناس ، لا تؤدَّي إليكم أبداً ، فأظهِروني للناس لِيعلَموا أني حيّ فيؤدّوا المالَ ، فأعلِم الحجاج ، فقال: أظهروه ، فأخرج إلى باب المدينة ، فصاحَ في الناس: مَنْ عرَفَني فقد عرَفني ، ومن أنكرني فأنا فيروزُ حصين؛ إنّ لي عند أقوامٍ مالاً ، فمن كان لي عندَه شيء فهو له ، وهو منه في حِلّ ، فلا يؤدينّ منه أحد درهماً ، لِيُبَلغ الشاهدُ الغائبَ ، فأمر به الحجاج فقُتِل ، وكان ذلك ممّا روى الوليدُ بن هشام بن قحذم ، عن أبي بكر الهُذليّ. (٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨١).

وذكر ضَمْرة بن ربيعة ، عن أبي شَوْذب ، أنّ عمّال الحجّاج كتبوا إليه: إنّ الخَراج قد انكسر ، وإنّ أهَل الذمّة قد أسلموا ولَحقوا بالأمصار ، فكَتَب إلى البَصْرة وغيرِها أنّ من كان له أصلٌ في قرية فليخرج إليها ، فخرج الناسُ فعَسكرَوا ، فجعلوا يَبكون وينادُون: يا محمّداه يا محمّداه! وجعلوا لا يدرون أين يذهبون! فجعل قرّاء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنّعين فيبكون لما يَسمعون منهم ويَروْن ، قال: فقدِمَ ابنُ الأشعثِ على تَفِيئةِ ذلك ، واستبْصَر قرّاء أهلِ البَصْرة في قتال الحجّاج مع عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث. (٦/ ٣٨١).

وذكر عن ضَمرة بن ربيعَة عن الشيْبانيّ ، قال: قَتَل الحجاجُ يوم الزاوية أحدَ عشر ألفاً ، ما استحيَا منهم إلاّ واحداً ، كان ابنهُ في كُتّاب الحجاج ، فقال له: أتحبّ أن نَعفوَ لك عن أبيك؟ قال: نعم. فترَكَه لابنه؛ وإنما خدعَهم بالأمان ، أمر منادياً فنادى عند الهزيمة: ألا لا أمانَ لفلان ولا فلان ، فسمَّى رجالاً من

أولئك الأشرافِ ، ولم يَقُل : الناس آمنون ، فقالت العامّة : قد آمَن الناس كلهم إلاّ هؤلاء النفر ، فأقبلوا إلى حُجْرته فلما اجتمعوا أمرَهم بوَضْع أسلِحتهم ، ثم قال : لآمرنّ بكم اليومَ رجلاً ليس بينكم وبينه قرابة ، فأمر بهم عُمارة بن تميم اللخميّ فقرّبهم فقتَلهم . (٦/ ٣٨١).

ورُوي عن النّضر بن شُميل ، عن هشام بن حسّان ، أنه قال : بلغ ما قَتَل الحجّاجُ صبراً مئةً وعشرين ، أو مئةً وثلاثين ألفاً . (٣/ ٣٨١ ـ ٣٨٢).

وقد ذُكر في هزيمة ابن الأشعث بمَسكِن قولٌ غيرُ الذي ذكره أبو مِخنَف؛ والذي ذُكِر من ذلك أنّ ابن الأشعث والحجّاج اجتمَعا بمَسكِن من أرض أبزقباذ ، فكان عسكرُ ابن الأشعث على نهر يُدعَى خداش مؤخّر النهر ، نهر تِيرَى ، ونزل الحجاج على نهر أفريذ والعسكران جميعاً بين دِجلَة والسّيْب والكَرْخ ، فاقتتَلوا شَهْراً ـ وقيل : دون ذلك ـ ولم يكن الحجّاج يَعرِف إليهم طريقاً إلا الطريق الذي يلتَقُون فيه ، فأتِيَ بشَيْخ كان راعياً يُدعَى زَوْرقاً ، فدلّه على طريق من وراء الكَرْخ طولُه ستّة فراسخ ، في أجَمةٍ وضَحْضاح من الماء ، فانتخب أربعة آلاف من جِلّة أهلِ الشام ، وقال لقائدهم : لِيكُن هذا العِلْج أمامَك ، وهذه أربعةُ آلاف دِرْهم معك ، فإن أقامَكَ على عسكرهم فادفع المالَ إليه ، وإن كان كَذِباً فاضربْ عنقَه ، فإن رأيتَهم فاحملْ عليهم فيمن معك ، وليكنْ شعارُكم : يا حجّاج يا حجّاج . فانطلق القائدُ صلاةَ العصر ، والتَقَى عسكرُ الحجاج وعسكرُ ابن الأشعث حين فَصَل القائد بمن معه ، وذلك مع صلاة العصر ، فاقتَتَلوا إلى الليل ، فانكشف الحجّاج حتى عبر السِّيب ـ وكان قد عقده ـ ودخل ابنُ الأشعث عسكرَه فانتَهبَ ما فيه . فقيل له : لو اتبعتَهُ؟ فقال : قد تعِبنا ونَصِبْنا ، فرَجَع إلى عسكرِه فألقَى أصحابُه السلاحَ ، وباتوا آمِنين في أنفسِهم لهم الظَّفر ، وهجم القومُ عليهم نصفَ الليل يصيحون بشِعارهم ، فجعل الرجلُ من أصحاب ابن الأشعث لا يدري أين يتوجّه! دُجَيل عن يساره ودِجلة أمامَه ، ولها جُرْف منكَر ، فكان من غَرق أكثر ممن قُتِل .

وسمع الحجاج الصوتَ فعبر السِّيبَ إلى عسكره ، ثمّ وجّه خيلَه إلى القوم فالتقى العسكران على عسكر ابن الأشعث ، وانحازَ في ثلاثمئة ، فمضى على شاطئ دِجلةَ حتى أتى دُجَيلا فعبَره في السفن ، وعَقَروا دوابَّهم ، وانحدَروا في

السفن إلى البَصْرة ، ودخل الحجاج عسكرَه فانتهب ما فيه ، وجعل يَقتُل من وجد حتى قَتل أربعةَ آلاف؛ فيقال: إنّ فيمن قُتِل عبد الله بن شدّاد بن الهاد ، وقتل فيهم بِسْطام بن مَصْقَلة بن هُبيرة ، وعمر بن ضُبيْعة الرّقاشيّ ، وبشر بن المنذر بن الجارود والحَكم بن مخرَمة العبديَّيْن ، وبُكَير بن ربيعة بن ثَرْوان الضّبيّ؛ فأتِي الحجاج برؤوسهم على تُرْس ، فجعل يَنظُر إلى رأس بِسطامَ ويتمثّل:

إذا مَــررْتَ بــوادِي حَيَّــةٍ ذَكَــرٍ فاذهبْ ودَعْني أقاسي حيةَ الوادِي

ثم نظر إلى رأس بُكَير ، فقال: ما ألقى هذا الشقيّ مع هؤلاء ، خُذْ بأذنه يا غلام فألقِه عنهم ، ثمّ قال: ضَعْ هذا الترس بين يديْ مسمَع بن مالك بن مِسمَع ، فوُضع بين يديه ، فبكى ، فقال له الحجّاج: ما أبكاك؟ أحزناً عليهم؟ قال: بل جَزعاً لهم من النار. (٦/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

* * *

ذكر خبر بناء مدينة واسط

وفي هذه السنة: بنى الحجاج واسطاً ، وكان سبب بنائه ذلك ـ فيما ذكر ـ أنّ الحجاج ضرب البَعْث على أهل الكُوفة إلى خُراسان ، فعسكروا بحمّام عُمر ، وكان فتىً من أهل الكوفة من بني أَسَد حديثُ عهد بعُرس بابنة عمّ له ، انصرف من العسكر إلى ابنة عمِّه لَيْلاً ، فطرق البابَ طارق ودقّه دقّاً شديداً ، فإذا سكرانُ من أهل الشام ، فقالت للرجل ابنةُ عمِّه: لقد لقِينا من هذا الشامي شرّاً ، يفعل بنا كلَّ ليلة ما تَرَى ، يريد المكروهَ ، وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه ، وعَرَفوا ذلك ، فقال: ائذنوا له ، ففعلوا ، فأغلَق البابَ ، وقد كانت المرأة نجّدت منزلها وطيَّبتُه ، فقال الشاميّ: قد آن لكم ، فاستقناه الأسديّ ، فأندَر رأسَه ، فلما أذّن بالفَجْر خرج الرّجل إلى العسكر وقال لامرأته: إذا صلّيت الفجر فابعثي إلى الشاميّين أن أخرِجوا صاحبَكم ، فسيأتون بكِ الحجاجَ ، فاصدقِيه الخبَر على وجهِه؛ ففعلتْ ، ورُفع القتيلُ إلى الحجاج ، وأدخلت المرأة عليه وعنده عنْبَسة بن سعيد على سريره ، فقال لها: ما خَطْبُك؟ فأخبرتْه ، فقال: صدَقْتِني. ثم قال لُولاة الشاميّ: ادفنوا صاحبَكم فإنه قتيلُ الله إلى النار ، لا قَوَدَ له ولا عَقْل ، ثمّ نادى مناديه: لا ينزلنّ أحدٌ على أحد ، واخرُجوا فعَسكروا.

وبعث رُوّاداً يرتادون له مَنزِلاً ، وأمعن حتى نزل أطراف كسْكَر ، فبينا هو في موضع واسِط إذا راهبٌ قد أقبل على حمار له وعبرَ دِجلةَ ، فلما كان في موضع واسط تفاجّت الأتان فبالتْ ، فنزل الراهبُ ، فاحتفر ذلك البول ، ثمّ احتمَلَه فرمى به في دجْلة ، وذلك بِعَيْن الحجّاج ، فقال: عليَّ به ، فأتى به ، فقال: ما حَملك على ما صنعتَ؟ قال: نجد في كُتُبنا أنه يُبْنى في هذا الموضع مَسجدٌ يُعبَد اللهُ فيه ما دامَ في الأرض أحدٌ يوحِّده.

فاختطّ الحجّاج مدينةَ واسِطَ ، وبَنَى المسجدَ في ذلك الموضع. (٦/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

خبر قتل الحجّاج أيوب بنَ القِرّية

وفيها قَتَل الحجّاجُ أيوبَ بن القِرِّيَة ، وكان ممن كان مع ابن الأشعث ، وكان سبب قتله إياه ـ فيما ذُكِر ـ أنه كان يدخل على حَوْشب بن يزيد بعد انصرافه من دَيْر الجَماجم ـ وحَوْشب على الكوفة عامل للحجاج ـ فيقول حوْشب: انظروا إلى هذا الواقف معي ، وغداً أو بعدَ غد يأتي كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذَه ، فبينا هو ذاتَ يوم واقف إذا أتاه كتابٌ من الحجّاج:

أما بعد فإنك قد صرت كَهْفاً لمُنافِقي أهلِ العراق ومأوىً ، فإذا نظرتَ في كتابي هذا فابعثْ إليَّ بابن القِرّيَّة مشدودة يدُه إلى عنقه ، مع ثقةٍ من قبَلك.

فلما قرأ حوشب الكتابَ رَمى به إليه ، فقرأه فقال: سمعاً وطاعة؛ فبعث به إلى الحجاج مُوثَقاً ، فلما دخل الحجّاج قال له: يا بن القِرِّيَّة ، ما أعددتَ لهذا الموقف؟ قال: أصلح الله الأمير! ثلاثةَ حروف كأنهنَّ رَكْبٌ وُقوف ، دنيا ، وآخرةٌ ، ومعروف ، قال: اخرج مما قلتَ ، قال: أفعلُ ، أما الدنيا فمالٌ حاضر ، يأكلُ منه البرّ والفاجر ، وأما الآخرة فميزان عادِل ، ومَشهد ليس فيه باطل ، وأما المعروف فإن كان عليّ اعترفتُ ، وإن كان لي اغترفْتُ ، قال: إمّا لا فاعترف بالسيف إذا وَقَع بك ، قال: أصلح الله الأمير! أقِلْني عَثْرتي ، وأسغني

رِيقي ، فإنه ليس جواد إلا له كَبْوة ، ولا شجاعٌ إلا له هَبْوة ، قال الحجّاج: كلا والله لأُرِينّك جهنّم ، قال: فأرِحْني فإنّي أجد حَرَّها ، قال: قدّمْه يا حَرسِيّ فاضربْ عنقَه ، فلما نظر إليه الحجّاج يتشحَّط في دمِه قال: لو كنّا تركْنا ابنَ القِرية حتى نَسمَع من كلامه! ثمّ أمر به فأخرج فرُمِيَ به.

قال هشام: قال عَوانة: حين مَنَع الحجاجُ من الكلام ابنَ القِريّة ، قال له ابنُ القِريّة: أما واللهِ لو كنتُ أنا وأنت على السوّاء لسكنا جميعاً ، أو لألْفَيْتَ مَنِيعاً. (٦/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦).

[فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس]

وفي هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس.

* ذكر سبب فتحه إياها:

ذكَر عليّ بنُ محمد عن المفضّل بن محمد ، قال: كان نِيزَك يَنزل بقَلْعة باذغيس ، فتحيّن يزيدُ غزوَه ، ووَضع عليه العيون ، فبلغه خروجُه ، فخالفه يزيدُ إليها ، وبلغ نيزك فرجع ، فصالَحه على أن يدفع إليه مافي القلعة من الخزائن ، ويرتحِل عنها بعِياله ، فقال كَعْب بنُ معْدانَ الأشقَريّ:

وبـاذَغيـسُ التـي مَـن حـل ذُرْوتَهـا ... عـزَّ الملـوكَ فـإن شَـا جَـار أَوْ ظَلمـا
مَنيعــةٌ لــم يَكِــدْهــا قبلــه ملــكٌ ... إلا إذا وَاجَهَـتْ جيشـاً لــه وجَمـا
تخَـالُ نيـرانهـا مـن بُعـد منظـرهـا ... بعـضَ النّجـوم إذا مـاليلُهـا عَتمـا
لمّـا أَطافَ بها ضـاقتْ صدورهُـمُ ... حتـى أقـرّوا لـه بـالحُكـم فـاحتكمـا
فـذلَّ سـاكِنُهـا مـن بَعـدِ عِـزَّتـهِ ... يُعطي الجِزَى عارفاً بالذل مُهتضَما
وبعــد ذلــك أيــامــاً نعــدّدهــا ... وقبلهـا مـا كَشَفْـتَ الكرب والظلما
أَعطـاك ذاك ولـيُّ الـرزق يَقْسِمُـهُ ... بين الخلائق والمحرومُ من حُرما
يـداك إحـداهمـا تُسقـي العـدو بهـا ... سَمّـاً وأُخـرى نـداهـا لـم يـزَلْ دِيَمَـا
فهـل كَسَيْـبِ يـزيـدَ أَوْ كنـائِلِـهِ ... إلا الفـراتُ وإلا النِّيـلُ حيـن طَمـا
ليسـا بـأجـوَد منـه حيـنَ مَـدِّهِمـا ... إذ يعلـوَانِ حـداب الأَرض والأَكَمـا

وقال:

ثَنـائـي علـى حـيِّ العتيـك بـأَنَّهـا ... كِـرامٌ مقـاريهـا ، كِـرامٌ نصـابُهـا

إذا عقدوا للجارِ حَلَّ بِنجْوةٍ عزيزٍ مَراقيها ، منيعٍ هضَابُها
نَفى نيزَكاً عن باذَغيسَ ونيزكٌ بمنزلةٍ أعيا الملوكَ اغتصابُها
مُحلّقةٍ دونَ السماءِ كأنها غمَامةُ صَيفٍ زلّ عنها سحابها
ولا يبلُغ الأَرْوى شماريخَها العلا ولا الطيرُ إلاّ نسرُها وعُقابها
وما خُوِّفتْ بالذئب وِلْدانُ أَهلها ولا نَبَحتْ إلا النجومَ كِلاَبُها
تمنّيتُ أن ألقى العتيكَ ذوي النُّهى مسلّطةً تُحمى بملكٍ ركابُها
كما يتمنى صاحبُ الحرثِ أُعطشَت مزارِعُهُ غيثاً غَزيراً رَبابُها
فأُسْقى بعد اليأس حتى تحَيَّرَتْ جدَاولها رِيّاً وَعبّ عبابُها
لقد جمع الله النوى وتشَعَّبَتْ شعوبٌ مِنَ الآفاقِ شَتى مآبها

قال: وكان نيزك يُعظِّم القلعة إذا رآها سجَد لها ، وكتَب يزيدُ بن المهلب إلى الحجاج بالفتْح ، وكانت كُتُب يزيد إلى الحجاج يكتبها يحيى بن يَعمر العَدْوانيّ ، وكان حليفاً لهذيل ، فكتب: إنا لَقِينا العدو فمنحنَا الله أكتافَهم ، فقتلْنا طائفةً ، وأسرْنا طائفة ، ولحقتْ طائفة برؤوس الجبال وعَراعِر الأودية ، وأهضام الغِيطان وأثناءِ الأنهار ، فقال الحجّاج: من يكتب ليزيدَ؟ فقيل: يحيى بن يَعمر ، فكَتبَ إلى يزيدَ فحمَلَه على البريد ، فقَدِم عليه أفصَح الناس ، فقال له: أينَ وُلِدتَ؟ قال: بالأهواز؛ قال: فهذه الفصاحة؟ قال: حفظتَ كلاَم أبي وكان فصيحاً ، قال: مِن هناك فأخبرني هل يَلحَن عنبسة بن سعيد؟ قال: نَعَم كثيراً ، قال: ففلان؟ قال: نعم ، قال: فأخبرني عنّي أألحَن؟ قال: نعم تلحَن لحْناً خفيّاً؛ تزيد حرفاً وتَنقص حرفاً ، وتجعَل أنْ في موضع إنْ ، وإنْ في موضع أنْ.

قال: قد أجّلتك ثلاثاً ، فإن أجدْك بعدَ ثلاث بأرض العراق قتلْتك. فرجَع إلى خُراسان[1]. (٦/ ٣٨٦ ـ ٣٨٨).

---

(١) قلنا: والمفضل ثقة في التاريخ فقط كما يدل كلام الخطيب. وسبحان الله ما وجدنا راوياً طعن فيه أهل الحديث بجرح مفسر إلاّ وفي بعض رواياته التاريخية غرابة إن لم تكن نكارة ، والمفضل هنا ذكر في المتن غير ما عرف عن الحجاج من الفصاحة والبلاغة ، والله تعالى أعلم.

ثمّ دخلت سنة خمس وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

خبر هلال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

ففيها كان هلاكُ عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث.

* ذكر السبب الذي به هلك، وكيف كان:

ذَكَر هشام بنُ محمد، عن أبي مِخنَف، قال: لما انصرفَ ابنُ الأشعث من هَرَاةَ راجعاً إلى رُتْبيل، كان معه رجلٌ من أوْد يقال له علْقمة بن عمرو، فقال له: ما أريد أن أدخُل معك؛ فقال له عبد الرحمن: لِمَ: قال: لأني أتخوّف عليك وعلى من معك، واللهِ لكأني بكتاب الحجاج قد جاء، فوَقع إلى رُتْبيل يُرغّبه ويُرهِّبه، فإذا هو قد بعث بك سَلْماً أو قتَلكم. ولكن هاهنا خمسمئة قد تبايعْنا على أن ندخل مدينةً فنتحصّن فيها، ونقاتلَ حتى نُعطَى أماناً أو نموتَ كراماً، فقال له عبد الرّحمن: أما لو دخلتَ معي لآسيْتُك وأكرَمْتك، فأبى عليه علقمةُ، ودخل عبد الرّحمن بنُ محمد إلى رُتْبيل، وخرج هؤلاء الخمسمئة فبعثوا عليهم مودوداً النَّضريّ، وأقاموا حتى قدم عليهم عُمارة بن تميم اللَّخميّ فحاصرَهم، فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم، فخرجوا إليه فوَفى لهم.

قال: وتتابعت كُتُب الحجاج إلى رُتْبيل في عبد الرحمن بن محمد أن ابعث به إليّ، وإلا فوالذي لا إله إلا هو لأوطِئنّ أرْضَك ألفَ ألف مُقاتل، وكان عند رُتْبيل رجلٌ من بني تميم ثمّ من بني يَربوع يقال له عُبيَد بن أبي سُبَيع، فقال لرُتْبيل: أنا آخذُ لك من الحجّاج عهداً ليكفنّ الخراجَ عن أرضك سبعَ سنينَ على أن تَدفَع إليه عبدَ الرحمن بن محمّد، قال رتبيل لعبيد: فإن فعلتَ فإنّ لك عندي ما سألتَ.

فكتب إلى الحجّاج يُخبِره أنّ رُتبيلَ لا يعصِيه، وأنه لن يَدَع رُتْبيل حتى يَبعث إليه بعبد الرحمن بن محمد، فأعطاه الحجّاج على ذلك مالاً وأخذ من رُتْبيل عليه مالاً، وبعث رُتْبيل برأسِ عبد الرحمن بن محمد إلى الحجّاج، وترك له الصلح الذي كان يأخذه منه سبعَ سنين، وكان الحجّاج يقول: بعث إليّ رُتْبيل بعدوّ الله،

فألقَى نفسه من فوق إجار فمات[١] . (٦/ ٣٨٩ _ ٣٩٠) .

قال أبو مخنَف: وحدّثني سليمان بنُ أبي راشد ، أنه سمع مُليكةَ ابنةَ يَزيدَ تقول: واللهِ لماتَ عبدُ الرحمن وإنّ رأسَه لعلى فَخِذِي ، كان السلّ قد أصابه ، فلما مات وأرادوا دفَنه بعث إليه رُتْبيل فحزّ رأسَه ، فبعث به إلى الحجاج ، وأخذ ثمانية عشرَ رجلاً من آل الأشعث فحبَسهم عندَه ، وترك جميعَ من كان معه من أصحابه ، وكتب إلى الحجّاج بأخذه الثمانية عشر رجلاً من أهل بيت عبد الرّحمن ، فكتب إليه: أن اضرِب رقابَهم ، وابعث إليّ برؤوسهم ، وكره أن يُؤتَى بهم إليه أحياءً فيُطلبَ فيهم إلى عبد الملك ، فيترك منهم أحداً[٢] . (٦/ ٣٩٠) .

وقد قيل في أمر بنِ أبي سُبيع وابن الأشعث غير ما ذكرتُ عن أبي مِخنَف ، وذلك ما ذكر عن أبي عُبيدة مَعمَر بن المثنَّى أنه كان يقول: زعم أن عُمارة بن تميم خرج من كَرْمان فأتَى سجستانَ وعليها رجلٌ من بني العنبر يُدعَى مودوداً ، فحصَره ثمّ آمنه ، ثم استولى على سِجِسْتَانَ ، وأرسل إلى رُتْبيل ، وكَتَب إليه الحجّاج: أما بعد ، فإني قد بعثتُ إليك عُمارةَ بن تميم في ثلاثين ألفاً من أهل الشام لم يخالِفوا طاعة ، ولم يخلَعوا خليفة ، ولم يتّبعوا إمام ضلالة ، يُجرى على كل رجل منهم في كلّ شهر مئة دِرْهم ، يستطعِمون الحربَ استطعاماً ، يَطلُبون ابن الأشعث ، فأبى رتبيل أن يسلمه ، وكان مع ابن الأشعث عُبيد بن أبي سُبيع التميميّ قد خصّ به ، وكان رسولُه إلى رُتْبيل ، فخصّ برتبيل أيضاً ، وخفّ عليه ، فقال القاسم بن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن: إني لا آمن غدرَ التميميّ ، فاقتلْه ، فهَمّ به ، وبلغ ابن أبي سُبيع ، فخافَه فوشَى به إلى رُتْبيل ، وخوّفه الحجّاج ، ودعاه إلى الغَدْر بابن الأشعث فأجابه ، فخرج سرّاً إلى عُمارة بن تميم ، فاستعجل في ابن الأشعث ، فجعل له ألفَ ألفٍ ، فأقام عندَه ، وكتَب بذلك عُمارة إلى الحجّاج ، فكتب إليه أن أعطِ عبيداً ورُتْبيلَ ما سألاك واشترطْ ، فاشترط رُتبيلُ ألاّ تغزى بلادُه عشر سنين ، وأن يؤدّيَ بعد العشر سنينَ في كلّ سنة تسعمئة ألف ، فأعطى رُتْبيل وعبيداً ما سألا ، وأرسلَ رتبيل إلى

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك .

ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته ، وقد أعدّ لهم الجوامع والقيود ، فألقى في عنقِه جامعةً ، وفي عنق القاسم جامعة ، وأرسل بهم جميعاً إلى أدنى مَسالح عمارة منه ، وقال لجماعة من كان مع ابنِ الأشعث من الناس: تفرّقوا إلى حيث شئتم ، ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقَى نفسَه من فوق قَصْر فمات ، فاحتزّ رأسه ، فأتى به وبالأسرى عمارة ، فضرب أعناقهم ، وأرسل برأس ابن الأشعث ، وبرؤوس أهلِه وبامرأته إلى الحجّاج ، فقال في ذلك بعضُ الشعراء:

هيهات موضعُ جُثَّةٍ من رأسِها ... رأسٌ بمصرَ وجثَّة بالرَّخَّجِ

وكان الحجاج أرسل به إلى عبدِ الملك ، فأرسل به عبد الملك إلى عبد العزيز وهو يومئذ على مِصر. (٦/ ٣٩٠ ـ ٣٩١).

وذكر عمر بن شبّة أن ابن عائشةَ حدّثه قال: أخبرَني سعد بنُ عُبيد الله قال: لما أتِي عبدُ الملك برأسِ بن الأشعث ، أرسَل به مع خصيّ إلى امرأة منهم كانت تحتَ رجل من قريش ، فلما وُضع بين يديْها قالت: مرحباً بزائر لا يتكلّم؛ مَلِك من الملوك طلَب ما هو أهلهُ فأبت المقادير ، فذهب الخَصِيّ يأخذ الرأس فاجتذبتْه من يدِه ، قالت: لا واللهِ حتى أبلغ حاجتي ، ثمّ دعت بخَطميّ فغسَلَتْه وغلّفتْه ثمّ قالت: شأنَك به الآن. فأخذه ، ثم أخبر عبد الملك ، فلمّا دخل عليه زوجُها ، قال: إن استطعتَ أن تصيبَ منها سَخْلة.

وذكر أنّ ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه وهو هارِبٌ إلى بلاد رتْبيلَ فتمثّل:

يطردُه الخَوف فهوُ تائهٌ ... كذاكَ مَنْ يكرَهُ حَرَّ الجِلادِ
منُخَرقُ الخُفَّين يشكو الوَجَا ... تنكبُه أطراف مَرْوٍ حِدادِ
قد كان في الموت له راحةٌ ... والموتُ حَتْمٌ في رقابِ العبادِ

فالتفت إليه فقال: يا لحية ، هلاّ ثبتَّ في موطن من المواطن فنَموت بين يديك ، فكان خيراً لك مما صرتَ إليه! (٦/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

قال هشام: قال أبو مِخنَف: خرج الحجّاج في أيامه تلك يسير ومعه حُمَيد الأَرْقَط وهو يقول:

ما زال يَبني خَنْدقاً ويَهدِمُهْ ... عن عسكرٍ يقودُه فيُسلمُهْ

حتَّى يصيرَ في يديْكَ مَقسِمهْ هيهاتَ من مصفِّه مُنَهَزِمُهْ
إنَّ أَخا الكِظاظِ من لا يسأَمُهْ

فقال الحجّاج: هذا أصدَقُ من قولِ الفاسق أعشَى هَمْدان:

نُبِّئتُ أنّ بُنَيّ يوسف خرَّ من زَلَقٍ فتبَّا

قد تبيّن له من زَلِقَ وتبَّ ودحَض فانكبّ، وخاف وخابَ، وشكّ وارتاب؛ ورفع صوته فما بقي أحدٌ إلا فَزِع لغضبه، وسَكت الأرَيقط، فقال له الحجّاج: عدْ فيما كنت فيه، ما لَك يا أرْقط! قال: إني جُعلت فداكَ أيّها الأمير وسلطان الله عزيز، ما هو إلا أن رأيتُك غضبتَ فأرعدَتْ خصائلي، واحزألّتْ مَفاصلي، وأظلم بَصَري، ودارت بيِ الأرض، قال له الحجاج: أجلْ، إنّ سلطان الله عزيز، عدْ فيما كنتَ فيه، ففعل.

وقال الحجاج وهو ذاتَ يوم يسيرُ ومعه زيادُ بن جَرير بن عبد الله البَجَليّ وهو أعوَر، فقال الحجّاج للأريقط: كيف قلتَ لابن سمُرة؟ قال: قلت:

يا أعوَر العَيْن فَدَيْتُ العُورَا كنتَ حَسِبْتَ الخَنْدَقَ المحْفورا
يرُدُّ عنْك القَدَرَ المقدورا ودائرات السَّوْءِ أن تَدورا

وقد قيل: إنّ مَهلك عبد الرّحمن بن محمّد كان في سنة أربع وثمانين[1]. (٦/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣).

عزل يزيد بن المهلّب عن خراسان

وفي هذه السنة عَزَل الحجّاج بن يوسف يزيدَ بن المهلَّب عن خُراسان وولاّها المفضّل بن المهلّب أخا يزيد.

* ذكر السبب الذي من أجله عزله الحجاج عن خُراسان واستعمَل المفضّل:

ذَكَرَ عليّ بنُ محمد، عن المفضَّل بن محمد، أن الحجاج وَفَد إلى عبد الملك، فمرَّ في منُصرَفه بدير فنزَلَه، فقيل له: إنّ في هذا الدَّيْر شيخاً من أهل الكُتُب عالماً، فدعا به فقال: يا شيخ، هل تجدون في كُتُبكم ما أنتم فيه ونحن؟ قال:

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

نعم ، نجد ما مضى من أمْرِكم وما أنتم فيه وما هو كائن؛ قال: أفمسمًّى أم موصوفاً؟ قال: كلّ ذلك؛ موصوف بغير اسم ، واسم بغير صفة ، قال: فما تجدون صفةَ أمير المؤمنين؟ قال: نجده في زماننا الذي نحن فيه؛ ملك أقرَع ، من يقم لسبيله يُصرَع ، قال: ثمّ من؟ قال: اسم رجل يقال له الوَليد ، قال: ثمّ ماذا؟ قال: رجل اسمه اسمُ نبيّ يفتَح به على الناس ، قال: أفتعرفني؟ قال: قد أخْبِرت بك.

قال: أفتعلم ما ألِي؟ قال: نعم ، قال: فمن يَلِيه بَعدي؟ قال: رجلٌ يقال له يزيد ، قال: في حياتي أم بعد موتي؟ قال: لا أدري ، قال: أفتعرف صفتَه؟ قال: يغدر غُدرةً؛ لا أعرف غير هذا.

قال: فوقَع في نفسه يزيدُ بنُ المهلّب ، وارتحل فسار سَبْعاً وهو وَجِل من قولِ الشيخ؛ وقَدِم فكَتَب إلى عبد الملك يَستَعفيه من العراق ، فكتب إليه: يا بنَ أمّ الحجاج ، قد علمتُ الذي تغزو ، وأنك تريد أن تَعلَم رأيي فيك ، ولَعَمري إني لأرَى مكانَ نافع بنِ عَلْقمة ، فالْهُ عن هذا حتى يأتي الله بما هوَ آت؛ فقال الفرزدق يَذكُر مسيرَه:

لو أنَّ طيْراً كُلِّفتْ مثلَ سَيْره ... إلى واسطٍ من إيلياءَ لمَلَّتِ

سَرى بالمَهارِي منْ فِلَسطينَ بعدما ... دنا الليلُ من شمس النهار فوَلَّتِ

فما عاد ذاك اليومُ حتى أناخها ... بمَيْسان قدْ ملَّتْ سُراها وكلَّتِ

كأنَّ قُطاميَّاً على الرّحْل طاوياً ... إذا غمْرةُ الظَّلماء عنْه تجلَّت

قال فبينا الحجّاج يوماً خالٍ إذا دعا عبيدَ بن مَوْهب ، فدخل وهو يَنكُتُ في الأرض ، فرفع رأسَه فقال: ويحَك يا عُبيد! إن أهل الكتب يَذكرون أنّ ما تحت يدي يليه رجلٌ يقال له يزيد ، وقد تذكرت يزيدَ بن أبي كبشة ، ويزيدَ بن حُصَين بن نُمَير ، ويزيد بن دينار ، فليسوا هناك ، وما هوَ إن كان إلا يزيد بن المهلب ، فقال عبيد: لقد شرّفتَهم وأعظمت ولايتَهم ، وإنّ لهم لعَدَداً وجَلَداً ، وطاعة وحظّاً ، فأخلق به ، فأجمع على عزل يزيد فلم يَجِد له شيئاً حتى قدم الخيار بن أبي سَبْرة بن ذُؤيب بن عَرْفجة بن محمد بن سُفيان بن مُجاشع ـ وكان من فُرسان المهلب ـ وكان مع يزيد ـ فقال له الحجاج: أخبرْني عن يزيدَ ، قال: حَسَن الطاعة ، ليّن السيرة ، قال: كذبت ، أصدِقني عنه ، قال: اللهُ أجلّ

وأعظم ، قد أسرج ولم يُلجم ، قال: صدقتَ ، واستعمل الخيار على عُمان بعد ذلك.

قال: ثمّ كتب إلى عبد الملك يذمّ يزيدَ وآلَ المهلّب بالزبيريّة ، فكتب إليه عبدُ الملك: إني لا أرى نَقْصاً بآل المهلب طاعتهم لآل الزّبير ، بل أراه وفاء منهم لهم ، وإنّ وَفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي ، فكَتَب إليه الحجّاج يخوّفه غدرَهم لما أخبره به الشيخ ، فكتب إليه عبدُ الملك: قد أكثرتَ في يزيدَ وآل المهلب ، فسمّ لي رجلاً يَصلُح لخُراسان؛ فسَمَّى له مُجّاعة بن سعر السعديّ ، فكتب إليه عبدُ الملك: إنّ رأيك الذي دعاك إلى استفساد آلِ المهلب هو الذي دعاك إلى مُجّاعة بن سعر ، فانظر لي رجلاً صارماً ، ماضياً لأمرك ، فسَمَّى قتيبة بن مسلم ، فكتب إليه: ولِّه ، وبلغ يزيد أنّ الحجاج عزَلَه ، فقال لأهل بيته: مَن ترون الحجاج يولي خُراسانَ؟ قالوا: رجلاً من ثَقيف ، قال: كلا ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعَهْده ، فإذا قدمتُ عليه عزلَه وولى رجلاً من قيس ، وأخلِق بقتيبة! قال: فلما أذن عبد الملك للحجّاج في عَزْل يزيدَ كره أن يكتب إليه بعزله ، فكتب إليه أن استخلف المفضَّل وأقبِل ، فاستشار يزيدُ حُضَينَ بن المنذر ، فقال له: أقم واعتلّ ، فإنّ أميرَ المؤمنين حَسَن الرأي فيك ، وإنما أتيتَ من الحجاج ، فإنْ أقمتَ ولم تَعجل رجوتُ أن يكتب إليه أن يقرّ يزيد ، قال: إنّا أهلَ بيت بُورِك لنا في الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف؛ فأخذ في الجهَاز ، وأبطأ ذلك على الحجّاج ، فكتب إلى المفضّل: إني قد ولّيتُك خُراسانَ ، فجعل المفضل يستحِثّ يزيدَ ، فقال له يزيد: إنّ الحجّاج لا يُقرّك بعدي ، وإنما دعاه إلى ما صَنَع مخَافةَ أن أمتَنِعَ عليه ، قال: بل حسدتَني ، قال يزيد: يا بن بَهلة ، أنا أحسدُك! ستعلم ، وخرج يزيدُ في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين.

فعزل الحجاجُ المفضّل ، فقال الشاعر للمفضّل وعبد الملك وهو أخوه لأمّه:

يـا بَنـيْ بَهلَـةَ إنّمـا أخْـزَاكمـا ... ربّـي غَـداة غَـدا الهُمَـامُ الأَزْهَـرُ
أحَفَـرْتُـمُ لأَخيكُـم فَـوَقَعْتُـم ... فـي قَعْـرِ مُظْلِمَـةٍ أخُـوهـا المُغْـوِرُ
جُـودُوا بتَـوْبَـةِ مُخْلِصيـنَ فـإنّمـا ... يـأْبَـى ويـأْنَـف أن يَتُـوبَ الأَخْسَـرُ

وقال حُضَين ليزيد:

أَمَـرْتـك أَمْـراً حـازمـاً فعَصَيْتَنـي ... فـأصْبَحْـتَ مَسلـوب الإمَـارةِ نـادِمـا

فما أنا بالبَاكي عَليكَ صَبَابَةً　　وما أنا بالدَّاعي لِتَرْجعَ سَالِمَا

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين: كيف قلت ليزيد؟ قال: قلت:

أَمَرْتُكَ أَمْراً حازماً فعصيتني　　فنَفْسَكَ أَوْلِ اللوْمَ إنْ كُنْتَ لائما

فإن يَبلغ الحجَّاجَ أَنْ قَدْ عَصَيْتَهُ　　فإنَّك تَلْقى أَمْرَهُ مَتفاقما

قال: فماذا أمرتَه به فعصاك؟ قال: أمرتُه ألاّ يَدَع صفراءَ ولا بيضاءَ إلا حمَلَها إلى الأمير، فقال رجل لعياض بنِ حضين: أما أبوك فوجَده قتيبةُ حين فرّه قارِحاً بقوله: «أمرته ألاّ يدعَ صَفراء ولا بيضاءَ إلا حملها إلى الأمير». (٦/ ٣٩٣ ـ ٣٩٦).

قال عليّ: وحدّثنا كُلَيب بن خَلَف، قال: كتب الحجّاج إلى يزيدَ أن اغزُ خُوارزم، فكتَب إليه: أيها الأمير، إنها قليلة السَّلَب، شديدةُ الكَلَب، فكتَب إليه الحجّاج: استخلِف واقدم، فكتَبَ إليه، إني أريد أن أغزوَ خُوارزم، فكتَب إليه: لا تغزُها فإنها كما وصَفت؛ فغزا ولم يُطِعه، فصالَحه أهلُ خوارزم، وأصاب سَبْياً ممّا صالحوه، وقَفَل في الشتاء، فاشتدّ عليهم البردُ، فأخذ الناس ثيابَ الأسرَى فلبِسوها، فمات ذلك السبيّ من البَرْد، قال: ونزل يزيدُ بلستانة، وأصاب أهلَ مَرْو الروذ طاعونٌ ذلك العام، فكتب إليه الحجاج: أن اقدم، فقَدِم، فلم يمرّ ببلد إلا فَرَشوا له الرّياحين، وكان يزيدُ ولي سنة اثنتين وثمانين، وعزل سنة خمس وثمانين، وخرج من خُراسان في ربيع الآخِر سنة خمس وثمانين وولي قتيبة. (٦/ ٣٩٦).

وأما هشام بن محمد، فإنه ذكر عن أبي مخنَف في عزل الحجاج يزيد عن خُراسان سبباً غير الذي ذكره عليّ بنُ محمد، والذي ذُكر من ذلك عن أبي مِخنَف أن أبا المُخارق الراسبيّ وغيره حدّثوه أن الحجّاج لم يكن له حين فَرَغ من عبد الرّحمن بن محمد همٌّ إلا يزيدَ بن المهلّب وأهل بيته ـ وقد كان الحجاج أذلّ أهلَ العراق كلّهم إلا يزيد وأهل بيته ومَن معهم من أهل المِصْرَين بخُراسان، ولم يكن يتخوّف بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق غيرَ يزيد بن المهلب ـ فأخذ الحجاجُ في مواربة يزيد ليستخرجَه من خُراسان، فكان يبعث إليه ليأتيه، فيعتلّ عليه بالعدوّ وحَرْب خُراسان، فمكث بذلك حتى كان آخرَ سلطان عبدِ الملك، ثمّ إنّ الحجّاج كتب إلى عبد الملك يشير عليه بعَزْل يزيدَ بن المهلب، ويخبره

بطاعة آل المهلب لابن الزّبير ، وأنه لا وفاءَ لهم؛ فكتب إليه عبدُ الملك : إنّي لا أرى تقصيراً بوَلَد المهلب طاعتَهم لآل الزبير ووفاءهم لهم ، فإنّ طاعتهم ووفاءهم لهم ، هو دعاهم إلى طاعتي والوفاء لي.

ثمّ ذكر بقيّة الخبر نحوَ الذي ذَكره عليّ بن محمّد[1] . (٦/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧).

خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالتّرمذ

وفي هذه السنة قُتِل موسى بنُ عبد الله بن خازم السُّلميّ بالتِّرمِذ.

* ذكر سَببِ قتلِه ومصيره إلى التّرمذ حتى قُتِل بها :

ذُكر أن سبب مصيره إلى التِّرمذ كان أنّ أباه عبد الله بن خازم لما قَتَل مَنْ قَتَل من بني تميم بفرْتَنا ـ وقد مضَى ذِكرى خبَر قتلِه إيّاهم ـ تفرّقَ عنه عُظمُ من كان بقيَ معه منهم ، فخرج إلى نيسابورَ وخاف بني تميم على ثقله بمَرْو ، فقال لابنه موسى : حوّل ثقَلي عن مَرو ، واقطع نهرَ بَلْخَ حتى تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى حصن تقيم فيه ، فشَخَص موسى من مرو في عشرين ومئتين فارس ، فأتى آمُل وقد ضوى إليه قومٌ من الصَّعاليك ، فصار في أربعمئة ، وانضمّ إليه رجال من بني سُلَيم ، منهم زُرعة بن علقمة ، فأتى زمَّ فقاتلوه ، فظَفِر بهم وأصاب مالاً ، وقطع النهر ، فأتى بُخارَى فسأل صاحبها أن يلجأ إليه ، فأبى وخافَه ، وقال: رجل فاتك ، وأصحابُه مثله أصحاب حَرْب وشَرّ ، فلا آمنه ، وبعث إليه بصلة عين ودوابّ وكُسْوة ، ونزل على عظيم من عظماء أهل بُخارى في نوقان ، فقال له: إنه لا خيرَ في المُقام في هذه البلاد ، وقد هَابَك القومُ وهم لا يأمَنونك ، فأقام عند دِهْقان نوقانَ أشهراً ، ثمّ خرج يلتمس ملِكاً يَلجَأ إليه أو حِصْناً ، فلم يأت بلداً إلا كَرِهوا مُقامَه فيهم ، وسألوه أن يخرج عنهم.

قال عليّ بن محمد: فأتى سمرقَنْد فأقام بها ، وأكرَمَه طَرْخونُ مَلِكُها ، وأذن له في المُقام ، فأقام ما شاء الله ، ولأهلِ الصُّغد مائدةٌ يوضعَ عليها لحم وَدِك وخُبْز وإبريق شراب ، وذلك في كلّ عام يوماً ، يُجعل ذلك لفارس الصّغْد فلا يقرَبه أحد غيرُه ، هو طعامه في ذلك اليوم ، فإنْ أكل منه أحدٌ غيرهُ بارزَه فأيُّهما

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

قَتَل صاحبَه فالمائدةُ له ، فقال رجلٌ من أصحاب موسى : ما هذه المائدة؟ فأخبِر عنها ، فسكت ، فقال صاحب موسى : لآكلنّ ما على هذه المائدة ، ولأبارزنّ فارسَ الصُّغْد ، فإن قتلتُه كنتُ فارسَهم. فجلس فأكل ما عليها ، وقيل لصاحب المائدة ، فجاء مُغضَباً ، فقال : يا عربيّ ، بارِزْني ، قال : نعم ، وهل أريدُ إلا المُبارزَة! فبارَزَه فقتَله صاحب موسى ، فقال مَلِك الصّغد : أنزلتُكم وأكرمتُكم فقتلتم فارسَ الصّغد! لولا أنّي أعطيتُك وأصحابَك الأمان لقتلتُكم ، اخرُجوا عن بلدي ، ووَصَله.

فخرج موسى فأتى كِسّ فكَتَب صاحبَ كِس إلى طرخون يستنصرِه ، فأتاه ، فخرج إليه موسى في سبعِمئة فقاتَلَهم حتى أمسَوْا ، وتحاجَزوا وبأصحاب موسى جراحٌ كثيرة ، فلما أصبحوا أمرهم موسى فحلّقوا رؤوسَهم كما يَصنَع الخوارج ، وقطعوا صفِنات أخبيتهم كما يصنع العجَم إذا استماتوا.

وقال موسى لزُرْعة بن علقمة : انطلِق إلى طَرْخون فاحتلْ له ، فأتاه ، فقال له طرخون : لِمَ صَنَع أصحابُك ما صنَعوا؟ قال : استقتلوا فما حاجتك إلى أن تَقتل أيّها الملك موسى وتُقتَل! فإنك لا تصل إليه حتى يقتَل مِثل عدّتهم منكم ، ولو قتلتَه وإياهم جميعاً ما نلت حظّاً ، لأنّ له قَدْراً في العرَب ، فلا يلي أحدٌ خُراسان إلا طالبَك بدمه ، فإن سلمتَ من واحد لم تَسلَمَ من آخَر؛ قال : ليس إلى تَرْك كِسّ في يده سبيل؛ قال : فكُفّ عنه حتى يَرتحِل ، فكفّ وأتى موسى التِّرْمِذ وبها حصن يُشرِف على النهر إلى جانب منه ، فنزل موسى على بعضِ دهاقين التِرمِذ خارجاً من الحِصْن والدِّهقان مُجانِب لِترْمذشاه ، فقال لموسى : إنّ صاحبَ التِّرمِذ متكرّم شديدُ الحياء ، فإن ألطفتَه وأهَديْت إليه أدخلَك حِصنَه ، فإنه ضعيف ، قال : كلاّ ، ولكنّي أسألُه أن يُدخِلني حِصنَه ، فسأله فأبَى ، فماكَرَهُ موسى وأهدى له ، وألطَفَه ، حتّى لطف الذي بينهما ، وخرج فتصيّد معه ، وكثر إلطاف موسى له ، فصنع صاحبُ الترمذ طعاماً وأرسل إليه : إنّي أحِبّ أن أكرِمَك ، فتغدَّ عندي ، وائتني في مئة من أصحابك ، فانتخَب موسى من أصحابه مئةً ، فدخلوا على خُيولهم ، فلما صارت في المدينة تصاهَلَتْ ، فتطيّر أهلُ الترْمذ وقالوا لهم : انزِلوا ، فنزَلوا فأدخلوا بيتاً خمسين في خمسين ، وغدّوهم.

فلما فرَغوا من الغَداء اضطجع موسى ، فقالوا له : اخرُج ، قال : لا أصيب

مَنزِلاً مِثلَ هذا ، فلستُ بخارج منه حتى يكون بيتي أو قَبْري. وقاتَلُوهم في المدينة ، فقُتِل من أهلِ الترمذ عدّة ، وهرب الآخرون فدخلوا منازلهم ، وغلب موسى على المدينة ، وقال الترمذشاه: اخرج ، فإنّي لستُ أعرِض لك ولا لأحد من أصحابك ، فخرج المَلِك وأهلُ المدينة فأتَوا الترْكَ يستنصرونهم ، فقالوا: دخل إليكم مئةَ رجل فأخرَجوكم عن بلادكم ، وقد قاتلناهم بِكسّ ، فنحن لا نقاتل هؤلاء ، فأقام ابن خازم بالتِّرمِذ ، ودخل إليه أصحابُه ، وكانوا سبعمئة ، فأقام ، فلمّا قُتِل أبوه انضمّ إليه من أصحاب أبيه أربعمئة فارس ، فقوي ، فكان يخرج فيُغير على مَن حولَه ، قال: فأرسل الترك قوماً إلى أصحاب موسى ليعلموا عِلمَه ، فلما قَدِموا قال موسى لأصحابه: لابدّ من مَكيدة لهؤلاء ـ قال: وذلك في أشدّ الحرّ ـ فأمر بنار فأجّجَتْ ، وأمَرَ أصحابَه فَلبسوا ثيابَ الشتاء ، ولبسوا فوقَها لُبوداً ، ومدُّوا أيديَهم إلى النار كأنهم يصطَلُون ، وأذن موسى للترك فدخلوا ، ففزِعوا ممّا رأوا ، وقالوا: لمَ صنعتم هذا؟ قالوا: نجد البَرْد في هذا الوقت ، ونجد الحرّ في الشتاء ، فرجعوا وقالوا: جِنٌّ لا نُقاتِلهم ، قال: وأراد صاحبُ الترك أن يغزوَ موسى ، فوجّه إليه رُسُلاً ، وبعث بسمّ ونُشّاب في مسك ، وإنما أراد بالسمّ أنّ حربَهم شديدة ، والنشّاب الحرب ، والمسك السلم ، فاخترْ الحربَ أو السلم ، فأحرق السمّ ، وكسر النشاب ، ونثر المِسْك ، فقال القوم: لم يريدوا الصّلح ، وأخبر أنّ حربهم مثل النار ، وإنه يَكْسرُنا فلم يَغزُهم.

قال: فولي بُكيْرُ بن وشاح خُراسانَ فلم يَعرِضَ له ، ولم يوجّه إليه أحداً ، ثمّ قدم أميّة فسار بنفسِه يريدُه ، فخالَفه بكير ، وخلع ، فرجع إلى مرْو ، فلما صالح أمية بكيراً أقام عامَه ذلك ، فلما كان في قابِل وجّه إلى موسى رجلاً من خُزاعَة في جَمع كثير ، فعاد أهلُ الترمذ إلى الترك فاستنصَروهم فأبَوا ، فقالوا لهم: قد غزاهم قومٌ منهم وحصروهم ، فإنْ أعنّاهم عليهم ظَفِرْنا بهم ، فسارت الترْك مع أهل الترْمذ في جمع كثير ، فأطاف بموسَى الترك والخُزاعيّ ، فكان يُقاتِل الخُزاعيّ أول النهار والتركَ آخِر النهار ، فقاتَلَهم شهرين أو ثلاثة ، فقال موسى لعمرو بن خالد بن حصين الكلابيّ ـ وكان فارساً: قد طال أمرُنا وأمرُ هؤلاء ، وقد أجمعتُ أن أبيِّت عسكرَ الخُزاعيّ ، فإنهم للبيات آمنون ، فما ترى؟ قال: البيَات نِعمّا هو ، وليكن ذلك بالعَجَم ، فإنّ العرب أشدّ حَذَراً ، وأسرَع فَزَعاً ، وأجرأ

على الليل من العَجَم ، فبَيِّتْهم فإنّي أرجو أن ينصرَنا الله عليهم ، ثمّ ننفردَ لقتالِ الخُزاعيّ فنحن في حصن وهم بالعَراء ، وليسوا بأوْلَى بالصبر ، ولا أعلم بالحرْب منّا ، قال: فأجمَعَ موسى على بياتِ الترك ، فلما ذهب من الليل ثُلُثه خرج في أربعمئة ، وقال لعمرو بن خالد: اخرجوا بعَدنا وكُونوا منّا قريباً؛ فإذا سمعتم تكبيرَنا فكبّروا ، وأخذ على شاطئ النهر حتى ارتفع فوق العسكر ، ثمّ أخذ من ناحية كفتان ، فلمّا قُربَ من عسكرهم جعل أصحابَه أرباعاً ، ثمّ قال: أطيفوا بعسكرِهم ، فإذا سمعتم تكبيرَنا فكبّروا وأقبَل وقدَّم عَمْراً بين يديه ومشَوْا خلفه ، فلما رأتْه أصحاب الأرصاد قالوا: من أنتم؟ قالوا: عابِري سبيل.

قال: فلما جازوا الرَّصَد تفرّقوا وأطافوا بالعسكر ، وكبّروا ، فلم يشعر الترك إلا بوَقْع السيوف ، فثاروا يقتل بعضهم بعضاً وولَّوا ، وأصيب من المسلمين ستّة عشر رجلاً ، وحَووا عسكرَهم وأصابوا سلاحاً ومالاً ، وأصبح الخُزاعيّ وأصحابه قد كسرَهم ذلك ، وخافوا مِثلها من البَيات ، فتحذّروا. فقال لموسى عمرو بن خالد: إنك لا تَظفر إلا بمكيدة ولهم أمداد وهم يكثرون ، فدَعْني آتِهم لعلّي أصيب من صاحبهم فرصة؛ إني إن خلوتُ به قتلتُه ، فتناوَلْني بضرب ، قال: تتعجّل الضّرب وتتعرّض للقتل! قال: أما التعرّض للقَتْل فأنا كلّ يوم متعرِّضٌ له ، وأما الضرب فما أيْسَرَهُ في جَنْب ما أريد ، فتنَاوله بضرب؛ ضربه خمسين سَوْطاً ، فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخُزاعيّ مستأمِناً وقال: أنا رجل من أهل اليَمَن كنتُ مع عبد الله بن خازم ، فلما قُتِل أتيتُ ابنَه فلم أزل معه ، وكنتُ أوّل من أتاه ، فلما قدمت اتهمَني وتعصّب عليّ ، وتنكّر لي وقال لي: قد تعصّبت لعدّونا ، فأنت عينٌ له ، فضَرَبني ولم آمَن القَتْل ، وقُلت: ليس بعد الضرب إلا القتل ، فهربت منه ، فآمنه الخُزاعيّ وأقام معه.

قال: فدخلَ يوماً وهو خالٍ ولم يرَ عنده سلاحاً ، فقال كأنه يَنْصَح له: أصلَحَك الله! إنّ مِثلَك في مِثلِ حالك لا ينبغي أن يكون في حال من أحواله بغيرِ سلاح ، فقال: إنّ معي سلاحاً ، فرفَع صدر فراشه فإذا سَيفٌ منتضىً ، فتناوَله عمرو فضرَبَه فقتله ، وخرج فركب فرسَه ، ونَذَروا به بعدما أمعَن ، فطلبوه ففاتَهم ، فأتى موسى وتفرّق ذلك الجيش ، فقطع بعضُهم النهر ، وأتى بعضُهم موسى مستأمِناً ، فآمنه فلم يوجّه إليه أميّةُ أحداً.

قال: وعُزِل أميّة ، وقَدِم المهلب أميراً فلم يَعرِض لابن خازم ، وقال لبنيه: إياكم وموسى ، فإنكم لا تزالون وُلاةَ هذا الثغر ما أقام هذا الثطّ بمكانِه ، فإنْ قُتل كان أوّل طالع عليكم أميراً على خُراسان رجلٌ من قيس ، فماتَ المهلب ولم يوجّه إليه أحداً ، ثم تولى يزيدُ بنُ المهلب فلم يَعرِض له ، وكان المهلب ضرب حُرَيْثَ بن قُطْبة الخُزاعيّ ، فخرج هو وأخوه ثابت إلى موسى ، فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالَهما وحرَمَهما وقَتَلَ أخاهما لأمهما؛ الحارث بن مُنقِذ ، وقَتلَ صِهراً لهما كانت عندَه أمّ حفص ابنةُ ثابت ، فبلَغهما ما صنع يزيد.

قال: فخرج ثابت إلى طَرْخون فَشَكا إليه ما صنع به ـ وكان ثابت محبَّباً في العَجَم ، بعيدَ الصّوت ، يعظمونه ويثقون به ، فكان الرّجل منهم إذا أعطَى عهداً يريدُ الوفَاء به حلفَ بحياة ثابت فلا يَغدِر ـ فغَضِب له طَرْخون وجمعَ له نَيْزك والسَّبَل وأهلَ بخارى والصّغانيان ، فقَدِموا مع ثابت إلى موسى بن عبد الله ، وقد سُقِط إلى موسى فَلّ عبد الرحمن بن العباس من هَراةَ ، وفلّ ابن الأشعث من العِراق ومن ناحية كابُل ، وقومٌ من بني تميم ممن كان يقاتل ابنَ خازم في الفتنة من أهل خُراسان ، فاجتمع إلى موسى ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن ، فقال له ثابت وحرَيْث: سرْ تقطع النهر فتُخرج يزيدَ بنَ المهلب عن خُراسان؛ ونوليك ، فإنّ طَرْخون ونَيزَك والسبل وأهلَ بُخارَى معك ، فهمّ أن يفعَل ، فقال له أصحابه: إنّ ثابتاً وأخاه خائفان ليزيد ، وإن أخرجت يزيدَ عن خُراسان وأمِنَا تولّيا الأمر وغَلَباك على خُراسان ، فأقمْ مكانَك ، فقبل رأيَهم ، وأقام بالترْمِذ.

وقال لثابت: إنْ أخرجنا يزيدَ قَدِم عاملٌ لعبِد الملك ، ولكنا نخرج عمَّال يزيدَ من وراء النهر مما يلينا ، وتكون هذه الناحية لنا نأكلها ، فرضَي ثابت بذلك ، وأخرج من كان من عمال يزيدَ من وراء النهر ، وحُملت إليهم الأموالُ ، وقويَ أمرُهم وأمرُ موسى ، وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبل إلى بلادهم ، وتَدْبير الأمر لحريْث وثابت ، والأميرُ موسى ليس له غيرُ الاسم ، فقال لموسى أصحابُه: لسنا نرى من الأمر في يديك شيئاً أكثرَ من اسم الإمارة ، فأمَّا التدبير فلِحُريث وثابت ، فاقتُلْهما وتولَّ الأمَر ، فأبى وقال: ما كنت لأغدر بهما وقد قوّيا أمري ، فحسَدُوهما وألحّوا على موسى في أمرهما حتى أفسَدوا قلَبه ، وخوّفوه

غدرَهما ، وهمَّ بمتابَعتهم على الوثُوب بثابت وحُريث ، واضطرَب أمرُهم؛ فإنهم لفي ذلك إذ خرجتْ عليهم الهَياطِلة والتّبّت والتُّرك ، فأقبلوا في سبعين ألفاً لا يعُدّون الحاسرَ ولا صاحبَ بَيْضَة جمّاء ، ولا يعدون إلا صاحبَ بَيْضة ذات قَوْنَس ، قال: فخرج ابنُ خازم إلى رَبَض المدينة في ثلاثمئة راجل وثلاثين مجففاً ، وألقِيَ له كرسيٌّ فقعد عليه ، قال: فأمر طَرْخون أن يثلم حائطَ الرّبض ، فقال موسى: دَعُوهم ، فهدموا ودخل أوائلهم ، فقال: دعوهم يكثرون ، وجعل يقلّب طَبْرزِيناً بيده ، فلما كثروا قال: الآن امنعوهم ، فركب وحمل عليهم فقاتَلَهم حتى أخرَجهم عن الثُّلمة ، ثمّ رجع فجلس على الكرسيّ وذمّر الملكُ أصحابه ليعودوا ، فأبَوْا ، فقال لفرسانه: هذا الشيطان ، منْ سَرّه أن ينظرَ إلى رستم فلينظرْ إلى صاحب الكرسيّ ، فمن أبى فليقدَم عليه ، ثمّ تحوّلت الأعاجم إلى رُسْتاق كفتان ، قال: فأغاروا على سَرْح موسى ، فاغتمّ ولم يَطعم ، وجعلَ يَعبثُ بِلحيته ، فسار ليلاً على نهر في حافَتَيْه نبات لم يكن فيه ماء ، وهو يُفضِي إلى خَنْدَقهم ، في سبعمئة ، فأصبحوا عند عسكرهم ، وخرج السَّرْح فأغار عليه فاستاقه ، وأتبعه قومٌ منهم ، فعطف عليه سَوّار ، مولىً لموسى ، فطعن رجلاً منهم فصرَعَه ، فرجعوا عنهم وسَلِم مُوسى بالسَّرح ، قال: وغاداهم العَجَم القتال ، فوقف مَلِكُهم على تلّ في عشرة آلاف في أكمل عُدّة ، فقال موسى: إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشيء ، فقصد لهم حُرَيْثُ بن قُطْبة فقاتَلَهم صدرَ النهار ، وألحّ عليهم حتى أزالوهم عن التلّ ، ورُمي يومئذ حُرَيث بُنشابة في جبهته ، فتحاجزوا فبَيّتَهم موسى ، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شمعة مَلِكهم ، فوجأ رجلاً منهم بقَبِيعة سيفِه ، فطعن فرَسه ، فاحتَمَله فألقاه في نهر بَلْخ فغَرق ، وعليه درْعان ، فقتل العجم قَتْلاً ذريعاً ، ونجا منهم من نجا بشرّ ، ومات حُرَيث بن قطبة بعد يومين ، فدُفن في قبّته.

قال: وارتحل موسى ، وحَملوا الرؤوسَ إلى التِّرْمذ ، فبنَوا من تلك الرؤوس جَوْسَقَين ، وجعلوا الرؤوس يقابل بعضها بعضاً ، وبلغ الحجاجَ خبرُ الوقعة ، فقال: الحمد لله الذي نَصَرَ المنافقين على الكافرين ، فقال أصحاب موسى: قد كُفِينا أمرَ حُريث ، فأرِحْنا من ثابت ، فأبَى ، وقال: لا وبلَغ ثابتاً بعضُ ما يخوضون فيه ، فدسّ محمد بن عبد الله بن مَرثَد الخُزاعيّ ، عمّ نَصْر بن

عبد الحميد عامل أبي مسلم على الرّيّ ـ وكان في خدمة موسى بن عبد الله ـ وقال له: إياك أن تتكلم بالعربية ، وإن سألوك من أين أنت! فقل: من سَبْي الباميان ، فكان يَخدُم موسى وينقُل إلى ثابت خبرَهم ، فقال له: تحفظْ ما يقولون ، وحَذِر ثابت فكان لا ينام حتى يرجعَ الغلام ، وأمر قوماً من شاكِرِيّته يحرسونه ، ويبيتون عندَه في داره ، ومعهم قوم من العَرَب ، وألحّ القوم على موسى فأضجَروه ، فقال لهم ليلةً: قد أكثرتم عليّ ، وفيم تريدون هلاككم ، وقد أبرَمْتموني! فعلى أيّ وجه تَفتِكون به ، وأنا لا أغدِر به! فقال نوح بن عبد الله أخو موسى: خَلّنا وإياه ، فإذا غدا إليك غُدوةً عَدلْنا به إلى بعض الدّور ، فضربْنا عنقَه فيها قبل أن يصلَ إليك ، قال: أمَا والله إنه لهلاككم ، وأنتم أعلم ـ والغلام يسمَع ـ فأتى ثابتاً فأخبَره ، فخرج من ليلته في عشرين فارساً ، فمضى ، وأصبَحوا وقد ذهب فلم يَدْروا من أين أوتُوا.

وفَقَدوا الغلام ، فعلِموا أنه كان عَيْناً له عليهم ، ولحق ثابت بحشورا فنزل المدينة ، وخرج إليه قومٌ كثير من العَرب والعجم ، فقال موسى لأصحابه: قد فتحتم على أنفسكم باباً فسُدّوه ، وسار إليه موسى ، فخرج إليه ثابت في جمع كثير فقاتلَهم ، فأمر موسى بإحراق السور ، وقاتَلهم حتى ألجؤوا ثابتاً وأصحابَه إلى المدينة ، وقاتلوهم عن المدينة.

فأقبل رقبة بن الحرّ العَنبريّ حتى اقتحم النار؛ فانتهى إلى باب المدينة ، ورجل من أصحاب ثابت واقفٌ يحمِي أصحابَه ، فقتَله ، ثمّ رجع فخاض النار وهي تَلتهِب ، وقد أخذتْ بجوانب نَمَط عليه ، فرَمى به عنه ووقَفَ ، وتحصّن ثابت في المدينة ، وأقام موسى في الرّبض ، وكان ثابت حين شَخَص إلى حشورا أرسَل إلى طَرْخون ، فأقبَل طرْخون مُعيناً له ، وبلغ موسى مجيءُ طَرْخون ، فرجع إلى التّرْمِذ ، وأعانه أهلُ كِسّ ونَسَف وبُخارَى ، فصار ثابت في ثمانين ألفاً ، فحَصَروا موسى وقطعوا عنه المادّة حتى جُهدوا.

قال: وكان أصحابُ ثابت يَعبُرون نهراً إلى موسى بالنهار ـ ثمّ يرجعون بالليل إلى عسكرهم ، فخرج يوماً رقَبة ـ وكان صديقاً لثابت ، وقد كان يَنهى أصحاب موسى عمّا صنعوا ـ فنادى ثابتاً ، فبَرز له ـ وعلى رَقَبَةَ قَباء خزّ ـ فقال له: كيف حالك يا رَقبة؟ فقال: ما تسأل عن رَجل عليه جُبّة خَزّ في حَمارّة القَيْظ! وشكا إليه

حالهم ، فقال: أنتم صنعتم هذا بأنفسِكم ، فقال: أما والله ما دخلتُ في أمرِهم ، ولقد كرهتُ ما أرادوا ، فقال ثابت: أين تكون حتى يأتيَك ما قُدّر لك؟ قال: أنا عند المُحلّ الطفاويّ ـ رجلٌ من قيس من يَعْصُر ـ وكان المحلّ شَيخاً صاحب شراب ـ فنزل رَقَبة عندَه.

قال: فبعث ثابت إلى رَقَبة بخمسمئة درهم مع عليّ بن المهاجر الخُزاعيّ ، وقال: إنّ لنا تجّاراً قد خرجوا من بَلخ ، فإذا بلغك أنهم قد قَدِموا فأرسِلْ إليّ تأتِكَ حاجَتُك ، فأتى على باب المُحِلّ ، فدخل فإذا رَقَبة والمُحلّ جالسان بينهما جَفنة فيها شراب ، وخِوانٌ عليه دَجاج وأرغفة ، ورَقَبة شَعِث الرأس ، متوشّح بمِلحفة حمراء ، فَدفع إليه الكيس ، وأبلَغه الرسالة وما كلمه ، وتناوَلَ الكيس وقال له بيَدِه ، اخرجْ ، ولم يكلِّمه ، قال: وكان رقبةُ جَسيماً كبيراً ، غائرَ العينين ، ناتئ الوَجْنَتين ، مفلّج ، بين كلِّ سِنَّيْن له موضع سنّ ، كأنّ وجَهه تُرس.

قال: فلمّا أضاق أصحابُ موسى واشتدّ عليهم الحصار قال يزيدُ بنُ هزيل: إنما مقّام هؤلاء مع ثابت والقَتْل أحسَنُ من الموت جُوعاً ، والله لأفتكنّ بثابت أو لأموتَنّ ، فخرج إلى ثابت فاستأمَنَه ، فقال له ظُهير: أنا أعرَفُ بهذا منك ، إنّ هذا لم يأتِك رغبةً فيك ولا جزَعاً لك ، ولقد جاءك بغُدْرَة ، فاحذَرْه وخَلّني وإياه ، فقال: ما كنتُ لأقدِم على رَجل أتاني ، لا أدري أكذلك هو أم لا. قال: فَدَعْني أرتهن منه رَهْناً ، فأرسل ثابت إلى يزيدَ فقال: أما أنا فلم أكن أظنّ رجلاً يَغدِر بعد ما يسأل الأمان ، وابنُ عمِّك أعلَم بك مني ، فانظر ما يُعاملك عليه ، فقال يزيد لظُهير: أبيتَ يا أبا سعيد إلا حَسَداً! قال: أما يكفيك ما تَرَى من الذُّلّ! تشرّدتُ عن العراقِ وعن أهلي ، وصرتُ بخُراسان فيما ترى ، أفما تَعطِفك الرَّحِمُ! فقال له ظُهير: أما والله لو تُرِكْتُ ورأيي فيكَ لما كان هذا ، ولكن أرْهِنّا ابنيْك قُدامة والضحّاك ، فدَفَعهما إليهم ، فكانا في يديْ ظُهير.

قال: وأقام يزيدُ يَلتمس غِرّةَ ثابت ، لا يَقدِر منه على ما يريد ، حتى مات ابنٌ لزياد القصير الخُرميّ ، أتى أباه نَعيّه من مَرْوَ ، فخرج متفضّلاً إلى زياد ليعزّيه ، ومعه ظُهير ورَهطٌ من أصحابه ، وفيهم يزيد بن هُزَيل ، وقد غابت الشمس ، فلما صار على نهر الصغَانيَان تأخّر يزيدُ بن هزيل ورجلان معه ، وقد تقدم ظُهير وأصحابه ، فدنا يزيد من ثابت فضربه فعضّ السيف برأسه ، فوصل إلى الدماغ ،

قال: ورمى يزيد وصاحباه بأنفسِهم في نَهْر الصَّغانِيان، فرمَوْهم، فنجا يزيدُ سباحة وقُتل صاحباه، وحُمِل ثابت إلى منزله، فلما أصبح طَرْخون أرسَل إلى ظهير: ائتِني بابنَيْ يزيدَ، فأتاه بهما، فقدّم ظهيرٌ الضحّاكَ بن يزيدَ فقتَله، ورمى به وبرأسه في النهر، وقدّم قدامَةَ ليقتلَه، فالتفتَ فوَقَع السيف في صدره، ولم يُبِنْ، فألقاه في النهر حيّاً فغرَق، فقال طرخون: أبوهما قتلهما وغدرُه، فقال يزيد بن هزيل: لأقتلنّ يا بنيّ كلَّ خُزاعيٍّ بالمدينة، فقال له عبدُ الله بنُ بُدَيل بنِ عبد الله بن بُدَيل بنِ وَرْقاء ـ وكان ممن أتَى موسى من فَلّ ابن الأشعث:

لو رُمْتَ ذاكَ من خُزاعة لَصعُب عليكَ. وعاش ثابتُ سبعةَ أيام ثمّ مات، وكان يزيدُ بن هزيل سخيّاً شجاعاً شاعراً، ولي أيّام ابن زياد جزيرةَ ابن كاوان، فقال:

قد كنتُ أدعو الله في السرّ مخلصاً ليُمكّنني من جزيةٍ ورِجالِ
فأترُكَ فيها ذِكْرَ طَلحةَ خاملاً ويُحمَدُ فيها نائلي وفِعالي

قال: فقام بأمرِ العجَم بعد موت ثابت طَرْخون، وقام ظُهَير بأمر أصحابِ ثابت، فقاما قياماً ضعيفاً، وانتَشَر أمرُهم، فأجمع موسى على بَياتِهم، فجاء رجلٌ فأخبرَ طرخون، فضَحِك وقال: موسى يَعجز أن يدخل متوضّأه، فكيف يبيّتنا! لقد طار قلْبك، لا يحرسنّ الليلة أحدٌ العسَكر. فلما ذهب من الليل ثُلثُه خرج موسى في ثمانمئة قد عبّاهم من النهار، وصيّرهم أرباعاً، قال: فصيّر على رُبْع رقَبة بن الحرّ وعلى رُبْع أخاه نُوح بن عبد الله بن خازم، وعلى رُبْع يزيدَ بن هزيل، وصار هو في ربع، وقال لهم: إذا دخلتم عسكرَهم فتفرّقوا، ولا يمُرّن أحدٌ منكم بشيء إلا ضربه، فدخلوا عسكرَهم من أربع نواحٍ لا يمرّون بدابّة ولا رجل ولا خِباء ولا جوالِق إلا ضَرَبوه، وسمع الوجبَة نَيْزكُ فَلبس سلاحَه، ووقف في ليلة مظلمة، وقال لعليّ بن المُهاجر الخُزاعي: انطلق إلى طَرْخون فأعِلمه مَوقفي، وقل له: ما ترَى أعملُ به، فأتى طرخونَ، فإذا هو في فازة قاعدٌ على كرسيّ وشاكرّيته قد أوقَدوا النيرانَ بين يديْه، فأبلغه رسالةَ نَيزَك، فقال: اجلسْ، وهو طامح ببصره نحَو العسكر والصّوت، إذ أقبل مَحْمِيَةُ السُّلَميّ وهو يقول: «حم لا يُنْصَرونَ»، فتفرق في الشاكرّية، ودخل محمِيَةُ الفازة، وقام إليه طَرْخون فبدَره فضَرَبه، فلم يُغنِ شيئاً، قال: وطَعَنَه طرخون بذُباب السيف في

صَدْرِه فصَرَعه ، ورجع إلى الكرسيّ فجلس عليه ، وخرجَ محمِية يَعدُو.

قال: ورجعت الشاكرّية ، فقال لهم طَرْخون: فَرَرتم من رجل! أرأيتم لو كان ناراً هل كانت تَحرِق منكم أكثرَ من واحد! فما فَرَغ من كلامه حتى دخل جوارِيه الفازَة ، وخَرَج الشاكرّية هُرّاباً ، فقال للجواري: اجلِسْن ، وقال لعليّ بن المهاجر: قُمْ ، قال: فخرجنا فإذا نوح بنُ عبد الله بن خازم في السُّرادق ، فتجاوَلاَ ساعة ، واختَلَفا ضربتيْن ، فلم يَصنَعا شيئاً ، وولّى نوح وأتبعه طَرْخون ، فطَعَن فرس نُوح في خاصِرَته فشَبَّ ، فَسَقَط نُوح والفرَس في نهر الصَّغانيان ، ورجع طَرْخون وسيفه يَقطُر دماً ، حتى دخل السرادق وعليّ بن المهاجرِ معه ، ثمّ دخلا الفازة.

وقال طَرْخون للجواري: ارجعن: فرَجَعن إلى السرادق؛ وأرسَل طرخون إلى موسى: كُفَّ أصحابَك؟ فإنا نرتحل إذا أصبحْنا ، فرجَع موسى إلى عسكره ، فلما أصبحوا ارتَحَل طَرْخون والعَجَم جميعاً ، فأتى كلّ قوم بلادهم. قال: وكان أهلُ خُراسان يقولون: ما رأيْنا مِثلَ موسى بن عبد الله بن خازم ، ولا سَمِعنا به ، قاتَلَ مع أبيه سنتين ، ثمّ خرج يسير في بلاد خُراسان حتى أتى مَلِكاً فغَلَبه على مدينته ، وأخرَجَه منها ، ثمّ سارت إليه الجنُود من العَرَب والترك فكان يُقاتِل العرب أوّل النهار والعَجَم آخر النهار ، وأقام في حِصنه خمسَ عشرةَ سنة ، وصار ما وراءَ النهر لموسى ، لا يُعازّه فيه أحدٌ.

قال: وكانِ بقُومِسَ رجلٌ يقال له عبد الله ، يَجتمع إليه فِتيانٌ يتنادَمون عندَه ، في مؤونته ونفقَته ، فلزِمه دَيْن ، فأتى موسى بن عبد الله ، فأعطاه أربعةَ آلاف ، فأتَى بها أصحابَه ، فقال الشاعر يُعاتِب رجلاً يقال له موسى:

فمـا أنـتَ مُـوسَـى إذ يُنـاجِـي إلٰهَـهُ ولا وَاهِب القَيْنَات موسَى بنُ خازمِ

قال: فلما عُزل يزيدُ ووُلِّيَ المفضّل خُراسانَ أراد أن يحظى عند الحجّاج بقِتال موسى بن عبد الله ، فأخرج عثمانَ بن مسعود ـ وكان يزيد حبَسَه ـ فقال: إني أريد أن أوجِّهَك إلى موسى بن عبد الله ، فقال: واللهِ لقد وتَرَني ، وإنّي لثائر بابن عمّي ثابت وبالخُزاعيّ ، وما يَد أبيك وأخِيك عندي وعندَ أهل بيتي بالحَسنة ، لقد حبستموني ، وشرّدتم بني عمّي ، واصطفيْتُم أموالهم ، فقال له المفضَّل: دَعْ هذا عنك ، وسرْ فأدرِكْ بثأرك ، فوجّهه في ثلاثة آلاف ، وقال له: مُر منادياً فلْيُناد:

مَن لحق بنا فلَه دِيوان ، فنادَى بذلك في السوق ، فسارَعَ إليه الناس ، وكتب المفضّل إلى مُدرِك وهو ببَلْخَ أن يسيرَ معه ، فخرج ، فلما كان ببلْخ خرج ليلةً يطوف في العسكر ، فسَمِع رجلاً يقول: قتلتُه واللهِ ، فرَجَع إلى أصحابه ، فقال: قتلتُ موسَى وربِّ الكعبة!

قال: فأصبَح فسار مِنْ بَلْخ وخرج مدرك معه مُتثاقِلاً ، فقطع النهرَ فنزَل جزيرةَ بالتِّرمِذ يقال لها اليوم جزيرة عثمان ـ لنزول عثمانَ بها في خمسة عشر ألفاً ـ وكتب إلى السَّبَل وإلى طَرْخونَ فقَدِموا عليه ، فحَصَروا موسى ، فضيَّقوا عليه وعلى أصحابه ، فخرج موسى ليلاً فأتى كفتان ، فامتار منها ، ثمّ رجع فمكث شهرين في ضِيق ، وقد خَنْدَق عثمان وحذر البَيَات ، فلم يَقدِر موسى منه على غِرَّة ، فقال لأصحابه: حتى متى! اخرُجُوا بنا فاجعَلوا يومَكم؛ إما ظفرتم وإما قُتِلتم ، وقال لهم: اقصِدوا للصّغْد والترك ، فخرج وخلّف النضرَ بنَ سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة ، وقال له: إن قُتلتُ فلا تدفعنّ المدينةَ إلى عثمان ، وادفَعْها إلى مُدْرِك بن المهلّب. وخرج فصيّر ثُلثَ أصحابه بإزاء عثمان وقال: لا تهايجوه إلا أن يقاتلكم ، وقصد لطَرْخون وأصحابه ، فَصَدقوهم ، فانهزمَ طرْخونُ والترك ، وأخذوا عسكرَهم فجعلوا يَنقلُونه ، ونظر معاويةُ بن خالد بن أبي بَرْزة إلى عثمانَ وهو على بِرْذَوْن لخالد بن أبي برْزة الأسلَميّ ، فقال: انزِل أيها الأمير ، فقال خالد: لا تنزلْ فإنّ معاوية مشؤوم ، وكرّت الصُّغْد والترك ، راجعةً ، فحالوا بين موسى وبين الحصن ، فقَاتلَهم ، فعُقِر به فسَقَط ، فقال لمولىً له: احملني ، فقال: الموتُ كَرِيه ، ولكن ارتدِف ، فإنْ نجوْنا نجوْنا جميعاً ، وإن هلكْنا هلكنا جميعاً ، قال: فارتَدَف ، فنظر إليه عثمانُ حين وَثَبَ فقال: وَثْبةُ موسى وربّ الكعبة! وعليه مِغفَر له مُوشّىً بخزّ أحمَر في أعلاه ياقوتة اسمانْجُونِيَّة ، فخرج من الخندق فكَشَفوا أصحابَ موسى ، فقصد لموسى ، وعثرتْ دابة موسى فَسَقَط هو ومَوْلاه ، فابتَدرُوه ، فانطَووا عليه فقتلوه ، ونادى منادِي عثمان: لا تقتُلوا أحداً ، من لقيتموه فخُذوه أسيراً.

قال: فتفرّق أصحابُ موسى وأسِر منهم قومٌ ، فعُرضوا على عثمان ، فكان إذا أتِيَ بأسير من العرب قال: دماؤُنا لكم حلال ، ودماؤكم علينا حرام! ويأمر بقتلِه ، وإذا أتِيَ بأسير من المَوالي شتَمه ، وقال: هذه العربُ تقاتِلني ، فهلاّ

غضبتَ لي! فيأمر به فيُشدَخ ، وكان فظّاً غليظاً ، فلم يسلمَ عليه يومئذ أسيرٌ إلا عبد الله بنَ بُدَيل بنِ عبد الله بن بُدَيلَ بن ورْقاء؛ فإنه كان مولاه ، فلما نظر إليه أعرضَ عنه وأشارَ بيده أن خَلّوا عنه ، ورَقَبة بن الحرّ لما أُتِيَ به نَظَرَ إليه وقال: ما كان من هذا إلينا كبيرُ ذَنْب ، وكان صديقاً لثابت ، وكان مع قوم فَوَقي لهم ، والعَجب كيف أسرْتُموه! قالوا: طُعن فرسُه فسَقَط عنه في وهدة فأسِر؛ فأطلَقه وحَمَله ، وقال لخالد بن أبي بَرْزة: ليكُنْ عندَك ، قال: وكان الذي أجهزَ على موسى بن عبد الله واصِلُ بن طَيْسلة العَنْبريّ .

ونظر يومئذ عثمانُ إلى زُرعة بن عَلْقمة السُّلَميّ والحجاج بن مروان وسِنان الأعرابي ناحيةً فقال: لكم الأمان ، فظنّ الناسُ أنه لم يؤمنهم حتى كاتَبوه .

قال: وبقيت المدينةُ في يدَي النضْر بن سليمان بن عبد الله بن خازم ، فقال: لا أدفعُها إلى عثمانَ ، ولكني أدفعُها إلى مُدرك ، فدفَعَها إليه وآمنه ، فدفَعَها مُدرِك إلى عثمانَ ، وكتب المفضّل بالفتْح إلى الحجَّاج ، فقال الحجّاج: العجب من ابن بَهْلة! آمرُه بقَتْل ابن سَمُرة فيكتب إليّ أنه لمآبه ويكتب إليَّ: أنه قَتَل موسى بن عبد الله بن خازم ، قال: وقُتِل موسى سنة خمس وثمانين ، فذَكَر البحتريّ أن مَغراء بن المغيرة بن أبي صُفرة قَتَلَ موسى فقال:

وقد عَرَكَتْ بالتِّرمذ الخيلُ خازماً ونوحاً وموسى عَركةً بالكَلاكل

قال: فضرب رجل من الجند ساقَ موسى ، فلما ولّي قتيبة أخبِر عنه فقال: ما دعاك إلى ما صنعتَ بفتى العرب بعد مَوْته! قال: كان قَتَل أخي ، فأمَرَ به قُتَيبة فقُتِل بين يديه . (٦/ ٣٩٨ ـ ٤١٢) .

* * *

عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز

وفي هذه السنة أراد عبدُ الملك بنُ مروانَ خلعَ أخيه عبدِ العزيز بنِ مَرْوان .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه :

ذكَر الواقديّ أنّ عبدَ الملك همّ بذلك ، فنَهاه عنه قبيَصةُ بن ذُؤَيب ، وقال: لا تَفعلْ هذا ، فإنك باعثٌ على نفسك صوتَ نعّار ، ولعلّ الموتَ يأتيه فتستريحَ

منه! فكفّ عبدُ الملك عن ذلك ونفسُه تُنازِعه إلى أن يَخلَعه.

ودخل عليه رَوْح بنُ زِنْباع الجُذاميّ ـ وكان أجلَّ الناسِ عندَ عبدِ الملك ـ فقال: يا أمير المؤمنين، لو خلعتَه ما انتطَح فيه عنْزان، فقال: ترَى ذلك يا أبا زرْعة؟ قال: إي والله، وأنا أوّلُ من يُجيبُك إلى ذلك؛ فقال: نَصيحٌ إن شاء الله، قال: فبينا هو على ذلك وقد نامَ عبدُ الملك ورَوْح ابنُ زِنْباع إذ دخل عليهما قَبِيصة بن ذُؤيب طروقاً، وكان عبدُ الملك قد تقدّم إلى حُجّابه فقال: لا يُحجب عني قبيصة أيّ ساعة جاءَ من ليل أو نهار، إذا كنت خالياً أو عندي رجل واحد، وإن كنت عند النساء أدخِل المجلسَ وأعلِمتُ بمكانه فَدخَل وكان الخاتَمُ إليه، وكانت السكّة إليه، تأتيه الأخبارُ قبل عبدِ الملك، ويقرأ الكتبَ قبلَه، ويأتي بالكتاب إلى عبدِ الملك مَنْشوراً فيقرؤه، إعظاماً لقبيصة ـ فدخل عليه فسلم عليه، وقال: آجرَك اللهُ يا أميرَ المؤمنين في أخيك عبد العزيز! قال: وهل تُوفِّي؟ قال: نعم، فاسترجَع عبدُ الملك، ثمّ أقبَل على رَوْح فقال: كفانا الله أبا زُرْعة ما كنا نريد وما أجمَعْنا عليه، وكان ذلك مخالفاً لك يا أبا إسحاق، فقال قَبيصة: ما هو؟ فأخَبره بما كان؛ فقال قبيصة: يا أمير المؤمنين، إنّ الرأي كله في الأناة، والعجلةُ فيها ما فيها، فقال عبدُ الملك: ربما كان في العَجَلة خيرٌ كثير، رأيتَ أمرَ عمرو بنِ سعيد، ألم تكن العَجَلة فيه خيراً من التأنّي! (٦/ ٤١٢ ـ ٤١٣).

* * *

[خبر موت عبد العزيز بن مروان]

وفي هذه السنة تُوفِّيَ عبدُ العزيز بنُ مروانَ بمصرَ في جُمادَى الأولى، فضمّ عبد الملك عَمَله إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك، وولّاه مصرَ.

وأما المدائني فإنه قال في ذلك ما حدّثنا به أبو زَيد عنه، أنّ الحجّاج كَتَب إلى عبد الملك يزيّن له بيعةَ الوليد، وأوفَدَ وفداً في ذلك عليهم عمرانُ بن عصام العنَزيّ، فقام عِمْران خطيباً، فتكلّم وتكلّم الوَفْد وحثّوا عبدَ الملك، وسألوه ذلك، فقال عمران بنُ عِصام:

أميرَ المُؤْمنين إليك نُهدِي ... على النأْيِ التحيّةَ والسلَاما

أجِبْني في بَنيكَ يكُنْ جوابي ... لهمْ عادِيّةً ولنا قِواما

فلــو أنَّ الــوليــدَ أُطــاعُ فيــه جعلـتُ لـه الخـلافـةَ والـذِّمـامـا
شَبيهُــكَ حَــول قُبَّتــهِ قــريــشٌ بــه يَستَمطِــرُ النـاسُ الغمـامـا
ومثلـك فـي التُّقى لـم يَصْبُ يومـاً لــدُنْ خَلَـعَ القـلائـدَ والتَّمـامـا
فــإن تُــؤثِـرْ أَخـاكَ بهـا فـإنَّـا وجَــدّكَ لا نُطِيــقُ لهـا اتّهـامـا
ولكنَّــا نُحــاذرُ مــن بَنيــه بنــى العَــلاَّتِ مــأْثَــرَةً سَمَـامَـا
ونخشـى إن جَعلـتَ المُلـكَ فيهـمْ سحــابـاً أن تَعُــودَ لهـم جَهَـامَـا
فـلا يَـكُ مـا حَلَبـتَ غـداً لقـومٍ وبعــدَ غَــدٍ بَنُــوكَ هُــمُ العِيـامَـا
فــأُقسِــمُ لــو تَخطَّــأَنــي عِصَـامٌ بــذلـك مـا عَـذَرتُ بـه عِصَـامـا
لــو أَنِّــي حَبَــوتُ أَخــاً بفضـلٍ أريــدُ بــه المقــالــةَ والمقــامـا
لعَقَّــبَ فــي بَنِــيَّ علــى بنيــه كــذلــك أو لَــرُمــتُ لــه مــرامَـا
فَمَــن يَــكُ فــي أَقَــاربــه صُــدُوع فصَــدعُ الملــكِ أبطــؤهُ التئَـامَـا

فقال عبدُ الملك: يا عِمرانُ، إنه عبد العزيز، قال: احتَلْ له يا أميرَ المؤمنين.

قال عليّ: أراد عبدُ الملك بيعةَ الوليدِ قبل أمرِ ابن الأشعث، لأنّ الحجَّاج بعثَ في ذلك عمران بن عصام، فلما أبى عبدُ العزيز أعرض عبدُ الملك عمّا أراد حتى ماتَ عبد العزيز، ولما أراد أن يَخلَع أخاه عبدَ العزيز ويُبايعَ لابنه الوليد كتب إلى أخيه: إن رأيت أن تصيِّر هذا الأمر لابن أخيك! فأبى، فكَتَب إليه: فاجعلْها له من بعدك، فإنه أعزّ الخلق على أمير المؤمنين، فكتب إليه عبد العزيز: إني أرَى في أبي بكر بن عبد العزيز ما تَرَى في الوليد، فقال عبد الملك: اللهمّ إنّ عبد العزيز قَطعَني فاقطعْه، فكتب إليه عبدُ الملك: احمِل خراجَ مصرَ، فكتَبَ إليه عبدُ العزيز: يا أميرَ المؤمنين، إني وإيّاكَ قد بلَغْنا سِنّاً لم يبلُغها أحدٌ من أهلِ بيتك إلا كان بقاؤه قليلاً، وإنّي لا أدري ولا تَدرِي أيُّنا يأتيه الموتُ أوّلاً! فإن رأيتَ ألاّ تغثّث عليّ بقيةَ عمري فافعل.

فرقّ له عبدُ الملك وقال: لَعمْري لا أغثّث عليه بقية عُمرِه، وقال لابنَيه: إن يُرد الله أن يُعطيكموها لا يَقدِرْ أحدٌ من العباد على ردّ ذلك. وقال لابنيه: الوليد وسليمان: هل قارفتُما حَراماً قطّ؟ قالا: لا واللهِ، قال: اللهُ أكبر، نِلتُماها وربِّ الكعبة!

قال: فلما أبى عبدُ العزيز أن يجيبَ عبدَ الملك إلى ما أراد، قال:

عبدُ الملك: اللهمّ قد قَطَعني فاقطَعْه، فلما مات عبدُ العزيز قال أهلُ الشام: رَدّ على أمير المؤمنين أمرَه، فدعا عليه، فاستُجيب له.

قال: وكتب الحجاج إلى عبد الملك يشيرُ عليه أن يستكتب محمد بن يزيدَ الأنصاريّ، وكتب إليه: إن أردتَ رجلاً مأموناً فاضلاً عاقلاً وديعاً مُسلماً كَتُوماً تتّخذه لنفسِك، وتَضع عندَه سِرَّك، وما لا تحبّ أن يَظهَر فاتخذْ محمد بن يزيدَ، فكتب إليه عبدُ الملك: احمله إليّ فَحَمَله، فاتَّخذه عبدُ الملك كاتباً، قال محمد: فلم يكن يأتيه كِتابٌ إلا دفعه إليّ، ولا يسترُ شيئاً إلا أخبَرَني به وكتَمه الناسَ، ولا يكتبُ إلى عامل من عماله إلا أعلَمنيه، فإني لجالسٌ يوماً نِصفَ النهار إذا ببَريد قد قَدِم من مصرَ، فقال: الإذن على أمير المؤمنين، قلت: ليست هذه ساعة إذن، فأعلمني ما قد قدمتَ له، قال: لا. قُلت: فإن كان معك كتاب فادفعه إليّ، قال: لا، قال: فأبلَغَ بعضُ من حضَرَني أمير المؤمنين، فخرج فقال: ما هذا؟ قلتُ: رسولٌ قَدِم من مصرَ، قال: فخُذ الكتاب، قلتُ: زَعَم أنه ليس معه كتاب، قال: فسَلْه عما قَدِم له، قلتُ: قد سألتهُ فلم يُخبِرْني، قال أدخِلْه، فأدخَلته، فقال: آجرَك الله يا أميرَ المؤمنين في عبد العزيز! فاسترْجعَ وبكَى ووَجَم ساعةً ثمّ قال: يَرحَم الله عبدَ العزيز! مَضَى واللهِ عبدَ العزيز لشأنِهِ، وتركَنَا وما نحن فيه، ثمّ بكى النساءُ وأهل الدار، ثمّ دعاني من غَد، فقال: إنّ عبدَ العزيز رحمه الله قد مَضَى لسبيله، ولابدّ للناس من عَلَم وقائم يقومُ بالأمْرِ من بَعدي، فمن تَرَى؟ قلت: يا أميرَ المؤمنين، سيّد الناس وأرضاهم وأفضلُهم الوليدُ بنُ عبد الملك، قال: صدقتَ وفّقك الله! فمَن تَرى أن يكون بعده؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أين تَعْدلها عن سليمانَ فتَى العرب! قال: وفّقتَ، أما إنَّا لو تركْنا الوليدَ وإياها لجعَلَها لبنيه، اكتُب عَهداً للوليد وسُليمانَ مِن بَعدِه، فكتبتُ بيعةَ الوليد ثم سليمان من بعدِه، فغَضب عليَّ الوليدُ فلم يُولني شيئاً حين أشرْتُ بسليمان من بعدِه. (٦/ ٤١٣ ـ ٤١٥).

قال عليّ: عن ابن جُعْدبة: كتب عبدُ الملك إلى هشام بن إسماعيلَ المخزوميّ أن يدعوَ الناس لبيعة الوليد وسليمان، فبايعوا غيرَ سعيد بن المسيِّب، فإنه أبى، وقال: لا أبايع وعبد الملك حَيّ؛ فضَرَبه هشام ضَرْباً مُبرِّحاً وألبَسَه المسُوحَ، وسرّحه إلى ذباب ـ ثنيّة بالمدينة كانوا يُقتلون عندها

ويُصلَبون ، فظنّ أنهم يريدون قتلَه ، فلما انتهَوا به إلى ذلك الموضع رَدّوه ، فقال: لو ظننت أنهم لا يَصْلبوني ما لبستُ سراويلَ مُسوح ، ولكن قلتُ: يصلبونني فيسترني ، وبلغ عبدَ الملك الخبرُ ، فقال: قبح الله هشاماً! إنما كان ينبغي أن يدعوه إلى البيعة ، فإن أبي يَضرِب عنقَه ، أو يكفّ عنه[1]. (٦/ ٤١٥ ـ ٤١٦).

بيعة عبد الملك لابنيه: الوليد ثم سليمان

وفي هذه السنة بايع عبد الملك لابنيه: الوليد ، ثم من بعده لسليمان.

وأما الحارث فإنه قال: حدّثني ابن سَعْد ، عن محمد بن عمَر الواقديّ ، قال: حدثنا عبدُ الله بنُ جعفر وغيرُه من أصحابنا قالوا: استعمَل عبدُ الله بن الزبير جابرَ بن الأسود بنَ عوف الزّهري على المدينة ، فدعا الناسَ إلى البَيْعة لابن الزبير ، فقال سعيدُ بنُ المسيِّب: لا ، حتى يجتَمعَ الناسُ؛ فضرَبَه ستّين سَوْطاً ، فَبلَغ ذلك ابن الزبير ، فَكَتَب إلى جابر يلومُه ، وقال: ما لَنا ولسعيد ، دَعْه! (٦/ ٤١٦).

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

خبر وفاة عبد الملك بن مروان

ذكر أولاده وأَزواجه

منهم الوَليد ، وسليمان ، ومَرْوان الأكبر ـ دَرَج ـ وعائشة؛ أمّهم ولاّدة بنت

(١) قلنا: وابن جعدبة هذا كذاب متهم بالوضع وقال ابن حبان: كان ممن ينفرد بالمناكير عن المشاهير والمقلوبات عن الثقات ، وقال أبو حاتم والبخاري ومسلم: منكر الحديث [تهذيب الكمال (تر ٧٠٣٥)].
وقد عمد إلى هذا الخبر ـ امتناع سعيد عن البيعة لاثنين في آن واحد ـ فأضاف إليه أن عبد الملك قال: (فإن أبى يضرب عنقه) أي: أن ابن جعدبة يريد أن يصور لنا خلفاء بني أمية لا يعرفون إلاّ ضرب الأعناق ولكن أئمة الحديث جزاهم اللهُ خيراً كشفوا لنا زيف الروايات بكشفهم عن حال الرواة الوضاعين الكذابين والحمد لله على نعمة الإسناد.

العبّاس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن جذَيمة بن رَوَاحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض.

ويزيد، ومَرْوان، ومعاوية ـ دَرَج ـ وأمّ كُلْثوم، وأمّهم عاتكة بنت يَزيدَ بن معاوية بن أبي سُفيان.

وهشام، وأمّه أمّ هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، وقال المدائنيّ: اسمها عائشة بنت هشام.

وأبو بكْر، واسمُه بكار، أمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عُبَيْد الله، والحَكم ـ دَرَج ـ أمه أمّ أيّوب بنت عمرو بن عثمانَ بن عفان.

وفاطمة بنت عبدِ الملك، أمّها أمّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هِشام بن المغيرة.

وعبد الله ومَسلَمة والمنذر وعَنْبسة ومحمد وسعيد الخير والحجّاج؛ لأمهاتِ أولاد. (٦/ ٤١٩ ـ ٤٢٠).

* * *

قال المَدائنيّ: وكان له من النساء ـ سوى من ذكرْنا ـ شقراءُ بنتُ سَلَمة بن حلبَس الطائيّ، وابنة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمّ أبيها بنت عبد الله بن جعفر. (٦/ ٤٢٠).

وذكرَ المدائنيّ، عن عوانة وغيره أنّ سلَمَة بن زيد بن وهب بن نُباتَة الفَهميّ، دخل على عبدِ الملك فقال له: أيّ الزمان أدركتَ أفضل؟ وأيّ الملوك أكمَل؟ قال: أما الملوك فلَمْ أرَ إلا ذامّاً وحامداً؛ وأما الزمان فيَرفَع أقواماً ويَضَع أقواماً، وكلهم يَذُمّ زمانَه لأنه يُبلي جديدَهم، ويُهرِم صغيرَهم، وكلّ ما فيه منقطع غير الأمل؛ قال: فأخبِرْني عن فَهْم، قال: هم كما قال مَن قال:

دَرَج الليْلُ والنَّهارُ على فَهـ ... ـمِ بنِ عَمْرو فأَصبحُوا كالرَّميمِ
وخَلَتْ دارُهُمْ فأَضَحَتْ يَبَاباً ... بعْدَ عزٍّ وثَرْوَة ونعيمِ
كذَاك الزمانُ يَذْهَبُ بالنا ... س وتبْقَى ديَارُهُمْ كالرُّسومِ

قال: فمن يقول منكم:

رأيتُ الناسَ مذ خُلقُوا وكانوا يحبُّون الغَنِيَّ من الرجالِ
وإن كان الغَنيُّ قليلَ خيْرٍ بخيلاً بالقليل من النوالِ
فما أدْري عَلامَ وفيمَ هذا وماذا يَرْتَجُون من البِخال!
أَلِلدّنيا؟ فلَيْسَ هُنَاك دنْيا ولا يُرْجى لحادثَةِ اللَّيالي

قال: أنا.

قال عليّ: قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط لعبدِ المَلِك بن مَرْوان:

نبِّئْتُ أنَّ ٱبنَ القَلَمَّس عابَني ومن ذا من النَّاس الصحيحُ المسَلَّمُ!
فأَبصرَ سُبُلَ الرشدِ سيّدُ قومه وقد يُبْصِرُ الرشْدَ الرئيسُ المعَمَّمُ
فمن أنتمُ؟ ها خَبِّرونا من أنتُمُ؟ وقد جعلت أَشياءُ تبْدُو وتُكْتَمُ

فقال عبد الملك: ما كنتُ أرى أنّ مثلَنا يقال له: من أنتم! أما والله لولا ما تَعلم لقلتُ قَوْلاً ألحقكم بأصلكم الخبيث، ولضربتُك حتى تموت. (٦/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).

وقال عبدُ الله بنُ الحجّاج الثعلبيّ لعبدِ الملك:

يا بنَ أَبي العاص ويا خيرَ فَتَى أنتَ سِدادُ الدِّين إن دِينٌ وَهَى
أَنتَ الَّذي لا يَجعلُ الأَمرَ سُدَى جيبتْ قريش عنكمُ جَوْبَ الرَّحَى
إنّ أَبا العاصِي وفي ذاك ٱعْتَصَى أوْصَى بَنيهِ فوَعَوْا عنه الوَصَى
إنْ يَسعروا الحرْبَ ويأبوا ما أَبى الطاعنين في النُّحورِ والكُلَى
شَزْراً ووصْلاً للسيوف بالخُطَا إلى القتال فَحوَوْا ما قد حَوَى

وقال أعشى بني شَيْبان:

عرفتْ قرَيشٌ كلُّها لبَني أَبي العاص الإمَارةْ
لأَبَرِّها وأحَقِّها عند المشورَةِ بالإشارَةْ
المانعين لِمَا وَلُوا والنافِعِين ذوِي الضَّرارةْ
وَهُمُ أَحَقُّهُم بها عند الحلاوة والمرارةْ

وقال عبد الملك: ما أعلم مكانَ أحد أقوَى على هذا الأمر منّي، وإنّ

ابنَ الزّبير لطويلُ الصّلاة ، كثير الصيام ولكنْ لبخله لا يَصلُح أن يكون سائساً. (٦/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) .

خلافة الوليد بن عبد الملك

وفي هذه السنة بويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة .

فكان أوّل من قام لبيَعته عبدُ الله بن هَمّام السَّلوليّ ، فإنه قام وهو يقول :

اللهُ أعْطَاكَ الَّتي لا فَوْقَها وقد أَرَاد الملحدُون عَوْقَها
عَنْكَ ويأْبى اللهُ إلاَّ سَوْقَها إلَيْكَ حتى قَلَّدُوكَ طَوْقَها

فبايعه ، ثمّ تتابعَ الناسُ على البَيعة. (٦/ ٤٢٣) .

وأما الواقديّ فإنه ذكرَ أنّ الوليدَ لمّا رجع من دَفْن أبيه ، ودُفِن خارج باب الجابية ، لم يدخُل منزلَه حتى صعد على مِنبرِ دِمشقَ ، فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ، ثمّ قال :

أيّها الناسُ ، إنه لا مُقدِّم لِما أخّر الله ، ولا مؤخّر لِمَا قَدّم الله ، وقد كان من قضاء الله وسابِقِ عِلمهِ وما كَتَب على أنبيائه وحَمَلة عرشِه الموت. وقد صار إلى منازل الأبرار ولِّي هذه الأمة الذي يحقّ عليه لله من الشدّة على المُريب ، واللِّين لأهل الحقّ والفضل ، وإقامة ما أقام الله من مَنار الإسلام وأعلامه؛ من حَجّ هذا البيت ، وغَزْو هذه الثغور ، وشَنّ هذه الغارة على أعداء الله ، فلم يكن عاجزاً ولا مُفرِّطاً ، أيها الناس ، عليكم بالطاعة ، ولزومِ الجماعة ، فإنّ الشيطان مع الفرد ، أيها الناس ، مَن أبدَى لنا ذات نفسِه ضرْبنا الذي فيه عَيْناه ، ومن سَكَت ماتَ بدَائه .

ثمّ نَزَل ، فنَظَر إلى ما كان من دوابّ الخلافة فحَازه ، وكان جبّاراً عنيداً. (٦/ ٤٢٣) .

ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قِبَل الحجاج

ذكر ما كان من أمر قتيبة بخُراسان في هذه السنة ، ثمّ عرَض قُتيبةُ الجُندَ في السلاح والكُراع ، وسار واستخلَف بمرْوَ على حَرْبها إياسَ بن عبد الله بن عمرو ،

وعلى الخَراج عثمان بن السعديّ ، فلما كان بالطالَقان تلقّاه دَهاقينُ بَلْخَ وبعضُ عُظَمائِهم فساروا معه ، فلما قَطَع النهرَ تلقّاه تيش الأعورَ مَلِك الصّغانيانِ بهدايا ومِفتاح من ذهب ، فدعاه إلى بلاده ، فأتاه وأتَى ملك كفتان بهدايا وأموال ، ودعاه إلى بلاده فمضى مع بيش إلى الصَّغانيان ، فسلَّم إليه بلادَه ، وكان ملك أخْرون وشُومان قد أساءَ جوارَ تيش وغزاه وضَيّق عليه ، فسار قُتيبةُ إلى أخْرون وشومان ـ وهما من طخارستان ، فجاءه غشتاسبان فصالَحه على فِدْية أدّاها إليه ، فَقبِلها قتيبة ورضيَ ، ثمّ انصرف إلى مَرْوَ ، واستخلفَ على الجند أخاه صالحَ بنَ مسلم ، وتقدّم جندَه فسبَقَهم إلى مَرْوَ ، وفتَح صالح بعد رجوع قتيبةَ باسارا ، وكان معه نصر بن سيّار فأبلى يومئذ؛ فوَهَب له قريةً تُدْعَى تنجانة ، ثمّ قَدِم صالح على قُتيبةَ فاستعمَلَه على التِّرمذ.

قال: وأما الباهليّون فيقولون: قَدِم قتيبةُ خُراسانَ سنة خمس وثمانين فعَرَض الجندَ ، فكان جميعُ ما أحصَوا من الدرّوع في جُنْد خُراسان ثلاثمئة وخمسين دِرْعاً ، فغزا أخْرون وشُومان ، ثمّ قَفَل فركِبَ السفن فانْحدَرَ إلى آمُل ، وخَلّف الجُنْد ، فأخذوا طريق بَلْخ إلى مَرْو ، وبلغ الحجّاج ، فكَتَب إليه يلومه ، ويعجّز رأيَه في تخليفه الجندَ ، وكتب إليه: إذا غزوتَ فكنْ في مُقدَّم الناس ، وإذا قفلتَ فكن في أخْرَياتهم وساقَتِهم.

وقد قيل: إنّ قتيبةَ أقامَ قبلَ أن يقطَع النهر في هذه السنة على بَلْخ ، لأنّ بعضها كان منتقِضاً عليه ، وقد ناصَبَ المسلمين ، فحارَبَ أهلَها ، فكان ممن سَبَى امرأة بَرْمك ، أبي خالد بن بَرْمك ـ وكان بَرمَك على النُّوبَهار ـ فصارت لعبد الله بن مسلم الذي يقال له الفقير ، أخي قُتَيبة بن مسلم ، فوقَع عليها ، وكان به شيء من الجُذام ، ثمّ إنّ أهلَ بَلْخ صالحوا من غَد اليوم الذي حارَبهم قُتيبةُ ، فأمَر قتيبة بردّ السَّبْي ، فقالت امرأة برْمك لعبد الله بن مسلم: يا تازِي ، إنِّي قد عَلِقْتُ منك ، وحضرتْ عبد الله بن مسلم الوفاةُ ، فأوصَى أن يُلحق به مافي بطنها ، وردّت إلى بَرْمَك.

فذكر أن ولدَ عبدِ الله بن مُسلم جاؤوا أيامَ المهديّ حين قَدِم الرّيّ إلى خالد ، فادّعَوْه ، فقال لهم مُسلِم بنُ قتيبة: إنه لابدّ لكم إن استلحقتموه ففعل من أن تُزوّجوه ، فتركوه وأعرضوا عن دَعْواهم.

وكان بَرْمَك طبيباً ، فداوى بعد ذلك مَسلمةَ من عِلّة كانت به. (٦/ ٤٢٤ ـ ٤٢٦).

ثم دخلت سنة سبع وثمانين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
خبر إمارة عمر بن عبد العزيز

قال: وقَدِم على ثلاثين بعيراً ، فنَزل دارَ مَروانَ ، قال: فحدّثني عبدُ الرحمن بن أبي الزِّناد ، عن أبيه ، قال: لما قَدِم عمر بنُ عبد العزيز المدينةَ ونَزَل دارَ مروانَ دخل عليه الناسُ فسلَّموا ، فلما صلَّى الظهرَ دعا عشرةً من فُقهَاء المدينة: عُرْوةَ بنَ الزبير ، وعبيدَ الله بن عبد الله بن عُتبة ، وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة ، وسليمان بن يَسَار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زَيْد؛ فدخلوا عليه فجلسوا ، فحمِد الله وأثنَى عليه بما هو أهلُه ، ثمّ قال:

إني إنما دعوتكم لأمرٍ تؤجَرون عليه ، وتكونون فيه أعواناً على الحقّ ، ما أريد أن أقطعَ أمراً إلا برأيكم أو برأيِ من حَضَر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتعدّى ، أو بلَغَكم عن عامل لي ظُلامة ، فأحرّجُ الله على مَن بلغه ذلك إلا بلّغني.

فخرجوا يُجزوُنه خيراً ، وافترقوا.

قال: وكتب الوليدُ إلى عمرَ يأمرُه أنْ يقف هشام بن إسماعيلَ للناس ، وكان فيه سيِّئ الرأي. (٦/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨).

قال الواقديّ: فحدّثني داودُ بن جُبير ، قال: أخبرتْني أمّ وَلد سعيد بن المسيّب أن سعيداً دعا ابنَه ومواليَه فقال: إنّ هذا الرجل يُوقف للناس ـ أو قد وُقف ـ فلا يتعرّضْ له أحدٌ ولا يؤذِه بكلمة ، فإنا سنترُك ذلك لله وللرَّحِم ، فإن كان ما علمتُ لسيِّئ النظر لنفسهِ ، فأمّا كلامُه فلا أكلِّمه أبداً. (٦/ ٤٢٨).

قال: وحدّثني محمد بنُ عبد الله بن محمد بن عمَر ، عن أبيه ، قال: كان هشامُ بنُ إسماعيلَ يسيء جِوارَنا ويؤذِينا ، ولقيَ منه عليّ بنُ الحسين أذىً شديداً ،

فلما عُزل أَمَر به الوليدُ أن يُوقَف للناس ، فقال : ما أخاف إلا من عليّ بن الحسين ، فمَرّ به عليّ وقد وُقِف عند دارِ مَرْوان ، وكان عليّ قد تقدّم إلى خاصّته ألاّ يَعرِض له أحد منهم بكلمة ؛ فلما مرّ ناداه هشامُ بنُ إسماعيل : اللهُ أعلمُ حيث يجعَل رِسالاته . (٦/ ٤٢٨) .

* * *

خبر غزو قتيبة بِيكَنْد

قال عليّ : حدّثنا أبو الذّيال ، عن أشياخٍ من بني عَدِيّ ، أنّ مسلماً الباهليّ قال لِوَألانَ : إنّ عندي مالاً أحبّ أن أستودِعَكه ، قال : أتريد أن يكون مكتوماً أو لا تكره أن يعلَمه الناسَ؟ قال : أحِبّ أن تكتُمه ؛ قال : ابعث به مع رجل تَثِق به إلى موضع كذا وكذا ، ومُرْه إذا رأى رجلاً في ذلك الموضع أن يَضَع ما معه وينصرِف ؛ قال : نعم ، فجَعل مسلم المال في خُرْج ، ثمّ حَمَله على بغل وقال لمولىً له : انطلق بهذا البغل إلى موَضع كذا وكذا ، فإذا رأيت رجلاً جالساً فخلِّ عن البَغْل وانصَرِف ، فانطَلَق الرجلُ بالبَغْل ، وقد كان وألان أتى الموضَع لِميعاده .

فأبطأ عليه رسولُ مسلم ، ومضى الوقت الذي وَعدَه ، فظنّ أنه قد بدا له ، فانصرف ، وجاء رجلٌ من بني تَغلِبَ فجلس في ذلك الموضع ، وجاء مولَى مسلم فرأى الرجل جالساً ، فخلَّى عن البغل ورَجعَ ، فقام التغلبيُّ إلى البَغْل ، فلما رأى المال ولم يَرَ مع البَغْل أحداً قادَ البغَل إلى منزِله ، فأخذ البغلَ وأخذَ المال ، فظنّ مسلم أن المال قد صار إلى وألان ، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه ، فَلقيَه فقال : مالي! فقال : ما قبضت شيئاً ، ولا لك عندي مال ، قال : فكان مُسلم يشكوه ويتنقّصه ، قال : فأتى يوماً مجلس بني ضُبَيعة فشَكاه والتغلبيُّ جالسٌ ، فقام إليه فخَلا به وسأله عن المال ، فأخبَرَه ، فانطَلَق به إلى منزِله ، وأخرج الخُرْج فقال : أتعرِفه؟ قال : نَعَم ، قال : والخاتمَ؟ قال : نعم ؛ قال : اقِبض مالَك ، وأخبرَه الخَبر ، فكان مسلم يأتي الناسَ والقبائلَ التي كان يشكو إليهم وألان فيَعذِره ويُخبرهم الخبَر ، وفي وألان يقول الشاعر :

ولَسْتَ كَوألاَن الَّذي سَادَ بالتُّقى ولســـتَ كعمـــرانٍ ولاَ كـــالمُهلَّـــبِ
(٦/ ٤٣٢ _ ٤٣٣)

وعِمْرانُ: ابنُ الفصِيل البُرْجُميّ.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

خبر فتح حصون طوانة من بلاد الروم

فذكر محمّد بن عمَر الواقديّ أن ثورَ بن يزيدَ حدّثه عن أصحابه قال: كان فَتْح طُوانة على يديْ مسلَمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد، وهَزم المسلمون العدوّ يومئذ هزيمةً صاروا إلى كنيستهمِ، ثمّ رجَعوا فانهَزَم الناس حتى ظَنّوا ألا يجتبروها أبداً، وبقِيَ العباس معه نُفير؛ منهم ابن مُحيْريز الجُمْحيّ، فقال العباس لابن مُحَيريزَ: أين أهلُ القرآن الذين يريدون الجنة؟ فقال: ابنُ مَحيريز: نادِهم يأتوك؛ فنادَى العبّاس: يا أهلَ القرآن! فأقبَلوا جَميعاً، فهزَم الله العدوّ حتى دخلوا طُوانة. (٦/ ٤٣٤).

وكان الوليدُ بنُ عبد الملك ضرب البَعْث على أهل المدينة في هذه السنة، فذكَر محمّد بن عمَر، عن أبيه، أنّ مَخرمة بن سليم الوالبيّ قال: ضرب عليهم بعث ألفين، وأنهم تجاعَلوا فخرج ألف وخمسمئة، وتخلّف خمسمئة، فغَزوا الصائفة مع مَسلَمة والعبّاس، وهما على الجيش، وإنهم شتَوا بطُوانة وافتتَحوها. (٦/ ٤٣٤).

* * *

وفيها وُلِد الوليدُ بن يزيدَ بن عبد الملك. (٦/ ٤٣٤).

* * *

ذكر عمارة مسجد النبي ﷺ

وفيها أمرَ الوليدُ بنُ عبد الملك بهَدْم مسجدِ رسول الله ﷺ وهدم بيوت أَزْواج رسولِ الله ﷺ وإدخالها في المسجد، فذكَر محمد بنُ عمر، أنّ محمد بن جعفر بن ورْدان البنّاء قال: رأيتُ الرسولَ الذي بعثَه الوليدُ بن عبد الملك قَدِم في

شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانين ، قدم مُعتجِراً ، فقال الناس: ما قَدِم به الرسول! فدَخل على عمَر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حُجَر أزواج رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله ، وأن يشتري مافي مؤخَّره ونواحيه حتى يكون مئتي ذراع في مئتي ذراع ويقول له: قدّم القِبْلة إنْ قَدَرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك ، فإنهم لا يخالفونك ، فمن أبى منهم فمرْ أهل المصر فليقوّموا له قيمة عدل ، ثم اهدمْ عليهم وأدفَع إليهم الأثمان ، فإنْ لك في ذلك سَلَف صِدق؛ عمر وعثمان فأقرأهم كتابَ الوليد وهم عندَه ، فأجاب القوم إلى الثمن ، فأعطاهم إياه ، وأخَذَ في هَدْم بيوتِ أزواج النبيّ ﷺ وبناء المسجد ، فلم يمكُث إلا يَسيراً ، حتى قَدمِ الفعلة ، بَعَثَ بهم الوليد. (٦/ ٤٣٥).

قال محمد بنُ عمَر: وحدّثني موسى بن يعقوبَ ، عن عمّه ، قال: رأيت عمرَ بن عبد العزيز يَهدِم المسجدَ ومعه وجوهُ الناس: القاسم ، وسالم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن عبد اللهِ بن عمرَ ، يُرُونه أعلاماً في المسجد ويقدّرونه ، فأسَّسُوا أساسَه. (٦/ ٤٣٥).

قال محمد بن عمر: وحدّثني يحيى بنُ النعمان الغِفاريّ عن صالح بن كَيسان ، قال: لما جاء كتابُ الوليد من دمشقَ وسار خمس عشرةَ بهدم المسجد ، تجرّد عمرُ بنُ عبد العزيز ، قال صالح: فاستعملني على هَدْمه وبنائه ، فهدَمْناه بعمّال المدينة ، فبدأنا بهَدْم بيوت أزواج النبيّ ﷺ حتى قَدِم علينا الفَعَلة الذين بَعَثَ بهم الوليد. (٦/ ٤٣٥).

قال محمد: وحدّثني موسى بنُ أبي بكر ، عن صالح بن كَيْسان ، قال: ابتدأنا بهَدْم مسجد رسول الله ﷺ في صَفر من سنة ثمان وثمانين ، وبَعَثَ الوليدُ إلى صاحب الرّوم يُعلمه أنه أمر بهدم مَسجد رسولِ الله ﷺ ، وأن يُعينَه فيه ، فبعث إليه بمئة ألفِ مثقال ذهب ، وبُعث إليه بمئة عامل ، وبعث إليه من الفُسَيْفِساء بأربعين حِمْلا. وأمر أن يتتبَّع الفُسَيْفِساء في المدائن التي خُرّبت ، فبعث بها إلى الوليد ، فبعث بذلك الوليد إلى عمرَ بن عبد العزيز.

وفي هذه السنة ابتدأ عمرُ بن عبد العزيز في بناء المسجد. (٦/ ٤٣٦).

* * *

وفيها غَزا أيضاً مَسلمَةُ الرّوم ، ففُتِح على يديه حُصونٌ ثلاثة: حِصن قُسْطَنْطِينة ، وغَزالة ، وحِصْن الأخْرم ، وقتل من المستَعربة نحوٌ من ألف مع سَبْي الذرّيّة ، وأخذِ الأموال. (٦/ ٤٣٦).

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

خبر غزو قتيبة بخارى

وفي هذه السنة غزا قُتيبةُ بُخارى ، ففتح راميثنه ، ذكر عليّ بنُ محمّد عن الباهليّين أنهم قالوا ذلك ، وأن قتيبة رَجَع بعدما فتحها في طريق بَلْخ ، فلمّا كان بالفارِياب أتاه كتاب الحجّاج: أن رِدْ وَرْدان خُذَاه.

فرجع قتيبة سنة تسع وِثمانين ، فأتى زَمّ ، فقطع النهر ، فلِقيَه السُّغد وأهل كِسّ ونَسَف في طريق المفازة ، فقاتَلوه ، فَظَفِر بهم ومَضى إلى بُخارَى ، فنَزل خَرْقانة السفلِي عن يمين وَرْدان ، فلقوه بجمع كثير ، فقاتَلَهم يومَين وليلَتين ، ثمّ أعطاه الله الظَّفر عليهم؛ فقال نَهار بن تَوسِعَة:

وبــاتــت لَهُــمْ منَّــا بخَــرْقــانَ لَيْلَــة ... ولَيْلَتُنــا كــانــت بِخَــرْقــان أَطْــولاَ

(٦/ ٤٣٩).

وقيل: كتَب إليه الحجاج أن كِسّ بكسّ وانسفْ نسَف ورِدْ وَرْدان ، وإيّاك والتحويط ، ودَعْني من بُنيّاتِ الطريق. (٦/ ٤٤٠).

* * *

خبر ولاية خالد القسريّ على مكة

وفي هذه السنة وليَ خالد بن عبد الله القَسْريّ مكّة فيما زعم الواقديّ ، وذكَر أنّ عمر بن صالح حدّثه عن نافع مولَى بني مخزوم ، قال: سمعت خالدَ بن عبد الله يقول على مِنبرِ مَكّة وهو يخطب:

أيّها الناس ، أيّهما أعظَم؟ أخليفةُ الرّجل على أهله ، أمْ رسوله إليهم؟ والله لو لم تعلَموا فضْل الخَليفة ، إلا أنّ إبراهيمَ خليلَ الرّحمن استَسْقى فسَقاه ملْحاً أجاجاً ، واستسقاه الخليفةُ فَسَقاه عَذْباً فراتاً ، بِئراً حَفرَها الوليد بنُ عبد الملك

بالثَّنيتيْن ـ ثَنِيَّة طوىً وثنيّة الحجُون ـ فكان ينقَل ماؤها فيوضَع في حوض من أَدَمْ إلى جَنْب زمزمَ ليُعْرف فضلُه على زَمْزَم.

قال: ثمّ غارت البئر فذهبتْ فلا يُدرَى أين هيَ اليوم[١]. (٦/ ٤٤٠)

ثم دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

خبر صلح قتيبة مع السُّغْد

وفي هذه السنة جدّد قتيبةُ الصلحَ بينه وبين طَرْخون مَلِك السُّغْد.

* ذكر الخبر عن ذلك:

قال عِليّ: ذَكَر أبو السَّريّ عن الجَهم الباهليّ، قال: لما أوقع قتيبة بأهل بُخارَى ففضّ جمعهم هابَه أهلُ السُّغْد، فرجع طَرْخون مَلك السُّغد ومعه فارسان حتى وقف قريباً من عسكر قُتيبة وبينهما نَهر بُخارى، فسأل أن يبعث إليه رجلاً يكلمه، فأمر قتيبةُ رجلاً فدنا منه.

وأما الباهليّون فيقولون: نادى طَرْخونُ حيّانَ النَّبَطِيّ فأتاه، فسألهم الصّلح على فِدْية يؤدّيها إليهم، فأجابه قتيبة إلى ما طَلَب، وصالحه، وأخذ منه رَهْناً حتى يبعثَ إليه بما صالحه عليه، وانصرف طرخون إلى بلاده، ورجع قتيبةُ ومعه نِيزَك. (٦/ ٤٤٥).

* * *

خبر فتح الطالقان

وفي هذه السنة، أوقع قتيبة بأهل الطالقَان بخراسان ـ فيما قال بعض أهل الأخبار ـ فقتل من أهلها مقتلةً عظيمة، وصلب منهم سِمَاطيْن أربعة فراسخَ في نظام واحد.

---

(١) خبر منكر، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي، وهو من وضع الواقدي، وقال ابن كثير: وهذا الكلام يقتضي كفراً إن صح عن قائله، وعندي أن خالد بن عبد الله القسري لا يصح عنه هذا الكلام (٧/ ٢٢٧).

* ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وكان السبب في ذلك ـ فيما ذُكر ـ أنّ نِيزَك طرخان لما غدر وخَلَع قتيبة وعزَم على حَربه، طابَقَه على حربه مَلِك الطالَقان، وواعَدَه المصيرَ إليه منَ استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قُتيبة، فلما هَرَب نِيزَك من قتيبة ودخل شِعب خُلم الذي يأخذ إلى طُخارِستان عَلِم أنه لا طاقةَ له بقُتيبة، فهَرَب، وسار قُتيبةُ إلى الطالقان فأوقع بأهلها، ففعل ما ذكرتُ فيما قبل.

وقد خُولِف قائلُ هذا القول فيما قال من ذلك، وأنا ذاكرُه في أحداث سنة إحدى وتسعين. (٦/ ٤٤٧).

هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج

* ذكر الخبر عن سبب تخلّصهم من سجن الحجّاج ومسيرِهم إلى سليمان:

قال هشام: حدّثني أبو مِخنَف، عن أبي المُخارق الراسبيّ، قال: خرج الحجّاج إلى رُسْتُقْباذ للبَعْث، لأنّ الأكرادَ كانوا قد غلبوا على عامة أرضِ فارسَ، فخرج بيزيدَ وبإخوانه المفضّل وعبد الملك حتى قَدِم بهم رستقْباذ؛ فجعلهم في عسكرِه، وجعل عليهم كهَيْئة الخَنْدق، وجَعَلَهم في فُسطاط قريباً من حُجرته، وجعل عليهم حَرَساً من أهل الشام، وأغرَمَهم ستّة آلافِ ألف، وأخذ يعذّبهم، وكان يزيدُ يَصبِر صبراً حَسَناً، وكان الحجّاج يَغيظُه ذلك، فقيل له: إنه رُمي بنُشابة فثَبَت نصلُها في ساقه، فهو لا يمسّها شيء إلا صاح، فإن حرّكت أدنى شيء سمعْت صوتَه، فأمَر أن يعذَّب ويُدهَق ساقُه، فلما فُعل ذلك به صاحَ، وأخته هند بنت المهلّب عند الحجّاج، فلما سمعتْ صِياحَ يزيدَ صاحتْ وناحتْ، فطلّقها، ثمّ إنه كفّ عنهم، وأقبَل يستأدِيهم، فأخذُوا يؤدّون وهم يَعمَلون في التخلّص من مكانهم، فبعثوا إلى مروانَ بن المهلب، وهو بالبَصْرة يأمرونه أن يضمرّ لهم الخيل، ويُرِي الناسَ أنه إنما يريد بيعَها ويَعرِضها على البيع، ويُغلى بها لئلا تُشتَرى فتكون لنا عُدَّة إن نحن قَدرنا على أن ننجوَ مما هاهنا، ففعل ذلك مروان، وحبيب بالبَصرة يعذَّب أيضاً، وأمر يزيدُ بالحَرَس فصُنع لهم طعام كثير فأكَلوا؛ وأمَر بشراب فسُقُوا، فكانوا متشاغلين به، ولبسَ يزيدُ ثيابَ طَبّاخه، ووضَع على لحيته لحية بَيْضاء، وخرج فرآه بعضُ الحرس

فقال: كأنّ هذه مِشْية يزيد! فجاء حتى استعرض وجهَه ليلاً، فرأى بياضَ اللِّحية، فانصرف عنه، فقال: هذا شيخ، وخرج المفضَّل على أثره، ولم يُفطَن له، فجاؤوا إلى سُفنهم وقد هيَّؤوها في البطائح، وبينهم وبين البَصرة ثمانية عشرَ فَرْسخاً، فلما انتهوا إلى السفن أبطأ عليهم عبدُ الملك وشُغِل عنهم، فقال يزيد للمفضّل: اركب بنا فإنه لاحقٌ. فقال المفضّل ـ وعبد الملك أخوه لأمّه ـ وهي بهلة هنديّة: لا والله، لا أبرَح حتى يجيء ولو رجعتُ إلى السجن، فأقام يزيدُ حتى جاءهم عبد الملك، وركبوا عند ذلك السفن، فساروا ليلتَهم حتى أصبحوا، ولما أصبح الحرَس عَلِموا بذَهابهم، فرُفع ذلك إلى الحجّاج، وقال الفرزدق في خروجهم:

فلمْ أرَ كالرَّهْط الذينَ تَتَابعوا ... على الجِذْع والحرَّاسُ غيرُ نيامِ
مَضَوْا وهُمُ مُسْتَيْقنُون بأنَّهمْ ... إلى قَدَرٍ آجالُهمْ وحِمَامِ
وإنْ منهمُ إلا يُسَكِّن جأْشَهُ ... بعَضْب صقِيلٍ صارمٍ وحُسام
فلمَّا التقَوْا لم يلتَقوا بمُنَفَّهٍ ... كبيرٍ ولا رَخْصِ العظام غلام
بمثلِ أبيهمْ حين تمّت لِدَاتُهمْ ... لخمسين قلْ في جُرْأةٍ وتمام

ففزع له الحجّاج، وذهب وهمه أنّهم ذهبوا قِبَل خُراسان، وبعث البريدَ إلى قتيبة بن مسلم يحذّره قدومَهم، ويأمُره أن يستعدّ لهم، وبعث إلى أمَراء الثغور والكوَر أن يرصدوهم، ويستعدّوا لهم، وكتب إلى الوليد بنِ عبد الملكِ يُخبِره بهرَبهم، وأنه لا يراهم أرادوا إلا خُراسان، ولم يزل الحجّاج يظنّ بيزيدَ ما صنع، كان يقول: إني لأظنه يحدِّث نفسَه بمثِل الذي صنع ابنُ الأشعث.

ولمّا دنا يزيدُ من البطائح، من مَوْقُوع استقبلتْه الخيل، قد هُيِّئت له ولإخوته، فخرجوا عليها ومعهم دليلٌ لهم من كَلْب يقال له: عبد الجبّار بن يزيدَ بن الربعة، فأخذ بهم على السَّمَاوَة، وأتِيَ الحجّاج بعد يومين، فقيل له: إنما أخذ الرجل طريقَ الشام، وهذه الخيلُ حَسْرَى في الطريق، وقد أتَى من رآهم موجَّهين في البرّ، فبعث إلى الوليد يُعلِمه ذلك، ومَضَى يزيدُ حتى قَدِم فِلَسطين، فنَزَل على وهيب بن عبد الرّحمن الأزْديّ ـ وكان كريماً على سليمان ـ وأنزل بعضَ ثَقَله وأهلِه على سُفْيان بن سليمان الأزديّ، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان، فقال: هذا يزيدُ بن المهلَّب، وإخوتُه في

منزلي ، وقد أتوك هُرّاباً من الحجّاج متعوِّذين بك؛ قال: فائتِني بهم فهم آمنون لا يُوصَل إليهم أبداً وأنا حيّ. فجاء بهم حتى أدخَلَهم عليه ، فكانوا في مكان آمِن. وقال الكلبيّ دليلُهم في مَسيرِهم:

ألا جَعَلَ اللهُ الأخِلَّاءَ كلَّهُمْ ... فداءً على ما كان لابنِ المُهلَّبِ
لَنِعْمَ الفتى يا مَعْشَرَ الأَزْد أَسعفتْ ... رِكابُكُمُ بالوهب شَرْقيَّ مَنْقَبِ
عَدَلْنَ يَميناً عنهمُ رَمْلُ عالِجٍ ... وذات يمينِ القوم أعلامُ غُرَّبِ
فإلاَّ تُصَبِّحْ بعدَ خَمْسٍ ركابُنا ... سليمانَ من أهل اللِّوى تتأوَّبِ
تَقَرُّ قَرار الشَّمس ممّا وراءَنا ... وتذْهَبُ في داجٍ مِنَ الليلِ غَيْهَب
بقومٍ هُمُ كانوا الملوكَ هَدَيْتُهُمْ ... بظلْمَاءَ لم يُبْصَرْ بها ضَوءُ كوكب
ولا قَمَرٍ إلاّ ضَئيلاً كأنَّه ... سِوارٌ حَنَاهُ صائغ السُّور مُذْهَب[(١)]

(٦/ ٤٤٨ ـ ٤٥٠).

قال هشام: فأخبرني الحسَن بن أبَان العُلَيميُّ ، قال: بينا عبد الجبار بن يزيدَ بن الرّبعة يَسرِي بهم فسقطتْ عِمامةُ يزيدَ ، ففقَدَها فقال: يا عبدَ الجبار ، ارجعْ فاطلُبْها لنا ، قال: إنّ مثِلي لا يُؤمَر بهذا ، فأعاد؛ فأبى ، فتناوَله بالسوط ، فانتَسَب له ، فاستحيا منه ، فذلك قولُه:

ألا جعلَ اللهُ الأخلّاءَ كلَّهمْ ... فداءً على ما كان لابن المهلَّبِ

وكتب الحجّاج: إن آل المهلب خانوا مالَ الله وهرَبوا منّي ولَحِقوا بسليمان ، وكان آل المهلّب قَدِموا على سليمان ، وقد أمِر الناس أن يحصِّلوا ليسرَّحوا إلى خراسان ، لا يرَون إلا أنّ يزيدَ توجّه إلى خُراسان ليَفتِن مَن بها ، فلما بلغ الوليدَ مكانُه عند سليمان هوّن عليه بعَض ما كان في نفسه ، وطار غضبَاً للمال الذي ذَهَب به ، وكتب سليمانُ إلى الوليد: إنّ يزيدَ بن المهلب عندي وقد آمنته ، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف ، كان الحجّاج أغرَمهم ستّة آلاف ألف فأدَّوْا ثلاثَة آلاف ألف ، وبقي ثلاثة آلاف ألف ، فهيَ عليّ ، فكتب إليه: لا والله لا أؤمّنه حتى تبعث به إليّ ، فكتب إليه ، لئن أنا بعثتُ به إليك لأجيئنّ معه ، فأنشدكُ اللهَ أن لا تفضَحني ولا أن تُخفِرني ، فكَتَب إليه: والله لئن جئتَني لا أؤمِّنه ، فقال يزيد:

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

ابعثني إليه ، فوالله ما أحبّ أن أوقع بينك وبينه عداوةً وحَرْباً ، ولا أن يتشاءم بي لكما الناسُ ، ابعث إليه بي ، وأرسِل معي ابنك ، واكتُب إليه بألطفِ ما قدَرتَ عليه ، فأرسَل ابنه أيوب معه ، وكان الوليد أمَرَه أن يبعَثَ به إليه في وَثاق ، فبعَث به إليه ، وقال لابنه: إذا أردتَ أن تَدخُل عليه فادخلْ أنتَ ويزيد في سِلسلة ثمّ ادخُلا جميعاً على الوليد ففعل ذلك به حين انتهيا إلى الوليد ، فدخَلا عليه ، فلما رأى الوليدُ ابنَ أخيه ، في سِلسلة ، قال: واللهِ لقد بلغْنا من سليمان! ثمّ إنّ الغلامَ دفَع كتابَ أبيه إلى عمّه وقال: يا أميرَ المؤمنين ، نفسي فداؤُك! لا تُخفر ذِمّة أبي ، وأنت أحقّ من مَنعها ، ولا تَقْطعَ منّا رجاءَ من رجَا السلامة في جوارِنا لمكاننا منك ، ولا تُذِلّ من رَجا العِزّ في الانقطاع إلينا لعزّنا بك ، وقرأ الكتَاب:

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سُليمان بن عبد الملك ، أما بعدُ يا أميرَ المؤمنين ، فوالله إن كنتُ لأظنّ لو استجار بي عدوّ قد نابَذَك وجاهَدَك فأنزلتُه وأجَرْتُه أنك لا تُذل جارِي ، ولا تُخفر جِواري ، بلْه لم أجِرْ إلا سامعاً مطيعاً حَسَن البلاء والأثَر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته ، وقد بعثتُ به إليك ، فإنْ كنت إنما تَغْزو قطيعَتي والإخفار لذمّتي ، والإبلاغ في مَسَاءتي ، فقد قدرتَ إن أنت فعلت ، وإني أعيذُك بالله من احتراد قَطيعَتي ، وانتهاكِ حُرْمتي وتركِ برّي وصِلَتي ، فوالله يا أميرَ المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك ، ولا متى يُفرّق الموت بيني وبينَك! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سرورَه ألا يأتي علينا أجلُ الوفاة إلا وهو لي واصل ، ولحقّي مؤدّ ، وعن مساءتي نازع ، فَلَيَفعل.

والله يا أميرَ المؤمنين ما أصبحتُ بشيء من أمر الدنيا بعد تَقْوى الله فيها بأسَرَّ منّي برِضاك وسرورِك ، وإنّ رضاك مما ألتمِس به رضوانَ الله ، فإنْ كنتَ يا أميرَ المؤمنين تريد يوماً من الدّهر مسرّتي وصلَتي وكَرامتي وإعظام حقّي فتجاوَزْ لي عن يزيدَ ، وكلّ ما طلَبْته به فهو عليّ.

فلما قرأ كتابَه ، قال: لقد شَققنا على سليمان! ثمّ دعا ابنَ أخيه ، فأدناه منه ، وتكلّم يزيدُ فحَمِد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال:

يا أمير المؤمنين: إنّ بلاءكم عندنا أحسنُ البَلاء ، فمن يَنْس ذلك فلَسنا ناسيه ، ومن يَكْفر فلَسنا كافرِيه ، وقد كان من بلائنا أهلَ البيت في طاعتكم

والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العِظام في المشارق والمَغارب ما إنّ المنة علينا فيها عظيمة.

فقال له: اجْلس، فجلس فآمَنه وكفّ عنه، ورجع إلى سليمانَ وسَعى إخوتُه في المال الذي عليه، وكَتَب إلى الحجّاج:

إني لم أَصِل إلى يزيدَ، وأهلُ بيته مع سليمان، فاكفُف عنهم، والْهُ عن الكتاب إليّ فيهم.

فلما رأى ذلك الحجاج كفّ عنهم، وكان أبو عُيَينة بن المهلّب عند الحجّاج عليه ألف ألف درْهم، فترَكها له، وكفّ عن حبيب بن المهلب.

ورَجَعَ يزيدُ إلى سليمانَ بن عبد الملك فأقام عندَه يُعلِّمه الهَيْئة، ويَصنَع له طيّبَ الأطعمة، ويُهدِي له الهَدايا العِظام، وكان من أحسن الناس عنده منزلةً، وكان لا تأتي يزيدَ بنَ المهلب هديّة إلا بعث بها إلى سليمان، ولا تأتي سليمانَ هدّيةٌ ولا فائدةٌ إلا بعث بنصفها إلى يزيدَ بن المهلّب، وكان لا تُعجِبه جاريةٌ إلا بعث بها إلى يزيدَ إلا خطيئة الجارية، فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعريّ، فقال: انطلِق إلى سليمان فقل له: يا خالفةَ أهلِ بيته، إن أمير المؤمنين قد بلغه أنه لا تأتيك هديّة ولا فائدةٌ إلا بعثتَ إلى يزيدَ بِنصْفها، وإنك تأتي الجاريةُ من جوارِيك فلا يَنقضي طُهرُها حتى تَبعَث بها إلى يزيدَ، وقبّحْ ذلك عليه، وعَيِّرْه به، أتراك مبلّغاً ما أمرتُك به؟ قال: طاعتُك طاعة، وإنما أنا رسول؛ قال: فائْته فقل له ذلك، وأقِمْ عندَه، فإني باعث إليه بهدية فادفعها إليه، وخُذْ منه البراءة بما تَدفَع إليه.

ثمّ أقبلَ فمَضَى حتى قَدِم عليه وبين يديه المُصحَف، وهو يقرأ، فدخل عليه فسلّم، فلم يردّ عليه السلام حتى فرغ من قراءته، ثمّ رفع رأسَه إليه فكلّمه بكّل شيء أمَرَه به الوليدُ، فتمعَّر وجهُه، ثم قال: أما والله لئن قدرتُ عليكَ يوماً من الدهر لأقطعنّ منك طابقاً! فقال له: إنما كانت عليّ الطاعة.

ثمّ خرج من عندِه، فلما أتى بذلك الذي بعث به الوليدُ إلى سليمانَ، دخل عليه الحارثُ بن ربيعة الأشعريّ وقال له: أعطِني البراءَة بهذا الذي دفعتُ إليك، فقال: كيف قلتَ لي؟ قال: لا أعيدُه عالماً أبداً، إنما كان عليّ فيه الطاعة،

فسكَن ، وعلِم أن قد صَدقَه الرّجل ، ثمّ خرج وخرجوا معه ، فقال: خُذُوا نصفَ هذه الأعْدال وهذه الأسْفاط ، وابعثوا بها إلى يزيدَ.

قال: فعَلِم الرجُل أنه لا يطيع في يزيدَ أحداً ، ومكَث يزيدُ بن المهلب عند سليمانَ تسعة أشهر.

وتُوفّي الحجاج سنة خمس وتسعين في رمضانَ لِتسع بقِين منه في يوم الجمعة. (٦/ ٤٥٠ ـ ٤٥٣).

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

تتمة خبر قتيبة مع نيزك

وأما الباهِليّون فيقولون: لم يُؤمنه ولم يُؤمنه سُلَيم ، فلما أراد قتلَه دعا به ودعا بسَيْف حَنَفيّ فانتضاه وطوّل كمّيه ثمّ ضرب عنقَه بيَده ، وأمَرَ عبد الرحمن فَضَرَب عنقَ مصول ، وأمر صالحاً فقَتَل عثمان ـ ويقال: شُقْران ابن أخي نِيزَك ـ وقال لبَكر بن حبيب السهْميّ من باهِلَة: هل بك قوّة؟ قال: نعم ، وأريد ـ وكانت في بكر أعرابيّة ـ فقال: دُونَك هؤلاء الدّهاقِين ، قال: وكان إذا أُتِيَ برجل ضَرَب عنقَه وقال: أوردوا ولا تُصدروا ، فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفاً في قول الباهليّين ، وصلب نِيزَك وابني أخيه في أصل عين تُدعَى وخْش خاشان في أسكيمشت ، فقال المغيرة بن حَبْناء يَذكُر ذلك في كلمة له طويلة:

لعَمْري لَنِعْمَتْ غَزْوةُ الجُند غَزْوةً ... قَضَتْ نَحْبَهَا من نِيزكٍ وتَعلَّتِ

(٦/ ٤٥٨)

قال: وأطلَق قتيبة جبغويه ومَنَّ عليه ، وبعث به إلى الوليد ، فلم يزل بالشام حتى مات الوليد ، ورجع قتيبة إلى مرْوَ ، واستعمل أخاه عبدَ الرحمن على بَلْخ ، فكان الناس يقولون: غدَر قتيبة بنيزَك ، فقال ثابتُ قُطنَة:

لا تَحْسبَنّ الغَدْرَ حزماً فرُبَّما ... تَرَقَّتْ به الأَقْدَامُ يوماً فَزَلَّت

وقال: وكان الحجّاج يقول: بعثتُ قتيبةَ فتىً غِرّاً فما زدتُهُ ذِراعاً إلا زادني باعاً. (٦/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠).

قال عليّ: أخبرَنا حمزةُ بنُ إبراهيم، عن أشياخ من أهلِ خُراسان، وعليّ بن مجاهد، عن حَنْبل بن أبي حريدة، عن مَرْزُبان قُهِسْتان وغيرِهما، أن قتيبة بنَ مسلم لما رجع إلى مَرْوَ وقَتَل نِيزَك طَلَب مِلِكَ الجُوزجان ـ وكان قد هَرَب عن بلاده ـ فأرسَل يطلب الأمانَ، فآمنه على أن يأتيَه فيصَالحه، فطلب رُهُناً يكونون في يديه ويُعطِي رهائن، فأعطَى قتيبةُ حبيبَ بن عبد الله بن عمرو بن حُصَين الباهليّ، وأعطى مَلِكُ الجوزجان رَهائنَ من أهل بيته، فخلَّف مَلِك الجوزجان حبيباً بالجُوزجان في بعض حُصونِه، وقَدِم على قتيبة فصالَحه، ثمّ رجع فمات بالطالقان.

فقال أهلُ الجُوزجان: سمّوه، فقَتلوا حبيباً، وقتل قتيبة الرّهن الذين كانوا عندَه، فقال نَهار بنُ تَوسِعة لقتيبة:

أَراكَ اللهُ فـي الأَتـراك حُكمـاً ... كحُكْـمٍ فـي قُـرَيْظَـةَ والنَّضِيـرِ
قضَـاءٌ مـن قُتيبـةَ غَيْـرُ جـوْر ... بـهِ يُشفَـى الغليـلُ مـن الصُـدُورِ
فـإن يـرَ نِيـزكٌ خـزيـاً وذُلاًّ ... فكـمْ فـي الحَـرب حُمِّـق مـن أَميـر!

وقال المغيرة بن حَبْناء يَمدح قتيبة ويذكر قتلَ نِيزَك ووصول ابن أخي نِيزَك وعثمان ـ أو شُقْران:

لِمَـن الـدِّيـارُ عَفـتْ بسَفـح سَنَـام ... إلا بقيـةَ أيصَـر وثُمـامِ
عَصَفَ الـريـاحُ ذُيـولَهَـا فَمحَـونَهـا ... وجَـرَيـنَ فـوق عِـرَاضِهَـا بتَمـام
دارٌ لجَـاريَـةٍ كـأَنَّ رُضـابَهـا ... مسـكٌ يُشَـابُ مـزاجُـهُ بِمُـدَام
أَبلـغ أَبـا حَفـصٍ قُتَيبَـةَ مِـدحتِـي ... واقـرأ عليـه تحيَّتِـي وسـلامِـي
يـا سيـفُ أَبلغهـا فـإنَّ ثَنـاءَهـا ... حسَـنٌ وإنَّـك شـاهـدٌ لمقـامـي
يسْمـو فتَتَّضِـعُ الـرِّجـالُ إذا سمـا ... لقُتَيْبَـةَ الحَـامِـي حِمَـى الإسـلام
لأغَـرَّ مُنتجـبٍ لكـلِّ عظيمَـةٍ ... نحْـرٍ يبـاح بـه العـدُوُّ لُهـام
يمضـي إذا هـاب الجبـانُ وأحمشَـتْ ... حـربٌ تَسَعَّـرُ نـارُهـا بضِـرَام
تُـروَى القَنَـاةُ مـع اللـواءِ أَمـامـه ... تحـتَ اللـوامـع والنحُـورُ دوَام
والهـامُ تفـريـهِ السُّيُـوفُ كـأَنَّـهُ ... بـالقـاع حيـنَ تَـرَاهُ قَيْـضُ نَعَـام
وتـرى الجيـادَ مَـعَ الجيَـادِ ضَـوامِـراً ... بفنَـائـه لِحَـوادث الأَيـام
وبهـنّ أنـزَلَ نِيـزَكـا مـن شـاهـق ... والكـرز حَيْـثُ يَـرُوم كُـلّ مـرامِ

وأَخـاهُ شقـرَانـاً سَقَيْـتَ بكـأسـهِ   وسقَيْـتَ كـأْسَهُمَـا أَخـا بـاذَام
وتَـرَكْـتَ صولا حِيـنَ صال مُجَـدَّلا   يـرْكَبْنَـهُ بـدوَابـر وحَـوام
(٦/ ٤٦٠ ـ ٤٦١).

* * *

خبر غزو قتيبة شومان وكسّ ونسف

وفي هذه السنة ـ أعني سنة إحدى وتسعين ـ غزا قتيبة شُومان وكسّ ونسَف غزْوَتَه الثانية وصالَحَ طَوخان.

* ذكر الخبر عن ذلك:

قال عليّ: أخبَرنا بِشْر بن عيسى عن أبي صَفْوان، وأبو السرّي وجَبَلة بن فرّوخ عن سليمان بن مجالد، والحسن بن رشيد عن طُفيل بن مِرْداس العميّ، وأبو السريّ المَرْوَزي عن عمه، وبشْر بن عيسى وعليّ بن مجاهد عن حَنْبل بن أبي حريدة عن مَرْزُبان قِهِسْتان، وعيَّاش بن عبد الله الغَنَويّ عن أشياخ من أهلِ خُراسان، قال: وحدّثني ظئْرى ـ كلٌّ قد ذَكرَ شيئاً، فألفته، وأدخلتُ من حديث بعضِهم في حديث بعض ـ أنّ فيلسنشب باذق ـ وقال بعضهم: قيسبشتان مَلك شومان ـ طرد عاملَ قتيبةَ ومَنَع الفِدْية التي صالح عليها قتيبة، فبعث إليه قُتيبةُ عَيّاشاً الغنَويّ ومعه رجلٌ من نُسّاك أهل خُراسان يدعوان مَلِك شومان إلى أن يؤديَ الفِدية على ما صالح عليه قُتيبَة، فقدِما البلدَ، فخرجوا إليهما فرموهما، فانصرف الرجلُ وأقَام عيّاش الغَنَويّ فقال: أما هاهنا مسلمٌ! فخرج إليه رجلٌ من المدينة فقال: أنا مسلم، فما تريد؟ قال: تُعينُني على جهادِهم، قال: نعم، فقال له عيَّاش: كن خَلْفي لتمنَع لي ظهْري، فقام خَلفه ـ وكان اسمُ الرجل المهلب ـ فقاتَلَهم عيّاش، فحمَل عليهم، فتفرّقوا عنه، وحَمَل المهلَّبُ على عياش من خلفه فقَتَله، فوجدوا به ستّين جراحةً، فغمّهم قتله، وقالوا: قتلْنا رجلاً شجاعاً.

وبلغ قتيبة، فسار إليهم بنفسِه، وأخذ طريقَ بَلْخ، فلما أتاها قدّم أخاه عبد الرحمن، واستعمل على بَلْخ عمرو بن مسلم، وكان مَلِك شومان صديقاً لصالح بن مسلم، فأرسَل إليه صالح رجلاً يأمره بالطاعة، ويضمنُ له رِضَا قتيبة إن رجع إلى الصّلح، فأبى وقال لرسول صالح: ما تخوّفني به من قتيبة، وأنا

أمنعُ المُلوك حصْناً أرْمي أعلاه ، وأنا أشدُّ الناس قوساً وأشدّ الناس رَمياً ، فلا تَبلغُ نُشابتي نصف حِصْني ، فما أخاف من قتيبة! فمضى قتيبة من بلْخَ فعبَر النهر ، ثم أتى شومان وقد تحصّن مَلِكُها فوضع عليه المجَانِيقَ ، ورَمى حصنه فهشَمه ، فلما خاف أن يظهَرَ عليه ، ورأى ما نَزَل به جَمَع ما كان له من مال وجَوْهر فرَمَى به في عَيْن في وَسَط القلعة لا يُدرَك قعرُها.

قال: ثم فَتَح القلعة وخرج إليهم فقاتَلهم فقُتل ، وأخذ قتيبةُ القلعة عنوة ، فقتَل المُقاتلة وسَبى الذرّية ، ثم رجع إلى باب الحديد فأجاز منه إلى كسّ ونَسَف ، وكَتَب إليه الحجاج ، أن كس بكسّ واسِفْ نسَف ، وإيّاك والتحويط ، ففَتَح كسّ ونَسَف ، وامتنَع عليه فِرْياب ، فحرّقها فسمِّيت المحترِقة ، وسرّح قتيبة من كِس ونَسَف أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السُّغد ، إلى طرخون ، فسارحتي نزل بمرْج قريباً منهم ، وذلك في وقت العَصْر ، فانتبَذ الناسُ وشَربوا حتى عبثوا وعاثُوا وأفسدوا ، فأمر عبدُ الرحمن أبا مرضيّة ـ مولىً لهم ـ أن يمنَع الناس من شُرْب العصير ، فكان يضربهم ويكسر آنيتهم ويصبّ نبيذَهم فسال في الوادي ، فسُمِّي مَرْج النبيذ ، فقال بعضُ شعرائهم:

أَمَّـــا النَّبيـــذ فلســتُ أشـــرَبُــه أخشَـــى أَبـــا مـــرضيَـــة الكَلْـــبِ
مُتَعَسفـــــاً يسْعَـــــى بشِكَّتِــــه يَتَـــوَثَّـــب الحِيطـــانَ للشُّـــرْبِ

فقَبَض عبدُ الرحمن من طرخون شيئاً كان قد صالَحه عليه قُتيبة ، ودفع إليه رُهُناً كانوا معه ، وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو ببُخارَى ، فرجعوا إلى مَرْو ، فقالت السُّغد لطَرخون: إنك قد رضيتَ بالذلّ واستطبْت الجزْية وأنت شيخٌ كبير فلا حاجةَ لنا بك ، قال: فولُّوا من أحبَبْتم ، قال: فوَلَّوْا غَوْزَك ، وحَبَسوا طرخون؛ فقال طرخون: ليس بعد سَلْب المُلْك إلا القتل ، فيكون ذلك بيَدي أحبّ إليّ من أن يليه مني غيري ، فاتّكأ على سيفه حتى خرج من ظَهْره ، قال: وإنما صنعوا بطرخون هذا ، حين خرج قتيبةُ إلى سِجِستان ، وولوا غوزك؟ (٦/ ٤٦١ ـ ٤٦٣).

وأما الباهليّون فيقولون: حَصَر قتيبةُ ملك شومان ، ووَضع على قَلْعته المَجانيق ، ووَضَع منجنيقاً كان يسميها الفَحْجاء ، فرَمَى بأوّل حَجَر فأصاب الحائط ، ورَمَى بآخَر فوقَع في المدينة ، ثم تتابَعت الحجارةُ في المدينة فوقَع

حَجَر منها في مجلس المَلِك ، فأصاب رجلاً فقتَله ، ففتح القلعة عَنْوةً ، ثم رجع إلى كسّ ونسَف ، ثمّ مضى إلى بُخارَى فنزلَ قريةً فيها بيتُ نار وبيتُ آلهة ، وكان فيها طَواويس ، فسمَّوه مَنزل الطَّواويس ، ثمّ سار إلى طرخون بالسُّغْد ليقبِض منه ما كان صالَحه عليه ، فلما أشرَف على وادي السُّغد فرأى حُسنَه تمثّل :

وَادٍ خَصِيبٌ عَشيبٌ ظَلَّ يمنعُهُ ... منَ الأَنِيسِر حذارُ اليوم ذي الرَّهَج
وَرَدْتُهُ بعَنَانيجٍ مُسَوَّمَةٍ ... يَرْدِينَ بالشُّعْثِ سفاكينَ للمُهَج

قال : فقَبض من طرخون صُلحه ، ثمّ رجع إلى بخارى فمَلّك بُخارى خُذاه غلاماً حَدَثا ، وقتَل من خاف أن يُضادَّه ، ثمّ أخذ على آمُل ثمّ أتى مَرْوَ .

قال : وذكر الباهِليّون عن بشار بن عمرو ، عن رجل من باهِلَة ، قال : لم يَفرُغ الناسُ من ضَرْب أبنيَتهم حتى افتتحت القلعة . (٦/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤).

ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة

فذكر محمد بن عمر الواقدي أن إسماعيل بن إبراهيم بن عُقْبة حدّثه عن نافع مولَى بني مخزوم ، قال : سمعتُ خالدَ بنَ عبد الله يقول :

يا أيها الناس ، إنكم بأعظمِ بلادِ الله حُرمة ، وهي التي اختار الله من البُلْدان ، فَوضَع بها بيتَه ، ثم كتب على عباده حَجَّه من استطاع إليه سبيلاً .

أيها الناس ، فعليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، وإياكم والشبهات ، فإني واللهِ ما أوتَى بأحد يَطعَن على إمامِه إلا صلبتُه في الحرَم ، إنّ الله جعل الخلافَة منه بالموضع الذي جَعلَها ، فسَلموا وأطيعوا ، ولا تقولوا كيْتَ وكَيْت ، إنه لا رأيَ فيما كَتَب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه ، واعلموا أنه بلغني أن قوماً من أهل الخلاف يقدمون عليكم ، ويقيمون في بلادِكم ، فإياكم أن تُنزِلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائغ عن الجماعة ، فإني لا أجد أحداً منهم في منزل أحد منكم إلا هدَمتُ منزله ، فانظروا من تنزلون في منازِلكم ، وعليكم بالجماعة والطاعة ، فإنّ الفُرقة هي البلاءُ العظيم . (٦/ ٤٦٤).

قال محمد بن عمرو : حدّثنا إسماعيلُ بن إبراهيمَ ، عن موسى بن عُقْبة عن أبي حَبيبة ، قال : اعتمرتُ فنزلتُ دورَ بني أسَد في منازل الزّبير ، فلم أشعر إلا به

يدعوني، فدخلت عليه، فقال: من أنت؟ قلت: من أهل المدينة؛ قال: ما أنزلَك في مَنَازل المُخالِف للطاعة! قلت: إنما مُقامي إن أقمتُ يوماً أو بعضَه، ثم أرجع إلى منزلي وليس عندي خلاف، أنا ممن يُعظم أمرَ الخلافة، وأزعمُ أن من جَحَدها فقد هَلَك، قال: فلا عَليكَ ما أقمتَ، إنما يكره أن يُقيمَ من كان زارياً على الخليفة، قلت: معاذ الله!

وسمعتُه يوماً يقول: واللهِ لو أعلمُ أنّ هذه الوحْش التي تأمَن في الحَرَم لو نطقتْ لم تقِرَّ بالطاعة لأخرجتُها من الحَرم، إنه لا يَسْكن حرمَ الله وأمنَه مخالفٌ للجماعة، زارٍ عليهم، قلتُ: وفق الله الأمير. (٦/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥).

وكذلك قال محمد بن عمَر: حدّثني موسى بن أبي بكر، قال: حدّثنا صالح بنُ كَيْسان، قال: لما حضر قدوم الوليد أمرَ عمرُ بنُ عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يَخرجُون معه، فيتلقّوْن الوليدَ بنَ عبد الملك، منهم أبو بكر بنُ عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام، وأخوه محمد بن عبد الرحمن، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان، فخرجوا حتى بَلَغوا السوَيْداء، وهم مع عمر بن عبد العزيز ـ وفي الناس يومَئذ دوابُّ وخَيْلٌ ـ فلقوا الوليدَ وهو على ظَهْر، فقال لهم الحاجب: انزِلوا لأمير المؤمنين، فنزَلوا، ثمّ أمرهم فركِبوا، فدعا بعمَر بن عبد العزيز فسايرَه حتى نزل بذي خُشُب، ثم أحضِروا، فدعاهم رجلاً رجلاً، فسلموا عليه، ودعا بالغَداء، فتغدَّوا عندَه، وراح من ذي خُشُب، فلما دخل المدينةَ غَدا إلى المسجد يَنظرُ إلى بنائه، فأخرج الناس منه، فما تُرِكَ فيه أحدٌ وبقي سعيد بنُ المسيِّب ما يجترئ أحد من الحَرس أن يخرجه، وما عليه إلا رَيْطتان ما تساويان إلا خمسةَ دراهم في مُصَلاّه، فقيل له: لو قمتَ! قال: والله لا أقوم حتى يأتيَ الوقتُ الذي كنتُ أقوم فيه، قيل: فلو سلّمتَ على أمير المؤمنين! قال: واللهِ لا أقوم إليه، قال عمرُ بنُ عبد العزيز: فجعلتُ أعدِل بالوليد في ناحية المسجد رجاءَ ألاّ يرى سعيداً حتى يقومَ، فحانت من الوليد نَظْرة إلى القِبْلة، فقال: مَنْ ذلك الجالس؟ أهو الشيخ سعيدُ بنُ المسيِّب؟ فجعل عمرُ يقول: نَعَم يا أميرَ المؤمنين ومِنْ حاله ومِنْ حالِه. . . ولو علم بمكانِك لقامَ فسلّم عليك، وهو ضعيفُ البَصَر.

قال الوليد: قد علمتُ حالَه، ونحن نأتيه فنسلم عليه، فدارَ في المسجد

حتى وقَف على القبر ، ثمّ أقبل حتى وقف على سَعِيد فقال: كيف أنتَ أيها الشيخ؟ فوالله ما تحرَّك سعيد ولا قام ، فقال: بخير والحمد لله ، فكيف أميرُ المؤمنين وكيفَ حالُه؟ قال الوليد: خير والحمدُ لله ، فانصرَف وهو يقول لعمرَ: هذا بقيّة الناس ، فقلت: أجل يا أميرَ المؤمنين.

قال: وقسّم الوليد بالمدينة رَقيقاً كثيراً عُجْماً بين الناس ، وآنيةً من ذهب وفضّة ، وأموالاً وخَطَب بالمدينة في الجُمُعة وصلى بهم. (٦/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦).

قال محمد بن عمر: وحدّثني إسحاقُ بن يحيى ، قال: رأيتُ الوليد يَخطب على منبر رسول الله ﷺ يومَ الجمعة عامَ حَجّ ، قد صَفّ له جُندُه صفّين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد ، في أيديهم الجِرزَة وعُمُد الحديد على العواتق ، فرأيتُه طَلَع في دُرّاعة وقَلَنْسُوَة ، ما عليه رداء ، فصَعِد المنبرَ ، فلما صَعِد سلم ثمّ جلس فأذن المؤذّنون ، ثم سكتوا ، فخَطَب الخطبةَ الأولى وهو جالس، ثم قام فَخَطَب الثانية قائماً ، قال إسحاق: فلقيتُ رجاءَ بنَ حَيْوَة وهو معه ، فقلتُ: هكذا يَصنَعون! قال: نَعَم ، وهكذا صَنَع معاوية فهلمَّ جَرا ، قلتُ: أفَلا تكلّمه؟ قال: أخبَرَني قَبيصةُ بن ذُؤَيب أنه كَلم عبدَ الملك بنَ مروان فأبَى أن يَفعل؛ وقال: هكذا خَطَب عثمان ، فقلتُ: والله ما خَطَب هكذا ، ما خَطَب عثمان إلا قائماً ، قال رجاء: رُوِيَ لهم هَذَا فأخذوا به.

قال إسحاق: لم نَر منهم أحداً أشدّ تجبّراً منه. (٦/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧).

قال محمد بن عمر: وقَدِم بِطيب مسجد رسول الله ﷺ ومجمَرِه وبكَسْوَة الكَعْبة فُنشِرت وعُلقتْ على حبال في المسجد من دِيباج حَسَن ولم يُرَ مثلُه قطّ ، فنَشَرها يوماً وطُوي ورفع. (٦/ ٤٦٧).

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فتح الأندلس

زعم الواقدي أن ملك الأندلس يقال له: أدرينوق ، وكان رجلاً من أهل أصبهان ، قال: وهم مُلُوك عَجَم الأندلس ـ فزَحَف له طارق بجَميع مَنْ معه ،

فزحف الأدرينوق في سَرِير الملك ، وعلى الأدرينوق تاجُه وقُفَّازُه وجميعُ الحِلْية التي كان يَلبَسها الملوك ، فاقتتلوا قِتالاً شديداً حتى قَتَل الله الأدرينوق ، وفَتَح الأندلس سنة اثنتين وتسعين. (٦/ ٤٦٨).

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين
ذكر الأحداث التي كانت فيها

صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه:

ذَكَر عليُّ بنُ محمد أنَّ أبا الذَّيال أخبَرَه عن المهلّب بن إياس والحسَن بن رشيد ، عن طُفيل بن مِرْداس العَميّ وعليّ بن مجاهد ، عن حَنْبل بن أبي حريدة ، عن مَرْزُبان قُهِسْتان وكليب بن خَلَف والباهليّين وغيرهم ـ وقد ذَكر بعضُهم ما لم يَذكُر بعضَ فألفته ـ أنّ مَلِك خُوارزْم كان ضعيفاً ، فغلَبَه أخُوه خُرَّزاذ على أمرِه ـ وخرّزاذ أصغَر منه ـ فكان إذا بَلغه أنّ عند أحد ممن هو منقطِع إلى المَلك جاريةً أو دابةً أو متاعاً فاخراً أرسَل فأخَذَه ، أو بَلغه أنّ لأحد منهم بنتاً أو أخْتاً أو امرأةً جميلة أرسل إليه فغَصَبه ، وأخذَ ما شاء ، وحبس ما شاء ، لا يَمتنع عليه أحد ، ولا يمنَعه الملكُ ، فإذا قيل له ، قال: لا أقوَى عليه ، وقد ملأه مع هذا غَيْظاً ، فلما طال ذلك منه عليه كَتَب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه يريد أن يسلِّمها إليه ، وبعث إليه بمفاتيح مدائنِ خُوارزم: ثلاثة مفاتيح من ذهب ، واشتَرط عليه أن يَدفَع إليه أخاه وكلَّ من كان يُضادّه ، يَحكُم فيه بما يرَى ، وبعث في ذلك رُسُلاً ، ولم يُطْلع أحداً من مَرازِبتِه ، ولا دَهاقِينهِ على ما كتَب به إلى قتَيبة ، فقَدِمتْ رسلُه على قتيبةَ في آخر الشتاء ووقت الغَزْو ، وقد تهيّأ للغزو ، فأظهَر قتيبة أنه يريد السُّغْد ، ورجع رُسُل خوارزم شاه إليه بما يُحبّ من قِبَل قتيبة ، وسار واستخلف على مَرْوَ ثابتاً الأعور مولَى مُسلم.

قال: فَجمَع ملوكَه وأحبارَه ودَهاقِينه فقال: إنّ قتيبة يريدُ السُّغْد ، وليس بغازيكم ، فهلمَّ نتنعَّم في ربيعِنا هذا ، فأقبلوا على الشرب ، والتنعم ، وأمنوا عند أنفسِهم الغَزْو.

قال: فلم يشعروا حتى نزل قتيبةُ في هَزَارَسْب دُون النهر ، فقال خُوارَزْم شاه

لأصحابه: ما تَرَوْن؟ قالوا: نَرَى أنْ نقاتِله ، قال: لكني لا أرى ذلك ، قد عجز عنه من هو أقوَى منا وأشدّ شوْكَةً؛ ولكني أرَى أن نَصرِفه بشيء نؤديه إليه ، فنصرِفه عامنا هذا ، ونرى رأيَنا ، قالوا: ورأينا رأيك ، فأقبل خُوارزم شاه فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر.

قال: ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد ، فمدينة الفيل أحصنهن ، فنزلها خوارزم شاه ـ وقتيبة في هزارسب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ ـ فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ومَتاع ، وعلى أن يُعينَه على ملك خام جرد ، وأن يفيَ له بما كتَب إليه ، فقبل ذلك منه قتيبة ، ووَفى له ، وبعث قتيبة أخاه إلى مَلِك خامِ جرد ، وكان يعادى خوارزم شاه ، فقاتله ، فقتله عبد الرحمن ، وغلب على أرضه وقَدِم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير ، فقتَلَهم ، وأمر قتيبةُ لمّا جاءه بهم عبد الرحمن بسريره فأخرِج وبَرزَ للناس ، قال: وأمر بقتل الأسرى فقتِل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخَلْف ظهره ألف ، قال: قال المهلَّب بن إياس: أخِذتْ يومئذ سيوف الأشراف فضُرِبَ بها الأعناق ، فكان فيها ما لا يقطَع ولا يَجرَح ، فأخذوا سَيْفي فلم يُضْرَب به شِيء إلا أبانه ، فحَسَدني بعضُ آل قتيبة ، فغمز الذي يضرب أن أصفح به ، فصفح به قليلاً ، فوقَع في ضِرسْ المقتول فثَلَمه.

قال أبو الذّيال: والسيف عندي ، قال: ودفع قتيبةُ إلى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه فقتَلهم ، واصطَفَى أموالَهم فبعث بها إلى قتيبة ، ودخل قتيبة مدينةَ فيل ، فقَبِل من خوارزم شاه ما صالَحه عليه ، ثم رَجَع إلى هزارسبَ ، وقال كَعْب الأشْقريّ:

رَمَتْكَ فِيلٌ بما فيها وما ظَلَمَتْ	ورامَها قبلك الفَجْفَاجَةُ الصَّلِفُ
لا يُجْزِىءُ الثَّغرَ خَوَّارُ القَناة ولاَ	هَشُّ المكاسِر والقَلبُ الذي يَجفُ
هل تَذْكُرونَ ليالي التُّرك تقتُلُهمْ	ما دون كازَةَ والفَجْفاجُ مُلتَحِف
لم يركَبُوا الخيلَ إلا بعدما كبروا	فَهمْ ثِقَال على أكتافِها عُنُفُ
أنتم شباس ومرداذان محتقرٌ	وبسْخراء قبُورٌ حشْوُهَا القُلَف
إني رأيتُ أبا حفص تُفَضِّلُهُ	أيَامُهُ ومَسَاعِي الناسِ تخْتَلِفُ
قيْس صَريح وبعضُ الناسِ يجْمَعُهُمْ	قُرىً وريف فمنسوبٌ ومُقْتَرَف

لو كنتَ طاوَعت أهلَ العجز ما اقتسمُوا سبعِين ألفاً وعزُّ السُّغْدِ مُؤْتَنِفُ
وفي سمرقندَ أُخرى أنت قاسِمُها لئن تأَخَّر عن حوبائك التَّلَفُ
ما قَدَّمَ الناسُ من خيرٍ سبقتَ به ولا يَفُوتُك مما خلَّفُوا شَرَفُ

قال: أنشدني عليّ بن مجاهد:

«رَمَتْك فيلٌ بما دون كاز. . . .»

قال: وكذلك قال الحسنُ بن رشيد الجُوزجانيّ؛ وأمَّا غيرُهما فقال:

«رمتك فيلٌ بما فيها. . . . .»

وقالوا: فيلُ مدينة سمَرْقَنْد؛ قال: وأثبتُها عندي قولُ عليّ بن مجاهد[1]. (٦/ ٤٦٩ ـ ٤٧١).

قال: وقال الباهليون: أصاب قتيبة من خوارزم مئة ألفِ راس. قال: وكان خاصةُ قتيبةَ كلموه سنة ثلاث وتسعين وقالوا: الناس كانّون قَدِموا من سِجِسْتَان فأجمّهم عامَهم هذا، فأبى، قال: فلمّا صالح أهل خُوارزم سارَ إلى السّغْد، فقال الأشقريّ:

لو كنتُ طاوعتُ أهَلَ العَجْز ما أقتَسموا سبعين ألفاً وعزُّ السُّغْد مُؤتَنف
(٦/ ٤٧١ ـ ٤٧٢).

فتح سمرقند

* ذكر الخبر عن ذلك:

قد تقدّم ذكرى الإسناد عن القوم الذين ذكر عليّ بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالَح قتيبة صاحب خُوارزم، ثمّ ذكر مدرجاً في ذلك أنّ قتيبة لمّا قبض صُلح خوارزم قَام إليه المجشّر بن مُزاحم السُّلَميّ، فقال: إنّ لي حاجةً، فأخْلِني، فأخْلاه، فقال: إن أردتَ السُّغد يوماً من الدهر فالآن، فإنهم آمنون من أن تأتيَهم من عامِك هذا، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام.

قال: أشار بهذا عليك أحد؟ قال: لا، قال: فأعلمتَهُ أحداً؟ قال: لا، قال:

---

(١) فيها نكارة.

والله لئن تكلم به أحد لأضربنّ عنقَك ، فأقام يومَه ذلك ، فلما أصبح من الغد دعا عبدَ الرحمن فقال: سِرْ في الفرْسان والمُرامية ، وقدّم الأثقالَ إلى مَرْو ، فوُجّهَت الأثقال إلى مَرو ، ومضى عبدُ الرحمن يَتْبع الأثقال يريدُ مَرو يومه كلّه ، فلما أمسَى كتب إليه: إذا أصبحتَ فوجِّه الأثقالَ إلى مَرْوَ وسِرْ في الفرسان والمُرامية نحو السُّغْد ، واكتُم الأخبار فإني بالأثَر.

قال: فلما أتى عبدَ الرحمن الخبرُ أمرَ أصحابَ الأثقال أن يمضوا إلى مَرْوَ ، وسار حيث أمرَه ، وخَطَب قتيبةُ الناسَ فقال:

إن الله قد فَتَح لكم هذه البلدة في وقت الغَزْوُ فيه ممكن ، وهذه السُّغد شاغِرَةٌ برِجْلها ، قد نَقَضوا العَهْد الذي كان بيننا ، منعونا ما كنّا صالَحْنا عليه طرخونَ ، وصَنعوا به ما بَلَغكم ، وقال الله: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ ، فسيرُوا على برَكة الله ، فإنّي أرجو أن يكون خَوارزم والسُّغْد كالنَّضير وقُرَيظة ، وقال الله: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾.

قال: فأتى السُّغْد وقد سَبَقه إليها عبدُ الرحمن بن مسلم في عشرين ألفاً ، وقَدم عليه قتيبةُ في أهل خُوارزم وبُخارَى بعد ثلاثة أو أربعة مِن نزولِ عبد الرحمن بهم ، فقال: إنا إذا نَزَلنا بِساحة قوم ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾. فحصرَهم شهْراً ، فقاتَلُوا في حِصارِهم مِراراً من وجهٍ واحد.

وكتب أهلُ السُّغْد وخافوا طولَ الحصار إلى ملك الشاش ، وإخشاذ فَرْغانة: إن العرب إنْ ظفروا بنا عادوا عليكم بمِثل ما أتَوْنا ، فانظُروا لأنفسكم ، فأجمَعوا على أن يأتوهم وأرسَلوا إليهم: أرسِلوا من يشغلهم حتى نبيّت عسكرَهم.

قال: وانتخبوا فُرساناً من أبناء المَرازِبة والأساوِرة والأشدّاء الأبطال فوجّهوهم وأمَروهم أن يبيِّتوا عسكرَهم ، وجاءت عيونُ المسلمين فأخبَروهم.

فانتخَب قتيبة ثلاثمئة أو ستمئة من أهل النَّجْدة ، واستعمل عليهم صالح بن مسلم ، فصيّرهُم في الطريق الذي يخاف أن يُؤتَى منه ، وبعث صالحٌ عيوناً يأتونه بخَبر القوم ، ونزل على فرسَخَين من عسكر القوم ، فرجعتْ إليه عيونُه فأخبروه أنهم يَصِلون إليه من ليلتِهم ، ففرّق صالحٌ خيلَه ثلاثَ فِرَق؛ فجعل كَميناً في موضعَيْن ، وأقام على قارعةِ الطريق ، وطرَقَهم المشركون ليلاً ، ولا يَعلمون

بمكان صالح ، وهم آمنون في أنفسِهم من أن يَلقَّاهم أحدٌ دون العسكر ، فلم يعلَموا بصالح حتى غَشوه ، قال: فشدّوا عليه حتى إذا اختلَفتِ الرماح بينهم خرج الكَمِينان فاقتَتلوا ، قال: وقال رجلٌ من البَراجم: حصرتُهم فما رأيتُ قطّ قوماً كانوا أشدَّ قتالاً من أبناء أولئك الملوك ولا أصبَر ، فقَتَلْناهم فلم يُفلِتْ منهم إلاّ نفرٌ يسير ، وحوَيْنا سلاحَهم ، واحتَززْنا رؤوسَهم ، وأسَرْنا منهم أسرَى ، فسألناهم عمّن قَتلْنا ، فقالوا: ما قتلتم إلا ابن مَلِك ، أو عظيماً من العُظماء ، أو بَطلاً من الأبطال؛ ولقد قتلتم رجالاً إنْ كان الرجل ليُعدَل بمئة رجل ، فكتَبنا على آذانهم ، ثمّ دخَلْنا العسكَر حين أصبَحْنا وما منا رجل إلا معلِّق رأساً معروفاً باسمه ، وسَلبنا من جيّد السلاح وكريمِ المتاع ، ومناطِق الذهب ودوابَّ فُرَّهةٍ ، فنفَلنا قتيبةُ ذلك كله ، وكَسَر ذلك أهلَ السُّغد ، ووضع قتيبة عليهم المَجانيق ، فرماهم بها ، وهو في ذلك يُقاتِلهم لا يُقلع عنهم ، وناصَحَه مَن معه من أهل بُخارى وأهلِ خُوارزم ، فقاتلوا قِتالاً شديداً ، وبذلوا أنفسَهم.

فأرسَل إليه غوزك: إنما تقاتلني بإخوَتي وأهلِ بيتي من العَجم ، فأخرِجْ إليَّ العَربَ ، فغضبَ قتيبة ودعا الجدليّ فقال: اعرِض الناس ، ومَيِّز ، أهل البأس ، فجمعَهَم ، ثمّ جلس قتيبة يَعرِضهم بنفسِه ، ودعا العُرَفاءَ فجعل يدعو برجل رجل ، فيقول: ما عندَك؟ فيقول العريف: شجاع ، ويقول: ما هذا؟ فيقول: مختصر ، ويقول: ما هذا؟ فيقول: جَبان ، فسمى قتيبة الجُبَناء الأنْتان ، وأخذ خيلَهم وجيّدَ سلاحِهم فأعطاه الشَّجعَان والمختصرين ، وترك لهم رَثَّ السلاح ، ثم زحف بهم فقاتَلَ بهم فُرساناً ورجالاً ، ورَمَى المدينة بالمجانيق ، فثَلم فيها ثُلْمةً فسدّوها بغرائر الدُّخن ، وجاء رجل حتى قام على الثّلْمة فَشتَم قتيبةَ ، وكان مع قتيبة قومٌ رُماة ، فقال لهم قتيبة: اختاروا منكم رجلين ، فاختاروا ، فقال: أيّكما يَرمِي هذا الرجل ، فإنْ أصابَه فله عشرةُ آلاف ، وإن أخطأه قُطعتْ يده؟ فتلكَّأ أحدُهما وتقدّم الآخرُ ، فرماه فلم يُخطِئ عينَه ، فأمَر له بعَشرة آلاف. (٦/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤).

قال: وأخبرنا الباهليُّون ، عن يحيى بن خالد ، عن أبيه خالد بن باب مولَى مُسِلم بن عمرو ، قال: كنتُ في رُماة قتيبة ، فلما افتتَحنا المدينَة صعدتُ السور فأتيتُ مُقامَ ذلك الرّجل الذي كان فيه فوجدتُه ميّتاً على الحائط ، ما أخطأتِ

النُّشابة عينَه حتى خرجتْ من قَفاه ، ثمّ أصبحوا من غد فرمَوا المدينَة ، فثلَموا فيها ، وقال قتيبة : أَلِحّوا عليها حتى تعبُروا الثلْمة ، فقاتلوهم حتى صاروا على ثُلْمة المدينة ، ورماهم السّغد بالنشّاب ، فوضَعوا تَرَستهم ، فكان الرجل يضعُ ترسَه على عَيْنه ، ثمّ يحمِل حتى صاروا على الثلمة ، فقالوا له : انصرِفْ عنا اليومَ حتى نصالَحك غداً .

فأما باهلة فيقولون : قال قُتيبة : لا نصالحهم إلا ورجالُنا على الثلْمة ، ومجانيقُنا تَخطِر على رؤوسِهم ومدينتِهم .

قال : وأما غيرُهم فيقولون : قال قتيبة : جَزِعَ العبيدُ ، فانصرفوا على ظفرِكُم ، فانصرَفوا فصالَحهم من الغد على ألفي ألف ومئتي ألف في كلّ عام ، على أن يُعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ، ليس فيهم صبيّ ولا شَيْخ ولا عيب ، على أن يُخلُوا المدينةَ لقُتيبة فلا يكون لهم فيها مُقاتِل ، فيُبنَى له فيه مسجد فيدخل ويصلي ، ويُوضَع له فيها مِنبَر فيَخطب ، ويتغدَّى ويخرِج .

قال : فلما تمّ الصّلح بعث قتيبةُ عشرةً ، من كلّ خُمس برجلين ، فقَبَضوا ما صالحوهم عليه ، فقال قتيبة : الآن ذلّوا حين صار إخوانهم وأولادهم في أيديكم ، ثمّ أخلَوا المدينة وبنَوا مسجداً ووضَعوا مِنبراً ، ودَخَلها في أربعة آلاف انتخَبهم ، فلما دَخَلها أتَى المسجَد فصلَّى وخَطَب ثمّ تغدَّى ، وأرسل إلى أهل السُّغْد : من أراد منكم أن يأخذَ متاعَه فليأخُذْه؛ فإني لستُ خارجاً منها ، وإنما صنعتُ هذا لكم ، ولستُ آخذُ منكم أكثرَ مما صالحتُكم عليه ، غير أنّ الجُنْد يقيمون فيها .

قال : أما الباهليّون فيقولون : صالَحهم قتيبةُ على مئة ألف رأس ، وبيوت النيران وحلية الأصنام ، فقَبض ما صالحهم عليه ، وأتى بالأصنام فسُلِبتْ؛ ثم وُضعتْ بين يديه ، فكانت كالقَصْر العظيم حين جُمعِت ، فأمَر بتحريقها ، فقالت الأعاجم : إنّ فيها أصناماً مَنْ حرّقها هَلَك ، فقال قتيبة : أنا أحَرّقها بيدي ، فجاء غوزك ، فجَثَا بين يديه وقال :

أيها الأمير ، إنّ شكرك عليّ واجب ، لا تَعرِض لهذه الأصنام ، فَدَعا قتيبة بالنار وأخذَ شُعْلةً بيَده ، وخرج فكبر ، ثمّ أشعَلها ، وأشعَل الناس فاضطرمتْ ،

فوجَدُوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضّة خمسين ألف مثقال. (٦/ ٤٧٤ ـ ٤٧٦).

قال: وأخبرَنَا مَخلَد بن حمزة بن بَيض عن أبيه، قال: حدّثني من شَهد قتيبة وفَتْح سمرقند أو بعض كُور خُراسان فاستخرَجوا منها قدُوراً عظاماً من نُحاس، فقال قتيبة لحضين: يا أبا ساسانَ، أتُرَى رقاشٍ كان لها مِثل هذه القدُور؟ قال: لا، لكن كان لعَيْلان قِدْر مِثل هذه القدور، فضَحِك قتيبة وقال: أدركتَ بثأرِك. (٦/ ٤٧٦).

قال: وقال محمد بن أبي عُيَينة لسَلْم بنِ قتيبة بين يدَي سليمانَ بن عليّ: إن العَجَم ليعيِّرون قتيبةَ الغدرَ إنه غدر بخوارَزْم وسمَرقَنْد. (٦/ ٤٧٦).

قال: فأخبرَنا شيخٌ من بني سَدُوسَ عن حَمزةَ بن بيض قال: أصابَ قتيبةُ بخُراسانَ بالسُّغد جاريةً من ولد يَزدِجرد، فقال: أتَرَوْن ابنَ هذه يكون هَجيناً؟ فقالوا: نعم، يكون هَجِيناً من قِبَل أبيه، فبعث بها إلى الحجاج، فبعث بها الحجّاج إلى الوليد، فولدت له يزيدَ بن الوليد. (٦/ ٤٧٦).

قال: وأخبَرَنا بعضُ الباهليِّين عن نهشَل بن يزيدَ، عن عمه ـ وكان قد أدرك ذلك كلَّه ـ قال: لما رأى غوزكَ إلحاحَ قتيبةَ عليهم كَتَب إلى ملك الشاش وإخشاذ فَرْغانة وخاقَان: إنا نحن دونَكم فيما بينكم وبين العرب، فإن وصل إلينا كنتمْ أضعَفَ وأذَلّ، فمهما كان عندَكم من قوّة فابذلُوها؛ فنظروا في أمْرِهم فقالوا: إنما نُؤتَى من سَفِلتَنا، وإنهم لا يَجِدون كوَجْدنا، ونحن معشرَ المُلوك المعنيّون بهذا الأمر، فانتخبوا أبناءَ الملوك وأهل النجدة من فِتْيان ملوكهم، فليخرجوا حتى يأتوا عسكرَ قُتيبة فليبيّت، فإنه مشغول بحصار السُّغْد، ففعلوا، وولوا عليهم ابناً لخاقان، وسارُوا وقد أجمَعوا أن يبيّتوا العسكر، وبلغ قتيبةُ فانتخَبَ أهلَ النَّجْدة والبأس ووجوه الناس، فكان شعبة بن ظهير وزُهَير بن حيّان فيمن انتُخب، فكانوا أربعمئة، فقال لهم: إنّ عدوَّكم قد رأوا بلاءَ الله عندكم، وتأييدَه إياكم في مُزاحَفتِكم، ومُكاثَرَتِكم، كلّ ذلك يُفلجكم الله عليهم، فأجمعُوا على أن يحتَالوا غِرَّتَكم وبيَاتكم، واختاروا دَهاقينهم ومُلوكَهم، وأنتم دَهاقين العَرب وفُرسانُهم، وقد فضّلكم الله بدِينه، فأبلُوا الله بلاءً حسناً تستوجِبون به الثواب، مع الذَّبّ عن أحسابكم.

قال: ووضع قتيبةُ عيوناً على العدوّ حتى إذا قَرُبوا منه قَدْرَ ما يَصِلُون إلى عسكره من الليل أدخَل الذين انتخَبَهم فكلَّمهم وحَضَّهم واستَعمل عليهم صالح بن مسلم ، فخرجوا من العسكر عند المغرب ، فساروا فنزلوا على فَرسَخَينَ من العسكر على طريق القوم الذين وَصَفوا لهم ، ففرّق صالح خيلَه ، وأكمن كَميناً عن يمينه ، وكَميناً عن يساره ، حتى إذا مَضَى نصفُ الليل أو ثلثاه ، جاء العدوّ باجتماع وإسراع وصَمت ، وصالحٌ واقفٌ في خَيْله ، فلما رأوْه شدّوا عليه ، حتى إذا اختلفت الرماح شدَّ الكَمينان عن يمين وعن شِمال ، فلَم نَسمع إلا الاعتزاء ، فلم نَـرَ قوماً أشدَّ منهم. (٦/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧).

قال: وقال رجلٌ من البَراجم: حدّثني زُهير أو شُعبة قال: إنا لنختَلف عليهم بالطعن والضّرب إذ تبينت تحتَ الليل قُتَيبَةَ ، وقد ضربتُ ضربةً أعجبتْني وأنا أنظر إلى قتيبة ، فقلت: كيف ترى بأبي أنت وأمي! قال: اسكُت دَقّ اللهُ فاك! قال: فقتلناهم فلم يُفلِت منهم إلا الشريد ، وأقمنا نَحوي الأسلابَ ونحتزّ الرؤوسَ حتى أصبحْنا ، ثم أقبلْنا إلى العسكر ، فلم أر جماعةً قطّ جاؤوا بمثل ما جئنا به ، ما مِنّا رجلٌ إلاّ معلّق رأساً معروفاً باسمه ، وأسيراً في وَثاقه.

قال: وجئنا قُتيبةَ بالرؤوس ، فقال: جزاكم الله عن الدِّين والأعراض خيراً.

وأكرمني قتيبة من غير أن يكون باحَ لي بشيء ، وقرن بي في الصّلة والإكرام حيّانَ العدَويّ وحُلَيساً الشيبانيّ ، فظننتُ أنه رأى منهما مِثلَ الذّي رأى منّي ، وكسر ذلك أهل السّغْد ، فطلبوا الصلْح وعرَضوا الفِدْية فأبى ، وقال: أنا ثائر بدم طَرْخون ، كان مولاي وكان من أهل ذمتي. (٦/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨).

قالوا: حدث عمرو بن مسلم عن أبيه ، قال: أطال قتيبةُ المُقامَ ، وثُلمتِ الثلمة في سمرقند. قال: فنادى منادٍ فصيح بالعربية يَشتُم قتيبة؛ قال: فقال عمرو بن أبي زَهْدم: ونحنُ حولَ قتيبةَ ، فحين سمعنا الشتم خرجْنا مسرِعين ، فمَكثْنا طويلاً وهو مُلِحٌ بالشتم ، فجئتُ إلى رِواق قُتيبةَ فاطّلعت ، فإذا قتيبةُ محْتَبٍ بشَمْلة يقول كالمناجي لنفسِه: حتى متى يا سمرقَنْد يعشش فيك الشيطان! أما والله لئن أصبحتُ لأحاولنّ مِن أهلِك أقصى غاية ، فانصرفتُ إلى أصحابي ، فقلت: كم من نفس أبيّة ستموت غداً منّا ومنهم! وأخبرتُهم الخبَر. (٦/ ٤٧٨)

قال: وأما باهلة فيقولون: سار قتيبةُ فجعل النهرَ يمينَه حتى وردَ بخارَى، فاستنهَضَهم معه، وسار حتى إذا كان بمدينة أرْبِنْجَن، وهي التي تُجلَب منها اللبود الأربنْجَنِيَّة، لقيهم غوزك صاحبُ السُّغد في جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفَرْغانة، فكانت بينهم وقائعُ من غير مُزاحفة، كلّ ذلك يَظهر المسلمون ويتحاجَزون حتى قَربُوا من مدينة سَمَرْقند، فتزاحفوا يومئذ، فَحمل السُّغد على المسلمين حملةً حَطموهم حتى جازُوا عسكرهم، ثمّ كرّ المسلمون عليهم حتى رَدُّوهم إلى عسكرهم، وقَتَل الله من المشركين عدداً كثيراً، ودخلوا مدينةَ سمرقند فصالَحوهم. (٦/ ٤٧٨).

قال: وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبي صَغِيرة؛ قال: رأيت خيلاً يومئذ تُطاعِنُ خيلَ المسلمين، وقد أمر يومئذ قتيبةُ بسَريره فأبرز، وقَعد عليه، وطاعَنوهم حتى جازوا قتيبة، وإنه لمُحتَبٍ بسيفِه ما حَلّ حَبْوتَه، وانطوتْ مجنّبتَا المسلمين على الذين هَزَموا القَلْب، فهزَموهم حتى رَدّوهم إلى عسكرهم، وقُتِل من المشركين عِددٌ كثير، ودخلوا مدينةَ سمرقنْد فصالَحوهم، وصنع غوزك طعاماً ودعا قُتيبةَ، فأتاه في عدد من أصحابه، فلما تَغدّى استوهَبَ منه سمرقَنْد، فقال للمَلِك، انتقِلْ عنها، فانتقَل عنها، وتلا قُتَيبة: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾. (٦/ ٤٧٨).

قال: وأخبرنا أبو الذّيالِ، عنْ عمر بن عبد الله التميميّ، قال: حدّثني الذي سرّحه قُتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقَنْد، قال: قدمتُ على الحجّاج فوَجهني إلى الشام، فقدمْتها فدخلت مسجدَها، فجلستُ قبل طلوع الشمس وإلى جَنْبي رجلٌ ضَرير، فسألتُه عن شيء من أمر الشام، فقال: إنك لغريب، قلتُ: أجَل؛ قال: من أيّ بلد أنت؟ قلتُ: من خُراسان. قال: ما أقدَمَك؟ فأخبرتُه؛ فقال: والذي بعثَ محمّداً بالحقّ ما افتتحتموها إلا غدراً، وإنكم يا أهل خُراسانَ للّذين تَسلُبون بني أمية مُلكهم، وتَنقُضُونَ دمشقَ حَجراً حجراً. (٦/ ٤٧٩).

قال: وأخبَرنا العلاءُ بن جَرير، قال: بلَغني أن قتيبةَ لما فتح سمرقند وقَف على جَبَلِها فنظر إلى الناس متفرّقين في مُروج السُّغْد، فتمثّل قولَ طَرَفة:

وأَرْتَعَ أَقوام ولولا مَحلُّنا ... بمَخشِيَةٍ ردُّوا الجمال فَقَوَّضُوا

قال: وأخبرَنا خالدُ بن الأصْفح، قال: قال الكُمَيْت:

كانت سمرقندُ أحقاباً يَمانيةً فاليوم تَنْسُبُهَا قَيسيةً مُضَرُ
(٦/ ٤٧٩).

قال: وقال أبو الحسن الجُشميّ: فدعا قتيبةُ نهارَ بنَ تَوْسِعة حين صالَح أهلَ السُّغْد، فقال: يا نهارُ، أين قولك:

ألا ذَهَبَ الغزْوُ المُقَرِّبُ للغنَى ومات النَّدَى والجودُ بَعْدَ المهلَّبِ
أقَاما بمرْوِ الرُّوذ رَهْنَ ضَريحهِ وقَدْ غَيّبا عن كلِّ شَرْقٍ ومغْرِب

أفغَزْوٌ هذا يا نهارٌ؟ قال: لا، هذا أحسنُ، وأنا الذي أقول:

وما كانَ مُذْ كُنَّا ولا كان قَبْلنا ولا هو فيما بعدَنا كابن مُسلم
أعمَّ لأهل الترْك قَتْلاً بسيْفِهِ وأكثرَ فينا مَقْسِماً بعدَ مَقسِم

قال: ثمّ ارتحل قتيبة راجعاً إلى مروَ واستخلف على سمرقند عبدَ الله بن مسلم، وخلّف عنده جنداً كثيفاً، وآلةً من آلة الحرب كثيرةً، وقال: لا تدَعنّ مُشرِكاً يدخل باباً من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد، وإن جفّتَ الطينة قبل أن يَخرُج فاقتُله، وإن وجدتَ معه حديدةً؛ سكيناً فما سواه فاقتلْه، وإن أغلَقْت الباب ليلاً فوجدتَ فيها أحداً منهم فاقتله، فقال كَعْب الأشقريّ ـ ويقال رجلٌ من جُعفيّ:

كُلَّ يومٍ يَحْوِي قتيبةُ نَهباً ويزيدُ الأَموالَ مالاً جديدَا
باهليٌّ قد أُلبسَ التاجَ حتَّى شابَ منهُ مَفارِقٌ كُنَّ سُودَا
دَوَّخ السُّغدَ بالكتَائِب حتَّى تركَ السُّغد بالعرَاءِ قُعُودَا
فوليدٌ يبكي لفَقْدِ أَبيهِ وأبٌ مُوجَعٌ يُبَكِّي الوليدا
كلما حَلَّ بلدةً أو أتاهَا تَركَتْ خَيْلُهُ بها أخدُودَا

قال: وقال قتيبةُ: هذا العَداءُ لا عداءُ عَيرين، لأنه فتَح خُوارزم وسَمرقند في عام واحد؛ وذلك أنّ الفارس إذا صَرَع في طلق واحد عَيرَين قيل: عادَى بينَ عَيْرَين، ثم انصرفَ عن سمرقَند فأقام بمَرْو. (٦/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠).

وكان عامله على خوارزم إياسُ بنُ عبد الله بن عمرو على حَرْبها، وكان ضعيفاً وكان على خَراجها عُبيد الله بن أبي عُبيد الله مولى بني مسلم.

قال: فاستَضعف أهلُ خوارزم إياساً، وجَمَعوا له، فكَتَب عُبيدُ الله إلى قتيبة، فبعث قتيبةُ عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملاً، وقال: اضرِبْ إياسَ بن

عبد الله وحيّان النَّبَطيّ مئةً مئة ، واحلِقْهما ، وضمَّ إليك عُبيد الله بن أبي عُبيد الله ، مولَى بني مسلم ، واسْمَعْ منه فإنّ له وفاءً.

فمضى حتى إذا كان من خُوارزم على سِكّة ، فدسّ إلى إياس فأنذَره فتنحّى ، وقَدِم فأخَذَ حيّان فضربه مئةً وحَلَقه.

قال: ثمّ وجّه قتيبةُ بعد عبدِ الله المغيرَة بن عَبد الله في الجنود إلى خُوارزَم ، فبَلَغهم ذلك ، فلما قَدِم المغيرةُ اعتزَل أبناءَ الذين قتَلَهم خوارزم شاه ، وقالوا: لا نعينك ، فهَرَب إلى بلاد الترك ، وقدِم المغيرةُ فسبى وقَتل. وصالحه الباقون ، فأخذ الجزْية ، وقَدِم على قتيبة ، فاستعمله على نَيْسابور. (٦/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

* * *

فتح طليطلة

* ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر محمد بن عمر أنّ موسى بن نُصير غَضِب على طارق في سنة ثلاث وتسعين ، فشَخَص إليه في رجب منها ، ومعه حبيب بنُ عُقْبة بن نافع الفهْريّ ، واستخلف حين شَخَص على إفريقيّة ابنَه عبدَ الله بن موسى بن نُصير ، وعَبَر موسى إلى طارق في عشرةِ آلاف ، فتلقّاه ، فترضّاه فرضيَ عنه ، وقَبِل منه عُذرَه ، ووجّهه منها إلى مدينة طُلَيْطِلةَ ـ وهي من عظام مَدائن الأندلس ، وهي من قُرطُبَة على عشرين يوماً ـ فأصاب فيها مائدةَ سُلَيمان بن داود ، فيها من الذهب والجَوْهر ما اللهُ أعلمُ به. (٦/ ٤٨١).

قال: وفيها أجدَبَ أهلُ إفريقيّة جَدْباً شديداً ، فخرج موسى بنُ نُصير فاستَسقَى ، ودعا يومئذ حتى انتصَف النهارُ ، وخطَب الناسَ ، فلما أراد أن ينزِل قيل له: ألا تَدْعو لأميرِ المؤمنين! قال: ليس هذا يوم ذاك. فسُقُوا سَقْياً كَفاهمْ حِيناً. (٦/ ٤٨١).

خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز

* ذكر سبب عزل الوليد إياه عنها:

وكان سبب ذلك ـ فيما ذُكِر ـ أنّ عمرَ بنُ عبد العزيز كَتَب إلى الوليد يُخبره

بعَسْفِ الحجاجِ أهلَ عمله بالعراق ، واعتدائه عليهم ، وظلمه لهم بغير حقّ ولا جِناية ، وأنّ ذلك بلغ الحجاج ، فاضطَغنه على عمَر ، وكتب إلى الوليد: إنّ مَنْ قبلي من مُرّاق أهلِ العراق وأهلِ الشقاق قد جَلوْا عن العِراق ، ولجؤوا إلى المدينة ومكة ، وإنّ ذلك وَهْن.

فكتب الوليدُ إلى الحجّاج: أن أشِرْ عليّ برجلين ، فكتب إليه يشير عليه بعثمانَ بن حيّان وخالد بن عبد الله ، فولى خالداً مكّة وعثمان بالمدينة ، وعزلَ عمَر بن عبد العزيز. (٦/ ٤٨١ ـ ٤٨٢).

قال: محمد بنُ عمر: خرج عمرُ بنُ عبدِ العزيز من المدينة فأقامَ بالسوَيداء ، وهو يقول لمزاحم: أتخَاف أن تكون ممن نَفَتْه طيبة! (٦/ ٤٨٢).

* * *

وفيها ضربَ عمرُ بن عبد العزيز خُبيبَ بنَ عبد الله بن الزبير بأمر الوليد إيّاه ، وصبّ على رأسه قِربةً من ماء بارد ، ذكر محمد بنُ عمر ، أن أبا المليح حدّثه عمّن حضر عمرَ بن عبد العزيز ، حين جَلَد خُبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سَوْطاً ، وصَبَّ على رأسِه قِربةً من ماء في يوم شاتٍ. ووَقفه على باب المسجد ، فمَكَث يومَه ثم مات. (٦/ ٤٨٢).

* * *

وحَجّ بالناس في هذه السنة عبدُ العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، حدّثني بذلك أحمد بنُ ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعشَر.

وكانت عُمّال الأمصار في هذه السنة عُمالها في السنة التي قبلها ، إلاّ ما كان من المدينة ، فإنّ العاملَ عليها كان عثمان بن حيّان المُرّيّ ، وليَها ـ فيما قيل ـ في شعبانَ سنة ثلاث وتسعين. (٦/ ٤٨٢).

وأما الواقدي فإنه قال: قَدِم عثمانُ المدينةَ لليلتين بقيتا من شوّال سنة أربع وتسعين. (٦/ ٤٨٢).

وقال بعضهم: شَخَص عمرُ بنُ عبد العزيز عن المدينة مَعْزولاً في شَعبانَ من

سنة ثلاث وتسعين وغَزَا فيها ، واستخلف عليها حين شَخَص عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاريّ ، وقَدِم عثمانُ بنُ حيّان المدينة لليَلتين بقيَتا من شوّال. (٦/ ٤٨٢).

ثم دخلت سنة أربع وتسعين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

غزو الشاشِ وفرغانة

وفيها غزا قُتيبةُ شاش وفَرْغانة حتى بلغ خُجَنْدَة ، وكاشانَ؛ مدينَتي فَرْغانة.

* ذكر الخبر عن غزوة قُتَيبة هذه:

ذكَر عليُّ بن محمد؛ أن أبا الفوارس التميميّ ، أخبَره عن ماهانَ ويونس ابن أبي إسحاق ، أنّ قتيبة غزا سنة أربع وتسعين ، فلما قطع النّهر فرض على أهل بُخارَى وكسّ ونسَف وخُوارزم عشرين ألفَ مُقاتِل ، قال: فساروا معه إلى السُّغْد ، فوجّهوا إلى الشاش ، وتوجّه هو إلى فَرْغانة ، وسار حتى أتى خُجَنْدَة ، فجمع له أهلها فلقوه فاقتتلوا مراراً ، كلّ ذلك يكون الظفر للمسلمين ، ففرغ الناسُ يوماً فرَكِبوا خيولَهم ، فأوفَى رجلٌ على نَشَزٍ فقال: تا لله ما رأيت كاليوم غرّةً ، لو كان هَيْجٌ اليومَ ونحنُ على ما أرى من الانتشار لكانت الفضيحة ، فقال له رجل إلى جَنْبه: كلا ، نحن كما قال عَوْف بن الخَرِع:

نؤمّ البلادَ لحُبّ اللِّقا ... ولا نَتَّقي طائراً حيثُ طارَا
سنيحاً ولا جارِياً بارِحاً ... على كلّ حالٍ نُلاقِي اليسارا

وقال سحْبان وائل يذكر قتالَهم بخُجَنْدَة:

فَسَلِ الفوارِسَ في خُجَنْـ ... ـدةَ تحتَ مُرهَفَةِ العَوالي
هل كُنتُ أجمَعُهُم إذا ... هزِموا وأُقدِمُ في قِتالي
أم كنتُ أَضْرِبُ هامَةَ الـ ... ـعاتي وأَصبِرُ للعَوالي
هذا وأنتَ قَرِيعُ قَيـ ... ـسٍ كُلِّها ضَخْمُ النَّوالِ
وفَضَلْتَ قيساً في النَّدَى ... وأبوكَ في الحِجَج الخَوالي
ولقَد تبَيَّنَ عدلُ حُكـ ... ـمكَ فيهمُ في كلِّ مال
تمَّتْ مروءتُكمْ ونَا ... غى عِزُّكم غُلبَ الجِبَالِ

قال: ثمّ أتى قتيبةُ كاشانَ مدينةَ فَرغانة ، وأتاه الجنودُ الذين وجّههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرّقوا أكثَرها ، وانصرف قتيبةُ إلى مَرْوَ ، وكتَب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفيّ أنْ وجِّه من قِبلَكَ من أهل العراق إلى قتيبة؛ ووجِّه إليهم جَهْم بن زَحْر بن قيس ، فإنه في أهل العراق خيرٌ منه في أهل الشام ، وكان محمد وادّاً لجَهْم بن زَحْر ، فبعث سليمان بن صَعْصَعة وجهْم بن زَحْر ، فلما ودّعه جهمٌ بكى وقال: يا جَهْم ، إنه للْفراق؛ قال: لابدّ منه.

قال: وقدم على قتيبة سنة خمس وتسعين (٦/ ٤٨٣ _ ٤٨٤).

ولاية عثمان بن حيّان المرّي على المدينة

وفي هذه السنة قَدِم عثمانُ بنُ حيّانَ المرّيّ المدينةَ والياً عليها من قِبَل الوليد بنِ عبد الملك.

* ذكر الخبر عن ولايته:

قد ذكرْنا قبلُ سببَ عَزْل الوليد عمرَ بنَ عبد العزيز عن المدينة ومكّة وتأميره على المدينة عثمان بن حيّان ، فزعم محمد بنُ عمر أن عثمان قدم المدينة أميراً عليها للَيلتين بقيَتَا من شوّال سنة أربع وتسعين ، فنزل بها دارَ مَرْوان وهو يقول: محلّة والله مِظعانٌ، المغرور من غرّ بك ، فاستقضى أبا بكر بن حَزْم. (٦/ ٤٨٥).

قال محمد بنُ عمر: حدّثني محمد بنُ عبد الله بن أبي حُرّة ، عن عمه قال: رأيتُ عثمانَ بنَ حيّانَ أخذ رِياحَ بنَ عبيد الله ومُنقذاً العِراقيّ فحبَسَهم وعاقَبَهم ، ثمّ بعث بهم في جوامع إلى الحجّاج بن يوسف ، ولم يَترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غيرَ تاجر ، وأمر بهم أن يُخرَجوا من كلّ بلد ، فرأيتُهم في الجوامع ، واتبع أهل الأهواء ، وأخذ هَيْصَما فقطعه ، ومنحوراً _ وكان من الخوارج _ قال: وسمعتُه يَخطُب على المِنبَر يقول بعد حمد الله:

أيها الناس ، إنا وجدناكم أهلَ غشٍّ لأمير المؤمنين في قديمِ الدّهر وحديثه ، وقد ضَوَى إليكم من يَزيدُكم خَبالا ، أهلُ العراق هم أهْلُ الشقاق والنفاق ، هم والله عُشّ النفاق وبَيْضَته التي تفلّقتْ عنه ، والله ما جرّبتُ عِراقياً قط إلا وجدت أفضَلهم عند نفسِه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول ، وما هم لهم بشيعة ،

وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم ، ولكن لما يريد الله من سَفْك دمائهم فإني والله لا أوتَى بأحد آوَى أحداً منهم ، أو أكْراه مَنزِلا ، ولا أنْزَلَه إلا هدمتُ منزلَهَ ، وأنزلتُ به ما هو أهلُه ، ثمّ إنّ البُلدانَ لما مصّرها عمرُ بنُ الخطاب ، وهو مجتهِد على ما يُصلِح رعيّته جعل يمرّ عليه من يريد الجهاد فيستشيره : الشام أحبّ إليك أم العراق؟ فيقول: الشام أحب إليّ ، إني رأيتُ العراقَ داءً عُضالا ، وبها فرّخ الشيطان ، والله لقد أَعضَلوا بي ، وإني لأراني سأفرّقهم في البُلْدان ، ثم أقول: لو فرّقتهم لأفْسَدوا من دخلوا عليه بجَدَل وحِجَاج ، وكَيفَ؟ ولِمَ؟ وسُرعَةِ وجيف في الفِتنة ، فإذا خُبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل ، لم يصلحوا على عثمان ، فلقى منهم الأمَرّين ، وكانوا أوّلَ الناس فَتَقَ هذا الفَتْقَ العظيم ، ونَقَضوا عُرَى الإسلام عُرْوةً عُرْوة ، وأنغلوا البُلدان والله إني لأتقرّب إلى الله بكل ما أفعل بهم لِمَا أعرِف من رأيهم ومَذَاهبِهم ، ثمّ وليهم أمير المؤمنين معاوية فدامَجهم ، فَلم يَصلحوا عليه ، ووَلِيهم رجلُ الناسِ جلداً فبَسَط عليهم السيف ، وأخافَهم ، فاستقاموا له أحبُّوا أو كرهوا وذلك أنه خَبَرهم وعرَفَهم .

أيها الناس ، إنا والله ما رأينا شِعاراً قطّ مِثلَ الأمْن ، ولا رأينا حِلساً قطّ شرّاً من الخَوْف ، فالزَموا الطاعة ، فإنّ عندي يا أهلَ المدينة خِبرةً من الخِلاف ، والله ما أنتم بأصحاب قِتال ، فكونوا من أحْلاس بيُوتكم ، وعَضّوا على النواجذ ، فإني قد بعثتُ في مجالسكم من يَسمَع فيبلغني عنكم ، إنكم في فضول كلام غيرُهُ ألزَمَ لكم ، فدعُوا عَيبَ الوُلاة ، فإنّ الأمر إنما يُنقض شيئاً شيئاً حتى تكونَ الفتنة وإن الفِتنة مِن البلاء ، والفِتَن تَذهَب بالدين وبالمال والوَلَد.

قال: يقول القاسمُ بنُ محمد: صدَق في كلامه هذا الأخير ، إنّ الفتنة لهكذا. (٦/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦).

قال محمد بن عمر: وحدّثني خالدُ بنُ القاسم ، عن سعيد بن عمرو الأنصاريّ ، قال: رأيتُ مناديَ عثمانَ بن حيّانَ ينادِي عندنا : يا بني أمية بن زيد ، برئَتْ ذِمة ممن آوَى عِراقياً ـ وكان عندَنا رجلٌ من أهل البصرة له فضلٌ يقال له أبو سَوادةَ ، من العُبّاد ـ فقال: والله ما أحِبّ أن أدخِل عليكم مكروهاً ، بلغوني مأمَني؛ قلت: لا خيرَ لك في الخُروج ، إنّ الله يَدْفَع عنا وعنك ، قال: فأدخلتُه بيتي ، وبلغ عثمانَ بن حَيّانَ فبَعَث أحراساً فأخرجْته إلى بيت أخي ، فما قَدَروا

على شيء ، وكان الذي سَعَى بي عَدُوّاً ، فقلت للأمير : أصلَح الله الأمير! يؤتَى بالباطل فلا تُعاقب عليه ، قال: فضَرَب الذي سَعَى بي عشرين سوطاً ، وأخرَجْنَا العراقيّ ، فكان يصلّي معنا ما يغيبُ يوماً واحداً ، وحَدِب عليه أهلُ دارِنا ، فقالوا: نموتُ دونَك! فما بَرِح حتى عُزل الخبيث. (٦/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧).

قال محمد بن عمر: وحدّثنا عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فَروة ، قال: إنما بعَثَ الوليدُ عثمانَ بنَ حيّان إلى المدينة لإخراج من بها من العِراقيّين وتفريق أهلِ الأهواء ومن ظَهر عليهم أو علا بأمرهم ، فلم يبعثه والياً ، فكان لايَصعد المنبر ولا يَخطُب عليه ، فلما فعل في أهلِ العراق ما فعل ، وفي مَنْحور وغيره أثبتَه على المدينة ، فكان يَصعد على المِنبَر. (٦/ ٤٨٧).

ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبير

فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه ، حدّثنا أبو كريب ، قال: حدّثنا أبو بكر ، قال: حدّثنا يزيدُ بن أبي زياد مولَى بني هاشم ، قال: دخلتُ عليه في دار سعيد هذه ، جيءَ به مقيَّداً فدخل عليه قرّاء أهل الكوفة ، قلتُ: يا أبا عبدِ الله فحدّثكم؟ قال: إي والله ويَضْحَك ، وهو يحدّثُنا ، وبُنَيّة له في حِجْره ، فنظرتْ نظرةً فأبصرَت القيد فبكَتْ ، فسمعتهُ يقول: أيْ بُنَيّة لا تَطيَّري ، إيّاك ـ وشَقّ والله عليه ـ فاتبعناه نشيعه ، فانتَهيْنا به إلى الجِسْر ، فقال الحَرَسيان: لا نَعبُر به أبداً حتى يعطيَنا كفيلاً ، نخاف أن يُغرِق نفسه. قال: قلنا: سَعيدٌ يُغرّق نفسَه! فما عبروا حتى كفلنا به[1]. (٦/ ٤٨٩).

وذكر أبو بَكر الباهليّ ، قال: سمعتُ أنس بنَ أبي شيخ ، يقول: لما أتِيَ الحجاجُ بسَعيد بن جُبير ، قال: لعنَ اللهُ ابنَ النصرانية ـ قال: يعني خالداً القَسْرّي ، وهو الذي أرسَل به من مكة ـ أما كنتُ أعرف مكانَه! بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ، ثمّ أقبَلَ عليه فقال: يا سعيد ، ما أخرجك عليّ؟ فقال: أصلحَ اللهُ الأمير! إنما أنا امرؤٌ من المسلمين يُخطِئ مرّة ويُصيبُ مَرّة ، قال: فطابت نفسُ الحجاج ، وتَطلّق وجهُه ، ورجا أن يتخلّص من أمره ، قال: فعاوَدَه

---

(١) قلنا: يزيد ضعيف ، والله أعلم.

في شيءٍ ، فقال له: إنما كانت له بيْعة في عُنقي؛ قال: فغَضِب وانتفَخَ حتى سَقَط أحد طَرَفي رِدائه عن مَنكِبه ، فقال: يا سعيد ، ألم أقدَم مكة فَقتلتُ ابنَ الزّبير ، ثم أخذت بيعةَ أهلِها ، وأخذتُ بيعتَك لأمير المؤمنين عبدِ الملك! قال: بلى ، قال: ثم قدمتُ الكوفَة والياً على العراق ، فجدّدت لأمير المؤمنين البيعة ، فأخذتُ بيَعتَك له ثانيةً! قال: بلى؛ قال: فتنْكث بيْعَتين لأمير المؤمنين ، وتَفي بواحدة للحائِك ابنِ الحائك! اضربا عنقَه؛ قال: فإياه عَنى جرير بقولِه:

يـا رُبَّ نَـاكِـثِ بَيعَتَيـنِ تَـرَكْتَـهُ وخِضَـابُ لحيَتِـهِ دَمُ الأَوداج

(٦/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠).

وذكر عتّاب بن بِشْر ، عن سالم الأفطس ، قال: أتِيَ الحجاج بسَعيد بن جُبَير وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رِجْليه في الغَرْز ـ أو الركاب ـ فقال: واللهِ لا أركب حتى تَبوءَ مقعَدك من النار ، اضربوا عنقَه ، فضُرِبت عنقُه ، فالتبس مكانَه ، فجعل يقول: قيودُنا قيودُنا ، فظَنّوا أنه قال: القيود التي على سَعِيد بن جبير ، فقَطعُوا رِجْليه من أنصاف ساقَيْه وأخَذُوا القيود. (٦/ ٤٩٠).

قال محمدُ بن حاتم: حدّثنا عبدُ الملك بنُ عبد الله عن هلال بن خَبّاب قال: جيء بسعيد بن جُبَير إلى الحجاج ، فقال: أكتَبْتَ إلى مصعب بن الزبير؟ قال: بل كتَب إليّ مصْعَب؛ قال: والله لأقتلنك؛ قال: إنّي إذاً لَسعيد كما سمّتني أمي! قال: فقَتله؛ فلم يَلْبَث بعدَه إلاّ نحواً من أربعين يوماً ، فكان إذا نام يراه في منامِه يأخذ بمَجامع ثوبِه فيقول: يا عدّو الله ، لِمَ قتلتني؟ فيقول: مالي ولسعيد بن جُبَير! مالي ولسعيد ابنِ جُبيرَ![1]. (٦/ ٤٩٠ ـ ٤٩١).

ثم دخلت سنة خمس وتسعين
ذكر الأحداث التي كانت فيها

وفيها بنيت واسط القصب في شهر رمضان.

وفيها انصرف موسى بن نُصَير إلى إفريقية من الأندلس ، وضحى بقصر الماء ـ فيما قيل ـ على ميل من القيروان. (٦/ ٤٩٢).

---

(١) فيه عبد الملك بن عبد الله ، قال الذهبي: شيخ مجهول (ميزان الاعتدال) (ترجمة ٥٢١٩).

ثم دخلت سنة ست وتسعين
ذكر الأحداث التي كانت فيها

قال عليّ: وكان الوليد صاحب البناء واتّخاذ المصانع والضّياع ، وكان الناس يلتقون في زَمانه ، فإنما يسأل بعضُهم بعضاً عن البناء والمَصانع ، فولي سليمان ، فكان صاحب نكاحٍ وطعام ، فكان الناس يَسأل بعضُهم بعضاً عن التزويج والجَوارِي ، فلما ولِي عمرُ بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرّجل: ما وِرْدك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتَى تَختِم؟ ومتى خَتَمْتَ؟ وما تَصومُ من الشهر؟ ورَثى جرير الوليدَ فقال:

يا عَين جُودِي بدمعٍ هاجَهُ الذِّكَرُ ... فما لدمعِكِ بَعْد اليوم مُدَّخَرُ
إنَّ الخليفةَ قد وارَتْ شَمائِلَهُ ... غبرَاءُ مُلحَدَةٌ في جُولِهَا زَوَرُ
أَضحى بَنُوه وقد جَلَّت مُصِيبَتُهُم ... مثل النّجوم هَوَى من بينِها القَمَرُ
كانوا جميعاً فلَم يَدفع مِنِيَّتَهُ ... عبدُ العزيز ولا رَوحٌ ولا عمرُ

(٦/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨).

حدّثني عمرُ ، قال: حدّثنا عليّ ، قال: حجّ الوليدُ بنُ عبد الملك ، وحجّ محمد بنُ يوسفَ من اليمَن ، وحَمَل هدايا للوليد ، فقالت أمّ البنين للوليد: يا أميرَ المؤمنين ، اجعَلْ لي هديّةَ محمد بن يوسف ، فأمَرَ بصَرْفها إليها ، فجاءت رسلُ أمّ البنين إلى محمّد فيها ، فأبى وقال: يَنظُر إليها أميرُ المؤمنين فيَرَى رأيَه ـ وكانت هدايا كثيرةً ـ فقالت: يا أميرَ المؤمنين ، إنك أمرتَ بهدايا محمد أن تُصرَف إليّ ، ولا حاجةَ لي بها ، قال: ولِمَ؟ قالت: بلغني أنه غَصَبها الناسَ ، وكلّفهم عملَها ، وظَلمهم ، وحَملَ محمد المتاعَ إلى الوليد ، فقال: بلَغني أنك أصبْتَها غَصْباً ، قال: معاذَ الله! فأمر فاستُحلِف بينَ الرّكن والمقام خمسين يميناً والله ما غَصَب شيئاً منها ، ولا ظلَم أحداً ، ولا أصابَها إلا من طَيّب؛ فحلَف ، فقبلَها الوليدُ وَدفَعها إلى أمّ البنين ، فمات محمد بنُ يوسفَ باليمَن ، أصابه داءٌ تَقطَّع منه. (٦/ ٤٩٨).

وفي هذه السنة كان الوليد أرادَ الشخوصَ إلى أخيه سليمان لخلعه ، وأراد البَيْعةَ لابنه مِن بعدِه ، وذلك قبلَ مَرْضتِهِ التي مات فيها حدّثني عمر ، قال: حدّثنا

عليّ ، قال: كان الوليدُ وسليمان وَلِيَيْ عهدِ عبد الملك ، فلما أفْضَى الأمرُ إلى الوليد ، أرادَ أن يبايعَ لابنه عبد العزيز ويخلَع سليمان ، فأبى سليمان ، فأراده على أن يجعَله له من بعدِه ، فأبى ، فعَرض عليه أموالاً كثيرة ، فأبى ، فكَتَب إلى عمالِه أن يبايعوا لعبدِ العزيز ، ودعا الناسَ إلى ذلك؛ فلم يُجبه أحد إلا الحجاجَ وقتيبةَ وخواصَّ من الناس ، فقال عبّاد بن زياد: إنّ الناس لا يُجيبونك إلى هذا ، ولو أجابوك لم آمَنهم على الغَدْر بابنك ، فاكتبْ إلى سليمان فليقدم عليك ، فإنّ لك عليه طاعة ، فأرِدْه على البَيْعة لعبدِ العزيز من بعده ، فإنه لا يقْدِر على الامتناعِ وهو عندَك ، فإنْ أبى كان الناسُ عليه.

فكتب الوليدُ إلى سليمانَ يأمُره بالقدوم ، فأبطأ فاعتَزَم الوليدُ على المسير إليه وعلى أن يَخلعَه فأمر الناسَ بالتأهب ، وأمر بحُجَره فأخرجتْ فمرض ، ومات قبل أن يَسير وهو يريد ذلك. (٦/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩).

قال عمر: قال عليّ: أراد الوليد أن يبنيَ مسجدَ دمشق ، وكانت فيه كنيسة ، فقال الوليد لأصحابه: أقسمتُ عليكم لمَّا أتاني كلّ رجل منكم بِلَبِنةٍ ، فَجعل كلّ رجل يأتيه بِلَبِنة ، ورجل من أهل العراق يأتيه بلَبِنَتين ، فقال له: ممن أنت؟ قال: مِنْ أهل العراق؛ قال: يا أهل العراق ، تُفرطون في كلّ شيء حتى في الطاعة! وهَدموا الكنيسةَ وبناها مسجداً ، فلما ولي عمر بنُ عبد العزيز شكَوا ذلك إليه ، فقيل: إنّ كل ما كان خارجاً من المدينة افتُتِح عَنْوة ، فقال لهم عمر: نردّ عليكم كنيستَكم ونَهدِم كنيسة تُومَا ، فإنها فُتِحت عنوة ، نبنيها مسجداً ، فلما قال لهم ذلك قالوا: بل نَدَع لكم هذا الذي هَدَمه الوليد ، ودَعُوا لنا كنيسةَ تُوما ، ففعَل عمرُ ذلك. (٦/ ٤٩٩).

خلافة سليمان بن عبد الملك

قال الواقديّ: وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم قد استأذن عثمانَ أن ينام في غد ، ولا يَجلس للناس ليقوم ليلة إحدى وعشرين ، فأذن له ، وكان أيوب بنُ سلمة المخزوميّ عندَه ، وكان الذي بين أيّوب بن سلمة وبين أبي بكر بن عمرو بن حَزْم سَيئاً ، فقال أيوب لعثمان: ألم تَر إلى ما يقول هذا؟ إنما هذا منه رِئاء؛ فقال عثمان: قد رأيتُ ذلك ، ولستُ لأبي إن أرسلتُ إليه

غُدوةً ولم أجده جالساً لأجلدنه مئة ، ولأحلقنّ رأسه ولحيته .

قال أيوب : فجاءني أمرٌ أحبه ، فعجّلت من السحر ، فإذا شَمْعة في الدار ، فقلتُ : عَجِل المرّيّ ، فإذا رسولُ سليمانَ قد قَدِم على أبي بكر بتأمِيره وعَزْلِ عثمانَ وحدّه .

قال أيوب : فدخلتُ دارَ الإمارة ، فإذا ابنُ حَيّان جالس ، وإذا بأبي بكر على كرسيّ يقول للحدّاد : اضربْ في رِجْل هذا الحديدَ ، ونظر إليّ عثمانُ فقال :

آبُوا على أَدبارهم كُشُفاً والأَمرُ يَحدُثُ بعده الأمرُ

(٦/ ٥٠٥) .

وفي هذه السنة عَزَل سليمانُ يزيدَ بنَ أبي مسلم عن العراق ، وأمّر عليه يزيدَ بن المهُلَّب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخَراج ، وأمَره أن يَقتُل آل أبي عقيل ويَبسُط عليهم العَذاب ، فحدّثني عمرُ بن شَبّة ، قال : حدّثني علي بن محمد ، قال : قَدِم صالح العراقَ على الخَراج ، ويزيدُ على الحَرْب ، فبعث يزيد زيادَ بن المهلب على عُمان ، وقال له : كاتبْ صالحاً ، وإذا كتبتَ إليه فابدأ باسمه ، وأخذ صالح آلَ أبي عُقيل فكان يُعذبهم ، وكان يلِي عذابَهم عبدُ الملك بن المهلب . (٦/ ٥٠٦) .

* * *

وأما أبو عُبيدة مَعمَر بن المثنى ، فإنه قال ـ فيما حدّثت عنه : كان في الكتاب الأوّل وقيعة في يزيد بن المهلب ، وذكرُ غدرِه وكفرِه وقلة شكرِه ، وكان في الثاني ثناء على يزيد ، وفي الثالث : لئن لم تُقرّني على ما كنتُ عليه وتؤمّنني لأخلعنك خلعَ النَّعل ، ولأملأنّها عليك خَيْلاً ورِجالاً ، وقال أيضاً : لما قرأ سليمانُ الكتابَ الثالث وضَعه بين مثالَين من المُثُل التي تحتَه ولم يُحِرْ في ذلك مرجوعاً . (٦/ ٥٠٨) .

* * *

قال عليّ : وحدّثني بعضُ العَنبريين ، عن أشياخ منهم ، أنّ تَوْبَةَ ابن أبي أسيد العَنْبري ، قال : قَدِم صالح العراقَ ، فوجّهني إلى قتيبة ليُطلِعني طِلْعَ مافي يده ، فصَحِبَني رجل من بني أسد ، فسألني عمّا خرجتُ فيه ، فكاتمتُه أمري ، فإنا لنسير إذا سنَحَ لنا سانح ؛ فنظر إليّ رفيقي فقال : أراك في أمر جسيم

وأنت تكتمني! فمضيتُ، فلما كنت بحُلوان تلقاني الناسُ بقتل قتيبة. (٦/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩).

قال عليّ: وذكر أبو الذّيال وكُليب بن خَلَف وأبو عليّ الجُوزجانيّ عن طُفيل بن مِرْداس، وأبو الحسن الجشَميّ، ومصعَب بن حيّان عن أخيه مقاتِل بن حيّان، وأبو مخنَف وغيرهم، أن قتيبة لما همّ بالخَلْع استشار إخوتَه، فقال له عبد الرحمن: اقطع بعثاً فوجِّه فيه كلّ من تَخافه، ووجّه قوماً إلى مَرْو، وسِر حتى تنزلَ سمَرْقند، ثم قل لمن معك: مَن أحَبّ المقام فله المواساة، ومن أراد الانصرافَ فغيْر مستكرَه ولا مَتْبوعٍ بسوء، فلا يقيم معك إلا مناصح، وقال له عبد الله: اخلعه مكانك، وادع الناس إلى خلعِه، فليس يختلف عليك رجلان، فأخذ برأي عبد الله، فخلع سليمان، ودعا الناسَ إلى خَلْعه، فقال للناس:

إني قد جمعتكم من عين التمر وفيْض البحر فضممت الأخ إلى أخيه، والولدَ إلى أبيه، وقسمتُ بينكم فيئكم، وأجَرْيت عليكم أعطِياتِكم غير مكدّرة ولا مؤخَّرة، وقد جرّبتم الوُلاةَ قَبلي؛ أتاكم أمية فكتب إلى أمير المؤمنين إنّ خَراجَ خُراسان لا يقوم بمطبخي، ثمّ جاءكم أبو سعيد فدوّم بكم ثلاثَ سنينَ لا تَدْرون أفي طاعة أنتم أم في معصية! لم يَجْب فَيْئاً، ولم يَنكَأ عدوّاً، ثمّ جاءكم بنَوه بعدَه؛ يزيد، فحل تبارَى إليه النساء، وإنما خليفتُكم يزيدُ بن ثروان هَبَنّقَةُ القَيْسيّ.

قال: فلم يُجبه أحد، فغَضِب فقال: لا أعزّ اللهُ من نصرْتم، والله لو اجتمعتم على عَنْز ما كسرتم قرنها، يا أهل السافِلة ـ ولا أقول أهلَ العالية ـ يا أوباشَ الصَّدَقة، جمعتُكم كما تُجمَع إبلُ الصدقة من كلّ أوْب، يا معشرَ بكر بن وائل، يا أهل النفخ والكذب والبُخْل. بأيّ يومَيْكم تفخَرون؟ بيَوم حَرْبكم، أو بيوم سلمِكم! فوالله لأنا أعزّ منكم، يا أصحاب مُسيلمة، يا بني ذميم ـ ولا أقول تميم ـ يا أهل الخَوَر والقَصْف والغَدْر، كنتم تسمّون الغَدْر في الجاهلية كَيْسان، يا أصحابَ سَجاح، يا معشر عبد القيس القُساة، تبدّلتم بأبْر النّحل أعنّةَ الخيل.

يا معشر الأزْد، تبدّلتم بقُلُوس السفن أعنة الخيل الحُصُن؛ إن هذا لَبدعة في الإسلام! والأعراب، وما الأعراب! لعنةُ الله على الأعراب! يا كناسةَ المصرَيْن،

جمعتُكم من منابت الشيح والقَيْصوم ومَنابت القِلقِل تركبون البَقَر والحُمُر في جزيرة ابنِ كاوانَ ، حتى إذا جمعتُكم كما تُجمَع قَزَع الخريف قُلتُم كَيتَ وكَيْت! أما والله إني لابن أبيه! وأخو أخيه ، أما والله لأعصبنّكم عَصْبَ السَّلَمة ، إنّ حَوْل الصِّلِّيان الزمْزَمة. يا أهل خُراسانَ ، هل تدرون من وليُّكم؟ وليَكم يزيدُ بن ثَرْوان ، كأني بأمير مزجاء ، وحَكَم قد جاءكم فغلَبكم على فيئكم وأظلالِكم ، إن هاهنا ناراً ارْمُوها أرْم معكم ، ارُموا غرضكم الأقصى ، قد استُخْلف عليكم أبو نافع ذو الوَدَعات ، إنّ الشام أبٌ مَبْرور ، وإن العراق أبٌ مكفور. حتى متى يتبطح أهل الشام بأفنِيتكم وظِلالِ دياركم! يا أهل خُراسانَ ، انسبُوني تجدوني عراقيّ الأمّ ، عراقيّ الأب ، عراقيّ المولِد ، عراقيّ الهوى والرأيِ والدين ، وقد أصبحتم اليومَ فيما تَرَون من الأمْنِ والعافية قد فَتَح الله لكم البلاد ، وآمن سُبُلَكم ، فالظّعينة تَخرُج من مَرْوَ إلى بَلْخَ بغير جَواز ، فاحمدوا الله على النعمة ، وسَلوه الشكرَ والمزيدَ.

قال: ثمّ نزل فدخل منزلَه ، فأتاه أهلُ بيته فقالوا: ما رأيْنا كاليومِ قطّ ، واللهِ ما اقتصرتَ على أهل العالية وهم شِعارُك ودِثارُك ، حتى تناولتَ بَكراً وهم أنصارُك ، ثمّ لم ترض بذلك حتى تناولتَ تميماً وهم إخوتُك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولْتَ الأزْد وهم يدك! فقال: لما تكلمتُ فلم يجبْني أحدٌ غضبت ، فلم أدرِ ما قلتُ؛ إنّ أهل العالية كإبل الصَّدَقة قد جُمِعتْ من كل أوْب ، وأمّا بَكْر فإنها أمَة لا تمنَع يَد لامس ، وأما تميم فَجمَل أجْرَب ، وأما عبد القيس فما يضرب العير بَذَنَبه ، وأما الأزْد فأعلاجٌ شرارُ مَنْ خَلَق الله ، لو ملكتُ أمرَهم لوسمتهم.

قال: فغضب الناسُ وكَرِهوا خَلْعَ سليمان ، وغضبَت القبائلُ من شتْم قتيبة ، فأجمَعوا على خلافه وخَلْعِه، وكان أول من تكلم في ذلك الأزد، فأتوا حُضَين بن المنذر فقالوا: إنّ هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خَلْع الخليفة ، وفيه فسادُ الدين والدنيا ، ثمّ لم يَرضَ بذلك حتى قصّر بنا وشَتَمنا ، فما تَرَى يا أبا حفص؟ وكان يُكتنَى في الحرب بأبي ساسان ، ويقال: كُنْيته أبو محمد ـ فقال لهم: حُضين: مُضَرُ بخُراسان تَعدل هذه الثلاثة الأخماس؛ وتميم أكثر الخمسَيْن ، وهم فُرسانُ خُراسان ، ولا يرضَوْن أن يصيرَ الأمرُ في غير مُضَرَ ، فإن أخرجْتموهم من الأمر أعانوا قتيبة؛ قالوا: إنه قد وتر بني تميم بقتل ابن الأهتم ، قال: لا تنظروا إلى هذا

فإنهم يتعصَّبون للمُضَرّية ، فانصرفوا رادِّين لرأي حُضَين ، فأرادوا أن يولّوا عبدَ الله بن حَوْذان الجَهْضَميّ ، فأبى ، وتدافَعوها ، فرجعوا إلى حُضَين ، فقالوا: قد تدافَعنا الرياسة ، فنحن نولّيك أمرَنا ، وربيعةُ لا تخالفك، قال: لا ناقَة لي في هذا ولا جَمَل؛ قالوا: ما تَرَى؟ قال: إن جعلتمْ هذه الرياسةَ في تميم تمّ أمرُكم ، قالوا: فمَن ترى من تميم؟ قال: ما أرَى أحداً غيرَ وكيع ، فقال حيّان مولى بني شَيبان: إنّ أحداً لا يتقلد هذا الأمرَ فيَصْلَى بحَرّه ، ويَبذل دمَه ، ويتعرّض للقتل ، فإنْ قَدِم أميرٌ أخَذَه بما جَنَى وكان المهنأُ لغيره إلا هذا الأعرابيّ وكيع؛ فإنه مِقدام لا يُبالي ما رَكب ، ولا يَنظر في عاقبة ، وله عشيرة كثيرة تطيعه ، وهو مَوْتور يَطلبُ قتيبةَ برياسته التي صرَفَها عنه وصيّرها لضِرار بن حُصَين بن زَيْد الفوارس بن حُصَين بن ضرار الضَّبيّ ، فمشَى الناسُ بعضُهم إلى بعض سِرّاً ، وقيل لقُتيبة: ليس يُفسد أمر الناس إلا حيّان.

فأراد أن يغتالَه ـ وكان حيّانُ يلاطِف حَشَم الوُلاة فلا يُخفُون عنه شيئاً ـ قال: فدعا قتيبةُ رجلاً فأمرَه بقَتْل حيّان ، وسمِعه بعضُ الخدم ، فأتى حيّان فأخبَره ، فأرسل إليه يدعُوه ، فحذِر وتمارَض ، وأتى الناسُ وكيعاً فسألوه أن يقوم بأمرِهم؛ فقال: نعم ، وتمثّل قولَ الأشْهَب بن رُمَيلة:

سـأجنـي مـا جَنَيـت وإنَّ رُكْنِـي ... لمعتَمـدٌ إلـى نَضَـدٍ رَكيـنِ

قال: وبخُراسان يومئذ من المقاتِلة من أهل البَصْرة من أهل العالية تسعة آلاف ، وبَكر سبعة آلاف ، رئيسُهم الحضَين بن المنذر ، وتميم عشرة آلاف عليهم ضِرار بنُ حُصَين الضَّبيّ ، وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن عُلوْان عوذيّ ، والأزْد عشرة آلاف رأسُهم عبدُ الله بن حوذان ، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جِهْم بن زِحْر ـ أو عبيد الله بن عليّ ـ والموالي سبعة آلاف عليهم حيّان ـ وحيّان يقال إنه من الدّيلم ، ويقال: إنه من خراسان ، وإنما قيل له نبطيٌّ للكنته ـ فأرسل حيّان إلى وكيع: أرأيتَ إنْ كففتُ عنكَ وأعنتُك تجعَل لي جانبَ نهرِ بَلْخ وخَراجَه ما دمتَ حيّاً ، وما دمتَ والياً؟ قال: نعم؛ فقال للعَجَم: هؤلاء يقاتلون على غير دين ، فدَعُوهم يقتّل بعضُهم بعضاً؛ قالوا: نعم ، فبايَعوا وكيعاً سرّاً ، فأتى ضِرارُ بن حُصَين قُتيبة ، فقال: إنّ الناسَ يختلفون إلى وكيع ، وهم يُبايعونه ـ وكان وكيع يأتي منزلَ عبد الله بن مسلم الفقير فيَشرَب عنده ـ فقال

عبد الله: هذا يَحسُد وكيعاً، وهذا الأمرُ باطل، هذا وكيع في بيتي يَشرَب ويَسكر ويَسلح في ثِيابه؛ وهذا يَزْعم أنهم يبايعونه، قال: وجاء وكيع إلى قتيبةَ فقال: احذَرْ ضِراراً فإني لا آمَنُه عليك، فأنزل قتيبةُ ذلك منهما على التحاسد، وتمارَض وَكيع.

ثمّ إنّ قتيبةَ دسّ ضِرارَ بنَ سنان الضَّبيّ إلى وكيع فبايَعَه سرّاً، فتبيّن لقُتيبة أنّ الناس يبايعونه، فقال لِضرار: قد كنتَ صَدقْتني، قال: إني لم أخبْرك إلا بعلم، فأنزلتَ ذلك مني على الحسَد، وقد قضيتُ الذي كان عليّ، قال: صدقتَ، وأرسَل قتيبةُ إلى وكيع يَدْعوه فوجَده رسولُ قُتيبة قد طَلى على رِجْله مَغْرة، وعلى ساقه خَرَزاً ووَدَعاً، وعنده رجلان من زَهران يَرقِيان رِجْلَه، فقال له: أجب الأميرَ، قال: قد تَرى ما بِرجلي، فرجع الرسول إلى قتيبة فأعاده إليه، قال: يقول لك: ائتني محمولاً على سَرير، قال: لا أستطيع، قال قتيبة لشريك بن الصامت الباهلي أحد بني وائل ـ وكان على شرطته ـ ورجل من غنيّ انطلِقا إلى وَكيع فأتِياني به.

فإنْ أبى فاضرِبا عنقَه؛ ووجَّه معهما خيلاً، ويقال: كان على شُرَطه بخُراسان وَرْقاءُ بن نَصرْ الباهليّ. (٦/ ٥٠٩ ـ ٥١٣).

قال عليّ: قال أبو الذّيال: قال: ثمامة بن ناجذ العَدَوّي: أرسل قتيبة إلى وكيع مَنْ يأتيه به، فقلت: أنا آتيك به أصلَحك الله! فقال: ائتني به، فأتيتُ وَكيعاً ـ وقد سَبَقَ إليه الخبر أنَّ الخيل تأتيه ـ فلما رآني قال: يا ثُمامة نادِ في الناس، فناديتُ، فكان أوّل من أتاه هُرَيْم بن أبي طَحْمَةَ في ثمانية. (٦/ ٥١٣).

قال: وقال الحسن بن رَشِيد الجُوزجَانيّ: أرسل قتيبة إلى وكيع، فقال هُرَيم: أنا آتيك به، قال: فانطلق، قال: هُرَيم: فركبتُ بِرْذَوني مخافةَ أن يردّني، فأتيتُ وكيعاً وقد خرج. (٦/ ٥١٣).

قال: وقال كُليب بن خَلَف: أرسل قتيبة إلى وكيع شعبةَ بن ظهير أحد بني صَخْر بن نَهشَل، فأتاه، فقال: يا بنَ ظهير:

لبِّث قليلاً تلحَق الكَتائب

ثمّ دعا بسكين فقطع خَرزاً كان على رجْليه، ثمّ لَبِس سلاحَه، وتمثل:

شُدُّوا عليَّ سُرَّتي لا تَنْقَلِف ... يومٌ لهَمْدانَ ويومٌ للصَّدِفْ

وخرج وحدَه ، ونظر إليه نسوةٌ فقُلن: أبو مطرّف وحدَه؛ فجاء هُريم بن أبي طَحْمة في ثمانية ، فيهم عميرة البَريد بن رَبيعة العُجَيفي. (٦/ ٥١٣ ـ ٥١٤).

قال حمزة بن إبراهيم وغيره: إن وَكِيعاً خرج فتلقّاه رجلٌ ، فقال: ممن أنت؟ قال: من بني أَسَد؛ قال: ما اسمُك؟ قال: ضِرْغامة؛ قال: ابنُ مَن؟ قال: ابن لَيْث ، قال: دونك هذه الراية. (٦/ ٥١٤).

قال المفضل بن محمد الضبي: ودفع وكيع رايته إلى عقبة بن شهاب المازنيّ؛ قال: ثم رجع إلى حديثهم ، قالوا: فخرج وكيع وأمر غلمانَه ، فقال: اذهَبوا بثقَلي إلى بني العمّ ، فقالوا: لا نَعرف موضعهم ، قال: انظروا رُمْحين مجموعين أحدُهما فوقَ الآخر ، فوقَهما مِخْلاة ، فهمْ بنو العمّ ، قال: وكان في العسكر منهم خمسمئة؛ قال: فنَادى وَكيع في الناس ، فأقبَلوا أرْسالاً من كلّ وجه ، فأقبلَ في الناس يقول:

قَـرْمٌ إذا حُمّـلَ مَكـروهَـةً ... شـدَّ الشَّراسِيفَ لها والحزيم

(٦/ ٥١٤).

وقال قوم: تمثل وكيع حين خرج:

أنخنَ بلُقمان بنِ عادٍ فَجُسْنَهُ ... أَرِيني سلاحي لن يَطيروا بأعزَلِ

واجتمع إلى قتيبة أهل بيته ، وخواصّ من أصحابه وثقاته ، فيهم إياس بن بَيْهس بن عمرو ، ابن عمّ قتيبة دُنْيا ، وعبد الله بن وألان العدويّ ، وناسٌ من رهْطِه ، بني وائل ، وأتاه حيّان بن إياس العدويّ في عشرة ، فيهم عبدُ العزيز بن الحارث ، قال: وأتاه مَيْسرة الجدليّ ـ وكان شجاعاً ـ فقال: إن شئتَ أتيتُك برأسِ وكيع ، فقال: قفْ مكانَك ، وأمر قتيبةُ رجلاً ، فقال: نادِ في الناس ، أين بنو عامر؟ فنادَى: أين بنو عامر؟ فقال: محفن بن جَزْء الكلابيّ ـ وقد كان جَفاهم: حَيْث وضَعْتَهُم؛ قال: نادِ أذكّركم الله والرَّحِم! فنادى محفن: أنت قطعتَها ، قال: نادِ لكمُ العُتْبى ، فناداه محفن أو غيره: لا أقالنا اللهُ إذاً ، فقال قتيبة:

يا نَفْسُ صبراً على ما كان من ألمٍ ... إذ لم أجد لفُضول القوم أقْرانَا

ودعا بعمامة كانت أمّه بعثت بها إليه ، فاعتمّ بها ، كان يعتمّ بها في الشدائد ،

ودعا بِبِرْذَوْن له مدرّب ، كان يتطيّر إليه في الزّحوف ، فقرّب إليه ليَركَبه ، فجعل يقمِص حتى أعياه ، فلما رأى ذلك عاد إلى سَريره فقَعدَ عليه وقال: دعُوه؛ فإنّ هذا أمرٌ يُراد ، وجاء حيّان النَّبطيّ في العَجَم ، فوقف وقُتيبة واجدٌ عليه ، فوقَف معه عبدُ الله بنُ مسلم ، فقال عبدُ الله لحيّان: احمل على هذين الطَّرَفين ، قال: لم يأنِ لذلك فَغضِب عبدُ الله ، وقال: ناوِلْني قَوْسي ، قال حيّان: ليس هذا يوم قوس ، فأرسَل وكيع إلى حيّان: أين ما وعدَتني؟ فقال حيّانُ لابنه: إذا رأيتَني قد حوّلتُ قَلَنْسُوتي ، ومضيتُ نحوَ عسكرِ وكيع ، فمِلْ بمن معك في العجم إليّ ، فوقَف ابنُ حيّان مع العَجم ، فلما حوّل حيان قَلَنْسُوتَه مالت الأعجام إلى عسكر وكيع ، فكبّر أصحابُه ، وبعث قتيبةُ أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجلٌ من بني ضَبّة يقال له سليمان الزنجيرج ـ وهو الخُرْنُوب ، ويقال: بل رماه رجل من بَلْعمْ فأصاب هامَتَه ـ فحمِل إلى قتيبةَ ورأسُه مائل ، فوُضع في مُصَلّاه ، فتحوّل قتيبةُ فجلس عنده ساعة ، ثمّ تحوّل إلى سَريره. (٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥).

قال: وقال أبو السّري الأزْدِيّ: رمى صالحاً رجلٌ من بني ضَبّة فأثقَله ، وطعَنَه زياد بنُ عبد الرحمن الأزديّ ، من بني شريك بن مالك. (٦/ ١٥١).

* * *

قال: وقال أبو مخنف: حمَل رجل من غني على الناس فرأى رجلاً مجفّفاً فشبّهه بجهْم بن زُحَر بن قيس فطَعَنه ، وقال:

إنَّ غنيّـــاً أَهـــلُ عِـــزٍّ ومصـــدَقٍ إذا حـــارَبـــوا والنـــاسُ مُفْتَتِنُـــونَـــا

فإذا الذي طُعِن علْج ، وتهايَج الناسُ ، وأقبلَ عبدُ الرحمن بن مُسلم نحوَهم ، فرماه أهلُ السوق والغَوْغاء ، فقتَلوه وأحرقَ الناس موضعاً كانت فيه إبلٌ لقتيبة ودوابّه ، ودنوا منه ، فقاتَلَ عنه رجلٌ من باهِلَةَ من بني وائل ، فقال له قتيبةُ: انْجُ بنَفْسك ، فقال له: بئس ما جزيتُك إذاً ، وقد أطعمتني الجَردَق ، وألبسْتَني النُّرمق!

قال: فدعا قتيبةُ بدابة ، فأتِي ببرْذَوْن فلم يقِرّ ليركبه ، فقال: إنّ له لشأناً؛ فلم يركبْه ، وجلسَ وجاءَ الناسُ حتى بلغوا الفُسْطاط ، فخرج إياسُ بنُ بَيْهس ، وعبدُ الله بن وألان حين بلغ الناس الفُسْطاط وتركا قُتيبة ، وخرج عبدُ العزيز بن الحارث يطلب ابنَه عَمْراً ـ أو عُمَر ـ فلقِيَه الطائيّ فحذِره ، ووجد ابنَه فأردَفَه ،

قال: وفَطِن قتيبةُ للهَيْثم بن المنخَّل وكان ممن يعين عليه، فقال:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كلَّ يَوْمٍ فلَمَّا اشْتدّ ساعِدُهُ رَماني

قال: وقتِل معه إخوتُه عبدُ الرحمن وعبدُ الله وصالح وحُصَين وعبد الكريم، بنو مسلم، وقتِل ابنه كثير بنُ قُتيبة وناسٌ من أهل بيته، ونجا أخوه ضِرار، استنقَذَه أخوالُه، وأمّه غرّاء بنت ضِرار بن القَعْقاع بن مَعبَد بن زُرارة، وقال قوم: قُتِل عبدُ الكريم بن مسلم بقَزْوين، وقال أبو عبيدة: قال أبو مالك: قَتلوا قتيبةَ سنة ست وتسعين، وقتِل من بني مسلم أحد عشر رجلاً، فصلَبهم وكيع، سبعة منهم لصُلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم: قتيبةُ، وعبد الرحمن، وعبد الله الفقِير، وعبيد الله، وصالح وبشّار، ومحمَّد بَنُو مسلم، وكثير بن قتيبة، ومغلّس بن عبد الرّحمن، ولم يَنجُ من صُلب مسلم غيرُ عمرو ـ وكان عامل الجوزجان ـ وضِرار، وكانت أمه الغرّاء بنت ضِرار بن القَعْقاع بن مَعبد بن زُرارة، فجاء أخوالُه فدفَعوه حتى نحّوه، ففي ذلك يقول الفرزدق:

عَشِيَّةَ ما وَدَّ ابنُ غَرَّةَ أنَّهُ لهُ من سِوَانا إذ دعا أَبَوانِ

وضُرب إياس بن عمرو ـ ابن أخي مُسلِم بن عمرو ـ على ترقُوَته فعاش.

قال: ولما غشَى القومُ الفُسطاط قطعوا أطنابَه، قال زهير: فقال جَهْم بن زَحْر لسعد: انزِل، فحزَّ رأسَه، وقد أثخِن جراحاً، فقال: أخاف أن تَجُولَ الخيلُ، قال: تخاف وأنا إلى جَنبَك! فنزل سعد فشق صَوْقَعةَ الفُسطاط؛ فاحتزّ رأسَه، فقال حُضَيْن بن المنذر:

وإنَّ ابنَ سَعد وابنَ زَحْرٍ تَعاوَرَا بسيفَيهما رأسَ الهُمام المُتَوَّج

عَشيَّةَ جِئْنَا بابنِ زَحْرٍ وجِئتمُ بأدْغَمَ مَرقُوم الذراعين دَيزَجِ

أَصَمَّ غُدَانيٍّ كأنَّ جبينَه لطاخةُ نِقسٍ في أَدِيمٍ مُمَجمَجِ

قال: فلما قتل مسلمةُ يزيدَ بن المهلب استُعمِل على خُراسانَ سعيدُ بن خُذَيْنَةَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، فحبس عمال يزيدَ، وحَبس فيهم جَهم بن زَحْر الجُعفيّ، وعلى عذابه رجلٌ من باهِلَة، فقيل له: هذا قاتلُ قتيبةَ، فقتَلَه في العذاب، فلامه سعيدٌ، فقال: أمرْتَني أن أستخرج منه المال فعذّبته فأتى عليّ أجَلُه.

قال: وسقطتْ على قتيبةَ يومَ قُتِل جاريةٌ له خُوارزميّة، فلما قُتل خرجتْ،

فأخَذَها بعد ذلك يزيدُ بن المهلب ، فهي أمّ خُلَيدة[1]. (٦/ ٥١٥ _ ٥١٧).

قال عليّ: قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليَقظَان: لما قُتِل قتيبةُ صَعِد عُمارة بن جنية الرياحيّ المنبرَ فتكلم فأكثر ، فقال له وكيع: دعْنا من قَذَرك وهَذَرك ، ثمّ تكلّم وكيع فقال: مثلي ومَثَلُ قُتيبة كما قال الأوّل:

مـن يَنِـكِ العَيْـرَ يَنِـكْ نيَّـاكـا

أراد قتيبةُ أن يقتلَني وأنا قتّال.

قد جَرَّبوني ثمّ جرّبوني ... من غلوتَيْن ومِن المِئين
حتّى إذا شِبتُ وشيَّبوني ... خلَّوا عِناني وتنكَّبوني

(٦/ ٥١٧).

أنا أبو مطرّف.

قال: وأخبَرنا أبو معاوية ، عن طلحة بن إياس ، قال: قال وكيع يوم قتِل قُتَيبة:

أنا ابن خِنْدِفَ تَنْميني قَبائِلُها ... للصالحات وعَمّي قَيسُ عَيلانا

ثم أخذ بلحْيته ثمّ قال:

شيخٌ إذا حُمّل مَكْرُوهَةً ... شَدَّ الشراسِيفَ لها والحَزِيمْ

والله لأقتلَنّ ، ثم لأقتلنّ ، ولأصلبنّ ، ثم لأصلبنّ؛ إني والغٌ دماً ، إن مَرْزُبانكم هذا ابنُ الزانية قد أغلَى عليكم أسعارَكم ، والله ليصيِّرِنّ القفيزُ في السوق غداً بأربعة أو لأصلّبنه ، صَلّوا على نبيّكم ، ثمّ نزل. (٦/ ٥١٧ _ ٥١٨).

قال عليّ: وأخَبَرنا المفضَّل بن محمَّد وشيخٌ من بني تميم ، ومسلْمة بن محارب ، قالوا: طلب وكيع رأس قُتيبة وخاتمَه ، فقيل له: إنّ الأزْد أخذتُه ، فخرج وكيع وهو يقول: دُهْ دُرِّينِ ، سَعدُ القيَنِ:

في أيِّ يومَيَّ مِنَ المَوتِ أفِرّ ... أيومَ لم يُقْدَر أمْ يومَ قُدِرْ
لا خيَرَ في أحزَمِ جُيّاد القَرَعْ ... في أيِّ يومٍ لم أرعْ ولم أُرَعْ

والله الذي لا إله غيرهُ لا أبرحَ حتى أوتَى بالرأس ، أو يُذْهَب برأسي مع رأس

---

(١) في إسنادها لوطِ بن يحيي التالف الهالك.

قتيبة ، وجاء بخَشَب فقال: إنّ هذه الخيل لابدّ لها من فُرْسان ـ يتهدَّدُ بالصَّلْب ـ فقال له حُضَين: يا أبا مطرّف ، تؤتى به فاسكن ، وأتى حضينٌ الأزدَ فقال: أحمْقَى أنتم! بايَعْناه وأعطَيْناه المقَادة ، وعرض نفسَه ، ثم تأخذون الرأسَ! أخرجوه لعنَه الله من رأس! فجاؤوا بالرأس فقالوا: يا أبا مطرّف ، إن هذا هو احتزّه ، فاشكمْه؛ قال: نعم ، فأعطاه ثلاثة آلاف ، وبعث بالرّأس مع سَلِيط بن عبد الكريم الحنَفيّ ، ورجال من القبائل وعليهم سليط ، ولم يَبعث من بني تميم أحداً. (٦/ ٥١٨).

قال: قال أبو الذّيال: كان فيمن ذهب بالرأس أنيَف بن حسان أحد بني عديّ. (٦/ ٥١٨).

قال أبو مخنَف: وَفَى وكيع لحيّان النّبطي ، بما كان أعطاه ، قال: قال خُريم بن أبي يحيى: عن أشياخ من قيس ، قالوا: قال سليمان للهُذيل بن زُفَر حين وُضع رأسُ قتيبة ورؤوسُ أهلِ بيته بين يديه: هل ساءك هذا يا هُذيل؟ قال: لو ساءَني ساء قوماً كثيراً؛ فكلّمه خُرَيم بن عمرو والقَعْقاع بن خُليد ، فقال: ائذَن في دَفْن رؤوسهم ، قال: نعم ، وما أردت هذا كله[1]. (٦/ ٥١٨ ـ ٥١٩).

قال عليّ: قال أبو عبد الله السلميّ ، عن يزيدَ بن سُوَيد ، قال: قال رجلٌ من عَجَم أهلِ خُراسان: يا معشر العَرَب ، قتلتم قتيبةَ ، والله لو كان قتيبةُ منا فمات فينا جَعلْناه في تابوت فكُنّا نستفتح به إذا غَزَوْنا ، وما صنع أحد قطّ بخُراسانَ ما صنع قتيبة ، إلا أنه قد غدَر ، وذلك أنّ الحجاج كتب إليه أن اختلهم واقتلُهم في الله. (٦/ ٥١٩).

قال: وقال الحسن بنُ رشيد: قال الإصْبهبَذ لرَجُل: يا معشر العَرَب ، قَتلتم قتيبةَ ويزيدَ وهما سيّدَا العَرَب! قال: فأيّهما كان أعظم عندكم وأهيَب؟ قال: لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى جُحْر به في الأرض مكبّلاً بالحديد ، ويزيد معنا في بلادنا والٍ علينا لكان قتيبةُ أهيَب في صدورنا وأعظم من يزيد. (٦/ ٥١٩).

قال عليّ: قال المفضّل بن محمد الضّبيّ جاء رجل إلى قتيبة يومَ قُتِل وهو

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

جالس ، فقال: اليوم يُقتَل ملك العَرب ـ وكان قتيبةُ عندهم مَلِكَ العرب فقال له: اجلِس. (٦/ ٥١٩).

قال: وقال كُلَيب بن خَلَف: حدّثني رجل ممن كان مع وكيع حين قتُل قتيبة ، قال: أمر وكيعٌ رجُلاً فنادَى: لا يُسلَبنَّ قتيل ، فمَرّ ابنَ عبيد الهَجريّ على أبي الحجر الباهليّ فسَلَبه ، فبَلَغ وكيعاً فضرَب عنقَه. (٦/ ٥١٩).

قال أبو عبيدة: قال عبد الله بن عمر ، من تَيْم اللات: رَكِبَ وكيع ذاتَ يوم ، فأتَوْه بسَكرانَ ، فأمر به فقُتل ، فقيل له: ليس عليه القَتْل ، إنما عليه الحدّ ، قال: لا أعاقِب بالسياط ، ولكنّي أعاقِب بالسيف ، فقال نَهار بن تَوسِعة:

وكنا نُبَكِّي من البَاهِليِّ ... فهذا الغُدانيُّ شَرٌّ وشَرُّ

وقال أيضاً:

ولما رأينا البَاهِليَّ ابنَ مسلمٍ ... تجَبر عَمَّمْناه عَضْباً مُهَنَّدا

وقال الفرزْدَق يَذكُر وقعةَ وكيع:

ومنّا الذي سلّ السيوفَ وشامَهَا ... عشيّةَ باب القَصر مِن فَرغانِ
عشيّةَ لم تمنَع بَنيهَا قَبيلةٌ ... بعِزّ عِراقيّ ولا بيمَانِ
عشيّةَ ما وَدَّ ابنُ غَرّاءَ أنه ... له من سِوَانا إذ دعا أَبوانِ
عشيّة لم تَسْتر هَوازِنُ عامرٍ ... ولا غَطَفانٌ عورَةَ ابنِ دُخانِ
عشيَّةَ وَدَّ الناسُ أنهمُ لنا ... عبيدٌ إذِ الجمعان يَضطَربانِ
رأَوا جَبَلاً يَعلُو الجِبالَ إذا التقَتْ ... رؤوسُ كَبِيرَيْهِنَّ يَنتَطِحَانِ
رِجالٌ على الإسلام إذْ ما تَجَالدُوا ... على الدينِ حتَّى شَاعَ كلَّ مكانِ
وحتى دعا في سُورِ كلّ مَدِينةٍ ... منادٍ ينادِي فوقَها بأَذَانِ
سيجزي وكيعاً بالجماعة إذْ دعا ... إليها بسيفٍ صارمٍ وبَنانِ
جزاءً بأعمالِ الرجال كما جَرى ... ببَدرٍ وباليَرمُوك فيءَ جَنان

وقال الفرزدق في ذلك أيضاً:

أتاني ورَحْلى بالمدينةِ وقعةٌ ... لآلِ تميم أقعدت كلَّ قائِم

(٦/ ٥١٩ ـ ٥٢٠).

وقال عليّ: أخبَرَنا خرَيم بن أبي يحيى ، عن بعض عمومته قال: أخبرني

شيوخ من غسان قالوا: إنا لَبثنيَّة العُقاب إذ نحن برجل يشبه الفُيُوج معه عصاً وجِراب، قلنا: من أين أقبلتَ؟ قال: مِن خُراسان؛ قلنا: فهل كان بها من خبَر؟ قال: نعم، قُتل قتيبةُ بن مسلم أمْس، فتعجَّبْنا لقوله، فلما رأى إنكارَنا ذلك قال: أين ترونَني الليلةَ من إفريقيّة؟ ومضى واتبعناه على خيولنا، فإذا شيء يَسبِق الطَّرْف، وقال الطرِمّاح:

لولا فوارسُ مَذْحِجَ ابنةَ مذحجٍ ... والأَزدِ زُعزِعَ واستبيح العسكرُ
وتقَطَّعَتْ بهم البلادُ ولم يَؤُبْ ... منهمْ إلى أهلِ العراقِ مُخبِّرُ
واسْتَضْلَعَتْ عُقَدَ الجماعة وازدري ... أمرُ الخليفةِ واستُحِلَّ المنكرُ
قومٌ همُ قَتَلوا قُتيبةَ عَنْوَةً ... والخيلُ جانحةٌ عليها العِثْيَرُ
بالمَرجِ مرجِ الصِّين حيثُ تَبيّنت ... مُضَرُ العراق مَنِ الأعزُّ الأكبرُ!
إذْ حالَفت جزعاً ربيعةُ كلها ... وتفرَّقتْ مُضَرٌ ومَن يَتَمَضَّرُ
وتقَدَّمَتْ أزدْ العِراق ومذحِجٌ ... للموتِ يَجمعُهَا أبوها الأكبرُ
قَحطانُ تضرب رأس كلّ مدجَّجٍ ... تحمِي بصائرَهُنَّ إذ لا تبصرُ
والأزدْ تعلمُ أنّ تحتَ لوائها ... مُلكاً قُراسيَةً ومَوتٌ أحمرُ
فبِعِزِّنا نُصِرَ النبيُّ محمَدٌ ... وبنا تثبّتَ في دمشقَ المنبرُ

وقال عبد الرحمن بن جُمانةَ الباهليّ:

كأنَّ أبا حفص قتيبة لم يَسِرْ ... بجيشٍ إلى جيش ولم يَعلُ مِنبَرَا
ولم تخفِقِ الرايات والقومُ حَوْله ... وقوفٌ ولم يَشهَدْ له الناسُ عسكرَا
دَعَتْهُ المنايا فاستجاب لربِّه ... وراح إلى الجَنَّاتِ عَفّاً مُطَهّرَا
فما رُزِيء الإسلامُ بعدَ محمّدٍ ... بمثلِ أبي حَفْص فبَكّيه عَبْهَرا

يعني أمَّ ولَد له.

وقال الأصمّ بن الحجَّاج يَرثِي قتيبة:

أَلمْ يأنِ للأحْياءِ أن يَعرفوا لنا ... بلى نحنُ أولَى الناس بالمجْدِ والفخرِ
نَقُودُ تميماً والموالي ومَذْحِجاً ... وأَزْدَ وعبد القيْسِ والحيَّ من بكرِ
نقتّل من شئنا بعِزَّةِ مُلكنَا ... ونَجْبُرُ مَنْ شئنا على الخسف والقَسْر
سليمان كم من عسكرٍ قد حَوَت لكمْ ... أسِنَّتُنَا والمُقْرَبَاتُ بنا تجري
وكم من حصون قد أَبَحْنَا منيعةٍ ... ومن بلدٍ سَهْلٍ ومن جبل وعْرِ

ومن بلدةٍ لم يغزُها الناسُ قَبْلَنا غزَونا نَقُودُ الخيلَ شهراً إلى شهرِ
مرَنَّ على الغزو الجرور ووُقـرّتْ على النَّفرِ حتى ما تُهالُ من النَّفْرِ
وحتى لو أن النارَ شُبّتْ وأكرِهَتْ على النارِ خاضَتْ في الوغى لهبَ الجمرِ
تلاَعِبُ أطرافَ الأَسِنَةِ والقنا بلبَّاتِها والموت في لجج خضْرِ
بهنَّ أبَحْنَا أهلَ كلِّ مدينةٍ من الشرك حتى جاوزتْ مطلع الفجرِ
ولو لم تُعَجّلنا المنايا لجاوزتْ بنا رَدْم ذي القرنين ذا الصَّخْرِ والقَطْرِ
ولكنَّ آجالاً قُضِينَ ومُدَّةً تَناهَى إليها الطَّيّبُونَ بنو عَمرو

(٦/ ٥٢٠ ـ ٥٢٢).

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

وفيها غزا ـ فيما ذكر الواقديّ ـ مسلمةُ بنُ عبد الملك أرضَ الرّوم ، ففتح الحِصْن الذي كان فتَحه الوضّاح صاحب الوضّاحيّة.

وفيها غزا عمر بنُ هُبيرة الفَزاريّ في البحر أرضَ الرّوم ، فشتا بها.

وفيها قُتِل عبد العزيز بن موسى بن نُصَير بالأندلس ، وقدِم برأسه على سليمان حبيبُ بن أبي عُبيد الفِهْريّ. (٦/ ٥٢٣).

ولاية يزيد بن المهلّب على خراسان

وفيها ولَّى سليمانُ بنُ عبد الملك يزيدَ بن المهلَّب خُراسانَ.

* ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان:

وكان السبب في ذلك أنّ سليمان بن عبد الملك لما أفضَت الخلافةُ إليه ولى يزيد بن المهلَّب حربَ العراق والصّلاة وخرَاجها.

فذَكَر هشام بنُ محمد عن أبي مخنَف ، أنّ يزيد نظر لمّا ولاّه سليمانُ ما ولاّه من أمر العراق في أمر نفسه ، فقال: إنّ العراق قد أخرِ بها الحجاجُ ، وأنا اليومَ رجاءُ أهل العراق؛ ومتى قدمتُها وأخذتُ الناسَ بالخراج وعذّبتُهم عليه صرتُ مِثلَ الحجّاج أدْخل على الناس الحربَ ، وأعيدُ عليهم تلك السجون التي قد

عافاهم الله منها ، ومتى لم آتِ سليمانَ بمثلِ ما جاء به الحجّاج لم يقبَل مني ، فأتى يزيدُ سليمان فقال: أدلّك على رجل بصير بالخَراج توليه إياه ، فتكونَ أنت تأخذهُ به؟ صالح بن عبد الرّحمن ، مولى بني تميم ، فقال له: قد قبلنا رأيك ، فأقبلَ يزيدُ إلى العراق[1]. (٦/ ٥٢٣).

وحدّثني عمرُ بنُ شبّة ، قال: قال عليّ: كان صالح قَدِم العراق قبل قُدوم يزيدَ ، فنزل واسطاً ، قال عليّ: فقال عباد بن أيوب: لما قدم يزيد خرَج الناسُ يتلقَّونه ، فقيل لصالح: هذا يزيد ، وقد خرج الناس يتلقّونه ، فلم يخرج حتى قَرُب يزيدُ من المدينة ، فخرج صالحُ ، عليهُ درَّاعة ودبوسيّة صفراء صغيرة ، بين يديه أربعمئة من أهلِ الشام ، فلقي يزيدَ فسايرَه ، فلما دخل المدينةَ قال له صالح: قد فرّغت لكَ هذه الدار ـ فأشار له إلى دار ـ فنزل يزيد ، ومضى صالح إلى منزله ، قال: وضيّق صالحُ على يزيدَ فلم يملّكه شيئاً ، واتّخذ يزيدُ ألف خوان يُطعِم الناسَ عليها ، فأخذها صالح ، فقال له يزيد: اكتبْ ثمنَها عليّ ، واشترى متاعاً كثيراً ، وصكّ صِكاكاً إلى صالح لباعَتِها منه ، فلم يُنفِذه ، فرجعوا إلى يزيدَ ، فغضب وقال: هذا عَمَلي بنفسي ، فلم يَلبث أن جاء صالحُ ، فأوْسَع له يزيد ، فجلس وقال ليزيد: ما هذه الصِّكاك؟ الخَراجُ لا يقوم لها ، قد أنفذتُ لك منذ أيام صَكّاً بمئةِ ألف ، وعَجلت لك أرزاقك ، وسألت مالاً للجنْد ، فأعطيتُك ، فهذا لا يقوم له شيء ، ولا يَرضَى أميرُ المؤمنين به ، وتؤخذ به! فقال له يزيد: يا أبا الوليد ، أجزْ هذه الصِّكاك هذه المرة ، وضاحَكَه ، قال: فإني أجيزُها ، فلا تُكثِرنّ عليّ ، قال: لا. (٦/ ٥٢٤).

وأمّا أبو عُبيدة معمَر بنُ المثنى فإنه قال في ذلك: حدّثني أبو مالك أنّ وَكيع بن أبي سُود بعث بطاعته وبرأسِ قُتيبةَ إلى سليمانَ ، فوقَع ذلك من سليمان كلَّ موقع ، فجعل يزيدُ بنُ المهلب ، لعبد الله بن الأهتم مئةَ ألف على أن ينقُر وكيعاً عنده ، فقال: أصلَح اللهُ أمير المؤمنين! والله ما أحدٌ أوجَب شكراً ، ولا أعظَم عندي يداً من وكيع ، لقد أدرك بثَأري ، وشفاني من عَدُوّي ، ولكن أميرَ المؤمنين أعظمُ وأوجبُ عليّ حَقّاً ، وإنّ النصيحةَ تلزَمني لأمير المؤمنين؛ إنّ

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

وكيعاً لم يجتمع له مئة عنَان قطّ إلا حدّث نفسَه بغدرة؛ خامل في الجماعة ، نابه في الفتنة ، فقال: ما هو إذاً ممن نستعين به ـ وكانت قيسٌ تَزعُم أن قتيبة لم يخلع ـ فاستعمل سليمانُ يزيد بن المهلب على حَرْب العراق ، وأمَره إن أقامت قيسٌ البيّنة أن قتيبة لم يَخلَع فينزَع يداً من طاعة ، أن يُقيد وكيعاً به ، فغدَر يزيدُ ، فلم يُعْطِ عبدَ الله بن الأهتم ما كان ضَمِن له ، ووجّه ابنَه مخلدَ بن يزيد إلى وكيع . (٦/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧) .

رَجْع الحديثِ إلى حديث عليّ ، قال عليّ: أخبَرَنا أبو مخنف عن عثمانَ بن عمرو بن محصن ، وأبو الحسن الخُراسانيّ عن الكرمانيّ ، قال: وجه يزيدَ ابنَه مخلداً إلى خُراسان فقدّم مخلَدُ عمرو بن عبد الله بن سِنان العتكيّ ، ثم الصَّنابحيّ حين دَنَا من مَرْوَ ، فلما قدمها أرسل إلى وكيع أن الْقَني ، فأبى ، فأرسَل إليه عمرو ، يا أعرابيّ أحمقَ جِلفاً جافياً ، انطَلِق إلى أميرك فتَلقه ، وخَرَج وجوهٌ من أهل مَرْوَ يتلقَّون مخلَداً ، وتثاقلَ وكيعٌ عن الخروج ، فأخرَجهَ عمرو الأزْديّ ، فلما بلغوا مخلَداً نزل الناس كلّهم غير وكيع ومحمد بن حمران السعديّ وعبّاد بن لقيط أحد بني قيس بن ثعلبة ، فأنزلوهم ، فلما قَدِم مروَ حبس وكيعاً فعذّبه ، وأخذ أصحابه فعذّبهم قبل قُدوم أبيه . (٦/ ٥٢٧) .

قال عليّ: عن كلُيب بن خلف ، قال: أخبرنا إدريسُ بن حنظلة ، قال: لما قَدِمَ مخلد خُراسان حَبَسني ، فجاءني ابن الاهتم فقال لي: أتريد أن تَنجُوَ؟ قلت: نعم ، قال: أخرج الكتبَ التي كتَبها القَعْقاع بن خُلَيد العَبْسيّ وخُرَيم بن عمرو المرّيّ إلى قُتيبةَ في خَلْع سليمانَ ، فقلت له: يا بنَ الأهتم ، إيّاي تخدع عن ديني! قال: فدعـا بطُومار وقال: إنك أحمَق ، فكتب كُتُباً عن لِسان القَعْقاع ورجال من قَيْس إلى قُتيبة ، أنَّ الوليد بن عبد الملك قد مات ، وسليمان باعث هذا المَزُونيّ على خُراسان فاخلَعه. فقلتُ: يا بنَ الأهتم ، تُهلِك واللهِ نفسَك! والله لئن دخلتُ عليه لأعْلمنَّه أنك كتبتَها . (٦/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨) .

قال: ووَصَل يزيدَ عبد الملك بن سلام السَّلُوليّ فقال:

مـا زال سَيْبُـك يـا يـزِيـدُ بَحـوبَتـي ... حتَّـى ٱتـوَيـتُ وجُـودكُـمْ لا يُنْكَـرُ

أنـتَ الـرَّبيـع إذا تكـون خَصَـاصَـةٌ ... عـاش السَّقِيـم بـه وعـاش المُقتِـرُ

عمَّت سَحَابَتُهُ جَمِيعَ بِلَادِكم ... فرَوْوا وأغدَقَهُم سَحابٌ مُمطِر
فسقَاك رَبكَ حَيْثُ كنتَ مَخيلةً ... ريّاً سَحائِبها تَروحُ وتُبكِر

(٦/ ٥٢٩)

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية

فذكر محمد بن عمر أنَّ ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى.

قال: لما دنا مَسلَمة من قُسْطنْطينية أمر كلّ فارس أن يحمل على عَجْز فرسِه مُدْيين من طعام حتى يأتيَ به القُسْطَنطينية، فأمر بالطعام فألقى في ناحية مثل الجبال، ثمّ قال للمسلمين: لا تأكلوا منه شيئاً، أغيرُوا في أرضهم، وازدرعوا، وعمِل بيوتاً من خشب، فَشَتا فيها وزرَع الناسُ، ومَكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكنُّه شيء، والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات، ثمّ أكلوا من الزّرع، فأقام مَسلَمة بالقُسْطَنطينية قاهراً لأهلها، معه وجوهُ أهل الشام: خالد بن مَعْدان، وعبد الله بن أبي زكرياء الخُزاعيّ، ومجاهد بن جَبْر؛ حتى أتاه موتُ سليمانَ فقال القائل:

تْحمِل مُدْيَيْهَا ومُدْيَيْ مَسلَمهْ

(٦/ ٥٣٠)

حدّثني أحمد بن زُهير، عن عليّ بن محمد، قال: لما وليَ سليمانُ غزَا الرّوم فنزل دابِق، وقدّم مسلَمة فهابَه الرّوم، فشَخص إليُونُ من أرْمينيَة، فقال لمَسلَمة: ابعث إليّ رجلاً يكلّمني، فبعث ابن هُبيرة فقال له ابنُ هبيرة: ما تعُدّون الأحمَق فيكم؟ قال: الذي يملأ بطنه من كلّ شيء يَجِده، فقال له ابن هُبَيرة: إنّا أصحاب دين، ومِنْ ديننا طاعةُ أمرائنا؛ قال: صدقت، كنا وأنتم نُقاتِل على الدين ونَغضَب له، فأما اليومَ فإنا نُقاتِل على الغلبة والمُلْك، نُعطيك عن كلّ رأس ديناراً.

فرجع ابنُ هبيرة إلى الرّوم من غده، وقال: أبى أن يَرضَى، أتيتُه وقد تغدّى وملأ بطنه ونامَ، فانتبَه وقد غَلَب عليه البلغم، فلم يدرِ ما قلتُ.

وقالت البطارقة لإليون: إن صرفت عنا مسَلَمة ملّكناك، فوَثّقوا له، فأتَى مَسلَمة فقال: قد عَلِم القومُ أنك لا تَصدقهم القتال، وأنك تُطاولهم ما دام الطعام عندَك، ولو أحرقتَ الطعامَ أعطوْا بأيديهم، فأحَرَقه، فقوي العدوّ، وضاقَ المسلمون حتى كادوا يَهلكون، فكانوا على ذلك حتى مات سليمان، قال: وكان سليمانُ بنُ عبد الملك لما نزل دابق أعطَى الله عَهْداً ألا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينيّة.

قال: وهَلَك مَلِكُ الرّوم، فأتاه إليون فأخبَرَه، وضَمِن له أن يَدفَع إليه أرضَ الرّوم، فوجه معه مسلمة حتى نزل بها، وجَمع كلّ طعام حولها وحَصَر أهلَها وأتاهم إليون فملّكوه، فكتب إلى مسلَمة يُخبره بالذي كان، ويسأله أن يُدخِل من الطعام مَا يعيش به القوم، ويُصدّقونه بأنّ أمرَه وأمرَ مَسلَمة واحد، وأنهم في أمان من السِّباءِ والخُروج من بلادهم، وأن يأذنَ لهم ليلَةً في حَمْل الطعام، وقد هيّأ إليون السفن والرّجال، فأذِن له، فما بقيَ في تلك الحظائر إلا ما لا يُذكَر؛ حُمل في ليلة، وأصبح إليون محارباً، وقد خدعه خديعة لو كان امرأةً لعيبَ بها، فلقى الجنْد ما لم يَلْقَ جيشٌ، حتى إن كان الرجُل ليَخافُ أنْ يَخرُج من العَسكَر وحدَه، وأكَلوا الدّوابّ والجُلود وأصولَ الشجر والورَق، وكلّ شيء غير التراب، وسليمان مقيمٌ بدابِق، ونزل الشتاءُ فلم يقدر يُمِدّهم حتى هَلَك سليمان. (٦/ ٥٣٠ ـ ٥٣١).

مبايعة سليمان لابنه أيوب وليّاً للعهد

وفي هذه السنة بَايَع سليمانُ بنُ عبد الملك لابنِهِ أيوبَ بن سليمان وجَعلَه وليّ عهدِه، فحدّثني عمر بن شبّة، عن عليّ بن محمد، قال: كان عبدُ الملك أخَذ على الوليد وسليمانَ أن يُبايعا لابن عاتِكة ولمروانَ بن عبد الملك من بعدِه، قال: فحدّثني طارقُ بنُ المبارك، قال: ماتَ مروانُ بنُ عبدِ الملك في خلافة سليمانَ منصَرفه من مكة، فبايع سليمان حين ماتَ مَروانُ لأيوبَ، وأمسَك عن يزيدَ وتربَّص به، ورَجَا أن يهلك، فهَلَك أيّوب وهو وليّ عهده. (٦/ ٥٣١ ـ ٥٣٢).

وفي هذه السنة ـ فيما زعم الواقديّ ـ غَزا الوليد بنُ هشام وعمرُو بنُ قيس،

فأصيبَ ناسٌ من أهل إنطَاكية ، وأصابَ الوليدُ أناساً من ضَواحي الرّوم وأسَر منهم بَشَراً كثيراً. (٦/ ٥٣٢).

غزو جرجان وطبرستان

فذكر هشامَ بن محمد عن أبي مخنَف ، أنّ يزيد بن المهلب لما قدم خُراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعةً ، ثمّ أقْبَل إلى دِهِسْتانَ وجُرْجانَ وبعث ابنه مخلَداً على خُراسان ، وجاء حتى نزل بدهستان ، وكان أهلُها طائفةً من الترك فأقام عليها ، وحاصَر أهلَها ، معه أهلُ الكوفة وأهلُ البَصْرة وأهلُ الشام ووجوه أهل خُراسان والرّي ، وهو في مئة ألف مُقاتل سوى المَوالِي والمَماليك والمتطوّعين ، فكانوا يَخرُجون فيُقاتِلون الناسَ ، فلا يُلبثهم الناسُ أن يَهزِموهم فَيدخلُون حصنَهم ، ثمّ يخرجون أحياناً فيُقاتِلون فيشتدّ قِتالهم.

وكان جَهْم وجمال ابنا زَحْر من يزيد بمكان ، وكان يُكرمهما ، وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سَبْرة الجُعْفيّ له لسان وبأس ، غير أنه كان يُفسِد نفسَه بالشراب ، وكان لا يُكثر غِشْيان يزيد وأهل بيته ، وكأنه أيضاً حَجَزه عن ذلك ما رَأى من حُسْن أثَرهم على ابني زَحْر جَهْم وجمال ، وكان إذا نادى المنادي : يا خيلَ الله ارْكبي وأبشِري كان أول فارس من أهل العسكر يبادر إلى موقِف البَأس عند الرّوع محمد بن عبد الرحمن بن أبي سَبْرة ، فنُودِيَ ذات يوم في الناسِ ، فبدر الناس ابنُ أبي سَبْرة ، فإنه لواقفٌ على تَلّ إذ مرّ به عثمانُ بنُ المفضّل ، فقال له : يا بن أبي سَبْرة ، ما قدرتُ على أن أسبقَك إلى الموقِف قَطّ ، فقال : وما يُغِني ذلك عني ، وأنتم تُرشّحون غِلمانَ مِذحج ، وتَجهلون حقّ ذوي الأسنان والتجارب والبَلاء! فقال : أما إنك لو تريد ما قبلَنا لم نَعدل عنك ما أنتَ له أهل.

قال : وخرج الناسُ فاقتتَلوا قتالاً شديداً ، فحمل محمد بن أبي سَبْرة على تركيّ قد صدّ الناسَ عنه ، فاختَلَفا ضربتَين ، فثبتَ سيفُ التركيّ في بَيضة ابن أبي سبرة ، وضَرَبَه ابنُ أبي سَبْرة فقتَله ، ثمّ أقبل وسيفه في يَدِه يقطرُ دَماً ، وسيفُ التُّركيّ في بَيضَته ، فنظر الناسُ إلى أحسَن منظرَ رأوه من فارس ، ونظر يزيد إلى ائتلاق السّيْفين والبَيضة والسلاح فقال : مَن هذا؟ فقالوا : ابنُ أبي سَبْرة ، فقال : لله أبوه! أيّ رجل هو لولا إسرافُه على نفسه!

وخرج يزيد بعد ذلك يوماً وهو يرتادُ مَكاناً يَدخُل منه على القوم ، فلم يَشعُر بشيء حتى هَجم عليه جماعةٌ من الترك ـ وكان معه وجوه الناس وفُرسانُهم ، وكان في نحو من أربعمئة ، والعدوّ في نحو من أربعة آلاف ـ فقاتلَهم ساعةً ، ثمّ قالوا ليزيد: أيّها الأمير ، انصرِف ونحنُ نُقاتِل عنك ، فأبَى أن يَفعَل ، وغَشَى القِتال يومئذ بنفسه ، وكان كأحدهم ، وقاتل ابنُ أبي سَبْرة وابنا زَحْر والحجّاجُ بن جارية الخثعَميّ وجُلّ أصحابه فأحسنوا القِتال ، حتى إذا أرادوا الانصراف جَعَل الحجّاجَ بن جارية على الساقة ، فكان يُقاتِل مَن وراءه حتى انتهى إلى الماء ، وقد كانوا عَطِشوا فَشرِبوا ، وانصَرف عنهم العدوّ ، ولم يَظفرُوا منهم بشيء ، فقال سُفيانُ بن صَفوان الخَثْعميّ:

لولا ابنُ جارِيَةَ الأغَرُّ جَبينُهُ ... لَسُقِيتَ كأْساً مُرَّةَ المُتَجَرَّعِ
وحَمَاكَ في فُرْسَانِهِ وخُيُولِهِ ... حتَّى وَرَدتَ الماءَ غَيْرَ مُتعتَعِ

ثم إنّه ألحّ عليها وأنزل الجنود من كلّ جانب حولَها ، وقَطَع عنهم الموادّ ، فلمّا جُهِدوا ، وعَجَزوا عن قتالِ المسلمين ، واشتدّ عليهم الحصار والبلاء ، بعث صُول دِهْقان دِهستانَ إلى يزيدَ: إني أصالحك على أن تؤمنَني على نفسي وأهل بيتي ومالي ، وأدفَع إليك المدينة وما فيها وأهلها.

فصالَحه ، وقَبِل منه ، ووَفَى له ، ودَخَل المدينَة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكُنوز ومن السَّبي شيئاً لا يُحصَى ، وقتَل أربعةَ عشر ألف تُركيّ صَبْراً ، وكتَب بذلك إلى سليمانَ بن عبد الملك.

ثمّ خَرَج حتى أتى جُرْجانَ ، وقد كانوا يُصالحون أهلَ الكوفة على مئة ألف ، ومئتي ألف أحياناً ، وثلاثمئة ألف ، وصالحوهم عليها ، فلما أتاهم يزيدُ استقبلوه بالصّلح ، وهابوه وزادُوه ، واستخلَف عليهم رجلاً من الأزد يقال له: أسدُ بنُ عبد الله ، ودخل يزيدُ إلى الإصبهبَذ في طَبَرِسْتانَ فكان معه الفَعَلة يَقطَعون الشَّجر ، ويُصلِحون الطرق ، حتى انتهوْا إليه ، فنَزل به فحصَرَه وغَلَب على أرضِه ، وأخذ الإصبهبذ يَعرِض على يزيدَ الصلح ويزيده على ما كان يُؤخَذ منه ، فيأبَى رجاء افتتاحهَا ، فبعث ذاتَ يوم أخاه أبا عُيينة في أهل المِصريْن ، فأصعد في الجَبَل إليْهم ، وقد بعث الإصبهبذ إلى الدّيلم ، فاستجاشَ بهم ، فاقتتلوا ، فحازهم المسلمون ساعةً وكَشفوهم ، وخرج رأسُ الدّيلم يَسأل المُبارَزة ، فخرج

إليه ابن أبي سَبْرة فقتَله ، فكانت هزيمتُهم حتى انتهَى المسلمون إلى فَمِ الشِّعب؛ فذَهبَوا ليَصعَدوا فيه ، وأشرَف عليهم العدوّ ، يَرشُقونهم بالنشاب ، ويَرمُونَهم بالحِجارة ، فانهَزَم الناسُ من فَمِ الشِّعب من غير كبير قتال ولا قوّة من عدوّهم على اتباعهم وطلبِهم ، وأقبلوا يَركب بعضهم بعضاً ، حتى أخذوا يَتساقطون في اللُّهوب ، ويتَدهْدى الرجلُ من رأسِ الجبل حتى نزلوا إلى عسكر يزيد لا يَعبَؤون بالشرّ شيئاً .

وأقامَ يزيدُ بمكانِه على حالِه ، وأقبل الإصبهبذ يكاتب أهلَ جُرْجان ويسألهم أن يَثِبوا بأصحاب يزيد ، وأن يَقطعَوا عليه مادّته والطرق فيما بينَه وبين العرب ، ويَعِدهم أن يكافِئهم على ذلك ، فوَثَبوا بمن كان يزيد خلّف من المسلمين ، فقتلَوا منهم من قَدَروا عليه ، واجتمعَ بقيَّتهم فتحصّنوا في جانب ، فلم يزالوا فيه حتى خرج إليهم يزيد ، وأقام يزيدُ على الإصبهبذ في أرضه حتى صالَحه على سبعمئة ألف درهم وأربعمئة ألف نقداً ومئتي ألف وأربعمئة حمار موقرة زَعْفراناً ، وأربعمئة رَجُل ، على رأس كلّ رجل بُرْنُس ، على البُرْنس طَيْلَسان ولِجام من فضّة وسَرقة من حرير ، وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مئتي ألف درهم.

ثمّ خرجِ منها يزيدُ وأصحابُه كأنهم فَلّ ، ولولا ما صنعَ أهلُ جُرجانَ لم يَخرج من طبَرستان حتى يَفتحها[1] . (٦/ ٥٣٢ ـ ٥٣٥) .

قال عليّ: قال أبو بكر الهذليّ: كان شَهْر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب ، فرفعوا عليه أن أخذَ خَريطةً ، فسأله يزيدُ عنها ، فأتاه بها ، فدعا يزيدُ الذي رَفَع عليه فشَتَمه؛ وقال لشَهر: هي لك ، قال: لا حاجةَ لي فيها ، فقال القُطاميّ الكلبيّ ـ ويقال: سِنان بن مكمّل النّميريّ:

لقد بَاعَ شَهرٌ دِينَهُ بِخَريطَةٍ فمن يأْمَنُ القرّاءَ بعدَك يا شَهْرُ؟!
أخَذْتَ به شيئاً طَفِيفاً وبِعْتَهُ من ابن جونبوذ إنَّ هذا هو الغَدْرُ

وقال مرة النَّخْعيّ لشهْر:

يا بن المُهَلّب ما أَرَدتَ إلى امرئٍ لولاكَ كان كصالح القُرّاءِ

(٦/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩).

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

قال عليّ في حديثه ، عمّن ذكر خَبَر جُرْجان عنهم: وزاد فيه عليّ بن مجاهد، عن خالد بن صبيح أنّ يزيدَ بن المهلب لما صالح صولا طَمع في طَبرستان أن يفتَحها ، فاعتزَم على أن يسيرَ إليها ، فاستعمل عبدَ الله بن المعَمَر اليشكريّ على البياسان ودهسْتان ، وخلف معه أربعة آلاف ، ثم أقبل إلى أداني جُرْجان مما يلي طَبَرِستان ، واستعمَل على أندرِسْتان أسد بن عمرو ـ أو ابن عبد الله بن الرّبعة ـ وهي مما يلي طَبَرِسْتان وخَلّفه في أربعة آلاف ، ودخل يزيدُ بلادَ الإصبَهْبذ ، فأرسل إليه يسأله الصّلح .

وأن يَخرُج من طَبَرِسْتان ، فأبى يَزيدُ وَرَجا أن يفتَحها ، فوجَّه أخاه أبا عُيينة من وجه ، وخالدَ بن يزيد ابنه من وجـه ، وأبا الجَهْم الكلبيّ من وجه ، وقال: إذا اجتمعتم فأبو عُيينة على الناس ، فسار أبو عُيينة في أهل المِصْريْن ومعه هُرَيم بن أبي طحمة ، وقال يزيد لأبي عُيينة: شاوِرْ هُرَيماً فإنه ناصِح وأقام يزيد معسكراً .

قال: واستجاش الإصبهبذ بأهل جِيلانَ وأهل الدَّيْلم ، فأتَوْه فالتَقوا في سَند جبل ، فانهزَم المشركون ، وأتبعهم المسلمون حتى انتَهوا إلى فَم الشِّعب فدخله المسلمون ، فصَعد المشركون في الجَبَل ، وأتبعهم المسلمون ، فرماهم العدوّ بالنّشاب والحجارة ، فانهزَم أبو عُيينة والمسلمون ، فركب بعضُهم بعضاً يتساقطون من الجبل ، فلم يَثْبتُوا حتى انتهَوا إلى عسكر يزيدَ ، وكَفَّ العدوّ عن اتّباعهم ، وخافَهم الإصبهبذُ ، فكتب إلى المَرزبان ابن عمّ فَيروز بن قُول وهو بأقصى جُرْجان مما يلي البياسان: إنا قد قتلنا يزيد وأصحابه فاقتُلْ من في البياسان من العَرب ، فخرج إلى أهل البياسان والمسلمون غازُون في منازِلهم ، قد أجمَعوا على قتلِهم ، فقُتِلوا جميعاً في ليلة ، فأصبَح عبدُ الله بن المعمّر مقتولاً وأربعة آلاف من المسلمين لم يَنجُ منهم أحدٌ ، وقُتِل من بني العمّ خَمْسون رجلاً؛ قُتِل الحسينُ بنُ عبد الرحمن وإسماعيل بنَ إبراهيم بن شمّاس ، وكتَب إلى الإصبهبذ يأخذُ بالمَضايق والطرق .

وبلغ يزيدَ قتل عبد الله بن المَعمَّر وأصحابه ، فأعظَموا ذلك ، وهالَهم ، ففَزع يزيدُ إلى حيّان النَّبطيّ . وقال: لا يمنعْك ما كان منّي إليك من نصيحة المسلمين ، قد جاءنا عن جُرجان ما جاءنا ، وقد أخذ هذا بالطرق ، فأعمل في الصّلح؛ قال:

نعم ، فأتى حيّان الإصبهبذ فقال: أنا رجلٌ منكم ، وإن كان الدين قد فرّق بيني وبينكم ، فإني لكم ناصح ، وأنت أحبّ إليّ من يزيد ، وقد بعث يَستمدّ ، وأمدادهُ منه قريبة ، وإنما أصابوا منه طَرفاً ، ولستُ آمَن أن يأتيك ما لا تقومُ له ، فأرحْ نفسَك منه ، وصالحْه فإنك إن صالَحته صيَّر حدَّه على أهل جُرجْان ، بغدرهم وقتلهم مَن قتلوا ، فصالَحه على سبعمئة ألف ـ وقال عليّ بن مُجاهد: على خمسمئة ألف ـ وأربعمئة وقرْ زَعفران أو قيمته من العَينْ ، وأربعمئة رجل ، على رجل كل بُرْنس وطَيْلَسان ، ومع كلّ رجل جام فضّة وسَرَقة خَزّ وكِسوْة.

ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال: ابعث من يحَمل صُلحهم الذي صالحتُهم عليه ، قال: من عندهم أو من عندنا؟ قال: من عندهم. وكان يزيدُ قد طابتْ نفسُه على أن يُطيعهم ما سألوا ، ويَرجع إلى جُرجْان فأرسَل يزيدُ من يَحمل ما صالحَهم عليه حيّان ، وانصرف إلى جُرجْان وكان يزيدُ قد غرّم حيّاناً مئتي ألف ، فخاف ألاّ يُناصِحه.

والسبب الذي له أغرم حيّان فيه ما حدَّثني عليّ بن مجاهد ، عن خالد بن صبيح ، قال: كنتُ مؤدباً لولَد حيّان ، فدعاني فقال لي: اكتبْ كتاباً إلى مَخلَد بن يزيد ـ ومَخلدَ يومئذ ببَلْخَ ، ويزيدُ بمَرْو ـ فتناولتُ القِرطْاس فقال: اكتب: مِنْ حَيّانَ مولى مصقلة إلى مخلد بن يزيدَ ، فغمزني مُقاتل بن حيان ألاّ تكتُب ، وأقبلَ على أبيه فقال: يا أبتِ تَكتُب إلى مخلَد وتَبدأ بنفسك! قال: نَعَم يا بنيّ ، فإن لم يَرضَ لقي ما لقي قتيبة. ثمّ قال لي: اكتُب ، فكتبتُ ، فبعَثَ مخلَد بكتابه إلى أبيه ، فأغرم يزيدُ حيّان مئتي ألف دِرهَم. (٦/ ٥٣٩ ـ ٥٤١).

فتح جرجان

وفي هذه السنة فَتَح يزيُد جُرجْان الفتحَ الآخر بعد غدرِهم بجُنده ونقضهِم العَهْد ، قال عليّ: عن الرّهط الذين ذكَر أنهم حَدّثوه بخبر جُرجْان وطَبَرِستان: ثمّ إنّ يزيد لما صالح أهل طَبَرِستانَ قَصَد لجرْجان ، فأعطى الله عَهْداً؛ لئن ظَفِر بهم ألاّ يقْلِع عنهم ، ولا يرَفع عنهم السيفَ حتى يطحن بدمائهم ، ويختبزَ من ذلك الطحينِ ، ويأكل منه ، فلما بلغ المَرزْبانَ انه قد صالح الإصبهبذ وتوجه إلى جُرجانَ ، جَمعَ أصحابَه وأتى وجاه ، فتحصّن فيها ، وصاحبها لا يحتاج إلى عُدّة

من طعام ولا شَراب. وأقبل يزيدُ حتى نَزل عليها وهم متحصّنون فيها ، وحولها غياض فليس يُعرف لها إلا طريق واحد ، فأقام بذلك سبعة أشهر لا يقدر منهم على شيء ، ولا يَعرِف لهم مَأتى إلا مِن وجه واحد ، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونه ويرجعون إلى حِصْنهم ، فَبيْناهُم على ذلك إذْ خرج رجلٌ من عَجم خُراسانَ كان مع يزيد يتصّيدُ ومعه شاكريّةٌ له. (٦/ ٥٤١ ـ ٥٤٢).

وقال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف: فخَرَج رجل من عسكره من طيّئ يتصيّد ، فأبصَر وَعلاً يَرقى في الجَبَل ، فاتّبعه ، وقال لمن معه: قفوا مَكانكم ، ووقَل في الجَبَل ، يقتصّ الأثر ، فما شَعر بشيء حتى هَجَم على عسكرهم ، فرجع يريد أصحابه ، فخاف ألاّ يهتديَ ، فجعل يُخرّق قبَاءه ويَعقد على الشجر علامات حتى وَصَل إلى أصحابه ، ثم رجع إلى العسكر. ويقال: إنّ الذي كان يتصيد الهيّاج بن عبد الرحمن الأزديّ من أهل طُوس ، وكانَ منْهوماً بالصيّد ، فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن أينم الواشجيّ صاحب شرْطة يَزيد ، فمَنعوه من الدّخول ، فصاح: إنّ عندي نَصيحة[1]. (٦/ ٥٤٢).

وقال هِشام عن أبي مخنف: جاء حتى رَفعَ ذلك إلى ابني زَحْر بن قيس ، فانطلق به ابنا زَحْر حتى أدخلاه على يزيد ، فأعلمَه ، فضَمن له بضمان الجُهنيّة ـ أمّ ولد كانت ليزيد ـ على شيء قد سمّاه[2]. (٦/ ٥٤٢).

وقال عليّ بن محمد في حديثه عن أصحابه: فدعا به يزيد فقال: ما عندَك؟ قال: أتريد أن تدخل وجاه بغير قتال؟ قال: نعم ، قال: جعَالتي؟ قال: احتَكمْ ، قال: أربعة آلاف؛ قال: لك دِيَة ، قال: عَجّلوا لي أربعة آلاف ، ثم أنتم بعدُ من وراء الإحسان. فأمَر له بأربعة آلاف ، ونَدَب الناس ، فانتدب ألف وأربعمئة ، فقال: الطريق لا يَحمِل هذه الجماعة لالتفاف الغياض ، فاختار منهم ثلاثمئة ، فوجّههم ، واستعمل عليهم جَهْم بن زَحْر. (٦/ ٥٤٢).

وقال بعضهم: استعملَ عليهم ابنه خالد بن يزيد ، وقال له: إن غُلبتَ على الحياة فلا تُغلَبنَّ على الموت ، وإياك أن أراكَ عندي منهزِماً ، وضمّ إليه جَهْم بن

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

(٢) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

زَحْر ، وقال يزيد للرجل الذي ندَب الناسَ معه : متَى تَصلُ إليهم؟ قال : غداً عند العَصْر فيما بين الصّلاتين ، قال : امضُوا على بركة الله؛ فإني سأجهَد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر ، فساروا ، فلما قارب انتصاف النهار من غدٍ أمَر يزيدُ الناس أن يُشعِلوا النارَ في حَطَب كان جمعَه في حِصارِه إياهم ، فصيّره آكاماً ، فأضرَموه ناراً؛ فلم تَزُل الشمس حتى صارَ حولَ عسكره أمثال الجبال ، من النيران ، ونَظَر العدوّ إلى النار ، فهالَهم ما رأوا من كَثْرتها ، فخرجوا إليهم ، وأمَرَ يزيدُ الناسُ حين زالت الشمس فصلّوْا ، فجمعوا بين الصّلاتين ، ثمّ زحَفوا إليهم فاقتَتَلوا وسار الآخرون بقيّةَ يومهم والغد ، فهَجَموا على عسكر الترك قُبَيْل العَصْر ، وهم آمِنون من ذلك الوجه ، ويزيدُ يُقاتِل من هذا الوجه ، فما شَعروا إلا بالتكبير من ورائهم ، فانقطَعوا جميعاً إلى حِصْنهم ، ورَكِبهُم المسلمون ، فأعطَوْا بأيديهم ، ونَـزَلوا على حُكْم يزيدَ ، فسبي ذراريّهم ، وقتّل مقاتِلتَهم ، وصلبهم فَرْسَخين عن يمين الطريق ويسارِه ، وقاد منهم اثني عشرَ ألفاً إلى الأندرهز ـ وادي جرْجان ـ وقال : مَنْ طلبهم بثأر فليقتُل ، فكان الرجلُ من المسلمين يَقتلُ الأربعة والخمسَة في الوادي ، وأجرِي الماء في الوادي على الدّم ، وعليه أرحاء ليطحَن بدمائهم ، ولتبرّ يمينُه ، فطَحَن واختَبَز وأكَل وبَنَى مدينةَ جُرْجان ، وقال بعضهم : قَتَل يزيدُ من أهل جُرجان أربعين ألفاً ، ولم تكن قبلَ ذلك مدينة ورَجع إلى خُراسان واستعمَل على جُرجانَ جَهْم بن زَحْر الجعفيّ[1] . (٦/ ٥٤٣).

وأمّا هشام بنُ محمد فإنه ذكَر عن أبي مخنَف أنه قال : دعا يزيد جهمَ بن زَحْر فبعث معه أربعمئة رجل حتى أخذوا في المكان الذي دُلّوا عليه وقد أمَرَهم يزيدُ فقال : إذا وصَلْتم إلى المدينة فانتَظِروا ، حتى إذا كان في السَّحر فكَبِّروا ، ثم انطلِقوا نحوَ باب المدينة ، فإنكم تجدوني وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها؛ فلما دخل ابن زَحْر المدينةَ أمهل حتى إذا كانت الساعةُ التي أمره يزيدُ أن يَنهضَ

(١) فيه نكارة، إضافة إلى وجود مجاهيل في إسناد هذه الرواية فإنه لحكمة ما لم يعتد أئمة الحديث برواية الرجل الذي لم يوثقه سوى ابن حبان ولولا أن العلماء تساهلوا في رواية التاريخ لما ذكرنا رواية هؤلاء في قسم الصحيح ، ومع ذلك فإننا قد ضربنا بعرض الحائط كل رواية من طريق رواة هذا إذا كان لهم في المتن نكارة ، وأية نكارة أشد من هذا الذي ذكره الطبري هنا عن شيوخ المدائني ؟! فكيف يختبز المسلمون عن دماء سفحت والدم المسفوح حرام؟

فيها مَشَى بأصحابه ، فأخذَ لا يَستقبل من أحراسِهم أحداً ، إلا قتلَه ، وكَبَّر ، ففزِع أهلُ المدينة فَزَعاً لم يَدخُلهم مِثلُه قطّ فيما مضى ، فلم يَرعهم ، إلا والمسلمون معهم في مَدينتهم يكبّرون فدُهِشوا ، فألقَى اللهُ في قلوبهم الرّعب ، وأقبَلوا لا يَدْرون أي يتوجّهون! غيرَ أنّ عِصابةً منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جَهْم بن زَحْـر ، فقَاتَلوا ساعـةً ، فدُقّت يدُ جَهْم ، وصبر لهم هو وأصحابُـه ، فلم يُلبثوهم أنّ قتلوهم إلا قليلاً ، وسمع يزيدُ بنُ المهلب التكبيرَ ، فوَثَب في الناس إلى الباب ، فوجدوهم قد شَغلَهم جَهْم بن زَحْر عن الباب ، فلَم يجدْ عليه من يمنعُه ولا مَن يَدفَع عنه كبير دَفع ، ففتَح الباب ودخَلَها من ساعته ، فأخرَج من كان فيها من المُقاتِلة ، فنَصب لهم الجُذوعَ فَرْسَخين عن يمين الطريق ويسارِه ، فصَلَبهم أربعةَ فراسخ ، وسَبَى أهلَها ، وأصاب ما كان فيها[1]. (٦/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤).

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة توفّي أيوب بنُ سليمانَ بن عبد الملك ، فحدّثت عن عليّ بن محمد ، قال: حدثنا عليّ بن مجاهد ، عن شيخٍ من أهل الرّيّ أدرَكَ يزيدَ ، قال: أتَى يزيدُ بن المهلب الرّي حين فَرَغ من جُرْجانَ ، فبلغه وفاةُ أيوب بن سليمان وهو يسيرُ في باغ أبي صالح على بابِ الرّي ، فارتجز راجزٌ بين يَدْيه ، فقال:

إن يَـــك أَيّـــوبُ مَضَـــى لشـــانِـــهِ ... فـــإِنَّ داودَ لفِـــي مَكـــانِـــهِ

يقيمُ ما قدْ زَال مِنْ سُلْطَانِهِ (٦/ ٥٤٥)

ثم دخلت سنة تسع وتسعين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

وفاة سليمان بن عبد الملك

وقال عليّ: قال المفضَّل بنُ المهلَّب: دخلتُ على سليمانَ بدابِقَ يومَ جمعة ، فدعا بثياب فلبسها ، فلم تعجبه ، فدعا بغيرها بثياب خُضْر سُوسيّة بَعَث بها يزيدُ بن المهلب ، فلبسها واعتمّ وقال: يا بن المهلَّب ، أعجبتْك؟ قلتُ: نعَم ،

---

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

فحَسَر عن ذراعَيه ثمّ قال: أنا المَلِك الفتِيّ، فصلّى الجُمعة، ثمّ لم يُجمّع بعدَها، وكتب وصِيّته، ودَعا ابنَ أبي نُعَيم صاحب الخاتَم فختَمه. (٦/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧).

قال عليّ: قال بعضُ أهل العِلم: إن سليمانَ لبس يوماً حُلة خضراء وعمامةً خضراء ونظَرَ في المرآة فقال: أنا المَلِك الفتِيّ، فما عاشَ بعد ذلك إلا أسبوعاً. (٦/ ٥٤٧).

قال علي: وحدّثنا سُحَيم بن حَفْص، قال: نظرتْ إلى سليمانَ جاريةٌ له يوماً، فقال: ما تنظرين؟ فقالت:

أنتَ خَيرُ المَتَاعِ لو كنتَ تبْقَى ... غيرَ أنْ لا بَقَاء للإنسَانِ
لَيسَ فيما عَلمْتُهُ فيكَ عَيبٌ ... كانَ في الناس غيرَ أنَّكَ فانِ

فنَفَض عمامتَه. (٦/ ٥٤٧).

قال عليّ: كان قاضِي سليمانَ سليمانُ بنُ حَبيب المحاربيّ، وكان ابن أبي عُيَيْنة يُقصّ عندَه. (٦/ ٥٤٧).

وحُدّثْتُ عن أبي عُبيدة، عن رُؤْبة بن العَجاج، قال: حجّ سليمان بنُ عبد الملك، وحجّ الشعراء معه، وحججتُ معهم، فلما كان بالمدينة راجعاً تَلَقّوه بنحو من أربعمئة أسير من الرّوم، فقَعد سليمانُ، وأقرَبُهم منه مَجلساً عبدُ الله بن الحسَن بن الحسَن بن عليّ بن أبي طالب صَلَوات الله عليهم، فقُدّمَ بِطْريقُهم فقال: يا عبدَ الله، اضرب عنُقه، فقام فما أعطاه أحدٌ سَيْفاً حتى دَفع إليه حَرسيّ سيْفه فضَرَبه فأبانَ الرأسَ، وأطنّ الساعد، وبعض الغُلّ، فقال سليمان: أما والله ما من جودة السيف جادَت الضّربة، ولكن لحَسَبه، وجَعل يَدْفع البقيّة إلى الوجوه وإلى الناس يقتلونهم حتى دَفَع إلى جرير رجُلاً منهم، فدسّت إليه بنو عَبْس سَيْفاً في قِراب أبيَض، فضَرَبه فأبانَ رأسَه، ودُفِع إلى الفَرَزْدق أسيرٌ فلم يَجد سَيفاً، فدَسّوا له سَيْفاً ددانا مثنيّاً لا يَقطع فضرَب به الأسير ضَرَبات، فلم يَصنع شيئاً، فضَحِك سليمانُ والقَوْم، وشَمِت بالفرزَدق بنو عَبْس أخوال سليمانَ، فألقَى السيفَ وأنشأ يقول، ويعتذر إلى سليمانَ، ويأتسى بنُبُوّ سَيف وَرْقاءَ عن رأسِ خالد:

إن يـكُ سيـفٌ خَـانَ أوْ قَـدرٌ أتـى ... بتـأْخيـر نفـسٍ حَتْفُهـا غيـرُ شـاهـدِ
فسيفُ بني عبسٍ وقد ضَربوا به ... نَبَا بِيـدَيْ ورقـاءَ عـن رأسِ خـالـد
كـذاك سُيُـوفُ الهنـد تَنْبُـو ظُبَـاتها ... وتَقطَـعُ أحيـانـاً مَنـاط القـلائـدِ[1]

وورقاء هو وَرْقاء بن زُهَير بن جَذيمة العَبْسيّ، ضربَ خالدَ بنَ جَعْفر بنِ كلاب، وخالد مُكِبٌّ على أبيه زُهَير، قد ضَرَبه بالسَّيف وصَرَعه، فأقبَل وَرْقاء بنُ زهير فَضرَب خالداً، فلم يَصنَع شيئاً، فقال ورقاء بنُ زُهير:

رأيـتُ زهيـراً تحـت كَلْكَـلِ خـالـدٍ ... فـأقبلـتُ أَسعَـى كـالعَجُـولِ أُبـادِرُ
فشُلَّـت يمينـي يـومَ أضـرِبُ خـالـداً ... ويُحْصِنُـهُ مِنِّـي الحـديـدُ المظـاهـرُ

وقال الفِرْزَدق في مُقامِه ذلك:

أَيَعْجَبُ النّاسُ أَنْ أَضحَكتُ خَيْرَهُمُ ... خليفـةَ اللهِ يُسْتَسْقَـى بـه المطـرُ
فما نَبَا السيفُ عن جُبْنٍ ولا دَهَش ... عنـد الإمـام ولكـن أَخَّـرَ القَـدَرُ
ولـو ضـربْـتُ علـى عمـرٍو مُقَلَّـدَهُ ... لخَـرَّ جُثْمـانُـهُ مـا فـوقـه شَعَـرُ
ومـا يُعَجِّـلُ نفسـاً قبـلَ مِيتَتِهَـا ... جمعُ اليدين ولا الصَّمْصَامةُ الذَّكَرُ

وقال جرير في ذلك:

بسيـفِ أبي رَغـوَانَ سيـفِ مجاشعٍ ... ضربْتَ ولم تضرب بسيف ابن ظالِم
ضـربـتَ بـه عنـد الإمـام فـأرْعِشَـتْ ... يداك، وقالوا مُحدَثٌ غيرُ صارِمِ

(٦/ ٥٤٧ ـ ٥٤٩).

ثم دخلت سنة مئة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الخارجة التي خرجتْ على عمرَ بن عبد العزيز بالعراق.

* ذكر الخبر عن أمرهم:

ذكر محمد بن عمرَ أنّ ابن أبي الزّناد حدّثه، قال: خرجتْ حَرُوريّة بالعراق،

---

(١) قلنا: في إسناده رؤبة بن العجاج، قال ابن القطان: دع رؤبة العجاج. وضعفه غير واحد. الضعفاء والمتروكين (١/ ٢٧٧) لابن الجوزي وللعقيلي (٢/ ٦٤) ولقد أبهم الطبري اسم الوسيط بينه وبين رؤبة.

فكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرّحمن بن زيد بن الخطّاب عامل العِراق يأمره أن يدعوهم إلى العَمَل بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ ، فلما أعذَر في دعائهم بعث إليهم عبدُ الحميد جيشاً فهزمتْهم الحروريّة ، فبلغ عمر ، فبعث إليهم مَسلَمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهّزهم من الرّقة ، وكتب إلى عبد الحميد: قد بلغني ما فعلَ جيشك جيشُ السوء ، وقد بعثتُ مَسلَمة بنَ عبد الملك ، فخلِّ بينه وبينهم ، فلقيهم مسلَمة في أهل الشام ، فلم يَنْشَب أن أظهره الله عليهم. (٦/ ٥٥٥).

خبر خروج شوذب الخارجي

وذكر أبو عُبيدةَ مَعمَر بن المثنى أنّ الذي خرج على عبد الحميد بن عبد الرّحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شَوْذَب ـ واسمه بِسطام من بني يَشكُر ـ فكان مُخرَجه بجوْخَى في ثمانين فارساً أكثرُهم من ربيعة ، فكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عبد الحميد؛ ألاّ تحرّكهم إلا أن يسفكوا دماً ، أو يُفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا فحُلْ بينهم وبين ذلك ، وانظر رجلاً صَليباً حازماً فوجِّهْه إليهم ، ووجّه معه جنداً ، وأوصِه بما أمرتك به ، فعقد عبدُ الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البَجَليّ في ألفيْن من أهل الكوفة ، وأمره بما أمره به عمر ، وكتب عمر إلى بِسْطام يدعوه ويسأله عن مُخرَجه ، فقدم كتاب عمرَ عليه ، وقد قدم عليه محمد بن جرير ، فقام بإزائه لا يحرّكه ولا يهيّجه ، فكان في كتاب عمر إليه: إنه بلغني أنك خرجتَ غضَبا لله ولنبيّه ، ولستَ بأولى بذلك منّي ، فهلمّ أناظرْك فإن كان الحقّ بأيدينا دخَلْتَ فيما دخل فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرْنا في أمرنا ، فلم يحرّك بسطام شيئاً ، وكتب إلى عمر: قد أنصفت ، وقد بعثتُ إليك رجلين يُدارِسانك ويناظرانِك ـ قال أبو عُبيدة: أحد الرّجلين اللذَين بعثهما شوذَب إلى عمر مَمْزوج مولَى بني شيبان ، والآخر من صليبة بني يَشكُر ـ قال: فيقال: أرسل نَفَراً فيهم هذان ، فأرسل إليهم عمر: أن اختاروا رجلين؛ فاختاروهما ، فدخَلاَ عليه فناظَراه ، فقالا له: أخبِرْنا عن يزيد لِمَ تُقرّه خليفةً بعدَك؟ قال: صيّره غيري؛ قالا: أفرأيت لو وَليت مالاً لغيرك ثمّ وكّلته إلى غير مأمون عليه ، أتُراك كنتَ أدّيت الأمانة إلى من ائتمنَك! قال: فقال: أنظِراني

ثلاثاً ، فخرجا من عنده ، وخاف بنو مروان أن يُخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال وأن يَخلَع يزيدَ ، فدسوا إليه مَنْ سقاه سُمّاً ، فلم يَلبثْ بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثاً حتى مات. (٦/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦).

وفي هذه السنة أغزَى عمرُ بن عبد العزيز الوليدَ بن هشام المُعَيْطي وعمرَو بن قيس الكِنديّ من أهل حِمص الصائفةَ.

وفيها شخَصَ عمرُ بن هُبيرة الفَزاريّ إلى الجزيرة عاملاً لعمرَ عليها. (٦/ ٥٥٦).

خبر القبض على يزيد بن المهلب

ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه.

اختلف أهل السير في ذلك ، فأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنَف أنّ عمر بن عبد العزيز لما جاء يزيدُ بن المهلب فنزل واسطاً ، ثم ركب السفن يريد البَصْرة ، بعث عديّ بن أرطاة إلى البصرة أميراً ، فبعث عديٌّ موسى بن الوجيه الحميريّ ، فلحقه في نهر مَعقِل عند الجِسر ، جِسر البَصرة فأوثَقه ، ثمّ بعث به إلى عمر بن عبد العزيز ، فقَدِم به عليه موسى بن الوجيه ، فدعا به عمر بن عبد العزيز ـ وقد كان عمر يَبغَض يزيدَ وأهل بيته ، ويقول: هؤلاء جَبابرة ، ولا أحبّ مِثلَهم ، وكان يزيد بن المهلب يَبغَض عمرَ ويقول: إني لأظنه مرائياً ، فلما ولي عمر عرف يزيدُ أن عمرَ كان من الرّياء بعيداً ، ولما دعا عمر يزيد سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال: كنتُ من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبتُ إلى سليمانَ لأسمّع الناسَ به ، وقد علمتُ أن سليمان لم يكن ليأخذَني بشيء سمعت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال له: ما أجد في أمرك إلا حبسَك ، فاتّق الله وأدّ ما قِبَلك ، فإنها حقوقُ المسلمين ، ولا يَسَعُني تَركُها ، فَردّه إلى محبِسه وبعث إلى الجرّاح بن عبد الله الحَكمي فسرّحه إلى خُراسان ، وأقبل مخلد بن يزيدَ من خُراسان يُعطي الناسَ ، ولا يمرّ بكُورة إلا أعطاهم فيها أموالاً عظاماً ، ثمّ خرج حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه فحمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ الله يا أمير المؤمنين صَنَع لهذه الأمة بولايتك عليها ، وقد ابتُلينا بك ، فلا تكن أشقَى الناس

بولايتك ، عَلَامَ تَحبس هذا الشيخَ! أنا أتحمل ما عليه ، فصالحني على ما إياه تسأل ، فقال عمر: لا ، إلا أن تحمل جميعَ ما نسألُه إيّاه ، فقال: يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك بيّنة فخذْ بها ، وإن لم تكن بيّنة فصدّق مقالَة يزيد ، وإلا فاستحْلِفه ، فإن لم يفعل فصالحه ، فقال له عمر: ما أَجِد إلا أخذَه بجميع المال ، فلما خرج مخلَد قال: هذا خيرٌ عندي من أبيه ، فلم يَلبَث مخلد إلا قليلاً حتى مات ، فلما أبى يزيد أن يؤدّيَ إلى عمرَ شيئاً ألبسه جُبّةً من صوف ، وحمَله على جمَل ، ثمّ قال: سيروا به إلى دَهْلَك ، فلما أخرج فمُرَّ به على الناس أخذ يقول: مالي عشيرة ، مالي يُذهب بي إلى دَهْلَك! إنما يُذهَب إلى دَهْلَك بالفاسق المُريب الخارب ، سبحان الله! أما لي عشيرة! فدخل على عمر سلامة بن نعيم الخوْلانيّ ، فقال: يا أمير المؤمنين ، ارْدُدْ يزيد إلى محبسه؛ فإني أخاف إن أمضيتَه أن ينتزعه قومه؛ فإني قد رأيتُ قومَه غَضِبوا له ، فردّه إلى محبسه ، فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر[1]. (٦/ ٥٥٦ ـ ٥٥٨).

وأما غير أبي مخنف فإنه قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عديّ بن أرطاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب ، ودفعه إلى مَنْ بعين التمر من الجند ، فوجّهه عديّ بن أرطاة مع وكيع بن حسان بن أبي سُود التميميّ مغلولاً مقيّداً في سفينة ، فلما انتهى به إلى نِهر أبان ، عرض لوكيع ناس من الأزد لينتزعوه منه ، فوثب وكيع فانتضى سيفه ، وقطع قَلْس السفينة ، وأخذ سيف يزيد بن المهلب ، وحلَف بطَلاق امرأته ليضربنّ عنقه إن لم يتفرقوا ، فناداهم يزيد بن المهلب ، فأعلمهم يمين وكيع ، فتفرّقوا ، ومضى به حتى سلّمه إلى الجند الذين بعيْن التّمر ، ورجع وكيع إلى عديّ بن أرطاة ، ومضى الجند الذين بعين التّمْر بيزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز ، فحبسه في السجن. (٦/ ٥٥٨).

عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجرّاح بن عبد الله عن خراسان ، وولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيريّ ، فكانت ولاية الجرّاح

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

بخراسان سنة وخمسة أشهر ، قدمها سنة تسع وتسعين ، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مئة .

* ذكر سبب عزل عمر إياه :

وكان سبب ذلك ـ فيما ذكر عليّ بن محمد عن كليب بن خلف ، عن إدريس بن حنظلة ، والمفضّل عن جدّه ، وعليّ بن مجاهد عن خالد بن عبد العزيز ؛ أن يزيد بن المهلب ولّى جَهْم بن زَحْر جُرجان حين شخص عنها ، فلما كان من أمر يزيد ما كان وجّه عامل العراق من العراق والياً على جرجان ، فقدم الوالي عليها من العراق ، فأخذه جَهْم فقيّده وقيّد رهطاً قدموا معه ، ثم خرج في خمسين من اليمن يريد الجرّاح بخراسان ، فأطلق أهل جُرجان عاملَهم ، فقال الجراح لجهم : لولا أنك ابنُ عمِّي لم أسوّغك هذا ، فقال له جَهْم : ولولا أنك ابنُ عمي لم آتِك ـ وكان جهم سِلْف الجراح من قِبَل ابنتي حصين بن الحارث وابن عمّه ، لأنّ الحكم وجعفيّ ابنا سعد ـ فقال له الجرّاح : خالفتَ إمامك ، وخرجت عاصياً ، فاغزُ لعلك أن تظفر ، فيصلح أمرك عند خليفتك ، فوجّهه إلى الخُتَّل ، فخرج ، فلما قرب منهم سار متنكِّراً في ثلاثة ، وخلَّف في عسكره ، ابن عمّه القاسم بن حبيب ـ وهو خَتَنُه على ابنته أمّ الأسود ـ حتى دخل على صاحب الخُتَّل فقال له : أخْلني ، فأخلاه ، فاعتزى ، فنزل صاحب الخُتّل عن سريره وأعطاه حاجته ـ ويقولون : الخُتل موالي النعمان ـ وأصاب مغنماً ؛ فكتب الجرّاح إلى عمر : وأوفد وفداً ؛ رجلين من العرب ، ورجلاً من الموالي من بني ضَبَّة ، ويكنى أبا الصيداء واسمه صالح بن طريف ، كان فاضلاً في دينه ، وقال بعضهم : المولى سعيد أخو خالد أو يزيد النحويّ ، فتكلّم العربيان والآخر جالس ، فقال له عمرُ : أما أنت من الوفد؟ قال : بلى ، قال : فما يمنعك من الكلام! قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفاً من الموالي يَغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذّمة يُؤخذون بالخراج ، وأميرنا عصبيّ جافٍ يقوم على منبرنا ، فيقول : أتيتكم حفيّاً ، وأنا اليوم عصبيّ! والله لرجلٌ من قومي أحبّ إليّ من مئة من غيرهم ، وبلغ من جفائه أنّ كُمّ درعه يبلغ نصف درعه ، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والعدوان ، فقال عمر : إذاً مثلك فليوفَد.

وكتب عمر إلى الجرّاح : انظر مَنْ صلّى قِبلَك إلى القبلة ، فضع عنه الجزية ،

فسارع الناس إلى الإسلام ، فقيل للجرّاح : إنّ الناس قد سارعوا إلى الإسلام ، وإنما ذلك نفوراً من الجزية ؛ فامتحنهم بالخِتَان .

فكتب الجرّاح بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إن الله بعث محمداً ﷺ داعياً ولم يبعثه خاتناً ، وقال عمر : ابغوني رجلاً صدوقاً ، أسأله عن خراسان ، فقيل له : قد وجدتَه ، عليك بأبي مِجْلَز ، فكتب إلى الجرّاح : أن أقبل واحمل أبا مجْلز وخلّف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نُعَيم الغامديّ ، وعلى جزيتها عبيد الله ـ أو عبد الله ـ بن حبيب .

فخطب الجرّاح فقال : يا أهل خراسان ، جئتكم في ثيابي هذه التي عليّ وعلى فرسي ، لم أصب من مالكم إلا حلية سيفي ، ولم يكن عنده إلا فرس قد شاب وجهه ، وبغلة قد شاب وجهها ؛ فخرج في شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم ، فلما قدم قال له عمر : متى خرجت؟ قال : في شهر رمضان ، قال : قد صدق مَن وَصَفك بالجفاء ، هلاّ أقمت حتى تُفْطِرَ ثمّ تخرج! وكان الجرّاح يقول : أنا والله عصبيّ عقبيّ ـ يريد من العصبيّة .

وكان الجرّاح لما قدم خراسان كتب إلى عمر : إني قدمت خراسان فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة فهم يَنزُون فيها نزواً ، أحبّ الأمور إليهم أن تعود ليمنعوا حقّ الله عليهم ، فليس يكفهم إلا السيف والسوط ، وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك فكتب إليه عمر :

يابن أمّ الجرّاح ، أنت أحرصُ على الفتنة منهم ، لا تضربنّ مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلاّ في حقّ ، واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يَعْلم خائنة الأعيُنِ وما تخْفي الصُدور ، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

ولما أراد الجرّاح الشخوص من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفاً وقال بعضهم : عشرة آلاف من بيت المال ، وقال : هي عليّ سلفاً حتى أؤديها إلى الخليفة ، فقدم على عمر ، فقال له عمر : متى خرجت؟ قال : لأيام بقِين من شهر رمضان ، وعليّ دين فاقضِه ؛ قال : لو أقمت حتى تفطِر ثم خرجت قضيت عنك ، فأدى عنه قومه في أعطياتهم[1] . (٦/ ٥٥٨ ـ ٥٦٠) .

---

(١) قلنا : هذا الخبر الطويل رواه الطبري من طريق المدائني وإن لم يذكر الطبري الواسطة بينه =

ثم دخلت سنة إحدى ومئة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
خبر هرب يزيد بن المهلب من سجنه

* ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه:

ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنَف، أن عمر بن عبد العزيز لما كُلِّم في يزيد بن المهلب حين أراد نفيَه إلى دَهْلك، وقيل له: إنا نخشى أن ينتزعه قومه، ردّه إلى محبسه، فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر، فأخذ يعمل بعد في الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك، لأنه كان قد عذّب أصهاره آل أبي عُقَيْل ـ كانت أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف أخِي الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك، فولدت له الوليد بن يزيد المقتول ـ فكان يزيد بن

= وبين المدائني فإننا قد اعتبرنا قوله (ذكر المدائني) غير منقطع لأنه درس مرويات المدائني واطلع على ما كتبه من طريق ابن شبة وغيره من أئمة التاريخ وإن كنا من قبل نعده انقطاعاً فإننا اضطررنا إلى هذه الليونة وإلاّ تركنا فجوات كبيرة في التاريخ الإسلامي ومع ذلك فإننا لم نتنازل عن منهجنا في عدم قبول هذه الروايات وبهذه الأسانيد إن وجدنا نكارة فيها أو طعناً في عدالة الصحابة أو تزويراً للحقائق التاريخية، والله أعلم.

والمدائني بدوره روى الخبر بإسناد مركب من طريق شيوخه الثلاثة وبأسانيد لا تخلو من مجهول الحال أو ضعيف أو متروك ومتنها لا يخلو من نكارة كالآتي:

في المتن تناقض واضح فكيف يوصف الجراح بن عبد الله بأنه عمل بالظلم والعدوان في منتصف الرواية، ثم يذكر بعد ذلك بأسطر بأنه لم يصب شيئاً من أموال الناس وخرج منهم بسيفه وفرسه ثم إن الرواية تذكر أنه جاف مع الرعية وأن عشرين ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج وهذا يخالف ما ذكرته الروايات الصحيحة وما ذكره أئمة التاريخ المتقدمين والمتأخرين من أن الجراح كان رجلاً صالحاً عابداً، محباً للجهاد والموت في سبيل الله في ساحة المعركة وأن العباد في جميع البلاد قد حزنوا على موته؟

كما سنذكر كل ذلك ضمن أحداث سنة (١١٢ هـ) عند الحديث عن مقتله.

فكيف يحزن العباد في جميع البلاد على موت رجل جاف ظالم؟!

ألا إن هذا من افتراء المتروكين الكذابين من أمثال علي بن مجاهد الكابلي وغيره والله تعالى أعلم، والحمد لله على نعمة الإسناد.

عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعنّ منه طابقاً فكان يخشى ذلك ، فبعث يزيد بن المهلب إلى مواليه ، فأعدّوا له إبلاً ؛ وكان مرض عمر في دَيْر سَمْعان ، فلما اشتدّ مرض عمر أمر بإبله ، فأُتيَ بها ، فلما تبيّن له أنه قد ثَقُل نزل من محبسه ، فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه؛ فلم يجدهم جاؤوا فجَزِع أصحابه وضجروا ، فقال لأصحابه: أترَوْنني أرجع إلى السجن! لا والله لا أرجع إليه أبداً ، ثم إن الإبل جاءت ، فاحتمل ، فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات بن معاوية العامرية من بني البكّاء في شقّ المحمل ، فمضى .

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني والله لو علمتُ أنك تبقى ما خرجتُ من محبسي ؛ ولكني لم آمن يزيدَ بن عبد الملك ، فقال عمرُ: اللهمّ إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شرّاً فاكفهم شرّه ، واردد كيده في نحره ، ومضى يزيد بن المهلب حتى مرّ بحدث الزّقاق ، وفيه الهذيل بن زُفر معه قيس ، فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مرّ بهم ، فأصابوا طَرَفاً من ثَقَله وغِلمة من وصفائه ، فأرسل الهذيل بن زُفير في آثارهم ، فردَّهم فقال: ما تطلبون؟ أخبروني ، أتطلبون يزيد بن المهلّب أو أحداً من قومه بتَبْل؟ فقالوا: لا ، قال: فما تريدون؟ إنما هو رجل كان في إسار ، فخاف على نفسه فهرب[1] . (٦/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥) .

وزعم الواقديّ أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر .

خبر وفاة عمر بن عبد العزيز

وقال بعضهم: كان له أربعون سنة :

وقال هشام: توفى عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر ، وكان يكنى أبا حفص ، وله يقول عُويف القوافِي ، وقد حضره في جنازة شهدها معه :

أجِبْنِي أَبا حفصٍ لَقِيتَ محمَّداً ... على حَوْضِهِ مُسْتَبْشِراً ورآكَا
فأَنت امْرُؤٌ كِلتَا يديك مُفِيدَةٌ ... شمالكَ خيرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَا

(١) في إسنادها لوط بن يحيى التالف الهالك.

وأمّه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان يقال له: أشجّ بني أمية ، وذلك أن دابة من دوابّ أبيه كانت شجّته فقيل له: أشجّ بني أميّة. (٦/ ٥٦٦).

حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: أخبرنا سليمان بن حرب ، قال: حدّثنا المبارك بن فضالة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال: كنتُ أسمع ابن عمر كثيراً يقول: ليت شعري مَنْ هذا الذي مِنْ ولد عمر ، في وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلاً! (٦/ ٥٦٦).

وحُدّثت عن منصور بن أبي مزاحم ، قال: حدّثنا مروان بن شجاع ، عن سالم الأفطس ، أن عمر بن عبد العزيز رمحته دابة وهو غلام بدمشق ، فأتِيتْ به أمه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فضَمَّتْه إليها ، وجعلت تمسح الدم عن وجهه ، ودخل أبوه عليها على تلك الحال ، فأقبلت عليه تعذُله وتلومه ، وتقول: ضيَّعت ابني ، ولم تضمّ إليه خادماً ولا حاضناً يحفظه من مثل هذا! فقال لها: اسكتي يا أمّ عاصم ، فطوباك إذا كان أشجّ بني أمية! (٦/ ٥٦٦).

* * *

ثم دخلت سنة أربع ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر الوقعة بين الحرشيّ والسُّغْد]

ففي هذه السنة كانت وقعة الحرَشيّ بأهل السُّغْد وقتله مَنْ قتل من دهاقينها[1].

ذكر الخبر عن أمره وأمرهم في هذه الوقعة:

ذكر عليّ عن أصحابه أن الحرشيّ غزا في سنة أربع ومئة فقطع النهر.

وعرض الناس. ثم سار فنزل قصر الريح على فرسخين من الدَّبُوسيّة، ولم يجتمع إليه جنده.

قال: فأمر الناس بالرّحيل، فقال له هلال بن عُليَم الحنظليّ: يا هناه، إنك وزيراً خيرٌ منك أميراً، الأرض حربٌ شاغرة برجْلها، ولم يجتمع لك جندُك، وقد أمرتَ بالرحيل! قال: فكيف لي؟ قال: تأمر بالنزول، ففعل.

وخرج النّيلان ابن عمّ ملك فرغانة إلى الحرشيّ، وهو نازل على مُغون فقال له: إن أهل السغد بخُجَندة؛ وأخبره خبرهم وقال: عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشِّعب، فليس لهم علينا جوار حتى يمضي الأجل، فوجّه الحَرشيّ مع النيلان عبد الرحمن القشيريّ وزياد بن عبد الرحمن القُشيريّ في جماعة، ثم ندم على ما فعل فقال: جاءني عِلْجٌ لا أدري صدق أم كذب، فغرّرتُ بجند من المسلمين، وارتحل في أثرهم حتى نزل في أشْرُوسَنة، فصالحهم بشيء يسير، فبينا هو يتعشىّ إذ قيل له: هذا عطاءٌ الدّبُوسيّ ـ وكان فيمن وجهه مع القشيريّ ـ ففزع وسقطت اللُّقْمة من يده، ودعا بعطاء، فدخل عليه، فقال: ويلك! قاتلتم أحداً؟ فقال: لا، قال: الحمد لله، وتعشّى، وأخبره بما قدم له عليه،

---

(١) انظر البداية والنهاية (٧/ ١٨٣).

فسار جواداً مغذّاً ، حتى لحق القشيريّ بعد ثالثة ، وسارَ فلما انتهى إلى خُجَندة ، قال للفضل بن بسّام: ما ترى؟ قال: أرى المعاجلة ، قال: لا أرى ذلك ، إن جرح رجُلٌ فإلى أين يرجع! أو قتل قتيل فإلى مَن يُحمَل! ولكني أرى النزول والتأني والاستعداد للحرب ، فنزل فرفع الأبنية وأخذ في التأهب ، فلم يخرج أحد من العدوّ ، فجبَّن الناسُ الحرشيّ ، وقالوا: كان هذا يُذكر بأسه بالعراق ورأيه ، فلما صار بخراسان ماقَ. قال: فحمل رجلٌ من العرب ، فضرب باب خجندة بعمود ففتح الباب ، وقد كانوا حفروا في رَبَضهم وراء الباب الخارج خندقاً ، وغطَّوْه بقصب ، وعَلَّوه بالتراب مكيدة ، وأراد إذا التقوا إن انهزموا أن يكونوا قد عرفوا الطريق ، ويشكل على المسلمين فيسقطوا في الخندق.

قال: فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا ، وأخطؤوهم الطريق ، فسقطوا في الخندق فأخرجوا من الخندق أربعين رجُلاً ، على الرّجل دِرْعان دِرْعان ، وحصرهم الحرشيّ ، ونصب عليهم المجانيق ، فأرسلوا إلى ملك فَرْغانة: غدرْتَ بنا ، وسألوه أن ينصرهم ، فقال لهم: لم أغير ولا أنصركم؛ فانظروا لأنفسكم؛ فقد أتوكم قبل انقضاء الأجل ، ولستم في جواري ، فلما أيسوا من نصره طلبوا الصُّلح ، وسألوا الأمان وأن يردّهم إلى السُّغْد ، فاشترط عليه أن يردّوا مَن في أيديهم من نساء العرب وذراريّهم ، وأن يؤدوا ما كسروا من الخراج ، ولا يغتالوا أحداً ، ولا يتخلّف منهم بخجنَدة أحد ، فإن أحدثوا حدثاً حلّت دماؤهم.

قال: وكان السَّفير فيما بينهم موسى بن مشِكان مولى آل بسام ، فخرج إليه كارزنج ، فقال له: إنّ لي حاجةً أحبّ أن تشفعني فيها ، قال: وما هي؟ قال: أحبّ إن جنى منهم رجل جناية بعد الصلح ألاّ تأخذني بما جنى ، فقال الحرَشيّ: ولي حاجة فاقضِها ، قال: وما هي؟ قال: لا يلحقني في شرَطي ما أكره. قال: فأخرجَ الملوك والتجار من الجانب الشرقيّ ، وترك أهل خُجَندة الذين هم أهلها على حالهم ، فقال كارزنج للحَرَشيّ: ما تصنع؟ قال: أخاف عليكم معرّة الجند. قال: وعظماؤهم مع الحرشيّ في العسكر نزلوا على معارفهم من الجند ، ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان ، فبلغ الحَرَشيّ أنهم قتلوا امرأة من نساء كنّ في أيديهم ، فقال لهم: بلغني أن ثابتاً الأشتيخنيّ قتل امرأة ودفنها تحت حائط ،

فجحدوا فأرسل الحرشي إلى قاضي خُجَندة ، فنظروا فإذا المرأة مقتولة ، قال: فدعا الحرشيّ بثابت ، فأرسل كارزنج غلامَه إلى باب السرادق ليأتيَه بالخبر ، وسأل الحرشيّ ثابتاً وغيره عن المرأة ، فجحد ثابت وتيقّن الحرشيّ أنه قتلها فقتله ، فرجع غلام كارزنج إليه بقتل ثابت فجعل يقبض على لحيته ويقرضها بأسنانه ، وخاف كارزنج أن يستعرضهم الحرشيّ ، فقال لأيوب بن أبي حسان: إنِّي ضيفك وصديقك ، فلا يجمل بك أن يقتل صديقك في سراويل خَلق ، قال: فخذ سراويلي. قال: وهذا لا يجمل ، أقتَل في سراويلاتكم! فسرّح غلامك إلى جلنج ابن أخي يجيئوني بسراويل جديد ـ وكان قد قال لابن أخيه: إذا أرسلت إليك أطلب سراويل فاعلم أنه القتل ـ فلما بعث بسراويل أخرج فرندة خضراء فقطّعها عصائبَ ، وعصبها برؤوس شاكريّته ، فاعترض الناس فقتل ناساً ، ومرّ بيحيى بن حُضَين فنفحه نفحة على رجله ، فلم يزل يخمَعُ منها ، وتضعضع أهل العسكر ، ولقي الناس منه شرّاً؛ حتى انتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود في طريق ضيق ، فقتله ثابت بسيف عثمان بن مسعود ، وكان في أيدي السُّغد أسراء من المسلمين فقتلوا منهم خمسين ومئة ، ويقال: قتلوا منهم أربعين؛ قال: فأفلت منهم غلام فأخبر الحَرشيّ ـ ويقال: بل أتاه رجل فأخبره ـ فسألهم فجحدوا ، فأرسل إليهم مَن علم علمهم ، فوجد الخبر حقّاً ، فأمر بقتلهم ، وعزل التجار عنهم ـ وكان التجار أربعمئة ، كان معهم مالٌ عظيم قدموا به من الصين ـ قال: فامتنع أهل السُّغد ، ولم يكن لهم سلاح ، فقاتلوا بالخشَب ، فقتِلوا عن آخرهم ، فلما كان الغد دعا الحراثين ـ ولم يعلموا ما صنع أصحابهم ـ فكان يختم في عُنق الرجل ويخرُج من حائط إلى حائط فيقتل ، وكانوا ثلاثة آلاف ـ ويقال سبعة آلاف ـ فأرسل جرير بن هميان والحسن بن أبي العَمَرّطة ويزيد بن أبي زينب فأحصوا أموال التجار ـ وكانوا اعتزلوا وقالوا: لا نقاتل ـ فاصطفى أموال السغد وذراريّهم ، فأخذ منها ما أعجبه ، ثم دعا مسلم بن بُديَل العدويّ عديّ الرّباب ، فقال: قد وليتك المقَسم ، قال: بعد ما عمل فيه عمالك ليلة! ، وَلِّه غيرى؛ فولاّه عبيد الله بن زهير بن حيّان العدويّ ، فأخرج الخمس ، وقسّم الأموال؛ وكتب الحرشيّ إلى يزيد بن عبد الملك ، ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة ، فكان هذا مما وجد فيه عليه عمر بن هبيرة ، فقال ثابت قُطْنة يذكر ما أصابوا من عظمائهم:

أَقَـرَّ العَيْـن مَصْـرَعُ كـارزنـجٍ ... وكشَّيـنٍ ومـا لاقـى بيـارُ
وديْـواشْنـي ومـا لاقـى جلنـجٌ ... بِحِصْـنِ خُجَنْـدَ إذ دَمَّـروا فبـارُوا

ويروى: «أقرّ العين مصرع كارزنج، وكشكيش» ويقال: إن ديواشني دِهْقان أهل سَمَرْقند، واسمه ديواشنج فأعربوه ديواشني.

ويقال: كان على أقْبَاض خُجَندة عِلبْاء بن أحمر اليشكريّ، فاشترى رجل منه جُونة بدرهمين، فوجد فيها سبائك ذهب، فرجع وهو واضعٌ يده على عينه كأنه رمد، فردَّ الجُونة، وأخذ الدرهمين، فطلِب فلم يوجد.

قال: وسرّح الحَرَشيّ سليمان بن أبي السريّ مولى بني عوانة إلى قلعة لا يُطيف بها وادي السُّغد إلاّ من وجه واحد، ومعه شوكر بن حميك وخوارزم شاه وعورم صاحب أخرون وشومان؛ فوجّه سليمان بن أبي السريّ على مقدّمته المسيّب بن بشر الرياحيّ، فتلقَّوْه من القلعة على فرسخ في قرية يقال لها كوم، فهزمهم المسيّب حتى ردّهم إلى القلعة فحصرهم سليمان، ودِهْقانها يقال له ديواشني.

قال: فكتب إليه الحَرَشيّ فعرض عليه أن يمدّه، فأرسل إليه: ملتقانا ضيّق فسر إلى كِسّ؛ فإنا في كفاية الله إن شاء الله. فطلب الديواشني أن ينزل على حكم الحرشيّ، وأن يوجّهه مع المسيّب بن بشر إلى الحرشيّ، فوفى له سليمان ووجّه إلى سعيد الحَرَشيّ، فألطفه وأكرمه مكيدةً، فطلب أهل القلعة الصُّلْح بعد مسيره على ألا يعرض لمئة أهل بيت منهم ونسائهم وأبنائهم ويُسلمون القَلْعة، فكتب سليمان إلى الحرشيّ أن يبعث الأمناء في قبض مافي القلعة.

قال: فبعث محمدَ بن عزيز الكنديّ وعلباء بن أحمر اليشكريّ. فباعوا مافي القلعة مزايدةً، فأخذ الخمس، وقسم الباقي بينهم، وخرج الحوشيّ إلى كِسّ فصالحوه على عشرة آلاف رأس. ويقال: صالح دهقان كِسّ، واسمه ويك ـ على ستة آلاف رأس، يوفيه في أربعين يوماً على ألاّ يأتيه فلما فرغ من كِسّ خرج إلى رَبِنْجَن، فقتل الديواشنيّ، وصلبَه على ناووس وكتب على أهل ربنجن كتاباً بمئة إن فُقد من موضعه؛ وولّى نصر بن سيار قبضَ صلح كِسّ، ثم عزل سَوْرة بن الحرّ وولّى نصر بن سيار، واستعمل سليمان بن أبي السريّ على كِسّ، ونَسَف حربها

وخراجها ، وبعث برأس الديواشني إلى العراق ، ويده اليسرى إلى سليمان بن أبي السريّ إلى طخارستان.

قال: وكانت خُزَار منيعة ، فقال المجشّر بن مُزاحم لسعيد بن عمرو الحَرَشيّ: ألا أدلك على مَن يفتحها لك بغير قتال؟ قال: بلى ، قال: المسرْبَل بن الخرّيت بن راشد الناجيّ ، فوجّهه إليها ـ وكان المسربل صديقاً لملكها ، واسم الملك سبقرى ، وكانوا يحبّون المسربل ـ فأخبر الملك ما صنع الحرشيّ بأهل خُجَندة وخوّفه ، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تنزل بأمان ، قال: فما أصنع بمن لحق بي من عوامّ الناس؟ قال: نصيّرهم معك في أمانك ، فصالحهم فآمنوه وبلاده.

قال: ورجع الحَرَشيّ إلى مَرْو ومعه سبقرى ، فلما نزل أسنان وقدم مهاجر بن يزيد الحَرَشيّ ، وأمره أن يوافيَه ببرذون بن كُشانِيشاه قتل سبقرى وصلبه ومعه أمانه ـ ويقال: كان هذا دِهْقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة فأخذ أماناً لأهل السُّغد ، فحبسه الحَرَشيّ في قهندز مَرْو ، فلما قدم مَرْوَ دعا به ، وقتله وصلبه في الميدان ، فقال الراجز:

إذا سَعِيدٌ سارَ في الأَخْماسِ ... في رَهَجٍ يَأْخُذُ بالأَنفاسِ
دارَتْ على التّرْكِ أَمَرُّ الكاسِ ... وطَارَتِ التُّرْكُ على الأَحلاسِ
ولَوْا فِراراً عُطّلَ القياسِ [٧/ ٧ ـ ١٢]

ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبدَ الرحمن ابن الضحاك عن المدينة وما كان ولاه من الأعمال

وكان سبب ذلك ـ فيما ذكر محمد بن عمر ، عن عبد الله بن محمد بن أبي يحيى ـ قال: خطب عبدُ الرحمن بن الضّحاك بن قيس الفهريّ فاطمة بنة الحسين ، فقالت: والله ما أريد النكاح ، ولقد قعدت على بنيّ هؤلاء؛ وجعلت تحاجزه وتكره أن تنابذه لما تخاف منه ، قال: وألحّ عليها وقال: والله لئن لم تفعلي لأجلدنّ أكبر بنِيك في الخمر ـ يعني عبد الله بن الحسن ـ فبينا هو كذلك؛ وكان على ديوان المدينة ابن هرمز (رجل من أهل الشام) ، فكتب إليه يزيد أن يرفع حسابه ، ويدفع الديوان ، فدخل على فاطمة بنت الحسين يودّعها ، فقال:

هل من حاجة؟ فقالت: تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضّحاك، وما يتعرّض منّي، قال: وبعثت رسولاً بكتاب إلى يزيد تخبره وتذكر قرابتها ورحمها، وتذكر ما ينال ابنُ الضحاك منها، وما يتوعّدها به.

قال: فقدم ابن هرمز والرّسول معاً. قال: فدخل ابن هرمز على يزيد، فاستخبره عن المدينة، وقال: هل كان من مغرّبة خبر؟ فلم يذكر ابن هُرمز من شأن ابنة الحسين، فقال الحاجب: أصلح الله الأمير! بالباب رسول فاطمة بنت الحسين، فقال ابن هرمز: أصلح الله الأمير! إنّ فاطمة بنت الحسين يوم خرجت حمّلتني رسالة إليك، فأخبره الخبر.

قال: فنزل من أعلى فراشه، وقال: لا أمّ لك! ألم أسألك هل من مغرّبة خبر، وهذا عندك لا تخبرنيه! قال: فاعتذر بالنسيان، قال: فأذن للرسول فأدخله، فأخذ الكتاب، فاقترأه، قال: وجعل يضرب بخيزران في يديه وهو يقول: لقد اجترأ ابن الضّحاك! هل من رجل يُسمعني صوته في العذاب وأنا على فراشي؟ قيل له: عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النَّضْريّ. قال: فدعا بقرطاس، فكتب بيده:

إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النَّضْريّ وهو بالطائف: سلام عليك؛ أما بعد فإني قد ولّيتُك المدينة، فإذا جاءك كتابي هذا فاهبط واعزل عنها ابن الضحاك، وأغرِمْه أربعين ألف دينار، وعذّبه حتى أسمع صوتَه وأنا على فراشي.

قال: وأخذ البريد الكتاب، وقدِم به المدينة، ولم يدخل على ابن الضّحاك وقد أوجستْ نفس ابن الضحاك، فأرسل إلى البريد، فكشف له عن طرف المفرش، فإذا ألف دينار، فقال: هذه ألف دينار لك ولك العهد والميثاق؛ لئن أنت أخبرتني خبرَ وجهك هذا دفعتُها إليك، فأخبره، فاستنظر البريد ثلاثاً حتى يسير، ففعل، ثم خرج ابنُ الضحاك، فأغذّ السَّيْر حتى نزل على مسلمة بن عبد الملك، فقال: أنا في جوارك، فغدا مسلمة على يزيد فرقّقه وذكر حاجة جاء لها، فقال: كلّ حاجة تكلمت فيها هي في يديك ما لم يكن ابن الضحاك، فقال: هو والله ابن الضّحاك! فقال: والله لا أعفيه أبداً وقد فعل ما فعل، قال: فردّه إلى المدينة إلى النَّضْريّ.

قال عبد الله بن محمد: فرأيتُه في المدينة عليه جُبّة من صوف يسأل الناس،

وقد عذِّب ولقي شرّاً ، وقدم النَّضْريّ يوم السبت للنصف من شوال سنة أربع ومئة.

قال محمد بن عمر : حدّثني إبراهيم بن عبد الله بن أبي فرْوة ، عن الزّهريّ ، قال : قلت لعبد الرحمن بن الضحاك : إنك تقدم على قومِك وهم ينكرون كلّ شيء خالف فعلهم ، فالزم ما أجمعوا عليه ، وشاور القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله؛ فإنهما لا يألوانك رشداً ، قال الزهريّ : فلم يأخذ بشيء من ذلك وعادى الأنصار طرّاً ، وضرب أبا بكر بن حزم ظلماً وعدواناً في باطل فما بقي منهم شاعر إلا هجاه ولا صالح إلاّ عابه وأتاه بالقبيح ، فلما ولي هشام رأيتُه ذليلاً[1] [٧/ ١٢ ـ ١٤].

وفي هذه السنة غزا الجرّاح بن عبد الله الحكَميّ وهو أمير على أرمينيَة وأذْرَبيجان ـ أرض الترك ففتح على يديه بَلَنْجَرَ وهزم الترك وغرّقهم وعامة ذراريّهم في الماء ، وسبوا ما شاؤوا ، وفتح الحصون التي تلي بَلَنْجر وجلا عامة أهلها.

وفيها ولد ـ فيما ذكر ـ أبو العباس عبد الله بن محمد بن عليّ في شهر ربيع الآخر.

وفيها دخل أبو محمد الصادق وعِدّة من أصحابه من خُراسان إلى محمد بن عليّ وقد ولد أبو العباس قبل ذلك بخمس عشرة ليلة ، فأخرجه إليهم في خِرْقة وقال لهم : والله ليتمنّ هذا الأمر حتى تدركوا ثأركم من عدوّكم.

وفي هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحَرَشيّ عن خُراسان ، وولاّها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة الكلابيّ.

ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيدَ بن عمرو الحَرَشيّ عن خراسان

ذُكر أنّ سبب ذلك كان في موجِدة وجدَها عمر على الحَرَشيّ أمر الديواشنيّ ،

---

(١) وقد ذكر ابن كثير هذه القصة [٧/ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤] مختصراً وانظر البداية والنهاية [٧/ ١٨٣].

وذلك أنه كان كتب إليه يأمره بتخليته وقتله ، وكان يستخفّ بأمر ابن هبيرة ، وكان البريد والرّسول إذا ورد العراق قال له: كيف أبو المثنَّى؟ ويقول لكاتبه: اكتب إلى أبي المثنّى يقول: «الأمير» ، ويكثر أن يقول: قال أبو المثنَّى وفعل أبو المثنَّى ، فبلغ ذلك ابن هبيرة فدعى جُمَيل بن عمران ، فقال له: بلغني أشياء عن الحَرَشيّ ، فاخرج إلى خراسان ، وأظهر أنك قدمت تنظر في الدواوين ، واعلم لي علمه. فقدِم جُميل ، فقال له الحَرَشيّ: كيف تركت أبا المثنى؟ فجعل ينظر في الدواوين ، فقيل للحرشيّ: ما قدم جميل لينظر في الدواوين ، وما قدم إلا ليعلم عِلْمَك ، فسمَّ بِطِّيخةً ، وبعث بها إلى جميل ، فأكلها فمرض ، وتساقط شعره ، ورجع إلى ابن هبيرة ، فعولج واستبلّ[1] وصحّ فقال لابن هبيرة: الأمر أعظم مما بلغك؛ ما يرى سعيد إلاّ أنك عامل من عماله ، فغضب عليه وعزله وعذبه ، ونفح في بطنه النملَ[2] ، وكان يقول حين عزله: لو سألني عُمر درهماً يضعه في عينه ما أعطيته؛ فلما عذب أدّى ، فقال له رجل: ألم تزعم أنك لا تعطيه درهماً! قال: لا تعنّفني؛ إنه لما أصابني الحديد جزعت ، فقال أُذَينة بن كليب ـ أو كليب بن أذيْنة:

تَصَبَّرْ أَبا يحيى فَقَدْ كنْتَ ـ علمَنا ـ   صَبُوراً وَنَهّاضاً بِثِقْلِ المغارِمِ[3]

وقال عليّ بن محمد: إنّما غضب عليه ابن هبيرة أنه وجه معقل بن عروة إلى هَرَاة؛ إما عاملاً وإما في غير ذلك من أموره ، فنزل قبل أن يمرّ على الحَرَشيّ ، وأتى هَراة ، فلم ينفذ له ما قدم فيه ، وكتب إلى الحَرَشيّ ، فكتب الحَرَشيّ إلى عامله: أن احمل إليّ معقلاً ، فحمله ، فقال له الحرَشيّ: ما منعك من إتياني قبل أن تأتي هَراة؟ قال: أنا عامل لابن هُبيرة ولاّني كما ولاك. فضربه مئتين وحلّقه[4]. فعزله ابن هبيرة ، واستعل على خُراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة ، فكتب إلى الحَرَشي يلخّنه ، فقال سعيد: بل هو ابن اللّخناء ، وكتب إلى مسلم أن احمِل إليّ الحَرَشيّ مع معقِل بن عروة. فدفعه إليه ، فأساء به وضيّق

---

(١) استبل: أي برئ وشفي. القاموس المحيط ص ١٢٥١.
(٢) النمل هنا: بثور صغار مع ورم يسير. القاموس المحيط ص ١٣٧٦.
(٣) انظر البداية والنهاية [٧/ ١٨٤].
(٤) حلقه: وسمه بحلقة في فخذه. القاموس المحيط ص ١١٣٠.

عليه ، ثم أمره يوماً فعذّبه ، وقال: اقتله بالعذاب ، فلما أمسىَ ابن هُبيرة سمَر فقال: مَنْ سيد قيس؟ قالوا: الأمير ، قال: دعوا هذا ، سيّد قيس الكوْثر بن زفر ، لو بوق بليلٍ لوافاه عشرون ألفاً. لا يقولون: لم دعوتنا ولا يسألونه ، وهذا الحمار الذي في الحبْس ـ قد أمرت بقتله ـ فارسُها ، وأما خيرُ قيس لها فعسىَ أن أكونه؛ إنه لم يعرض إليّ أمر أرى أني أقدر فيه على منفعة وخير إلا جررته إليهم ، فقال له أعرابيّ من بني فَزارة: ما أنت كما تقول ، لو كنتَ كذلك ما أمرت بقتل فارسها. فأرسل إلى معقل أن كُفّ عما كنتُ أمرتك به.

قال عليّ: قال مسلم بن المغيرة: لمّا هربِ ابنُ هبيرة أرسل خالد في طلبه سعِيد بن عمرو الحَرَشيّ ، فلحقه بموضع من الفرات يقطعه إلى الجانب الآخر في سفينة ، وفي صدر السفينة غلام لابن هبيرة يقال له قُبَيض ، فعرَفه الحَرَشيّ فقال له: قُبيض؟ قال: نعم ، قال: أفي السفينة أبو المثنى؟ قال: نعم ، قال: فخرج إليه ابنُ هبيرة ، فقال له الحرَشيّ: أبا المثنى ، ما ظنُّك بي؟ قال: ظني بك أنك لا تدفع رجلاً من قومك إلى رجل من قريش ، قال: هو ذاك ، قال: فالنّجاء.

قال عليّ: قال أبو إسحاق بن ربيعة: لما حبس ابن هبيرة الحرَشيّ دخل عليه معقل بن عروة القُشيريّ ، فقال: أصلح الله الأمير! قيّدت فارس قيس وفضحته ، وما أنا براضٍ عنه؛ غير أني لم أحبّ أن تبلغ منه ما بلغت ، قال: أنت بيني وبينه ، قدمتُ العراق فوليته البصرة ، ثم وليته خراسان ، فبعث إليّ ببرذون حَطِم[1] واستخفّ بأمري ، وخان فعزلتُه ، وقلت له: يا بن نَسْعة ، فقال لي: يا بن بُسرة ، فقال معقل: وفعل ابن الفاعلة! ودخل على الحَرَشيّ السجن ، فقال: يابن نَسعة ، أمك دخلت واشتُريت بثمانين عَنْزاً جرباً ، كانت مع الرّعاء ترادفها الرجال مطية الصادر والوارد ، تجعلها ندّاً لبنت الحارث بن عمرو بن حَرجة! وافترى عليه ، فلما عُزِل ابن هبيرة ، وقدم خالد العراق استعدَى الحَرشيّ على معقل بن عروة ، وأقام البيّنة أنه قذفه ، فقال للحَرَشيّ: اجلد ، فحدّه ، وقال: لولا أنّ ابن هبيرة وهّن في عضدي لنقبت عن قلبك ، فقال رجل من بني كلاب لمعقل: أسأتَ إلى ابن عمك وقذفتَه ، فأداله الله منك ، فصرتَ لا شهادة

---

(١) الحطم: داء في قوائم الدابة. القاموس المحيط (ص ١٤١٥).

لك في المسلمين ، وكان معقل حين ضرب الحدّ قذف الحَرشيّ أيضاً فأمر خالد بإعادة الحدّ ، فقال القاضي: لايُحَدّ ، قال: وأمّ عمر بن هبيرة بُسرة بنت حسان ، عدوّية من عديّ الرِّباب[1] . [٧/ ١٤ ـ ١٧] .

قال: ثم سمر ليلة ومسلم في سَمَرِه ، فتخلّف مسلم بعد السُّمّار ، وفي يد ابن هبيرة سفرْجلة ، فرمى بها ، وقال: أيسُرّك أن أولّيك خراسان؟ قال: نعم ، قال: غدوة إن شاء الله ، قال: فلما أصبح جلس ، ودخل الناس؛ فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده ، وأمره بالسير ، وكتب إلى عمال الخراج أن يكاتبوا مسلم بن سعيد ، ودعا بجبلَة بن عبد الرحمن مولَى باهلة فولاّه كِرْمان ، فقال جبلة: ما صنعت بي المولوّية! كان مسلم يطمع أن ألِي ولايةً عظيمة فأولّيه كورة ، فعُقد له على خُراسان وعقد لي على كرمان! قال: فسار مسلم فقدم خراسان في آخر سنة أربع ومئة ـ أو ثلاث ومئة ـ نصف النهار ، فوافق باب دار الإمارة مغلقاً ، فأتى دار الدوابّ فوجد الباب مغلقاً فدخل المسجد ، فوجد باب المقصورة مغلَقاً ، فصلى ، وخرج وصيفٌ من باب المقصورة فقيل له: الأمير ، فمشى بين يديه حتى أدخله مجلس الوالي في دار الإمارة ، وأعلِم الحَرَشيّ ، وقيل له: قدم مسلم بن سعيد بن أسلم ، فأرسل إليه: أقدمت أميراً أو وزيراً أو زائراً؟ فأرسل إليه: مثلي لا يقدم خراسان زائراً ولا وزيراً ، فأتاه الحَرشيّ فشتمه وأمر بحبسه ، فقيل له: إن أخرجته نهاراً قتِل ، فأمر بحسبه عنده حتى أمسى ، ثم حبسه ليلاً وقيّده ، ثم أمر صاحب السجن أن يزيده قَيْداً ، فأتاه حزيناً ، فقال: مالك؟ فقال: أُمِرْتُ أن أزيدك قيداً ، فقال لكاتبه: اكتب إليه: إنّ صاحب سجنك ذكر أنك أمرته أن يزيدني قيداً ، فإن كان أمراً ممّن فوقك فسمعاً وطاعةً ، وإن كان رأياً رأيته فسيرك الحَقْحقة[2] ، وتمثّل:

هُمُ إن يَثْقفوني يقتلوني ... ومن أَثْقَفْ فليس إلى خلود[3]

---

(١) أبو إسحاق: مجهول ـ ولطالما ورد ذكر ألفاظ السب والشتم من طريق رواة مجاهيل وكأن الأمراء لم يكونوا يعرفوا غير ألفاظ السب والشتم اللاذع ولا يصح ذلك.

(٢) الحقحقة: أرفع السير وأتعبه للظهر. القاموس المحيط ص ١١٣٠ .

(٣) من أبيات لخالد بن جعفر بن كلاب ، ذكرها صاحب الأغاني في ١١ : ٨٣ ، وفي اللسان: ثقفته ثقفاً ، أي: صادفته.

ويروى:

فـإمـا تثقَفُـونـي فـاقتلـونـي فمَـنْ أَثْقَـفْ فليس إلـى خُلـود
هُـمُ الأعَـداءُ إن شَهـدُوا وغـابـوا أولـوا الأَحْقَـادِ والأكَبـادُ سـودُ
أَرِيغُـونـي إِرَاغَتَكُـمْ فـإنـي وحَـذْفَـةَ كـالشَجَـا تحـتَ الـوريـدِ

ويروى: «أريدوني إرادتكم».

قال: وبعث مسلم على كُوره رجلاً من قِبَله على حربها.

قال: وكان ابنُ هبيرة حريصاً، أخذ قَهرماناً ليزيد بن المهلب، له علم بخراسان وبأشرافهم، فحبسه فلم يَدَع منهم شريفاً إلاّ قَرَفَه[١]، فبعث أبا عبيدة العنبريّ ورجلاً يقال له خالد، وكتب إلى الحَرَشِيّ وأمره أن يدفع الذين سمّاهم إليه يستأديهم فلم يفعل، فردّ رسول ابن هُبيرة، فلما استعمل ابن هبيرة مسلم بن سعيد أمره بجباية تلك الأموال، فلمّا قدم مسلم أراد أخذ الناس بتلك الأموال التي قرفت عليهم، فقيل له: إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار، وإن لم تعمل في هذا حتى توضَع عنهم فسدَتْ عليك وعليهم خراسان؛ لأنّ هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد قُرِفوا بالباطل؛ إنما كان على مِهْزَم بن جابر ثلاثمئة ألف فزادوا مئة ألف فصارت أربعمئة ألف، وعامَّة من سُمّوا لك ممن كثر عليه بمنزله.

فكتب مسلم بذلك إلى ابن هبيرة، وأوفد وفداً فيهم مِهْزَمَ بن جابر، فقال له مِهْزم بن جابر: أيها الأمير، إنّ الذين رُفع إليك الظلم والباطل، ما علينا من هذا كله لو صدق إلا القليل الذي لو أخذنا به أدّيناه، فقال ابن هبيرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾، فقال: اقرأ ما بعدها: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾[٢]، فقال ابن هبيرة: لابُدَّ من هذا المال، قال: أما والله لئن أخذتَه لتأخذنّه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في عدوّك، وليضرّنّ ذلك بأهل خراسان في عدّتهم وكُراعهم وحَلْقتهم؛ ونحن في ثغر نُكابد فيه عدوّاً لا ينقضي حربهم؛ إن أحدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صدؤه إلى جلده، حتى إن الخادم

(١) قرفه: اتهمه ورماه. القاموس المحيط ص ١٠٩١.
(٢) سورة النساء: ٥٨.

التي تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاها وعن الرجل الذي تخدمُه لريح الحديد؛ وأنتم في بلادكم متفضّلون في الرِّقاق وفي المعصفرة؛ والذين قرِفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام في المغازي: وقِبَلنا قوم قدِموا علينا من كلّ فجّ عميق، فجاؤوا على الحُمُرات، فَوُلُّوا الولايات، فاقتطعوا الأموال، فهي عندهم موفَّرة جمة.

فكتب ابن هبيرة إلى مسلم بن سعيد بما قال الوفد، وكتب إليه أن استخرج هذه الأموال ممن ذَكر الوفد أنها عندهم، فلما أتى مسلماً كتابُ ابن هبيرة أخذ أهلَ العهد بتلك الأموال، وأمر حاجب بن عمرو الحارثيّ أن يعذّبهم ففعل وأخذ منهم ما فرّق عليهم. [٧/ ١٨ ـ ٢٠].

وفيها كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرضَ الروم؛ فبعث سرّية في نحو من ألف مقاتل، فأصيبوا ـ فيما ذكر ـ جميعاً.

وفيها غزا مسلم بن سعيد الترك، فلم يفتح شيئاً، فقفل ثم غزا أفشِينَة (مدينة من مدائن السُّغد) بعد في هذه السنة، فصالح ملكها وأهلها.

ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر عليّ بن محمد عن أصحابه، أنّ مسلم بن سعيد مَرْزَبَ بهرام سيس فجعله المرزبان، وأنّ مسلماً غزا في آخر الصيف من سنة خمس ومئة، فلم يفتح شيئاً وقفل، فاتّبعه الترك فلحقه، والنّاس يعبرون نهر بلْخ وتميم على الساقة، وعبيد الله بن زهير بن حيّان على خيل تميم، فحاموا عن الناس حتى عبروا، ومات يزيد بن عبد الملك، وقام هشام، وغزا مسلم أفشين فصالَح ملكها على ستة آلاف رأس، ودفع إليه القلعة، فانصرف لتمام سنة خمس ومئة. [٧/ ٢١].

قال عليّ: قال أبو ماوية أو غيره من اليهود ليزيد بن عبد الملك: إنك تملك أربعين سنة، فقال رجل من اليهود: كذب لعنه الله، إنما رأى أنه يملك أربعين قَصَبة، والقصبة شهر، فجعل الشهر سنة.

ذكر بعض سيره وأموره

حدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثنا عليّ، قال: كان يزيد بن عاتكة من فِتْيانهم، فقال يوماً وقد طرب، وعنده حَبَابة وسلاّمة: دعُوني أطير، فقالت

حَبابة: إلى من تَدَعُ الأمّة! فلما مات قالت سَلاّمة القَسّ:

لا تَلُمْنــــا إن خَشَعنَــــا أَو هَمَمْنَــــا بــــالخشــــوعِ[1]
قــد لَعَمْــري بــتُّ لَيلِــى كــأَخــي الــدَّاءِ الــوَجيــعِ
ثــم بــاتَ الهــمُّ منِّــي دونَ مَــن لــي مــن ضَجيــعِ[2]
للــذي حــلَّ بنــا اليــو مَ مــن الأمــر الفَظِيــعِ
كلَّمــا أَبصــرْتُ رَبْعــاً خــاليــاً فــاضَــتْ دُمُــوعــي
قــد خــلا مــن سيِّــدٍ كــا ن لنــا غيــرَ مُضيــعِ

ثم نادت: واأمير المؤمنيناه! والشعر لبعض الأنصار.

قال عليّ: حجّ يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حَبابة ـ وكان اسمها العالية ـ بأربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل بن حَنيف. فقال سليمان: هممت أن أحجر على يزيد؛ فردّ يزيد حَبابة فاشتراها رجل من أهل مصر، فقالت سعْدة ليزيد: يا أمير المؤمنين، هل بقي من الدنيا شيء تتمناه بعد؟ قال: نعم حَبابة، فأرسلت سَعدة رجلاً فاشتراها بأربعة آلاف دينار، وصنّعتها[3] حتى ذهب عنها كَلال السفر، فأتت بها يزيد، فأجلستها من وراء الستر، فقالت: يا أمير المؤمنين، أبقي شيء من الدنيا تتمناه؟ قال: ألم تسأليني عن هذا مرّة فأعلمتُك! فرفعت الستّر، وقالت: هذه حَبابة، وقامت وخلّتها عنده، فحظيت سَعْدة عند يزيد وأكرمها وحباها. وسَعدة امرأة يزيد، وهي من آل عثمان بن عفان[4].

قال عليّ عن يونس بن حبيب: إن حبابة جارية يزيد بن عبد الملك غنَّت يوماً:

بيــن التــراقــي واللهَــاةِ حــرَارَةٌ مــا تطمئــنّ ومَــا تسُــوغُ فَتَبــرُدُ

---

(١) الأغاني: ٨: ٣٤٦ ـ ٣٤٨، قال: «والشعر للأحوص والنوح لمعبد، صنعه لسلامة وناحت به على يزيد».
(٢) في رواية الأغاني:
ونجــــى الهــــم مِنِّــــي بــــاب أَدنــــى مــــن ضلــــوعــــي
(٣) صنعتها؛ أي زينتها ونظفتها.
(٤) الخبر في الأغاني ١٥: ١٢٤؛ مع اختلاف في الرواية.

فأهوى ليطير فقالت: يا أمير المؤمنين، إن لنا فيك حاجةً، فمرضت وثقِلت[١]، فقال: كيف أنت يا حبابة؟ فلم تجبه، فبكى وقال:

لئن تَسلُ عنكِ النفسُ أو تَذهَل الهوى فباليأْس يَسلُو القلب لا بالتَّجلّدِ

وسمع جارية لها تتمثل:

كفى حَزَناً بالهائمِ الصَّبّ أن يرَى منازل مَن يهوَى مُعطَّلَةً قَفْرَا

فكان يتمثّل بهذا.

قال عمر: قال عليّ: مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حَبابة سبعة أيام لا يخرج إلى الناس؛ أشار عليه بذلك مَسلمة، وخاف أن يظهر منه شيء يسفهه عند الناس[٢]. [٧/ ٢٢ ـ ٢٤].

* * *

(١) ثقلت، أي: اشتد مرضها. القاموس المحيط ص ١٢٥٦.

(٢) هذا خبر باطل.

ورحم الله الطبري لم يسمع خبراً عن خلفاء بني أمية والعباس إلا وسجّله هذا في تأريخه وهذا الخبر أورده الطبري عن المدائني ولم يولد المدائني إلا بعد ربع قرن من الزمان من بعد وفاة يزيد فكيف عرف ذلك والشطر الأخير من الخبر أورده عن يونس بن حبيب ولم يبيّن من يونس هذا والذي في كتب التراجم بهذا الاسم لم يرو عنه المدائني بل ليس من هذه الطبقة قطعاً. والخبر أورده البلاذري وابن عساكر من طرق لا تخلو من متروك أو كذاب أو وضاع (ابن جعدبة، الهيثم بن عدي، الواقدي) فكيف يثبت هذا الخبر المنكر؟ أضف إلى أمور أخرىٰ تكذب هذه الروايات ذكرناها بالتفصيل في قسم الصحيح فليراجع هناك.

خلافة هشام بن عبد الملك

وأمّه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت حمقاء، أمرها أهلها ألاّ تكلم عبد الملك حتى تلد، وكانت تثني الوسائد وتركب الوِسادةِ وتزجرها كأنها دابّة، وتشتري الكُنْدُر[1] فتمضغه وتعمل منه تماثيل، وتضع التماثيل على الوسائد، وقد سمّت كل تمثال باسم جارية، وتنادي: يا فلانة ويا فلانة؛ فطلقها عبد الملك لحمقها.
وسار عبد الملك إلى مُصعب فقتله، فلما قتله بلغه مولد هشام، فسمّاه منصوراً، يتفاءل بذلك، وسمّته أمه باسم أبيها هشام، فلم ينكر ذلك عبد الملك، وكان هشام يكنى أبا الوليد.

وذكر محمد بن عمر عمّن حدّثه أنّ الخلافة أتت هشاماً وهو بالزّيتونة في منزله في دُويرة له هناك.

قال محمد بن عمر: وقد رأيتها صغيرة، فجاءه البريد بالعصا والخاتم، وسلّم عليه بالخلافة، فركب هشام من الرُّصافة حتى أتى دمشق.

وفي هذه السنة قدِم بكيْر بن ماهان من السِّند ـ وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجماناً له ـ فلما عُزل الجنيد بن عبد الرحمن، قدم الكوفة ومعه أربع لبِنات من فضة ولبِنة من ذهب، فلقي أبا عكْرمة الصادق وميسرة ومحمد بن خنيس وسالماً الأعين وأبا يحيى مولى بني سلمة، فذكروا له أمر دعوة بني هاشم، فقبِل ذلك ورضيه، وأنفق ما معه عليهم، ودخل إلى محمد بن عليّ، ومات ميسرة فوجه محمد بن عليّ بُكَير بن ماهان إلى العراق مكان ميسرة، فأقامه مقامه[2].

---

(١) الكندر: اللبان. القاموس المحيط ص ٦٠٦.
(٢) وانظر البداية والنهاية (٧/ ١٨٦).

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، والنضريّ على المدينة .

قال الواقديّ : حدّثني إبراهيم بن محمد بن شُرحبيل عن أبيه ، قال : كان إبراهيم بن هشام بن إسماعيل حجّ ، فأرسل إلى عطاء بن [أبي] رباح : متى أخطب بمكة؟ قال : بعد الظهر ، قبل التّروية بيوم ، فخطب قبل الظهر ، وقال : أمرني رسولي بهذا عن عطاء ، فقال عطاء : ما أمرتُه إلاّ بعد الظهر ، قال : فاستحيا إبراهيم بن هشام يومئذ ، وعدُّوه منه جهلاً . [٧/ ٢٥ ـ ٢٦] .

ذكر محمد بن سلام الجُمحيّ ، عن عبد القاهر بن السريّ ، عن عمر بن يزيد بن عمير الأسيّديّ(١) قال : دخلت على هشام بن عبد الملك ، وعنده خالد بن عبد الله القسرِيّ ، وهو يذكر طاعة أهل اليمن ، قال : فصفّقت تصفيقةً بيدي دقّ الهواء منها ، فقلت : تالله ما رأيتُ هكذا خطأً ولا مثله خَطَلاً! والله ما فتحَتْ فتنة في الإسلام إلا بأهل اليمن ، هم قتلوا أميرَ المؤمنين عثمان ، وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك ، وإنّ سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب . قال : فلما قمت تبعني رجلٌ من آل مروان كان حاضراً ، فقال : يا أخا بني تميم ، ورتْ بك زِنادي ، قد سمعت مقالتك ، وأمير المؤمنين مولٍّ خالداً العراق ، وليست لك بدار . [٧/ ٢٦] .

ثم دخلت سنة ست ومئة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة ، قال : مات سالم بن عبد الله سنة خمس ومئة في عقب ذي الحجة ، فصلى عليه هشام بن عبد الملك بالبَقيع ، فرأيت القاسم بن محمد بن أبي بكر جالساً عند القبر وقد أقبل هشام ما عليه إلا

(١) في ابن الأثير : «الأسيدي ، بضم الهمزة وتشديد الياء ؛ هكذا يقول المحدثون ، وأما النحاة فإنهم يخففون الياء ؛ وهي عند الجميع نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم بضم الهمزة وتشديد الياء» .

دُرّاعة، فوقف على القاسم فسلم عليه، فقام إليه القاسم فسأله هشام: كيف أنت يا أبا محمد؟ كيف حالك؟ قال: بخير، قال: إني أحبّ والله أن يجعلكم بخير. ورأى في الناس كثرة، فضرب عليهم بعث أربعة آلاف؛ فسمّى عام الأربعة الآلاف.

وفيها استقضى إبراهيم بن هشام محمد بن صفوان الجُمحيّ ثم عزله، واستقضى الصّلت الكنديّ.

[ذكر الخبر عن الحرب بين اليمانية والمضرية وربيعة][1]

وفي هذه السنة كانت الوقعة التي كانت بين المضرية واليمانية وربيعة بالبَرُوقان من أرض بلْخ.

ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة:

وكان سبب ذلك ـ فيما قيل ـ أنّ مسلم بن سعيد غزا، فقطع النّهر، وتباطأ الناس عنه؛ وكان ممَّن تباطأ عنه البخْتَريّ بن درهم، فلما أتى النّهر ردّ نصر بن سيار وسليم بن سليمان بن عبد الله بن خازم وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبريّ وأبا حفص بن وائل الحنظليّ وعُقبة بن شهاب المازنيّ وسالم بن ذؤابة إلى بلْخ، وعليهم جميعاً نصْر بن سيار، وأمرهم أن يخرِجوا النّاس إليه. فأحرق نصر باب البَخْتَريّ وزياد بن طريف الباهليّ، فمنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلْخ ـ وكان عليها ـ وقطع مسلم بن سعيد النهر فنزل نصر البَرُوقان، فأتاه أهل صَغَانِيَان، وأتاه مسلمة العُقْفانيّ من بني تميم، وحسان بن خالد الأسديّ، كلّ واحد منهما في خمسمئة، وأتاه سنان الأعرابيّ وزُرْعة بن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون النميريّ في أهل بيته، وتجمّعت بكْر والأزد بالبَرُوقان، رأسهم البختريّ، وعسكر بالبَرُوقان على نصف فرسخ منهم، فأرسل نصْر إلى أهل بلْخ: قد أخذتم أعطياتكم فالحقوا بأميركم، فقد قطع النّهر، فخرجت مُضَر إلى نصر، وخرجت ربيعة والأزْد إلى عمرو بن مسلم، وقال قوم من ربيعة: إن

---

(١) ذكر الطبري هذا الخبر بلا إسناد (فيما قيل) ولم نجد لهذه الواقعة أصلاً ولو بسند معضل أو منقطع لا عند خليفة ولا غيره من المتقدمين والله أعلم.

مسلم بن سعيد يريد أن يخلع؛ فهو يكرهنا على الخروج، فأرسلت تَغلب إلى عمرو بن مسلم: إنك منا، وأنشدوه شعراً قاله رجل عزا باهلة إلى تَغْلِب[1] - وكان بنو قتيبة من بَاهلة - فقالوا: إنّا من تغلِب، فكرهتْ بكْر أن يكونوا في تَغلب فتكثر تغلِب، فقال رجل منهم:

زَعمَــتْ قتيبــةُ أنهــا مِــنْ وَائِــل نسَــبٌ بعيــدٌ يــا قتيبــةُ فــاصْعَــدِي

وذكر أن بني مَعن من الأزد يُدْعَوْن باهلة، وذكر عن شريك بن أبي قيلة المعنى أن عمرو بن مسلم كان يقف على مجالس بني معْن، فيقول: لئن لم نكن منكم ما نحن بعرب؛ وقال عمرو بن مسلم حين عَزاه التّغلبيّ إلى بني تغلِب: ويزيد بن المفضل الحُدّانيّ، وكلما نصراً وناشداه فانصرف. فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبختريّ على نصر، ونادوا: يالَ بكر! وجالوا، وكرّ نصر عليهم؛ فكان أوّلَ قتيل رجلٌ من باهلة، ومع عمرو بن مسلم البحتريُّ وزياد بن طَريف الباهليّ فقتِل من أصحاب عمرو بن مسلم في المعركة ثمانية عشر رجلاً، وقتِل كردان أخو الفرافِصَة ومَسْعدة ورجل من بكر بن وائل يقال له إسحاق، سوى مَن قتل في السكك، وانهزم عمرو بن مسلم إلى القصر وأرسل إلى نصر: ابعث إلى بلْعاء بن مجاهد، فأتاه بلعاء، فقال: خذْ لي أماناً منه، فآمنه نصر، وقال: لولا أني أُشمِت بك بكر بن وائل لقتلتك.

وقيل: أصابوا عمرو بن مسلم في طاحونة، فأتوا به نصراً في عُنقه حَبْل، فآمنه نصر، وقال له ولزياد بن طريف والبختريّ بن دِرْهَم: الحقوا بأميركم.

وقيل: بل التقى نصر وعمرو بالبرُوقان، فقتِل من بكر بن وائل واليمن ثلاثون، فقالت بكر: علام نقاتل إخواننا وأميرنا، وقد تقرّبنا إلى هذا الرجل فأنكر قرابتنا! فاعتزلوا، وقاتلت الأزْد، ثم انهزموا ودخلوا حصناً فحصرهم نصر، ثم أخذ عمرو بن مسلم والبختريَّ أحد بني عبّاد وزياد بن طريف الباهليَّ، فضربهم نصر مئة مئة، وحلَق رؤوسهم ولحاهم، وألبسهم المُسوح. وقيل: أخذ البَختريّ في غيضة كان دخلها، فقال نصر في يوم البرُوقان:

أرَى العينَ لجّتْ في ابتدارٍ وما الذي يَـرُدّ عليهـا بـالـدمـوعِ ابتـدارُهـا!

---

(١) ابن الأثير: «قاله رجل من باهلة إلى تغلب».

فما أنا بالواني إذا الحربُ شَمَّرَتْ تَحَرَّقُ في شَطْرِ الخميسَين نارُها
ولكنَّني أَدعو لها خِندِفَ التي تطلَّعُ بالعِبْء الثَّقِيلِ فِقارُها
وما حَفظَتْ بكرٌ هنالك حِلفها فصار عليها عارُ قيسٍ وعارُها
فإن تكُ بَكرٌ بالعراقِ تَنَزَّرَتْ ففي أَرضِ مَرْوٍ عَلُّها وازْوِرارُها
وقد جَرَّبَتْ يَومَ البَروقان وقعةً لخِندِفَ إذ حانَتْ وآنَ بوارُها
أتتني لِقَيْسٍ في بَجيلةَ وقعةٌ وقد كان قبلَ اليومِ طالَ انتظارُها

يعني حين أخذ يوسف بن عمر خالداً وعياله.

وذكر عليّ بن محمد أن الوليد بن مسلم قال: قاتل عمرو بن مسلم نصر بن سيار فهزمه عمرو، فقال لرجل من بني تميم كان معه: كيف ترى أستاه قومك يا أخا بني تميم؟ يعيِّره بهزيمتهم، ثم كرّت تميم فهزموا أصحاب عمرو، فانجلى الرَّهج وبلعاء بن مجاهد في جمع من بني تميم يشُلُّهم، فقال التميميُّ لعمرو: هذه أستاه قومي. قال: وانهزم عمرو، فقال بلعاء لأصحابه: لا تقتلوا الأسرى ولكن جَرِّدوهم، وجوبوا سراويلاتهم عن أدبارهم ففعلوا، فقال بيان العنبريّ يذكر حربهم بالبَرُوقان:

أتاني ورَحْلي بالمدينةِ وقعةٌ لآلِ تميمٍ أَرْجَفَتْ كلَّ مُرجَفِ
تَظَلُّ عُيونُ البُرْشِ بكرِ بنِ وائِلٍ إذا ذُكِرَت قتلى البَرُوقانِ تَذْرِفُ
هُمُ أسلموا للموتِ عَمْرو بنَ مسلمٍ ووَلَّوْا شِلالاً والأَسنةُ تَرْعُفُ
وكانت من الفتيانِ في الحربِ عادة ولم يصبرُوا عندَ القنا المُتَقَصِّفِ

(٧/ ٢٩ ـ ٣٢).

ذكر الخبر عن غزوة مسلم بن سعيد هذه الغزوة:

ذكر عليّ بن محمد عن أشياخه أنّ مسلماً غزا في هذه السنة، فخطب الناس في ميدان يزيد، وقال: ما أُخَلِّفُ بعدي شيئاً أهمّ عندي من قوم يتخلّفون بعدي مخلْقِي الرقاب، يتواثبون الجُدران على نساء المجاهدين؛ اللهمّ افعل بهم وافعل! وقد أمرتُ نصراً ألاّ يجد متخلّفاً إلاّ قتله، وما أرثي لهم من عذاب ينزله الله بهم ـ يعني عمرو بن مسلم وأصحابه ـ فلما صار ببخارى أتاه كتاب من خالد بن عبد الله القسريّ بولايته على العراق، وكتب إليه: أتممْ غزاتك. فسار

إلى فَرْغانة ، فقال أبو الضحاك الرَّواحيّ ـ أحد بني رَوَاحة من بني عبس ، وعِداده في الأزد ، وكان ينظر في الحساب: ليس على متخلِّفٍ العامَ معصية ، فتخلّف أربعة آلاف ، وسار مسلم بن سعيد ، فلما صار بفرْغانة بلغه أن خاقان قد أقبل إليه ، وأتاه شُمَيْل ـ أو شُبَيْل ـ بن عبد الرحمن المازنيّ ، فقال: عاينت عسكر خاقان في موضع كذا وكذا ، فأرسل إلى عبد الله بن أبي عبد الله الكرْمانيّ مولى بني سليم ، فأمره بالاستعداد للمسير ، فلما أصبح ارتحل بالعسكر ، فسار ثلاث مراحل في يوم؛ ثم سار من غد حتى قطع وادي السّبوح ، فأقبل إليهم خاقان ، وتوافت إليه الخيل؛ فأنزل عبد الله بن أبي عبد الله قوماً من العُرَفاء والموالي ، فأغار الترك على الذين أنزلهم عبد الله ذلك الموضع فقتلوهم ، وأصابوا دوابّ لمسلم وقتِل المسيّب بن بشر الرّياحيّ ، وقتِل البراء ـ وكان من فرسان المهلّب ـ وقتل أخو غوْزك ، وثار النّاس في وجوههم ، فأخرجوهم من العسكر ، ودفع مسلم لواءه إلى عامر بن مالك الحِمَّانيّ ، ورحل بالناس فساروا ثمانية أيام ، وهم مطيفون بهم؛ فلما كانت الليلة التاسعة أراد النزول ، فشاور الناس فأشاروا عليه بالنزول ، وقالوا: إذا أصبحنا وردنا الماء ، والماءُ منا غير بعيد؛ وإنك إن نزلت المرْج تفرّق الناس في الثمار ، وانتُهب عسكرُك ، فقال لسورة بن الحرّ: يا أبا العلاء ، ما ترى؟ قال: أرى ما رأى الناس ونزلوا. قال: ولم يرفع بناء في العسكر ، وأحرق الناس ما ثقل من الآنية والأمتعة ، فحرَّقوا قيمة ألف ألف ، وأصبح الناس فساروا ، فوردوا الماء فإذا دون النّهر أهلُ فرغانة والشّاش ، فقال مسلم بن سعيد: أعزِم على كلّ رجل إلاّ اخترط سيفه؛ ففعلوا فصارت الدنيا كلها سيوفاً ، فتركوا الماء وعبروا ، فأقام يوماً ، ثم قطع من غدٍ ، وأتبعهم ابن الخاقان. قال: فأرسل حُميد بن عبد الله وهو على الساقة إلى مسلم: قف ساعةً فإنّ خلفي مئتي رجل من الترك حتى أقاتلهم ـ وهو مثقَلٌ جراحةً ـ فوقف الناس ، فعطف على الترك ، فأسر أهل السُّغد وقائدهم وقائد الترك في سبعة ، وانصرف البقيّة ، ومضى حميد ورُمي بنشّابة في ركبته ، فمات.

وعطش الناس وقد كان عبد الرحمن بن نعيم العامري حمل عشرين قربة على إبله ، فلما رأى جهد الناس أخرجها ، فشربوا جُرَعاً ، واستسقى يوم العطش مسلم بن سعيد فأتوْه بإناء ، فأخذه جابر ـ أو حارثة ـ بن كثير أخو سليمان بن كثير

من فيه ، فقال مسلم: دعوه ، فما نازعني شَرْبتي إلا من حرّ دخَله ، فأتوا خُجَنْدة ، وقد أصابتهم مَجاعة وجَهد ، فانتشر الناس فإذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم ، فأتياه بعهده على خُراسان من أسد بن عبد الله ، فأقرأه عبد الرحمن مسلماً ، فقال: سمعاً وطاعة ، قال: وكان عبد الرحمن أوّل من اتخذ الخيام في مفازة آمُل.

قال: وكان أعظم الناس غنىً يوم العطش إسحاق بن محمد الغُدانيّ ، فقال حاجب الفيل لثابت قُطْنة ، وهو ثابت بن كعب:

نقْضي الأمورَ وبكرٌ غيرُ شاهدها ... بيـنَ المجـاذِيـفِ والسُّكـانِ مشغـولُ
مـا يَعْـرفُ النـاسُ منه غيـرَ قُطْنَتِـه ... ومـا سـواهـا مِـنَ الآبـاءِ مجْهُـولُ

وكان لعبد الرحمن بن نعيم من الولد نُعَيم وشَديد وعبد السلام وإبراهيم والمِقْداد ، وكان أشدَّهم نُعَيم وشَديد ، فلما عُزل مسلم بن سعيد ، قال الخزرج التغلبيّ: قاتلنا الترك ، فأحاطوا بالمسلمين حتى أيقنوا بالهلاك؛ فنظرت إليهم وقد اصفرّت وجوههم ، فحمل حَوْثرة بن يزيد بن الحرّ بن الحُنَيف بن نصر بن يزيد بن جَعْوَنَة على الترك في أربعة آلاف ، فقاتلهم ساعة ثم رجع ، وأقبل نصر بن سيار في ثلاثين فارساً ، فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم ، وحمل الناس عليهم؛ فانهزم الترك.

قال: وحوثرة هذا هو ابن أخي رَقَبة بن الحرّ. قال: وكان عمر بن هبيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولاّه خراسان: ليكن حاجبُك من صالح مواليك ، فإنه لسانك والمعبّر عنك ، وحُثّ صاحب شُرطتك على الأمانة ، وعليك بعمال العذر ، قال: ومَا عمال العُذْر؟ قال: مُرْ أهلَ كلّ بلد أن يختاروا لأنفسهم ، فإذا اختاروا رجلاً فولّه ، فإن كان خيراً كان لك ، وإن كان شرّاً كان لهم دونك؛ وكنت معذوراً.

قال: وكان مسلم بن سعيد كتب إلى ابن هُبيرة أن يوجه إليه توبة بن أبي أسَيْد مولى بني العنبر ، فكتب ابن هبيرة إلى عامله بالبصرة: احمل إليّ توبة بن أبي أسَيْد ، فحمله فقدم ـ وكان رجلاً جميلاً جهيراً له سَمْتٌ ـ فلما دخل على ابن هبيرة ، قال ابن هبيرة: مثل هذا فليولّ ، ووجّه به إلى مسلم ، فقال له مسلم: هذا خاتمي فاعمل برأيك؛ فلم يزل معه حتى قدم أسد بن عبد الله ، فأراد توبة أن

يشخص مع مسلم ، فقال له أسد: أقم معي فأنا أحوَج إليك من مسلم ، فأقام معه ، فأحسن إلى الناس وألان جانبه ، وأحسن إلى الجند وأعطاهم أرزاقهم ، فقال له أسَد: حلّفهم بالطلاق فلا يتخلف أحد عن مغزاه ، ولا يدخل بديلاً ، فأبى ذلك توبة فلم يحلفهم بالطلاق.

قال: وكان الناس بعد توبة يُحلّفون الجند بتلك الأيمان ، فلما قدم عاصم بن عبد الله أراد أن يحلّف الناس بالطلاق فأبوا ، وقالوا: نحلف بأيمان توبة. قال: فهم يعرفون ذلك ، يقولون: أيمان توبة(١) . [٧/ ٣٢ـ ٣٥] .

قال الواقدي: حدّثني ابن أبي الزّناد ، عن أبيه ، قال: كتب إليّ هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة أن اكتب لي سُنَن الحج ، فكتبتها له ، وتلقاه أبو الزناد ، قال أبو الزّناد: فإني يومئذ في الموكب خلفه ، وقد لقيَه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان ، وهشام يسير ، فنزل له ، فسلم عليه ، ثم سار إلى جَنْبه ، فصاح هشام: أبو الزناد! فتقدَّمتُ ، فسرت إلى جنبه الآخر ، فأسمع سعيداً يقول: يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين ، وينصر خليفته المظلوم ، ولم يزالوا يَلعنون في هذه المواطن الصالحة أبا تراب ، فأمير المؤمنين ينبغي له أن يلعنه في هذه المواطن الصالحة؛ قال: فشقّ على هشام ، وثقل عليه كلامه ، ثم قال: مَا قدمنا لشتم أحد ولا للعنه ، قدمنا حجّاجاً. ثم قطع كلامه وأقبل عليّ فقال: يا عبد الله بن ذكوان ، فرغتَ مما كتبتُ إليك؟ فقلت: نعم ، فقال أبو الزناد: وثقُل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام ، فرأيته منكسراً كلما رآني(٢) .

وفي هذه السنة كلّم إبراهيم بن محمد بن طلحة هشامَ بن عبد الملك ـ وهشام واقف قد صلّى في الحِجْر ـ فقال له: أسألك بالله وبحرْمة هذا البيت والبلد الذي خرجتَ معظِّماً لحقه إلا رددتَ عليّ ظلامتي! قال: أيّ ظلامة؟ قال: داري ، قال: فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: ظلمني والله ، قال: فعن الوليد بن عبد الملك؟ قال: ظلمني والله ، قال: فعن سليمان؟ قال: ظلمني ، قال: فعن عمر بن عبد العزيز؟ قال: يرحمه الله ، ردّها والله عليّ ، قال: فعن

(١) انظر البداية والنهاية (٧/ ١٨٥).
(٢) هذا خبر لا يصح والواقدي متروك ولم يتابعه على هذا الخبر غيره.

يزيد بن عبد الملك؟ قال: ظلمني والله ، هو قبضها مني بعد قبضِي لها ، وهي في يديك ، قال هشام: أما والله لو كان فيك ضربٌ لضربتك ، فقال إبراهيم: فيّ والله ضرب بالسيف والسوط. فانصرف هشام والأبرش خلفه فقال: أبا مجاشع ، كيف سمعتَ هذا اللسان؟ قال: ما أجود هذا اللسان! قال: هذه قريش وألسنتها ، ولا يزال في الناس بقايا ما رأيتَ مثل هذا. [٧/ ٣٥ـ٣٦].

وفيها استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميراً على خراسان ، فقدمها ومسلم بن سعيد غازٍ بفرغانة ، فذكر عن أسد أنه لما أتى النهر ليقطع ، منعه الأشهب بن عبيد التميميّ أحد بني غالب ، وكان من السفن بآمُل ، فقال له أسد: أقطِعني ، فقال: لا سبيل إلى إقطاعك؛ لأني نُهِيت عن ذلك ، قال: لاطفوه وأطمعوه ، فأبى؛ قال: فإني الأمير ، ففعل ، فقال أسد: اعرفوا هذا حتى نَشْرَكه في أمانتنا ، فقطع النهر ، فأتى السُّغد ، فنزل مرْجها ، وعلى خراج سَمرقند هانىء بن هانىء ، فخرج في الناس يتلقى أسداً ، فأتَوه بالمرْج ، وهو جالس على حجَر ، فتفاءل الناس ، فقالوا: أسد على حَجر! ما عند هذا خير ، فقال له هانىء: أقدمتَ أميراً فنفعل بك ما نفعل بالأمراء ؟ قال: نعم. قدمتُ أميراً. ثم دعا بالغداء فتغدّى بالمرْج، وقال: مَن ينشط بالمسير وله أربعة عشر درهماً ـ ويقال: قال ثلاثة عشر درهماً ـ وهاهي ذي في كميّ؟ وإنه ليبكي ويقول: إنما أنا رجل مثلكم ، وركب فدخل سَمَرْقند وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نعيم على الجند ، فقدم الرّجلان على عبد الرحمن بن نعيم ، وهو في وادي أفشين على السّاقة ـ وكانت الساقة على أهل سمَرْقند الموالي وأهل الكوفة ـ فسألا عن عبد الرحمن فقالوا: هو في الساقة ، فأتياه بعهد وكتاب بالقَفل والإذن لهم فيه ، فقرأ الكتاب ، ثمّ أتى به مسلماً وبعهده ، فقال مسلم: سمعاً وطاعة ، فقام عمرو بن هلال السدوسيّ ـ ويقال التيميّ ـ فقنّعه سوطين لما كان منه بالبَرُوقان إلى بكر بن وائل ، وشتمه حسين بن عثمان بن بشر بن المحتفز ، فغضب عبد الرحمن بن نعيم ، فزجرهما ثم أغلظ لهما ، وأمر بهما فدفعا ، وقفل بالناس وشخص معه مسلم.

فذكر عليّ بن محمد عن أصحابه ، أنهم قدموا على أسد ، وهو بسمَرْقند ، فشخص أسد إلى مَرْو ، وعزل هانئاً ، واستعمل على سمَرْقَنْد الحسن بن

أبي العَمَرّطة الكنديّ من ولد آكل المُرار، قال: فقدمِتْ على الحسن امرأته الجَنوب ابنة القعقاع بن الأعلم رأس الأزد، ويعقوب بن القعقاع قاضي خراسان، فخرج يتلقاها، وغزاهم الترك، فقيل له: هؤلاء الترك قد أتوك ـ وكانوا سبعة آلاف ـ فقال: ما أتَوْنا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم، وأيمُ الله مع هذا لأدنينّكم منهم، ولأقرننّ نواصي خيلكم بنواصي خيلهم.

قال: ثم خرج فتباطأ حتى أغاروا وانصرفوا، فقال الناس: خرج إلى امرأته يتلقاها مسرعاً، وخرج إلى العدو متباطئاً، فبلغه فخطبهم، فقال: تقولون وتعيبون! اللهمَّ اقطع آثارهم وعجّل أقدارهم، وأنزل بهم الضّراء وارفع عنهم السراء! فشتمه الناس في أنفسهم.

وكان خليفته حين خرج إلى الترك ثابت قُطْنة، فخطب الناس فحصر فقال: من يطع اللهَ ورَسُوله فقد ضلّ، وأرتِج عليه، فلم ينطق بكلمة، فلما نزل عن المنبر قال:

إنْ لم أكنْ فيكمْ خَطِيباً فإنني ... بسيفي إذا جَدَّ الوغى لخَطيبُ(١)

فقيل له: لو قلت هذا على المنبر، لكنت خطيباً، فقال حاجب الفيل اليشكريّ يعيره حَصَرَه:

أبا العَلاَءِ لقد لاقيتَ مُعْضلَةً ... يومَ العَرُوبةِ مِنْ كَربٍ وتَخنِيق
تَلوي اللسانَ إذا رُمتَ الكلاَمَ بهِ ... كما هوى زَلَقٌ من شاهِقِ النِّيقِ
لمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ الناسِ ضاحيةً ... أنشأْتَ تَجْرَضُ لمَّا قمتَ بالرِّيق
أما القرانُ فَلا تُهدَى لِمَحْكَمَةٍ ... مِنَ القِرانِ وَلاَ تُهْدَى لِتَوفيقِ

وفي هذه السنة ولد عبد الصمد بن عليّ في رجب. [٧/ ٣٧ ـ ٣٩].

ثم دخلت سنة سبع ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج عبّاد الرُّعيْني باليمن محكِّماً، فقتله يوسف بن

---

(١) أورد الجاحظ الشعر في البيان والتبيين ١: ٢٣١، وروايته:

فإلاَّ أكُنْ فيهمْ خطيباً فإنَّني ... بسُمْرِ القنا والسَّيْفِ جِدُّ خطيب

عمر ، وقتل معه أصحابه كلهم وكانوا ثلثمئة[١] . [٧/ ٤٠] .

وفيها وجّه بكير بن ماهان أبا عِكْرمة وأبا محمد الصّادق ومحمد بن خنيس وعمار العباديّ في عِدّة من شيعتهم ، معهم زياد خال الوليد الأزرق دعاة إلى خراسان ، فجاء رجل من كندة إلى أسد بن عبد الله ، فوَشى بهم إليه ، فأتى بأبي عكرمة ومحمد بن خُنيس وعامة أصحابه ، ونجا عمّار ، فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم ، وصلبهم ، فأقبل عمار إلى بكير بن ماهان ، فأخبره الخبر ، فكتب به إلى محمد بن عليّ ، فأجابه : الحمد لله الذي صدّق مقالتكم ودعوتكم ، وقد بقيت منكم قتلى ستُقتل[٢] .

وفي هذه السنة حُمل مسلم بن سعيد إلى خالد بن عبد الله ، وكان أسد بن عبد الله له مكرِّماً لم يعرض له ولم يحبسه ، فقدم مسلم وابن هبيرة مُجْمعٌ على الهرب ، فنهاه عن ذلك مسلم ، وقال له : إن القوم فينا أحسن رأياً منكم فيهم . [٧/ ٤٠] .

ذكر الخبر عن غزوة أسد هذه الغزوة :

ذكر عليّ بن محمد عن أشياخه ، أنّ أسداً غزا الغُور ، فعمد أهلُها إلى أثقالهم فصيّروها في كهف ليس إليه طريق ، فأمر أسد باتّخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ، ودلّاها بالسلاسل ، فاستخرجوا ما قدروا عليه ، فقال ثابت قُطْنة :

أرَى أَسَــداً تَضَمَّــنَ مُفْظِعَــاتٍ ... تهيَّبَهَــا الملــوكُ ذَوُو الحجــابِ

سَمَــا بــالخيــل فــي أكنــافِ مــرو ... وتــوفِــزُهُــنَّ بيــن هــلا وهــابِ

إلــى غُــوريــن حيــثُ حَــوى أَزَبٌّ ... وصــكٌّ بــالسُّيــوفِ وبــالحــرابِ

هَــدانــا اللهُ بــالقتلــى تَــراهــا ... مصَلَّبَــةً بــأَفــواهِ الشِّعــابِ

مَــلاحِــمُ لــم تَــدَعْ لِســراةِ كلــبٍ ... مهــاتــرةً وَلا لبنــي كِــلَابِ

فــأوردهــا النِّهــابَ وآبَ منهــا ... بــأفضــلِ مــا يصــابُ مِــنَ النهــابِ

وكــان إِذَا أنــاخَ بــدارِ قــومٍ ... أراهــا المُخــزيــاتِ مــن العــذاب

ألــم يُــزِرِ الجبــالَ جبــالَ مُلــع ... تــرى مــن دونهــا قِطَــعَ السَّحــابِ

---

(١) انظر المنتظم لابن الجوزي (٧/ ١١٧) والبداية والنهاية (٧/ ١٨٦) .

(٢) راجع المنتظم (٧/ ١١٧) والبداية والنهاية (٧/ ١٨٦) .

بـأَرْعَـنَ لـم يـدع لهـمُ شَـرِيـداً وعــاقَبَهَــا المُمِــضَّ مِـنَ العقــابِ

وملع من جبال خُوط فيها تعمل الحزُم الملعيّة.

وفي هذه السنة نقل أسد من كان بالبَرُوقان من الجند إلى بلْخ، فأقطع كلّ مَن كان له بالبَرُوقان مسكنٌ مسكناً بقدر مسْكنه، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً، وأراد أن ينزلهم على الأخماسِ، فقيل له: إنهم يتعصّبون، فخلط بينهم، وكان قسم لعمارة مدينة بلْخ الفعَلة على كلّ كُورة على قدر خراجها، وولّى بناء مدينة بلْخ برمك أبا خالد بن برمك، ـ وكان البَرُوقان منزل الأمراء وبين البَرُوقان وبين بلْخ فرسخان وبين المدينة والنوبهار قدر غَلْوتين ـ فقال أبو البريد في بنيان أسد مدينة بلْخ:

شَعفَتْ فؤادكَ فالهوى لك شاعِفُ رِئـمٌ علـى طِفـل بحَـوْمـلَ عـاطـفُ

تـرعَـى البَـريَـر بجـانبـيْ مُتَهـدِّلٍ ريّـــانَ لا يَغْشُـــو إليـــه آلِـــفُ

بمَحـاضِـرٍ مِـنْ مُنْحنًـى عَطفَـتْ لـه بقَـــرٌ تَـــرَجَّـــح زَانَهـــنَّ رَوادفُ

إنَّ المبــاركَــةَ التــي أحْصنتَهــا عُصِـمَ الـذَّلِيـلُ بهـا وَقَـرَّ الخـائِـفُ

فـأراك فيهـا مـا رَأى مِـنْ صَـالـحٍ فتحــاً وأبــوابُ السمــاءِ رَواعِــفُ

فمضى لكَ الإِسمُ الذي يَرضى به عنـك البصيـرُ بمـا نـويـتَ الّـلاطف

يـا خيْـرَ ملـكٍ سـاسَ أمـرَ رَعِيَّـة إنـي علـى صِـدْقِ اليميـنِ لحـالِـفُ

اللهُ آمنَهـــا بصُنعـــكَ بَعـــدَمــا كــانــت قلـوبٌ خَـوفهـنّ رَواجِـفُ

[٧/ ٤١ ـ ٤٢].

ثم دخلت سنة ثمان ومئة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

وفيها أيضاً غزا إبرهيم بن هشام ففتحَ أيضاً حصناً من حصون الروم[١] وفيها وجّه بكير بن ماهان إلى خراسان عدّة؛ فيهم عمّار العِبَاديّ؛ فوشى بهم رجل إلى أسد بن عبد الله، فأخذ عمّاراً فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه، فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر، فكتب بذلك إلى محمد بن عليّ، فكتب إليه في

(١) انظر المنتظم (٧/ ١٢١) والبداية والنهاية (٧/ ١٩٠).

جواب الكتاب: الحمد لله الذي صدّق دعوتكم ونجّى شيعتكم[١].

وفيها كان الحريق بدابق؛ فذكر محمد بن عمر أنّ عبد الله بن نافع حدّثه عن أبيه، قال: احترق المرعَى حتى احترق الدوابّ والرجال.

غزو الخُتَّل

وفيها غزا أسد بن عبد الله الخُتَّل؛ فذكر عن عليّ بن محمد أن خاقان أتى أسداً وقد انصرف إلى القَوادَيان، وقطع النهر، ولم يكن بينهم قتال في تلك الغزاة. وذكر عن أبي عبيدة، أنه قال: بل هزموا أسداً وفضحوه؛ فتغنّى عليه الصبيان:

أزْ خُتَّـــلاَنَ آمــــذِي ... بــــرُو تَبـــاهُ آمــــذِي

قال: وكان السبْل محارباً له، فاستجلب خاقان، وكان أسد قد أظهر أنه يشتو بسُرْخ درَه، فأمر أسد الناس فارتحلوا، ووجه راياته، وسار في ليلة مظلمة إلى سرخ دره، فكبّر الناس، فقال أسد: ما للناس؟ قالوا: هذه علامتهم إذا قفلوا، فقال لعروة المنادى: نادِ إنّ الأمير يريد غورين؛ ومضى وأقبل خاقان حين انصرفوا إلى غورين النهر فقطع النهر، فلم يلتق هو ولا هم، ورجع إلى بلْخ، فقال الشاعر في ذلك يمدح أسد بن عبد الله:

نـدبْتُ لـي مـن كـل خُمسٍ أَلفيْـن ... مـن كـلّ لحّـاف عـريـضِ الـدَّفَّيْـنِ

قال: ومضى المسلمون إلى الغُوريان فقاتلوهم يوماً، وصبروا لهم، وبرز رجل من المشركين، فوقف أمام أصحابه وركز رمحه، وقد أعلِم بعصابة خضراء - وسَلْم بن أحوَز واقف مع نصر بن سيّار - فقال سلم لنصر: قد عرفت رأي أسد، وأنا حامل على هذا العِلْج؛ فلعلي أن أقتله فيرضى. فقال: شأنك فحمل عليه، فما اختلج رمحه حتى غشيه سلم فطعنه، فإذا هو بين يدي فرسه، ففحص برجله، فرجع سلم فوقف، فقال لنصر: أنا حامل حملة أخرى؛ فحمل حتى إذا دنا منهم اعترضه رجل من العدوّ، فاختلفا ضربتيْن، فقتله سلْم، فرجع سلم جريحاً، فقال نصر لسلم: قفْ لي حتى أحمل عليهم، فحمل حتى خالط العدوّ، فصرع رجلين ورجع جريحاً، فوقف فقال: أترى ما صنعنا يرضيه؟

---

(١) انظر المنتظم (٧/ ١٢١).

لا أرضاه الله! فقال: لا والله فيما أظنّ. وأتاهما رسول أسد فقال: يقول لكما الأمير: قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين، لعنكما الله! فقالا: آمين إن عدنا لمثل هذا، وتحاجزوا يومئذ، ثم عادوا من الغد فلم يلبث المشركون أن انهزموا، وحوى المسلمون عسكرهم، وظهروا على البلاد فأسروا وسبوا وغنموا، وقال بعضهم رجع أسد في سنة ثمان ومئة مفلولاً من الختَّل، فقال أهل خراسان:

أزْ ختّلان آمذي بـرو تباه آمـذي بيـدَل فَـراز آمـذي[1]

قال: وكان أصاب الجند في غزاة الختّل جوع شديد، فبعث أسد بكبشين مع غلام له، وقال: لا تبعْهما بأقلّ من خمسمئة، فلما مضى الغلام، قال أسد: لا يشتريهما إلا ابن الشِّخِّير، وكان في المسلحة، فدخل ابن الشّخِّير حين أمسى، فوجد الشاتين في السوق، فاشتراهما بخمسمئة، فذبح إحداهما وبعث بالأخرى إلى بعض إخوانه، فلما رجع الغلام إلى أسد أخبره بالقصة، فبعث إليه أسد بألف درهم.

قال: وابن الشخّير هو عثمان بن عبد الله بن الشِّخّير، أخو مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير الحَرَشيّ. [٧/ ٤٣ ـ ٤٥].

* * *

ثم دخلت سنة تسع ومئة

ذكر الأحداث التي كانت فيها

خبر مقتل عمر بن يزيد الأسيِّديّ

وفيها قتل عمر بن يزيد الأسيِّديّ؛ قتله مالك بن المنذر بن الجارود.

ذكر الخبر عن ذلك:

وكان سبب ذلك ـ فيما ذكر ـ أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب، فأعجب به يزيد بن عبد الملك، وقال: هذا رجل العراق،

---

(١) مثل سابقه زاد عليه ما معه: «رجع مكسور الخاطر».

فغاظ ذلك خالداً ، فأمر مالك بن المنذر وهو على شُرْطة البصرة أن يعظّم عمر بن يزيد ، ولا يعصي له أمراً حتى يعرّفه الناس ، ثم أقبل يعتلّ عليه حتى يقتله ، ففعل ذلك ، فذكر يوماً عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، فافترى عليه مالك ، فقال له عمر بن يزيد: تفتري على مثل عبد الأعلى! فأغلظ له مالك ، فضربه بالسياط حتى قتله.

* * *

غزو غورين

وفيها غزا أسد بن عبد الله غورين ، وقال ثابت قُطْنة:

أرَى أَسداً في الْحَربِ إذْ نَزَلَتْ به ... وقَارعَ أَهْلَ الحَرْبِ فازَ وأوجبَا

تناوَل أَرضَ السَّبْل ، خاقانُ رِدؤه ... فحَرَّقَ ما استَعصَى عليه وخَرَّبا

أتتْكَ وُفُودُ التّرْك ما بَيْنَ كابلٍ ... وغُورِينَ إذ لم يَهْربُوا منْكَ مَهْرَبا

فما يغْمُرُ الأَعْدَاءَ من ليْثِ غابَة ... أبِي ضارِيَاتٍ حَرَّشُوهُ فَعَقَّبا

أَزَبَّ كأنَّ الوَرْسَ فَوْقَ ذِراعِه ... كرِيَه المُحَيَّا قَدْ أسنَّ وجرَّبا

ألم يَكُ في الحِصْن المبارَكِ عصمةٌ ... لجندِكَ إذ هابَ الْجَبانُ وأَرْهَبا!

بنى لكَ عَبْدُ اللهِ حِصناً وَرِثْتَهُ ... قديماً إذا عُدّ القديمُ وأنجَبا

[٧/ ٤٦ ـ ٤٧].

ذكر الخبر عن عزل هشام خالداً وأخاه عن خراسان:

وكان سبب ذلك أن أسداً أخا خالد تعصّب حتى أفسد الناس ، فقال أبو البريد ـ فيما ذكر عليّ بن محمد لبعض الأزد: أدخلني على ابن عمّك عبد الرحمن بن صبح ، وأوصِه بي ، وأخبِرْه عني ، فأدخله عليه ـ وهو عامل لأسَد على بلْخ ـ فقال: أصلح الله الأمير! هذا أبو البريد البكريّ أخونا وناصرنا ، وهو شاعر أهل المشرق ، وهو الذي يقول:

إنْ تَنقُضِ الأَزْدُ حِلْفاً كان أكّدَهُ ... في سالف الدَّهر عَبَّادٌ ومَسْعُود

ومالكٌ وسُوَيدٌ أكّداه معاً ... لما تُجَرَّدُ فيها أيَّ تجريدِ

حتى تنادُوا أتاكَ اللهُ ضاحيَةً ... وفي الجُلود من الإِيقاع تَقْصيدُ

قال: فجذب أبو البريد يدَه ، وقال: لعنك الله من شفيع كذب! أصلحك الله! ولكني الذي أقول:

الأزْدُ إخْوتُنا وَهُمْ حُلَفَاؤنا ما بَيْنَنَا نكْثٌ ولا تَبْدِيْلُ

قال: صدقت ، وضحك ، وأبو البريد من بني عِلباء بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة.

قال: وتعصّب على نصر بن سيار ونفر معه من مُضر ، فضربهم بالسياط ، وخطب في يوم جمعة فقال في خطبته: قبح الله هذه الوجوه! وجوه أهل الشقاق والنفاق ، والشغَب والفساد ، اللهم فرّق بيني وبينهم ، وأخرجني إلى مهاجري ووطني ، وقلّ مَن يروم ما قِبَلي أو يترمرم ، وأمير المؤمنين خالي ، وخالد بن عبد الله أخي ، ومعي اثنا عشر ألف سيف يمانٍ.

ثم نزل عن منبره ، فلما صلى ودخل عليه الناس ، وأخذوا مجالسهم ، أخرج كتاباً من تحت فراشه ، فقرأه على الناس ، فيه ذكر نَصْر بن سيار وعبد الرحمن بن نعيم الغامديّ وسوْرة بن الحرّ الأبانيّ - أبان بن دارم - والبَختريّ بن أبي درهم من بني الحارث بن عبَّاد ، فدعاهم فأنّبهم ، فأزِم القوم ، فلم يتكلم منهم أحد ، فتكلم سوْرة ، فذكر حاله وطاعتَه ومناصحته ، وأنه ليس ينبغي له أن يقبل قول عدوّ مبطل ، وأن يجمع بينهم وبين من قرفهم بالباطل ، فلم يقبل قوله ، وأمر بهم فجُرّدوا ، فضرب عبد الرحمن بن نعيم ، فإذا رجل عظيم البطن أرسح[1] ؛ فلما ضرب التوى ، وجعل سراويله يزلّ عن موضعه ، فقام رجل من أهل بيته ، فأخذ رداءً له هَرَوِيّاً ، وقام مادّاً ثوبه بيده ، وهو ينظر إلى أسَد ، يريد أن يأذن له فيؤزّره ، فأومَى إليه أن افعل ، فدنا منه فأزّره - ويقال بل أزّره أبو نميلة - وقال له: اتَّزر أبا زهير ، فإن الأمير وال مؤدب ، ويقال بل ضَربهم في نواحي مجلسه.

فلما فرغ قال: أين تيس بني حِمّان؟ - وهو يريد ضربه؛ وقد كان ضربه قبل - فقال: هذا تيس بني حِمان؛ وهو قريب العَهْد بعقوبة الأمير ، وهو عامر بن مالك بن مسلمة بن يزيد بن حجر بن خيسْق بن حِمّان بن كعب بن سعد. وقيل إنه

---

(١) الرسح؛ قلة لحم العجز والفخذين. القاموس المحيط ص ٢٨٠.

خلفهم بعد الضّرب ، ودفعهم إلى عبد ربه بن أبي صالح مولى بني سليم ـ وكان من الحرس ـ وعيسى بن أبي بُرَيق ، ووجَّههم إلى خالد ، وكتب إليه : إنَّهم أرادوا الوثوب عليه ؛ فكان ابن أبي بريق كلما نبت شعر أحدهم حلَقه ، وكان البختريّ بن أبي درهم ، يقول : لَوددت أنه ضربني وهذا شهراً ـ يعني نصر بن سيار لما كان بينهما بالبرُوقان ـ فأرسل بنو تميم إلى نصرْ : إن شئتم انتزعناكم من أيديهم ، فكفهم نصر ، فلما قدم بهم على خالد لام أسداً وعنّفه ، وقال : ألا بعثت برؤوسهم! فقال عرفجة التميميّ :

فكَيفَ وأَنصارُ الخَليفَة كُلّهُمْ عُناةٌ وأعداءُ الخَليفَة تُطْلَقُ!
بكَيْتُ ولم أملك دُمُوعي وَحُقّ لي ونَصْرٌ شهابُ الْحَرْبِ في الغلّ موثقُ

وقال نصر :

بَعَثْتَ بالعِتابِ في غَيْرِ ذَنْبٍ في كتاب تَلومُ أُم تميم
إنْ أكْن موثقاً أسِيراً لَدَيْهِمْ في هُمُومٍ وكُربَة وَسُهُومِ
رهْنَ قَسْرٍ فما وَجَدْتَ بَلاءً كإسارِ الكِرَامِ عندَ اللئيمِ
أَبلغِ المُدّعينَ قسراً وَقَسْرٌ أهلُ عود القناةِ ذاتِ الوُصومِ
هَلْ فطِمْتُمْ عنِ الخيانَةِ والغدْ رِ أَم أنتمْ كالحاكرِ المُسْتَدِيمِ؟

وقال الفرزدق :

أخالِدُ لَوْلا اللهُ لَمْ تعطَ طاعَةً ولولا بنو مروانَ لم توثقُوا نصرَا
إذاً للقيتمْ دُونَ شدٍّ وِثاقِهِ بني الحرْب لا كُشْفَ اللقاءِ ولاَ ضَجْرا

وخطب أسد بن عبد الله على منبر بلْخ ، فقال في خطبته : يا أهل بلْخ ، لقبتموني الزّاغ والله لأزيغنّ قلوبكم . [٧/ ٤٧ ـ ٤٩] .

[ذكر الخبر عن دعاة بني العباس]

وذكر عليّ بن محمد أن أوّل من قدِم خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى هَمْدان في ولاية أسد بن عبد الله الأولى ، بعثه محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس ، وقال له : ادع الناس إلينا وانزلْ في اليمن ، والطف بمُضر ، ونهاه عن رجل من أبْرشهر ، يقال له غالب ؛ لأنه كان مفرطاً في حبّ بني فاطمة .

ويقال: أوّل من جاء أهل خراسان بكتاب محمد بن عليّ حرْب بن عثمان، مولى بني قيس بن ثعلبة من أهل بَلْخ.

قال: فلما قدم زياد أبو محمد، ودعا إلى بني العباس، ذكر سيرة بني مروان وظلمهم، وجعل يُطعم الناس الطعام، فقدم عليه غالب من أبرشهر؛ فكانت بينهم منازعة؛ غالب يفضّل آل أبي طالب وزياد يفضّل بني العباس، ففارقه غالب، وأقام زياد بمرْو شتوةً، وكان يختلف إليه من أهل مَرْو يحيى بن عقيل الخُزاعيّ وإبراهيم بن الخطاب العدويّ.

قال: وكان ينزل بَرْزَن سويد الكاتب في دور آل الرقاد، وكان على خراج مَرْو الحسن بن شيخ، فبلغه أمرُه، فأخبر به أسد بن عبد الله، فدعا به ـ وكان معه رجل يكنى أبا موسى ـ فلما نظر إليه أسد، قال له: أعرّفك؟ قال: نعم، قال له أسد: رأيتك في حانوت بدمشق، قال: نعم، قال لزياد: فما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: رُفع إليك الباطل، إنما قدمت خراسان في تجارة، وقد فرّقت مالي على الناس، فإذا صارَ إليّ خرجت. قال له أسد: اخرج عن بلادي، فانصرف، فعاد إلى أمره، فعاود الحسن أسداً، وعظّم عليه أمره، فأرسل إليه، فلما نظر إليه، قال: ألم أنهك عن المقام بخراسان! قال: ليس عليك أيها الأمير مني بأس. فأحفظه وأمر بقتلهم، فقال له أبو موسى: فاقض ما أنتَ قاض، فازداد غضباً، وقال له: أنزلتَني منزلة فرعون! فقال له: ما أنزلتُك ولكن الله أنزلك. فقتِلوا، وكانوا عشرة من أهل بيت الكوفة، فلم ينجُ منهم يومئذ إلاّ غلامان استصغرهما، وأمر بالباقين فقتلوا بكشانشاه.

وقال قوم: أمر أسد بزياد أن يُحطّ وسطه، فمُدّ بين اثنين، فضرِب فنبا السيف عنه، فكبّر أهل السوق، فقال أسد: ما هذا؟ فقيل له، لم يحِك السيف فيه، فأعطى أبا يعقوب سيفاً، فخرج في سراويل، والناس قد اجتمعوا عليه، فضربه، فنبا السيف، فضربه ضربة أخرى، فقطعه باثنتين. [٧/ ٤٩ ـ ٥٠].

وكان أسد استعمل عيسى بن شداد البُرْجُميّ إمْرته الأولى في وجه وجّهه على ثابت قطنة، فغضب، فهجا أسداً، فقال:

أرى كُلَّ قَوْمٍ يَعْرِفونَ أباهُمُ ... وأبُو بَجِيلَةَ بَيْنَهُمْ يَتَذَبْذَبُ
إن وجَدْتُ أبي أبَاكَ فلا تكنْ ... إلْباً عليَّ مع العَدُوّ تُجَلِّبُ

أَرْمي بسهْمِي من رماكَ بسَهْمِهِ ... وعدُوّ من عادَيتَ غَيْرُ مكَذَّبِ
أسدُ بن عبدِ اللهِ جَلَّلَ عفْوُهُ ... أهلَ الذنوبِ فكَيف من لم يُذْنِبِ!
أجعلتَنِي للبُرْجُمِيّ حَقِيبَةً ... والبُرْجُمِيّ هو اللئيمُ المُحْقَبُ
عبدٌ إذا استَبقَ الكِرامُ رأَيتَهُ ... يأْتي سُكَيناً حاملاً في الموكِبِ
إنِي أعُوذُ بقَبْرِ كرز أَن أرَى ... تبعاً لِعبْدٍ من تَميمٍ مُحْقَبِ

[٧/ ٥١].

وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان واستعمل على الرابطة عبد الملك بن دثار الباهليّ ، وتولى أشرس صغير الأمور وكبيرها بنفسه.

قال: وكان أشرس لما قدم خراسان كبّر الناس فرحاً به ، فقال رجل:

لَقَدْ سَمِعَ الرَّحْمٰنُ تكْبِيرَ أُمَّةٍ ... غداةَ أتاها من سليم إمامُها
إمامُ هُدى قوّى لهم أمرهُمْ بهِ ... وكانت عجافاً ما تُمِخُّ عظامُها

وركب حين قدم حماراً ، فقال له حيّان النبطيّ: أيها الأمير: إن كنت تريد أن تكون والي خراسان فاركب الخيل ، وشدّ حزام فرسك ، وألزم السوط خاصرته حتى تقدم النار ، وإلاّ فارجع ، قال: أرجع إذن. ولا أقتحم النار يا حيّان ، ثم أقام وركب الخيل.

قال عليّ: وقال يحيى بن حُضَين: رأيتُ في المنام قبل قدوم أشرس قائلاً يقول: أتاكم الوغْر الصّدر ، الضّعيف الناهضة ، المشؤوم الطائر ، فانتبهت فزعاً ورأيت في الليلة الثانية: أتاكم الوغْر الصدر ، الضعيف الناهضة ، المشؤوم الطائر ، الخائن قومه ، جغر ، ثم قال:

لقد ضاعَ جيشٌ كانَ جَغرٌ أميرَهُم ... فَهَل من تلافٍ قبل دَوْس القبَائِلِ!
فإن صُرِفَتْ عَنْهم به فَلِعَلَّةٍ ... وإلا يكونوا من أحاديثِ قائلِ

وكان أشرس يلقب جَغْراً بخراسان. [٧/ ٥٢ ـ ٥٣].

وقال الواقديّ: خطب الناس إبراهيم بن هشام بمنى في هذه السنة الغد من يوم النحر بعد الظهر. فقال سلوني ، فأنا ابن الوحيد ، لا تسألون أحداً أعلَم مني ، فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية؛ أواجبةٌ هي أم لا؟ فما دري أيّ شيء يقول له! فنزل. [٧/ ٥٣].

ثم دخلت سنة عشر ومئة

وفي هذه السنة دعا الأشرس أهلَ الذّمة من أهل سمرْقنْد ومَن وراء النهر إلى الإسلام ، على أن تُوضَع عنهم الجزية ، فأجابوا إلى ذلك ، فلما أسلموا وضع عليهم الجزية ، وطالبهم بها ، فنصبوا له الحرب[1] . [٧/ ٥٤].

ذكر الخبر عما كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم في ذلك :

ذكر أن أشرس قال في عَمله بخراسان : ابغونِي رجلاً له ورع وفضل أوجّهه إلى مَن وراء النهر ، فيدعوهم إلى الإسلام فأشاروا عليه بأبي الصّيداء صالح بن طريف ، مولى بني ضبّة ، فقال : لستُ بالماهر بالفارسيّة ، فضموا معه الربيع بن عمران التميميّ ، فقال أبو الصيداء : أخرج على شريطة أنّ مَن أسلم لم يؤخذ منه الجزية ، فإنما خَرْجُ خُراسان على رؤوس الرجال ، قال أشرس : نعم ، قال : أبو الصيداء لأصحابه : فإني أخرج فإن لم يف العمال أعنتموني عليهم ، قالوا : نعم .

فشخص إلى سَمَرْقند ، وعليها الحسن بن أبي العَمَرّطة الكنديّ على حربها وخراجها ، فدعا أبو الصيداء أهلَ سمرْقند ومن حولها إلى الإسلام ، على أن تُوضع عنهم الجزية ، فسارع الناس ، فكتب غوزك إلى أشرس : إنّ الخراج قد انكسر؛ فكتب أشرس إلى ابن أبي العمرّطة : إنّ في الخراج قوّة للمسلمين ، وقد بلغني أنّ أهل السُّغد وأشباههم لم يُسلموا رغبة ، وإنما دخلوا في الإسلام تعوّذاً من الجِزْية ، فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحسُن إسلامه ، وقرأ سورةً من القرآن ، فارفع عنه خراجَه ، ثم عزل أشرس ابنَ أبي العمرّطة عن الخراج ، وصيّره إلى هانىء بن هانىء ، وضم إليه الأشحيذ ، فقال ابنُ أبي العمرّطة لأبي الصيداء : لستُ من الخراج الآن في شيء ، فدونك هانئاً والأشحيذ؛ فقام أبو الصيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم ، فكتب هانىء : إنّ الناس قد أسلموا وبنوا المساجدَ ، فجاء دهاقين بُخارى إلى أشرس فقالوا : ممن تأخذ

---

(١) وانظر البداية والنهاية (٧/ ١٩٠) فقد ذكره ابن كثير بلا إسناد ولم نجد للخبر أصلاً صحيحاً والله أعلم.

الخراج ، وقد صار الناس كلهم عرباً؟ فكتب أشرس إلى هانىء وإلى العمال: خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه ، فأعادوا الجزيْة على من أسلم ، فامتنعوا؛ واعتزل من أهل السُّغد سبعة آلاف ، فنزلوا على سَبْعة فراسخ من سمرقند ، وخرج إليهم أبو الصيداء وربيع بن عمران التميميّ والقاسم الشيبانيّ وأبو فاطمة الأزديّ وبشر بن جرموز الضبِّيّ وخالد بن عبد الله النحويّ وبشر بن زنبور الأزديّ وعامر بن قشير ـ أو بشير ، الخُجَنديّ ، وبيان العنبريّ وإسماعيل بن عُقْبة ، لينصروهم.

قال: فعزل أشرسُ ابنَ أبي العمرّطة عن الحرب ، واستعمل مكانه المجشّر بن مزاحم السلميّ ، وضمّ إليه عُمَيرة بن سعد الشيبانيّ.

قال: فلما قدم المجشَّر كتب إلى أبي الصيداء يسأله أن يقدم عليه هو وأصحابُهُ ، فقدم أبو الصيداء وثابت قطنة ، فحبسهما ، فقال أبو الصيداء: غدرتم ورجعتم عما قلتم! فقال له هانىء: ليس بغدر ما كان فيه حَقْن الدماء ، وحمل أبا الصيداء إلى الأشرس ، وحبس ثابت قطنة عنده؛ فلما حُمل أبو الصيداء اجتمع أصحابُه ، وولوا أمرهم أبا فاطمة ، ليقاتلوا هانئاً ، فقال لهم: كفوا حتى أكتبَ إلى أشرس فيأتينَا رأيُه فنعمل بأمره. فكتبوا إلى أشرس ، فكتب أشْرس: ضعوا عليهم الخراج ، فرجع أصحاب أبي الصّيداء ، فضعف أمرهم ، فتُتبِّع الرّؤساء منهم فأخِذوا ، وحمِلوا إلى مَرْو ، وبقي ثابت محبوساً ، وأشرك أشرس مع هانىء بن هانىء سليمانَ بن أبي السريّ مولى بني عوافة في الخراج ، فألحّ هانىء والعمال في جباية الخراج ، واستخفوا بعظماء العجم ، وسلّط المجشّر عميرة بن سعد على الدّهاقين ، فأقيموا وخُرّقت ثيابهم ، وألقيت مناطقهم في أعناقهم ، وأخذوا الجِزْية ممن أسلم من الضُّعفاء ، فكفرت السُّغْد وبُخارى ، واستجاشوا الترك ، فلم يزل ثابت قطنة في حبس المجشّر ، حتى قدم نصر بن سيار والياً على المجشّر ، فحمل ثابتاً إلى أشرس مع إبراهيم بن عبد الله الليثيّ فحبسه ، وكان نصر بن سيَّار ألطفه ، وأحسن إليه ، فمدحه ثابت قُطْنة ، وهو محبوس عند أشرس فقال:

ما هاجَ شوقك من نؤْيٍ وأحجارِ ... ومَنْ رُسُومٍ عفاها صَوبُ أمطارِ!
لم يَبْقَ منها وَمِنْ أعلام عَرْصتِها ... إلا شَجِيجٌ وإلاّ موقدُ النارِ

وماثِلٌ في ديار الحَيّ بعدَهُمُ ... مثلُ الرَّبيئة في أهدامِهِ العاري
دِيارُ ليلَى قِفارٌ لا أَنيسَ بها ... دون الحُجونِ، وأَيْنَ الحجن منْ دَارِي!
بُدِّلتُ منها وقد شَطَّ المَزارُ بها ... وادِي المخافة لا يَسْري بها الساري
بَيْنَ السَّماوة في حَزمٍ مُشرَّقةٍ ... ومُعْنقٌ دوننا آذيُّهُ جار
نُقارعُ التركَ ما تَنفكُّ نائِحةٌ ... منَّا وَمنْهُم على ذي نَجْدةٍ شار
إن كانَ ظني بنصْر صادِقاً أَبَداً ... فيما أُدبِّرُ مِنْ نَقْضي وإِمرارِي
يَصْرفُ الجُنْدَ حتى يَسْتَفِيءَ بهم ... نهباً عظِيماً ويحْوِي مُلكَ جبَّار
وتَعثُرُ الخَيْلُ في الأَقيادِ آونَةً ... تحْوي النِّهابَ إلى طُلاّبِ أَوتار
حتى يَرَوْهَا دُوَيْنَ السَّرْجِ بارِقَةً ... فيها لواءٌ كظِلِّ الأَجدَلِ الضارِي
لا يَمْنعُ الثَّغْرَ إلا ذُو مُحافَظة ... مِنَ الخَضارِمِ سبّاق بأوتارِ
إني وإِن كُنْت منْ جَذْم الذي نَضُرتْ ... منْهُ الفروعُ وَزَنْدِي الثاقِبُ الوارِي
لذاكِرٌ منْكَ أمراً قَدْ سَبَقْتَ بِهِ ... من كان قَبْلكَ يا نَصْر بن سَيَّار
ناضَلْتَ عَنِّي نِضالَ الحُرِّ إذْ قَصرَتْ ... دوني العَشِيرَةُ واسْتَبْطأْتُ أَنصارِي
وصارَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلُه ... ألباً عَليّ وَرَثَّ الْحَبْلُ من جارِي
وما تَلبَّسْتُ بالأَمْرِ الذي وَقَعُوا ... به عليَّ ولا دَنّسْتُ أطمارِي
ولا عَصَيْتُ إماماً كان طاعَتَهُ ... حقّاً عليَّ ولا قارفْتُ من عار

[٧/ ٥٤ ـ ٥٧].

قال عليّ: ويقال إنّ أشْرس قطع النهر، ونزل بيكنْد؛ فلم يجد بها ماء، فلما أصبحوا ارتحلوا، فلما دنوْا من قصر بُخاراخداه ـ وكان منزله منهم على ميل ـ تلقّاهم ألفُ فارس، فأحاطوا بالعسكر وسطع رَهج الغُبار، فلم يكن الرّجل يقدر أن ينظر إلى صاحبه، قال: فانقطع منهم ستة آلاف، فيهم قطن بن قتيبة وغوْزك من الدّهاقين، فانتهوا إلى قصر من قصور بُخارى، وهم يروْن أنّ أشرس قد هلك، وأشرس في قصور بخارى؛ فلم يلتقُوا إلا بعد يومين، ولحق غوزك في تلك الوقعة بالترك، وكان قد دخل القصر مع قَطن، فأرسل إليه قَطَن رجلاً، فصاحوا برسول قطن؛ ولحق بالترك.

قال: ويقال إن غوزك وقع يومئذ وسط خيل، فلم يجد بداً من اللحاق بهم. ويقال إنّ أشرس أرسل إلى غَوزك يطلب منه طاساً، فقال لرسول أشرس: إنه لم

يبقَ معي شيء أتدهن به غير الطاس ، فاصفَحْ عنه ، فأرسل إليه: اشرب في قَرْعة ، وابعث إليّ بالطاس ، ففارقه.

قال: وكان على سَمَرْقند نصر بن سيار ، وعلى خراجها عُميرة بن سعد الشيبانيّ ، وهم محصورون ، وكان عميرة ممّن قدم مع أشرس ، وأقبل قُريش ابن أبي كهْمَس على فرس ، فقال لقَطَن: قد نزل الأمير والناس؛ فلم يُفْقَد أحد من الجند غيرك ، فمضى قطن والناس إلى العسكر؛ وكان بينهم ميل.

* * *

ذكر وقعة كمرجة

قال: ويقال إنّ أشرس نزل قريباً من مدينة بُخارى على قدْر فرسخ؛ وذلك المنزل يقال له المسجد؛ ثم تحول منه إلى مَرْج يقال له بوادرة ، فأتاهم سبابة ـ أو شبابة ـ مولى قيس بن عبد الله الباهليّ؛ وهم نزول بكَمَرْجة ـ وكانت كَمَرْجة من أشرف مدن خراسان وأعظمها أيام أشرس في ولايته ـ فقال لهم: إن خاقان مارٌّ بكم غداً ، فأرى لكم أن تُظهِروا عُدّتكم ، فيرى جِدّاً واحتشاداً ، فينقطع طمعه منكم. فقال له رجل منهم: استوثِقوا من هذا فإنه جاء ليَفتّ في أعضادكم ، قالوا: لا نفعل ، هذا مولانا ، وقد عرفناه بالنصيحة ، فلم يقبلوا منه ، وفعلوا ما أمرهم به المولى ، وصبّحهم خاقان ، فلما حاذَى بهم ارتفع إلى طريق بُخارى كأنه يريدها ، فتحدّر بجنوده من وراء تلّ بينهم وبينه ، فنزلوا وتأهبوا وهم لا يشعرون بهم ، فلما كان ذلك ما فاجأهم أن طلعوا على التلّ ، فإذا جبل حديد: أهل فَرْغانة والطارَبنْد وأفشِينة ونَسَف وطوائف من أهل بخارى. قال: فأسقط في أيدي القومِ ، فقال لهم كليب بن قَنان الذهليّ: هم يريدون مزاحفتكم فسرّبُوا دوابكم المجففة في طريق النهر ، كأنكم تريدون أن تسقوها ، فإذا جرّدتموها فخذوا طريق الباب ، وتسرّبوا الأوّل فالأوّل؛ فلما رآهم الترك يتسربّون شدُّوا عليهم في مضايق؛ وكانوا هم أعلَم بالطريق من الترك ، وسبقوهم إلى الباب فلحقوهم عنده ، فقتلوا رجلاً كان يقال له المهلب ، كان حاميتهم ، وهو رجل من العرب ، فقاتلوهم فغلبوهم على الباب الخارج من الخندق فدخلوه؛ فاقتتلوا ، وجاء رجلٌ من العرب بحُزمةِ قصب قد أشعلها ، فرمى بها

وُجوههم فتنحّوْا ، وأخلَوْا عن قتلى وجرحى ، فلما أمسوْا انصرف الترك ، وأحرق العربُ القنطرة ، فأتاهم خُسرو بن يَزْدَجِرْد في ثلاثين رجلاً ، فقال: يا معشَر العرب ، لم تقتلون أنفسكم وأنا الذي جئت بخاقان ليرد عليّ مملكتي ، وأنا آخذ لكم الأمان! فشتموه ، فانصرف.

قال: وجاءهم بازغري في مئتين ـ وكان داهية ـ من وراء النهر ، وكان خاقان لا يخالفه ، ومعه رجلان من قرابة خاقان ، ومعه أفراس من رابطة أشرس ، فقال: آمِنونا حتى ندنُوَ منكم ، فأعرِض عليكم ما أرسلني إليكم به خاقان ، فآمنوه ، فدنا من المدينة ، وأشرفوا عليه ومعه أسَراء من العرب ، فقال بازغري: يا معشَر العرب ، أحدِروا إليّ رجلاً منكم أكلمه برسالة خاقان ، فأحدروا حبيباً مولى مَهرة من أهل درقين ، فكلموه فلم يفهم ، فقال: أحِدروا إليّ رجلاً يعقل عني ، فأحدروا يزيد بن سعيد الباهليّ ، وكان يشدّو شدواً من التركية ، فقال: هذه خيل الرابطة ووجوه العرب معه أسراء. وقال: إن خاقان أرسلني إليكم؛ وهو يقول لكم: إني أجعل مَنْ كان عطاؤه منكم ستمئة ألفاً ، ومن كان عطاؤه ثلاثمئة ستمئة؛ وهو مجمع بعد هذا على الإحسان إليكم ، فقال له يزيد: هذا أمر لا يلتئم؛ كيف يكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاءٌ! لا يكون بيننا وبينكم صلح. فغضب بازغري ، فقال التركيان اللذان معه: ألا نضرب عنقه؟ قال: لا ، نزل إلينا بأمان. وفهم ما قالا له يزيد ، فخاف فقال: بلى يا بازغري إلاّ أن تجعلونا نصفين ، فيكون نصفٌ في أثقالنا ويسير النِّصف معه؛ فإن ظفر خاقان فنحن معه؛ وإن كان غير ذلك كنا كسائر مدائن أهل السُّغد ، فرضي بازغري والتركيان بما قال: فقال له: أعرض على القوم ما تراضيْنا به ، وأقبل فأخذ بطرَف الحبْل فجذبوه حتى صار على سُور المدينة ، فنادى: يا أهل كَمَرْجَة ، اجتمعوا ، فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان ، فما ترون؟ قالوا: لا نجيب ولا نرضى ، قال: يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين. قالوا: نموت جميعاً قبل ذلك. قال: فأعلموهم.

قال: فأشرفوا عليهم ، وقالوا: يا بازغري ، أتبيع الأسرى في أيديكم فنفادى بهم؟ فأما ما دعوتنا إليه فلا نجيبكم إليه ، قال لهم: أفلا تشترون أنفسكم منا؟ فما أنتم عندنا إلاّ بمنزلة مَن في أيدينا منكم ـ وكان في أيديهم الحجاج بن حُميد

النضريّ ـ فقالوا له: يا حجاج، ألا تكلَّم؟ قال: عليّ رقباءُ، وأمر خاقان بقطْع الشجر، فجعلوا يلقُون الحطب الرّطب، ويلقى أهل كَمَرْجة الحطَب اليابس، حتى سوّى الخندق، ليقطعوا إليهم، فأشعلوا فيه النيران، فهاجت ريحٌ شديدة ـ صُنْعاً من الله عزّ وجلّ ـ قال: فاشتعلت النار في الحطب، فاحترق ما عملوا في ستة أيام في ساعة من نهار، ورميناهم فأوجعناهم وشغلناهم بالجراحات. قال: وأصابتْ بازغري نُشابة في سرتّه، فاحتقن بوله، فمات من ليلته، فقطع أتراكه آذانَهم، وأصبحوا بشرّ، منكّسين رؤوسهم يبكونه، ودخل عليهم أمر عظيم، فلما امتدّ النهار جاؤوا بالأسْرى وهم مئة؛ فيهم أبو العوْجاء العتَكيّ وأصحابه، فقتلوهم، ورمْوا إليهم برأس الحجاج بن حُميد النضريّ، وكان مع المسلمين مئتان من أولاد المشركين كانوا رهائن في أيديهم، فقتلوهم واستماتوا، واشتدّ القتال، وقاموا على باب الخندق فسار على السور خمسة أعلام، فقال كليب: مَنْ لي بهؤلاء؟ فقال ظهير بن مقاتل الطُّفاويّ: أنا لك بهم؛ فذهب يسعى. وقال لفتيان: امشوا خلْفِي، وهو جريح، قال: فقتل يومئذ من الأعلام اثنان، ونجا ثلاثة. قال: فقال ملك من الملوك لمحمد بن وساج: العجَب أنه لم يبقَ ملِك فيما وراء النهر إلاّ قاتل بكَمَرْجة غيري، وعزّ عليّ ألا أقاتل مع أكفائي ولم يُرَ مكاني. فلم يزل أهلُ كَمَرْجة بذلك؛ حتى أقبلت جنود العرب، فنزلت فَرْغانة، فعيّر خاقانُ أهلَ السُّغد وفرغانة والشاش والدهاقين، وقال لهم: زعمتم أن في هذه خمسين حماراً، وأنّا نفتحها في خمسة أيام؛ فصارت الخمسة الأيام شهريْن، وشتمهم وأمرهم بالرحلة، فقالوا: ما ندع جُهداً، ولكن أحضرنا غداً فانظر؛ فلما كان من الغد جاء خاقان فوقف، فقام إليه ملك الطارَبَنْد؛ فاستأذنه في القِتال والدّخول عليهم، قال: لا أرى أن تقاتل في هذا الموضع ـ وكان خاقان يعظّمه ـ فقال: اجعل لي جاريتيْن من جواري العرب، وأنا أخرج عليهم؛ فأذن له، فقاتل فقتل منهم ثمانية، وجاء حتى وقف على ثُلْمة وإلى جنب الثلمة بيت فيه خَرْق يفضِي إلى الثلْمة، وفي البيت رجلٌ من بني تميم مريض، فرماه بكَلُّوب فتعلق بدرعه، ثم نادى النساء والصبيان، فجذبوه فسقط لوجهه وركبته؛ ورماه رجلٌ بحجَر؛ فأصاب أصلَ أذنه فصُرِع، وطعنه رجل فقتله، وجاء شابّ أمرد من الترك، فقتله وأخذ سلبه وسيفه، فغلبناهم على جسده ـ قال: ويقال: إنّ الذي انتدب لهذا فارس أهل الشاش ـ فكانوا قد اتخذوا صنّاعاً، وألصقوها بحائط

الخندق ، فنصبوا قبالة ما اتخذوا أبواباً له؛ فأقعدوا الرُّماة وراءها؛ وفيهم غالب بن المهاجر الطائي عمّ أبي العباس الطوسيّ ورجلان ، أحدُهما شيبانيّ والآخر ناجيّ ، فجاء فاطلع في الخندق ، فرماه الناجيّ فلم يخطىء قَصبة أنفه ، وعليه كاشخودة تبّتيّة ، فلم تضرّه الرمية ، ورماه الشيبانيّ وليس يرى منه غير عينيه؛ فرماه غالب بن المهاجر ، فدخلت النشابة في صدره ، فنكس فلم يدخل خاقانَ شيءٌ أشدّ منه .

قال : فيقال : إنه إنما قتل الحجاج وأصحابه يومئذ لما دخله من الجَزع ، وأرسل إلى المسلمين أنه ليس منْ رأينا أن نرتحل عن مدينة ننزلها دون افتتاحها ، أو نرحّلهم عنها . فقال له كليب بن قَنَان : وليس من ديننا أن نعطي بأيدينا حتى نُقْتَل ، فاصنعوا ما بدا لكم؛ فرأى الترك أن مقامهم عليهم ضرر ، فأعطوهم الأمان على أن يرحل هو وهم عنهم بأهاليهم وأموالهم إلى سَمَرْقند أو الدَّبُوسيّة ، فقال لهم : اختاروا لأنفسكم في خُروجكم مِن هذه المدينة .

قال : ورأى أهل كَمَرْجة ما هم فيه من الحِصار والشدّة ، فقالوا : نشاور أهل سَمَرْقند ، فبعثوا غالب بن المهاجر الطائيّ ، فانحدر في موضع من الوادي ، فمضى إلى قصر يسمى فرزاونة ، والدّهقان الذي بها صديق له ، فقال له : إنّي بُعِثت إلى سَمَرْقند؛ فاحْمِلْني ، فقال : ما أجد دابة إلا بعض دوابّ خاقان ، فإن له في روضة خمسين دابة؛ فخرجا جميعاً إلى تلك الرَّوْضة ، فأخذ برذوناً فركبه ، وكان إلْفه برْذون آخر ، فتبعه فأتى سَمَرْقند من ليلته ، فأخبرهم بأمرهم ، فأشاروا عليه بالدّبُوسيَة ، وقالوا : هي أقرب ، فرجع إلى أصحابه ، فأخذوا من الترك رهائن ألاّ يعرِضوا لهم ، وسألوهم رجلاً من الترك يتقوَّوْن به مع رجال منهم ، فقال لهم الترك : اختاروا مَنْ شئتم ، فاختاروا كورصول يكون معهم ، فكان معهم حتى وصلوا إلى حَيْث أرادوا . ويقال : إن خاقان لما رأى أنه لا يصل إليهم شتم أصحابَه ، وأمرهم بالارتحال عنهم؛ وكلمه المختار بن غوزك وملوك السُّغْد وقالوا : لا تفعل أيها الملك؛ ولكن أعطِهم أماناً يخرجون عنها ، ويروْن أنك إنما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك أنه مع العرب في طاعتها ، وأن ابنه المختار طلب إليك في ذلك مخافة على أبيه ، فأجابهم إلى ذلك ، فسرّح إليهم كورصول يكون معهم ، يمنعهم ممن أرادهم .

قال: فصار الرّهن من الترك في أيديهم، وارتحل خاقان، وأظهر أنه يريد سَمَرْقند ـ وكان الرّهن الذي في أيديهم من ملوكهم ـ فلما ارتحل خاقان ـ قال: كورصول للعرب: ارتحلوا قالوا: نكره أن نرتحل والترك لم يمضوا، ولا نأمنهم أن يعرضوا لبعض النساء فتحمى العرب فنصير إلى مثل ما كنا فيه من الحرب.

قال: فكفّ عنهم؛ حتى مضى خاقان والترك، فلما صلوا الظهر أمرهم كورصول بالرحلة، وقال: إنما الشدّة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخْين، ثم تصيروا إلى قرى متصلة؛ فارتحلوا وفي يد الترك من الرّهن من العرب نفر، منهم شعيب البكريّ أو النصريّ، وسِبَاع بن النعمان وسعيد بن عطية، وفي أيدي العرب من الترك خمسة، قد أردفوا خَلْف كلّ رجل من الترك رجلاً من العرب معه خنجر، وليس على التركيّ غير قَباء، فساروا بهم.

ثم قال العجم لكورصول: إنّ الدبُوسيَة فيها عشرة آلاف مقاتل؛ فلا نأمن أن يخرجوا علينا، فقال لهم العرب: إن قاتلوكم قاتلناهم معكم. فساروا، فلما صار بينهم وبين الدّبُوسيَة قدر فرسخ أو أقلّ نظر أهلها إلى فرسان وبياذقة وجمْع. فظنوا أن كَمَرْجة قَد فُتحت، وأنّ خاقان قصد لهم. قال: وقربنا منهم وقد تأهبّوا للحرب؛ فوجّه كليب بن قَنان رجلاً من بني ناجية يقال له الضّحاك على بِرْذون يركض، وعلى الدبُوسيَة عَقيل بن ورّاد السّغديّ، فأتاهم الضّحاك وهم صفوف؛ فرسان ورجّالة، فأخبرهم الخبر، فأقبل أهل الدبُوسيَة يركُضون، فحمِل مَن كان يضعف عن المشي ومَنْ كان مجروحاً.

ثمّ إن كليباً أرسل إلى محمد بن كرّاز ومحمد بن درْهَم ليُعلِما سِبَاع بن النعمان وسعيد بن عطية أنهم قد بلغوا مأمنهم، ثم خلّوا عن الرّهن؛ فجعلت العرب ترسل رجلاً من الرّهن الذي في أيديهم من الترك، وترسل الترك رجلاً من الرّهن الذي في أيديهم من العرب؛ حتى بقيَ سِبَاع بن النعمان في أيدي الترك، ورجل من الترك في أيدي العرب، وجعل كلّ فريق منهم يخاف على صاحبه الغَدْر، فقال سِبَاع: خلّوا رهينة الترك، فخلّوه وبقي سِباع في أيديهم، فقال له كورصول: لمَ فعلت هذا؟ قال: وثقتُ برأيك فيّ، وقلت: ترفَّعُ نفسك عن الغدْر في مثل هذا؛ فوصله وسلّحه وحمله على برْذون، ورده إلى أصحابه.

قال: وكان حصار كمَرْجة ثمانية وخمسين يوماً، فيقال إنهم لم يسقوا إبلَهم خمسة وثلاثين يوماً.

قال: وكان خاقان قسَم في أصحابه الغنم، فقال: كلُوا لحومها واملؤوا جلودها تراباً، واكبسوا خندقَكم؛ ففعلوا فكبسوه، فبعث الله عليهم سحابة فمطرت، فاحتمل المطر ما ألقوا، فألقاه في النهر الأعظم.

وكان مع أهل كَمَرْجة قومٌ من الخوارج، فيهم ابن شُنْجٍ مولى بني ناجية.

ذكر ردّة أهل كرْدر

وفي هذه السنة ارتدّ أهل كُرْدر، فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم، وقد كان الترك أعانوا أهل كُرْدَر؛ فوجّه أشرس إلى مَنْ قرب من كُرْدَر من المسلمين ألف رجل ردْءاً لهم؛ فصاروا إليهم، وقد هزم المسلمون الترك، فظفِروا بأهل كردر، وقال عَرْفَجة الدارميّ:

نحْن كَفَينا أَهْلَ مروٍ وغَيْرَهُمْ ... ونحنُ نَفَيْنا التُّرْكَ عن أَهْلِ كَرْدَرِ

فإن تجعَلوا ماقد غَنِمْنَا لِغَيْرِنا ... فَقَدْ يُظلمُ المَرْءُ الكَريمُ فيَصْبر

* * *

وفي هذه السنة جعل خالد بن عبد الله الصّلاة بالبصرة مع الشّرْطة؛ والأحداث والقضاء إلى بلال بن أبي بُردة؛ فجمع ذلك كلّه له، وعزل به ثُمامة بن عبد الله بن أنس عن القضاء.

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل؛ كذلك قال أبو معشر والواقديّ وغيرهما؛ حدّثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر.

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام، وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله، وعلى خُراسان أشرس بن عبد الله. [٧/ ٥٩ ـ ٦٦].

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

قال الواقديّ: غزا سنة إحدى عشرة ومئة على جيش البحر عبد الله بن أبي مريم ، وأمّر هشام على عامّة الناس من أهل الشأم ومصر الحكَم بن قيس بن مخرَمة بن المطلب بن عبد مناف.

وفيها سارت الترك إلى أذْربيجان ، فلقيهم الحارث بن عمرو فهزمهم[١] . [٧/ ٦٧]

قال: وكان سبب استعماله إيّاه أنه أهدى لأمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر ، فأعجبت هشاماً ، فأهدى لهشام قلادة أخرى ، فاستعمله على خراسان ، وحمله على ثمانية من البريد؛ فسأله أكثرَ من تلك الدوابّ فلم يفعل؛ فقدم خراسان في خمسمئة ـ وأشرسُ بن عبد الله يقاتل أهلَ بخارى والسُّغْد ـ فسأل عن رجل يسير معه إلى ما وراء النهر ، فدُلّ على الخَطاب بن محرز السلَميّ خليفة أشرس ، فلما قدم آمُل أشار عليه الخطاب أن يقيم ويكتب إلى من بزَمّ ومن حوله؛ فيقدموا عليه ، فأبى وقطع النهر ، وأرسل إلى أشرس أن أمِدّني بخيل ، وخاف أن يقتطع قبل أن يصل إليه ، فوجّه إليه أشرس عامرَ بن مالك الحِمّانيّ ، فلما كان في بعض الطريق عرض له الترك والسُّغد ليقطعوه قبل أن يصل إلى الجُنيد ، فدخل عامر حائطاً حصيناً ، فقاتلهم على ثُلْمة الحائط ، ومعه وَرْد بن زياد بن أدهم بن كلثوم؛ ابن أخي الأسود بن كلثوم ، فرماه رجل من العدوّ بنُشّابة ، فأصاب عَرَض منخره ، فأنفذ المنخرين ، فقال له عامر بن مالك: يا أبا الزاهريّة؛ كأنك دجاجة مقرّق[٢] . وقتِل عظيم من عظماء الترك عند الثلمة ، وخاقان على تلّ خلفه أجمَةٌ ، فخرج عاصم بن عمير السَّمَرقنديّ وواصل بن عمرو القيسيّ في شَاكرّية ، فاستدارا حتى صارا من وراء

(١) انظر المنتظم (٧/ ١٤٣) والبداية والنهاية (٧/ ١٩٤).

(٢) القرق: صوت الدجاجة ، والدجاجة تقع على الذكر والأنثى والتاء دخلته على أنه الواحد. القاموس المحيط ص ١١٨٨.

ذلك الماء ، فضمّوا خشباً وَقصباً وما قدروا عليه ، حتى اتَّخذوا رَصَفاً[1] ، فعبَروا عليه فلم يشعر خاقان إلا بالتكبير ، وحمل واصل والشاكريّة على العدوّ فقاتلوهم؛ فقُتِل تحت واصل برذون ، وهُزم خاقان وأصحابه.

وخرج عامر بن مالك من الحائط ، ومضى إلى الجُنيد وهو في سبعَة آلاف؛ فتلقى الجنيد وأقبل معه ، وعلَى مقدّمة الجنيد عُمارة بن حُرَيم ، فلما انتهى إلى فرسخين من بِيكَنْد ، تلقته خيل الترك فقاتلهم؛ فكاد الجنيد أن يهلك ومن معه ، ثم أظهره الله؛ فسار حتى قدم العسكر. وظفر الجنيد ، وقتل الترك ، وزحف إليه خاقان فالتقوا دون زَرْمان من بلاد سَمَرْقند ، وقطَن بن قتيبة على ساقة الجنيد ، وواصل في أهل بخارى ـ وكان ينزلها ـ فأسر ملك الشاش ، وأسرَ الجُنَيد من الترك ابن أخي خاقان في هذه الغزاة؛ فبعث به إلى الخليفة ، وكان الجنيد استخلف في غزاته هذه مجشِّر بن مزاحم على مَرْو وولّى سورة بن الحُرّ من بني أبان بن دارم بلْخ ، وأوفد لما أصاب في وجهه ذلك عُمارة بن معاوية العدويّ ومحمد بن الجرّاح العبديّ وعبد ربّه بن أبي صالح السُّلميّ إلى هشام بن عبد الملك ثم انصرفوا؛ فتوافقوا بالتِّرمذ ، فأقاموا بها شهرين.

ثم أتى الجُنيد مَرْو وقد ظفر ، فقال خاقان: هذا غلام مترَف ، هَزَمني العامَ وأنا مهلكه في قابل؛ فاستعمل الجنيد عُمّاله ، ولم يستعمل إلا مُضَرِيّاً؛ استعمل قَطَن بن قتيبة على بُخارى ، والوليد بن القعقاع العبسيّ على هَراة ، وحبيب بن مرّة العبسيّ على شرَطه ، وعلى بلْخ مسلم بن عبد الرحمن الباهليّ. وكان نصر بن سيار على بلْخ؛ والذي بينه وبين الباهليّين متباعد لما كان بينهم بالبَرُوقان ، فأرسل مسلم إلى نصر فصادفوه نائماً ، فجاؤوا به في قميص ليس عليه سَراويل ، ملبَّباً ، فجعل يضمّ عليه قميصَيْه ، فاستحيا مسلم ، وقال: شيخ من مُضَر جئتم به على هذه الحال ! ثم عزل الجُنيد مسلماً عن بَلْخ ، وولاّها يحيى بن ضُبَيعَة ، واستعمل على خراج سَمرقَنْد شداد بن خالد الباهليّ، وكان مع الجنيد السّمْهريّ ابن قَعْنب. [٧/ ٦٧ ـ ٦٩].

---

(١) الرصف: ما يرصف بعضه إلى بعض في مسيل؛ خشب أو حجارة. القاموس المحيط ص ١٠٥١.

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومئة

ذكر ما كان فيها من الأحداث [٧ / ٧٠]

قال: وكان الجُنيد يذكر خالد بن عبد الله، ويقول: رَبَذَة من الرَّبَذ، صنبور بن صنبور، قُلّ ابن قُلّ، هيْفة من الهيف ـ وزعم أن الهيْفة الضَّبُع، والعُجْرة الخنزيرة، والقلّ: الفرد ـ قال: وقدمت الجنود مع عمرو بن مسلم الباهليّ في أهل البصرة وعبد الرحمن بن نعيم الغامديُّ في أهل الكوفة وهو بالصّغانيان، فسرح معهم الحوثرة بن يزيد العنبريّ فيمن انتدب معه من التجار وغيرهم، وأمرهم أن يحملوا ذراريّ أهل سمرقند، ويدَعوا فيها المقاتلة. ففعلوا.

قال أبو جعفر: وقد قيل: إنّ وقعة الشِّعب بين الجُنيد وخاقان كانت في سنة ثلاث عشرة ومئة.

وقال نصر بن سيّار يذكر يوم الشِّعب وقتال العبيد:

إنِّـي نَشَـأْتُ وَحُسَّـادِي ذَوُو عَـدَدٍ ... يـا ذا المعـارج لا تَنقصْ لهمْ عَـدَدا
إن تحسدوني على مثل البلاءِ لكُمْ ... يوماً فمثلُ بلائي جَرَّ لِي الحَسدَا
يـأبَى الإلٰـه الـذي أعلَـى بقـدرتـه ... كعبي عليكم وأعطى فوقكم عُددا
أرْمِـي العَـدُوَّ بـأفـراسٍ مُكلَّمَـةٍ ... حتـى اتخـذْن على حُسَّـادِهـنَّ يـدا
من ذا الذي منكُمُ في الشِّعب إذ وردُوا ... لَـمْ يتَّخِـذْ حَـوْمـة الأثقـالِ مُعْتَمَـدَا!
فمـا حفظتـمْ مـنَ اللهِ الـوَصـاة ولا ... أنتـم بصَبْـرٍ طَلَبْتُـمْ حُسْـنَ ما وَعَـدَا
ولا نَهَـاكـمْ عَـنِ التَّـوْثـابِ في عتَـبٍ ... إلاَّ العَبيـدُ بضَـرْب يَكسِـرُ العَمَـدا
هَـلاَّ شَكـرتـمْ دِفـاعِـي عَـنْ جُنَيـدِكُـمُ ... وَقْعَ القَنَا وشِهَابُ الحربِ قَدَ وَقَدا!

وقال ابن عرس العبديّ يمدح نَصراً يوم الشِّعب ويذّم الجُنيد؛ لأن نصراً أبلى يومئذ:

يـا نصـرُ أنـت فتـى نـزارٍ كُلِّهـا ... فَلَـكَ المـآثِـرُ والفَعـالُ[1] الأرفَـعُ
فَـرَّجْـتَ عَـنْ كـلِّ القَبـائـل كُـربَـةً ... بالشِّعب حِينَ تَخاضَعُوا وتَضعْضَعُوا
يَـوَمَ الجُنيـدِ إذ القنـا مُتَشـاجـرٌ ... والنَّحـرُ دامٍ والخَـوافِـقُ تلمَـعُ

---

(١) الفَعال: الفِعْلُ الحسن من الجودِ، والكرم، وغير ذلك. وقيل: يكون في الخير والشرِّ، يقال: حسن الفعال، أو: قبيح الفعال.

مـا زلـتَ تَـرمِيهـمْ بنفـسٍ حُـرّةٍ ... حتـى تَفَـرَّجَ جَمعُهُـمْ وتَصَـدَّعُـوا
فـالنـاسُ كُـلٌّ بَعْـدهـا عُتَقـاؤكـمْ ... ولـكَ المكـارمُ والمعـالِـي أجْمَـعُ

وقال الشرعبيّ الطائيّ:

تـذكَّـرتُ هِنـداً فـي بِـلادٍ غَـرِيبَـةٍ ... فيالكَ شَوْقاً، هل لِشَملِكَ مَجْمَع!
تـذكَّـرتُهَـا والشـاشُ بَينـي وبينهـا ... وشِعْـبُ عِصَـامٍ والمنـايـا تَطلَّـعُ
بـلادٌ بهـا خـاقـانُ جَـمٌّ زُحُـوفُـهُ ... ونيـلانُ فـي سبعيـنَ ألفـاً مُقَنَّـعُ
إذا دَبّ خـاقـانٌ وسـارت جنـودُهُ ... أتتنَـا المَنـايـا عنـدَ ذلـك شُـرَّعُ
هنالك ـ هندُ ـ مالَنا النِّصفُ منهمُ ... وما إنْ لنا يا هندُ في القومِ مَطْمَعُ
ألا رُبَّ خَـوْدٍ خَـذْلـةٍ قـد رأيتُهـا ... يسُوق بها جَهمٌ مِنَ السُّغدِ أَصْمَعُ
أُحـامـي عليهـا حيـن ولَّـى خليلُهـا ... تنـادِي إليهـا المسلميـن فتُسمـعُ
تنادي بأَعلى صوتِها صَفَّ قومِها ... ألا رجـلٌ منكـم يَغـارُ فَيَـرجـعُ!
ألا رجـلٌ منكُـم كَـريـمٌ يَـرُدُّنِـي ... يرى الموت في بعضِ المواطنِ ينفع!
فمـا جـاوبُـوهـا غيـر أنَّ نَصيفهـا ... بكَـفِّ الفتـى بيـن البـرازيـق أَشْنَـعُ
إلـى اللهِ أَشكُـو نَبـوَةً فـي قلـوبهـا ... ورُعبـاً مَـلا أجـوافهـا يَتَـوَسَّـعُ
فَمَـنْ مُبْلـغٌ عَنِّـي ألـوكـاً صحيفـةً ... إلـى خـالِـدٍ مِـنْ قَبـلِ أن نَتَـوزَّعُ
بـأنَّ بقـايـانـا وأنَّ أميـرنـا ... إذا مـا عَـدَدْنَـاهُ الـذَّلِيـلُ المَـوقّـعُ
هُـمُ أطْمَعُـوا خـاقـانَ فينـا وجُنْـدَهُ ... ألا ليتَنَـا كُنَّـا هَشِيمـاً يُـزَعْـزَعُ

وقال ابن عرس ـ واسمه خالد بن المعارك من بني غَنْم بن وديعة بن لكيز بن أفصى. وذكر عليّ بن محمد عن شيخ من عبد القيس أنّ أمه كانت أمَة، فباعه أخوه تميم بن معارك من عمرو بن لقيط أحد بني عامر بن الحارث؛ فأعتقه عمرو لما حضرته الوفاة، فقال: يا أبا يعقوب؛ كم لي عندك من المال؟ قال: ثمانون ألفاً، قال: أنت حُرّ وما في يديك لك. قال: فكان عمرو ينزل مَرْو الرّوذ؛ وقد اقتتلت عبد القيس في ابن عُرْس؛ فردّوه إلى قومه، فقال ابنُ عرس للجُنيد:

أيـنَ حُمـاةُ الحـرب مـنْ معشَـرٍ ... كـانـوا جَمـالَ المنسَـرِ الحـارِد!
بَـادُوا بـآجـالٍ تَـوافَـوْا لهـا ... والعـائِـرُ المُمْهَـلُ كـالبـائِـدِ
فـالعيـنُ تُجـرِي دَمْعهـا مُسْبَـلاً ... مـا لِـدُمُـوعِ العيـنِ مـن ذائـد
انظـرْ تـرى للميْـتِ مِـنْ رَجْعَـةٍ ... أمْ هل ترى في الدهر من خالد!

كنَّا قديماً يُتَّقى بأُسْنِنا ونَدْرَأ الصَّادِرَ بالوارِدِ
حتى مُنِينا بالذي شامَنا من بعدِ عِزٍّ ناصرٍ آئدِ
كعاقِرِ الناقَةِ لا يَنْثني مبْتَدِئاً ذِي حَنَقٍ جاهِدِ
فَتَقْتَ ما لم يلتئِم صَدْعُهُ بالجَحْفَلِ المحْتَشِدِ الزائدِ
تَبكي لها إنْ كشَفَت ساقَها جدْعاً وَعَقْراً لك من قائدِ!
تركْتَنا أجزاءَ مَعْبُوطةٍ يَقسِمُها الجازرُ للناهدِ
تَرَقَّتِ الأَسيافُ مَسْلولَةً تزيلُ بينَ العَضْدِ والساعدِ
تَسَاقَطُ الهاماتُ من وقعِها بينَ جَنَاحَيْ مُبرِقٍ راعدِ
إذْ أنت كالطِّفلةِ في خِدرِها لمْ تَدرِ يوماً كَيْدَةَ الكائدِ
إنّا أناسٌ حَربُنا صَعبَةٌ تعصِفُ بالقائِمِ والقَاعدِ
أضحَتْ سمرْقندُ وأشياعُها أحدوثَةَ الغائِبِ والشاهدِ
وكم ثَوَى في الشِّعبِ من حازمٍ جَلدِ القُوَى ذي مِرَّةٍ ماجدِ
يَستَنْجِدُ الخَطْبَ ويَغشَى الوغى لا هائبٍ غُسٍّ ولا ناكِدِ[1]
ليتَك يومَ الشِّعْب في حُفرَةٍ مرمُوسَةٍ بالمَدَرِ الجامِدِ
تلعبْ بك الحربُ وأبناؤها لعْبَ صُقُورٍ بِقَطاً واردِ
طارَ لها قلبُكَ من خيفَةٍ ما قلبك الطائرُ بالعائدِ
لا تحسِبَنَّ الحربَ يومَ الضحى كشربِكَ المُزَّاءَ بالبارِدِ[2]
أبغَضتُ من عَينِكَ تَبريجَها وصورةً في جسدٍ فاسِدِ
جُنيدُ ما عِيصُكَ منسوبُهُ[3] نبْعاً وَلاَ جَدُّكَ بالصَّاعد
خمسون ألفاً قُتِلوا ضِيعَةً وأنتَ منهم دعوة الناشد
لا تَمريَنَّ الحربَ من قابلٍ ما أنتَ في العَدوَةِ بالحامد
قلَّدتُه طَوْقاً على نحرِهِ طوق الحمامِ الغردِ الفارِد
قصيدةٌ حبَّرَهَا شاعِرٌ تسعَى بها البُرْدُ إلى خالِدِ

[٧/ ٨٤ ـ ٨٧].

(١) الغس: الضعيف اللئيم. القاموس المحيط ص ٧٢٣.

(٢) المزاء: الخمر اللذيذة الطعم، سميت بذلك للذعها في الفم. لسان العرب (٥/ ٤١٠).

(٣) منسوبه، بالرفع بدل اشتمال مما قبله.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك هلاك عبد الوهاب بن بُخت ، وهو مع البطّال عبد الله بأرض الرّوم؛ فذكر محمد بن عمر، عن عبد العزيز بن عمر ، أن عبد الوهاب بن بُخْت غزا مع البطّال سنة ثلاث عشرة ومئة ، فانهزم الناس عن البطّال وانكشفوا ، فجعل عبد الوهاب يكرّ فرسه وهو يقول[١] : ما رأيتُ فرساً أجبن منه ، وسَفَك الله دمي إن لم أسفك دمك ، ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح: أنا عبد الوهاب بن بُخت؛ أمِن الجنة تفرّون! ثم تقدّم في نحور العدوّ؛ فمرّ برجل وهو يقول: واعطشاه! فقال: تقدّم؛ الرِّيُّ أمامك؛ فخالط القوم فقُتِل وقُتل فرسه .

* * *

ومن ذلك ما كان من تفرِيق مسلمة بن عبد الملك الجيوشَ في بلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه ، وقتل منهم ، وأسر وسبَى ، وحرَق خلقٌ كثير من الترك أنفسَهم بالنار ، ودان لمسلمة مَن كان وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان[٢] .

ومن ذلك غَزْوة معاوية بن هشام أرض الروم فرابط من ناحية مَرعش ثم رجع .

وفي هذه السنة صار من دُعاة بني العباس جماعة إلى خراسان، فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلاً منهم فقتله ، وقال: من أصيب منهم فدمه هدرٌ[٣] . [٧/ ٨٨] .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومئة

ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

وفي هذه السنة أصاب الناس بخُراسان قحط شديد ومجاعة ، فكتب الجُنيد

---

(١) انظر سيرته في البداية والنهاية (٧/ ١٩٦).

(٢) انظر المنتظم (٧/ ١٥٧) والبداية والنهاية (٧/ ١٩٦).

(٣) انظر المنتظم (٧/ ١٥٧) والبداية والنهاية (٧/ ١٩٦).

إلى الكور: إنّ مرْو كانت آمِنة مطمئنَّة يأتيها رزقُها رغداً من كلّ مكان، فكفرت بأنعُمِ الله؛ فاحملوا إليها الطعام[1].

قال عليّ بن محمد: أعطى الجُنيد في هذه السنة رجلاً درهماً، فاشترى به رغيفاً، فقال لهم: تشكون الجوع ورغيف بدرهم! لقد رأيتُني بالهند وإن الحبّة من الحبوب لتباع عدداً بالدرهم؛ وقال: إنّ مَرْو كما قال الله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾. [٧/ ٩٢].

ثم دخلت سنة ست عشرة ومئة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ذكر عليّ بن محمد، عن أشياخه، أنّ الجُنيد بن عبد الرحمن تزّوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلّب، فغضب هشام على الجُنيد، وولّى عاصم بن عبد الله خراسان؛ وكان الجُنيد سَقَى بطنُه، فقال هشام لعاصم: إن أدركتَه وبه رمَق فأزهقْ نفسه، فقدم عاصم وقد مات الجنيد.

قال: وذكروا أنّ جبلة بن أبي روّاد دخل على الجُنيد عائداً، فقال: يا جبلة، ما يقول الناس؟ قال: قلت يتوجّعون للأمير؛ قال: ليس عن هذا سألتك، ما يقولون؟ وأشار نحو الشأم بيده. قال: قلت: يقدم على خراسان يزيد بن شجرة الرَّهاويّ، قال: ذلك سيّد أهل الشأم، قال: ومن؟ قلت: عصمة أو عصام، وكنّيت عن عاصم، فقال: إن قدِم عاصم فعدوّ جاهد؛ لا مرحباً به ولا أهلاً.

قال: فمات في مرضه ذلك في المحرّم سنة ست عشرة ومئة، واستخلف عمارة بن حُرَيم. وقدم عاصم بن عبد الله، فحبس عُمارة بن حُرَيم وعمال الجنيد وعذّبهم، وكانت وفاته بمرْو، فقال أبو الجُوَيرية عيسى بن عصمة يرثيه:

هلك الجُودُ والجنيدُ جميعاً فعلى الجود والجُنيدِ السّلامُ
أصبحا ثاوِيَيْن في أَرضِ مَرْوٍ ما تَغَنَّتْ على الغُصونِ الحمامُ
كنتُمَا نُزْهَةَ الكرامِ فلما مِتَّ ماتَ النَّدَى وماتَ الكِرامُ

---

(١) انظر المنتظم (١/ ١٥٧).

ثم إنّ أبا الجويرية أتى خالد بن عبد الله القسريّ وامتدحه ، فقال له خالد: ألست القائل:

هلـــك الجــــود والجُنيـــد جميعـــاً

مالك عندنا شيء ، فخرج فقال:

تظَـــلّ لامِعَـــة الآفـــاقِ تَحْمِلُنَـــا   إلـــى عُمـــارَةَ والقُـــودُ السَّـــرَاهِيـــدُ

قصيدة امتدح بها عُمارة بن حُريم ، ابنَ عمّ الجنيد ، وعُمارة هو جدّ أبي الهَيْذام صاحب العصبيّة بالشأم.

قال: وقدم عاصم بن عبد الله فحبس عمارة بن حُرَيم وعمال الجنيد وعذّبهم[1]. [٧/ ٩٣ ـ ٩٤].

ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر عليّ عن أشياخه ، قال: لما قدم عاصم خراسان والياً ، أقبل الحارث بن سُريج من النّخُذ حتى وصل إلى الفارَياب ، وقدم أمامه بشر بن جُرْمُوز. قال: فوجّه عاصم الخطّابَ بن محرز السُّلميّ ومنصورَ بن عمر بن أبي الخَرْفاء السُّلميّ وهلال بن عُليم التيميّ والأشهبَ الحنظليّ وجرير بن هميان السدوسيّ ، ومقاتل بن حيّان النبَطيّ مولى مصقلة إلى الحارث؛ وكان خطّاب ومقاتل بن حيّان قالا: لا تلقوْه إلا بأمان ، فأبى عليهما القوم؛ فلما انتهوا إليه بالفارياب قيّدهم وحبَسهم ، ووكّل بهم رجلاً يحفظهم. قال: فأوثقوه وخرجوا من السّجن ، فركبوا دوابّهم ، وساقوا دوابّ البريد ، فمرُّوا بالطالَقان فهمّ سهْرَب صاحب الطالَقان بهم ، ثم أمسك وتركهم. فلما قدموا مَرْو أمرهم عاصم فخطبوا وتناولوا الحارث ، وذكروا خبث سيرته وغدره ، ثم مضى الحارث إلى بَلْخ وعليها نصر ، فقاتلوه؛ فهزم أهل بلْخ ومضى نصر إلى مرْو.

وذكر بعضهم: لما أقبل الحارث إلى بلخ وكان عليها التُّجيبيّ بن ضُبيَعة المرّيّ ونصر بن سيار ، وولاّهما الجنيد ، قال: فانتهى إلى قنطرة عطاء وهي على نهر بلْخ على فرسخين من المدينة ، فتلقّى نصر بن سيار في عشرة آلاف

---

(١) انظر البداية والنهاية (٧/ ١٩٧) ولم نجد لهذا الخبر أصلاً صحيحاً والله أعلم.

والحارث بن سُريج في أربعة آلاف ، فدعاهم الحارث إلى الكتاب والسنّة والبيعة للرضا؛ فقال قطن بن عبد الرحمن بن جُزيّ الباهليّ: يا حارث؛ أنت تدعو إلى كتاب الله والسنّة؛ والله لو أنّ جبريل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ما أجبتُك؛ فقاتلهم فأصابته رمية في عينه؛ فكان أوّلَ قتيل. فانهزم أهلُ بلخ إلى المدينة ، وأتبعهم الحارث حتى دخلَها ، وخرج نصر من باب آخر ، فأمر الحارثَ بالكفّ عنهم ، فقال رجل من أصحاب الحارث: إني لأمشي في بعض طرق بلْخ إذ مررت بنساء يبكين وامرأة تقول: يا أبتاه! ليت شعري من دهاك! وأعرابيّ إلى جَنْبي يسير؛ فقال: مَنْ هذه الباكية؟ فقيل له: ابنة قَطَن بن عبد الرحمن بن جزيّ ، فقال الأعرابيّ: وأنا وأبيك دهيْتُك ، فقلت: أنت قتَلته؟ قال: نعم.

قال: ويقال: قدم نصر والتَّجيبيّ على بلْخ ، فحبسه نصر ، فلم يزل محبوساً حتى هزم الحارث نصراً؛ وكان التَّجيبيّ ضرب الحارث أربعين سوطاً في إمْرة الجنيد ، فحوّله الحارث إلى قلعة باذكر بزَمّ ، فجاء رجل من بني حَنِيفة فادّعى عليه أنه قتل أخاه أيام كان على هَراة ، فدفعه الحارث إلى الحنفيّ ، فقال له التُّجيبيّ: أفتدي منك بمئة ألف ، فلم يقبل منه وقتله. وقوم يقولون: قُتِل التُّجيبيّ في ولاية نصر قبل أن يأتيَه الحارث.

قال: ولما غلب الحارث على بلْخ استعمل عليها رجلاً من ولَد عبد الله بن خازم ، وسار ، فلما كان بالجُوزجان دعا وابصة بن زُرارة العبديّ ، ودعا دجاجة ووحشاً العجليّيْن وبشر بن جُرموز وأبا فاطمة ، فقال: ما ترون؟ فقال أبو فاطمة: مَرْو بَيْضة خراسان؛ وفرسانهم كثير؛ لو لم يلقوْك إلاّ بعبيدهم لانتصفوا منك ، فأقم فإن أتوْك قاتلتَهم وإن أقاموا قطعت المادة عنهم ، قال: لا أرى ذلك ، ولكن أسير إليهم. فأقبل الحارث إلى مَرْو ، وقد غلب على بلْخ والجُوزجان والفارياب والطالَقان ومرْو الرّوذ ، فقال أهل الدين من أهل مَرْو: إن مضى إلى أبرشهر ولم يأتنا فرّق جماعتنا وإن أتانا نكب.

قال: وبلغ عاصماً أن أهل مَرْو يكاتبون الحارث ، قال: فأجمع على الخروج وقال: يا أهل خراسان ، قد بايعتم الحارث بن سُريج ، لا يقصد مدينة إلا خلّيتموها له ، إني لاحق بأرض قومي أبرشهر ، وكاتبٌ منها إلى أمير المؤمنين حتى يمدّني بعشرة آلاف من أهل الشأم ، فقال له المجشّر بن مزاحم: إن أعطوْك

بيعتَهم بالطلاق والعتَاق فأقم ، وإن أبوْا فسر حتى تنزل أبرشهر ، وتكتب إلى أمير المؤمنين فيمدّك بأهل الشأم. فقال خالد بن هريم أحد بني ثعلبة بن يربوع وأبو محارب هلال بن عُلَيْم: والله لا نخلّيك والذهاب ، فيلزمنا دَيْنك عند أمير المؤمنين ، ونحن معك حتى نموت إن بذلت الأموال. قال: أفعل ، قال يزيد بن قرّان الرّياحيّ: إن لم أقاتل معك ما قاتلتَ فابنةُ الأبرد بن قُرّة الرياحيّ طالق ثلاثاً ـ وكانت عنده ـ فقال عاصم: أكلّكم على هذا؟ قالوا: نعم. وكان سلمة بن أبي عبد الله صاحب حَرسه يحلّفهم بالطلاق.

قال: وأقبل الحارث بن سُريج إلى مَرْو في جمع كثير ـ يقال في ستين ألفاً ـ ومعه فرسان الأزْد وتميم؛ منهم محمد بن المثنّى وحمّاد بن عامر بن مالك الحِمانيّ وداود الأعسر وبِشْر بن أنَيف الرياحيّ وعطاء الدَّبُوسيّ. ومن الدهاقين الجوزجان وترسل دهقان الفارياب وسهرب ملك الطَّالقان ، وقرياقس دهقان مَرْو ، في أشباههم.

قال: وخرج عاصم في أهل مَرْو وفي غيرهم؛ فعسكر بجياسر عند البيعة ، وأعطى الجند ديناراً ديناراً ، فخفّ عنه الناس ، فأعطاهم ثلاثة دنانير ثلاثة دنانير، وأعطى الجند وغيرهم ؛ فلما قرب بعضهم من بعض أمر بالقناطر فكسِرت ، وجاء أصحاب الحارث فقالوا: تحصروننا في البرّيّة! دعونا نقطع إليكم فنناظركم فيما خرجنا له ، فأبَوْا وذهب رجّالتهم يُصلِحون القناطر ، فأتاهم رجّالة أهل مَرْو فقاتلوهم؛ فمال محمد بن المثنّى الفراهيذيّ برايته إلى عاصم فأمالها في ألفين فأتى الأزْد؛ ومال حماد بن عامر بن مالك الحِمّانيّ إلى عاصم ، وأتى بني تميم.

قال سلمة الأزديّ: كان الحارث بعث إلى عاصم رسلاً ـ منهم محمد بن مسلم العنبريّ ـ يسألونه العملَ بكتاب الله وسنة نبيّه ﷺ . قال: والحارث بن سريج يومئذ على السواد. قال: فلمّا مال محمد بن المثنى بدأ أصحاب الحارث بالحملة ، والتقى الناس؛ فكان أوّل قتيل غياث بن كلثوم من أهل الجارُود ، فانهزم أصحاب الحارث ، فغرِق بشر كثير من أصحاب الحارث في أنهار مَرْو والنهر الأعظم ، ومضت الدّهاقين إلى بلادهم؛ فضُرِب يومئذ خالد بن

علباء بن حبيب بن الجارود على وجهه؛ وأرسل عاصم بن عبد الله المؤمنَ بن خالد الحنفيّ وعِلباء بن أحمر اليشكريّ ويحيى بن عَقِيل الخُزاعيّ ومقاتل بن حَيّان النَّبَطي إلى الحارث يسأله ما يريد؟ فبعث الحارث محمدَ بن مسلم العنبريّ وحدَه ، فقال لهم : إنّ الحارث وإخوانكم يقرؤونكم السلام ، ويقولون لكم : قد عطشنا وعطشت دوابّنا ، فدعونا ننزل الليلة ، وتختلف الرّسل فيما بيننا ونتناظر؛ فإن وافقناكم على الذي تريدون وإلاّ كنتم مِنْ ورَاء أمركم؛ فأبوا عليه وقالوا مقالاً غليظاً؛ فقال مقاتل بن حيّان النبطيّ : يا أهلَ خراسان ، إنا كنا بمنزلة بيت واحد وثغرنا واحد؛ ويدنا على عدوّنا واحدة؛ وقد أنكرنا ما صنع صاحبكم؛ وجّه إليه أميرنا بالفقهاء والقرّاء من أصحابه ، فوجّه رجلاً واحداً . قال محمد : إنما أتيتُكم مبلِّغاً ، نطلب كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وسيأتيكم الّذي تطلبون من غد إن شاء الله تعالى .

وانصرف محمّد بن مسلم إلى الحارث ، فلما انتصف الليل سار الحارث فبلغ عاصماً، فلما أصبح سار إليه فالتقوْا ، وعلى ميمنة الحارث رابض بن عبد الله بن زرارة التغلَبيّ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فحمل يحيى بن حُضَيْن ـ وهو رأس بكر بن وائل ، وعلى بكر بن وائل زياد بن الحارث بن سريج ـ فقتِلوا قتلاً ذريعاً ، فقطع الحارث وادي مَرْو؛ فضرب رواقاً عند منازل الرّهبان ، وكفّ عنه عاصم . قال : وكانت القتلى مئة ، وقتِل سَعيد بن سعد بن جَزء الأزديّ ، وغرق خازم بن موسى بن عبد الله بن خازم ـ وكان مع الحارث بن سُريج ـ واجتمع إلى الحارث زُهاء ثلاثة آلاف ، فقال القاسم بن مسلم : لما هُزِم الحارث كفّ عنه عاصم ، ولو ألحَّ عليه لأهلكه . وأرسل إلى الحارث : إني رادّ عليك ما ضمنت لك ولأصحابك؛ على أن ترتحل؛ ففعل .

قال : وكان خالد بن عبيد الله بن حبيب أتى الحارث ليلة هزم ، وكان أصحابه أجمعوا على مفارقة الحارث ، وقالوا : ألم تزعم أنه لا يردّ لك راية! فأتاهم فسكّنهم .

وكان عطاء الدّبوسيّ من الفُرسان ، فقال لغلامه يوم زَرْق : أسرِج لي بِرذَوْني

لعلِّي ألاعب هذه الحمارة ، فركب ودعا إلى البراز ، فبرز له رجل من أهل الطالَقان ، فقال بلغته: إي كيرِخَر. [٧/ ٩٤ ـ ٩٨].

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومئة
ذكر الخبر عمَّا كان فيها من الأحداث

ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصماً وتوليته خالداً خراسان

وكان سبب ذلك ـ فيما ذكر عليّ عن أشياخه ـ أنّ عاصم بن عبد الله كتب إلى هشام بن عبد الملك: أمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فإنّ الرائد لا يكذب أهله؛ وقد كان من أمر أمير المؤمنين إليّ ما يحقّ به عليّ نصيحته ، وإنّ خراسان لا تصلح إلاّ أن تضمّ إلى صاحب العراق ، فتكون موادُّها ومنافعها ومعونتها في الأحداث والنوائب من قريب؛ لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطؤ غياثه عنها.

فلما مضى كتابه خرج إلى أصحابه يحيى بن حُضَين والمجشّر بن مزاحم وأصحابهم؛ فأخبرهم ، فقال له المجشّر بعدما مضى الكتاب: كأنك بأسد قد طلع عليك ، فقدم أسد بن عبد الله؛ بعث به هشام بعد كتاب عاصم بشهر ، فبعث الكُميت بن زيد الأسديّ إلى أهل مَرْو بهذا الشعر:

ألا أَبْلِغْ جماعَةَ أَهْلِ مَرْوٍ ... على ما كانَ مِنْ نأْيٍ وَبُعْدِ
رِسالَةَ ناصِحٍ يُهْدِي سلاماً ... ويأْمُرُ في الذي رَكِبُوا بِجَدِّ
وأَبْلِغْ حارثاً عَنَّا اعْتِذاراً ... إلَيْهِ بأَنَّ مَنْ قِبَلي بِجُهْدِ
ولَوْلا ذاك قَدْ زارَتْك خَيْلٌ ... مِنَ المِصْرَيْنِ بالفرْسانِ تُرْدِي
فلا تهنُوا ولا ترْضَوْا بِخَسْفٍ ... ولا يَغْرُرْكُمُ أَسَدٌ بَعَهْدِ
وكونوا كالبَغايا إنْ خُدِعْتُمْ ... وإنْ أقررْتُمُ ضَيْماً لِوَغْدِ
وإلاَّ فارْفَعُوا الراياتِ سُوداً ... على أهلِ الضلالَةِ والتَّعَدِّي
فَكَيْفَ وأنتُمُ سَبْعُونَ أَلْفاً ... رماكُمْ خالِدٌ بِشَبِيهِ قِرْدِ
ومَنْ وَلّى بِذِمَّتِهِ رَزِيناً ... وشِيعَتَهُ وَلَمْ يُوفِ بِعَهْدِ
ومَنْ غَشّى قُضاعَةَ ثَوْبَ خِزْيٍ ... بقَتْلِ أَبي سلاَمانَ بْنِ سَعْدِ

فَمَهلاً يا قُضَاعَ فَلاَ تكونِي تَوابِعَ لا أُصُولَ لَهَا بِنَجْدِ
وكنْتَ إذا دَعَوْتَ بَني نِزارٍ أتاكَ الدُّهْمُ مِنْ سَبْطٍ وَجَعْدِ
فجُدّعَ مِنْ قُضاعَةَ كلُّ أنفٍ ولا فازتْ على يَوْمٍ بِمَجْدِ

قال: ورَزِين الذي ذُكِر كان خرج على خالد بن عبد الله بالكوفة، فأعطاه الأمان ثم لم يَفِ به.

وقال فيه نصر بن سيّار حين أقبل الحارث إلى مَرْو وسوّد راياته ـ وكان الحارث يرى رأي المرجِئة:

دَعْ عَنْكَ دُنيا وأَهْلاً أَنْتَ تارِكُهمْ ما خَيْرُ دُنْيا وأَهْلٍ لاَ يَدُومُونا!
إلا بَقيَّةَ أيامٍ إلى أَجَلٍ فاطلُبْ مِنَ اللهِ أَهلاً لا يَمُوتونا
أكثِرْ تقَى اللهِ في الإِسْرارِ مُجْتَهِداً إنَّ التُّقَى خَيْرُهُ ما كان مكْنُونا
واعْلَم بأنَّكَ بالأعمالِ مُرْتَهنٌ فكن لذاكَ كَثِيرَ الهَمّ مَحْزُونا
إني أرَى الغَبَنَ المُرديِ بصاحِبِهِ مَنْ كان في هذه الأَيَّام مَغْبُونا
تكونُ للمَرءِ أطْواراً فتَمنَحُهُ يوماً عِثاراً وطَوراً تمنَحُ اللينا
بَينا الفَتى في نعِيمِ العَيْش حَوَّلَهُ دهْرٌ فأمسى به عَنْ ذاك مَزبُونا
تحْلو له مَرَّةً حَتَّى يُسَرَّ بِهَا حيناً وتُمقِرُهُ[1] طَمعاً أحايينا
هل غابرٌ مِنْ بَقَايا الدَّهرِ تَنْظُرهُ إلاَّ كما قد مضى فيما تُقَضُّونا
فامْنَحْ جهادَكَ مَنْ لَم يَرْجُ آخِرَةً وكن عَدُوّاً لِقَومٍ لا يُصَلّونا
واقتُلْ مُواليَهمْ مِنَّا وناصِرَهُمْ حيناً تكفِرُهُمْ والعَنْهُمُ حينا
والعائبينَ علينا دِينَنَا وهُمُ شرُّ العِبادِ إذا خابَرْتَهُمْ دِينا
والقائلينَ سَبيلُ اللهِ بغْيَتُنا لَبُعدَ ما نكبُوا عَمَّا يقُولونا
فاقتُلْهُمُ غَضَباً للهِ مُنْتَصِراً منْهُمْ بِهِ وَدَعِ المُرتابِ مَفْتُونا
إرْجاؤُكُمْ لزَّكُمْ والشرْكَ في قَرَنٍ فأنتُمُ أَهْلُ إِشراكٍ وَمُرجُونا
لا يُبْعِدِ اللهُ في الأَجْداثِ غَيْرَكُمُ إذ كانَ دِينكُمُ بالشِّرْكِ مَقْرُونا
أَلقَى بِهِ اللهُ رُعباً في نُحُورِكُمُ واللهُ يَقضِي لَنَا الحُسْنى ويُعْلينا
كَيْما نكُونَ المَوالي عِندَ خائِفَةٍ عمَّا تَرُومُ به الإِسْلاَمِ والدينا

---

(١) تمقره: أي تمر الطعم له. القاموس المحيط ص ٦١٤.

وهَلْ تَعيبُونَ مِنّا كاذِبين بِهِ غالٍ ومُهْتَضِمٍ ، حَسْبي الذي فينا
يأبَى الذي كان يُبْلِي اللهُ أوّلَكُمْ على النِّفاقِ وما قد كان يُبْلينا

قال: ثم عاد الحارث لمحاربة عاصم ، فلمّا بلغ عاصماً أن أسد بن عبد الله قد أقبل ، وأنه قد سيّر على مقدمته محمد بن مالك الهمْدانيّ ، وأنه قد نزل الدندانقان ، صالح الحارث ، وكتب بينه وبينه كتاباً على أن ينزل الحارث أيّ كورخراسان شاء ، وعلى أن يكتبا جميعاً إلى هشام؛ يسألانه كتاب الله وسنة نبيه؛ فإن أبى اجتمعا جميعاً عليه. فختم على الكتاب بعض الرؤساء ، وأبى يحيى بن حُضَين أن يختم ، وقال: هذا خَلْعٌ لأمير المؤمنين ، فقال خلَف بن خليفة ليحيى:

أَبَى هَمٌّ قلبِكَ إلاّ اجتماعا ويَأْبَى رُقادُكَ إلا امْتناعَا
بِغيرِ سماعٍ ولم تلقَنِي أُحاوِلُ مِنْ ذَاتِ لهوٍ سماعا
حَفِظ أُميةَ في مُلْكِها ونَخْطِرُ مِنْ دونها أَنْ تُراعَى
نُدافِعُ عنها وعَنْ مُلْكِهَا إذَا لم نَجدْ بِيدَيْها امتِناعا
أَبى شَعْبُ ما بينَنَا في القديمِ وبَينَ أُميَّةَ إلا انصِداعا
ألمْ نَختَطِفْ هامَةَ ابنِ الزُّبيرِ ونَنتَزِعِ المُلكَ منه انتِزاعا
جعلنا الخِلافَةَ في أَهلها إذا اصطَرَعَ الناسُ فيها اصطراعا
نَصرْنا أُميةَ بالمَشْرَفِيِّ إذا انْخلَعَ الملكُ عنها انخلاعا
ومنَّا الذي شَدَّ أهلَ العراق ولو غابَ يَحيَى عن الثَّغْرِ ضاعا
على ابنِ سُرَيجٍ نَقضْنَا الأُمورَ وقد كان أحكَمَها ما استَطاعا
حَكيمٌ مقالَتُهُ حِكْمَةٌ إذا شتّت القوم كانت جَماعا
عَشيَّةَ زَرْقٍ وقد أزمَعُوا قَمَعْنا مِنَ الناكِثِينَ الزَّماعا
ولولاَ فتى وائِلٍ لَمْ يكنْ لِيُنْضِجَ فيها رَئِيسٌ كُراعا
فَقلْ لأُميةَ تَرعَى لنا أَيادِيَ لَمْ نُجْزَها واصْطِناعا
أتَلهِينَ عَنْ قتلِ ساداتِنا ونأْبَى لحقّكِ إلاَّ اتّباعا
أَمَنْ لَمْ يُبعْكِ مِنَ المُشتَرِينَ كآخرَ صادَفَ سُوقاً فَباعا!
أبى ابنُ حُضَيْنٍ لِما تَصْنَعِـ ـينَ إلاَّ اضطلاعاً وإلاَّ اتّباعا
ولو يأمَنُ الحارثُ الوائلينَ لراعكِ في بعضِ مَنْ كان راعا

وقـد كـانَ أصْغَـرَ ذَا نَيْـرَبٍ أشاعَ الضَّلالَةَ فيما أشاعا
كَفَيْنَـا أُميـةَ مَخْتُـومَـةً أطاعَ بها عاصمٌ مَنْ أطاعا
فلـولاَ مَـراكـزُ راياتِنـا مِن الجند خافَ الجنودُ الضَّياعا
وصَلْنَا القَدِيمَ لَها بالحَدِيث وتـأْبَى أمَيَّةُ إلا انْقطَاعا
ذخـائـرُ فـي غَيْـرِنَـا نَفْعُهـا ومـا إنْ عَـرَفنا لَهُـنّ انتفاعا
ولَـوْ قـدمَتْهـا وبَـانَ الحجـا بُ لأرْتَعْتِ بيْنَ حشاكِ ارتياعا
فـأَيـن الـوَفَـاءُ لأهْـلِ الـوَفَـاءِ والشُّكْرُ أَحْسَنُ مِنْ أنْ يُضاعا!
وأَيْـنَ ادِّخـارُ بَنِـي وائـلٍ إذ الذُّخرُ في الناس كان ارتجاعا!
أَلَـمْ تَعلَمِـي أنَّ أَسيـافَنَـا تُداوِي العَلِيلَ وتَشْفي الصُّداعا!
إذَا ابْـنُ حُضَيْـنٍ غَـدا بـاللـواءِ أسلَمَ أهلُ القِلاع القِلاعا
إذا ابـنُ حُضَيـن غـدَا بـاللـواءِ أشـارَ النُّسُورَ بـه والضِّباعا
إذا ابـن حُضَيـنٍ غـدا بـاللـواءِ ذَكَّـى وكـانَـتْ مَعَدٌّ جُداعا

قال: وكان عاصم بن سليمان بن عبد الله بن شَراحيل اليشكريّ من أهل الرّأي، فأشار على يحيى بنقض الصحيفة؛ وقال له: «غمراتٌ ثم ينجَلينَ»، وهي المغمَّضات، فغمّض.

قال: وكان عاصم بن عبد الله في قرية بأعلى مَرْو لكندة، ونزل الحارث قرية لبني العنبر؛ فالتقوْا بالخيل والرّجال، ومع عاصم رجل من بني عَبْس في خمسمئة من أهل الشأم وإبراهيم بن عاصم العُقَيليّ في مثل ذلك؛ فنادى منادي عاصم: مَنْ جاء برأسٍ فله ثلثمئة درهم؛ فجاء رجل من عمّاله؛ برأس وهو عاضّ على أنفه، ثم جاءه رجل من بني ليث ـ يقال له ليث بن عبد الله ـ برأس. ثم جاء آخر برأس، فقيل لعاصم: إن طمع الناس في هذا لم يَدَعوا ملاّحاً ولا عِلْجاً إلا أتوْك برأسه؛ فنادى مناديه: لا يأتنا أحد برأس؛ فمن أتانا به فليس له عندنا شيء؛ وانهزم أصحابُ الحارث فأسروا منهم أسارَى، وأسروا عبد الله بن عمرو المازنيّ رأس أهل مَرْو الرّوذ، وكان الأسراء ثمانين؛ أكثرهم من بني تميم، فقتلهم عاصم بن عبد الله على نهر الداندانقان، وكانت اليمانية بعثت من الشأم رجلاً يعدل بألف يكنى أبا داود، أيّام العصبيّة في خمسمئة؛ فكان لا يمرّ بقرية من قُرى خراسان إلا قال: كأنكم بي قد مررتُ راجعاً حاملاً رأس الحارث بن سُريج؛ فلما

التقوْا دعا إلى البراز ، فبرز له الحارث بن سُريج؛ فضربه فَوْق منكبه الأيسر فصرعه ، وحامى عليه أصحابه فحملوه فخولط ، فكان يقول: يا أبرشهر الحارث بن سريجاه! يا أصحاب المعموراه! ورمِيَ فرس الحارث بن سريج في لَبَانه ، فنزع النّشابة؛ واستحضره وألحّ عليه بالضّرب حتى نزّقه[1] وعرّقه ، وشغله عن ألم الجراحة.

قال: وحمل عليه رجل من أهل الشأم؛ فلما ظنّ أن الرمح مخالطُه؛ مال عن فرسه واتّبع الشأميّ ، فقال له: أسألك بحرمة الإسلام في دمي! قال: انزل عن فرسك؛ فنزل وركبه الحارث ، فقال الشأميّ: خذ السرج؛ فوالله إنه خير من الفرس ، فقال رجل من عبد القيس:

تَوَلَّتْ قريشٌ لَذَّةَ العَيْشِ واتَّقَتْ بنا كُلَّ فَجٍّ من خُراسان أغْبَرا
فلَيتَ قُرَيشاً أصبحوا ذاتَ ليلَةٍ يَعومُونَ في لُجٍّ من البحرِ أخضَرا

قال: وعظّم أهل الشأم يحيى بن حُضَين لما صنع في أمر الكتاب الذي كتبه عاصم ، وكتبوا كتاباً ، وبعثوا مع محمد بن مسلم العنبريّ ورجل من أهل الشأم ، فلقوا أسد بن عبد الله بالرّيّ ـ ويقال: لقوه ببيْهق ـ فقال: ارجعوا فإني أصلح هذا الأمر ، فقال له محمد بن مسلم: هُدمتْ داري ، فقال: أبنيها لك ، وأردّ عليكم كلّ مظلمة.

قال: وكتب أسد إلى خالد ينتحل أنه هزم الحارث ، ويخبره بأمر يحيى. قال: فأجاز خالد يحيى بن حُضين بعشرة آلاف دينار وكساه مئة حُلّة. قال: وكانت ولاية عاصم أقلّ من سنة ـ قيل كانت سبعة أشهر ـ وقدم أسد بن عبد الله وقد انصرف الحارث ، فحبس عاصماً وسأله عمّا أنفق ، وحاسبه فأخذه بمئة ألف درهم؛ وقال: إنك لم تغزُ ولم تخرج من مَرْو ، ووافق عمارة بن حُرَيم وعمّال الجُنيد محبوسين عنده؛ فقال لهم: أسير فيكم بسيرتنا أم بسيرة قومكم؟ قالوا: بسيرتك ، فخلّى سبيلَهم.

قال عليّ عن شيوخه: قالوا: لما بلغ هشامَ بن عبد الملك أمرُ الحارث بن سريج ، كتب إلى خالد بن عبد الله: ابعث أخاك يصلح ما أفسد؛ فإن كانت رجيّة

(١) نزقة: ضربه ضرباً شديداً. القاموس المحيط ص ١١٩٤.

فلتكن به ، قال: فوجّه أخاه أسداً إلى خراسان ، فقدِم أسد وما يملك عاصم من خراسان إلاّ مَرْو وناحية أبرشهر ، والحارث بن سريج بمرْو الرّوذ وخالد بن عبيد الله الهجريّ بآمُل ، ويخاف إن قصد للحارث بمرْو الروذ دخل خالد بن عبيد الله مَرْو من قِبَل آمُل ، وإن قصد لخالد دخلها الحارث من قِبَل مَرْو الرّوذ ، فأجمع على أن يوُجّه عبد الرحمن بن نُعيم الغامديّ في أهل الكوفة وأهل الشام في طلب الحارث إلى ناحية مَرْو الرّوذ ، وسار أسد بالناس إلى آمُل ، واستعمل على بني تميم الحَوْثرة بن يزيد العنبريّ ، فلقيهم خيل لأهل آمُل ، عليهم زياد القرشيّ مولى حيّان النّبطيّ عند ركايا عثمان ، فهزمهم حتى انتهوْا إلى باب المدينة ، ثم كرُّوا على الناس ، فقِتل غلام لأسد بن عبد الله يقال له جَبَلة؛ وهو صاحب عَلمه ، وتحصَّنوا في ثلاث مدائن لهم.

قال: فنزل عليهم أسد وحصَرهم ، ونصب عليهم المجانيق ، وعليهم خالد بن عبيد الله الهجريّ من أصحاب الحارث ، فطلبوا الأمان ، فخرج إليهم رويد بن طارق القطعيّ ومولى لهم ، فقال: ما تطلبون؟ قالوا: كتاب الله وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ، قال: فلكم ذلك ، قالوا: على ألاّ تأخذ أهل هذه المدن بجنايتنا. فأعطاهم ذلك ، واستعمل عليهم يحيى بن نعيم الشيبانيّ أحد بني ثعلبة بن شيبان ، ابن أخي مصقلة بن هبيرة ، ثم أقبل أسد في طريق زمّ يريد مدينة بلْخ؛ فتلقاه مولًى لمسلم بن عبد الرحمن ، فأخبره أنّ أهل بلخ قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم ، فقدم بلخ ، واتّخذ سفناً وسار منها إلى التّرمذ ، فوجد الحارث محاصراً سناناً الأعرابيّ السُّلمِيّ ، ومعه بنو الحجّاج بن هارون النميريّ ، وبنو زُرْعة وآل عطية الأعور النّضريّ في أهل التّرمذ ، والسبل مع الحارث ، فنزل أسد دون النّهر ، ولم يطق القطوع إليهم ولا أن يمدّهم ، وخرج أهل التِّرمد من المدينة ، فقاتلوا الحارث قتالاً شديداً ، وكان الحارث استطرد لهم ، ثم كرّ عليهم ، فانهزموا فقتل يزيد بن الهيثم بن المنخّل وعاصم بن معوّل النّجليّ في خمسين ومئة من أهل الشأم وغيرهم؛ وكان بشر بن جُرموز وأبو فاطمة الأياديّ ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب التِّرمذ ، فيبكون ويشكون بني مَرْوان وجَوْرَهم؛ ويسألونهم النُّزول إليهم على أن يمالئوهم على حَرْب بني مروان فيأبوْن عليهم؛ فقال السّبل وهو مع الحارث: يا حارث؛ إن

الترمذ قد بُنيت بالطبول والمزامير؛ ولا تُفتَح بالبكاء وإنما تفتح بالسيف ، فقاتِل إن كان بك قتال ، وتركه السبل وأتى بلاده.

قال: وكان أسد حين مرّ بأرض زَمّ تعرّض للقاسم الشيبانيّ وهو في حصن بزَمّ يقال له باذكر؛ ومضى حتى أتى التّرْمذ ، فنزل دون النهر ، ووضع سريره على شاطىء النهر؛ وجعل الناس يعبرون؛ فمن سفلت سفينته عن سفن المدينة قاتلهم الحارث في سفينة؛ فالتقوْا في سفينة فيها أصحاب أسَد ، فيهم أصغر بن عيناء الحميريّ ، وسفينةُ أصحاب الحارث فيها داود الأعسر ، فرمى أصغر فصكّ السفينة ، وقال: أنا الغلام الأحمريّ ، فقال داود الأعسر: لأمْرٍ ما انتميت إليه ، لا أرض لك! وألزق سفينته بسفينة أصغر فاقتتلوا؛ وأقبل الأشكند ـ وقد أراد الحارث الانصراف ـ فقال له: إنما جئتك ناصراً لك؛ وكمن الأشكند وراء دير؛ وأقبل الحارث بأصحابه؛ وخرج إليه أهل التِّرمذ ، فاستطرد لهم فاتّبعوه ، ونصر مع أسد جالس ينظر؛ فأظهر الكراهيَة. وعرف أنّ الحارث قد كادهم ، فظنّ أسد أنه إنما فعل ذلك شفقة على الحارث حين ولّى؛ فأراد أسد معاتبة نصر؛ فإذا الأشكند قد خرج عليهم ، فحمل على أهل التِّرمذ فهربوا ، وقتِل في المعركة يزيد بن الهيثم بن المنخّل الجرموزّي من الأزْد ، وعاصم بن معوّل ـ وكان من فرسان أهل الشأم ـ ثم ارتحل أسد إلى بلْخ ، وخرج أهل التِّرمذ إلى الحارث فهزموه ، وقتلوا أبا فاطمة وعِكْرمة وقوماً من أهل البصائر ، ثم سار أسد إلى سَمَرْقند في طريق زَمّ: فلما قدم زَمّ بعث إلى الهيثم الشيبانيّ ـ وهو في باذكر ، وهو من أصحاب الحارث ـ فقال: إنكم إنما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم ، ولم يبلغ ذلك النّساء ولا استحلال الفُروج ولا غلبة المشركين على مثل سمَرْقند؛ وأنا أريد سمَرْقند؛ وعليّ عهد الله وذمّته ألاّ يبدأك مني شرٌّ ، ولك المؤاساة واللطف والكرامة والأمان ولمن معك؛ وأنت إن غمصت ما دعوتُك إليه فعليّ عهد الله وذمّة أمير المؤمنين وذمّة الأمير خالد إن أنت رميتَ بسهم ألاّ أؤمّنك بعده؛ وإن جعلتُ لك ألف أمان لا أفِي لك به. فخرج إليه على ما أعطاه من الأمان فآمنه ، وسار معه إلى سَمَرْقند فأعطاهم عطاءين ، وحملهم على ما كان من دوابّ ساقها معه ، وحمل معه طعاماً من بُخارى ، وساق معه شاءً كثيرة من شاء الأكراد قسمها فيهم؛ ثم ارتفع إلى ورغْسَر وماءُ سمرقند منها ، فسكر الوادي

وصرفه عن سَمَرْقند؛ وكان يحمل الحجارة بيديه حتى يطرحها في السّكْر[١] ، ثم قفل من سَمَرْقند حتى نزل بلْخ.

وقد زعم بعضُهم أن الذي ذكرت من أمر أسد وأمر أصحاب الحارث كان في سنة ثمان عشرة[٢] . [٧/ ٩٩ ـ ١٠٧].

أمر أَسد بن عبد الله مع دعاة بني العباس

وفي هذه السنة أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دُعاة بني العباس بخراسان ، فقتل بعضهم ، ومثّل ببعضهم ، وحبس بعضهم ، وكان فيمن أخذ سليمان بن كَثِير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهزِ بن قريظ وخالد بن إبراهيم وطلحة بن زُرَيق ، فأتِيَ بهم ، فقال لهم: يا فسَقة ، ألم يقل الله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[٣] .

فذُكر أن سليمان بن كثير قال: أتكلم أم أسكت؟ قال: بل تكلم ، قال: نحن والله كما قال الشاعر:

لــو بغيــر المــاءِ حَلْقــي شَــرِقٌ   كنتُ كالغَصّانِ؛ بالماءِ اعْتِصارِي[٤]

تدري ما قصتنا؟ صِيدت والله العقارب بيدك أيّها الأمير؛ إنا أناس من قومك ، وإن هذه المضريّة إنما رفعوا إليك هذا لأنا كنا أشدّ الناس على قتيبة بن مسلم؛ وإنما طلبوا بثأرهم ، فتكلّم ابنُ شريك بن الصامت الباهليّ ، وقال: إنّ هؤلاء القوم قد أخِذُوا مرّة بعد مرّة ، فقال مالك بن الهيثم: أصلح الله الأمير! ينبغي لك أن تعتبر كلام هذا بغيره؛ فقالوا: كأنك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة! نحن والله كنا أشدّ الناس عليه؛ فبعث بهم أسد إلى الحبس ، ثم دعا عبد الرحمن بن نُعيم فقال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تمنّ بهم على عشائرهم ، قال: فالتميميان اللذان معهم؟ قال: تخلّي سبيلهما ، قال: أنا إذاً من عبد الله بن يزيد نفِيّ ، قال: فكيف

---

(١) سكر النهر: سد فاه ، والسكر: الشق ومنفرج الماء. القاموس ص ٥٢٤.

(٢) انظر البداية والنهاية (٧/ ١٩٧).

(٣) سورة المائدة: الآية: ٩٥.

(٤) لعدي بن زيد ، الأغاني ٢: ١٦٤ ، والاعتصار أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر الماء ، وهو أن يشربه قليلاً قليلاً.

تصنع بالرّبعيّ؟ قال: أخلّي والله سبيله. ثم دعاء بموسى بن كعب وأمر به فألجم بلجام حمار، وأمر باللجام أن يجذب فجذِب حتى تحطّمت أسنانه، ثم قال: اكسروا وجهه، فدُقّ أنفه، ووجأ لحيته، فنَدَرَ ضرس له، ثم دعا بلاهز بن قريط، فقال لاهز: والله مافي هذا الحق أن تصنع بنا هذا، وتترك اليمانييّن والرّبَعيين، فضربه ثلثمئة سوط، ثم قال: اصلبوه، فقال الحسن بن زيد الأزديّ، هو لي جار وهو بريء مما قُذِف به؛ قال: فالآخرون؟ قال: أعرفهم بالبراءة، فخلّى سبيلهم. [٧/ ١٠٧ ـ ١٠٨].

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومئة

ولاية عمار بن يزيد على شيعة بني العباس بخراسان

وفيها وجّه بكير بن ماهان عمّار بن يزيد إلى خُراسان والياً على شيعة بني العباس؛ فنزل ـ فيما ذكر ـ مرْو، وغيّر اسمه وتَسمى بخِداش، ودعا إلى محمد بن عليّ؛ فسارع إليه الناس، وقبلوا ما جاءهم به؛ وسمعوا إليه وأطاعوا، ثم غيّر ما دعاهم إليه، وتكذَّب وأظهر دين الخُرّميّة؛ ودعا إليه، ورخّص لبعضهم في نساء بعض؛ وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن عليّ؛ فبلغ أسد بن عبد الله خبرُه، فوضع عليه العيون حتى ظفر به، فأتِيَ به؛ وقد تجهّز لغزو بلخ، فسأله عن حاله، فأغلظ خِداش له القول، فأمر به فقطِعت يده، وقلع لسانه، وسُملت عينه(١).

* * *

ذكر ما كان من الحارث بن سريج مع أصحابه

فذكر عليّ بن محمد عن أشياخه، قال: لما قدم أسد آمُل في مبدئه، أتوه بخِداش صاحب الهاشميّة، فأمر به قُرْعة الطبيب، فقطع لسانه، وسمل عينه، فقال: الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر منك! ثم دفعه إلى يحيى بن نعيم الشّيبانيّ عامل آمُل. فلما قفل من سَمَرْقند كتب إلى يحيى فقتله وصلبه بآمُل، وأتِيَ أسد بحزَوّر مولى المهاجر بن دارة الضّبيّ، فضرب عنقه بشاطىء النهر، ثم

(١) انظر المنتظم (٧/ ١٨٦) والبداية والنهاية (٧/ ١٩٨).

نزل أسد منصرفَه من سَمَرْقند بلْخ ، فسرَّح جُدَيْعاً الكِرمانيَّ إلى القلعة التي فيها ثَقَل الحارث وثقل أصحابه ـ واسم القلعة التّبوشكان من طخارستان العليا ، وفيها بنو بَرْزَى التّغلبيّون ، وهم أصهار الحارث ـ فحصرهم الكرمانيّ حتى فتحها ، فقتل مقاتلَتهم وقتل بني بَرْزَى ، وسبى عامّة أهلها من العرب والموالي والذراريّ ، وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ ، فقال عليّ بن يَعْلَى ـ وكان شهد ذلك: نقم على الحارث أربعمئة وخمسون رجلاً من أصحابه؛ وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضي؛ وفيهم بشر بن أنيف الحنظليّ وداود الأعسر الخوارزميّ ، فقال الحارث: إن كنتم لابد مفارقيّ وطلبتم الأمان. فاطلبوه وأنا شاهد؛ فإنه أجدر أن يجيبوكم ، وإن ارتحلتُ قبل ذلك لم يعطوا الأمان ، فقالوا: ارتحل أنت وخلّنا ، ثم بعثوا بشر بن أنيف ورجلاً آخر ، فطلبوا الأمان فأمّنهما أسد ووصلهما ، فغدروا بأهل القلْعة ، وأخبراه أنّ القوم ليس لهم طعامٌ ولا ماءٌ ، فسرَّح أسد الكرمانيّ في ستة آلاف؛ منهم سالم بن منصور البَجَليّ ، على ألفين ، والأزهر بن جُرموز النميريّ في أصحابه ، وجند بلْخ وهم ألفان وخمسمئة من أهل الشأم؛ وعليهم صالح بن القعقاع الأزديّ؛ فوجّه الكِرمانيّ منصور بن سالم في أصحابه ، فقطع نهر ضرغام؛ وبات ليله وأصبح ، فأقام حتى متَع النهار؛ ثم سار يومَه قريباً من سبعة عشر فرسخاً ، فأتعب خيله ، ثم انتهى إلى كشتم من أرض جبغويه؛ فانتهى إلى حائط فيه زَرع قد قُصّب ، فأرسل أهل العسكر دوابّهم فيه ، وبينهم وبين القلعة أربعة فراسخ ، ثم ارتحل فلما صار إلى الوادي جاءته الطلائع فأخبرته بمجيء القوم ورأسهم المهاجر بن ميمون؛ فلما صاروا إلى الكِرمانيّ كابدهم فانصرفوا ، وسار حتى نزل جانباً من القلعة؛ وكان أول ما نزل في زهاء خمسمئة في مسجد كان الحارث بناه؛ فلما أصبح تتامَّتْ إليه الخيل ، وتلاحقت من أصحاب الأزهر وأهل بلْخ.

فلما اجتمعوا خطبهم الكرمانيّ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: يا أهلَ بلخ؛ لا أجد لكم مثلاً غيرَ الزّانية ، مَنْ أتاها أمكنته من رجلها؛ أتاكم الحارث في ألف رجل من العجم فأمكنتموه من مدينتكم ، فقتل أشرافكم ، وطرد أميرَكم ، ثم سرتم معه من مكانفيه إلى مَرْو فخذلتموه ، ثم انصرف إليكم منهزماً فأمكنتموه من المدينة؛ والذي نفسي بيده لا يبلغني عن رجل منكم كتب كتاباً إليهم في سَهْم

إلا قطعتُ يده ورجله وصلبتُه؛ فأما مَن كان معي من أهل مَرْو فهم خاصتي ولست أخاف غدرهم ، ثم نهد إلى القلعة فأقام بها يوماً وليلة من غير قتال؛ فلما كان من الغد نادى مناد: إنا قد نَبَذْنا إليكم بالعهد؛ فقاتلوهم؛ وقد عطش القوم وجاعوا؛ فسألوا أن ينزلوا على الحكم ويُترك لهم نساؤهم وأولادهم ، فنزلوا على حكم أسد ، فأقام أياماً ، وقدم المهلب بن عبد العزيز العتَكيّ بكتاب أسد ، أن احملوا إليّ خمسين رجلاً منهم؛ فيهم المهاجر بن ميمون ونظراؤه من وجوههم؛ فحملوا إليهم فقتلهم؛ وكتب إلى الكرمانيّ أن يصيّر الذين بقوا عنده أثلاثاً ، فثلْث يصلّبهم ، وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم ، وثلث يقطع أيديهم؛ ففعل ذلك الكِرمانيّ ، وأخرج أثقالهم فباعها فيمن يزيد ، وكان الذين قتلهم وصلبهم أربعمئة ، واتّخذ أسد مدينة بلخ داراً في سنة ثمان عشرة ومئة ، ونقل إليها الدواوين واتخذ المصانع ، ثم غزا طَخارستان ثم أرض جبْغويه ، ففتح وأصاب سَبْياً [٧/ ١٠٩ ـ ١١١].

وقيل إنه ولد في الليلة التي ضرب فيها عليّ بن أبي طالب وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان من سنة أربعين ، فسمّاه أبوه علياً ، وقال: سميته باسم أحبّ الخلق إليّ ، وكناه أبا الحسن ، فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه على سريره ، وسأله عن كنيته فأخبره ، فقال: لا يجتمع في عسكري هذا الاسم والكنية لأحد؛ وسأله: هل وُلِدَ له من ولد؟ وكان قد ولد له يومئذ محمد بن عليّ ، فأخبره بذلك ، فكناه أبا محمد. [٧/ ١١١ ـ ١١٢].

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة الوليد بن القعقاع العبسيّ أرضَ الروم[١].

وفيها غزا أسد بن عبد الله الخُتَّل ، فافتتح قلعة زغرزك ، وسار منها إلى خِداش ، وملأ يديه من السبي والشاء؛ وكان الجيش قد هرب إلى الصين.

* * *

(١) المنتظم (٧/ ١٩٢).

ذكر غزو الترك ومقتل خاقان

وفيها لقي أسد خاقان صاحب الترك فقتله ، وقتل بشراً كثيراً من أصحابه ، وسلم أسد والمسلمون ، وانصرفوا بغنائم كثيرة وسَبْي[١] .

ذكر الخبر عن هذه الغزوة :

ذكر عليّ بن محمد عن شيوخه ؛ أنهم قالوا : كتب ابن السائجيّ إلى خاقان أبي مُزاحم ـ وإنما كني أبا مزاحم لأنه كان يزاحم العرب ـ وهو مُوالث[٢] ، يعلمه دخول أسد الختَّل وتفرّق جنوده فيها ؛ وأنه بحال مَضِيعةٍ[٣] . فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز ـ وكان الخاقان مرْج وجبل حمًى لا يقربهما أحد ، ولا يتصيّد فيهما ، يتركان للجهاد فضاء ، ما كان في المرْج ثلاثة أيام ، ومافي الجبل ثلاثة أيام ـ فتجهّزوا وارتعوا ودبغوا مُسوك الصّيد ؛ واتخذوا منها أوعية ؛ واتخذوا القسيّ والنّشّاب ، ودعا خاقان ببرذون مسرَج ملجَم ، وأمر بشاة فقُطِعت ثم عُلّقت في المعاليق ، ثم أخذ شيئاً من مِلْح فصيَره في كيس ، وجعله في منطقته ، وأمر كلّ تركيٍّ أن يفعل مثل ذلك ، وقال : هذا زادكم حتى تلقوا العرب بالخُتَّلِ .

وأخذ طريق خُشوراغ ؛ فلما أحسّ ابن السائجيّ أنّ خاقان قد أقبل بعث إلى أسد : أُخرج عن الختّل فإن خاقان قد أظلّك ، فشتم رسولَه ، ولم يصدّقه ؛ فبعث صاحب الخُتّل : إنيّ لم أكذبك ؛ وأنا الذي أعلمته دخولك ؛ وتفرّق جندك ، وأعلمته أنها فرْصة له ، وسألته المدد ، غير أنك أمعرت[٤] البلاد ، وأصبت الغنائم ؛ فإن لقيك على هذه الحال ظفِر بك ؛ وعادتني العرب أبداً ما بقيت ، واستطال عليّ خاقان واشتدّت مؤونته ؛ وامتنَّ عليّ بقوله : أخرجتُ العرب من بلادك ، ورددت عليك ملكك ؛ فعرف أسد أنه قد صَدَقه ، فأمر بالأثقال أن تُقدّم ، وولّى عليها إبراهيم بن عاصم العقيليّ الجَزريّ ، الذي كان وليَ سجستان

(١) انظر البداية والنهاية (٧/ ١٩٩).
(٢) الولث : العهد . الضعيف . القاموس المحيط ص ٢٢٧ .
(٣) المضيعة : الهوان . القاموس المحيط ص ٩٦٠ .
(٤) أمعرت البلاد : أي سلبت ما فيها . القاموس المحيط ص ٦١٤ .

بعدُ ، وأخرج معه المشيخة ، فيهم كَثِير بن أمية وأبو سليمان بن كثير الخُزاعيّ وفُضَيل بن حيّان المهريّ وسنان بن داود القطعيّ ، وكان على أهل العالية سِنان الأعرابيّ السُّلميّ ، وعلى الأقباض عثمان بن شباب الهمَذَانيّ ، جدّ قاضي مَرْو ، فسارت الأثقال؛ فكتب أسد إلى داود بن شُعيب والأصبغ بن ذؤالة الكلبيّ ـ وقد كان وجّههما في وجه : إنّ خاقان قد أقبل ، فانضمّا إلى الأثقال؛ إلى إبراهيم بن عاصم .

قال : ووقع إلى داود والأصبغ رجل دَبُوسيّ ، فأشاع أنّ خاقان قد كسر المسلمين وقتل أسداً .

وقال الأصبغ : إن كان أسد ومَن معه أصيبوا فإنّ فينا هشاماً ننحاز إليه؛ فقال داود بن شعيب : قبح الله الحياة بعد أهل خراسان! فقال الأصبغ : حبّذا الحياة بعد أهل خراسان! قتِل الجرّاح ومن معه فما ضرّ المسلمين كثير ضرّ ، فإن هلك أسد وأهل خراسان فلن يخذل الله دينَه ، وإنّ الله حيّ قيوم ، وأمير المؤمنين حيّ وجنود المسلمين كثير . فقال داود : أفلا ننظر ما فعل أسد فنخرج على علم! فسارا حتى شارفا عسكر إبراهيم فإذا هما بالنِّيران ، فقال داود : هذه نيران المسلمين أراها متقاربة ونيران الأتراك متفرّقة؛ فقال الأصبغ : هم في مَضِيق . ودنَوا فسمعوا نهيق الحمير ، فقال داود : أما علمت أنّ الترك ليس لهم حمير! فقال الأصبغ : أصابوها بالأمس؛ ولم يستطيعوا أكلها في يوم ولا اثنين؛ فقال داود : نسرّح فارسين فيكبّران؛ فبعثا فارسين؛ فلما دنوَا من العسكر كبّرا ، فأجابهما العسكر بالتكبير ، فأقبلوا إلى العسكر الذي فيه الأثقال؛ ومع إبراهيم أهل الصغَانيان وصَغان خُذاه؛ فقام إبراهيم بن عاصم مبادراً .

قال : وأقبل أسد من الختّل نحو جبل المِلْح يريد أن يخوض نهر بَلْخ ، وقد قطع إبراهيم بن عاصم بالسّبي وما أصاب ، فأشرف أسد على النهر وقد أتاه أن خاقان قد سار من سوياب سبع عشرة ليلة ، فقام إليه أبو تمام بن زَحْر وعبد الرحمن بن خنفر الأزديّان ، فقالا : أصلح الله الأمير! إن اللهُ قد أحسن بلاءك في هذه الغزوة فغنمت وسلمت فاقطعْ هذه النّطفة ، واجعلها وراء ظهرك ، فأمر بهما فُوجئَت رقابهما ، وأُخِرجَا من العسكر وأقام يومه . فلما كان من الغد ارتحلَ وفي النّهر ثلاثة وعشرون موضعاً يخوضه النّاس ، وفي موضع مجتمع ماء

يبلغ دفّتي السّرج ، فخاضه الناس ، وأمر أن يحمل كلّ رجل شاة ، وحمل هو بنفسه شاة؛ فقال له عثمان بن عبد الله بن مطرِّف بن الشِّخِّير : إنّ الذي أنت فيه من حمل الشاة ليس بأخطر مما تخاف؛ وقد فرّقتَ الناس وشغلتهم ، وقد أظلك عدوّك ، فدَعْ هذا الشاء لعنة الله عليه ، وأمر الناس بالاستعداد. فقال أسد: والله لا يعبُر رجل ليست معه شاة حتى تفنى هذه الغنم إلا قطعت يدَه ، فجعل الناس يحملون الشّاء؛ الفارس يحملها بين يديه والراجل على عُنقه؛ وخاض الناس. ويقال: لما حفرت سنابك الخيل النهر صار بعض المواضع سباخة فكان بعضهم يميل فيقع عن دابته ، فأمر أسد بالشاء أن تقذف ، وخاض الناس ، فما استكملوا العبور حتى طلعت عليهم الترك بالدّهْم ، فقتلوا مَن لم يقطع ، وجعل الناس يقتحمون النّهر ـ ويقال كانت المسلحة على الأزْد وتميم ، وقد خُلِّف ضَعفة الناس ـ وركب أسد النّهر ، وأمر بالإبل أن يقطع بها إلى ما وراء النهر ، حتى تحمل عليها الأثقال؛ وأقبل رَهَجٌ من ناحية الخُتَّل؛ فإذا خاقان؛ فلما توافَى معه صدْر من جنده حمل على الأزْد وبني تيم فانكشفوا ، وركض أسد حتى انصرف إلى معسكره ، وبعث إلى أصحاب الأثقال الذين كان سرّح أمامه: أن انزلوا وخندقوا مكانكم في بطن الوادي. قال: وأقبل خاقان ، فظنّ المسلمون أنه لا يقطع إليهم وبينهم وبينه النهر؛ فلما نظر خاقان إلى النّهر أمر الأشكند ـ وهو يومئذ أصبهبذ نسف ـ أن يسير في الصفّ حتى يبلغ أقصاه ، ويسأل الفرسان وأهل البَصَر بالحرب والماء: هل يطاق قطوع النهر والحمل على أسد؟ فكلّهم يقول: لا يطاق؛ حتى انتهى إلى الأشتيخَن ، فقال: بلى يطاق ، لأنّا خمسون ألف فارس؛ فإذا نحن اقتحمنا دفعة واحدة ردّ بعضنا عن بعض الماء فذهب جَرْيته ، قال: فضربوا بكوساتهم[١] فظنّ أسد ومن معه أنه منهم وعيد ، فأقحموا دوابّهم ، فجعلت تنخر أشدّ النخير؛ فلما رأى المسلمون اقتحامَ الترك ولّوا إلى العسكر ، وعبرت الترك فسطع رَهَجٌ عظيم لا يبصر الرّجل دابّته ، ولا يعرف بعضهم بعضاً؛ فدخل المسلمون عسكرَهم وحَوَوا ما كان خارجاً ، وخرج الغلمان بالبراذِع والعَمد ، فضربوا الترك؛ فأدبروا ، وبات أسد؛ فلما أصبح ـ وقد كان عبّأ أصحابه من الليل تخوّفاً مِنْ غَدْر خاقان وغدوّه عليه ، ولم ير شيئاً ـ دعا وجوه

---

(١) الكوس: الطبل. القاموس المحيط ص ٧٣٧.

الناس فاستشارهم ، فقالوا له : اقبل العافية ، قال : ما هذه عافية ، بل هي بليّة ، لقينا خاقان أمس فظفر بنا وأصاب من الجند والسلاح؛ فما منعه منّا اليوم إلا أنه قد وقع في يديه أسراء فأخبروه بموضع الأثقال أمامنا ، فترك لقاءنا طمعاً فيها ، فارتحل فبعث أمامه الطلائع ، فرجع بعضهم فأخبره أنه عاين طوقات[1] الترك وأعلاماً من أعلام الإشكند ، في بشر قليل ، فسار والدوابّ مثقلة ، فقيل له : انزل أيها الأمير واقبل العافية ، قال : وأين العافية فأقبلَها! إنما هي بليّة وذهاب الأنفس والأموال. فلما أمسى أسد صار إلى منزلٍ ، فاستشار الناس : أينزلون أم يسيرون؟ فقال الناس : اقبل العافية؛ وما عسى أن يكون ذهاب المال بعافيتنا وعافية أهل خراسان! ونصر بن سيار مطرق ، فقال أسد : مالك يا بن سيار مطرقاً لا تتكلم! قال : أصلح الله الأمير! خَلّتان كلتاهما لك ، إن تَسِرْ تُغِثْ مَنْ مع الأثقال وتخلّصهم ، وإن أنت انتهيت إليهم وقد هلكوا فقد قطَعتَ قُحْمة لابدّ من قطوعها ، فقبل رأيه وسار يومه كلّه.

قال : ودعا أسد سعيداً الصغير ـ وكان فارساً مولى باهلة ، وكان عالماً بأرض الخُتّل ـ فكتب كتاباً إلى إبراهيم يأمره بالاستعداد؛ فإنّ خاقان قد توجّه إلى ما قِبَلك ، وقال : سِرْ بالكتاب إلى إبراهيم حيث كان قبل الليل؛ فإن لم تفعل فأسد بريء من الإسلام إن لم يقتلْك؛ وإن أنت لحقت بالحارث فعلى أسدٍ مثلُ الذي حلَف ، إن لم يبع امرأتك الدلاّلُ في سوق بلْخ وجميع أهل بيتك. قال سعيد : فادفع إليّ فرسك الكُميت الذَّنوب[2] قال : لعمري لئن جُدْتَ بدمك ، وبخلتُ عليك بالفرس إني للئيم. فدفعه إليه. فسار على دابّة من جنائبه ، وغلامه على فرس له ، ومعه فرس أسد يجنُبه ، فلمّا حاذى الترك وقد قصدوا الأثقال طلبته طلائعهم؛ فتحوّل على فرس أسد ، فلم يلحقوه ، فأتى إبراهيم بالكتاب ، وتَبِعه بعض الطلائع ـ يقال عشرون رجلاً ـ حتى رأوْا عسكر إبراهيم ، فرجعوا إلى خاقان فأخبروه. فغدا خاقان على الأثقال ، وقد خندق إبراهيم خندقاً ، فأتاهم وهم قيام عليه؛ فأمر أهل السُّغد بقتالهم؛ فلما دنوا من مسلحة المسلمين ثاروا في وجوههم فهزموهم ، وقتلوا منهم رجلاً ، فقال خاقان : اركبوا ، وصعد خاقان

---

(١) في اللسان : الطاق : ضرب من الملابس ، قيل : هو الطيلسان الأخضر. [اللسان (١٠/ ٢٣٣)].

(٢) الكميت : الذي خالط حمرته قنوء ، والذنوب : الفرس الوافر الذنب. القاموس المحيط ص ٢٠٤.

تلاً فجعل ينظر العورة ، ووجّه القتال ، قال : وهكذا كان يفعل؛ ينفرد في رجلين أو ثلاثة ، فإذا رأى عَوْرة أمر جنوده فحملت من ناحية العَوْرة ، فلما صعد التلّ رأى خلف العسكر جزيرة دونها مخاضة ، فدعا بعض قوّاد الترك ، فأمره أن يقطعوا فوق العسكر في مقطع وصفه حتى يصيروا إلى الجزيرة ، ثم ينحدروا في الجزيرة حتى يأتوا عسكر المسلمين من دُبُر ، وأمرهم أن يبدؤوا بالأعاجم وأهل الصغانيان ، وأن يدَعوا غيرهم؛ فإنهم من العرب ، وقد عرفهم بأبنيتهم وأعلامهم ، وقال لهم: إن أقام القوم في خندقهم فأقبلوا إليكم دخلنا نحن خندقهم؛ وإن ثبتوا على خندقهم فادخلوا من دُبُره عليهم ، ففعلوا ودخلوا عليهم من ناحية الأعاجم ، فقتلوا صغان خُذاه وعامّة أصحابه ، واحتووا على أموالهم ، ودخلوا عسكر إبراهيم فأخذوا عامة ما فيه ، وترك المسلمون التعبئة واجتمعوا في موضع ، وأحسوا بالهلاك ، فإذا رهج قد ارتفع وتربة سوداء؛ فإذا أسد في جنده قد أتاهم ، فجعلت الترك ترتفع عنهم إلى الموضع الذي كان فيه خاقان ، وإبراهيم يتعجب من كَفِّهم وقد ظفروا وقتلوا مَنْ قتلوا وأصابوا ما أصابوا ، وهو لا يطمع في أسد.

قال: وكان أسد قد أغذّ السير ، فأقبل حتى وقف على التّلّ الذي كان عليه خاقان ، وتنحّى خاقان إلى ناحية الجبل ، فخرج إليه مَن بقي ممّن كان مع الأثقال ، وقد قتِل منهم بشرٌ كثير؛ قتل يومئذ بركة بن خوْليّ الراسبيّ وكثير بن أمية ومشيخة من خُزاعة ، وخرجت امرأة صَغان خُذاه إلى أسد ، فبكت زوجها ، فبكى أسد معها حتى علا صوته ، ومضى خاقان يقود الأسراء من الجند في الأوْهاق[1] ويسوق الإبل موقَرة والجواري.

قال: وكان مصعب بن عمر والخزاعيّ ونفر من أهل خراسان قد أجمعوا على موافقتهم فكفّهم أسد ، وقال: هؤلاء قوم قد طابت لهم الرّيح واستكلبوا ، فلا تعرّضوا لهم ، وكان مع خاقان رجل من أصحاب الحارث بن سُريج فأمره فنادى: يا أسد؛ أما كان لك فيما وراء النهر مغزى! إنك لشديد الحرْص ، قد كان لك عن الخُتّل مندوحةٌ ، وهي أرض آبائي وأجدادي. فقال أسد: كان ما رأيت؛ ولعلّ الله

(١) الوهق: الحبل. لسان العرب (١٠/ ٣٨٥).

أن ينتقم منك. قال كورمغانون ـ وكان من عظماء الترك: لم أرَ يوماً كان أحسن من يوم الأثقال، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: أصبت أموالاً عظيمة، ولم أر عدوّاً أسمجَ من أسراء العرب، يعدو أحدهم فلا يكاد يبرح مكانه.

وقال بعضهم: سار خاقان إلى الأثقال، فارتحل أسد؛ فلما أشرف على الظّهر، ورأى المسلمين الترك امتنعوا وقد كانوا قاتلوا المسلمين فامتنعوا فأتوا الأعاجم الذين كانوا مع المسلمين فقاتلوهم، فأسروا أولادهم.

قال: فأردف كلّ رجل منهم وصيفاً أو وصيفة، ثم أقبلوا إلى عسكر أسد عند مغيب الشمس. قال: وسار أسدٌ بالنّاس، حتى نزل مع الثقل. وصبَّحوا أسداً من الغدِ؛ وذلك يوم الفِطْر، فكادوا يمنعونهم من الصلاة. ثم انصرفوا ومضى أسد إلى بلْخ، فعسكر في مَرْجها حتى أتى الشتاء، ثم تفرّق الناس في الدور، ودخل المدينة، ففي هذه الغَزاة قيل له بالفارسية:

أَزْ خُتَّـــلانْ آمـــديـــه   بَـــرُوتبـــاهْ آمَـــديـــه
آبـــار بـــازْ آمَـــديـــه   خُشـــك نـــزار آمَـــديـــه

قال: وكان الحارث بن سريج بناحية طَخارستان؛ فانضمّ إلى خاقان؛ فلمّا كان ليلة الأضحى قيل لأسد: إنّ خاقان نزل جزّة، فأمر بالنِّيران فرفعت على المدينة، فجاء الناس من الرّساتيق إلى مدينة بلْخ، فأصبح أسد فصلّى وخطب الناس، وقال: إن عدوّ الله الحارث بن سُريج استجلب طاغيته ليطفىء نور الله، ويبدّل دينه، والله مذلّه إن شاء الله، وإن عدوّكم الكلب أصاب من إخوانكم مَنْ أصاب، وإن يُرِدِ الله نصركم لم يضرّكم قلّتكم وكثرتُهم، فاستنصروا الله، وقال: إنه بلغني أنه العبد أقربُ ما يكون إلى الله إذا وضع جبهته لله؛ وإني نازل وواضع جبهتي، فادعوا الله واسجدوا لرّبكم، وأخلصوا له الدعاء، ففعلوا ثم رفعوا رؤوسهم، وهم لا يشكّون في الفتح، ثم نزل عن المنبر، وضحّى وشاورَ الناس في المسير إلى خاقان، فقال قوم: أنت شابٌّ، ولستَ ممن تخوّف من غارة، على شاة ودابة تخاطر بخروجك. قال: والله لأخرجنّ؛ فإما ظَفر وإما شهادة.

ويقال: أقبل خاقان، وقد استمدّ من وراء النهر وأهل طَخَارستان وجَبْغويه الطُّخاريّ بملوكهم وشاكريّتهم بثلاثين ألفاً، فنزلوا خُلْم، وفيها مسلَحة؛ عليها

أبو العوجاء بن سعيد العبديّ ، فناوشهم فلم يظفروا منه بشيء ، فساروا على حاميتهم في طريق فيروزبخشين من طخارستان ، فكتب أبو العوجاء إلى أسد بمسيرهم. قال: فجمع الناس ، فأقرأهم كتاب أبي العوجاء وكتاب الفرافِصة صاحب مسلحة جَزّة بعد مرور خاقان به ، فشاور أسد الناس ، فقال قوم: تأخذ بأبواب مدينة بلْخ ، وتكتب إلى خالد والخليفة تستمدُّه ، وقال آخرون: تأخذ في طريق زمّ ، وتسبق خاقان إلى مَرْو.

وقال قوم: بل تخرج إليهم وتستنصر الله عليهم؛ فوافق قولُهم رأيَ أسد وما كان عزم عليه من لقائهم ، ويقال: إن خاقان حين فارق أسداً ، ارتفع حتى صار بأرض طخارستان عند جبغويه ، فلمّا كان وسط الشتاء أقبل فمرَّ بجزَّة ، وصار إلى الجوزجان وبثّ الغارات؛ وذلك أن الحارث بن سريج أخبره أنه لا نهوض بأسد ، وأنه لم يبق معه كبير جند؛ فقال البختريّ بن مجاهد مولى بني شيبان: بل بثّ الخيول حتى تنزل الجوزجان ، فلما بثّ الخيل ، قال له البحتريّ: كيف رأيت رأيي؟ قال: وكيف رأيتَ صنع الله عز وجل حين أخِذ برأيك فأخذ أسد من جبلة بن أبي روّاد عشرين ومئة ألف درهم ، وأمر للناس بعشرين عشرين ، ومعه من الجنود من أهل خراسان وأهل الشأم سبعة آلاف رجل ، واستخلف على بَلْخ الكرمانيَّ بن عليّ ، وأمره ألاّ يدع أحداً يخرج من مدينتها ، وإن ضرب الترك باب المدينة. فقال له نصر بن سيار الليثيّ والقاسم بن بُخيت المراغيّ من الأزد وسليم بن سليمان السُّلميّ وعمرو بن مسلم بن عمرو ومحمد بن عبد العزيز العتكيّ وعيسى الأعرج الحنظليّ والبختريّ بن أبي درهم البكريّ وسعيد الأحمر وسعيد الصغير مولى باهلة: أصلح الله الأمير؛ ائذن لنا في الخروج ، ولا تهجّن طاعتنا ، فأذن لهم ثم خرج فنزل باباً من أبواب بلْخ وضُربت له قُبّةٌ فازتان[١] وألصق إحداهما بالأخرى ، وصلى بالناس ركعتين طوّلهما ، ثم استقبل القبلة ونادى في الناس: ادعوا الله؛ وأطال في الدعاء ، ودعا بالنّصر ، وأمَّن الناس على دعائه ، فقال: نُصرتم وربِّ الكعبة! ثم انفتل من دعائه فقال: نصرتم وربِّ الكعبة إن شاء الله ، ثلاث مرات ، ثم نادى مناديه: برئتْ ذمّة الله من رجل حمل امرأة ممّن كان من الجند ، قالوا: إنّ أسداً إنما خرج هارباً ، فخلّف أمْ بكر أمَّ ولده

---

(١) الفازة: بناء من خرق وغيرها يبنى للعساكر. لسان العرب (٥/ ٣٩٣).

وولده؛ فنظر فإذا جارية على بَعير ، فقال: سلوا لمن هذه الجارية؟ فذهب بعض الأساورة فسأل ثم رجع ، فقال: لزياد بن الحارث البكريّ ـ وزياد جالس ـ فقطّب أسد ، وقال: لا تنتهون حتى أسطوَ بالرجل منكم يكرُم عليّ ، فأضرِب ظهره وبطنه ، فقال زياد: إن كانت لي فهي حُرّة ، لا والله أيّها الأمير ما معي امرأة ، فإنّ هذا عدوّ حاسد.

وسار أسدٌ ، فلما كان عند قنطرة عطاء ، قال لمسعود بن عمرو الكرمانيّ ، وهو يومئذ خليفة الكرمانيّ على الأزد: ابغني خمسين رجلاً ودابّة أخلفهم على هذه القنطرة ، فلا تَدَع أحداً ممن جازها أن يرجع إليها ، فقال مسعود: ومِنْ أين أقدر على خمسين رجلاً! فأمر به فصُرِع عن دابّته ، وأمر بضرب عنقه ، فقام إليه قومٌ فكلّموه فكفّ عنه ، فلما جاز القنطرة نزل منزلاً ، فأقام فيه حتى أصبح ، وأراد المقام يومه ، فقال له العُذافير بن زيد: ليأتمر الأمير على المقام يومه حتى يتلاحق الناس. قال: فأمر بالرحيل وقال: لا حاجة لنا إلى المتخلّفين ، ثم ارتحل ، وعلى مقدّمته سالم بن منصور البَجَليّ في ثلثمئة ، فلقي ثلثمئة من الترك طليعة لخاقان ، فأسر قائدهم وسبعة منهم معه ، وهرب بقيّتهم ، فأتى به أسد. قال: فبكى التركيّ ، قال: ما يبكيك؟ قال: لستُ أبكي لنفسي ، ولكني أبكي لهلاك خاقان ، قال: كيف؟ قال: لأنه قد فرّق جنوده فيما بينه وبين مَرْو.

قال: وسار أسد؛ حتى نزل السِّدْرة ـ قرية ببلخ ـ وعلى خيل أهل العالية ريحان بن زياد العامريّ العبدليّ من بني عبد الله بن كعب. قال: فعزله ، وصيّر على أهل العالية منصور بن سالم ، ثم ارتحل من السِّدرة ، فنزل خريستان ، فسمع أسد صهيل فرس ، فقال: لمن هذا؟ فقيل: للعقّار بن ذُعَيْر ، فتطيّر من اسمه واسم أبيه ، فقال: ردّوه قال: إني مقتول بجرأتي على الترك ، قال: أسد: قتلك الله! ثم سار حتى إذا شارف العَيْن الحارّة استقبله بِشْر بن رزين ـ أو رزين بن بشر ـ فقال بشارة ورزانة؛ ما وراءك يا رزين؟ قال: إن لم تغثنا غلبنا على مدينتنا ، قال: قل للمقدام بن عبد الرحمن يطاول رمحي ، فسار فنزل من مدينة الجُوزجان بفرسخين ، ثم أصبحنا وقد تراءتْ الخيلان ، فقال خاقان للحارث: مَنْ هذا؟ فقال: هذا محمد بن المثنى ورايته؛ ويقال: إن طلائع لخاقان انصرفت إليه فأخبرتْه أنّ رهجاً ساطعاً طلع من قِبَل بلْخ ، فدعا خاقان الحارث ، فقال: ألم

تزعم أنّ أسداً ليس به نهوض! وهذا رَهَج قد أقبل من ناحية بلْخ ، قال الحارث: هذا اللصّ الذي كنت قد أخبرتُك أنه من أصحابي ، فبعث خاقان طلائع ، فقال: انظروا هل ترون على الإبل سريراً وكراسيّ؟ فجاءته الطلائع ، فأخبروه أنّهم عاينوها ، فقال خاقان: اللصوص لا يحملون الأسرّة والكراسيّ ، وهذا أسد قد أتاك. فسار أسد غَلْوة فلقيه سالم بن جناح ، فقال: أبشر أيّها الأمير ، قد حزرتُهم ولا يبلغون أربعة آلاف ، وأرجو أن يكون عقيرة الله ، فقال المجشّر بن مزاحم ، وهو يسايره: أنزِلْ أيّها الأمير رجالك؛ فضرب وجْه دابته ، وقال: لو أطِعْتَ يا مجشّر ما كنّا قدمنا هاهنا ، وسار غير بعيد ، وقال: يا أهلَ الصّباح ، انزلوا ، فنزلوا وقرّبوا دوابَهم ، وأخذو النَّبْل والقسيّ ، قال: وخاقان في مرْج قد بات فيه تلك الليلة.

قال: وقال عمرو بن أبي موسى: ارتحل أسد حين صلّى الغداة ، فمرّ بالجوزجان وقد استباحها خاقان حتى بلغت خيله الشُّبورُقان ، قال: وقصور الجوزجان إذا ذاك ذليلة ، قال: وأتاه المقدام بن عبد الرحمن بن نُعيم الغامديّ في مقاتلته وأهل الجوزجان ـ وكان عاملها ـ فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال: أقيموا في مدينتكم ، وقال للجوزجان بن الجوزجان: سِرْ معي؛ وكان على التعبئة القاسم بن بُخَيت المِرَاغيّ؛ فجعل الأزد وبني تميم والجوزجان بن الجوزجان وشاكريتَه ميمنته ، وأضاف إليهم أهل فلسطين ، عليهم مصعب بن عمرو الخزاعيّ ، وأهل قنَّسرين عليهم صغراء بن أحمر ، وجعل ربيعة ميسرة ، عليهم يحيى بن حُضَين ، وضمّ إليهم أهل حِمْص عليهم جعفر بن حنظلة البهْرانيّ ، وأهل الأزد وعليهم سليمان بن عمرو المقرىء من حِمْيَر؛ وعلى المقدّمة منصور بن مسلم البَجَليّ ، وأضاف إليهم أهلَ دمشق عليهم حملة بن نُعيم الكلبيّ ، وأضاف إليهم الحرس والشرطة وغلمان أسد.

قال: وعبّى خاقان الحارث بن سُرَيج وأصحابه وملك السُّغد وصاحب الشاش وخرَا بُغْرة أبا خاناخرّة ، جدّ كاوس وصاحب الخُتّل وجبغويه ، والتّرك كلهم ميمنة ، فلمّا التقوا حمل الحارث ، ومَنْ معه من أهل السُّغد والبابيّة وغيرهم على الميسرة ، وفيها ربيعة وجندان من أهل الشأم؛ فهزمهم فلم يردّهم شيء دون رواق أسد؛ فشدّت عليهم الميمنة ـ وهم الأزْد وبنو تميم والجوزجان ـ فما وصلوا

إليهم حتى انهزم الحارث والأتراك ، وحمل الناس جميعاً ، فقال أسد: اللهمّ إنهم عصوْني فانصرهم؛ وذهب التُّرك في الأرض عباديد لا يلوون على أحد ، فتبعهم النّاس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون مَنْ يقدرون عليه ، حتى انتهوْا إلى أغنامهم؛ فاستاقوا أكثر من خمس وخمسين ومئة ألف شاة ودوابّ كثيرة ، وأخذ خاقان طريقاً غير الجادّة في الجبل ، والحارث بن سُرَيج يحميه ، ولحقهم أسد عند الظهر ، ويقال: لما واقف أسد خاقان يوم خريستان كان بينهم نهر عميق ، فأمر أسد برواقه فرفع ، فقال رجل من بني قيسٍ بن ثعلبة: يا أهلَ الشأم؛ أهكذا رأيكم ، إذا حضر الناس رفعتم الأبنية فأمر به فُحطّ ، وهاجت ريح الحرب التي تسمى الهفافة ، فهزمهم الله ، واستقبلوا القبلة يَدْعون الله ويكبّرون ، وأقبل خاقان في قريب من أربعمئة فارس عليهم الحُمرة ، وقال لرجل يقال له سورى: إنما أنت ملك الجُوزجان إن أسلمتَ العرب؛ فمن رأيت من أهل الجوزجان مولّياً فاقتله ، وقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله الشِّخيِّر: إني لأعلم ببلادي وطُرقها؛ فهل لك في أمر فيه هلاك خاقان ولك فيه ذكرٌ ما بقيت؟ قال: ما هو؟ قال: تتبعني؛ قال: نعم؛ فأخذ طريقاً يسمّى ورادك ، فأشرفوا على طوقات خاقان وهم آمنون ، فأمر خاقان بالكُوسات فضربت ضربة الانصراف ، وقد شبّطت الحرب ، فلم يقدر الترك على الانصراف ، ثم ضربت الثانية فلم يقدروا ، ثم ضربت الثالثة فلم يقدروا لاشتغالهم ، فحمل ابنُ الشِّخيّر والجوزجان على الطوقات ، وولّى خاقان مدبراً منهزماً ، فحوى المسلمون عسكرهم وتركوا قدورهم تغلي ونساء من نساء العرب والمواليات ومن نساء الترك ، ووحل بخاقان بِرْذونه فحماه الحارث بن سريج ، قال: ولم يعلم الناس أنه خاقان ، ووجد عسكر الترك مشحوناً من كلّ شيء من آنية الفضة وصنّاجات الترك ، وأراد الخصيّ أن يحمل امرأة خاقان ، فأعجلوه عن ذلك ، فطعنها بخنجر فوجدوها تتحرّك ، فأخذوا خفّها وهو من لُبود[1] مضرَّب.

قال: فبعث أسد بجواري التّرك إلى دهاقين خُراسان ، واستنقذ مَن كان في أيديهم من المسلمين.

---

(١) في اللسان: كل شعر أو صوف متلبد بعضه على بعض فهو لبد ولبدة ، والجمع ألباد ولبود على توهم طرح الهاء». [اللسان (٣/ ٣٨٦)].

قال: وأقام أسد خمسة أيام. قال: فكانت الخيول التي فرّق تقبِل فيصيبهم أسد ، فاغتنم الظفر وانصرف إلى بلْخ يوم التاسع من خروجه ، فقال ابن السِّجْف المجاشعيّ:

لو سِرْتَ في الأَرْضِ تَقِيس الأَرْضَا   تَقِيسُ منها طُولَها والعَرْضَا
لَمْ تَلْقَ خَيْراً مِرَّةً ونقْضَا   مِنَ الأَميرِ أَسَدٍ وأَمْضَى
أَفْضَى إِلَيْنا ، الخَيْرُ حِين أَفضى   وجَمَعَ الشَّملَ وكانَ رَفْضا
ما فاتَهُ خاقانُ إلا رَكْضا   قد فُضَّ مِنْ جُمُوعِهِ ما فُضَّا
يابْنَ سُرَيجٍ قَدْ لَقِيتَ حَمْضَا   حَمْضاً بِهِ يُشْفَى صُداعُ المرضى

قال: وارتحل أسد ، فنزل جَزّة الجوزجان من غد ، وخاقان بها ، فارتحل هارباً منه. وندب أسد الناس ، فانتدب ناسٌ كثيرٌ من أهل الشام وأهل العراق ، فاستعمل عليهم جعفر بن حنظلة البهرانيّ ، فساروا ونزلوا مدينة تسمَّى ورد من أرض جَزّة ، فباتوا بها فأصابهم ريح ومطر ـ ويقال: أصابهم الثّلج ـ فرجعوا. ومضى خاقان فنزل على جبغويه الطخاريّ ، وانصرف البهرانيّ إلى أسد ، ورجع أسد إلى بلْخ ، فلقوا خيل الترك التي كانت بمرْو الرّوذ منصرفة لتغير على بلْخ ، فقتلوا مَنْ قدروا عليه منهم ، وكان التّرك قد بلغوا بيعة مَرْو الرّوذ ، وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف دِرْع؛ فلمّا صار ببلْخ أمر الناس بالصّوم لافتتاح الله عليهم.

قال: وكان أسد يوجّه الكرمانيّ في السرايا ، فكانوا لا يزالون يصيبون الرّجل والرجلين والثلاثة وأكثر من الترك؛ ومضى خاقان إلى طخارستان العليا ، فأقام عند جبغويه الخَزْلخِيّ تعزّزاً به ، وأمر بصنيعة الكُوسات ، فلما جفّت وصلَحت أصواتها ارتحل إلى بلاده؛ فلما ورد شروسنة ، تلقّاه خرابغره أبو خاناخره ، جدّ كاوس أبي أفشِين باللّعَابين ، وأعدّ له هدايا ودوابّ له ولجنده ـ وكان الذي بينهما متباعداً ـ فلما رجع منهزماً أحبّ أن يتخذ عنده يداً ، فأتاه كلّ ما قدر عليه. ثم أتى خاقان بلاده ، وأخذ في الاستعداد للحرب ومحاصرة سَمْرقند ، وحُمِل الحارث بن سُرَيج وأصحابه على خمسة آلاف بِرْذون ، وفرّق براذين في قوّاد الترك ، فلاعب خاقان يوماً كُورصُول بالنّرد على خَطَر[1] تُدْرجة ، فقمَر كورصول

(١) الخطر: السبق يتراهن عليه. القاموس المحيط ص ٤٩٤ .

التَرقشيّ ، فطلب منه التُّدرجة ، فقال: أنثى ، فقال: الآخر ذكر؛ فتنازعا ، فكسر كُورصول يَد خاقان ، فحلف خاقان ليكسرنّ يد كُورصُول؛ وبلغ كورصول ، فتنحّى وجمع جمعاً من أصحابه ، فبيّت خاقان فقتله؛ فأصبحت الترك فتفرقوا عنه وتركوه مجرّداً ، فأتاه زُريق بن طُفَيل الكُشانيّ وأهل بيت الحموكيّين ـ وهم من عظماء الترك ـ فحمله ودفنه ، وصنع به ما يصنع بمثله إذا قتل. فتفرّقت الترك في الغارات بعضها على بعض ، وانحاز بعضهم إلى الشّاش؛ فعند ذلك طمع أهل السُّغد في الرَّجعة إليها ، قال: فلم يسلمْ من خَيْل الترك التي تفرّقت في الغارات إلاّ زرّ بن الكسيّ ، فإنه سلم حتى صار إلى طَخَارستان ، وكان أسد بعث من مدينة بلخ سيفَ بن وصّاف العجليّ على فرس ، فسار حتى نزل الشُّبورقان. قال: وفيها إبراهيم بن هشام مسلحة ، فحمله منها على البريد حتى قدم على خالد بن عبد الله ، فأخبره ، ففظع به هشام فلم يصدّقه ، وقال للربيع حاجبه: ويحك! إن هذا الشيخ قد أتانا بالطامّة الكبرى إذا كان صادقاً؛ ولا أراه صادقاً ، اذهب فعِذْه ثم سله عمّا يقوله وائتِني بما يقول. فانطلق إليه ففعل الذي أمره به ، فأخبره بالذي أَخبر به هشاماً. قال: فدخل عليه أمر عظيم؛ فدعا به بعد ، فقال: من القاسم بن بُخَيت منكم؟ قال: ذلك صاحب العسكر ، قال: فإنه قد أقبل ، قال: فإن كان قد أقبل فقد فتح الله على أمير المؤمنين ـ وكان أسد وجّهه حين فتح الله عليه ـ فأقبل القاسم بن بُخيت ، فكبّر على الباب ، ثم دخل يكبِّر وهشام يكبّر لتكبيره ، حتى انتهى إليه ، فقال: الفتح يا أميرَ المؤمنين؛ وأخبره الخبر ، فنزل هشام عن سريره فسجد سجدة الشكر؛ وهي واحدة عندهم. قال: فحسدت القيسيّة أسداً وخالداً؛ وأشاروا على هشام أن يكتب إلى خالد بن عبد الله ، فيأمرَ أخاه أن يوجّه مقاتل بن حيّان ، فكتب إليه ، فدعا أسد مقاتل بن حيّان على رؤوس الناس ، فقال: سر إلى أمير المؤمنين فأخبِرْه بالذي عاينت وقل الحقّ؛ فإنك لا تقول غير الحقّ إن شاء الله ، وخذ من بيت المال حاجتك. قالوا: إذاً لا يأخذ شيئاً ، قال: أعطه من المال كذا وكذا ، ومن الكسوة كذا وكذا ، وجهّزه.

فسار فقدم على هشام بن عبد الملك وهو والأبرش جالسان ، فسأله فقال: غزونا الخُتّل ، فأصبنا أمراً عظيماً ، وأنذِر أسد بالترك فلم نحفل بهم حتى لحقوا

واستنقَذوا من غنائمنا ، واستباحوا بعض عسكرنا ، ثم دفعونا دفعة قريباً من خُلْم ، فانتهى الناس إلى مشاتيهم ، ثم جاءنا مسير خاقان إلى الجوزجان ، ونحن قريبو العهد بالعدوّ ، فسار بنا حتى التقينا برُستاق بينا وبين أرض الجُوزجان ، فقاتلناهم وقد حازوا ذراريّ من ذراري المسلمين ، فحملوا على ميسرتنا فكشفوهم . ثم حملت ميمنتنا عليهم، فأعطانا الله عليهم الظّفر، وتبعناهم فراسخ حتى استبحنا عسكر خاقان؛ فأُجْلِيَ عنه ـ وهشام متّكىء فاستوى جالساً عند ذكره عسكر خاقان ـ فقال ثلاثاً: أنتم استبحتم عسكر خاقان! قال: نعم ، قال: ثمّ ماذا؟ قال: دخلوا الخُتَّل وانصرفوا. قال هشام: إن أسداً لضعيف ، قال: مهلاً يا أمير المؤمنين؛ ما أسدٌ بضعيف وما أطاق فوق ما صنع ، فقال له هشام: حاجتَك؟ قال: إنّ يزيد بن المهلب أخذ من أبي حيّان مئة ألف درهم بغير حقّ؛ فقال له هشام: لا أُكلفك شاهداً ، احلف بالله أن كما قلت ، فحلفَ ، فردّها عليه من بيت مال خراسان؛ وكتب إلى خالد أن يكتب إلى أسد فيها؛ فكتب إليه ، فأعطاه أسدٌ مئة ألف دِرهم ، فقسمها بين ورثة حيّان على كتاب الله وفرائضه. ويقال: بل كتب إلى أسد أن يستخبر عن ذلك ، فإن كان ما ذكر حقّاً أعطي مئة ألف درهم.

وكان الذي جاء بفتح خُراسان إلى مَرْو عبد السلام بن الأشهب بن عتبة الحنظليّ. قال: فأوفد أسد إلى خالد بن عبد الله وفداً في هزيمته يوم سان ، ومعهم طوقات خاقان ورؤوس مَنْ قُتِلوا منهم ، فأوفدهم خالد إلى هشام ، فأحلفهم أنهم صَدقوا ، فحلفوا ، فوصلهم ، فقال أبو الهنديّ الأسديّ لأسد يذكر وقعة سان:

أبـا مُنـذِرٍ رُمْـتَ الأُمُـورَ فَقِسْتهـا ... وساءَلْتَ عَنْها كالحريصِ المُساوِمِ
فَمـا كـانَ ذو رَأْيٍ مـن النـاسِ قسْتَـهُ ... بـرَأْيِـك إلا مِثـلَ رَأْيِ البهـائِـم
أَبـا مُنْـذِرٍ لـوْلاَ مَسِيـرُكَ لـم يَكُـن ... عِـراق وَلا انْقـادَتْ مُلـوك الأَعـاجم
ولا حَجَّ بَيْتَ اللهِ ـ مذْ حُجّ ـ راكبٌ ... ولا عَمَـر البَطْحَـاء بَعْـدَ المَـواسِـم
فَكَـمْ مِـنْ قَتِيـل بَيْـنَ سـانٍ وَجَـزَّةٍ ... كثِيـرِ الأيـادي مـن مُلـوكٍ قَمـاقِـم
تَـرَكْـتَ بـأَرْضِ الجـوْزَجـانِ تـزُورُهُ ... سِبـاعٌ وعِقْبَـانٌ لِحَـز الغَـلاصِـم
وَذي سُـوقَـة فيـه مـنَ السيـف خُطّـة ... بـهِ رَمَـق حـامـتَ عَلَيْـهِ الحَـوائـم

فمن هـارِب مِنّـا وَمِـنْ دَائِـنٍ لنـا ... أَسيـر يُقَـاسِـي مُبْهَمَـاتِ الأَدَاهـم
فـدتْـكَ نُفُـوسٌ مـن تميـمٍ وعـامِرٍ ... ومـن مُضَـرَ الحَمْـرَاءِ عِنْـدَ المـآزِم
هُمُ أَطْعَمُوا خاقان فينا فأَصبحَتْ ... جـلائبـهُ تـرْجـو احْتِـوَاءَ المغـانِـم

قال: وكان السبّل أوصى عند موته ابنَ السائجيّ حين استخلفه بثلاث خصال، فقال: لا تستطل على أهل الخُتّل استطالتي التي كانت عليهم؛ فإني مِلِك ولستَ بمِلِك؛ إنما أنت رجل منهم، فلا يحتملون لك ما يحتلمون للملوك، ولا تدَع أن تطلب الجيش حتى تردّه إلى بلادكم، فإنه الملك بعدي والملوك هم النظّام، والناس مالم يكن لهم نظام طَغام، ولا تحاربوا العرب واحتالوا لهم كلّ حيلة تدفعونهم بها عن أنفسكم ما قدرتم. فقال له ابن السائجيّ: أما ما ذكرت من تركي الاستطالة على أهل الختّل فإني قد عرفت ذلك، وأما ما أوصيتَ من ردّ الجيش فقد صدق الملك، وأما قولك: لا تحاربوا العرب، فكيف تنهى عن حربهم، وقد كنتَ أكثر الملوك لهم محاربة! قال: قد أحسنتَ إذ سألتَ عمّا لا تعلم؛ إني قد جرّبت قوّتكم بقوّتي، فلم أجدكم تقعون مني موقعاً، فكنت إذا حاربتُهم لم أفلِت منم إلا جَريضاً، وإنكم إن حاربتموهم هلكتم في أول محاربتكم إياهم.

قال وكان الجيش، قد هرب إلى الصين، وابن السائجي الذي أخبر أسد بن عبد الله بمسير خاقان إليه، فكره محاربة أسد [1]. [٧/ ١١٣ ـ ١٢٨].

وذكر أبو زيد أن أبا بكر بن حفص الزهريّ، قال: أخبرني محمد بن عقيل، عن سعيد بن مرادابند، مولى عمرو بن حُرَيث، قال: رأيتُ خالداً حين أتِيَ بالمغيرة وبيان في ستّة رهط أو سبعة، أمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع، وأمر بأطنان [2] قصب ونِفط فأحضرا، ثم أمر المغيرة أن يتناول طنّاً فكعّ عنه وتأنّى، فصبّت السياط على رأسه، فتناول طنّاً فاحتضنه، فشُدّ عليه، ثم صُبّ عليه وعلى الطنّ نِفط، ثم ألهبت فيهما النار فاحترقا، ثم أمر الرهط ففعلوا، ثم أمر بياناً آخرهم فقدِم إلى الطنّ مبادراً فاحتضنه، فقال خالد: ويلكم! في كل أمر

---

(١) لم نجد لهذه المعركة وتفاصيلها المذكورة عند الطبري ما يؤيدها من مرويات خليفة بن خياط وغيره من المتقدمين ولقد ذكره الطبري عن المدائني عن أشياخه فالله أعلم.

(٢) أطنان: جمع طن؛ وهو حزمة القصب. القاموس المحيط ص ١٥٦٦.

تحمُقون ، هلا رأيتم هذا المغيرة! ثم أحرقه .

قال أبو زيد: لما قتل خالد المغيرة وبياناً أرسل إلى مالك بن أعين الجُهنيّ فسأله فصدّقه عن نفسه ، فأطلقه ، فلما خلا مالك بمن يثق به ـ وكان فيهم أبو مسلم صاحب خراسان ـ قال:

ضَرَبْتُ لـه بَيْـنَ الطَّـرِيقَيْـنِ لاحباً ... وَطِنْتُ عَلَيْـهِ الشَّمْسُ فيمَـنْ يطينُهـا
وألقيْتـهُ فـي شبْهَـةٍ حِيـنَ سـالنـي ... كما اشتَبَها في الخَط سِينٌ وشينُها

فقال أبو مسلم حين ظهر أمره: لو وجدته لقتلته بإقراره على نفسه .

قال أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، قال: خرج المغيرة بن سعيد في سبعة نفر ، وكانوا يُدعون الوصفاء ، وكان خروجهم بظهر الكوفة ، فأخبر خالد القسريّ بخروجهم وهو على المنبر ، فقال: أطعموني ماء ، فنعَى ذلك عليه ابن نوفل[1] ، فقال:

أخـالـد لا جَـزاك اللهُ خيْـراً ... وأَيْـرٌ فـي حِـرِ أمـكَ مِـنْ أَمِيـر
تمَنَّـى الفَخْـرَ فـي قَيْـس وقَسْـرٍ ... كـأَنَّـكَ مـن سَـرَاةِ بنِـي جَـريـر
وأُمُّـك عِلجَـةٌ وأَبُـوكَ وَغْـدٌ ... ومـا الأَذنـابُ عِـدْلاً للصُّـدُورِ
جَـرِيـرٌ مِـنْ ذوي يَمَـنٍ أصيـلٌ ... كَـريـمُ الأَصـل ذو خطـرٍ كبيـرِ
وأنـتَ زعمْـتَ أنـكَ مِـنْ يـزيـدٍ ... وَقَـدْ أُدْحِقْتُـمُ دحـق العبُـورِ[2]
وكُنْـتَ لـدَى المُغيـرَةِ عَبْـدَ سَـوْءٍ ... تَبُـول مِـن المَخـافَـة للـزَّئيـرِ
وقلـتَ لِمـا أَصـابَـك: أَطعِمُـونـي ... شَـرابـاً ثُـمَّ بُلـتَ علـى السـريـرِ
لأَعـلاج ثمـانيَـة وَشيـخٍ ... كَبيـرِ السـن ليْـسَ بـذِي نَصِيـرِ

* * *

خبر مقتل بهلول بن بشر

وفي هذه السنة حكّم بُهلول بن بشر الملقب كثارة فقتِل .

---

(١) هو يحيى بن نوفل ، والشعر في البيان والتبيين: ٢؛ ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) الدحق: الدفع . لسان العرب (١٠/ ٩٥).

* ذكر الخبر عن مخرجه ومقتله:

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنّى أن بُهْلولاً كان يتألّه[(١)] ، وكان له قوت دانق ، وكان مشهوراً بالبأس عند هشام بن عبد الملك ، فخرج يريد الحجّ ، فأمر غلامه أن يبتاع له خلاً بدرهم ، فجاءه غلامه بخمر ، فأمر بردّها وأخْذ الدراهم ، فلم يُجَب إلى ذلك ، فجاء بُهلول إلى عامل القرية ـ وهي من السواد ـ فكلّمه ، فقال العامل: الخمر خير منك ومن قومك؛ فمضى بهلول في حجّه حتى فرغ منه ، وعزم على الخروج على السلطان ، فلقيَ بمكة مَن كان على مثل رأيه ، فاتّعدوا قرية من قرى الموصل ، فاجتمع بها أربعون رجلاً ، وأمّروا عليهم البهلول ، وأجمعوا على ألاّ يمرّوا بأحد إلا أخبروه أنّهم أقبلوا من عند هشام على بعض الأعمال ، ووجّههم إلى خالد ليُنفذِهم في أعمالهم ، فجعلوا لا يمرّون بعامل إلا أخبروه بذلك. وأخذوا دوابّ من دواب البريد ، فلما انتهوا إلى القرية التي كان ابتاع فيها الغلام الخلّ فأعطِيَ خمراً ، قال بهلول: نبدأ بهذا العامل الذي قال ما قال؛ فقال له أصحابه: نحن نريد قتل خالد؛ فإن بدأنا بهذا شُهِرنا وحذِرَنا خالد وغيره؛ فننشدك الله أن تقتل هذا فيفلت منا خالد الذي يهدم المساجد؛ ويبني البيعَ والكنائس ، ويولّي المجوس على المسلمين ، ويُنكح أهلَ الذّمة المسلمات ، لعلنا نقتله فيريح الله منه. قال: والله لا أدَعُ ما يلزمني لما بعده؛ وأرجو أن أقتل هذا الذي قال لي ما قال وأدرك خالداً فأقتله؛ وإن تركتُ هذا وأتيتُ خالداً شُهِر أمرنا فأفلت هذا ، وقد قال الله عز وجل: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[(٢)] ، قالوا: أنت ورأيك ، فأتاه فقتله ، فنذر بهم الناس وعلموا أنهم خوارج ، وابتدروا إلى الطريق هرّاباً ، وخرجت البرُد إلى خالد فأخبروه أن خارجةً قد خرجت؛ وهم لا يدرون حينئذ مَن رئيسهم.

فخرج خالد من واسط حتى أتى الحِيرة وهو حينئذ في الحلَق ، وقد قدم في تلك الأيام قائد من أهل الشأم من بني القَيْن في جيش قد وَجّهوا مدداً لعامل خالد على الهند ، فنزلوا الحيرة ، فلذلكَ قصدها خالد ، فدعا رئيسهم فقال: قاتلْ هؤلاء المارقة؛ فإنّ من قتل منهم رجلاً أعطيته عطاء سوى ما قبض بالشأم ، وأعفيته من الخروج إلى أرض الهند ـ وكان الخروج إلى أرض الهند شاقّاً عليهم ـ

(١) يتأله: يتعبد. القاموس المحيط ص ١٦٠٣.

(٢) سورة التوبة: ١٢٣.

فسارعوا إلى ذلك ، فقالوا: نقتل هؤلاء النّفر ونرجع إلى بلادنا ، فتوجّه القَيْنيّ إليهم في ستمئة ، وضمّ إليهم خالد مئتين من شُرَط الكوفة ، فالتقوا على الفرات ، فعبّأ القَيْنيّ أصحابه ، وعزل شرط الكوفة ، فقال: لا تكونوا معنا - وإنما يريد في نفسه أن يخلوَ هو وأصحابه بالقوم فيكون الظفر لهم دون غيرهم لما وعدهم خالد - وخرج إليهم بُهلول ، فسأل عن رئيسهم حتى عرف مكانه ، ثم تنكّر له ، ومعه لواء أسود ، فحمل عليه فطعنه في فرْج درعه؛ فأنفذه. فقال: قتلتَني قتلك الله! فقال بهلول: إلى النار أبعدك الله.

وولّى أهل الشأم مع شرط أهل الكوفة منهزمين حتى بلغوا باب الكوفة ، وبُهلول وأصحابه يقتلونهم ، فأما الشاميون فإنهم كانوا على خيل جياد ففاتوه؛ وأما شُرَط الكوفة فإنه لحقهم ، فقالوا: اتق الله فينا فإنا مكرهون مقهورون؛ فجعل يقرع رؤوسهم بالرّمح ، ويقول: الحقوا! النّجاء النّجاء! ووجد البهلول مع القينيّ بَدْرة فأخذها.

وكان بالكوفة ستة نفر يرون رأي البهلول ، فخرجوا إليه يريدون اللّحاق به فقتِلوا ، وخرج إليهم البُهلول وحمل البَدْرة بين يديه ، فقال: مَنْ قتل هؤلاء النفر حتى أعطيَه هذه الدراهم؟ فجعل هذا يقول: أنا ، وهذا يقول: أنا؛ حتى عرفهم؛ وهم يروْن أنه من قِبَل خالد جاء ليعطيهم مالاً لقتلهم مَنْ قتلوا ، فقال بُهلول لأهل القرية ، أصَدق هؤلاء ، هم قتلوا النفر؟ قالوا: نعم؛ وخشي بهلول أنهم ادّعوا ذلك طمعاً في المال ، فقال لأهل القرية: انصرفوا أنتم؛ وأمر بأولئك فقُتِلوا ، وعاب عليه أصحابه فحاجّهم ، فأقرّوا له بالحجّة.

وبلغت هزيمةُ القوم خالداً وخبر مَنْ قُتِل من أهل صَرِيفين ، فوجّه قائداً من بني شَيْبان أحد بني حوشب بن يزيد بن رويم؛ فلقيهم فيما بين الموصل والكوفة ، فشدّ عليهم البُهلول ، فقال: نشدتك بالرحم! فإني جانح مستجير! فكفّ عنه؛ وانهزم أصحابه ، فأتوْا خالداً وهو مقيم بالحيرة ينتظر ، فلم يرعْه إلا الفَلّ قد هجم عليه؛ فارتحل البُهلول من يومه يريد الموصل؛ فخافه عامل الموصل، فكتب إلى هشام: إنّ خارجةً خرجت فعاثت وأفسدت؛ وأنه لا يأمن على ناحيته ، ويسأله جنداً يقاتلهم به؛ فكتب إليه هشام: وجّه إليهم كُثارة بن بشر - وكان هشام لا يعرف البهلول إلا بلقبه - فكتب إليه العامل: إن الخراج هو كُثارة.

قال: ثم قال البهلول لأصحابه: إنا والله ما نصنع بابن النصرانيّة شيئاً ـ يعني خالداً ـ وما خرجت إلا لله، فلمَ لا نطلب الرأس الذي يسلط خالداً وذوي خالد! فتوجّه يريد هشاماً بالشام، فخاف عمّال هشام مَوْجِدته إن تركوه يجوز بلادهم حتى ينتهي إلى الشأم، فجنّد له خالد جنداً من أهل العراق، وجنّد لهِ عامل الجزيرة جنداً من أهل الجزيرة، ووجّه إليه هشام جنداً من أهل الشأم؛ فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل، وأقبل بُهلول حتى انتهى إليهم ـ ويقال: التقوْا بالكُحَيل دون الموصل ـ فأقبل بهلول، فنزل على باب الدَّيْر، فقالوا له: تزحزح عن باب الدير حتى نخرج إليك فتنحّى وخرجوا؛ فلما رأى كثرتهم وهو في سبعين جعل من أصحابه ميمنة وميسرة، ثم أقبل عليهم فقال: أكلّكم يرجو أن يقتلنا ثم يأتي وأهله سالماً؟ قالوا: إنا نرجو ذلك إن شاء الله، فشدّ على رجل منهم فقتله، فقال: أما هذا فلا يأتي أهله أبداً؛ فلم يزل ذلك ديدنَه حتى قتل منهم ستة نفر؛ فانهزموا، فدخلوا الدّير فحاصرهم، وجاءتهم الأمداد فكانوا عشرين ألفاً، فقال له أصحابه: ألاَ نعقر دوابّنا، ثم نشدّ عليهم شدة واحدة؟ فقال: لا تفعلوا حتى نبلي الله عذراً ما استمسكنا على دوابّنا، فقاتلوهم يومهم ذلك كله إلى جنح العصر حتى أكثروا فيهم القتل والجراح.

ثم إن بهلولاً وأصحابه عقروا دوابّهم وترجّلوا، وأصلتوا لهم السيوف، فأوجعوا فيهم؛ فقتِل عامة أصحاب بُهلول وهو يقاتل ويذود عن أصحابه، وحمل عليه رجل من جَدِيلة قيس يكنى أبا الموت، فطعنَه فصرعه، فوافاه مَن بقي من أصحابه، فقالوا له: وَلِّ أمرنا مِن بعدَك من يقوم به، فقال: إن هلكت فأمير المؤمنين دِعامة الشيبانيّ، فإن هلك دعامة فأمير المؤمنين عمرو اليشكريّ، وكان أبو الموت إنما ختل البهلول، ومات بهلول من ليلته، فلما أصبحوا هرب دِعامة وخلاّهم، فقال رجل من شعرائهم:

لبئس أَميرُ المؤمنينَ دِعامةٌ دِعامَةُ في الهَيْجاءِ شَرُّ الدَّعائم

وقال الضحاك بن قيس يَرثي بُهلولاً، ويذكر أصحابه:

بُدِّلتُ بعد أَبي بِشر وصحبتِه قوماً عليَّ معَ الأَحزاب أَعوانا
كأنهمْ لم يكونوا من صَحَابتِنا ولم يكونوا لنا بالأَمسِ خُلاَّنا
يا عينُ أذري دُمُوعاً منك تهتانا وابكي لنا صحبةً بانوا وإِخوانا

خَلَّوا لنا ظاهِرَ الدنيا وباطنَها   وأَصبحوا في جنان الخلد جيرانا

قال أبو عبيدة: لما قتل بهلول خرج عمرو اليشكريّ فلم يلبث أن قتل، ثم خرج العنزيّ صاحب الأشهب ـ وبهذا كان يعرف ـ على خالد في ستّين، فوجّه إليه خالد السّمط بن مسلم البَجليّ في أربعة آلاف، فالتقوا بناحية الفرات، فشدّ العنزيّ على السّمط، فضربه بين أصابعه فألقى سيفه، وشلّت يده، وحمل عليهم فانهزمت الحَروريّة فتلقاهم عَبيد أهل الكوفة وسفلتهم، فرموْهم بالحجارة حتى قتلوهم.

قال أبو عبيدة: ثم خرج وزير السختيانيّ على خالد في نفر؛ وكان مخرجه بالحيرة، فجعل لا يمرّ بقرية إلا أحرَقها، ولا أحد إلا قتله، وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال، فوجّه إليه خالد قائداً من أصحابه وشُرَطاً من شُرَط الكوفة، فقاتلوه وهو في نفير؛ فقاتل حتى قتِل عامة أصحابه. وأثخِن بالجراح؛ فأخذ مرتثّاً، فأتِيَ به خالد، فأقبل على خالد فوعظه، وتلا عليه آيات من القرآن. فأعجب خالد ما سمع منه، فأمسك عن قتله وحبسه عنده، وكان لا يزال يبعث إليه في الليالي فيؤتَى به فيحادثه ويسائله، فبلغ ذلك هشاماً وسُعي به إليه، وقيل: أخذ حرورياً قد قتَل وحرق وأباح الأموال، فاستبقاه فاتّخذه سميراً، فغضب هشام، وكتب إلى خالد يشتمه، ويقول: لا تستبق فاسقاً قتَل وحرق، وأباح الأموال؛ فكان خالد يقول: إني أنفس به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته. فكتب فيه إلى هشام يرقّق من أمره ـ ويقال: بل لم يكتب ولكنه كان يؤخّر أمره ويدفع عنه ـ حتى كتب إليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله وإحراقه؛ فلما جاءه أمر عزيمة لا يستطيع دفعه بعث إليه وإلى نفر من أصحابه كانوا أخِذوا معه؛ فأمر بهم فأدخلوا المسجد، وأدخلت أطنان القَصب فشُدّوا فيها، ثم صبّ عليهم النّفط، ثم أخرِجوا فنصبوا في الرّحبة، ورُموا بالنّيران؛ فما منهم أحد إلا من اضطرب وأظهر جَزعاً، إلا وزيراً فإنه لم يتحرك، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات.

* * *

وفي هذه السنة غزا أسد بن عبد الله الخُتّل، وفيها قتل أسد بدرطرخان ملك الخُتّل.

ذكر الخبر عن غزو أَسد الخُتّل هذه الغزوة وسبب قتله بدرطرخان

ذكر عليّ بن محمد عن أشياخه الذين ذكرناهم قبل أنهم قالوا: غزا أسد بن عبد الله الختَّل وهي غزوة بدرطرخان، فوجَّه مصعب بن عمرو الخُزاعيّ إليها، فلم يزل مصعب يسير حتى نزل بقرب بدرطرخان؛ فطلب الأمان على أن يخرج إلى أسد. فأجابه مُصعب، فخرج إلى أسد فطلب منه أشياء فامتنع، ثم سأله بدرطرخان أن يقبل منه ألف ألف درهم، فقال له أسد: إنك رجل غريب من أهل الباميان، اخرج من الختَّل كما دخلتها، فقال له بدرطرخان: دخلتَ أنت خراسان على عشرة من المحذّفة، ولو خرجت منها اليوم لم تستقلّ على خمسمئة بعير؛ وغيرُ ذلك أنّي دخلت الخُتَّل بشيء فارْدُدْه عليّ حتى أخرج منها كما دخلتها، قال: وما ذاك؟ قال: دخلتُها شابّاً فكسبت المال بالسيف، ورزق الله أهلاً وولداً، فاردد عليّ شبابي حتى أخرج منها؛ هل ترى أن أخرج من أهلي وولدي! فما بقائي بعد أهلي وولدي! فغضب أسد.

قال: وكان بدرطرخان يثق بالأمان، فقال له أسد: أختم في عنقك؛ فإني أخاف عليك معرّة الجند، قال: لستُ أريد ذلك؛ وأنا أكتفي من قِبَلك برجل يبلغ بي مصعباً، فأبى أسد إلاّ أن يختم في عنقه، فختم في رقبته ودفعه إلى أبي الأسد مولاه، فسار به أبو الأسد، فانتهى إلى عسكر المصعب عند المساء، وكان سلمة بن أبي عبد الله في الموالي مع مُصعب، فوافى أبو الأسد سلمةَ، وهو يضع الدّراجة[1] في موضعها، فقال سلمة لأبي الأسد، ما صنع الأمير في أمر بدرطرخان؟ فقصّ الذي عرض عليه بدرطرخان وإباء أسد ذلك، وسرحه معه إلى المصعب ليدخله الحصن، فقال سلمة: إن الأمير لم يُصِبْ فيما صنع، وسينظر في ذلك ويندم؛ إنما كان ينبغي له أن يقبض ما عرض عليه أو يحبسه فلا يدخله حصنه؛ فإنا إنما دخلناه بقناطر اتّخذناها، ومضايق أصلحناها؛ وكان يمنعه أن يغير علينا رجاءُ الصلح؛ فأما إذ يئس من الصّلح فإنه لا يدَع الجهد، فدعْه الليلة

(١) الدراجة: العجلة التي يدب الشيخ والصبي عليها. القاموس المحيط ص ٢٤٠.

في قُبّتي؛ ولا تنطلق به إلى مصعب؛ فإنه ساعة ينظر إليه يُدخله حصنه.

قال: فأقام أبو الأسد وبدرطرخان معه في قبّة سلمة، وأقبل أسدٌ بالناس في طريق ضيّق، فتقطّع الجند، ومضى أسد حتى انتهى إلى نهر وقد عطِش ـ ولم يكن أحد من خَدمه ـ فاستسقى؛ وكان السُّغديّ بن عبد الرحمن أبو طعمة الجرميّ معه شاكريّ له، ومع الشاكريّ قَرْن تُبَّتَيّ؛ فأخذ السُّغديّ القرن؛ فجعل فيه سَويقاً، وصبّ عليه ماء من النهر، وحرّكه وسقى أسداً وقوماً من رؤساء الجند، فنزل أسد في ظلّ شجرة، ودعا برجل من الحرَس، فوضع رأسه في فخذه، جاء المجشَّر بن مُزاحم السُّلميّ يقود فرَسه حتى قعد تُجاهه حيث ينظر أسداً، فقال أسد: كيف أنت يا أبا العَدَبَّس؟ قال: كنتُ أمسِ أحسنَ حالاً منّي اليوم، قال: وكيف ذاك؟ قال: كان بدرطرخان في أيدينا وعرض ما عرض؛ فلا الأمير قبِل منه ما عرض عليه ولا هو شدّ يده عليه؛ لكنه خلّى سبيله؛ وأمر بإدخاله حصنه لما عنده ـ زعم ـ من الوفاء. فندم أسد عند ذلك، ودعا بدليل من أهل الختّل ورجل من أهل الشأم نافذ، فاره الفرسِ فأتى بهما، فقال للشاميّ: إن أنت أدركتَ بدرطرخان قبل أن يدخل حصنه فلك ألف درهم؛ فتوجّها حتى انتهيا إلى عسكر مُصعب؛ فنادى الشأميّ: ما فعل العِلْج؟ قيل: عند سلمة، وانصرف الدّليل إلى أسد بالخبر، وأقام الشاميّ مع بدرطرخان في قُبّة سلَمة، وبعث أسد إلى بَدرطرخان فحوّله إليه فشتمه، فعرف بدرطرخان أنه قد نقض عهده، فرفع حصاة فرمى بها إلى السماء، وقال: هذا عهد الله؛ وأخذ أخرى فرمى بها إلى السماء، وقال: هذا عهد (محمد ﷺ)، وأخذ يصنع كذلك بعهد أمير المؤمنين وعهد المسلمين؛ فأمر أسد بقطع يده، وقال أسد: مَنْ هاهنا من أولياء أبي فديك؟ (رجل من الأزد قتله بدرطرخان)، فقام رجل من الأزد فقال: أنا، قال: اضرب عنقه؛ ففعل. وغلب أسد على القلعة العظمى، وبقيت قلعة فوقها صغيرة فيها ولده وأمواله، فلم يوصل إليهم، وفرّق أسد الخيل في أودية الخُتّل[1].

قال: وقدم أسد مَرْو، وعليها أيّوب بن أبي حسان التميميّ، فعزله واستعمل خالد بن شديد، ابن عمه. فلما شخص إلى بلْخ بلغه أنّ عمارة بن حُرَيم تزوّج

(١) وقد ذكر ابن كثير هذه الوقعة بلا إسناد [البداية والنهاية ٧/ ٢٠١].

الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ، فكَتب إلى خالد بن شديد: احمل عُمارة على طلاق ابنة يزيد؛ فإن أبى فاضربه مئة سوط؛ فبعث إليه فأتاه وعنده العذافر بن زيد التميميّ ، فأمره بطلاقها ، ففعل بعد إباء منه؛ وقال عذافر: عمارة والله فتى قيس وسيّدها ، وما بها عليه أبّهة؛ أي ليست بأشرف منه ، فتوفّيَ خالد بن شديد ، واستخلف الأشعث بن جعفر البَجَليّ.

* * *

ظهور الصحاري بن شبيب الخارجيّ

وفيها شرى[1] الصحاريّ بن شبيب ، وحكم بجبُّل.

ذكر خبره:

ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن الصحاريّ بن شبيب أتى خالداً يسأله الفريضة ، فقال: وما يصنع ابن شبيب بالفريضة! فودّعه ابن شبيب ، ومضى ، وندم خالد وخاف أن يفتق عليه فتقاً ، فأرسل إليه يدعوه ، فقال: أنا كنت عنده آنفاً؛ فأبوْا أن يَدَعوه ، فشدّ عليهم بسيفه ، فتركوه فركب وسار حتى جاوز واسطاً ، ثم عقَر فرسه وركب زورقاً ليخفى مكانه ، ثم قصد إلى نفر من بني تَيْم اللات بن ثعلبة ، كانوا بَجبُّل ، فأتاهم متقلداً سيفاً فأخبرهم خبره وخبر خالد ، فقالوا له: وما كنت ترجو بالفريضة! كنتَ لأن تخرج إلى ابن النصرانيّة فتضربه بسيفك أحْرَى ، فقال: إني والله ما أردت الفريضة ، وما أردت إلا التوصّل إليه لئلا ينكرني ، ثم أقتلِ ابن النصرانيّة غيلة بقتله فلاناً ـ وكان خالد قَبْل ذلك قد قتل رجلاً من قَعَدة الصُّفريّة صَبْراً ـ ثم دعاهم الصحاريّ إلى الوثوب معه فأجابه بعضهم ، وقال بعضهم: ننتظر ، وأبى بعضهم وقالوا: نحن في عافية ، فلما رأى ذلك قال:

لم أُرِدْ منه الفريضةَ إلاَّ ... طَمَعاً في قتله أَنْ أَنالا
فأُرِيحَ الأَرْضَ منه وَمِمَّن ... عاثَ فيها وعَنِ الحَقِّ مالا
كُلّ جبارٍ عنيد أَرَاهُ ... تَرَكَ الحق وَسَنَّ الضلالا

---

(١) شرى؛ أي اتخذ مذهب الشراة؛ وهم الخوارج. القاموس المحيط ص ١٦٧٦.

إنَّنـي شَـارٍ بنفسـي لـربّـي ... تَـارِكٌ قِيـلا لـديهـمْ وقـالا
بَـائـعٌ أَهلـي ومَـالِـيَ أَرجـو ... فـي جنـانِ الخلـدِ أهـلاً ومـالا

قال: فبايعه نحو من ثلاثين، فسَرَى بجَبُّل، ثم سار حتى أتى المبارَك. فبلغ ذلك خالداً، فقال: قد كنت خفتُها منه، ثم وجه إليه خالد جنداً، فلقوه بناحية المنَاذِر، فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم انطووا عليه فقتلوه وقتلوا جميع أصحابه[(١)].
[٧/ ١٢٩ ـ ١٣٨].

ثم دخلت سنة عشرين ومئة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ذكر الخبر عن سبب وفاته:

وكان سبب ذلك أنه كانت به ـ فيما ذكر ـ دُبَيلة[(٢)] في جوفه؛ فحضر المِهرجان وهو ببلْخ، فقدم عليه الأمراءُ والدّهاقين؛ فكان ممن قدم عليه إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفيّ عامله على هَراة وخُراسان، ودهقان هراة؛ فقدِما بهديّة قُوّمت بألف ألف؛ فكان فيما قَدما به قَصْران: قصر من فضّة وقصر من ذهب، وأباريق من ذهب وأباريق من فضّة وصحاف من ذهب وفضة؛ فأقبلا وأسد جالس على السرير، وأشراف خُراسان على الكراسيّ؛ فوضعا القَصْرين؛ ثم وضعا خلْفهمَا الأباريق والصِّحاف والديباج المرويّ والقوهيّ والهرويّ وغير ذلك؛ حتى امتلأ السماط؛ وكان فيما جاء به الدّهقان أسداً كُرَة من ذهَب؛ ثم قام الدهقان خطيباً، فقال: أصلح الله الأمير! إنَّا معشر العَجم؛ أكلنا الدّنيا أربعمئة سنة؛ أكلناها بالحلْم والعقل والوقار؛ ليس فينا كتاب ناطق، ولا نبيّ مرسل؛ وكانت الرّجال عندنا ثلاثة: ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله على يده، والذي يليه تمتّ مُروّته في بيته فإن كان كذلك رُجِيَ وعُظِّم، وقوّد وقدّم؛ ورجل رحُب صدره، وبسط يده فُرجِيَ؛ فإذا كان كذلك قُوِّد وقُدِّم، وإن الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة الذين أكلنا الدّنيا بهم أربعمئة سنة فيك أيها الأمير؛ وما نعلم أحداً هو أتمّ

(١) ذكر ابن كثير هذا الحادثة مختصراً وبدون إسناد انظر البداية والنهاية [٧/ ٢٠١].
(٢) الدبيلة: دمل كبير يظهر في الجوف. النهاية (١/ ٥٥٢).

كَتُخُدانيَّة منك؛ إنك ضبطتَ أهل بيتك وحشمك ومواليك؛ فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدّى على صغير ولا كبير، ولا غنيّ ولا فقير، فهذا تمام الكُتْخدانيّة، ثم بنيتَ الإيوانات في المفاوز؛ فيجيءُ الجائي من المشرق والآخر من المغرب؛ فلا يجدان عيباً إلا أن يقولا: سبحان الله ما أحسن ما بُني! ومِن يُمن نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو في مئة ألف، معه الحارث بن سريج فهزمتَه وفللتَه، وقتلت أصحابَه، وأبحت عسكره. وأما رُحْب صدرِك وبَسْط يدك، فإنّا ما ندري أيّ المالين أقرّ لعينك؟ أمالٌ قدم عليك، أم مال خرج من عندك؟ بل أنتَ بما خرج أقرّ عيناً، فضحك أسد، وقال: أنت خير دهاقين خُراسان وأحسنهم هديّة، وناوله تفاحة كانت في يده؛ وسجد له دِهْقان هَراة، وأطرق أسد ينظر إلى تلك الهدايا؛ فنظر عن يمينه، فقال: يا عُذافر بن يزيد، مُرْ من يحمل هذا القَصْر الذهب، ثم قال: يا معن بن أحمر رأس قيس ـ أو قال قنّسرين ـ مرْ بهذا القصر يحملَ، ثم قال: يا فلان خذ إبريقاً، ويا فلان خذ إبريقاً، وأعطى الصِّحاف حتى بقيت صحفتان، فقال: قم يا بن الصيداء، فخذ صُحيفة، قال: فأخذ واحدة فرزنها[1] فوضعها، ثم أخذ الأخرى فرزنها، فقال له أسد: مالك؟ قال: آخذ أرزنهما، قال: خذهما جميعاً؛ وأعطى العُرَفاء وأصحاب البلاء؛ فقام أبو اليعفور ـ وكان يسير أمام صاحب خراسان في المغازي ـ فنادى: هلمَّ إلى الطريق، فقال أسد: ما أحسن ما ذكرّت بنفسك! خذ ديباجتين، وقام ميمون العذَّاب فقال: إليّ، إلى يساركم، إلى الجادّة؛ فقال: ما أحسن ما ذكَّرت نفسك! خذ ديباجة، قال: فأعطى ما كان في السّماط كلّه، فقال نهر بن تَوْسِعة:

تقِلُّون إنْ نادى لِروعٍ مُثوِّبٌ وأنتم غداةَ المهرَجانِ كثيرُ

ثم مرض أسد، فأفاق إفاقة فخرج يوماً، فأتِيَ بكمّثرى أوّل ما جاء، فأطعمَ الناس منه واحدة واحدة؛ وأخذ كُمّثراة فرمى بها إلى خراسان دهقان هراة، فانقطعت الدُّبَيلة، فهلك، واستخلف جعفراً البهرانيّ، وهو جعفر بن حنظلة سنة عشرين ومئة فعمل أربعة أشهر، وجاء عهد نصر بن سيّار في رجب سنة إحدى وعشرين ومئة، فقال ابن عِرْس العبديّ:

نَعَى أَسَدَ بنَ عبدِ اللهِ نَاعٍ فَرِيعَ القلبُ للملِكِ المُطاعِ

(١) رزن الشيء: رفعه لينظر ثقله. القاموس المحيط ص ١٥٤٨.

بَبَلْـخٍ وافَـقَ المِقْـدارُ يُسْـرِي ... ومـا لقضـاءِ ربـكِ مِـنْ دفـاع
فجـودِي عَيـنُ بـالعَبَـراتِ سَحّـاً ... أَلَـم يُحْـزنْـكِ تَفْـرِيـقُ الجمـاع!
أتَـاهُ حِمـامُـهُ فـي جـوف صِيـغٍ ... وكـم بـالصيـغِ مـن بطـل شجـاع!
كتـائـبُ قـد يُجيبُـون المنـادي ... علـى جُـرْدٍ مسـوّمـة سـراع
سُقِيـتَ الغيـث إنَّـك كنت غيثـاً ... مَـريعـاً عِنـدَ مُـرْتَـاد النَّجـاع

وقال سليمان بن قتّة مولى بني تيم بن مرة ـ وكان صديقاً لأسد:

سَقَى اللهُ بلْخاً، سَهْلَ بلخ وحَزْنَها ... ومَرْوَىْ خُراسانَ السَّحابَ المُجمَّمَا
ومَـا بـي لِتُسْقَـاهُ ولكـنَّ حُفـرَةً ... بهـا غَيَّبُـوا شِلْـواً كـريمـاً وأعظُمَـا
مُـراجِـمَ أقـوامٍ ومُـرْدِي عَظِيمَـةٍ ... وطَـلاَّبَ أوتـارٍ عِفَـرْنـاً عَثَمْثَمـا
لقد كان يُعطي السَّيْفَ في الرَّوع حَقَّهُ ... ويُرْوي السنانَ الزَّاغبيَّ المُقَوَّما[1]

* * *

أمر شيعة بني العباس بخراسان

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة وجّهت شيعة بني العباس بخراسان إلى محمد بن عليّ بن العباس سليمانَ بن كثير ليعلمه أمرهم وما هم عليه.

ذكر الخبر عن سبب توجيههم سليمان إلى محمد:

وكان السبب في ذلك موجِدة كانت من محمد بن عليّ علَى مَنْ كان بخُراسان من شيعته من أجل طاعتهم، كانت لخداش الذي ذكرنا خبره قبل وقبولهم منه ما روى عليه من الكذب؛ فترك مكاتبتهم؛ فلما أبطأ عليهم كتابُه، اجتمعوا فذكروا ذلك بينهم؛ فأجمعوا على الرِّضا بسليمان بن كَثير ليلقاه بأمرهم، ويخبره عنهم، ويرجع إليهم بما يردّ عليه؛ فقدم ـ فيما ذكر ـ سليمان بن كَثير على محمد بن عليّ وهو متنكّر لمن بخُراسان من شيعته، فأخبره عنهم، فعنّفهم في اتّباعهم خداشاً وما كان دعا إليه، وقال: لعن الله خداشاً ومَنْ كان على دِينه! ثم صرف سليمان إلى خراسان، وكتب إليهم معه كتاباً، فقدم عليهم، ومعه

---

(١) هذا الخبر الطويل (٧/ ١٣٩ ـ ١٤١) ذكره الطبري بلا إسناد وكذلك ذكره ابن كثير بلا إسناد [البداية والنهاية ٧/ ٢٠١].

الكتاب مختوماً ، فَفضّوا خاتمه فلم يجدوا فيه شيئاً ، إلاّ : «بسم الله الرحمن الرحيم» ، فغلظ ذلك عليهم وعلموا أنّ ما كان خداش أتاهم به لأمره مخالف .

وفي هذه السنة وجّه محمد بن عليّ بكير بن ماهان إلى شيعته بخُراسان بعد منصرَف سليمان بن كَثير من عنده إليهم ، وكتب معه إليهم كتاباً يعلمهم أن خِداشاً حمل شيعته على غير مِنهاجه ، فقدم عليهم بكير بكتابه فلم يصدّقوه واستخفّوا به؛ فانصرف بكير إلى محمد بن عليّ ، فبعث معه بعصيّ مضبّبة بعضها بالحديد وبعضها بالشّبَه؛ فقدم بها بكير وجمع النقباء والشّيعة ، ودفع إلى كلّ رجل منهم عصّاً ، فعلموا أنهم مخالفون لسيرته ، فرجعوا وتابوا[1] .

* * *

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالدَ بن عبد الله عن أعماله التي كان ولاه إياه كلَّها .

ذكر سبب عزل هشام خالداً

قد قيل في ذلك أقوال ، نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره؛ فممّا قيل في ذلك : إن فَرُّوخ أبا المثنى كان قد تقبّل من ضياع هشام بن عبد الملك بموضع يقال له رُستاق الرّمان أو نهر الرّمان ـ وكان يُدعى بذلك فرّوخ الرّمانيّ ـ فثقل مكانه على خالد ، فقال خالد لحسان النَّبَطيّ : ويحك! اخرج إلى أمير المؤمنين فزِدْ على فرّوخ ، فخرج فزاد عليه ألف ألف درهم؛ فبعث هشام رجلين من صُلحاء أهل الشأم ، فحازَا الضياع ، فصار حسان أثقلَ على خالد من فَرّوخ؛ فجعل يضرّ به ، فيقول له حسّان : لا تفسدني وأنا صنيعتك! فأبى إلاّ الإضرار به ، فلما قدم عليه بثق البثوق على الضّياع ، ثم خرج إلى هشام ، فقال : إن خالداً بَثَق البُثوق على ضياعك . فوجّه هشام رجلاً ، فنظر إليها ثم رجع إلى هشام فأخبره ، فقال حسان لخادم مِن خدم هشام : إن تكلّمتَ بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام ، فلك عندي ألف دينار ، قال : فعجِّل لي الألف وأقول ما شئت ، قال : فعجّلها له وقال له : بَكّ صبيّاً من صبيان هشام؛ فإذا بكى فقل له : اسكت؛ والله لكأنك ابنُ خالد

---

(١) ذكره الطبري كعادته في ذكر دعوة بني العباس بلا إسناد وانظر البداية والنهاية [٧/ ٢٠٢] .

القسريّ الذي غلّته ثلاثة عشر ألف ألف. فسمعها هشام فأغضى عليها. ثم دخل عليه حسّان بعد ذلك، فقال له هشام: ادنُ مني فدنا منه، فقال: كم غَلّة خالد؟ قال: ثلاثة عشر ألف ألف، قال: فكيف لم تخبرني بهذا! قال: وهل سألتَني؟ فوقرتْ في نفس هشام، فأزمع على عزله.

وقيل: كان خالد يقول لابنه يزيد: ما أنت بدون مسلمة بن هشام؛ فإنّك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر بمثلها أحدٌ: سكَرْتُ دجلة ولم يتكلّف ذلك أحد، ولي سِقايةٌ بمكة، وولي ولاية العراق.

وقيل: إنّما أغضب هشاماً على خالد: أنّ رجلاً من قريش دخل على خالد فاستخفّ به عضّه بلسانه، فكتب إلى هشام يشكوه، فكتب هشام إلى خالد:

أمّا بعد؛ فإنَّ أمير المؤمنين ـ وإن كان أطلق لك يدك ورأيك فيمن استرعاك أمره، واستحفظك عليه، للّذي رجا من كفايتك، ووثِق به من حسن تدبيرك ـ لم يُفرشك غُرّة أهل بيته لتطأه بقدمِك، ولا تحدّ إليه بصرك؛ فكيف بك وقد بسطت على غُرّتهم بالعراق لسانَك بالتوبيخ؛ تريد بذلك تصغير خَطَره، واحتقار قدره؛ زعمت بالنّصفة[١] منه حتى أخرجك ذلك إلى الإغلاظ في اللفظ عليه في مجلس العامة، غير متحلحل[٢] له حين رأيتَه مقبلاً من صدر مهادك الذي مهد له الله، وفي قومك مَن يعلوك بحسبه، ويغمرُك بأوّليته، فنِلتَ مهادَك بما رفع به آلُ عمرو من ضَعتك خاصّةً، مساوين بك فروع غُرَر القبائل وقرومها[٣] قِبَل أمير المؤمنين؛ حتى حللتَ هضبةً أصبحتَ تنحو[٤] بها عليهم مفتخراً، ها إن لم يدهده بك قلة شكرك متحطّماً وقيذاً[٥]. فهلاّ ـ يا بن مجرّشة[٦] قومك ـ أعظمت رجُلَهم عليك داخلاً، ووسَّعت مجلسه إذ رأيتَه إليك مقبلاً، وتجافيتَ له عن

---

(١) النصفة: الانتصاف. القاموس المحيط ص ١١٠٧.
(٢) غير متحلحل؛ أي غير متزحزح؛ يقال: حلحله؛ إذا أزاله عن مكانه. القاموس المحيط ص ١٢٧٥.
(٣) القروم: جمع قرم؛ وهو السيد. القاموس المحيط ص ١٤٨١.
(٤) تنحو بها؛ أي تطل وتشرف. القاموس المحيط ص ١٧٢٤.
(٥) دهده الحجر فتدهده: دحرجه فتدحرج لسان العرب (٣/ ٤٣٤)، والوقيذ: الصريع. القاموس المحيط ص ٤٣٣.
(٦) المجرشة: الماشطة؛ يقال: جرش رأسه بالمشط؛ إذا حكه. القاموس المحيط ص ٧٥٦.

صدر فراشك مكرّماً ، ثم فاوضتَه مقبلاً بِبِشرك إكراماً لأمير المؤمنين ، فإذا اطمأنّ به مجلسه نازعته بحييّ السرار[١] ، معظّماً لقرابتَه ، عارفاً لحقّه؛ فهو سِنّ البيتيْن ونابهم[٢] . وابن شيخ آل أبي العاص وحَرْبٍ وغُرّتهم . وبالله يقسم أمير المؤمنين لك لولا ما تقدّم من حُرْمتك وما يكره من شماتة عدوّك بك لوضع منك ما رفع؛ حتى يردّك إلى حال تفقد بها أهلَ الحوائج بعراقك ، وتزاحم المواكب ببابك . ما أقربني من أن أجعلك تابعاً لمن كان لك تَبعاً؛ فانهض على أيّ حالٍ ألفاك رسولُ أمير المؤمنين وكتابُه ، من ليل أو نهار ، ماشياً على قدمك بمن معك من خوَلك؛ حتى تقف على باب ابن عمرو صاغراً[٣] ، مستأذناً عليه ، متنصلاً إليه؛ أذن لك أو منعك؛ فإن حركتْه عواطف رحمة احتملك . وإن احتملتْه أنَفة وحميّة من دخولك عليك فقف ببابه حَوْلاً غير متحلحل ولا زائل؛ ثم أمْرُك بعدُ إليه؛ عزل أو ولّى ، انتصر أو عفا؛ فلعنك الله من متّكل عليه بالثقة؛ ما أكثر هفواتك ، وأقذع[٤] لأهل الشرف ألفاظك؛ التي لا تزال تبلغ أمير المؤمنين من إقدامك بها على مَنْ هو أولى بما أنت فيه من ولاية مِصْرَي العراق ، وأقدم وأقوم . وقد كتب أمير المؤمنين إلى ابن عمّه بما كتب به إليك من إنكاره عليه ، ليرى في العفو عنك والسخط عليك رأيه ، مفوّضاً ذلك إليه مبسوطة فيه يدُه ، محموداً عند أمير المؤمنين على أيّهما أتى به إليك ، موفقاً إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى ابن عمرو :

أما بعد : فقد بلغ أميرَ المؤمنين كتابُك ، وفهِم ما ذكرت من بَسْطِ خالد عليك لسانَه في مجلسَ العامة محتقراً لقَدْرك ، مستصغراً لقرابتك من أمير المؤمنين ، وعواطف رحمه عليك وإمساكِك عنه ، تعظيماً لأمير المؤمنين وسلطانه ، وتمسكاً بوثائق عِصَم[٥] طاعته ، مع مؤلم ما تداخلك من قبائح ألفاظه وشرارة منطقه ، وإكتابه عليك عند إطراقك عنه ، مروياً فيما أطلق أمير المؤمنين من

---

(١) السرار : المسارة؛ أي جادلته في سرار مقرون بالحياء . القاموس المحيط ص ٥٢١ .
(٢) ناب القوم : سيدهم . القاموس المحيط ص ١٧٩ .
(٣) صاغراً : ذليلاً . القاموس المحيط ص ٥٤٥ .
(٤) القذع : الخنا والفحش . القاموس المحيط ص ٩٦٧ .
(٥) العصم : جمع عصمة؛ وهي ما يعتصم به من عقد أو سبب . القاموس المحيط ص ١٤٦٩ .

لسانه[١] ، وأطالَ من عنانه ، ورفع من ضعته ، ونوّه من خموله؛ وكذلك أنتم آل سعيد في مثلها عند هَذَر الذّنابيّ[٢] وطائشة أحلامها ، صُمْتٌ من غير إفحام ، بل بأحلام تَخِفّ بالجبال وزناً. وقد حمِد أمير المؤمنين تعظيمَك إياه ، وتوقيرك سلطانه وشكره؛ وقد جعل أمر خالد إليك في عزلك إياه أو إقراره؛ فإن عزلتَه أمضي عزلك إيّاه ، وإن أقررتَه فتلك منّة لك عليه لا يشركك أمير المؤمنين فيها ، وقد كتب إليه أمير المؤمنين بما يطرد عنه سِنَة الهاجع عند وصوله إليه ، يأمره بإتيانك راجلاً على أيّة حال صادفه كتابُ أمير المؤمنين فيها ، وألفاه رسولُه الموجَّه إليه من ليله أو نهاره ، حتى يقف ببابك؛ أذنت له أو حجبته ، أقررتَه أو عزلته ، وتقدَّم أمير المؤمنين إلى رسوله في ضربه بين يديك على رأسه عشرين سوطاً إلا أن تكره أن يناله ذلك بسببك لحرمة خدمته؛ فأيّهما رأيت إمضاءه كان لأمير المؤمنين في برّك وعظمِ حُرْمتك وقرابتك وصلة رحمك موافقاً ، وإليه حبيباً ، فيما ينوي من قضاء حق آل أبي العاص وسعيد. فكاتبْ أمير المؤمنين فيما بدا لك مبتدئاً ومجيباً ومحادثاً وطالباً؛ ما عسى أن يُنزل بك أهلك من أهل بيت أمير المؤمنين من حوائجهم التي تقعد بهم الحشمة عن تناولها من قبَله لبعد دارهم عنه ، وقلة إمكان الخروج لإنزالها به؛ غير محتشم من أمير المؤمنين ، ولا مستوحش من تكرارها عليه ، على قَدْرِ قرابتهم وأديانهم وأنسابهم ، مستمنحاً ومسترفداً ، وطالباً مستزيداً ، تجد أمير المؤمنين إليك سريعاً بالبرّ لما يحاول من صلة قرابتهم ، وقضاء حقوقهم ، وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوي ، وإليه يرغب في العَوْن على قضاء حقّ قرابته ، وعليه يتوكّل ، وبه يثق ، والله وليّه ومولاه ، والسلام.

* * *

وقيل: إنّ خالداً كان كثيراً ما يذكر هشاماً ، فيقول: ابن الحمقاء. وكانت أم هشام تستحمق ، وقد ذكرنا خبرها قبلُ.

---

(١) الشرارة: مصدر؛ كالشر القاموس المحيط ص ٥٣١ ، وأكثب عليه: حمل وكر القاموس المحيط ص ١٦٥ ، وروى في الأمر: نظر وفكر. القاموس المحيط ص ١٦٦٥.

(٢) هذر في كلامه ، كضرب ونصر: هذى ، والذنابي: أذناب الناس وسفلتهم. القاموس المحيط ص ٦٣٩.

وذكر أنه كتب إلى هشام كتاباً غاظَه ، فكتب إليه هشام: يا بن أمّ خالد؛ قد بلغني أنك تقول: ما ولاية العراق لي بشرف؛ فيابن اللخناء ، كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً ، وأنت مِنْ بجيلة القليلة الذليلة! أما والله إني لأظنّ أنّ أوّل من يأتيك صغير من قريش ، يشدّ يديْك إلى عنقك.

وذكر أن هشاماً كتب إليه: قد بلغني قولك: أنا خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز؛ ما أنا بأشرف الخمسة ، أما والله لأرُدّنك إلى بَغْلتِك وطَيْلسانك الفيروزيّ.

وذكر أن هشاماً بلغه أنه يقول لابنه: كيف أنت إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين! فظهر الغضب في وجهه.

وقيل: إن هشاماً قدم عليه رجل من أهل الشأم ، فقال: إني سمعت خالداً ذكر أمير المؤمنين بما لا تنطلِق به الشفتان؛ قال: قال: الأحول؟ قال: لا ، بل قال أشدّ من ذلك ، قال: فما هو؟ قال: لا أقوله أبداً ، فلم يزل يبلغه عنه ما يكره حتى تغيّر له.

وذكر أن دهقاناً دخل على خالد ، فقال: أيّها الأمير ، إنّ غلة ابنك قد زادت على عشرة آلاف ألف؛ ولا آمنُ أن يبلغ هذا أمير المؤمنين فيستكثره. وإنّ الناس يحبون جسدَك ، وأنا أحبّ جسدك وروحك؛ قال: إن أسد بن عبد الله قد كلّمني بمثل هذا ، فأنت أمرته؟ قال: نعم ، قال: ويحك! دع ابني ، فلربما طلب الدّرْهم فلم يقدر عليه.

ثم عزم هشام ـ لما كثر عليه ما يتّصل به عن خالد من الأمور التي كان يكرهها ـ على عزله؛ فلما عزم على ذلك أخفى ما قد عزم له عليه من أمره.

* * *

ذكر الخبر عن عمل هشام
في عزل خالد حين صحّ عزمُه على عزله

ذكر عمر أن عُبيد بن جنّاد حدّثه أنه سمع أباه وبعض الكتبة يذكر أن هشاماً أخفى عَزْل خالد ، وكتب إلى يوسف بخطّه ـ وهو على اليمن ـ أن يُقبِل في ثلاثين

من أصحابه. فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة، فعرّس قريباً منها، وقد ختن طارق ـ خليفة خالد على الخراج ـ ولدَه؛ فأهدى له ألف عتيق وألف وصيف؛ وألف وصيفة سوى الأموال والثياب وغير ذلك؛ فمرّ العاسّ بيوسف وأصحابه ويوسف يصلي ورائحة الطيب تنفح من ثيابه، فقال: ما أنتم؟ قالوا: سفّار؛ قال: فأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع، فأتوا طارقاً وأصحابَه، فقالوا: إنا رأينا قوماً أنكرناهم، والرأي أن نقتلهم، فإن كانوا خوارجَ استرحنا منهم؛ وإن كانوا يريدونكم عرفتم ذلك فاستعددتم على أمرهم، فنهوْهم عن قتلهم؛ فطافوا؛ فلما كان في السَّحر وقد انتقل يوسف وصار إلى دور ثَقيف، فمرّ بهم العاسّ، فقال: ما أنتم؟ فقالوا: سفّار، قال: فأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع، فأتوا طارقاً وأصحابه، فقالوا: قد صاروا إلى دور ثَقيف والرأي أن نقتلهم، فمنعوهم وأمر يوسف بعض الثّقفيّين، فقال: اجمع لي مَن بها من مُضر. ففعل، فدخل المسجد مع الفجْر، فأمر المؤذّن بالإقامة، فقال: حتى يأتي الإمام؛ فانتهره فأقام، وتقدّم يوسف فقرأ: «إذا وقعت الواقعة»، و«سأل سائل»، ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما، فأخِذوا وإنّ القُدور لتغلِي[١].

قال عمر: قال عليّ بن محمد، قال: قال الربيع بن سابور مولى بني الحَرِيش ـ وكان هشام جعل إليه الخاتم مع الحَرس: أتى هشاماً كتابُ خالدٍ فغاظه، وقدم عليه في ذلك اليوم جندب مولى يوسف بن عمر بكتاب يوسف، فقرأه ثم قال لسالم مولى عنبسة بن عبد الملك: أجِبْه عن لسانك، وكتب هو بخطّه كتاباً صغيراً، ثم قال لي: ائتني بكتاب سالم ـ وكان سالم على الديوان ـ فأتيتُه به، فأدرج فيه الكتاب الصّغير، ثم قال لي: اختمه ففعلت، ثم دعا برسول يوسف، فقال: إن صاحبك لمتعدٍّ طوَره، ويسأل فوق قدره؛ ثم قال لي: مَزِّق ثيابَه، ثم أمر به فضرب أسواطاً، فقال: أخرجه عنّي وادفع إليه كتابه. فدفعتُ إليه الكتاب، وقلت له: ويلك! النّجاء! فارتاب بَشير بن أبي ثلجة من أهل الأردنّ، وكان خليفة سالم وقال: هذه حيلة؛ وقد ولّى يوسف العراق؛ فكتب إلى عامل لسالم على أجمَة سالم، يقال له عياض: إنّ أهلك قد بعثوا إليك بالثّوب اليمانيّ؛

(١) لم نجد لوالد عبيد بن جناد ترجمة ولم نجد ما يؤيد هذا الخبر من مصدر متقدم والخبر فيه نكارة ومبالغة واضحة تدل على أن الخبر غير صحيح بل موضوع والله أعلم.

فإذا أتاك فالبسه واحمد الله ، وأعلم ذلك طارقاً ، فبعث عياض إلى طارق بن أبي زياد بالكتاب ، وندم بشير على كتابه ، وكتب إلى عياض: إنّ أهلك قد بدا لهم في إمساك الثوب فلا تتكل عليه؛ فجاء عياض بالكتاب الآخر إلى طارق ، فقال طارق: الخبر في الكتاب الأوّل؛ ولكن صاحبك ندم وخاف أن يظهر الخبر فكتب بهذا ، وركب طارق من الكوفة إلى خالد وهو بواسط؛ فسار يوماً وليلة ، فصبّحهم ، فرآه داود البربري ـ وكان على حجابة خالد وحرسه وعلى ديوان الرسائل ـ فأعلم خالداً ، فغضب ، وقال: قدم بغير إذن؛ فأذن له؛ فلمّا رآه قال: ما أقدمك؟ قال: أمرٌ كنت أخطأت فيه؛ قال: وما هو؟ قال: وفاة أسد رحمه الله ، كتبتُ إلى الأمير أعزّيه عنه ، وإنما كان ينبغي لي أن آتيَه ماشياً ، فرقّ خالد ودمعت عيناه ، وقال: ارجع إلى عملك؛ قال: أردت أن أذكر للأمير أمراً أسِرُّه ، قال: ما دون داود سرّ ، قال: أمر من أمرِي ، فغضب داود وخرج ، وأخبر طارق خالداً ، قال: فما الرأي؟ قال: تركب إلى أمير المؤمنين فتعتذر إليه من شيء إن كان بلغه عنك. قال: فبئس الرجل أنا إذاً إن ركبت إليه بغير إذنه ، قال: فشيء آخر ، قال: وما هو؟ قال: تسير في عملك ، وأتقدّمك إلى الشأم ، فأستأذِنه لك؛ فإنك لا تبلغ أقصى عملك حتى يأتيَكَ إذنه ، قال: ولا هذا ، قال: فأذهب فأضمن لأمير المؤمنين جميعَ ما انكسر في هذه السنين وآتيك بعهدك مستقبلاً ، قال: وما يبلغ ذاك؟ قال: مئة ألف ألف ، قال: ومِن أين آخذ هذا! والله ما أجدُ عشرة آلاف درهم ، قال: أتحمّل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم ، والزينبيّ وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف؛ وتفرِّق الباقي على العمال ، قال: إني إذاً للئيم ، أن كنت سوّغتُ قوماً شيئاً ثم أرجع فيه ، فقال طارق: إنما نقيك ونقي أنفسنا بأموالنا ونستأنف الدنيا ، وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من أن يجيء مَن يطالبنا بالأموال؛ وهي عند تجار أهل الكوفة ، فيتقاعسون ويتربّصون بنا فنقتل ، ويأكلون تلك الأموال ، فأبى خالد فودّعه طارق وبكَى ، وقال: هذا آخر ما نلتقي في الدنيا؛ ومضى.

ودخل داود ، فأخبره خالد بقول طارق ، فقال: قد علم أنك لا تخرج بغير إذن؛ فأراد أن يختِلَك ويأتي الشأم ، فيتقبّل بالعراق هو وابن أخيه سعيد بن راشد ، فرجع طارق إلى الكوفة ، وخرج خالد إلى الحمّة.

قال: وقدم رسول يوسف عليه اليمن ، فقال له: ما وراءك؟ قال: الشرّ ، أمير المؤمنين ساخط ، وقد ضربني ولم يكتب جواب كتابك ، وهذا كتاب سالم صاحب الديوان ، ففضّ الكتاب فقرأه ، فلما انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه: أن سرْ إلى العراق فقد وليتك إياه ، وإياك أن يعلم بذاك أحد؛ وخذ ابنَ النصرانيّة وعمّاله فاشفني منهم؛ فقال يوسف: انظروا دليلاً عالماً بالطريق ، فأتِي بعدّة ، فاختار منهم رجلاً وسار من يومه ، واستخلف على اليمن ابنه الصّلت فشيّعه؛ فلما أراد أن ينصرف سأله: أين تريد؟ فضربه مئة سوط ، وقال: يا بن اللخناء ، أيخفى عليك إذا استقرّ بي منزل ، فسار ، فكان إذا أتى إلى طريقين سأل ، فإذا قيل: هذا إلى العراق ، قال: أعرِق ، حتى أتى الكوفة. [٧/ ١٣٩ ـ ١٥٠].

قال عمر: قال عليّ: قال سالم زنبيل: لما صرنا إلى النَّجف قال لي يوسف: انطلق فائْتني بطارق؛ فلم أستطع أن آبى عليه ، وقلت في نفسي: مَنْ لي بطارق في سلطانه! ثم أتيت الكوفة ، فقلت لغلمان طارق: استأذنوا لي على طارق ، فضربوني فصِحْتُ له: ويلك يا طارق! أنا سالم رسول يوسف ، وقد قدم على العراق. فخرج فصاح بالغلمان ، وقال: أنا آتيه.

قال: وروي أنّ يوسف قال لكيسان: انطلق فائْتني بطارق؛ فإنْ كان قد أقبل فاحمله على إكاف ، وإن لم يكن أقبل فأت بِهِ سَحباً. قال: فأتيته بالحيرة دار عبد المسيح ـ وهو سيّد أهل الحيرة ـ فقلت له: إنّ يوسف قد قدم على العراق؛ وهو يأمرك أن تشدّ طارقاً وتأتيهَ به؛ فخرج هو وولده وغلمانه حتى أتوْا منزل طارق ـ وكان لطارق غلام شجاع معه غلمان شجعاء لهم سلاح وعدّة ـ فقال لطارق: إن أذنْتَ لي خرجت إلى هؤلاء فيمن معي فقتلتُهم ، ثم طرتَ على وجهك. فذهبتَ حيث شئت. قال: فأذن لكيسان ، فقال: أخبِرْني عن الأمير ، يريد المال؟ قال: نعم؛ قال: فأنا أعطيه ما سأل؛ وأقبلوا إلى يوسف فتوافوْا بالحيرة ، فلما عاينه ضربه ضرباً مبرّحاً ـ يقال: خمسمئة سوط ـ ودخل الكوفة ، وأرسل عطاء بن مقدّم إلى خالد بالحمّة. قال عطاء: فأتيتُ الحاجب فقلتُ: استأذنْ لي على أبي الهيثم . فدخل وهو متغيّر الوجه فقال له خالد: مالك؟ قال: خير ، قال: ما عندك خير ، قال: عطاء بن مقدّم قال: استأذن لي على أبي الهيثم ، فقال:

ائذن له ، فدخلت: فقال: ويل أمها سُخْطَة! قال: فلم أستقرَّ حتى دخل الحكَم بن الصّلْت ، فقعد معه ، فقال له خالد: ما كان ليلي عليّ أحد هو أحب إليّ منكم.

وخطب يوسف بالكوفة ، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني بأخذ عمال ابن النصرانيّة ، وأن أشفِيَه منهم ، وسأفعل وأزيد والله يا أهل العراق ، ولأقتلنّ منافقيكم بالسيف وجُناتَكم بالعذاب وفسّاقكم ، ثم نزل ومضى إلى واسط ، وأتِيَ بخالد وهو بواسط.

قال عمر: قال حدثني الحكم بن النّضر: قال: سمعت أبا عبيدة يقول: لما حبس يوسف خالداً صالحه عنه أبان بن الوليد وأصحابُه على تسعة آلاف ألف درهم ، ثم ندم يوسف. وقيل له: لو لم تفعل لأخذتَ منه مئة ألف ألف درهم. قال: ما كنت لأرجع وقد رهنت لساني بشيء. وأخبر أصحاب خالد خالداً ، فقال: قد أسأتم حين أعطيتموه عند أوّل وَهْلة تسعة آلاف ألف ، ما آمن أن يأخذها ثم يعود عليكم ، فارجعوا ، فجاؤوا فقالوا: إنا قد أخبرنا خالداً فلم يرضَ بما ضمنّا ، وأخبرنا أنّ المال لا يمكنه ، فقال: أنتم أعلم وصاحبكم؛ فأما أنا فلا أرجع عليكم؛ فإن رجعتم لم أمنعكم ، قالوا: فإنا قد رجعنا ، قال: وقد فعلتم! قالوا: نعم ، قال: فمنكم أتى النقض؛ فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ولا مثليْها ولا مثلها ، فأخذ أكثر من ذلك. وقد قيل: إنه أخذ مئة ألف ألف. [٧/ ١٥٠ ـ ١٥١].

قال الهيثم بن عديّ: أخبرني الحسن بن عمارة عن العُريان بن الهيثم ، قال: كنت كثيراً ما أقول لأصحابي: إنّي أحسب هذا الرجل قد تخلّي منه؛ إن قريشاً لا تحتمل هذا ونحوه؛ وهم أهل حسد ، وهذا يُظهر ما يُظهر ، فقلتُ له يوماً: أيها الأمير؛ إنّ الناس قد رمَوْك بأبصارهم ، وهي قريش ، وليس بينك وبينها إلّ[1] ، وهم يجدون منك بُدّاً؛ وأنت لا تجد منهم بُدّاً؛ فأنشدك الله إلا ما كتبت إلى هشام تخبره عن أموالك ، وتعرض عليه منها ما أحبّ؛ فما أقدرك على أن تتخذ مثلها؛ وهو لا يستفسدك؛ وإن كان حريصاً على ذلك فلعمري لأنْ يذهب

(١) الإل: الحلف والعهد.

بعض ويبقى بعض خير من أن تذهب كلها؛ وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها ، ولا آمن أن يأتيَه باغ أو حاسد فيقبل منه؛ فلأنْ تعطيَه طائعاً خير من أن تعطيه كارهاً. فقال: ما أنت بمتّهم؛ ولا يكون ذلك أبداً. قال: فقلت أطعني واجعلني رسولك ، فوالله لا يحلّ عقدةً إلا شددتها ، ولا يشدّ عقدة إلا حللتها. قال: إنّا والله لا نعطي على الذلّ ، قال: قلتُ: هل كانت لك هذه الضياع إلا في سلطانه! وهل تستطيع الامتناع منه إن أخذها! قال: لا ، قلتُ: فبادره ، فإنه يحفظها لك ويشكرك عليها ، ولو لم تكن له عندك يد إلاّ ما ابتدأك به كنت جديراً أن تحفظه ، قال: لا والله لا يكون ذلك أبداً ، قال: قلتُ فما كنتَ صانعاً إذا عزلك وأخذ ضياعك؟ فاصنعه ، فإنّ إخوته وولده وأهل بيته قد سبقوا لك ، وأكثروا عليه فيك ، ولك صنائع تعود عليهم بما بدا لك ، ثم استدرك استتمام ما كان منك إلى صنائعك من هشام. قال: قد أبصرتُ ما تقول وليس إلى ذلك سبيل. وكان العريان يقول: كأنكم به قد عُزِل وأخذ ماله وتجُنّيَ عليه ثم لا ينتفع بشيء ، قال: فكان كذلك.

قال الهيثم: وحدّثني ابن عيّاش: أنّ بلال بن أبي بردة كتب إلى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تعتّب هشام عليه: إنّه حدَث أمر لا أجد بدّاً من مشافهتك فيه؛ فإن رأيتَ أن تأذن لي؛ فإنما هي ليلة ويومها إليك ، ويوم عندك ، وليلة ويومها منصرفاً. فكتب إليه: أن أقبِلْ إذا شئت ، فركب هو ومولَيان له الجمّازات ، فسار يوماً وليلة ، ثم صلى المغرب بالكوفة؛ وهي ثمانون فرسخاً ، فأخبِر خالد بمكانه ، فأتاه وقد تعصّب ، فقال: أبا عمرو ، أتعبتَ نفسك ، قال: أجل ، قال: متى عهدُك بالبصرة؟ قال: أمسِ ، قال: أحقٌّ ما تقول! قال: هو والله ما قلت: قال: فما أنصبك؟ قال: ما بلغني من تعتّب أمير المؤمنين وقوله: وما بغاك به ولدُه وأهل بيته؛ فإنْ رأيت أن أتعرّض له وأعرض عليه بعض أموالنا ، ثم ندعوه منها إلى ما أحبّ وأنفسنا به طيّبة ، ثم أعرض عليه مالك ، فما أخذ منه فعلينا العوض منه بعد. قال: ما أتّهمك وحتى أنظر؛ قال: إني أخاف أن تعاجَل ، قال: كلا ، قال: إن قريشاً من قد عرفتَ ، ولاسيما سرعتهم إليك قال: يا بلال؛ إني والله ما أعطي شيئاً قسراً أبداً. قال أيها الأمير ، أتكلم؟ قال: نعم ، قال: إن هشاماً أعذر منك ، يقول: استعملتُك ، وليس لك شيء ، فلم تر من

الحق عليك أن تعرض عليّ بعض ما صار إليك؛ وأخاف أن يزيّن له حسان النّبطيّ ما لا تستطيع إدراكه ، فاغتنم هذه الفترة. قال: أنا ناظر في ذلك فانصرف راشداً ، فانصرف بلال وهو يقول: كأنكم بهذا الرجل قد بُعث إليه رجل بعيد أتيّ[١] ، به حمَز[٢] ، بغيض النفس سخيف الدِّين ، قليل الحياء ، يأخذه بالإِحَن والترات ، فكان كما قال.

قال ابن عياش: وكان بلال قد اتخذ داراً بالكوفة ، وإنما استأذن خالداً لينظر إلى داره ، فما نزلها إلاّ مقيّداً ، ثم جُعلت سِجْناً إلى اليوم.

قال ابن عيّاش: كان خالد يخطب فيقول: إنكم زعمتم أنّي أُغْلِي أسعاركم؛ فعلى مَن يغليها لعنة الله! وكان هشام كتب إلى خالد لا تبيعنّ من الغّلات شيئاً حتى تباع غلاّت أمير المؤمنين حتى بلغت كيلجة درهماً[٣].

قال الهيثم ، عن ابن عياش: كانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومئة ثم عزل في جُمادى الأول سنة عشرين ومئة. [٧/ ١٥٢ ـ ١٥٤].

* * *

وقيل: إنّ يوسف لما قدم العراق أراد أن يولّيَ خراسان سَلْم بن قُتيبة ، فكتب بذلك إلى هشام ، ويستأذنه فيه ، فكتب إليه هشام: إنّ سلم بن قتيبة رجل ليس له بخراسان عشيرة؛ ولو كان له بها عشيرة لم يقتَل بها أبوه.

وقيل إنّ يوسف كتب إلى الكِرمانيّ بولاية خُراسان مع رجل من بني سُليم وهو بمَرْو؛ فخرج إلى الناس يخطبهم ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وذكر أسداً وقدومه خراسان ، وما كانوا فيه من الجهد والفتنة ، وما صُنع لهم على يديه ، ثم ذكر أخاه خالداً بالجميل ، وأثنى عليه؛ وذكر قدوم يوسف العراق ، وحثّ الناس على الطاعة ولزوم الجماعة ، ثم قال: غفر الله للميت ـ يعني أسداً ـ وعافى الله المعزول ، وبارك للقادم. ثم نزل. [٧/ ١٥٤].

---

(١) الآتيّ: الدخيل في القوم. القاموس المحيط ص ١٦٢٤.
(٢) الحمز: الشدة. القاموس المحيط ص ٦٥٤.
(٣) الكيلجة: مكيال عندهم. القاموس المحيط ص ٢٦٠.

ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيَّار خُراسان

ذكر عليّ بن محمد عن شيوخه أنّ وفاة أسد بن عبد الله لما انتهت إلى هشام بن عبد الملك استشار أصحابَه في رجل يصلح لخُراسان؛ فأشاروا عليه بأقوام، وكتبوا له أسماءَهم؛ فكان ممن كتِب له عثمان بن عبد الله بن الشِّخِّير ويحيى بن حضين بن المنذر الرقاشيّ ونصر بن سيار الليثيّ وقَطن بن قتيبة بن مسلم والمجشّر بن مزاحم السُّلميّ أحد بني حَرام؛ فأما عثمان بن عبد الله بن الشِّخِّير، فقيل له: إنه صاحب شراب، وقيل له: المجشّر شيخ هِمّ، وقيل له: ابن حُصين رجل فيه تيه وَعَظمة، وقيل له: قطن بن قتيبة موتور؛ فاختار نصر بن سيّار، فقيل له: ليست له بها عشيرة، فقال هشام: أنا عشيرته، فولّاه وبعث بعهده مع عبد الكريم بن سلِيط بن عقبة الهِفانِيّ؛ هفان بن عدِيّ بن حنيفة، فأقبل عبد الكريم بعهده، ومعه أبو المهند كاتبه مولى بني حَنيفة، فلما قدم سَرَخْس ولا يعلم به أحد، وعلى سَرَخسْ حفص بن عمر بن عبَّاد التيميّ أخو تميم بن عمر، فأخبره أبو المهند، فوجّه حفص رسولاً، فحمله إلى نصر، ونفذ ابن سليط إلى مَرْو، فأخبر أبو المهند الكرمانيّ، فوجّه الكرمانيّ نصر بن حبيب بن بحر بن ماسك بن عمر الكرمانيّ إلى نصر بن سيار، فسبق رسول حفص إلى نصر بن سيار؛ فكان أوّل مَنْ سلم عليه بالإمْرة، فقال له نصر: لعلك شاعر مكّار! فدفع إليه الكتاب. وكان جعفر بن حنظلة ولّى عمرو بن مسلم مَرْو، وعزل الكِرمانيّ وولّى منصور بن عمر أبرشهر، وولّى نصر بن سيار بخارى، فقال جعفر بن حنظلة: دعوتُ نصراً قبل أن يأتيَه عهده بأيام؛ فعرضتُ عليه أن أولّيَه بخارى، فشاور البختريّ بن مجاهد، فقال له البختريّ، وهو مولى بني شيبان: لا تقبلها، قال: ولمَ؟ قال: لأنك شيخ مُضَر بخُراسان؛ فكأنك بعهدك قد جاء على خُراسان كلها؛ فلما أتاه عهده بعث إلى البختريّ فقال البختري لأصحابه: قد ولي نصر بن سيار خُراسان؛ فلما أتاه سلم عليه بالإمْرة، فقال له: أنَّى علمت؟ قال: لما بعثتَ إليّ، وكنتَ قبل ذلك تأتيني، علمتُ أنك قد وليت.

قال: وقد قيل إنّ هشاماً قال لعبد الكريم حين أتاه خبرُ أسد بن عبد الله بموته، مَنْ ترى أن نوليّ خراسان، فقد بلغني أنّ لك بها، وبأهلها علماً؟

قال عبد الكريم: قلت: يا أمير المؤمنين؛ أمّا رجلُ خراسان حزماً ونجْدة فالكِرمانيّ؛ فأعرض بوجهه، وقال: ما اسمه؟ قلت: جُدَيع بن عليّ، قال: لا حاجة لي فيه، وتطيّر، وقال: سَمْ لي غيره، قلت: اللسِن المجرّب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانيّ أبو الميلاء، قال: ربيعة لا تُسَدّ بها الثغور - قال عبد الكريم: فقلت في نفسي: كرِه ربيعة واليمن، فأرميه بمُضَر - فقلت: عقيل بن معقل الليثيّ، إن اغتفرت هَنَةً، قال: ما هي؟ قلت: ليس بالعفيف، قال: لا حاجة لي به، قلت: منصور بن أبي الخرقاء السُّلميّ، إن اغتفرت نكره فإنه مشؤوم، قال: غيره، قلت: المحشّر بن مزاحم السلميّ، عاقل شجاع، له رأي مع كذب فيه، قال: لا خير في الكذِب، قلت: يحيى بن حُضَين، قال: ألم أخبرك أنّ ربيعة لا تسدّ بها الثغور! قال: فكان إذا ذكرت له ربيعة، واليمن أعرض، قال عبد الكريم: وأخّرت نصراً وهو أرجلُ القوم وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة، فقلت: نصر بن سيار الليثيّ، قال: هو لها، قلت: إن اغتفرتَ واحدة؛ فإنه عفيف مجرّب عاقل، قال: ما هي؟ قلت: عشيرته بها قليلة، قال: لا أبا لك، أتريد عشيرة أكثر مني! أنا عشيرته.

وقال آخرون: لما قدم يوسف بن عمر العراق قال: أشيروا عليّ برجل أولّه خُراسان، فأشاروا عليه بمسلمة بن سليمان بن عبد الله بن خازم وقُدَيد بن منيع المنقريّ ونصر بن سيّار وعمرو بن مسلم ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبي الخرقاء وسلْم بن قُتيبة ويونس بن عبد ربّه وزياد بن عبد الرحمن القُشيريّ؛ فكتب يوسف بأسمائهم إلى هشام، وأطرَى القيسيّة، وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكنانيّ، فقال هشام: ما بال الكنانيّ آخرهم! وكان في كتاب يوسف إليه: يا أميرَ المؤمنين، نصر بخُراسان قليلُ العشيرة. فكتب إليه هشام: قد فهمت كتابَك وإطراءك القيسيَة، وذكرت نصراً وقلة عشيرته، فكيف يقلّ مَنْ أنا عشيرته! ولكنك تقيّست عليّ، وأنا متخندف عليك؛ ابعث بعهد نصر؛ فلم يقلّ مَن عشيرته أمير المؤمنين؛ بلْهَ ما إن تميماً أكثر أهل خراسان. فكتب إلى نصر أن يكاتبَ يوسف بن عمر، وبعث يوسف سَلْماً وافداً إلى هشام؛ وأثنى عليه فلم يولّه، ثم أوفد شريك بن عبد ربه النُّميريّ، وأثنى عليه ليولّيَه خراسان، فأبى عليه هشام.

قال: وأوفد نصرٌ مِنْ خُراسان الحكم بن يزيد بن عمير الأسديّ إلى هشام، وأثنى عليه نصر، فضربه يوسف ومنعه من الخروج إلى خراسان؛ فلما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يَزيد على كِرْمان، وبعث بعهد نصر مع عبد الكريم الحنفيّ ـ ومعه كاتبه أبو المهند مولى بني حنيفة ـ فلما أتى سَرَخْس وقع الثلْج، فأقام ونزل على حفص بن عمر بن عباد التيميّ، فقال له: قدمتُ بعهد نَصْر على خُراسان، قال: وهو عامل يومئذ على سَرَخْس ـ فدعا حفص غلامه، فحمله على فرس وأعطاه مالاً، وقال له: طِرْ واقتل الفرس؛ فإن قام عليك فاشترِ غيرَه حتى تأتي نصراً. قال: فخرج الغلامُ حتى قدِم على نصر ببلْخ، فيجده في السوق، فدفع إليه الكتاب، فقال: أتدرِي مافي هذا الكتاب؟ قال: لا، فأمسكه بيده، وأتى منزله، فقال الناس: أتى نصراً عهده على خراسان، فأتاه قوم من خاصّته، فسألوه فقال: ما جاءني شيء، فمكث يومَه، فدخل عليه من الغد أبو حفص بن عليّ، أحد بني حنظلة ـ وهو صهره؛ وكانت ابنته تحت نَصْر، وكان أهوج كثير المال، فقال له: إنّ الناس قد خاضُوا وأكثروا في ولايتك؛ فهل جاءك شيء؟ فقال: ما جاءني شيء، فقام ليخرج. قال: مكانَك؛ وأقرأه الكتاب، فقال: ما كان حفص ليكتب إليك إلا بحقّ، قال: فبينا هو يكلمه إذ استأذن عليه عبدُ الكريم، فدفع إليه عهده، فوصله بعشرة آلاف درهم، ثم استعمل نصر على بَلْخ مسلمَ بن عبد الرحمن بن مسلم، واستعمل وشاح بن بكير بن وشاح على مَرْو الروذ، والحارث بن عبد الله بن الحشرج على هراة، وزياد بن عبد الرحمن القُشيريّ على أبرشهر، وأبا حفص بن عليّ ختنه على خوارزم، وقطن بن قُتيبة على السُّغْد، فقال رجل من أهل الشأم من اليمانية: ما رأيتُ عصبيّة مثل هذه! قال: بلى، التي كانت قبل هذه، فلم يستعمل أربع سنين إلا مُضرياً، وعَمرت خُراسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلَها، ووضع الخراج، وأحسن الولاية والجباية، فقال سَوّار بن الأشعر:

أَضْحتْ خُراسانُ بَعدَ الخوفِ آمنَةً ... مِنْ ظُلمِ كلِّ غشُوم الحكمِ جَبّار
لما أَتى يُوسُفاً أَخبارُ ما لقِيتْ ... اختَارَ نَصْراً لها؛ نَصْرَ بنَ سَيّار

وقال نصر بن سيار فيمن كره ولايته:

تَعَزَّ عنِ الصَّبابةِ لا تُلامُ ... كذلك لا يلُمّ بك احتمامُ

أَأَنْ سَخِطَتْ كبيرةُ بعد قُرْبٍ كلِفْتَ بها وباشَرَكَ السَّقام!
تُرَجِّي اليومَ ما وعَدَتْ حديثاً وقد كُذِبَتْ مواعِدَها الكرامُ
أَلَمْ تَرَ أنَّ ما صَنَعَ الغَوَانِي عَسِيرٌ لا يَريعُ به الكلامُ
أَبَتْ لي طاعَتِي وأَبَى بَلائي وفَوْزِي حين يَعْتَرِكُ الخصامُ
وإنَّا لا نُضِيعُ لنا مُلِمّاً ولا حَسَباً إذا ضاعَ الذِّمامُ
ولا نُغْضِي على غَذْرٍ وإنَّا نُقِيمُ على الوفاءِ فلا نُلامُ
خليفتُنا الذي فازتْ يَداهُ بِقِدْحِ الحمدِ والمَلِكُ الهمامُ
نَسُوسُهُمُ به ولنا عليهم إذا قلنا مَكارِمُهُ جِسَامُ
أَبو العاصِي أَبُوهُ وعبدُ شَمسٍ وحَرْبٌ والقَماقِمَةُ الكرامُ
ومروانٌ أَبو الخلفاءِ عالٍ عليه المجدُ فهو لهم نِظامُ
وبيت خليفةِ الرحمن فينا وبَيْتاهُ المُقَدَّسُ والحرامُ
ونحنُ الأكرمُونَ إذا نُسِبنا وعِرْنِينُ البَرِيّة والسَّنامُ
فأَمْسَيْنا لنا من كلِّ حَيٍّ خراطِيمُ البريةِ والزِّمامُ
لنا أَيدٍ نريش بها ونبْري وأَيدٍ في بوادِرها السَّمامُ
وبأْسٌ في الكريهةِ حين نلقى إذا كانَ النَّذيرُ بها الحسامُ

قال: وأتى نصراً عهده في رجب من سنة عشرين ومئة ، وقال له البختريّ: اقرأ عهدك واخطب الناس؛ فخطب الناس؛ فقال في خطبته: استمسكوا أصحابنا بجُدّتِكم ، فقد عرفنا خيرَكم وشركم.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومئة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزْوة مسلمة بن هشام بن عبد الملك الرّوم ، فافتتح بها مطامير. وغَزْوة مرْوان بن محمد بلاد صاحب سَرِير الذهب ، فافتتح قلاعه وخرَّب أرضه ، وأذعن له بالجزْية ، في كلّ سنة ألف رأس يؤدّيه إليه ، وأخذ منه بذلك الرّهن ، وملّكه مروان على أرضه[1].

---

(١) انظر البداية والنهاية [٧/ ٢٠٣] والمنتظم [٧/ ٢٠٧].

وفيها ولد العباس بن محمد. [٧/ ١٦٠].

اختُلف في سبب خروجه؛ فأما الهيثم بن عديّ فإنه قال ـ فيما ذكر عنه، عن عبد الله بن عياش ـ قال: قدم زيد بن عليّ ومحمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب وداود بن عليّ بن عبد الله بن عباس على خالد بن عبد الله وهو على العراق، فأجازهم ورجعوا إلى المدينة؛ فلما ولِّي يوسف بن عمر كتب إلى هشام بأسمائهم وبما أجازهم به، وكتب يذكر أن خالداً ابتاع من زيد بن عليّ أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار، ثم ردّ الأرض عليه، فكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسرّحَهم إليه ففعل، فسألهم هشام فأقرّوا بالجائزة، وأنكروا ما سوى ذلك، فسأل زيداً عن الأرض فأنكرها، وحلفوا لهشام فصدّقهم.

وأما هشام بن محمد الكلبيّ، فإنه ذكر أن أبا مخنف حدّثه أن أوّل أمر زيد بن عليّ كان أنّ يزيد بن خالد القسْريّ ادّعى مالاً قِبَل زيدَ بن عليّ ومحمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، وداود بن عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهريّ وأيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك ـ وزيد بن عليّ يومئذ بالرُّصافة يخاصم بنى الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب في صدقة رسول الله ﷺ، ومحمد بن عمر بن عليّ يومئذ مع زيد بن عليّ ـ فلما قدِمت كتب يوسف بن عمر على هشام بن عبد الملك بعث إليهم فذكَر لهم ما كتب به يوسف بن عمر إليه مما ادّعى قبَلهم يزيدُ بن خالد، فأنكروا، فقال لهم هشام: فإنا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينه، فقال له زيد بن عليّ: أنشدك الله والرّحم أن لا تبعث بي إلى يوسف بن عمر! قال: وما الذي تخاف من يوسف بن عمر؟ قال: أخاف أن يعتديَ عليّ، قال له هشام: ليس ذلك له، ودعا هشام كاتبه فكتب إلى يوسف بن عمر:

أما بعد: فإذا قدِم عليك فلان وفلان، فاجمعْ بينهم وبين يزيد بن خالد القسريّ، فإن هم أقرُّوا بما ادّعى عليهم فسرِّح بهم إليّ، وإن هم أنكروا فسله بيّنةً، فإن هو لم يُقِم البيّنة فاستحلفهم بعد العصر بالله الذي لا إله إلا هو، ما استودعهم يزيد بن خالد القسريّ وديعةً، ولا له قبلهم شيءٌ! ثم خلّ سبيلهم.

فقالوا لهشام: إنا نخاف أن يتعدّى كتابَك، ويطول علينا، قال: كلاَّ، أنا

باعث معكم رجلاً من الحرَس يأخذه بذلك؛ حتى يعجّل الفراغ، فقالوا: جزاك الله والرّحم خيراً؛ لقد حكمتَ بالعدل، فسرَّح بهم إلى يوسف، واحتبس أيوب بن سلمة؛ لأن أمّ هشام بن عبد الملك ابنة هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، وهو في أخواله، فلم يؤخذ بشيء، من ذلك القَرْف.

فلما قدموا على يوسف، أدخِلوا عليه، فأجلسَ زيد بن عليّ قريباً منه، وألطفه في المسألة، ثم سألهم عن المال، فأنكروا جميعاً، وقالوا: لم يستودعنا مالاً، ولا له قِبَلنا حقّ، فأخرج يوسف يزيدَ بن خالد إليهم، فجمع بينه وبينهم، وقال له: هذا زيد بن عليّ، وهذا محمد بن عمر بن عليّ، وهذا فلان وفلان الذي كنتَ ادّعيت عليهم ما ادّعيت، فقال: مالي قِبَلهم قليل ولا كثير، فقال يوسف: أفبِي تهزأ أم بأمير المؤمنين! فعذّبه يومئذ عذاباً ظنّ أنه قد قتله، ثم أخرجهم إلى المسجد بعد صلاة العصر، فاستحلفهم، فحلفوا له، وأمر بالقوم فبسط عليهم؛ ما عدا زيدَ بن عليّ فإنه كفّ عنه فلم يقتدر عند القوم على شيء. فكتب إلى هشام يُعلمه الحال، فكتب إليه هشام: أن استحلفهم، وخلّ سبيلهم، فخلّى عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة، وأقام زيد بن عليّ بالكوفة.

وذكر عُبيد بن جنّاد، عن عَطاء بن مُسْلم خفّاف أنّ زيد بن عليّ رأى في منامه أنه أضرَم في العراق ناراً، ثم أطفأها ثم مات، فهالتْه، فقال لابنه يحيى: يا بنيّ، إني رأيت رؤيا قد راعتني، فقصّها عليه، وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك يأمره بالقدوم عليه، فقدِم، فقال له: الحق بأميرك يوسف، فقال له: نشدُتك بالله يا أمير المؤمنين، فوالله ما آمن إن بعثتَني إليه ألاّ أجتمع أنا وأنت حيّين على ظهر الأرض بعدها، فقال: الحق بيوسف كما تؤمر؛ فقدم عليه. [٧/ ١٦٠ ـ ١٦٢].

وقيل: إن زيداً إنما قدم على هشام مخاصماً ابنَ عمّه عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ، ذُكِر ذلك عن جُويرية بن أسماء، قال: شهدتُ زيد بن عليّ وجعفر بن حسن بن حسن يختصمان في ولاية وقوف عليّ، وكان زيد يخاصم عن بني حُسيْن، وجعفر يخاصم عن بني حسن؛ فكان جعفر وزيد يتبالغان بين

يدي الوالي إلى كلّ غاية ، ثم يقومان فلا يُعيدان مما كان بينهما حرفاً ، فلما مات جعر قال عبد الله : من يكفينا زيداً؟ قال حسن بن حسن بن حسن : أنا أكفيكه ، قال : كلاً ، إنا نخاف لسانَك ويدَك ؛ ولكني أنا. قال : إذاً لا تبلغ حاجتَك وحُجَّتك ، قال : أما حُجَّتي فسأبلغُها ؛ فتنازعا إلى الوالي ـ والوالي يومئذ عندهم فيما قيل إبراهيم بن هشام ـ قال : فقال عبد الله لزيد : أتطمع أن تنالها وأنتَ لأمَةٍ سِنِدّية! قال : قد كان إسماعيل لأمَة ؛ فنال أكثر منها ؛ فسكت عبد الله ، وتبالغا يومئذ كلّ غاية ؛ فلما كان الغد أحضرهم الوالي ، وأحضر قريشاً والأنصار ، فتنازعا ، فاعترض رجل من الأنصار ، فدخل بينهما ، فقال له زيد : وما أنت والدخول بيننا ، وأنت رجل من قحطان! قال : أنا والله خيرٌ منك نفساً وأباً وأمّاً. قال : فسكت زيد ، وانبرى له رجلٌ من قريش فقال : كذبتَ ، لعمرُ الله لهو خير منك نفساً وأباً وأمّاً وأوّلاً وآخراً ، وفوق الأرض وتحتها ، فقال الوالي : وما أنت وهذا! فأخذ القرشيّ كفّاً من الحصى ، فضرب به الأرض وقال : والله ما على هذا من صَبْر ، وفطن عبد الله وزيد لشماتة الوالي بهما ، فذهب عبدُ الله ليتكلّم ، فطلب إليه زيد فسكت ، وقال زيد للوالي : أمّا والله لقد جمعتَنا لأمر ما كان أبو بكر ولا عمر ليجمعانا على مثله ؛ وإني أشهِد الله ألاّ أنازعَه إليك محقّاً ولا مبطلاً ما كنتُ حيّاً ، ثم قال لعبد الله : انهض يا بن عمّ ؛ فنهضا وتفرّق الناس.

وقال بعضهم : لم يزل زيد ينازع جعفَر بن حسن ثم عبد الله بعده ؛ حتى ولّي هشام بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة ، فتنازعا ، فأغلظ عبد الله لزيد ، وقال : يا بن الهندكيّة ، فَتضاحك زيد ، وقال : قد فعلتها يا أبا محمد! ثم ذكر أمّه بشيء.

وذكر المدائنيّ أن عبد الله لما قال ذلك لزيد قال زيد : أجلْ والله ، لقد صبرتْ بعد وفاة سيّدها فما تعتّبتَ بابها إذ لم يصبر غيرُها ، قال : ثم ندم زيد واستحيا من عمته ؛ فلم يدخل عليها زماناً ، فأرسلت إليه : يابن أخي ، إني لأعلم أنّ أمّك عندك كأمّ عبد الله عنده.

وقيل : إن فاطمة أرسلتْ إلى زيد : إن سبّ عبد الله أمَّك فاسببْ أمّه ؛ وأنها قالت لعبد الله : أقلت لأمّ زيد كذا وكذا؟ قال : نعم ، قالت : فبئس والله ما صنعت! أما والله لنعم دخيلة القوم كانت!

فذكر أن خالد بن عبد الملك ، قال لهما: اغْدُوَا علينا غداً ، فلستُ لعبد الملك إن لم أفصل بينكما ، فباتت المدينة تغلي كالمرجل ، يقول قائل: كذا وقائل كذا ، قائل يقول قال زيد كذا ، وقائل يقول: قال عبد الله كذا. فلما كان الغدُ جلس خالد في المجلس في المسجد ، واجتمع الناس ، فمن شامت ومن مهموم ، فدعا بهما خالد ، وهو يحبّ أن يتشاتما ، فذهب عبد الله يتكلم ، فقال زيد: لا تعجَل يا أبا محمد ، أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً؛ ثم أقبل على خالد فقال له: يا خالد؛ لقد جمعتَ ذرّية رسول الله ﷺ لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر؛ قال خالد: أما لهذا السفيه أحدٌ! فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم ، فقال: يا بن أبي تراب وابن حسين السفيه ، ما ترى لوالٍ عليك حقّاً ولا طاعة! فقال زيد: اسكت أيّها القحطانيّ ، فإنا لا نجيب مثلك ، قال: ولمَ ترغب عني! فوالله إني لخير منك ، وأبي خير من أبيك ، وأمّي خير من أمك! فتضاحك زيد ، وقال: يا معشرَ قريش ، هذا الدين قد ذهب ، أفذهبت الأحساب! فوالله إنه ليذهب دينُ القوم وما تذهب أحسابهم.

فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال: كذبت والله أيّها القحطانيّ ، فوالله لهو خير منك نفساً وأباً وأمّاً ومحتداً ، وتناوله بكلام كثير؛ قال القحطانيّ: دعْنا منك يا بن واقد؛ فأخذ ابن واقد كفّاً من حصىً؛ فضرب بها الأرض ، ثم قال له: والله مالنا على هذا صبر ، وقام.

وشخص زيد إلى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له ، فيرفع إليه القصص؛ فكلّما رفع إليه قصّة كتب هشام في أسفلها: ارجع إلى أميرك؛ فيقول زيد: والله لا أرجع إلى خالد أبداً ، وما أسأل مالاً؛ إنما أنا رجل مخاصم؛ ثم أذن له يوماً بعد طول حَبْس.

فذكر عمر بن شبّة ، عن أيوب بن عمر بن أبي عمرو ، قال: حدّثني محمد بن عبد العزيز الزهريّ قال: لما قدم زيد بن عليّ علَى هشام بن عبد الملك أعلمه حاجبُه بمكانه ، فرقِيَ هشام إلى عِلّيّة له طويلة ، ثم أذن له ، وأمر خادماً أن يتبعَه ، وقال: لا يَرينّك ، واسمع ما يقول. قال: فأتعبته الدَّرَجَةَ ـ وكان بادناً ـ فوقف في بعضها ، فقال: والله لا يحبّ الدنيا أحد إلا ذلّ ، فلما صار إلى هشام قضى حوائجه ، ثم مضى نحو الكوفة ، ونسي هشام أن يسأل الخادم حتى مضى

لذلك أيام ، ثم سأله فأخبره ، فألتفت إلى الأبرش ، فقال: والله ليأتينّك خلعُه أوّلَ شيء ، وكان كما قال[(١)] . [٧/ ١٦٣ ـ ١٦٥] .

رجع الحديث إلى حديث هشام بن محمد الكلبيّ عن أبي مخنف ، قال: فجعلت الشيعة تختلف إلى زيد بن عليّ ، وتأمره بالخروج ، ويقولون: إنا لنرجو أن تكون المنصورَ ، وأن يكون هذا الزمان الذي يهلِك فيه بنو أمية. فأقام بالكوفة ، فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه ، فيقال: هو هاهنا ، فيبعث إليه أن اشخص ، فيقول: نعم؛ ويعتلّ له بالوَجع ، فمكث ما شاء الله ، ثم سأل أيضاً عنه فقيل له: هو مقيمٌ بالكوفة بعدُ لم يبرح ، فبعث إليه ، فاستحثّه بالشخوص ، فاعتلّ عليه بأشياء يبتاعُها ، وأخبره أنه في جهازه ، ورأى جدّ يوسف في أمره فتهيَّأ ، ثم شخص حتى أتى القادسيّة ، وقال بعض الناس: أرسل معه رسولاً حتى بلّغه العُذَيب ، فلحقتْه الشّيعة ، فقالوا له: أين تذهب عنّا ومعك مئة ألف رجل من أهل الكوفة ، يضربون دونَك بأسيافهم غداً وليس قبَلك من أهل الشأم إلا عدّة قليلة ، لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحِج أو هَمْدان أو تميم أو بكْر نصبت لهم لكفتكهم بإذن الله تعالى! فننشدك الله لمَّا رجعتَ؛ فلم يزالوا به حتى ردُّوه إلى الكوفة. [٧/ ١٦٦] .

وأما أبو عبيدة ، فذكِر عنه ، أنه قال: صدّق هشامٌ زيداً ومن كان يوسف قرفه بما قرفه به ، ووجَّههم إلى يوسف ، وقال: إنهم قد حلفوا لي ، وقبلتُ أيمانهم وأبرأتُهم من المال ، وإنما وجهتُ بهم إليك لتجمع بينهم وبين خالد فيكذّبُوه ، قال: ووصلهم هشام؛ فلما قدموا على يوسف أنزلهم وأكرمهم ، وبعث إلى خالد فأتِيَ به ، فقال: قد حلف القوم ، وهذا كتاب أمير المؤمنين ببراءتهم ، فهل عندك بيّنة بما ادعيت؟ فلم تكن له بيّنة ، فقال القوم لخالد: ما دعاك إلى ما صنعت؟ قال: غلّظ عليّ العذاب فادّعيت ما ادعيت ، وأمّلْت أن يأتيَ الله بفرج قبل قدومكم ، فأطلقهم يوسف ، فمضى القرشيَّان: الجمحيّ والمخزوميّ إلى المدينة؛ وتخلّف الهاشميَّان: داود بن عليّ وزيد بن عليّ بالكوفة.

وذكر عن أبي عبيدة ، أنه قال: اتّبعوه إلى الثعلبيّة وقالوا له: نحن أربعون

---

(١) في إسناده محمد بن عبد العزيز الزهري وهو منكر الحديث.

ألفاً ، إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلّف عنك أحدٌ ، وأعطوُه المواثِيق والأيمان المغلَّظة ، فجعل يقول : إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدّي . فيحلفون له ، فيقول داود بن عليّ : يابن عمّ ، إن هؤلاء يغرّونَك من نفسك! أليس قد خذلوا مَن كان أعزّ عليهم منك؛ جدّك عليّ بن أبي طالب حتى قتل! والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه ، وانتهبوا فُسطاطه ، وجرَحوه! أوَليس قد أخرجوا جدّك الحسين ، وحلَفوا له بأوْكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ، ثم لم يرضْوا بذلك حتى قتلوه! فلا تفعلْ ولا ترجع معهم ، فقالوا : إن هذا لا يريد أن تظهر أنتَ ، ويزعم أنه وأهل بيته أحقّ بهذا الأمر منكم ، فقال : زيد لداود : إن عليّاً كان يقاتله معاوية بدهائه ونكرائه بأهل الشأم ، وإنّ الحسين قاتله يزيد بن معاوية والأمر عليهم مقبل؛ فقال له داود : إني لخائف إن رجعتَ معهم ألاّ يكون أحد أشدَّ عليك منهم؛ وأنت أعلم ، ومضى داود إلى المدينة ورجع زيد إلى الكوفة[٧/ ١٦٧ ـ ١٦٨] .

وذكر عمر عن أبي إسحاق ـ شيخٌ من أهل أصبهان حدّثه ـ أن عبد الله بن حسن كتب إلى زيد بن عليّ : يا بن عمّ؛ إن أهلَ الكوفة نُفخ العلانية ، خور السريرة ، هُوج في الرخاء ، جُزُع في اللقاء ، تقدمهم ألسنتهم ، ولا تشايعهم قلوبُهم ، لا يبيتون بعُدّة في الأحداث ، ولا ينوؤن بدولة مرجوّة ، ولقد تواترت إليّ كتبهم بدعوتهم ، فصمّمْت عن ندائهم؛ وألبست قلبي غشاءً عن ذكرهم؛ يأساً منهم واطراحاً لهم؛ وما لي مَثَل إلا ما قال عليّ بن أبي طالب :

إن أهمِلتم خضتم ، وإن حُوربتم خُرْتم ، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم ، وإن أجبتم إلى مشاقّة نكصتم . [٧/ ١٦٩] .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة نصر بن سيّار ما وراء النهر

وفي هذه السنة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرّتين ، ثم غزا الثالثة ، فقتل كورصُول .

ذكر الخبر عن غزواته هذه :

ذكرَ عليّ عن شيوخه : أن نصراً غزا من بَلْخ ما وراء النهر من ناحية باب

الحديد؛ ثم قفل إلى مَرْو ، فخطب الناس ، فقال: ألا إن بهرامسيس كان مانحَ المجوس ، يمنحهم ويدفع عنهم ، ويحمل أثقالهم على المسلمين؛ ألا إن اشبداد بن جريجور كان مانح النصارى؛ ألا إن عقيبة اليهوديّ كان مانح اليهود يفعل ذلك ، ألا إني مانح المسلمين ، أمنحهم وأدفع عنهم ، وأحمل أثقالهم على المشركين؛ ألا إنه لا يُقبل مني إلا يُوَفّى الخراج على ما كتِب ورفع. وقد استعملتُ عليكم منصور بن عمر بن أبي الخَرْقاء ، وأمرتُه بالعدل عليكم ، فأيما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه ، أو ثُقِّل عليه في خراجه ، وخفف مثل ذلك عن المشركين ، فليرفع ذلك إلى المنصور بن عمر ، يحوّله عن المسلم إلى المشرك. قال: فما كانت الجمعة الثانية؛ حتى أتاه ثلاثون ألف مُسلِم ، كانوا يؤدُّون الجزية عن رؤوسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد ألقيِت عنهم جزيتهم ، فحوّل ذلك عليهم ، وألقاه عن المسلمين. ثم صنّف الخراج حتى وضعه مواضعه ، ثم وظّف الوظيفة التي جَرى عليها الصُّلح. قال: فكانت مَرْو يؤخذ منها مئة ألف سوى الخراج أيام بنى أميّة ، ثم غزا الثانية إلى وَرَغْرَ وسمرقند ثم قفل ، ثم غزا الثالثة إلى الشاش من مَرْو ، فحال بينه وبين قطوع النهر (نهر الشاش) كورصول في خمسة عشر ألفاً ، استأجر كلّ رجل منهم في كلّ شهر بشِقّة حرير؛ الشقّة يومئذ بخمسة وعشرين درهماً ، فكانت بينهم مراماة ، فمنع نصراً من القطوع إلى الشاش ، وكان الحارث بن سُريج يومئذ بأرض الترك ، فأقبل معهم؛ فكان بإزاء نصر ، فرمى نصراً؛ وهو على سريره على شاطىء النهر بِحُسبان[1] ، فوقع السهم في شِدْق وصيف لنصر يوضّئه ، فتحوّل نصر عن سريره ، ورمى فرساً لرجل من أهل الشأم فنفق ، وعبر كورصول في أربعين رجلاً ، فبيّت أهل العسكر ، وساق شاء لأهل بُخارى ، وكانوا في الساقة ، وأطاف بالعسكر في ليلة مظلمة؛ ومع نصر أهل بخارى وسمرقند وكِسّ وأشْرُوسنة ، وهم عشرون ألفاً ، فنادى نصر في الأخماس: ألا لا يخرجنّ أحدٌ من بنائه ، واثبتوا على مواضعكم ، فخرج عاصم بن عمير وهو على جُنْد أهل سَمرقند ، حتي مرّت خيل كورصول ، وقد كانت الترك صاحتْ صيحة ، فظنّ أهلُ العسكر أنّ الترك قد قطِعوا كلُّهم ، فلما مرّت خيل كورصول على ذلك حمل

---

(١) الحسبان: السهام الصغار. القاموس المحيط ص ٩٥.

على آخرهم ، فأسر رجلاً؛ فإذا هو مَلِك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبّة ، فجاؤوا به إلى نصر ، فإذا هو شيخ يسحب درعَه شِبْراً ، وعليه رانا ديباج فيهما حلَقٌ ، وقباء فرند مُكفّف بالدّيباج ، فقال له نصر: من أنت؟ قال: كورصول ، فقال نصر: الحمد لله الذي أمكن منك يا عدّو الله! قال: فما ترجو من قَتْل شيخ. وأنا أعطيك ألف بعير من إبل الترك ، وألف برْذون تقوّي بها جندك ، وخلّ سبيلي! فقال نصر لمن حوله من أهل الشأم وأهل خراسان: ما تقولون؟ فقالوا: خلّ سبيله ، فسأله عن سنّه ، قال: لا أدري ، قال: كم غزوت؟ قال: اثنتين وسبعين غزوة ، قال: أشهدتَ يوم العَطَش؟ قال: نعم ، قال: لو أعطيتني ما طلعتْ عليه الشمس ما أفلتَّ من يدي بعدما ذكرت من مشاهدك. وقال لعاصم بن عمير السغديّ: قم إلى سَلبِه فخذه؛ فلما أيقن بالقتل ، قال: مَنْ أسرني؟ قال نصر وهو يضحك: يزيد بن قُرّان الحنظليّ ـ وأشار إليه ـ قال: هذا لا يستطيع أن يغسل استَه ـ أو قال لا يستطيع أن يتمّ بوله ـ فكيف يأسرني! فأخبِرْني مَنْ أسرني؛ فإني أهلٌ أن أقتَل سبع قتلات ، قيل له: عاصم بن عمير ، قال: لستُ أجد مسَّ القتل إذ كان الذي أسرني فارساً من فرسان العرب ، فقتله وصلبَه على شاطىء النهر ، قال: وعاصم بن عمير هو الهزارمرد ، قتِل بنهاوند أيامَ قحطبة.

قال: فلما قتِل كورصول تخدّرت الترك وجاؤوا بأبنيتِه فحرقوها ، وقطعوا آذانهم ، وجرّدوا وجوهَهم ، وطفِقوا يبكون عليه؛ فلما أمسى نصر وأراد الرحلة ، بعث إلى كورصول بقارورة نِفط ، فصبّها عليه ، وأشعل فيه النار لئلا يحملوا عظامه ، قال: وكان ذلك أشدّ عليهم من قتله.

وارتفع نصر إلى فَرْغانة ، فسبى منها ثلاثين ألف رأس ، قال: فقال عنبر بن بُرْعُمَة الأزدي: كتب يوسف بن عمر إلى نصر: سرْ إلى هذا الغارز ذنبه بالشاش ـ يعني الحارث بن سُريج ـ فإن أظفرك الله به وبأهل الشاش ، فخرّب بلادهم ، واسب ذراريّهم؛ وإياك وورْطة المسلمين.

قال: فدعا نصرٌ الناس ، فقرأ عليهم الكتاب ، وقال: ما ترون؟ فقال يحيى بن حُضَين: امض لأمر أمير المؤمنين وأمر الأمير ، فقال نصر: يا يحيى ، تكلمتَ لياليَ عاصم بكلمة ، فبلغت الخليفة فحظيتَ بها ، وزيد في عطائك ،

وفرِض لأهل بيتك ، وبلغتَ الدّرجة الرفيعة ، فقلتَ : أقول مثلَها ، سرْ يا يحيى ، فقد ولّيتُك مقدّمتي ، فأقبل الناس على يحيى يلومونه ، فقال نصر يومئذ : وأيّ ورطة أشدّ من أن تكون في السفر وهم في القرار! .

قال : فسار إلى الشاش ، فأتاه الحارث بن سُريج فنصب عرّادتين[1] تلقاء بني تميم؛ فقيل له : هؤلاء بنو تميم ، فنقلهما فنصبهما على الأزْد ـ ويقال : على بكر بن وائل ـ وأغار عليهم الأخرم ، وهو فارس الترك ، فقتله المسلمون ، وأسروا سبعة من أصحابه ، فأمر نصر بن سيار برأس الأخرم ، فرمى به في عسكرهم بمنجَنيق ، فلما رأوه ضجوا ضجة عظيمة ، ثم ارتحلوا منهزمين ، ورجع نصر ، وأراد أن يعبُر ، فحِيل بينه وبين ذلك ، فقال أبو نميلة صالح بن الأبّار :

كنا وأَوْبَةُ نصر عندَ غيبته ... كراقِبِ النَّوْءِ حتى جاده المطَرُ
أوْدَى بأخرَم منه عارضٌ بَرِدٌ ... مُسْتَرْجِفٌ بمنايا القوم مُنْهَمِرُ

وأقبل نصر فنزل سَمَرْقند في السنة التي لقي فيها الحارث بن سريج ، فأتاه بخاراخُذاه منصرفاً؛ وكانت المسلحة عليهم ، ومعهم دهقانان من دهاقين بُخارى ، وكانا أسلما على يدي نصر ، وقد أجمعا على الفَتْك بواصل بن عمرو القيسي عامل بُخارى وببخاراخُذاه يتظلّمان من بخاراخذاه ، ـ واسمه طوق شياده ـ فقال بخاراخذاه لنصر : أصلح الله الأمير! قد علمت أنهما قد أسلما على يديك ، فما بالهما معلِّقي الخناجر عليهما! فقال لهما نصر : ما بالكما معلِّقي الخناجر وقد أسلمتما! قال : بيننا وبين بخاراخذاه عَدَاوَةٌ فلا نأمنه على أنفسنا ، فأمر نصر هارون بن السياوش مولَى بني سليم ـ وكان يكون على الرابطة ـ فاجتذبهما فقطعهما ، ونهض بخاراخذاه إلى نصر يسارّه في أمرهما ، فقالا : نموت كريميْن؛ فشدّ أحدهما على واصل بن عمرو فطعنه في بطنه بسكين ، وضربه واصل بسيفه على رأسه؛ فأطار قَحْف رأسه فقتله ، ومضى الآخر إلى بخاراخُذاه ـ وأقيمت الصّلاة ، وبخاراخُذاه جالس على كرسيّ ـ فوثب نصر ، فدخل السرادق ، وأحضر بخاراخُذاه ، فعثر عند باب السرادق فطعَنه ، وشدّ عليه

---

(١) العرادة : شبه المنجنيق ، صغيرة . القاموس المحيط ص ٣٨١ .

الجوزجان بن الجوزجان ، فضربه بجرُز كان معه فقتله ، وحُمل بخاراخُذاه فأدخل سرادق نصر ، ودعا له نصر بوسادة فاتّكأ عليها ، وأتاه قرعة الطبيب ، فجعل يعالجه وأوصى إلى نصر ، ومات من ساعته ، ودفن واصل في السرادق ، وصلى عليه نصر. وأما طوْق شياده فكشطوا عنه لَحمه ، وحملوا عظامه إلى بخارى.

قال: وسار نصر إلى الشّاش ، فلما قدم أشروسنَة عَرض دهقانها أباراخرّه مالاً ، ثم نفذ إلى الشاش ، واستعمل على فَرْغانة محمد بن خالد الأزديّ ، وجّهه إليها في عشرة نفر ، وردّ من فَرْغانة أخاجيش فيمن كان معه من دهاقين الخُتَّل وغيرهم ، وانصرف منها بتماثيل كثيرة ، فنصبها في أشروسنة.

وقال بعضهم: لما أتى نصر الشاش تلقّاه قدر ملكها بالصُّلح والهدّية والرّهن ، واشترط عليه إخراجَ الحارث بن سُريج من بلده ، فأخرجه إلى فاراب؛ واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص ، ثم سار حتى نزل قُبَاء من أرض فرغانة ، وقد كانوا أحسوا بمجيئه ، فأحرقوا الحشِيش وحبسوا الميرة ، ووجّه نصر إلى وليّ عهد صاحب فرغانة في بقية سنة إحدى وعشرين ومئة ، فحاصروه في قلعة من قلاعها ، فغفل عنهم المسلمون ، فخرجوا على دوابّهم فاستاقوها ، وأسروا ناساً من المسلمين ، فوجّه إليهم نصر رجالاً من بني تميم ، ومعهم محمد بن المثنى ـ وكان فارساً ـ فكايدهم المسلمون ، فأهملوا دوابّهم وكمنوا لهم ، فخرجوا فاستاقوا بعضَها ، وخرج عليهم المسلمون فهزموهم ، وقتلوا الدِّهقان ، وأسروا منهم أسراء ، وحمل ابن الدهقان المقتول على ابن المثنى ، فختله محمد بن المثنّى ، وهو غلام أمرد ، فأتى به نصراً فضرب عنقه.

وكان نصر بعث سليمان بن صول إلى صاحب فَرْغانة بكتاب الصلح بينهما ، قال سليمان: فقدمتُ عليه فقال لي: مَنْ أنت؟ قلت: شاكريٌّ خليفةُ كاتب الأمير ، قال: فقال: أدخلوه الخزائن ليرى ما أعددنا ، فقيل له: قم ، قال: قلت ليس بي مَشْي ، قال: قدّموا له دابة يركبها ، قال: فدخلت خزائنَه ، فقلت في نفسي: يا سليمان ، شمِت بك إسرايل وبشر بن عُبَيد؛ ليس هذا إلاّ لكراهة الصلح ، وسأنصرف بخُفَّيْ حُنَيْن. قال: فرجعت إليه ، فقال: كيف رأيت

الطريق فيما بيننا وبينكم؟ قلت: سهلاً كثير الماء والمرعى؛ فكره ما قلت له، فقال: ما علمك؟ فقلت: قد غزوت غُرْشِسْتان وغُور والختل وطَبَرِستان، فكيف لا أعلم! قال: فكيف رأيتَ ما أعددنا؟ قلت: رأيت عُدّة حسنة؛ ولكن أما علمت أن صاحب الحصار لا يسلم من خصال! قال: وما هُنّ؟ قلت: لا يأمن أقربَ الناس إليه وأحبَّهم إليه وأوثقَهم في نفسه أن يثب به يطلب مرتبته، ويتقرّب بذلك، أو يفني ما قد جمع، فيسلم برُمَّته، أو يصيبه داء فيموت فقطّب وكره ما قلت له وقال: انصرف إلى منزلك، فانصرفت فأقمت يومين، وأنا لا أشكّ في تركه الصلح، فدعاني فحملتُ كتاب الصّلح مع غلامي، وقلت له: إن أتاك رسولي يطلب الكتاب فانصرف إلى المنزل، ولا تظهر الكتاب، وقل لي: إني خلفتُ الكتاب في المنزل، فدخلت عليه، فسألني عن الكتاب، فقلت: خلّفتُه في المنزل، فقال: ابعث مَنْ يجيئك به، فقبل الصُّلح، وأحسن جائزتي، وسرّح معي أمّه، وكان صاحبة أمره.

قال: فقدمتُ على نصْر؛ فلما نظر إليّ قال: ما مثلك إلا كما قال الأوّل:

فـــأرْسِـــل حكيمـــاً ولا تُـــوصِـــهِ[1]

فأخبرته، فقال: وُفِّقت، وأذن لأمه عليه، وجعل يكلمها والترجمان يعبّر عنها، فدخل تميم بن نصر، فقال للترجمان: قل لها: تعرفين هذا؟ فقالت: لا، فقال: هذا تميم بن نصر، فقالت: والله ما أرى له حلاوة الصّغِير، ولا نُبْل الكبير.

قال أبو إسحاق بن ربيعة: قالت لنصر: كل مَلِك لا يكون عنده ستة أشياء فليس بملِك: وزير يبانُّه بكتاب نفسه وما شجر في صدره من الكلام، ويشاوره ويثق بنصيحته، وطباخ إذا لم يشتهِ الطعام اتخذ له ما يشتهي، وزوجة إذا دخل عليها مغتمّاً فنظر إلى وجهها زال غمّه، وحصن إذا فزع أو جُهد فزع إليه فأنجاه ـ تعني البرذون ـ وسيف إذا قارع الأقران لم يخش خيانتَه، وذخيرة إذا حملها فأين وقع بها من الأرض عاش بها.

---

(١) الأغاني ٦: ٨٢، وصدره * إذا كنت في حاجة مرسلاً *.

ثم دخل تميم بن نصر في الأزفلة[1] وجماعة ، فقالت : من هذا؟ قالوا : هذا فتى خراسان ، هذا تميم بن نصر ، قالت : ماله نُبُل الكبار ولا حلاوة الصغار.

ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت : مَنْ هذا؟ فقالوا : الحجاج بن قتيبة ، قال : فحيّتْه ، وسألت عنه؛ وقالت : يا معشر العرب ، مالكم وفاء؛ لا يصلح بعضكم لبعض ، قتيبة الذي وطّن لكم ما أرى ، وهذا ابنه تُقعده دونك! فحقك أن تجلسه هذا المجلس وتجلس أنت مجلسَه. [٧/ ١٧٣ ـ ١٧٨].

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من أحداث

خبر مقتل زيد بن عليّ

فمن ذلك مقتل زيد بن عليّ.

ذكر الخبر عن ذلك :

ذكرَ هشام عن أبي مخنف ، أنّ زيد بن عليّ لما أمرَ أصحابه بالتأهّب للخروج والاستعداد ، أخذ مَن كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك ، فانطلق سليمان بن سُراقة البارقيّ إلى يوسف بن عمر ، فأخبره خبره ، وأعلمه أنه يختلف إلى رجل منهم يقال له عامر ، وإلى رجل من بني تميم يقال له طُعْمَة؛ ابن أختٍ لبارق؛ وهو نازل فيهم ، فبعث يوسف يطلب زيد بن عليّ في منزلهما فلم يوجد عندهما ، وأخِذ الرّجلان ، فأتيَ بهما ، فلما كلَّمهما استبان له أمرُ زيد وأصحابه ، وتخوّف زيد بن عليّ أن يُؤخذ ، فتعجّل قبل الأجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة ، قال : وعلى أهل الكوفة يومئذ الحكَم بن الصلْت ، وعلى شُرَطه عمرو بن عبد الرحمن ، (رجل من القارة)؛ وكانت ثقيف أخواله؛ وكان فيهم ومعه عبيد الله بن العباس الكنديّ ، في أناس من أهل الشأم ، ويوسف بن عمر بالحيرة ، قال : فلما رأى أصحابُ زيد بن عليّ الذين بايعوه أنّ يوسف بن عمر قد

(١) الأزفلة : الجماعة من الناس ، القاموس المحيط ص ١٣٠٥.

بلغه أمر زيد ، وأنه يدسّ إليه ، ويستبحث عن أمره ، اجتمعت إليه جماعة من رؤوسهم ، فقالوا: رحمَك الله! ما قولك ، في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعتُ أحداً من أهل بيتي يتبرّأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً ، قالوا: فلم تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت إلاّ أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم! فقال لهم زيد: إن أشدّ ما أقول فيما ذكرتم أنّا كنا أحقّ بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين ، وإنّ القوم استأثروا علينا ، ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً ، قد وُلّوا فعَدَلوا في الناس ، وعملوا بالكتاب والسنة. قالوا: فلم يظلمك هؤلاء! وإن كان أولئك لم يظلموك ، فلمَ تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين! فقال: وإنّ هؤلاء ليسوا كأولئك؛ إنّ هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم؛ وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وإلى السنن أن تُحيا ، وإلى البِدَع أن تُطفأ؛ فإن أنتم أجبتمونا سعِدتم ، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل ، ففارقوه ونكثوا بيعتَه ، وقالوا: سبق الإمام ـ وكانوا يزعمون أنّ أبا جعفر محمد بن عليّ أخا زيد بن عليّ هو الإمام ـ وكان قد هلك يومئذ ـ وكان ابنه جعفر بن محمد حياً ، فقالوا: جعفر إمامنا اليومَ بعد أبيه؛ وهو أحق بالأمر بعد أبيه؛ ولا نتبَع زيد بن عليّ فليس بإمام. فسمّاهم زيد الرّافضة ، فهم اليوم يزعمون أن الذي سماهم الرافضة المغيرة[(١)] حيث فارقوه ، وكانت منهم طائفة قبل خروج زيد مرّوا إلى جعفر بن محمد بن عليّ ، فقالوا له: إن زيد بن عليّ فينا يبايع؛ أفترى لنا أن نبايعه؟ فقال لهم: نعم بايعوه ، فهو والله أفضلُنا وسيدنا وخيرُنا فجاؤوا ، فكتموا ما أمرهم به.

قال: واستتبّ لزيد بن عليّ خروجه ، فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومئة.

وبلغ يوسفَ بن عمر أنّ زيداً قد أزمع على الخروج ، فبعث إلى الحكَم بن الصلت ، فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرُهم فيه ، فبعث الحكم إلى العُرَفاء والشُّرط والمناكب[(٢)] والمقاتلة ، فأدخلهم المسجد ، ثم نادى مناديه: ألا إنّ الأمير يقول: مَنْ أدركناه في رحلة فقد برئت منه الذّمّة؛ ادخلوا

(١) هو المغيرة بن سعيد العجلي ، وانظر ص ١٢٨ ، ١٢٩.
(٢) المناكب: قوم دون العرفاء ، وفي حديث النخعي: كان يتوسط العرفاء والمناكب.

المسجد الأعظم ، فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم ، وطلبوا زيداً في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري ، فخرج ليلاً ، وذلك ليلة الأربعاء ، في ليلة شديدة البرد ، من دار معاوية بن إسحاق ، فرفعوا الهراديّ[1] فيها النيران ونادوا: يا منصور أمتْ ، أمتْ يا منصور ، فكلما أكلت النار هُرْديّاً رفعوا آخر ، فما زالوا كذلك حتى طلع الفجر؛ فلما أصبحوا بعث زيد بن عليّ القاسم التِّنْعيّ ثم الحضرميّ ورجلاً آخر من أصحابه ، يناديان بشعارهما ، فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكِنديّ ، فشدُّوا عليه وعلى أصحابه ، فقتِل الرجل الذي كان مع القاسم التِّنعيّ ، وارتُثّ القاسم ، فأتِيَ به الحكم ، فكلمه فلم يردّ عليه شيئاً ، فأمر به فضربتْ عُنُقه على باب القصر؛ فكان أوّل مَنْ قتِل من أصحاب زيد بن عليّ هو وصاحبه ، وأمر الحكم بن الصلت بدروب[2] السوق فغلقت ، وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة ، وعلى أرباع الكوفة يومئذ؛ على رُبْع أهل المدينة إبراهيم بن عبد الله بن جرير البجليّ ، وعلى مَذْحج وأسد عمرو بن أبي بذْل العبديّ ، وعلى كِنْدة وربيعة المنذر بن محمد بن أشعث بن قيس الكنديّ ، وعلى تميم همْدان محمد بن مالك الهمْدانيّ ثم الخَيْوانيّ.

قال: وبعث الحكم بن الصّلت إلى يوسف بن عمر ، فأخبره الخبر ، فأمر يوسف مناديه فنادى في أهل الشأم: مَنْ يأتي الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتيني بخبَرهم؟ فقال جعفر بن العباس الكنديّ: أنا ، فركب في خمسين فارساً ، ثم أقبل حتى انتهى إلى جبّانة سالم السَّلوليّ ، فاستخبرهم ، ثم رجع إلى يوسف بن عمر فأخبره ، فلما أصبح خرج إلى تلّ قريب من الحيرة ، فنزل عليه ومعه قريش وأشراف الناس؛ وعلى شُرْطته يومئذ العباس بن سعيد المُزَنيّ ، فبعث الرّيان بن سلَمة الإراشيّ في ألفين ومعه ثلثمئة من القِيقانيّة رُجّالاً معهم النُّشاب.

وأصبح زيد بن عليّ ، فكان جميعُ مَنْ وافاه تلك الليلة مئتي رجل وثمانية

---

(١) في اللسان: «الهردية: قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم تحمل عليها قضبانه». اللسان (٣/ ٤٣٦).

(٢) الدرب: الباب الأكبر. القاموس المحيط ص ١٠٦.

عشر رجلاً ، فقال زيد: سبحان الله! أين الناس! فقيل له: هم في المسجد الأعظم محصورون ، فقال: لا والله ما هذا لمن بايَعنا بعذر ، وسمع نصر بن خزيمة النداء ، فأقبل إليه ، فلقي عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصّلت في خيله من جُهينة عند دار الزّبير بن أبي حكمة في الطريق الذي يخرج إلى مسجد بني عدّي ، فقال نصر بن خزيمة ، يا منصور أمتْ؛ فلم يردّ عليه شيئاً ، فشدّ عليه نصر وأصحابه ، فقتل عمر بن عبد الرحمن ، وانهزم مَن كان معه ، وأقبل زيد بن عليّ من جبّانة سالم حتى انتهى إلى جبّانة الصائديّين ، وبها خمسمئة من أهل الشأم ، فحمل عليهم زيد بن عليّ فيمن معه فهزمهم ، وكان تحت زيد بن عليّ يومئذ بِرْذَوْن أدْهَم بهيم؛ اشتراه رجل من بني نَهْد بن كهمس بن مروان النجّارِيّ بخمسة وعشرين ديناراً ، فلما قتِل زيد بعد ذلك أخذه الحكم بن الصّلت.

قال: وانتهى زيد بن عليّ إلى باب دار رجل من الأزْد ، يقال له أنس بن عمرو ـ وكان فيمن بايعه ـ فنودي وهو في الدار فجعل يجيب ، فناداه زيد يا أنَس: اخرج إليّ رحمك الله ، فقد جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً ، فلم يخرج إليه ، فقال زيد: ما أخلفكم! قد فعلتموها ، الله حسيبكم!

قال: ثم إنّ زيداً مضى حتى انتهى الكُناسة ، فحمل على جماعة بها من أهل الشأم فهزمهم؛ ثم خرج حتى ظهر إلى الجبّانة ويوسف بن عمر على التلّ ينظر إليه هو وأصحابه ، وبين يديه حِزام بن مرة المزنيّ وزمزم بن سُلَيم الثعلبيّ؛ وهما على المجفّفة ، ومعه نحو من مئتي رجل؛ والله لو أقبل على يوسف لقتله ، والريّان بن سلَمة يتّبع أثر زيد بن عليّ بالكوفة في أهل الشأم.

ثم إن زيداً أخذ ذات اليمين على مصلّى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة ، وكانت فرقة من أصحاب زيد بن عليّ حيث وجّه إلى الكُناسة قد انشعبتْ نحو جبّانة مِخْنف بن سُلَيم ، ثم قال بعضهم لبعض: ألا ننطلق نحو جَبانةِ كنْدة! قال: فما زاد الرّجل على أن تكلم بهذا الكلام. وطلع أهلُ الشأم؛ فلما رأوهم دخلوا زُقاقاً فمضَوْا فيه ، وتخلّف رجل منهم ، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم خرج إليهم فقاتلهم ساعة ، ثم إنهم صرَعُوه ، فجعلوا يضربونه بأسيافهم؛ فنادى رجل منهم مقنّع بالحديد: أن اكشفوا المِغفر ثم اضربوا رأسه بعمود حديد؛ ففعلوا؛ وقتِل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل ، وانصرف أهل

الشأم؛ وقد اقتطعوا رجلاً ، ونجا سائرهم ، فذهب ذلك الرّجل حتى دخل دار عبد الله بن عَوْف ، فدخل أهل الشأم عليه فأسروه ، فذهب به إلى يوسف بن عمر فقتله .

قال: وأقبل زيد بن عليّ ، وقد رأى خِذلان الناس إيّاه ، فقال: يا نصر بن خزيمة ، أتخاف أن يكون قد جعلوها حسينيّة! فقال له: جعلني الله لك الفداء! أما أنا فوالله لأضربنّ معك بسيفي هذا حتى أموت؛ فكان قتاله يومئذ بالكوفة. ثم إن نصر بن خزيمة قال لزيد بن عليّ: جعلني الله لك الفداء! إنّ الناس في المسجد الأعظم محصورون ، فامض بنا نحوهم ، فخرج بهم زيد نحو المسجد ، فمرّ على دار خالد بن عَرْفطة ، وبلغ عبيدَ الله بن العباس الكنديّ إقبالُه ، فخرج في أهل الشأم ، وأقبل زيد فالتقوْا على باب عمر بن سعد بن أبي وقّاص ، فكعّ[1] صاحب لواء عبيد الله ـ وكان لواؤه مع سلمان مولاه ـ فلما أراد عبيد الله الحملة ورآه قد كعّ عنه ، قال: احمل يا بن الخبيثة! فحمل عليهم ، فلم ينصرف حتى خُضِّب لواؤه بالدّم .

ثم إن عبيد الله برز فخرج إليه واصل الحنّاط ، فاضطربا بسيفهما ، فقال للأحول: خذها منّي وأنا الغلام الحنّاط! وقال الآخر: قطع الله يدي إن كِلْتَ بقفيزٍ أبداً. ثم ضربه فلم يصنع شيئاً ، وانهزم عبيد الله بن العباس وأصحابُه ، حتى انتهوْا إلى دار عمرو بن حُرَيث ، وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوْا إلى باب الفيل ، فجعل أصحابُ زيد يُدخلون راياتِهم من فوق الأبواب ، ويقولون: يا أهلَ المسجد ، اخرجوا ، وجعل نصر بن خُزَيمة يناديهم ، ويقول: يا أهل الكوفة ، اخرجوا من الذلّ إلى العزّ ، اخرجوا إلى الدين والدنيا؛ فإنكم لستم في دين ولا دنيا ، فأشرف عليهم أهلُ الشام ، فجعلوا يرمُونهم بالحجارة من فوق المسجد ـ وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة في نواحيها ، وقيل في جبّانة سالم ـ وانصرف الريّان بن سلَمة إلى الحيرة عند المساء ، وانصرف زيد بن عليّ فيمن معه ، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة ، فنزل دار الرزق ، فأتاه الريّان بن سلمة ، فقاتله عند دار الرزق قتالاً شديداً ، فجرح من أهل الشأم وقتِل منهم ناس كثير ،

(١) كع: جبن وضعف. القاموس المحيط ص ٩٨١ .

وتبعهم أصحاب زيد من دار الرّزق؛ حتى انتهوْا إلى المسجد؛ فرجع أهلُ الشأم مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء ظنّاً؛ فلما كان من الغد غداة يوم الخميس، دعا يوسف بن عمر الريّان بن سَلمة، فلم يوجَد حاضراً تلك الساعة.

وقال بعضُهم: بل أتاه وليس عليه سلاحه فأفّفَ به، وقال له: أفٍّ لك من صاحب خيل! اجلس، فدعا العباس بن سعيد المُزنيّ صاحب شرطته، فبعثه في أهل الشأم، فسار حتى انتهى إلى زيد بن عليّ في دار الرزق، وثَمّ خشب للتجار كثير، فالطريق متضايق، وخرج زيد في أصحابه، وعلى مجنَّبتيه نصر بن خزيمة العبسيّ ومعاوية بن إسحاق الأنصاريّ، فلما رآهم العباس ـ ولم يكن معه رجال ـ نادى: يا أهلَ الشأم، الأرضَ والأرضَ! فنزل ناسٌ كثير ممن معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة، وقد كان رجل من أهل الشأم من بني عَبْس يقال له نائل بن فَرْوة قال ليوسف بن عمر: والله لئن أنا ملأتُ عيني من نصر بن خزيمة لأقتلنّه أو ليقتلنّي، فقال له يوسف: خذ هذا السيف، فدفع إليه سيفاً لا يمرّ بشيء إلا قطعه، فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيد واقتتلوا، بصُر نائل بن فروة بنصر بن خزيمة، فأقبل نحوه، فضرب نصراً فقطع فَخِذه، وضربه نصر ضربةً فقتله؛ فلم يلبث نصر أن مات، واقتتلوا قتالاً شديداً.

ثم إن زيد بن عليّ هزمهم وقتل من أهل الشأم نحواً من سبعين رجلاً، فانصرفوا وهم بشرّ حال، وقد كان العباس بن سعيد نادى في أصحابه أن اركبوا؛ فإن الخيل لا تطيق الرجال في المضِيق فركبوا، فلما كان العشيّ عبّأهم يوسف بن عمر ثم سرّحهم، فأقبلوا حتى التقوْا هم وأصحاب زيد، فحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم، ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السَّبَخة، ثم شدّ عليهم بالسبَخة حتى أخرجهم إلى بني سُليم، ثم تبعهم في خيله ورجاله: حتى أخذوا على المسنّاة[1].

ثم إنّ زيداً ظهر لهم فيما بين بارق ورُؤَاس، فقاتلهم هنالك قتالاً شديداً.

وصاحب لوائه يومئذ رجل يقال له عبد الصمد بن أبي مالك بن مسروح، من بني سعد بن زيد، حليف العباس بن عبد المطلب، وكان مسروح السعديّ تزوّج

---

(١) المسناة: ضفيرة تبنى للسيل لترد الماء. القاموس المحيط ص ١٦٧٢.

صفية بنت العباس بن عبد المطلب ، فجعلت خيلُهم لا تثبُت لخيله ورجله ، فبعث العباس إلى يوسف بن عمر يعلمه ذلك ، فقال له: ابعث إليّ الناشبة ، فبعث إليهم سليمان بن كيسان الكلبيّ في القِيقانيّة والبُخاريّة؛ وهم ناشبة ، فجعلوا يرمون زيداً وأصحابه ، وكان زيد حريصاً على أن يصرفهم حين انتهوا إلى السَّبَخة ، فأبوْا عليه ، فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاريّ بين يدي زيد بن عليّ قتالاً شديداً ، فقتل بين يديه ، وثبت زيد بن عليّ ومَنْ معه حتى إذا جنح الليل رُمِيَ بسهم فأصاب جانب جَبهته اليسرى ، فتشبّث في الدّماغ ، فرجع ورجع أصحابه؛ ولا يظنُّ أهلُ الشأم أنهم رجعوا إلا للمساء والليل.

قال: فحدّثني سلمة بن ثابت الليثيّ ـ وكان مع زيد بن عليّ ، وكان آخر من انصرف من الناس يومئذ ، هو وغلام لمعاوية بن إسحاق ـ قال: أقبلتُ أنا وصاحبي نقصُّ أثر زيد بن عليّ ، فنجدهُ قد أنزل؛ وأدخل بيت حَرّان بن كريمة (مولى لبعض العرب في سكّة البريد في دُور أرْحَب وشاكر). قال سلمة بن ثابت: فدخلت عليه ، فقلت له: جعلني الله فداك أبا الحسين! وانطلق أصحابهُ فجاؤوا بطبيب يقال له شُقَير (مولىً لبني رُؤاس) فانتزع النَّصل من جبهته ، وأنا أنظر إليه ، فوالله ما عدا أن انتزعه جعل يصيح ، ثم لم يلبث أن قضى؛ فقال القوم: أين ندفُنه ، وأين نواريه؟ فقال بعض أصحابه: نلبّسه درعَه ونطرحُه في الماء ، وقال بعضهم: بل نحتزّ رأسَه ونضعه بين القتلى ، فقال ابنه يحيى: لا والله لا تأكل لحم أبي الكلاب. وقال بعضهم: لا بل نحمله إلى العباسيّة فندفنه.

قال سلمة: فأشرتُ عليهم أن ننطلق به إلى الحُفْرة التي يؤخذ منها الطين فندفنه فيها ، فقبلوا رأيي وانطلقنا ، وحفرنا له بين حُفرتَين ، وفيه حينئذ ماء كثير؛ حتى إذا نحن أمكنّا له دفناه ، وأجرينا عليه الماء ، وكان معنا عبد له سنديٌّ ، قال: ثم انصرفنا حتى نأتي جبّانة السبيع ، ومعنا ابنه ، فلم نزل بها ، وتصدّع الناس عنا ، وبقيت في رهط معه لا يكونون عشرة ، فقلت له: أين تريد؟ هذا الصبح قد غشيك ـ ومعه أبو الصَّبّار العبديّ ـ قال: فقال: النّهرين ، فظننتُ أنه يريد أن يتشطّط الفرات ويقاتلهم ـ فقلتُ له: لا تبرح مكانَك ، تقاتلهم حتى تُقتل ، أو يقضي الله ما هو قاض. فقال لي: أنا أريد نهرَيْ كربلاء.

فقلت له: فالنّجاء قبل الصبح ، فخرج من الكوفة ، وأنا معه وأبو الصبّار

ورهط معنا ، فلمّا خرجنا من الكوفة سمعنا أذان المؤذّنين ، فصلينا الغَداة بالنُّخيلة ، ثم توجَّهنا سراعاً قِبَل نِينَوَى ، فقال لي : إني أريد سابقاً مولى بشر بن عبد الملك بن بِشْر ، فأسرع السير ، وكنتُ إذا لقيت القوم أستطعمهم فأطعَمُ الأرغفة فأطعِمها إياه ، فيأكل ونأكل معه ، فانتهينا إلى نِينَوَى وقد أظلمنا ، فأتينا منزل سابق ، فدعوتُ على الباب ، فخرج إلينا فقلت له : أما أنا فآتى الفيّوم ، فأكون به ؛ فإذا بدا لك أن ترسل إليّ فأرسل ، قال : ثم إني مضيت وخلّفته عند سابق ؛ فذلك آخر عهدي به .

قال : ثم إنّ يوسف بن عمر بعث أهل الشأم يطلبون الجرحَى في دور أهل الكوفة ، فكانوا يخرجون النساء إلى صحن الدار ، ويطوفون البيت يلتمسون الجرحَى .

قال : ثم دلّ غلام زيد بن عليّ السنديُّ يوم الجمعة على زيد ، فبعث الحكم بن الصَّلت العباسَ بن سعيد المزنيّ وابن الحكم بن الصَّلت ، فانطلقا فاستخرجاه ، فكرِه العباس أن يغلب عليه ابن الحكم بن الصّلت ، فتركه وسرّح بشيراً إلى يوسف بن عمر غداة يوم الجمعة برأس زيد بن عليّ مع الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عَقيل ، فقال أبو الجُويرية مولى جُهَينة :

قُـلْ للـذيـنَ انتهكـوا المحـارمْ ورفعـوا الشَّمْـعَ بصَحْـرا مـالِـمْ
كيـفَ وَجَـدْتُـمْ وقعـةَ الأَكـارمْ يا يوسـفَ بـنَ الحكمِ بـن القاسـم!

قال : ولما أتى يوسفَ بن عمر البشيرُ ، أمر بزيد فصلب بالكُناسة ، هو ونصر بن خُزيمة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاريّ وزياد النهديّ ؛ وكان يوسف قد نادى : مَن جاء برأسٍ فله خمسمئة درهم ، فجاء محمد بن عبّاد برأس نصر بن خُزيمة ، فأمر له يوسف بن عمر بألف درهم ، وجاء الأحول مولى الأشعريّين برأس معاوية بن إسحاق ؛ فقال : أنت قتلتَه؟ فقال : أصلح الله الأمير! ليس أنا قتلته ؛ ولكني رأيتُه فعرفته ، فقال : أعطوه سبعمئة درهم ، ولم يمنعه أن يتمّ له ألفاً ، إلاّ أنه زَعم أنه لم يقتله .

وقد قيل : إنّ يوسف بن عمر لم يعلم بأمر زيد ورجوعه من الطريق إلى الكوفة بعدما شخص إلاّ بإعلام هشام بن عبد الملك إياه . وذلك أن رجلاً من بني أمية كتب ـ فيما ذكر ـ إلى هشام ، يذكر له أمر زيدٍ ، فكتب هشام إلى يوسف يشتمه ويجهّله ، ويقول : إنك لغافل ، وزيد غارز ذَنبه بالكوفة يبايَع له فألحِحْ في

طلبه ، فأعطِه الأمان فإن لم يقبل فقاتله ، فكتب يوسف إلى الحَكم بن الصّلت من آل أبي عَقيل وهو خليفته على الكوفة بطلبه ، فطلبه فخفيَ عليه موضعَهُ ، فدسّ يوسف مملوكاً خُراسانياً ألكَن، وأعطاه خمسة آلاف درهم ، وأمره أن يلطف لبعض الشّيعة فيخبره أنه قد قدم من خُراسان حبّاً لأهل البيت ، وأنّ معه مالاً يريد أن يقوّيَهم به؛ فلم يزل المملوك يلقَى الشيعة ، ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على زيد ، فخرج فدَلّ يوسف على موضعه ، فوجّه يوسف إليه الخيل ، فنادى أصحابه بشعارهم ، فلم يجتمع إليه منهم إلا ثلثمئة أو أقلّ ، فجعل يقول: كان داود بن عليّ أعلم بكم؛ قد حذّرني خِذلانكم فلم أحذر!.

وقيل: إنّ الذي دَلّ على موضع زيد الذي كان دُفن فيه ـ وكان دفن في نهر يعقوب فيما قيل ، وكان أصحابُه قد سَكروا[1] النهر ثم حفروا له في بطنه ، فدفنوه في ثيابه ، ثم أجْروا عليه الماء ـ عَبْدٌ قصَّار كان به ، فاستجعل جُعلاً على أن يدلَّهم على موضعه ، ثم دلّهم ، فاستخرجوه ، فقطعوا رأسَه ، وصلبوا جسده ، ثم أمروا بحراسته لئلا يُنزل ، فمكث يُحرَس زماناً.

وقيل إنه كان فيمن يحرُسه زهير بن معاوية أبو خيثمة ، وبُعث برأسه إلى هشام فأمر به فنصِب على باب مدينة دمشق ، ثم أرسِل به إلى المدينة ، ومكث البَدَن مصلوباً حتى مات هشام ، ثم أمر به الوليد فأنزِل وأحرق ، وقيل: إن حكيم بن شريك كان هو الذي سعى بزيد إلى يوسف.

فأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال في أمر يحيى بن زيد: لما قُتِل زيد عَمد رجلٌ من بني أسد إلى يحيى بن زيد ، فقال له: قد قتِل أبوك ، وأهلُ خراسان لكم شيعةٌ ، فالرأي أن تخرج إليها. قال: وكيف لي بذلك؟ قال: تتوارى حتى يكفّ عنك الطلب ثم تَخرج ، فواراه عنده ليلة ، ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مَرْوان ، فقال له: إن قَرابة زيد بك قريبة ، وحقّه عليك واجب ، قال له: أجَل؛ ولقد كان العفو عنه أقربَ إلى التقوى ، قال: فقد قتل وهذا ابنه غلاماً حَدَثاً لا ذنب له؛ وإن علم يوسف بن عمر بمكانه قتله ، فتُجيره وتواريه عندك ، قال: نعم وكرامة ، فأتاه به فواراه عنده ، فبلغ الخبر يوسف ، فأرسل إلى عبد الملك:

(١) سكروا النهر: سدوا فاه. القاموس المحيط ص ٥٢٤.

قد بلَغني مكان هذا الغلام عندك ، وأعطي الله عهداً لئن لم تأتني به لأكتبنّ فيك إلى أمير المؤمنين ، فقال له عبد الملك : أتاك الباطل والزور؛ أنا أواري مَنْ ينازعني سلطاني ويدّعي فيه أكثر من حقي! ما كنت أخشاك على قبول مثل هذا عليّ ولا الاستماع من صاحبه ، فقال : صدق والله ابن بِشْر؛ ما كان ليواري مثل هذا ، ولا يستر عليه؛ فكفّ عن طلبه؛ فلما سكن الطلبُ خرج يحيى في نفر من الزيدّية إلى خُراسان[1] .

وخطب يوسف بعد قتل زيد بالكوفة فقال :

يا أهل الكوفة ، إن يحيَى بن زيد يتنقّل في حِجال نسائكم كما كان يفعل أبوه؛ والله لو أبدى لي صفحته لعرقتُ خصيَيه كما عرقت خصيَي أبيه .

وذكر عن رجل من الأنصار قال : لما جيء برأس زيد فصُلب بالمدينة في سنة ثلاث وعشرين مئة ، أقبل شاعر من شعراء الأنصار فقام بحياله ، فقال :

ألا يا ناقِضَ الميثا ... قِ أبشِرْ بالذي ساكا
نقَضْتَ العهْدَ والميثا ... قَ قِدْماً كان قدْماكا
لقد أخلَفَ إبليس الّـ ... ـذي قد كان منّاكا

قال : فقيل له : ويلك! أتقول هذا لمثل زيد! فقال : إن الأمير غضبان فأردتُ أن أرضيَه ، فردَّ عليه بعض شعرائهم :

ألا يا شاعِرَ السوْءِ ... لقد أصْبحْت أفّاكا
أَشَتْمُ ابنِ رسول اللـ ... ـه يُرْضِي مَنْ تَوَلاكا
ألاَ صَبّحَكَ اللهُ ... بخِزيٍ ثم مَسّاكا
ويوم الحشر لاشكَّ ... بأن النّارَ مثواكا

وقيل : كان خِراش بن حَوْشب بن يزيد الشيبانيّ على شُرَط يوسف بن عمر؛ فهو الذي نَبَشَ زيداً ، وصلَبه ، فقال السيّد :

بتّ ليلي مُسهدَا ... ساهِرَ الطَّرفِ مُقصَدا
ولقد قلتُ قولةً ... وأطَلْتُ التَّبلّدا

---

(١) ذكر الطبري قول معمر بن المثنى للمقارنة مع رواية أبي مخنف ولم نجد لهذه التفاصيل ما يقويها من مصادر أخرى والله أعلم .

لَعَـــنَ اللهُ حَـــوْشَبـــاً وخِـــراشـــاً ومـــزْيَـــدا
ويـــزيـــداً فـــإنـــه كـــان أعْتَـــى وأعْنـــدا
ألـــفَ ألـــف وألـــفَ ألـــفٍ مـــن اللعْـــن سَـــرمـــدا
إنهـــم حـــاربـــوا الإلـــه وآذَوْا محمـــدا
شـــركـــوا فـــي دَم المطـــهَّـــرِ زيـــد تعَنُّـــدا
ثـــم عـــالـــوه فـــوق جِـــذْع صـــريعـــاً مُجَـــرَّدا
يـــا خِـــراشَ بـــنَ حـــوشَـــبِ أنـــت أشقَـــى الـــورَى غـــدَا

قال أبو مخنف: ولما قتل يوسف زيدَ بن عليٍّ أقبل حتى دخل الكوفة فصعِد المنبر، فقال:

يا أهلَ المدَرة الخبيثة، إني والله ما تقرَن بي الصَّعْبَة، ولا يقعقَع لي بالشّنان، ولا أخَوّف بالذنب، هيهات! حُبِيت بالساعد الأشدّ، أبشروا يا أهلَ الكوفة بالصَّغار والهوان، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق؛ ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم، وأحرمكم أموالكم، أمَا والله ما علوت منبري إلا أسمعتُكم ما تكرهون عليه، فإنكم أهلُ بغي وخلاف، ما منكم إلا مَن حارب الله ورسوله؛ إلا حكيم بن شريك المحاربيّ؛ ولقد سألت أميرَ المؤمنين أن يأذن لي فيكم؛ ولو أذن لقتلتُ مقاتلتكم، وسبيت ذراريّكم[1]. [٧/ ١٨٠ ـ ١٩١].

وفيها ولد الفضل بن صالح ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ.

وفيها وجّه يوسف بن عمر بن شُبرمة على سِجِسْتان، فاستقضى ابنَ أبي ليلى [٧/ ١٩١].

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر خبر صلح نصر بن سيار مع السُّغْد]

فمن ذلك ما جرَى بين أهل السُّغد ونَصْر بن سيار من الصّلح.

---

(١) من عادة أبي مخنف التالف الهالك أن يستغرق في ذكر تفاصيل لا يؤيده فيها أحد من الثقات وكذلك الأمر هنا والله أعلم [١٣٣ ـ ١٤٤] من هذا الجزء.

* ذكر الخبر عن ذلك وسببه:

ذكر عليّ بن محمد، عن شيوخه، أن خاقان لما قُتل في ولاية أسد، تفرَّقت الترك في غارة بعضها على بعض؛ فطمع أهل السُّغد في الرَّجْعة إليها، وانحاز قوم منهم إلى الشاش، فلما ولي نصر بن سيار أرسل إليهم يدعوهم إلى الفيئة والمراجعة إلى بلادهم، وأعطاهم كلّ ما أرادوا.

قال: وكانوا سألوا شُروطاً أنكرها أمراء خُراسان؛ منها: ألاّ يعاقب مَن كان مسلماً وارتدّ عن الإسلام، ولا يعدّى عليهم في دَين لأحد من الناس، ولا يؤخذون بقَبالة عليهم في بيت المال، ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم إلا بقضيّة قاض وشهادة العدول؛ فعاب الناس ذلك على نصر، وكلّموه فقال: أما والله لو عاينتم شَوْكتهم في المسلمين ونِكايتهم مثل الذي عاينت ما أنكرتم ذلك! فأرسل رسولاً إلى هشام في ذلك؛ فلما قدم الرّسول أبى أن ينفذ ذلك لنصر، فقال الرسول: جَرّبت يا أمير المؤمنين حرْبنا وصُلْحنا، فاختر لنفسك، فغضب هشام، فقال الأبرش الكلبيّ: يا أمير المؤمنين، تألّف القوم واحمل لهم؛ فقد عرفْتَ نكايتهم كانت في المسلمين، فأنفذ هشام ما سأل[1].

وفي هذه السنة أوفد يوسفُ بن عمر الحَكَم بن الصّلت إلى هشام بن عبد الملك، يسأله ضمّ خراسان إليه وعَزْل نصر بن سيّار.

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما كان من الأمر فيه:

ذكر عليّ عن شيوخه، قال: لما طالت ولاية نَصْر بن سيار، ودانت له خُراسان، كتب يوسف بن عمر إلى هشام حسداً له: إن خُراسان دَبَرةٌ دبِرةٌ[2]، فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمَّها إلى العراق فأسرّح إليها الحكَم بن الصلت؛ فإنه كان مع الجُنيد، وولِيَ جسيم أعمالها، فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم. وأنا باعث بالحكم بن الصَّلْتِ إلى أمير المؤمنين، فإنه أديب أريب، ونصيحته لأمير المؤمنين مثل نصيحتنا ومودّتنا أهلَ البيت.

---

(١) انظر البداية والنهاية (٧/ ٢١٠).

(٢) الدبرة، بالتحريك: قرحة الدابة، ودبرت فهي دبرة، كفرحة، أي أنها موطن للقلاقل. القاموس المحيط ص ٤٩٩.

فلما أتى هشاماً كتابُه بعث إلى دار الضيافة ، فوجد فيها مقاتل بن عليّ السُّغديّ ، فأتوْه به ، فقال: أمِن خراسان أنت؟ قال: نعم ، وأنا صاحب الترك ـ قال: وكان قدم على هشام بخمسين ومئة من الترك ـ فقال: أتعرف الحكم بن الصلت؟ قال: نعم ، قال: فما وليَ بخراسان؟ قال: وليَ قرية يقال لها الفارَياب ، خراجها سبعون ألفاً ، فأسرِه الحارث بن سُريج ، قال: ويحك! وكيف أفلتَ منه! قال: عرك أذنه ، وقفَده[1] ، وخلّى سبيله ، قال: فقدم عليه الحكم بعدُ بخراج العراق ، فرأى له جمالاً وبياناً ، فكتب إلى يوسف ، إنّ الحكمَ قدم وهو على ما وصفت ، وفيما قَبلك له سعةٌ ، وخلِّ الكنانيّ وعمله .

* * *

وفي هذه السنة غزا نصر فرغانة غزوتَه الثانية ، وأوفد مغراء بن أحمر إلى العراق ، فوقع فيه عند هشام.

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من هشام ويوسف بن عمر فيه:

ذكر أن نصراً وجّه مَغْراءَ بن أحمر إلى العراق وافداً ، منصرفَه من غَزْوتِه الثانية فَرْغانة ، فقال له يوسف بن عمر: يا بن أحمر؛ يغلبكم ابن الأقطع يا معشر قيس على سلطانكم! فقال: قد كان ذلك أصلح الله الأمير! قال: فإذا قدمتَ على أمير المؤمنين فابقر بطنه ، فقدموا على هشام ، فسألهم عن أمر خُراسان ، فتكلّم مغراء ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر يوسف بن عمر بخير ، فقال: ويحك! أخبرني عن خراسان ، قال: ليس لك جند يا أمير المؤمنين أحدّ ولا أنجد منهم ، من سُواذق[2] في السماء ، وفرسان مثل الفيلة؛ وعُدّة وعَدد من قوم ليس لهم قائد ، قال: ويحك! فما فعل الكنانيّ؟ قال: لا يعرف ولَده من الكبَر ، فردّ عليه مقالته ، وبعث إلى دار الضيافة ، فأتِيَ بشُبَيل بن عبد الرحمن المازنيّ ، فقال له هشام: أخبرني عن نَصْر: قال: ليس بالشيخ يُخشى خَرَفه ، ولا الشابّ يُخشى سفهُه ، المجرِّب المجرَّب ، قد ولي عامّة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته ، فكتب إلى يوسف بذلك ، فوضع يوسف الأرصاد ، فلما انتهوا إلى الموْصِل

(١) قَفَدَه: صفع قفاه بباطن كفِّه. القاموس المحيط ص ٣٩٨ .

(٢) السواذق: الصقر. القاموس المحيط ص ١١٥٣ .

تركوا طريق البَريد ، وتكأدَّوا حتى قدموا بيْهق ـ وقد كُتِب إلى نصر بقول شُبَيل ـ وكان إبراهيم بن بسام في الوفْد ، فمكر به يوسف ، ونعَى له نصراً ، وأخبره أنه قد ولّى الحكم بن الصّلت بن أبي عقيل خُراسان. فقسم له إبراهيم أمر خُراسان كله؛ حتى قدم عليه إبراهيم بن زياد رسول نصر؛ فعرف أنّ يوسف قد مكَر به وقال: أهلكني يوسف.

وقيل: إن نصراً أوفد مغراء ، وأوفد معه حَمَلة بن نعيم الكلبيّ ، فلما قدموا على يوسف ، أطمع يوسف مغراء ، إن هو تنقّص نصراً عند هشام أن يوليَه السند ، فلما قدما عليه ذكر مَغْراء بأس نصر ونجدته ورأيه ، وأطنب في ذلك ، ثم قال: لو كان الله متّعنا منه ببقيّة! فاستوى هشام جالساً ، ثم قال: ببقيّة ماذا؟ قال: لا يَعْرِف الرّجل إلا بِجِرْمه ، ولا يفهم عنه حتى يُدنى منه ، وما يكاد يُفهم صوته من الضّعف لأجل كِبَره ، فقام حَمَلة الكلبيّ ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ، كذب والله ، ما هو كما قال: هو هو. فقال هشام: إن نصراً ليس كما وصف ، وهذا أمر يِوسف بن عمر حسدٌ لنصر؛ وقد كان يوسف كتب إلى هشام يذكر كِبَر نصر وضعفه ، ويذكر له سَلْم بن قتيبة ، فكتب إليه هشام: الْهُ عن ذكر الكنانيّ ، فلما قدم مغراء على يوسف ، قال له: قد علمتَ بلاء نصر عندي ، وقد صنعتُ به ما قد علمتَ ، فليس لي في صحبته خير ، ولا لي بخراسان مقام؛ فأمره بالمقام ، وكتب إلى نصر: إني قد حوّلت اسمَه ، فأشخص إليّ مَن قِبَلك من أهله.

وقيل: إنّ يوسف لما أمر مغراء بعيب نَصْر ، قال: كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندي وعند قومي! فلم يزل به ، فقال: فِبِمَ أعيبه؟ أعيب تجربته أم طاعته؟ أم يُمْن نقيبته أم سياسته؟ قال: عِبْه بالكِبَر ، فلما دخل على هشام تكلم مغراء ، فذكر نصراً بأحسن ما يكون ، ثم قال في آخر كلامه: لولا. . . ، فاستوى هشام جالساً ، فقال: ما لولا! قال: لولا أنّ الدهر قد غلب عليه ، قال: ما بلغ به ويحك الدهرُ! قال: ما يعرِف الرّجل إلا من قريب ، ولا يعرفه إلا بصوته ، وقد ضعُف عن الغَزْو والرّكُوب ، فشقّ ذلك على هشام ، فتكلّم حَمَلة بن نُعيم ، فلما بلغ نصراً قول مغْراء بعث هارون بن السياوش إلى الحكم بن نُميلة ، وهو في السرّاجين يعرض الجند ، فأخذ برجله فسحبه عن

طِنفسة له ، وكسر لواءه على رأسه ، وضرب بطِنْفسته وجهه ، وقال: كذلك يفعل الله بأصحاب الغدر!

وذكر عليُّ بن محمد عن الحارث بن أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة: لما ولي[1] نصر خراسان أدنى مغراء بن أحمر بن مالك بن سارية النميريّ والحكم بن نُمَيلة بن مالك والحجاج بن هارون بن مالك؛ وكان مغراء بن أحمر النميريّ رأس أهلِ قنَّسرين ، فآثر نصر مغراء وسنَّى منزلته ، وشفَّعه في حوائجه ، واستعمل ابنَ عمه الحكم بن نُميلة على الجُوزجان ، ثم عقد للحكم على أهل العالية ، وكان أبوه بالبصرة عليها؛ وكان بعده عُكَابة بن نُمَيلة ، ثم أوفد نصر وفداً من أهل الشأم وأهل خراسان ، وصيّر عليهم مغراء؛ وكان في الوفد حَمَلة بن نعيم الكلبيّ ، فقال عثمان بن صدقة بن وثاب لمسلم بن عبد الرحمن بن مسلم عامل طُخارستان:

خيَّـرَنِـي مسْلـمٌ مـراكِبَـهُ فقُلْتُ حَسْبي مِنْ مُسْلِمٍ حكَما
هـذا فتـى عـامـر وسَيِّـدُهـا كَفـى بمَـنْ سـادَ عـامـراً كـرمـا

يعني الحكم بن نُميْلة.

قال: فتغيّر نصر لقيس وأوحشه ما صنع مغراء. قال: وكان أبو نُمَيلة صالح الأبّار مولى بني عبس ، خرج مع يحيى بن زيد بن عليّ بن حسين ، فلم يزل معه حتى قُتل بالجُوزَجان. وكان نصر قد وَجد عليه لذلك ، فأتى عبيد الله بن بسام صاحب نصر ، فقال:

قـد كُنْـتُ فـي هِمَّـةٍ حَيْـرَان مَكْتَئِباً حتَّـى كفـانـي عُبَيْـدُ اللهِ تَهْمـامِـي
نـاديْتُـهُ فسَمـا للمَجْـدِ مُبْتَهِجـاً كغُـرَّةِ البَـدْرِ جَلَّـى وَجْـه إظْـلام
فـاسْـمُ بـرَأي أَبـى ليْـثٍ وصَـوْلَتِـهِ إن كنـتَ يَـوْمَ حفـاظٍ بـامرىءٍ سامِ
تظفـرْ يَـداكَ بمـنْ تَمَّـتْ مُـرُوَّتـهُ واخْتَصَّـهُ رَبُّـه مِنْـهُ بـإكـرامِ
مـاضـي العـزائـمِ ليْثـيٍّ مَضـارِبُـهُ علـى الكَـريهَـةِ يَـوْمَ الـرَّوْعِ مِقـدام
لا هَـذِرٌ سـاحَـةَ النَّـادي ولا مَـذِلٌ فيـه ولا مُسْكِـتٌ إسكـاتَ إفحـامِ
لـه مِـنَ الحِلـم ثـوْبـاهُ ومجْلِسُـهُ إذَا المجالِـسُ شـانَـتْ أَهَـلَ أَحـلام

---

(١) في إسناده الحارث بن أفلح ذكره العقيلي والساجي في الضعفاء وقال ابن معين ليس بثقة [لسان الميزان ٢/ تر ٢١٧٥].

قال: فأدخله عبيد الله على نصر، فقال أبو نُمَيلة: أصلحك الله! إني ضعيف؛ فإن رأيت أن تأذن لراويتي! فأذن له، فأنشده:

فـاز قِـدْحُ الكلبـيّ فـاعْتقَـدَتْ مَغـ ـــراءَ فـي سعْيـهِ عُـرُوقُ لئيـم
فـأَبينـي نُمَيْـرُ ثُـمّ أَبينـي أَلعَبْـدِ مغـراءُ أَمْ لِصَمِيـم
فلئِـنْ كـان منكـمُ مـا يكُـونُ الـ ـغـدرُ والكفر مِنْ خصـالِ الكـريـمِ
ولئـنْ كـان أصلُـه كـان عبْـدا مـا عليْكـمْ مِـنْ غـدْرِهِ مِـنْ شتيم
وليتـه لَيْـثٌ وأيُّ وُلاةٍ بـأَيـادٍ بيـضٍ وأَمْـرٍ عظيـمِ!
أسمنْتـهُ حتـى إذا راحَ مَغْبُـو طـاً بخيْـرٍ مِـنْ سَيْبِهـا المَقْسـومِ
كـادَ سـاداتِـهِ بـأَهْـون مِـنْ نَهـ ـقَـةِ عَيْـرٍ بقَفْـرَة مَـرْقـومِ
فضـرَبنـا لِغيْـرنـا مَثـلَ الكَـلـ ـبِ ذميمـاً والـذَّمُّ للمَـذْمُـومِ
وحَمِـدنـا ليثـاً ويـأْخُـذُ بـالفَضـ ـلِ ذَوُو الجود والنَّدَى والحُلُومِ
فـاعلَمُـنْ يـا بني القَسـاورةِ الغُلـ ـبِ وأَهـلَ الصَّفـا وأَهـلَ الحَطيمِ
أن فـي شكـرِ صـالِحينـا لَمَـا يَـدْ حَـضُ قَـوْلَ المـرهّـقِ المَـوصُـومِ
قـد رأَى اللهُ مـا أَتَيْـتَ ولـنْ يَنـ ـقـصَ نبحُ الكـلابِ زُهْـرَ النُّجُـومِ

فلما فرغ قال نصر: صدقت، وتكلمت القيسية واعتذروا، قال: وأهان نصر قيساً وباعدهم حين فعل مغراء ما فعل، فقال في ذلك بعض الشعراء:

لقـدْ بَغَّـض الله الكِـرامَ إليكُـم كما بغَّضَ الرَّحمنُ قيْساً إلى نَصرِ
رأَيْـتُ أَبـا لَيْـث يُهيـنُ سَرَاتَهـمْ ويُـدْنـي إليْـه كـلَّ ذي والـثٍ غُمْـرِ

[٧/ ١٩٢ ـ ١٩٧].

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومئة

ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

فمِمّا كان فيها من ذلك مَقْدَم جماعة من شيعة بني العباس الكوفَة يريدون مكّة، وشرَى بُكَير بن ماهان ـ في قول بعض أهل السير ـ أبا مسلم صاحبَ دعوة بني العباس من عيسى بن معقل العجليّ.

❋ ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وقد اختُلف في ذلك؛ فأمّا عليّ بن محمد، فإنه ذكر أن حمزة بن طلحة

السّلميّ حدثه عن أبيه ، قال: كان بُكير بن ماهان كاتباً لبعض عمّال السند ، فقدمها ، فاجتمعوا بالكوفة في دار ، فغُمِز بهم فأخذوا ، فحبس بكير وخُلّي عن الباقين ، وفي الحبس يونس أبو عاصم وعيسى بن معقل العجليّ ، ومعه أبو مسلم يخدُمه ، فدعاهم بُكير فأجابوه إلى رأيه ، فقال لعيسى بن معقل: ما هذا الغلام؟ قال: مملوك ، قال: تبيعه؟ قال: هو لك ، قال: أحبّ أن تأخذ ثمنه ، قال: هو لك بما شئت؛ فأعطاه أربعمئة درهم ، ثم أُخْرِجوا من السجن ، فبعث به إلى إبراهيم فدفعه إبراهيم إلى أبي موسى السراج ، فسمع منه وحفظ ، ثم صار إلى أن اختلف إلى خراسان[1] .

وقال غيره: توجّه سليمان بن كثير ومالك بن الهَيْثم ولاهز بن قريظ ، وقَحطبة بن شَبيب من خراسان ، وهم يريدون مكة في سنة أربع وعشرين ومئة ، فلما دخلوا الكوفة أتوْا عاصم بن يونس العِجليّ؛ وهو في الحبس ، قد اتُّهم بالدّعاء إلى ولد العباس ، ومعه عيسى وإدريس ابنا معقل؛ حبسهما يوسف بن عمر فيمن حبس من عُمّال خالد بن عبد الله ، ومعهما أبو مسلم يخدُمهما؛ فرأوْا فيه العلامات ، فقالوا: مَن هذا؟ قالوا: غلام معنا من السَّراجين ـ وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وإدريس يتكلمان في هذا الرأي فإذا سمعهما بكى ـ فلما أروا ذلك منه دعوْه إلى ما هم عليه ، فأجاب وقبِل.

وفي هذه السنة غزا سليمان بن هشام الصائفة ، فلقى أليون ملك الروم فسلم وغنم[2] .

وفيها مات ـ في قول الواقديّ ـ محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس[3] . [٧/ ١٩٨ـ ١٩٩].

وحجّ في هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك معه امرأته أم سلمة بنت هشام بن عبد الملك.

وذكر محمد بن عمر أن يزيد مولى أبي الزّناد حدّثه ، قال: رأيت محمد بن

---

(١) في إسناده مجهول والله أعلم والخبر ذكره فيما سبق تبعاً للطبري [البداية والنهاية ٧/ ٢١٠].
(٢) انظر البداية والنهاية (٧/ ٢١٠).
(٣) قال ابن كثير والصحيح أنه توفي في التي بعدها [البداية والنهاية ٧/ ٢١٠].

هشام على بابها يرسل بالسلام وألطافه على بابها كثيرة ، ويعتذر فتأبى؛ حتى كان يأيس من قبول هدّيته ، ثم أمرت بقبضها[1] . [٧/ ١٩٩] .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته

حدّثني أحمد بن زُهير ، قال: حدّثني عليّ بن محمد ، قال: حدثني شيبة بن عثمان ، قال: حدّثني عمرو بن كليع؛ قال: حدّثني سالم أبو العلاء كاتب هشام ، قال: خرج علينا هشام بن عبد الملك يوماً وهو كئيب ، يعرَف ذلك فيه ، مسترخٍ عليه ثيابه ، وقد أرخى عنان دابّته ، فسار ساعةً ثم انتبه ، فجمع ثيابه وأخذ بِعِنان دابته ، وقال للرّبيع: ادعُ الأبرش ، فدُعِيَ فسار بيني وبين الأبرش ، فقال له الأبرش: يا أمير المؤمنين؛ لقد رأيتُ منك شيئاً غمّني ، قال: «وما هو؟ قال: رأيتك قد خرجت على حال غمّني ، قال: ويحك يا أبرش! وكيف لا أغتمّ وقد زعم أهل العلم أني ميت إلى ثلاثة وثلاثين يوماً! قال سالم: فرجعت إلى منزلي ، فكتبت في قرطاس: «زعم أمير المؤمنين يوم كذا وكذا أنه يسافر إلى ثلاثة وثلاثين يوماً». فلمّا كان في الليلة التي استكمل فيها ثلاثة وثلاثين يوماً إذا خادم يدقّ الباب يقول: أجِبْ أميرَ المؤمنين ، واحمِل معك دواء الذُّبَحة ـ وقد كان أخذه مرّة فتعالج فأفاق ـ فخرجتُ ومعي الدواء فتغرغَر به ، فازداد الوجعُ شِدّة ، ثم سكن فقال لي: يا سالم ، قد سكن بعض ما كنت أجد؛ فانصرِفْ إلى أهلكِ ، وخلّف الدواء عندي. فانصرفت ، فما كان إلا ساعة حتى سمعت الصُّراخ عليه ، فقالوا: مات أمير المؤمنين! فلما مات أغلق الخزّان الأبواب ، فطلبوا قُمقماً يسخَّن فيه الماء لغسله ، فما وجدوه حتى استعاروا قُمقماً من بعض الجيران ، فقال بعض من حضر ذلك: إن في هذا لمعتبراً لمن اعتبر ، وكان وفاته بالذُّبَحَة ، فلما مات صلى عليه ابنه مَسْلَمَة بن هشام. [٧/ ٢٠٠ـ ٢٠١] .

وحدثني أحمد ، قال عليّ: لم يكن أحدٌ يسير في أيام هشام في موكب إلاّ

---

(١) انظر البداية والنهاية [٧/ ٢١١].

مسلمة بن عبد الملك ، قال: ورأى هشام يوماً سالماً في موكب ، فزجره وقال: لأعلمنّ متى سرتَ في موكب. وكان يقدم الرجل الغريب فيسير معه ، فيقف سالم ، ويقول: حاجتك ، ويمنعه أن يسير معه ، وكان سالم كأنه هو أمّر هشاماً.

قال: ولم يكن أحدٌ من بني مَرْوان يأخذ العطاء إلا عليه الغزْو؛ فمنهم مَنْ يغزو ، ومنهم من يُخرج بدلاً.

قال: وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب ، فكان يأخذ عطاء هشام مئتي دينار وديناراً، يفضّل بدينار، فيأخذها يعقوب ويغزو، وكانوا يصيّرون أنفسَهم في أعوان الدّيوان ، وفي بعض ما يجوّز لهم المقام به ، ويوضع به الغَزْو عنهم، وكان داود وعيسى ابنا عليّ بن عبد الله بن عباس ، ـ وهما لأم ـ في أعوان السّوق بالعراق لخالد بن عبد الله ، فأقاما عنده ، فوصلهما ، ولولا ذلك لم يستطع أن يحبسهما ، فصيّرهما في الأعوان ، فسمَرا ، وكانا يسامرانه ويحدّثانه.

قال: فولَّى هشام بعض مواليه ضيعةً له ، فعمَّرها فجاءت بغلَّة عظيمة كبيرة ثم عمَّرها أيضاً ، فأضعفت الغلّة ، وبعث بها مع ابنه ، فقدم بها على هشام ، فأخبره خبر الضَّيْعة فجزاه خيراً ، فرأى منه انبساطاً ، فقال: يا أمير المؤمنين ، إن لي حاجة ، قال: وما هي؟ قال: زيادة عشرة دنانير في العطاء ، فقال: ما يخيّل إلى أحدكم أن عشرة دنانير في العطاء إلا بقدر الجوْز! لا لعمري لا أفعل.

حدّثني أحمد ، قال: حدثنا عليّ ، قال: قال حماد الأبحّ: قال: هشام لغيْلان: ويحك يا غيلان! قد أكثر الناس فيك ، فنازعنْا بأمرك ، فإن كان حقّاً اتّبعناك ، وإن كان باطلاً نزعتَ عنه ، قال: نعم ، فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلِّمه ، فقال له ميمون: سلْ؛ فإنّ أقوى ما تكونون إذا سألتم ، قال له: أشاء الله أن يُعصَى؟ فقال له ميمون: أفعُصي كارهاً! فسكت ، فقال هشام: أجبه فلم يجبه ، فقال له هشام: لا أقالني الله إن أقلته ، وأمر بقطع يديه ورجليه.

حدّثني أحمد ، قال: حدّثنا عليّ عن رجل من غَنيّ ، عن بِشْر مولى هشام ، قال: أتِيَ هشامٌ برجل عنده قِيان وخَمْر وبَرْبَط ، فقال: اكسروا الطنبور[1] على

---

(١) الطنبور: من آلات الطرب؛ ذو عنق طويل وستة أوتار ، والبربط: العود. القاموس المحيط ص ٥٥٤.

رأسه ، وضربه ، فبكى الشيخ ، قال بِشْر : فقلت له ـ وأنا أعزّيه : عليك بالصبر ، فقال : أتراني أبكي للضّرب! إنما أبكي لاحتقاره للبَرْبَط إذ سماه طنبوراً!

قال : وأغلظ رجل لهشام ، فقال له هشام : ليس لك أن تُغلظ لإمامك!

قال : وتفقّد هشام بعض ولده ـ ولم يحضر الجمعة ـ فقال له : ما منعك من الصلاة؟ قال : نفقَتْ دابتي ، قال : أفعجزتَ عن المشي فتركت الجمعة! فمنعه الدّابّة سنَة .

قال : وكتب سليمان بن هشام إلى أبيه : إنّ بغلتي قد عجزت عني ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمُر لي بدابّة فعل ، فكتب إليه : قد فهم أميرُ المؤمنين كتابك ، وما ذكرتَ من ضَعْف دابّتك ، وقد ظنّ أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهّدك لعلَفها ، وأنّ علفها يضيع ، فتعهّد دابّتَك في القيام عليها بنفسك ، ويرى أمير المؤمنين رأيه في حُملانك[1] .

قال : وكتب إليه بعضُ عمّاله : إني قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلّة دُراقن[2] ؛ فليكتب إليَّ أميرُ المؤمنين بوصولها ، فكتب إليه : قد وصل إلى أمير المؤمنين الدّراقن الذي بعثتَ به فأعجبه ، فزدْ أمير المؤمنين منه ، واستوثق من الوعاء .

قال : وكتب إلى بعض عُمّاله : قد وصلتِ الكَمْأة التي بعثتَ بها إلى أمير المؤمنين وهي أربعون ، وقد تغيّر بعضها ، ولم تُؤتَ في ذلك إلا من حشوها ، فإذا بعثت إلى أمير المؤمنين منها شيئاً فأجد حَشْوَها في الظَّرْف الذي تجعلها فيه بالرّمل ؛ حتى لا تضطرب ولا يصيب بعضُها بعضاً .

حدّثني أحمد ، قال : حدثني عليّ ، قال : حدّثنا الحارث بن يزيد ، قال : حدّثني مولى لهشام ، قال : بعث معي مولى لهشام كان على بعض ضِياعه بطيْرين ظريفين ، فدخلت إليه وهو جالس على سرير في عَرْصة الدار ، فقال : أرسلهما في الدار ، قال : فأرسلتهُما فنظر إليهما ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، جائزتي ، قال : ويلك! وما جائزة طيرين؟ قلتُ : ما كان ، قال : خذ أحَدهما ، فعدوْتُ في

---

(١) حملانك ؛ أي حملك . القاموس المحيط ص ١٢٧٦ .

(٢) الدراقن : شجر مثمر مشهور من الفصيلة الوردية وهو الخوخ بلغة أهل مصر ، وله أنواع وفي غوطة دمشق نوع جيِّد يعرف بالدرَّاقن الزهري .

الدار عليهما ، فقال: مالك؟ قلت: أختار خيرَهما ، قال: أتختار أيضاً خيرهما وتدع شرّهما لي! دعْهما ونحن نعطيك أربعين درهماً أو خمسين درهماً[(١)] .

قال: وأُقطِع هشام أرضاً يقال لها دورين ، فأرسل في قَبْضها؛ فإذا هي خراب ، فقال لذُوَيْد (كاتب كان بالشأم): ويحك! كيف الحيلة؟ قال: ما تجعل لي؟ قال: أربعمئة دينار ، فكتب «دورين وقراها» ، ثم أمضاها في الدواوين ، فأخذ شيئاً كثيراً ، فلما ولي هشام دخل عليه ذُويَد ، فقال له هشام: دورين وقراها! لا والله لا تلي لي ولاية أبداً ، وأخرجه من الشأم. [٧/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥].

قال: وقال بعض آل مروان لهشام: أتطمع في الخلافة وأنت بخيل جبّان؟ قال: ولمَ لا أطمع فيها وأنا حليم عفيف!.

قال: وقال هشام يوماً للأبرش: أوَضَعَتْ أعنزك؟ قال: إي والله ، قال: لكن أعنزي تأخّر ولادها ، فاخرج بنا إلى أعنزك نُصِبْ من ألبانها ، قال: نعم ، أفأقدّم قوماً؟ قال: لا ، قال: أفأقدّم خباءً حتى يضرب لنا؟ قال: نعم ، فبعث برجلين بخباء فضُرب ، وغدا هشام والأبرش وغدا الناس ، فقعد هشام والأبرش ، كلّ واحد منهما على كرسيّ ، وقدّم إلى كلّ واحد منهما شاة ، فحلب هشام الشاة بيده ، وقال: تعلّم يا أبرش أني لم أبسّ الحلب! ثم أمر بمَلّة فعُجنت ، وأوقد النّار بيده ، ثم فحصها وألقى الملَّة ، وجعل يقلّبها بالمحراث ، ويقول: يا أبرش: كيف ترى رفقي! حتى نضجت ثم أخرجها ، وجعل يقلّبها بالمحراث ، ويقول: جبينك جبينك ، والأبرش يقول: لبّيك لبيك ـ وهذا شيء تقوله الصبيان إذا خُبزت لهم المَلَّة ـ ثم تغدّى وتغدّى الناس ورجع.

قال: وقدم علباء بن منظور الليثيّ على هشام ، فأنشده:

قالت عُلَيَّةُ واعتزمتُ لِرحلةٍ ... زَوْراءَ بالأُذْنَيْن ذاتِ تَسَدُّرِ
أينَ الرحيلُ وأَهلُ بيتكَ كلّهُمْ ... كَلٌّ عليك كبيرهُمْ كالأَصْغرِ!
فأصاغِرٌ أَمثالُ سِلكانِ القَطا ... لا في ثَرى مالٍ ولا في مَعْشر
إني إلى ملكِ الشّآم لَراحِلٌ ... وإليه يَرْحَلُ كُلّ عبد مُوقَر
فلأتركُنّكِ إن حييتُ غَنيّةً ... بِنَدَى الخليفةِ ذي الفَعالِ الأَزهرِ

---

(١) في إسناده مجهول وهو راوي الخبر ولم يتابعه أحد فكيف يصح؟

إنّـا أُنـاسٌ مَيّـتٌ دِيـوَانُنـا ومتـى يُصِبْـهُ نـدَى الخليفـة ينشـرِ

فقال له هشام: هذا الذي كنت تحاول، وقد أحسنتَ المسألة، فأمر له بخمسمئة دِرْهم، وألحق له عَيْلاً في العطاء.

قال: وأتى هشاماً محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال: مالك عندي شيء، ثم قال: إيّاك أن يغرّك أحد فيقول: لم يعرفك أمير المؤمنين؛ إني قد عرفتُك، أنت محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فلا تقيمنّ وتُنفق ما معك، فليس لك عندي صلة، فالحق بأهلك.

قال: ووقف هشام يوماً قريباً من حائط فيه زَيتُون، ومعه عثمان بن حَيّان المريّ، وعثمان قائم يكاد رأسه يوازِي رأسَ أمير المؤمنين وهو يكلمه إذ سمع نفض الزيتون، فقال لرجل: انطلق إليهم فقل لهم: القطوه لقطاً، ولا تنفضوه نفضاً، فتتفقّأ عيونُه، وتتكسّر غصونه.

قال: وحجّ هشام، فأخذ الأبرش مخنّثين ومعهم البرابط، فقال هشام: احبسوهم وبيعوا متاعهم ـ وما درى ما هو ـ وصيِّروا ثمنه في بيت المال، فإذا صلحوا فردّوا عليهم الثمن(١).

وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرُّصافة ـ وهي فيما ذكر ـ من أرض قنَّسرين. وكان سبب نزوله إياها ـ فيما حدّثني أحمد بن زهير بن حرب، عن عليّ بن محمد ـ قال: كان الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدّوْن ويهربون من الطاعون، فينزلون البرّيّة خارجاً عن الناس، فلما أراد هشام أن ينزل الرُّصافة قيل له: لا تخرج؛ فإنّ الخلفاء لا يُطعَنون؛ ولم نرَ خليفة طُعِن، قال: أتريدون أن تجرّبوا بي! فنزل الرُّصافة وهي برّية، ابتني بها قصرين، والرّصافة مدينة رُوميّة بنتْها الروم.

وكان هشام أحول، فحدثني أحمد، عن عليّ، قال: بعث خالد بن عبد الله إلى هشام بن عبد الملك بحادٍ فحَدا بين يديه بأرجوزة أبي النجم:

والشمسُ في الأُفـقِ كعَيـن الأَحـولِ صَغْـواءُ قـد هَمَّـتْ ولَمَّـا تفعَـلِ

فغضب هشام وطرده.

---

(١) ذكر الطبري أخباراً من ص ١٥٤ إلى ص ١٥٥ ولم ينسب هذه الأقوال إلى أحد وإنما ورد الخبر هكذا قال ولم نجد لهذه الأقوال صدى في مصادر متقدمة موثوقة والله أعلم.

وحدّثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثني عليّ بن محمد ، قال: حدثنا أبو عاصم الضبيّ، قال: مرّ بي معاوية بن هشام، وأنا أنظر إليه في رَحْبة أبي شرِيك ـ وأبو شريك رجل من العجم كانت تنسب إليه وهي مزرعة ـ وقد أختبز خبزة ، فوقف عليّ ، فقلتُ: الغداء! فنزل وأخرجتها ، فوضعتها في لَبن ، فأكل ثم جاء الناس ، فقلت: مَنْ هذا؟ قالوا: معاوية بن هشام ، فأمر لي بصلة ، وركب وثار بين يديه ثعلب ، فركض خلفه ، فما تبعه غَلْوة؛ حتى عثر به فرسه فسقَط فاحتملوه ميّتاً ، فقال هشام: تالله لقد أجمعتُ أن أرشّحه للخلافة ، ويتبع ثعلباً[1].

قال: وكانت عند معاوية بن هشام ابنة إسماعيل بن جرير وامرأة أخرى ، فأخرج هشام كلّ واحدة منهما من نصف الثُّمْن بأربعين ألفاً. [٧/ ٢٠٥ ـ ٢٠٧].

حدثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ ، قال: حدّثنا حسين بن يزيد عن شهاب بن عبد ربّه عم عمرو بن عليّ ، قال: مشيتُ مع محمد بن عليّ إلى داره عند الحمّام ، فقلت له: إنه قد طال مُلك هشام وسلطانه ، وقد قرب من العشرين ، وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربّهُ مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها العشرون ، فقال: ما أدري ما أحاديث الناس! ولكن أبي حدّثني عن أبيه ، عن عليّ ، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لن يعمّر الله مَلِكاً في أمّة نبيّ مضَى قبله ما بلغ بذلك النبيّ من العمر»[2]. [٧/ ٢٠٨].

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة

قد مضى ذكري سبب عقد أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان له الخلافة بعد

---

(١) في إسناد الطبري تصحيف واضح والصواب كما ذكر البلاذري عن أبي عاصم عن رجل من بني ضبة أي أن في الإسناد مجهول [أنساب الأشراف ٨/ ٣٥٧٧].

(٢) الخبر أخرجه الحاكم في المستدرك كما عند الطبري من طريق حسين بن يزيد عن شهاب بن عبد ربه [المستدرك ٢/ ٥٨٧] والحسين بن يزيد ضعيف وشهاب بن عبد ربه لم نجد له ترجمة والحديث سكت عنه الحاكم وقال الذهبي لا يصح ، [مختصر استدراك الحافظ على المستدرك / ٢/ ١٠٣٥/ ح ٤٣٣] وقال ابن خيثمة ليس حديث فيه توقيت غير هذا [انظر البداية والنهاية ٧/ ٢١٢].

أخيه هشام بن عبد الملك؛ وكان الوليدُ بن يزيد يومَ عَقد له أبوه يزيد ذلك ابنَ إحدى عشرة سنة ، فلم يمُتْ يزيد حتى بلغ ابنُه الوليد خمس عشرة سنة ، فندِم يزيد على استخلافه هشاماً أخاه بعده؛ وكان إذا نظر إلى ابنه الوليد ، قال: الله بيني وبين مَنْ جعل هشاماً بيني وبينك! فتوفِّيَ يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة ، وولي هشام وهو للوليد مكرّم معظم مقرّب؛ فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجون وشرب الشراب؛ حمله على ذلك[1] فيما حدّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، عن جُويرية بن أسماء وإسحاق بن أيوب وعامر بن الأسود وغيرهم: عبدُ الصمد بن عبد الأعلى الشبّانيّ أخو عبد الله بن عبد الأعلى ـ وكان مؤدّب الوليد ـ واتَّخذ الوليد ندماء ، فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحجَّ سنة تسع عشرة ومئة ، فحمل معه كلاباً في صناديق ، فسقط منها صندوق ـ فيما ذكر عليّ بن محمد عمّن سميتُ من شيوخه ـ عن البعير وفيه كلب ، فأجالوا على الكريّ السِّياط ، فأوجعوه ضرباً ، وحمل معه قبّة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة ، وحمل معه خمراً ، وأراد أن ينصب القبَّة على الكعبة؛ ويجلس فيها؛ فخوّفه أصحابه وقالوا: لا نأمن الناس عليك وعلينا معك؛ فلم يحرّكها. وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف به ، وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام ، فأراده على أن يخلعها ويبايع لمسلمة؛ فأبى ، فقال له: اجعلها له مِنْ بعدك؛ فأبَى ، فتنكَّر له هشام وأضرّ به ، وعمل سرّاً في البيعة لابنه؛ فأجابه قوم[2] ،

---

(١) غير صحيح.

(٢) هذا خبر غير صحيح ولم أجد من المؤرخين المتأخرين من درس هذه المسألة دراسة متمعنة. ولعلّ الدكتور حسين عطوان هو من أعطى هذه المسألة مساحة جيدة في كتابه ـ الوليد بن يزيد ـ عرض ونقد ـ وقد توصل إلى نتائج جيدة إلاّ أنه نوزع في جوانب أخرى وكالآتي:

يقول الدكتور حسين عطوان: ولا أصل لما رواه أحمد بن زهير من أن الوليد أخذ معه كلاباً في صناديق أو خمراً أو قبة ليضعها فوق الكعبة ويشرب فيها ولا أصداء له عند غيره من تلاميذ البلاذري (لعله يقصد المدائني) وهو يخلط بين حج الوليد أثناء ولايته للعهد وبين تفكيره في الحج خلال خلافته وتحذير خالد بن عبد الله القسري له/ ص ٢٩٦.

ويقول أيضاً: «هو أول من غمز الوليد بأنه خطط لتشييد مقصف له فوق ظهر الكعبة هو اليعقوبي إذ اتهمه بذلك في سياق تقويمه لسياسته /٢٩٦». ويقول أيضاً: «والغالب أن اليعقوبي هو الذي صنع خبر توجيه الوليد مهندساً لينشئ له مقصفاً فوق ظهر الكعبة ثم أخذه=

قال: فكان ممَّن أجابه خالاه: محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزوميّ، وبنو القعقاع بن خليد العبسيّ وغيرهم من خاصّته.

قال: وتمادى الوليدُ في الشراب وطلب اللذات فأفرط، فقال له هشام: ويحك يا وليد! والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا! ما تَدع شيئاً من المنكر إلا أتيْتَه غير متحاشٍ ولا مستتر به! فكتب إليه الوليد:

= عنه معاصروه من الأخباريين كأحمد بن زهير /٢٩٧ ويقول أخيراً: وأحمد بن زهير من القدرية الذين ثار متقدموهم بالوليد مع يزيد بن الوليد ومن أتباع العباسيين وكأنه مزج فيما سرد من أخبار الوليد بين رواية المدائني وتشنيع اليعقوبي وهو معاصر لليعقوبي /٢٩٧.

قلت: أما أن رواية الطبري من طريق أحمد بن زهير فهي غير صحيحة كما قال الدكتور عطوان ـ ولكن العلة ليست في أحمد بن زهير فهو إمام حافظ معروف بإطلاعه الواسع بالتاريخ وقد وصفه الخطيب البغدادي بالبصير بأيام الناس وأنسابهم ولم نعلم فيه جرحاً ـ ومعاصرته لليعقوبي لا تعني بالضرورة تأثره به.

ونحن لا نختلف مع الدكتور عطوان في أن مَزْجاً قد حصل في هذا الخبر إلا أنه من قبل المدائني الذي درج على خلط المتون المتعددة مع بعضها ويكتفي بذكر الإسناد المركب في بداية الخبر ثم يذكر متونهم مجتمعة. ومن دون تمييز فيخلط بذلك بين متن رواه الثقة وغيره من الضعفاء والمجاهيل بل وأحياناً المتروكين الهالكين كأبي مخنف وقد صرّح بذلك في مواضع كثيرة من تاريخ الطبري.

ومن خلال دراستنا لروايات الطبري وتخريجها وجدنا المدائني يأتي بالنكارات عادة في حالة الخلط هذه ـ وبينا ذلك في مواضعها ـ.

وأما قول الأستاذ عطوان بأن أصل الرواية عند ابن عساكر (أشرف فوق الكعبة) بدلاً من (أشرب) فصحيح والذي في المخطوط من تأريخ ابن عساكر (أُشرف).

كما في مخطوطة المكتبة الظاهرية / ٣٣٨١/ مجلداً/ الورقة ٤٦٥ وكما أشار عطوان وكذلك محقق مختصر تأريخ دمشق لابن منظور.

وأما أن المزج بين حجّ الوليد أيام كان ولياً للعهد وبين نيّته الحج أيام خلافته فهذا صحيح.

ومما لا نوافق للأستاذ عطوان فيه أن الوليد قد أمر ببناء القبة دون إرسال مهندس وما إلى ذلك ولكن كان قصده من وراء ذلك أن يطوف هو وحاشيته في ظل القبة فلا يتعرض للحرِّ والتعب ويطوف الناس من خلف القبة ما عارضته الأمة بقيادة علمائها وبعض أمرائها وكانت النتيجة الفشل الذريع إلاّ أن الذي لم يصح أنه أمر بصناديق لتوضع فيها كلاب أو خمر وما إلى ذلك من الكذب ولقد ذكرنا في قسم الصحيح رواية الإمام سفيان بن عيينة وبسند صحيح من أنه أراد أن ينصب قبة فوق الكعبة فلم يتم له ذلك نظراً للمعارضة الشديدة التي أبداها العلماء وهدّمت القبة قبل أن تصل إلى مكة، وانظر قسم الصحيح [٧/ ٢٠٩].

يا أيُّها السائل عن دينِنا ... نحن على دين أبي شاكر[١]
نشربُها صِرفاً وممزوجةً ... بالسُّخْنِ أحياناً وبالفاتِر

فغضب هشام على ابنه مسلمة ـ وكان يكنى أبا شاكر ـ وقال له: يعيّرني بك الوليد وأنا أرشّحك للخلافة! فالزم الأدب واحضر الجماعة.

وولاّه الموسم سنة تسع عشرة ومئة، فأظهر النسك والوّقار واللين، وقسم بمكة والمدينة أموالاً، فقال مولى لأهل المدينة:

يا أيّها السائل عن دينِنا ... نحنُ على دين أبي شاكِر
الواهبِ الجُرْدَ بأرسانها ... ليس بزِنديق ولا كافِر

يعرّض بالوليد.

وأمّ مسلمة بن هشام أمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص، فقال الكميت:

إنّ الخلافة كائنٌ أوتادُها ... بعدَ الوليد إلى ابن أُمّ حكيم

فقال خالد بن عبد الله القسريّ: أنا بريءٌ من خليفة يكنى أبا شاكر؛ فغضب مسلمة بن هشام على خالد، فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله، كتب أبو شاكر إلى خالد بن عبد الله بشعر هجا به [يحيى] بن نوفل خالداً وأخاه أسداً حين مات:

أَراحَ مِن خالدٍ وأَهلكه ... ربُّ أَراح العبادَ مِنْ أَسدِ
أَمّا أَبُوهُ فكان مؤتَشِباً ... عبداً لئيماً لأَعْبُد قُفْدِ[٢]

وبعث بالطومار مع رسول على البريد إلى خالد؛ فظنّ أنه عزّاه عن أخيه، ففضّ الخاتم، فلم ير في الطُومار غير الهجاء، فقال: ما رأيت كاليوم تعزية!

وكان هشام يعيب الوليدَ ويتنقّصه، وكَثُر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به، فلمّا رأى الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصّته ومواليه، فنزل بالأزرق؛ بين أرض بَلْقَيْنَ وفَزارة، على ماء يقال له الأغدف، وخلّف كاتبه عيَاض بن مسلم

---

(١) في الأغاني: ٧: ٣، وقال: «بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونحله إياه».

(٢) مؤتشب: أي غير صريح في نسبه. القاموس المحيط ص٧٦، والعبد الأقفد: الكزاليدين والرجلين القصير الأصابع. القاموس المحيط ص٣٩٨.

مولى عبد الملك بن مروان بالرّصافة ، فقال له: اكتب إليّ بما يحدث قبَلكم ، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى ، فشربوا يوماً فلما أخذ فيهم الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد: يا أبا وهب ، قل أبياتاً ، فقال[1]:

أَلَــم تَــر للنجــم إذ شُيِّعــا يُبــادِرُ فــي بُــرجِــه المَــرْجِعــا
تحيَّــرَ عــنْ قصــدِ مَجْــراتِــهِ أتــى الغــوْر والتَمَـس المَطْلَعــا
فقلــتُ وأعْجبَنِــي شــأْنُــه وقــد لاحَ إذ لاحَ لِــي مُطعِمَــا:
لَعَــلَّ الــوليــدَ دنــا مُلكُــهُ فــأَمســى إليــه قــدِ استُجمِعَــا
وكنَّــا نــؤمِّــلُ فــي ملكِــه كتــأْميــلِ ذي الجــدْبِ أن يُمْــرِعــاً
عقَــدنــا لــه مَحْكمَــاتِ الأمــو رِ طــوعــاً فكــان لهــا مَــوْضعــا

ورُوي الشعر؛ فبلغ هشاماً؛ فقطع عن الوليد ما كان يُجري عليه ، وكتب إلى الوليد: بلغني عَنْك أنك اتّخذتَ عبد الصمد خِدناً ومحدّثاً ونديماً؛ وقد حقّق ذلك عندي ما بلغني عنك ، ولم أبرِّئك من سوء ، فأخرِج عبد الصمد مذموماً مدحوراً ، فأخرجه ، وقال فيه:

لقــد قَــذفــوا أبــا وهْــبٍ بــأَمــرٍ كبيــر بــل يــزيــدُ علــى الكَبيــرِ[2]
فــأَشهَــدُ أنهــم كَــذبــوا عليــه شهــادةَ عــالِــمٍ بِهِــمِ خبيــرِ

وكتب الوليد إلى هشام يُعْلمه إخراج عبد الصمد ، واعتذر إليه مما بلغه من منادمته ، وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه - وكان ابن سهيل من أهل اليمن وقد ولي دمشق غير مرّة ، وكان ابن سهيل من خاصّة الوليد - فضرب هشام بنَ سُهيل وسيّره ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد ، وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليد ، فضربه ضرباً مبرِّحاً ، وألبسه المُسوح. فبلغ الوليد ، فقال: مَنْ يثق بالناس ، ومن يصطنع المعروف! هذا الأحول المشؤوم قدّمه أبي على أهل بيته فصيَّره وليّ عهده ، ثم يصنع بي ما ترون؛ لا يعلم أنّ لي في أحد هوًى إلا عبث به ، كتب إليّ أن أخرِج عبد الصمد فأخرجتُه إليه ، وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليّ ، فضربه وسيَّره ، وقد علم رأيي فيه ، وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إليّ ، وتحرّمه بي ومكانه مني وأنه كاتبي ، فضربه

(١) الأغاني ٧: ٨.
(٢) الأغاني ٧: ٩.

وحبسه ، يضارّني بذلك ؛ اللهم أجرني منه! وقال :

أنـا النـذِيـرُ لِمسْـدِي نعمـة أبـداً ... إلى المقاريف ما لَم يَخبُرِ الدّخَلاَ[1]

إن أنْـت أكـرمتهُـمْ أَلفَيْتهُـم بُطُـراً ... وإنْ أَهَنْتهُـمُ أَلفيتهـمْ ذُلُـلا

أتشمُخـونَ ومنَّـا رأسُ نعمتِكـمْ ... ستَعَلَمُـونَ إِذَا كـانـت لنـا دُوَلا

انظرْ فإن كنت لم تَقدِرْ على مَثَل ... له سوى الكلب فاضربْه له مَثلا

بينـا يُسمِّنُـهُ للصيـدِ صـاحبُـهُ ... حتى إذا ما قوي مِنْ بَعدِ ما هُزلا

عـدَا عليـه فلـم تَضـرُرْهُ عَـدْوَتُـهُ ... ولـو أَطـاقَ لـه أكـلا لقـد أَكَـلاَ

وكتب إلى هشام :

لقد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين من قَطْع ماقطع عنّي ، ومحو ما محا من أصحابي وحُرَمي وأهلي ، ولم أكن أخاف أن يبتلِيَ الله أمير المؤمنين بذلك ولا أبالي به منه ؛ فإن يكن ابن سُهَيل كان منه ما كان فبحسب العيْر أن يكون قدر الذئب ؛ ولم يبلغ من صنيعي في ابن سُهيل واستصلاحه ، وكتابي إلى أمير المؤمنين فيه كُنْه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتي ؛ فإن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين عليّ ، فقد سبّب الله لي من العهد ، وكتب لي من العمر ، وقسم لي من الرزق ما لا يقدر أحد دون الله على قطع شيء منه دون مُدّته ، ولا صرف شيء عن مواقعه ؛ فقدَر الله يجري بمقاديره فيما أحبّ الناس أو كرهوا ، ولا تأخيرَ لعاجله ولا تعجيل لآجله ، فالناس بين ذلك يقترفون الآثام على نفوسهم من الله ، ولا يستوجبون العقوبة عليه ، وأمير المؤمنين أحقّ أمته بالبصر بذلك والحفظ له ، والله الموفّق لأمير المؤمنين بحسن القضاء له في الأمور[2] .

فقال هشام لأبي الزبير : يا نسَطاس ، أترى الناس يرضون بالوليد إن حدث بي حدث؟ قال : بل يطيل الله عمرَك يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك! لابدّ من

(١) الأغاني ٧ : ١٠ . المقاريف : الأنذال . القاموس المحيط ص ١٠٩١ .

(٢) الأغاني : ٧ : ١٢ ، ١٣ ، وبعدها هناك : «وكتب له الوليد في آخر كتابه :

ألَيْـسَ عظيمـاً أن أرَى كُـلَّ واردٍ ... حيـاضـك يـومـاً صـادراً بـالنّـوافـلِ

فـأَرجِـعَ محمـودَ الـرجـاءِ مُصَـرَّداً ... بتحْلئـة عـن وِرْد تلـك المنـاهِـل

فـأصْبَحْـتُ ممّـن كنـتُ آمُـلُ مِنْكُـمُ ... ولـي بـلاقِ مـا رجـا كـلُّ آمـلِ

كمقتبـض يـومـاً عُـرْض هَبْـوَة ... يشُـدُّ عَلَيْهَـا كفَّـهُ بـالأنـامِـل

الموت؛ أفترى الناس يرضَوْن بالوليد؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ له في أعناق الناس بَيْعةً، فقال هشام: لئن رضي الناس بالوليد ما أظنُّ الحديث الذي رواه الناس: «إن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار»، إلا باطلاً.

وكتب هشام إلى الوليد:

قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قَطْع ما قَطَع عنك وغير ذلك؛ وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجري عليك؛ ولا يتخوّف على نفسه اقتراف المآثم في الذي أحدث من قطع ما قطع، ومحو من محا من صحابتك، لأمرين: أمّا أحدُهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجري عليك؛ وهو يعلم وضعَك له وإنفاقه في غير سبيله، وأما الآخر فإثبات صحابتك، وإدرار أرزاقهم عليهم؛ لا ينالهم ما ينال المسلمين في كلّ عام من مكروه عند قطع البعوث، وهم معك تجُول بهم في سَفهك؛ ولأميرُ المؤمنين أحرى في نفسه للتقصير في القتْرِ عليك منه للاعتداء عليك فيها، مع أن الله قد نصر أمير المؤمنين في قَطْع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخوّف مما سلف فيه منه، وأما ابنُ سُهيل فلعمري لئن كان نزل منك بما نزل، وكان أهلاً أن تُسرَّ فيه أو تساء؛ ما جعله الله كذلك، وهل زاد ابنُ سهيل ـ لله أبوك ـ على أن كان مغنياً زفّاناً[1]، قد بلغ في السفه غايته! وليس ابن سهيل مع ذلك بشرٍّ ممَّن تستصحبه في الأمور التي يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها، مما كنتَ لَعمر الله أهلاً للتوبيخ به؛ ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به في الحرص على فسادك؛ إنك إذاً لغير آلٍ عن هوى أمير المؤمنين من ذلك.

وأما ما ذكرتَ مما سبَّب الله لك؛ فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك، واصطفاه له؛ والله بالغٌ أمره. لقد أصبح أمير المؤمنين وهو على اليقين من ربّه؛ أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه من كرامته ضَرّاً ولا نفعاً؛ وإن الله وليّ ذلك منه؛ وإنه لا بدّ له من مزايلته؛ والله أرأف بعباده وأرحم من أن يولى أمرهم غير الرضيّ له منهم، وإنّ أمير المؤمنين من حسن ظنه بربّه لعلي أحسن الرّجاء أن يوليه تسبيب ذلك لمن هو أهله في الرضا له به ولهم؛ فإنّ بلاءَ الله عند أمير المؤمنين

---

(١) الزفان: الرقاص، القاموس المحيط ص ١٥٥٣.

أعظمُ من أن يبلغه ذكره ، أو يؤديه شكره ؛ إلا بعون منه ؛ ولئن كان قُدِّرَ لأمير المؤمنين تعجيل وفاةٍ ، وإنّ في الذي هو مفضٍ إليه إن شاء الله من كرامةِ الله لخَلَفاً من الدنيا ، ولعمري إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبتَ به لغيرُ مستنكر من سفهك وحمقك ، فاربَع على نفسك من غُلوائها ، وارقأ على ظَلْعك ؛ فإن لله سطوات وعيناً ؛ يصيب بذلك من يشاءُ ، ويأذن فيه لمن يشاء ممن شاء الله ؛ وأميرُ المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحبّ الأمور إليه وأرضاها له.

فكتب الوليد إلى هشام:

رأَيتُكَ تبْنِي جاهداً في قَطِيعَتِي[1] فَلَوْ كُنْتَ ذَا إِرْبٍ لَهَدَّمْت ما تبْنِي

تُثِيرُ على الباقِينَ مَجْنَى ضَغينةٍ فَوَيلٌ لهُمْ إنْ مِتّ مِنْ شَرّ ما تجني!

كأَني بهِمْ واللَّيْثُ أَفْضلُ قوْلِهِمْ أَلاَ لَيْتَنا واللَّيْثُ إذ ذاكَ لا يُغْنِي

كفَرْتَ يَداً مِنْ مُنْعِمٍ لو شَكَرْتَها جَزَاكَ بها الرَّحمنُ ذو الفضل والمنِّ

قال: فلم يزل الوليد مُقيماً في تلك البرّية حتى مات هشام؛ فلما كان صبيحةُ اليوم الذي جاءته فيه الخلافة ، أرسل إلى أبي الزّبير المنذر بن أبي عمرو ، فأتاه فقال له: يا أبا الزبير؛ ما أتت عليّ ليلة منذ عقلت عقلي أطولَ من هذه الليلة؛ عرضت لي هموم ، وحدّثت نفسِي فيها بأمور من أمر هذا الرجل؛ الذي قد أولع بي - يعني هشاماً - فاركب بنا نتنفس؛ فركبا ، فسارا ميلين؛ ووقف على كثيب ، وجعل يشكو هشاماً إذ نظر إلى رَهج ، فقال: هؤلاء رسلُ هشام؛ نسأل الله من خيرهم ، إذ بدا رجلان على البريد مقبلان؛ أحدهما مولىً لأبي محمد السفيانيّ ، والآخر جَرْدَبَة.

فلما قربا أتيا الوليد ، فنزلا يعدوَان حتى دنَوَا منه ، فسلما عليه بالخلافة ، فوَجَم ، وجعل جردبة يكرّر عليه السلام بالخلافة ، فقال: ويحك! أمات هشام! قال: نعم؛ قال فممّن كتابك؟ قال: من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل ، فقرأ الكتاب وانصرفا ، فدعا مولى أبي محمد السُّفيانيّ ، فسأله عن كاتبه عياض بن مسلم ، فقال: يا أمير المؤمنين؛ لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمرُ الله. فلما صار في حدّ لا تُرجَى الحياة لمثله أرسل عياض إلى الخُزّان؛

---

(١) الأغاني: ٧: ٨ ، وفي ابن الأثير: «تبني دائماً».

أن احتفظوا بما في أيديكم ، فلا يصلن أحدٌ منه إلى شيء. وأفاق هشام إفاقةً ، فطلب شيئاً فمنعوه فقال: أرانا كنا خُزّاناً للوليد! ومات من ساعته ، وخرج عياضٌ من السجن ، فختم أبواب الخزائن ، وأمر بهشام فأنزِل عن فرشه؛ فما وجدوا له قُمقماً يسخّن له فيه الماء حتى استعاروه ، ولا وجدوا كفناً من الخزائن؛ فكفّنه غالب مولى هشام؛ فكتب الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أن يأتيَ الرُّصافة ، فيحصيَ ما فيها من أموال هشام وولده ، ويأخذ عمّاله وحشَمه؛ إلا مسلمة بن هشام؛ فإنه كتب إليه ألاّ يعرض له ، ولا يدخل منزله؛ فإنه كان يكثر أن يكلم أباه في الرّفق به ، ويكفّه عنه ، فقدم العباس الرُّصافة فأحكم ما كتب به إليه الوليد؛ وكتب إلى الوليد بأخذ بني هشام وحشمه وإحصاء أموال هشام ، فقال الوليد:

لَيْتَ هِشاماً كان حَيّاً يَرَى ... مِحْلَبَهُ الأَوْفَرَ قَدْ أُتْرِعا[1]

ويروى:

لَيْت هشاماً عاشَ حتى يرى ... مِكْيالَهُ الأَوْفَرَ قَدْ طُبّعا
كِلْنَاهُ بالصاعِ الذي كالَه ... وما ظَلَمْنَاهُ بِهِ إِصْبَعَا
وما أتيناذاكَ عَنْ بِدْعَةٍ ... أَحَلَّهُ الفُرقانُ لي أجْمَعا

فاستعمل الوليد العمّال ، وجاءته بيعته من الآفاق؛ وكتب إليه العمّال ، وجاءته الوفود؛ وكتب إليه مروان بن محمد:

بارك الله لأمير المؤمنين فيما أصاره إليه من ولاية عباده ، ووراثة بلاده؛ وكان من تغشّي غمْرة سكرة الولاية ما حمل هشاماً على ما حاول من تصغير ما عظّم الله من حقّ أمير المؤمنين ، ورام من الأمر المستصعَب عليه؛ الذي أجابه إليه المدخولون[2] في آرائهم وأديانهم؛ فوجد ما طمع فيه مستصعباً ، وزاحمته الأقدار بأشدّ مناكبها ، وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى أزّره بأكرم مناطق الخلافة ، فقام بما أراه الله له أهلاً ، ونهض مستقلاً بما حُمِّل منها ، مثبتة ولايته في سابق الزُّبُر[3] بالأجل المسمى ، وخصّه الله بها على خلْقه وهو

---

(١) الأغاني: ٧: ١٨.
(٢) المدخول: من في عقله دخل؛ أي فساد. القاموس المحيط ص ١٢٩٠.
(٣) الزبر: جمع زبور؛ وهو الكتاب. القاموس المحيط ص ٥٠٩.

يرى حالاتِهم ، فقلّده طَوقها ، ورمى إليه بأزمّة الخِلافة وعِظم الأمور.

فالحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته ، ووثائق عُرَى دينه ، وذبّ له عما كاده فيه الظالمون ، فرفعه ووضعهم؛ فمن أقام على تلك الخسِيسة من الأمور أوْبق[١] نفسه ، وأسخطَ ربَّه ، ومن عدلتْ به التوبة نازعاً عن الباطل إلى حقّ وجد الله توّاباً رحيماً.

أُخْبِرُ أميرَ المؤمنين أكرمه الله أني عندما انتهى إليّ من قيامه بولاية خلافة الله ، نهضتُ إلى منبري؛ عليّ سيفان مستعدّاً بهما لأهل الغشّ؛ حتى أعلمت مَنْ قِبلَي ما امتنّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين ، فاستبشروا بذلك ، وقالوا: لم تأتنا ولاية خليفة كانت آمالنا فيها أعظم ولا هي لنا أسرّ من ولاية أمير المؤمنين؛ وقد بسطتُ يدي لبيعتك فجدّدتها ووكّدتها بوثائق العهود وترداد المواثيق وتغليظ الأيمان ، فكلهم حسُنت إجابتُهم وطاعتُهم ، فأثبْهم يا أميرَ المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذي آتاك؛ فإنك أجودُهم جوداً وأبسطهم يداً؛ وقد انتظروك راجين فضلَك قِبلَهم بالرّحم الذي استرحموك ، وزدْهم زيادة يفضّل بها مَنْ كان قِبلَك؛ حتى يظهر بذلك فضلُك عليهم وعلى رعيّتِك؛ ولولا ما أحاول من سدّ الثغر[٢] الذي أنا به ، لخفتُ أن يحملني الشوق إلى أمير المؤمنين أن أستخلف رجلاً على غير أمره ، وأقدمَ لمعاينة أمير المؤمنين؛ فإنها لا يعدلها عندي عادل نعمة وإن عظمت؛ فإنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في المسير إليه لأشافهه بأمور كرهتُ الكتاب بها فعل.

فلما وليَ الوليد أجرى على زَمْنى أهِل الشأم وعميانهم وكسَاهم ، وأمر لكل إنسان منهم بخادم ، وأخرج لعيالات الناس الطيبَ والكسوة؛ وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام ، وزاد الناس جميعاً في العطاء عشرة عشرة ، ثم زاد أهل الشأم بعد زيادة العشرات عشرة عشرة؛ لأهل الشأم خاصّة ، وزاد مَن وفد إليه من أهل بيته في جوائزهم الضِّعْف ، وكان وهو وليّ عهد يُطعِم من وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً ، ويُطعِم من صدَر عن الحجّ بمنزل يقال له زِيزاء ثلاثة أيام ،

(١) أوبق نفسه؛ أي أهلكها. القاموس المحيط ص ١١٩٧.
(٢) الثغر: موضع المخافة من فروج البلدان. القاموس المحيط ص ٤٥٨.

ويعلف دوابّهم ، ولم يقُلْ في شيء يُسأله : لا ، فقيل : له : إن في قولك : أنظرُ ، عِدَةً ما يقيم عليها الطالب؛ فقال : لا أعوّد لساني شيئاً لم أعتَده ، وقال :

ضَمِنْتُ لكم إنْ لم تُعقْنِي عَوائِقٌ ... بأَنَّ سَماءَ الضُرِّ عَنكم سَتُقْلِعُ[1]

سَيُوشِكُ إلحاقٌ مَعاً وزيادةٌ ... وأعطِيَة مِنِّي عَليكُمْ تَبَرَّعُ

مُحرَّمكُمْ دِيوانُكُمْ وعطاؤكمْ ... به يكْتُبُ الكتَّابُ شَهراً وتَطبَعُ

* * *

وفي هذه السنة عقد الوليد بن يزيد لابنيْه الحكَم وعثمان البَيْعة من بعده ، وجعلهما وليّيْ عهده؛ أحدهما بعد الآخر ، وجعل الحكم مقدّماً على عثمان ، وكتب بذلك إلى الأمصار؛ وكان ممن كتب إليه بذلك يوسف بن عمر ، وهو عامل الوليد يومئذ على العراق ، وكتب بذلك يوسف إلى نَصْر بن سيار؛ وكانت نسخة الكتاب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من يوسف بن عمر إلى نَصْر بن سيّار؛ أما بعد فإني بعثت إليك نسخّة كتاب أمير المؤمنين الذي كتب به إلى مَنْ قِبَلي في الذي ولّى الحَكَم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده مع عقّال بن شَبّة التميميّ وعبد الملك القينيّ ، وأمرتهما بالكلام في ذلك؛ فإذا قدما عليك فاجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس ، ومُرْهم فليحشُدوا له ، وقُمْ فيهم بالذي كتب أمير المؤمنين؛ فإذا فرغت فقم بقراءة الكتاب ، وائْذَن لمن أراد أن يقوم بخطبة ، ثم بايع الناس لهما على اسم الله وبركته ، وخذ عليهم العهد والميثاق على الذي نسختُ لك في آخر كتابي هذا الذي نسخ لنا أمير المؤمنين في كتابه ، فافهمه وبايع عليه ، نسأل الله أن يبارك لأمير المؤمنين ورعيّته في الذي قضي لهم على لسان أمير المؤمنين ، وأن يصلح الحَكم وعثمان ، ويبارك لنا فيهما؛ والسلام عليك .

وكتب النّضرْ يوم الخميس للنصف من شعبان سنة خمس وعشرين ومئة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، تبايع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكَم ابن

(١) الأغاني ٧ : ٢١ .

أمير المؤمنين إن كان من بعده وعثمان ابن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة؛ وإن حدَث بواحد منهما حدث فأميرُ المؤمنين أملك في ولده ورعيته، يقدّم من أحبّ، ويؤخر مَنْ أحبّ. عليك بذلك عهد الله وميثاقه؛ فقال الشاعر في ذلك:

نبـايـع عُثمـانَ بَعْـدَ الـوَليـ ـد لِلعَهْدِ فينا ونرْجُو يَـزِيـدا
كمـا كـان إذا ذاك فـي ملكـهِ يَـزِيـدُ يُـرَجّـي لـذاك الـوَليـدا
عَلَـى أنَّهـا شَسَعَـتْ شَسْعَـةً فنحْـنُ نـومّلُهـا أَن تَعُـودا
فـإنْ هِـيَ عَـادَت فـأَرْض القَـريـ ـب عنها لِيؤيِسَ منها البَعِيدا

قال أحمد: قال عليّ عن شيوخه الذين ذكرت: فقدِم عقّال بن شبَّة وعبد الملك بن نُعيم على نَصْر، وقدما بالكتاب وهو:

أما بعدُ؛ فإنّ الله تباركتْ أسماؤه، وجلّ ثناؤه، وتعالى ذكره، اختار الإسلام ديناً لنفسه، وجعله دين خيرته من خَلْقه، ثم اصطفى من الملائكة رُسُلاً ومن الناس؛ فبعثهم به، وأمرهم به؛ وكان بينهم وبين مَن مضى من الأمم، وخلا من القرون قَرْناً فقرْناً يدعون إلى التي هي أحسن، ويهدون إلى صراط مستقيم؛ حتى انتهت كرامة الله في نبوّته إلى محمد صلوات الله عليه؛ على حين دُروسٍ من العلم، وعمىً من الناس، وتشتيت من الهوى، وتفرّقٍ من السبُل، وطموسٍ من أعلام الحقّ؛ فأبان الله به الهُدَى، وكشف به العمى، واستنقذ به من الضلالة والرّدَى، وأبهج به الدين؛ وجعله رحمةً للعالمين، وختم به وحَيه، وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله؛ وقفّى به على آثارهم؛ مصدّقاً لما نزل معهم، ومهيمناً عليه، وداعياً إليه، وآمراً به؛ حتى كان مَنْ أجابه من أمته، ودخل في الدين الذي أكرمهم الله به، مصدّقين لما سلف من أنبياء الله فيما يكذّبهم فيه قومُهم، منتصحين لهم فيما يُنهونه، ذابّين لحُرمهم عما كانوا منتهكِين؛ معظمين منها لما كانوا مصغّرين؛ فليس من أمة محمد ﷺ أحدٌ كان يسمع لأحد من أنبياء الله فيما بعثه الله به مكذباً، ولا عليه في ذلك طاعناً، ولا له مؤذياً بتسفيه له، أو ردٍّ عليه. أو جحد ما أنزل الله عليه ومعه، فلم يبقَ كافر إلا استحلّ بذلك دمَه، وقطع الأسباب التي كانت بينه وبينه؛ وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتَهم، ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوّته؛ حين قبض نبيَّه ﷺ، وختَم به وحَيه لإنفاذ

حكمه ، وإقامة سنّته وحدوده ، والأخذ بفرائضه وحقوقه ، تأييداً بهم للإسلام ، وتشييداً بهم لعُرَاه؛ وتقويةً بهم لقوى حبله ، ودفعاً بهم عن حريمه ، وعَدْلاً بهم بين عباده ، وإصلاحاً بهم لبلاده؛ فإنه تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] ، فتتابع خلفاء الله على ما أورثَهم الله عليه من أمر أنبيائه ، واستخلفهم عليه منه؛ لا يتعرّض لحقهم أحد إلا صرَعه الله ، ولا يفارق جماعتهم أحدٌ إلا أهلكه الله؛ ولا يستخفّ بولايتهم ، ويتّهم قضاء الله فيهم أحدٌ إلا أمكنَهم الله منه ، وسلّطهم عليه ، وجعله نكالاً وموعظة لغيره؛ وكذلك صنع الله بمن فارقَ الطاعة التي أمر بلزومها والأخذ بها ، والأثرة لها؛ والتي قامت السموات والأرض بها؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[2] وقال عزّ ذكره: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] .

فبالخلافة أبقى مَن أبقى في الأرض من عباده ، وإليها صيّره ، وبطاعة مَنْ ولاّه إياها سعد من ألهمها ونصرها؛ فإن الله عزّ وجلّ علم أنْ لا قوام لشيء ، ولا صلاح له إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقه ، ويُمضى بها أمره ، ويُنْكِل[4] بها عن معاصيه ، ويوقف عن محارِمه ، ويذبّ عن حرُماته؛ فمن أخذ بحظه منها كان لله وليّاً ولأمره مطيعاً ، ولرشده مصيباً ، ولعاجل الخير وآجله مخصوصاً؛ ومَن تركها ورغب عنها وحادّ الله فيها أضاع نصيبَه ، وعصى ربّه ، وخسر دنياه وآخرته؛ وكانَ ممن غلبت عليه الشِّقْوة ، واستحوذت عليه الأمور الغاوية ، التي تورد أهلها أفظعَ المشارع[5] ، وتقودهم إلى شرّ المصارع ، فيما يحلّ الله بهم في الدنيا من الذلة والنقمة ، ويصيّرهم فيما عندهم من العذاب والحسْرة.

---

(١) البقرة: ٢٥١.
(٢) فصلت: ١١.
(٣) البقرة: ٣٠.
(٤) أنكله عن حاجته: دفعه عنها. القاموس المحيط ص ١٣٧٦.
(٥) المشارع: جمع مشرعة؛ وهو مورد الشاربة. القاموس المحيط ص ٩٤٦.

والطاعة رأس هذا الأمر وذِرْوته وسنامه ومِلاكه وزمامه ، وعصمته وقوامه بعد كلمة الإخلاص التي ميّز الله بها بين العباد ، وبالطاعة نال المفلحون من الله منازلهم ، واستوجبوا عليه ثوابهم ، وفي المعصية مما يحلّ بغيرهم من نقماته ، ويُصيبهم عليه ، ويحقُّ من سخطه وعذابه ، وبترك الطاعة والإضاعة لها والخروج منها والإدبار عنها والتبذّل [للمعصية] بها ، أهلك الله مَن ضلّ وعَتا ، وعمى وغلا ، وفارق مناهج البرّ والتقوى .

فالزموا طاعة الله فيما عَراكم ونالكم؛ وألَمَّ بكم من الأمور وناصحوها واستوثقوا عليها ، وسارعوا إليها وخالصوها ، وابتغوا القُرْبة إلى الله بها؛ فإنكم قد رأيتم مواقع الله لأهلها في إعلائه إياهم ، وإفلاجه[١] حجّتهم ، ودفعه باطل مَنْ حادّهم وناوأهم وساماهم ، وأراد إطفاء نور الله الذي معهم ، وخُبّرتُم مع ذلك ما يصير إليه أهل المعصية من التَّوبيخ لهم والتقصير بهم؛ حتى يؤولَ أمرُهم إلى تبار وصَغار ، وذلة وبوار ، وفي ذلك لمن كان له رأى وموعظة عبرة يُنتفع بواضحها ، ويتمسّك بحظوتها؛ ويعرف خيرة قضاء الله لأهلها .

ثم إن الله ـ وله الحمد والمنّ والفضل ـ هدى الأمة لأفضل الأمور عاقبةً لها في حَقْن دمائها ، والتئام ألفتها ، واجتماع كَلِمتها ، واعتدال عَمُودها ، وإصلاح دهمائها[٢] . وذخر النعمة عليها في دنياها ، بعد خلافَتِه التي جعلها لهم نظاماً ، ولأمرهم قواماً؛ وهو العهد الذي ألهم اللهُ خلفاءه توكيَده والنظر للمسلمين في جسيم أمرهم فيه؛ ليكون لهم عندما يحدث بخلفائهم ثقةً في المفزع وملتجأ في الأمر ، ولمّاً للشّعَث ، وصلاحاً لذات البَيْن ، وتثبيتاً لأرجاء الإسلام ، وقطعاً لنزغات الشيطان ، فيما يتطلع إليه أولياؤه ، ويُوثبهم عليه من تلَف هذا الدين وانصداع شَعْب أهله ، واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه؛ فلا يريهم الله في ذلك إلاّ ما ساءهم ، وأكذب أمانيّهم ، ويجدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عُقد أمورهم ، ونفى عنهم من أراد فيها إدغالاً أو بها إغلالاً ، أو لما شدّد الله منها توهيناً ، أو فيما تولّى الله منها اعتماداً ، فأكمل الله بها لخلفائه وحِزْبه البَرّ

---

(١) أفلج لله حجته : نصرها وأظهرها . القاموس المحيط ص ٢٥٨ .

(٢) الدهماء : جماعة الناس . القاموس المحيط ص ١٤٣٣ .

الذين أودعهم طاعته أحسن الذي عوّدهم ، وسبّب لهم من إعزازه وإكرامه وإعلائه وتمكينه ، فأمْرُ هذا العهد من تمام الإسلام ، وكمال ما استوجب الله على أهله من المنَن العظام؛ ومما جعل الله فيه لمن أجراه على يديْه ، وقضى به على لسانه ، ووفّقه لمن ولاّه هذا الأمر عنده أفضلَ الذُّخر؛ وعند المسلمين أحسن الأثر فيما يؤثِر بهم من منفعته ، ويتّسع لهم من نعمته ، ويستندون إليه من عِزّه ، ويدخلون فيه من وزره الذي يجعل الله لهم به منَعة ، ويحرزهم به من كلّ مهلَكة ، ويجمعهم به من كلّ فُرقة ، ويقمع به أهل النّفاق ، ويعصِمهم به من كلّ اختلاف وشقاق ، فاحمدَوا الله ربّكم الرؤوف بكم ، الصانع لكم في أموركم على الذي دلّكم عليه من هذا العهد؛ الذي جعله لكم سكناً ومعولاً تطمئنون إليه ، وتستظلون في أفنانه؛ ويستنهج لكم به مثْنَى أعناقكم ، وَسِمات وجوهكم ، وملتَقى نواصيكم في أمر دينكم ودنياكم؛ فإنّ لذلك خطراً عظيماً من النعمة ، وإنّ فيه من الله بلاء حسناً في سعة العافية؛ يعرفه ذوو الألباب والنيات المريّئون[1] من أعمالهم في العواقب ، والعارفون منارَ مناهج الرّشد؛ فأنتم حقيقون بشكْر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من ذلك ، جديرون بمعرفة كنه واجب حقه فيه ، وحمده على الذي عزم لكم منه؛ فلتكن منزلة ذلك منكم ، وفضيلته في أنفسكم على قَدْر حسن بلاء الله عندكم فيه إن شاء الله ، ولا قوّة إلا بالله .

ثم إنّ أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشيء من الأمور أشدَّ اهتماماً وعنايةً منه بهذا العهد؛ لعلمه بمنزلته من أمر المسلمين ، وماأراهم الله فيه من الأمور التي يغتبطون بها، ويكرمهم بما يقضى لهم ويختار له ولهم فيه جهده؛ ويستقضي له ولهم فيه إلهه ووليّه؛ الذي بيده الحكْم وعند الغيب ، وهو على كل شيء قدير ، ويسأله أن يعينه من ذلك على الذي هو أرشد له خاصة وللمسلمين عامَّة .

فرأى أمير المؤمنين أن يعهدَ لكم عهداً بعد عهد ، تكونون فيه على مثل الذي كان عليه من كان قبلكم ، في مُهْلة من انفساح الأمل وطُمأنينة النفس ، وصلاح ذات البين؛ وعِلْم موضع الأمر الذي جعله الله لأهله عصمةً ونجاةً وصلاحاً وحياة ، ولكل منافق وفاسق يحبّ تلف هذا الدّين وفساد أهله وقْماً وخساراً

---

(١) ريأ في الأمر ترئية: نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بالجواب. القاموس المحيط ص ٥٣ .

وقدْعاً[١] ، فولّى أمير المؤمنين ذلك الحكمَ ابن أمير المؤمنين ، وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده ، وهما ممّن يرجو أمير المؤمنين أن يكون الله خلقه لذلك وصاغه ، وأكمل فيه أحسنَ مناقب من كان يوليه إياه ، في وفاء الرّأي وصحة الدين ، وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الأمور ، ولم يأْلُكم أمير المؤمنين ولا نفسه في ذلك اجتهاداً وخيراً.

فبايعوا للحكَم ابن أمير المؤمنين باسم الله وبركتِه ولأخيه من بعده؛ على السمع والطاعة ، واحتسبوا في ذلك أحسنَ ما كان الله يُريكم ويبليكم ويعوّدكم ويعرّفكم في أشباهه فيما مضى، من اليسر الواسع والخير العام ، والفضل العظيم الذي أصبحتم في رَجائه وخفضه وأمنه ونعمته ، وسلامته وعصمته ، فهو الأمر الذي استبطأتموه واستسرعتم إليه، وحمدتم الله على إمضائه إياه، وقضائه لكم، وأحدثتم فيه شكراً، ورأيتموه لكم حظّاً، تستبقونه وتجهدون أنفسكم في أداء حقّ الله عليكم، فإنه قد سبق لكم في ذلك من نِعمَ الله وكرامته وحسن قَسْمه ما أنتم حقيقون أن تكون رغبتكم فيه ، وحَدَبكم عليه، على قَدْر الذي أبلاكم الله، وصنع لكم منه.

وأمير المؤمنين مع ذلك إن حدث بواحد من وليّيْ عهده حَدَثٌ أَوْلَى بأن يجعل مكانه وبالمنزل الذي كان به مَنْ أحبّ أن يجعل من أمته أو ولده ، ويقدّمه بين يدي الباقي منهما إنْ شاء ، أو أن يؤخره بعده ، فاعلموا ذلك وافهموه.

نسأل الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمٰن الرحيم أن يبارك لأمير المؤمنين ولَكُم في الذي قضي به على لسانه من ذلك وقدّر منه؛ وأن يجعل عاقبته عافيةً وسروراً وغبطة؛ فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هُوَ ، ولا يرغب فيه إلا إليه ، والسلام عليكم ورحمة الله.

وكتب سَمَال يوم الثلاثاء لثمان بقين من رجب سنة خمس وعشرين ومئة.

* * *

وفيها وفد يوسف بن عمر على الوليد ، فاشترى نصراً وعماله منه ، فردّ إليه الوليد ولاية خراسان.

وفي هذه السنة كتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيَّار يأمره بالقدوم عليه ،

---

(١) الوقم: الإذلال القاموس المحيط ص ١٥٠٧ ، والقدع: الكف. القاموس المحيط ٩٦٧.

ويحمل معه ما قدَر عليه من الهدايا والأموال.

* ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر في ذلك:

ذكر عليّ عن شيوخه: أن يوسف كتب إلى نَصْر بذلك، وأمرَه أن يقدَم معه بعياله أجمعين، فلما أتى نصراً كتابه، قسّم على أهل خراسان الهدايا وعلى عُمّاله، فلم يدعْ بخُراسان جاريةً ولا عبداً ولا بِرذوْنا فارهاً إلا أعدَّه، واشترى ألف مملوك، وأعطاهم السلاح، وحملهم على الخيل.

قال: وقال بعضهم: كان قد أعدَّ خمسمئة وصيفة، وأمر بصنعة أباريق الذّهب والفِضّة وتماثيل الظباء ورؤوس السّباع والأيايل وغير ذلك؛ فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثّه، فسّرح الهدايا حتى بلغ أوائلها بَيْهق؛ فكتب إليه الوليد يأمره أن يبعث إليه ببرابط وطنابير، فقال بعض شعرائهم:

فأَبْشِرْ يا أَمِينَ اللـ	ـهِ أبشِرْ بتَباشِيْر
بإِبْلٍ يُحْمَلُ المالُ	عليها كالأَنابيرْ
بِغالٌ تَحْمِلُ الخمرَ	حَقائِبها طَنابِيرْ
ودَلُّ البَرْبَريّاتِ	بِصَوتِ البَمِّ والزيْر
وقَرْعُ الدُّفِّ أحياناً	ونَفْخٌ بالمزامِيرْ
فهذا لك في الدنيا	وفي الجَنَّةِ تَحْبِيرْ

قال: وقدم الأزرق بن قرّة المِسمَعيُّ من التِّرمذ أيام هشام على نصر، فقال لنصر: إني أريتُ الوليد بن يزيد في المنام؛ وهو وليّ عهد شبه الهارب من هشام، ورأيتُه على سرير، فشرب عسلاً وسقاني بعضه، فأعطاه نصر أربعة آلاف دينار وكُسوة، وبعثه إلى الوليد، وكتب إليه نصر.

فأتى الأزرقُ الوليد، فدفع إليه المال والكسوة، فسُرّ بذلك الوليد، وألطف الأزرق، وجزى نصراً خيراً، وانصرف الأزرق، فبلغه قبل أن يصل إلى نَصْر موتُ هشام، ونصر لا علم له بما صنع الأزرق، ثم قدم عليه فأخبره؛ فلمّا ولي الوليدُ كتب إلى الأزرق وإلى نصر، وأمر رسوله أن يبتدئ بالأزرق فيدفع إليه كتابه، فأتاه ليلاً، فدفع إليه كتابه وكتاب نصر، فلم يقرأ الأزرق كتابه، وأتى نصراً بالكتابين؛ فكان في كتاب الوليد إلى نصر يأمره أن يتّخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة، وأن يجمع له كلَّ صَنّاجة بخراسان يقدر عليها، وكلَّ بازئ

وبِرْذون فاره ، ثم يسير بذلك كله بنفسه في وجوه أهل خراسان ، فقال رجل من باهلة : كان قوم من المنجّمين يُخبرون نصراً بفتنةٍ تكون؛ فبعث نصر إلى صدقة بن وثّاب وهو ببلْخ ـ وكان منجماً ـ وكان عنده ، وألحَّ عليه يوسف بالقدوم؛ فلم يزل يتباطأ ، فوجّه يوسف رسولاً وأمره بلزومه يستحثه بالقدوم ، أو ينادي في الناس أنه قد خَلَع ؛ فلما جاءه الرسول أجازه وأرضاه ، وتحوّل إلى قصره الذي هو دار الإمارة اليوم؛ فلم يأت لذلك إلا يسير حتى وقعت الفتنة ، فتحوّل نصر إلى قصره بماجان ، واستخلف عصمة بن عبد الله الأسديّ على خُراسان ، وولّى المهلبَ بن إياس العدويّ الخراج ، وولّى موسى بن ورقاءَ الناجيَ الشاشَ ، وحسان من أهل صَغَانِيانَ الأسديَّ سَمَرْقند ، ومُقاتل بن عليّ السُّغديَّ آمُل ، وأمرهم إذا بلغهم خروجُه من مَرْو أن يستحلبوا الترك؛ وأن يغيروا على ما وراء النهر؛ لينصرف إليهم بعد خروجه ، يعتلُّ بذلك ، فبينما هو يسير يوماً إلى العراق طَرَقَه ليلاً مولىً لبني لَيث؛ فلمّا أصبح أذِن للناس ، وبعث إلى رسل الوليد؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: قد كان في مسيري ما قد علمتُم ، وبعثي بالهدايا ما رأيتم؛ فطرَقني فلان ليلاً ، فأخبرني أنّ الوليد قد قُتل ، وأن الفتنة قد وقعت بالشأم؛ وقدم منصور بن جمهور العراق ، وقد هرب يوسف بن عمر ، ونحن في بلاد قد علمتم حالتها وكثرة عدوّنا ، ثم دعا بالقادم فأحلفه إنّ ما جاء به لحقّ! فحلف؛ فقال سلْم بن أحوز: أصلح الله الأمير ، لو حَلفتُ لكنت صادقاً؛ إنه بعض مكايد قريش ، أرادوا تهجين طاعتِك ، فسِرْ ولا تهجّنا. قال: يا سلم أنتَ رجل لك علم بالحروب ، ولك مع ذلك حسن طاعة لبني أمية؛ فأمّا مثل هذا من الأمور فرأيك فيه رأي أمَة همّاء[1] .

ثم قال نصر: لم أشهد بعد ابن خازم أمراً مفظعاً إلاّ كنت المفزعَ في الرأي؛ فقال الناس: قد علمنا ذلك ، فالرأي رأيك. [٧/ ٢٠٩ ـ ٢٢٦].

* * *

وفي هذه السنة وجّه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفيّ والياً على المدينة ومكة والطائف ، ودفع إليه إبراهيم ومحمد ابني هشام بن

(١) الهّماء: التي انكسرت ثنيتها. القاموس المحيط ص ٧٢.

إسماعيل المخزومي موثَقَيْن في عباءتين ، فقدم بهما المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من شعبان سنة خمس وعشرين ومئة ، فأقامهما للناس بالمدينة ، ثم كتب الوليد إليه يأمره أن يبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وهو يومئذ عامله على العراق؛ فلما قدما عليه عذبّهما حتى قتلهما؛ وقد كان رُفع عليهما عند الوليد أنهما أخذا مالاً كثيراً.

* * *

وفي هذه السنة عزل يوسف بن محمد سعد بن إبراهيم عن قضاء المدينة ، وولاهما يحيى بن سعيد الأنصاريّ.

* * *

غزو قبرس

وفيها غزّى الوليد بن يزيد أخاه الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك ، وأمَّر على جيش البحر الأسودَ بن بلال المحاربيّ ، وأمره أن يسير إلى قبرس فيخيّرهم بين المسير إلى الشأم إن شاؤوا ، وإن شاؤوا إلى الروم ، فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين ، فنقلهم الأسود إلى الشأم؛ واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها.

* * *

وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قُريظ وقحطبة بن شبيب مكة ، فلقوا ـ في قول بعض أهل السيرَ ـ محمد بن عليّ فأخبروه بقصّة أبي مسلم وما رأوْا منه؛ فقال لهم؛ أحرٌّ هو أم عبد؟ قالوا: أما عيسى فيزعم أنّه عبد ، وأما هو فيزعم أنه حرٌّ. قال: فاشتروْه وأعتقوه ، وأعطوا محمد بن عليّ مئتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم ، فقال لهم: ما أظنّكم تلقوني بعد عامي هذا ، فإن حدَثَ بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد ، فإني أثق به وأوصيكم به خيراً ، فقد أوصيته بكم ، فصدروا من عنده. [٧/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧].

وحجّ بالناس في هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف الثقفيّ ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمَّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر. [٧/ ٢٢٨].

* * *

* ذكر الخبر عن مقتله:

قد مضى ذكرُنا قبلُ أمرَ مصير يحيى بن زيد بن عليّ إلى خراسان، وسبب ذلك؛ ونذكر الآن سبَب مقتله؛ إذ كان ذلك في هذه السنة.

ذكر هشام بن محمد الكلبيّ عن أبي مخنف، قال: أقام يحيى بن زيد بن عليّ عند الحَريش بن عمرو بن داود ببَلْخ حتى هلك هشام بن عبد الملك، وولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فكتب يوسف بن عمر إلى نَصْر بن سيّار بمسير يحيى بن زيد وبمنزله الذي كان ينزل؛ حتى أخبره أنه عند الحَريش، وقال له: ابعث إليه وخُذْه أشدّ الأخذ. فبعث نصر بن سيَّار إلى عَقِيل بن معقِل العجليّ، يأمره أن يأخذ الحرِيش ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه بيحيى بن زيد بن عليّ. فبعث إليه عقيل، فسأله عنه، فقال: لا عِلْمَ لي به، فجلده ستمئة سَوْط، فقال له الحَرِيش: والله لو أنه كان تحت قدميّ ما رفعتُهما لك عنه؛ فلما رأى ذلك قُرَيش بن الحَريش أتى عَقِيلاً، فقال: لا تقتل أبي وأنا أدلك عليه، فأرسل معه فدلّه عليه، وهو في بيت في جوف بيت، فأخذه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس ـ كان أقبل معه من الكوفة ـ فأتى به نصر بن سيَّار فحبسه، وكتب إلى يوسف بن عمر يخبره بذلك؛ فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد، فكتب الوليد إلى نصر بن سيَّار، يأمره أن يؤمنَه، ويخلّي سبيله وسبيل أصحابه، فدعاه نصر بن سيَّار، فأمره بتقوى الله، وحذَّره الفتنة، وأمره أن يلحق بالوليد بن يزيد، وأمر له بألفي درهم وبغلين، فخرج هو وأصحابه حتى انتهى إلى سَرَخْس، فأقام بها وعليها عبد الله بن قيس بن عُبّاد، فكتب إليه نصر بن سيّار أن يشخصه عنها، وكتب إلى الحسن بن زيد التميميّ ـ وكان رأس بني تميم، وكان على طُوس ـ أن انظر يحيى بن زيد، فإذا مرّ بكم فلا تَدَعه يقيم بطوس حتى يخرج منها، وأمرهما إذا هو مرّ بهما ألاّ يُفارقاه حتى يدفعاه إلى عمرو بن زرارة بأبْرَشهر. فأشخصه عبد الله بن قيس من سَرْخس، ومرّ بالحسن بن زيد فأمره أن يمضي، ووكّل به سرحان بن فرُّوخ بن مجاهد بن بلعاء العنبريّ أبا الفضل، وكان على مَسْلحة.

قال: فدخلت عليهُ، فذكر نصرَ بن سيّار، وما أعطاه؛ فإذا هو كالمستقلّ له؛ فذكر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد، فأثنى عليه، وذكر مجيئه بأصحابه معه،

وأنه لم يأت بهم إلا مخافة أن يُسَمَّ أو يُغَمَّ ، وعرَّض بيوسف؛ وذكر أنه إياه يتخوَّف ، وقد كان أراد أن يقع فيه ثم كفّ ، فقلت له: قُل ما أحببت رحمك الله؛ فليس عليك مني عين؛ فقد أتي إليك ما يستحقّ أن تقول فيه.

ثم قال: العجب من هذا الذي يقيم الأحراس أو أمر الأحراس ، قال: ـ وهو حينئذ يتفصّح: والله لو شئتُ أن أبعث إليه؛ فأوتَى به مربوطاً ، قال: فقلتُ له: لا واللهِ ما بك صُنع هذا؛ ولكن هذا شيء يصنع في هذا المكان أبداً ، لمكان بيت المال ، قال: واعتذرتُ إليه من مسيري معه ، وكنت أسير معه على رأس فرْسخ ، فأقبلنا معه حتى وقعنا إلى عمرو بن زُرارة ، فأمر له بألف درِهم ، ثم أشخصه حتى انتهى إلى بَيْهق ، وخاف اغتيال يوسف إياه ، فأقبل من بَيْهق ـ وهي أقصى أرض خراسان ، وأدناه من قُومِس ـ فأقبل في سبعين رجلاً إلى عمرو بن زرارة ، ومرّ به تجار ، فأخذ دوابّهم ، وقال: علينا أثمانها ، فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيار ، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس وإلى الحسن بن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة ، فهو عليهم ، ثم ينصبوا ليحيى بن زيد فيقاتلوه ، فجاؤوا حتى انتهوْا إلى عمرو بن زرارة ، واجتمعوا فكانوا عشرة آلاف ، وأتاهم يحيى بن زيد؛ وليس هو إلاّ في سبعين رجلاً ، فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة ، وأصاب دوابّ كثيرة.

وجاء يحيى بن زيد حتى مرّ بهَراة ، وعليها مغلّس بن زياد العامريّ ، فلم يعرض واحد منهما لصاحبه ، فقطعها يحيى بن زيد ، وسرّح نصر بن سيَّار سلم بن أحوز في طلب يحيى بن زيد ، فأتى هَرَاة حين خرج منها يحيى بن زيد فأتبعه فلحقه بالجوزجان بقرية منها ، وعليها حماد بن عمرو السُّغديّ.

قال: ولحق بيحيى بن زيد رجل من بني حنيفة يقال له أبو العجلان ، فقتِل يومئذ معه: ولحق به الحَسْحاس الأزديّ فقطع نصر بعد ذلك يدَه ورجله.

قال: فبعث سلم بن أحوز سَوْرة بن محمد بن عزيز الكنديّ على ميمنته، وحمّاد بن عمرو السغديّ على ميسرته ، فقاتله قتالاً شديداً ، فذكروا أن رجلاً من عَنَزة ، يقال له عيسى ، مولى عيسى ين سليمان العَنَزيّ رماه بنُشَّابة ، فأصاب جبهته.

قال: وقد كان محمد شهد ذلك اليوم ، فأمره سلم بتعبئَة الناس ، فتمارض

عليه ، فعبّى الناس سوْرة بن محمد بن عزيز الكنديّ ، فاقتتلوا فقُتلوا من عند آخرهم ، ومرّ سوْرة بيحيى بن زيد فأخذ رأسه ، وأخذ العَنِزيّ سلَبه وقميصَه ، وغلبه سوْرة على رأسه.

فلما قتل يحيى بن زيد وبلغ خبرُه الوليد بن زيد ، كتب ـ فيما ذكر هشام عن موسى بن حبيب؛ أنه حدثه ـ إلى يوسف بن عمر: إذا أتاك كتابي هذا ، فانظر عجل العراق فأحرقه ثم انسفه في اليمّ نسفاً ، قال: فأمر يوسف خراش بن حوشب ، فأنزله من جِذْعه وأحرقه بالنار ، ثم رضّه فجعله في قَوْصرة ، ثم جعله في سفينة ، ثم ذرّاه في الفرات. [٧/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠].

قال: وقال عمرو بن سعيد الثقفيّ: أوفدني يوسف بن عمر إلى الوليد فلما قدمتُ قال لي: كيف رأيتَ الفاسقَ؟ يعني بالفاسق الوليد ـ ثم قال: إياك أن يسمع هذا منك أحدٌ ، فقلت: حبيبة بنت عبد الرحمن بن جُبير طالق إن سمعتْه أذني ما دمتَ حيّاً؛ فضحك. قال: فثقل الوليدُ على الناس ، ورماه بنو هشام وبنو الوليد بالكُفر وغشيان أمّهات أولاد أبيه ، وقالوا: قد اتخذ مئة جامعة؛ وكتب على كلّ جامعة اسمَ رجل من بني أمية ليقتله بها ، ورموْه بالزّندقة ، وكان أشدّهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناسُ إلى قوله أميل؛ لأنه كان يُظهِر النسك ويتواضع ، ويقول: ما يسعنا الرضَا بالوليد؛ حتى حمل الناس على الفتْك به. [٧/ ٢٣٢].

* * *

وقال عليّ عن الحكم بن النعمان ، قال: أجمع الوليد على عزل يُوسف واستعمال عبد الملك بن محمد بن الحجّاج ، فكتب إلى يوسف: إنك كتبتَ إلى أمير المؤمنين تذكر تخريبَ ابن النصرانيَّة البلاد ، وقد كنتَ على ما ذكرت من ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل ، وقد ينبغي أن تكون قد عَمَرت البلاد حتى رددتَها إلى ما كانت عليه؛ فاشخص إلى أمير المؤمنين ، فصدّق ظنَّه بك فيما تحمل إليه لعمارتك البلاد ، وليعرِف أمير المؤمنين فضلَك على غيرك؛ لما جعل الله بينك وبين أمير المؤمنين من القَرابة؛ فإنك خالُه ، وأحقّ الناس بالتوفير عليه ، ولما قد علمتَ ممّا أمر به أمير المؤمنين لأهل الشأم ، وغيرهم من الزّيادة في أعطياتهم ، وما وصل به أهلَ بيته لطول جَفوة هشام إياهم ، حتى أضرّ ذلك

ببيوت الأموال ، قال: فخرج يوسف واستخلف ابن عمّه يوسف بن محمد ، وحمل من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يحملْ من العراق مثله. فقدم ـ وخالد بن عبد الله محبوس ـ فلقيه حسّان النَّبطيّ ليلاً ، فأخبره أنّ الوليد عازم على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، وأنه لابدّ ليوسف فيها من إصلاح أمر وزرائه ، فقال: ليس عندي فضل درهم ، قال: فعندي خمسمئة ألف درهم ، فإن شئتَ فهي لك ، وإن شئت فارددْها إذا تيسرت. قال: فأنت أعرفُ بالقوم ومنازلهم من الخليفة مني ، ففرّقْها على قدر عِلْمِك فيهم ، ففعل. وقدم يوسف والقوم يعظّمونه ، فقال له حسان: لا تَغْدُ على الوليد؛ ولكن رُحْ إليه رواحاً؛ واكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك: إنّي كتبت إليك ولا أملك إلا القَصْر ، وادخل على الوليد والكتابُ معك متحازِناً ، فأقْرئه الكتاب ، ومُرْ أبان بن عبد الرحمن النميريّ يشتري خالداً منه بأربعين ألف ألف ، ففعل يوسف ، فقال له الوليد: ارجع إلى عملك ، فقال له أبان: ادفع إليّ خالداً وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم ، قال: ومن يضمن عنك؟ قال: يوسف ، قال: أتضمن عنه؟ قال: بل ادفعه إليّ ، فأنا أستأديه خمسين ألف ألف ، فدفعه إليه ، فحمله في محمل بغير وِطاء.

قال محمد بن محمد بن القاسم: فرحمتُه ، فجمعت ألطافاً كانت معنا من أخبصة يابسة وغيرها في منديل ، وأنا على ناقة فارهة ، فتغَفّلتُ يوسفَ ، فأسرعتُ ودنوتُ من خالدٍ ، ورميتُ بالمنديل في محمله ، فقال لي: هذا من متاع عُمان ـ يعني أن أخي الفَيْض كان على عُمان ، فبعث إليّ بمال جسيم ـ فقلت في نفسي: هذا على هذه الحالة وهو لا يَدع هذا! ففطن يوسف بي فقال لي: ما قلتَ لابن النصرانيّة؟ فقلت: عرضتُ عليه الحاجة ، قال: أحسنتَ ، هو أسير؛ ولو فطن بما ألقيتُ إليه للقيني منه أذىً.

وقدم الكوفة فقتله في العذاب؛ فقال الوليد بن يزيد ـ فيما زعم الهيثم بن عديّ ـ شعراً يُوبّخ به أهل اليمن في تركهم نُصرة خالد بن عبد الله.

وأما أحمد بن زهير ، فإنه حدّثه عن عليّ بن محمد؛ عن محمد بن سعيد العامريّ ، عامر كلب ، أنّ هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يحرّض عليه اليمانية:

أَلَـمْ تهتـجْ فتَـذّكـرَ الـوصـالاَ ... وحَبْـلاً كـان مُتَّصِـلاً فـزالا
بَلَـى فـالـدَّمعُ منك لـه سِجَامٌ ... كمـاءِ المُـزن يَنْسَجِـلُ انسجـالا
فَـدَعْ عنـك ادِّكـارَكَ آلَ سُعْـدى ... فنحـن الأَكثُـرونَ حصًـى ومـالا
ونحـن المـالكـون النـاس قسْـراً ... نَسُـومهُـمُ المـذَلّـةَ والنكـالا
وَطِئنـا الأشعـريـنَ بعِـزِّ قيسٍ ... فيـالـك وطـأَةً لـن تُستقـالا!
وهـذا خـالـدٌ فينـا أَسيـراً ... ألا منعـوه إنْ كـانـوا رجـالا!
عَظِيمُهُـمُ وسيّـدُهُـمْ قِـديمـاً ... جعلنـا المُخْـزيـاتِ لـه ظِـلالا
فلـو كـانـت قبـائـلَ ذاتَ عـزٍّ ... لَمـا ذهَبَـتْ صَنـائِعُـهُ ضَـلالا
ولا تـرَكـوهُ مسلـوبـاً أسيـراً ... يُسـامِـرُ مـن سَـلاسِلِنـا الثقـالا

ـ ورواه المدائنيّ: «يعالج من سلاسلنا» ـ

وكِنْـدَةُ والسّكـون فمـا استقـالـوا ... ولا بـرِحَـتْ خُيـولهـمُ الـرِّحَـالا
بهـا سُمْنـا البَـريَّـة كُـلَّ خَسْـفٍ ... وهَـدَّمنـا السُّهُـولـةَ والجبـالا
ولكـنّ الـوقـائـع ضَعْضَعتهـمْ ... وجَـذَّتهُـمْ وَردَّتهُـمْ شِـلالا
فمـا زالـوا لنـا أَبَـداً عَبيـداً ... نسُـومُهُـمُ المـذلَّـةَ والسِّفـالا
فـأصبحـتُ الغـداة علـيَّ تـاجٌ ... لمُلـكِ النـاس مـا يَبغـى انتِقـالا

فقال عمران بن هلباء الكلبيّ يجيبه:

قِفـي صـدْرَ المَطِيَّـةِ يـا حـلالا ... وجـذّي حَبْـل مَـنْ قطـعَ الـوصـالا
أَلَـمْ يحْـزُنْـكِ أنَّ ذوِي يَمـانٍ ... يُـرَى مَـنْ حـاذَ قَيْلهـم جُـلالا
جَعلنـا للقبـائِـلِ مِـنْ نـزارٍ ... غَـداة المَـرْج أيـامـاً طِـوالا
بنـا مَلَـكَ المُملّـكُ مـن قـريش ... وأوْدَى جَـدّ مَـنْ أَودى فَـزالا
متـى تلـقَ السَّكُـون وتلـق كلبـاً ... بعَبْـسٍ تَخْـشَ مِـنْ ملـكٍ زوالا
كـذاكَ المـرءُ مـا لـم يُلـفَ عَـدْلاً ... يكـونُ عليـه منطِقُـهُ وَبَـالا
أَعِـدُّوا آلَ حِمْيـرَ إذْ دُعِيتُـمْ ... سُيُـوفَ الهنـدِ والأَسَـلَ النهـالا
وكـلَّ مُقلَّـصٍ نَهـدِ القُصَيْـرَى ... وذا فَـوْدَيـنِ والقُـبَّ الجبـالا
يَـذَرْنَ بكـلِّ مُعْتَـرَكٍ قتيـلا ... عليـه الطيـرُ قـد مَـذِلَ السـؤالا
لِئـن عَيـرْتمـونـا مـا فعلنـا ... لقـد قلتـمْ وجَـدُّكُـمُ مَقـالا
لإخـوانُ الأشـاعِـثِ قَتَّلـوهـمْ ... فمـا وُطِئـوا ولا لاقَـوْا نكـالا

وأبنـاءُ المهلّـبِ نحـنُ صُلنـا ... وقـائِعَهُـمْ ومـا صُلتُـمْ مَصـالا
وقـد كـانَـتْ جُـذَامُ علـى أخيهـمْ ... ولخـمٌ يقتُلـونُهُـم شـلالا
هـربنـا أن نُسـاعِـدَكُـمْ عليهـمْ ... وقـد أخطـا مُسَـاعِـدُكـمْ وفـالا
فـإن عُـدْتُـمْ فـإنَّ لنـا سُيـوفـاً ... صَـوارِمَ نَسْتَجِـدُّ لهـا الصقـالا
سَنَبْكِـي خـالِـداً بِمُهنَّـداتٍ ... ولا تَـذْهَـبْ صَنـائِعُـهُ ضَـلالا
أَلـمْ يَـكُ خـالـدٌ غَيـثَ اليَتـامـى ... إذا حَضـرُوا وكنـتَ لهـم هُـزالا!
يُكفـنُ خـالـدٌ مَـوْتـى نِـزار ... ويُثْـرِي حَيّهـمْ نَشَبـاً ومـالا
لـو أنَّ الجـائِـريـنَ عليـه كـانـوا ... بسـاحـةِ قـومِـهِ كـانـوا نكـالا
ستَلقَـى إن بَقِيـتَ مُسَـوّمـاتٍ ... عـوابـسَ لا يُـزايلـنَ الحِـلالا

فحدّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، قال : فازداد الناس على الوليد حنَقاً لمّا روي هذا الشعر ، فقال ابن بيض :

وصلتَ سَمَاءَ الضُّرِّ بالضرِّ بعدما ... زعمْـتَ سَمـاءُ الضرِّ عنـا سَتُقلَـعُ
فليـت هشـامـاً كـان حيّـاً يَسُـوسُنـا ... وكنّـا كمـا كنّـا نُـرَجِّـي ونَطمَـعُ[1]

وكان هشام استعمل الوليد بن القعقاع على قِنسّرين وعبد الملك بن القعقاع على حِمْص ، فضرب الوليد بن القعقاع ابنَ هبيرة مئة سوط ؛ فلما قام الوليد هرب بنو القعقاع منه ، فعاذوا بقبْر يزيد بن عبد الملك ؛ فبعث إليهم ، فدفعهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ـ وكان على قنّسرين ـ فعذّبهم ، فمات في العذاب الوليد بن القعقاع وعبد الملك بن القعقاع ورجلان معهما من آل القعقاع ، واضطغن على الوليد آل الوليد وآل هشام وآل القعقاع واليمانية بما صنع بخالد بن عبد الله ، فأتت اليمانية يزيدَ بن الوليد ، فأرادوه على البَيْعة ، فشاور عمرو بن يزيد الحكميّ ، فقال : لا يبايعك الناس على هذا ، وشاور أخاك العباس بن الوليد ، فإنه سيّد بني مروان ؛ فإنْ بايعك لم يخالفك أحد ، وإن أبى كان الناسُ له

---

(١) ابن الأثير : وقال أيضاً :

يـا وَلِيـدَ الخنَـى تـرَكـتَ الطَّـريقَـا ... واضحـاً وارتكبـتَ فجّـاً عميقـاً
وتمـادَيـت واعتـديـتَ وأسـرفـ ... ـتَ وأغـويـتَ وانبعثْـتَ فسـوقَـا
أبـداً هـاتِ ثـمّ هـاتِ وهـاتـي ... ثـمّ هـاتـي حتّـى تخـرّ صَعِيقـا
أنـتَ سَكـرانُ مـا تفيـقُ فمـا تَـر ... تـق فتقـاً وقـدْ فتقْـتَ فتُـوقـا

أطَوَع ، فإن أبيتَ إلاّ المضيّ على رأيك فأظهِرْ أنّ العباس قد بايعك ، وكانت الشأم تلك الأيام وبيّة ، فخرجوا إلى البوادي؛ وكان يزيد بن الوليد متبدّياً ، وكان العباس بالقَسْطل بينهما أميال يسيرة.

فحدّثني أحمد بن زهير. قال: حدّثني عليّ ، قال: أتى يزيد أخاه العباس ، فأخبره وشاوره ، وعاب الوليد ، فقال له العبّاس: مهلاً يا يزيد؛ فإنّ في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا ، فرجع يزيد إلى منزله ، ودبّ في الناس فبايعوه سرّاً ، ودسّ الأحنفَ الكلبيّ ويزيدَ بن عنبسة السكسكيَّ وقوماً من ثِقاته من وجوه الناس وأشرافهم ، فدعوا الناس سرّاً ، ثم عاود أخاه العباس ومعه قَطن مولاهم ، فشاوره في ذلك ، وأخبره أنّ قوماً يأتونه يريدونه على البَيْعة ، فزَبرَه العباس ، وقال: إن عدّت لمثل هذا لأشدَّنَّكَ وثاقاً ، ولأحملنّك إلى أمير المؤمنين! فخرج يزيد وقَطَن ، فأرسل العباس إلى قَطن ، فقال: ويحك يا قطن! أترى يزيد جادّاً! قال: جُعلتُ فداك! ما أظنّ ذاك؛ ولكنه قد دخله مما صنع الوليد ببني هشام وبني الوليد وما يَسمع مع الناس من الاستخفاف بالدين وتهاونه ما قد ضاق به ذرعاً ، قال: أما والله إني لأظنُّه أشأم سَخْلة في بني مروان؛ ولولا ما أخاف من عَجَلة الوليد مع تحامُله علينا لشددتُ يزيد وَثاقاً ، وحملته إليه؛ فازجُرْه عن أمره ، فإنه يسمع إليك. فقال يزيد لقَطَن: ما قال لك العباس حين رآك؟ فأخبره ، فقال له: والله لا أكفّ.

وبلغ معاويةَ بن عمرو بن عتبة خوضُ الناس؛ فأتى الوليدَ فقال: يا أميرَ المؤمنين ، إنك تبسط لساني بالأنس بك ، وأكفّه بالهيبة لك ، وأنا أسمع ما لا تسمع وأخاف عليك ما أراك تأمن ، أفأتكلم ناصحاً ، أو أسكت مطيعاً؟ قال: كلٌّ مقبول منك؛ ولله فينا علم غَيْب نحن صائرون إليه؛ ولو علم بنو مرْوان أنهم إنما يوِقدون على رَضْف[1] يلقوْنه في أجوافهم ما فعلوا ، ونَعود ونسمع منك.

وبلغ مَرْوانَ بن محمد بأرمينيَة أنّ يزيد يؤلّب الناس ، ويدعو إلى خَلْع الوليد؛ فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مَرْوان يأمره أن ينهَى الناس ويكفهم ـ وكان

(١) الرضف: الحجارة المحماة. القاموس المحيط ص ١٠٥١.

سعيد يتألَّه ـ: إن الله جعل لكل أهل بيت أركاناً يعتمدون عليها ، ويتّقُون بها المخاوف ، وأنت بحمد ربّك ركْنٌ من أركان أهل بيتك؛ وقد بلغني أنّ قوماً من سفهاء أهلِ بيتك قد استنّوا أمراً ـ إن تمَّت لهم رَوِيتُهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقضِ بيعتهم ـ استفتحوا باباً لن يغلِقَه الله عنهم حتى تُسفك دماء كثيرة منهم؛ وأنا مشتغل بأعظم ثغور المسلمين فُرَجاً ، ولو جَمَعتَني وإياهم لَرممْتُ فسادَ أمرهم بيدي ولساني ، ولخفت الله في ترك ذلك؛ لعلمي ما في عواقب الفرْقة من فساد الدين والدنيا؛ وأنه لن ينتقل سلطان قوم قطُّ إلا بتشتيت كلمتهم؛ وإنّ كَلمتهم إذا تشتّت طمع فيهم عدُّوهم ، وأنت أقربُ إليهم منّي ، فاحتل لعلم ذلك وإظهار المتابعة لهم؛ فإذا صرت إلى علم ذلك فتهدَّدْهم بإظهار أسرارهم ، وخُذْهم بلسانك ، وخَوّفهم العواقب؛ لعلّ الله أن يردَّ إليهم ما قد عزب عنهم من دينهم وعقولهم؛ فإنَّ فيما سعَوْا فيه تغيّر النعم وذهاب الدّولة ، فعاجل الأمر وحَبْل الألفة مشدودٌ ، والناس سكون ، والثّغور محفوظة؛ فإنّ للجماعة دَوْلة من الفرْقة وللسَّعة دافعاً من الفقر ، وللعدد منتقصاً ، ودُوَل الليالي مختلفة على أهل الدنيا ، والتقلّب مع الزيادة والنقصان؛ وقد امتدّت بنا ـ أهل البيت ـ متتابعات من النعم ، قد يعيبها جميع الأمم وأعداء النعم وأهل الحسد لأهلها؛ وبحسد إبليس خرج آدم من الجنة ، وقد أمّل القومُ في الفتنة أملا؛ لعلَّ أنفسهم تهلك دون ما أمّلوا ، ولكلّ أهل بيت مشائيم يُغيّر الله النعمة بهم ـ فأعاذك الله من ذلك ـ فاجعلني من أمرهم على علم ، حفظَ الله لك دينَك ، وأخرجَك مما أدخلك فيه ، وغلب لك نفسك على رشدك .

فأعظم سعيد ذلك ، وبعث بكتابه إلى العباس ، فدعا العباس يزيدَ فعذَله وتهدَّده ، فحذّره يزيد ، وقال: يا أخي ، أخاف أن يكون بعض مَنْ حسدنا هذه النعمة من عَدُوّنا أراد أن يُغْرِيَ بيننا؛ وحَلَفَ له أنه لم يفعل ، فصدّقه . [٧/ ٢٣٣ ـ ٢٣٩] .

قال: فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبدّ ، أقبل إلى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال ، متنكرّاً في سبعة نفر على حمِير ، فنزلوا بجَرود على مَرْحلة من دمشق ، فرمى يزيد بنفسه فنام ، وقال القوم لمولىً لعباد بن زياد: أما عندك طعام فنشتريه؟ قال: أما لبيعٍ فلا ، ولكن عندي قراكم وما يسعكم .

فأتاهم بدَجاج وفراخ وعسل وسمن وشوانيز ، فطعِموا ، ثم سار فدخل دمشق ليلاً ، وقد بايع ليزيد أكثرُ أهل دمشق سرّاً ، وبايع أهل المِزّة غير معاوية بن مصاد الكلبيّ ـ وهو سيد أهل المِزّة ـ فمضى يزيد من ليلته إلى منزل معاوية بن مَصاد ماشياً في نُفير من أصحابه ـ وبين دمشق وبين المِزّة ميل أو أكثر ـ فأصابهم مطر شديد ، فأتوْا منزل معاوية بن مَصاد ، فضربوا بابه ، ففتح لهم ، فدخلوا فقال ليزيد: الفراشَ أصلحك الله! قال: إن في رجلي طيناً ، وأكره أن أفسد بساطك ، فقال: الذي تريدنا عليه أفسدُ ، فكلّمه يزيد فبايعه معاوية ـ ويقال هشام بن مصاد ـ ورجع يزيد إلى دمشق؛ فأخذ طريق القناة ، وهو على حمار أسود؛ فنزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الخُشنيّ ، وخرج الوليد بن رَوْح ، وحلف لا يدخل دمشق إلاّ في السلاح ، فلبس سلاحه ، وكَفّر عليه الثياب ، وأخذ طريق النَّيْرَب ـ وهو على فرس أبلق ـ حتى وافى يزيد ، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فخاف الوباء ، فخرج فنزل قَطَناً واستخلف ابنه على دمشق ، وعلى شُرْطته أبو العاج كثير بن عبد الله السُّلَميّ ، فأجمع يزيد على الظهور ، فقيل للعامل:

إنّ يزيد خارج ، فلم يصدّق ، وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء ليلة الجمعة سنة ست وعشرين ومئة ، فكمنوا عند باب الفراديس حتى أذّنوا العتَمة ، فدخلوا المسجد ، فصَلَّوا ـ وللمسجد حَرَسٌ قد وُكّلُوا بإخراج الناس من المسجد بالليل ـ فلمّا صلّى الناس صاح بهم الحرس ، وتباطأ أصحاب يزيد ، فجعلوا يخرجون من باب المقصورة ويدخلون من باب آخر حتى لم يبق في المسجد غيرُ الحرس وأصحاب يزيد ، فأخذوا الحَرس ، ومضى يزيد بن عَنْبَسَة إلى يزيد بن الوليد ، فأعلمه وأخذ بيده ، وقال: قم يا أمير المؤمنين وأبشر بنصر الله وعَوْنه ، فقام وقال: اللهمّ إن كان هذا لك رضاً فأعنّي عليه وسدّدني له؛ وإن كان غير ذلك فاصرفه عنّي بموتٍ.

وأقبل في اثني عشر رجلاً ، فلمّا كان عند سوق ألحمُر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم ، فلمّا كانوا عند سوق القمح لقيهم زُهاء مئتي رجل من أصحابهم ، فمضوا إلى المسجد فدخلوه ، فأخذوا باب المقصورة فضربوه وقالوا: رسل الوليد ، ففتح لهم الباب خادم فأخذوه ودخلوا ، وأخذوا أبا العاج وهو سكران ،

وأخذوا خزّان بيت المال وصاحب البريد ، وأرسل إلى كلٍّ من كان يحذره فأُخِذ. وأرسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبيدة ـ مولى معيد ابن العاص ، وهو على بعلبكَّ ـ فأخذه ، وأرسل من ليلته إلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، فأخذه ووجّه إلى الثنية إلى أصحابه ليأتوه ، وقال للبوابين: لا تفتحوا الباب غدوةً إلا لمن أخبركم بشعارنا. فتركوا الأبواب بالسلاسل ، وكان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، ولم يكن الخزّان قبضوه ، فأصابوا سلاحاً كثيراً ، فلما أصبحوا جاء أهل المِزّة وابن عصام ، فما انتصف النهار حتى تبايع الناس ، ويزيد يتمثل [قول النابغة]:

إذا اسْتُنْزِلـوا عَنْهُـنَّ لِلطَّعْـنِ أرْقَلـوا   إلى المَوْتِ إِرْقَالَ الجمالِ المصاعبِ

فجعل أصحاب يزيد يتعجّبون، ويقولون: انظروا إلى هذا ، هو قبيل الصبح يُسبّح ، وهو الآن ينشد الشعر ! [٧/ ٢٣٩ ـ ٢٤١].

وحدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال: حدّثني دُكين بن الشّماخ الكلبيّ وأبو عِلاقة بن صالح السّلامانيّ أن يزيد بن الوليد نادى بأمره منادٍ: من ينتدب إلى الفاسق وله ألف درهم؟ فاجتمع إليه أقل من ألف رجل ، فأمر رجلاً فنادى: مَنْ ينتدب إلى الفاسق وله ألف وخمسمئة؟

فانتدب إليه يومئذ ألف وخمسمئة ، فعقد لمنصور بن جُمْهور على طائفة ، وعقد ليعقوب بن عبد الرحمن بن سُلَيم الكَلبيّ على طائفة أخرى ، وعقد لهَرِم بن عبد الله بن دِحيْة على طائفة أخرى ، وعقد لحُميد بن حبيب اللخميّ على طائفة أخرى ، وعليهم جميعاً عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فخرج عبد العزيز فعسكر بالحِيرة[١].

وحدّثني[٢] أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال: حدّثني يعقوب بن إبراهيم بن الوليد أنّ مولىً للوليد لما خرج يزيد بن الوليد ، خرجَ على فرس له ، فأتى الوليد من يومه ، فنفق فرسُه حين بلغه ، فأخبر الوليد الخبر ، فضربه مئة سوط وحبسه ، ثم دعا أبا محمد بن

(١) الأغاني: ٧: ٨٧.
(٢) الأغاني: ٧: ٧٩ وما بعدها.

عبد الله بن يزيد بن معاوية فأجازه ، ووجّهه إلى دمشق ، فخرج أبو محمد ، فلما انتهى إلى ذنَبَةَ أقام ، فوجّه يزيد بن الوليد إليه عبد الرحمن بن مصاد ، فسالمه أبو محمد ، وبايع ليزيد بن الوليد وأتى الوليد الخبر ، وهو بالأغدف ـ والأغدف من عمّان ـ فقال بَيْهس بن زُمَيل الكلابيّ ـ ويقال: قاله يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية: يا أمير المؤمنين ، سر حتى تنزل حمص فإنها حصينة ، ووجّه الجنود إلى يزيد فيُقتل أو يؤسر ، فقال عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص: ما ينبغي للخليفة أن يدَع عسكره ونساءه قبل أن يقاتل ويُعذر والله مؤيدُ أمير المؤمنين وناصرُه ، فقال يزيد بن خالد: وماذا يخاف على حرمه! وإنما أتاه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وهو ابن عمهنّ ، فأخذ بقول ابن عنبسة ، فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي: يا أمير المؤمنين تَدْمُر حصينة ، وبها قومي يمنعونك ، فقال: ما أرى أن نأتي تَدْمُر وأهلها بنو عامر؛ وهم الذين خرجوا عليّ؛ ولكن دُلَّني على منزل حصين ، فقال: أرى أن تنزل القرية ، قال: أكرهها ، قال: فهذا الهَزِيم قال: أكره اسمه ، قال: فهذا البَخْراء ، قصرُ النعمان بن بشير ، قال: ويحك! ما أقبح أسماء مياهكم! فأقبل في طريق السماوة ، وترك الرّيف ، وهو في مئتين ، فقال:

إذا لَم يكنْ خَيْرٌ مَع الشرّ لَمْ تَجِدْ نصيحـاً ولا ذا حـاجـة حيـنَ تَفْـزَعُ

إذا مـا هُـمُ هَمّـوا بـإِحْـدَى هَنَاتِهِـمْ حَسَـرْتُ لهـم رَأسـي فـلا أتقَنَّـعُ

فمرّ بشبكة الضّحاك بن قيس الفهريّ؛ وفيها مِنْ ولده وولد ولده أربعون رجلاً ، فساروا معه وقالوا: إنا عُزْل؛ فلو أمرتَ لنا بسلاح؛ فما أعطاهم سيفاً ولا رُمحاً. فقال له بيهس بن زُمَيل: أمّا إذْ أبيتَ أن تمضِيَ إلى حِمْص وتَدْمُر فهذا الحصن البَخْراء فإنه حَصِين ، وهو من بناء العجم فانزله ، قال: إني أخاف الطاعون ، قال: الذي يُراد بك أشدّ من الطاعون؛ فنزل حصن البَخراء.

قال: فندب يزيد بن الوليد الناسَ إلى الوليد مع عبد العزيز ، ونادى مناديه: مَن سار معه فله ألفان ، فانتدب ألفا رجل ، فأعطاهم ألفيْن ألفيْن ، وقال: موعدكم بذَنَبة، فوافَى بذَنبَة ألف ومئتان، وقال: موعدكم مصنعة بني عبد العزيز

ابن الوليد بالبرّيّة ، فوافاه ثمانمئة ، فسار ، فتلقاهم ثَقَل[1] الوليد فأخذوه ، ونزلوا قريباً من الوليد ، فأتاه رسول العباس بن الوليد: إني آتيك ، فقال الوليد: أخرجوا سريراً ، فأخرجوا سريراً فجلس عليه وقال: أعليّ توثّب الرجال ، وأنا أثِبُ على الأسد وأتخصّرُ[2] الأفاعي! وهم ينتظرون العباس ، فقاتلهم عبد العزيز ، وعلى الميمنة عمرو بن حُوَيّ السَّكسَكيّ وعلى المقدّمة منصور بن جُمهور وعلى الرّجالة عُمارة بن أبي كلثم الأزديّ ، ودعا عبد العزيز ببغل له أدْهم فركبه ، وبعث إليهم زياد بن حصين الكلبيّ ، يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، فقتله قطريّ مولى الوليد ، فانكشف أصحابُ يزيدُ ، فترجّل عبد العزيز ، فكرّ أصحابه ، وقد قتل من أصحابه عدّة ، وحملت رؤوسهم إلى الوليد وهو على باب حصن البَخْراء قد أخرج لواء مروان بن الحكم الذي كان عقده بالجابِية ، وقتِل من أصحاب الوليد بن يزيد عثمان الخَشَبيّ ، قتله جناح بن نعيم الكلبيّ ، وكان من أولاد الخشبيّة الذين كانوا مع المختار.

وبلغ عبدَ العزيز مسيرُ العباس بن الوليد ، فأرسل منصور بن جُمهور في خيل ، وقال: إنكم تلقون العباس في الشِّعْب ، ومعه بنوه [في الشِّعب] فخذوهم ، فخرج منصور في الخيل فلما صاروا بالشِّعب إذا هم بالعباس في ثلاثين من بنيه ، فقالوا له: اعدل إلى عبد العزيز ، فشتَمهم ، فقال له منصور: والله لئن تقدّمتَ لأنفذنّ حَصيَنك ـ يعني درعك ـ وقال نوح بن عمرو بن حُوَيّ السكسكيُّ: الذي لقي العباسَ بن الوليد يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبيّ ـ فعدل به إلى عبد العزيز ، فأبى عليه فقال: يا بن قُسْطنْطِين؛ لئن أبيتَ لأضربنّ الذي فيه عيناك ، فنظر العباس إلى هَرِم بن عبد الله بن دحية ، فقال: مَنْ هذا؟ قال: يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم ، قال: أما والله إن كان لبغيضاً إلى أبيه أن يقف ابنُه هذا الموقف؛ وعدل به إلى عسكر عبد العزيز ، ولم يكن مع العباس أصحابه ، كان تقدّمهم مع بنيه ، فقال: إنه لله! فأتوا به عبد العزيز ، فقال له: بايع لأخيك يزيد بن الوليد ، فبايع ووقف ونصبوا راية ، وقالوا: هذه راية العباس بن الوليد ، وقد بايع لأمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، فقال العباس:

---

(١) الثقل: المتاع. القاموس المحيط ص ١٢٥٦.
(٢) تخصر: أخذ المخصرة بيده. القاموس المحيط ص ٤٩٢.

إنا لله! خُدْعَةٌ من خُدَع الشيطان! هلك بنو مروان فتفرّق النّاس عن الوليد، فأتوا العباس وعبد العزيز وظاهر الوليد بين دِرْعين، وأتوه بفرسيْه: السنديّ والزّائد، فقاتلهم قتالاً شديداً، فناداهم رجل: اقتلوا عدوّ الله قِتْلَةَ قوم لوط، ارموه بالحجارة[١].

فلما سمع ذلك دخل القصر، وأغلق الباب، وأحاط عبد العزيز وأصحابه بالقصر، فدنا الوليد من الباب، فقال: أمَا فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلّمه! فقال له يزيد بن عنبسة السَّكسكيّ: كلمني، قال له: من أنت؟ قال: أنا يزيد بن عنبسة، قال: يا أخا السكاسك؛ ألم أزِدْ في أعطياتكم! ألم أرفع المؤَن عنكم! ألم أعطِ فقراءكم! ألم أخدم زَمْنَاكم! فقال: إنا ما ننقم عليكَ في أنفسنا، ولكن ننقِم عليك في انتهاك ما حَرّم الله وشُرْب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله؛ قال: حسبُك يا أخا السكاسك، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت؛ وإن فيما أحِلّ لي لسعةً عمّا ذكرت. ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً، وقال: يومٌ كيوم[٢] عثمان؛ ونشر المصحف يقرأ، فَعَلُوا الحائط، فكان أوّل من علا الحائط يزيد بن عنبسة السَّكْسَكيّ، فنزل إليه وسيف الوليد إلى جَنْبه، فقال له يزيد: نحّ سيفك، فقال له الوليد: لو أردتُ السيف لكانتْ لي ولك حالة فيهم[٣] غير هذه، فأخذ بيد الوليد؛ وهو[٤] يريد أن يحبسه ويؤامرَ

---

(١) بعدها في الأغاني ٧: ٧٩: «فرموه بالحجارة؛ فلما سمع ذلك دخل القصر، وأغلق الباب»، وقال:

دعُوا لي سُلَيْمَى والطِّلاَءَ وقَيْنَةً ... وكأساً ألا حسبي بذلك مالا
إذا ما صَفا عَيْشٌ برملةِ عالجٍ ... وعانقتُ سلمى لا أُريد بِدالا
خذوا ملككم، لا ثبّتَ الله ملككمْ ... ثباتاً يساوي ما حَيِيتِ عِقالا
وخَلُّوا عِناني قبل عَيْرٍ وما جَرَى ... ولا تحسدوني أَن أموت هُزَالا

(٢) يريد عثمان بن عفان فإنه لما قتل كان يقرأ في المصحف، وجرى دمه عليه.

(٣) من الأغاني.

(٤) الأغاني: «وهو يريد أن يدخله بيتاً ويؤامر فيه، فنزل من الحائط عشرة؛ فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسرى بن زياد بن أبرهة، فضربه عبد الرحمن السلمي على رأسه ضربة، وضربه السري بن زياد على وجهه، وجروه بين خمسة ليخرجوه».

فيه ، فنزل من الحائط عشرة: منصور بن جمهور وحبال بن عمرو الكلبيّ وعبد الرحمن بن عَجْلان مولى يزيد بن عبد الملك وحميد بن نصر اللخْميّ والسريّ بن زياد بن أبي كبشة وعبد السلام اللخْميّ ، فضربه عبد السلام على رأسه ، وضربه السريّ على وجهه ، وجرُّوه بين خمسة ليخرجوه[1] ، فصاحت امرأة كانت معه في الدار ، فكفّوا عنه ولم يخرجوه ، واحتزّ أبو علاقة القُضاعيّ رأسه ، فأخذ عَقَباً[1] فخاط الضَّرْبة التي في وجهه ، وقدم بالرأس على يزيد رَوْح بن مقبل ، وقال: أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق الوليد وأسْرِ من كان معه ، والعباس - ويزيد يتغدّى - فسجد ومَن كان معه ، وقام يزيد بن عنبسة السّكسكِيّ ، وأخذ بيد يزيد ، وقال: قم يا أمير المؤمنين ، وأبشر بنصر الله ، فاختلج يزيد يده من كفه ، وقال: اللهمَّ إن كان هذا لك رضاً فسدّدني ، وقال ليزيد بن عنبسة: هل كلّمكم الوليد؟ قال: نعم ، كلّمني من وراء الباب ، وقال: أما فيكم[2] ذو حسب فأكلّمه! فكلمته ووبّخته ، فقال: حسبُك ، فقد لعمري أغرقت وأكثرت ، أما والله لا يُرْتَقُ فتقكم ، ولا يُلَمّ شعثكم ، ولا تجمع كلمتكم. [٧/ ٢٤٣ - ٢٤٧].

وحدّثني أحمد عن عليّ ، عن عمرو بن مَرْوان الكلبيّ ، قال: حدّثني المثنّى بن معاوية ، قال: أقبل الوليد فنزل اللؤلؤة ، وأمر ابنه الحَكم والمؤمّل بن العباس أن يفرضا لمن أتاهما ستين ديناراً في العطاء ، فأقبلتُ أنا وابن عمّي سليمان بن محمد بن عبد الله إلى عَسْكر الوليد ، فقرّبني المؤمّل وأدناني ، وقال: أدخلِك على أمير المؤمنين ، وأكلّمه حتى يفرض لك في مئة دينار.

قال المثنّى: فخرج الوليد من اللؤلؤة فنزل المليكة ، فأتاه رسول عمرو بن قيس من حِمْص يخبره أن عمراً قد وجّه إليه خمسمئة فارس ، عليهم عبد الرحمن بن أبي الجَنوب البهرانيّ ، فدعا الوليد الضّحاك بن أيمن من بني عوف بن كلب ، فأمره أن يأتيَ ابن أبي الجنَوب - وهو بالغُوَير - فيستعجله ، ثم يأتي الوليد بالملكية ، فلما أصبح أمر الناس بالرّحيل ، وخرج على برذون كُمَيت ، عليه قبَاء خَزّ وعمامة خز ، محتزماً بَرِيْطة رقيقة قد طواها ، وعلى كتفيه

---

(١) العقب: العصب الذي تعمل منه الأوتار. القاموس المحيط ص ١٤٩.
(٢) ح: «ما».

رَيْطة صفراء فوق السيف ، فلقيه بنو سليم بن كيسان في ستة عشر فارساً ثم سار قليلاً ، فتلقَّاه بنو النعمان بن بشير في فوارس ، ثم أتاه الوليد ابن أخي الأبرش في بني عامر من كَلْب ، فحمله الوليد وكساه ، وسار الوليد على الطريق ثم عدل في تَلْعة يقال لها المشبهة ، فلقيه ابنُ أبي الجنوب في أهل حِمْص ، ثم أتى البَخْراء ، فضجّ أهلُ العسكر ، وقالوا: ليس معنا عَلَف لدوابنا ، فأمر رجلاً فنادى: إن أمير المؤمنين قد اشترَى زُروع القرية ، فقالوا: ما نصنع بالقصيل[1]! تضعف عليه دوابُّنا؛ وإنما أرادوا الدراهم.

قال المثنّى: أتيت الوليد ، فدخلت من مؤخّر الفُسطاط ، فدعا بالغَداء ، فلما وُضع بين يديه أتاه رسولُ أمّ كُلْثوم بنت عبد الله بن يزيد بن عبد الملك يقال له عمرو بن مُرّة ، فأخبره أنّ عبد العزيز بن الحجاج؛ قد نزل اللؤلؤة ، فلم يلتفت إليه ، وأتاه خالد بن عثمان المخراش ـ وكان على شُرَطه ـ برجل من بني حارثة بن جناب ، فقال له: إنّي كنتُ بدمشق مع عبد العزيز ، وقد أتيتك بالخبر؛ وهذه ألف وخمسمئة قد أخذتها ـ وحلَّ هِمْياناً من وسطه ، وأراه ـ وقد نزل اللؤلؤة: وهو غاد منها إليك ، فلم يجبه والتفت إلى رجل إلى جَنْبه ، وكلمه بكلام لم أسمعْه ، فسألت بعض مَنْ كان بيني وبينه عمّا قال ، فقال: سأله عن النهر الذي حفره بالأردنّ: كم بقي منه؟ وأقبل عبد العزيز من اللؤلؤة ، فأتى المليكة فحازَها ، ووجّه منصور بن جمهور ، فأخذ شرقيّ القرى ـ وهو تلّ مشرف في أرض مَلْساء على طريق نِهْيا إلى البَخْراءِ ـ وكان العباس بن الوليد تهيأ في نحو من خمسين ومئة من مواليه وولده ، فبعث العباس رجلاً من بني ناجية يقال له حُبيش إلى الوليد يخيِّره بين أن يأتيَه فيكون معه؛ أو يسير إلى يزيد بن الوليد ، فاتّهم الوليد العباس ، فأرسل إليه يأمره أن يأتيَه فيكون معه ، فلقي منصور بن جمهور الرّسول ، فسأله عن الأمر فأخبره ، فقال له منصور: قل له: والله لئن رحلتَ من موضعك قبل طلوع الفجر لأقتلَنّك ومَنْ معك؛ فإذا أصبح فليأخذ حيث أحبّ ، فأقام العباس يتهيّأ؛ فلما كان في السَّحرَ سمعنا تكبير أصحاب عبد العزيز قد أقبلوا إلى البَخْراءِ ، فخرج خالد بن عثمان المخْراش ، فعبّأ الناس؛ فلم يكن بينهم قتال حتى طلعت الشمس؛ وكان مع أصحاب يزيد بن

---

(١) القصيل: الزرع يجزُّ أخضر لعلف الدَّواب.

الوليد كتاب معلّق في رمح ، فيه : إنا نَدْعُوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وأن يصير الأمر شورى ، فاقتتلوا فقتِل عثمان الخشبيّ ، وقُتِل من أصحاب الوليد زهاءُ ستين رجلاً ، وأقبل منصور بن جُمهور على طريق نِهيًا ، فأتى عسكر الوليد مِن خلفهم ، فأقبل إلى الوليد وهو في فُسطاطه ؛ ليس بينه وبين منصور أحد . فلما رأيتُه خرجتُ أنا وعاصم بن هبيرة المَعَافريّ خليفة المخراش ، فانكشف أصحاب عبد العزيز ، ونكص أصحاب منصور ، وصُرع سُميّ بن المغيرة وقُتِل ، وعدل منصور إلى عبد العزيز ، وكان الأبرش على فرس له يدعى الأديم ، عليه قَلَنسوة ذات أذنين ؛ قد شدّها تحت لحيته ؛ فجعل يصيح بابن أخيه : يا بن اللخناء ، قدّمْ رايتَك ، فقال له : لا أجدُ متقدّماً ، إنها بنو عامر .

وأقبل العباس بن الوليد فمنَعه أصحاب عبد العزيز ، وشدّ مولى لسليمان بن عبد الله بن دحْية ـ يقال له التركيّ ـ على الحارث بن العباس بن الوليد ، فطعنه طعنة أذْراه عن فرسه ؛ فعدل العباس إلى عبد العزيز ، فأسقِط في أيدي أصحاب الوليد وانكسروا ، فبعث الوليد بن يزيد الوليدَ بن خالد إلى عبد العزيز بن الحجاج بأن يعطيَه خمسين ألف دينار ، ويجعل له ولاية حِمْص ما بقي ، ويؤمِّنه على كلّ حَدَث ، على أن ينصرف ويكفّ ؛ فأبى ولم يجبه ، فقال له الوليد : ارجعْ إليه فعاوِدْه أيضاً ، فأتاه الوليد فلم يجبه إلى شيء ، فانصرف الوليد ؛ حتى إذا كان غيرَ بعيد عطف دابّته ، فدنا من عبد العزيز ، فقال له : أتجعل له خمسة آلاف دينار وللأبرش مثلها ، وأن أكون كأخصّ رجل من قومي منزلة وآتيك ، فأدخل معك فيما دخلت فيه؟ فقال له عبد العزيز : على أن تحمل الساعة على أصحاب الوليد ؛ ففعل . وكان على ميمنة الوليد بن أبي سفيان بن يزيد بن خالد ، فقال لعبد العزيز : أتجعل لي عشرين ألف دينار وولاية الأردنّ والشركة في الأمر على أن أصير معكم؟ قال : على أن تحمل على أصحاب الوليد من ساعتك ، ففعل ، فانهزم أصحاب الوليد ، وقام الوليد فدخل البَخْراء ، وأقبل عبد العزيز فوقف على الباب وعليه سلسلة ، فجعل الرّجل بعد الرّجل يدخل من تحت السلسلة .

وأتى عبْدَ العزيز عبد السلام بن بكير بن شمّاخ اللخميّ ، فقال له : إنه يقول : أخرج على حُكْمك ، قال : فليخرج ؛ فلما ولّى قيل له : ما تصنع بخروجه! دعه يكفيكه الناس ، فدعا عبد السلام فقال : لا حاجة لي فيما عَرَض عليّ ، فنظرت

إلى شابٍّ طويل على فرس ، فدنا من حائط القَصْر فعلاه ، ثم صار إلى داخل القصر ، قال : فدخلت القصر ، فإذا الوليد قائم في قميص قَصَب وسراويل وَشْي ، ومعه سيف في غمد والناس يشتمونه ، فأقبل إليه بشر بن شيبان مولى كنانة بن عمير ؛ وهو الذي دخل من الحائط ، فمضى الوليد يريد الباب ـ أظنه أراد أن يأتي عبد العزيز ـ وعبد السلام عن يمينه ورسول عمرو بن قيس عن يساره ، فضربه على رأسه ؛ وتعاوره الناس بأسيافهم فقتِل ، فطرح عبد السلام نفسَه عليه يحتزُّ رأسه ـ وكان يزيد بن الوليد قد جعل في رأس الوليد مئة ألف ـ وأقبل أبو الأسد مولى خالد بن عبد الله القسريّ فسلخ من جلد الوليد قَدْر الكفّ ، فأتى بها يزيدَ بن خالد بن عبد الله ، وكان محبوساً في عسكر الوليد ، فانتهب الناس عسكر الوليد وخزائنه ، وأتاني يزيد العُلَيميّ أبو البَطريق بن يزيد ؛ وكانت ابنته عند الحكم بن الوليد ، فقال : امنع لي متاع ابنتي ، فما وصل أحدٌ إلى شيء زعم أنه له .

قال أحمد : قال عليّ : قال عمرو بن مَروان الكلبيّ : لما قُتل الوليد قُطعت كفّه اليسرى ، فبُعث بها إلى يزيد بن الوليد ، فسبقت الرّأس ؛ قُدِم بها ليلة الجمعة ، وأتِيَ برأسه من الغِد ، فنصبه للناس بعد الصلاة ، وكان أهل دمشق قد أرجفوا بعبد العزيز ، فلما أتاهم رأس الوليد سكتوا وكفّوا . قال : وأمر يزيد بنصب الرأس ، فقال له يزيد بن فروة مولى بني مروان : إنما تنصَب رؤوس الخوارج ، وهذا ابنُ عمّك ؛ وخليفة ، ولا آمنُ إن نصبتَه أن ترقّ له قلوب الناس ، ويغضب له أهل بيته ؛ فقال : والله لأنصبنّه ، فنصبه على رمح ، ثم قال له : انطلق به ، فطُفْ به في مدينة دمشق ؛ وأدخله دار أبيه . ففعل ، فصاح الناس وأهل الدار ، ثم ردّه إلى يزيد ، فقال : انطلق به إلى منزلك ؛ فمكث عنده قريباً من شهر ، ثم قال له : ادفعه إلى أخيه سليمان ـ وكان سليمان أخو الوليد ممن سعى على أخيه ـ فغسل ابن فروة الرّأس ، ووضعه في سَفط ، وأتى به سليمان ، فنظر إليه سليمان ، فقال : بُعداً له! أشهد أنه كان شَرُوباً للخمر ، ماجناً فاسقاً ؛ ولقد أرادني على نفسي الفاسق ، فخرج ابن فروة من الدار ، فتلقّته مولاة للوليد ، فقال لها : ويحكِ! ما أشدَّ ما شتمه! زعم أنه أراده على نفسه! فقالت : كذب والله الخبيث ، ما فعل ، ولئن كان أراده على نفسه لقد فَعَل ؛ وما كان ليقدر على الامتناع منه .

وحدثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال: حدثني يزيد بن مَصَاد ، عن عبد الرحمن بن مصاد ، قال: بعثني يزيد بن الوليد إلى أبي محمد السفيانيّ ـ وكان الوليد وجّهه حين بلغه خبر يزيد والياً على دمشق وأتى ذنَبَة ، وبلغ يزيد خبره ، فوجّهني إليه ـ فأتيته ، فسالم وبايع ليزيد ، قال: فلم نرِمْ حتى رُفع لنا شخص مُقبلٌ من ناحية البَرّية ، فبعثت إليه ، فأتيت به فإذا هو الغُزَيِّل أبو كامل المغنِّي ، على بغلة للوليد تدعى مريم ، فأخبرنا أنّ الوليد قد قتل ، فانصرفت إلى يزيد ، فوجدت الخبر قد أتاه قبل أن آتيَه .

حدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال: حدّثني دُكَين بن شمّاخ الكلبيّ ثم العامريّ ، قال: رأيت بشر بن هلباء العامريّ يوم قُتِل الوليد ضرب باب البَخْراء بالسيف ، وهو يقول:

سَنبكــــي خـــالـــداً بمُهَنَّـــداتٍ ولا تَـــذْهَـــبْ صَنـــائعُـــهُ ضَـــلالا

وحدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن أبي عاصم الزّياديّ ، قال: ادّعى قتلَ الوليد عشرة ، وقال: إني رأيتُ جلدةَ رأس الوليد في يدِ وَجْه الفَلْس فقال: أنا قتلته؛ وأخذت هذه الجلدة ، وجاء رجل فاحتزَّ رأسه ، وبقيت هذه الجلدة في يدِي ، واسم وجه الفَلْس عبد الرحمن ، قال: وقال الحكم بن النعمان مولى الوليد بن عبد الملك: قدم برأس الوليد على يزيد منصور بن جمهور في عشرة؛ فيهم رَوْح بن مُقْبِل ، فقال رَوْح: يا أميرَ المؤمنين؛ أبشر بقتل الفاسق وأسرِ العباس؛ وكان فيمن قدم بالرأس عبد الرحمن وَجْه الفَلْس ، وبشر مولى كنانة من كلْب؛ فأعطى يزيد كلَّ رجل منهم عشرة آلاف. قال: وقال الوليد يوم قُتِل وهو يقاتلهم: مَنْ جاء برأس فله خمسمئة: ؛ فجاء قوم بأرؤس ، فقال الوليد: اكتبوا أسماءهم ، فقال رجل من مواليه ممن جاء برأس: يا أمير المؤمنين؛ ليس هذا بيوم يُعْمَل فيه بنسيئة!

قال: وكان مع الوليد مالك بن أبي السمح المغنّي وعمرو الوادي؛ فلما تفرّق عن الوليد أصحابُه ، وحُصِر ، قال مالك لعمرو: اذهب بنا ، فقال عمرو: ليس هذا من الوفاء؛ ونحن لا يُعْرَضُ لنا لأنا لسنا ممن يقاتل ، فقال مالك: ويلك! والله لئنْ ظفروا بنا لا يقتَل أحد قبلي وقبلك؛ فيوضع رأسه بين رأسيْنا؛ ويقال

للناس: انظروا مَن كان معه في هذه الحال؛ فلا يعيبونه بشيء أشدّ من هذا؛ فهربا. [٧/ ٢٤٧ ـ ٢٥٢].

وكان يكنى أبا العباس، وأمه أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفيّ؛ وكان شديد البَطْش، طويل أصابع الرجلين؛ كان يوتَد له سكة حديد فيها خيط ويُشدّ الخيط في رجله، ثم يثب على الدابة، فينتزع السكة ويركب، ما يمسّ الدابة بيده.

وكان شاعراً شَروباً للخمر؛ حدّثني أحمد، قال: حدّثنا عليّ، عن ابن أبي الزّناد، قال: قال أبي: كنتُ عند هشام، وعنده الزُّهريّ، فذكر الوليدَ، فتنقّصاه وعاباه عَيْباً شديداً، ولم أعرض في شيء مما كانا فيه؛ فاستأذن الوليد، فأذن له، وأنا أعرف الغضب في وجهه، فجلس قليلاً، ثم قام، فلما مات هشام كتب فيّ فحمِلت إليه فرحّب بي، وقال: كيف حالك يابن ذكوان؟ وألطف المسألة بي، ثم قال: أتذكُر يوم الأحول وعنده الفاسق الزهريّ، وهما يعيبانني؟ قلت: أذكر ذلك؛ فلم أعرض في شيء مما كانا فيه، قال: صدقت؛ أرأيت الغلام الذي كان قائماً على رأس هشام؟ قلت: نعم، قال: فإنه نمَّ إليّ بما قالا؛ وايمُ الله لو بقيَ الفاسق ـ يعني الزُّهريّ ـ لقتلته، قلتُ: قد عرفتُ الغضب في وجهك حين دخلت، ثم قال: يا بن ذكوان، ذهب الأحول بعمري، فقلت: بل يطيل الله لك عمرك يا أمير المؤمنين؛ ويمتّع الأمة ببقائك؛ فدعا بالعَشاءِ فتعشينا، وجاءت المغرب فصلينا، وتحدّثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا وجلس، وقال: اسقني؛ فجاؤوا بإناء مغطًّى، وجاء ثلاث جوار فصُففن بين يديه، بيني وبينه، ثم شرب؛ وذهبنا فتحدّثنا واستسقى فصنعن مثل ما صنعن أولاً؛ قال: فما زال على ذلك يتحدّث ويستسقي ويصنعن مثل ذلك حتى طلع الفجر، فأحصيتُ له سبعين قدحاً[1]. [٧/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤].

* * *

وفي هذه السنة قتِل خالد بن عبد الله القسريّ.

---

(١) في إسناده عبد الرحمن بن أبي الزناد قال ابن معين ليس بشيء وقال النسائي لا يحتج بحديثه وقال ابن عدي هو ممن يكتب حديثه، ولم نجد له متابعاً والله أعلم.

* ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك:

قد تقدم ذكرنا الخبر عن عزل هشام إياه عن عمله وولايته العراق وخراسان واستعماله على العراق يوسف بن عمر؛ وكان ـ فيما ذكر ـ عمل لهشام على ذلك خمس عشرة سنة غير أشهر؛ وذلك أنه ـ فيما قيل ـ ولي العراق لهشام سنة خمس ومئة، وعُزل عنها في جمادى الأولى سنة عشرين ومئة، ولما عزله هشام وقدم عليه يوسف واسطاً أخذه وحبسه بها، ثم شخص يوسف بن عمر إلى الحِيرة، فلم يزل محبوساً بالحيرة تمام ثمانية عشر شهراً مع أخيه إسماعيل بن عبد الله وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبد الله، واستأذن يوسف هشاماً في إطلاق يده عليه وتعذيبه، فلم يأذن له حتى أكثر عليه، واعتلّ عليه بانكسار الخراج وذهاب الأموال، فأذن له مرّة واحدة، وبعث حرسيّاً يشهد ذلك، وحلف: لئن أتى على خالد أجلُه، وهو في يده ليقتلنّه؛ فدعا به يوسف؛ فجلس على دُكان بالحيرة وحضر الناس، وبسط عليه؛ فلم يكلّمه واحدةً حتى شتمه يوسف، فقال: يابنَ الكاهن ـ يعني شِقّ بن صعب الكاهن ـ فقال له خالد: إنك لأحمق، تعيّرني بشرفي! ولكن يا بن السبّاء، إنما كان أبوك سَبّاء خمر ـ يعني يبيع الخمر ـ ثم ردّه إلى حبسه، ثم كتب إليه هشام يأمره بتخلية سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين ومئة، فنزل خالد في قصر إسماعيل بن عبد الله بدُوران، خلْف جسر الكوفة، وخرج يزيد بن خالد وحده؛ فأخذه على بلاد طيّيء؛ حتى ورد دمشق، وخرج خالد ومعه إسماعيل والوليد؛ قد جهَّزهم عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ما أخذ لهم، وردّ بعض الموالي إلى الرّقّ، فقدم خالد قصر بني مقاتل؛ وقد أخذ كل شيء لهم، فسار إلى هِيت، ثم تحمَّلوا إلى القرية ـ وهي بإزاء باب الرُّصافة ـ فأقام بها بقيَّة شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرّم وصَفر؛ لا يأذن لهم هشام في القدوم عليه؛ والأبْرَشُ يكاتب خالداً، وخرج زيد بن عليّ فقُتِل.

قال الهيثم بن عديّ ـ فيما ذكر عنه ـ: وكتب يوسف إلى هشام: إن أهلَ هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً؛ حتى كانت همَّةُ أحدهم قوت عياله؛ فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقَوْوا بها حتى تاقت أنفسهم إلى طلَب

الخلافة ، وما خرج زيد إلا عن رأي خالد؛ والدليل على ذلك نزولُ خالد بالقرية على مَدْرجة العراق يستنشي[١] أخبارها .

فسكت هشام حتى فرغ من قراءة الكتاب ، ثم قال للحكم بن حَزْن القينيّ ـ وكان على الوفد ، وقد أمره يوسف بتصديق ما كَتَب به ، ففعل ـ فقال له هشام : كذبت وكذبَ مَنْ أرسلك؛ ومهما اتَّهمنا خالداً فلسنا نتَّهمه في طاعة؛ وأمر به فوجِئَتْ عنقه ، وبلغ الخبرُ خالداً فسار حتى نزل دمشق فأقام حتى حضرت الصائفة ، فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد بن عبد الله؛ وعلى دمشق يومئذ كلثوم بن عِيَاض القسريّ ، وكان متحاملاً على خالد؛ فلما أدربوا[٢] ظهر في دور دمشق حريق؛ كلّ ليلة يلقيه رجل من أهل العراق يقال له أبو العمرَّس وأصحاب له؛ فإذا وقع الحريق أغاروا يسرقون ، وكان إسماعيل بن عبد الله والمنذر بن أسد بن عبد الله وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم؛ فكتب كلثوم إلى هشام يذكر الحريق ، ويخبره أنه لم يكن قطّ؛ وأنه عمَلُ موالي خالد؛ يريدون الوثوب على بيت المال ، فكتب إليه هشام يأمره أن يحبس آل خالد؛ الصغير منهم والكبير ، ومواليهم والنساء؛ فأخذ إسماعيل والمنذر ومحمد وسعيد من الساحل فقدِم بهم في الجوامع ومَن كان معهم من مواليهم؛ وحبس أمّ جرير بنت خالد والرّائقة وجميع النساء والصبيان؛ ثم ظهر على أبي العمرّس؛ فأخذ ومَن كان معه ، فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل خراج دمشق إلى هشام يخبره بأخذ أبي العمرّس ومَن كان معه؛ سماهم رجلاً رجلاً ، ونسبهم إلى قبائلهم وأمصارهم ، ولم يُذكر فيهم أحد من موالِي خالد ، فكتب هشام إلى كلثوم يشتِمه ويعنّفه ، ويأمره بتخلية سبيل جميع من حبس منهم ، فأرسلهم جميعاً واحتبس الموالي رجاء أن يكلمه فيهم خالد إذا قدم من الصائفة ، فلما أقبل الناس وخرجوا عن الدّرب بلغ خالداً حبسُ أهله ، ولم يبلغه تخليتُهم؛ فدخل يزيد بن خالد في غمار الناس حتى أتى حمص ، وأقبل خالد حتى نزل منزله من دمشق ، فلما أصبح أتاه الناس ، فبعث إلى ابنتيه : زينب وعاتكة؛ فقال : إني قد كبِرت وأحببت أن تليَا خدمتي؛ فسُرَّتا بذلك ـ ودخل عليه إسماعيل أخوه ويزيد

---

(١) يستنشي الأخبار : يبحث عنها . القاموس المحيط ص ١٧٣٠ .

(٢) يقال : أدرب القوم؛ إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم . القاموس المحيط ص ١٠٦ .

وسعيد ابناه ، وأمر بالإذن ، فقامت ابنتاه لتتنحيّا ، فقال: وما لهما تَتنحيّان ، وهشام في كلّ يوم يسوقهنّ إلى الحبس! فدخل الناس ، فقام إسماعيل وابناه دون ابنتيه يسترونهما ، فقال خالد: خرجتُ غازياً في سبيل الله؛ سامعاً مطيعاً ، فخُلفتُ في عَقِبي ، وأخذ حُرَمي وحُرَم أهل بيتي؛ فحبِسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بأهل الشرْك! فما منع عصابةً منكم أن تقوم فتقول: علام حُبس حُرم هذا السامع المطيع! أخفتم أن تقتلوا جميعاً! أخافكم الله! ثم قال: مالي ولهشام! ليكفنّ عني هشام أو لأدعونّ إلى عراقيّ الهوى شأميّ الدار حجازيّ الأصل ـ يعني محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ـ وقد أذنت لكم أن تبلّغوا هشاماً ، فلما بلغه ما قال ، قال: خَرِفَ أبو الهيثم.

وذكر أبو زيد أن أحمد بن معاوية حدّثه عن أبي الخطاب ، قال: قال خالد: أما والله ، لئن ساء صاحب الرُّصافة ـ يعني هشاماً ـ لننصبنّ لنا الشأميّ الحجازيَّ العراقيَّ ، ولو نخر نخرةً تداعتْ من أقطارها.

فبلغت هشاماً ، فكتب إليه: إنك هذّاءَةٌ هُذَرَةٌ[1] ، أبِبَجيلة القليلة الذليلة تتهدَّدني! قال: فوالله ما نصره أحد بيدٍ ولا بلسان إلاّ رجل من عبس ، فإنه قال:

أَلا إنَّ بَحْـرَ الجُـودِ أَصْبَـحَ سَـاجِيـاً ... أَسِيـرَ ثَقِيـفٍ مُـوثَقـاً فـي السَّلاَسِـلِ

فإنْ تَسْجُنوا القسريَّ لا تَسْجنوا اسمه ... ولا تسجنـوا معـروفَـهُ فـي القبـائـلِ

فأقام خالد ويزيد وجماعة أهل بيته بدمشق ، ويوسف ملحٌّ على هشام يسأله أن يوجه إليه يزيد ، وكتب هشام إلى كُلثوم بن عياض يأمره بأخْذ يزيد والبعثة به إلى يوسف ، فوجه كلثوم إلى يزيد خيلاً وهو في منزله ، فشدّ عليهم يزيد ، فأفرجوا له ، ثم مضى على فرسه ، وجاءت الخيل إلى كُلثوم فأخبروه ، فأرسل إلى خالد الغدَ من يوم تنحّى يزيد خيلاً ، فدعا خالد بثيابه فلبسَها ، وتصارخ النساء ، فقال رجل منهم: لو أمرتَ هؤلاء النسوة فسكتن! فقال: ولمَ؟ أما والله لولا الطاعة لعَلم عبد بني قَسْر أنه لا ينال هذه مني ، فأعلِموه مقالتي؛ فإن كان

(١) هذأه بلسانه ، إذا أسمعه ما يكره. القاموس المحيط ص ٧٢ ، والهذر: الكلام الباطل. القاموس المحيط ص ٦٣٨.

عربيّاً كما يزعم؛ فليطلب جَدّه مني ، ثم مضى معهم فحبس في حَبْس دمشق ، وسار إسماعيل من يومه حتى قدم الرُّصافة على هشام ، فدخل على أبي الزبير حاجبه فأخبره بحبس خالد ، فدخل أبو الزُّبير على هشام فأعلمه ، فكتب إلى كُلثوم يعنِّفه ، ويقول: خليت عمَّن أمرتك بحبسه ، وحبست من لم آمرك بحبسه. ويأمره بتخلية سبيل خالد ، فخلّاه.

وكان هشام إذا أراد أمراً أمَر الأبرش فكتب به إلى خالد ، فكتب الأبرش: إنه بلغ أمير المؤمنين أنّ عبد الرحمن بن ثويب الضِّنيّ ـ ضنة سعد إخوة عُذْرة بن سعد ـ قام إليك ، فقال: يا خالد إني لأحبك لعشر خصال: إنّ الله كريم وأنت كريم ، والله جواد وأنت جواد ، والله رحيم وأنت رحيم ، والله حليم وأنت حليم... حتى عدّ عشراً؛ وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن تحقق عنده ذلك ليستحلنّ دمك؛ فاكتب إليّ بالأمر على وجهه لأخبر به أمير المؤمنين.

فكتب إليه خالد: إن ذلك المجلس كان أكثر أهلاً من أن يجوز لأحد من أهل البغي والفجور أن يحرِّف ما كان فيه إلى غيره؛ قام إليّ عبد الرحمن بن ثُويب ، فقال: يا خالد أني لأحبّك لعشر خصال: إن الله كريم يحبّ كلّ كريم ، والله يحبك وأنا أحبك لحبّ الله إياك؛ حتى عدّد عشر خصال؛ ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شقي الحِمْيريّ إلى أمير المؤمنين ، وقوله: يا أمير المؤمنين ، خليفتك في أهلك أكرمُ عليك أم رسولك؟ فقال أمير المؤمنين: بل خليفتي في أهلي ، فقال ابنُ شقي: فأنت خليفة الله ومحمد رسوله؛ ولعمري لضلالة رجل من بَجيلة إن ضلّ أهون على العامة والخاصّة من ضلالة أمير المؤمنين ، فأقرأ الأبرش هشاماً كتابه ، فقال خَرِفَ أبو الهيثم.

فأقام خالد بدمشق خلافةَ هشام حتى هلَك ، فلما هلك هشام ، وقام الوليد ، قدم عليه أشراف الأجناد؛ فيهم خالد؛ فلم يأذن لأحد منهم. واشتكى خالد ، فاستأذن فأذِن له ، فرجع إلى دمشق ، فأقام أشهراً ، ثم كتب إليه الوليد: إنّ أمير المؤمنين قد علِم حال الخمسين الألف ألف؛ التي تعلم ، فاقدم على أمير المؤمنين مع رسوله؛ فقد أمره ألاّ يُعجلك عن جِهاز.

فبعث خالد إلى عدّة من ثقاته؛ منهم عُمارة بن أبي كلثم الأزديّ ، فأقرأهم الكتاب ، وقال: أشيروا عليّ؛ فقالوا: إنّ الوليد ليس بمأمون عليك؛ فالرأي أن

تدخل دمشق ، فتأخذ بيوت الأموال وتدعوَ إلى من أحببت؛ فأكثرُ الناس قومُك ، ولن يختلف عليك رجلان ، قال: أو ماذا؟ قالوا: تأخذ بيوت الأموال ، وتقيم حتى تتوثّق لنفسك ، قال: أو ماذا؟ قالوا: أو تتوارى ، قال: أما قولكم: تدعو إلى من أحببت؛ فإني أكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يدي ، وأما قولكم: تتوثّق لنفسك؛ فأنتم لا تأمنون عليّ الوليد؛ ولا ذنب لي ، فكيف ترجون وفاءه لي وقد أخذت بُيوت الأموال! وأما التواري؛ فوالله ما قنَّعت رأسي خوفاً من أحد قطّ؛ فالآن وقد بلغت من السنّ ما بلغت! لا ، ولكن أمضي وأستعين بالله.

فخرج حتى قدم على الوليد ، فلم يدعُ به ، ولم يكلّمه وهو في بيته؛ معه مواليه وخدمُه ، حتى قُدِم برأس يحيى بن زيد من خُراسان ، فجمع النِاس في رِواق ، وجلس الوليد ، وجاء الحاجب فوقف ، فقال له خالد: إن حالي ما ترى؛ لا أقدر على المشي؛ وإنما أُحمَل في كرسيّ ، فقال الحاجب: لا يدخل عليه أحد يُحمَل ، ثم أذن لثلاثة نَفَر ، ثم قال: قم يا خالد ، فقال: حالي ما ذكرت لك ، ثم أذن لرجل أو رجلين ، فقال: قم يا خالد ، فقال: إن حالي ما ذكرت لك؛ حتى أذن لعشرة ، ثم قال: قم يا خالد ، وأذن للناس كلهم ، وأمر بخالد فحمِل على كرسيّه؛ فدخِل به والوليد جالسٌ على سريره ، والموائد موضوعة ، والناس بين يديه سماطان ، وشبّة بن عقّال ـ أو عقّال بن شبّة ـ يخطب ، ورأس يحيى بن زيد منصوب ، فميل بخالد إلى أحد السماطين ، فلما فرغ الخطيب قام الوليد وصُرف الناس ، وحُمل خالد إلى أهله؛ فلما نزع ثيابه جاءه رسول الوليد فردّه ، فلما صار إلى باب السرادق وقف فخرج إليه رسول الوليد ، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: أين يزيد بن خالد؟ فقال: كان أصابه من هشام ظفر ، ثم طلبه فهرب منه ، وكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله؛ فلما لم يظهر ظننّاه ببلاد قومه من السّراة ، وما أوشكه ، فرجع إليه الرسول ، فقال: لا ولكنك خلَّفته طلباً للفتنة ، فقال خالد للرسول: قد علم أمير المؤمنين أنّا أهلَ بيت طاعة ، أنا وأبي وجدي ـ قال خالد: وقد كنت أعلم بسرعة رجعة الرسول: أنّ الوليد قريب حيث يسمع كلامي ـ فرجع الرّسول ، فقال: يقول لك أمير المؤمنين؛ لتأتينّ به أو لأزهقنّ نفسك. فرفع خالد صوتَه ، وقال: قل له: هذا أردتَ ، وعليه دُرْتَ؛ والله لو كان تحت قدميَّ ما رفعتُهما لك عنه؛ فاصنع

ما بدا لك! فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبَسْط عليه ، وقال له: أسمعني صوته. فذهب به غَيْلان إلى رَحْله ، فعذْبه بالسلاسل ، فلم يتكلم فرجع غَيْلان إلى الوليد ، فقال: والله ما أعذّب إنساناً؛ والله ما يتكلم ولا يتأوَّه ، فقال: اكفف عنه واحبسه عندك ، فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر بمالٍ من العراق ، ثم أداروا الأمر بينهم وجلس الوليد للناس ويوسف عنده؛ فتكلّم أبان بن عبد الرحمن النميريّ في خالد ، فقال يوسف: أنا أشتريه بخمسين ألف ألف ، فأرسل الوليد إلى خالد إنّ يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف؛ فإن كنت تضمنها وإلاّ دفعتُك إليه ، فقال خالد: ما عهدت العرب تُباع؛ والله لو سألتني أن أضمن هذا ـ ورفع عوداً من الأرض ـ ما ضمنتُه ، فرَ رأيك.

فدفعه إلى يوسف ، فنزع ثيابه ودرّعه عباءة ولحفه بأخرى ، وحمله في محمل بغير وطاء ، وزميله أبو قحافة المُريّ ابن أخي الوليد بن تَلِيد ـ وكان عامل هشام على الموصل ، فانطلق به حتى نزل المحْدَثة ، على مَرْحلة من عسكر الوليد ، ثم دعا به فذكر أمَّه ، فقال: وما ذكر الأمهات لعنك الله! والله لا أكلمك كلمة أبداً. فبسط عليه ، وعذّبه عذاباً شديداً [وهو] لا يكلّمه كلمة ، ثم ارتحل به حتى إذا كان ببعض الطريق بعث إليه زيد بن تميم القينيّ بشربة سويق حبّ رمّان مع مولى له يقال له سالم النفاط ، فبلغ يوسف فضرب زيداً خمسمئة سوط ، وضرب سالماً ألف سوط ، ثم قدم يوسف الحيرة فدعا به وبإبراهيم ومحمد ابني هشام فبسط على خالد ، فلم يكلّمه ، وصبر إبراهيم بن هشام وخَرِعَ محمد بن هشام ، فمكث خالد يوماً في العذاب ، ثم وضَع على صدره المضرّسة فقتله من الليل ، ودفن بناحية الحيرة في عباءته التي كان فيها ، وذلك في المحرّم سنة ست وعشرين ومئة في قول الهيثم بن عديّ ، فأقبل عامر بن سهلة الأشعريّ فعقر فرسه على قبره ، فضربه يوسف سبعمئة سوط.

قال أبو زيد: حدّثني أبو نُعيم قال: حدّثني رجل ، قال: شهدتُ خالداً حين أتِيَ به يوسف ، فدعا بعود فوضع على قدميه ، ثم قامت عليه الرّجال حتى كسِرت قدماه؛ فوالله ما تكلّم ولا عَبس ، ثم على ساقيه حتى كُسِرَتا ، ثم على فخذيه ثم على حَقْويه ثم على صدره حتى مات ، فوالله ما تكلم ولا عَبس ، فقال خلف بن خليفة لما قتِل الوليد بن يزيد:

لقد سَكَّنَتْ كلبٌ وأَسباقُ مَذْحِجٍ صَدىً كان يَزْقو لَيْلَهُ غيرَ راقِدِ
تَرَكْنَ أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ مُكِبّاً على خَيْشومِهِ غيرَ سَاجِدِ
فإنْ تَقْطَعُوا مِنّا مَناطَ قِلاَدَةٍ قَطَعْنا به منكمْ مَناطَ قَلائِدِ
وَإنْ تشْغَلُونا عن نَدانا فإنَّنا شَغلنا الوليدَ عن غناءِ الولائد
وإنْ سافَرَ القَسريّ سَفْرَةَ هالكٍ فإنَّ أَبا العباسِ ليسَ بشاهِدِ

وقال حسان بن جعدة الجعفريّ يكذّب خلف بن خليفة في قوله هذا:

إنَّ امْرَأً يَدَّعِي قتلَ الوليدِ سوَى أعمامِهِ لَمَلِيء النفسِ بالكَذِب
ما كان إلا امْرَأً حانَتْ مَنِيَّتُهُ سَارتْ إليه بنو مرْوان بالعَرَبِ

وقال أبو محْجن مولى خالد:

سائلْ وَليداً وسائلْ أهلَ عسكَره غداة صَبَّحَهُ شُؤبُوبُنا البَرِدُ
هلْ جاءَ مِنْ مُضَرٍ نَفْسٌ فتَمْنَعهُ والخَيْلُ تحتَ عجاج الموتِ تَطّرِدُ
مَنْ يَهْجُنا جاهِلاً بالشِّعْر نَنْقُضُهُ بالبيض إنا بِها نَهْجُو ونَفْتئِدُ

وقال نصر بن سعيد الأنصاريّ:

أَبْلغ يَزيدَ بَني كرْزٍ مُغَلْغَلَةً أني شُفِيتُ بِغَيْب غَيْرَ مَوْتُورِ
قَطَعتَ أَوْصال قَنُّورٍ على حَنَقٍ بِصَارِمٍ مِنْ سُيُوفِ الهِنْدِ مأْثورِ
أمْسَتْ حلائلُ قَنُّورٍ مُجَدَّعَةً لِمَصْرَعِ العبدِ قنُّورِ بن قنُّورِ
ظلّتْ كِلابُ دمَشْقٍ وَهْيَ تَنْهَشُهُ كأنَّ أعضاءَهُ أعضاءُ خنزِير
غادَرْنَ مِنْهُ بقايا عِنْدَ مَصْرَعِهِ أنقاضَ شِلْوٍ على الأَطْنَابِ مَجْرور
حكّمْتَ سَيْفك إذ لَمْ تَرْضَ حكمَهمُ والسَّيْفُ يحكمُ حكْماً غَيْر تعذِير
لا ترْضَ مِنْ خالدٍ إنْ كُنْتَ مُتَّئِراً إلا بكلِّ عَظِيم المُلك مَشْهُورِ
أسعرْتَ مُلكَ نِزارٍ ثمَّ رُعْتَهُمُ بالخيْلِ ترْكُضُ بالشُمّ المَغاوير
ما كانَ في آل قنُّور ولا وَلَدوا عَدْلاً لبدرْ سَماء ساطِعِ النّور

[٧/ ٢٥٤ ـ ٢٦١].

قال عمرو بن مروان: فحدّثني يزيد بن مَصاد، قال: كنت في عسكر سليمان، فلحقنا أهل حِمْص، وقد نزلوا السلمانيّة، فجعلوا الزيتون على أيمانهم، والجبَل على شمائلهم، والجِباب خلفهم؛ وليس عليهم مأتىً إلا من وجْه واحد، وقد نزلوا أوّل الليل، فأراحوا دوابّهم، وخرجنا نسري ليلتَنا

كلَّها ، حتى دفعنا إليهم؛ فلما متَع[1] النهار واشتدّ الحرّ ، ودوابنا قد كلّت وثقل علينا الحديد ، دنوت من مسرور بن الوليد ، فقلت له ـ وسليمان يسمع كلامي : أنشدك الله يا أبا سعيد أن يُقدِم الأمير جندَه إلى القتال في هذه الحال! فأقبل سليمان فقال : يا غلام ، أصبر نفسَك ، فوالله لا أنزل حتى يقضيَ الله بيني وبينهم ما هو قاض ، فتقدَّم وعلى ميمنتِه الطُّفيل بن حارثة الكلبيّ ، وعلى ميسرته الطُّفَيل بن زرارة الحبشيّ ، فحملوا علينا حَمْلة ، فانهزمت الميمنة والميسرة أكثر من غَلْوتين ، وسليمان في القلْب لم يزُل من مكانه؛ ثم حمل عليهم أصحاب سليمان حتى ردّوهم إلى موضعهم؛ فلم يزالوا يحملون علينا ونحمل عليهم مراراً ، فقتِل منهم زُهاء مئتي رجل ، فيهم حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وأصيب من أصحاب سليمان نحوٌ من خمسين رجلاً ، وخرج أبو الهَلباء البَهْرانيّ ـ وكان فارسَ أهل حمْص ـ فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه حَيّة بن سلامة الكلبيّ فطعنه طعنة أذراه عن فرسه ، وشدّ عليه أبو جعدة (مولىً لقريش من أهل دمشق) فقتله ، وخرج ثُبيت بن يزيد البهرانيّ ، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه إيراك السُّغديّ؛ من أبناء ملوك السُّغد كان منقطعاً إلى سليمان بن هشام ـ وكان ثبيت قصيراً ، وكان إيراك جسيماً ـ فلما رآه ثُبيت قد أقبل نحوه استطرد ، فوقف إيراك ورماه بسهم فأثبت عضلة ساقه إلى لبْده ، قال : فبينا هم كذلك إذ أقبل عبد العزيز من ثَنيّـة العُقَاب ، فشدّ عليهم ، حتى دخل عسكرهم فقتَل ونفذ إلينا .

[قال أحمد] : قال عليّ : قال عمرو بن مروان : فحدّثني سليمان بن زياد الغسانيّ قال : كنت مع عبد العزيز بن الحجاج : فلما عاين عسكر أهل حمص ، قال لأصحابه : موعدكم التلَّ الذي في وسط عسكرهم؛ والله لا يتخلّف منكم أحدٌ إلاّ ضربتُ عنقه . ثم قال لصاحب لوائه : تقدّم ، ثم حمل وحملنا معه؛ فما عرض لنا أحد إلا قُتِل حتى صرنا على التلّ ، فتصدّع عسكرهم ، فكانت هزيمتهم ، ونادى يزيد بن خالد بن عبد الملك القسريّ : الله الله في قومك! فكفّ الناس ، وكره ما صنع سليمان وعبد العزيز؛ وكاد يقع الشرّ بين الذَّكوانيّة وسليمان وبين بني عامر من كلْب ، فكفُّوا عنهم؛ علَى أن يبايعوا ليزيد بن الوليد ، وبعث

---

(١) متع النهار : طال وامتد . القاموس المحيط ص ٩٨٥ .

سليمان بن هشام إلى أبي محمد السفيانيّ ويزيد خالد بن يزيد بن معاوية فأخِذا ، فمرَّ بهما على الطُّفيل بن حارثة ، فصاحا به : يا خالاه! ننشدك الله والرّحم! فمضى معهما إلى سليمان فحبسهما ، فخاف بنو عامر أن يقتلَهما ، فجاءت جماعة منهم؛ فكانت معهما في الفُسطاط ، ثم وجّههما إلى يزيد بن الوليد ، فحبسهما في الخَضْراء مع ابني الوليد ، وحبس أيضاً يزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان؛ خال عثمان بن الوليد معهم ، ثم دخل سليمان وعبد العزيز إلى دمشق؛ ونزلا بعذراء ، واجتمع أمر أهل دمشق ، وبايعوا يزيد بن الوليد ، وخرجوا إلى دمشق وحِمْص وأعطاهم يزيد العَطَاء ، وأجاز الأشراف منهم معاوية بن يزيد بن الحصين والسِّمط بن ثابت وعمرو بن قيس وابن حُوَيّ والصقر بن صفوان؛ واستعمل معاوية بن يزيد بن حصين من أهل حمص ، وأقام الباقون بدمشق ، ثم ساروا إلى أهل الأردنّ وفلسطين وقد قتل من أهل حِمْص يومئذ ثلثمئة رَجُل . [٦/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦] .

قال : وحدّثني عثمان بن داود الخوْلانيّ ، قال : وجّهني يزيد بن الوليد ومعي حذيفة بن سعيد إلى محمد بن عبد الملك ويزيد بن سليمان، يدعوهما إلى طاعته ، ويعدهما ويمنّيهما ، فبدأنا بأهل الأردنّ ومحمد بن عبد الملك ، فاجتمع إليه جماعة منهم؛ فكلّمتُه فقال بعضهم : أصلح الله الأمير ! اقتل هذا القدَريّ الخبيث ، فكفهم عني الحكم بن جرو القيني. فأقيمت الصلاة فخلوتُ به ، فقلتُ : إني رسول يزيد إليك ، والله ما تركت ورائي راية تُعْقَدُ إلاّ على رأس رجل من قومك ، ولا دِرهم يخرج من بيت المال إلاّ في يد رجل منهم؛ وهو يحمل لك كذا وكذا. قال : أنت بذاك ؟ قلت : نعم : ثم خرجت فأتيت ضِبْعان بن رَوْح ، فقلت له مثل ذلك ، وقلت له : إنه يوليك فلسطين ما بَقِيَ، فأجابني فانصرفت ، فما أصبحت حتى رَحل بأهلِ فلسطين .

حدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مَرْوان الكلبيّ ، قال : سمعتُ محمد ابن سعيد بن حسان الأردنيّ ، قال : كنت عَيْناً ليزيد بن الوليد بالأردنّ ، فلما اجتمع له ما يريد ولاّني خراج الأردنّ ، فلما خالفوا يزيد بن الوليد أتيتُ سليمان ابن هشام ، فسألته أن يوجّه معي خيلاً ، فأشنّ الغارة على طَبريّة ، فأبى سليمان أن يوجّه معي أحداً ، فخرجت إلى يزيد بن الوليد ، فأخبرته الخبر ، فكتب إلى

سليمان كتاباً بخطه ، يأمره أن يوجه معي ما أردت؛ فأتيتُ به سليمان ، فوجه معي مسلم بن ذَكْوان في خمسة آلاف ، فخرجت بهم ليلاً حتى أنزلتهم البطيحة ، فتفرّقوا في القُرى ، وسرت أنا في طائفة منهم نحو طبريّة ، وكتبوا إلى عسكرهم ، فقال أهل طَبريّة : علام نقيم والجنود تجوس منازلنا وتحكم في أهالينا ! ومضوا إلى حجرة يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ، فانتهبوهما وأخذوا دوابهما وسلاحهما ، ولحقوا بقراهم ومنازلهم؛ فلما تفرّق أهلُ فلسطين والأردنّ ، خرج سليمان حتى أتى الصِّنَّبْرَة ، وأتاه أهل الأردنّ ، فبايعوا ليزيد بن الوليد؛ فلما كان يوم الجمعة وجّه سليمان إلى طَبريّة ، وركب مركباً في البحيرة ، فجعل يسايرهم حتى أتى طبريّة ، فصلى بهم الجمعة ، وبايع مَنْ حضر ثم انصرف إلى عسكره .

حدثني أحمد ، قال : حدَّثنا عليّ ، عن عمرو بن مَرْوان الكلبيّ ، قال : حدّثني عثمان بن داود ، قال : لما نزل سليمان الصَّنّبرة ، أرسلني إلى يزيد بن الوليد ، وقال لي : أعلِمْه أنك قد علمت جفاء أهل فلسطين ، وقد كفى الله مؤونتهم ، وقد أزمعت على أن أولِّيَ ابن سراقة فلسطين والأسود بن بلال المحاربيّ الأردنّ . فأتيت يزيد ، فقلت له ما أمرني به سليمان ، فقال : أخبرني كيف قلت لضِبْعان بن رَوْح؟ فأخبرته ، قال : فما صنع ؟ قلت : ارتحلَ بأهل فلسطين، وارتحل ابن جِرْو بأهل الأردنّ قبل أن يُصبِحا . قال : فليسا بأحقّ بالوفاء منا ، ارجع فمرْه ألاّ ينصرف حتى ينزل الرمْلة ، فيبايعْ أهلها ، وقد استعملتُ إبراهيم بن الوليد على الأردنّ وضِبعان بن رَوْح على فلسطين ومسرور بن الوليد على قنَّسرين وابن الحصين على حِمص . [٧/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨] .

ثم دعا الناس إلى تجديد البيعة له ، فكان أول من بايعه الأفقم يزيد بن هشام ، وبايعه قيس بن هانىء العبسيّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اتّق الله ودُمْ على ما أنت عليه ، فما قام مقامك أحدٌ من أهل بيتك؛ وإن قالوا : عمر بن عبد العزيز فأنت أخذتها بحبل صالح، وإن عمر أخذها بحبل سوء . فبلغ مروان بن محمد قولُه ، فقال : ما له قاتله الله ذمّنا جميعاً وذمّ عمر! فلما وليّ مروان بعث رجلاً ، فقال : إذا دخلتَ مسجد دمشق فانظر قيس بن هانىء ، فإنه طالما صلّى فيه ، فاقتله؛ فانطلق الرجل ، فدخل مسجد دمشق ، فرأى قَيْساً يصلي فقتله .

* * *

وفي هذه السنة عَزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق وولاها منصورَ بن جُمْهور.

ذكر الخبر عَنْ عزل يوسف بن عمر وولاية منصور بن جُمْهور:

ولما استوثق ليزيد بن الوليد على الطاعة أهل الشام، ندب ـ فيما قيل ـ لولاية العراق عبدَ العزيز بن هارون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلبيّ، فقال له عبد العزيز: لو كان معي جند لقبلت، فتركه وولاّها منصور بن جمهور.

وأما أبو مخنف، فإنه قال ـ فيما ذكر هشام بن محمد عنه: قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء، لليلتين بقيَتا من جمادى الآخرة سَنة ست وعشرين ومئة، وبايع الناس يزيد بن الوليد بن عبد الملك بدمشق، وسار منصور بن جمهور من البَخْراء في اليوم الذي قتِل فيه الوليد بن يزيد إلى العراق، وهو سابع سبعة، فبلغ خبرُه يوسفَ بن عمر فهرب، وقدم منصور بن جمهور الحيرة في أيام خَلَون من رجب، فأخذ بيوت الأموال، فأخرج العطاء لأهل العطاءِ والأرزاق، واستعمل حُريث بن أبي الجهم على وَاسط، وكان عليها محمد بن نُباتة، فطرقه ليلاً فحبسه وأوثقه، واستعمل جرير بن يزيد بن يزيد بن جرير على البصرة، وأقام منصور وولّى العمال، وبايع ليزيد بن الوليد بالعراق، وفي كورها، وأقام بقيّة رجب وشعبان ورمضان، وانصرف لأيام بَقِينَ منه.

وأما غيرُ أبي مخنف فإنه قال: كان منصور بن جمهور أعرابيّاً جافياً غَيْلانيّاً، ولم يكن من أهل الدّين؛ وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغَيْلانيّة، وحميّةً لقتل خالد، فشهد لذلك قتل الوليد، فقال يزيد له لما ولاه العراق: قد وليتُك العراق فسر إليه، واتّق الله، واعلم أني إنما قتلت الوليد لفسقه ولِمَا أظهرَ من الجوْر؛ فلا ينبغي لك أن تركب مثل ما قتلناه عليه، فدخل على يزيد بن الوليد يزيدُ بن حجرة الغسانيّ ـ وكان ديّناً فاضلاً ذا قَدْر في أهل الشأم، قد قاتل الوليد ديانةً ـ فقال: يا أمير المؤمنين، أولّيتَ منصوراً العراق؟ قال: نعم، لبلائه وحسن معونته، قال: يا أميرَ المؤمنين؛ إنه ليس هناك في أعرابيّته وجفائه في الدين. قال: فإذا لم أولّ منصوراً في حسن معاونته فمَنْ أوَلّي! قال: تولّي رجلاً من أهل الدين والصلاح والوقوف عند الشبهات، والعلم بالأحكام والحدود؛ ومالي لا أرى أحداً من قيس يغشاك، ولا يقف ببابك! قال: لولا أنه ليس من شأني

سفك الدماء لعاجلتُ قيساً ، فوالله ما عزَّتْ إلاّ ذلّ الإسلام .

ولما بلغ يوسفَ بن عمر قتلُ الوليد ، جعل يعمِد إلى مَن بحضرته من اليمانيَة فيلقيهم في السُّجون ، ثم جعل يخلُو بالرجل بعد الرّجل من المضريّة ، فيقول له: ما عندك إن اضطرب حبل أو انفتق فَتْق؟ فيقول: أنا رجل من أهل الشام ، أبايع مَنْ بايعوا ، وأفعل ما فعلوا ، فلم يرَ عندهم ما يحبّ ، فأطلَق مَنْ في السجون من اليمانية ، وأرسل إلى الحجاج بن عبد الله البصريّ ومنصور بن نصير ـ وكانا على خَبَر ما بينه وبين أهل الشام ـ فأمرهما بالكتاب إليه بالخبر ، وجعل على طريق الشام أرصاداً ، وأقام بالحيرة وجلاً ، وأقبل منصور حتى إذا كان بالجمع؛ كتب إلى سُليمان بن سُليم بن كيسان كتاباً:

أما بعد ، فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم؛ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردَّ له؛ وإنّ الوليد بن يزيد بدّل نعمة الله كفراً ، فسفك الدّماء ، فسفك الله دَمه ، وعجَّله إلى النار! وولي خلافته مَنْ هو خير منه ، وأحسن هدياً؛ يزيد بن الوليد ، وقد بايعه الناس ، وولّى على العراق الحارثَ بن العباس بن الوليد ، ووجّهني العباس لآخذ يوسف وعماله ، وقد نزل الأبيض ، ورائي على مرحلتين؛ فخذ يوسف وعماله ، لا يفوتنّك منهم أحد ، فاحبسهم قِبَلك ، وإياك أن تخالف ، فيحلّ بك وبأهل بيتك ما لا قِبَل لك به؛ فاختر لنفسك أو دَعْ .

وقيل إنه لما كان بعين التّمْر كتب إلى مَنْ بالحيرة من قوّاد أهل الشأم يُخبرهم بقتل الوليد ، ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله. وبعث بالكتب كلها إلى سليمان بن سُليم بن كَيْسان ، وأمره أن يفرّقها على القوّاد ، فأمسكها سليمان، ودخل على يوسف ، فأقرأه كتاب منصور إليه ، فَبعِل به[1] .

قال حُريث بنُ أبي الجهم: كان مكثي بواسط ؛ فما شعرت إلا بكتاب منصور ابن جمهور قد جاءني أن خذْ عمال يوسف ، فكنت أتولّى أمره بواسط ، فجمعت مواليّ وأصحابي ، فركبنا نحواً من ثلاثين رجلاً في السلاح؛ فأتينا المدينة. فقال البوابون: مَنْ أنت ؟ قلتُ: حُرَيث بن أبي الجهم ، فقالوا: نقسم بالله ما جاء

(١) بعل به؛ أي: تبرم فلم يدر ما يصنع ، والبعل: الضجر والتبرم بالشيء.

بحريث إلا أمر مهمٌّ؛ ففتحوا الباب فدخلنا ، فأخذنا العامل فاستسلم ، وأصبحنا فأخذنا البَيْعة من الناس ليزيد بن الوليد.

قال: وذكر عمر بن شجرة أنّ عمرو بن محمد بن القاسم كان على السِّند ، فأخذ محمد بن غزّان ـ أو عِزّان ـ الكلبيّ ، فضربه وبعث به إلى يوسف ، فضربه وألزمه مالاً عظيماً يؤدّى منه في كل جمعة نجماً ، وإن لم يفعل ضرِب خمسة وعشرين سوطاً ، فجفت يده وبعض أصابعه ، فلما ولي منصور بن جمهور العراق ولاّه السِّند وسجستان ، فأتى سجسْتان فبايع ليزيد ، ثم سار إلى السند ، فأخذ عمرو بن محمد ، فأوثقه وأمر به حرَساً يحرسونه ، وقام إلى الصلاة ، فتناول عمرو سيفاً مع الحَرَس ، فاتّكأ عليه مسلولاً حتى خالط جوفه ، وتصايح الناسُ؛ فخرج ابن غَزّان فقال: ما دعاك إلى ما صنعت ؟ قال: خفت العذاب، قال: ما كنت أبلغ منك ما بلغتَه من نفسك. فلبث ثلاثاً ثم مات ، وبايع ابن غزّان ليزيد؛ فقال يوسف بن عمر لسليمان بن سليم بن كيسان الكلبيّ حين أقرأه كتاب منصور بن جمهور: ما الرأي؟ قال: ليس لك إمام تقاتل معه ، ولا يقاتل أهل الشأم الحارث بن العباس معك ، ولا آمن عليك منصور بن جمهور إن قدم عليك ، وما الرّأي إلا أن تلحق بشأمك؛ قال: هو رأيي ، فكيف الحيلة ؟ قال: تظهر الطاعة ليزيد ، وتدعُو له في خُطبتك؛ فإذا قرب منصور وجّهتُ معك مَنْ أثق به. فلما نزل منصور بحيث يصبّح الناس البلدَ ، خرج يوسف إلى منزل سليمان بن سليم ، فأقام به ثلاثاً ، ثم وجّه معه من أخذ به طريق السَّمَاوة حتى صار إلى البَلْقاء.

وقد قيل إنّ سليمان قال له: تستخفي وتَدع منصوراً والعملَ ، قال: فعند مَنْ؟ قال: عندي ، وأضعك في ثقة؛ ثم مضى سليمان إلى عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص ، فأخبره بالأمر ، وسأله أن يؤويَ يوسف ، وقال: أنت امرؤٌ من قريش ، وأخوالك بكر بن وائل؛ فآواه. قال عمرو: فلم أر رجلاً كان مثل عُتُوّه رُعب رُعْبَه؛ أتيته بجارية نفيسة ، وقلت: تدفئه وتطيِّب نفسه ، فوالله ما قربها ولا نظر إليها ، ثم أرسل إليّ يوماً فأتيته ، فقال: قد أحسنتَ وأجملت؛ وقد بقيتْ لي حاجة ، قلت: هاتها ، قال: تخرجني من الكوفة إلى الشأم ، قلت: نعم ، وصبّحنَا منصور بن جمهور ، فذكر الوليد فعابه ، وذكر يزيد بن الوليد ،

فقرظه وذكر يوسف وجَوْره ، وقامت الخطباء فشعّثوا من الوليد ويوسف ، فأتيته فأقصصت قِصّتهم ، فجعلت لا أذكر رجلاً ممّن ذكره بسوء إلا قال: لله عليّ أن أضربه مئة سوّط ، مئتي سوط؛ ثلثمئة سوط؛ فجعلت أتعجّب من طمعه في الولايِة بعد؛ وتهدده الناس ، فتركه سليمان بن سُليم ، ثم أرسله إلى الشام فاختفى بها ، ثم تحوّل إلى البلقاء.

ذكر عليّ بن محمد أن يوسف بن عمر وجّه رجلاً من بني كلاب في خمسمئة ، وقال لهم: إن مرّ بكم يزيد بن الوليد فلا تَدعُنّه يجوز ، فأتاهم منصور بن جمهور في ثلاثين ، فلم يهايجوه ، فانتزع سلاحهم منهم ، وأدخلهم الكوفة ، قال: ولم يخرج مع يوسف من الكوفة إلاّ سفيان بن سلامة بن سليم بن كيسان وغسّان بن قعاس العذريّ ، ومعه من ولده لصلبه ستون بين ذكر وأنثى ، ودخل منصور الكوفة لأيام خَلَوْن من رجب ، فأخذ بيوت الأموال ، وأخرج العَطاء والأرزاق ، وأطلق مَن في سجون يوسف من العمال وأهل الخراج.

قال: فلما بلغ يوسف البلقَاء حينئذ بلغ خبرُه إلى يزيد بن الوليد؛ فحدّثني أحمد بن زهير؛ قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم خالد بن يزيد بن هريم ، قال: حدّثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان ، قال: سمعت محمد بن سعيد الكلبيّ ـ وكان من قوّاد يزيد بن الوليد ـ يقول: إنّ يزيد وجّهه في طلب يوسف بن عمر حيث بلغه أنه في أهله بالبلقاء ، قال: فخرجت في خمسين فارساً أو أكثر ، حتى أحطت بداره بالبلقاء ، فلم نزل نفتّش ، فلم نر شيئاً ، وكان يوسف قد لبس لُبسة النساء ، وجلس مع نسائه وبناته ، ففتشهنّ فظفر به مع النساء ، فجاء به في وَثاق ، فحبسه في السجن مع الغلامين ابني الوليد ، فكان في الحبس ولايةَ يزيد كلها وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم؛ فلما قدم مروان الشام وقرب من دمشق وليَ قتلهم يزيد بن خالد ، فأرسل يزيد مولى خالد ـ يكنى أبا الأسد ـ في عدّة من أصحابه؛ فدخل السجن لشدخ الغلامين بالعَمد ، وأخرج يوسف بن عمر فضرب عنقه.

وقيل: إن يزيد بن الوليد لما بلغه مصيرُ يوسف إلى البَلْقاء وجّه إليه خمسين فارساً ، فعرض له رجل من بني نُمير ، فقال: يابن عمّ ، أنت والله مقتول فأطعني وامتنع ، وائذن لي حتى أنتزعَك من أيادي هؤلاء. قال: لا ، قال: فَدعْنِي أقتلك

أنا ، ولا يقتلك هذه اليمانية؛ فتغيّظنا بقتلك ، قال: مالي في واحدة مما عرضتَ عليّ خيار ، قال: فأنت أعلم.

ومضوا به إلى يزيد ، فقال: ما أقدمك؟ قال: قدم منصور بن جمهور والياً فتركته والعمل ، قال: لا ، ولكنك كرهت أن تليَ لي ، فأمر بحبسه ، وقيل: إن يزيد دعا مسلم بن ذكوان ومحمد بن سعيد بن مطرِّف الكلبيّ ، فقال لهما؛ إنه بلغني أنّ الفاسق يوسف بن عمر قد صارَ إلى البلقاء ، فانطلِقا فائتياني به ، فطلباه فلم يجدَاه: فرهَّبا ابناً له ، فقال: أنا أدلّكما عليه ، فقال: إنه انطلق إلى مَزرعة له على ثلاثين ميلاً ، فأخذا معهما خمسين رجلاً من جُنْد البلقاء ، فوجدوا أثره ـ وكان جالساً ـ فلما أحسّ بهم هرب وترك نعليه ، ففتّشا فوجداه بين نسوة قد ألقيْن عليه قطيفة خزّ ، وجلسْنَ على حواشيها حاسرات ، فجرّوا برجله ، فجعل يطلب إلى محمد بن سعيد أن يُرضِيَ عنه كلباً ، ويدفع عشرة آلاف دينار وديَةَ كلثوم بن عمير وهانىء بن بشر ، فأقبلا إلى يزيد ، فلقيه عاملٌ لسليمان على نوبة من نوائب الحرس ، فأخذ بلحيته فهزّها ، ونتف بعضها ـ وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة ـ فأدخلاه على يزيد ، فقبض على لحية نفسه ـ وإنها حينئذ لتَجوز سرّته ـ وجعل يقول: نتف والله يا أمير المؤمنين لحيتي ، فما بقي فيها شعرة. فأمر به يزيد فحبُس في الخَضْراء ، فدخل عليه محمد بن راشد ، فقال له: أما تخاف أن يطلّع عليك بعض من قد وترت ، فيُلقى عليك حجراً! فقال: لا والله ما فطنت إلى هذا ، فنشدتك الله إلاّ كلمتَ أمير المؤمنين في تحويلي إلى مجلس غير هذا؛ وإن كان أضيقَ منه! قال: فأخبرت يزيد ، فقال: ما غاب عنك من حُمقه أكثر ، وما حبستُه إلا لأوجّهه إلى العراق ، فيقام للناس وتُؤخذ المظالم من ماله ودمه

ولما قَتل يزيد بن الوليد الوليدَ بن يزيد ، ووجّه منصور بن جمهور إلى العراق كتب يزيد بن الوليد إلى أهل العراق كتاباً يذكر فيه مساوىء الوليد ، فكان مما كتب به ـ فيما حدّثني أحمد بن زهير عن عليّ بن محمد: إنّ الله اختار الإسلام ديناً وارتضاه وطهّره ، وافترض فيه حقوقاً أمر بها ، ونهى عن أمور حرّمها؛ ابتلاء لعباده في طاعتهم ومعصيتهم ، فأكمل فيه كلّ منقبَة خير وجسيم فضل؛ ثم تولاّه ، فكان له حافظاً ولأهله المقيمين حدوده وليّاً ، يحوطهم ويعرّفهم بفضل

الإسلام ، فلم يكرم الله بالخلافة أحداً يأخذ بأمر الله وينتهي إليه فيناوئه أحدٌ بميثاق أو يحاول صرف ما حباه الله به ، أو ينكث ناكث إلاّ كان كيدُه الأوْهن ، ومكرُه الأبور؛ حتى يتمّ الله ما أعطاه ، ويدّخر له أجره ومثوبته ، ويجعل عدوّه الأَضَلّ سبيلاً ، الأخسرَ عملاً .

فتناسخت خلفاء الله ولاة دينه ، قاضين فيه بحُكْمه ، متبعين فيه لكتابه؛ فكانت لهم بذلك من ولايته ونصرته ما تمّت به النعم عليهم ، قد رضي الله بهم لها حتى توفي هشام .

ثم أفضى الأمر إلى عدوّ الله الوليد المنتهك للمحارم التي لا يأتي مثلها مُسلم ، ولا يُقدِم عليها كافر؛ تكرُّماً عن غشيان مثِلها ، فلما استفاض ذلك منه واستعلن ، واشتدّ فيه البلاء ، وسُفِكت فيه الدماء ، وأخِذَت الأموال بغير حقها؛ مع أمور فاحشة ، لم يكن الله ليمليَ للعاملين بها إلا قليلاً ، سرتُ إليه مع انتظار مراجعته ، وإعذار إلى الله وإلى المسلمين ، منكراً لعمله وما اجترأ عليه من معاصي الله ، متوخّياً من الله وإلى المسلمين ، منكراً لعمله وما اجترأ عليه من معاصي الله ، متوخّياً من الله إتمام الذي نويتُ؛ من اعتدال عمود الدين ، والأخذ في أهله بما هو رضا ، حتى أتيت جنداً ، وقد وَغرَتْ صدورهم على عدوٍّ الله ، لما رأوا من عمله؛ فإنّ عدوّ الله لم يكن يرى من شرائع الإسلام شيئاً إلا أراد تبديلَه ، والعمل فيه بغير ما أنزل الله؛ وكان ذلك منه شائعاً شاملاً عريان لم يجعل الله فيه ستراً ، ولا لأحد فيه شكّاً ، فذكرتُ لهم الذي نَقِمتُ وخِفت من فساد الدين والدنيا ، وحَضَضْتهم على تلافِي دينهم والمحاماة عنه؛ وهم في ذلك مُستريبون ، قد خافوا أن يكونوا قد أبقوْا لأنفسهم بما قاموا عليه ، إلى أن دعوتُهم إلى تغييره فأسرعوا الإجابة .

فابتعث الله منهم بعثاً يخبرهم من أولي الدين والرضا ، وبعثت عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، حتى لقي عدوَّ الله إلى جانب قرية يقال لها البَخْراء ، فدعوْه إلى أن يكون الأمر شورَى ، ينظر المسلمون لأنفسهم مَنْ يقلدونه ممّن اتفقوا عليه ، فلم يجب عدوّ الله إلى ذلك؛ وأبى إلاّ تتايُعاً في ضلالته؛ فبدرهم الحملة جهالة بالله ، فوجد الله عزيزاً حكيماً ، وأخْذَه أليماً شديداً ، فقتله الله على سوء عمله وعُصبتَه؛ ممن صاحبوه من بطانته الخبيثة ،

لا يبلغون عشرة؛ ودخل مَنْ كان معه سواهم في الحقّ الذي دُعوا إليه ، فأطفأ الله جَمْرته وأراح العباد منه ، فبُعداً له ولمن كان على طريقته!

أحببت أن أعلمكم ذلك ، وأعجّل به إليكم ، لتحمدوا الله وتشكروه ، فإنكم قد أصبحتم اليومَ على أمثل حالكم؛ إذ ولاتكم خياركم ، والعدل مبسوط لكم ، لا يُسار فيكم بخلافه؛ فأكثروا على ذلك حمد ربِّكم ، وتابعوا منصور بن جمهور؛ فقد ارتضيتُه لكم ، على أنّ عليكم عهد الله وميثاقه ، وأعظم ما عهِد وعقد على أحد من خلقه؛ لتستمعُنّ وتطيعنّ لي ، ولمن استخلفته من بعدي ، ممن اتفقت عليه الأمة ، ولكم عليّ مثل ذلك؛ لأعملنّ فيكم بأمر الله وسنة نبيه ﷺ ، واتبع سبلَ مَنْ سلف من خياركم؛ نسأل الله ربّنا وولّينا أحسن توفيقه وخير قضائه. [٧/ ٢٦٩ ـ ٢٧٧].

* * *

ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور بن جمهور

وفي هذه السنة امتنع نصر بن سيار بخُراسان من تسليم عمله لعامل منصور بن جمهور ، وقد كان يزيد بن الوليد ولاّها منصوراً مع العراق.

قال أبو جعفر: قد ذكرت قبلُ من خَبر نصر؛ وما كان من كتاب يوسف بن عمر إليه بالمصير إليه مع هدايا الوليد بن يزيد ، وشخوص نصر من خُراسان متوجهاً إلى العراق ، وتباطئه في سفره ، حتى قدم عليه الخبر بقتل الوليد؛ فذكر عليّ بن محمد أنّ الباهليّ أخبره ، قال: قدم على نصر بشرُ بن نافع مولى سالم الليثيّ ـ وكان على سكك العراق ـ فقال: أقبل منصور بن جمهور أميراً على العراق؛ وهرب يوسف بن عمر؛ فوجّه منصور أخاه منظور بن جمهور على الرّيّ ، فأقبلتُ مع منظور إلى الرّي ، وقلت: أقدم على نصر فأخبرُه ، فلما صرتُ بنيسابور حبسني حُميد مولى نصر ، وقال: لن تجاوزني أو تخبرَني؛ فأخبرته ، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ألاّ يخبر أحداً حتى أقدم على نصر فأخبره ، ففعل؛ فأقبلنا جميعاً حتى قدمنا على نصر ، وهو بقصره بماجان ، فاستأذنّا ، فقال خصيّ له: هو نائم ، فألححنا عليه ، فانطلق فأعلمه ، فخرج

نصر حتى قبض على يدي وأدخلني؛ فلم يكلمني حتى صرتُ في البيت ، فسألني فأخبرته ، فقال لحميد مولاه : انطلق به؛ فائتِه بجائزة؛ ثم أتاني يونس بن عبد ربّه وعبيد الله بن بسام فأخبرتهما ، وأتاني سلم بن أحْوَز فأخبرتُه ، قال : وكان خبر يوسف عند نصر ، فأتوه حين بلغهم الخبر ، فأرسل إليّ فلما أخبرتهم كذبوني فقلت : استوثق من هؤلاء؛ فلما مضت ثلاث على ذلك؛ جعل عليّ ثمانين رجلاً حَرساً ، فأبطأ الخبر على ما كنت قدّرت ، فلما كانت الليلة التاسعة ـ وكانت ليلة نوروز ـ جاءهم الخبر على ما وصفتُ ، فصرف إليّ عامة تلك الهدايا ، وأمر لي ببرذْون بسرجه ولجامه ، وأعطاني سَرْجاً صينيّاً ، وقال لي : أقم حتى أعطيَك تمام مئة ألف ، قال : فلما تيقّن نصر قتل الوليد ردَّ تلك الهدايا ، وأعتق الرقيق ، وقسم روقة[1] الجواري في ولده وخاصّته وقسم تلك الآنية في عوامّ الناس ، ووجّه العمال ، وأمرهم بحسن السيرة .

قال : وأرجفت الأزد في خراسان أن منصور بن جمهور قادم خراسان؛ فخطب نصر ، فقال في خطبته : إن جاءنا أميرٌ ظنين قطعنا يديه ورجليه . ثم باح به بعدُ؛ فكان يقول : عبد الله المخذول المثبور .

قال : وولّى نصر بن سيار ربيعة واليمن ، وولّى يعقوب بن يحيى بن حضين على أعلى طُخارستان ، ومسعدة بن عبد الله اليشكريّ على خُوَارَزْم؛ وهو الذي يقول فيه خلَف :

أقلوُ لأَصحابي معاً دون كَردَرٍ ... لمَسْعَدةُ البكريّ غَيثُ الأَرامِلِ

ثم أتبعه بأبان بن الحكم الزهرانيّ؛ واستعمل المغيرة بن شعبة الجهضميّ على قُهِستان وأمرهم بحسن السيرة ، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه ، فقال في ذلك :

أقولُ لِنَصْرٍ وبايعتُهُ ... على جُلِّ بكرٍ وأحلافِها
يَدِي لك رَهْنٌ بِبَكْرِ العرا ... قِ سَيِّدِها وابنِ وَصَّافها
أَخَذْتُ الوثيقَةَ للمسلمينَ ... لأَهلِ البلاد وأُلاّفِها

---

(١) روقة الجواري ، أي : حسانهم. القاموس المحيط ص١١٤٧ ، وفي ابن الأثير : «حسان الجواري».

إذا آل يحيى إلى ما تُريدُ — أَتَتكَ الدِّماكُ بأخفافِها
دَعَوْتَ الجنُودَ إلى بيعَةٍ — فأنصَفْتَها كُل إنصافِها
وطَدْتَ خُراسانَ للمسلمين — إن الأَرض هَمَّتْ بإرجافها
وإنْ جُمِعَتْ ألفَةُ المسلمينَ — صَرَفْتَ الضِّرابَ لأُلاّفِها
أجارَ وَسَلَّمَ أهلَ البلا — دِ والنازلينَ بأطرافِها
فَصِرْتَ على الجندِ بالمشرقيْن — لقوحاً لهمْ دَرُّ أخلافِها
فنحن على ذاك حتى تبينَ — مَناهِج سُبْلٍ لِعَرَّافها
وحتى تَبُوحَ قريشٌ بما — تَجُنّ ضَمائرُ أَجْوافِها
فأقسَمتُ للمعْبَراتُ الرِّتا — عُ لَلْعرْوُ أَوفى لأصوافِها
إلى ما تؤدِّي قريشُ البطَا — ح أخُلاّفُها بَعدَ أَشرافِها
فإنْ كان مَنْ عَزَّ بزَّ الضَّعيفَ — ضَربْنَا الخيولَ بأَعْرافِها
وجَدنا العَلائفَ أنّى يكو — نُ يُحْمَى أَوارِيُّ أعلافها
إذا ما تَشارَكُ فيه كَبَتْ — خَواصِرُها بَعْدَ إخطافِها
فنحن على عهدنا نَسْتَديمُ — قُريشاً ونَرْضى بأحلافِها
سنَرْضَى بظِلكَ كِنّاً لها — وظِلُّكَ مِنْ ظِلِّ أكنافِها
لَعَلّ قريشاً إذا ناضَلَتْ — تُقَرْطِسُ في بعض أهدافها
وتُلبِسُ أغْشيَةً بالعراقِ — رَمَتْ دلوَ شَرْقٍ بِخُطّافِها
وبالأُسْد مِنَّا وإنَّ الأُسودَ — لها لِبَدٌ فوقَ أكتافِها
فإنْ حاذَرَتْ تَلَفاً في النِّفا — رِ فالدهْر أَدْنى لإتلافها
فقد ثَبَتتْ بك أقدامُنا — إذا ٱنهارَ منهارُ أجْرافِها
وَجَدْناكَ بَرّاً رؤوفاً بنا — كرأْمَةِ أُمٍّ وإلطافها
ولَمْ تكُ بَيْعَتُنا خُلسَةً — لأَسرَعِ نَسْفَةِ خَطّافِها
نِكاحَ التي أَسْرَعَتْ بالحليـ — ـل قَبْلَ تَخَضُّبِ أَطْرافِها
فكَشَّفها البَعْلُ قبلَ الصَّدَا — قِ فاسْتَقْبَلَتْه بمعتافِهَا

قال: وكان نصر ولّى عبد الملك بن عبد الله السلميّ خُوارزم؛ فكان يخطبهم ويقول في خطبته: ما أنا بالأعرابي الجلْف، ولا الفزاريّ المستنبط؛ ولقد كرّمتني الأمور وكرّمتها، أما والله لأضعنّ السيف موضعه؛ والسوط موضعه،

والسجن مدخله ، ولتجدّني غشمشماً ، أغْشَى الشَّجر ، ولتستقيمُنّ لي على الطريقة ورفض البكّارة في السنن الأعظم ، أو لأصكّنكم صكّ القطاميّ القطا القاربَ يصكهنّ جانباً فجانباً.

قال: فقدم رجل من بَلْقين خراسان ، وجّهه منصور بن جمهور ، فأخذه مولىً لنصر ، يقال له حميد ، كان على سكّة بنيسابور؛ فضربه وكسر أنفه ، فشكاه إلى نصر ، فأمر له نصر بعشرين ألفاً وكساه ، وقال: إنّ الذي كسر أنفك مولىً لي وليس بكفء فأقصّك منه ، فلا تقلْ إلاّ خيراً. [قال: ما قبلت جائزتك ، وأنا أريد ألا أذكر إلا خيراً].

قال عصمة بن عبد الله الأسديّ: يا أخا بَلْقَين ، أخبر مَنْ تأتي أنا قد أعددنا قيساً لربيعة وتميماً للأزد ، وبقيت كنانة ، ليس لها مَن يكافئها ، فقال نصر: كلما أصلحتُ أمراً أفسدتموه!

قال أبو زيد عمر بن شبّة: حدثني أحمد بن معاوية عن أبي الخطاب ، قال: قدم قدامة بن مصعب العبديّ ورجلٌ من كندة على نَصْر بن سيّار من قِبَل منصور بن جمهور ، فقال: أمات أمير المؤمنين؟ قالا: نعم ، قال: ووليَ منصور بن جمهور وهرب يوسف بن عمر عن سرير العراق؟ قالا: نعم ، قال: أنا بجمهوركم من الكافرين ، ثم حبسهما ووسّع عليهما ، ووجّه رجلاً حتى أتى فرأى منصوراً يخطب بالكوفة ، فأخرجهما ، وقال لقدامة: أوليَكم رجل من كلب؟ قال: نعم؛ إنما نحن بين قيس واليمن ، قال: فكيف لا يولاها رجل منكم! قال: لأنا كما قال الشاعر:

إذا ما خَشِينا مِنْ أَميرِ ظُلاَمَةً دَعَوْنا أَبا غَسَّانَ يوماً فَعَسْكَرَا

فضحك نصر ، وضمّه إليه.

قال: ولما قدم منصور بن جمهور العراق ولّى عبيد الله بن العباس الكوفَةَ ـ أو وجده والياً عليها فأقرّه ـ وولّى شرطتَهُ ثمامة بن حوشب ثم عزله وولّى الحجاج بن أرطاة النخعيّ. [٧/ ٢٧٧ ـ ٢٨٠].

* * *

[ذكر مخالفة مروان بن محمد]

وفي هذه السنة كتب مَرْوان بن محمد إلى الغمْر بن يزيد، أخي الوليد بن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد.

ذكر نسخة ذلك الكتاب الذي كتب إليه:

حدّثني أحمد عن عليّ، قال: كتب مروان إلى الغمْر بن يزيد بعد قتل الوليد:

أما بعد، فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوّة رسله، وإقامة شرائع دينه، أكرمهم الله بما قلّدهم، يعزّهم ويعزّ من يعزّهم، والحَيْن[١] على مَنْ ناوأهم فابتغي غير سبيلهم، فلم يزالوا أهل رِعاية لما استودعهم الله منها يقوم بحقها ناهضٌ بعد ناهض، بأنصار لها من المسلمين، وكان أهل الشام أحسن خلقه فيه طاعة، وأذبّه عن حُرَمه، وأوفاه بعهده، وأشدّه نكاية في مارِق مخالف ناكث ناكب[٢] عن الحق، فاستدرّت نعمة الله عليهم، قد عَمِر بهم الإسلام، وكُبِت[٣] بهم الشرك وأهله، وقد نكثوا أمر الله، وحاولوا نكثَ العهود، وقام بذلك من أشعل ضرامهَا، وإن كانت القلوب عنه نافرة، والمطلوبون بدم الخليفة ولايةٌ[٤] من بنى أمية؛ فإن دمه غير ضائع؛ وإن سكنتْ بهم الفتنة، والتأمت الأمور؛ فأمرٌ أراده الله لا مردّ له.

فاكتب بحالك فيما أبرموا وما تَرى؛ فإني مطرْق إلى أن أرى غِيرَاً[٥] فأسطو بانتقام، وأنتقم لدين الله المنبوذة فرائضه، المتروكة مجانة، ومعي قوم أسكن الله طاعتي قلوبَهم؛ أهلُ إقدام إلى ما قدِمت بهم عليه، ولهم نظراء صدورهم مترعة ممتلئة لو يجدون منزعاً[٦] والنّقمة دولة تأتي من الله؛ ووقت مؤجل؛ ولم

---

(١) الحين: الهلاك والمحنة. القاموس المحيط ص ١٥٣٩.

(٢) نكب عنه: عدل. القاموس المحيط ص ١٧٨.

(٣) كبته: صرعه وأخزاه. القاموس المحيط ص ٢٠٢.

(٤) الولاية: الإمارة والسلطان. القاموس المحيط ص ١٧٣٢؛ والمعنى ذوو ولاية؛ أي أمراء من بني أمية.

(٥) غير الدهر: حوادثه المغيرة. القاموس المحيط ص ٥٨٣.

(٦) المنزع: الموضع الذي يصعد فيه الدلو إذا نزع من البئر؛ أي: لو يجدون مجالاً وفرصة للانتقام. القاموس المحيط ص ٩٩٠.

أشبه محمداً ولا مروان[١] ـ غير أن رأيت غِيَراً ـ إن لم أشمّر للقدريّة إزاري ، وأضربهم بسيفي جارحاً وطاعناً ، يرمي قضاء الله بي في ذلك حيث أخذ ، أو يرمي بهم في عقوبة الله حيث بلغ منهم فيها رضاه؛ وما إطراقي إلاّ لما أنتظر مما يأتيني عنك ، فلا تهن عن ثأرك بأخيك ، فإنّ الله جارُك وكافيك ، وكفى بالله طالباً ونصيراً .

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، عن مسلم بن ذَكْوان ، قال : كلّمَ يزيد بن الوليد العباسَ بن الوليد في طُفَيل بن حارثة الكلبيّ ، وقال : إنه حَمل حَمالة ، فإن رأيتَ أن تكتب إلى مروان بن محمد في الوصَاة به ، وأن يأذن له أن يسأل عشيرته فيها ـ وكان مروان يمنعُ الناس أن يسألوا شيئاً من ذلك عند العطاء ـ فأجابه وحمله على البريد .

وكان كتاب العباس ينفذ في الآفاق بكلّ ما يكتب به ، وكتب يزيد إلى مروان أنه اشترى من أبي عبيدة بن الوليد ضَيعَة بثمانية عشر ألف دينار ، وقد احتاج إلى أربعة آلاف دينار . قال مسلم بن ذكوان : فدعاني يزيد ، وقال : انطلق مع طُفيل بهذا الكتاب ، وكلِّمه في هذا الأمر ، قال : فخرجنا ولم يعلم العباسُ بخروجي ، فلما قدمنا خِلاط ، لقينا عمرو بن حارثة الكلبيّ ، فسألَنا عن حالنا فأخبرناه ، فقال : كذبتما؛ إن لكما ولمروان لقصّةً ، قلنا : وما ذاك؟ قال : أَخْلاَني حين أردت الخروج ، وقال لي : جماعة أهل المِزَّة يكونون ألفاً؟ قلت : وأكثر ، قال : وكم بينها وبين دمشق؟ قلت : يسمعهم المنادي ، قال : كم ترى عدّة بني عامر؟ (يعني بني عامر من كلْب) ، قلت : عشرون ألف رجل ، فحرّك أصبعه ، ولوى وجهه ، قال مسلم : فلما سمعت ذلك طمعتُ في مرْوان ، وكتبت إليه على لسان يزيد : أما بعد ، فإنني وجهت إليك ابنَ ذكوان مولاي بما سيذكره لك ، ويُنْهيه إليكَ ، فألق إليه ما أحببتَ ، فإنه من خيار أهلي وثقات مواليّ؛ وهو شعب حصين ، ووعاء أمين؛ إن شاء الله ، فقدمنا على مَرْوان ، فدفع طُفَيل كتاب العباس إلى الحاجب ، وأخبره أنّ معه كتاب يزيد بن الوليد ، فقرأه ، فخرج الحاجب، وقال : أما معك كتاب غير هذا ، ولا أوصاك بشيء! قلت : لا ، ولكني

---

(١) محمد أبوه ومروان جده .

معي مسلم بن ذكوان، فدخل فأخبره، فخرج الحاجب، فقال: مرْ مولاه بالرواح.

قال مسلم: فانصرفت، فلما حضرت المغرب أتيت المقصورة؛ فلما صلَّى مروان انصرفتُ لأعيد الصلاة، ولم أكن أعتدّ بصلاته، فلما استويت قائماً جاءني خَصيّ، فلما نظر إليّ انصرفت وأوجزتُ الصلاة، فلحقته، فأدخلني على مروان؛ وهو في بيت من بيوت النساء، فسلمتُ وجلست، فقال: من أنت؟ فقلت: مسلم بن ذكوان مولى يزيد، قال: مولى عتاقة أو مولى تباعة؟ قلت: مولى عتاقة، قال: ذاك أفضل؛ وفي كلّ ذلك فضل؛ فاذكر ما بدا لك، قلت: إن رأى الأمير أن يجعل لي الأمان على ما قلته، أوافقه في ذلك أو أخالفه؛ فأعطاني ما أردت، فحمَدت الله وصلَّيت على نبيّه، ووصفت ما أكرم الله به بني مَرْوان من الخلافة ورضا العامة بهم، وكيف نقض الوليد العُرَى، وأفسد قلوب الناس، وذمَّتْه العامّة؛ وذكرت حاله كلَّها، فلما فرغت تكلم؛ فوالله ما حمِد الله ولا تشهَّد، وقال: قد سمعت ما قلت، قد أحسنتَ وأصبت، ولنعم الرأي رأي يزيد؛ فأشهد الله أني قد بايعته، أبذل في هذا الأمر نفسي ومالي؛ لا أريد بذلك إلا ما عند الله؛ واللهِ ما أصبحت أستزيد الوليد، لقد وصَل وفرض وأشرك في ملكه؛ ولكني أشهد أنه لا يؤمن بيوم الحساب، وسألني عن أمر يزيد، فكبّرت الأمر وعظمته، فقال: اكتم أمرك؛ وقد قضيتُ حاجةَ صاحبك، وكفيته أمر حَمالته، وأمرت له بألف درهم، فأقمت أياماً، ثم دعاني ذات يوم نصفَ النهار، ثم قال: الحقْ بصاحبك، وقل له: سدّدك الله، امض على أمر الله؛ فإنك بعين الله. وكتب جواب كتابي، وقال لي: إن قدرتَ أن تطوى أو تطير فطِرْ، فإنه يخرج بالجزيرة إلى ستّ ليال أو سبع خارجة؛ وقد خفت أن يطول أمرهم فلا تقدر أن تجوز، قلت: وما علمُ الأمير بذلك؟ فضحك، وقال: ليس من أهل هوى إلاّ وقد أعطيتهم الرّضا حتى أخبروني بذات أنفسهم، فقلت في نفسي: أنا واحد من أولئك، ثم قلت: لئن فعلت ذلك أصلحك الله؛ إنه قيل لخالد بن يزيد بن معاوية: أنّي أصبت هذا العلم؟ قال: وافقتُ الرجال على أهوائهم، ودخلت معهم في آرائهم؛ حتى بذلوا لي ما عندهم، وأفضوْا لي بذات أنفسهم.

فوّدعته وخرجت. فلما كنت بآمِد لقيت البُرُد تتبع بعضها بعضاً بقتل الوليد؛

وإذا عبد الملك بن مروان [بن محمد] قد وثب على عامل الوليد بالجزيرة ، فأخرجه منها ، ووضع الأرصاد على الطريق ، فتركت البُرد ، واستأجرت دابّة ودليلاً ، فقدمت على يزيد بن الوليد. [٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٤].

* * *

ذكر الخبر عن عزل منصور بن جمهور عن العراق

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد منصورَ بن جمهور عن العراق ، وولاّها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان.

* ذكر الخبر عن ذلك:

ذُكِر عن يزيد بن الوليد أنه قال لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز: إن أهل العراق يميلون إلى أبيك فسرْ إليها فقد ولّيتُكها؛ فذكر عن أبي عبيدة ، قال: كان عبد الله بن عمر متألّهاً متألماً ، فقدّم حين شخص إلى العراق بين يديه رُسلاً وكتباً إلى قوّاد الشام الذين بالعراق ، وخاف ألاّ يسلِّم له منصور بن جمهور العمل ، فانقاد له كلهم ، وسلّم له منصور بن جمهور ، وانصرف إلى الشام ، ففرق عبد الله بن عمر عماله في الأعمال ، وأعطى الناسَ أرزاقهم وأعطياتهم؛ فنازعه قوّاد أهل الشام ، وقالوا: تقسم على هؤلاء فيئنَا وهم عدوّنا! فقال عبد الله لأهل العراق: إني قد أردتُ أن أردّ فيئكم عليكم ، وعلمت أنكم أحقّ به؛ فنازعني هؤلاء فأنكروا عليّ.

فخرج أهل الكوفة إلى الجبّانة ، وتجمّعوا ، فأرسل إليهم قوّاد أهل الشام يعتذرون وينكرون ، ويحلفون أنهم لم يقولوا شيئاً مما بلَغهم ، وثار غوغاء الناس من الفريقين ، فتناوشوا ، وأصيب منهم رهط لم يُعرفوا وعبدُ الله بن عمر بالحيرة ، وعبيد الله بن العباس الكنديّ بالكوفة؛ قد كان منصور بن جمهور استخلفه عليها فأراد أهل الكوفة إخراجه من القصر ، فأرسل إلى عمر بن الغضبان بن القبعثريّ ، فأتاه فنحّى الناس عنه ، وسكّنهم وزجر سفاءهم حتى تحاجزوا ، وأمن بعضهم بعضاً ، وبلغ ذلك عبد الله بن عمر ، فأرسل إلى ابن الغَضْبان ، فكساه وحَمله ، وأحسن جائزته ، وولاّه شُرَطه وخراج السواد

والمحاسبات، وأمره أن يفرض لقومه، ففرض في ستين وفي سبعين. [٧/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥].

* * *

[ذكر وقوع الخلاف بين اليمانية والنزارية في خراسان]

وفي هذه السنة وقع الاختلاف في خراسان بين اليمانية والنزاريّة، وأظهر الكِرمانيّ فيها الخلاف لنصر بن سيار، واجتمع مع كلّ واحد منهما جماعة لنصرته.

* ذكر الخبر عما كان بينهما من ذلك وعن السبب الذي أحدث ذلك:

ذكر عليّ بن محمد عن شيوخه؛ أن عبد الله بن عمر لمّا قدم العراق والياً عليها من قِبَل يزيد بن الوليد، كتب إلى نصر بعهده على خراسان؛ قال: ويقال: بل أتاه كتابه بعد خروج الكرمانيّ من حَبْس نصر، فقال المنجّمون لنصر: إنَّ خراسان سيكون بها فتنة؛ فأمر نصر برفع حاصل[1] بيت المال، وأعطى الناس بعض أعطياتهم ورِقاً وذهباً من الآنية التي كان اتخذها للوليد بن يزيد؛ وكان أوّل من تكلم رجل من كِندة أفوه طُوال، فقال: العطاء العطاء! فلما كانت الجمعة الثانية، أمر نصر رجالاً من الحرَس، فلبسوا السلاح، وفرّقهم في المسجد مخافة أن يتكلم متكلم، فقام الكنديّ فقال: العطاء العطاء! فقام رجل مولى للأزْد ـ وكان يلقب أبا الشياطين ـ فتكلم، وقام حمّاد الصائغ وأبو السَّلِيل البكريّ، فقالا: العطاء العطاء! فقال نصر: إياكم والمعصية؛ عليكم بالطاعة والجماعة؛ فاتقوا الله واسمعوا ما توعظون به.

فصعد سَلْم بن أحوز إلى نصر وهو على المنبر فكلّمه، فقال: ما يغني عنّا كلامك هذا شيئاً، ووثب أهل السوق إلى أسواقهم؛ فغضب نصر وقال: مالكم عندي عطاء بعد يومكم هذا، ثم قال: كأني بالرّجل منكم قد قام إلى أخيه وابن عمه، فلطم وجهَه في جمل يُهْدَى له وثوب يكساه، ويقول: مولاي وظئري؛ وكأني بهم قد نبغ من تحت أرجلهم شرّ لا يطاق، وكأني بكم مطّرحين

---

(١) الحاصل من كل شيء: ما بقي منه. القاموس المحيط ص ١٢٧٢.

في الأسواق كالجزُر المنحورة؛ إنه لم تطل ولاية رجل إلا ملّوها؛ وأنتم يا أهلَ خراسان؛ مسلحة في نحور العدوّ، فإياكم أن يختلف فيكم سيفان.

قال عليّ: قال عبد الله بن المبارك، قال نصر في خطبته: إني لمكفِّر ومع ذلك لمظَلّم؛ وعسى أن يكون ذلك خيراً لي، إنكم تغشوْن أمراً تريدون فيه الفتنة، فلا أبقى الله عليكم، والله لقد نشرتكم وطويتكم، وطويتكم ونشرتكم، فما عندي منكم عشرة. وإني وإياكم كما قال مَن كان قبلكم:

اسْتَمْسِكُوا أصحابَنا نَحدُو بكمْ فقد عرفنا خَيركم وشَرَّكمْ

فاتقوا الله؛ فوالله لئن اختلف فيكم ليتمنَّيَنّ الرجل منكن أن يُخلع من ماله وولده ولم يكنِ رآه، يا أهل خراسان، إنكم غمطتم الجماعة وركنتم إلى الفرقة، أسلطانَ المجهول تريدون وتنتظرون! إنه فيه لهلاككم معشر العرب، وتمثَّل بقول النابغة الذبيانيّ:

فإنْ يَغْلِبْ شَقاؤكُمُ عليكمْ فإني في صَلاَحِكُم سَعَيْتُ

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن المغيرة بن الورد الجعديّ:

أَبِيتُ أَرعى النجومَ مرْتَفِقاً إذا استَقَلَّتْ تَجْرِي أوائِلُها
مِنْ فِتنَةٍ أصبحَتْ مجَلِّلةً قد عَمَّ أهلَ الصَّلاةِ شامِلُها
مَنْ بِخُرَاسانَ والعراقِ ومَنْ بالشامِ كلٌّ شَجاهُ شاغِلها
فالناسُ منها في لونِ مَظلمةٍ دَهْماءَ ملتَجَّةٍ غَياطِلُها
يمْسِي السَّفِيه الذي يُعنَّف بالـ جَهْلِ سواءً فيها وعاقلها
والناسُ في كُرْبَةٍ يَكاد لها تَنبِذُ أولادَها حَوامِلُها
يَغدون منها في ظلّ مُبْهَمَةٍ عمياءَ تغتَالهم غوائلها
لا يَنظُر الناس في عواقِبِها إلاَّ التي لا يبِين قائلها
كرَغْوَةِ البَكرِ أَوْ كَصَيْحَةِ حُبْـ ـلى طرَقتْ حولها قوابُلها
فجاء فينا أزرَى بِوجْهَتِه فيها خُطوبٌ حُمْرٌ زَلازِلها

قال: فلما أتى نصراً عهده من قبَل عبد الله بن عمر قال الكِرْماني لأصحابه: الناس في فتنة؛ فانظروا لأموركم رجلاً ـ وإنما سُمّي الكرمانيّ لأنه ولد بكرْمان، واسمه جُدَيع بن عليّ بن شبيب بن بَراري بن صُنيم المعنيّ ـ فقالوا: أنت لنا، فقالت المضريّة لنصر: الكرمانيّ يفسد عليك؛ فأرْسِل إليه فاقتله، [أو

فاحبسه] ، قال: لا ، ولكن لي أولاد ذكور وإناث ، فأزوّج بَنيّ من بناته وبنيه من بناتي؛ قالوا: لا ، قال: فأبعث إليه بمئة ألف درهم ، فإنه بخيل ولا يعطي أصحابه شيئاً ، ويعلمون بها فيتفرّقون عنه ، قالوا: لا. هذه قوة له ، قال: فدَعوه على حاله يتَّقينا ونتَّقيه ، قالوا [لا ، قال]: فأرسل إليه فحبسه.

قال: وبلغ نصراً أنّ الكرمانيّ يقول: كانت غايتي في طاعة بني مروان أن يقلَّد ولدي السيوف فأطلبَ بثأر بني المهلب ، مع ما لقينا من نَصْر وجفائه وطول حرمانه ومكافأته إيانا بما كان من صنيع أسد إليه ، فقال له عصمة بن عبد الله الأسديّ: إنها بدء فتنة ، فتجنّ عليه فاحشة ، وأظهر أنه مخالف واضرب عنقه وعنق سِباع بن النعمان الأزديّ والفَرَافصَة بن ظهير البكريّ ، فإنه لم يزل متغضّباً على الله بتفضيله مضر على ربيعة.

وكان بخراسان ، وقال جَميل بن النعمان: إنك قد شرّفتَه وإن كرهتَ قتله فادفعه إليّ أقتله ، وقيل: إنما غضب عليه في مكاتبته بكْر بن فراس البَهرانيّ عامل جرْجان ، يعلمه حال منصور بن جمهور حين بعث عهد الكرمانيّ مع أبي الزّعفران مولى أسد بن عبد الله ، فطلبه نصر فلم يقدرْ عليه ، والذي كتب إلى الكرمانيّ بقتل الوليد وقدوم منصور بن جمهور على العراق صالح الأثرم الحرار.

وقيل: إن قوماً أتوا نصراً ، فقالوا: الكرمانيّ يدعو إلى الفتنة ، وقال أصرم بن قبيصة لنصر: لو أن جُديعاً لم يقدر على السلطان والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهوّد ، وكان نصر والكرمانيّ متصافيين ، وقد كان الكِرمانيّ أحسنَ إلى نصر في ولاية أسد بن عبد الله ، فلما وليَ نصر خراسان عزَل الكِرمانيّ عن الرئاسة وصيَّرها لحرب بن عامر بن أيثم الواشجيّ ، فمات حرب فأعاد الكرمانيّ عليها ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى عزله ، وصيّرها لجميل بن النعمان ، قال: فتباعد ما بين نصر والكرمانيّ فحبس الكرمانيّ في القهندز وكان على القهندز مقاتل بن عليّ المرئيّ ـ ويقال المريّ.

قال: ولما أراد نصر حبس الكِرمانيّ أمر عبيد الله بن بسّام صاحب حرسه؛ فأتاه به ، فقال له نصر: يا كِرمانيّ ، ألم يأتني كتاب يوسف بن عمر يأمرني بقتلك ، فراجعتُه وقلت له: شيخ خراسان وفارسها ، وحقنت دمك! قال: بلى! قال: ألم أغرم عنك ما كان لزمك من الغرم وقسمتُه في أعطيات الناس! قال:

بلى! قال ألم أرِش عليّاً ابنك على كرْه من قومك! قال: بلى، قال: فبدّلت ذلك إجماعاً على الفتنة! قال الكرمانيّ: لم يقل الأمير شيئاً إلاّ وقد كان أكثر منه، فأنا لذلك شاكر؛ فإنْ كان الأمير حَقَن دمي فقد كان منّي أيام أسد بن عبد الله ما قد علم، فليستأنِ الأمير ويتثبّت فلست أحبّ الفتنة، فقال عصمة بن عبد الله الأسديّ: كذبتَ؛ وأنت تريد الشَّغب، وما لا تناله. وقال سلم بن أحْوَزِ: اضرب عنقه أيها الأمير، فقال المقدام وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نُعَيم الغامديّ: لَجلساء فرعون خير منكم، إذ قالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾(١)، والله لا يقتلَنْ الكرمانيّ بقولك يا بن أحوز [وعلت الأصوات، فأمر] نصر سلماً بحبس الكرمانيّ، فحبس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست وعشرين ومئة، فكلمت الأزْد، فقال نصر: إنّي حلفت أن أحبسه ولا يبدؤه مني سوء، فإن خشيتم عليه فاختاروا رجلاً يكون معه، قال: فاختاروا يزيد النحويّ؛ فكان معه في القهندز، وصيَّر حرسه بني ناجية أصحاب عثمان وجَهْم ابني مسعود. قال: وبعث الأزد إلى نصر المغيرة بن شعبة الجهضميّ وخالد بن شعيب بن أبي صالح الحُدانيّ، فكلّماه فيه. قال: فلبث في الحبس تسعة وعشرين يوماً؛ فقال عليّ بن وائل أحد بني ربيعة بن حنظلة: دخلت على نَصْر، والكِرمانيّ جالس ناحية، وهو يقول: ما ذنبي إن كان أبو الزعفران جاء! فوالله ما واريته ولا أعلم مكانه.

وقد كانت الأزد يوم حُبس الكِرمانيّ أرادت أن تنتزعَه من رُسله، فناشدهم الله الكرمانيّ ألاّ يفعلوا، ومضى مع رسل سَلْم بن أحوز، وهو يضحك، فلما حبِس تكلّم عبد الملك بن حَرْملة اليَحْمَديّ والمغيرة بن شعبة وعبد الجبار بن شعيب بن عبّاد وجماعة من الأزْد، فنزلوا نَوْش، وقالوا: لا نرضى أن يحبَس الكرمانيّ بغير جناية ولا حَدَث، فقال لهم شيوخ من اليحمَد: لا تفعلوا وانظروا ما يكون من أميركم، فقالوا: لا نرضى؛ ليَكفنّ عنا نصر أو لنَبدأنّ بكم، وأتاهم عبد العزيز بن عبّاد بن جابر بن همام بن حنظلة اليحْمَدي في مئة، ومحمد بن المثنّى وداود بن شعيب، فباتوا بنَوْش مع عبد الملك بن حَرْملة ومَن كان معه، فلما أصبحوا أتوا حوْزان، وأحرقوا منزل عزّة أمّ ولد نصر ـ وأقاموا ثلاثة أيام، وقالوا: لا نرضى؛ فعند ذلك صيّروا عليه الأمناء، فجعلوا معه يزيد النحويّ

---

(١) الأعراف: ١١١.

وغيره ، فجاء رجل من أهل نَسَف ، فقال لجعفر غلام الكِرمانيّ : ما تجعلون لي إن أخرجته؟ قالوا : لك ما سألت ، فأتى مجرى الماء من القهندز فوسّعه ، وأتى ولد الكرمانيّ ، وقال لهم : اكتبوا إلى أبيكم يستعدّ الليلة للخروج ، فكتبوا إليه ، وأدخلوا الكتاب في الطعام ، فدعا الكرمانيّ يزيد النحويّ وحصين بن حكم فتعشَّيا معه وخرجا ، ودخل الكرمانيّ السرب ، فأخذوا بعَضُده ، فانطوت على بطنه حيّة فلم تضرّه ، فقال بعض الأزد : كانت الحيّة أزْدية فلم تضرّه .

قال : فانتهى إلى موضع ضيق فسحبوه فسُحج منكبه وجنبه ، فلما خرج ركب بغلته دوّامة ـ ويقال : بل ركب فرسه البشير ـ والقيْد في رجله ، فأتوْا به قرية تسمى غلَطان ، وفيها عبد الملك بن حَرْملة ، فأطلق عنه .

قال عليّ : وقال أبو الوليد زهير بن هنيد العدويّ : كان مع الكِرمانيّ غلامه بسّام ، فرأى خرقاً على القهندز ، فلم يزل يوسعه حتى أمكنه الخروج منه . قال : فأرسل الكِرمانيّ إلى محمد بن المثنى وعبد الملك بن حَرْملة : إني خارج الليلة ، فاجتمعوا وخرج فأتاهم فَرْقد مولاه ، فأخبرهم ، فلقوه في قرية حرْب بن عامر ، وعليه ملْحفة متقلداً سيفاً ، ومعه عبد الجبار بن شعيب وابنا الكرمانيّ : عليّ وعثمان ، وجعفر غلامه ، فأمر عمرو بن بكر أن يأتيَ غَلطان وأندَغ وأشْتُرْجَ معاً ، وأمرهم أن يوافُوه على باب الرّيان بن سنان اليَحمديّ بنَوش في المرج ـ وكان مصلاّهم في العيد ـ فأتاهم فأخبرهم ، فخرج القومُ من قراهم في السلاح ، فصلَّى بهم الغَداة ، وهم زهاء ألف ، فما ترجّلت الشمس حتى صاروا ثلاثة آلاف ، وأتاهم أهل السقادم ، فسار على مَرْج نيران حتى أتى حَوْزان ، فقال خلف بن خليفة :

أَصْحِروا لِلمَرْج أَجْلَى لِلعَمَى ... فلقد أَصْحَرَ أصحاب السَّربْ
إنَّ مَرْجَ الأزدِ مَرْجٌ واسعٌ ... تَسْتَوي الأَقدام فِيهِ والرُّكَبْ

وقيل : إن الأزْد بايعت لعبد الملك بن حَرْملة على كتاب الله عزّ وجلّ ليلة خرج الكِرمانيّ ، فلما اجتمعوا في مَرْج نَوْش أقيمت الصلاة ، فاختلف عبد الملك والكِرمانيّ ساعة ، ثم قدمه عبد الملك ، وصيَّروا الأمر له ، فصلى الكِرمانيّ ، ولما هَرَب الكِرمانيّ أصبح نصر معسكراً بباب مرْو الرّوذ بناحية إبردانَة ، فأقام يوماً أو يومين .

وقيل: لما هرب الكِرمانيّ استخلف نصر عصمة بن عبد الله الأسديّ؛ وخرج إلى القناطر الخمس بباب مَرْو الرّوذ، وخطب الناس، فنال من الكرمانيّ، فقال: وُلد بكرمان وكان كِرْمانيّاً، ثم سقط إلى هَراة فكان هَرَويّاً، والساقط بين الفراشَيْن لا أصل ثابت؛ ولا فرع نابت، ثم ذكر الأزْد، فقال: إن يستوثقوا فأذلّ قوم، وإن يأبوْا فهم كما قال الأخطل[1]:

ضَفَادِعُ في ظلماءِ لَيْلٍ تجاوَبَتْ فَدَلَّ عليها صَوْتُها حَيَّةَ البحرِ

ثم نَدِمَ على ما فرط منه، فقال: اذكروا الله؛ فإنّ ذكر الله شفاء، ذكر الله خيرٌ لا شرّ فيه، يُذهب الذنب، وذكرُ الله براءة من النفاق.

ثم اجتمع إلى نصر بَشَرٌ كثير، فوجَّه سلم بن أحوَز إلى الكِرمانيّ في المجفَّفة في بشر كثير، فسفر الناس بين نصرٍ والكِرمانيّ، وسألوا نصراً أن يؤمنه ولا يحبسه، ويضمن عنه قومُه ألاّ يخالفه، فوضع يده في يد نصر فأمرَه بلزوم بيته، ثم بلغه عن نصر شيء، فخرج إلى قرية له، وخرج نصر فعسكر بالقناطر، فأتاه القاسم بن نجيب، فكلمه فيه فآمنه، وقال له: إنْ شئت خرج لك عن خُراسان، وإن شئت أقام في داره ـ وكان رأي نصر إخراجه ـ فقال له سلم: إن أخرجتَه نوّهت باسمه وذكره، وقال الناس: أخرجه لأنه هابه، فقال نصر: إن الذي أتخوّفه منه إذا خرج أيسر مما أتخوّفه منه وهو مقيم، والرجل إذا نُفِيَ عن بلده صَغُر أمره، فأبوْا عليه، فكفّ عنه، وأعطى مَن كان معه عشرة عشرة، وأتى الكِرمانيّ نصراً، فدخل سرادقه فآمنه. ولحق عبد العزيز بن عبد ربّه بالحارث بن سُريج، وأتى نصراً عزلُ منصور بن جمهور وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في شوّال سنة ست وعشرين ومئة؛ فخطب الناس؛ وذكر ابن جمهور، وقال: قد علمتُ أنه لم يكن من عمال العراق، وقد عزله الله، واستعمل الطيب بن الطيب؛ فغضب الكرمانيّ لابن جمهور، فعاد في جمْع الرجال واتخاذ السلاح، وكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمئة وأكثر وأقل، فيصلي خارجاً من المقصورة ثم يدخل على نَصْر، فيسلم ولا يجلس، ثم ترك إتيانَ نَصر وأظهر الخِلاف، فأرسل إليه نصر مع سلْم بن أحوز: إنّي والله ما أردت

(١) في ديوانه ١٣.

بك في حَبْسك سوءاً ، ولكن خفتُ أن تفسِدَ أمر الناس ، فائْتني ، فقال الكِرماني: لولا أنك في منزلي لقتلتُك ، ولولا ما أعرف من حُمقك أحسنتُ أدَبك ، فارجع إلى ابن الأقطع فأبلغه ما شئت من خَير وشرّ ، فرجع إلى نصر فأخبره ، فقال: عُد إليه ، فقال: لا والله ، وما بي هيبة له ولكني أكره أن يُسمِعَني فيك ما أكره ، فبعث إليه عصمة بن عبد الله الأسديّ ، فقال: يا أبا عليّ ، إني أخاف عليك عاقبَة ما ابتدأتَ به في دينك ودنياك ، ونحن نعرض عليك خِصالاً؛ فانطلق إلى أميرك يعرضها عليك ، وما نريد بذلك إلا الإنذار إليك. فقال الكِرمانيّ: إني أعلم أن نصراً لم يقل هذا لك ولكن أردت أن يبلغه فتحظى ، والله لا أكلمك كلمة بعد انقضاء كلامي حتى ترجع إلى منزلك ، فيرسل مَن أحب غَيرك. فرجع عصمة ، وقال: ما رأيت عِلْجاً أعدى لطورِه من الكِرمانيّ ، وما أعجبُ منه؛ ولكن من يحيى بن حُصين لَعنهم الله [والله لهم] أشدّ تعظيماً له من أصحابه ، قال سَلْم بن أحوز: إني أخاف فساد هذا الثغر والناس ، فأرسل إليه قُدَيداً ، وقال: نصر لقُديد بن مَنيع: انطلق إليه ، فأتاه فقال له: يا أبا عليّ ، لقد لججتَ وأخاف أن يتفاقم الأمر فنهلك جميعاً ، وتشمَت بنا هذه الأعاجم ، فقال: يا قُديد؛ إني لا أتهمك؛ وقد جاء ما لا أثق بنصر معه ، وقد قال رسول الله ﷺ: «البكريّ أخوك ولا تثق به»؛ قال: أما إذْ وقع هذا في نفسك فأعطه رهْناً ، قال: من؟ قال: أعطه عليّاً وعثمان ، قال: فمن يعطيني؟ ولا خير فيه ، قال: يا أبا عليّ ، أنشدك الله أن يكون خراب هذه البلدة على يديك ، ورجع إلى نصر ، فقال لعَقيل بن معقل الليثيّ: ما أخوفَني أن يقع بها الثَّغر بلاء ، فكلم ابن عمك ، فقال عَقيل لنصر: أيها الأمير؛ أنشدك الله أن تشأم عشيرتك ، إن مَرْوان بالشام تقاتله الخوارج ، والناس في فتنة والأزْد سفهاء وهم جيرانك. قال: فما أصنع؟ إن علمتَ أمراً يُصلِح الناس فدونك ، فقد عزم أنه لا يثق بي ، قال: فأتى عَقيل الكِرمانيّ ، فقال: أبا عليّ ، قد سننت سنة تُطلَبُ بعدك من الأمراء ، إني أرى أمراً أخاف أن تَذهب فيه العقول ، قال الكِرمانيّ: إنّ نصراً يريد أن آتيَه ولا آمنه ، ونريد أن يعتزل ونعتزل ، ونختار رجلاً من بَكْر بن وائل ، نرضاه جميعاً ، فيلي أمرنا جميعاً حتى يأتيَ أمرٌ من الخليفة؛ وهو يأبَى هذا ، قال: يا أبا عليّ ، إني أخاف أن يهلِك أهلُ هذا الثغر ، فائتِ أميرك وقل ما شئت تُجَبْ إليه ، ولا تُطمِع سفهاء قومك فيما دخلوا فيه ، فقال الكرمانيّ: إني لا أتهمك في نصيحة

ولا عقْل ، ولكنّي لا أثق بنصر؛ فليحمل من مال خَراسان ما شاء ويشخص ، قال: فهل لك في أمر يجمع الأمر بينكما؟ تتزوّج إليه ويتزوّج إليك ، قال: لا آمنه على حال ، قال: ما بعد هذا خيرٌ ، وإني خائف أن تهلِك غداً بمضْيعَة ، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له عَقيل: أعود إليك؟ قال: لا؛ ولكن أبلغه عني وقل له: لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد ، فتركب منا ما لا بقيّة بعده؛ فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك ، ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة ، وأسفك الدّماء فيها ، وتهيّأ ليخرج إلى جرجان. [٧/ ٢٨٥ ـ ٢٩٣].

* * *

[خبر الحارث بن سريج مع يزيد]

وفي هذه السنة آمن يزيد بن الوليد الحارثَ بن سريج ، وكتب له بذلك ، فكتب إلى عبد الله بن عمر يأمره بردّ ما كان أخذ منه من ماله وولده.

ذكر الخبر عن سبب ذلك:

* ذكر أنّ الفتنة لما وقعت بخراسان بين نَصْر والكرمانيّ ، خاف نصر قدوم الحارث بن سُرَيج عليه بأصحابه والترك ، فيكون أمره أشدّ عليه من الكرمانيّ وغيره ، وطمع أن يناصحه ، فأرسل إليه مقاتل بن حيّان النَّبَطيّ وثعلبة بن صفوان البنانيّ وأنس بن بَجالة الأعرجي وهدْبَة الشعراويّ وربيعة القرشيّ ليردّوه عن بلاد الترك.

فذكر عليّ بن محمد عن شيوخه أن خالد بن زياد البدّيّ من أهل التّرمذ وخالد بن عمر ومولى بني عامر ، خرجا إلى يزيد بن الوليد يطلبان الأمان للحارث بن سُرَيج ، فقدما الكوفة ، فلقيَا سعيد خُدَينة ، فقال لخالد بن زياد: أتدري لم سمَّوْني خُدَينة؟ قال: لا ، قال: أرادوني على قتل أهل اليمن فأبيت. وسألا أبا حنيفة أن يكتب لهما إلى الأجْلح ـ وكان من خاصة يزيد بن الوليد ـ فكتب لهما إليه ، فأدخلهما عليه ، فقال له خالد بن زياد: يا أمير المؤمنين ، قتلت ابن عمك لإقامة كتاب الله ، وعمّالك يغشمون ويظلمون! قال: لا أجد أعواناً غيرهم ، وإني لأبغضهم ، قال: يا أمير المؤمنين ، ولّ أهل البيوتات ، وضمّ إلى كلّ عامل رجالاً من أهل الخير والفقه يأخذونهم بما في عهدك ، قال:

أفعل ، وسألاه أماناً للحارث بن سريج ، فكتب له :

أما بعد ، فإنا غضبنا لله ، إذْ عُطلت حدوده ، وبُلغ بعباده كلّ مبلغ وسفكت الدماء بغير حلِّها ، وأخذت الأموال بغير حقها ، فأردنا أن نعمل في هذه الأمة بكتاب الله جلّ وعزّ وسنة نبيه ﷺ ، ولا قوّة إلا بالله؛ فقد أوضحنا لك عن ذات أنفسنا ، فأقبلِ آمناً أنت ومن معك؛ فإنكم إخواننا وأعواننا وقد كتبتُ إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بردّ ما كان اصطفى من أموالكم وذراريّكم.

فقدما الكوفة فدخلا على ابن عمر ، فقال خالد بن زياد: أصلح الله الأمير! ألا تأمر عمالك بسيرة أبيك؟ قال: أوليس سيرة عمر ظاهرة معروفة! قال: فما ينفع النَّاس منها ولا يُعمل بها! ثم قدما مَرْو فدفعا كتاب يزيد إلى نصر ، فردّ ما كان أخذ لهمْ مما قدر عليه ، ثم نفذا إلى الحارث ، فلقيا مقاتل بن حيّان وأصحابه الذين وجّههم نصر إلى الحارث ، وكان ابن عمر كتب إلى نصر: إنك آمنت الحارث بغير إذني ولا إذن الخليفة ، فأسْقِط في يديه فبعث يزيد بن الأحمر وأمره أن يفتك بالحارث إذا صار معه في السفينة ، فلما لقيا مقاتلاً بآمُل قطع إليه مقاتل بنفسه ، فكفّ عنه يزيد ، قال: فأقبل الحارث يريد مَرْو ـ وكان مقامه بأرض الشرّك اثنتي عشرة سنة ـ وقدم معه القاسم الشيبانيّ ومضرّس بن عمران قاضيه وعبد الله بن سنان ، فقدم سمرقند وعليها منصور بن عمر فلم يتلقَّه. وقال: أحسنْ بلاءه! وكتب إلى نصر يستأذنه في الحارث أن يثبَ به ، فأيّهما قتل صاحبه فإلى الجنة أو إلى النار ، وكتب إليه: لئن قدم الحارث على الأمير وقد ضرّ ببني أمية في سلطانهم ، وهو والغ في دم بعد دم ، قد طوى كشحاً عن الدنيا بعد أن كان في سلطانهم أقراهم لضيف ، وأشدهم بأساً ، وأنفذهم غارة في الترك؛ ليفرّقن عليك بني تميم ، وكان سَرْدر خُداه محبوساً عند منصور بن عمر؛ لأنه قتل بياسان ، فاستعدى ابنُه جنده[1] منصوراً ، فحبسه ، فكلم الحارث منصوراً فيه ، فخلّى سبيله ، فلزم الحارث ووفّى له.

* * *

(١) هو جنده بن بياسان.

كتاب إبراهيم الإمام إلى شيعة بني العباس

وفي هذه السنة ـ فيما زعم بعضهم ـ وجّه إبراهيم بن محمد الإمام أبا هاشم بُكير بن ماهان إلى خراسان ، وبعث معه بالسيرة والوصيّة ، فقدم مَرْو ، وجمع النقباء ومَنْ بها من الدّعاة ، فنعى لهم الإمام محمد بن عليّ ، ودعاهم إلى إبراهيم ، ودفع إليهم كتاب إبراهيم ، فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة ، فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمد. [٧/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥].

ذكر خلاف مروان بن محمد على يزيد

وفي هذه السنة أظهر مَرْوان بن محمد الخلاف على يزيد بن الوليد؛ وانصرف من أرمينيَة إلى الجزيرة ، مظهراً أنه طالبٌ بدم الوليد بن يزيد ، فلما صار بحرّان بايع يزيد.

* ذكر الخبر عما كان منه في ذلك وعن السبب الذي حمله على الخلاف ثم البيعة:

حدثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد بن يزيد بن هريم ، قال: حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان ـ وسألته عما شهد مما حدثنا به فقال: لم أزل في عسكر مَرْوان بن محمد ـ قال: كان عبد الملك بن مَرْوان بن محمد بن مروان حين انصرف عن غَزاته الصائفة مع الغَمْر بن يزيد بحرّان ، فأتاه قتلُ الوليد وهو بها ، وعلى الجزيرة عَبْدة بن رباح الغسانيّ عاملاً للوليد عليها ، فشخص منها ـ حيث بلغه قتلُ الوليد ـ إلى الشام ، ووثب عبد الملك بن مَرْوان بن محمد على حرّان ومدائن الجزيرة فضبطها ، وولاّها سليمان بن عبد الله بن عُلاثة ، وكتب إلى أبيه بأرمينيَة يعلمه بذلك ، ويشير عليه بتعجيل السير والقدوم ، فتهيّأ مَرْوان للمسير ، وأظهر أنه يطلب بدم الوليد ، وكره أن يَدَع الثَّغْر معطَّلاً حتى يُحكم أمرَه؛ فوجَّه إلى أهل الباب إسحاق بن مسلم العقيليّ ـ وهو رأس قيس ـ وثابت بن نعيم الجذاميّ من أهل فلسطين ـ وهو رأس اليمن ـ وكان سبب صحبة ثابت إياه أن مروان كان خلَّصه من حبس هشام بالرُّصافة ، وكان مَرْوان يقدُم على هشام المرّة في السنتين ، فيرفع إليه أمر الثَّغْر وحاله ومصلحة مَنْ به من جنوده ، وما ينبغي أن

يعمل به في عدوّه ، وكان سبب حبس هشام ثابتاً ما قد ذكرنا قبل من أمره مع حَنْظلة بن صفوان وإفساده عليه الجند الذين كان هشام وجههم معه لحرب البربر وأهل إفريقيَة؛ إذ قتلوا عامل هشام عليهم ، كلثوم بن عياض القسريّ ، فشكا ذلك من أمره حنظلة إلى هشام في كتاب كتبه إليه ، فأمر هشام حنظلة بتوجيهه إليه في الحديد ، فوجّهه حنظلة إليه ، فحبسه هشام ، فلم يزل في حبسه حتى قدم مروان بن محمد على هشام في بعض وفاداته ـ وقد ذكرنا بعض أمر كلثوم بن عياض وأمر إفريقية معه في موضعه فيما مضى من كتابنا هذا ـ فلما قدم مروان على هشام أتاه رؤوس أهل اليمانية؛ ممن كان مع هشام ، فطلبوا إليه فيه؛ وكان ممن كلّمه فيه كعب بن حامد العبسيّ صاحب شرط هشام وعبد الرحمن بن الضخم وسليمان بن حبيب قاضيه ، فاستوهبه مَرْوانُ منه فوهبه له ، فشخص إلى أرمينيَةَ ، فولاّه وحبَاه ، فلما وجّه مروان ثابتاً مع إسحاق إلى أهل الباب ، كتب إليهم معهما كتاباً يعلمهم فيه حال ثغرهم وما لهم من الأجر في لزوم أمرهم ومراكزهم ، وما في ثبوتهم فيه من دفْع مكروه العدوّ عن ذراريّ المسلمين.

قال: وحمل إليهم معهما أعطياتِهم ، وولَّى عليهم رجلاً من أهل فلسطين يقال له حميد بن عبد الله اللخميّ ـ وكان رضيّاً فيهم وكان وليهم قبل ذلك ـ فحمدوا ولايتَه ، فقاما فيهم بأمره ، وأبلغاهم رسالته ، وقرأا عليهم كتابه ، فأجابوا إلى الثبوت في ثغرهم ولزوم مراكزهم ، ثم بلغه أنّ ثابتاً قد كان يدسّ إلى قوّادهم بالانصراف من ثَغْرهم واللحاق بأجنادهم ، فلما انصرفا إليه تهيّأ للمسير وعرض جنده ، ودسّ ثابت بن نعيم إلى من معه من أهل الشام بالانخزال عن مَرْوان والانضمام إليه ليسير بهم إلى أجنادهم ، ويتولّى أمرهم؛ فانخزلوا عن عسكرهم مع من فرّ ليلاً وعسكروا على حِدة ، وبلغ مروان أمرُهم فبات ليلَته ومن معه في السلاح يتحارسون حتى أصبح؛ ثم خرج إليهم بمن معه ومن مع ثابت يضعفون على من مع مَروان ، فصافُّوهم ليقاتلوهم ، فأمر مروان منادين فنادوْا بين الصّفين من الميمنة والميسرة والقلب ، فنادوهم: يا أهل الشام؛ ما دعاكم إلى الانعزال! وما الذي نقمتم عليّ فيه من سِيَري! ألم آلِكم بما تحبّون ، وأحسن السيرة فيكم والولاية عليكم! ما الذي دعاكم إلى سفك دمائكم! فأجابوه بأنا كنا نطيعك بطاعة خليفتنا وقد قتِل خليفتنا وبايع أهل الشأم يزيد بن الوليد ، فرضينا

بولاية ثابت ، ورأسناه ليسير بنا على ألويتنا حتى نردّ إلى أجنادنا ، فأمر مناديه فنادى: أن قد كذبتم ، وليس تريدون الذي قلتم؛ وإنما أردتم أن تركبوا رؤوسكم ، فتغصِبوا من مررتم به من أهل الذّمة أموالَهم وأطعمتَهم وأعلافهم؛ وما بيني وبينكم إلا السيف حتى تنقادوا إليّ ، فأسير بكم حتى أورِدكم الفرات ، ثم أخلِّي عن كل قائد وجنده ، فتلحقون بأجنادكم ، فلما رأوا الجدّ منه انقادوا إليه ومالوا له ، وأمكنوه من ثابت بن نعيم وأولاده؛ وهم أربعة رجال: رفاعة ، ونعيم ، وبكْر ، وعمران ، قال: فأمر بهم فأنزِلوا عن خيولهم ، وسلِبوا سلاحهم ، ووضع في أرجلهم السلاسل. ووكل بهم عدّة من حَرسِه يحتفظون بهم ، وشخص بجماعة من الجند من أهل الشام والجزيرة ، وضمهم إلى عسكره ، وضبطهم في مسيره ، فلم يقدر أحد منهم على أن يفسد ولا يظلم أحداً من أهل القرى ، ولا يرزأه شيئاً إلا بثمن ، حتى ورد حرّانِ ، ثم أمرهم باللحاق بأجنادهم ، وحبس ثابتاً معه ، ودعا أهل الجزيرة إلى الفرْض ، ففرض لنيّف وعشرين ألفاً من أهل الجَلَد منهم ، وتهيّأ للمسير إلى يزيد ، وكاتبه يزيد على أن يبايعَه ويوليه ما كان عبد الملك مروان ولّى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وأرمينيَة والموصل وأذْربيجان ، فبايع له مَرْوان ، ووجّه إليه محمد بن عبد الله بن عُلاثة ونفراً من وجوه الجزيرة. [٧/ ٢٩٥ ـ ٢٩٨].

وقال بعضهم: توفِّيَ وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وكان يكنى أبا خالد وأمه أم ولد اسمها شاه آفْريد بنت فَيْرُوز بن يَزْدجِرْد بن شَهْرِيار بن كسرى ، وهو القائل:

أَنَـا ابْـنُ كِسْـرى وأبـى مَـرْوانْ وقيصـر جـدي وجـدّ خـاقـانْ

وقيل: إنه كان قدرياً ، وكان ـ فيما حدثني أحمد ، عن عليّ بن محمد في صفته ـ أسمر طويلاً ، صغير الرأس ، بوجهه خال ، وكان جميلاً من رجل ، في فمه بعض السعة ، وليس بالمفرِط. [٧/ ٢٩٨].

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومئة

ذكر ما كان فيها من الأحداث [٦/ ٣٠٠]

قال: ويقال قدم عبد الله بن معاوية الكوفة وجمع جمعاً ، فلم يعلم عبد الله بن عمر حتى خرج في الجبّانة مجمعاً على الحرب ، فالتقوْا ، وخالد بن

قَطَن الحارثيّ على أهل اليمن ، فشدّ عليه الأصبغ بن ذؤالة الكلبيّ في أهل الشام ، فانهزم خالد وأهل الكوفة وأمسكت نزار عن نزار ورجعوا ، وأقبل خمسون رجلاً من الزّيديّة إلى دار ابن محرز القرشيّ يريدون القتال ، فقتِلوا ولم يقتل من أهل الكوفة غيرهم .

قال : وخرج ابن معاوية من الكوفة مع عبد الله بن عباس التميميّ إلى المدائن ، ثم خرج منها فغلب على الماهين وهَمَذان وقومِس وأصبهان والرّيّ ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة ، وقال :

فلا تَركَبَنَّ الصنيعَ الذي تَلُومُ أخاكَ على مثله
ولا يُعْجِبَنّكَ قَولُ امْرِئٍ يخالف ما قال في فعله

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنَّى ؛ فإنه زعم أن سبب ذلك أن عبد الله والحسن ويزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدموا على عبد الله بن عمر ؛ فنزلوا في النَّخَع ، في دار مولى لهم ، يقال له : الوليد بن سعيد ، فأكرمهم ابن عمر وأجازهم ، وأجرى عليهم كلّ يوم ثلثمئة درهم ، فكانوا كذلك حتى هلَك يزيد بن الوليد ، وبايع الناس أخاه إبراهيم بن الوليد ، ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فقدِمت بيعتهما على عبد الله بن عمر بالكوفة ، فبايع الناس لهما ، وزادهم في العطاء مئة مئة ؛ وكتب بيعتهما إلى الآفاق ، فجاءته البيعة ، فبينا هو كذلك ؛ إذ أتاه الخبر بأنّ مروان بن محمد قد سار في أهل الجزيرة إلى إبراهيم بن الوليد ، وأنه امتنع من البيعة له ، فاحتبس عبد الله بن عمر عبد الله بن معاوية عنده ، وزاده فيما كان يجري عليه ، وأعدّه لمروان بن محمد إن هو ظفر بإبراهيم بن الوليد ليبايع له ؛ ويقاتل به مَرْوان ؛ فماج الناس في أمرهم ، وقرب مَرْوان من الشام ، وخرج إليه إبراهيم فقاتله مروان ، فهزمه وظفر بعسكره وخرج هارباً ، وثبت عبد العزيز بن الحجاج يقاتل حتى قتِل ، وأقبل إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسريّ هارباً حتى أتى الكوفة ؛ وكان في عسكر إبراهيم ، فافتعلِ كتاباً على لسان إبراهيم بولاية الكوفة ، فأرسل إلى اليمانية ، فأخبرهم سراً أنّ إبراهيم بن الوليد ولّاه العراق ، فقبلوا ذلك منه ، وبلغ الخبرُ عبدَ الله بن عمر فباكره صلاةَ الغداة ، فقاتله مِن ساعته ، ومعه عمر بن الغَضْبان ؛ فلما رأى إسماعيل ذلك ـ ولا عهد معه وصاحبه الذي افتعل العهد على

لسانه هارب منهزم ـ خاف أن يظهر أمره فيفتضح ويقتل ، فقال لأصحابه: إني كارهٌ لسفك الدماء؛ ولم أحسِّ أن يبلغ الأمر ما بلغ ، فكفُّوا أيديَكم ، فتفرَّق القوم عنه ، فقال لأهل بيته: إنَّ إبراهيم قد هرب ، ودخل مروان دمشق ، فحُكي ذلك عن أهل بيته ، فانتشر الخبر ، واشرأبَّت الفتنة ، ووقعت العصبيَّة بين الناس.

وكان سبب ذلك أن عبد الله بن عمر كان أعطى مضَر وربيعة عطايَا عظاماً ، ولم يعطِ جعفر بن نافع بن القعقاع بن شَوْر الذهليَّ وعثمان بن الخَيبَرِيّ أخا بني تيم اللات بن ثعلبة شيئاً ، ولم يسوّهما بنظرائهما؛ فدخلا عليه؛ فكلّماه كلاماً غليظاً ، فغضب ابنُ عمر ، وأمر بهما ، فقام إليهما عبد الملك الطائي ـ وكان على شُرطه يقوم على رأسه ـ فدفعهما ، فدفعاه وخرجا مغضَبيْن.

وكان ثمامة بن حَوْشب بن رُويم الشيبانيّ حاضراً ، فخرج مغاضباً لصاحبيه ، فخرجوا جميعاً إلى الكوفة ، وكان هذا وابن عمر بالحيرة فلما دخلوا الكوفة نادوا: يا آل ربيعة ، فثارت إليهم ربيعة ، فاجتمعوا وتنمّرُوا ، وبلغ الخبرُ ابنَ عمر ، فأرسل إليهم أخاه عاصماً ، فأتاهم وهم بدير هند قد اجتمعوا وحشدوا ، فألقى نفسه بينهم ، وقال: هذه يدي لكم فاحكموا؛ فاستحَيْوا وعظَّموا عاصماً ، وتشكَّروا له ، وأقبل على صاحبيْهم فسكتا وكفّا ، فلمّا أمسى ابنُ عمر أرسل من تحت ليلته إلى عمر بن الغَضْبان بمئة ألف ، فقسمها في قومه بني همام بن مرة بن ذُهْل بن شيبان ، وأرسل إلى ثُمامة بن حَوْشب بن رُوَيم بمئة ألف ، فقسَّمها في قومه ، وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف ، وإلى عثمان بن الخيبريّ بعشرة آلاف[1].

قال أبو جعفر: فلما رأت الشيعة ضَعْفَه اغتمزوا فيه ، واجترؤوا عليه وطعنوا فيه ودعوْا إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وكان الذي ولي ذلك هلال بن أبي الورد مولى بني عجل ، فثاروا في غوغاء الناس حتى أتوا المسجد ، فاجتمعوا فيه وهلال القائم بالأمر ، فبايعه ناس من الشيعة لعبد الله بن معاوية ، ثم مضوا من فَوْرهم إلى عبد الله ، فأخرجوه من دار الوليد بن سعيد؛ حتى أدخلوه

(١) لقد شكك الطبري في هذه التفاصيل بقوله في بداية الخبر: وأما أبو عبيدة فإنه زعم.

القصر ، وحالوا بين عاصم بن عمر وبين القصر ، فلحق بأخيه عبد الله بالحِيرة ، وجاء ابنَ معاوية الكوفيون فبايعوه ، فيهم عمر بن الغضبان بن القبعثريّ ومنصور بن جمهور وإسماعيل بن عبد الله القسريّ ومَن كان من أهل الشام بالكوفة له أهل وأصل ، فأقام بالكوفة أياماً يبايعه الناس ، وأتته البَيْعة من المدائن وفَمِ النيل ، واجتمع عليه الناس ، فخرج يريد عبد الله بن عمر بالحيرة ، وبرز له عبد الله بن عمر فيمن كان معه من أهل الشام ، فخرج رجل من أهل الشام يسأله البِراز ، فبرز له القاسم بن عبد الغفار ، فقال له الشاميّ: لقد دعوتُ حين دعوت ، وما أظنّ أن يخرج إليّ رجل من بَكر بن وائل ، والله ما أريد قتالَك ، ولكن أحببتُ أن ألقى إليك ما انتهى إلينا؛ أخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن؛ لا منصور ولا إسماعيل ولا غيرهما إلا وقد كاتب عبد الله بن عمر ، وجاءته كتب مضَر ، وما أرى لكم أيها الحيّ من ربيعة كتاباً ولا رسولاً ، وليسوا مواقعيكم يومكم حتى تُصْبِحوا فيواقعوكم ، فإن استطعتم ألاّ تكون بكم الحزّة فافعلوا ، فإني رجل من قَيْس ، وسنكون غداً بإزائكم؛ فإن أردتم الكتاب إلى صاحبنا أبلغتُه ، وإن أردتم الوفاء لمن خرجتم معه فقد أبلغتكم حالَ الناس ، فدعا القاسم رجالاً من قومه ، فأعلمهم ما قال له الرجل؛ وأنّ ميمنة ابن عمر من ربيعة ، ومضر ستقف بإزاء ميسرته وفيها ربيعة ، فقال عبد الله بن معاوية: إنَّ هذا علامة ستظهر لنا إن أصبحنا؛ فإن أحبّ عمر بن الغضبان فليلقَني الليلة؛ وإن منعه شغل ما هو فيه فهو عذْر ، وقلْ له: إني لأظن القيسيّ قد كذب ، فأتى الرّسول عمرَ بذلك ، فردّه إليه بكتاب يُعلِمه أن رسولي هذا بمنزلتي عندي ، ويأمره أن يتوثّق من منصور وإسماعيل ، وإنما أراد أن يعلمهما بذلك. قال: فأبى ابنُ معاوية أن يفعَل ، فأصبح الناس غادين على القتال ، وقد جعل اليمن في الميمنة ومضر وربيعة في الميسرة ، ونادى مُنادٍ: من أتى برأس فله كذا وكذا ، أو بأسير فله كذا وكذا ، والمال عند عمر بن الغضبان.

والتقى الناسُ واقتتلوا ، وحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا ، ومضى إسماعيل ومنصور من فَوْرهما إلى الحيرة ورجعتْ غوغاء الناس أهلَ اليمن من أهل الكوفة ، فقتلوا فيهم أكثر من ثلاثين رجلاً ، وقُتل الهاشميّ العباس بن عبد الله زوج ابنة الملاة.

ذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثَّه عن أبيه ، عن عاتكة بنت الملاة ، تزوّجت أزواجاً ، منهم العباس بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قُتِل مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في العصبيّة بالعراق ، وقتل مبكر بن الحواريّ بن زياد في غيرهم؛ ثم انكشفوا وفيهم عبد الله بن معاوية حتى دخل نصر الكوفة ، وبقيت الميسرة من مُضَر وربيعة ومَنْ بإزائهم من أهل الشام ، وحمل أهلُ القلب من أهل الشام على الزيديّة فانكشفوا ، حتى دخلوا الكوفة ، وبقيتَ الميسرة وهم نحو خمسمئة رجل ، وأقبل عامر بن ضُبارة ونُبَاتة بن حنظلة بن قبيصة وعتبة بن عبد الرحمن الثعلبيّ والنضر بن سعيد بن عمرو الحرَشيّ ، حتى وقفوا على ربيعة ، فقالوا لعمر بن الغضبان: أمّا نحن يا معشر ربيعة ، فما كنا نأمنُ عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن ، ونتخوّف عليكم مثلها؛ فانصرفوا. فقال عمر: ما كنت ببارح أبداً حتى أموت؛ فقالوا: إن هذا ليس بمغنٍ عنك ولا عن أصحابك شيئاً ، فأخذوا بعنان دابته فأدخلوه الكوفة.

قال عمر: حدثني عليّ بن محمد ، عن سليمان بن عبد الله النوفليّ ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثنا خِرَاش بن المغيرة بن عطية مولى لبني ليث ، عن أبيه ، قال: كنت كاتب عبد الله بن عمر؛ فوالله إني لعنده يوماً وهو بالحيرة إذ أتاه آت فقال: هذا عبد الله بن معاوية قد أقبل في الخَلْق ، فأطرق مليّاً وجاءه رئيس خبّازِيه ، فقام بين يديه كأنه يؤُذنه بإدراك طعامه ، فأومأ إليه عبدُ الله: أن هاته ، فجاءه بالطعام ، وقد شخصت قلوبُنا ، ونحن نتوقع أن يهجُم علينا ابن معاوية ونحن معه ، قال: فجعلت أتفقّده: هل أراه تغيَّر في شيء من أمره من مطعم أو مشرب ، أو منظر أو أمر أو نهي؟ فلا والله ، ما أنكرت من هيئته قليلاً ولا كثيراً ، وكان طعامه إذا أتِيَ به وُضع بين كلّ اثنين منا صَحفة ، قال: فوضِعت بيني وبين فلان صَحفة ، وبين فلان وفلان صحفة أخرى؛ حتى عدّ من كان على خوانه ، فلما فرغ من غدائه ووضوئه ، أمر بالمال فأخرج؛ حتى أخرجت آنية من ذهب وفضة وكُساً ، ففرّق أكثر ذلك في قوّاده ، ثم دعا مولى له أو مملوكاً كان يتبرّك به ويتفاءل باسمه ـ إمّا يدعى ميموناً أو فتحاً أو اسماً من الأسماء المتبرَّك بها ـ فقال له: خذ لواءك ، وامض إلى تلّ كذا وكذا فاركزه [عليه]؛ وادع أصحابَك ، وأقِمْ حتى آتيَك ، ففعل وخرج عبدُ الله وخرجنا معه؛ حتى صار إلى التلّ فإذا الأرض

بيضاء من أصحاب ابنِ معاوية ، فأمر عبد الله منادياً ، فنادى: من جاء برأس فله خمسمئة؛ فوالله ما كان بأسرع من أن أتِيَ برأس ، فوُضِع بين يديه؛ فأمر له بخمسمئة ، فدفعت إلى الذي جاء به ، فلما رأى أصحابه وفاءه لصاحب الرأس ، ثاروا بالقوم؛ فوالله ما كان إلا هُنَيهة حتى نظرت إلى نحو من خمسمئة رأس قد ألقيت بين يديه؛ وانكشف ابنُ معاوية ومَن معه منهزمين ، فكان أوّل مَنْ دخل الكوفة من أصحابه منهزماً أبو البلاد مولى بني عبس وابنه سليمان بين يديه ـ وكان أبو البلاد متشيعاً ـ فجعل أهلُ الكوفة ينادونهم كلَّ يوم؛ وكأنهم يعيرونهم بانهزامه؛ فجعل يصيح بابنه سليمان: امضِ ودع النّواضح[1] ينفقن ، قال: ومرّ عبد الله بن معاوية فطوى الكوفة ، ولم يعرّج بها حتى أتى الجبل[2] . [٧/ ٣٠٣ـ٣٠٨].

* ذكر الخبر عن أمره وأمر نصر بعد قدومه عليه:

ذكر عليّ بن محمد عن شيوخه؛ أن الحارث سار إلى مَرْو ، مخرجَه من بلاد الترك ، فقدمها يوم الأحد لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومئة ، فتلقاه سلم بن أحوز ، والناس بكشماهن ، فقال محمد بن الفضل بن عطية العبسيّ: الحمد لله الذي أقرَّ أعينَنَا بقدومك ، وردّك إلى فئة الإسلام وإلى الجماعة ، قال: يا بنيّ؛ أما علمت أنّ الكثير إذا كانوا على معصية الله كانوا قليلاً ، وأنّ القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا كثيراً! وما قرّت عيني منذ خرجت إلى يومي هذا ، وما قرة عيني إلا أن يطاع الله ، فلما دخل مَرْو قال: اللهمّ إني لم أنو قطّ في شيء مما بيني وبينهم إلاّ الوفاء ، فإن أرادوا الغدر فانصرْني عليهم ، وتلقَّاه نصر فأنزله قَصْر بُخاراخُذاه ، وأجرى عليه نُزُلاً خمسين درهماً في كلّ يوم ، وكان يقتصر على لون واحد ، وأطلق نصر مَن كان عنده من أهله؛ أطلق

---

(١) النواضح: جمع ناضح؛ وهو البعير أو الثور أو الحمار يستقى عليه. القاموس المحيط ص ٣١٣.

(٢) لم نجد لسليمان النوفلي ولا لأبيه ترجمة، ويبدو أن هذا الإسناد ملفق فالمدائني الذي ولد سنة (١٣٠ هـ) أو بعده بقليل لا يحتاج إلى هذه السلسلة الطويلة ليصل إلى شاهد عيان وفي المتن نكارة ومبالغة واضحة.

محمد بن الحارث والألوف بنت الحارث وأمَّ بكر؛ فلما أتاه ابنه محمد ، قال: اللهمَّ اجعله بارّاً تقيّاً.

قال: وقدم الوضاح بن حبيب بن بُدَيل على نَصْر بن سيّار من عند عبد الله بن عمر ، وقد أصابه برد شديد ، فكساه أثواباً ، وأمر له بقرىً وجاريتين؛ ثم أتى الحارث بن سريج ، وعنده جماعة من أصحابه قيام على رأسه ، فقال له: إنَّا بالعراق ، نشهر عظْم عمودك وثقله؛ وإني أحبّ أن أراه ، فقال: ما هو إلا كبعض ما ترى مع هؤلاء - وأشار إلى أصحابه - ولكني إذا ضربت به [شهرت] ضربتي ، قال: وكان في عموده بالشامي ثمانية عشر رطلاً.

قال: ودخل الحارث بن سريج على نَصْر ، وعليه الجوشن[١] الذي أصابه من خاقان ، وكان خيّره بين مئة ألف دينار دنبكانيّة وبين الجوشن؛ فاختار الجوشن ، فنظرت إليه المرزُبانة بنت قديد؛ امرأة نصر بن سيار ، فأرسلت إليه بِجرْز لها سمُّور[٢] ، مع جارية لها فقالت ، أقرئي ابنَ عمي السَّلام ، وقولي له: اليوم بارد فاستدفىء بهذا الجرْز السَّمُّور ، فالحمد لله الذي أقدمك صالحاً ، فقال للجارية: أقرئي بنت عميّ السلام ، وقولي لها: أعارية أم هدية؟ فقالت: بل هديّة؛ فباعه بأربعة آلاف دينار وقسمها في أصحابه. وبعث إليه نصر بفرُش كثيرة وفرس ، فباع ذلك كلّه ، وقسّمه في أصحابه بالسّويّة ، وكان يجلس على بَرذعة ، وتُثْنى له وسادة غليظة ، وعرض نصر على الحارث أن يوليه ويعطيه مئة ألف دينار ، فلم يقبل ، وأرسل إلى نصر: إني لستُ من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ، ولا من تزويج عقائل العرب في شيء؛ وإنما أسأل كتاب الله عزّ وجلَّ والعمل بالسنّة واستعمال أهل الخير والفضْل ، فإن فعلت ساعدتك على عدوّك.

وأرسل الحارث إلى الكرمانيّ: إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله وما سألته من استعمال أهل الخير والفضل عضَدتُه وقمتُ بأمر الله ، وإن لم يفعل استعنتُ بالله عليه ، وأعنتك إن ضمنت لي ما أريد من القيام بالعدل والسنة.

---

(١) في اللسان (٥/ ٨٨): «الجوشن من السلاح»: زرد يلبس على الصدر.

(٢) الجرز ، بالكسر: لباس النساء من الوبر والجلد. اللسان (٥/ ٣١٨). وفي اللسان (٤/ ٣٨٠) السمور: دابة معروفة تسوى من جلودها فراء غالية الأثمان.

وكان كلما دخل عليه بنو تُميم دعاهم إلى نفسه ، فبايعه محمد بن حمران ومحمد بن حرب بن جِرْفاس المِنقريّان والخليل بن غَزْوان العدويّ ، وعبد الله بن مُجّاعة وهبيرة بن شَراحيل السعدّيان ، وعبد العزيز بن عبدربّه الليثيّ ، وبشر بن جرموز الضبيّ ، ونهار بن عبد الله بن الحُتات المجاشعيّ ، وعبد الله النباتي.

وقال الحارث لنصر: خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجوْر ، وأنت تريدني عليه! فانضمّ إلى الحارث ثلاثة آلاف. [٧/ ٣٠٩ ـ ٣١٠].

* * *

ذكر الخبر عن أمرهم وأمره وعن سبب ذلك

حدثني أحمد ، قال: حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال: حدثنا أبو هاشم مخلَّد بن محمد بن صالح ، قال: لما انصرف مروان إلى منزله من حَرّان بعد فراغه من أهل الشام لم يلبث إلا ثلاثة أشهر؛ حتى خالفه أهل الشام ، وانتقضوا عليه؛ وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم ، وراسلهم وكاتبهم ، وبلغ مَرْوان خبرهم ، فسار إليهم بنفسه ، وأرسل أهل حمص إلى مَنْ بتدمر من كلْب؛ فشخص إليهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبيّ ومعه بنون له ثلاثة رجال: حمرة وذؤالة وفُرافصة ومعاوية السكسكيّ ـ وكان فارس أهل الشام ـ وعصمة بن المقشعِر وهشام بن مَصاد وطفيل بن حارثة ونحو ألف من فرسانهم ، فدخلوا مدينة حِمْص ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين ومئة.

قال: ومروان بحَماة ليس بينه وبين مدينة حِمْص إلا ثلاثون ميلاً ، فأتاه خبرهم صبيحة الفِطْر ، فجدّ في السير ، ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخلوع وسليمان بن هشام؛ وقد كانا راسلاه وطلبا إليه الأمان ، فصارا معه في عسكره يكرمهما ويُدنيهما ويجلسان معه على غدائه وعشائه ، ويسيران معه في مَوْكبه.

فانتهى إلى مدينة حِمْص بعد الفِطْر بيومين ، والكلبيّة فيها قد ردموا أبوابها من داخل ، وهو على عُدّة معه روابطه ، فأحدقت خيله بالمدينة ، ووقف حذاء باب من أبوابها ، وأشرف على جماعة من الحائط ، فناداهم مناديه: ما دعاكم إلى

النّكث؟ قالوا: فإنا على طاعتك لم ننكث، فقال لهم: فإن كنتم على ما تذكرون فافتحوا، ففتحوا الباب، فاقتحم منه عمرو بن الوضاح في الوضّاحية [وهم] نحو من ثلاثة آلاف فقاتلوهم في داخل المدينة؛ فلما كَثَرتهم خيلُ مروان، انتهوْا إلى باب من أبواب المدينة يقال له باب تدْمر، فخرجوا منه والروابط عليه فقاتلوهم، فقتِل عامتهم، وأفلت الأصبغ بن ذؤالة والسكسكيّ وأسر ابنا الأصبغ: ذؤالة وفُرَافصة في نيّف وثلاثين رجلاً منهم، فأُتِيَ بهم مروان فقتلهم وهو واقف، وأمر بجمع قتلاهم وهم خمسمئة أو ستمئة، فصلبوا حول المدينة، وهدم مِنْ حائط مدينتها نحواً من غَلْوة، وثار أهل الغوطة إلى مدينة دمشق، فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو، وولَّوْا عليهم يزيد بن خالد القسريّ، وثبت مع زامل المدينة وأهلها وقائد في نحو أربعمئة، يقال له أبو هبَّار القرشي فوجّه إليهم مَرْوان من حِمْص أبا الورد بن الكوْثر بن زُفَر بن الحارث ـ واسمه مجزأة ـ وعمرو بن الوضّاح في عشرة آلاف، فلما دنَوْا من المدينة حملوا عليهم، وخرج أبو هَبّار وخيله من المدينة، فهزموهم واستباحوا عسكرهم وحرقوا المِزّة من قرى اليمانية، ولجأ يزيد بن خالد وأبو عِلاقة إلى رجُلٍ من لخم من أهل المِزّة، فدُلّ عليهما زامل، فأرسل إليهما، فقتِلا قبل أن يوصل بهما إليه، فبعث برأسيْهما إلى مَرْوان بحِمْص، وخرج ثابت بن نُعَيم من أهل فلسطين؛ حتى أتى مدينة طَبَرِيّة، فحاصر أهلها، وعليها الوليد بن معاوية بن مَرْوان؛ ابن أخي عبد الملك بن مروان، فقاتلوه أياماً، فكتب مَرْوان إلى أبي الورد أن يشخص إليهم فيمدّهم. قال: فرحل من دمشق بعد أيام، فلما بلغهم دنوّه خرجوا من المدينة على ثابت ومَن معه، فاستباحوا عسكرهم، فانصرف إلى فِلَسطين منهزماً، فجمع قومه وجُنده؛ ومضى إليه أبو الورد فهزمه ثانية، وتفرّق مَن معه، وأسِر ثلاثة رجال من ولده؛ وهم نُعيم وبكْر وعمران، فبعث بهم إلى مَرْوان فقُدم بهم عليه؛ ـ وهو بدير أيوب ـ جرحى، فأمر بمداواة جراحاتهم، وتغيّب ثابت بن نعيم، فوُلِّي الرُّماحس بن عبد العزيز الكنانيّ فلسطين، وأفلت مع ثابت من ولده رفاعة بن ثابت ـ وكان أخبَثهم ـ فلحق بمنصور بن جمهور، فأكره وولاّه، وخلّفه مع أخ له يقال له منصور بن جمهور؛ فوثب عليه فقتَله، فبلغ منصوراً وهو متوجِّه إلى المُلْتان، وكان أخوه

بالمنصورة ، فرجع إليه فأخذه ، فبنى له أسطوانة من آجرّ مجوّفة ، وأدخله فيها ، ثم سمّره إليها ، وبنى عليه.

قال: وكتب مَرْوان إلى الرُّماحس في طلب ثابت والتلطف له ، فدلّ عليه رجل من قومه فأخذ ومعه نفر ، فأتِي به مَرْوان موثَقاً بعد شهرين ، فأمر به وببنيه الذين كانوا في يديه ، فقطِعت أيديهم وأرجلهم؛ ثم حمِلوا إلى دمشق ، فرأيتهم مقطَّعين ، فأقيموا على باب مسجدها؛ لأنه كان يبلغه أنهم يرجفون بثابت ، ويقولون: إنه أتى مصر؛ فغلب عليها ، وقتل عامل مَرْوان بها ، وأقبل مَرْوان من دير أيوب حتى بايع لابنيه عبيد الله وعبد الله ، وزوّجهما ابنتي هشام بن عبد الملك؛ أمّ هشام وعائشة ، وجمع لذلك أهل بيته جميعاً؛ من ولد عبد الملك محمد وسعيد وبكار وولد الوليد وسليمان ويزيد وهشام وغيرهم من قريش ورؤوس العرب ، وقطع على أهل الشام بعثاً وقوّاهم ، وولّى على كل جند منهم قائداً منهم ، وأمرهم باللّحاق بيزيد بن عمر بن هُبيرة ، وكان قبل مسيره إلى الشام وجهه في عشرين ألفاً من أهل قِنّسرين والجزيرة ، وأمره أن ينزل دورين إلى أن يقدم ، وصيّره مقدّمة له ، وانصرف من دير أيوب إلى دمشق؛ وقد استقامت له الشام كلها ما خلا تدمر ، وأمر بثابت بن نعيم وبنيه والنّفر الذين قطعهم فقتلوا وصلبوا على أبواب دمشق ، قال: فرأيتُهم حين قتِلوا وصُلِبوا. قال: واستبقى رجلاً منهم يقال له عمرو بن الحارث الكلبيّ ، وكان - فيما زعموا - عنده علم من أموال كان ثابت وضعها عند قوم ، ومضى بمن معه ، فنزل القسطل من أرض حِمْص مما يلي تدمُر؛ بينهما مسيرة ثلاثة أيام؛ وبلغه أنهم قد عَوَّروا[1] ما بينه وبينها من الآبار ، وطمُّوها بالصخر؛ فهيّأ المزاد والقرب والأعلاف والإبل ، فحمل ذلك له ولمن معه ، فكلمه الأبرش بن الوليد وسليمان بن هشام وغيرهما ، وسألوه أن يُعذِر إليهم ، ويحتجّ عليهم ، فأجابهم إلى ذلك ، فوجّه الأبرش إليهم أخاه عمرو بن الوليد ، وكتب إليهم يحذّرهم ويعلمهم أنه يتخوّف أن يكون هلاكه وهلاك قومه ، فطردوه ولم يُجيبوه ، فسأله الأبرش أن يأذن له في التوجّه إليهم ، ويؤجله أياماً ، ففعل ، فأتاهم فكلمهم وخوّفهم وأعلمهم أنهم

---

(١) عور البئر: أفسدها. القاموس المحيط (٦١٢). وفي اللسان (٤/ ٦١٧): وفي حديث علي: أمره أن يعور آبار بدر ، وأن يدفنها ويطمها.

حمقى ، وأنه لا طاقة لهم به ، وبمَن معه ، فأجابه عامّتهم ، وهرب مَنْ لم يثق به منهم إلى برّية كلب وباديتهم ، وهم : السكسكيّ وعِصمة بن المقشعرّ وطفيل بن حارثة ومعاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن معاوية ، وكان صهر الأبرش على ابنته ، وكتب الأبرش إلى مرْوان يعلمه ذلك ، فكتب إليه مرْوان : أن اهدم حائط مدينتهم ، وانصرف إليّ بمن بايعك منهم.

فانصرف إليه ومعه [من رؤوسهم الأصبغ بن ذؤالة وابنه حمزة وجماعة من رؤوسهم ، وانصرف مَرْوان بهم على طريق البريّة على سورية ودير اللثق ، حتى قدم الرُّصافة ومعه سليمان بن هشام وعمه سعيد بن عبد الملك وإخوته جميعاً وإبراهيم المخلوع وجماعة من ولَد الوليد وسليمان ويزيد ، فأقاموا بها يوماً ، ثم شخص إلى الرَّقة فاستأذنه سليمان ، وسأله أن يأذن له أن يقيم أياماً ليقوَى من معه من مواليه ، ويجمّ ظهره ثم يتبعه ، فأذن له ومضى مَرْوان ، فنزل عند واسط على شاطىء الفرات في عسكر كان ينزله ، فأقام به ثلاثة أيام ، ثم مضى إلى قَرْقِيسيا وابنُ هبيرة بها ، ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيبانيّ الحرُوريّ ، فأقبل في نحو عشرة آلاف ممن كان مَرْوان قطع عليهم البَعْث بدير أيّوب لغزو العراق مع قوّادهم حتى حلُّوا بالرُّصافة فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربته. [٧/ ٣١٢ـ٣١٦].

ويقال : إنّ عبد الله بن عمر لمّا وليّ العراق ولَّى الكوفة عبيد الله بن العباس الكنديّ ، وعلى شرَطه عمر بن الغضبان بن القَبَعثري ، فلم يزالا على ذلك حتى مات يزيد بن الوليد ، وقام إبراهيم بن الوليد ، فأقرّ ابن عمر على العراق ، فولَّى ابنُ عمر أخاه عاصماً على الكوفة ، وأقرّ ابن الغضبان على شُرَطه ، فلم يزالوا على ذلك حتى خرج عبد الله بن معاوية فاتّهم عمر بن الغضبان ، فلما انقضى أمرُ عبد الله بن معاوية ولَّى عبدُ الله بن عمر عمرَ بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفةَ ، وعلى شُرَطه الحكم بن عتيبة الأسديّ من أهل الشام ، ثم عزل عمر بن عبد الحميد عن الكوفة ، ثم عزل عمر بن الغضبان عن شُرَطه وولى الوليد بن حسان الغسانيّ ، ثم ولّى إسماعيل بن عبد الله القسريّ وعلى شرَطه أبان بن الوليد ، ثم عزل إسماعيل وولّى عبد الصمد بن أبان بن النعمان بن

بشير الأنصاريّ ، ثم عزله فولّى عاصم بن عمر ، فقدم عليه الضّحاك بن قيس الشيبانيّ.

ويقال: إنما قدم الضحاك وإسماعيل بن عبد الله القسريّ في القصر وعبد الله بن عمر بالحيرة وابن الحَرَشيّ بدير هند ، فغلب الضحاك على الكوفة ، وولّى مِلْحان بن معروف الشيبانيّ عليها ، وعلى شرطه الصُّفرْ من بني حنظلة - حَروريَ - فخرج ابن الحَرَشيّ يريد الشام ، فعارضه مِلْحان ، فقتله ابنُ الحَرَشيّ فولى الضّحاك على الكوفة حسان فولّى حسان ابنه الحارث على شرَطه.

وقال عبد الله بن عمر يرثى أخاه عاصماً لما قتله الخوارج:

رَمَى غَرَضِي رَيْبُ الزَّمانِ فلَمْ يدَعْ ... غداةَ رَمَى للقَوْسِ في الكَفِّ مِنزَعا
رَمَى غرَضي الأَقصى فأَقصَدَ عاصِماً ... أخاً كان لي حِرْزاً ومأْوًى ومفزَعَا
فإنْ تكُ أحزانٌ وفائضُ عَبْرَةٍ ... أذابَتْ عبيطاً من دَم الجَوْفِ منقعَا
تَجرَّعْتُها في عاصِمٍ واحْتَسَيْتُها ... فأَعظَمُ منْها ما احْتَسَى وتَجَرَّعا
فلَيْتَ المنايا كُنَّ خلَّفْنَ عاصِماً ... فعِشْنا جَميعاً أو ذَهَبْنَ بِنَا معا

وذكر أن عبد الله بن عمر يقول: بلغني أنّ عين بن عين بن عين بن عين يقتل ميم بن ميم بن ميم بن ميم ، وكان يأمل أن يقتله؛ فقتله عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فذكر أن أصحاب ابن عمر لما انهزموا فلحقوا بواسط ، قال لابن عمر أصحابُه: علام تقيم وقد هرب الناس! قال: أتلوّم وأنظر.. فأقام يوماً أو يومين لا يرى إلا هارباً ، وقد امتلأت قلوبهم رُعباً من الخوارج ، فأمر عند ذلك بالرَّحيل إلى واسط ، وجمع خالد بن الغُزَيّل أصحابَه ، فلحق بمرْوان وهو مقيم بالجزيرة ، ونظر عبيد الله بن العباس الكنديّ إلى ما لقيَ الناس ، فلم يأمن على نفسه ، فجنح إلى الضَّحاك فبايعه؛ وكان معه في عسكره ، فقال أبو عطاء السنديّ يعيّره باتباعه الضحاك ، وقد قتل أخاه:

قُلْ لعُبيد اللهِ لَوْ كانَ جَعْفَرٌ ... هو الحَيَّ لم يجنحْ وأَنْتَ قَتِيلُ
ولم يتبَعِ المرَّاقَ والثَّأْرُ فيهمُ ... وفي كفِّه عَضْبُ الذُّباب صَقِيلُ
إلى مَعْشَرٍ أرْدَوْا أخاكَ وأكفَرُوا ... أباكَ ، فماذا بعد ذاك تَقُولُ!

ـ فلما بلغ عبيدَ الله بن العباس هذا البيت من قول أبي عطاء ، قال أقول: أعضَّك الله ببظر أمِّك ـ

فلا وصلَتْك الرَّحْمُ من ذي قَرَابَةٍ وطـالِـبِ وتْـر ، والـذَّلـيـلُ ذَليـلُ
تـركـتَ أخـا شَيْبَـانَ يَسلـبُ بَـزَّهُ ونَجَّـاك خَـوَّارُ العنَـانِ مَطـولُ

قال: فنزل ابن عمر منزلَ الحجاج بن يوسف بواسط ـ فيما قيل ـ في اليمانية ونزل النّضر وأخوه سليمان ابنا سعيد وحنظلة بن نُباتة وابناه محمد ونباتة في المضريّة ذات اليمين إذا صعدتَ من البصرة ، وخلوا الكوفة والحيرة للضّحاك والشُّراة ، وصارت في أيديهم وعادت الحرب بين عبد الله بن عمر والنَّضْر بن سعيد الحرَشيّ إلى ما كانت عليه قبل قدوم الضّحاك يطلب النضر أن يسلم إليه عبد الله بن عمر ولايةَ العراق بكتاب مَرْوان ، ويأتِي عبد الله بن عمر واليمانية مع ابن عمر والنزارية مع النّضْر ، وذلك أن جند أهل اليمن كانوا مع يزيد الناقص تعصّباً على الوليد حيث أسلم خالد بن عبد الله القسريّ إلى يوسف بن عمر حتى قتله؛ وكانت القيسية مع مَرْوان ، لأنه طلب بدم الوليد ـ وأخوال الوليد من قيس ، ثم من ثقيف ، أمّه زينب بنت محمد بن يوسف ابنة أخي الحجاج ـ فعادت الحرب بين ابن عمر والنّضر ، ودخل الضحاك الكوفة فأقام بها ، واستعمل عليها مِلْحَان الشيبانيّ في شعبان سنة سبع وعشرين ومئة ، فأقبل منقضّاً في الشّراة إلى واسط ، متبعاً لابن عمر والنضر ، فنزل باب المِضْمار.

فلما رأى ذلك ابنُ عمر والنضرُ نكلا عن الحرب فيما بينهما ، وصارت كلمتهما عليه واحدة؛ كما كانت بالكوفة؛ فجعل النضْر وقوّاده يعبرُون الجسر ، فيقاتلون الضّحاك وأصحابه مع ابن عمر ثم يعودون إلى مواضعهم ، ولا يقيمون مع ابن عمر؛ فلم يزالوا على ذلك: شعبان وشهر رمضان وشوال ، فاقتتلوا يوماً من تلك الأيام ، فاشتدّ قتالهم ، فشدّ منصور بن جمهور على قائد من قوّاد الضحاك ، كان عظيم القَدْر في الشُّراة ، يقال له عكرمة بن شيبان ، فضربه على باب القورَج ، فقطعه باثنين فقتله ، وبعث الضحاك قائداً من قوّاده يدعى شوالاً من بني شيبان إلى باب الزّاب ، فقال: اضرمْه عليهم ناراً ، فقد طال الحصار علينا ، فانطلق شوّال ومعه الخيبريّ؛ أحد بني شيبان في خيلهم ، فلقيَهم عبدُ الملك بن علقمة ، فقال لهم: أين تريدون؟ فقال له شوّال: نريد باب

الزّاب ، أمرني أمير المؤمنين بكذا وكذا ، فقال: أنا معك؛ فرجع معه وهو حاسر ، لا درَع عليه؛ وكان من قوّاد الضّحاك أيضاً وكان أشدّ الناس ، فانتهوا إلى الباب فأضرموه ، فأخرج لهم عبد الله بن عمر منصورَ بن جمهور في ستمئة فارس من كلْب ، فقاتلوهم أشدّ القتال ، وجعل عبد الملك بن علقمة يشدّ عليهم وهو حاصر؛ فقتل منهم عِدّة ، فنظر إليه منصور بن جمهور ، فغاظه صنيعه ، فشدّ عليه فضربه على حبل عاتقه فقطعه حتى بلغ حَرْقفته؛ فخرّ ميتاً ، وأقبلت امرأة من الخوارج شادَة؛ حتى أخذت بلجام منصور بن جمهور ، فقالت: يا فاسق ، أجب أمير المؤمنين ، فضرب يدها ـ ويقال: ضرب عنان دابته فقطعه في يدها ـ ونجا.

فدخل المدينة الخيبريّ يريد منصوراً ، فاعترض عليه ابنُ عمّ له من كلْب ، فضربه الخيبريّ فقتله؛ [فقال حبيب بن خدرة مولى بني هلال] ـ وكان يزعم أنه من أبناء ملوك فارس ـ يرثي عبد الملك بن علقمة:

وقـائلـة وَدَمْـعُ العَيْـن يجـري ... علـى روح ابـن علقَمَـة السَّـلام
أأَدْرَكَـك الحِمـامُ وأنـتَ سـار ... وكـلُّ فتـىً لمصْـرَعِـهِ حِمـام
فـلا رَعـشُ اليَـدَيْـنِ ولا هـدانٌ ... ولا وكَـلُ اللقـاء ولا كَهَـام
ومـا قَتْـلٌ علـى شـار بعـار ... ولكـن يُقْتَلُـونَ وهُـمْ كِـرامُ
طغـامُ النـاسِ لَيْـسَ لَهُـمْ سبيـلٌ ... شجـانـي يـا بـن علقَمـةَ الطغـامُ

ثم إنّ منصوراً قال لابن عمر: ما رأيتُ في الناس مثل هؤلاء قطّ ـ يعني الشُّراة ـ فلم تحاربهم وتشغلهم عن مروان؟ أعطهم الرّضا ، واجعلهم بينك وبين مرْوان ، فإنك إن أعطيتهم الرّضا خلَّوْا عنا ومضْوا إلى مروان ، فكان حدُّهم وبأسهم عليه ، وأقمتَ أنت مستريحاً بموضعك هذا؛ فإن ظفروا بها كان ما أردْتَ وكنتَ عندهم آمناً ، وإن ظفر بهم وأردت خلافَه وقتاله قاتلته جامّاً مستريحاً؛ مع أن أمره وأمرهم سيطول ، ويوسعونه شرّاً ، فقال ابن عمرُ: لا تعجل حتى نتلوّم وننظر ، فقال: أيّ شيء ننتظر!

فما تستطيع أن تطلع معهم ولا تستقرّ؛ وإن خرجنا لم نقم لهم ، فما انتظارنا بهم ومروان في راحة ، وقد كفيناه حدَّهم وشغلناهم عنه! أما أنا فخارج لاحقٌ بهم ، فخرج فوقف حيال صفهم وناداهم: إني جانحٌ أريد أن أسلِم وأسمع كلام الله ـ قال: وهي محنتهم ـ فلحق بهم فبايعهم ، وقال: قد أسلمتُ ، فدعوْا له

بغداء فتغدّى ، ثم قال لهم: من الفارس الذي أخذ بعناني يوم الزّاب؟ يعني يوم ابن علقمة ـ فنادوا يا أمّ العنبر ، فخرجت إليهم؛ فإذا أجمل الناس ، فقالت له: أنت منصور؟ قال: نعم ، قالت: قبح الله سيفك ، أين ما تذكر منه! فوالله ما صنع شيئاً ، ولا ترك ـ تعني ألاّ يكون قتلها حين أخذت بعنانه فدخلت الجنة ـ وكان منصور لا يعلم يومئذ أنها امرأة ، فقال: يا أمير المؤمنين ، زَوّجنْيها ، قال: إن لها زوجاً ـ وكانت تحت عبيدة بن سوَّار التغلبيّ ـ قال: ثم إنّ عبد الله بن عمر خرج إليهم في آخر شوّال فبايعه. [٧/ ٣١٩ـ٣٢٣].

* * *

خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد

وفي هذه السنة ـ أعني سنة سبع وعشرين ومئة ـ خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان مروان بن محمد ونصب الحرب.

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما جرى بينهما:

حدثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثني عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال: حدّثني أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال: لما شخص مروان من الرصافة إلى الرَّقة لتوجيه ابن هبيرة إلى العراق لمحاربة الضّحاك بن قيس الشيبانيّ استأذنه سليمان بن هشام في مُقام أيام ، لإجمام ظهره وإصلاح أمره؛ فأذن له. ومضى مرْوان ، فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مَرْوان قطع عليه البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوّادهم؛ حتى جاؤوا الرُّصافة ، فدعوْا سليمان إلى خَلْع مَروان ومحاربته ، وقالوا: أنت أرضى منه عند أهل الشام وأوْلى بالخلافة ، فاستزلّه الشيطان ، فأجابهم ، وخرج إليهم بإخوته وولده ومواليه ، فعسكر [بهم] وسار بجمعهم إلى قِنَّسرين ، فكاتب أهل الشام فانقضُّوا إليه من كلّ وجه وجند؛ وأقبل مَروان بعد أن شارف قَرْقيسيا منصرفاً إليه ، وكتب إلى ابن هبيرة يأمره بالثبوت في عسكره من دورين حتى نزل معسكرَه بواسط ، واجتمع مَن كان بالهَنيّ من موالي سليمان وولد هشام ، فدخلوا حِصْنَ الكامل بذراريّهم فتحصّنوا فيه ، وأغلقوا الأبواب دونه ، فأرسل إليهم: ماذا صنعتم؟ خلعتم طاعتي ونقضتم بيعتي بعدما أعطيتموني من العهود والمواثيق! فردُّوا على رسله: إنا مع سليمان على مَن

خالفه ، فردّ إليهم : إنّي أحذّركم وأنذركم أن تعرِضوا لأحد ممّن تبعني من جنْدي أو يناله منكم أذىً ، فتحلُّوا بأنفسكم ؛ ولا أمانَ لكم عندي ، فأرسلوا إليه : إنا سنكفّ .

ومضى مرْوان ، فجعلوا يخرجون من حصنهم ، فيغيرون على من اتّبعه من أخريات الناس وشذاذ الجند ؛ فيسلبونهم خيولَهم وسلاحَهم ، وبلغه ذلك ، فتحرّق عليهم غيظاً ، واجتمع إلى سليمان نحوٌ من سبعين ألفاً من أهل الشام والذّكْوانية وغيرهم ، وعسكر في قرية لبني زفر يقال له خُسَاف من قِنسَّرين من أرضها ، فلما دنا منه مَرْوان قدّم السكسكيّ في نحو سبعة آلاف ، ووجّه مرْوان عيسى بن مسلم في نحو من عدّتهم ، فالتقوْا فيما بين العسكرين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، والتقى السكسكيّ وعيسى ، وكلّ واحد منهما فارس بطل ، فاطّعنا حتى تقصّفت رماحهما ، ثم صارا إلى السيوف ، فضرب السكسكيُّ مقدّم فرس صاحبه ، فسقط لجامُه في صدره ، وجال به فرسه ، فاعترضه السَّكسكيّ ، فضربه بالعمود فصرعه ، ثم نزل إليه فأسره ، وبارز فارساً من فرسان أنطاكيَة ، يقال له سلساق قائد الصّقالية ، فأسره ، وانهزمت مقدّمة مروان وبلغه الخبر وهو في مسيره ، فمضى وطوى على تعبية ، ولم ينزل حتى انتهى إلى سليمان ، وقد تعبّأ له ، وتهيّأ لقتاله ، فلم يناظره حتى واقعه فانهزم سليمان ومَن معه ، وأتْبعتهم خيوله تقتلهم وتأسرهم ؛ وانتهوا إلى عسكرهم فاستباحوه ، ووقف مروان مَوقِفاً ، وأمر ابنيه فوقفا موقفين ، ووقف كوثر صاحب شرطته في موضع ، ثم أمره ألاّ يأتوا بأسير إلاّ قتلوه إلاّ عبداً مملوكاً ، فأحصِيَ مِنْ قتلاهم يومئذ نيّف على ثلاثين ألفاً .

قال : وقُتِل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده ، وأتِي بخال لهشام بن عبد الملك يقال له خالد بن هشام المخزوميّ ـ وكان بادناً كثير اللحم ـ فأدنِيَ إليه وهو يلْهث ، فقال له : يا فاسق ؛ أما كان لك في خمر المدينة وقيانها ما يكفُّك عن الخروج مع الحرّاءِ تقاتلني ! قال : يا أمير المؤمنين ، أكرهني ، فأنشِدك الله والرّحم ! قال : وتكذب أيضاً ! كيف أكرهَك وقد خرجتَ بالقيان والزقاق والبَرابط معك في عسكره ؟ فقتله . قال : وادّعى كثير من الأسَراء من الجند أنهم رقيق ، فكفّ عن قتلهم ، وأمر ببيعهِم فيمن يزيد مع ما بيع مما أصيب في عسكرهم[1] .

---

(١) في المتن نكارة واضحة . فخال هشام معروف ، ولا داعي إلى هذه العبارة (وأتِي بخال . . .) =

قال: ومضى سليمان مفلولاً حتى انتهى إلى حِمْص؛ فانضمّ إليه من أفلت ممّن كان معه، فعسكر بها، وبنى ما كان مروان أمر بهدمه من حيطانها، ووجّه مَرْوان يوم هزمه قوّاداً، وروابط في جَرِيدة خيل، وتقدّم إليهم أن يسبقوا كلَّ خبر؛ حتى يأتوا الكامل، فيحدقوا بها إلى أن يأتيهم حَنَقاً عليهم فأتوهم فنزلوا عليهم، وأقبل مَرْوان نحوهم حتى نزل معسكرَه من واسط، فأرسل إليهم أن انزلوا على حكمي، فقالوا: لا حتى تؤمّننا بأجمعنا، فدلَف إليهم، ونصب عليهم المجانيق، فلما تتابعت الحجارة عليهم نزلوا على حكْمِه، فمثّل بهم واحتملهم أهل الرَّقة فآووْهم، وداووا جراحاتهم، وهلك بعضُهم وبقي أكثرهم، وكانت عِدّتِهم جميعاً نحواً من ثلثمئة، ثم شخص إلى سليمان ومَنْ تجمّع معه بحِمْص، فلما دنا منهم اجتمعوا، فقال بعضهم لبعض: حتى متى ننهزم من مروان! هلمّوا فلنتبايع على الموت ولا نفترق بعد معاينته حتى نموت جميعاً، فمضى على ذلك من فرسانهم من قد وطّن نفسه على الموت نحو من تسعمئة، وولّى سليمان على شَطْرهم معاوية السَّكسكيّ، وعلى الشَّطر الثاني ثُبيتاً البَهرانيّ، فتوجهوا إليه مجتمعين، على أن يبيّتوه إن أصابوا منه غِرّة، وبلغه خبرهم وما كان منهم، فتحرّز وزحف إليهم في الخنادق على احتراس وتعبية، فراموا تبييته فلم يقدروا، فتهيؤوا له وكمنوا في زيتون ظَهَر على طريقه، في قرية تسمى تَل منَّس من جبل السّماق، فخرجوا عليه وهو يسير على تعبيَة، فوضعوا السلاح فيمن معه، وانتبذ لهم، ونادى خيولَه فثابت إليه من المقدمة والمجنّبتين والسَّاقة، فقاتلوهم من لَدُن ارتفاع النهار إلى بعد العَصْر، والتقى السَّكسكِيّ وفارس من فرسان بني سليم، فاضطربا، فصرعه السُّلميّ عن فرسه، ونزل إليه، وأعانه رجل من بني تميم، فأتياه به أسيراً وهو واقف؛ فقال: الحمد لله الذي أمكَن منك فطالما بلغت منّا! فقال: استبقني فإني فارس العرب، قال: كذبت؛ الذي جاء بك أفرسُ منك، فأمر به فأوثق، وقتل ممّن صبر معه نحو من ستة آلاف.

قال: وأفلت ثُبَيت ومَن انهزم معه، فلما أتوْا سليمان خلف أخاه سعيد بن

= وهو رجل عرف بالصلاح وانشغاله بالجهاد على الثغور؛ ومن مزايا المتون الملفقة كثرة ألفاظ السب والشتم البذيّ كما ها هنا والله أعلم.

هشام في مدينة حِمْص ، وعرف أنه لا طاقة له به ، ومضى هو إلى تَدْمر ، فأقام بها ، ونزل مَرْوان على حِمْص ، فحاصرهم بها عشرة أشهر ، ونصب عليها نَيِّفاً وثمانين مِنْجنيقاً ، فطرح عليهم حجارتها بالليل والنهار وهم في ذلك يخرجون إليه كلّ يوم فيقاتلونه ، وربما بيّتوا نواحي عسكره ، وأغاروا على الموضع الذي يطمعون في إصابة العوْرة والفرصة منه.

فلما تتابع عليهم البلاء ، ولزمهم الذُّلُّ سألوه أن يؤمّنهم على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وابنيْه عثمان ومرْوان ومن رجل كان يسمى السكسكيّ ، كان يغير على عسكرهم ، ومن حبشيّ كان يشتمه ويفتري عليه؛ فأجابهم إلى ذلك وقبِله ، وكانت قصّة الحبشي أنه كان يشرف من الحائط ويربط في ذكَرَه ذكَرَ حمار ، ثم يقول: يا بني سليم ، يا أولاد كذا وكذا ، هذا لواؤكم! وكان يشتم مروان ، فلما ظفر به دفعه إلى بني سُليم ، فقطعوا مذاكيرَه ، وأنفه ، ومثّلوا به ، وأمر بقتل المتسمّي السكسكيّ والاستيثاق من سعيد وابنيه ، وأقبل متوجّهاً إلى الضحاك.

وأما غير أبي هاشم مخلّد بن محمد ، فإنه ذكر من أمر سليمان بن هشام بعد انهزامِه من وقعة خُساف غير ما ذكره مخلّد؛ والذي ذكره من ذلك أنّ سليمان بن هشام بن عبد الملك حين هزمه مَرْوان يوم خُساف أقبل هارباً؛ حتى صار إلى عبد الله بن عمر ، فخرج مع عبد الله بن عمر إلى الضّحاك ، فبايعه ، وأخبر عن مروان بفسق وجور وحضّض عليه ، وقال: أنا سائر معكم في مواليّ ومَن اتبعني ، فسار مع الضحاك حين سار إلى مروان ، فقال شُبيل بن عَزْرة الضُّبَعيّ في بيعتهم الضحاك:

ألَــم تَــرَ أنَّ الله أظهَــرَ دينَــهُ فصَلَّتْ قرَيْشٌ خَلف بَكْرِ بنِ وائِلِ

فصارت كلمة ابن عمر وأصحابه واحدة على النَّضر بن سعيد ، فعلم أنه لا طاقة له بهم؛ فارتحل من ساعته يريد مَرْوان بالشام.

وذكر أبو عبيدة أن بَيْهساً أخبره: لما دخل ذو القعدة سنة سبع وعشرين ومئة ، استقام لمرْوان الشام ونفى عنها مَن كان يخالفه ، فدعا يزيد بن عمر بن هبيرة ، فوجَّهَه عاملاً على العراق ، وضمّ إليه أجناد الجزيرة ، فأقبل حتى نزل سعيد بن عبد الملك ، وأرسل ابن عمر إلى الضَّحاك يعلمه ذلك.

قال: فجعل الضّحاكَ لَنا مَيْسان وقال: إنها تكفيكم حتى ننظر عما تنجلي واستعمل ابن عمر عليها مولاه الحكم بن النعمان.

فأما أبو مخنف فإنه قال ـ فيما ذكر عنه هشام: إن عبد الله بن عمر صالح الضّحاك على أنّ بيد الضحاك ما كان غلب عليه من الكوفة وسوادها، وبيد ابن عمر ما كان بيده من كَسْكَر وميسان ودَسْتميسان وكور دجلة والأهواز وفارس، فارتحل الضَّحاك حتى لقي مروان بكَفَرْتوثَا من أرض الجزيرة.

وقال أبو عبيدة: تهيّأ الضّحاك ليسير إلى مَرْوان، ومضى النَّضْر يريد الشام، فنزل القادسيّة، وبلغ ذلك مِلْحان الشيبانيّ عامل الضَّحاك على الكوفة، فخرج إليه فقاتله وهو في قلّة من الشَّراة، فقاتله فصبر حتى قتله النّضر، وقال ابن خدرة يرثيه وعبد الملك بن علقمة:

كائِنْ كمِلْحانَ مِنْ شارٍ أَخِي ثِقَةٍ ... وابْنِ علقَمَةَ المسْتَشهدِ الشارِي
من صادِقٍ كُنْتُ أُصْفِيهِ مخالَصتي ... فباعَ داري بأَعلى صَفْقَةِ الدارِ
إخوان صِدْقٍ أُرَجّيهمْ وأَخذلهُمْ ... أَشْكو إلى اللهِ خذلانِي وإِخفارِي

وبلغ الضّحاك قتل ملْحان، فاستعمل على الكوفة المثنّى بن عمران من بني عائذة، ثم سار الضَّحاك في ذي القَعْدة، فأخذ الموصل، وانحطّ ابن هبيرة من نهر سعيد حتى نزل غزّة من عين التَّمْر، وبلغ ذلك المثنّى بن عمران العائذيّ، عامل الضحاك على الكوفة، فسار إليه فيمَن معه من الشراة، ومعه منصور بن جمهور، وكان صار إليه حين بايع الضَّحاك خلافاً على مروان، فالتقوا بغَزّة، فاقتتلوا قتالاً شديداً أياماً متوالية؛ فقتل المثنى وعزيز وعمرو ـ وكانوا من رؤساء أصحاب الضحاك ـ وهرب منصور، وانهزمت الخوارج، فقال مسلم حاجب يزيد:

أَرَتْ للمثنَّى يومَ غزَّةَ حَتفَهُ ... وأذرَتْ عُزَيراً بينَ تلكَ الجَنادل
وعمراً أزارَتْهُ المنيَّةَ بَعْدَ ما ... أَطافَتْ بمَنصُورٍ كِفاتُ الحَبائِل

وقال غَيْلان بن حُرَيث في مدحه ابن هبيرة:

نصرْتَ يَومَ العَيْنِ إذ لقيتا ... كنَصْر داودٍ على جالُوتا

فلما قتل منهم مَنْ قتل في يوم العين، وهرب منصور بن جمهور، أقبل

لا يلوي حتى دخل الكوفة ، فجمع بها جَمْعاً من اليمانية والصُفْريّة ومَن كان تفرّق منهم يوم قتل مَلْحان ومَنْ تخلف منهم عن الضحاك ، فجمعهم منصور جميعاً ، ثم سار بهم حتى نزل الرَّوْحاء ، وأقبل ابن هبيرة في أجْنادِه حتى لقيَهم ، فقاتلهم أياماً ثم هزمهم ، وقتِل البرذَوْن بن مرزوق الشيبانيّ ، وهرب منصور ففي ذلك يقول غيلان بن حُرَيث :

ويَـوم رَوْحـاء العُـذَيْـبِ دفَّفُـوا على ابـنِ مـرزُوقٍ سَمَـامٌ مُـزْعِـفُ

قال : وأقبل ابن هبيرة حتى نزل الكوفة ونفى عنها الخوارج ، وبلغ الضَّحاك ما لقي أصحابه ، فدعا عبيدة بن سوّار التغلبيّ ، فوجَّهه إليهم ، وانحطّ ابن هبيرة يريد واسطاً وعبد الله بن عمر بها ، وولى على الكوفة عبد الرحمن بن بشير العجليّ ، وأقبل عبيدة بن سوّار مغذّاً في فرسان أصحابه ، حتى نزل الصرّاة ، ولحق به منصور بن جمهور؛ وبلغ ذلك ابن هبيرة فسار إليهم فالتقوا بالصرّاة في سنة سبع وعشرين ومئة .

* * *

وفي هذه السنة توجّه سليمان بن كثير ولاهز بن قُرَيظة وقحطبة بن شبيب ـ فيما ذكر ـ إلى مكة ، فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام بها ، وأعلموه أن معهم عشرين ألف دينار ومئتي ألف درهم ومسْكاً ومتاعاً كثيراً ، فأمرهم بدفع ذلك إلى ابن عورة مولى محمد بن عليّ ، وكانوا قدموا معهم بأبي مسلم ذلك العام ، فقال ابن كثير لإبراهيم بن محمد : إنّ هذا مولاك .

وفيها كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم بن محمد يخبره أنه في أول يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا ، وأنه قد استخلف حفص بن سليمان ، وهو رضاً للأمر ، وكتب إبراهيم إلى أبي سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه؛ وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه ، ومضى أبو سلَمة إلى خراسان فصدّقوه ، وقبلوا أمره ، ودفعوا إليه ما اجتمع قبَلهم من نَفَقات الشيعة وخمس أموالهم . [٧/ ٣٢٣ ـ ٣٢٩] .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومئة

* ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

قد مضى ذكر كتاب يزيد بن الوليد للحارث بأمانه ، وخروج الحارث من بلاد

الترك إلى خراسان ومصيره إلى نصر بن سيار ، وما كان من نَصْر إليه ، واجتماع مَن اجتمع إلى الحارث مستجيبين له ، فذكر عليّ بن محمد عن شيوخه ، أنَّ ابن هبيرة لما وَلِيَ العراق كتب إلى نصر بعهْده ، فبايع لمرْوان ، فقال الحارث: إنما آمنني يزيد بن الوليد ، ومَرْوان لا يُجيز أمانَ يزيد ، فلا آمنه ، فدعا إلى البيْعة ، فشتَم أبو السليل مَرْوانَ ، فلما دعا الحارث إلى البَيْعة أتاه سلْم بن أحوز وخالد بن هرَيم وقَطَن بن محمد وعبّاد بن الأبرد بن قرّة وحمّاد بن عامر ، وكلموه وقالوا له: لِمَ يصيّر نصرٌ سلطانَه وولايته في أيدي قومك؟ ألم يخرجك من أرض الترك ومن حكم خاقان! وإنما أتى بك لئلا يجترىء عليك عدوّك فخالفتَه ، وفارقتَ أمر عشيرتك ، وأطمَعْت فيهم عدوّهم ، فنذكِّرك الله أن تفرّق جماعتنا! فقال الحارث: إنّي لأرى في يدي الكرمانيّ ولاية ، والأمر في يد نصر ، فلم يجبْهم بما أرادوا ، وخرج إلى حائط لحمزة بن أبي صالح السلميّ بإزاء قصر بخاراخذاه ، فعسكر وأرسل إلى نصر ، فقال له: اجعل الأمر شورى ، فأبى نصر ، فخرج الحارث فأتى منازل يعقوب بن داود ، وأمر جَهْم بن صَفْوان ، مولى بني راسب ، فقرأ كتاباً سيَّر فيه الحارث على الناس ، فانصرفوا يكبِّرون ، وأرسل الحارث إلى نصر: اعزل سلْم بن أحوز عن شُرَطك ، واستعمل بشْر بن بسْطام البِرْجميِّ ، فوقع بينه وبين مغلس بن زياد كلام ، فتفرقت قيس وتميم ، فعزله ، واستعمل إبراهيم بن عبد الرحمن ، واختاروا رجالاً يسمون لهم قوماً يعملون بكتاب الله ، فاختار نصر مقاتلَ بن سليمان ومقاتل بن حَيان ، واختار الحارث المغيرةَ بن شعبة الجَهْضميّ ومعاذ بن جَبلة ، وأمر نصرٌ كاتبه أن يكتب ما يرضوْن من السُّنَن ، وما يختارونه من العمال ، فيولِّيَهم الثَّغرين؛ ثغر سَمَرْقند وطخارستان ، ويكتب إلى مَن عليهما ما يرضونه من السير والسنَن.

فاستأذن سلْم بن أحوز نصراً في الفتك بالحارث ، فأبى وولّى إبراهيم الصائغ ، وكان يوجّه ابنه إسحاق بالفيروزج إلى مَرو ، وكان الحارث يظهر أنه صاحب الرّايات السود؛ فأرسل إليه نصر: إن كنتَ كما تزعم ، وأنكم تهدِمون سور دمشق ، وتزيلون أمر بني أميَّة ، فخذْ مني خمسمئة رأس ومئتي بعير ، واحمل من الأموال ما شئتَ وآلة الحرب وسرْ؛ فلعمري لئن كنتَ صاحب ما ذكرت إني لفي يدك؛ وإن كنت لستَ ذلك فقد أهلكتَ عشيرتك ، فقال

الحارث: قد علمتُ أن هذا حقٌ، ولكن لا يبايعني عليه مَنْ صحبني، فقال نصر: فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك، ولا لهم مثلُ بصيرتك، وأنهم هم فساق ورَعاع، فأذكرك الله في عشرين ألفاً من ربيعة واليمن سيَهْلكون فيما بينكم، وعرض نصر على الحارث أن يولّيَه ما وراء النهر، ويعطيَه ثلثمئة ألف؛ فلم يقبل؛ فقال له نصر: فإن شئت فابدأ بالكرْمانيّ فإن قتلتَه فأنا في طاعتك، وإن شئت فخلِّ بيني وبينه؛ فإن ظفرتُ به رأيت رأيك، وإن شئتَ فسرْ بأصحابك؛ فإذا جزت الرّيّ فأنا في طاعتك.

قال: ثم تناظر الحارث ونصر، فتراضيا أن يحكم بينهم مقاتل بن حيَان وجَهْم بن صفوان، فحكما بأن يعتزل نصر، ويكون الأمر شورى، فلم يقبل نصر، وكان جَهْم يقصّ في بيته في عسكر الحارث، وخالف الحارث نصراً، ففرض نصر لقومه من بني سلمة وغيرهم، وصيّر سَلْماً في المدينة في منزل ابن سوّار، وضمّ إليه الرَّابطة وإلى هدبة بن عامر الشعراويّ فرساً، وصيَّره في المدينة، واستعمل على المدينة عبد السلام بن يزيد بن حيّان السُّلميّ، وحوَّل السلاح والدّواوين إلى القهندز، واتَّهم قوماً من أصحابه أنهم كاتبوا الحارث، فأجلس عن يساره مَن اتّبعهم ممن لا بلاء له عنده، وأجلس الَّذين ولاَّهم واصطنعهم عن يمينه؛ ثم تكلم وذكر بني مَرْوان ومَن خرج عليهم؛ كيف أظفر الله به؛ ثم قال: أحمدُ الله وأذمُّ مَن على يساري؛ ولِيتُ خراسان فكنتَ يا يونس بن عبد ربّه ممن أراد الهرب من كلف مؤونات مَرْو، وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم، ويجعلهم في الرّجالة، فوليتكم إذ وليتكم واصطنعتكم وأمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم إذا أردتُ المسير إلى الوليد، فمنكم مَنْ رفع ألف ألف وأكثر وأقلّ، ثم ملأتم الحارث عليّ، فهلاّ نظرتم إلى هؤلاء الأحرار الذين لزموني مؤاسين على غير بلاء! وأشار إلى هؤلاء الذين عن يمينه، فاعتذر القوم إليه، فقبل عذرهم.

وقدم على نصر من كورخراسان حين بلغهم ما صار إليه من الفتنة جماعةٌ؛ منهم عاصم بن عمير الصُّريميّ وأبو الذيّال الناجيّ وعمرو الفادوسبان السُّغْديّ البخاريّ وحسان بن خالد الأسديّ من طُخارستان في فوارس، وعَقيل بن معْقل الليثيّ ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم وسعد الصَّغير في فرسان.

وكتب الحارث بن سريج سيرته ، فكانت تقرأ في طريق مَرْو والمساجد فأجابه قوم كثير ؛ فقرأ رجل كتابه على باب نصر بماجان ، فضربه غلمان نصر ، فنابذه[1] الحارث ، فأتى نصراً هبيرة بن شرَاحيل ويزيد أبو خالد ، فأعلماه ، فدعا الحسن بن سعد مولى قريش ، فأمره فنادى : إن الحارث بن سريج عدوّ الله قد نابذ وحارب ، فاستعينوا الله ولا حوْل ولا قوّة إلا بالله .

وأرسل من ليلته عاصم بن عمير إلى الحارث ، وقال لخالد بن عبد الرحمن : ما نفعل شعارَنا غداً؟ فقال مقاتل بن سليمان : إن الله بعث نبيّاً فقاتل عدوّاً له ، فكان شعاره «حم لا ينْصَرون» ، فكان شعارهم «حم لا ينصرون» ، وعلامتهم على الرّماح الصوف .

وكان سلْم بن أحْوَز وعاصم بن عُمير وقَطَن وعَقِيل بن معقل ومسلم بن عبد الرحمن وسعيد الصغير وعامر بن مالك والجماعة في طرف الطخاريّة ويحيى بن حُضَين وربيعة في البخاريّين ، ودلّ رجل من أهل مدينة مَرْو الحارث على نَقْب في الحائط ، فمضى الحارث فنقَب الحائط ، فدخلوا المدينة من ناحية باب بالين وهم خمسون ، ونادوْا : يا منصور ـ بشعار الحارث ـ وأتوا باب نِيق ، فقاتلهم جَهْم بن مسعود الناجيّ ، فحمل رجل على جَهْم فطعنه في فيه فقتله ، ثم خرجوا من باب نِيق حتى أتوا قبة سلْم بن أحوز فقاتلهم عصْمة بن عبد الله الأسديّ وخضِر بن خالد والأبرد بن داود من آل الأبرد بن قرّة ، وعلى باب بالين حازم بن حاتم ، فقتلوا كلّ من كان يحرسه ، وانتهبوا منزلَ ابن أحوز ومنزل قُدَيد بن منيع ؛ ونهاهم الحارث أن ينتهبوا منزل ابن أحوز ومنزل قُدَيد بن مَنِيع ومنزل إبراهيم وعيسى ابني عبد الله السلميّ إلا الدوابّ والسلاح ، وذلك ليلة الإثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة .

قال : وأتى نصراً رسولُ سلْم يخبره دنوّ الحارث منه ، وأرسل إليه : أخّرْه حتى نصبح ، ثم بعث إليه أيضاً محمد بن قَطَن بن عمران الأسديّ ، أنه قد خرج عليه عامّة أصحابه ، فأرسل إليه : لا تبدأهم .

---

(١) المنابذة : نقض العهد . القاموس المحيط ص ٤٣٢ .

وكان الذي أهاج القتال ، أنّ غلاماً للنَّضْر بن محمد الفقيه يقال له عطية ، صار إلى أصحاب سَلْم ، فقال أصحاب الحارث: رُدُّوه إلينا ، فأبَوْا ، فاقتتلوا ، فرمى غلاماً لعاصم في عينه فمات؛ فقاتلهم ومعه عَقِيل بن مَعْقِل فهزمهم ، فانتهوْا إلى الحارث وهو يصليّ الغداةَ في مسجد أبي بَكرْة ، مولى بني تميم؛ فلما قضى الصلاة دنا منهم ، فرجعوا حتى صاروا إلى طَرف الطُّخاريّة ، فدنا منه رجلان ، فناداهما عاصم: عَرْقِبا بِرْذونه؛ فضرب الحارث أَحَدهما بعَموده فقتله ، ورجع الحارث إلى سكة السُّغد ، فرأى أعينَ مولى حيّان ، فنهاه عن القتال ، فقاتل فقتل ، وعَدَل في سكة بني عصمة ، فأتبعه حماد بن عامر الحمانيّ ومحمد بن زُرعة ، فكسر رمحيْهما ، وحمل على مرزوق مولَى سَلْم؛ فلما دنا منه رمى به فرسه؛ فدخل حانوتاً ، وضرب بِرْذَوْنه على مؤخّره فنفق. قال: وركب سلْم حين أصبح إلى باب نيق ، فأمرهم بالخندق ، فخندقوا وأمر منادياً ، فنادى: مَن جاء برأس فله ثلثمئة ، فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث ، وقاتلهم الليل كله ، فلما أصبحنا أخذ أصحاب نصر على الرزيق ، فأدركوا عبد الله بن مجّاعة بن سعد ، فقتلوه ، وانتهى سلْم إلى عسكر الحارث؛ وانصرف إلى نَصْر فنهاه نصر ، فقال: لست منتهياً حتى أدخل المدينة على هذا الدبُّوسيّ؛ فمضى معه محمد بن قَطَن وعبيد الله بن بسام إلى باب دَرْسنْكان ـ وهو القهندز ـ فوجده مردوماً ، فصعِد عبد الله بن مَزْيَد الأسديّ السور ومعه ثلاثة ، ففتحوا الباب ، ودخل بن أحْوَز ، ووكّل بالباب أبا مطهّر حرب بن سليمان ، فقتِل سلم يومئذ كاتب الحارث بن سرَيج ، واسمه يزيد بن داود ، وأتى عبد ربه ابن سِيسن فقتَله ، ومضى سلْم إلى باب نِيق ففتحه ، وقتل رجلاً من الجزّارين كان دلّ الحارث على النَّقْب؛ فقال المنذر الرقاشيّ ابن عمّ يحيى بن حضين ، يذكر صبر القاسم الشيبانيّ:

ما قاتَلَ القومَ منكُمْ غَيْرُ صاحِبنا ... في عُصْبَةٍ قاتلوا صَبراً فما ذُعِرُوا

هُمْ قاتلوا عِندَ بابِ الحصنِ ما وَهَنُوا ... حتى أتاهُمْ غِياثُ اللهِ فانتَصرُوا

فقاسِمٌ بَعدَ أَمْرِ اللهِ أحرَزَها ... وأنتَ في معزلٍ عن ذاكَ مقتَصِرُ

ويقال: لما غلظ أمر الكرمانيّ والحارث أرسل نَصْر إلى الكرمانيّ ، فأتاه على عهد ، وحضرهم محمد بن ثابت القاضي ومقدام بن نعيم أخو عبد الرحمن بن

نعيم الغامديّ وسلْم بن أحْوز ، فدعا نصرٌ إلى الجماعة ، فقال للكرْمانيّ : أنت أسعدُ الناس بذلك ؛ فوقع بين سَلْم بن أحوْزَ والمقدام كلام ؛ فأغلظ له سَلْم ، فأعانه عليه أخوه ، وغضِب لهما السُّغديّ بن عبد الرحمن الحزْميّ ، فقال سلْم : لقد هممتُ أن أضربَ أنفك بالسيف ، فقال السُّغديّ : لو مسستَ السَّيْف لم ترجع إليك يدُك ، فخاف الكرمانيّ أن يكون مكراً من نصْر ، فقام وتعلقوا به ، فلم يجلس ، وعاد إلى باب المقصورة .

قال : فتلقّوْه بفرسه ، فركب في المسجد ، وقال نصر : أراد الغدر بي ، وأرسل الحارث إلى نصر : إنا لا نرضى بك إماماً ، فأرسل إليه نصر : كيف يكون لك عقل ، وقد أفنيتَ عمرك في أرض الشرْك وغزوتَ المسلمين بالمشركين !

أتراني أتضرَّع إليك أكثر مما تضرَّعت ! قال : فأسِر يومئذ جَهْم بن صفوان صاحب الجَهميّة ، فقال لسلم : إن لي ولْثاً من ابنك حارث ؛ قال : ما كان ينبغي له أن يفعل ؛ ولو فعل ما آمنتك ، ولو ملأت هذه الملاءة كواكبَ ، وأبرأك إليّ عيسى ابن مريم ما نجوتَ ؛ والله لو كنتَ في بطني لشققتُ بطني حتى أقتلَك ؛ والله لا يقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمتَ ؛ وأمر عبد ربّه بن سِيَسن فقتله ، فقال الناس : قتِل أبو محِرز ـ وكان جَهْم يكنى أبا محرز .

وأسِر يومئذ هبيرة بن شراحيل وعبد الله بن مجّاعة فقال : لا أبقى الله من استبقاكما ؛ وإن كنتما من تميم . ويقال : بل قُتل هبيرة ، لحقَتْهُ الخيل عند دار قدَيد بن منيع فقتِل ، قال : ولما هَزم نصر الحارثَ ، بعث الحارث ابنَه حاتماً إلى الكرمانيّ ، فقال له محمد بن المثنّى : هما عدوّاك ، دعهما يضطربان ؛ فبعث الكرمانيّ السُّغديّ بن عبد الرحمن الحزْميّ معه ، فدخل السُّغديّ المدينة من ناحية باب ميخان ، فأتاه الحارث ، فدخل فازة[1] الكِرْمانيّ ، ومع الكِرْمانيّ داود بن شعيب الجدّانيّ ومحمد بن المثنى ، فأقيمت الصلاة ، فصلى بهم الكرمانيّ ، ثم ركب الحارث ، فسار معه جماعة بن محمد بن عزيز أبو خلف ، فلمّا كان الغد سار الكِرمانيّ إلى باب ميدان يزيد ، فقاتل أصحابَ نصر ، فقتِل سعد بن سَلْم المراغيّ ، وأخذوا عَلم عثمان بن الكرمانيّ ؛ فأوّل من أتى الكرمانيّ

---

(١) في اللسان (٥/ ٣٩٣) : الفازة : مظلة تمد بعمود .

بهزيمة الحارث وهو معسكر بباب ماسَرْجَسَان على فرسخ من المدينة النَّضْر بن غلاّق السُّغديّ وعبد الواحد بن المنخَّل ، ثم أتاه سوادة بن سريج ، [وحاتم بن الحارث والخليل بن غزوان العذريّ ، أتوه ببيعة الحارث بن سريج].

وأول من بايع الكرمانيَّ يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانيّ ، فوجه الكرمانيّ إلى الحارث بن سريج سورة بن محمد الكنديّ [إلى أسمانير] والسغديَّ بن عبد الرحمن أبا طعمة وَصْعباً أو صُعيباً ، وصبّاحاً ، فدخلوا المدينة من باب ميخان ، حتى أتوْا باب ركَك ، وأقبل الكِرمانيّ إلى باب حَرْب بن عامر ، ووجّه أصحابه إلى نصر يوم الأربعاء ، فترامَوْا ثم تحاجزوا ، ولم يكن بينهم يوم الخميس قتال ، قال: والتقوْا يوم الجمعة ، فانهزمت الأزْد؛ حتى وصلوا إلى الكِرمانيّ ، فأخذ اللواء بيده فقاتل به ، وحمل الخَضر بن تميم وعليه تجْفافٌ ، فرموْه بالنّشاب ، وحمل عليه حبيش مولى نَصْر فطعنه في حَلْقه ، فأخذ الخضر السّنَان بشماله من خلفه؛ فشبَّ به فرسه ، وحمل فطعن حبيشاً فأذراه عن بِرْذونه ، فقتله رجَّالة الكِرمانيَ بالعصيِّ.

قال: وانهزم أصحابُ نصر ، وأخذوا لهم ثمانين فرساً ، وصرع تميم بن نصر ، فأخذوا له برذَوْنين؛ أخذ أحدهما السُّغديَ بن عبد الرحمن ، وأخذ الآخر الخَضِر ، ولحق الخضر بسلم بن أحوْز ، فتناول من ابن أخيه عموداً فضربه فصرَعه ، فحمل عليه رجلان من بني تميم فهرب ، فرمى سَلْم بنفسه تحت القناطر وبه بضع عشرة ضربة على بَيْضته فسقط ، فحمله محمد بن الحدَّاد إلى عسكر نصر ، وانصرفوا ، فلما كان في بعض الليالي خرج نصر من مَرْو ، وقُتِل عصمة بن عبد الله الأسديّ ، وكان يحمي أصحاب نصر؛ فأدركه صالح بن القعقاع الأزديّ ، فقال له عصمة: تقدّم يا مَزُونيّ ، فقال صالح: أثبت يا خصيُّ - وكان عقيماً - فعطَف فرسه فشبَّ فسقط ، فطعنه صالح فقتله.

وقاتل ابن الديليمريّ ، وهو يرتجز؛ فقتِل إلى جنب عصْمة ، وقتل عبيد الله بن حوتمة السلميّ ، رمى مروان البهرانيّ بجرُزة ، فقتل؛ فأتي الكرمانيّ برأسه فاسترجع - وكان له صديقاً - وأخذ رجل يماني بعنان فرس مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم فعرفه فتركه ، واقتتلوا ثلاثة أيام ، فهزمت آخرَ يوم المضريّةُ اليمن ، فنادى الخليل بن غزوان: يا معشرَ ربيعة واليمن؛ قد دخل

الحارثُ السوق ، وقتِل ابن الأقطع؛ ففتّ في أعضاد المضريّة ، وكان أوّل من انهزم إبراهيم بن بسام الليثيّ ، وترجّل تميم بن نصر ، فأخذ برذَوْنه عبد الرحمن بن جامع الكنديّ ، وقتلوا هَيّاجاً الكلبيّ ولقيط بن أخضر؛ قتله غلام لهانىء البزّار.

قال : ويقال : لما كان يوم الجمعة تأهبّوا للقتال ، وهدموا الحيطان ليتّسع لهم الموضع ، فبعث نصر محمد بن قطن إلى الكرمانيّ : إنك لست مثل هذا الدبّوسيّ ، فاتّق الله ، لا تشرع في الفتنة ، قال : وبعث تميم بن نصر شاكريّته ، وهم في دار الجَنوب بنت القعقاع؛ فرماهم أصحاب الكرمانيّ من السطوح ونذروا بهم ، فقال عقيل بن معقِل لمحمد بن المثنّى : علامَ نقتل أنفسنا لنصر والكرمانيّ! هلمّ نرجع إلى بلدنا بطَخارستان ، فقال محمد : إن نصراً لم يفِ لنا ، فلسنا ندعَ حربه ، وكان أصحاب الحارث والكرمانيّ يرمون نصراً وأصحابه بعرّادة فضُرب سرادقه وهو فيه فلم يحوّله ، فوجه إليهم سلْم بن أحوز فقاتلهم؛ فكان أوّل الظّفَر لنصر ، فلما رأى الكرمانيّ ذلك أخذ لواءه من محمد بن محمد بن عَميرة ، فقاتل به حتى كَسَره ، وأخذ محمد بن المثنى والزّاغ وحِطّان في كارابكل ، حتى خرجوا على الرّزيق ، وتميم بن نصر على قنطرة النهر ، فقال محمد بن المثنى لتميم حين انتهى إليه : تنحّ يا صبيّ ، وحمل محمد والزاغ معه راية صفراء ، فصرعوا أعين مولى نصر ، وقتلوه؛ وكان صاحب دواة نصر ، وقتلوا نفراً من شاكريّتِه وحمل الخضر بن تميم على سلْم بن أحوَز فطعنه ، فمال السنان ، فضربه بجُرْز على صدره وأخرى على منكبه؛ وضربه على رأسه فسقط ، وحمى نصر أصحابه في ثمانية ، فمنعهم من دخول السوق.

قال : ولما هزَمت اليمانيَة مُضَر ، أرسل الحارث إلى نصر : إن اليمانيَة يعيّرونني بانهزامكم؛ وأنا كافّ؛ فاجعل حماة أصحابك بإزاء الكرْمانيّ ، فبعث إليه نصر يزيد النحويّ أو خالداً يتوثّق منه؛ أن يفيَ له بما أعطاه من الكفّ.

ويقال : إنما كفّ الحارث عن قتال نَصْر أن عمران بن الفضل الأزديّ وأهل بيته وعبد الجبار العدويّ وخالد بن عبيد الله بن حبيب العدويّ وعامة أصحابه نقِموا على الكِرماني فعلمه بأهل التبوشكان؛ وذلك أن أسداً وجّهه [إليهم] ، فنزلوا على حكْم أسد ، فبَقر بطون خمسين رجلاً وألقاهم في نهر بَلْخ ، وقطع

أيدي ثلثمئة منهم وأرجلهم وصلب ثلاثةً ، وباع أثقالهم فيمن يزيد ، فنقِموا على الحارث عَوْنه الكرمانيّ ، وقتاله نصراً ، فقال نصرٌ لأصحابه حين تغير الأمر بينه وبين الحارث: إن مُضَرَ ، لا تجتمع لي ما كان الحارث مع الكرمانيّ؛ لا يتفقان على أمر ، فالرأي تركهما؛ فإنهما يختلفان ، وخرج إلى جُلْفرَ فيجد عبد الجبار الأحول العدويّ وعمر بن أبي الهيثم الصغديّ ، فقال لهما: أيسعكما المقام مع الكرمانيّ؟ فقال عبد الجبار: وأنت فلا عدمت آسياً؛ ما أحلك هذا المحلّ!

فلما رجع نصر إلى مَرْو أمر به فضرب أربعمئة سوط ، ومضى نصر إلى خَرَق ، فأقام أربعة أيام بها ، ومعه مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم وسلم بن أحْوَز وسنان الأعرابيّ ، فقال نصر لنسائه: إنّ الحارث سيخلفني فيكنّ ويحميكنّ ، فلما قرب من نيسابور أرسلوا إليه: ما أقدمك ، وقد أظهرت من العصبية أمراً قد كان الله أطفأه؟ وكان عامل نصر على نَيْسابور ضرار بن عيسى العامريّ ، فأرسل إليه نصر بن سيار سناناً الأعرابيّ ومسلم بن عبد الرحمن وسلم بن أحْوَز ، فكلموهم فخرجوا ، فتلقوْا نصراً بالمواكب والجواري والهدايا ، فقال سلم: جعلني الله فداك! هذا الحيّ من قيس؛ فإنما كانت عاتبة ، فقال نصر:

أنـا ابْـنُ خِنْـدِفَ تنميـني قبـائِلُهَـا ... للصـالحـات وعمِّـي قيـسُ عَيْـلانـا

وأقام عند نصر حين خرج من مَرْو يونس بن عبد ربّه ومحمد بن قَطَن وخالد بن عبد الرحمن في نظرائهم.

قال: وتقدّم عبّاد بن عمر الأزديّ وعبد الحكيم بن سعيد العَوْذيّ وأبو جعفر عيسى بن جرز على نَصْر من مكة بأبرشهر ، فقال نصر لعبد الحكيم: أما ترى ما صنع سفهاء قومك؟ فقال عبد الحكيم: بل سفهاء قومك؛ طالت ولايتها في ولايتك ، وصيّرت الولاية لقومك دون ربيعة واليمن فبطروا ، وفي ربيعة واليمن حلماء وسُفهاء فغلب السفهاء الحكماء ، فقال عبّاد: أتستقبل الأمير بهذا الكلام! قال: دَعْه فقد صدق ، فقال أبو جعفر عيسى بن جرز - وهو من أهل قرية على نهر مَرْو: أيها الأمير ، حسبك من هذه الأمور والولاية ، فإنه قد أظلّ أمرٌ عظيم ، سيقوم رجل مجهول النسب يُظهر السواد ، ويدعو إلى دوْلة تكون ، فيغلب على الأمر وأنتم تنظرون وتضطربون ، فقال نصر: ما أشبه أن يكون لقلة الوفاء ، واستجراح الناس ، وسوء ذات البين ، وجّهتُ إلى الحارث وهو بأرض الترك ،

فعرضتُ عليه الولاية والأموال فأبى وشغب، وظاهر عليّ، فقال أبو جعفر عيسى: إن الحارث مقتول مصلوب، وما الكرمانيّ من ذلك ببعيد، فوصله نصر، قال: وكان سَلْم بن أحوز يقول: ما رأيت قوماً أكرم إجابةً، ولا أبذل لدمائهم من قيس.

قال: فلما خرج نصر من مَرْو غلب عليها الكرمانيّ، وقال للحارث: إنما أريد كتاب الله، فقال قحطبة: لو كان صادقاً لأمددتُه ألف عنان، فقال مقاتل بن حيّان: أفي كتاب الله هدمُ الدور وانتهاب الأموال! فحبسه الكرمانيّ في خَيمة في العسكر، فكلّمه معمّر بن مقاتل بن حيّان ـ أو معمر بن حيان ـ فخلاه، فأتى الكرمانيّ المسجدَ، ووقف الحارث، فخطب الكرمانيّ الناس، وآمنهم غير محمد بن الزبير ورجل آخر، فاستأمن لابن الزبير داود بن أبي داود بن يعقوب، ودخل الكاتب فآمنه؛ ومضى الحارث إلى باب دوران وسَرخس، وعَسْكر الكرمانيّ في مصلّى أسد، وبعث إلى الحارث فأتاه، فأنكر الحارث هَدْم الدُّور وانتهاب الأموال، فهمّ الكرمانيّ به، ثم كفّ عنه، فأقام أياماً، وخرج بشر بن جرموز الضبيّ بخَرقان، فدعا إلى الكتاب والسنّة، وقال للحارث: إنما قاتلت معك طلبَ العدل، فأمّا إذْ كنتَ مع الكرمانيّ، فقد علمتُ أنك إنما تقاتل ليقال: غلب الحارث! وهؤلاء يقاتلون عصبيّة، فلستُ مقاتلاً معك، واعتزل في خمسة آلاف وخمسمئة ـ ويقال في أربعة آلاف ـ وقال: نحن الفئة العادلة، ندعو إلى الحقّ ولا نقاتل إلاّ مَن يقاتلنا، وأتى الحارث مسجد عياض، فأرسل إلى الكرمانيّ يدعوه إلى أن يكون الأمر شورى، فأبى الكرمانيّ، وبعث الحارث ابنه محمداً فحمل ثقله من دار تميم بن نصر، فكتب نصر إلى عشيرته ومُضر؛ أن الزموا الحارث مناصحةً فأتوه؛ فقال الحارث: إنكم أصلُ العرب وفرعها، وأنتم قريب عهد بالهزيمة، فاخرجوا إليّ بالأثقال، فقالوا: لم نكن نرضى بشيء دون لقائه، وكان من مدبّري عسكر الكِرمانيّ مقاتل بن سليمان، فأتاه رجل من البُخاريّين، فقال: أعطني أجر المِنجنيق التي نصبتها، فقال: أقم البيّنة أنك نصبتَها من منفعة المسلمين، فشهد له شيبة بن شيخ الأزدي، فأمر مقاتل فصُكّ له إلى بيت المال، قال: فكتب أصحاب الحارث إلى الكِرْمانيّ: نوصيكم بتقوى الله وطاعته وإيثار أئمة الهدى وتحريم ما حرّم الله من دمائكم؛ فإن الله جعل

اجتماعَنا كان إلى الحارث ابتغَاء الوسيلة إلى الله ، ونصيحةً في عباده ، فعرّضنا أنفسنا للحرب ودماءنا للسفك وأموالنا للتلف ، فصغُر ذلك كله عندنا في جنْب ما نرجو من ثواب الله؛ ونحن وأنتم إخوان في الدين وأنصار على العدوّ ، فاتقوا الله وراجعوا الحقّ ، فإنا لا نريد سفك الدماء بغير حلها.

فأقاموا أياماً ، فأتى الحارث بن سُريج الحائط فثلَم فيه ثلمة ناحية نوبان عند دار هشام بن أبي الهيثم ، فتفرّق عن الحارث أهلُ البصائر ، وقالوا: غدرت ، فأقام القاسم الشيبانيّ وربيع التيميّ في جماعة ، ودخل الكرمانيّ من باب سرخس ، فحاذى الحارث ، ومرّ المنخّل بن عمرو الأزديّ فقتله السَّميدع؛ أحد بني العَدوِيّة ، ونادى: يا لثارات لَقِيط! واقتتلوا وجعل الكرمانيّ على ميمنته داود بن شعيب وإخوته: خالداً ومزيَداً والمهلب ، وعلى ميسرته سورة بن محمد بن عزيز الكِنديّ ، في كندة وربيعة ، فاشتدّ الأمر بينهم ، فانهزم أصحابُ الحارث ، وقُتلوا ما بين الثلمة وعسكر الحارث ، والحارث على بَغْل فنزل عنه ، وركب فرساً فضربه ، فجرى وانهزم أصحابُه ، فبقي في أصحابه ، فقتِل عند شجرة ، وقُتل أخوه سوادة وبشر بن جُرْموز وقَطن بن المغيرة بن عجرد ، وكَفّ الكرمانيّ وقُتل مع الحارث مئة ، وقُتل من أصحاب الكِرمانيّ مئة ، وصُلب الحارث عند مدينة مَرْو بغير رأس.

وكان قُتل بعد خروج نصر من مَرو بثلاثين يوماً ، قُتل يومَ الأحد لستّ بقين من رَجب ، وكان يقال: إن الحارث يُقتل تحت زيتونة أو شجرة غُبَيْراءَ.

فقتل كذلك سنة ثمان وعشرين ومئة ، وأصاب الكِرمانيّ صفائح ذهب للحارث فأخذها وحبس أمّ ولده ثم خلّى عنها ، وكانت عند حاجب بن عمرو بن سلمة بن سكن بن جون بن دبيب ، قال: وأخذ أموال مَنْ خرج مع نصر ، واصطفى متاع عاصم بن عمير ، فقال إبراهيم: بِمَ تستحل ماله؟ فقال صالح من آل الوضاح: اسقِني دمه ، فحال بينه وبينه مقاتل بن سليمان ، فأتى به منزله. [٧/ ٣٣٠ ـ ٣٤١].

وقالت أم كثير الضبيّة:

لا بـارَكَ اللهُ فـي أُنثـى وعـذَّبَهـا ... تـزَوَّجـتْ مضَـريّـاً آخِـرَ الـدهـرِ
أبْلـغْ رجـالَ تميـمٍ قَـولَ مُـوجَعَـةٍ ... أحلَلْتُمُـوهـا بـدار الـذلِّ والفقـر

إنْ أنتمُ لَمْ تكرُّوا بَعْدَ جَوْلتِكُمْ ... حتَّى تُعِيدُوا رِجالَ الأَزْدِ في الظَّهْر
إنِّي استَحَيْتُ لَكُمْ من بَذْلِ طاعَتِكُمُ ... هـذا المَزُونـيَّ يَجْبيكُـم على قَهْـر

وقال عبّاد بن الحارث:

ألا يـا نَصْـرُ قَـدْ بَـرِحَ الخَفـاءُ ... وقـد طـالَ التَّمنِّـي والـرِّجـاءُ
وأصْبَحَـتِ المَـزُونُ بـأرْضِ مَـروٍ ... تُقَضِّـي فـي الحكـومَـةِ مـا تَشـاءُ
يَجُـوزُ قضـاؤهـا فـي كُـلِّ حُكْـم ... علـى مُضَـرٍ وإنْ جـارَ القضـاءُ
وَحِمْيَـرُ فـي مَجـالسِهـا قُعُـودٌ ... تـرَقْـرَقُ فـي رَقـابِهِـمُ الـدِّمـاءُ
فـإنْ مُضَـرٌ بـذا رَضِيَـتْ وَذلَّـتْ ... فطـالَ لهـا المَـذَلَّـةُ والشَّقَـاءُ
وإنْ هِـيَ أعتَبَـتْ فيهـا وإلا ... فحَـلَّ علـى عسـاكِـرِهـا العفـاءُ

وقال:

ألا يـا أيهـا المـرءُ الْـ ... لَـذي قـد شَفَّـهُ الطَّـرَبُ
أَفِـقْ وَدَع الـذي قَـد كنْـ ... ـت تطلبُـهُ ونَطَّلِـبُ
فقـد حَـدَثَـتْ بحَضْـرَتنـا ... أمُـورٌ شـأنُهـا عجـبُ
الأزْدُ رأيتُهـا عَـزَّتْ ... بمَـرْوَ وَذلّـتِ العَـرَبُ
فجَـازَ الصُّفـرُ لمـا كـا ... ن ذاكَ وبُهْـرِجَ الـذهَـبُ

وقال أبو بكر بن إبراهيم لعليّ وعثمان ابني الكرمانيّ:

إنـي لمُـرْتَحِـلٌ أُريـدُ بِمـدْحَتِـي ... أخـوَيْـن فَـوْقَ ذُرَى الأَنـامِ ذراهُمـا
سبقـا الجيـادَ فَلَـمْ يـزالا نُجْعَـةً ... لا يَعْـدَمُ الضَّيْـفُ الغريـبُ قِراهُمـا
يسْتَعْلِيَـانِ ويَجْـريـانِ إلـى العُـلا ... ويَعِيـشُ فـي كَنَفَيْهِمَـا حَيَّـاهُمـا
أعْنِـي عَلِيّـاً إنَّـهُ وَوَزيـرَهُ ... عُثمـانَ ليـسَ يَـذِلُّ مَـنْ والاهُمـا
جَـرَيَـا لكَيْمَـا يَلحقَـا بـأبيهِمَـا ... جَـرْيَ الجيـادِ مـن البعيـدِ مَـداهُمـا
فلئـنْ هُمـا لَحِقـا بـه لمُنَصَّـبٍ ... يَسْتَعلِيـانِ ويَلحقَـانِ أبَـاهُمـا
ولَئِـنْ أَبَـرَّ عليهمَـا فَلَطَـالمـا ... جَـرَيـا فَبـذَّهُمـا وبَـذَّ سِـواهُمـا
فـلأَمْـدَحَنَّهُمَـا بمـا قـدْ عـايَنَـت ... عينـي وإنْ لَـمْ أُحْـصِ كـلَّ نَـداهُمـا
فَهُمـا التَّقيَّـانِ المُشـارُ إليْهمـا ... الحَـامِـلانِ الكـامِـلان كِـلاهُمـا
وهُمـا أزالا عـن عـريكَـةِ ملكِـهِ ... نصْـراً ولاقـى الـذلَّ إذْ عـاداهُمـا
نَفَيـا ابـنَ أقطَـعَ بعدَ قتـل حُمـاتِـهِ ... وتَقَسَّمَـتْ أسـلابَـهُ خَيـلاهُمـا

والحارث بن سُرَيج إذ قَصَدُوا لَهُ حتى تعاورَ رأسَهُ سَيفاهُمَا
أخذا بِعَفْو أبيهما في قدرِهِ إذ عزَّ قَوْمهُما ومن والاهما

* * *

وفي هذه السنة وجّه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان ، وكتب إلى أصحابه : إني قد أمرته بأمري ، فاسمعوا منه واقبلوا قوله ؛ فإني قد أمّرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك ؛ فأتاهم فلم يقبلوا قوله ، وخرجوا من قابل ، فالتقوْا بمكة عند إبراهيم ، فأعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره ، فقال إبراهيم : إني قد عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوْه عليّ ، وذلك أنه كان عَرض ذلك قبلَ أن يوجّه أبا مسلم على سليمان بن كثير ، فقال : لا أَلِي اثنين أبداً ، ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى ، فأعلمهم أنه أجمع رأيه على أبي مسلم ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، ثم قال : يا عبد الرحمن ، إنك رجلٌ منّا أهل البيت ؛ فاحتفظ وصيَّتي ، وانظر هذا الحيّ من اليمن فأكرمْهم وحُلّ بين أظهرهم ؛ فإن الله لا يُتمّ هذا الأمر إلا بهم ؛ وانظر هذا الحيّ من ربيعة فاتَّهِمْهم في أمرهم ، وانظر هذا الحيّ من مضر ؛ فإنهم العدوّ القريب الدار ، فاقتل مَنْ شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومَنْ وقع في نفسك منه شيء ؛ وإن استطعت ألاّ تدع بخراسان لساناً عربيّاً فافعل ، فأيّما غلام بلغ خمسة أشبار تتّهمه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ ـ يعني سليمان بن كثير ـ ولا تعصِه ، وإذا أشكل عليك أمر فاكتفِ به مني(١). [٧/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤].

وقال الواقدي : وافتتح مروان حمص وهدم سورها ، وأخذ نُعيم بن ثابت الجُزاميّ فقتله في شوال سنة ثمان ، وقد ذكرنا من خالفه في ذلك قبل. [٧/ ٣٤٨].

وقد حدثني محمد بن حسن : أن أبا حمزة مر بمعدن بن سليم وكثير بن

---

(١) ذكر الطبري هذا الخبر بلا إسناد ، وبين مولد الطبري وهذه السنة (١٢٨) ما يقرب من قرن من الزمان فكيف لنا أن نتأكد من صحة هذا الخبر. بل هو خبر باطل ، والإمام إبراهيم الهاشمي لم يدعُ إلى قتل العرب ، وكيف وهو عربي قرشي ويدعو إلى الرضا عن آل محمد؟ ألا إنه خبر باطل لا أصل له والحمد لله على نعمة الإسناد.

عبد الله عامل على المعدن ، فسمع بعض كلامه ، فأمره به فجلد سبعين سوطاً ، ثم مضى إلى مكة ، فلما قدم أبو حمزة المدينة ، حين افتتحها تغيّب كثير حتى كان من أمرهم ما كان[١] . [٧/ ٣٤٨] .

* ذكر الخبر عن ذلك وكيف كان الأمر فيه :

قال عليّ بن محمد عن شيوخه : لم يزل أبو مسلم يختلف إلى خُراسان ، حتى وقَعت العصبيّة بها ؛ فلما اضطرب الحبل ، كتب سليمان بن كثير إلى أبي سَلَمة الخلّال يسأله أن يكتب إلى إبراهيم ، يسأله أن يوجّه رجلاً من أهل بيته ، فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم ، فبعث أبا مسلم ، فلما كان في سنة تسع وعشرين ومئة ، كتب إبراهيم إلى أبي مسلم يأمره بالقدوم عليه ليسأله عن أخبار الناس ، فخرج في النصف من جمادى الآخرة مع سبعين نفساً من النقباء ، فلما صار بالدَّنْدانقان من أرض خُراسان عرض له كامل ـ أو أبو كامل ـ قال : أين تريدون؟ قالوا : الحجّ ، ثم خلا به أبو مسلم ، فدعاه فأجابهم ، وكفّ عنهم ، ومضى أبو مسلم إلى بيوَرْد ، فأقام بها أياماً ، ثم سار إلى نَسا ؛ وكانَ بها عاصم بن قيس السُّلميَ عاملاً لنصر بن سيار الليثيّ ؛ فلما قرب منها أرسل الفَضْل بن سليمان الطوسيّ إلى أَسِيد بن عبد الله الخُزاعيّ ليعلمه قدومه ، فمضى الفضل فدخل قريةً من قرى نَسا ، فلقي رجلاً من الشيعة يعرفه ، فسأله عن أسيد ، فانتهره ، فقال : يا عبد الله ، ما أنكرت من مسألتي عن منزل رجل؟ قال : إنه كان في هذه القرية شرّ ، سَعَى برجلين قدما إلى العامل ، وقيل : إنهما داعيان ، فأخذهما ، وأخذ الأحجم بن عبد الله وغَيْلان بن فضالة وغالب بن سعيد والمهاجر بن عثمان. فانصرف الفضل إلى أبي مسلم وأخبره ، فتنكَّب الطريق ، وأخذ في أسفل القُرى ، وأرسل طرخان الجمّال إلى أسيد ، فقال : ادعُه لي ومَن قدرتَ عليه من الشيعة ، وإياك أن تكلم أحداً لم تعرفه ، فأتى طرخان أسيداً فدعاه ، وأعلمه بمكان أبي مسلم ، فأتاه فسأله عن الأخبار ، قال : نعم ، قدم الأزهر بن شعيب وعبد الملك بن سعد بكتبٍ من الإمام إليك ، فخلّفا الكتبَ عندي وخرجا ، فأخِذَا فلا أدري مَنْ سعى بهما! فبعث بهما العامل إلى عاصم بن قيس ، فضرب

---

(١) الخبر في الأغاني (٢٠/ ٩٩).

المهاجرين عثمان وناساً من الشيعة، قال: فأين الكتب؟ قال: عندي، قال: فائتني بها [فأتاه بالكتب فقرأها].

قال: ثم سار حتى أتى قُومِس، وعليها بيهس بن بُديل العِجليّ، فأتاهم بَيْهس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: الحجّ، قال: أفمعكم فضل بِرْذون تبيعونه؟ قال أبو مسلم: أما بيعاً فلا؛ ولكن خذ أيّ دوابّنا شئت؛ قال: اعرضوها عليّ، فعرضوها، فأعجَبَه برْذون منها سَمَنْد، فقال أبو مسلم: هو لك، قال: لا أقبله إلاّ بثمن، قال: احتكم، قال: سبعمئة، قال: هو لك، وأتاه وهو بقومِس كتاب من الإمام إليه وكتاب إلى سليمان بن كثير؛ وكان في كتاب أبي مسلم: إني قد بعثت إليك براية النصر فارجع من حيث ألفاك كتابي، ووجّهْ إليّ قَحطبة بما معك يوافني به في الموسم، فانصرف أبو مسلم إلى خُراسان، ووجّه قحطبة إلى الإمام، فلما كانوا بنَسا عرض لهم صاحب مَسْلحة في قرية من قُرى نَسا، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: أردنا الحجّ، فبلغنا عن الطريق شيء خفناه، فأوصلهم إلى عاصم بن قيس السلَميّ، فسألهم فأخبروه، فقال: [ارتحلوا وأمر] المفضل بن الشرقي السلميّ - وكان على شُرطته - أن يزعجهم، فخلا به أبو مسلم وعرض عليه أمرهم، فأجابه، وقال: ارتحلوا على مَهل، ولا تعجلوا، وأقام عندهم حتى ارتحلوا.

فقدم أبو مسلم مرْو في أول يوم من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومئة، ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير، وكان فيه أن أظهرْ دعوَتك ولا تربّص، فقد آن ذلك، فنصبوا أبا مُسلم، وقالوا: رجل من أهل البيت، ودعْوا إلى طاعة بني العباس، وأرسلوا إلى مَنْ قرب منهم أو بعد ممن أجابهم، فأمروه بإظهار أمرهم والدعاء إليهم، ونزل أبو مُسلم قريةً من قرى خُزاعة يقال لها سفيذنج، وشيبان والكِرمانيّ يقاتلان نصر بن سيار، فبثّ أبو مسلم دعاتَه في الناس، وظهر أمره، وقال الناس: قدم رجل من بني هاشم، فأتوْه من كلّ وجه، فظهر يومَ الفطر في قرية خالد بن إبراهيم، فصلى بالناس يوم الفِطر القاسم بن مجاشع المَرائيّ، ثم ارتحل فنزل بالين - ويقال قرية اللين - لخزاعة، فوافاه في يوم واحد أهلُ ستين قرية، فأقام اثنين وأربعين يوماً؛ فكان أوّل فتح أبي مسلم من قبَل موسى بن كعب في بيوَرْد، وتشاغل بقتل عاصم بن قيس، ثم جاء فتح من قبل مَرْوالرّوذ.

قال أبو جعفر: وأما أبو الخطاب فإنه قال: كان مقدم أبي مسلم أرض مَرْو منصرفاً من قومِس، وقد أنفذ من قُومِس قحطبة بن شبيب بالأموال التي كانت معه والعروض إلى الإمام إبراهيم بن محمد، وانصرف إلى مَرْو، فقدمها في شعبان سنة تسع وعشرين ومئة لتسع خلوْن منه يوم الثلاثاء، فنزل قرية تدعى فنين على أبي الحكم عيسى بن أعين النّقيب، وهي قرية أبي داود النقيب، فوجّه منها أبا داود ومعه عمرو بن أعين إلى طخارستان فما دون بلْخ بإظهار الدّعوة في شهر رمضان من عامهم، ووجّه النّضر بن صبيح التميميّ ومعه شريك بن غضيّ التميميّ إلى مَرْوالرّوذ بإظهار الدّعوة في شهر رمضان، ووجّه أبا عاصم عبد الرحمن بن سليم إلى الطالقان، ووجه أبا الجهم بن عطيّة إلى العلاء بن حريث بخوارزم بإظهار الدّعوة في شهر رمضان لخمس بقين من الشهر، فإن أعجلهم عدوّهم دون الوقت، فعرض لهم بالأذى والمكروه فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، وأن يُظهِروا السيوف ويجرّدوها من أغمادها، ويجاهدوا أعداء الله ومَنْ شغلهم عدوّهم عَن الوقت فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت.

ثم تحوّل أبو مسلم عن منزل أبي الحكم عيسى بن أعين، فنزل على سليمان بن كثير الخُزاعيّ في قريته التي تدعى سَفيذنج من رُبع خرقان لليلتين خلتا من شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومئة؛ فلما كانت ليلة الخميس لخمس بقين من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومئة اعتقدوا اللواء الذي بعث به الإمام إليه الذي يُدعى الظلّ، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد الرّاية التي بعث بها الإمام التي تدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً، وهو يتلو: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، ولبس السوّاد هو وسليمان بن كثير وإخوة سليمان ومواليه ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيذنج، منهم غيلان بن عبد الله الخُزاعيّ ـ وكان صهر سليمان على أخته أم عمرو بنت كثير ـ ومنهم حُمَيد بن رزين وأخوه عثمان بن رُزين، فأوقدوا النيران ليلتهم أجمع للشيعة من سكان ربع خرقان ـ وكانت العلامة بين الشيعة ـ فتجمعوا له حين أصبحوا مُغِذّين، وتأويل هذين الاسمين: الظلّ والسحاب، أن السحاب يطبّق الأرض؛ وكذلكَ دعوة بني العباس، وتأويل الظلّ أن الأرض لا تخلو من الظلّ أبداً، وكذلك لا تخلو من خليفة عباسيّ أبد الدهر.

وقدم على أبي مسلم الدعاة من أهل مَرْو بمن أجاب الدعوة؛ وكان أوّل مَنْ قدم عليه أهل السقادم مع أبي الوضاح الهُرْمُزْفرّيّ عيسى بن شُبيل في تسعمئة رجل وأربعة فرسان، ومن أهل هُرْمُزفرّة سليمان بن حسان وأخوه يزدان بن حسان والهيثم بن يزيد بن كيسان، وبُويع مولى نصر بن معاوية وأبو خالد الحسن وجردي ومحمد بن علوان، وقدم أهل السقادم مع أبي القاسم محرز بن إبراهيم الجوبانيّ في ألف وثلثمئة راجل وستة عشر فارساً، ومنهم من الدّعاة أبو العباس المرّوزيّ وخذام بن عمّار وحمزة بن زُنيم، فجعل أهل السقادم يكبّرون من ناحيتهم وأهل السقادم مع محرز بن إبراهيم يُجيبونهم بالتكبير؛ فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا عسكر أبي مسلم بسفيذنج؛ وذلك يوم السبت من بعد ظهور أبي مسلم بيومين، وأمر أبو مسلم أن يُرَمّ حصن سفيذنج ويحصّن ويدرّب؛ فلما حضر العيد يوم الفطرْ بسفيذنج أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي به وبالشيعة، ونصب له منبراً في العسكر، وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة - وكانت بنو أميّة تبدأ بالخطبة والأذان، ثم الصلاة بالإقامة على صلاة يوم الجمعة فيخطبون على المنابر جلوساً في الجمعة والأعياد - وأمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يكبّر الركعة الأولى ستّ تكبيرات تِباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسابعة، ويكبر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسادسة، ويفتتح الخطبة بالتكبير ويختمها بالقرآن، وكانت بنو أمية تكبر في الرّكعة الأولى أربع تكبيرات يوم العيد وفي الثانية ثلاث تكبيرات[1] فلما قضى سليمان بن كثير الصلاة والخطبة انصرف أبو مُسلم والشيعة إلى طعام قد أعدّه لهم أبو مسلم الخراسانيّ، فطعموا مستبشرين، وكان أبو مسلم وهو في الخندق إذا كتب إلى نصر بن سيار يكتب: للأمير نصر؛ فلما قوي أبو مسلم بمن اجتمع إليه في خندقه من الشيعة بدأ بنفسه، فكتب: إلى نصر: أما بعد، فإن الله تبارك

---

(١) لم يرد في خبر صحيح ولا ضعيف أن بني أمية قد غيروا في عدد تكبيرات صلاة العيد، فهذا غير صحيح، والخبر هنا بلا إسناد. أما تقديم الخطبة، فقد حدث مرات قليلة دون أن يكون من الأمور المتكررة، والمعهودة. بل أنكرها الصحابة كأبي سعيد الخدري وابن عباس رضي الله عنهما ولو كانت مستمرة في عهد الأمويين لغيرها عمر بن عبد العزيز، أو من بعده هشام فهما ممن قمع البدعة وأحيا السنة والله أعلم.

أسماؤه وتعالى ذكره عيّر أقواماً في القرآن فقال: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٢ ـ ٤٣].

فتعاظم نصرٌ الكتاب وأنه بدأ بنفسه، وكسر له إحدى عينيه [وأطال الفكرة] وقال: هذا كتاب له جواب، فلما استقرّ بأبي مسلم معسكره بالماخُوَان أمر محرز بن إبراهيم أن يخندق خندقاً بجِيرَنْج، ويجتمع إليه أصحابه ومَنْ نزع إليه من الشيعة، فيقطع مادّة نصر بن سيار من مروالروذ وبلخ وكُور طخارستان.

ففعل ذلك محرز بن إبراهيم، واجتمع له في خندق نحو من ألف رجل، فأمر أبو مسلم أبا صالح كامل بن مظفر أن يوجه رجلاً إلى خندق محرز بن إبراهيم لعرض مَنْ فيه وإحصائهم في دفتر بأسمائهم وأسماء آبائهم وقراهم، فوجّه أبو صالح حُميداً الأزرق لذلك، وكان كاتباً، فأحصى في خندق محرز ثمانمئة رجل وأربعة رجال من أهل الكفّ؛ وكان فيهم من القوّاد المعروفين زياد بن سيّار الأزديّ من قرية تدعى أسبِوادق من ربع خرقان، وخِذام بن عمار الكنديّ من ربع السقادِم ومن قرية تدعى بالأوايق، وحنيفة بن قيس من ربع السقادم، ومن قرية تدعى الشنج، وعبدويه الجردامذ بن عبد الكريم من أهل هَراة، وكان يجلب الغنم إلى مَرْو، وحمزة بن زُنيم الباهليّ من ربع خرقان من قرية تدعى ميلاذ جرد، وأبوه هاشم خَليقة بن مهران من ربع السقادم من قرية تدعى جُوبان وأبو خَديجة جيلان بن السغديّ وأبو نُعيم موسى بن صبيح، فلم يزل محرز بن إبراهيم مقيماً في خندقه حتى دخل أبو مسلم حائط مَرْو، وعطل الخندق بماخُوَان وإلى أن عسكر بمارسَرْجَس يريد نيسابور؛ فضمّ إليه محرز بن إبراهيم أصحابه؛ وكان من الأحداث، وأبو مسلم بسَفيذَنْج، وكان نصر بن سيار وجّه مولى له يقال له يزيد في خيل عظيمة لمحاربة أبي مسلم بعد ثمانية عشر شهراً من ظهوره، فوجّه إليه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخُزاعيّ ومَعه مصعب بن قيس، فالتقوْا بقرية تدعى آلين، فدعاهم مالك إلى الرّضا من آل رسول الله ﷺ، فاستكبروا عن ذلك، فصافّهم مالك وهو في نحو من مئتين من أوّل النهار إلى وقت العصر.

وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الضّبيّ وإبراهيم بن يزيد وزياد بن

عيسى فوجّههم إلى مالك بن الهيثم ، فقدموا عليه مع العصر ، فقوى بهم أبو نصر ، فقال يزيد مولى نصر بن سيار لأصحابه : إن تركنا هؤلاء الليلة أتتْهم الأمداد ، فاحملوا على القوم ؛ ففعلوا ، وترجّل أبو نصر وحضّ أصحابه ، وقال : إني لأرجو أن يقطع الله من الكافرين طرفاً ، فاجتلدوا جلاداً صادقاً ، وصبر الفريقان ، فقتِل من شيعة بني مروان أربعة وثلاثون رجلاً ، وأسر منهم ثمانية نفر ، وحمل عبدُ الله الطائيّ على يزيد مولى نصر عميد القوم فأسره ، وانهزم أصحابه ، فوجّه أبو نصر عبدَ الله الطائيّ بأسيره في رجال من الشيعة ، ومعهم الأسرى والرؤوس ، وأقام أبو نصر في معسكره بسفيذنج ، وفي الوفد أبو حماد المروزيّ وأبو عمرو الأعجميّ ، فأمر أبو مسلم بالرؤوس فنُصبت على باب الحائط الذي في معسكره ، ودفع يزيد الأسلميَّ إلى أبي إسحاق خالد بن عثمان ، وأمره أن يعالج يزيد مولى نَصْر من جراحات كانت به ، ويحسن تعاهده ، وكتب إلى أبي نصر بالقُدوم عليه ، فلما اندمل يزيد مولى نصر من جِراحاته دعاه أبو مسلم ، فقال : إن شئت أن تقيم معنا وتدخل في دعوتنا فقد أرشدك الله ، وإن كرهت فارجع إلى مولاك سالماً ، وأعطنا عهد الله ألاّ تحاربنا وألاّ تكذب علينا ، وأن تقول فينا ما رأيت ؛ فاختار الرجوع إلى مولاه ، فخلى له الطريق ، وقال أبو مسلم : إنّ هذا سيردّ عنكم أهل الورع والصلاح ، فإنَّا عندهم على [غير] الإسلام .

وقدم يزيد على نصر بن سيار ؛ فقال : لا مرحباً بك ؛ والله ما ظننت استبقاك القوم إلاّ ليتخذوك حجة علينا ، فقال يزيد : فهو والله ما ظننتَ ، وقد استحلفوني ألاّ أكذب عليهم ، وأنا أقول : إنهم يصلّون الصلوات لمواقيتها بأذان وإقامة ، ويتلون الكتاب ، ويذكرون الله كثيراً ، ويدعون إلى ولاية رسول الله ﷺ ؛ وما أحسب أمرهم إلا سيعلو ؛ ولولا أنك مولاي أعتقتنِي من الرقّ ما رجعتُ إليك ، ولأقمت معهم . فهذه أول حرب كانت بين الشيعة وشيعة بني مروان . [٧/ ٣٥٣ـ ٣٥٩] .

* * *

قال أبو جعفر : وقال غير الذين ذكرنا قولهم في أمر أبي مسلم وإظهاره الدّعوة ومصيره إلى خُراسان وشخوصه عنها وعودِه إليها بعد الشخوص قولاً خلاف

قولهم؛ والذي قال في ذلك: إنّ إبراهيم الإمام زوّج أبا مسلم لما توجّه إلى خراسان ابنةَ أبي النجم، وساق عنه صداقها، وكتب بذلك إلى النقباء، وأمرهم بالسمع والطاعة لأبي مسلم، وكان أبو مسلم ـ فيما زعم ـ من أهل خُطَرْنِيَة، من سواد الكوفة، وكان قَهرماناً لإدريس بن معقل العِجْليّ، فآل أمره ومنتهى ولائه لمحمد بن عليّ، ثم لإبراهيم بن محمد، ثم للأئمة من أولاد محمد بن عليّ فقدم خُراسان وهو حديث السنّ، فلم يقبله سليمان بن كثير وتخوّف ألاّ يقوى على أمرهم، وخاف على نفسه وأصحابه، فردّوه ـ وأبو داود خالد بن إبراهيم غائب خَلْف نهر بَلْخ ـ فلما انصرف أبو داود، وقدم مَرْو أقرأه كتاب الإمام إبراهيم، فسأل عن الرجل الذي وجّهه، فأخبروه أنّ سليمان بن كثير ردّه، فأرسل إلى جميع النقباء، فاجتمعوا في منزل عمران بن إسماعيل، فقال لهم أبو داود: أتاكم كتاب الإمام فيمن وجّهه إليكم وأنا غائب فرددتموه، فما حجّتكم في ردّه؟ فقال سليمان بن كثير: لحداثة سنه، وتخوّفاً ألاّ يقدر على القيام بهذا الأمر؛ فأشفقنا على مَنْ دعونا إليه وعلى أنفسنا وعلى المجيبين لنا، فقال: هل فيكم أحد ينكر أن الله تبارك وتعالى اختار محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وانتخبه واصطفاه، وبعثه برسالته إلى جميع خلقه؟ فهل فيكم أحدٌ ينكر ذلك؟ قالوا: لا؛ قال: أفتشكون أنّ الله تعالى نزّل عليه كتابه فأتاه به جبريل الرّوح الأمين، أحلّ فيه حلاله، وحرّم فيه حرامه، وشرّع فيه شرائعه، وسنّ فيه سننه، وأنبأه فيه بما كان قبله، وما هو كائن بعده إلى يوم القيامة؟ قالوا: لا، قال: أفتشكون أن الله عزّ وجل قبضه إليه بعدما أدّى ما عليه من رسالة ربه؟ قالوا: لا، قال: أفتظنّون أن ذلك العلم الذي أنزل عليه رُفع معه أو خلّفه؟ قالوا: بل خلّفه، قال: أفتظنونه خلّفه عند غير عِتْرته، وأهل بيته، الأقرب فالأقرب؟ قالوا: لا، قال: فهل أحدٌ منكم إذا رأى من هذا الأمر إقبالاً، ورأى الناس له مجيبينَ بدا له أن يصرف ذلك إلى نفسه؟ قالوا: اللهم لا، وكيف يكون ذلك! قال: لستُ أقول لكم فعلتم؛ ولكن الشيطان ربما نَزَع النزعة فيما يكون وفيما لا يكون.

قال: فهل فيكم أحدٌ بدا له أن يصرف هذا الأمر عن أهل البيت إلى غيرهم من عِتْرة النبي ﷺ؟ قالوا: لا، قال: أفتشكُّون أنهم معدن العلم وأصحاب ميراث

رسول الله ﷺ؟ قالوا: لا ، قال: فأراكم شككتم في أمرهم ورددتم عليهم علمهم؛ ولو لم يعلموا أن هذا الرجل هو الذي ينبغي له أن يقوم بأمرهم ، لما بعثوه إليكم ، وهو لا يتهم في موالاتهم ونصرتهم والقيام بحقهم[1].

فبعثوا إلى أبي مسلم فردوه من قومس بقول أبي داود؛ وولّوْه أمرهم وسمعوا له وأطاعوا ، ولم تزل في نفس أبي مسلم على سليمان بن كثير ، ولم يزل يعرفها لأبي داود ، وسمعت الشيعة من النقباء وغيرهم لأبي مسلم ، وأطاعوه وتنازعوا ، وقبِلوا ما جاء به ، وبثّ الدعاة في أقطار خُراسان؛ فدخل الناس أفواجاً ، وكثروا ، وفشت الدّعاة بخراسان كلها ، وكتب إليه إبراهيم الإمام يأمره أن يوافيَه بالموسم في هذه السنة ـ وهي سنة تسع وعشرين ومئة ـ ، ليأمره بأمره في إظهار دعوته ، وأن يقدم معه بقَحْطبة بن شبيب ، ويحمل إليه ما اجتمع عنده من الأموال؛ وقد كان اجتمع عنده ثلثمئة ألف وستون ألف درهم ، فاشترى بعامّتها عَروضاً من متاع التجار؛ من القوهيّ والمرْويّ والحرير والفِرْند ، وصيّر بقيته سبائك ذهب وفضة وصيّرها في الأقبية المحشوّة ، واشترى البغال وخرج في النصف من جمادى الآخرة ، ومعه من النقباء قحطبة بن شبيب والقاسم بن مُجاشع وطلحة بن رزيق؛ ومن الشيعة واحد وأربعون رجلاً ، وتحمّل من قُرى خزاعة ، وحمل أثقاله على واحد وعشرين بَغْلاً ، وحمل على كلّ بغل رجلاً من الشيعة بسلاحه ، وأخذ المفازة وعدا عن مسلحة نصر بن سيار حتى انتهوا إلى أبيوَرْد.

فكتب أبو مسلم إلى عثمان بن نَهيك وأصحابه يأمرهم بالقدوم عليه ، وبينه وبينهم خمسة فراسخ ، فقدم عليه منهم خمسون رجلاً ، ثم ارتحلوا من أبيورَدٌ؛ حتى انتهوْا إلى قرية يقال لها قافس؛ من قرى نَسا ، فبعث الفضل بن سليمان إلى أندومان ـ قرية أسِيد ـ فلقي بها رجلاً من الشيعة ، فسأله عن أسيد ، فقال له الرّجل: وما سؤالك عنه! فقد كان اليوم شرّ طويل من العامل أخِذ ، فأخِذَ معه

---

(١) هذا خبر باطل لا سند له ، وفي متنه نكارة. وعلم الشرع لم يكن حكراً على العترة وآل البيت رضي الله عنهم. بل حفظه علماء الصحابة بلا استثناء ، وأدّوه إلى من بعدهم بكل أمانة ، وسامح الله الطبري كيف التقط هذه الأخبار المليئة بالنكارات ولم يعلق عليها ولو بكلمة؛ واكتفى بتبرئة ذمته في مقدمة تأريخه.

الأحجم بن عبد الله وغَيْلان بن فَضالة وغالب بن سعيد والمهاجر بن عثمان ، فحمِلوا إلى العامل عاصم بن قيس بن الحروريّ ، فحبسهم ، وارتحل أبو مسلم وأصحابه حتى انتهوْا إلى أندومان ، فأتاه أبو مالك والشيعة من أهل نسَا ؛ فأخبره أبو مالك أنّ الكتاب الذي كان مع رسول الإمام عنده ، فأمره أن يأتيَه به ، أتاه بالكتاب وبلواءٍ وراية ؛ فإذا في الكتاب إليه يأمره بالانصراف حيثما يلقاه كتابه ؛ وأن يظهر الدعوة ، فعقد اللواء الذي أتاه من الإمام على رمح ، وعقد الراية ، واجتمع إليه شيعة أهل نسا والدعاة والرؤوس ومعه أهل أبيوَرْد الذي قدموا معه .

وبلغ ذلك عاصمَ بن قيس الحروريّ ، فبعث إلى أبي مسلم يسأله عن حاله ، فأخبره أنه من الحاجّ الذين يريدون بيت الله ، ومعه عدّة من أصحابه من التجار ، وسأله أن يخلِّيَ سبيل من احتبس من أصحابه حتى يخرج من بلاده ، فسألوا أبا مسلم أن يكتب لهم شرْطاً على نفسه ؛ أن يصرف من معه من العبيد وما معه من الدوابّ والسلاح ، على أن يخلّوا سبيل أصحابه الذين قدموا من بلاد الإمام وغيرهم ، فأجابهم أبو مسلم إلى ذلك ، وخلى سبيل أصحابه ؛ فأمر أبو مسلم الشيعة من أصحابه أن ينصرفوا ، وقرأ عليهم كتاب الإمام ؛ وأمرهم بإظهار الدعوة ؛ فانصرف منهم طائفة وسار معه أبو مالك أسِيد بن عبد الله الخُزاعيّ وزُرَيق بن شَوْذب وَمَنْ قدم عليه من أبيَوَرْد ، وأمر مَن انصرف بالاستعداد ، ثم سار فيمن بقي من أصحابه ومعه قَحْطَبة بن شبيب ؛ حتى نزلوا تُخوَم جُرجان ؛ وبعث إلى خالد بن بَرْمك وأبي عون يأمرهما بالقدوم عليه بما قِبَلهما من مال الشّيعة ، فقدما عليه ؛ فأقام أياماً حتى اجتمعت القوافل . وجَهّز قحطبة بن شبيب ، ودفع إليه المال الذي كان معه ، والأحمال بما فيها ؛ ثم وجّهه إلى إبراهيم بن محمد ، وسار أبو مسلم بمَن معه حتى انتهى إلى نَسَا ، ثم ارتحل منها إلى أبيوَرْد حتى قدمَها ؛ ثم سار حتى أتى مَرْو متنكراً ، فنزل قرية تدعى فَنين من قرى خُزاعة لسبعِ ليال بقين من شهر رمضان ؛ وقد كان واعد أصحابه أن يوافُوه بمَرْو يوم الفِطْر .

ووجّه أبا داود وعمرو بن أعين إلى طَخَارستان ، والنضر بن صبيح إلى آمل وبخُارى ومعه شريك بن عيسى ، وموسى بن كعب إلى أبيوَرْد ونَسا ، وخازم بن خزيمة إلى مَرْورُوذ ، وقدموا عليه ، فصلّى بهم القاسم بن مجاشع التميميّ يوم

العيد؛ في مصلّى آل قَنْبر؛ في قرية أبي داود خالد بن إبراهيم. [٧/ ٣٦٠ـ ٣٦٣].

* * *

ذكر تعاقد أهل خراسان على قتال أبي مسلم

وفي هذه السنة تحالفت وتعاقدت عامة مَنْ كان بخراسان من قبائل العرب على قتال أبي مسلم؛ وذلك حين كثر تُباع أبي مسلم وقويَ أمره.

وفيها تحوّل أبو مسلم من معسكره بإسفِيذَنْج إلى الماخُوان.

* ذكر الخبر عن ذلك والسبب فيه:

قال عليّ: أخبرنا الصبَّاح مولى جبريل، عن مسلمة بن يحيى، قال: لما ظهر أبو مسلم، تسارع إليه الناس، وجعل أهل مَرْو يأتونه؛ لا يعرض لهم نصر ولا يمنعهم؛ وكان الكِرمانيّ وشَيْبان لا يكرهان أمر أبي مسلم؛ لأنه دعا إلى خلع مَرْوان بن محمد، وأبو مسلم في قرية يقال بها بالين في خباء ليس له حرس ولا حجاب، وعظم أمره عند الناس، وقالوا: ظهر رجل من بني هاشم، له حلْم ووقار وسكينة؛ فانطلق فتية من أهل مَرْو نساك كانوا يطلبون الفقه، فأتوا أبا مسلم في معسكره، فسألوه عن نسبه، فقال: خَبَرِي خير لكم من نسبي، وسألوه عن أشياء من الفقه، فقال: أمرُكُم بالمعروف ونهيُكم عن المنكر خير لكم من هذا؛ ونحن في شغل، ونحن إلى عونِكم أحوجُ منا إلى مسألتكم، فأعفونا، قالوا: والله ما نعرف لك نسباً، ولا نظنك تبقى إلا قليلاً حتى تقتل؛ وما بينك وبين ذلك إلا أن يتفرّغ أحد هذين؛ قال: أبو مسلم: بل أنا أقتلهما إن شاء الله.

فرجع الفتية فأتوا نصر بن سيار فحدّثوه، فقال: جزاكم الله خيراً، مثلكم تفقّد هذا وعرفه، وأتوا شيبان فأعلموه، فأرسل: إنا قد أشجى بعضنا بعضاً؛ فأرسل إليه نصر: إن شئت فكفّ عني حتى أقاتله، وإن شئت فجامعْني على حربه حتى أقتله أو أنفيَه؛ ثم نعود إلى أمرنا الذي نحن عليه، فهمّ شيبانُ أن يفعل، فظهر ذلك في العسكر، فأتت عيون أبي مسلم فأخبروه، فقال سليمان: ما هذا الأمر الذي بلغهم! تكلّمت عند أحد بشيء؟ فأخبره خبر الفتية الذين أتوْه؛ فقال: هذا لذاك إذاً، فكتبوا إلى عليّ بن الكرمانيّ: إنك موتور؛ قتل أبوك ونحن نعلم

أنك لست على رأي شيبان؛ وإنما تقاتل لثأرك؛ فامنع شيبان من صلح نصر؛ فدخل على شيبان، فكلمه فثناه عن رأيه، فأرسل نصر إلى شيبان: إنك لمغرور؛ وايم الله ليتفاقمنّ هذا الأمر حتى تستصغرَني في جنبه(١).

فبينا هم في أمرهم إذ بعث أبو مسلم النَّضر بن نُعَيم الضَّبي إلى هَراة وعليه عيسى بن عَقيل الليثيّ، فطرده عن هَرَاة، فقدم عيسى على نَصرٍ منهزماً، وغلب النَّضْر على هراة، قال: فقال يحيى بن نُعَيم بن هبيرة: اختاروا إما أن تهلكوا أنتم قبل مُضَر أو مضر قبلكم، قالوا: وكيف ذاك؟ قال: إنّ هذا الرجل إنما ظهر أمرُه منذ شهر، وقد صار في عسكره مثل عسكركم؛ قالوا: فما الرأي؟ قال: صالحوا نَصْراً، فإنكم إن صالحتموه قاتلوا نصْراً وتركوكم؛ لأنّ الأمر في مُضر، وإن لم تصالحوا نصراً صالحوه وقاتلوكم، ثم عادوا عليكم، قالوا: فما الرأي؟ قال: قدّموهم قبلكم ولو ساعة؛ فتقرّ أعينكم بقتلهم. فأرسل شيبان إلى نصر يدعوه إلى الموادعة فأجابه، فأرسل إلى سَلْم بن أحوز، فكتب بينهم كتاباً، فأتى شيبان، وعن يمينه ابن الكِرمانيّ، وعن يساره يحيى بن نُعيم، فقال سَلْم لابن الكِرمانيّ: يا أعْوَر، ما أخلقك أن تكون الأعور الذيُّ بلغنا أنَّه يكون هلاك مضر على يديه! ثم توادعوا سنة؛ وكتبوا بينهم كتاباً؛ فبلغ أبا مسلم، فأرسل إلى شيبان: إنا نُوادعك أشهراً، فتوادعنا ثلاثة أشهر؛ فقال ابنُ الكرمانيّ: فإني ما صالحت نصراً؛ وإنما صالحه شيبان؛ وأنا لذلك كاره، وأنا موتور، ولا أدَع قتاله، فعاوده القتال؛ وأبى شيبان أن يعينَه، وقال: لا يحلّ الغدر، فأرسل ابنُ الكرمانيّ إلى أبي مسلم يستنصرُه على نَصْر بن سيار، فأقبل أبو مسلم حتى أتى الماخُوان، وأرسل إلى ابنِ الكرمانيّ شبلَ بن طهمان: إني معك على نصر،

(١) قال ابن الأثير: «وقال شعراً يخاطب به ربيعة واليمن، ويحثهم على الإنفاق معه على حرب أبي مسلم:

أَبْلِغْ ربيعةَ في مَرْوٍ وفي يمنٍ ... أَنِ اغضبوا قبل أَلاَّ ينفعَ الغضبُ
ما بَالُكُمْ تَنْشَبُونَ الحربَ بينكُمْ ... كأَنَّ أَهْلَ الحِجَى عن رأيكُمْ غيُبُ
وتتركونَ عَدُوّاً قدْ أحاط بِكُمْ ... مِمَّنْ تَأَشَّبَ لا دينٌ ولا حَسَبُ
لا عرْب مثلكم في النّاس تَعْرِفُهُمْ ... ولا صريحٌ موالٍ إن هُمُ نُسِبوا
مَنْ كان يَسْأَلُني عن أَهْلِ دينهم ... فإنّ دينهُمُ أَنْ تَهْلِكَ العَرَبُ
قَوْمٌ يقولون قولاً ما سمعتُ بهِ ... عن النَّبيِّ ولا جاءَت به الكُتُبُ

فقال ابنُ الكِرمانيّ: إني أحبّ أن يلقاني أبو مسلم، فأبلغه ذلك شبل، فأقام أبو مسلم أربعة عشر يوماً، ثم سار إلى ابن الكرمانيّ، وخلف عسكره بالماخُوان، فتلقاه عثمان بن الكرمانيّ في خيل، وسار معه حتى دخل العسكر؛ وأتى لحجرة عليّ فوقف، فأذن له فدخل، فسلّم على عليّ بالإمرة، وقد اتخذ له عليٌّ منزلاً في قصر لمخلّد بن الحسن الأزديّ، فأقام يومين، ثم انصرف إلى عسكره بالماخُوان؛ وذلك لخمس خلوْن من المحرّم من سنة ثلاثين ومئة.

وأما أبو الخطاب، فإنه قال: لما كثرت الشيعة في عسكر أبي مسلم، ضاقت به سَفيذنج، فارتاد معسكراً فسيحاً، فأصاب حاجته بالماخُوان؛ ـ وهي قرية العلاء بن حُريث وأبي إسحاق خالد بن عثمان، وفيها أبو الجهم بن عطية وإخوته، وكان مقامه بسفيذنج اثنين وأربعين يوماً، وارتحل من سفيذنج إلى الماخُوان، فنزل منزل أبي إسحاق خالد بن عثمان يوم الأربعاء، لتسعِ ليال خلْون من ذي القعدة من سنة تسع وعشرين ومئة، فاحتفر بها خندقاً، وجعل للخندق بابين، فعسكر فيه والشيعة، ووكّل بأحد بابي الخندق مُصعب بن قيس الحنفيّ وبهدل بن إياس الضبّيّ، ووكّل بالباب الآخر أبا شراحيل وأبا عمرو الأعجمي، واستعمل على الشُّرَط أبا نصر مالك بن الهيثم، وعلى الحرس أبا إسحاق خالد بن عثمان، وعلى ديوان الجند كامل بن مظفر أبا صالح، وعلى الرسائل أسلم بن صُبيح؛ والقاسم بن مجاشع النقيب التميميّ على القضاء، وضمّ أبا الوضاح وعدّة من أهل السقادم إلى مالك بن الهيثم، وجعل أهل نَوْشان ـ هم ثلاثة وثمانون رجلاً ـ إلى أبي إسحاق في الحرس.

وكان القاسم بن مجاشع يصلي بأبي مسلم الصّلَوات في الخندق، ويقصّ القصص بعد العصر، فيذكر فَضْل بني هاشم ومعايب بني أميّة، فنزل أبو مسلم خندق الماخُوان، وهو كرجل من الشيعة في هيئته؛ حتى أتاه عبد الله بن بسْطام؛ فأتاه بالأرْوقة والفسَاطيط والمطابخ والمعالف للدوابّ وحياض الأدم للماء؛ فأوّل عامل استعمل أبو مسلم على شيء من العمل داود بن كرّاز؛ فردّ أبو مسلم العبيد عن أن يضاموا في خندقه، واحتفر لهم خندقاً في قرية شوّال، وولى الخندق داود بن كرّاز، فلما اجتمعت للعبيد جماعة، وجّههم إلى موسى بن كعب بأبيوَرْد، وأمر أبو مسلم كامل بن مظفر أن يعرض أهل الخندق بأسمائهم

وأسماء آبائهم فينسبهم إلى القوي ، ويجعل ذلك في دفتر ففعل ذلك كامل أبو صالح ، فبلغت عدّتهم سبعة آلاف رجل ، فأعطاهم ثلاثة دراهم لكلّ رجل ، ثم أعطاهم أربعة أربعة على يدي أبي صالح كامل.

ثم إنّ أهل القبائل من مُضر وربيعة وقحطان توادعوا على وضع الحرب ، وعلى أن تجتمع كلمتهم على محاربة أبي مسلم ، فإذا نفوه عن مرْو نظروا في أمر أنفسهم وعلى ما يجتمعون عليه ، فكتبوا على أنفسهم بذلك كتاباً وثيقاً.

وبلغ أبا مسلم الخبر ، فأفظعه ذلك وأعظمه ، فنظر أبو مسلم في أمره ، فإذا ماخوان سافلة الماء؛ فتخوّف أن يقطع عنه نصر بن سيار الماء ، فتحوّل إلى آلين - قرية أبي منصور طلحة بن رزيق النقيب - وذلك بعد مقامه أربعة أشهر بخندق الماخُوان ، فنزل آلين في ذي الحجة من سنة تسع وعشرين ومئة ، يوم الخميس لستّ خلون من ذي الحجة ، فخندق بآلين خندقاً أمام القرية ، فيما بينها وبين بلاش جَرِدْ ، فصارت القرية من خلف الخندق ، وجعل وجه دار المحتفز بن عثمان بن بشر المزنيّ في الخندق ، وشرب أهل آلين من نهر يدعى الخرقان ، لا يمكّن نصر بن سيار قطع الشرب عن آلين ، وحضر العيدُ يوم النحر ، وأمر القاسم بن مجاشع التميميّ فصلى بأبي مسلم والشيعة في مصلى آلين ، وعسكر نصر بن سيّار على نهر عياض ، ووضع عاصم بن عمرو ببلاش جَرْد ، ووضع أبا الذّيال بطوسان ، ووضع بشر بن أنيف اليربوعيّ بجلفر ، ووضع حاتم بن الحارث بن سريج بخرقَ؛ وهو يلتمس مواقعة أبي مسلم ، فأمّا أبو الذيال فأنزل جنده على أهلها مع أبي مسلم في الخندق ، فآذوا أهل طوسان وعسفوهُم وذبحوا الدجاج والبقر والحمام ، وكلفوهم الطعام والعلَف ، فشكت الشيعة ذلك إلى أبي مسلم ، فوجّه معهم خيلاً ، فلقوا أبا الذيّال فهزموه ، وأسروا من أصحابه ميموناً الأعسر الخوارزميَّ في نحو من ثلاثين رجلاً ، فكساهم أبو مسلم ، وداوى جراحاتهم وخلّى لهم الطريق. [٧/ ٣٦٣ - ٣٦٧].

* * *

* ذكر الخبر عن مقتله :

قد مضى قبلُ ذكرُنا مقتلَ الحارث بن سُريج ، وأنّ الكرمانيّ هو الذي قتله ، ولما قتل الكِرمانيّ الحارث ، خلَصت له مَرْو بقتله إياه ، وتنحّى نصر بن سيّار

عنها إلى أبرشهر ، وقوي أمرُ الكِرمانيّ ، فوجَّه نصر إليه ـ فيما قيل ـ سَلْم بن أحوز ، فسار في رابطة نصر وفرسانه؛ حتى لقي أصحاب الكِرمانيّ ، فوجد يحيى بن نُعَيم أبا الميلاء واقفاً في ألف رجل من ربيعة ، ومحمد بن المثنّى في سبعمئة من فرسان الأزْد ، وابن الحسن بن الشيخ الأزديّ في ألف من فِتيانهم ، والحزميّ السغْديّ في ألف رجل من أبناء اليمن ، فلما تواقفوا قال سلم بن أحوز لمحمد بن المثنَّى: يا محمّد بن المثنى ، مُرْ هذا الملاّح بالخروج إلينا ، فقال محمد لسلم: يا بن الفاعلة؛ لأبي عليّ تقول هذا! ودلف القوم بعضهم إلى بعض ، فاجتلدوا بالسيوف ، فانهزم سلْم بن أحوز ، وقتِل من أصحابه زيادة على مئة ، وقتِل من أصحاب محمد زيادة على عشرين ، وقدم أصحاب نصر عليه فلولاً ، فقال له عَقِيل بن معقل: يا نصر شأمْتَ العرب؛ فأما إذ صنعت ما صنعتَ فجُدّ وشمر عن ساق ، فوجَّه عصمة بن عبد الله الأسديّ فوقف موقف سَلْم بن أحوز ، فنادى: يا محمد ، لتعلمنّ أن السمك لا يغلب اللُّخْم؛ قال له محمد: يا بن الفاعلة ، قف لنا إذاً ، وأمر محمد السغديّ فخرج إليه في أهل اليمن ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم عِصْمة حتى أتى نصر بن سيار ، وقد قتل من أصحابه أربعمئة.

ثم أرسل نصر بن سيّار مالك بن عمرو التميميّ فأقبل في أصحابه ، ثم نادى: يا بن المثنى ، ابرز لي إن كنت رجلاً! فبرز له ، فضربه التميمي على حبل العاتِق فلم يصنع شيئاً؛ وضربه محمد بن المثنّى بعمود فشدخَ رأسه؛ فالتحم القتال؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً كأعظم ما يكون من القتال ، فانهزم أصحاب نصر ، وقد قتل منهم سبعمئة رجل ، وقتِل من أصحاب الكِرمانيّ ثلثمئة رجل؛ ولم يزل الشرّ بينهم حتى خرجوا جميعاً إلى الخندقين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فلما استيقن أبو مسلم أنّ كلا الفريقين قد أثخن صاحبه؛ وأنه لا مدد لهم ، جعل يكتب الكتب إلى شَيْبان ، ثم يقول للرسول: اجعل طريقك على المضريّة ، فإنهم سيعرضون لك ، ويأخذون كتبَك ، فكانوا يأخذونها فيقرؤون فيها: إني رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم ، فلا تثقنّ بهم ولا تطمئنّ إليهم؛ فإني أرجو أن يريَكَ الله ما تحبّ ، ولئن بقيت لا أدَع لهم شَعراً ولا ظفرُاً. ويرسل رسولاً آخر في طريق آخر بكتاب فيه ذكر المضرّية وإطراء اليمن بمثل ذلك؛ حتى صار هوى

الفريقين جميعاً معه؛ وجعل يكتب إلى نصر بن سيّار وإلى الكرمانيّ: إنّ الإمام قد أوصاني بكم، ولستُ أعدو رأيه فيكم، وكتب إلى الكُور بإظهار الأمر؛ فكان أول من سَوّد ـ فيما ذكر ـ أسيد بن عبد الله بنسا، ونادى: يا محمد، يا منصور، وسوّد معه مقاتل بن حكيم وابن غزوان، وسوّد أهل أبيَورد وأهل مَرْو الرّوذ، وقرى مَرْو.

وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق نصر بن سيار وخندق جُديع الكرمانيّ، وهابه الفريقان، وكثر أصحابه، فكتب نصر بن سيار إلى مَرْوان بن محمد يعلمه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة مَن معه ومَن تبعه، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد، وكتب بأبيات شعر:

أَرَى بَيْنَ الرَّمادِ وَميضَ جَمْرٍ ... فأَحِجِ بأَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرامُ
فإنَّ النارَ بالعودَيْنِ تُذْكَى ... وإنَّ الحَرْبَ مَبْدؤها الكَلامُ
فقُلت من التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْري ... أأَيقاظٌ أميَّةُ أَمْ نِيامُ!

فكتب إليه: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فاحسم الثؤلول قِبَلك، فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم ألاّ نصر عنده، فكتب إلى يزيد بن عمر بن هُبيرة يشهّده، وكتب إليه بأبيات شعر:

أبلغ يزيدَ وخيْرُ القول أصدقه ... وقد تبيَّنْتُ ألاّ خَيْرَ في الكذب
أنَّ خُراسانَ أَرْضٌ قد رأَيْتُ بها ... بيْضاً لو أفْرَخَ قد حُدثْتَ بالعَجَب
فِراخُ عامَيْنِ إلا أنَّها كبِرَتْ ... لمّا يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغَبِ
فإنْ يَطِرنَ ولَمْ يُحْتَلْ لَهُنَّ بِها ... يُلْهِبْنَ نيرانَ حرْب أيّما لَهَب

فقال يزيد: لا غلبة إلا بكثرة؛ وليس عندي رجل. وكتب نصر إلى مَرْوان يخبره خبر أبي مسلم وظهورَه وقوّته؛ وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد، فألفى الكتاب مَرْوان وقد أتاه رسول لأبي مسلم إلى إبراهيم؛ كان قد عاد من عند إبراهيم، ومعه كتاب إبراهيم إلى أبي مسلم جواب كتابه، يلعن فيه أبا مسلم ويسبّه؛ حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرمانيّ؛ إذ أمكناه، ويأمره ألاّ يدع بخُراسان عربياً إلا قتله. فدفع الرسول الكتاب إلى مَرْوان، فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق، يأمره أن يكتب إلى عامل البَلْقاء، فيسير إلى كرار الحُميمة، فليأخذ إبراهيم بن محمد ويشدّه وثاقاً،

وليبعث به إليه في خيل؛ فوجه الوليد إلى عامل البَلْقاء فأتى إبراهيم وهو في مسجد القرية ، فأخذه وكتفه وحمله إلى الوليد ، فحمله إلى مَرْوان فحبسه مروان في السجن(١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث نصر والكرمانيّ ، وبعث أبو مسلم حين عظم الأمر بين الكرمانيّ ونصر إلى الكرمانيّ: إني معك ، فقبِل ذلك الكِرمانيّ وانضمّ إليه أبو مسلم ، فاشتدّ ذلك على نَصْر ، فأرسل إلى الكِرمانيّ: ويلك لا تغترر! فوالله إني لخائف عليك وعلى أصحابك منه؛ ولكن هلمّ إلى الموادعة ، فتدخل مَرْو ، فنكتب بيننا كتاباً بصلح ـ وهو يريد أن يفرّق بينه وبين أبي مسلم ـ فدخل الكِرمانيّ منزله ، وأقام أبو مسلم في المعسكر ، وخرج الكِرمانيّ حتى وقف في الرَّحبَة في مئة فارس ، وعليه قرطق خشكشونة ، ثم أرسل إلى نصر: اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب ، فأبصر نصر منه غِرّة ، فوجه إليه ابن الحارث بن سريج في نحو من ثلثمئة فارس ، فالتقوا في الرَّحبَة ، فاقتتلوا بها طويلاً .

ثم إنّ الكرمانيّ طُعِن في خاصرته فخرّ عن دابّته ، وحماه أصحابُه حتى جاءهم ما لا قِبل لهم به ، فقتل نصر الكِرمانيَّ وصلبَه ، ومعه سمكة ، فأقبل ابنه عليّ ـ وقد كان صار إلى أبي مسلم ، وقد جمع جمعاً كثيراً ـ فسار بهم إلى نصر بن سيار فقاتله حتى أخرجه من دار الإمارة ، فمال إلى بعض دور مَرْو ، وأقبل أبو مسلم حتى دخل مَرْو ، فأتاه عليّ بن جُديع الكرمانيّ فسلَّم عليه بالإمْرة ، وأعلمه أنه معه على مساعدته ، وقال: مُرْني بأمرك ، فقال: أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمري . [٧/ ٣٦٨ ـ ٣٧١] .

* ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذي وصل به إلى الغَلَبة عليها:

ذكر عليّ بن محمد: أنّ عاصم بن حفص التميميّ وغيره حدّثوه أنّ عبد الله بن

---

(١) هذا خبر منكر . ذكره الطبري بلا إسناد وكيف يأمر الإمام إبراهيم أبا مسلم بقتل كل عربي لقيه بخراسان ، ونقباء الدعوة العباسية عرب أقحاح ، ومعظم جيوشهم من أهل الشام وغيرهم من العرب ، وإذا كان ذلك كذلك فلمَ لم يقتل أبو مسلم عرب أهل الشام في نهاوند ، بعد أن انتصر عليهم ، وكيف تثبت تهمة خطيرة كهذه بلا إسناد ؟ وهل من المعقول أن يقول ذلك في ظرفٍ هو في أمس الحاجة إلى استمالة قلوب الناس ؟ وانظر تعليقنا على الخبر [٧/ ٣٤٤] .

معاوية لما هُزم بالكوفة ، شخص إلى المدائن ، فبايعه أهلُ المدائن ، فأتاه قومٌ من أهل الكُوفة ، فخرج إلى الجبال فغلب عليها ، وعلى حُلوان وقُومِس وأصبهان والريّ ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة ، فلمّا غلب على ذلك أقام بأصبهان؛ وقد كان محارب بن موسى مولى بني يَشْكر عظيم القدر بفارس ، فجاء يمشي في نعلين إلى دار الإمارة بإصطخر ، فطرد العامل؛ عامل ابن عمر عنها ، وقال لرجل يقال له عمارة: بايع الناس ، فقال له أهل إصطخر: علامَ نبايع؟ قال: على ما أحببتم وكرهتم ، فبايعوه لابن معاوية ، وخرج محارب إلى كرمان فأغار عليهم ، وأصاب في غارته إبلاً لثعلبة بن حسان المازنيّ فاستاقها ، ورجع.

فخرج ثعلبة يطلب إبِله في قرية له تدعى أشهر ـ قال: ومع ثعلبة مولىً له ـ فقال له مولاه: هل لك أن نفتك بمحارب؛ فإن شئت ضربتَه وكفيتني الناس؛ وإن شئت ضربتُه وكفيتُك الناس؟ قال: ويحك! أردتَ أن تفتك [وتذهب الإبل ولم نلق] الرجل! ثم دخل على محارب فرحّب به ، ثم قال: حاجتك! قال: إبلي ، [قال: نعم لقد أخذت] ، وما أعرفها ، وقد عرفتها ، فدونك إبلك ! فأخذها ، وقال لمولاه: [هذا خير ، وما أردت؟].

قال: ذلك لو أخذناها كان أشفى ، وانضمّ إلى محارب القواد والأمراء من أهل الشام: فسار إلى مسلم بن المسيّب وهو بشيراز عامل لابن عمر ، فقتله في سنة ثمان وعشرين ومئة ، ثم خرج محارب إلى أصبهان ، فحوّل عبد الله بن معاوية إلى إصطخر؛ واستعمل أخاه عبد الله أخاه الحسن على الجبال ، فأقبل فنزل في دير على ميل من إصطخر ، واستعمل أخاه يزيد على فارس فأقام ، فأتاه الناس ، بنو هاشم وغيرهم؛ وجبَى المال ، وبعث العمال؛ وكان معه منصور بن جُمهور وسليمان بن هشام بن عبد الملك وشيبان بن الحِلْس بن عبد العزيز الشيبانيّ الخارجيّ ، وأتاه أبو جعفر عبد الله ، وعبد الله وعيسى ابنا عليّ ، وقدم يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق ، فأرسل نباتة بن حنظلة الكلابيّ إلى عبد الله بن معاوية؛ وبلغ سليمان بن حبيب أنّ ابن هُبيرة ولّى نباتة الأهواز ، فسرّح داود بن حاتم ، فأقام بكربُج دينار ليمنع نباتة من الأهواز ، فقدم نُباتة ، فقاتله ، فقتل داود ، وهرب سليمان إلى سابور؛ وفيها الأكراد قد غلبوا عليها ، وأخرجوا المسيح بن الحماريّ ، فقاتلهم سليمان ، فطرد الأكراد عن سابور ،

وكتب إلى عبد الله بن معاوية بالبيعة ، فقال: عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب: لا يفي لك ، وإنما أراد أن يدفعك عنه؛ ويأكل سابور؛ فاكتب إليه فليقدم عليك إن كان صادقاً ، فكتب إليه فقدم ، وقال لأصحابه: ادخلوا معي؛ فإن منَعكم أحد فقاتلوه ، فدخلوا فقال لابن معاوية: أنا أطوع الناس لك ، قال: ارجع إلى عملك ، فرجع.

ثم إن محارب بن موسى نافر ابنَ معاوية ، وجمع جمعاً ، فأتى سابور ـ وكان ابنه مخلد بن محارب محبوساً بسابور ، أخذه يزيد بن معاوية فحبسه ـ فقال لمحارب: ابنك في يديه وتحاربه! أما تخاف أن يقتل ابنك! قال: أبعده الله! فقاتله يزيد ، فانهزم محارب ، فأتى كرمان ، فأقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث ، فصار معه ، ثم نافرَ ابن الأشعث فقتله وأربعة وعشرين ابناً له. ولم يزل عبد الله بن معاوية بإصطخر حتى أتاه ابن ضُبارة مع داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، فأمر ابن معاوية فكسروا قنطرة الكوفة ، فوجَّه ابن هبيرة معنَ بن زائدة من وَجْه آخر ، فقال سليمان لأبان بن معاوية بن هشام: قد أتاك القوم ، قال: لم أؤمَرْ بقتالهم؛ قال: ولا تؤمر والله بهم أبداً ، وأتاهم فقاتلهم عند مَرْو الشاذان ، ومعن يرتجز:

لَيْسَ أَميرُ القَوْمِ بالْخَبِّ الخدَعْ فَرَّ من الموْتِ وفي الموْتِ وقَعْ

قال ابن المقفع أو غيره:

فرّ من الموت وفيه قد وقع.

قال: عمداً ، قلت: قد عملت ، فانهزم ابن معاوية ، وكفّ معن عنهم ، فقتل في المعركة رجل من آل أبي لهب ، وكان يقال: يقتل رجل من بني هاشم بمَرْو الشاذان ، وأسروا أسَراء كثيرة ، فقتل ابن ضبارة عدّة كثيرة؛ فيقال: كان فيمن قُتِل يومئذ حكيم الفرد أبو المجد ، ويقال: قتِل بالأهواز قتله نباتة.

ولما انهزم ابنُ معاوية هرب شيبان إلى جَزيرة ابن كاوان ومنصور بن جمهور إلى السند ، وعبد الرحمن بن يزيد إلى عُمان ، وعمرو بن سهل بن عبد العزيز إلى مصر؛ وبعث ببقيّة الأسرَاء إلى ابن هبيرة.

قال حميد الطويل: أطلق أولئك الأسراء فلم يقتل منهم غير حصين بن وعلة السدُوسيّ، ولما أمر بقتله قال: أُقتَلُ من بين الأسراء! قال: نعم، أنت مشرِك، أنت الذي تقول:

ولَـــوْ آمُـــرُ الشمْـــسَ لَـــمْ تُشْـــرِقِ

ومضى ابنُ معاوية من وجهه إلى سِجستان، ثم أتى خراسان ومنصور بن جمهور إلى السند، فسار في طلبه معن بن زائدة وعطيَّة الثعلبيّ وغيره من بني ثعلبة، فلم يدركوه، فرجعوا، وكان حصين بن وَعْلة السدوسي مع يزيد بن معاوية، فتركه [ولحق بعبد الله بن معاوية] فأسره مورع السلميّ، رآه دخل غيضة فأخذه فأتى به [معن بن زائدة] فبعث به معن إلى ابن ضُبارة، فبعث به ابن ضبارة إلى واسط؛ وسار ابن ضبارة إلى عبد الله بن معاوية بإصطخر، فنزل بإزائه على نهر إصطخر، فعبر ابن الصَّحْصَح في ألف، فلقيه من أصحاب عبد الله بن معاوية أبان بن معاوية بن هشام فيمن كان معه من أهل الشام، ممن كان مع سليمان بن هشام فاقتتلوا، فمال ابنُ نباتة إلى القنطرة، فلقيَهم من كان مع ابن معاوية من الخوارج، فانهزم أبان والخوارج، فأسر منهم ألفاً، فأتوْا بهم ابن ضُبارة، فخلى عنهم، وأخذ يومئذ عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عباس في الأسَراء، فنسبه ابن ضبارة، فقال: ما جاء بك إلى ابن معاوية، وقد عرفت خلافه أمير المؤمنين! قال: كان عليّ دين فأدّيته، فقام إليه حرب بن قطن الكنانيّ، فقال: ابن أختنا، فوهبه له، وقال: ما كنت لأقدم على رجل من قريش، وقال له ابن ضبارة: إن الذي قد كنت معه قد عِيبَ بأشياء، فعندك منها علم؟ قال: نعم، وعابه ورمى أصحابه باللِّواط، فأتوا ابن ضبارة بغلمان عليهم أقبية قُوهيَّة مصبَّغة ألواناً، فأقامهم للناس وهم أكثر من مئة غلام، لينظروا إليهم، وحمل ابن ضبارة عبدَ الله بن عليّ على البريد إلى ابن هبيرة ليخبره أخباره، فحمله ابن هبيرة إلى مَروان في أجناد أهل الشام، وكان يعيبه، وابن ضُبارة يومئذ في مفازة كِرمان في طلب عبد الله بن معاوية، وقد أتى ابن هبيرة مقتل نباتة، فوجّه ابن هبيرة كَرَب بن مصقلة والحكم بن أبي الأبيض العبسيّ وابن محمد السكرنّي؛ كلهم خطيب، فتكلموا في تقريظ ابن ضُبارة،

فكتب إليه أن سِر بالناس إلى فارس ، ثم جاءه كتاب ابن هبيرة سر إلى أصبهان(١). [٧/ ٣٧١ ـ ٣٧٤].

* * *

زارَ الحَجيجَ عصابَةٌ قَدْ خالفوا ... دِينَ الإلهِ فَفَرَّ عبدُ الواحدِ
تَرَكَ الحَلائلَ والإمارَةَ هارِباً ... ومضى يُخَبِّط كالبَعِيرِ الشَّارِدِ
لو كان والِدُهُ تَنَصَّلَ عِرْقُه ... لَصَفَتْ مَضارِبُهُ بعِرْقِ الوالد(٢)

[٧/ ٣٧٦].

ثم دخلت سنة ثلاثين ومئة

ذكر خبر الأحداث التي كانت فيها

* ذكر الخبر عن ذلك وسببه :

ذكر أبو الخطاب أن دخولَ أبي مسلم حائط مَرْو ونزوله دار الإمارة التي ينزلها عمّال خراسان كان في سنة ثلاثين ومئة لتسع خلوْن من جمادى الآخرة يوم الخميس ، وأن السبب في مسير عليّ بن جُديع مع أبي مسلم كان أن سليمان بن كثير كان بإزاء عليّ بن الكرمانيّ حين تعاقد هو ونصر على حَرْب أبي مسلم؛ فقال سليمان بن كثير لعليّ بن الكرمانيّ: يقول لك أبو مسلم: أما تأنف من مصالحة نصر بن سيار ، وقد قتل بالأمس أباك وصلبه! ما كنتُ أحسبك تجامع نصر بن سيار في مسجد تصليان فيه! فأدرك عليّ بن الكرمانيّ الحفيظة ، فرجع عن رأيه

---

(١) هذا خبر باطل. لم ينسبه الطبري إلى أحد من الرواة الذين شهدوا تلك الواقعة وحضروا ذلك الحوار. وكل من لديه أدنى فهم وأبسط بصيرة يتبين نكارة ما في هذا المتن وبشاعة هذا الاتهام الموجه إلى أئمة أهل البيت الأطهار ، فكيف بعبد الله بن معاوية الهاشمي يمارس الفاحشة. . . غفر الله للطبري كيف جمع هذه الأخبار ، ووقف بأعصاب باردة أمام هذا الاتهام الباطل الذي لا يصح سنداً ولا متناً !!!

(٢) رحم الله الطبري ما ضرّه لو لم يكتب هذه الأبيات التي تطعن في خليفة المسلمين الصالح سليمان بن عبد الملك (لو كان والدُهُ تنصَّلَ عِرْقُه) أي والد عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ـ علماً بأن هذه الأبيات لرجل مجهول ـ وهي لا تقدم ولا تؤخر شيئاً في مسار الواقعة التأريخية.

وانتقض صلح العرب، قال: ولما انتقض صلحُهم بعث نصر بن سيار إلى أبي مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مُضر، وبعثت ربيعة وقحطان إلى أبي مسلم بمثل ذلك، فتراسلوا بذلك أياماً، فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتى يختار أحدهما، ففعلوا، وأمر أبو مسلم الشيعة أن يختاروا ربيعة وقحطان؛ فإنّ السلطان في مُضَر، وهم عمال مروان الجعديّ، وهم قتلة يحيى بن يزيد، فقدم الوفدان؛ فكان في وفد مُضر عقيل بن معقل بن حسان الليثيّ وعبيد الله بن عبد ربه الليثيّ والخطاب بن محرز السُّلَميّ، في رجال منهم، وكان في وفد قحطان عثمان بن الكِرمانيّ ومحمد بن المثنى وسَوْرة بن محمد بن عزيز الكنديّ، في رجال منهم؛ فأمر أبو مسلم عثمان بن الكِرْمانيّ وأصحابه فدخلوا بستان المحتفز، وقد بسط لهم فيه؛ فقعدوا وجلس أبو مسلم في بيت في دار المحتفز، وأذن لعَقِيل بن معقل وأصحابه من وفد مُضَر، فدخلوا إليه، ومع أبي مسلم في البيت سبعون رجلاً من الشيعة، قرأ على الشيعة كتاباً كتبه أبو مسلم ليختاروا أحد الفريقين؛ فلما فرغ من قراءة الكتاب، قام سليمان بن كثير، فتكلم ـ وكان خطيباً مفوّهاً ـ فاختار عليَّ بن الكرمانيّ وأصحابه، وقام أبو منصور طلحة بن رزيق النقيب فيهم ـ وكان فصيحاً متكلِّماً ـ فقال كمقالة سليمان بن كَثير، ثم قام مزيد بن شقيق السلميّ، فقال: مضر قتلة آل النبي ﷺ وأعوان بني أمية وشيعة مَرْوان الجعديّ، ودماؤنا في أعناقهم، وأموالنا في أيديهم، والتّباعات قبَلهم، ونصر بن سيار عامل مروان على خراسان يُنفذ أمورَه، ويدعو له على منبره، ويسمِّيه أمير المؤمنين؛ ونحن من ذلك إلى الله بُراء وأن يكون مَرْوان أمير المؤمنين، وأن يكون نصرٌ على هدىً وصواب، وقد اخترنا عليّ بن الكرمانيّ وأصحابه من قحطان وربيعة، فقال السبعون الذين جمعوا في البيت بقول مزيد بن شقيق.

فنهض وفْد مضر عليهم الذّلة والكآبة؛ ووجَّه معهم أبو مسلم القاسم بن مجاشع في خيل حتى بلغوا مأمنهم، ورجع وفد عليّ بن الكرمانيّ مسرورين منصورين، وكان مقام أبي مسلم بآلين تسعة وعشرين يوماً، فرحل عن آلين راجعاً إلى خندقه بالماخُوان، وأمر أبو مسلم الشيعة أن يبتنوا المساكن، ويستعدوا للشتاء فقد أعفاهم الله من اجتماع كلمة العرب، وصيرهم بنا إلى افتراق الكلمة؛ وكان ذلك قَدَراً من الله مقدوراً.

وكان دخول أبي مسلم الماخُوان منصرفاً عن آلين سنة ثلاثين ومئة ، للنصْف من صفر يوم الخميس ، فأقام أبو مسلم في خَنْدقه بالماخُوان ثلاثة أشهر؛ تسعين يوماً ، ثم دخل حائط مرْو يوم الخميس لتسع خلَوْن من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومئة .

قال : وكان حائط مَرْو إذ ذاك في يد نصر بن سيّار لأنّه عامل خراسان ، فأرسل عليّ بن الكرمانيّ إلى أبي مسلم أن أدخل الحائط مَن قِبَلك ، وأدخل أنا وعشيرتي من قِبَلي ، فنغلب على الحائط ، فأرسل إليه أبو مسلم أن لست آمَن أن يجتمع يدك ويد نصر على محاربتي؛ ولكن ادخل أنت فانشب الحرب بينك وبينه وبين أصحابه؛ فدخل عليّ بن الكرمانيّ فأنشب الحرب ، وبعث أبو مسلم أبا عليّ شبل بن طهمان النقيب في جُند ، فدخلوا الحائط ، فنزل في قصر بخاراخذاه ، فبعثوا إلى أبي مسلم أن ادخل ، فدخل أبو مسلم من خندق الماخُوان ، وعلى مقدّمته أسيد بن عبد الله الخزاعيّ ، وعلى ميمنته مالك بن الهيثم الخزاعيّ ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع التميميّ؛ حتى دخل الحائط؛ والفريقان يقتتلان ، فأمرهما بالكفّ وهو يتلو من كتاب الله : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص : ٥] ومضى أبو مسلم حتى نزل قصر الإمارة بمرْو الذي كان ينزله عمال خُراسان؛ وكان ذلك لتسع خلوْن من جُمادى الأولَى سنة ثلاثين ومئة ، يوم الخميس .

وهرب نصر بن سيّار عن مَرْو الغد من يوم الجمعة لعشرٍ خلْون من جُمادى الأولى من سنة ثلاثين ومئة ، وصفت مَرْو لأبي مسلم ، فلما دخل أبو مسلم حائط مَرْو أمر أبا منصور طلحة بن رُزيق بأخذ البيعة على الجند من الهاشميّة خاصّة ـ وكان أبو منصور رجلاً فصيحاً نبيلاً مفوّهاً عالماً بحجج الهاشمية وغوامض أمورهم؛ وهو أحد النقباء الاثني عشر؛ والنقباء الاثنا عشر هم الذين اختارهم محمد بن عليّ من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله إلى خراسان سنة ثلاث ومئة أو أربع ومئة ـ وأمره أن يدعو إلى الرّضا ، ولا يسمي أحداً ، ومثّل له مثالاً ووصف من العدل صفة ، فقدمها فدعا سرّاً ، فأجابه ناس ، فلما صاروا سبعين أخذ منهم اثني عشر نقيباً .

منهم من خُزاعة : سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح

وطلحة بن رُزيق وعمرو بن أعين. ومن طيّيء: قحطبة ـ واسمه زياد بن شبيب بن خالد بن مَعْدان ـ ومن تميم: موسى بن كعب أبو عيينة ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع، كلُّهم من بني امرىء القيس، وأسلم بن سلام أبو سلام؛ ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن إبراهيم من بني عمرو بن شيبان أخي سدُوس وأبو عليّ الهرويّ.

ويقال: شبل بن طهمان مكان عمرو بن أعين، وعيسى بن كعب وأبو النجم عمران بن إسماعيل مكان أبي علي الهرَويّ، وهو ختَن أبي مسلم.

ولم يكن في النقباء أحد والده حيّ غير أبي منصور طلحة بن رزيق بن أسعد؛ وهو أبو زينب الخزاعيّ، وقد كان شهد حرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وصحب المهلب بن أبي صفرة وغزا معه؛ فكان أبو مسلم يشاوره في الأمور، ويسأله عمّا شهد من الحروب والمغازي، ويسأله عن الكنية بأبي منصور: يا أبا منصور، ما تقول؟ ما رأيك؟

قال أبو الخطاب: فأخبرنا من شهد أبا منصور يأخذ البيعة على الهاشميَّة: أبايعكم على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ﷺ والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله ﷺ؛ عليك بذلك عهد الله وميثاقه، والطلاق والعَتاق، والمشي إلى بيت الله، وعلى ألاّ تسألوا رزقاً ولا طمعاً حتى يبدأكم به ولاتكم؛ وإن كان عدوّ أحدكم تحت قدمه فلا تهيجوه إلا بأمر ولاتكم، فلما حبس أبو مسلم سَلْم بن أحْوز ويونس بن عبد ربه، وعقيل بن معقل ومنصور بن أبي الخرقاء، وأصحابه، شاور أبا منصور، فقال: اجعل سوطك السيف، وسجنك القبر؛ فأقدمهم أبو مسلم فقتلهم، وكانت عدّتهم أربعة وعشرين رجلاً. [٧/ ٣٧٧ ـ ٣٨٠].

قال عليّ: أخبرنا المفضل، قال: لما قتِل شيبان مرّ رجل من بكر بن وائل ـ يقال له خَفاف ـ برسل أبي مسلم الذين كان أرسلهم إلى شيبان، وهم في بيت، فأخرجهم وقتلهم.

وقيل: إن أبا مسلم وجّه إلى شيبان عسكراً من قِبَله، عليهم خزيمة بن خازم وبسام بن إبراهيم. [٧/ ٣٨٦].

* * *

ذكر خبر قتل عليّ وعثمان ابني جُدَيع

وفي هذه السنة قَتل أبو مسلم علياً وعثمان ابني جُديع الكِرمانيّ.

❊ ذكر سبب قتل أبي مسلم إياهما:

وكان السبب في ذلك ـ فيما قيل: أن أبا مسلم كان وجّه موسى بن كعب إلى أبيوَرْد فافتتحها، وكتب إلى أبي مسلم بذلك، ووجّه أبا داود إلى بَلْخ وبها زياد بن عبد الرحمن القُشيريّ، فلما بلغه قَصْد أبي داود بلْخ خرج في أهل بلْخ والترمذ وغيرهما، من كُورطُخارستان إلى الجُوزجان، فلما دنا أبو داود منهم، انصرفوا منهزمين إلى التِّرمذ، ودخل أبو داود مدينة بلْخ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه، ووجّه مكانه يحيى بن نعيم أبا الميلاء [على بلخ، فخرج] أبو داود، فلقيه كتاب من أبي مسلم يأمره بالانصراف، فانصرف، وقدم عليه أبو الميلاء؛ فكتاب زيادَ بن عبد الرحمن يحيى بن نعيم أبو الميلاء أن يصير أيديهم واحدة، فأجابه، فرجع زياد بن عبد الرحمن القشيريّ ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم الباهليّ وعيسى بن زُرْعة السُّلميّ وأهل بلْخ والترمذ وملوك طخارستان، وما خلْف النهر وما دونه، فنزل زياد وأصحابه على فرسخ من مدينة بلْخ، وخرج إليه يحيى بن نعيم بمَن معه حتى اجتمعوا، فصارت كلمتهم واحدة، مضريّهم ويمانيهم وربَعيُّهم ومَن معهم من الأعاجم على قتال المسوّدة، وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيّان النبَطيّ؛ كراهة أن يكون من الفرق الثلاثة، وأمر أبو مسلم أبا داود بالعود، فأقبل أبو داود بمَن معه حتى اجتمعوا على نهر السّرجَنان، وكان زياد بن عبد الرحمن وأصحابه قد وجّهوا أبا سعيد القرشيّ مسلحةً فيما بين العود وبين قرية يقال لها أمديان؛ لئلا يأتيهم أصحاب أبي داود من خلفهم، وكانت أعلام أبي سعيد وراياته سوداً، فلما اجتمع أبو داود وزياد وأصحابهما، واصطفوا للقتال، أمر أبو سعيد القرشيُّ أصحابَه أن يأتوا زياداً وأصحابه مِنْ خلفهم، فرجع وخرج عليهم من سكة العود وراياته سود، فظنّ أصحاب زياد أنهم كَمِين لأبي داود، وقد نشب القتال بين الفريقين، فانهزم زياد ومَن معه، وتبعه أبو داود، فوقع عامة أصحاب زياد في نهر السرجنان، وقتل عامة رجالهم المتخلّفين، ونزل أبو داود عسكرهم،

وحوَى ما فيه ، ولم يتبع زياداً ولا [أصحابه وأكثر من تبعهم سرعان من سرَعان] خيل أبي داود إلى مدينة [بلخ لم يجاوزها] ، ومضى زياد ويحيى ومن معهما إلى الترمذ ، وأقام أبو داود يومه [ذلك ومن الغد ، ولم يدخل مدينة بلخ] واستصفى أموال من قتل بالسرجنان ومن هرب من العرب وغيرهم ، واستقامت بلْخ لأبي داود.

ثم كتب إليه أبو مسلم يأمره بالقُدوم عليه ، ووجّه النضْر بن صُبيح المُرّيّ على بلخ ، وقدم أبو داود ، واجتمع رأي أبي داود وأبي مسلم على أن يفرّقا بين عليّ وعثمان ابني الكرمانيّ ، فبعث أبو مسلم عثمان عاملاً على بلْخ ، فلما قدمها استخلف الفُرافصة بن ظُهير العبسيّ على مدينة بلْخ ، وأقبلت المضريّة من تِرْمذ ، عليهم مسلم بن عبد الرحمن الباهلي ، فالتقوا وأصحاب عثمان بن جُديع بقرية بين البَرُوقان وبين الدَّسْتَجرد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب عثمان بن جُديع ، وغلب المضرّية ومسلم بن عبد الرحمن على مدينة بلْخ ، وأخرجوا الفُرافصة منها ، وبلغ عثمان بن جُديع الخبر والنّضر بن صُبيح ، وهما بمرْو الرّوذ ، فأقبلا نحوهم ، وبلغ أصحاب زياد بن عبد الرحمن فهربوا من تحت ليلتهم ، وعتّب النضر في طلبهم ، رجاء أن يفوتوا ، ولقيهم أصحاب عثمان بن جُديع ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب عثمان بن جُديع ، وأكثروا فيهم القتل ، ومضت المضريّة إلى أصحابها ، ورجع أبو داود من مَرْو إلى بلخ ، وسار أبو مسلم ومعه عليّ بن جُديع إلى نيسابور.

واتّفق رأي أبي مسلم ورأي أبي داود على أن يقتل أبو مسلم عليّاً ، ويقتل أبو داود عثمان في يوم واحد ، فلما قدم أبو داود بلخ بعث عثمان عاملاً على الخُتل فيمن معه من يماني أهل مَرْو وأهل بلْخ وربَعيّهم ، فلما خرج من بلخ خرج أبو داود [فاتبع الأثر فلحق عثمان على شاطىء نهر بوخش] من أرض الخُتّل ، فوثب أبو داود على عثمان وأصحابه ، فحبسهم جميعاً ثم ضرب أعناقهم صَبْراً ، وقتل أبو مسلم في ذلك اليوم عليّ بن الكرمانيّ ، وقد كان أبو مسلم أمره أن يسمّي له خاصته ليوليَهم ، ويأمر لهم بجوائز وكُساً ، فسماهم له فقتلهم جميعاً. [٧/ ٣٨٦ ـ ٣٨٨].

قال أبو جعفر: فأما غيرُ الَّذين روى عنهم علي بن محمد ما ذكرنا في أمر

قَحْطبة وتوجيه أبي مسلم إياه إلى نصر وأصحابه ، فإنه ذكر أن أبا مسلم لما قتل شيبان الخارجيّ وابني الكرمانيّ ، ونفى نصراً عن مرْو ، وغلب على خُراسان ، وجّه عماله على بلادها ، فاستعمل سباع بن النعمان الأزديّ على سَمَرْقند وأبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان ، ووجَّه محمد بن الأشعث إلى الطَّبَسيْن وفارس ، وجعل مالك بن الهيثم على شُرْطته ، ووجّه قحطبة إلى طُوس ، ومعه عدّة من القوّاد؛ منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد ومقاتل بن حكيم العكيّ وخالد بن بَرْمك وخازم بن خزيمة والمنذر بن عبد الرحمن وعثمان بن نهِيك وجَهْور بن مرار العجليّ وأبو العباس الطوسيّ وعبد الله بن عثمان الطائيّ وسلمة بن محمد وأبو غانم عبد الحميد بن ربعيّ وأبو حُميد وأبو الجهم ـ وجعله أبو مسلم كاتباً لقحطبة على الجند ـ وعامر بن إسماعيل ومحرز بن إبراهيم ، في عدّة من القوّاد ، فلقي مَنْ بطوس فانهزموا ، وكان من مات منهم في الزحام أكثر ممن قُتِل؛ فبلغ عدّة القتلى يومئذ بضعة عشر ألفاً ، ووجه أبو مسلم القاسم بن مجاشع إلى نيسْابور على طريق المحجة؛ وكتب إلى قحْطبة يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيّار والنابي بن سويد ، ومَنْ لجأ إليهما من أهل خُراسان ، وأن يصرف إليه موسى بن كعب من أبِيورد ، فلما قدم قحطبة أبيورد صرف موسى بن كعب إلى أبي مسلم ، وكتب إلى مقاتل بن حكيم يأمره أن يوجّه رجلاً إلى نيسابور ، ويصرف منها القاسم بن مجاشع؛ فوجّه أبو مسلم عليّ بن معقل في عشرة آلاف إلى تميم بن نصر ، وأمره [إذا دخل] قحطبة طوس أن يستقبله بمَنْ معه وينضمّ إليه؛ فسار عليّ بن معقل حتى نزل قرية يقال لها حُلوان ، وبلغ قَحْطبة مسير عليّ [ونزوله حيث] نزل ، فعجَّل السير إلى السوذقان ، وهو معسكر تميم بن نصر والنابي بن سويد ، ووجّه على مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعيّ في [ثلاثة آلاف رجل من شيعة] أهل نسا وأبِيورد ، فسار حتى نزل قرية يقال [لها حبوسان ، فتعبّأ تميم والنابي] لقتاله ، فكتب أسيد إلى قحطبة يعلمه [ما أجمعوا عليه من قتاله ، وأنه إن] لم يعجل القدوم عليه حاكمهم إلى الله عز وجل ، وأخبره أنهما في ثلاثين ألفاً من صناديد أهل خُراسان وفرسانهم. فوجّه قحطبة مقاتل بن حكيم العكيّ في ألف وخالد بن برمك في ألف ، فقدما على أسيد؛ وبلغ ذلك تميماً والنابي فكسرهما. ثم قدم عليهم قحطبة بمن معه ، وتعبّأ لقتال تميم ، وجعل على ميمنته مقاتل بن حكيم

وأبا عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك ، وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله الخُزاعي والحسن بن قحطبة والمسيّب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن ، وصار هو في القلب ، ثم زحف إليهم ، فدعاهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ﷺ ، وإلى الرضا من آل محمد ﷺ فلم يجيبوه ، فأمر الميمنة والميسرة أن يحملوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً أشدّ ما يكون من القتال ، فقتل تميم بن نصر في المعركة ، وقتل معه منهم مقتلة عظيمة ، واستبيح عسكرهم ، وأفلت النابي في عدّة ، فتحصنّوا في المدينة ، وأحاطت بهم الجنود ، فنقبوا الحائط ودخلوا إلى المدينة ، فقتلوا النابي ومنْ كان معه ، وهرب عاصم بن عمير السمرقنديّ وسالم بن راوية السعيديّ إلى نصر بن سيّار بنيسابور ، فأخبراه بمقتل تميم والنابي ومَن كان معهما؛ فلما غلب قحطبة على عسكرهم بما فيه صيّر إلى خالد بن بَرْمك قبض ذلك ، ووجّه مقاتل بن حكيم العكيّ على مقدمته إلى نيسابور؛ فبلغ ذلك نصر بن سيار؛ فارتحل هارباً في أثر أهل إبْرَشهر حتى نزل قُومِس وتفرّق عنه أصحابه ، فسار إلى نُباتة بن حنظلة بجرجان ، وقدم قحطبة نيسابور بجنوده . [٧/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠].

وأقبل قحطبة إلى جرجان في ذي القعدة من سنة ثلاثين ومئة ، ومعه أسيد بن عبد الله الخزاعيّ وخالد بن بَرْمك وأبو عون عبد الملك بن يزيد وموسى بن كعب المرائيّ والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزديّ ، وعلى ميمنته موسى بن كعب ، وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله ، وعلى مقدّمته الحسن بن قحطبة ، فقال قحطبة: يا أهلَ خُراسان ، أتدرون إلى من تسيرون ، ومن تقاتلون؟ إنما تقاتلون بقيّة قوم أحْرقوا بيت الله عزّ وجلّ ، وأقبل الحسن حتى نزل تُخوم خُراسان ، ووجَّه الحسن عثمان بن رُفيع ونافعاً المروزيّ وأبا خالد المرورّوزيّ ومسعدة الطائيّ إلى مسلحة نُبَاتة ، وعليها رجل يقال له ذُؤيب ، فبيّتوه ، فقتلوا ذؤيباً وسبعين رجلاً من أصحابه ، ثم رجعوا إلى عسكر الحسن ، وقدم قحطبة فنزلوا بإزاء نباتة وأهل الشأم في عدّة لم يرَ الناس مثلها . فلما رآهم أهل خُراسان هابوهم حتى تكلَّموا بذلك وأظهروه . وبلغ قحطبة . فقام فيهم خطيباً فقال:

يا أهل خراسان؛ هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين ، وكانوا يُنصرون على

عدوّهم بعدلهم وحسن سيرتهم؛ حتى بدّلوا وظلموا، فسخط الله عزّ وجلّ عليهم ، فانتزع سلطانهم ، وسلط عليهم أذلّ أمة كانت في الأرض عندهم ، فغلبوهم على بلادهم ، واستنكحوا نساءهم ، واسترقّوا أولادهم؛ فكانوا بذلك يحكُمون بالعدل ويوفون بالعهد ، وينصرون المظلوم ، ثم بدّلوا وغيّروا وجاروا في الحكم ، وأخافوا أهل البِرّ والتقوى من عِترة رسول الله ﷺ ، فسلّطكم عليهم لينتقم منهم بكم لتكونوا أشدّ عقوبة؛ لأنكم طلبتموهم بالثأر. وقد عهد إليّ الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدّة فينصركم الله عزّ وجلّ عليهم فتهزموهم وتقتلونهم.

وقد قرىء على قحطبة كتاب أبي مسلم ، من أبي مسلم إلى قحطبة: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد. فناهض عدوّك؛ فإنّ الله عزَّ وجلَّ ناصرك؛ فإذا ظهرتَ عليهم فأثخن في القتل.

فالتقوا في مستهلّ ذي الحجة سنة ثلاثين ومئة في يوم الجمعة ، فقال قحطبة: يا أهلَ خراسان. إن هذا اليوم قد فضّله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام والعمل فيه مضاعف ، وهذا شهر عظيم فيه عيد من أعظم أعيادكم عند الله عزّ وجلّ ، وقد أخبرنا الإمام أنكم تُنصرون في هذا اليوم من هذا الشهر على عدوكم ، فالقوْه بجدّ وصبر واحتساب؛ فإنّ الله مع الصابرين. ثم ناهضهم وعلى ميمنته الحسن بن قحطبة. وعلى ميسرته خالد بن بَرْمك ومقاتل بن حكيم العكّيّ ، فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض ، فقتل نباتة ، وانهزم أهل الشأم فقتل منهم عشرة آلاف ، وبعث قحطبة إلى أبي مسلم برأس نُباتة وابنه حيّة.

قال: وأخبرنا شيخٌ من بني عديّ ، عن أبيه ، قال: كان سالم بن راوية التميميّ ممن هرب من أبي مسلم ، وخرج مع نصر ، ثم صار مع نباتة ، فقاتل قَحْطبة برجان ، فانهزم الناس ، وبقيَ يقاتل وحده ، فحمل عليه عبد الله الطائيّ ـ وكان من فُرْسان قحطبة ـ فضربه سالم بن راوية على وجهه ، فأندر عينه ، وقاتلهم حتى اضطر إلى المسجد ، فدخله ودخلوا عليه ، فكان لا يشدّ من ناحية إلا كشفهم ، فجعل ينادي: شَرْبة! فو الله لأُنقعنّ لهم شرّاً يومي هذا. وحرّقوا عليه سقف المسجد ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه وجاؤوا برأسه إلى قحطبة ،

وليس في رأسه ولا وجهه مصحّ؛ فقال قحطبة: ما رأيت مثل هذا قطّ! [٧/ ٣٩١ ـ ٣٩٣].

وقد زعم بعضُ الناس أن خُزاعة دلت أبا حمزة على عَوْرتهم، وأدخلوهم عليهم فقتلوهم؛ وكانت المقتلة على قريش، هم كانوا أكثر الناس، وبهم كانت الشوكة، وأصيب منهم عدد كثير.

قال العباس: قال هارون: وأخبرني بعض أصحابنا أن رجلاً من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن وهو يقول: الحمد لله الذي أقرّ عيني بمقتل قريش، فقال لابنه: يا بنيّ ابدأ به ـ وقد كان من أهل المدينة ـ قال: فدنا منه ابنه فضرب عنقه، ثم قال لابنه: أي بنيّ، تقدم، فقاتلا حتى قتلا. ثم ورد قُلّال الناس المدينة وبكى الناس قتلاهم، فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح، فما تبرح النساء حتى تأتيهن الأخبار عن رحالهنّ فتخرج النساء امرأة امرأة؛ كل امرأة تذهب إلى حميمها [فتنصرف] حتى ما تبقى عندها امرأة.

قال: وأنشدني أبو ضَمْرة هذه الأبيات في قَتْلَى قُديد الذين أصيبوا من قومه، رثاهم بعض أصحابهم فقال:

يا لَهفَ نَفْسي ولَهْفي غَيْرَ كاذِبَة ... على فوارِسَ بالبَطْحاء أنجادِ
عَمْرٌو وعَمْرٌو وعَبْدُ الله بَيْنَهُما ... وابناهُما خامِسٌ والحارثُ السادِي

[٧/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤].

* ذكر الخبر عن دخول أبي حمزة المدينة وما كان منه فيها:

حدثني العباس بن عيسى، قال: حدثنا هارون بن موسى الفروي، قال: حدثني موسى بن كثير، قال: دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومئة، ومضى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام، فرقيَ المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

يا أهل المدينة؛ سألناكم عن ولاتكم هؤلاء، فأسأتم ـ لعمر الله ـ فيهم القول، وسألناكم: هل يِقتلون بالظنّ؟ فقلتم لنا: نعم، وسألناكم: هل يستحلون المال الحرام والفرْج الحرام؟ فقلتم لنا: نعم، فقلنا لكم: تعالوا نحن وأنتم نناشدهم الله إلاّ تنحّوا عنا وعنكم، فقلتم: لا يفعلون، فقلنا لكم: تعالوا

نحن وأنتم نقاتلهم؛ فإن نظهر نحن وأنتم [نأت] بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، فقلتم: لا نقوى، فقلنا لكم: فخلُّوا بيننا وبينهم؛ فإن نظفر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ﷺ [ونقسم] فيئكم بينكم، فأبيتم، وقاتلتمونا دونهم، فقاتلناكم، فأبعدكم الله وأسحقكم!

قال محمد بن عمر: حدّثني حزام بن هشام، قال: كانت الحَرُورية أربعمئة، وعلى طائفة من الحروية الحارث، وعلى طائفة بكار بن محمد العدويّ؛ عديّ قريش، وعلى طائفة أبو حَمْزة، فالتقوا وقد تهيّأ الناس بعد الإعذار من الخوارج إليهم، وقالوا لهم: إنا والله ما لنا حاجة بقتالكِم، دعونا نمض إلى عدوّنا. فأبى أهل المدينة، فالتقوا لسبع ليال خَلَوْن من صَفر يوم الخميس سنة ثلاثين ومئة، فقتل أهل المدينة، لم يفلت منهم إلا الشريد، وقتل أميرهم عبد العزيز بن عبد الله، واتهمت قريش خُزاعة أن يكونوا داهنوا الحروريّة. فقال لي حزام: والله لقد آويتَ رجالاً من قريش منهم حتى آمن الناس؛ فكان بَلْج على مقدّمتهم. وقدمت الحروريّة المدينة لتسع عشرة ليلة خلت من صفر.

حدثني العباس بن عيسى، قال: قال هارون بن موسى: أخبرني بعض أشياخنا، أن أبا حمزة لما دخل المدينة قام فخطب فقال في خطبته:

يا أهل المدينة مررتُ [بكم] في زمن الأحول هشام بن عبد الملك، وقد أصابتكم عاهة في ثماركم وكتبتم إليه تسألونه أن يضع أخراصكم عنكم، فكتب إليكم يضعها عنكم، فزاد الغنيّ غنى، وزاد الفقير فقراً، فقلتم: جزاك الله خيراً؛ فلا جزاكم الله خيراً ولا جزاه. [٧/ ٣٩٤ _ ٣٩٥].

قال العبّاس: قال هارون: وأخبرني عبد الملك بن الماجشون، قال: لما لقى أبو حمزة وابن عطيّة، قال أبو حمزة: لا تقاتلوهم حتى تخبرُوهم، قال: فصاحوا بهم: ما تقولون في القرآن والعمل به؟ قال: فصاح ابنُ عطيَّة: نضعه في جوف الجُوالق، قال: فما تقولون في مال اليتيم؟ قال: نأكل مالَه ونفجُر بأمِّه.. في أشياء بلغني أنهم سألوهم عنها. قال: فلما سمعوا كلامهم، قاتلوهم حتى أمسوا، فصاحوا: ويحك يابن عطية! إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل الليل سكناً،

فاسكن نسكن. قال: فأبى فقاتلهم حتى قتلهم[١]. [٧/ ٣٩٩].

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا الصَّائفة ـ فيما ذكر ـ الوليد بن هشام، فنزل العمق، وبنى حصن مَرْعش.

وفيها وقع الطاعون بالبصرة[٢].

وفي هذه السنة قتل قحطبة بن شبيب من أهل جرجان من قتل من أهلها؛ قيل: إنه قتل منهم زُهاء ثلاثين ألفاً؛ وذلك أنه بلغه ـ فيما ذكر ـ عن أهل جرجان أنه أجمع رأيهم بعد مقتل نباتة بن حنظلة على الخروج على قحطبة، فدخل قحطبة لما بلغه ذلك من أمرهم؛ واستعرضهم، فقتل منهم من ذكرت. ولما بلغ نصر بن سيار قتل قحطبة نباتة ومن قتل من أهل جرجان وهو بقومس، ارتحل حتى نزل خُوار الرّيّ. [٧/ ٤٠١].

قال عليّ: وأخبرنا المفضّل بن محمد الضبيّ، قال: لما لقي قحطبة ابنَ ضُبارة انهزم داود بن يزيد بن عمر، فسأل عنه عامر، فقيل: انهزم، فقال: لعن الله شرَّنا منقلباً! وقاتل حتى قتل.

قال عليّ: وأخبرنا حفص بن شبيب، قال: حدّثني من شهد قحطبة وكان معه، قال: ما رأيتُ عسكراً قطّ جمعَ ما جمع أهلُ الشأم بأصبهان من الخيل والسلاح والرقيق، كأنا افتتحنا مدينة؛ وأصبنا معهم ما لا يحصى من البرابط والطنابير والمزامير؛ ولقلّ بيت أو خِباء ندخله إلا أصبنا فيه زُكْرة أو زِقّاً من الخمر، فقال بعض الشعراء:

لما رَمَيْنَا مُضراً بالقبّ قرْضَبَهُمْ قَحْطَبَةُ القِرْضَبّ
يَدْعُونَ مَروانَ كَدَعْوَى الرَّبِّ[٣]

[٧/ ٤٠٦].

---

(١) هذا خبر منكر.

(٢) بينما ذكر خليفة خبر طاعون البصرة ضمن أحداث سنة (١٣١ هـ) عن المدائني تأريخ خليفة ص ٤٢١.

(٣) هذا خبر باطل وكيف نعتمد على رجل لا نعرف اسمه (من شهد قحطبة) في إثبات هذه التهمة الكبيرة (وأصبنا معهم ما لا يحصى من البرابط . . .). واعتماداً على هذه الأخبار الملفقة شوه المبتدعة والشعوبيون التأريخ الإسلامي. ولكن الحمد لله على نعمة الإسناد، ولولاه قال من شاء ما شاء كما هنا.

قال عليّ: وأخبرنا أبو الحسن الخُراسانيّ وجبلة بن فرّوخ؛ قالا: لما قدم قحطبة نهاوند والحسن محاصرهم، أقام قحطبة عليهم، ووجّه الحسن إلى مَرْج القلعة، فقدّم الحسن خازم بن خُزيمة إلى حُلوان، وعليها عبد الله بن العلاء الكِنديّ، فهرب من حُلوان وخلاَّها.

قال عليّ: وأخبرنا محرز بن إبراهيم، قال: لما فتح قحطبة نَهاوند؛ أرادوا أن يكتبوا إلى مرْوان باسم قَحْطبة، فقالوا: هذا اسم شنيع، اقلبوه فجاء «هبط حقّ» فقالوا: الأول مع شنعته أيسر من هذا. فردّوه. [٧/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩].

ذكر وقعة شهرزور وفتحها

وفي هذه السنة كانت وقعة أبي عون بشهرزور.

ذكر الخبر عنها وعمّا كان فيها:

ذكر عليّ: أن أبا الحسن وجَبلة بن فروخ، حدّثاه قالا: وجّه قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراسانيّ ومالك بن طريف الخراساني في أربعة آلاف إلى شهرزور، وبها عثمان بن سفيان على مقدّمة عبد الله بن مَرْوان، فقدم أبو عون ومالك، فنزلا على فرسخين من شهرزور، فأقاما به يوماً وليلة، ثم ناهضا عثمان بن سفيان في العشرين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين ومئة فقتل عثمان بن سفيان، وبعث أبو عون بالبشارة مع إسماعيل بن المتوكّل، وأقام أبو عون في بلاد الموصل.

وقال بعضهم: لم يُقتل عثمان بن سفيان، ولكنّه هرب إلى عبد الله بن مَرْوان، واستباح أبو عون عسكره، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة بعد قتال شديد. وقال: كان قحطبة وجّه أبا عون إلى شهرزور في ثلاثين ألفاً بأمر أبي مسلم إياه بذلك. قال: ولما بلغ خبرُ أبي عون مروانَ وهو بحرَّان، ارتحل منها ومعه جنود الشأم والجزيرة والموصل، وحشرت بنو أمية معه أبناءهم مقبلاً إلى أبي عون؛ حتى انتهى إلى الموصل، ثم أخذ في حفر الخنادق من خند إلى خندق؛ حتى نزل الزّاب الأكبر، وأقام أبو عون بشهرزور بقيّة ذي الحجة والمحرّم من سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وفرض فيها لخمسة آلاف رجل. [٧/ ٤٠٩].

وقد ذكر أن الوليد بن عروة إنما كان خرج خارجاً من المدينة ، وكان مروان قد كتب إلى عمه عبد الملك بن محمد بن عطية يأمره أن يحجّ بالناس وهو باليمن؛ فكان مِنْ أمره ما قد ذكرت قبلُ ، فلمّا أبطأ عليه عمه عبد الملك افتعل كتاباً من عمّه يأمره بالحجّ بالناس ، فحجّ بهم.

وذكر أن الوليد بن عروة بلغه قتلُ عمه عبد الملك فمضى [إلى] الذين قتلوه ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقر بطون نسائهم ، وقتل الصبيان ، وحرّق بالنيران مَنْ قدر عليه منهم. [٧/ ٤١٠ ـ ٤١١].

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

وذكر عليّ: أن الحسن بن رشيد وجبله بن فرّوخ أخبراه: أنّ قحطبة لما ترك ابنَ هبيرة ومضى يريد الكوفة ، قال حوثرة بن سهيل الباهليّ وناس من وجوه أهل الشأم لابن هبيرة: قد مضى قحطبة إلى الكوفة ، فاقصد أنت خراسان ، ودعه ومروان فإنك تكسره ، فبالحري أن يتبعك ، فقال: ما هذا برأي ، ما كان ليتبعني ويدع الكوفة؛ ولكنّ الرأي أن أبادره إلى الكوفة. ولما عبر قحطبة الفرات ، وسار على شاطئ الفرات ارتحل ابن هُبيرة من معسكره بأرض الفلُّوجة ، فاستعمل على مقدّمته حوثرة بن سهيل ، وأمره بالمسير إلى الكوفة ، والفريقان يسيران على شاطىء الفرات؛ ابن هُبيرة بين الفرات وسورا ، وقحطبة في غربيه مما يلي البرّ. ووقف قحطبة فعبر إليه رجل أعرابيّ في زورق ، فسلَّم على قحطبة ، فقال: ممن أنت؟ قال: من طيىء ، فقال الأعرابيّ لقحطبة: اشرب من هذا واسقني سؤرك ، فغرف قحطبة في قصعة فشرب وسقاه ، فقال: الحمد لله الذي نسأ أجلي حتى رأيتُ هذا الجيش يشرب من هذا الماء. قال قحطبة: أتتك الرواية؟ قال: نعم؛ قال: ممن أنت؟ قال: من طيِّىء ، ثم أحد بني نَبْهان ، فقال قحطبة: صدقني إمامي ، أخبرني أن لي وقعة على هذا النهر لي فيها النصر ، يا أخا بني نبهان ، هل ها هنا مخاضة؟ قال: نعم ولا أعرفها ، وأدلك على مَنْ يعرفها؛ السنديّ بن عصم. فأرسل إليه قحطبة ، فجاء وأبو السنديّ وعون ، فدلُّوه على المخاضة وأمسى ووافتْه مقدّمة ابن هبيرة في عشرين ألفاً ، عليهم حَوْثرة.

فذكر عليّ ، عن ابن شهاب العبدّي ، قال: نزل قحطبة الجبارية فقال: صدقني الإمام أخبرني أن النصر بهذا المكان ، وأعطى الجند أرزاقهم ، فردّ عليه كاتبه ستة عشر ألف درهم ، فضل الدرهم والدرهمين وأكثر وأقل ، فقال: لا تزالون بخير ما كنتم على هذا. ووافته خيول الشام ، وقد دلُّوه على مخاضة فقال: إنما أنتظر شهر حرام وليلة عاشوراء ، وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومئة. [٧/ ٤١٣ ـ ٤١٤].

رجع الحديث إلى حديث عليّ عن ابن شهاب العبديّ: فأما صاحب علمَ قحطبة خيران أو يسار مولاه ، فقال له: اعبر ، وقال لصاحب رايته مسعود بن علاج (رجل من بكر بن وائل): اعبر ، وقال لصاحب شرطته عبد الحميد بن ربعيّ أبي غانم أحد بني نبهان من طيىء: اعبر يا أبا غانم ، وأبشر بالغنيمة ، وعبر جماعة حتى عبر أربعمئة ، فقاتلوا أصحاب حوثرة حتى نَحَّوْهم عن الشريعة ، ولقوا محمد بن نباتة فقاتلوه ، ورفعوا النيران ، وانهزم أهل الشأم ، وفقدوا قحطبة فبايعوا حُميد بن قحطبة على كُره منه ، وجعلوا على الأثقال رجلاً يقال له أبو نصر في مئتين ، وسار حُميد حتى نزلا كربلاء ، ثم دير الأعور ثم العباسيَّة. [٧/ ٤١٤].

قال عليّ: وذكر عبد الله بن بدر قال: كنتُ مع ابن هبيرة ليلة قحطبة فعبروا إلينا ، فقاتلونا على مسنَّاة عليها خمسة فوارس؛ فبعث ابنُ هبيرة محمد بن نباتة ، فتلقاهم فدفعناهم دفعاً ، وضرب معن بن زائدة قحطبة على حبل عاتقه ، فأسرع فيه السيف ، فسقط قحطبة في الماء فأخرجوه ، فقال: شدُّوا يديّ ، فشدّوها بعمامة ، فقال: إن متّ فألقوني في الماء لا يعلم أحد بقتلي. وكرّ عليهم أهل خراسان ، فانكشف ابن نباتة وأهل الشام ، فاتبعونا وقد أخذ طائفة في وجه ، ولحقنا قوم من أهل خراسان ، فقاتلناهم طويلاً ، فما نجونا إلاّ برجلين من أهل الشام قاتلوا عنا قتالاً شديداً ، فقال بعض الخراسانيّة: دعُوا هؤلاء الكلاب (بالفارسية) فانصرفوا عنا. ومات قحطبة وقال قبل موته: إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة؛ فسلموا هذا الأمرَ إليه. ورجع ابن هبيرة إلى واسط.

وقد قيل في هلاك قحطبة قول غير الذي قاله مَن ذكرنا قوله من شيوخ عليّ بن محمد؛ والذي قيل من ذلك: إنّ قحطبة لما صار بحذاء ابن هُبيرة من الجانب

الغربيّ من الفرات ، وبينهما الفرات ، قدّم الحسن ابنه على مقدّمته ، ثم أمر عبد الله الطائيّ ومسعود بن علاج وأسد بن المرزبان وأصحابهم بالعبور على خيولهم في الفرات ، فعبروا بعد العصر ، فطُعن أوّل فارس لقيهم من أصحاب ابن هبيرة ، فولّوا منهزمين حتى بلغت هزيمتهم جسر سورا حتى اعترضهم سويد صاحب شُرطة ابن هبيرة ، فضرب وجوههم ووجوه دوابّهم حتى ردّهم إلى موضعهم؛ وذلك عند المغرب؛ حتى انتهوا إلى مسعود بن علاج ومن معه؛ فكثروهم ، فأمر قحطبة المخارق بن غفار وعبد الله بسّام وسلمة بن محمد ـ وهم في جريدة خيل ـ أن يعبروا ، فيكونوا ردءاً لمسعود بن علاج ، فعبروا ولقيهم محمد بن نباتة ، فحصر سلمة ومن معه بقرية على شاطى الفرات ، وترجّل سلمة ومن معه ، وحمي القتال ، فجعل محمد بن نُباتة يحمل على سلمة وأصحابه ، فيقتل العشرة والعشرين ، ويحمل سلمة وأصحابه على محمد بن نباتة وأصحابه ، فيقتل منهم المئة والمِئتين ، وبعث سلمة إلى قحطبة يستمدّه ، فأمدّه بقواده جميعاً ، ثم عبر قحطبة بفرسانه ، وأمر كل فارس أن يردف رجلاً؛ وذلك ليلة الخميس لليال خلون من المحرّم ، ثم واقع قحطبة محمد بن نباتة ومن معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمهم قحْطبة حتى ألحقهم بابن هُبيرة ، وانهزم ابن هبيرة بهزيمة ابن نباتة ، وخلّوا عسكرهم وما فيه من الأموال والسلاح والرِّثّة والآنية وغير ذلك؛ ومضت بهم الهزيمة حتى قطعوا جسر الصَّراة ، وساروا ليلتهم حتى أصبحوا بفم النيل ، وأصبح أصحاب قحطبة وقد فقدوه؛ فلم يزالوا في رجاء منه إلى نصف النهار ، ثم يئسوا منه وعلموا بغرقه ، فأجمع القوّاد على الحسن بن قحطبة فولّوه الأمر وبايعوه ، فقام بالأمر وتولاه ، وأمر بإحصاء ما في عسكر ابن هُبيرة ، ووكّل بذلك رجلاً من أهل خراسان يكنى أبا النضر في مئتي فارس ، وأمر بحمل الغنائم في السفن إلى الكوفة ، ثم ارتحل الحسن بالجنود حتى نزل كربلاء ، ثم ارتحل فنزل سورا ، ثم نزل بعدها دير الأعور ثم سار منه فنزل العباسيّة. وبلغ حوثرة هزيمة ابن هبيرة ، فخرج بمن معه حتى لحق بابن هُبيرة بواسط.

وكان سبب قتل قحطبة ـ فيما قال هؤلاء ـ أنّ أحلم بن إبراهيم بن بسام مولى بني ليث قال: لما رأيتُ قحطبة في الفرات ، وقد سبحت به دابته حتى كادت تعبر

به من الجانب الذي كنت فيه أنا وبسام بن إبراهيم أخي ـ وكان بسام على مقدّمة قحطبة ـ فذكرت من قُتل من ولد نصر بن سيار وأشياء ذكرتها منه؛ وقد أشفقت على أخي بسام بن إبراهيم لشيء بلغه عنه، فقلت: لا طلبتُ بثأر أبداً إن نجوتَ الليلة. قال: فأتلقاه وقد صعدت به دابّته لتخرج من الفرات وأنا على الشطّ، فضربته بالسيف على جبينه وأعجله الموت؛ فذهب في الفرات بسلاحه. ثم أخبر ابن حصين السعديّ بعد موت أحلم بن إبراهيم بمثل ذلك، وقال: لولا أنه أقرّ بذلك عند موته ما أخبرتُ عنه بشيء. [٧/ ٤١٥ ـ ٤١٧].

وكان سبب قتال سلم بن قتيبة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ـ فيما ذكر ـ أن أبا سلمة الخلال وجّه إذ فرّق العمال في البلدان بسام بن إبراهيم مولى بني ليث إلى عبد الواحد بن عمر بن هبيرة وهو بالأهواز، فقاتله بسام حتى فضّه، فلحق سلم بن قتيبة الباهليّ بالبَصْرة؛ وهو يومئذ عامل ليزيد بن عمر بن هبيرة. وكتب أبو سلمة إلى الحسن بن قحطبة أن يوجّه إلى سَلْم من أحبّ من قُوّاده، وكتب إلى سُفيان بن معاوية بعهده على البَصْرة، وأمره أن يظهر بها دعوة بني العباس، ويدعو إلى القائم منهم؛ وينفي سلم بن قتيبة. فكتب سفيان إلى سلم يأمره بالتحوّل عن دار الإمارة، ويخبره بما أتاه من رأي أبي سلمة؛ فأبى سلم ذلك، وامتنع منه، وحشد مع سفيان جميع اليمانية وحلفاءهم من ربيعة وغيرهم، وجنح إليه قائد من قوّاد ابن هبيرة؛ وكان بعثه مدداً لسلم في ألفي رجل من كلب، فأجمع السير إلى سلم بن قتيبة، فاستعدّ له سلم، وحشد معه من قدر عليه من قيس وأحياء مضر ومن كان بالبَصْرة من بني أمية ومواليهم، وسارعت بنو أمية إلى نَصْره.

فقدم سفيان يوم الخميس وذلك في صفر؛ فأتى المربد سَلْم، فوقف منه عند سوق الإبل، ووجّه الخيول في سكة المربد وسائر سكك البصرة للقاء من وجه إليه سفيان، ونادى: مَنْ جاء برأس فله خمسمئة درهم ومن جاء بأسير فله ألف درهم. ومضى معاوية بن سفيان بن معاوية في ربيعة خاصةً، فلقيه خيلٌ من تميم في السكة التي تأخذ إلى بني عامر في سكّة المربد عند الدار التي صارت لعمر بن حبيب، فطعن رجلٌ منهم فرس معاوية، فشبّ به فصرعه؛ فنزل إليه رجل من بني ضبّة يقال له: عياض، فقتله، وحمل رأسه إلى سلم بن قتيبة، فأعطاه ألف

درهم ، فانكسر سفيان لقتل ابنه ، فانهزم ومن معه ، وخرج من فوره هو وأهل بيته حتى أتى القصر الأبيض فنزلوه ، ثم ارتحلوا منه إلى كسكر.

وقدم على سلم بعد غلبته على البصرة جابر بن توبة الكلابيّ والوليد بن عتبة الفراسيّ من ولد عبد الرحمن بن سمُرة في أربعة آلاف رجل ، كتب إليهم ابن هبيرة أن يصيروا مدداً لسلم وهو بالأهواز ، فغدا جابر بمن معه على دور المهلب وسائر الأزْد ، فأغاروا عليهم ، فقاتلهم من بقي من رجال الأزد قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى فيهم؛ فانهزموا ، فسبى جابر ومن معه من أصحابه النساء ، وهدموا الدور وانتهبوا؛ فكان ذلك من فعلهم ثلاثة أيام؛ فلم يزل سلم مقيماً بالبصرة حتى بلغه قتلُ ابن هبيرة ، فشخص عنها فاجتمع من البصرة من ولد الحارث بن عبد المطلب إلى محمد بن جعفر فولوه أمرهم فوليهم أياماً يسيرة ، حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخُزاعيّ من قِبَل أبي مسلم ، فوليَها خمسة أيام ، فلما قام أبو عباس ولاّها سفيان بن معاوية. [٧/ ٤١٩ ـ ٤٢٠].

إلى هنا انتهى العصر الأموي

* * *

خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد بن عليّ
ابن عبد الله بن عباس
ذكر الخبر عن سبب خلافته

وكان بدء ذلك - فيما ذكر عن رسول الله ﷺ - أنه أعلم العباس بن عبد المطلب أنه تؤول الخلافة إلى ولده، فلم يزل ولدهُ يتوقّعون ذلك، ويتحدّثون به بينهم[(١)].

وذكر عليّ بن محمد أن إسماعيل بن الحسن حدّثه عن رشيد بن كُريب، أنّ أبا هاشم خرج إلى الشام، فلقي محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس، فقال: يا بن عمّ، إن عندي عِلْماً أنبذه إليك فلا تطلعنّ عليه أحداً؛ إن هذا الأمر الذي يرتجيه الناس، فيكم، قال: قد علمتُ فلا يسمعنَّه منك أحد[(٢)].

قال عليّ: وأخبرنا سليمان بن داود، عن خالد بن عجلان، قال: لما خالف ابن الأشعث، وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك، أرسل عبد الملك إلى خالد بن يزيد فأخبره، فقال: أما إذا كان الفَتْق من سِجِسْتَان فليس عليك بأس؛ إنما كنا نتخوّف لو كان من خراسان.

وقال عليّ: أخبرنا الحسن بن رُشيد وجبلة بن فرّوخ التاجيّ ويحيى بن طفيل والنعمان بن سريّ وأبو حفص الأزدي وغيرهم أن الإمام محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس، قال: لنا ثلاثة أوقات: موت الطاغية يزيد بن معاوية، ورأس المئة وفتق بإفريقية، فعند ذلك يدعو لنا دعاة، ثم يُقبِل أنصارنا من المشرق حتى تردَ خيولهم المغرب، ويستخرجوا ما كنز الجبّارون فيها.

فلمّا قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقيَة، ونقضت البربر، بعث محمد بن عليّ

---

(١) قال الذهبي: لا يصح هنا الخبر ولكن آل العباس كان الناس يحبونهم ويحبون آل علي ويودون أن يؤول الأمر إليهم حباً لآل رسول الله ﷺ [سير أعلام النبلاء ٦/ ٥٨].

(٢) في هذا الإسناد تصحيف والصواب رشدين بن كريب وهو منكر الحديث (تهذيب الكمال/ تر ١٨٩٧).

رجلاً إلى خُراسان ، وأمره أن يدعوَ إلى الرضا ، ولا يسمّي أحداً[١] .

وقد ذكرنا قَبْلُ خبر محمد بن عليّ ، وخبر الدّعاة الذي وجههم إلى خُراسان ، ثم مات محمد بن عليّ وجعل وصيّه من بعده ابنه إبراهيم؛ فبعث إبراهيم بن محمد إلى خُراسان أبا سَلمة حفص بن سليمان مولى السَّبيع ، وكتب معه إلى النقباء بخراسان ، فقبِلوا كتبه وقام فيهم ، ثم رجع إليه فردّه ومعه أبو مسلم ، وقد ذكرنا أمر أبي مسلم قَبْلُ وخبره.

ثم وقع في يد مَرْوان بن محمد كتاب لإبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم ، جواب كتاب لأبي مسلم يأمره بقتل كل مَن يتكلم بالعربيّة بخراسان ، فكتب مَرْوان إلى عامله بدمشق يأمره بالكتاب إلى صاحبه بالبَلْقاء أن يسيرَ إلى الحُميمة[٢] ويأخذ إبراهيم بن محمد يوجِّه به إليه ، فذكر أبو زيد عمر بن شبَّة أن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب حدّثه عن عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر ، قال: إني مع أبي جعفر بالحُميمة ومعه ابناه محمد وجعفر ، وأنا أرقّصهما ، إذ قال لي: ماذا تصنع؟ أما ترى إلى ما نحن فيه! قال: فنظرت فإذا رسل مروان تطلب إبراهيم بن محمد ، قال: فقلت: دعْني أخرج إليهم ، قال: تخرج من بيتي وأنت ابن عمار بن ياسر! قال: فأخذوا أبواب المسجد حين صلوا الصبح ، ثم قالوا للشاميّين[٢] الذي معهم: أين إبراهيم بن محمد؟ فقالوا: هو ذا ، فأخذوه؛ وقد كان مروان أمرهم بأخْذِ إبراهيم ، ووصف لهم صفة أبي العباس التي كان يجدها في الكتب أنه يقتلهم؛ فلما أتوه بإبراهيم ، قال: ليس هذه الصّفة التي وصفت لكم ، فقالوا: قد رأينا الصفة التي وصفت ، فردّهم في طلبه ، ونُذروا ، فخرجوا إلى العراق هُرّاباً.

قال عمر: وحدّثني عبد الله بن كثير بن الحسن العبديّ ، قال: أخبرني عليّ بن موسى ، عن أبيه ، قال: بعث مَرْوان بن محمد رسولاً إلى الحُميمة يأتيه

---

(١) لم يكن الإمام محمد ـ رحمه الله ـ منجماً ولا متنبئاً ولا يصح نسبة هذا الكلام إليه بإسناد جلّهُ مجاهيل.

(٢) هذا خبر منكر كما ذكرنا سابقاً ولا يصح إسناده قط ، كما ذكرنا في نهاية تاريخ الخلافة في عهد الأمويين (سنة ١٣٢ هـ).

بإبراهيم بن محمد ، ووصف له صفتَه[١] فقدم الرّسُول فوجد الصفة صفة أبي العباس عبد الله بن محمد ، فلما ظهر إبراهيم بن محمد وأمن قيل للرسول: إنما أمِرت بإبراهيم؛ وهذا عبد الله! فلما تظاهر ذلك عنده ترك أبا العباس وأخذ إبراهيم ، وانطلق به ، قال: فشخصت معه أنا وأناس من بني العباس ومواليهم ، فانطلق بإبراهيم ، ومعه أمّ ولد له كان بها معجباً ، فقلنا له: إنما أتاك رجل ، فهلمّ فلنقتله ثم ننكفئ إلى الكوفة ، فهمْ لنا شيعة ، فقال: ذلك لكم ، قلنا: فأمهِلْ حتى نصيرَ إلى الطريق التي تُخْرِجُنا إلى العراق.

قال: فسرنا حتى صرنا إلى طريق تتشعّب إلى العراق ، وأخرى إلى الجزيرة ، فنزلنا منزلاً؛ وكان إذا أراد التعريس اعتزل لمكان أمّ ولده ، فأتينا للأمر الذي اجتمعنا عليه ، فصرَخْنا به ، فقام ليخرج فتعلقت به أم ولده ، وقالت: هذا وقت لم تكن تخرج فيه؛ فما هاجك! فالتوى عليها ، فأبت حتى أخبرها ، فقالت: أنشدك الله أن تقتلَه فتشأم أهلك! والله لئن قتلته لا يُبقي مروانُ من آل العباس أحداً بالحُميمة إلاّ قتله؛ ولم تفارقه حتى حلف لها ألا يفعل ، ثم خرج إلينا وأخبرنا ، فقلنا: أنت أعلم.

قال عبد الله: فحدثني ابن لعبد الحميد بن يحيى كاتب مروان ، عن أبيه ، قال: قلت لمروان بن محمد: أتتّهمني؟ قال: لا . قلتُ: أفيَحُطُّك صهرُه؟ قال: لا ، قلت: فإني أرى أمره ينبغ عليك فأنكِحْه وأنكح إليه ، فإن ظهر كنتَ قد أعلقتَ بينك وبينه سبباً لا يريبك معه ، وإن كفيته لم يشنْك صهره. قال: ويحك! والله لو علمته صاحب ذلك لسبقتُ إليه؛ ولكن ليس بصاحب ذلك[٢].

وذكر أن إبراهيم بن محمد حين أخِذ للمضيّ به إلى مروان نعى إلى أهل بيته حين شيّعوه نفسَه ، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد ، وبالسمع له وبالطاعة ، وأوصى إلى أبي العباس ، وجعله الخليفة بعده؛ فشخص أبو العباس عند ذلك ومَنْ معه من أهل بيته؛ منهم عبد الله بن محمد وداود بن عيسى ، وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو عليّ ويحيى بن

---

(١) في إسناده عبد الله بن كثير بن الحسن العبدي مجهول وكذلك شيخه وأبو شيخه.

(٢) في إسناده مجهولان فكيف يصح.

محمد وعيسى بن موسى بن محمد بن عليّ ، وعبد الوهاب ومحمدٍ ابنا إبراهيم وموسى بن داود ويحيى بن جعفر بن تمام؛ حتى قدموا الكوفة في صَفَر ، فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سَعْد مولى بني هاشم في بني أوْد ، وكتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من جميع القوّاد والشيعة. وأراد - فيما ذكر - أبو سلمة تحويلَ الأمر إلى آل أبي طالب لما بلغه الخبر عن موت إبراهيم بن محمد؛ فذكر عليّ بن محمد أنّ جبلة بن فرُّوخ وأبا السريّ وغيرهما قالا: قدم الإمام الكوفة في ناس من أهل بيته ، فاختفوا ، فقال أبو الجهم لأبي سلمة: ما فعل الإمام؟ قال: لم يقدم بعد ، فألحّ عليه يسأله، قال: قد أكثرتَ السؤال، وليس هذا وقت خروجه فكانوا بذلك، حتى لقي أبو حُميد خادماً لأبي العباس ، يقال له سابق الخوارزميّ ، فسأله عن أصحابه ، فأخبره أنهم بالكوفة ، وأنّ أبا سلمَة يأمرهم أن يختفوا ، فجاء به إلى أبي الجَهْم ، فأخبره خبرهم ،فسرّح أبو الجهم أبا حُميد مع سابق حتى عرف منزلهم بالكوفة ، ثم رجع وجاء معه إبراهيم ابن سلمَة (رجل كان معهم) ، فأخبر أبا الجهم عن منزِلهم ونزول الإمام في بني أوْد ، وأنه أرسل حين قدموا إلى أبي سلمة يسأله مئة دينار ، فلم يفعل ، فمشى أبو الجهم وأبو حُميد وإبراهيم إلى موسى بن كعْب ، وقصُّوا عليه القصة ، وبعثوا إلى الإمام بمئتي دينار ، ومضى أبو الجهم إلى أبي سلمَة ، فسأله عن الإمام ، فقال: ليس هذا وقت خروجه؛ لأن واسطاً لم تفتح بعد ، فرجع أبو الجهم إلى موسى بن كعب فأخبره ، فأجمعوا على أن يلقوا الإمام ، فمضى موسى بن كعب وأبو الجهم وعبد الحميد بن رِبْعيّ وسلمَة بن محمد وإبراهيم بن سلمة وعبد الله الطائي وإسحاق بن إبراهيم وشَراحيل وعبد الله بن بسام وأبو حُميد محمد بن إبراهيم وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين إلى الإمام ، فبلَغ أبا سلمة ، فسأل عنهم فقيل: ركبوا إلى الكوفة في حاجة لهم.

وأتى القومُ أبا العباس ، فدخلوا عليه فقالوا: أيّكم عبد الله بن محمد بن الحارثية؟ فقالوا: هذا ، فسلموا عليه بالخلافة؛ فرجع موسى بن كعب وأبو الجهم الآخرين؛ فتخلفوا عند الإمام ، فأرسل أبو سلمة إلى أبي الجهم: أين كنت؟ قال: ركبتُ إلى إمامي. فركب أبو سلمة إليهم ، فأرسل أبو الجهم إلى أبي حميد أنَّ أبا سلمة قد أتاكم ، فلا يدخلنّ على الإمام إلاّ وحده؛ فلما انتهى

إليهم أبو سلمة منعوه أن يدخل معه أحدٌ ، فدخل وحده ، فسلم بالخلافة على أبي العباس.

وخرج أبو العباس على بِرْذَوْن أبْلَق يوم الجمعة ، فصلّى بالناس ، فأخبرنا عَمارة مولى جبرئيل وأبو عبد الله السُّلميّ أن أبا سلمةِ لما سلّم على أبي العباس بالخلافة ، قال له أبو حُميد: على رَغم أنفك يا ماصّ بظر أمّه! فقال له أبو العباس: مَهْ![1].

وذكر أنّ أبا العباس لما صعد المنبر حين بويع له بالخلافة ، قام في أعلاه ، وصعد داود بن عليّ فقام دونه ، فتكلم أبو العباس ، فقال: الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة ، وشرَّفه وعظَّمه ، واختاره لنا وأيّده لنا ، وجعلنا أهله وكهْفه وحصنه والقوّام به ، والذابين عنه والناصرين له ، وألزمَنا كلمة التقوى ، وجعلنا أحقّ بها وأهلها ، وخصّنا برحمِ رسول الله ﷺ وقرَابته ، وأنشأنا من آبائه ، وأنبتنا من شجرته ، واشتقّنا من نَبْعته؛ جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عَنِتْنَا ، حريصاً علينا بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يُتْلَى عليهم ، فقال عزّ من قائل فيما أنزل من محكم القرآن: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[2] وقال: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[3] وقال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[4] وقال: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾[5] وقال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾[6] فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا ، وأوجب عليهم حقنا ومودّتنا ، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمةً لنا ، وفضلاً علينا ، والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) عمارة وصاحبه مجهولان وما الداعي لهذا الخبر الذي لا يقدم ولا يؤخر في الخبر شيئاً.
(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.
(٣) سورة الشورى: ٢٣.
(٤) سورة الشعراء: ٢١٤.
(٥) سورة الحشر: ٧.
(٦) سورة الأنفال: ٤١.

وزعمت السبئيّة الضُّلال ، أن غيرنا أحقّ بالرياسة والسياسة والخلافة منا ، فشاهت وجوههم! بم ولم أيّها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم ، وبصّرهم بعد جهالتهم ، وأنقذهم بعد هَلَكتهم ، وأظهر بنا الحقّ ، وأدحض بنا الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ، ورفع بنا الخسيسة ، وتمَّ بنا النقيصة ، وجمع الفرقة ، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبرّ ومواساة في دينهم ودنياهم ، وإخواناً على سرُر متقابلين في آخرتهم؛ فتح الله ذلك منّةً ومنحةً لمحمد ﷺ فلما قبضه الله إليه ، قام بذلك الأمر من بعده أصحابه ، وأمرهم شورى بينهم ، فحوَوْا مواريث الأمم ، فعدّلوا فيها ووضعُوها مواضعها ، وأعطوْها أهلها ، وخرجوا خماصاً منها. ثم وثب بنو حَرْب ومَرْوان ، فابتزّوها وتداولوها بينهم ، فجاروا فيها ، واستأثروا بها ، وظلموا أهلها ، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه ، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ، وردّ علينا حقّنَا ، وتدارك بنا أمّتنا ، وولي نصرَنا والقيام بأمرنا ، ليمنّ بنا على الذين استُضعفوا في الأرض؛ وختم بنا كما افتتح بنا. وإني لأرجو ألاّ يأتيَكم الجوْر من حيث أتاكم الخيرُ ، ولا الفسادُ من حيث جاءكم الصلاح ، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله. يا أهل الكوفة ، أنتم محلّ محبّتنا ومنزل مودَّتنا. أنتم الذين لم تتغيّروا عن ذلك ، ولمَ يُثنكِم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم؛ حتى أدركتُم زماننا ، وأتاكم الله بدَوْلتِنا؛ فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا؛ وقد زدتُكم في أعطياتكم مئة درهم ، فاستعدُّوا ، فأنا السفاح المبِيح ، والثائر المبير.

وكان موعوكاً فاشتدّ به الوعَك ، فجلس على المنبر ، وصعد داود بن علي فقام دونه على مراقي المنبر فقال:

الحمد لله شكراً شكراً ، الذي أهلَك عدوّنا ، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد ﷺ. أيّها الناس ، الآن أقشعت حنادس الدنيا ، وانكشف غطاؤها ، وأشرقت أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ، وبزغ القمر من مبزغه؛ وأخذ القوس باريها ، وعاد السهم إلى منزَعه ، ورجع الحق إلى نصابه؛ في أهل بيت نبيّكم ، أهل الرأفة والرّحمة بكم والعطف عليكم.

أيها الناس ، إنا والله ما خرجْنا في طلب هذا الأمر لنكثر لُجيْناً ولا عقياناً ، ولا نحفرَ نَهْراً ، ولا نبني قصراً؛ وإنما أخرَجنا الأنَفَةُ من ابتزازهم حقّنا ،

والغَضَبُ لبني عمنا ، وما كرَثَنا من أموركم ، وبَهظَنَا من شؤونكم ، ولقد كانت أموركم تُرمِضُنا ونحن على فُرشنا ، ويشتدّ علينا سوء سيرة بني أمية فيكم ، وخُرْقهم بكم ، واستذلالهم لكم ، واستئثارُهم بفَيْئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم. لكم ذمة الله تبارك وتعالى ، وذمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذمة العبّاس رحمه الله؛ أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير في العامّة منكم والخاصّة بسيرة رسول الله ﷺ . تباً تباً لبني حَرْب بن أمية وبني مَرْوان! آثروا في مُدّتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة ، والدارَ الفانية على الدار الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا الأنام ، وانتهكوا المحارم ، وغَشُوا الجرائم ، وجاروا في سيرتهم في العباد ، وسنّتهم في البلاد التي بها استلذُّوا تسربُل الأوزار ، وتجلبب الآصار ، ومرحوا في أعنَّة المعاصي ، وركضوا في ميادين الغيّ ، جهلاً باستدراج الله ، وأمناً لمكر الله؛ فأتاهم بأس الله بياتاً وهم نائمون ، فأصبحوا أحاديث ، ومُزِّقوا كل ممزّق ، فبعداً للقوم الظالمين! وأدالنا الله من مروان ، وقد غرّه بالله الغرور ، أرسل لعدوِّ الله في عنانه حتى عثر في فضل خِطامه ، فظنَّ عدوّ الله أن لن نقدِر عليه ، فنادى حزبه ، وجمع مكايده ، ورمى بكتائبه؛ فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله ، من مَكْر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ، ومحق ضلالَه ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفَنَا وعزّنا ، وردّ إلينا حقنا وإرثنا.

أيها الناس؛ إن أمير المؤمنين نصره الله نصراً عزيزاً ، إنما عاد إلى المنبر بعد الصَّلاة؛ أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدّة الوَعْك ، وادْعُوا الله لأمير المؤمنين بالعافية ، فقد أبدلكم الله بمروان عدوِّ الرحمن خليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد صلاحها بإبدال الدين وانتهاك حريم المسلمين ، الشابَّ المكهّل المتمهل ، المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها ، بمعالم الهدى ، ومناهج التقوى.

فعج الناس له بالدعاء ثم قال:

يا أهل الكوفة ، إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقّنا ، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حَقَّنَا ، وأفلج بهم حجّتنا ، وأظهر بهم

دولتنا، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون، وإليه تتشوّفون، فأظهر فيكم الخليفةَ من هاشم، وبيّض به وجوهكم، وأدالكم على أهل الشأم، ونقل إليكم السلطان، وعزّ الإسلام، ومنّ عليكم بإمام منحه العدالة، وأعطاه حسن الإيالة. فخذوا ما آتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا، ولا تُخْدَعوا عن أنفسكم فإن الأمر أمركم، وإنّ لكل أهل بيت مصراً؛ وإنكم مصرُنا. ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبي العباس - فاعلموا أنّ هذا الأمر فينا ليس بخارج منّا حتى نسلمه إلى عيسى ابن مريم عليه السَّلام، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا.

ثم نزل أبو العباس وداود بن عليّ أمامه؛ حتى دخل القصر، وأجلس أبا جعفر ليأخذ البَيْعة على الناس في المسجد، فلم يزل يأخذها عليهم، حتى صلى بهم العصر، ثم صلى بهم المغرب وجنّهم الليل فدخل[1].

وذكر أن داود بن عليّ وابنه موسى كانا بالعراق أو بغيرها، فخرجا يريدان الشُّراة فلقيَهما أبو العباس يريد الكوفة، معه أخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد وعبد الله بن عليّ وعيسى بن موسى ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس، ونفر من مواليهم بدَوْمة الجندل، فقال لهم داود: أين تريدون؟ وما قِصّتكم؟ فقصّ

(١) هذا الخبر الطويل (٤٢٥ - ٤٢٨) حول خطب أبي العباس الخليفة وعمه داود بن علي - خبر لا يصح إسناداً ولا متناً - فقد ذكره الطبري بلا إسناد فقال (وذُكر) وأما المتن ففيه نكارات خبر واضحة وعلى سبيل المثال فقد جاء فيه أن داود بن علي أخبر الناس أنه لم يصعد منبر الكوفة بعد رسول الله ﷺ [إلاّ علي بن أبي طالب وأبي العباس]، وهذا يخالف ما أخرجه خليفة برواية مسندة موصولة إلى من حضر وسمع هذه الخطابة وفيها يقول داود: إنه والله ما علا منبركم هذا خليفة بعد علي بن أبي طالب غير ابن أخي هذا.
(تأريخ خليفة/ ٢٦٨) وهذا يعني أنه يقرّ بخلافة الراشدين الأربع وهذا ما ثبت عن خلفاء بني العباس أنهم كانوا يقرون به أما عدم اعترافهم بأن بني أمية خلفاء وإنما هم ملوك فلا غبار على قولهم هذا لأنهم خصومهم التقليديون فلا غرابة إذا لم يقرّوا بخلافتهم ولو أقروا بذلك لما خرجوا عليهم - وإن كانت الروايات التي سنذكرها فيما أبعد تذكر أن بعض خلفاء بني العباس كالمنصور أقرّ واعترف فيما بعد بخلافة الأمويين حتى آخرهم مروان بن محمد وفي المتن نكارات أخرى واضحة والله تعالى أعلم والحمد لله على نعمة الإسناد.

عليه أبو العباس قِصّتهم ، وأنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ، ويظهروا أمرهم ، فقال له داود: يا أبا العباس ، تأتي الكوفة وشيخ بني مروان؛ مَرْوان بن محمد بحرّان مطلٌّ على العراق في أهل الشأم والجزيرة ، وشيخ العرب يزيد بن عمر بن هبيرة بالعراق في حلْبة العرب! فقال أبو الغنائم: من أحبَّ الحياة ذلَّ ثم تمثل بقول الأعشى:

فمــا ميتَــةٌ إن مِتُّهــا غيــرَ عــاجز   بعــارٍ إذا مــا غــالــتِ النفسَ غُــولُهــا

فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال: صدق والله ابن عمك ، فارجع بنا معه نعش أعزّاء أو نمت كراماً ، فرجعوا جميعاً ، فكان عيسى بن موسى يقول إذا ذكر خروجهم من الحُميمة يريدون الكوفة: إن نفراً أربعة عشر رجلاً خرجوا من دارهم وأهليهم يطلبون مطالبَنا ، لعظيمٌ همّهم كبيرة أنفسهم ، شديدة قلوبهم. [٧/ ٤٢١ـ ٤٢٩].

* * *

ذكر بقيَّة الخبر عما كان
من الأحداث في سنة اثنتين وثلاثين ومئة

تمام الخبر عن سبب البيعة لأبي العباس عبد الله بن محمد بن عليّ وما كان من أمره:

قال أبو جعفر: قد ذكرنا من أمر أبي العباس عبد الله بن محمد بن عليّ ما حضرنا ذكره قبلُ ، عمن ذكرنا ذلك عنه؛ وقد ذكرنا من أمره وأمر أبي سلمة وسبب عقد الخلافة لأبي العباس أيضاً ما أنا ذاكره؛ وهو أنه لما بلغ أبا سلمة قتلُ مروان بن محمد إبراهيمَ الذي كان يقال له الإمام ، بدا له في الدعاء إلى ولد العباس وأضمر الدّعاء لغيرهم؛ وكان أبو سلمة قد أنزل أبا العباس حين قدم الكوفة مع مَن قدم معه من أهل بيته في دار الوليد بن سعد في بني أوْد ، فكان أبو سلمة إذا سئل عن الإمام يقول: لا تعجلوا ، فلم يزل ذلك من أمره وهو في معسكره بحمّام أعين حتى خرج أبو حُميد ، وهو يريد الكُناسة ، فلقي خادماً لإبراهيم يقال له سابق الخوارزميّ ، فعرفه ، وكان يأتيهم بالشأم فقال له: ما فعل الإمام إبراهيم؟ فأخبره أنّ مَرْوان قتله غِيلة ، وأن إبراهيم أوصى إلى أخيه

أبي العباس ، واستخلفه من بعده ، وأنه قدم الكوفة ومعه عامة أهل بيته، فسأله أبو حميد أن ينطلق به إليهم ، فقال له سابق: الموعدُ بيني وبينك غداً في هذا الموضع ، وكره سابق أن يدلّه عليهم إلا بإذنهم ، فرجع أبو حميد من الغد إلى الموضع الذي وعد فيه سابقاً ، فلقيه ، فانطلق به إلى أبي العباس وأهل بيته ، فلما دخل عليهم سأل أبو حُميد: مَن الخليفة منهم؟ فقال داود بن عليّ: هذا إمامكم وخليفتكم ـ وأشار إلى أبي العباس ـ فسلم عليه بالخلافة ، وقبّل يديه ورجليه ، وقال: مُرنا بأمرك ، وعزّاه بالإمام إبراهيم.

وقد كان إبراهيم بن سلمة دخل عسكر أبي سَلمة متنكّراً ، فأتى أبا الجهم فاستأمنه ، فأخبره أنه رسول أبي العباس وأهل بيته ، وأخبره بمن معه وبموضعهم ، وأنَّ أبا العباس كان سرّحه إلى أبي سلمة يسأله مئة دينار ، يعطيها للجمّال كراء الجمال التي قدِم بهم عليها ، فلم يبعث بها إليه ، ورجع أبو حميد إلى أبي الجَهم ، فأخبره بحالهم ، فمشى أبو الجَهْم ، وأبو حُميد ومعهما إبراهيم بن سلمة ، حتى دخلوا على موسى بن كعب ، فقصّ عليه أبو الجهم الخبرَ ، وما أخبره إبراهيم بن سلمة ، فقال موسى بن كعب: عجِّل البعثة إليه بالدّنانير وسرّحه ، فانصرف أبو الجَهْم ودفع الدنانير إلى إبراهيم بن سلمة ، وحمله على بَغْل وسرّح معه رجلين ، حتى أدخلاه الكوفة ، ثم قال أبو الجهم لأبي سلمة ، وقد شاع في العسكر أن مروان بن محمد قد قتل الإمام: فإن كان قد قُتِل كان أخوه أبو العباس الخليفة والإمام من بعده؛ فردّ عليه أبو سلمة: يا أبا الجهم ، اكفف أبا حميد عن دخول الكوفة ، فإنهم أصحاب إرجاف وفساد.

فلما كانت الليلة الثانية أتى إبراهيم بن سلمة أبا الجهم وموسى بن كعب ، فبلّغهما رسالة من أبي العباس وأهل بيته ، ومشى في القواد والشيعة تلك الليلة ، فاجتمعوا في منزل موسى بن كعب؛ منهم عبد الحميد بن رِبعيّ وسلمة بن محمد وعبد الله الطائيّ وإسحاق بن إبراهيم وشراحيل وعبد الله بن بسام وغيرهم من القوّاد ، فأتمروا في الدخول إلى أبي العباس وأهل بيته ، ثم تسللوا من الغد حتى دخلوا الكوفة وزعيمهم موسى بن كعب وأبو الجهم وأبو حميد الحميريّ ـ وهو محمد بن إبراهيم ـ فانتهوا إلى دار الوليد بن سعد ، فدخلوا عليهم ، فقال موسى بن كعب ، وأبو الجهم: أيّكم أبو العباس؟ فأشاروا إليه ، فسلموا عليه

وعزّوه بالإمام إبراهيم ، وانصرفوا إلى العسكر ، وخلّفوا عنده أبا حميد وأبا مقاتل وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين ومحمد بن الحارث ونهار بن حُصين ويوسف بن محمد وأبا هريرة محمد بن فروخ .

فبعث أبو سلمة إلى أبي الجَهْم فدعاه ، وكان أخبره بدخوله الكوفة ، فقال: أين كنت يا أبا الجهم؟ قال: كنت عند إمامي ، وخرج أبو الجهم فدعا حاجب بن صدّان ، فبعثه إلى الكوفة ، وقال له: ادخل فسلِّم على أبي العباس بالخلافة ، وبعث إلى أبي حميد وأصحابه: إن أتاكم أبو سلمة فلا يدخل إلا وحدَه؛ فإن دخل وبايع فسبيله ذلك؛ وإلا فاضربوا عنقه؛ فلم يلبثوا أن أتاهم أبو سلمة فدخل وحدَه ، فسلم على أبي العباس بالخلافة ، فأمره أبو العباس بالانصراف إلى عسكره ، فانصرف من ليلته ، فأصبح الناس قد لبسوا سلاحَهم ، واصطفوا لخروج أبي العباس ، وأتوْه بالدواب ، فركب ومَن معه من أهل بيته حتى دخلوا قصر الإمارة بالكوفة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلَتْ من شهر ربيع الآخر ، ثم دخل المسجد من دار الإمارة ، فصعِد المِنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وذكر عظمة الربّ تبارك وتعالى وفضل النبي ﷺ وقاد الولاية والوراثة حتى انتهيَا إليه ، ووعد الناس خيراً ثم سكت .

وتكلّم داود بن عليّ وهو على المنبر أسفلَ من أبي العباس بثلاث درجات ، فحمِد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ، وقال: أيّها الناس ، إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله ﷺ خليفة إلا عليّ بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا الذي خلفي ، ثم نزلا وخرج أبو العباس ، فعسكر بحمام أعين في عسكر أبي سَلمة ، ونزل معه في حجرته ، بينهما ستر ، وحاجب أبي العباس يومئذ عبد الله بن بسام ، واستخلف على الكوفة وأرضها عمّه داود بن عليّ ، وبعث عمه عبد الله بن عليّ إلى أبي عَوْن بن يزيد ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قَحْطبة ، وهو يومئذ بواسط محاصر ابنَ هبيرة ، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس إلى حُميد بن قحطبة بالمدائن ، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز ، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف ، وأقام أبو العباس في العسَكر أشهراً ثم ارتحل ، فنزل المدينة الهاشميّة في قصر

الكوفة ، وقد كان تنكّر لأبي سلمة قبل تحوّله حتى عرف ذلك[1] . [٧/ ٤٢٩ _ ٤٣١] .

قال عليّ : حدثنا شيخ من أهل خراسان قال : قال مرْوان للمخارق تعرف المخارق إن رأيته؟ فإنهم زعموا أنه في هذه الرؤوس التي أتينا بها ، قال : نعم ، قال : اعرضوا عليه تلك الرؤوس ، فنظر فقال : ما أرى رأسه في هذه الرؤوس ، ولا أراه إلاّ وقد ذهب . فخلّى سبيله ، وبلغ عبد الله بن عليّ انهزام المخارق ، فقال له موسى بن كعب : اخرج إلى مَرْوان قبل أن يصل الفلّ إلى العسكر ، فيظهر ما لقي المخارق ، فدعا عبد الله بن عليّ محمد بن صوْل ، فاستخلفه على العسكر ، وسار على ميمنته أبو عون ، وعلى ميسرة مَرْوان الوليد بن معاوية ، ومع مروان ثلاثة آلاف من المحمرة ومعه الذكوانية والصَّحصحية والرّاشدية ، فقال مروان لما التقى العسكران لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى ابن مريم؛ وإن قاتلونا قبل الزوال؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وأرسل مَرْوان إلى عبد الله بن عليّ يسأله الموادعة ، فقال عبد الله : كذب ابن زُريق ، ولا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله .

فقال مروان لأهل الشأم : قِفوا لا تبدؤوهم بقتال؛ فجعل ينظر إلى الشمس ، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختن مروان على ابنته ، فغضب وشتمه ، وقاتل ابنُ معاوية أهلَ الميمنة ، فانحاز أبو عون إلى عبد الله بن عليّ ، فقال موسى بن كعب لعبد الله : مر الناس فلينزلوا ، فنودي : الأرض ، فنزل الناس ، وأشرعوا الرماح ، وجَثَوْا على الرّكَب ، فقاتلوهم فجعل أهل الشأم يتأخّرُونَ كأنهم يدفعون؛ ومشى عبد الله قُدماً وهو يقول : يا ربّ حتى متى نُقْتَل فيك! ونادى : يا أهل خُراسان ، يا لثارات إبراهيم! يا محمد ، يا منصور!

واشتدّ بينهم القتال ، وقال مروان لقضاعة : انزلوا ، فقالوا : قل لبني سليم فلينزلوا ، فأرسل إلى السكاسك أن احملوا ، فقالوا : قل لبني عامر فليحمِلوا

---

(١) بينّا آنفاً (٧/ ٤٢٨) أن هذه الخطبة محرفة عن الخطبة الأصلية التي ذكرها (خليفة بن خياط في تأريخه (ص ٢٦٨) وأن العبارة الصحيحة [خليفة بعد علي بن أبي طالب إلا أبا العباس] أو نحواً من هذا وانظر تعليقنا ص ١٦ والتعليقة (١) .

فأرسل إلى السَّكون أن احملوا ، فقالوا: قل لغطفان فليحملوا ، فقال لصاحب شُرَطه: انزل ، فقال: لا والله ما كنتُ لأجعَل نفسي غَرضاً ، قال: أما والله لأسوءنّك ، قال: وددت والله أنك قدرت على ذلك ، ثم انهزم أهل الشام ، وانهزم مروان ، وقطع الجسر؛ فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قُتِل؛ فكان فيمن غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع وأمر عبد الله بن عليّ فعقد الجِسْر على الزّاب ، واستخرجوا الغرقَى فأخرجوا ثلاثمئة ، فكان فيمن أخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن عليّ: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[1] .

وأقام عبد الله بن عليّ في عسكره سبعة أيام ، فقال رجل من ولد سعيد بن العاص يعيّر مروان:

لَجَّ الفِرارُ بمروانٍ فقلتُ لَهُ … عادَ الظلومُ ظَليماً همُّه الهَرَبُ
أَين الفرارُ وتركُ المُلْكِ إذ ذهبت … عنك الهُوَينَى فلا دين ولا حَسبُ
فراشَةُ الحِلم فِرْعَوْنُ العِقابِ وإِنْ … تَطْلُبْ نَداهُ فكلبٌ دونه كَلِبُ

وكتب عبد الله بن عليّ إلى أمير المؤمنين أبي العباس بالفتح ، وهرب مروان وحوى عسكر مروان بما فيه ، فوجد فيه سلاحاً كثيراً وأموالاً؛ ولم يجدوا فيه امرأةً إلا جارية كانت لعبد الله بن مروان؛ فلمّا أتى العباس كتابُ عبد الله بن عليّ صلى ركعتين، ثم قال: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ إلى قوله ﴿ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[2] . وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمئة ، ورفع أرزاقهم إلى ثمانين .

حدثنا أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، قال: قال عبد الرحمن بن أميّة: كان مَرْوان لما لقيه أهلُ خُراسان لا يدبّر شيئاً إلا كان فيه الخلل والفساد ، قال: بلغني أنّه كان يوم انهزم واقفاً ، والناس يقتتلون؛ إذ أمَر بأموال فأخرِجت ، وقال للناس: اصبروا وقاتلوا ، فهذه الأموال لكم ، فجعل ناسٌ من الناس يصيبون من ذلك المال ، فأرسلوا إليه: إنَّ الناس قد مالوا على هذا المال ، ولا نأمنهم أن

(١) سورة البقرة: ٥٠ .
(٢) سورة البقرة: ٢٥١ .

يذهبوا به ، فأرسل إلى ابنه عبد الله أن سِرْ في أصحابِك إلى مؤخر عسكرك ، فاقتل مَنْ أخذ من ذلك المال وامنعْهم؛ فمال عبد الله برايته وأصحابه ، فقال الناس: الهزيمة؛ فانهزموا.

حدّثنا أحمد بن عليّ ، عن أبي الجارود السُّلميّ ، قال: حدّثني رجل من أهل خُراسان ، قال: لقيَنا مروان على الزّاب ، فحمل علينا أهل الشأم كأنهم جبال حديد ، فجثوْنا وأشرعنا الرماح ، فمالوا عنا كأنهم سحابة ، ومَنحنا الله أكتافهم ، وانقطع الجِسْر ممّا يليهم حين عبروا ، فبقيَ عليه رجلٌ من أهل الشام ، فخرج عليه رجل منا ، فقتله الشأميّ ، ثم خرج آخر فقتله؛ حتى والى بين ثلاثة؛ فقال رجل منا: اطلبوا لي سيفاً قاطعاً ، وتُرْساً صلباً ، فأعطيناه ، فمشى إليه فضربه الشأميّ فاتّقاه بالترس ، وضرب رِجْله فقطعها ، وقتله ورجع؛ وحملناه وكبّرنا فإذا هو عبيد الله الكابليّ. [٧/ ٤٣٣ ـ ٤٣٥].

* ذكر من قال ذلك:

حدّثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد بن يزيد بن هريم ، قال: حدّثنا أبو هاشم مخلَّد بن محمد بن صالح ، قال: قدم مروان بن محمد الرَّقة حين قدمها متوجهاً إلى الضّحاك بسعيد بن هشام بن عبد الملك وابنيْه عثمان ومرْوان؛ وهم في وثاقهم معه؛ فسرّح بهم إلى خليفته بحرَّان ، فحبسهم في حَبْسها ، ومعهم إبراهيم بن عليّ بن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز والعباس بن الوليد ، وأبو محمد السفيانيّ ـ وكان يقال له البَيْطار ـ فهلك في سجن حَرّان منهم في وباء وقع بحرّان العباس بن الوليد وإبراهيم بن محمد وعبد الله بن عمر ، قال: فلمّا كان قبل هزيمة مَرْوان من الزَّاب يوم هزمه عبد الله بن عليّ بجمعة ، خرج سعيد بن هشام ومَن معه من المحبَّسين ، فقتلوا صاحب السجن ، وخرج فيمن معه ، وتخلف أبو محمد السفيانيّ في الحبس ، فلم يخرج فيمن خرج ، ومعه غيره لم يستحلّوا الخروج من الحبْس ، فقتلَ أهل حَرّان ومَنْ كان فيها من الغوغاء سعيد بن هشام وشَراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر التغلبيّ ، وبطريق أرمينية الرابعة ـ وكان اسمه كوشان ـ بالحجارة ، ولم يلبث مَرْوان بعد قتلهم إلا نحواً من خمس عشرة ليلة؛ حتى قدم حرّان منهزماً من الزّاب ، فخلّى عن

أبي محمد ومَن كان في حبسه من المحبَّسين.

وذكر عمر أن عبد الله بن كثير العبديّ، حدّثه عن عليّ بن موسى، عن أبيه، قال: هدم مروان على إبراهيم بن محمد بيتاً فقتله.

قال عمرو: وحدثني محمد بن معروف بن سويد، قال: حدثني أبي عن المهلهل بن صفوان ـ قال عمر: ثم حدّثني المفضّل بن جعفر بن سليمان بعده؛ قال: حدّثني المهلهل بن صفوان ـ قال: كنتُ أخدم إبراهيم بن محمد في الحبس؛ وكان معه في الحبس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك فكانوا يتزاورون، وخصّ الذي بين إبراهيم وشَراحيل فأتاه رسوله يوماً بلبن، فقال: يقول لك أخوك: إنّي شربتُ من هذا اللبن فاستطبتُه فأحببتُ أن تشربَ منه، فتناوله فشرب فتوصّب من ساعته وتكسر جسده[1]، وكان يوماً يأتي فيه شراحيل، فأبطأ عليه، فأرسل إليه: جُعِلت فداك! قد أبطأت فما حبسك؟ فأرسل إليه: إني لما شربت اللبن الذي أرسلته إليّ أخلفني، فأتاه شراحيل مذعوراً وقال: لا والله الذي لا إله إلا هو؛ ما شرِبْتُ اليوم لبناً، ولا أرسلت به إليك، فإنا لله وإنا إليه راجعون! احتيل لك والله، قال: فوالله ما بات إلاّ ليلته وأصبح من غد ميتاً؛ فقال إبراهيم بن عليّ بن سلمة بن عامر بن هرمة بن هذيل بن الربيع بن عامر بن صبيح بن عديّ بن قيس ـ وقيس هو ابن الحارث بن فهر ـ يرثيه[2]:

قد كنتُ أحسِبُني جَلداً فَضَعْضَعَني	قبرٌ بحَرَّانَ فيه عِصْمَةُ الدينِ
فيه الإمامُ وخيرُ الناس كلِّهمُ	بين الصفائح والأَحجار والطينِ
فيه الإمامُ الذي عَمَّتْ مُصيبتُه	وعَيَّلَتْ كلَّ ذي مال ومِسكينِ
فلا عفا الله عن مروانَ مظلمةً	لكنْ عفا اللهُ عمَّن قال آمين

[٧/ ٤٣٦ـ ٤٣٧].

---

(١) في الإسناد تصحيف فالصواب قال عمر (أي ابن شبة) وأما محمد بن معروف فلم نجد له ترجمة وشيخ أبيه المهلهل بن صفوان مجهول الحال على أقل تقدير والخبر لا يصح.

(٢) قال المؤرخ ابن كثير: وكان وفاة مروان يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة وقيل يوم الخميس لست مضين منها سنة اثنتين وثلاثين ومئة وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام. [البداية والنهاية (٨/ ٤٢)].

وقد خولف هؤلاء في عدد من كان مع عبد الله بن عليّ يومئذ ، فذكر مسلم بن المغيرة ، عن مصعب بن الربيع الخثعميّ وهو أبو موسى بن مصعب ـ وكان كاتباً لمروان ـ قال: لما انهزم مروان ، وظهر عبد الله بن عليّ على الشأم ، طلبت الأمانَ فآمنني ، فإني يوماً جالس عنده؛ وهو متكئ إذ ذكر مروان وانهزامه ، قال: أشهدتَ القتال؟ قلتُ: نعم أصلح الله الأمير! فقال: حدِّثني عنه؛ قال: قلت: لما كان ذلك اليوم قال لي: احزر القوم ، فقلت: إنما أنا صاحب قلم؛ ولستُ صاحب حرب؛ فأخذ يمنة ويسرة ونظر فقال: هم اثنا عشر ألفاً ، فجلس عبد الله ، ثم قال: ما له قاتله الله! ما أحصى الديوان يومئذ فضلاً على اثني عشر ألف رجل!

* * *

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد عن أشياخه: فانهزم مروان حتى أتى مدينة الموصل؛ وعليها هشام بن عمرو التغلبيّ ، وبشر بن خزيمة الأسديّ ، وقطعوا الجسر ، فناداهم أهل الشأم: هذا مروان ، قالوا: كذبتم ، أمير المؤمنين لا يفرّ ، فسار إلى بلد ، فعبر دجْلة ، فأتى حرّان ثم أتى دمشق ، وخلّف بها الوليد بن معاوية ، وقال: قاتلهم حتى يجتمع أهل الشأم ، ومضى مَرْوان حتى أتى فلسطين ، فنزل نهر أبي فُطْرُس ، وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضَبْعان الجُذاميّ ، فأرسل مَرْوان إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زِنباع ، فأجازه ، وكان بيت المال في يد الحكم ، وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن عليّ يأمره باتباع مروان ، فسار عبد الله إلى الموصل ، فتلقاه هشام بن عمرو التغلبيّ وبشر بن خزيمة ، وقد سوّدا في أهل الموصل ، ففتحوا له المدينة ، ثم سار إلى حَرّان ، ووَلّى الموصل محمد بن صول؛ فهدم الدّار التي حبس فيها إبراهيم بن محمد ، ثم سار من حَرَان ، إلى منبج وقد سوّدوا ، فنزل مَنْبِج وولاها أبا حميد المروروذيّ ، وبعث إليه أهل قنّسرين ببيعتهم إياه بما أتاه به عنهم أبو أمية التغلبيّ ، وقدم عليه عبد الصمد بن عليّ ، أمده به أبو العباس في أربعة آلاف ، فأقام يومين بعد قدوم عبد الصّمد ، ثم سار إلى قِنَّسرين ، فأتاها وقد سوّد أهلها ، فأقام يومين ، ثم سار حتى نزل حِمْص ، فأقام بها أيّاماً وبايع أهلها ، ثم

سارإلى بعلبكّ ، فأقام يومين ثم ارتحل ، فنزل بعين الحرّ ، فأقام يومين ، ثم ارتحل ، فنزل مِزّة (قرية من قرى دمشق) فأقام وقدم عليه صالح بن علي مَدَداً ، فنزل مَرْج عذراء في ثمانية آلاف ، معه بسام بن إبراهيم وخفاف وشعبة والهيثم بن بسام ، ثم سار عبد الله بن عليّ ، فنزل على الباب الشرقي ، ونزل صالح بن علي على باب الجابية ، وأبو عون على باب كيسان ، وبسام على باب الصغير ، وحُميد بن قحطبة على باب توما ، وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس ـ وفي دمشق الوليد بن معاوية ـ فحصروا أهل دمشق والبلْقاء ، وتعصّب الناس بالمدينة ، فقتل بعضهم بعضاً ، وقتلوا الوليد ، ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء لعشر مضين من رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، فكان أوّل مَنْ صعد سور المدينة من الباب الشرقيّ عبد الله الطائيّ ، ومن قبَل باب الصغير بسّام بن إبراهيم ، فقاتلوا بها ثلاث ساعات ، وأقام عبد الله بن عليّ بدمشق خمسة عشر يوماً ، ثم سار يريد فلسطين ، فنزل نهر الكُسوة ، فوجّه منها يحيى بن جعفر الهاشميّ إلى المدينة ، ثم ارتحل إلى الأردنّ ، فأتوْه وقد سوّدوا ، ثم نزل بَيْسان ، ثم سار إلى مَرْج الرّوم ، ثم أتى نهر أبي فُطْرُس ، وقد هرب مَرْوان فأقام بفلسطين ، وجاءه كتاب أبي العباس؛ أن وجّه صالح بن عليّ في طلب مروان ، فسار صالح بن عليّ من نهر أبي فطرس في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومئة؛ ومعه ابن فتان وعامر بن إسماعيل وأبو عون ، فقدّم صالح ابن عليّ أبا عون على مقدّمته وعامر بن إسماعيل الحارثيّ ، وسار فنزل الرّمْلة ، ثم سار فنزلوا ساحل البحر ، وجمع صالح بن عليّ السفن وتجهز يريد مَروان ، وهو بالفرَماء ، فسار على الساحل والسفن حذاءه في البحر؛ حتى نزل العريش.

وبلغ مروان فأحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب ، ومضى صالح بن عليّ فنزل الليل ، ثم سار حتى نزل الصعيد ، وبلغه أن خيلاً لمرْوان بالساحل يحرقون الأعلاف ، فوجّه إليهم قوّاداً ، فأخذوا رجالاً ، فقدِموا بهم على صالح وهو بالفسطاط ، فعبر مَرْوان النيل ، وقطع الجسر ، وحرق ما حَوْله ، ومضى صالح يتبعه ، فالتقى هو وخيل لمرْوان على النيل فاقتتلوا ، فهزمهم صالح ، ثم مضى إلى خليج ، فصادف عليه خيلاً لمروان ، فأصاب منهم طرفاً وهزمهم ، ثم

سار إلى خليج آخر فعبروا ، ورأوا رَهَجاً فظنوه مروان ، فبعث طليعة عليها الفضْل بن دينار ومالك بن قادم ، فلم يلقوْا أحداً ينكرونه ، فرجعوا إلى صالح فارتحل ، فنزل موضعاً يقال له ذات الساحل؛ ونزل فقدم أبو عون عامرَ بن إسماعيل الحارثيّ ، ومعه شعبة بن كثير المازنيّ ، فلقوا خيلاً لمروان وافوهم ، فهزموهم وأسروا منهم رجالاً ، فقتلوا بعضهم ، واستحيوْا بعضاً ، فسألوا عن مروان فأخبروهم بمكانه ، على أن يؤمنوهم ، وساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة في بُوصير ، ووافوهم في آخر الليل ، فهرب الجند وخرج إليهم مروان في نفرٍ يسير ، فأحاطوا به فقتلوه.

قال عليّ: وأخبرني إسماعيل بن الحسن ، عن عامر بن إسماعيل قال: لقينا مروان ببوصير ونحن في جماعة يسيرة فشدوا علينا ، فانضوينا إلى نخل ولو يعلمون بقلتنا لأهلكونا ، فقلت لمن معي من أصحابي: فإن أصبحنا فرأوْا قلّتنا وعددنا لم ينجُ منا أحد؛ وذكرت قول بكير بن ماهان: أنت والله تقتل مروان؛ كأني أسمعك ، تقول «دهيد ياجوانكثان»؛ فكسرت جُفْن سيفي ، وكسر أصحابي جفونَ سيوفهم ، وقلت: «دهيد ياجوانكثان»؛ فكأنها نار صُبّت عليهم ، فانهزموا وحمل رجل على مرْوان فضربه بسيفه فقتله ، وركب عامر بن إسماعيل إلى صالح بن عليّ ، فكتب صالح بن عليّ إلى أمير المؤمنين أبي العباس: إنّا اتّبعنا عدوّ الله الجعديّ حتى ألجأناه إلى أرض عدوّ الله شبيهه فرعون، فقتلته بأرضه[١].

قال عليّ: حدثنا أبو طالب الأنصاريّ ، قال: طعن مروان رجلٌ من أهل البصرة ـ يقال له المغود ، وهو لا يعرفه ـ فصرعه ، فصاح صائح: صُرِع أمير المؤمنين ، وابتدروه ، فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان ، فاحتزّ رأسه ، فبعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبي عَوْن ، فبعث بها أبو عون إلى صالح بن عليّ ، وبعث صالح برأسه مع يزيد بن هانئ ـ وكان على شرَطه ـ إلى أبي العباس يوم الأحد ، لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، ورجع صالح إلى الفسطاط ، ثم انصرف إلى الشام ، فدفع الغنائم إلى

---

(١) لم نجد لشيخ المدائني (إسماعيل بن الحسن) ترجمة ولا للراوي عامر بن إسماعيل الذي شهد ذلك والله أعلم.

أبي عَوْن ، والسلاحَ والأموال والرّقيق إلى الفَضْل بن دينار ، وخلّف أبا عون على مِصْر .

قال عليّ : وأخبرَنا أبو الحسن الخُراسانيّ ، قال : حدّثنا شيخ من بكْر بن وائل[١] ، قال : إني لبدير قنًّى مع بكير بن ماهان ونحن نتحدّث ؛ إذ مرّ فتىً معه قربتان ؛ حتى انتهى إلى دجْلة ، فاستقى ماء ، ثم رجع فدعاه بكير ، فقال : ما اسمك يا فتى؟ قال : عامر ، قال : ابن مَنْ؟ قال : ابنُ إسماعيل ، من بَلْحارث ، قال : وأنا من بَلْحارث ، قال : فكن من بني مُسليَة ، قال : فأنا منهم ، قال : فأنت والله تقتل مَرْوان ، لكأني والله أسمعك تقول : «ياجوانكثان دهيد» .

قال علي حدثنا الكناني قال : سمعت أشياخنا بالكوفة يقولون بنو مسلية قتله مروان . [٧/ ٤٣٩ ـ ٤٤٢] .

وقد حدثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، عن عليّ بن مجاهد ، قالا : كان يقال : إنّ أم مَرْوان بن محمد كانت لإبراهيم بن الأشتر ؛ أصابها محمد بن مروان بن الحكم يوم قتل ابن الأشتر ، فأخذها من ثقَله وهي تتنيّق ، فولدت مَرْوان على فراشه ، فلما قام أبو العباس دخل عليه عبد الله بن عيَّاش المنتوف ، فقال : الحمد لله الذي أبدَلنا بحمار الجزيرة وابن أمَة النَّخَع ابن عمّ رسول الله ﷺ وابن عبد المطلب[٢] .

* * *

وفي هذه السنة قتل عبد الله بن عليّ مَن قتل بنهر أبي فطرس من بني أمية ، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً .

وفيها خلع أبو الوَرْد أبا العباس بقنّسرين ؛ فبيّض وبيّضوا معه . [٧/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣] .

* * *

---

(١) (شيخ من بكر بن وائل) هكذا أورده شيخ المدائني مبهماً فكيف يصح الخبر .
وكيف تحوّل كل القادة والأمراء إلى منجّمين ومتنبّئين هذا من زيف المجاهيل والمتروكين والحمد لله على نعمة الإسناد .

(٢) أما علي بن مجاهد الكابلي فهو متروك ولم نجد لصاحبه أبي سنان الجهني ترجمة والخبر لا يصح .

ذكر الخبر عن تبييض أبي الورد
وما آل إليه أمره وأمر من بيّض معه

وكان سبب ذلك فيما حدثني أحمد بن زهير ـ قال: حدّثني عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدّثني أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح، قال: كان أبو الوَرْد ـ واسمه: مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابيّ، من أصحاب مَرْوان وقوّاده وفرسانه ـ فلما هُزِم مروان، وأبو الورد بقنَّسرين، قدِمها عبد الله بن عليّ فبايعه ودخل فيما دخل فيه جندُه من الطاعة، وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاوِرين له ببالِس والناعورة، فقدِم بالس قائد من قوّاد عبد الله بن عليّ من الأزارمردين في مئة وخمسين فارساً، فبعث بولد مسلَمة بن عبد الملك ونسائهم، فشكا بعضهُم ذلك إلى أبي الوَرْد، فخرج من مزرعة يقال لها زرّاعة بني زفر ـ ويقال لها خُساف ـ في عدّة من أهل بيته؛ حتى هجَم على ذلك القائد وهو نازل في حصن مسلمة؛ فقاتله حتى قتله ومَن معه، وأظهر التبييض والخَلْع لعبد الله بن عليّ، ودعا أهل قنّسرين إلى ذلك، فبيّضوا بأجمعهم، وأبو العباس يومئذ بالحيرة وعبد الله بن عليّ يومئذ مشتغل بحرْب حبيب بن مرّة المرّيّ، فقاتله بأرض البلْقاء والبثنيّة وحُوران، وكان قد لقيه عبد الله بن عليّ في جموعه فقاتلهم، وكان بينه وبينهم وقعات؛ وكان من قوّاد مَرْوان وفرسانه، وكان سبب تبييضِه الخوف على نفسه وعلى قومه، فبايعتْه قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور؛ البثنية وحُوران فلما بلغ عبد الله بن علي تبييضُهُم، دعا حبيب بن مرّة إلى الصلح فصالحه وآمنه ومن معه، وخرج متوجّهاً نحو قنَّسرين للقاء أبي الوَرد، فمرّ بدمشق، فخلف فيها أبا غانم عبد الحميد بن ربعيّ الطائيّ في أربعة آلاف رجل من جنده؛ وكان بدمشق يومئذ امرأة عبد الله بن عليّ أمّ البنين بنت محمد بن عبد المطلب النوفليّة أخت عمرو بن محمد، وأمهات أولاد لعبد الله وثَقَل له. فلما قدِم حِمْص في وجهه ذلك انتقض عليه بعده أهلُ دمشق فبيّضوا، ونهضوا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزديّ، قال: فلقُوا أبا غانم ومَنْ معه، فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة، وانتهبوا ما كان عبد الله بن عليّ خلّف من ثقَله ومتاعه؛ ولم يعرِضوا لأهله، وبيّض أهل دمشق

واستجمعوا على الخلاف ، ومضى عبد الله بن عليّ ـ وقد كان تجمّع مع أبي الوَرْد جماعة أهل قِنَّسرين ، وكاتبوا مَنْ يَلِيهم من أهل حِمْص وتَدْمر ، وقدمهم ألوف ، عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فرأسوا عليهم أبا محمد ، ودعوا إليه وقالوا: هو السفيانيّ الذي كان يذكر وهم في نحو من أربعين ألفاً ـ فلما دنا منهم عبد الله بن عليّ وأبو محمد معسكر في جماعته بمرْج يقال له مرْج الأخرم ـ وأبو الوَرْد المتولى لأمر العسكر والمدبّر له وصاحب القتال والوقائع ـ وجّه عبد الله أخاه عبد الصمد بن عليّ في عشرة آلاف من فرسان من معه؛ فناهضهم أبو الوَرْد ، ولقيَهم فيما بين العسكرين ، واستحرَّ القتل فيما بين الفريقيْن ، وثبت القوم ، وانكشف عبد الصمد ومَن معه ، وقتِل منهم يومئذ ألوف ، وأقبل عبد الله حيث أتاه عبد الصمد ومعه حُميد بن قحطبة وجماعة ممَّن معه من القوّاد ، فالتقوْا ثانية بمرْج الأخرم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانكشف جماعة ممّن كان مع عبد الله ، ثم ثابوا ، وثبت لهم عبد الله وحميد بن قحطبة فهزموهم ، وثبت أبو الورْد في نحو من خمسمئة من أهل بيته وقومه ، فقتلوا جميعاً وهرب أبو محمد ومَن معه من الكلبيّة حتى لحقوا بتدمُر ، وآمن عبد الله أهلَ قنَّسرين ، وسوّدوا وبايعوه ، ودخلوا في طاعته؛ ثم انصرف راجعاً إلى أهل دمشق ، لما كان من تبييضهم عليه ، وهزيمتهم أبا غانم ، فلما دنا من دمشق هرَب الناس وتفرقوا ، ولم يكن بينهم وقعة ، وآمن عبد الله أهلها وبايعوه ولم يأخذهم بما كان منهم.

قال: ولم يَزَلْ أبو محمد متغيّباً هارباً؛ ولحق بأرض الحِجَاز ، وبلغ زياد بن عبيد الله الحارثيّ عامل أبي جعفر مكانه الذي تغيّب فيه ، فوجّه إليه خيلاً ، فقاتلوه حتى قُتِل وأخذ ابنيْن له أسيرين ، فبعث زياد برأس أبي محمد وابنيه إلى أبي جعفر أمير المؤمنين ، فأمر بتخلية سبيلهما وآمنهما.

وأما عليّ بن محمد فإنه ذكر أنّ النعمان أبا السريّ حدّثه وجبلة بن فرّوخ وسليمان بن داود وأبو صالح المروزيّ ، قالوا: خلع أبو الورد بقنّسرين ، فكتب أبو العباس إلى عبد الله بن عليّ وهو بفُطْرُس أن يقاتلَ أبا الورد ، ثمّ وجّه عبد الصمد إلى قنّسرين في سبعة آلاف ، وعلى حرسه مخارق بن غفار ، وعلى شُرَطه كلثوم بن شبيب؛ ثم وجّه بعده ذؤيب بن الأشعث في خمسة آلاف ، ثم

جعل يوجه الجنود ، فلقيَ عبد الصمد أبا الورد في جَمْع كثير ، فانهزمَ الناس عن عبد الصمد حتى أتوا حِمْص؛ فبعث عبد الله بن عليّ العباس بن يزيد بن زياد ومروان الجرجانيّ وأبا المتوكل الجرجانيّ؛ كلّ رجل في أصحابه إلى حِمْص؛ وأقبل عبد الله بن عليّ بنفسه ، فنزل على أربعة أميال مِنْ حمص - وعبد الصمد بن عليّ بحمص - وكتب عبد الله إلى حُميد بن قحطبة ، فقدم عليه من الأردنّ ، وبايع أهل قنسرين لأبي محمد السفيانيّ زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية وأبو الورد بن حسنا ، وبايعه الناس ، وأقام أربعين يوماً ، وأتاهم عبد الله بن عليّ ومعه عبد الصّمد وحُميد بن قحطبة ، فالتقوْا فاقتتلوا أشدّ القتال بينهم ، واضطرهم أبو محمد إلى شِعْب ضيّق ، فجعل الناس يتفرّقون ، فقال حُميد بن قحطبة لعبد الله بن عليّ: علامَ نقيم؟ هم يزيدون وأصحابنا ينقصون! ناجزهم؛ فاقتتلوا يوم الثلاثاء في آخر يوم من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومئة ، وعلى ميمنة أبي محمد أبو الورْد وعلى ميسرته الأصبغ بن ذؤالة ، فجرح أبو الوَرْد ، فحمل إلى أهله فمات ، ولجأ قوم من أصحاب أبي الورْد ، إلى أجَمة ، فأحرقوها عليهم؛ وقد كان أهل حمص نقضوا ، وأرادوا إيثار أبي محمد؛ فلما بلغهم هزيمته أقاموا.

[ذكر خبر خلع حبيب بن مرّة المرّيّ]

وفي هذه السّنة خَلَع حبيب بن مرة المرّيّ وبيّض هو ومن معه من أهل الشأم.

* ذكر الخبر عن ذلك:

ذكر عليّ عن شيوخه ، قال: بيّض حبيب بن مرّة المريّ وأهل البثنيّة وحَوْران ، وعبد الله بن عليّ في عسكر أبي الورْد الذي قتِل فيه.

وقد حدثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال: حدّثنا أبو هاشم مخلَد بن محمد ، قال: كان تبييض حبيب بن مرة وقتاله عبدَ الله بن عليّ قبل تبييض أبي الوْرد ، وإنما بَيّض أبو الورد وعبد الله مشتغل بحرب حَبيب بن مرة المُريّ بأرض البلقاء أو البثنية وحَوْران ، وكان قد لقيه عبد الله بن عليّ في جموعه فقاتله ، وكان بينه وبينه وقَعات ، وكان من قوّاد مروان وفرسانه؛ وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه وقومه ، فبايعه قيس

وغيرهم ممّن يليهم من أهل تلك الكُور؛ البثنية وحَوْران ، فلما بلغ عبد الله بن عليّ تبييض أهل قنَّسرين ، دعا حبيب بن مرّة إلى الصلح فصالحه ، وآمنه ومَنْ معه ، وخرج متوجهاً إلى قنَّسرين للقاء أبي الورد.

* * *

[ذكر خبر تبييض أهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس]

وفي هذه السنة بيّض أيضاً أهل الجزيرة وخلعوا أبا العباس.

* ذكر الخبر عن أمرهم وما آل إليه حالهم فيه:

حدّثني أحمد بن زهير ، قال: حدّثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال: حدّثنا أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال: كان أهلُ الجزيرة بيّضوا ونقضوا؛ حيثُ بلغهم خروجُ أبي الوَرْد وانتقاض أهل قِنَّسرين ، وساروا إلى حَرّان ، وبحرّان يومئذ موسى بن كعب في ثلاثة آلاف من الجند ، فتشبّث بمدينتها وساروا إليه مبيّضين من كلّ وجه ، وحاصروه ومن معه؛ وأمرُهم مشتت؛ ليس عليهم رأس يجمعهم.

وقدم على تفيئة[1] ذلك إسحاق بن مسلم من أرمينية ـ وكان شخص عنها حين بلغه هزيمة مَرْوان ـ فرأسه أهل الجزيرة عليهم ، وحاصر موسى بن كعب نحواً من شهرين ، ووجّه أبو العباس أبا جعفر فيمن كان معه من الجنود التي كانت بواسط محاصرة ابن هبيرة ، فمضى حتى مرّ بقرْقيسيَا وأهلها مبيّضون ، وقد غلّقوا أبوابها دونه ، ثم قدم مدينة الرَّقة وهم على ذلك ، وبها بكار بن مسلم ، فمضى نحو حرّان ، ورحل إسحاق بن مسلم إلى الرُّهاء ـ وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومئة ، وخرج موسى بن كعب فيمن معه من مدينة حرّان ، فلقُوا أبا جعفر ، وقدم بكار على أخيه إسحاق بن مسلم ، فوجّهه إلى جماعة ربيعة بدارا وماردين ـ ورئيس ربيعة يومئذ رجل من الحروريّة يقال له بُريكة ـ فصمَد إليه أبو جعفر ، فلقيَهم فقاتلوه بها قتالاً شديداً ، وقتل بريكة في المعركة ، وانصرف بكار إلى أخيه إسحاق بالرُّهاء فخلَفه إسحاق بها ، ومضى في عُظْم العسكر إلى سُمَيْساط ،

(١) أي عقب ذلك.

فخندق على عسكره ، وأقبل أبو جعفر في جُموعه حتى قابله بكار بالرّهاء؛ وكانت بينهما وقعات .

وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن عليّ في المسير بجنوده إلى إسحاق بسُمَيْسَاط ، فأقبل من الشأم حتى نزل بإزاء إسحاق بسُمْيَساط؛ وهم في ستين ألفاً أهل الجزيرة جميعها ، وبينهما الفرات ، وأقبل أبو جعفر من الرُّهاء فكاتبهم إسحاق وطلب إليهم الأمَان ، فأجابوا إلى ذلك وكتبوا إلى أبي العباس ، فأمرهم أن يؤمّنوه ومَن معه ، ففعلوا وكتبوا بينهم كتاباً ، ووثقوا له فيه ، فخرج إسحاق إلى أبي جعفر ، وتمّ الصلح بينهما؛ وكان عنده من آثر أصحابه .

فاستقام أهلُ الجزيرة وأهل الشأم ، وولّى أبو العباس أبا جعفر الجزيرة وأرمينيَة وأذربيجان ، فلم يزل على ذلك حتى استخلف .

وقد ذُكِر أن إسحاق بن مسلم العقيليّ هذا أقام بسُمَيْساط سبعة أشهر ، وأبو جعفر محاصره ، وكان يقول: في عُنقي بَيْعة ، فأنا لا أدَعها حتى أعلم أنّ صاحبها قد مات أو قتل ، فأرسل إليه أبو جعفر: إنّ مروان قد قتل ، فقال: حتى أتيقن ، ثم طلب الصلح ، وقال: قد علمتُ أن مَرْوان قد قتل ، فآمنه أبو جعفر وصار معه ، وكان عظيم المنزلة عنده .

وقد قيل: إن عبد الله بن عليّ هو الذي آمنه . [٧/ ٤٤٣ ـ ٤٤٨] .

* ذكر الخبر عن سبب مسير أبي جعفر في ذلك ، وما كان من أمره وأمر أبي مسلم في ذلك :

قد مضى ذكرى قبلُ أمرَ أبي سلَمة ، وما كان من فعله في أمِر أبي العباس ومن كان معه من بني هاشم عند قدومهم الكوفة ، الذي صار به عندهم متّهماً؛ فذكر عليّ بن محمد أنّ جبلة بن فرُّوخ قال: قال يزيد بن أسيد: قال أبو جعفر: لما ظهر أبو العباس أمير المؤمنين سمرنا ذات ليلة ، فذكرنا ما صنع أبو سلمة ، فقال رجل منا: ما يدريكم ، لعلّ ما صنع أبو سلمة كان عن رأي أبي مسلم! فلم ينطق منّا أحدٌ ، فقال: أمير المؤمنين أبو العباس: لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم إنا لَبِعَرض بلاء؛ إلاّ أن يدفَعه الله عنّا .

وتفرّقنا فأرسل إليّ أبو العباس ، فقال: ما ترى؟ فقلت: الرأي رأيُك ،

فقال: ليس منا أحد أخصَّ بأبي مسلم منك ، فاخرج إليه حتى تعلم ما رأيه ، فليس يخفى عليك ، فلو قد لقيتَه ، فإن كان عن رأيه أخذنا لأنفسنا ، وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسُنا.

فخرجت على وجل؛ فلما انتهيت إلى الريّ ، إذا صاحب الريّ قد أتاه كتاب أبي مسلم: إنه بلغني أن عبد الله بن محمد توجّه إليك ، فإذا قدم فأشخصه ساعةَ قدومه عليك ، فلما قدمت أتاني عامل الريّ فأخبرني بكتاب أبي مسلم ، وأمرني بالرّحيل ، فازددت وجَلاً ، وخرجت من الرّيّ وأنا حَذِرٌ خائف فسرت؛ فلما كنت بنيسابور إذا عاملُها قد أتاني بكتاب أبي مسلم: إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فأشخصه ولا تَدَعه يقيم، فإن أرضك أرض خوراج ولا آمن عليه ، فطابت نفسي وقلت: أراه يُعْنَى بأمري. فسرتُ ، فلما كنت من مَرْوَ على فرسخين ، تلقّاني أبو مسلم في الناس ، فلما دنا منّي أقبل يمشي إليّ؛ حتى قبّل يدي ، فقلت: اركب ، فركب فدخل مَرْو ، فنزلت داراً فمكثت ثلاثة أيام لا يسألني عن شيء ، ثم قال لي في اليوم الرابع: ما أقدمك؟ فأخبرته ، قال: فعلها أبو سلمة! أكفيكموه! فدعا مرّار بن أنس الضبيّ ، فقال: انطلق إلى الكوفة ، فاقتل أبا سلمة حيث لقيته؛ وانته في ذلك إلى رأي الإمام ، فقدم مرار الكوفة ، فكان أبو سَلمة يسمرُ عند أبي العبّاس ، فقعد في طريقه ، فلما خرج قتله فقالوا: قتله الخوارج.

قال عليّ: فحدثني شيخ من بني سليم ، عن سالم ، قال: صحبتُ أبا جعفر من الرّيّ إلى خُراسان ، وكنت حاجبَه ، فكان أبو مسلم يأتيه فينزل على باب الدّار ، ويجلس في الدهليز ، ويقول: استأذِنْ لي ، فغضب أبو جعفر عليّ ، وقال: ويلك! إذا رأيته فافتح له الباب ، وقل له يدخل على دابته ، ففعلت وقلت لأبي مسلم: إنه قال كذا وكذا ، قال: نعم ، أعلم ، واستأذن لي عليه.

وقد قيل: إنّ أبا العباس قد كان تنكّر لأبي سَلمة قبل ارتحاله من عسكره بالنُّخيلة ، ثم تحوّل عنه إلى المدينة الهاشميّة ، فنزل قصر الإمارة بها ، وهو متنكر له ، قد عرف ذلك منه ، وكتب إلى أبي مسلم يعلمه رأيه ، وما كان همّ به من الغِشّ ، وما يتخوّف منه ، فكتب أبو مسلم إلى أمير المؤمنين:

إن كان اطلع على ذلك منه فليقتله؛ فقال داود بن عليّ لأبي العباس: لا تَفعل يا أمير المؤمنين ، فيحتج عليك بها أبو مسلم وأهل خراسان الذين معك ، وحاله

فيهم حاله، ولكن اكتب إلى أبي مسلم فليبعث إليه من يقتله، فكتب إلى أبي مسلم بذلك، فبعث بذلك أبو مسلم مرّار بن أنس الضبيّ، فقدم على أبي العباس في المدينة الهاشمية وأعلمه سبب قدومه فأمر أبو العباس منادياً فنادى: إن أمير المؤمنين قد رضي عن أبي سلمة ودعاه وكساه، ثم دخل عليه بعد ذلك ليلةً، فلم يزل عنده حتى ذهب عامة الليل، ثم خرج منصرفاً إلى منزله يمشي وحده؛ حتى دخل الطاقات، فعرض له مرّار بن أنس ومَن كان معه من أعوانه فقتلوه، وأغلقت أبواب المدينة، وقالوا: قتل الخوارج أبا سلمة، ثم أخرِج من الغد؛ فصلى عليه يحيى بن محمد بن عليّ، ودفن في المدينة الهاشميّة، فقال سليمان بن المهاجر البَجليّ:

إنَّ الوزيرَ وزيرَ آل محمد أَودَى فمن يَشْناك كان وزيرا

وكان يقال لأبي سلمة: وزير آل محمد، ولأبي مسلم: أمين آل محمد، فلما قتِل أبو سلمة وجّه أبو العباس أخاه أبا جعفر في ثلاثين رجلاً إلى أبي مُسلم؛ فيهم الحجاج بن أرطاة وإسحاق بن الفضل الهاشميّ.

ولما قدم أبو جعفر على أبي مسلم سايَره عبيد الله بنِ الحسين الأعرج وسليمان بن كثير معه، فقال سليمان بن كثير للأعرج: يا هذا؛ إنا كنّا نرجو أن يتمّ أمركم؛ فإذا شئتم فادعونا إلى ما تريدون، فظنَّ عبيد الله أنه دسيس من أبي مسلم، فخاف ذلك، وبلغ أبا مسلم مسايرةُ سليمان بن كثير إياه، وأتى عبيد الله أبا مُسلم، فذكر له ما قال سليمان، وظنّ أنه إن لم يفعل ذلك اغتاله فقتله، فبعث أبو مسلم إلى سليمان بن كَثير، فقال له: أتحفظ قول الإمام لي: من اتهمتَه فاقتله؟ قال: نعم، قال: فإني قد اتّهمتك، فقال: أنشدك الله! قال: لا تناشدني الله وأنت منطوٍ على غشّ الإمام؛ فأمر بضرب عنقه، ولم يرَ أحداً ممن كان يضرب عنقه أبو مسلم غيره، فانصرف أبو جعفر من عند أبي مسلم، فقال لأبي العباس: لستَ خليفةً ولا أمرك بشيء إن تركتَ أبا مسلم ولم تقتله، قال: وكيف؟ قال: والله ما يصنع إلا ما أراد، قال أبو العباس: اسكت فاكتمها. [٧/ ٤٤٨ ـ ٤٥٠].

وذكر أبو زيد أنّ محمد بن كثير حدّثه، قال: كلَّم ابن هبيرة يوماً أبا جعفر، فقال: يا هناه ـ أو يا أيّها المرء ـ ثم رجع، فقال: أيها الأمير؛ إنّ عهدي بكلام

الناس بمثل ما خاطبتك به حديث ، فسبقني لساني إلى ما لم أرده ، وألحّ أبو العباس على أبي جعفر يأمره بقتله وهو يراجعه ، حتى كتب إليه : والله لتقتلنّه أو لأرسلنّ إليه من يخرجه من حُجرتك ، ثم يتولى قتله ، فأزمع على قتله ، فبعث خازم بن خزعة والهيثم بن شعبة بن ظهير ؛ وأمرهما بختم بيوت الأموال ، ثم بعث إلى وجوه مَن معه من القيسيَّة والمضريّة ، فأقبل محمد بن نباتة وحوثرة بن سُهيل وطارق بن قدامة وزياد بن سويد وأبو بكر بن كعب العُقيليّ وأبان وبشر ابنا عبد الملك بن بشر ؛ في اثنين وعشرين رجلاً من قيس ، وجعفر بن حنظلة وهزّان بن سعد .

قال : فخرج سلّام بن سليم ، فقال : أين حوثرة ومحمد بن نباتة؟ فقاما ، فدخلا ، وقد أجلس عثمان بن نهيك والفضل بن سليمان وموسى بن عقيل في مئة في حُجْرة دون حجرته ، فنُزعت سيوفهمَا وكتِّفا ، ثم دخل بشر وأبان ابنا عبد الملك بن بشر ، ففعل بهما ذلك ؛ ثمّ دخل أبو بكر بن كعب وطارق بن قدامة ، فقام جعفر بن حنظلة ، فقال : نحن رؤساء الأجناد ، وَلِمَ يكون هؤلاء يقدّمون علينا؟ فقال : ممن أنت؟ قال : من بَهْراء ، فقال : وراءك الدّار أوسع لك ، ثم قام هزّان ، فتكلم فأخِّر ، فقال روح بن حاتم : يا أبا يعقوب نزعت سيوف القوم ، فخرج عليهم موسى بن عقيل ، فقالوا له : أعطيتمونا عهد الله ثم خِسْتم به ! إنا لنرجو أن يدرككم الله ، وجعل ابن نباتة يفرَط في لحية نفسه ، فقال له حوثرة : إنّ هذا لا يغني عنك شيئاً ؛ فقال : كأني كنت أنظر إلى هذا ، فقتِلوا . وأخذت خواتيمهم .

وانطلق خازم والهيثم بن شعبة والأغلب بن سالم في نحو من مئة ، فأرسلوا إلى ابن هبيرة : إنا نريد حمل المال ، فقال ابن هبيرة لحاجبه : يا أبا عثمان انطلق فدلهم عليه ، فأقاموا عند بيت نفراً ، ثم جعلوا ينظرون في نواحي الدار ، ومع ابن هبيرة ابنه داود وكاتبه عمرو بن أيّوب وحاجبه وعدّة من مواليه ، وبنيٌّ له صغير في حِجْره ؛ فجعل ينكر نظرهم فقال : أقسم بالله إنّ في وجوه القوم لشرّاً ، فأقبلوا نحوه ، فقام حاجبه في وجوههم ، فقال : ما وراءكم؟ فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقِه فصرعه ، وقاتل ابنه داود فقتِل وقتل مواليه ، ونحّى الصبّي من حِجره ، وقال : دونكم هذا الصبيّ ، وخرّ ساجداً فقتل وهو ساجد ، ومضوا

برؤوسهم إلى أبي جعفر ، فنادى بالأمان للناس إلاّ للحكم بن عبد الملك بن بشر وخالد بن سلمة المخزوميّ وعمر بن ذرّ ، فاستأمن زياد بن عبيد الله لابن ذرّ فآمنه أبو العباس ، وهرب الحكم ، وآمن أبو جعفر خالداً ، فقتله أبو العباس ، ولم يُجزْ أمانَ أبي جعفر ، وهرب أبو علاقة وهشام بن هشيم بن صفوان بن مزيد الفزاريّان ، فلحقهما حجر بن سعيد الطائيّ ، فقتلهما على الزّاب ، فقال أبو عطاء السِّنديّ يرثيه :

ألاَ إنَّ عيناً لم تجُدْ يوم واسِطٍ ... عليك بجاري دمعِها لَجَمودُ[1]
عشيَّةَ قام النائحاتُ وشُقِّقَتْ ... جُيُوبٌ بأَيْدي مأْتمٍ وخُدودُ
فإن تُمْس مهجورَ الفِناءِ فربّمَا ... أقامَ به بعد الوفود وُفودُ
فإنك لم تَبْعُدْ على متعهّدٍ ... بلى كلُّ من تحت الترابِ بعيدُ

وقال منقذ بن عبد الرحمن الهلال يرثيه :

مَنَع العزاءَ حرارةُ الصَّدْر ... والحُزن عقدَ عزيمةِ الصبْرِ
لما سمِعْتُ بوَقعَةٍ شملتْ ... بالشيب لونَ مَفارقِ الشعْر
أفنى الحُماة الغُرَّ أَنْ عَرَضَتْ ... دون الوفاءِ حَبائِلُ الغَدر
مالت حبائلُ أَمرهم بفتىً ... مثلِ النجوم حَفَفْنَ بالبدرِ
عَالَى نعِيَّهمُ فقلت له ... هَلاَّ أتَيتَ بصَيْحةِ الحشرِ!
لله درّك مَنْ زعمتَ لنا ... أَن قد حَوَتْه حوادثُ الدهر
مَن للمنابر بعد مَهْلَكِهم ... أو مَنْ يَسُدُّ مكارم الفخر!
فإذا ذكرتُهُمُ شكا أَلَماً ... قلبي لفَقد فوارس زُهْرِ
قَتلى بدِجْلَة ما يَغُمُّهُمُ ... إلا عُبابُ زَواخِرِ البحر
فلتَبْكِ نِسْوَتنا فوارسَها ... خيرَ الحماةِ ليالِيَ الذُّعْرِ

وذكر أبو زيد أن أبا بكر الباهلي حَدَّثه ، قال : حدثني شيخ من أهل خراسان ، قال : كان هشام بن عبد الملك خطب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ابنتَه على ابنه معاوية ، فأبى أن يزوّجه ، فجرى بعد ذلك بين يزيد بن عمر وبين الوليد بن

(١) ديوان الحماسة ٢ : ٢٩٥ ـ بشرح التبريزي .

القعقاع كلام؛ فبعث به هشام إلى الوليد بن القعقاع ، فضربه وحبسه ، فقال ابن طَيْسلة :

يـا قَـلَّ خيـرُ رجـالٍ لا عقـولَ لهـمْ مَنْ يَعدلون إلى المحبوس في حَلَب
إلى امرئ لم تُصِبْهُ الدّهرَ مُعْضِلةٌ إلا استقـلَّ بهـا مُسْتَـرْخِـيَ اللبَـبِ

وقيل : إن أبا العباس لما وجّه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة ، كتب إلى الحسن بن قحطبة : إن العسكر عسكرُك ، والقُوادَ قوّادُك ؛ ولكن أحببتُ أن يكون أخي حاضراً ، فاسمع له وأطع ، وأحسِن مؤازرته ، وكتب إلى أبي نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك ؛ فكان الحسن المدبر لذلك العسكر بأمر المنصور .

وفي هذه السنة وجّه أبو مسلم محمد بن الأشعث على فارس ، وأمره أن يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم ، ففعل ذلك .

وفي هذه السنة وجه أبو العباس عمّه عيسى بن عليّ على فارس ، وعليها محمد بن الأشعث ، فهمّ به ، فقيل له ، إن هذا لا يسوغ لك ، فقال : بلى ، أمرني أبو مسلم ألا يقدمَ عليّ أحد يدّعى الولاية من غيره إلا ضربتُ عنقه .

ثم ارتدع عن ذلك لما تخوّف من عاقبته ، فاستحلف عيسى بالأيمان المحرجة ألا يعلو منبراً ، ولا يتقلدَ سيفاً إلاّ في جهاد ؛ فلم يَل عيسى بعد ذلك عملاً ، ولا تقلد سيفاً إلاّ في غَزْو ، ثم وجه أبو العباس بعد ذلك إسماعيل بن عليّ والياً على فارس . [٧/ ٤٥٥ ـ ٤٥٨] .

* * *

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومئة

ذكر ما كان في هذه السنة من الأحداث

وفيها كتب أبو العباس إلى أبي عون بإقراره على مصر والياً عليها ، وإلى عبد الله وصالح ابني عليّ على أجناد الشأم .

وفيها توجّه محمد بن الأشعث إلى إفريقيّة فقاتلهم قتالاً شديداً حتى فتحها .

وفيها خرج شُرَيك بن شيخ المهريّ بخُراسان على أبي مسلم ببخارَى ونقم

عليه ، وقال: ما على هذا اتّبعنا آل محمد ، على أن نسفك الدماء ، ونعمل بغير الحقّ ، وتبعه على رأيه أكثرُ من ثلاثين ألفاً ، فوجّه إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخُزاعيّ فقاتله فقتله.

وفيها توجّه أبو داود خالد بن إبراهيم من الوَخْش إلى الخُتّل ، فدخلها ولم يمتنع عليه حنَش بن السبل ملكها ، وأتاه ناس من دهاقين الخُتّل ، فتحصّنوا معه؛ وامتنع بعضهم في الدُّروب والشعاب والقلاع ، فلما ألحّ أبو داود على حَنَش ، خرج من الحصن ليلاً ومعه دهاقينه وشاكريّتُه حتى انتهوْا إلى أرض فَرْغانة ، ثم خرج منها في أرض الترك ، حتى وقع إلى ملك الصين؛ وأخذ أبو داود مَنْ ظفر به منهم ، فجاوز بهم إلى بَلْخ ، ثم بعث بهم إلى أبي مسلم.

وفيها قُتِل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب؛ قتله سليمان الذي يقال له الأسود ، بأمانٍ كتبه له.

وفيها وجّه صالح بن عليّ سعيدَ بن عبد الله لغزو الصّائفة؛ وراء الدروب ، وفيها عزِل يحيى بن محمد عن الموصل ، واستعمل مكانه إسماعيل بن عليّ. [٧/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠].

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومئة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

[ذكر خبر خلع بسام بن إبراهيم]

ففيها خالف بسام بن إبراهيم بن بسام ، وخَلَع ، وكان من فُرسان أهلِ خراسان ، وشخص ـ فيما ذكر ـ من عسكر أبي العباس أمير المؤمنين مع جماعة ممّن شايعه على ذلك من رأيه؛ مستسرِّين بخروجهم ، ففحص عن أمرهم ، وإلى أين صاروا ، حتى وقف على مكانهم بالمدائن ، فوجّه إليهم أبو العباس خازم بن خزيمة ، فلما لقي بساماً ناجزه القتال ، فانهزم بسام وأصحابُه وقتل أكثرهم ، واستبيح عسكره ، ومضى خازم وأصحابه في طلبهم في أرض جوخى إلى أن بلغ ماه ، وقتل كلّ مَن لحقه منهزماً ، أو ناصبه القتال؛ ثم انصرف من وجهه ذلك؛ فمرّ بذات المطامير ـ أو بقرية شبيهة بها ـ وبها من بني الحارث بن كعب من بني عبد المدان؛ وهم أخوال أبي العباس ذَنَبة فمرّ بهم وهم في مجلس لهم ـ وكانوا

خمسة وثلاثين رجلاً منهم ، ومن غيرهم ثمانية عشر رجلاً ، ومن مواليهم سبعة عشر رجلاً ـ فلم يسلِّم عليهم ، فلما جاز شتموه؛ وكان في قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المغيرة بن الفزع ، وأنه لجأ إليهم ، وكان من أصحاب بسام بن إبراهيم فكرّ راجعاً ، فسألهم عما بلغه من نزول المغيرة بهم ، فقالوا : مرّ بنا رجل مجتاز لا نعرفه؛ فأقام في قريتنا ليلة ثم خرج عنها ، فقال لهم : أنتم أخوال أمير المؤمنين ويأتيكم عدوّه ، فيأمن في قريتكم! فهلا اجتمعتم فأخذتموه! فأغلظوا له الجواب ، فأمر بهم فضُرِبت أعناقهم جميعاً ، وهُدمت دورهم ، وانتهبت أموالهم ، ثم انصرف إلى أبي العباس؛ وبلغ ما كان من فعل خازم اليمانية ، فأعظموا ذلك؛ واجتمعت كلمتُهم ، فدخل زياد بن عبيد الله الحارثيّ على أبي العباس مع عبد الله بن الربيع الحارثيّ وعثمان بن نهيك ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن؛ وهو يومئذ على شُرْطة أبي العباس؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين؛ إن خازماً اجترأ عليك بأمر لم يكن أحد من أقرب ولد أبيك ليجترئ عليك به؛ من استخفافه بحقّك؛ وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد ، وأتوك معتزّين بك ، طالبين معروفك؛ حتى إذا صاروا إلى دارك وجوارك ، وثب عليهم خازم فضرب أعناقهم ، وهدم دورهم ، وأنهب أموالهم ، وأخرب ضياعهم ، بلا حدث أحدثوه ، فهمّ بقتل خازم؛ فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطيّة ، فدخلا على أبي العباس ، فقالا : بلغنا يا أمير المؤمنين ما كان من تحميل هؤلاء القوم إياك على خازم؛ وإشارتهم عليك بقتله؛ وما هممتَ به من ذلك؛ وإنا نعيذك بالله من ذلك؛ فإنّ له طاعةً وسابقة؛ وهو يُحتمل له ما صنع؛ فإنّ شيعتَكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب من الأولاد والآباء والإخوان؛ وقتلوا من خالفكم ، وأنت أحقّ من تعمد إساءة مسيئهم؛ فإن كنتَ لابد مجمعاً على قتله فلا تتولّ ذلك بنفسك ، وعرّضه من المباعث لما إن قتل فيه كنت قد بلغت الذي أردت ، وإن ظفر كان ظفره لك ، وأشاروا عليه بتوجيهه إلى مَن بعُمان من الخوارج إلى الجلندَى وأصحابه ، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكريّ ، فأمر أبو العباس بتوجيهه مع سبعمئة رجل؛ وكتب إلى سليمان بن عليّ وهو على البصرة بحملهم في السفن إلى جزيرة ابن كاوان وعمَان فشخص.

* * *

[أمر الخوارج مع خازم بن خزيمة وقتل شيبان بن عبد العزيز]

وفي هذه السنة شخص خازم بن خزيمة إلى عُمان ، فأوقع بمَنْ فيها من الخوارج ، وغلب عليها وعلى ما قرُب منها من البلدان وقتل شيبان الخارجيّ.

* ذكر الخبر عما كان منه هنالك :

ذُكر أن خازم بن خزيمة شخص في السبعمئة الذين ضمّهم إليه أبو العباس ، وانتخب من أهل بيته وبني عمه ومواليه ورجال من أهل مَرْو الرّوذ ، قد عرفهم ووثق بهم؛ فسار إلى البَصْرة ، فحملهم سليمان بن عليّ ، وانضمّ إلى خازم بالبصرة عدّة من بني تميم ، فساروا حتى أرسوْا بجزيرة ابن كاوان ، فوجّه خازم نضلة بن نعيم النهشليّ في خمسمئة رجل من أصحابه إلى شيبان ، فالتقوْا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فركب شيبان وأصحابه السفن ، فقطعوا إلى عُمان ـ وهم صُفريّة ـ فلما صاروا إلى عُمان نَصب لهم الجلندَى وأصحابه ـ وهم إباضية ـ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل شيبان وَمَن معه ، ثم سار خازم في البحر بمن معه؛ حتى أرسوْا إلى ساحل عُمان ، فخرجوا إلى صحراء ، فلقيَهم الجلندى وأصحابه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم؛ وهم يومئذ على ضفة البحر ، وقتِل فيمن قُتِل أخٌ لخازم لأمه يقال له إسماعيل ، في تسعين رجلاً من أهل مَرْو الروذ ، ثم تلاقوْا في اليوم الثاني؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وعلى ميمنته رجل من أهل مَرْو الروذ ، يقال له حميد الورتكانيّ ، وعلى ميسرته رجل من أهل مَرْو الرّوذ يقال له مسلم الأرغدّي ، وعلى طلائعه نضلة بن نعيم النهشليّ ، فقتل يومئذ من الخوارج تسعمئة رجل ، وأحرَقوا منهم نحواً من تسعين رجلاً ، ثم التقوْا بعد سبعة أيام من مَقْدَم خازم على رأي أشار به عليه رجلٌ من أهل الصُّغْد وقع بتلك البلاد ، فأشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المُشاقة ويرووها بالنِّفط ، ويُشعِلوا فيها النيران؛ ثم يمشوا بها حتى يضرموها في بيوت أصحاب الجلندَى.

وكانت من خشب وخِلاف؛ فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتُهم بالنيران وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم شدّ عليهم خَازم وأصحابه؛ فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم ، وقتِل الجلندى فيمن قُتِل ، وبلغ عدّة مَنْ قتل

عشرة آلاف؛ وبعث خازم برؤوسهم إلى البصرة ، فمكثتْ بالبصرة أياماً ، ثم بعث بها إلى أبي العباس ، وأقام خازم بعد ذلك أشهراً؛ حتى أتاه كتاب أبي العباس بإقفاله فقفلوا[١] .

* * *

[ذكر غزة كسّ]

وفي هذه السنة غزا أبو داود خالد بن إبراهيم أهل كسّ فقتل الأخريد ملكها؛ وهو سامع مطيع قدم عليه قبل ذلك بلْخ ، ثم تلقاه بكندك مما يلي كسّ؛ وأخذ أبو داود من الأخريد وأصحابه حين قتلهم من الأواني الصينيّة المنقوشة المذهبة التي لم يُـرَ مثلها ، ومن السروج الصينيّة ومتاع الصين كله من الديباج وغيره ، ومن طُرَف الصين شيئاً كثيراً ، فحمله أبو داود أجمع إلى أبي مسلم وهو بسَمْرقَنْد ، وقتل أبو داود دهقان كسّ في عدّة من دهاقينها واستحيا طاران أخا الأخريد وملكه على كسّ ، وأخذ ابن النجاح وردّه إلى أرضه ، وانصرف أبو مسلم إلى مَرْو بعد أن قتل في أهل الصّغْد وأهل بخارى ، وأمر ببناء حائط سَمَرْقند ، واستخلف زياد بن صالح على الصّغْد وأهل بخارى ، ثم رجع أبو داودَ إلى بلخ [٧/ ٤٦١ ـ ٤٦٤] .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومئة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك خروجُ زياد بن صالح وراء نهر بلْخ ، فشخص أبو مسلم من مَرْو مستعدّاً للقائِه ، وبعث أبو داود خالد بن إبراهيم نصرَ بن راشد إلى التِرْمذ ، وأمره أن ينزل مدينتَها ، مخافَةَ أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها؛ ففعل ذلك نصر ، وأقام بها أياماً ، فخرج عليه ناس من

(١) هذا خبر منكر ، ذكره الطبري بلا إسناد ، وفيه من المبالغات والتلفيق ما فيه ولو كان صحيحاً أنه قتل عشرة آلاف لذاع ذلك في الآفاق ، ولمشى بخبره الرواة الأخباريون ثم كيف نقل عشرة آلاف رأس إلى البصرة ، ثم إلى أمير المؤمنين وكيف لم تشتهر حادثة الرؤوس هذه ، وسامح الله الطبري كيف قبل هذه الأخبار المنكرة بلا إسناد؟

الراونديّة من أهل الطالقان مع رجل يكنى أبا إسحاق ، فقتلوا نصراً ، فلما بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان في تتبّع قتلة نصر ، فتتبعهم فقتلهم ، فمضى أبو مسلم مسرعاً؛ حتى انتهى إلى آمُل ، ومعه سباع بن أبي النعمان الأزديّ ، وهو الذي كان قدم بعهد زياد بن صالح من قِبَل أبي العباس ، وأمره إن رأى فرصة أن يَثِبَ على أبي مسلم فيقتلَه ، فأخبِر أبو مسلم بذلك ، فدفع سباع بن النعمان إلى الحسن بن الجُنيد عامله على آمُل ، وأمره بحبسه عنده ، وعبَر أبو مسلم إلى بخَارى ، فلما نزلها أتاه أبو شاكر وأبو سعد الشرويّ في قُوّاد قد خلعوا زياداً ، فسألهم أبو مسلم عن أمر زياد ومَنْ أفسده ، قالوا: سباع بن النعمان ، فكتب إلى عامله على آمُل أن يضرب سباعاً مئة سوط ، ثم يضرب عنقه ، ففعل.

ولما أسلم زياداً قوّادُهُ ولحقوا بأبي مسلم لجأ إلى دِهقان بارْكَث ، فوثب عليه الدهقان ، فضرب عنقه وجاء برأسه إلى أبي مسلم ، فأبطأ أبو داود على أبي مسلم لحال الراوندية الذين كانوا خرجوا ، فكتب إليه أبو مسلم: أما بعد فليفرخ رَوْعك ، ويأمن سِربك ، فقد قتل الله زياداً ، فاقْدَم ، فقدم أبو داود ، كسّ ، وبعث عيسى بن ماهان إلى بسام ، وبعث ابن النجاح إلى الإصبهبذ إلى شاوَغَر ، فحاصر الحصن فأما أهل شاوغر فسألوا الصلح ، فأجيبوا إلى ذلك.

وأما بسام فلم يصل عيسى بن ماهان إلى شيء منه؛ حتى ظهر أبو مسلم بستة عشر كتاباً وجدها من عيسى بن ماهان إلى كامل بن مظفّر صاحب أبي مسلم ، يعيب فيها أبا داود ، وينسبه فيها إلى العصبيّة وإيثاره العرب وقومَه على غيرهم من أهل هذه الدعوة ، وأن في عسكره ستة وثلاثين سُرادقاً للمستأمنة ، فبعث بها أبو مسلم إلى أبي داود ، وكتب إليه: إنَّ هذه كتب العِلْج الذي صَيَّرته عِدْل نفسك ، فشأنَك به ، فكتب أبو داود إلى عيسى بن ماهان يأمره بالانصراف إليه عن بسّام ، فلما قدم عليه حبسه ودفعه إلى عمر النغم؛ وكان في يده محبوساً ، ثم دعا به بعد يومين أو ثلاثة فذكّره صنيعتَه به وإيثاره إياه على ولده ، فأقرّ بذلك ، فقال أبو داود: فكان جزاء ما صنعتُ بك أن سعيتَ بي وأردتَ قتلي ، فأنكر ذلك ، فأخرج كتبه فعرفها ، فضربه أبو داود يومئذ حدّين: أحدهما للحسن بن حمدان ، ثم قال أبو داود: أمّا إني قد تركت ذنبَك لك؛ ولكن الجند أعلم ، فأخرج في القيود ، فلما أخرج من السرّادق وثب عليه حرب بن زياد وحفص بن

دينار مولى يحيى بن حُضين ، فضرباه بعمود وطَبَرْزِين ، فوقع إلى الأرض ، وعدا عليه أهل الطالقان وغيرُهم ، فأدخلوه في جوالق وضربوه بالأعمدة ، حتى مات ورجع أبو مسلم إلى مَرْو. [٧/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧].

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومئة

ذكر الخبر عما كان من الأحداث [٧/ ٤٦٨]

وملك بعد مروان أربع سنين ، وكان ـ فيما ذُكِر ـ ذا شعرة جَعْدة ، وكان طويلاً أبيض أقنَى الأنف ، حسنَ الوجه واللحية.

وأمه رَيْطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثيّ وكان وزيره أبو الجهم بن عطيّة.

وصلى عليه عمه عيسى بن عليّ ، ودفنه بالأنبار العتيقة في قصره.

وكان ـ فيما ذكر ـ خلّف تسع جباب ، وأربعة أقمصَة ، وخمسة سراويلات ، وأربعة طيالسة ، وثلاثة مطارف خَزّ. [٧/ ٤٧١].

وذكر عليّ بن محمد ، عن الهيثم ، عن عبد الله بن عيّاش ، قال: لما حضرتْ أبا العباس الوفاة ، أمر الناس بالبيعة لعبد الله بن محمد أبي جعفر ، فبايع الناس له بالأنبار في اليوم الذي مات فيه أبو العباس ، وقام بأمر الناس عيسى بن موسى ، وأرسل عيسى بن موسى إلى أبي جعفر وهو بمكة محمد بن الحصين العبديّ بموت أبي العباس ، وبالبَيْعة له ، فلقيَه بمكان من الطريق يقال له زكيّة ، فلما جاءه الكتاب دعا الناس فبايعوه ، وبايعه أبو مسلم ، فقال أبو جعفر: أين موضعنا هذا؟ قالوا: زكيَّة ، فقال: أمر يَزْكَى لنا إن شاء الله تعالى.

وقال بعضهم: ورد على أبي جعفر البيعة له بعدما صدر من الحجّ ، في منزل من منازل طريق مكة؛ يقال له صُفيَّة، فتفاءل باسمه ، وقال: صَفتْ لنا إن شاء الله تعالى[١]. [٧/ ٤٧١].

* * *

(١) أما الهيثم بن عدي فهو متروك.

وأما أن عيسى بن موسى قام بأمر البيعة، وإيصاله إلى أبي جعفر فصحيح كما ذكرنا في موضعه. -

وقيل: إن أبا مسلم كان هو الذي تقدّم أبا جعفر، فعرف الخبر قبله، فكتب إلى أبي جعفر:

بسم الله الرحمن الرحيم، عافاك الله وأمتَع بك؛ إنه أتاني أمر أفظعني وبلَغ مني مبلغاً لم يبلغه شيء قطّ، لقيَني محمد بن الحصين بكتاب من عيسى بن موسى إليك بوفاة أبي العباس أمير المؤمنين رحمه الله، فنسأل الله أن يعظم أجرَك، ويُحسن الخلافة عليك، ويبارك لك فيما أنت فيه؛ إنه ليس من أهلك أحدٌ أشدّ تعظيماً لحقك وأصفى نصيحةً لك، وحرصاً على ما يسرّك مني.

وأنفذ الكتاب إليه، ثم مكث أبو مسلم يومه ومن الغد، ثم بعث إلى أبي جعفر بالبَيْعة؛ وإنما أراد ترهيب أبي جعفر بتأخيرها. [٧/ ٤٧٢].

* * *

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومئة

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

قال الهيثم: كان حصار عبد الله بن عليّ مقاتلاً العكيّ أربعين ليلة، فلما بلغه مسيرُ أبي مسلم إليه، وأنه لم يظفر بمقاتل، وخشي أن يهجم عليه أبو مسلم أعطى العكيّ أماناً، فخرج إليه فيمن كان معه، وأقام معه أياماً يسيرة، ثم وجّهه إلى عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزديّ إلى الرّقة ومعه ابناه، وكتب إليه كتاباً دفعه إلى العكيّ، فلما قدموا على عثمان قتَل العكيّ وحبس ابنيه، فلما بلغه هزيمة عبد الله بن عليّ وأهل الشأم بنصيبين أخرجهما فضرب أعناقهما.

وكان عبد الله بن عليّ خشي ألا يناصحه أهل خراسان، فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً؛ أمر صاحب شُرَطه فقتلهم؛ وكتب لحميد بن قحطبة كتاباً ووجّهه إلى حلب، وعليها زُفَر بن عاصم وفي الكتاب: إذا قدم عليك حُميد بن قحطبة فاضرب عنقَه، فسار حميد حتى إذا كان ببعض الطريق فكّر في كتابه، وقال: إنّ

= وأما قول أبي جعفر عن زكية أمر يزكى لنا أو قوله عن صفية صفت لنا فلا يصح وهو من كلام الملفقة الذين لا شغل لهم إلاّ إيجاد هذه الأمور.

ذهابي بكتاب ولا أعلم ما فيه لغَرَر ، ففكّ الطومار فقرأه ، فلما رأى ما فيه دعا أناساً من خاصته فأخبرهم الخبر ، وأفشى إليهم أمره ، وشاورهم ، وقال : مَنْ أراد منكم أن ينجوَ ويهرب فليَسِرْ معي؛ فإني أريد أن آخذ طريق العراق ، وأخبرهم ما كتب به عبد الله بن عليّ في أمره ، وقال لهم : مَنْ لم يرد منكم أن يحمل نفسه على السير فلا يفشينّ سرّي ، وليذهب حيث أحبّ.

قال : فاتبعه على ذلك ناس من أصحابه ، فأمر حميد بدوابّه فأنعلت[(١)] ، وأنعل أصحابه دوابهم ، وتأهبوا للمسير معه ، ثم فوّز[(٢)] بهم وبهرَجَ الطريق[(٣)] فأخذ على ناحية من الرّصافة؛ رصافة هشام بالشأم ، وبالرّصافة يومئذ مولى لعبد الله بن عليّ يقال له سعيد البربريّ ، فبلغه أنّ حُميد بن قحطبة قد خالف عبد الله بن عليّ ، وأخذ في المفازة ، فسار في طلبه فيمن معه من فُرسانه؛ فلحقه ببعض الطريق ، فلما بصر به حُميد ثنى فَرسَه نحوه حتى لقيَه ، فقال له : ويحك! أما تعرفني! والله ما لك في قتالي من خَيْر فارجع؛ فلا تقتل أصحابي وأصحابك ، فهو خير لك ، فلما سمع كلامه عرف ما قال له ، فرجع إلى موضعه بالرُّصافة ، ومضى حُميد ومَن كان معه ، فقال له صاحب حَرسه موسى بن ميمون : إن لي بالرُّصافة جاريةً ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لي فآتيَها فأوصيها ببعض ما أريد ، ثم ألحقك! فأذن له فأتاها ، فأقام عندها ، ثم خرج من الرُّصافة يريد حُميداً ، فلقيه سعيد البربريّ مولى عبد الله بن عليّ ، فأخذه فقتله؛ وأقبل عبد الله بن عليّ حتى نزل نَصِيبين ، وخندق عليه.

وأقبل أبو مسلم ، وكتب أبو جعفر إلى الحسن بن قحطبة ـ وكان خليفته بأرمينيَة ـ أن يوافي أبا مسلم ، فقدم الحسن بن قحطبة على أبي مسلم وهو بالموْصِل ، وأقبل أبو مسلم ، فنزل ناحية لم يعرِض له ، وأخذ طريق الشأم ، وكتب إلى عبد الله : إني لم أؤمَر بقتالك ، ولم أوجَّه له ، ولكن أمير المؤمنين ولاّني الشأم؛ وإنما أريدها؛ فقال مَنْ كان مع عبد الله من أهل الشأم لعبد الله :

---

(١) نعل الدابة : ما ولى به حافرها وخفها؛ وأنعل الدابة : وضع لها ذلك النعل. القاموس ص ١٣٧٤ .

(٢) فوز : سلك المفازة. القاموس ص ٦٦٩ .

(٣) بهرج الطريق : أي سلك بهم غير المحجة . اللسان (٢ / ٥١٧).

كيف نقيم معك وهذا يأتي بلادنا وفيها حرمُنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ، ويسبِي ذراريّنا!

ولكنا نخرج إلى بلادنا فنمنعه حَرَمنا وذراريَّنا ونقاتله إن قاتلنا ، فقال لهم عبد الله بن عليّ: إنه والله ما يريد الشأم ، وما وُجِّه إلا لقتالكم ، ولئن أقمتم ليأتينّكم ، قال: فلم تطب أنفسُهم ، وأبوْا إلا المسير إلى الشأم.

قال: وأقبل أبو مسلم فعسكر قريباً منهم ، وارتحل عبد الله بن عليّ من عسكره متوجّهاً نحو الشأم ، وتحوّل أبو مسلم حتى نزل في معسكر عبد الله بن عليّ في موضعه ، وغوّر[1] ما كان حوله من المياه ، وألقى فيها الجيَف.

وبلغ عبد الله بن عليّ نزول أبي مسلم معسكره ، فقال لأصحابه من أهل الشأم: ألم أقل لكم! وأقبل فوجد أبا مسلم قد سبقه إلى معسكره ، فنزل في موضع عسكر أبي مسلم الذي كان فيه ، فاقتتلوا أشهراً خمسة أو ستة ، وأهل الشأم أكثر فرساناً وأكمل عُدّة ، وعلى ميمنة عبد الله بكار بن مسلم العقيليّ ، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسديّ ، وعلى الخيل عبد الصمد بن عليّ ، وعلى ميمنة أبي مسلم الحسن بن قحطبة ، وعلى الميسرة أبو نصر خازم بن خزيمة ، فقاتلوه أشهراً. [٧/ ٤٧٥ ـ ٤٧٧].

ويقال: بل استأمن لعبد الصمد بن عليّ إسماعيل بن عليّ.

وقد قيل: إن عبد الله بن عليّ لما انهزم مضى هو وعبد الصمد أخوه إلى رُصافة هشام ، فأقام عبد الصمد بها حتى قدمت عليه خيول المنصور ، وعليها جهور بن مرّار العجليّ ، فأخذه فبعث به إلى المنصور مع أبي الخصيب مولاه موثَقاً ، فلما قدم عليه أمر بصرْفه إلى عيسى بن موسى ، فآمنه عيسى وأطلقه وأكرمه ، وحباه وكساه.

وأما عبد الله بن عليّ فلم يلبث بالرّصافة إلا ليلة ، ثم أدلَج في قواده ومواليه حتى قدم البصرة على سليمان بن عليّ وهو عاملها يومئذ ، فآواهم سليمان وأكرمهم وأقاموا عنده زماناً متوارين. [٧/ ٤٧٩].

* * *

---

(١) غور المياه: أي ردم العيون. القاموس ص ٥٧٤.

قال عليّ: قال مسلم بن المغيرة: استخلف أبو جعفر على أرمينيَة في تلك السنة الحسن بن قحطبة. وقال غيره: استعمل رضيعه يحيى بن مسلم بن عُروة ـ وكان أسود مولىً لهم ـ فخرجا إلى مكة فكان أبو مسلم يصلح العِقَاب ويكسو الأعراب في كلّ منزل، ويصلُ من سأله، وكسا الأعراب البُتوت والملاحف، وحفر الآبار، وسهل الطرق؛ فكان الصوت له؛ وكان الأعراب يقولون: هذا المكذوب عليه؛ حتى قدم مكة فنظر إلى اليمانية فقال لنيزك: وضرب جنبه ـ: يا نيزكُ، أيّ جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان سريع الدمعة! [٧/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠].

قال عليّ: قال مسلم بن المغيرة: كنت مع الحسن بن قحطبة بأرمينيَة فلما وجّه أبو مسلم إلى الشأم كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيَه ويسير معه، فقدمنا على أبي مسلم وهو بالموصل فأقام أياماً، فلما أراد أن يسير، قلت للحسن: أنتم تسيرون إلى القتال وليس بك إليّ حاجة، فلو أذنتَ لي فأتيت العراق، فأقمت حتى تقدموا إن شاء الله! قال: نعم؛ لكن أعلِمْني إذا أردتَ الخروج، قلت: نعم، فلما فرغت وتهيأت أعلمتُه، وقلتُ: أتيتُك أودّعك، قال: قف لي بالباب حتى أخرُج إليك، فخرجتُ فوقفتُ وخرج، فقال: إنِّي أريد أن ألقي إليك شيئاً لتبلِغَه أبا أيوب، ولولا ثقتي بك لم أخبرْك، ولولا مكانك من أبي أيوب لم أخبرْك؛ فأبلغْ أبا أيوب أني قد ارتبتُ بأبي مسلم منذ قدمتُ عليه، إنّه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرؤوه، ثم يلوى شِدقه، ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر، فيقرؤه ويضحكان استهزاء؛ قلتُ: نعم قد فهمت؛ فلقيتُ أبا أيوب وأنا أرى أن قد أتيته بشيء، فضحك، قال: نحن لأبي مسلم أشدّ تُهمةً منّا لعبد الله بن عليّ إلاّ أنا نرجو واحدةً؛ نعلم أنّ أهل خُراسان لا يحبون عبد الله بن عليّ، وقد قتَل منهم من قَتل؛ وكان عبد الله بن عليّ حين خَلَع خاف أهلَ خُراسان، فقتل منهم سبعة عشر ألفاً؛ أمر صاحب شرطته حيّاش بن حبيب فقتلهم.

قال عليّ: فذكر أبو حفص الأزديّ أن أبا مسلم قاتل عبد الله بن عليّ فهزمه، وجَمَع ما كان في عسكره من الأموال فصيّره في حظيرة، وأصاب عيناً ومتاعاً وجوهراً كثيراً؛ فكان منثوراً في تلك الحظيرة؛ ووكّل بها وبحفظها قائداً من

قُوّاده، فكنت في أصحابه، فجعلها نوائب بيننا، فكان إذا خرج رجل من الحظيرة فتّشه، فخرج أصحابي يوماً من الحظيرة وتخلفت، فقال لهم الأمير: ما فعل أبو حفص؟ فقالوا: هو في الحظيرة، قال: فجاء فاطلع من الباب، وفطِنت له فنزعت خُفَّيّ وهو ينظر، فنفضتهما وهو ينظر، ونفضت سراويلي وكُمّي، ثم لبست خفي وهو ينظر، ثم قام فقعد في مجلسه وخرجت، فقال لي: ما حبسك؟ قلت: خير، فخلّاني، فقال: قد رأيتُ ما صنعتَ فلِمَ صنعتَ هذا؟ قلت: إن في الحظيرة لؤلؤاً منثوراً ودراهم منثورة؛ ونحن نتقلب عليها، فخفت أن يكون قد دخل في خُفيّ منها شيء، فنزعت خُفيّ وجوربيّ؛ فأعجبه ذلك وقال: انطلق، فكنت أدخل الحظيرة مع من يحفظ فآخذ من الدراهم ومن تلك الثياب الناعمة فأجعل بعضها في خفيّ وأشدّ بعضها على بطني، ويخرج أصحابي فيفتَّشُون ولا أفتَّش، حتى جمعت مالاً، قال: وأما اللؤلؤ فإنّي لم أكن أمسّه. [٧/ ٤٨١ ـ ٤٨٢].

* * *

وقال غير من ذكرت خبره: لما ظفِر أبو مسلم بعسكر عبد الله بن عليّ بعث المنصور يقطين بن موسى، وأمره أن يحصيَ ما في العسكر، وكان أبو مسلم يسميه «يك دين». فقال أبو مسلم: يا يقطين، أمين على الدماء خائن في الأموال! وشتم أبا جعفر، فأبلغه يقطين ذلك.

وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمِعاً على الخلاف؛ وخرج من وجهه معارضاً يريد خراسان؛ وخرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن؛ وكتب إلى أبي مسلم في المصير إليه، فكتب أبو مسلم، وقد نزل الزّاب وهو على الرّواح إلى طريق حُلوان: إنه لم يبق لأمير المؤمنين أكرمه الله عدوّ إلا أمكنه الله منه؛ وقد كنّا نروِي عن ملوك آل ساسان: أنّ أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء؛ فنحن نافرون من قربك، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيتَ، حريُّون بالسمع والطاعة؛ غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة، فإن أرضاك ذاك فأنا كأحسن عبيدك؛ فإن أبيتَ إلا أن تعطيَ نفسك إرادتَها نقضتُ ما أبرْمت من عهدك، ضنّاً بنفسي، فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم: قد فهمتُ كتابك؛ وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغَشَشة ملوكهم، الذين يتمنوْن اضطراب

حَبْل الدولة لكثرة جرائمهم؛ فإنما راحتُهم في انتشار نظام الجماعة؛ فلمَ سوَّيْت نفسك بهم، وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به! وليس مع الشريطة التي أوجبتَ منك سمع ولا طاعة، وحمّل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكُنَ إليها إلى أن أصْغَيْت إليها، وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك؛ فإنه لم يجد باباً يفسد به نيتك أوكدَ عنده، وأقرب من طِبّه من الباب الذي فتحه عليك، ووجه إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجليّ؛ وكان واحد أهل زمانه، فخدعه وردّه، وكان أبو مسلم يقول: والله لأقتلَنّ بالروم؛ وكان المنجمون يقولون ذلك؛ فأقبل والمنصور في الرومية في مضارب، وتلقاه الناس وأنزله وأكرمه أياماً. [٧/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣].

قال عليّ عن أبي حفص الأزدي، قال: كنت مع أبي مسلم، فقدِم عليه أبو إسحاق من عند أبي جعفر بكتب من بني هاشم، وقال: رأيتُ القوم على غير ما ترى؛ كلّ القوم يرون لك ما يرون للخليفة، ويعرفون ما أبلاهم الله بك.

فسار إلى المدائن، وخلف أبا نصر في ثَقَله، وقال: أقم حتى يأتيك كتابي، قال: فاجعل بيني وبينك آية أعرف بها كتابك، قال: إن أتاك كتابي مختوماً بنصف خاتم فأنا كتبتُه، وإن أتاك بالخاتم كلِّه؛ فلم أكتبه ولم أختمه، فلما دنامن المدائن تلقاه رجل من قوّاده، فسلّم عليه، فقال له: أطعْني وارجع، فإنه إن عاينك قتلَك، قال: قد قربتُ من القوم فأكره أن أرجع، فقدم المدائن في ثلاثة آلاف، وخلّف الناس بحُلْوان، فدخل على أبي جعفر، فأمره بالانصراف في يومه؛ وأصبح يريده، فتلقاه أبو الخصيب فقال: أمير المؤمنين مشغولٌ، فاصبر ساعة حتى تدخل خالياً، فأتى منزلَ عيسى بن موسى ـ وكان يحبّ عيسى ـ فدعا له بالغداء، وقال أمير المؤمنين للربيع ـ وهو يومئذ وصيف يخدم أبا الخصيب: انطلِق إلى أبي مسلم؛ ولا يعلم أحدٌ، فقل له: قال لك مرزوق: إن أردتَ أمير المؤمنين خالياً فالعجل، فقام فركب، وقال له عيسى: لا تعجَل بالدّخول حتى أدخل معك، فأبطأ عيسى بالوضوء، ومضى أبو مسلم فدخل فقتل قبل أن يجيءَ عيسى، وجاء عيسى وهو مدرج في عبَاءة، فقال: أين أبو مسلم؟ قال: مُدْرجٌ في

الكساء، قال: إنا لله! قال: اسكت، فما تمّ سلطانك وأمرُك إلاّ اليوم، ثم رمى به في دجلة.

قال عليّ: قال أبو حفص: دعا أمير المؤمنين عثمان بن نَهيك وأربعة من الحَرس، فقال لهم: إذا ضربت بيديّ إحداهما على الأخرى؛ فاضربوا عدّو الله، فدخل عليه أبو مسلم، فقال له: أخبرْني عن نَصْلَيْن أصبتَهما في متاع عبد الله بن عليّ، قال: هذا أحدهما الذي عليّ، قال: أرنيه فانتضاه، فناوله، فهزّه أبو جعفر، ثم وضعه تحت فراشه، وأقبل عليه يعاتبه، فقال: أخبرني عن كتابك إلى أبي العباس تنهاه عن الموات، أردتَ أن تعلّمنا الدّين! قال: ظننتُ أخذه لا يحلّ، فكتب إليّ، فلما أتاني كتابُه علمتُ أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم، قال: فأخبرني عن تقدّمك إيايَ في الطريق؟ قال: كرهتُ اجتماعنا على الماء فيضرّ ذلك بالناس؛ فتقدّمتُك التماس الرّفق، قال: فقولك حين أتاك الخبر بموت أبي العباس لمن أشار عليك أن تنصرف إليّ: نقدم فنرى من رأينا؛ ومضيتَ فلا أنت أقمت حتى ألحقك ولا أنت رجعت إليّ! قال: منعنِي من ذلك ما أخبرتُك من طلب الرّفق بالناس، وقلت: نقدم الكوفة فليس عليه مني خلاف، قال: فجارية عبد الله بن عليّ أردتَ أن تتخذها؟ قال: لا؛ ولكني خفتُ أن تضيع، فحملتها في قبّة، ووكلتُ بها من يحفظها، قال: فمراغمتك وخروجك إلى خراسان؟ قال: خفتُ أن يكون قد دخلك مني شيء، فقلت: آتي خراسان، فأكتب إليك بعذري؛ وإلى ذلك ما قد ذهب مافي نفسك عليّ، قال: تالله ما رأيت كاليوم قطّ، والله ما زدتَني إلا غضباً؛ وضرب بيده، فخرجوا عليه؛ فضربه عثمان وأصحابه حتى قتلوه.

قال عليّ: قال يزيد بن أسيد: قال أمير المؤمنين: عاتبتُ عبدَ الرحمن، فقلت: المال الذي جمعته بحرّان؟ قال: أنفقتُه وأعطيتُه الجند تقويةً لهم واستصلاحاً، قلت: فرجوعُك إلى خراسان مراغماً؟ قال: دعْ هذا فما أصبحتُ أخاف أحداً إلا الله؛ فغضبتُ فشتمته، فخرجوا فقتلوه.

وقال غير من ذكرت في أمر أبي مسلم: إنه لما أرسل إليه يوم قتِل، أتى عيسى بن موسى، فسأله أن يركب معه، فقال له: تقدّم وأنت في ذمتي؛ فدخل مضرب أبي جعفر؛ وقد أمر عثمان بن نَهيك صاحب الحرس، فأعدّ له شبيب بن

واج المروروذيّ (رجلاً من الحَرَس) وأبا حنيفة حرب بن قيس، وقال لهم: إذا صفقتُ بيديَّ فشأنكم؛ وأذن لأبي مسلم، فقال لمحمد البواب النجاريّ: ما الخبر؟ قال: خير؛ يُعطينني الأمير سيفه، فقال: ما كان يُصنَع بي هذا! قال: وما عليك! فشكا ذلك إلى أبي جعفر، قال: ومَن فعل بك هذا قبحه الله! ثم أقبل يعاتبه: ألستَ الكاتب إليّ تبدأ بنفسك، والكاتب إليّ تخطب أمينة بنت عليّ وتزعم أنك ابنُ سَلِيط بن عبد الله بن عباس! ما دعاك إلى قتل سليمان بن كَثير مع أثرِه في دعوتنا؛ وهو أحد نقبائنا قبل أن نُدخلك في شيء من هذا الأمر؟ قال: أرادَ الخلافَ وعصاني فقتلتُه، فقال المنصور: وحاله عندنا حاله فقتلَته، وتعصيني وأنت مخالف عليّ! قتلني الله إن لم أقتلك! فضربه بعمود، وخرج شبيبُ وحرب فقتلاه، وذلك لخمس ليال بقين من شعبان من سنة سبع وثلاثين ومئة، فقال المنصور:

زعمتَ أنَّ الدَّين لا يُقْتَضَى ... فاسْتَوْفِ بالكَيْل أَبا مُجْرِم
سُقِيتَ كأساً كنتَ تَسقِي بها ... أَمَرَّ في الحَلق مِنَ العَلْقَم

قال: وكان أبو مسلم قد قَتَل في دولته وحروبه ستمئة ألف صَبْراً.

وقيل: إن أبا جعفر لما عاتب أبا مسلم، قال له: فعلتَ وفعلتَ، قال له أبو مسلم: ليس يقال هذا لي بعد بلائي، وما كان منّي؛ فقال: يا بن الخبيثة؛ والله لو كانتْ أمَةٌ مكانك لأجْزَتْ ناحيتها؛ إنما عملت ما عملت في دولتنا وبريحنا؛ ولو كان ذلك إليك ما قطعتَ فتيلاً، ألستَ الكاتبَ إليّ تبدأ بنفسك، والكاتبَ إليّ تخطب أمينة بنت عليّ، وتزعم أنك ابنُ سَليط بن عبد الله بن عباس! لقد ارتقيت لا أمّ لك مُرْتَقىً صعباً! فأخذ أبو مسلم بيده يعرِكها ويقبّلها ويعتذر إليه.

وقيل: إن عثمان بن نَهيك ضرب أبا مسلم أوّل ما ضرب ضربة خفيفة بالسيف؛ فلم يزد على أن قطع حمائل سيفه؛ فاعتقل بها أبو مسلم، وضرب شبيب بن واج رجلَه، واعتوَره بقية أصحابه حتى قتلوه، والمنصور يصيح بهم: اضربوا قطع الله أيديكم!

وقد كان أبو مسلم قال ـ فيما قيل ـ عند أول ضربة أصابته: يا أمير المؤمنين، استبقني لعدّوك قال: لا أبقاني الله إذاً! وأيّ عدوٍّ لي أعدى منك!

وقيل: إن عيسى بن موسى دخل بعد ما قُتِل أبو مسلم، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أين أبو مسلم؟ فقال: قد كان هاهنا آنفاً، فقال عيسى: يا أمير المؤمنين، قد عرفتَ طاعته ونصيحَته ورأيَ الإمام إبراهيم كان فيه؛ فقال: يا أنوَك؛ والله ما أعلم في الأرض عدوّاً أعدى لك منه؛ ها هو ذاك في البِساط، فقال عيسى: إنا لله وإنا إليه راجعون! وكان لعيسى رأي في أبي مسلم، فقال له المنصور: خلع الله قلبك؛ وهل كان لكم مُلْك أو سلطان أو أمر أو نهي مع أبي مسلم!

قال: ثم دعا أبو جعفر جعفر بن حنظلة، فدخل عليه، فقال: ما تقول في أبي مسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت أخذتَ شعرة من رأسه فاقتلْ ثم اقتلْ ثم اقتلْ؛ فقال المنصور: وفّقك الله! ثم أمره بالقيام والنظر إلى أبي مسلم مقتولاً، فقال: يا أميرَ المؤمنين، عُدّ من هذا اليوم لخلافتك.

ثم استؤذن لإسماعيل بن عليّ، فدخل، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي رأيتُ في ليلتي هذه كأنك ذبحتَ كبشاً وأني توطّأته برجلي، فقال: نامت عينُك يا أبا الحسن، قم فصدّق رؤياك؛ قد قتل الله الفاسق، فقام إسماعيل إلى الموضع الذي فيه أبو مسلم، فتوطّأه.

ثم إنّ المنصور همّ بقتل أبي إسحاق صاحب حَرَس أبي مسلم وقتل أبي نصر مالك - وكان على شُرط أبي مسلم - فكلّمه أبو الجهم، فقال: يا أمير المؤمنين، جنده جندك، أمرتهم بطاعته فأطاعوه، ودعا المنصور بأبي إسحاق، فلما دخل عليه ولم ير أبا مسلم، قال له أبو جعفر: أنت المتابع لعدوّ الله أبي مسلم على ما كان أجمع؛ فكفّ وجعل يلتفت يميناً وشمالاً تخوّفاً من أبي مسلم، فقال له المنصور: تكلم بما أردت، فقد قتل الله الفاسق؛ وأمر بإخراجه إليه مقطّعاً، فلما رآه أبو إسحاق خرّ ساجداً، فأطال السجود، فقال له المنصور: ارفع رأسك وتكلم؛ فرفع رأسه وهو يقول: الحمدُ لله الذي آمنني بك اليوم؛ والله ما أمنتُه يوماً واحداً منذ صحبتُه، وما جئتهُ يوماً قطّ إلا وقد أوصيتُ وتكفّنتُ وتحنّطتُ؛ ثم رفع ثيابه الظاهرة فإذا تحتها ثِيابُ كَتَّان جُدَد، وقد تحنّط، فلما رأى أبو جعفر حاله رحمه، ثم قال: استقبل طاعةَ خليفتك، واحمد الله الذي أراحك من الفاسق، ثم قال له أبو جعفر: فَرِّق عني هذه الجماعة، ثم دعا بمالك بن الهيثم فحدّثه بمثل ذلك، فاعتذر إليه بأنه أمره بطاعته؛ وإنما خدمه وخفّ له الناسُ

بمرضاته ، وأنه قد كان في طاعتهم قبل أن يعرف أبا مسلم فقبِل منه وأمره بمثل ما أمر به أبا إسحاق من تفريق جند أبي مسلم .

وبعث أبو جعفر إلى عِدّة من قوّاد أبي مسلم بجوائز سنيّة ، وأعطى جميع جنده حتى رضُوا ، ورجع أصحابه وهم يقولون : بعنا مولانا بالدراهم ، ثم دعا أبو جعفر بعد ذلك أبا إسحاق ، فقال : أقسِم بالله لئن قطعوا طنُباً من أطنابي لأضربنّ عنقك ثم لأجاهدنّهم ، فخرج إليهم أبو إسحاق فقال : يا كلاب انصرِفوا .

قال عليّ : قال أبو حفص الأزديّ : لما قُتِل أبو مسلم كتب أبو جعفر إلى أبي نصر كتاباً عن لسان أبي مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلّف عنده ، وأن يقدم ، وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم ، فلما رأى أبو نصر نقْش الخاتم تامّاً ، علم أن أبا مسلم لم يكتب الكتاب ، فقال : أفعلتموها! وانحدر إلى هَمذان وهو يريد خراسان ، فكتب أبو جعفر لأبي نصر عهدَه على شهرزور ، ووجّه رسولاً إليه بالعهد؛ فأتاه حين مضى الرسول بالعهد أنه قد توجّه إلى خراسان ، فكتب إلى زهير بن التركيّ ـ وهو على همذان : إن مرّ بك أبو نصر فاحبِسْه ، فسبق الكتاب إلى زهير وأبو نصر بهَمَذَان ، فأخذه فحبسه في القصْر ، وكان زهير مولىً لخزاعة ، فأشرف أبو نصر على إبراهيم بن عريف ـ وهو ابن أخي أبي نصر لأمه ـ فقال : يا إبراهيم ، تقتل عمّك! قال : لا والله أبداً ، فأشرف زهير فقال لإبراهيم : إني مأمور والله ، إنه لمن أعزّ الخلق عليّ؛ ولكني لا أستطيع ردّ أمر أمير المؤمنين ، ووالله لئن رمى أحدكم بسهم لأرمينّ إليكم برأسه ، ثم كتب أبو جعفر كتاباً آخر إلى زهير : إن كنت أخذتَ أبا نصر فاقتله .

وقدم صاحبُ العهد على أبي نصر بعده فخلّى زهير سبيله لهواه فيه؛ فخرج ، ثم جاء بعد يوم الكتابُ إلى زهير بقتله ، فقال : جاءني كتابٌ بعهده فخليتُ سبيله .

وقدم أبو نصر على أبي جعفر ، فقال : أشرتَ على أبي مسلم بالمضيّ إلى خراسان؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين؛ كانت له عندي أيادٍ وصنائع فاستشارني فنصحتُ له ، وأنت يا أمير المؤمنين إن اصطنعتَني نصحتُ لك وشكرتُ فعفا عنه؛ فلما كان يوم الراونديّة قام أبو نصر على باب القصر ، وقال : أنا اليوم

البوّاب ، لا يدخل أحد القصر وأنا حيٌّ ، فقال أبو جعفر : أين مالك بن هيثم؟ فأخبروه عنه ، فرأى أنه قد نصح له .

وقيل : إن أبا نصر مالك بن الهيثم لما مضى إلى همذان كتب أبو جعفر إلى زهير بن التركيّ : إنّ لله دمك إن فاتك مَالِكٌ ؛ فأتى زهير مالكاً ، فقال له : إني قد صنعتُ لك طعاماً ، فلو أكرمتَني بدخول منزلي! فقال : نعم ، وهيّأ زهير أربعين رجلاً تخيَّرهم ، فجعلهم في بيتين يُفضيان إلى المجلس الذي هيأه ، فلما دخل مالكٌ قال : يا أدهم ، عجّل طعامك ؛ فخرج أولئك الأربعون إلى مالك ، فشدّوه وثاقاً ، ووضع في رجليه القيود ، وبعث به إلى المنصور فمنّ عليه وصفح عنه واستعمله على الموصل .

* * *

وفي هذه السنة ولّى أبو جعفر المنصور أبا داود خالد بن إبراهيم خراسان وكتب إليه بعهده . [٧/ ٤٨٩ ـ ٤٩٤] .

* ذكر الخبر عن سنباذ :

ذُكر أن سنباذ هذا كان مجوسيًّاً ، من أهل قرية من قُرى نيسابور يقال لها أهن ، وأنه كثر أتباعُه لما ظهر ؛ وكان خروجه غضباً لقتل أبي مسلم ـ فيما قيل ـ وطلباً بثأره ، وذلك أنه كان من صنائعه ، وغلَب حين خرج على نيسابور وقُومِس والرّيّ ، وتسمَّى فيروز أصبهبذ . [٧/ ٤٩٥] .

* * *

وفي هذه السنة خرج ملبَّد بن حرملة الشيبانيّ ، فحكم بناحية الجزيرة ، فسارت إليه روابط الجزيرة ؛ وهم يومئذ فيما قيل ألف ، فقاتلهم ملبَّد فهزمهم ، وقَتَل مَنْ قتل منهم ، ثم سارت إليه روابط الموصل فهزمهم ، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلبيّ ، فهزمه ملبَّد بعد قتال شديد كان بينهما ؛ وأخذ ملبَّد جارية ليزيد كان يطؤها ، وقتل قائداً من قوّاده ، ثم وجّه إليه أبو جعفر مولاه المهلهل بن صفوان في ألفين من نُخبة الجند ، فهزمهم ملبّد ، واستباح عسكرهم .

ثم وجّه إليه نزاراً (قائداً من قوّاد أهل خراسان) فقتله ملبّد ، وهزم أصحابه ، ثم وجه إليه زياد بن مشكان في جَمْع كثير ، فلقيهم ملبَّد فهزمهم .

ثم وجَّه إليه صالح بن صبيح في جيش كثيف وخيل كثيرة وعدّة ، فهزمهم . ثم سار إليه حُمَيد بن قحطبة وهو يومئذ على الجزيرة ، فلقيه الملبَّد فهزمه ، وتحصَّن منه حميدٌ ، وأعطاه مئة ألف درهم على أن يكفّ عنه .

وأما الواقديّ فإنه زعم أن ظهور ملبَّد وتحكيمه كان في سنة ثمان وثلاثين ومئة ، ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشَغْل السلطان بحرب سنباذ. [٧/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦].

* ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه :

وكان سببُ ذلك ـ فيما ذُكِر ـ أن جَهْور لما هزم سنباذ حوى ما في عسكره ، وكان فيه خزائنُ أبي مسلم التي كان خلفها بالرَّيّ ، فلم يوجّهها إلى أبي جعفر ، وخاف فخلَع ، فوجّه إليه أبو جعفر محمد بن الأشعث الخُزاعيّ في جيش عظيم ، فلقيه محمد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ومع جَهْور نُخَب فرسان العجم؛ زياد والأشتاخنج ، فهزِم جَهْور وأصحابه ، وقُتل من أصحابه خلْق كثير ، وأسر زياد والأشتاخنج ، وهرب جَهْور فلحق بأذْرَبيجان فأخِذ بعد ذلك باسباذْرُو فقتل .

وفي هذه السنة قتل الملبّد الخارجيّ :

* ذكر الخبر عن مقتله :

ذكِر أن أبا جعفر لما هزم الملبّد حميد بن قحطبة ، وتحصّن منه حُميد ، وجَّه إليه عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وضمَّ إليه زياد بن مشكان ، فأكمن له الملبّد مئة فارس ، فلما لقيَه عبد العزيز خرج عليه الكَمِين؛ فهزموه ، وقتلوا عامّة أصحابه ، فوجّه أبو جعفر إليه خازم بن خزيمة في نحو من ثمانية آلاف من المروروذيّة ، فسار خازم حتى نزل الموصل ، وبعث إلى الملبَّد بعض أصحابه وبعث معهم الفعلة ، فسار إلى بلد فخندقوا ، وأقاموا له الأسواق؛ وبلغ ذلك الملبَّد ، فخرج حتى نزل ببلد ، في خندق خازم؛ فلما بلغ ذلك خازماً خرج إلى مكان من أطراف الموصل حريز فعسكر به ، فلما بلغ ذلك الملبَّد عَبَر دجْلة من بلد ، وتوجه إلى خازم من ذلك الجانب يريد الموصل ، فلما بلغ خازماً ذلك ، وبلغ إسماعيل بن عليّ ـ وهو على الموصل ـ أمر إسماعيل خازماً أن يرجع من معسكره حتى يعبُر من جسر الموصل؛ فلم يفعل ، وعقد

جسراً من موضع معسكره ، وعبَر إلى الملبّد ، وعلى مقدّمته وطلائعه نَضلَة بن نعيم بن خازم بن عبد الله النهشليّ ، وعلى ميمنته زُهير بن محمد العامريّ ، وعلى ميسرته أبو حماد الأبرص مولى بني سليم ، وسار خازم في القلْب ، فلم يزل يساير الملبّد وأصحابه حتى غشيَهم الليل ثم تواقفوا ليلتَهم ، وأصبحوا يوم الأربعاء ، فمضى الملبَّد وأصحابه متوجّهين إلى كورة حَزّة ، وخازم وأصحابه يسايرونهم حتى غشيهم الليل ، وأصبحوا يوم الخميس ، وسار الملبّد وأصحابه ، كأنه يريد الهرب من خازم ، فخرج خازم وأصحابه في أثرهم ، وتركوا خندقهم ، وكان خازم تخندق عليه وعلى أصحابه بالحسَك ، فلما خرجوا من خندقهم كرّ عليهم الملبّد وأصحابه؛ فلما رأى ذلك خازم ألقى الحسَك بين يديه وبين يدي أصحابه ، فحملوا على ميمنة خازم وطوَوْها ، ثم حملوا على الميسرة وطَوَوها ، ثم انتهوا إلى القلْب ، وفيه خازم ، فلما رأى ذلك خازم نادى في أصحابه : الأرضَ ، فنزلوا ونزل الملبَّد وأصحابه ، وعقروا عامة دوابّهم ، ثم اضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ، وأمر خازم نضَلة بن نعيم أن إذا سطع الغبار ولم يبصر بعضُنا بعضاً فارجع إلى خيلك وخيل أصحابك فاركبوها ، ثم ارُموا بالنشاب ، ففعل ذلك ، وتراجع أصحاب خازم من الميمنة إلى الميسرة ، ثم رشقُوا الملبَّد وأصحابه بالنشاب ، فقُتل الملبَّد في ثمانمئة رجل ممن ترجّل ، وقتل منهم قبل أن يترجلوا زهاء ثلاثمئة ، وهرب الباقون ، وتبعهم نَضلة فقتل منهم مئة وخمسين رجلاً . [٧/ ٤٩٧ ـ ٤٩٩] .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إقامة مصالح بن عليّ والعباس بن محمد بملَطْية؛ حتى استتما بناء مَلَطْية ، ثم غزوا الصائفة من دَرْب الحديث ، فوغَلا في أرض الروم ـ وغَزا مع صالح أختاه : أم عيسى ولبابة ابنتا عليّ؛ وكانتا نذرتا إن زال ملك بني أميّة أن تجاهدا في سبيل الله .

وفي هذه السنة كان الفداء الذي جرى بين المنصور وصاحب الرّوم؛ فاستنقذ المنصور منهم أسَراء المسلمين ، ولم يكن بعد ذلك ـ فيما قيل ـ للمسلمين صائفة

إلى سنة ست وأربعين ومئة ، لاشتغال أبي جعفر بأمر ابنَيْ عبد الله بن الحسن؛ إلاّ أن بعضهم ذكر أن الحسن بن قحطبة غزا الصَّائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام في سنة أربعين ، وأقبل قسطنطين صاحب الرّوم في مئة ألف ، فنزل جَيْحَان ، فبلغه كثرة المسلمين فأحجم عنهم؛ ثم لم يكن بعدها صائفة إلى سنة ست وأربعين ومئة .

وفي هذه السنة سار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مَرْوان إلى الأندلس ، فملّكه أهلُها أمرَهم ، فولده ولاتها إلى اليوم .

* * *

وفيها وسَّع أبو جعفر المسجد الحرام ، وقيل إنها كانت سنة خَصِبة فسمِّيت سنة الخصب . [٧/ ٥٠٠] .

فلما عزل سليمان وولَّى سفيان توارى عبد الله بن عليّ وأصحابه خوفاً على أنفسهم؛ فبلغ ذلك أبا جعفر ، فبعث إلى سليمان وعيسى ابني عليّ ، وكتب إليهما في إشخاص عبد الله بن عليّ ، وعزم عليهما أن يفعلا ذلك ولا يؤخّراه ، وأعطاهما من الأمان لعبد الله بن عليّ ما رضياه له ووثقا به ، وكتب إلى سفيان بن معاوية يعلمه ذلك ، ويأمره بإزعاجهما واستحثاثهما بالخروج بعبد الله ومَن معه من خاصّته ، فخرج سليمان وعيسى بعبد الله وبعامّة قوّاده وخواصّ أصحابه ومواليه ، حتى قدموا على أبي جعفر؛ يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجّة .

* * *

[ذكر خبر حبس عبد الله بن عليّ]

وفيها أمر أبو جعفر بحبس عبد الله بن عليّ ، وبحبس مَن كان معه من أصحابه وبقتل بعضهم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ولما قدم سليمان وعيسى ابنا عليّ على أبي جعفر أذِنَ لهما ، فدخلا عليه ، فأعلماه حضورَ عبد الله بن عليّ ، وسألاه الإذن له ، فأنعم لهما بذلك ، وشغلهما بالحديث ، وقد كان هيأ لعبد الله بن عليّ محبساً في قصره ، وأمر به أن ينصرف

إليه بعد دخول عيسى وسليمان عليه ، ففُعِل ذلك به؛ ونهض أبو جعفر من مجلسه ، فقال لسليمان وعيسى : سارعا بعبد الله ، فلما خرجا افتقدا عبد الله من المجلس الذي كان فيه ، فعلما أنه قد حُبس ، فانصرفا راجعين إلى أبي جعفر ، فحِيل بينهما وبين الوصول إليه ، وأخذت عند ذلك سيوف مَنْ حضر من أصحاب عبد الله بن عليّ من عواتقهم وحبسوا .

وقد كان خُفاف بن منصور حذّرهم ذلك وندِم على مجيئه ، وقال لهم : إن أنتم أطعتموني شددنا شدّة واحدة على أبي جعفر؛ فوالله لا يحول بيننا وبينه حائل حتى نأتي علَى نفسه ، ونشدّ على هذه الأبواب مصلِتين سيوفنا ، ولا يعرض لنا عارض إلا أفاتنا نفسه حتى نخرج وننجوَ بأنفسنا ، فعصوْه ، فلما أخذت السيوفُ وأمر بحبسهم جعل خفاف يضرِط في لحيته ، ويتفل في وجوه أصحابه ، ثم أمر أبو جعفر بقتل بعضهم بحضرته؛ وبعث بالبقيَّة إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها .

وقد قيل إن حبس أبي جعفر عبد الله بن عليّ كان في سنة أربعين ومئة . [٧/ ٥٠١ ـ ٥٠٢] .

* * *

ثم دخلت سنة أربعين ومئة
ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان فيها من مهلك عامل خراسان .

* ذكر الخبر عن ذلك وسبب هلاكه :

ذكر أن ناساً من الجند ثاروا بأبي داود خالد بن إبراهيم بخُراسان وهو عامل أبي جعفر المنصور عليها في هذه السنة ليلاً ، وهو نازل بباب كُشْماهَن من مدينة مَرْو ، حتى وصلوا إلى المنزل الذي هو فيه ، فأشرف أبو داود من الحائط على حرف آجُرّة خارجة ، وجعل ينادي أصحابَه ليعرفوا صوتَه ، فانكسرت الآجُرّة عند الصبح ، فوقع على سُترة صُفّة كانت قدّام السطح فانكسر ظهره ، فمات عند صلاة العصر ، فقام عصام صاحب شُرْطة أبي داود بخلافة أبي داود ، حتى قدم عليه عبد الجبّار بن عبد الرحمن الأزديّ .

وفيها ولّى أبو جعفر عبدَ الجبار بن عبد الرحمن خراسان فقدمها ، فأخذ بها ناساً من القوّاد ذُكِر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد عليّ بن أبي طالب؛ منهم مجاشع بن حريث الأنصاريّ صاحب بخارى وأبو المغيرة ، مولى بني تميم واسمه خالد بن كثير وهو صاحب قوهستان ، والحَريش بن محمد الذهليّ ، ابن عمّ داود ، فقتلهم ، وحبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلَبيّ ومعبد بن الخليل المزنيّ بعدما ضربهما ضرباً مبرّحاً ، وحبس عدّة من وجوه قوّاد أهل خراسان ، وألحّ على استخراج ما على عمال أبي داود من بقايا الأموال. [٧/ ٥٠٣].

ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلّى في مسجدها؛ ثم سلك الشأم منصرفاً حتى انتهى إلى الرَّقة ، فنزلها ، فأتي بمنصور بن جَعْونة بن الحارث العامريّ ، من بني عامر بن صعصعة ، فقتله ، ثم شخص منها ، فسلك الفرات حتى أتى الهاشميّة ، هاشميّة الكوفة. [٧/ ٥٠٤].

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومئة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

[ذكر الخبر عن خروج الرّاوندية]

فمن ذلك خروج الراونديّة ، وقد قال بعضهم: كان أمر الراونديّة وأمر أبي جعفر الذي أنا ذاكره ، في سنة سبع وثلاثين ومئة أو ستّ وثلاثين ومئة.

* ذكر الخبر عن أمرهم وأمر أبي جعفر المنصور معهم:

والرّاوندية قوم ـ فيما ذُكِر عن عليّ بن محمد ـ كانوا من أهل خُراسان على رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم ، يقولون ـ فيما زعم ـ بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نَهِيك ، وأن ربّهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبرئيل [١].

---

(١) ذكر الطبري هنا الخبر من قول المدائني، وهو بدوره لم يسنده إلى شاهد عيان وما إلى ذلك ، ويبدو أن تحريفاً حصل إلى أن وصل الخبر إلى المدائني فالراوندية لعلهم من قوم أبي مسلم ولكن لم يكن أبو مسلم على رأيهم ولا هم على رأيه ـ وقد روىٰ البلاذري الخبر بصورة هي ـ

قال: وأتوا قصر المنصور، فجعلوا يطوفون به، ويقولون: هذا قصر ربّنا؛ فأرسل المنصور إلى رؤسائهم، فحبس منهم مئتين، فغضب أصحابهم وقالوا: علام حبُسوا! وأمر المنصور ألاّ يجتمعوا، فأعدُّوا نعشاً وحملوا السرير ـ وليس في النَّعش أحد ـ ثم مرُّوا في المدينة، حتى صاروا على باب السجن، فرموا بالنَّعْش، وشدُّوا على الناس ـ ودخلوا السجن، فأخرجوا أصحابهم، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمئة رجل، فتنادى الناس، وغُلّقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد، فخرج المنصور من القصر ماشياً، ولم يكن في القصر دابة، فجعل بعد ذلك اليوم يرتبط فرساً يكون في دار الخلافة معه في قصره.

قال: ولما خرج المنصور أتِيَ بدابّة فركبَها وهو يريدهم؛ وجاء معن بن زائدة، فانتهى إلى أبي جعفر، فرمى بنفسه وترجَّل، وأدخل بزْكة قبائه في منطقته، وأخذ بلجام دابة المنصور، وقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلاّ رجعت، فإنك تُكْفَى، وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر، وقال: أنا اليوم بوّاب، ونودي في أهل السوق، فرموْهم وقاتلوهم حتى أثخنوهم، وفُتِح باب المدينة، فدخل الناس.

وجاء خازم بن خزيمة على فرس محذوف[1]؛ فقال: يا أمير المؤمنين، أقتلهم؟ قال: نعم، فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى ظهر حائط، ثم كرُّوا على خازم فكشفوه وأصحابه، ثم كرّ خازم عليهم فاضطرهم إلى حائط المدينة، وقال للهيثم بن شعبة: إذا كَروا علينا فاسبِقْهم إلى الحائط، فإذا رجعوا فاقتلهم، فحملوا على خازم، فاطّرد لهم، وصار الهيثم بن شعبة من ورائهم، فقتِلوا جميعاً.

وجاءهم يومئذ عثمان بن نَهِيك؛ فكلمهم فرجع فرموْه بنشابة فوقعت بين كتفيْه؛ فمرض أياماً ومات منها، فصلى عليه أبو جعفر، وقام على قبره حتى دُفِن، وقال: رحمك الله أبا يزيد! وصيَّر مكانه على حرسه عيسى بن نَهِيك، فكان على الحرس حتى مات؛ فجعل على الحرس أبا العباس الطوسيّ.

= أقرب إلى التصديق فقال: حدثني أبو مسعود والعمري عن الهيثم وغيره أن قوماً من أصحاب أبي مسلم من أهل خراسان كانوا يقولون بتناسخ الأرواح... إلخ [أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٥].

(١) فرس محذوف: مقصوص شعر الذنب. القاموس ص ١٠٣٢.

وجاء يومئذ إسماعيل بن عليّ ، وقد أغلقت الأبواب ، فقال للبواب : افتح ولك ألف درهم؛ فأبى . وكان القعقاع بن ضرار يومئذ بالمدينة؛ وهو على شُرَط عيسى بن موسى ، فأبلَى يومئذ؛ وكان ذلك كله في المدينة الهاشميّة بالكوفة .

قال : وجاء يومئذ الرّبيع ليأخذ بلجام المنصور ، فقال له معن : ليس هذا من أيامك ، فأبلى أبرويز بن المَصْمُغان ملكُ دنبَاوَند ـ وكان خالف أخاه ، فقدم على أبي جعفر فأكرمه ، وأجرى عليه رزقاً؛ فلما كان يومئذ أتى المنصور فكفَّر له ، وقال : أقاتل هؤلاء؟ قال له : نعم ، فقاتلهم؛ فكان إذا ضرب رجلاً فصرعه تأخّر عنه ـ فلما قُتِلوا وصلى المنصور الظهر دعا بالعشاء ، وقال : أطلعوا معن بن زائدة ، وأمسَك عن الطعام حتى جاءه معن؛ فقال لقُثم : تحوّل إلى هذا الموضع ، وأجلس معناً مكان قُثَم ، فلما فرغوا من العشاء قال لعيسى بن عليّ يا أبا العباس ، أسمعت بأشدّ الرجال[1]؟ قال : نعم ، قال : لو رأيتَ اليوم معناً علمتَ أنه من تلك الآساد ، قال معن : والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتُك وإني لوجِل القلب ، فلما رأيتُ ما عندك من الاستهانة بهمْ وشدّة الإقدام عليهم، رأيت أمراً لم أره من خلْق في حرب؛ فشدّ ذلك من قلبي وحملني على ما رأيت مني .

وقال أبو خزيمة : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ لهم بقيّة ، قال : فقد ولّيتُك أمرهم فاقتلهم ، قال : فأقتل رزاماً فإنه منهم ، فعاذَ رِزام بجعفر بن أبي جعفر ، فطُلب فيه فآمنه .

وقال عليّ عن أبي بكر الهُذليّ ، قال : إني لواقف بباب أمير المؤمنين إذ طلع فقال رجل إلى جانبي : هذا رب العزّة! هذا الذي يطعمنا ويسقينا؛ فلما رجع أمير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلتُ وخلا وجهه ، فقلتُ له : سمعتُ اليوم عجباً ، وحدّثته؛ فنكتَ في الأرض ، وقال : يا هذليّ يدخلهم الله النار في طاعتنا ويَقْتلهم أحبُّ إليّ مِنْ أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا .

---

(١) أبو بكر الهذلي ضعيف الحديث فقد قال ابن معين وغندر : لم يكن بثقة ، وقال أبو حاتم لم يكتب حديثه ، وقال الذهبي أخباري علامة لين الحديث ضعفه أحمد وغيره ، وقال ابن حجر أخباري متروك الحديث من السادسة [تحرير التقريب/ تر٨٠٠٢].
[ميزان/ تر ١٠٠٠٥].

وذكر عن جعفر بن عبد الله ، قال: حدّثني الفضل بن الربيع وقال: حدثني أبي ، قال: سمعت المنصور يقول: أخطأت ثلاث خطيّات وقاني الله شرّها: قتلتُ أبا مسلم وأنا في خرق ومَنْ حولي يقدّم طاعته ويُؤثرها ولو هُتِكت الخرق لذهبتُ ضياعاً ، وخرجت يوم الراونديّة ولو أصابني سهم غَرْب لذهبتُ ضياعاً ، وخرجت إلى الشأم ، ولو اختلف سيفان بالعراق ذهبَت الخلافةُ ضياعاً .

وذُكر أنّ معن بن زائدة كان مختفياً من أبي جعفر ، لما كان منه من قتاله المسوّدة مع ابن هبيرة مرّة بعد مرّة؛ وكان اختفاؤه عند مرزوق أبي الخصيب ، وكان على أن يطلب له الأمان ، فلما خرج الراونديّة أتى الباب فقام عليه ، فسأل المنصور أبا الخصيب ـ وكان يلي حجابة المنصور يومئذ: مَنْ بالباب؟ فقال: معن بن زائدة ، فقال المنصور: رجل من العرب ، شديد النفس ، عالم بالحرب كريم الحسب؛ أدخِلْه ، فلما دخل قال: إيه يا معن! ما الرأي؟ قال: الرأي أن تنادي في الناس ، وتأمر لهم بالأموال ، قال: وأين الناسُ والأموال؟

ومَنْ يقدم على أن يعرض نفسه لهؤلاء العلوج! لم تصنع شيئاً يا معن؛ الرأيُ أن أخرج فأقف؛ فإنّ الناس إذا رأوْني قاتلوا وأبلوْا وثابوا إليّ ، وتراجعوا ، وإن أقمتُ تخاذلوا وتهاونوا ، فأخذ معن بيده وقال: يا أمير المؤمنين ، إذاً والله تُقتَل الساعة ، فأنشدك الله في نفسك! فأتاه أبو الخصيب فقال مثلها ، فاجتذب ثوبه منهما ، ثم دعا بدابته ، فركب ووثب عليها من غير ركاب ثم سوّى ثيابه ، وخرج ومعن آخذ بلجامه وأبو الخصيب مع ركابه فوقف .

وتوجّه إليه رجل فقال: يا معن دونك العِلْج؛ فشدّ عليه مَعن فقتله ، ثم ولَى بين أربعة ، وثاب إليه الناس وتراجعوا؛ ولم يكن إلاّ ساعة حتى أفنوْهم ، وتغيّب معن بعد ذلك ، فقال أبو جعفر لأبي الخصيب: ويلك! أين معن؟

قال: والله ما أدري أين هو من الأرض! فقال: أيظن أنّ أمير المؤمنين لا يغفر ذنبه بعدما كان من بلائه! أعطِه الأمان وأدخله عليّ ، فأدخله ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وولاّه اليمن ، فقال له أبو الخصيب: قد فرّق صلته وما يقدر على شيء ، قال: له لو أراد مثل ثمنك ألف مرّة لقدر عليه .

❋ ❋ ❋

وفي هذه السنة وجه أبو جعفر المنصور ولده محمداً ـ وهو يومئذ ولي عهد ـ إلى خراسان في الجنود، وأمره بنزول الرّيّ، ففعل ذلك محمد.

وفيها خلَع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل أبي جعفر على خُراسان؛ ذكر عليّ بن محمد، عمن حدّثه، عن أبي أيوب الخوزيّ، أن المنصور لما بلغه أن عبد الجبار يقتل رؤساء أهل خُراسان، وأتاه من بعضهم كتاب فيه: قد نغِل الأديمُ، قال لأبي أيوب الخزاعيّ: إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنَا، وما فعل هذا إلاّ وهو يريد أن يخلع، فقال له: ما أيسر حيلته! اكتب إليه: إنك تريد غَزْو الروم؛ فيوجّه إليك الجنود من خُراسان، وعليهم فرسانهم ووجوههم، فإذا خرجوا منها فابعثْ إليهم مَنْ شئت؛ فليس به امتناع.

فكتب بذلك إليه، فأجابه: إنّ الترك قد جاشت؛ وإن فرّقتُ الجنود ذهبت خراسان، فألقى الكتاب إلى أبي أيّوب، وقال له: ما ترى؟ قال: قد أمكنك من قياده، اكتب إليه: إن خراسان أهمّ إليّ من غيرها، وأنا موجّه إليك الجنود من قِبَلي، ثم وجّه إليه الجنود ليكونوا بخراسان؛ فإنْ هَمّ بخلع أخذُوا بعنقه.

فلما ورد على عبد الجبار الكتاب كتب إليه: إنّ خُراسان لم تكن قطّ أسوأ حالاً منها في هذا العام؛ وإن دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر، فلما أتاه الكتاب ألقاه إلى أبي أيوب، فقال له: قد أبدى صفحتَه، وقد خلَع فلا تناظره.

فوجّه إليه محمد بن المنصور، وأمره بنزول الرّيّ؛ فسار إليها المهديّ، ووجّه لحربه خازم بن خزيمة مقدمةً له، ثم شخص المهدي فنزل نيسابور.

ولما توجّه خازم بن خزيمة إلى عبد الجبار، وبلغ ذلك أهل مَرْو الرّوذ؛ ساروا إلى عبد الجبار من ناحيتهم فناصبوه الحرْب، وقاتلوه قتالاً شديداً حتى هُزِم، فانطلق هارباً حتى لجأ إلى مقطنة، فتوارى فيها، فعبَر إليه المجشر بن مزاحم من أهل مَرْو الرّوذ؛ فأخذه أسيراً؛ فلما قدم خازم أتاه به، فألبسه خازم مدرّعة صوف، وحمله على بعير، وجعل وجهه من قِبَل عجُز البعير؛ حتى انتهى به إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه؛ فبسط عليهم العذاب، وضُربوا بالسياط

حتى استخرج منهم ما قدَر عليه من الأموال ، ثم أمرَ المسيّب بن زُهير بقطع يديْ عبد الجبار ورجلْيه وضرب عنقه؛ ففعل ذلك المسيّب ، وأمر المنصور بتسيير ولده إلى دَهْلك ـ وهي جزيرة على ضفة البحر بناحية اليمن ـ فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند ، فسبَوْهم فيمن سَبوْا حتى فُودُوا بعد ، ونجا منهم من نجا ، فكان ممن نجا منهم واكتتب في الديوان وصحب الخُلَفاء عبدُ الرحمن بن عبد الجبار ، وبقي إلى أن توفِّيَ بمصر في خلافة هارون ، في سنة سبعين ومئة. [٧/ ٥٠٥ـ ٥٠٩].

* * *

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند]

فمما كان فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند

* ذكر الخبر عن سبب خلعه :

ذُكر أن سبب خلعه ، كان أن المسيّب بن زهير كان خليفة موسى بن كعب على الشُّرَط ، فلما مات موسى أقام المسيّب على ما كان يلي من الشُّرَط ، وخاف المسيّب أن يكتب المنصور إلى عُيَينة في القدوم عليه فيوليه مكانه؛ وكتب إليه ببيت شعر ولم ينسب الكتاب إلى نفسه :

فأَرَضَكَ أَرْضَكَ إن تأْتنا فَنَمْ نومَةً ليس فيها حُلُمْ

وخرج أبو جعفر لما أتاه الخبر عن عيينة بخلْعه حتى نزل بعسكره من البصرة عند جسرها الأكبر ، ووجّه عمر بن حفص بن أبي صفرة العتكيّ عاملاً على السند والهند ، محارباً لعيينة بن موسى ، فسار حتى ورد السند والهند ، وغلب عليها. [٧/ ٥١٢]

* * *

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومئة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث [٧/ ٥١٥]

* * *

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومئة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوُ محمد بن أبي العباس بن عبد الله بن محمد بن عليّ الدّيلمَ في أهل الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة.

وفيها انصرف محمد بن أبي جعفر المهديّ عن خُراسان إلى العراق، وشخص أبو جعفر إلى قرماسين، فلقيه بها ابنُه محمد منصرفاً من خُراسان، فانصرفا جميعاً إلى الجزيرة.

وفيها بنَى محمد بن أبي جعفر عند مقدَمه من خُراسان بابنة عمه رَيْطة بنت أبي العباس.

وفيها حجّ بالناس أبو جعفر المنصور، وخلف على عسكره والميرة خازم بن خُزَيمة.

* * *

[ولاية رياح بن عثمان على المدينة وأمر ابني عبد الله بن حسن]

وفي هذه السنة ولّى أبو جعفر رياحَ بن عثمان المُرّيّ المدينة، وعزَل محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ عنها.

* ذكر الخبر عن سبب عزله محمد بن خالد واستعماله رياح بن عثمان وعزله زياد بن عبيد الله الحارثيّ من قبَل محمد بن خالد:

وكان سبب عزل زياد عن المدينة، أنّ أبا جعفر همّه أمرُ محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب وتخلّفهما عن حضوره مع من شهده من سائر بني هاشم عام حجّ في حياة أخيه أبي العباس، ومعه أبو مسلم،

وقد ذكر أن محمداً كان يذكر أنّ أبا جعفر ممّن بايع له ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمَنْ يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر بني مَرْوان مع سائر المعتزلة الذين كانوا معهم هنالك ، فسأل عنهما ، فقال له زياد بن عبيد الله: ما يهمك من أمرهما! أنا آتيك بهما ، وكان زياد يومئذ مع أبي جعفر عند مقدمه مكة سنة ست وثلاثين ومئة ، فردّ أبو جعفر زياداً إلى عمله ، وضمنه محمّداً وإبراهيم.

فذكر أبو زيد عمر بن شبة أن محمد بن إسماعيل حدّثه ، قال: حدّثني عبد العزيز بن عمران[1] ، قال: حدّثني عبد الله بن أبي عُبيدة[2] بن محمد بن عمار بن ياسر ، قال: لما استُخلِف أبو جعفر لم تكن له همة إلا طلب محمد والمسألة عنه وما يريد[2]؛ فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً؛ كلهم يُخْلِيه فيسألهم عنه، فيقولون: يا أميرَ المؤمنين؛ قد علم أنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم، فهو يخافك على نفسه ، وهو لا يريد لك خلافاً ، ولا يحبّ لك معصية ، وما أشبه هذه المقالة إلا حسن بن زيد ، فإنه أخبره خبره ، فقال: والله ما آمن وثوبه عليك؛ فإنه للّذي لا ينام عنك ، فرَ رأيك. قال ابن أبي عبيدة: فأيقظ مَنْ لا ينام.

وقال محمد: سمعت جدي موسى بن عبد الله ، يقول: اللهمّ اطلب حسن بن زيد بدمائنا ، قال موسى: وسمعت والله أبي يقول: أشهد لعرَّفني أبو جعفر حديثاً ما سمعه مني إلا حسن بن زيد.

وحدّثني محمد بن إسماعيل ، قال: سمعت القاسم بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، قال: أخبرني محمد بن وهب السّلميّ ، عن أبي ، قال: عرّفني أبو جعفر حديثاً ما سمعه مني إلا أخي عبد الله بن حسن وحسن بن زيد؛ فأشهد ما أخبره به عبد الله؛ ولا كان يعلم الغيب.

---

(١) عبد العزيز بن عمران متروك (تحرير ٤١١٤).

(٢) محمد بن إسماعيل بن جعفر لم نعلم فيه جرحاً ولا تعديلاً ومحمد بن وهب السلمي صدوق [تهذيب ٦٢٧٠] ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو أخو عبد الله بن حسن لأمه وثقه العجلي والنسائي وقال ابن حبان في حديثه عن أبي الزناد بعض المناكير وقال البخاري لا يكاد يتابع على حديثه (تهذيب/ ٥٩٥٥) (التاريخ الصغير ٢/ ٨١) والإشكال في هذه الروايات (١ ـ ٢ ـ ٣) أنها كلها من طريق محمد بن إسماعيل بن جعفر.

قال محمد: وسأل عنه عبد الله بن حسن عام حجّ ، فقال له مقالة الهاشميّين ، فأخبره أنه غير راضٍ أو يأتيه به .

قال محمد: وحدثتني أمي عن أبيها ، قال: قال أبي: قلت لسليمان بن عليّ: يا أخي صهري بك صهري ، ورحِمي بك رحمي ، فما ترى؟ قال: والله لكأنّي أنظر إلى عبد الله بن عليّ حين حال الستر[1] بيننا وبينه؛ وهو يشير إلينا أنّ هذا الذي فعلتم به ، فلو كان عافياً عفا عن عمّه ، قال: فقبل رأيه ، قال: فكان آل عبد الله يروْنها صِلةً من سُلَيْمان لهم .

قال أبو زيد: وحدّثني سعيد بن هُرَيم ، قال: أخبرني كلثوم المَرائيّ ، قال: سمعت يحيى بن خالد بن بَرْمك يقول: اشترى أبو جعفر ، رقيقاً من رقيق الأعراب ، ثم أعطى الرجل منهم البَعير ، والرجل البعيريْن ، والرجل الذود ، وفرّقهم في طلب محمد في ظهر المدينة؛ فكان الرَّجل منهم يرد الماء كالمارّ وكالضالّ ، فيفرّون عنه ويتجسسون .

قال: وحدّثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبيّ ، قال: قال لي السنديّ مولى أمير المؤمنين: أتدري ما رفع عُقْبة بن سَلْم عند أمير المؤمنين؟ قلت: لا ، قال: أوفد عمّي عمر بن حفص وفْداً من السند فيهم عقبة ، فدخلوا على أبي جعفر ، فلما قضوْا حوائجهم نهضوا ، فاستردّ عقبة؛ فأجلسه ، ثم قال له: مَنْ أنت؟ قال: رجل من جُنْد أمير المؤمنين وخَدمه ، صحبت عمر بن حفص ، قال: وما اسمك؟ قال: عُقْبة بن سلم بن نافع ، قال: ممن أنت؟ قال: من الأزْد ثم من بني هُناءة ، قال: إني لأرى لك هيئة وموضعاً ، وإني لأريدك لأمر أنا به معنيّ ، لم أزل أرتاد له رجلاً ، عسى أن تكونه إن كفيتَنِيه رفعتُك ، فقال: أرجو أن أصدّق ظنَّ أمير المؤمنين فيّ ، قال: فأخفِ شخصَك ، واستر أمرك ، وائتني في يوم كذا وكذا في وقت كذا وكذا؛ فأتاه في ذلك الوقت ، فقال له: إن بني عمّنا هؤلاء قد أبوْا إلاّ كيداً لملكنا واغتيالاً له ، ولهم شِيعة بخُراسان بقرية كذا ، يكاتبونهم

(١) أما شيخ ابن شبة محمد بن عباد المهلبي فقد ذكره ابن حبان في الثقات (٩/ ١٠٤) وقال أبو حاتم رأيته عند مسلم بن إبراهيم ولم أكتب عنه (الجرح ٨/ ١٤/ تر٥٩) وأما السندي مولى أمير المؤمنين فمجهول الحال والله أعلم .

ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطاف من ألطاف بلادهم ، فاخرج بكساً وألطاف وعَيْن حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ، ثم تسير ناحيتهم؛ فإن كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحْبِبْ والله بهم وأقرِبْ ، وإن كانوا على رأيهم علمتُ ذلك ، وكنتُ على حذرٍ واحتراس منهم ، فاشخص حتى تلقَى عبد الله بن حسن متقشفاً متخشعاً؛ فإن جبَهك ـ وهو فاعل ـ فاصبْر وعاوده؛ فإن عاد فاصبر حتى يأنس بك وتلين لك ناحيته ، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل عليّ ، قال: فشخص حتى قدم على عبد الله ، فلقيه بالكتاب ، فأنكره ونهره ، وقال: ما أعرف هؤلاء القوم؛ فلم يزل ينصرف ويعود إليه حتى قبِل كتابه وألطافه ، وأنس به؛ فسأله عُقْبة الجواب ، فقال: أمَا الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد ، ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرِئهم السلام وأخبرهم أن ابنيَّ خارجان لوقت كذا وكذا ، قال: فشخص عُقْبة حتى قدم على أبي جعفر ، فأخبره الخبر[1].

قال أبو زيد: حدّثني أيوب بن عمر ، قال: حدّثني موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، قال: ولَّى أبو جعفر الفضلَ بن صالح بن عليّ الموسم في سنة ثمان وثلاثين ومئة ، فقال له: إن وقعت عيناك على محمد وإبراهيم ، ابنىْ عبد الله بن حسن ، فلا يفارقانك؛ وإن لم ترهما فلا تسأل عنهما ، فقدِم المدينة ، فتلقاه أهلُها جميعاً؛ فيهم عبد الله بن حسن وسائر بني حسنٍ إلاَّ محمداً وإبراهيم ابنيْ عبد الله بن حسن ، فسكت حتى صدر عن الحجّ ، وصار إلى السيّالة ، فقال لعبد الله بن حسن: ما منع ابنيْك أن يلقياني مع أهلهما! قال: والله ما منعهما من ذلك ريبة ولا سوء؛ ولكنهما منهومان بالصّيد واتّباعه ، لا يشهدان مع أهليهما خيراً ولا شراً ، فسكت الفضلُ عنه ، وجلس على دكان قد بنى له بالسَّيَالة ، فأمر عبد الله رعاته فسرّحوا عليه ظهره ، فأمر أحدهم فحلَب لبَناً على عسل في عُسّ عظيم ، ثم رقى به الدكان ، فأوْمأ إليه عبد الله أن اسق الفضلَ بن صالح ، فقصد قصده؛ فلما دنا منه صاح به الفضل صَيحةً مغضباً: إليك يا ماص بَظْر أمّه! فأدبر الرّاعي ، فوثب عبد الله ـ وكان من أرفق الناس ـ فتناول القعبَ ، ثم أقبل يمشي به إلى الفضل ، فلما رآه يمشي استحيا منه ، فتناوله فشرب.

---

(١) الخبر في الأغاني ١٨ : ٢٠٧.

قال أبو زيد: وحدّثني محمد بن يحيى، قال: حدّثني أبي، عن أبيه، قال: كان لزياد بن عبيد الله كاتب يقال له حَفص بن عمر من أهل الكوفة يتشيّع، وكان يثبّط زياداً عن طلب محمد، فكتب فيه عبد العزيز بن سعد إلى أبي جعفر فحدره إليه، فكتب فيه زياد إلى عيسى بن عليّ وعبد الله بن الربيع الحارثيّ فخلّصاه حتى رجع إلى زياد.

قال عليّ بن محمد: قدم محمد البصرة مختفياً في أربعين، فأتَوْا عبدَ الرحمن بن عثمان بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فقال له عبد الرحمن: أهلكتَني وشهرتَني؛ فانزل عندي وفرّقْ أصحابَك، فأبى، فقال: ليس لك عندي منزل؛ فانزل في بني راسب، فنزل في بني راسب.

وقال عمر: حدّثني سليمان بن محمد الساريّ، قال: سمعت أبا هبّار المُزَنيّ يقول: أقمنا مع محمد بن عبد الله بالبَصْرة يدعو الناس إلى نفسه.

قال: وحدثني عيسى بن عبد الله، قال: قال أبو جعفر: ما طمعت في بغية لي قطّ إذا ذكرت مكان بني راسب بالبصرة.

قال: وحدّثني أبو عاصم النّبيل، قال: حدثني ابن جَشِيب اللِّهْبِيّ، قال: نزلتُ في بني راسب في أيام ابن معاوية، فسألني فتىً منهم يوماً عن اسمي، فلطمه شيخ منهم، فقال: وما أنت وذاك! ثم نظر إلى شيخ جالس بين يديه، فقال: أترى هذا الشيخ نزل فينا أبوه أيام الحجاج، فأقام حتى ولد له هذا الولد، وبلغ هذا المبلغ، وهذا السنّ! لا والله ما ندري ما اسمه ولا اسم أبيه، ولا ممن هو!

قال: وحدّثني محمد بن الهذيل، قال: سمعتُ الزّعفرانيّ يقول: قدم محمد، فنزل على عبد الله بن شيبان أحد بني مُرّة بن عبيد، فأقام ستة أيام ثم خرج فبلغ أبا جعفر مقدمُه البصرة، فأقبل مُغِذّاً حتى نزل الجسر الأكبر، فأردنا عمراً[1] على لِقائه، فأبى حتى غلبناه، فلقيَه فقال: يا أبا عثمان، هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا؟ قال: لا[1] قال: فأقتصرُ على قولك وأنصرف؟ قال: نعم؛

(١) في ابن الأثير: «فلقيه عمرو بن عبيد، فقال له: يا أبا عثمان؛ هل بالبصرة أحد تخافه على أمرنا؟ قال: لا»؛ وهذه العبارة أوضح.

فانصرف ، وكان محمد قد خرج قبل مقدَم أبي جعفر .

قال عليّ بن محمد: حدّثني عامر بن أبي محمد ، قال: قال أبو جعفر لعمرو بن عبيد: أبايعتَ محمداً؟ قال: أنا والله لو قلّدتْنِي الأمّة أمورها ما عرفتُ لهما موضعاً.

قال عليّ: وحدثني أيوب القَزّاز ، قال: قلت لعمرو: ما تقول في رجل رضي بالصبر على ذهاب دينه؟ قال: أنا ذاك ، قلت: وكيف؛ ولو دعوتَ أجابك ثلاثون ألفاً! قال: والله ما أعرف موضع ثلاثة إذا قالوا وفَّوْا ، ولو عرفتُهُم لكنت لهم رابعاً. [٧/ ٥١٧ _ ٥٢٢].

قال عمر: وحدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدثني الحارث بن إسحاق ، قال: تكفّل زياد لأمير المؤمنين بابنيْ عبد الله أن يخرجهما له، فأقرّه على المدينة، فكان حسن بن زيد إذا علم من أمرهما علماً كفَّ حتى يفارقا مكانهما ذلك؛ ثم يخبر أبا جعفر ، فيجد الرَّسم الذي ذكر ، فيصدقه بما رفع إليه؛ حتى كانت سنة أربعين ومئة ، فحجّ فقسَم قسوماً خصّ فيها آل أبي طالب فلم يظهر له ابنا عبد الله؛ فبعث إلى عبد الله فسأله عنهما ، فقال: لا علم لي بهما؛ حتى تغالظا ، فأمصّه[1] أبو جعفر ، فقال: يا أبا جعفر ، بأيّ أمهاتي تُمصّني! أبفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، أم بفاطمة بنت أسد ، أم بفاطمة بنت حسين ، أم أمّ إسحاق بنت طلحة ، أم خديجة بنت خويلد؟ قال: لا بواحدة منهنّ؛ ولكن بالجرباء بنت قسامة بن زهير ـ وهي امرأةٌ من طيّئ ـ قال: فوثب المسيّب بن زهير ، فقال: دعْني يا أميرَ المؤمنين أضرب عنق ابن الفاعلة ، قال: فقام زياد بن عبيد الله ، فألقى عليه رداءَه ، وقال: هبه لي يا أمير المؤمنين؛ فأنا أستخرج لك ابنيْه فتخلّصه منه[2] .

قال عمر: وحدثني الوليد بن هشام بن قَحْذم ، قال: قال الحزين الدّيليّ لعبد الله بن الحسن ينعىَ عليه ولادة الجرباء:

---

(١) في اللسان: «مصان ومصانة: شتم للرجل يعير برضع الغنم من أخلافها بفيه. . . . يعنون أنه يرضع الغنم من اللؤم؛ لا يحتلبها فيسمع صوت الحلب؛ ولهذا قيل: لئيم راضع ، ويقال: أمص فلاناً فلاناً؛ إذا شتمه بالمصان» ، اللسان (٧/ ٩١).

(٢) الخبر في الأغاني ١٨ : ٢٠٧ .

لعلَّك بالجَرْباءِ أو بحكاكةٍ تُفاخِرُ أُمّ الفَضْل وابنَة مِشْرح
وما منهما إلا حَصانٌ نجيبةٌ لها حَسَبٌ في قومها مُترجّحُ

قال عمر: وحدثني محمد بن عبّاد، قال: قال لي السنديّ مولى أمير المؤمنين: لما أخبر عقبة بن سلم أبا جعفر، أنشأ الحجّ وقال لعقبة: إذا صرت بمكان كذا وكذا لقيَني بنو حسن، فيهم عبد الله، فأنا مبجّله، ورافعٌ مجلسه وداع بالغداء؛ فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتُك فامثل بين يديه قائماً، فإنه سيصرف بصره عنك، فدر حتى تغمز ظهرَه بإبهام رجلك حتى يملأ عينه منك ثم حسبُك؛ وإياك أن يراك ما دام يأكل، فخرج حتى إذا تدفّع في البلاد لقيه بنو حسن، فأجلس عبدَ الله إلى جانبه، ثم دعا بالطعام فأصابوا منه؛ ثم أمر به فرفع، فأقبل على عبد الله، فقال: يا أبا محمد، قد علمتَ ما أعطيْتني من العهود والمواثيق ألاّ تبغيَني سوءاً، ولا تكيد لي سلطاناً، قال: فأنا على ذلك يا أمَير المؤمنين؛ قال: فلحظ أبو جعفر عُقْبة، فاستدار حتى قام بين يديه، فأعرض عنه، فرفع رأسه حتى قام من وراء ظهره؛ فغمزه بأصبعه، فرفع رأسه فملأ عينه منه، فوثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر، فقال: أقِلْني يا أميرَ المؤمنين أقالك الله! قال: لا أقالني الله إن أقلتُك، ثم أمر بحبسه[1].

قال عمر: وحدثني بكر بن عبد الله بن عاصم مولى قُرَيبةَ بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، قال: حدّثني عليّ بن ربَاح بن شبيب، أخو إبراهيم، عن صالح صاحب المصلّى، قال: إني لواقفٌ على رأس أبي جعفر، وهو يتغدّى بأوْطاس؛ وهو متوجّه إلى مكة، ومعه على مائدته عبدُ الله بن حسن وأبو الكرام الجعفريّ وجماعة من بنَي العباس؛ فأقبل على عبد الله، فقال: يا أبا محمد، محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي؛ وإني لأحب أن يأنسا بي، وأن يأتياني فأصِلَهما وأخلطهما بنفسي - قال وعبد الله مطرِق طويلاً ثم رفع رأسه - فقال: وحقِّك يا أميرَ المؤمنين، فما لي بهما ولا بموضعهما من البلاد علْم؛ ولقد خرجا من يدي؛ فيقول أبو جعفر: لا تفعل يا أبا محمد، اكتب إليهما وإلى من يوصّل كتابك إليهما، قال: فامتنع أبو جعفر ذلك اليوم من عامّة غَدائه إقبالاً

(١) الأغاني: ١٨: ٢٠٦، ٢٠٧.

على عبد الله ، وعبد الله يحلف ما يعرف موضعهما وأبو جعفر يكرّر عليه: لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد ، قال: فكان شدّة هرب محمد من أبي جعفر أنّ أبا جعفر كان عقد له بمكة في أناس من المعتزلة[١].

قال عمر: حدثني أيوب بن عمر - يعني ابن أبي عمرو - قال: حدثني محمد بن خالد بن إسماعيل بن أيوب بن سلَمة المخزوميّ ، قال: أخبَرني أبي ، قال: أخبرني العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، قال: لما حجّ أبو جعفر في سنة أربعين ومئة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن؛ فإنهما وإياي لعنده؛ وهو مشغول بكتاب ينظر فيه؛ إذْ تكلم المهديّ فلحن ، فقال عبد الله: يا أميرَ المؤمنين ، ألا تأمر بهذا مَنْ يعدّل لسانه؛ فإنه يغفل غفل الأمَة! فلم يفهم؛ وغمزتُ عبد الله فلم ينتبه لها ، وعاد لأبي جعفر فاحتفظ من ذلك ، وقال: أين ابنك؟ فقال: لا أدري ، قال: لتأتينّي به؛ قال: لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه ، قال: يا ربيع قمْ به إلى الحبس[٢].

قال عمر: حدّثني موسى بن سعيد بن عبد الرحمن الجُمحيّ ، قال: لما تمثّل عبد الله بن حسن لأبي العباس:

أَلم تر حوشباً أَمسى يبنّي ... بيوتاً نفعها لبني بُقَيْلهْ[٣]

لم تزل في نفس أبي جعفر عليه؛ فلما أمر بحبسه ، قال: ألست القائل لأبي العباس:

ألم تَرَ حَوْشَباً أَمْسَى يُبَنِّي ... بُيُوتاً نَفعُها لبني بُقَيْلهْ

وهو آمن الناس عليك ، وأحسنهم إليك صنيعاً!

قال عمر: حدّثنا محمد بن يحيى ، قال: حدثني الحارث بن إسحاق عن أبي حُنَيْن ، قال: دخلتُ على عبد الله بن حسن وهو محبوس؛ فقال: هل حدث

---

(١) الأغاني ١٨ : ٢٠٧.
(٢) الخبر في الأغاني ١٨ : ٢٠٨ (ساسى).
(٣) الأغاني ١٨ : ٢٠٦ ، وبعده يقول:

يؤَمِّل أن يعمَّر عُمْرَ نوح ... وأَمرُ الله يحدث كلَّ لَيْلَهْ

اليوم مِنْ خبر؟ قلت: نعم، قد أمر ببيع متاعك ورقيقِك، ولا أرى أحداً يقدم على شرائه، فقال: ويحك يا أبا حُنين! والله لو خُرِج بي وببناتي مسترقّين لاشتُرِينا!

قال عمر: وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدّثنا الحارث بن إسحاق قال: شخص أبو جعفر، وعبد الله بن حسن محبوس، فأقام في الحبس ثلاث سنين.

قال عمر: وحدثني عبد الله بن إسحاق بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال: حدثني أبو حَرْملة محمد بن عثمان، مولى آل عمرو بن عثمان، قال: حدّثني أبو هبّار المُزنيّ، قال: لما حجّ أبو جعفر سنة أربعين ومئة، حجّ تلك السنة محمد وإبراهيم ابنا عبد الله، وهما متغيبان، فاجتمعوا بمكة، فأرادوا اغتيال أبي جعفر، فقال لهم الأشتر: عبد الله بن محمد بن عبد الله، أنا أكفيكموه، فقال محمد: لا والله لا أقتله أبداً غِيلَةً حتى أدعوه؛ قال: فنقض أمرُهم ذلك وما كانوا أجمعوا عليه؛ وقد كان دخل معهم في أمرهم قائد من قوّاد أبي جعفر من أهل خُراسان، قال: فاعترض لأبي جعفر إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج، فنمّى إليه أمرَهم، فأرسل في طلب القائد فلم يظفرْ به، وظفِر بجماعة من أصحابه، وأفلت الرَّجُل وغلام له بمال زُهاء ألفي دينار كانت مع الغلام، فأتاه بها وهو مع محمد، فقسَمها بين أصحابه، قال أبو هبّار: فأمرني محمد، فاشتريت للرّجُل أباعر وجهّزته وحملته في قبّة وقطرته، وخرجت أريد به المدينة حتى أوردتُه إياها.

وقدم محمد فضمّه إلى أبيه عبد الله، ووجّههما إلى ناحية من خُراسان، قال: وجعل أبو جعفر يقتل أصحاب ذلك القائد الذي كان من أمره ما ذكرتُ.

قال عمر: وحدّثني محمد بن يحيى بن محمد[1] قال: حدّثني أبي عن أبيه، قال: غدوتُ على زياد بن عبيد الله وأبو جعفر بالمدينة، قال: فقال: أخبركم عجباً مما لقيته اللّيلة؛ طرقني رسلُ أميرِ المؤمنين نصفَ الليل - وكان زياد قد تحوّل لقدوم أمير المؤمنين إلى داره بالبلاط - قال: فدقّتْ عليّ رسله، فخرجت ملتحِفاً بإزاري؛ ليس عليّ ثوب غيره، فنبهت غلماناً لي وخصياناً في سقيفة الدار، فقلت لهم: إن هدموا الدار فلا يكلمهم منكم أحد؛ قال: فدقوا طويلاً ثم

---

(١) هذا تصحيف والصواب محمد بن يحيى بن علي.

انصرفوا ، فأقاموا ساعة ، ثم طلعوا بجُرْز شبيه أن يكون معهم مثله؛ مرّة أو مرّتين ، فدقوا الباب بجِرَزَة الحديد ، وصيَّحوا فلم يكلمهم أحد ، فرجعوا فأقاموا ساعة ، ثم جاؤوا بأمر ليس عليه صَبْر؛ فظننت والله أن قد هدموا الدار علي؛ فأمرت بفتحها ، وخرجت إليهم فاستحثوني وهمُّوا أن يحملوني ، وجعلت أسمع العزاء من بعضهم حتى أسلموني إلى دار مَرْوان ، فأخذ رجلان بعضدي ، فخرّجاني على حال الدفيف على الأرض أو نحوه ، حتى أتيا بي حجرة القبّة العظمى ، فإذا الربيع واقفٌ ، فقال: ويحك يا زياد! ماذا فعلت بنا وبنفسك منذ الليلة! ومضى بي حتى كشف ستر باب القبّة ، فأدخلني ووقف خَلْفي بين البابين؛ فإذا الشمع في نواحي القبّة ، فهي تزهر ، ووصيف قائم في ناحيتها ، وأبو جعفر محتَبٍ بحمائل سيفه على بساط ليس تحته وسادة ولا مصلّى ، وإذا هو منكسٌ رأسَه ينقر بجرْز في يده.

قال: فأخبرني الربيع أنها حاله من حين صلى العَتمة إلى تلك الساعة ، قال: فما زلتُ واقفاً حتى إني لأنتظر نداء الصبح ، وأجد لذلك فَرجاً؛ فما يكلمني بكلمة ، ثم رفع رأسه إليّ ، فقال: يا بن الفاعلة ، أين محمد وإبراهيم؟ قال: ثم نكس رأسه ، ونكث أطْوَل مما مضى له ، ثم رفع رأسه الثانية ، فقال: يابن الفاعِلة ، أين محمد وإبراهيم؟ قتلني الله إن لم أقتلك! قال: قلت له: اسمع منى ودعْني أكلّمك ، قال: قل، قلت له: أنت نفرتهما عنك؛ بعثت رسولاً بالمال الذي أمرت بقَسْمِه على بني هاشم ، فنزل القادسيّة ، ثم أخرج سِكيناً يحدّه ، وقال: بعثني أمير المؤمنين لأذبح محمداً وإبراهيم ، فجاءتهما بذلك الأخبار ، فهربا ، قال: فصرَفني فانصرفتُ.

قال عمر: وحدّثني عبد الله بن راشد بن يزيد ـ وكان يلقب: الأكَار ، من أهل فَيْد ـ قال: سمعت نصر بن قادم مولى بني محول الحنّاطين: قال: كان عبدويه وأصحاب له بمكة في سنة حجّها أبو جعفر ، قال: فقال لأصحابه: إني أريد أن أوجر أبا جعفر هذه الحربة بين الصّفا والمروة ، قال: فبلغ ذلك عبد الله بن حسن فنهاه ، وقال: أنت في موضع عظيم؛ فما أرى أن تفعل.

وكان قائد لأبي جعفر يدعى خالد بن حسان ، كان يدعى أبا العساكر على ألف رجل ، وكان قد مَالأ عبدويه وأصحابه؛ فقال له أبو جعفر: أخبرني عنك

وعن عبدويه والعُطارديّ ، ما أردتم أن تصنعوا بمكة؟ قال: أردنا كذا وكذا ، قال: فما منعكم؟ قال: عبد الله بن حسن ، قال: فطمره فلم ير حتى الساعة.

قال عمر: حدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثنا الحْارث بن إسحاق ، قال: جدّ أبو جعفر حين حبِس عبد الله في طلب ابنيه ، فبعث عيناً له ، وكتب معه كتاباً على ألسن الشيعة إلى محمد ، يذكرون طاعتهم ومسارعتهم؛ وبعث معه بمال وألطاف ، فقدم الرّجل المدينة ، فدخل على عبد الله بن حسن ، فسأله عن محمد ، فذكر له أنه في جبل جُهينة ، وقال: امرُر بعليّ بن حسن ، الرّجل الصالح الذي يدعى الأغرّ؛ وهو بذي الأبر؛ فهو يرشدك ، فأتاه فأرشده ، وكان لأبي جعفر كاتب على سرّه ، كان متشَيعاً ، فكتب إلى عبد الله بن حسن بأمر ذلك العيْن ، وما بُعث له ، فقدم الكتاب على عبد الله فارتاعوا ، وبعثوا أبا هبّار إلى عليّ بن الحسن وإلى محمد ، فيحذّرهم الرجل؛ فخرج أبو هبّار حتى نزل بعليّ بن حسن ، فسأله فأخبره أن قد أرشده إليه ، قال أبو هبّار: فجئت محمداً في موضعه الذي هو به ، فإذا هو جالس في كَهْف ، معه عبد الله بن عامر الأسلميَ وابنا شجاع وغيرهم ، والرجل معهم أعلاهم صوتاً ، وأشدّهم انبساطاً؛ فلما رأني ظهر عليه بعض النَّكرة ، وجلست مع القوم؛ فتحدّثت مليّاً ، ثم أصغيت إلى محمد ، فقلت: إنّ لي حاجةً ، فنهض ونهضت معه ، فأخبرته بخبر الرجل ، فاسترجع ، وقال: فما الرأي؟ فقلت: إحدى ثلاث أيها شئت فافعل؛ قال: وما هي؟ قلت: تَدَعني فأقتل الرجل ، قال: ما أنا بمقارف دماً إلاّ مكرهاً ، أو ماذا؟ قلت: توقرُه حديداً وتنقله معك حيث انتقلت ، قال: وهل بنا فراغ له مع الخوف والإعجال! أو ماذا؟ قلت: تشُدّه وتوثقه وتودعه بعض أهلِ ثقتك من جهينة؛ قال: هذه إذاً؛ فرجعنا وقد نَذِر الرجل فهرب ، فقلت: أين الرجل؟ قالوا: قام بركْوة فاصطبّ ماء؛ ثم توارى بهذا الظَّرب يتوضّأ ، قال: فجُلنا في الجبل وما حوله؛ فكأنّ الأرض التأمت عليه ، قال: وسعى على قدميه حتى شرع على الطريق ، فمرّ به أعراب معهم حُمولة إلى المدينة ، فقال لبعضهم: فرّغ هذه الغِرارة وأدخلنيها أكن عِدْلاً لصاحبتها ولك كذا وكذا ، قال: نعم؛ ففرّغها وحمله حتى أقدمه بالمدينة ، ثم قدم على أبي جعفر فأخبره الخبر كلَّه ، وعميَ عن اسم أبي هبار وكنيته ، وعلّق وبراً ، فكتب أبو جعفر في طلب وَبر المُزنيّ ، فحُمل

إليه رجل منهم يدعَى وبراً ، فسأله عن قصّة محمد وما حكى له العين؛ فحلف أنه ما يعرف من ذلك شيئاً؛ فأمر به فضرِب سبعمئة سوط ، وحبُس حتى مات أبو جعفر.

قال عمر: حدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال: ألحّ أبو جعفر في طلب محمد ، وكتب إلى زياد بن عبيد الله الحارثيّ يتنجّزه ما كان ضمِن له ، فقدم محمد المدينة قدمةً ، فبلغ ذلك زياداً ، فتلطّف له وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس معه ، فوعده ذلك محمد ، فركب زياد مغلّساً ، ووعد محمداً سوق الظهر ، فالتقيا بها ، ومحمد معلنٌ غير مختفٍ ، ووقف زياد إلى جنبه ، وقال: يا أيها الناس؛ هذا محمد بن عبد الله بن حسن ، ثم أقبل عليه ، فقال: الحقْ بأيّ بلاد الله شئت ، وتوارى محمد ، وتواترت الأخبار بذلك على أبي جعفر.

قال عمر: حدّثني عيسى بن عبد الله ، قال: حدّثني من أصدق ، قال: دخل إبراهيم بن عبد الله على زياد ، وعليه دِرع حديد تحت ثوبه ، فلمسها زياد ، ثم قال: يا أبا إسحاق؛ كأنك اتّهمتَني! ذلك والله ما ينالك مني أبداً[1].

قال عُمر: حدثني عيسى ، قال: حدّثني أبي ، قال: ركب زياد بمحمد؛ فأتى به السوق فتصايح أهل المدينة: المهديّ المهديّ! فتوارى فلم يظْهر؛ حتى خرج[2].

قال عمر: حدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال: لمّا أن تتابعت الأخبار على أبي جعفر بما فعل زياد بن عبيد الله ، وجّه أبا الأزهر (رجلاً من أهل خُراسان) إلى المدينة ، وكتب معه كتاباً ، ودفع إليه كتباً ، وأمره ألاّ يقرأ كتابه إليه حتى ينزل الأعوص ، على بريد من المدينة ، فلما أن نزله قرأه؛ فإذا فيه توليةُ عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المدينة ـ وكان قاضياً لزياد بن عبيد الله ـ وشدُّ زياد في الحديد ، واصطفاء ماله ، وقبضُ جميع ما وجد له ،

(١) عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي ـ ذكره ابن حبان في الثقات (٨/ ٤٩٢) وقال يروي عن أبيه عن جده في حديثه بعض المناكير وانظر التاريخ الكبير (٣/ ٢/ ٣٩٠).

(٢) عبد الله بن محمد بن عمر وثقه الدار قطني وابن خلفون [البرقاني/ ٨٥] وقال ابن المديني ثقة (تهذيب الكمال/ ٣٥٣٤) ، (إكمال / ٢/ ٣٢٢) وأما ابنه عيسى فانظر الرواية السابقة.

وأخذُ عمّاله وإشخاصُه وإياهم إلى أبي جعفر ، فقدم أبو الأزهر المدينة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين ومئة ، فوجد زياداً في موكب له ، فقال: أين الأمير؟ فقيل: ركب ، وخرجت الرّسل إلى زياد بقدومه ، فأقبل مسرعاً حتى دخل دار مَرْوان ، فدخل عليه أبو الأزهر ، فدفع إليه كتاباً من أبي جعفر في ثُلُث يأمره أن يسمع ويطيع ، فلما قرأه قال: سمعاً وطاعة ، فمرْ يا أبا الأزهر بما أحببت؛ قال: ابعث إلى عبد العزيز بن المطلب ، فبعث إليه ، فدفع إليه كتاباً أن يسمع لأبي الأزهر؛ فلما قرأه قال: سمعاً وطاعة؛ ثم دفع إلى زياد كتاباً يأمره بتسليم العمل إلى ابن المطلب ، ودفع إلى ابن المطلب كتاباً بتوليته ، ثم قال لابن المطلب: ابعث إليّ أربعة كبول وحدَّاداً ، فأتِيَ بهما فقال: اشدد أبا يحيى ، فشُدّ فيها وقبض ماله ـ ووجد في بيت المال خمسة وثمانين ألف دينار ـ وأخذ عماله ، فلم يغادر منهم أحداً؛ فشخص بهم وبزياد فلما كانوا في طرف المدينة وقف له عماله يسلّمون عليه ، فقال: بأبي أنتم! والله ما أبالي إذا رآكم أبو جعفر ما صنع بي! أي من هيئتَهم ومروّتهم.

قال عمر: وحدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، عن خاله عليّ بن عبد الحميد ، قال: شيّعنا زياداً ، فسرت تحت محمله ليلة ، فأقبل عليّ فقال: والله ما أعرف لي عند أمير المؤمنين ذنباً؛ غير أني أحسبه وجَد عليّ في ابنيْ عبد الله ، ووجَد دماء بني فاطمة عليّ عزيزة. ثم مضوا حتى كانوا بالشقراء؛ فأفلت منهم محمد بن عبد العزيز ، فرجع إلى المدينة ، وحبس أبو جعفر الآخرين ، ثم خلّى عنهم[1]. [٧/ ٥٢٢ ـ ٥٣٠].

قال: وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال: حدّثني مَنْ أصدِّق ، قال: لما أنْ وجّه أبو جعفر مبهوتاً وابن أبي عاصية في طلب محمد ، كان مبهوت الذي أخذ زياداً ، فقال زياد:

أكلَّفُ ذنبَ قومٍ لستُ منهمْ ... وما جَنَتِ الشِّمالُ على اليمين

قال: وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال: حدّثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة ، قال: كنت أنا والشعبانيّ ـ قال: حدّثني عبد الله بن عمران بن

---

(١) الحارث بن إسحاق لم نجد له ترجمة وكذلك خاله علي بن عبد الحميد والله أعلم.

أبي فروة ، قال: كنت أنا والشعبانيّ ـ قائد كان لأبي جعفر ـ مع زياد بن عبيد الله نختلف إلى أبي الأزهر أيام بعثه أبو جعفر في طلب بني حسن ، فإني لأسير مع أبي الأزهر يوماً إذْ أتاه آتٍ فلصق به ، فقال: إنّ عندي نصيحة في محمد وإبراهيم ، قال: اذهب عنا ، قال: إنها نصيحة لأمير المؤمنين ، قال: اذهبْ عنّا ، ويلك قد قتل الخلق! قال: فأبى أن ينصرف ، فتركه أبو الأزهر حتى خلا الطريق ، ثم بعج بسيفه بطنه بَعْجةً ألقاه ناحية.

ثمّ استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد؛ فذكر عمر أن محمد بن يحيى حدّثه ، قال: حدّثنا الحارث بن إسحاق ، قال: استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد ، وأمره بالجِدّ في طلب محمد ، وبسط يده في النفقة في طلبه ، فأغذّ السير حتى قدم المدينة هلال رجب سنةُ إحدى وأربعين ومئة ، ولم يعلم به أهل المدينة حتى جاء رسوله من الشُّقرة ـ وهي بين الأعوص والطَّرَف على ليلتين من المدينة ـ فوجد في بيت المال سبعين ألف دينار وألف ألف درهم؛ فاستغرق ذلك المال؛ ورفع في محاسبته أموالاً كثيرة أنفقها في طلب محمد ، فاستبطأه أبو جعفر واتّهمه؛ فكتب إليه أبو جعفر يأمره بكشف المدينة وأعراضها؛ فأمر محمد بن خالد أهلَ الديوان أن يتجاعلوا لمن يخرج؛ فتجاعلوا رباع الغاضريّ المضحك ـ وكان يداين الناس بألف دينار ـ فهلكت وتوِيت[1] ، وخرجوا إلى الأعراض لكشفها عن محمد ، وأمر القسريّ أهل المدينة؛ فلزموا بيوتهم سبعة أيام ، وطافت رسله والجند ببيوت الناس يكشفونها ، لا يحسون شيئاً ، وكتب القسريّ لأعوانه صِكاكاً يتعزّزون بها؛ لئلا يعرض لهم أحد؛ فلمّا استبطأه أبو جعفر ورأى ما استغرق من الأموال عزله.

قال: وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال: أخبرني حسين بن يزيد ، عن ابن ضبّة ، قال: اشتدّ أمر محمد وإبراهيم على أبي جعفر؛ فبعث فدعا أبا السعلاء من قيس بن عيلان ، فقال: ويلك! أشر عليّ في أمر هذين الرجلين؛ فقد غمّني أمرهما ، قال: أرى لك أن تستعمل رجلاً من ولد الزُّبير أو طلحة؛ فإنهم يطلبونهما بذَحْل؛ فأشهد لا يُلبثونهما أو يخرجوهما إليك.

---

(١) تويت بمعنى هلكت. القاموس ص ١٦٣٤.

قال: قاتلك الله؛ ما أجود رأياً جئت به! والله ما غَبِيَ هذا عليّ؛ ولكني أعاهد الله ألاّ أثَّئِر من أهل بيتي بعدوّي وعدوّهم؛ ولكني أبعث عليهم صُعيليكاً من العرب، فيفعل ما قلت، فبعث رياح بن عثمان بن حيّان.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى، قال: حدّثني عبد الله بن يحيى، عن موسى بن عبد العزيز؛ قال: لما أراد أبو جعفر عزل محمد بن خالد عن المدينة ركب ذات يوم؛ فلما خرج من بيته استقبله يزيد بن أَسَيْد السُّلَميّ، فدعاه فسايره، ثم قال: أما تدلّني على فتىً من قيس مُقلّ، أغنيه وأشرّفه وأمكّنه من سيد اليمن يلعب به؟ يعني ابن القسريّ؛ قال: بلى، قد وجدته يا أمير المؤمنين، قال: مَنْ هو؟ قال: رياح بن عثمان بن حَيّان المريّ، قال: فلا تذكرنَّ هذا لأحد، ثم انصرف فأمر بنجائب وكسوة ورحال؛ فهيئت للمسير؛ فلما انصرف من صلاة العَتمة دعا برياح، فذكر له ما بلا من غشّ زياد وابن القسريّ في ابنيْ عبد الله، وولاه المدينة؛ وأمر بالمسير من ساعته قبل أن يصل إلى منزله، وأمره بالجدّ في طلبهما؛ فخرج مسرعاً، حتى قدمها يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين ومئة.

قال: وحدّثني محمد بن معروف، قال: أخبرني الفضل بن الربيع، عن أبيه، قال: لما بلغ أمر محمد وإبراهيم من أبي جعفر ما بلَغ خرجت يوماً من عنده - أو من بيتي - أريده؛ فإذا أنا برجل قد دنا مني، فقال: أنا رسول رياح بن عثمان إليك، يقول لك: قد بلغني أمر محمد وإبراهيم وإدْهان الولاة في أمرهما؛ وإنْ ولاّني أمير المؤمنين المدينة ضَمنت له أحدهما، وإلاّ أظهرهما. قال: فأبلغتُ ذلك أميرَ المؤمنين، فكتب إليه بولايته، وليس بشاهد.

ذكر عمر بن شبّة، عن محمد بن يحيى، عن عبد الله بن يحيى، عن موسى بن عبد العزيز، قال: لما دخل رياح دار مَرْوان، فصار في سقيفتها، أقبل على بعض من معه، فقال: هذه دار مروان؟ قالوا: نعم، قال: هذه المحلال المظعان، ونحن أوّل من يظعن منها.

قال عمر: حدّثني أيوب بن عمر، قال: حدّثني الزبير بن المنذر مولى عبد الرحمن بن العوّام، قال: قدم رياح بن عثمان، فقدم معه حاجب له يكنى أبا البختريّ، وكان لأبي صديقاً زمان الوليد بن يزيد، قال: فكنت آتيه لصداقته

لأبي - فقال لي يوماً: يا زُبير، إن رياحاً لما دخل دار مروان قال لي: هذه دار مَرْوان؟ أما والله لِمحْلال مظْعان؛ فلما تكشف الناس عنه - وعبد الله محبوس في قبة الدار التي على الطريق إلى المقصورة، حبَسه فيها زياد بن عبيد الله - قال لي: يا أبا البَختريّ، خذ بيدي ندخل على هذا الشيخ، فأقبل متّكئاً عليّ حتى وقف على عبد الله بن حسن، فقال: أيّها الشيخ؛ إن أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة، ولا يدٍ سلفت إليه؛ والله لا لعبتَ بي كما لعبت بزياد وابن القسريّ، والله لأزهقن نفسك أو لتأتيني بابنيْك محمد وإبراهيم! قال: فرفع رأسه إليه وقال: نعم، أما والله إنك لأزيْرق قيس المذبوح فيها كما تذبح الشاة، قال أبو البَختريّ: فانصرف رياح والله آخذاً بيدي، أجد برد يده، وإنّ رجليه لتخطّان مما كلّمه، قال: قلت: والله إنّ هذا ما اطّلع على الغيب قال: إيهاً ويلك! فوالله ما قال إلا ما سمع؛ قال: فذُبح والله فيها ذبح الشاة.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى، قال: حدّثنا الحارث بن إسحاق، قال: قدم رياح المدينة، فدعا بالقسريّ، فسأله عن الأموال، فقال: هذا كاتبي هو أعلم بذلك مني، قال: أسألك وتحيلني على كاتبك! فأمر به فُوجِئَت عنقه، وقنّع أسواطاً، ثم أخذ رزاماً كاتب محمد بن خالد القسريّ ومولاه فبسط عليه العذاب، وكان يضربه في كلّ غبّ خمسة عشر سوطاً، مغلولة يده إلى عنقه من بُكرة إلى الليل؛ يتبع به أفناء المسجد والرّحبة، ودسّ إليه في الرفع على ابن خالد، فلم يجد عنده في ذلك مساغاً، فأخرجه عمر بن عبد الله الجذاميّ - وكان خليفة صاحب الشُّرَط يوماً من الأيام - وهو يريد ضربه، وما بين قدميه إلى قرنه قرحة، فقال له: هذا يوم غبّك، فأين تحبّ أن نجلدك؟ قال: والله ما في بدني موضع لضرب؛ فإن شئتَ فبطون كفى، فأخرج كفيّه فضرب في بطونهما خمسة عشر سوطاً، قال: فجعلت رسل رياح تختلف إليه، تأمره أن يرفع على ابن خالد، ويخلّى سبيله، فأرسل إليه: مرْ بالكفّ عني حتى أكتب كتاباً، فأمر بالكفّ عنه، ثم ألحّ عليه وبعث إليه: أن رُحْ بالكتاب العشيّة على رؤوس الناس، فادفعه إليّ، فلما كان العشيّ أرسل إليه فأتاه وعنده جماعة فقال: أيها الناس؛ إن الأمير أمرني أن أكتب كتاباً، وأرفع على ابن خالد؛ وقد

كتبت كتاباً أتنجّى به ، وأنا أشهدكم أن كلّ ما فيه باطل ، فأمر به رياح فضرب مئة سوط ، ورُدّ إلى السجن.

قال عمر: حدّثني عيسى بن عبد الله ، قال: حدّثني عمي عبيد الله بن محمد بن عمر بن عليّ ، قال: لما أهبط الله آدم من الجنّة رفعه على أبي قُبيس ، فرفع له الأرض جميعاً حتى رآها وقال: هذه كلها لك ، قال: أيْ ربّ ، كيف أعلم ما فيها؟ فجعل له النجوم ، فقال: إذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، وإذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا؛ فكان يعلم ذلك بالنجوم ، ثم إن ذلك اشتدّ عليه ، فأنزل الله عزّ وجلّ مرآة من السماء يرى بها مافي الأرض حتى إذا ما مات آدم عمَد إليها شيطان يقال له فقطس فكسرها ، وبنى عليها مدينة بالمشرق يقال لها جابرت؛ فلما كان سليمان بن داود سأل عنها ، فقيل له: أخذها فقطس ، فدعاه فسأله عنها ، فقال: هي تحت أواسي جابرت ، قال: فائْتِني بها ، قال ومَنْ يهدمها؟ فقالوا لسليمان: قل له: أنت ، فقال سليمان: أنت ، فأتى بها سليمان ، فكان يجبر بعضها إلى بعض ثم يشدّها في أقطارها بسير ، ثم ينظر فيها؛ حتى هلك سليمان؛ فوثبتْ عليها الشياطين؛ فذهبت بها وبقيت منها بقية ، فتوارثتْها بنو إسرائيل حتى صارت إلى رأس الجالوت؛ فأتِيَ بها مَرْوان بن محمد؛ فكان يحكُّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها ما يكره ، فرمى بها وضرب عنق رأس الجالوت ، ودفعها إلى جارية له ، فجعلتها في كرسفة ، ثم جعلتها في حجر؛ فلما استخلف أبو جعفر سأل عنها فقيل له: هي عند فلانة؛ فطلبها حتى وجدها ، فكانت عنده؛ فكان يحكُّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها؛ وكان يرى محمد بن عبد الله؛ فكتب إلى رياح بن عثمان: إنَّ محمداً ببلاد فيها الأترجّ والأعناب فاطلبه بها ، وقد كتب إلى محمد بعض أصحاب أبي جعفر: لا تقيمنّ في موضع إلاّ بقدْر مسير البريد من العراق إلى المدينة؛ فكان يتنقّل فيراء بالبَيْضاء ، وهي من وراء الغابة على نحو من عشرين ميلاً؛ وهي لأشجع ، فكتب إليه: إنه ببلاد بها الجبال والقِلاّت؛ فيطلبه فلا يجده ، قال: فكتب إليه إنه بجبل به الحبّ الأخضر والقَطِران ، قال: هذه رضوى؛ فطلب فلم يجده[1].

---

(١) هذا خبر منكر ومثل هذه الأخبار لا تؤخذ إلا من طريق مسند موصول مرفوع صحيح ـ فكيف وهذا حال الإسناد؟

قال أبو زيد: حدّثني أبو صفوان نصر بن قُديد بن نصر بن سيار، أنه بلغه أنه كان عند أبي جعفر مرآة يَرى فيها عدوَّه من صديقه [(١)].

قال: وحدّثني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحارث بن إسحاق، قال: جدّ رياح في طلب محمد، فأخبِر أنه في شِعْب من شعاب رَضْوى ـ جبل جهينة، وهي من عمل ينبُع ـ فاستعمل عليها عمرو بن عثمان بن مالك الجُهنيّ أحد بني جشم، وأمره بطلب محمد، فطلبه فذُكِر له أنه بشِعْب من رَضْوَى، فخرج إليه بالخيل والرّجال، ففزع منه محمد، فأحضِر شدّاً، فأفلت وله ابن صغير، ولد في خوفه ذلك؛ وكان مع جارية له؛ فهوى من الجبلَ فتقطَّع، وانصرف عمرو بن عثمان.

قال: وحدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ، قال: لما سقط ابن محمد فمات ولقي محمد ما لقي، قال:

منخرق السّربال يشكو الوَجَى تَنكُبُهُ أَطرافُ مَروٍ حِدَادْ
شرَّده الخوفُ فأَزْرَى به كذاك مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلادْ
قد كان في الموت له راحةٌ والموتُ حتمٌ في رقاب العبادْ

قال: وحدّثني عيسى بن عبد الله، قال: حدّثني عمّي عبيد الله بن محمد، قال: قال محمد بن عبد الله: بينا أنا في رَضْوَى مع أمَة لي أمّ ولد، معها بُنيّ لي ترضعه؛ إذا ابن سَنُوطَى (مولى لأهل المدينة)، قد هجم عليّ في الجبل يطلبني؛ فخرجت هارباً، وهربت الجارية، فسقط الصبي منها فتقطّع، فقال عبيد الله: فأتِيَ بابن سنوطى إلى محمد بعد حين ظهر، فقال: يا بن سنوطى، أتعرف حديث الصبيّ؟ قال: إي والله؛ إني لأعرفه، فأمر به فحُبس؛ فلم يزل محبوساً حتى قتِل محمد.

قال: وحدّثني عبد العزيز بن زياد، قال: حدّثني أبي قال: قال محمد: إني بالحرّة مصعِد ومنحدر، إذ أنا برياح والخيل، فعدلتُ إلى بئر فوقفت بين

(١) هذا لا يصح وأبو صفوان (نصر بن قديد) كذبه ابن معين وذكره البخاري وابن الجارود في الضعفاء وروى عنه أبو حاتم وأبو زرعة [الجرح والتعديل ٨/ تر ٢١٦٤].
وانظر لسان الميزان [تر ٨٨٥٥].

قرنَيْها ، فجعلت أستقي ، فلقيَني رياح صَفْحاً ، فقال: قاتله الله أعرابيّاً ما أحسن ذراعه!

قال: وحدّثني ابن زبالة ، قال: حدّثني عثمان بن عبد الرحمن الجُهنيّ عن عثمان بنِ مالك ، قال: أذلق[1] رياح محمداً بالطلب؛ فقال لي: اغدُ بنا إلى مسجد الفَتْح ندع الله فيه ، قال: فصلَّيتُ الصُّبح ، ثم انصرفت إليه ، فغدوْنا وعلى محمد قميص غليظ ورداء قرقبيّ مفتول؛ فخرجنا من موضع كان فيه؛ حتى إذا كان قريباً التفت ، فإذا رياح في جماعة من أصحابه رُكْبان ، فقلت له: هذا رياح؛ إنا لله وإنا إليه راجعون! فقال غير مكترث به: امض؛ فمضيت وما تنقلني رجلاي ، وتنحّى هو عن الطريق؛ فجلس وجعل ظهره مما يلِي الطريق ، وسدَل هُدْب ردائه على وجهه ـ وكان جسيماً ـ فلما حاذاه رياح التفت إلى أصحابه ، فقال: امرأة رأتنا فاستحيتْ ، قال: ومضيتُ حتى طلعت الشمس ، وجاء رياح فصعد وصلى ركعتين ، ثم انصرف من ناحية بُطْحان ، فأقبل محمد حتى دخل المسجد ، فصلى ودعا ، ولم يزل محمد بن عبد الله ينتقل من موضع إلى موضع إلى حين ظهوره.

ولما طال على المنصور أمرُه؛ ولم يقدر عليه وعبد الله بن حسن محبوس ، قال عبد العزيز بن سعيد ـ فيما ذُكر عن عيسى بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة ـ قال لأبي جعفر: يا أميرَ المؤمنين ، أتطمع أن يخرج لك محمد وإبراهيم وبنو حسن مخلّون! والله للواحد منهم أهيب في صدور الناس من الأسد ، قال: فكان ذلك الذي هاجه على حَبْسهم ، قال؛ ثم دعاه فقال: من أشار عليك بهذا الرأي؟ قال: فليح بن سليمان ، فلما مات عبد العزيز بن سعيد ـ وكان عيناً لأبي جعفر وواليًا على الصدقات ـ وضع فُليح بن سليمان في موضعه وأمر أبو جعفر بأخذ بني حسن.

قال عيسى: حدثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة ، قال: أمر أبو جعفر رياحاً بأخذ بني حسن ، ووجّه في ذلك أبا الأزهر المهريّ ـ قال: وقد كان حبَس

(١) ابن زبالة (محمد بن الحسن) ليس بثقة كان يسرق الحديث قاله ابن معين [الجرح والتعديل /٧/ ٢٢٧].

عبد الله بن حسن فلم يزل محبوساً ثلاث سنين؛ فكان حسن بن حسن قد نصَل خضابُه تسلّياً على عبد الله؛ فكان أبو جعفر يقول: ما فعلت الحادّة؟ قال: فأخذ رياح حسناً وإبراهيم ابنيْ حسن بن حسن، وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن، وسليمان وعبد الله ابنيْ داود بن حسن بن حسن، ومحمداً وإسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم بن حسن بن حسن، وعباس بن حسن بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب، أخذوه على بابه؛ فقالت أمه عائشة ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر: دعوني أشمّه، قالوا: لا والله؛ ما كنت حيةً في الدنيا؛ وعليّ بن حسن بن حسن بن حسن العابد.

قال: وحدثني إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم، قال: حبس معهم أبو جعفر عبد الله بن حسن بن حسن أخا عليّ.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى، قال: حدّثنا الحارث بن إسحاق، قال: جهر رياح بشتم محمد وإبراهيم ابنيْ عبد الله، وشتم أهل المدينة، قال: ثم قال يوماً وهو على المنبر يذكرهما: الفاسقين الخالعين الحاربيْن. قال: ثم ذكر ابنة أبي عبيدة أمهما، فأفحش لها، فسبّح الناس وأعظموا ما قال، فأقبل عليهم، فقال: إنكم لا كلنا عن شتمهما، ألصق الله بوجوهكم الذلّ والهوان! أما والله لأكتبنّ إلى خليفتكم فلأعلمنّه غِشّكم وقلة نُصحكم، فقال الناس: لا نسمع منك يا بن المحدود؛ وبادروه بالحصى، فبادر واقتحم دار مراون وأغلق عليه الباب، وخرج الناس حتى صفوا وجاهه، فرموه وشتموه ثم تناهوا وكفوا.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى؛ قال: حدّثني الثقة عندي، قال: حبس معهم موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ وعليّ بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عند مقدمه من مصر.

قال: وحدّثني عبد الله بن عمر بن حبيب، قال: وجّه محمد بن عبد الله ابنه عليّاً إلى مصر، فدلّ عليه عاملها، وقد همّ بالوثوب، فشدّه وأرسل به إلى أبي جعفر؛ فاعترف له، وسمى أصحاب أبيه، فكان فيمن سمَّى عبد الرحمن بن أبي الموالى وأبو حنين؛ فأمر بهما أبو جعفر فحبِسا، وضرِب أبو حنين مئة سوط.

قال: وحدّثني عيسى، قال: مرّ حسن بن حسن بن حسن على إبراهيم بن

حسن وهو يعلف إبلاً له فقال: أتعلف إبلك وعبد الله محبوس! أطلق عُقُلَها يا غلام، فأطلقها، ثم صاح في أدبارها فلم يوجد منها واحدة.

قال: وحدّثني عيسى، قال: حدّثني عليّ بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ، قال: حضرنا باب رياح في المقصورة، فقال الآذن: مَنْ كان هاهنا من بني حسين فليدخل؛ فقال لي عمّي عمر بن محمد: انظر ما يصنع القوم، قال: فدخلوا من باب المقصورة وخرجوا من باب مروان، قال: ثمّ قال: من هاهنا من بني حسن فليدخل؛ فدخلوا من باب المقصورة ودخل الحدّادون من باب مروان، فدعِيَ بالقيود.

قال: وحدّثني عيسى، قال: حدّثني أبي، قال: كان رياح إذا صلى الصُّبح أرسل إليّ وإلى قدامة بن موسى فيحدّثنا ساعة؛ فإنا لعنده يوماً؛ فلما أسفرنا إذا برجل متلفف في ساجٍ له؛ فقال له رياح: مرحباً بك وأهلاً، ما حاجتك؟ قال: جئت لتحبسني مع قومي؛ فإذا هو عليّ بن حسن بن حسن بن حسن، فقال: أما والله ليعرفنّها لك أمير المؤمنين، ثم حبسه معهم.

قال: وحدّثني يعقوب بن القاسم، قال: حدّثني سعيد بن ناشرة مولى جعفر بن سليمان، قال: بعث محمد ابنه علياً، فأخِذ بمصر، فمات في سجن أبي جعفر.

قال: وحدثني موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن، قال: حدثني أبي، عن أبيه موسى بن عبد الله، قال: لما حُبِسنا ضاق الحبس بنا، فسأل أبي رياحاً أن يأذن له فيشتري داراً، فيجعل حبسنا فيها، ففعل، فاشترى أبي داراً فنُقلنا إليها، فلما امتدَ بنا الحبس أتى محمد أمه هنداً فقال: إني قد حمّلت أبي وعمومتي ما لا طاقة لهم به؛ ولقد هممت أن أضع يدي في أيديهم؛ فعسى أن يخلَّى عنهم، قال: فتنكرتْ ولبستْ أطماراً، ثم جاءت السجن كهيئة الرّسول، فأذن لها، فلما رآها أبي أثبتها، فنهض إليها فأخبرته عن محمد، فقال: كلاّ بل نصبر؛ فوالله إني لأرجو أن يفتح الله به خيراً، قولي له: فليدْعُ إلى أمره، وليجدّ فيه، فإن فرجَنا بيد الله، قال: فانصرفت وتمّ محمد على بغيته.
[٧/ ٥٣٠_٥٣٩]

* * *

[ذكر حمل ولد حسن بن حسن إلى العراق]

وفي هذه السنة حمل ولد حسن بن حسن بن عليّ من المدينة إلى العراق.

* ذكر الخبر عن سبب حملهم إلى العراق وما كان من أمرهم إذ حُملوا:

ذكر عمر، قال: حدّثني موسى بن عبد الله، قال: حدّثني أبي عن أبيه، قال: لما حجّ أبو جعفر أرسل محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ومالك بن أنس إلى أصحابنا، فسألهم أن يدفعوا محمداً وإبراهيم ابني عبد الله، قال: فدخل علينا الرجلان، وأبي قائم يصلّي، فأبلغاهم رسالته، فقال حسن بن حسنَ: هذا عمل ابنَي المشؤومة، أما والله ما هذا برأينا، ولا عن ملأ منا؛ ولا لنا فيه حيلة، قال: فأقبل عليه إبراهيم، فقال: علام تؤذي أخاك في ابنيه وتؤذي ابن أخيك في أمه؟ قال: وانصرف أبي من صلاته؛ فأبلغاه، فقال: لا و الله لا أردّ عليكما حرفاً؛ إن أحبّ أن يأذن لي فألقاه فليفعل؛ فانصرف الرجلان فأبلغاه، فقال: أراد أن يسخّرني؛ لا والله لا ترى عينه عيني حتى يأتيَني بابنيه.

قال: وحدّثني ابنُ زبالة، قال: سمعتُ بعض علمائنا يقول: ما سارَّ عبدُ الله بن حسن أحداً قطّ إلا قتله عن رأيه.

قال: وحدثني موسى بن عبد الله، عن أبيه عن جده، قال: ثم سار أمير المؤمنين أبو جعفر لوجهه حاجّاً، ثم رجع فلم يدخل المدينة؛ ومضى إلى الرَّبذة حتى أتى ثَنْى رهوتها.

قال عمر: وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحارث بن إسحاق، قال: لم يزل بنو حسن محبوسين عند رياح حتى حجّ أبو جعفر سنة أربع وأربعين ومئة، فتلقّاه رياح بالرَّبذَة، فردّه إلى المدينة، وأمره بإشخاص بني حسن إليه، وبإشخاص محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ وهو أخو بني حسن لأمهم، أمهم جميعاً فاطمة بنت حسين بن عليّ بن أبي طالب ـ فأرسل إليه رياح ـ وكان بماله ببذْر ـ فحدرهم إلى المدينة، ثم خرج رياح ببني حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو إلى الرّبذَة، فلما صار بقصر نفيس على ثلاثة أميال من المدينة، دعا بالحدّادين والقيود والأغلال، فألقى كلّ رجل منهم في كَبْل وغُلّ،

فضاقت حَلْقتا قيد عبد الله بن حسن بن حسن ، فغضَّتَاه فتأوّه؛ فأقسم عليه أخوه عليّ بن حسنٍ ليحوّلنّ حلقتيه عليه إن كانتا أوسع ، فحوّلتا عليه ، فمضى بهم رياح إلى الرَّبذَة .

قال: وحدّثني إبراهيم بن خالد ، ابن أخت سعيد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ـ وهو خال أمه ـ قال: لما حُمِل بنو حسن إلى أبي جعفر أتِيَ بأقياد يقيَّدون بها ، وعليّ بن حسن بن حسن قائم يصلي ، قال: وكان في الأقْياد قيد ثقيل ، فكلَّما قرب إلى رجل منهم تفادى منه واستعفى ، قال: فانفتل عليّ من صلاته ، فقال: لشدّ ما جزعتم ، شَرْعُه هذا ، ثم مدّ رجليه فقُيِّد به .

قال: وحدّثني عيسى ، قال: حدّثني عبد الله بن عمران ، قال: الذي حدَرهم إلى الربَذة أبو الأزهر .

قال عمر: حدثني ابن زبالة ، قال: حدثني حسين بن زيد بن عليّ بن حسين ، قال: غدوتُ إلى المسجد ، فرأيت بني حسن يُخرَج بهم من دار مرْوان مع أبي الأزْهر يُراد بهم الرّبَذة ، فانصرفت ، فأرسل إليّ جعفر بن محمد فجئته ، فقال: ما وراءك؟ فقلت: رأيت بني حسن يُخرج بهم في محامل ، قال: اجلس ، فجلست ، فدعا غلاماً له ، ثم دعا ربه دعاء كثيراً ، ثم قال لغلامه: اذهب؛ فإذا حُملوا فائْتِ فأخبِرْني ، فأتاه الرّسول ، فقال: قد أقبل بهم ، قال: فقام جعفر بن محمد ، فوقف من وراء ستر شَعَر يبصر مَنْ وراءه ولا يبصره أحد؛ فطلع بعبد الله بن حسن في محمَل معادلُه مسوّد ، وجميع أهل بيته كذلك ، قال: فلما نظر إليهم جعفر هملتْ عيناه حتى جرت دموعه على لحيته ، ثم أقبل عليّ فقال: يا أبا عبد الله ، والله لا يحفظ لله حرْمة بعد هؤلاء .

قال: وحدّثني محمد بن الحسن بن زبالة ، قال: حدثني مصعب بن عثمان ، قال: لما ذُهب ببني حسن لقيهم الحارث بن عامر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بالرَّبَذة ، فقال: الحمد لله الذي أخرجكم من بلادنا ، قال: فاشرأبّ له حسن بن حسن ، فقال له عبد الله: عزمتُ عليك إلا سكتّ!

قال: وحدّثني عيسى ، قال: حدثني ابن أبرود حاجب محمد بن عبد الله قال: لما حُمل بنو حسن ، كان محمد وإبراهيم يأتيان معتمّين كهيئة الأعراب ، فيسايران أباهما ويسائلانه ويستأذنانه في الخروج ، فيقول: لا تعجلا حتى

يمكنكما ذلك؛ ويقول: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشَا كريمين؛ فلا يمنعْكما أن تموتا كريمين.

قال عمر: وحدّثني محمد بن يحيى قال: حدثني الحارث بن إسحاق، قال: لما صار بنو حسن إلى الرَّبذة دخل محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على أبي جعفر، وعليه قميصٌ وساجٌ[1] وإزار رقيق تحت قميصه؛ فلما وقف بين يديه، قال: إيهاً يا ديّوث[2]! قال محمد: سبحان الله! والله لقد عرفتَني بغير ذلك صغيراً وكبيراً، قال: فممّ حملت ابنتُك؟ وكانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن ـ وقد أعطيتني الأيمان بالطلاق والعتاق ألا تغشى ولا تمالئ عليّ عدوّاً، ثم أنت تدخل على ابنتك متخضّبة متعطّرة، ثم تراها حاملاً فلا يروعك حملها! فأنت بين أن تكون حانثاً أو ديُّوثاً؛ وايم الله إني لأهمّ برجْمها، فقال محمد: أما أيماني فهي عليّ إن كنت دخلت لك في أمر غشّ علمته، وأما ما رميتَ به هذه الجارية، فإن الله قد أكرمها عن ذلك بولادة رسول الله ﷺ إياها؛ ولكني قد ظننت حين ظهر حملها أنّ زوجها ألمّ بها على حين غفلة منا، فاحتفظ أبو جعفر من كلامه، وأمر بشق ثيابه، فشق قميصه عن إزاره، فأشفّ عن عورته، ثم أمر به فضرب خمسين ومئة سوط؛ فبلغت منه كلّ مبلغ، وأبو جعفر يفتري عليه ولا يكني؛ فأصاب سوط منها وجهَه، فقال له: ويحك! اكفف عن وجهي فإن له حرمةً من رسول الله ﷺ؛ قال: فأغرى أبو جعفر، فقال للجلاد: الرأس الرأس، قال: فضُرب على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً، ثم دعا بساجور من خشب شبيه به في طُوله ـ وكان طويلاً ـ فشدّ في عنقه، وشُدَّت به يده؛ ثم أخرج به ملبَّباً، فلما طلع به من حجرة أبي جعفر؛ وثب إليه مولى له، فقال: بأبي أنت وأمي ألا ألوثُك بردائي! قال: بلَى جُزيت خيراً؛ فوالله لشُفوف إزاري أشدّ عليَّ من الضرب الذي نالني؛ فألقى عليه المولى الثوب، ومضى به إلى أصحابه المحبَّسين.

قال: وحدّثني الوليد بن هشام، قال: حدّثني عبد الله بن عثمان، عن محمد بن هاشم بن البريد، مولى معاوية، قال: كنتُ بالرَّبذة، فأتِيَ ببني حسن

---

(١) الساج: الطيلسان الأخضر. القاموس ص ٢٤٨.

(٢) الديوث؛ من التديث؛ وهو القيادة. اللسان (٢/ ١٥٠).

مغلولين ، معهم العثمانيّ كأنه خُلق من فضّة ، فأقعِدوا ، فلم يلبثوا حتى خرج رجل من عند أبي جعفر ، فقال: أين محمد بن عبد الله العثماني؟ فقام فدخل ، فلم يلبث أن سمعنا وقْع السيّاط ، فقال أيوب بن سلمة المخزوميّ لبنيه: يا بَنيّ؛ إني لأرى رجلاً ليس لأحد عنده هوادةٌ ، فانظروا لأنفسكم؛ لا تسقطوا بشيء ، قال: فأخرِج كأنه زنجيّ قد غيّرت السياطُ لونَه ، وأسالت دَمه ، وأصاب سوط منها إحدى عينيْه فسالتْ ، فأقعِد إلى جنب أخيه عبد الله بن حسن بن حسن ، فعطش فاستسقى ماء ، فقال عبد الله بن حسن: يا معشر الناس ، مَنْ يسقي ابن رسول الله شربة ماء؟ فتحاماه الناس فما سقْوه حتى جاء خُراسانيّ بماء ، فسلّه إليه فشرب ، ثم لبثنا هُنيهةً ، فخرج أبو جعفر في شقّ محمل ، معادله الربيع في شقّه الأيمن ، على بَغْلة شقراء ، فناداه عبد الله: يا أبا جعفر ، والله ما هكذا فعلناه بأسرائكم يوم بدر! قال: فأخسأه أبو جعفر؛ وتفل عليه ، ومضى ولم يعرّج [(١)].

وذكر أن أبا جعفر لما دخل عليه محمد بن عبد الله العثماني سأله عن إبراهيم ، فقال: مالي به علْم ، فدقّ أبو جعفر وجهه بالجرْز.

وذكر عمر عن محمد بن أبي حرب ، قال: لم يزل أبو جعفر جميلَ الرأي في محمد حتى قال له رياح: يا أمير المؤمنين ، أمّا أهلُ خراسان فشيعتُك وأنصارك ، وأما أهل العراق فشيعة آل أبي طالب ، وأما أهل الشام فوالله ما عليّ عندهم إلا كافر ، وما يعتدّون بأحد من ولده؛ ولكنّ أخاهم محمدُ بن عبد الله بن عمرو ، ولو دعا أهل الشأم ما تخلف عنه منهم رجل ، قال: فوقعت في نفس أبي جعفر ، فلما حجّ دخل عليه محمد ، فقال: يا محمد ، أليس ابنتك تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن؟ قال: بلى؛ ولا عهد لي به إلا بمِنىً في سنة كذا وكذا ، قال: فهل رأيتَ ابنتَك تختضِب وتمتشط؟ قال: نعم ، قال: فهي إذاً زانية ، قال: مَهْ يا أمير المؤمنين! أتقول هذا لابنة عمّك! قال: يابن اللخناء ، قال: أيّ أمهاتي تلخّن! قال: يابن الفاعلة ، ثم ضرب وجهه بالجرْز وحدده؛ وكانت رقية ابنة محمد تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن ، ولها يقول:

خليليَّ من قَيْسٍ دَعا اللومَ واقعدا يَسُرُّكما ألاَّ أَنامَ وتَرْقُدَا

(١) عبد الله بن عثمان لم يبيّن الطبري نسبه ولا لقبه ولا كنيته ولم ندر من هو وشيخه محمد بن هاشم بن البريد لم نجد له ترجمة.

أَبيتُ كأنّي مُسْعَرٌ من تذكُّري رُقَيَّةَ جَمْراً من غَضاً مُتَوقِدا[(١)]

قال: وحدثني عيسى بن عبد الله بن محمد، قال: حدثني سليمان بن داود بن حسن؛ قال: ما رأيتُ عبد الله بن حسن جَزِعَ من شيء مما ناله إلاّ يوماً واحداً؛ فإنَّ بعير محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان انبعث وهو غافلٌ، لم يتأهّب له، وفي رجليه سلسلة، وفي عنقه زمّارة، فهوى، وعلقت الزّمارة بالمحمَل، فرأيته منوطاً بعنقه يضطرب؛ فرأيت عبد الله بن حسن قد بكى بكاء شديداً.

قال: وحدّثني موسى بن عبد الله بن موسى، قال: حدّثني أبي عن أبيه، قال: لما صرنا بالرَّبذة، أرسل أبو جعفر إلى أبي أن أرسِلْ إليّ أحدكم؛ واعلم أنه غير عائد إليك أبداً، فابتدره بنو إخوته يعرِضون أنفسهم عليه، فجزاهم خيراً، وقال: أنا أكره أن أفجعهم بكُمْ؛ ولكن اذهب أنت يا موسى، قال: فذهبتُ وأنا يومئذ حديث السنّ، فلما نظر إليّ قال: لا أنعم الله بك عيناً؛ السياطَ يا غلام، قال: فضُرِبتُ والله حتى غُشِيَ عليّ، فما أدري بالضرْب، فرُفعت السياط عني، ودعاني فَقُرِّبت منه واستقربني.

فقال: أتدري ما هذا؟ هذا فيض فاض مني، فأفرغتُ منه سَجْلاً لم أستطع ردّه؛ ومن ورائه الموت أو تفتدى منه. قال: فقلت: يا أميرَ المؤمنين؛ والله إن ما لي ذنب؛ وإني لبمعزِل عن هذا الأمر، قال: فانطلقْ فائتني بأخويك، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، تبعثني إلى رياح بن عثمان فيضع عليّ العيون والرّصد، فلا أسلك طريقاً إلا تبعني له رسول، ويعلم ذلك أخواي فيهربان مني! قال: فكتب إلى رياح: لا سلطان لك على موسى، قال: وأرسل معي حرساً أمرهم أن يكتبوا إليه بخبري، قال: فقدمت المدينة، فنزلت دار ابن هشام بالبلاط، فأقمتُ بها أشهراً، فكتب إليه رياح: إنّ موسى مقيم بمنزله يتربّص بأمير المؤمنين الدوائر؛ فكتب إليه: إذا قرأتَ كتابي هذا فاحْدِرْه إليّ، فحدرني.

قال: وحدّثني محمد بن إسماعيل، قال: حدّثني موسى، قال: أرسل أبي

---

(١) هذا خبر منكر وابن أبي حرب مجهول ولا أدري كيف سوّد الطبري هذه الصفحات بهذه الكلمات البذيئة والاتهامات الرذيلة وبهذا الإسناد؟

سامحه الله وإيانا.

إلى أبي جعفر: إني كاتب إلى محمد وإبراهيم؛ فأرسل موسى عسى أن يلقاهما؛ وكتب إليهما أن يأتياه، وقال لي: أبلغهما عنّي فلا يأتياه أبداً. قال: وإنما أراد أن يفلتني من يده ـ وكان أرقَّ الناس عليّ، وكنت أصغر ولد هند ـ وأرسل إليهما:

يـا بَنَـيْ أميَّـةَ إنـي عنكمـا غـانٍ ... ومـا الغِنَـى غيـرَ أنـي مُـرْعَـشٌ فـانِ

يـا بُنـيْ أُميـة إلاّ تَـرْحَمَـا كِبَـري ... فـإنمـا أنتمـا والثُّكْـلُ مِثْـلانِ

قال: فأقمت بالمدينة مع رسل أبي جعفر إلى أن استبطأني رياح، فكتب إلى أبي جعفر بذلك، فحدَرني إليه.

قال: وحدّثني يعقوب بن القاسم بن محمد، قال: أخبرني عمران بن محرز من بني البَكّاء، قال: خرج ببني حسن إلى الرَّبَذة، فيهم عليّ وعبد الله ابنا حسن بن حسن بن حسن، وأمُّهما حُبابة ابنة عامر بن عبد الله بن عامر بن بشر بن عامر ملاعب الأسنة؛ فمات في السجن حسن بن حسن وعباس بن حسن، وأمّه عائشة بنت طلحة بن عمر بن عبيد الله وعبد الله بن حسن وإبراهيم بن حسن.

قال عمر: حدّثني المدائنيّ؛ قال: لما خُرج ببني حسن، قال إبراهيم بن عبد الله بن حسن، قال عمر: وقد أنشدني غير أبي الحسن هذا الشعر لغالب الهمْدانيّ:

مـا ذِكْـرُكَ الـدِّمْنَـةَ القِفَـارَ وأَهـ ... ـلَ الـدارِ إمَّـا نـأَوْكَ أو قـربـوا

إلاَّ سَفَـاهـاً وقـد تفـرَّعـك الشيْـ ... ـبُ بلـوْنٍ كـأنَّـه العطـبُ

ومَـرَّ خمسـون مِـنْ سِنيـك كمـا ... عَـدَّ لـك الحـاسِبـون إذْ حَسبُـوا

فَعـدِّ ذِكْـر الشبـابِ لَسْـتَ لـه ... ولا إليـك الشبـابُ مُنقَلِـب

إنـي عَـرَتْنـي الهُمـوم فـاحْتَضَـرَ الـ ... ـهـمّ وسـادي فـالقلبُ مُنشَعِـبُ

واستُخْـرِجَ النَّـاس للشَّقـاءِ وخُلِّـ ... ـفْـتُ لِـدَهْـرٍ بِظهْـرِهِ حَـدَبُ

أَعْـوَجَ يَسْتَعْـذِبُ اللئـامُ بـه ... ويحْتَـويـه الكِـرامُ إن سَـرَبـوا

نفْسـي فَـدَتْ شَيْبَـةً هُنـاكَ وظُنْـ ... ـبُـوبـاً بـه مـن قيـوده نَـدَبُ

والسَّـادَةَ الغُـرَّ مـن بَنيـهِ فَمـا ... رُوقِـبَ فيـه الإلٰـهُ والنَّسَـبُ

يـا حَلَـقَ القَيْـد مـا تضمَّـنَ مـن ... حِلْـم وَبِـرٍّ يَشُـوبُـهُ حَسَـبُ

وأُمَّهـاتٌ مـن العَـواتِـكِ أَخـ ... ـلصْنـكَ بِيـضٌ عَقـائـل عُـرُبُ

كيْـفَ اعْتِـذاري إلـى الإلٰـهِ ولـم ... يُشْهَـرن فيـك المَـأْثـورَةُ القُضُـبُ!

ولــم أَقُــد غــارَةً مُلَمْلَمــةً فيهــا بَنــاتُ الصَّــرِيــحِ تَنْتحــب
وَالسَّــابِقَــاتُ الجِيَــادُ والأَسَــلُ الـذْ بَــلُ فيهــا أَسِنَّــةٌ ذُرُبُ
حَتَّــى نُــوفِّــي بنــي نُتَيْلَــةَ بــالـ ـقِسط بكيل الصاع الـذي احتَلبُوا
بــالقتْــلِ قَتْـلاً وبـالأَسيــرِ الـذي فــي القِـدِّ أَسْـرى مَصْفُـودَة سُلُـبُ
أَصْبحَ آلُ الـرَّسـولِ أَحْمَـدَ فـي النَّـ ـاسِ كــذي عُــرَّةٍ بــه جَــرَبُ
بُــؤسـاً لهــم مــا جَنَـتْ أَكفُّهــمُ وأيَّ حَبْــلٍ مــن أُمَّــة قَضبُــوا!
وأيُّ حَبْــل خَــانُــوا المَلِيــكَ بــه شُــدَّ بِميثَــاقٍ عَقْــدُهُ الكَــذِبُ

وذكر عبدُ الله بن راشد بن يزيد، قال: سمعتُ الجرّاح بن عمر وخاقان بن زيد وغيرهما من أصحابنا يقولون: لما قدم بعبد الله بن حسن وأهله مُقَيّدين فأشرف بهم على النَّجَف، قال لأهله: أما ترون في هذه القرية مَن يمنعنا من هذا الطاغية؟ قال: فلقيه ابنا أخي الحسن وعليّ مشتمليْن على سيفين، فقالا له: قد جئناك يابن رسول الله، فمرْنا بالذي تريد، قال: قد قضيتُما، ولن تُغنيا في هؤلاء شيئاً فانصرفا.

قال: وحدّثني عيسى، قال: حدّثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة، قال: أمر أبو جعفر أبا الأزهر فحبَس بني حسن بالهاشميّة.

قال: وحدّثني محمد بن الحسن، قال: حدّثني محمد بن إبراهيم، قال: أتىَ بهم أبو جعفر، فنظر إلى محمد بن إبراهيم بن حسن، فقال: أنت الديباج الأصفر؟ قال: نعم، قال: أما والله لأقتلنّك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك، ثم أمر بأسطوانة مبنيّة ففرقت، ثم أدخل فيها فبنى عليه وهو حيّ.

قال محمد بن الحسن: وحدّثني الزّبير بن بلال، قال: كان الناس يختلفون إلى محمد ينظرون إلى حسنه.

قال عمر: وحدّثني عيسى، قال: حدّثني عبد الله بن عمران، قال: أخبرني أبو الأزهر، قال: قال لي عبد الله بن حسن: ابغني حجّاماً، فقد احتجتُ إليه، فاستأذنت أميرَ المؤمنين، فقال: آتيه بحجام مجيد[1]. [٧/ ٥٣٩ ـ ٥٤٧].

---

(١) هذه هي المرة الأولى التي نذكر فيها رواية الوليد بن هشام عن أبيه في الضعيف اتباعاً للشرط الذي اعتمدناه في بداية تحقيقنا وهو أننا ومن باب التساهل في رواية التأريخ نقبل رواية من =

وحدّثني محمد بن أبي حرب ، قال: كان محمد بن عبد الله بن عمرو محبوساً عند أبي جعفر ، وهو يعلم براءته؛ حتى كتب إليه أبو عَوْن من خُراسان: أخبر أمير المؤمنين أنّ أهل خراسان قد تقاعسوا عنّي ، وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله؛ فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمّد بن عبد الله بن عمرو ، فضُرِبَتْ عنقُه ، وأرسل برأسه إلى خراسان؛ وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبد الله ، وأنّ أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

قال عمر: فحدّثني الوليد بن هشام ، قال: حدّثني أبي ، قال: لما صار أبو جعفر بالكوفة ، قال: ما أشتفي من هذا الفاسق من أهل بيت فسق ، فدعا به ، فقال: أزوَّجت ابنتك ابنَ عبد الله؟ قال: لا ، قال: أفليستْ بامرأته؟ قال: بلى زوّجها إيّاه عمُّها وأبوه عبد الله بن حسن فأجزتُ نكاحه ، قال: فأين عهودك التي أعطيتني؟ قال: هي عليّ ، قال: أفلم تعلم بخضاب! ألم تجد ريح طيب! قال: لا علم لي؛ قد علم القوم ما لك عليّ من المواثيق فكتموني ذلك كله ، قال: هل لك أن تستقيلني فأقيلك ، وتحدث لي أيْماناً مستقبلة؟ قال: ما حنثت بأيماني فتجدّدها عليّ ، ولا أحدثت ما أستقيلك منه فتُقيلني؛ فأمر به فضرب حتى مات ، ثم احتزّ رأسه؛ فبعث به إلى خُراسان؛ فلما بلغ ذلك عبد الله بن حسن ، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! والله إن كنّا لنأمن به في سلطانهم ، ثم قد قُتل بنا في سلطاننا.

قال: وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال: حدّثني مسكين بن عمرو ، قال: لما ظهر محمد بن عبد الله بن حسن ، أمر أبو جعفر بضرب عنق محمد بن عبد الله بن عمرو ، ثم بعث به إلى خُراسان ، وبعث معه الرّجال يحلفون بالله إنه لمحمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قال عمر: فسألت محمد بن جعفر بن إبراهيم ، في أيّ سبب قتل محمد بن عمرو؟ قال: أحتيج إلى رأسه.

قال عمر: وحدّثني محمد بن أبي حرب ، قال: كان عوْن بن أبي عون خليفةَ

= ذكره ابن حبان في الثقات ولم يوثقه غيره ولم يكن في متن روايته نكارة وأية نكارة أشد من التي هاهنا وهذا يضاف إلى كون الطبري لم يصرح بالتحديث عن ابن شبة بل اطلع على كتابه على ما يبدو ومع ذلك قبلناه من باب التساهل في رواية التاريخ والخبر لا يصح ولم يؤيده غير الطبري والله أعلم.

أبيه بباب أمير المؤمنين؛ فلما قُتل محمد بن عبد الله بن حسن وجّه أبو جعفر برأسه إلى خُراسان ، إلى أبي عَوْن مع محمد بن عبد الله بن أبي الكرام وعَوْن بن أبي عَوْن؛ فلما قدم به ارتاب أهلُ خُراسان ، وقالوا: أليس قد قُتل مرّة وأتيْنا برأسه! قال: ثم تكشّف لهم الخبر حتى علموا حقيقته؛ فكانوا يقولون: لم يُطّلَع من أبي جعفر على كذبةٍ غيرها.

قال: وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال: حدّثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة ، قال: كنا نأتى أبا الأزهر ونحن بالهاشميّة أنا والشعبانيّ ، فكان أبو جعفر يكتب إليه: من عبد الله أمير المؤمنين إلى أبي الأزهر مولاه ، ويكتب أبو الأزهر إلى أبي جعفر: من أبي الأزهر مولاه وعبده؛ فلما كان ذات يوم ونحن عنده ـ وكان أبو جعفر قد ترك له ثلاثة أيام لا ينوبها؛ فكنّا نخلو معه في تلك الأيام ـ فأتاه كتاب من أبي جعفر ، فقرأه ثم رمى به ، ودخل إلى بني حسن وهم محبوسون. . . قال: فتناولتُ الكتاب وقرأته؛ فإذا فيه: انظر يا أبا الأزهر ما أمرتك به في مدلَّه فعجّله وأنفذه ، قال: وقرأ الشعبانيّ الكتاب فقال: تدري مَن مدلّه؟ قلت: لا ، قال: هو والله عبد الله بن حسن ، فانظر ما هو صانع ، قال: فلم نلبث أن جاء أبو الأزهر ، فجلس فقال: قد والله هلك عبد الله بن حسن ، ثم لبث قليلاً ثم دخل وخرج مكتئباً ، فقال: أخبرني عن عليّ بن حسن ، أيُّ رجل هو؟ قلت: أمصدَّقٌ أنا عندك؟ قال: نعم ، وفوق ذلك؛ قال: قلت: هو والله خير من تقلّه هذه وتظلّه هذه! قال: فقد والله ذهب.

قال: وحدّثني محمد بن إسماعيل ، قال: سمعتُ جدّي موسى بن عبد الله يقول: ما كنّا نعرف أوقاتَ الصلاة في الحبس إلا بأحزاب كان يقرؤها عليّ بن حسن.

قال عمر: وحدّثني ابنُ عائشة ، قال: سمعتُ مولىً لبني دارم ، قال: قلت لبشير الرّحال ما يسرعك إلى الخروج على هذا الرجل؟ قال: إنه أرسل إليّ بعد أخذه عبد الله بن حسن فأتيتُه ، فأمرني يوماً بدخول بيت فدخلته ، فإذا بعبد الله بن حسن مقتولاً ، فسقطت مغشيّاً عليَّ ، فلما أفقت أعطيت الله عهداً ألاّ يختلف في أمره سَيْفان إلا كنتُ مع الذي عليه منهما.

وقلت للرسول الذي معي من قبَله: لا تخبره بما لقيتَ؛ فإنه إن علم قتلني.

قال عمر: فحدّثت به هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد من أهل هَمذان ، وهو العباسيّ أن أبا جعفر أمر بقتله ، فحلف بالله ما فعل ذلك؛ ولكنّه دسّ إليه مَن أخبره أن محمداً قد ظهرَ فقتِل ، فانصدع قلبه ، فمات.

وقال: وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال: قال مَنْ بقي منهم: إنهم كانوا يسقَوْن؛ فماتوا جميعاً إلا سليمان وعبد الله ابني داود بن حسن بن حسن وإسحاق وإسماعيل ابني إبراهيم بن حسن بن حسن ، وجعفر بن حسن ، فكان من قتل منهم إنما قتل بعد خروج محمد.

قال عيسى: فنظرتْ مولاةٌ لآل حسن إلى جعفر بن حسن ، فقالت: بنفسي أبو جعفر! ما أبصره بالرجال حيث يطلِقك وقتل عبد الله بن حسن! [٧/ ٥٤٧ـ٥٤٩].

* * *

* ذكر الخبر عن سبب حمله إياهم إلى العراق:

حدّثني الحارث بن محمد ، قال: حدّثنا محمد بن سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: لما ولّى أبو جعفر رياحَ بن عثمان بن حيّان المريّ المدينَة ، أمره بالجِدّ في طلب محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن وقلة الغفلة عنهما.

قال محمد بن عمر: فأخبرني عبد الرحمن بن أبي الموالي؛ قال: فجدَّ رياح في طلبهما ولم يداهنْ ، واشتدّ في ذلك كلّ الشدّة حتى خافا؛ وجعلا ينتقلان من موضع إلى موضع ، واغتَمّ أبو جعفر من تبغّيهما؛ وكتب إلى رياح بن عثمان: أن يأخذ أباهما عبد الله بن حسن وإخوته: حسن بن حسن وداود بن حسن وإبراهيم بن حسن ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ـ وهو أخوهم لأمهم فاطمة بنت حسين ـ في عدّة منهم ، ويشدُّهم وثاقاً ويبعث بهم إليه حتى يوافوه بالرَّبَذة ، وكان أبو جعفر قد حجّ تلك السنة وكتب إليه أن يأخذني معهم فيبعث بي إليه أيضاً ، قال: فأدركت وقد أهللت بالحجّ ، فأخِذْت فطرِحت في الحديد ، وعورض بي الطريق حتى وافيتهم بالرَّبَذة.

قال محمد بن عمر: أنا رأيتُ عبدَ الله بن حسن وأهلَ بيته يُخْرَجون من دار مَرْوان بعد العصْر وهم في الحديد؛ فيحملون في المحامل؛ ليس تحتهم وطاء؛ وأنا يومئذ قد راهقتُ الاحتلام، أحفظ ما أرى.

قال محمد بن عمر: قال عبد الرحمن بن أبي الموالي: وأخذ معهم نحو من أربعمئة من جُهَينة ومُزينة وغيرهم من القبائل؛ فأراهم بالرَّبَذة مكتّفين في الشمس، قال: وسُجنت مع عبد الله بن حسن وأهل بيته، ووافى أبو جعفر الرّبذة منصرفاً من الحجّ، فسأل عبد الله بن حسن أبا جعفر أن يأذن له في الدّخول عليه، فأبى أبو جعفر؛ فلم يره حتى فارق الدنيا، قال: ثم دعاني أبو جعفر من بينهم، فأقعِدت حتى أدخلت ـ وعنده عيسى بن عليّ ـ فلما رآني عيسى، قال: نعم؛ هو هو يا أمير المؤمنين؛ وإنْ أنت شددتَ عليه أخبرك بمكانهم، فسلّمت فقال أبو جعفر: لا سَلّم الله عليك! أين الفاسقان ابنا الفاسق، الكذابان ابنا الكذاب؟ قال: قلت: هل ينفعني الصدق يا أمير المؤمنين عندك؟ قال: وما ذاك؟ قال: امرأته طالق، وعليَّ وعليّ، إن كنت أعرف مكانهما! قال: فلم يقبل ذلك مني، وقال: السياط! وأقمت بين العُقابيْن، فضربني أربعمئة سوط؛ فما عقلت بها حتى رفع عني، ثم حُملت إلى أصحابي على تلك الحال، ثم بعث إلى الدّيبَاج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان؛ وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فلما أدخِل عليه قال: أخبرْني عن الكذّابيْن ما فعلا؟ وأين هما؟ قال: والله يا أميرَ المؤمنين مالي بهما علم، قال: لَتخبرنّي، قال: قد قلت لك وإني والله لصادق؛ ولقد كنت أعلم علمَهما قبل اليوم؛ وأما اليوم فمالي والله بهما علْم. قال: جرّدوه، فجُرّد فضربه مئة سوط، وعليه جامعة حديد في يده إلى عنقه؛ فلمّا فرغ من ضربه أخرِج فألبس قميصاً له قُوهيّاً [1] على الضرب، وأتيَ به إلينا؛ فوالله ما قدروا على نزع القميص من لُصوقه بالدم، حتى حلبوا عليه شاة، ثم انتزِع القميص ثم داووه، فقال أبو جعفر: احدروا بهم إلى العراق، فقدِم بنا إلى الهاشميَة، فحبِسنا بها؛ فكان أوّل من مات في الحبس عبد الله بن حسن؛ فجاء السجان فقال: ليخرج أقربُكم به فليصلّ عليه؛ فخرج

---

(١) القوهي: ثياب بيض تنسب إلى قُوهُسْتان؛ كورة بين نيسابور وهَراة. القاموس ص ١٦١٥.

أخوه حسن بن حسن بن حسن بن عليّ عليهم السلام ، فصلّى عليه ، ثم مات محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فأخِذ رأسه ، فبعث به مع جماعة من الشّيعة إلى خراسان؛ فطافوا في كُورخراسان ، وجعلوا يحلفون بالله أنّ هذا رأس محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ؛ يوهمون الناس أنه رأس محمد بن عبد الله بن حسن ، الذي كانوا يجدون خروجه على أبي جعفر في الرواية. [٧/ ٥٥٠ ـ ٥٥١] .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* ذكر الخبر عن مخرج محمد بن عبد الله ومقتله:

ذكر عمر أنّ محمد بن يحيى حدّثه ، قال: حدثني الحارث بن إسحاق ، قال: لما انحدر أبو جعفر ببني حسن ، رجع رياح إلى المدينة ، فألحّ في الطلب ، وأَخْرج محمداً حتى عزم على الظهور.

قال عمر: فحدّثت إبراهيم بن محمد بن عبد الله الجعفريّ أن محمداً أُحرِج ، فخرج قبل وقته الذي فارق عليه أخاه إبراهيم ، فأنكر ذلك ، وقال: ما زال محمّد يُطلَب أشدّ الطلب حتى سقط ابنه فمات وحتى رهقه الطلب ، فتدلّى في بعض آبار المدينة يناول أصحابه الماء ، وقد انغمس فيه إلى رأسه ، وكان بدنه لا يخفى عِظَماً؛ ولكن إبراهيم تأخّر عن وقته لجُدَريٍّ أصابه.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال: تحدّث أهل المدينة بظهور محمد؛ فأسرعنا في شراء الطعام حتى باع بعضهم حليّ نسائه؛ وبلغ رياحاً أنّ محمداً أتى المذاد ، فركب في جنده يريده وقد خرج قبله محمد يريده ، ومعه جُبَير بن عبد الله السلَميّ ، وجُبَير بن عبد الله بن يعقوب بن عطاء وعبد الله بن عامر الأسلميّ؛ فسمعوا سقَّاءَةً تحدّث صاحبتها أنّ رياحاً قد ركب يطلب محمداً بالمَذَاد ، وأنه قد سار إلى السوق ، فدخلوا داراً لجُهينة وأجافوا بابها عليهم ، ومرّ رياح على الباب لا يعلم بهم ، ثم رجع إلى دار مَرْوان؛ فلما حضرت العشاء الأخيرة صلى في الدار ولم يخرج.

وقيل: إنّ الذي أعلم رياحاً بمحمد سليمان بن عبد الله بن أبي سَبرة من بني عامر بن لؤيّ.

وذكر عن الفضل بن دُكين، قال: بلغني أن عبيد الله بن عمرو بن أبي ذُؤيب وعبد الحميد بن جعفر دخلوا على محمد قبل خروجه، فقالوا له: ما ننتظر بالخروج! والله ما نجد في هذه الأمة أحداً أشأم عليها منك. ما يمنعك أن تخرج وحدك!

قال: وحدثني عيسى، قال: حدّثني أبي، قال: بعث إلينا رياح فأتيته أنا وجعفر بن محمد بن عليّ بن حسين، وحسين بن عليّ بن حسين بن عليّ، وعليّ بن عمر بن عليّ بن حسين بن عليّ، وحسن بن عليّ بن حسين بن عليّ بن حسين بن علي ورجال من قريش؛ منهم إسماعيل بن أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة، ومعه ابنه خالد، فإنّا لعنده في دار مَرْوان إذ سمعْنا التكبير قد حال دون كلّ شيء، فظنناه من عند الحرَس، وظنّ الحرَس أنه من الدار، قال: فوثب ابن مسلم بن عقبة ـ وكان مع رياح ـ فاتّكأ على سيفه، فقال: أطعني في هؤلاء فاضرب أعنَاقهم؛ فقال عليّ بن عمر: فكدنا والله تلك الليلة أن نطيح حتى قام حسين بن عليّ، فقال: والله ما ذاك لك؛ إنّا على السمع والطاعة، قال: وقام رياح ومحمد بن عبد العزيز، فدخلا جنبذاً في دار يزيد؛ فاختفيا فيه، وقمنا فخرجنا من دار عبد العزيز بن مروان حتى تسوّرنا على كِباً كانت في زقاق عاصم بن عمرو، فقال إسماعيل بن أيوب لابنه خالد: يا بنيّ، والله ما تجيبني نفسي إلى الوثوب، فارفعني، فرفعه.

وحدّثني محمد بن يحيى، قال: حدّثني عبد العزيز بن عمران[1] قال: حدّثني أبي قال: جاء الخبر إلى رياح وهو في دار مَرْوان أنّ محمداً خارج الليلة، فأرسل إلى أخي محمد بن عمران وإلى العباس بن عبد الله بن الحارث بن العباس وإلى غير واحد، قال: فخرج أخي وخرجت معه؛ حتى دخلنا عليه بعد العشاء الآخرة، فسلمنا عليه فلم يردّ علينا، فجلسنا فقال أخي: كيف أمسى الأمير

(١) عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز قال النسائي متروك الحديث وقال البخاري منكر الحديث لا يكتب حديثه (تهذيب الكمال/ تر ٤٠٥٣].

أصلحه الله! قال: بخير ـ بصوت ضعيف ـ قال: ثم صمت طويلاً ثم تنبّه ، فقال: إيهاً يا أهلَ المدينة! أميرُ المؤمنين يطلب بغيتَه في شرق الأرض وغربها؛ وهو ينتفق بين أظهركم! أقسم بالله لئن خرج لا أترك منكم أحداً إلا ضربت عنقه ، فقال أخي: أصلحك الله! أنا عذيرك منه ، هذا والله الباطل ، قال: فأنت أكثر مَنْ هاهنا عشيرة ، وأنت قاضي أمير المؤمنين ، فادعُ عشيرتك ، قال: فوثب أخي ليخرج ، فقال: اجلس ، اذهب أنت يا ثابت ، فوثبتُ ، فأرسلت إلى بني زُهرة ممن يسكن حشّ طلحة ودار سعد ودار بني أزهر: أن أحضِروا سلاحكم.

قال: فجاء منهم بِشر ، وجاء إبراهيم بن يعقوب بن سعد بن أبي وقاص متنكباً قوساً ـ وكان من أرمى الناس ـ فلما رأيتُ كثرتهم ، دخلت على رياح ، فقلت: هذه بنو زهرة في السلاح يكونون معك. ائذن لهم ، قال: هيهات! تريد أن تُدخل عليّ الرجال طروقاً[1] في السلاح ، قل لهم: فليجلسوا في الرحبة؛ فإن حدث شيء فليقاتلوا ، قال: قلت لهم: قد أبى أن يأذن لكم ، لا والله ما هاهنا شيء ، فاجلسوا بنا نتحدّث.

قال: فمكثنا قليلاً ، فخرج العباس بن عبد الله بن الحارث في خيل يعسُّ حتى جاء رأس الثنيّة ، ثم انصرف إلى منزله وأغلقه عليه؛ فوالله إنا لعلى تلك الحال إذْ طَلع فارسان من قبَل الزّوْرَاء يركضان؛ حتى وقفا بين دار عبد الله بن مُطيع ورحبة القضاء في موضع السقاية ، قال: قلنا: شرّ الأمر والله جدّ ، قال: ثم سمعنا صوتاً بعيداً، فأقمنا ليلاً طويلاً ، فأقبل محمد بن عبد الله من المذاد ومعه مئتان وخمسون رجلاً ، حتى إذا شرع على بني سَلِمة وبُطْحَان ، قال: اسلكوا بني سَلِمة ، سلمنا إن شاء الله ، قال: فسمعنا تكبيراً؛ ثم هدأ الصوت فأقبل حتى إذا خرج من زُقاق ابن حبين استبطن السوق حتى جاء على التمّارين؛ حتى دخل من أصحاب الأقفاص ، فأتى السجن وهو يومئذ في دار ابن هشام ، فدقّه ، وأخرج مَن كان فيه ، ثم أقبل حتى إذا كان بين دار يزيد ودار أويس نظرنا إلى هَوْل من الهوْل[2].

قال: فنزل إبراهيم بن يعقوب ، ونكب كنانته وقال: أرمي؟ فقلنا: لا تفعل ،

---

(١) طروقاً ، أي ليلاً. القاموس ص ١١٦٦.

(٢) جهم بن عثمان: «قال أبو حاتم مجهول [الجرح والتعديل ٢/ ٥٢٢ ، تر ٢١٩٩].

ودار محمد بالرحبة ، حتى جاء بيت عاتكة بنت يزيد ، فجلس على بابها ، وتناوش الناس حتى قتِل رجل سنديّ كان يستصبح في المسجد ، قتله رجل من أصحاب محمد.

قال: وحدّثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، أخبرني جهم بن عثمان؛ قال: خرج محمد من المذاد على حمار ونحن معه ، فولّى خوّات بن بكير بن خوّات بن جبير الرّجالة ، وولّى عبد الحميد بن جعفر الحربة ، وقال: اكفنيها ، فحملها ثم استعفاه منها فأعفاه؛ ووجّهه مع ابنه حسن بن محمد.

قال: وحدثني عيسى، قال: حدّثني جعفر بن عبد الله بن يزيد بن ركانة قال: بعث إبراهيم بن عبد الله إلى أخيه بِحِمْلَى سيوف، فوضعها بالمذاد، فأرسل إلينا ليلة خرج وما نكون؟ مئة رجل! وهو على حمار أعرابيّ أسود، فافترق طريقان: طريق بُطْحان وطريق بني سلمة، فقلنا له: كيف نأخذ؟ قال: على بني سلمة يسلمكم الله؛ قال: فجئنا حتى صرنا بباب مروان.

قال: وحدّثني محمد بن عمرو بن رُتبيل بن نهشل أحد بني يربوع ، عن أبي عمرو المديني[1] شيخ من قريش ـ قال: أصابتْنا السماء بالمدينة أياماً ، فلما أقلعت خرجتُ في غبّها متمطّراً ، فانتسأت عن المدينة؛ فإنّي لفي رَحْلي إذ هبط عليّ رجل لا أدري من أين أتى ، حتى جلس إليّ ، وعليه أطمار له درِنة وعمامة رَثّـة ، فقلت له: مِنْ أين أقبلت؟ قال: من غُنَيمة لي أوصيتُ راعيَها بحاجة لي ، ثم أقبلت أريد أهلي ، قال: فجعلت لا أسلك من العلم طريقاً إلا سبقني إليه ، وكثرني فيه ، فجعلت أعجب له ولما يأتي به ، قلت: ممن الرجل؟ قال: من المسلمين ، قلت: أجل ، فمن أيهم أنت؟ قال: لا عليك؛ ألا تريد؟ قلت: بلى عليّ ذلك ، فمن أنت؟ قال: فوثب وقال:

منخـــرق الخُفّيْـــن يشكـــو الـــوجـــى

الأبيات الثلاثة.

قال: ثم أدبر فذهب؛ فوالله ما فات مدى بصري حتى ندمت على تركه قبل معرفته؛ فاتبعته لأسأله؛ فكأنّ الأرض التأمت عليه ، ثم رجعتُ إلى رَحْلي ، ثم

(١) أبو عمرو المديني لم نجد له ترجمة والله أعلم.

أتيت المدينة فما غبرت إلاّ يومي وليلتي؛ حتى شهدت صلاة الصبح بالمدينة، فإذا رجل يصلّي بنا، لا أعرِف صوته، فقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، فلما انصرف صعد المنبر، فإذا صاحبي، وإذا هو محمد بن عبد الله بن حسن.

قال: وحدّثني إسماعيل بن إبراهيم بن هود مولى قريش، قال: سمعت إسماعيل بن الحكم بن عوانة يخبر عن رجل قد سمّاه بشبيهة بهذه القصة.

قال إسماعيل: فحدّثت بها رجلاً من الأنبار يكنى أبا عبيد؛ فذكر أن محمداً ـ أو إبراهيم ـ وجّه رجلاً من بني ضَبة ـ فيما يحسب إسماعيل بن إبراهيم بن هود ـ ليعلم له بعض علم أبي جعفر، فأتى الرّجلُ المسيّبَ وهو يومئذ على الشُّرَط، فمتّ إليه برحِمه، فقال المسيّب: إنه لابدّ من رفعك إلى أمير المؤمنين، فأدخله على أبي جعفر فاعترف، فقال: ما سمعتَه يقول؟ قال:

شَرَّدَهُ الخَوْفُ فأُزرى به كذاك من يكرهُ حَرّ الجلاد

قال أبو جعفر: فأبلغه أنا نقول:

وخُطَّةِ ذُلٍّ نجعلُ الموتَ دونها نقول لها للموت أهلاً ومرحبَا

وقال: انطلق فأبلغه[(١)].

قال عمر: وحدثني أزهر بن سعيد بن نافع ـ وقد شهد ذلك ـ قال: خرج محمد في أول يوم من رجب سنة خمس وأربعين مئة، فبات بالمذاد هو وأصحابه، ثم أقبل في الليل، فدقّ السجن وبيت المال، وأمر برياح وابن مسلم فحبِسا معاً في دار ابن هشام[(٢)].

قال: وحدّثني يعقوب بن القاسم، قال: حدّثني عليّ بن أبي طالب، قال: خرج محمد لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومئة[(٣)].

---

(١) الملاحظ في الروايات التي أوردها الطبري في خبر خروج محمد ذي النفس الزكية وأخيه أنه يورد في أسانيده مجاهيل ومبهمين بصورة متزايدة كما هاهنا (من رجل) و(رجلاً من الأنبار يكنى أبا عبيد).... إلخ.

(٢) أزهر بن سعيد بن نافع لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر.

(٣) ذكرت كتب التراجم ثلاثة من الرواة بهذا الاسم الأول سمع هيثم بن شداخ كوفي قال ابن معين ليس بشيء كان بعد المئتين، والثاني هو النجار البصري ذكره ابن حبان في الثقات يروى عن الوقاص عن مكحول عن حذيفة روى عنه أبو حاتم والثالث شيخ أسند عنه ابن

وحدّثني عمر بن راشد، قال: خرج لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، فرأيت عليه ليلة خرج قَلَنْسُوة صفراء مضريّة وجبّة صفراء، وعمامة قد شدّ بها حَقْوَيْه وأخرى قد اعتمّ بها، متوشحاً سيفاً، فجعل يقول لأصحابه: لا تقتلوا، لا تقتلوا، فلما امتنعت منهم الدار، قال: ادخلوا من باب المقصورة، قال: فاقتحموا وحرّقوا باب الخَوْخة التي فيها، فلم يستطع أحد أن يمرّ، فوضع رزام مولى القسريّ تُرسه على النار، ثم تخطّى عليه، فصنع الناس ما صنع، ودخلوا من بابها، وقد كان بعض أصحاب رياح مارسوا على الباب، وخرج من كان مع رياح في الدار من دار عبد العزيز من الحمام، وتعلّق رياح في مشربَة في دار مَرْوان، فأمر بدرجها فهُدمت، فصعدوا إليه فأنزلوه وحبسوه في دار مَرْوان، وحبسوا معه أخاه عباس بن عثمان، وكان محمد بن خالد وابن أخيه النذير بن يزيد ورزام في الحبْس، فأخرجهم محمد، وأمر النذير بالاستيثاق من رياح وأصحابه.

قال: وحدّثني عيسى، قال: حدّثني أبي، قال: حبس محمد رياحاً وابن أخيه وابن مسلم بن عُقْبة في دار مروان.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى، قال: حدّثني عبد العزيز بن أبي ثابت، عن خاله راشد بن حفص، قال: قال رزام للنذير: دَعْني وإياه فقد رأيتَ عذابَه إيايَ، قال: شأنك وإياه، ثم قام ليخرج، فقال له رياح: يا أبا قيس؛ قد كنتُ أفعل بكم ما كنت أفعل؛ وأنا بسؤددكم عالم، فقال له النذير: فعلتَ ما كنت أهله، ونفعل ما نحن أهله، وتناوله رزام فلم يزل به رياح يطلب إليه حتى كفّ، وقال: والله إن كنتَ لبَطِراً عند القدرة، لئيماً عند البلية.

قال: وحدّثني موسى بن سعيد الجُمحيّ، قال: حبس رياح محمد بن مَرْوان بن أبي سليط من الأنصار، ثم أحد بني عمرو بن عوف، فمدحه وهو محبوس، فقال:

= عساكر وسمى جده طبيح بن الحسن، انظر كتاب الثقات [٨/ ٤٦١] ولسان الميزان [تر ٥٨٩٥].

ولم يبيّن الطبري من يقصد بعلي الراوي هنا سوى أنه ذكر في (٧/ ٥٧٨) أن الراوي عنه يعقوب بن القاسم لقبه بصنعاء: فالله أعلم.

وما نَسِيَ الذِّمامَ كريمُ قيس ... ولا مُلقَى الرجالِ إلى الرجالِ
إذا ما الباب قَعْقَعَهُ سعيدٌ ... هَدَجنا نحوه هَدْجَ الرِّئال
دبيبَ الذَّر تُصْبحُ حين[1] يمشي ... قِصارَ الخطو غيرَ ذوي اختيال

قال: حدّثني محمد بن يحيى، قال: حدّثني إسماعيل بن يعقوب التيميّ قال: صعد محمد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد أيها الناس؛ فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدوّ الله أبي جعفر ما لم يخفَ عليكم؛ من بنائه القبّة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه، وتصغيراً للكعبة الحرام؛ وإنما أخذ الله فرعون حين قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وإنّ أحقَّ الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين.

اللهمَّ إنَّهم قد أحلّوا حرامَك، وحرّموا حلالك، وآمنوا من أخفت، وأخافوا من آمنت، اللهمّ فأحصهم عدداً، واقتلهم بدَداً، ولا تغادر منهم أحداً، أيّها الناس إني والله ما خرجت من بين أظهركم وأنتم عندي أهل قُوّة ولا شدّة، ولكني اخترتكم لنفسي؛ والله ما جئت هذه وفي الأرض مصْرٌ يعبَد الله فيه إلا وقد أُخِذَ لي في البيعة.

قال: وحدّثني موسى بن عبد الله، قال: حدّثني أبي عن أبيه، قال: لما وجهني رياح بلغ محمداً فخرج من ليلته؛ وقد كان رياحٌ تقدّم إلى الأجناد الّذين معي، إن اطّلع عليهم من ناحية المدينة رجل أن يضربوا عنقي؛ فلما أُتِيَ محمد برياح، قال: أين موسى؟ قال: لا سبيل إليه، والله لقد حدرته إلى العراق، قال: فأرسل في أثره فردّه، قال: قد عهدت إلى الجند الذين معه إن رأوا أحداً مقبلاً من المدينة أن يقتلوه، قال: فقال محمد لأصحابه: مَنْ لي بموسى؟ فقال: ابنُ خضير: أنا لك به، قال: فانظر رجالاً؛ فانتخب رجالاً ثم أقبل. قال: فوالله ما راعنا إلاّ وهو بين أيدينا؛ كأنما أقبل من العراق، فلما نظر إليه الجند قالوا: رسل أمير المؤمنين، فلما خالطونا شَهروا السلاح، فأخذني القائد وأصحابه،

---

(١) إسماعيل بن يعقوب ضعيف الحديث وله حكاية منكرة عن مالك (لسان الميزان/ تر ١٣٩٥).
وانظر الجرح والتعديل (٢/ ٢٠٤/ تر ٦٩٠).

وأناخ بي وأطلقني من وَثاقي ، وشخص بي حتى أقدمني على محمد.

قال عمر: حدثني عليّ بن الجعد ، قال: كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن ألسن قوّاده يدعونه إلى الظهور ، ويخبرونه أنهم معه؛ فكان محمد يقول: لو التقينا مال إليّ القوّاد كلهم.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال: لما أخذ محمد المدينة استعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزوميّ ، وعلى الشّرَط أبا القلمّس عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مخرمة ، وبعث إلى محمد بن عبد العزيز: إني كنت لأظنك ستنصرنا ، وتقيم معنا ، فاعتذر إليه وقال: أفعل؛ ثم انسلّ منه فأتى مكة.

قال: وحدّثني إسماعيل بن إبراهيم بن هود ، قال: حدّثني سعيد بن يحيى أبو سفيان الحميريّ ، قال: حدّثني عبد الحميد بن جعفر ، قال: كنت على شُرَط محمد بن عبد الله حتى وجّهني وجهاً ، وولى شرَطه الزبيريّ.

قال: وحدّثني أزهر بن سعيد بن نافع ، قال: لم يتخلّف عن محمد أحد من وجوه الناس إلاّ نفر؛ منهم الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام ، وأبو سلمة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وخُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير.

قال: وحدّثني يعقوب بن القاسم ، قال: حدّثتني جدّتي كلثم بنت وهب قالت: لما خرج محمد تنحَّى أهلُ المدينة ، فكان فيمن خرج زوجي عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير إلى البَقيع ، فاختبأت عند أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبد الله بن عباس ، قالت: فكتب إليّ عبد الوهاب بأبيات قالها ، فكتبت إليه:

رَحِمَ اللهُ شباباً قاتلوا يومَ الثنيّهْ
قاتلوا عنه: بُنيّاتٌ وأحسابٌ نقيّهْ
فرّ عنهُ الناسُ طُرّاً غيرَ خَيلٍ أَسديّهْ

قالت: فزاد الناس:

قَتَــلَ الــرحمــنُ عيســى قــاتــلَ النفــسِ الــزَّكيّــهْ

قال: وحدّثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن سنان الحكميّ أخُو الأنصار، قال: أخبرني غير واحد أنّ مالك بن أنس استُفتى في الخروج مع محمد، وقيل له: إنّ في أعناقنا بيعةً لأبي جعفر، فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على كل مكرَه يمين، فأسرع الناس إلى محمد، ولزم مالك بيته.

وحدّثني محمد بن إسماعيل، قال: حدّثني ابنُ أبي مليكة مولَى عبد الله بن جعفر، قال: أرسل محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ـ وقد كان بلغ عُمْراً ـ فدعاه محمد حين خرج إلى البيعة، فقال: يا بن أخي، أنت والله مقتول، فكيف أبايعك! فارتدع الناس عنه قليلاً، وكان بنو معاوية قد أسرعوا إلى محمد، فأتته حمادة بنت معاوية، فقالت: يا عمّ، إن إخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم، وإنك إن قلت هذه المقالة ثبّطت عنه الناس، فيقتل ابن خالي وإخوتي، قال: فأبى الشيخ إلاّ النهي عنه؛ فيقال: إنّ حمّادة عدتْ عليه فقتلته؛ فأراد محمد الصلاة عليه، فوثب عليه عبد الله بن إسماعيل، فقال: تأمر بقتل أبي ثم تصلي عليه! فنحّاه الحرس، وصلى عليه محمد.

قال: وحدّثني عيسى، قال: حدثني أبي، قال: أتِيَ محمد بعبيد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ مغمضاً عينيه، فقال: إن عليّ يميناً إن رأيته لأقتلنّه، فقال عيسى بن زيد: دعني أضرب عنقه، فكفّه عنه محمد.

قال: وحدّثني أيوب بن عمر، قال: حدّثني محمد بن معن، قال: حدّثني محمد بن خالد القَسْريّ، قال: لما ظهر محمد وأنا في حَبْس ابن حيّان أطلقني؛ فلما سمعت دعوته التي دعا إليها على المنبر، قلت: هذه دعوة حقّ؛ والله لأبلِيَنّ الله فيها بلاء حسناً، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك قد خرجت في هذا البلد؛ والله لو وُقف على نقْب من أنقابه مات أهلُه جوعاً وعطشاً؛ فانهض معي؛ فإنما هي عشر حتى أضربه بمئة ألف سيف، فأبى عليّ؛ فإني لعنده يوماً إذ قال لي: ما وجدنا من حُرّ المتاع شيئاً أجودَ من شيء وجدناه عند ابن أبي فَرْوة، ختَن أبي الخصيب ـ وكان انتهبَه ـ قال: فقلت: ألا أراك قد أبصرتَ حُرّ المتاع! فكتبتُ

إلى أمير المؤمنين فأخبرته بقلة مَنْ معه ، فعطف عليّ ، فحبسني حتى أطلقني عيسى بن موسى بعد قتله إياه.

قال: وحدّثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال: حدثتني أختي بُريكةُ بنت عبد الحميد ، عن أبيها ، قال: إني لعند محمد يوماً ورجله في حِجْري ؛ إذ دخل عليه خَوّات بن بكير بن خوّات بن جُبير ، فسلم عليه.

فردّ عليه سلاماً ليس بالقوي ، ثم دخل عليه شابٌّ من قريش ، فسلَّم عليه فأحسن الردّ عليه ، فقلت: ما تدع عصبِيّتَك بعد! قال: وما ذلك؟

قلت: دخل عليك سيد الأنصار فسلم فرددت عليه ردّاً ضعيفاً ، ودخل عليك صُعلوك من صعاليك قريش فسلَّم فاحتفلت في الردّ عليه! فقال: ما فعلتُ ذاك ؛ ولكنّك تفقدتَ مني ما لا يتفقد أحد من أحد.

قال: وحدّثني عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال: استعمل محمد الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على مكة ، ووجّه معه القاسم بن إسحاق واستعمله على اليمن.

قال: وحدثني محمد بن إسماعيل عن أهله ، أن محمداً استعمل القاسم بن إسحاق على اليمن وموسى بن عبد الله على الشأم ، يدعوان إليه؛ فقُتل قبل أن يصلا.

قال: وحدّثني أزهر بن سعيد ، قال: استعمل محمد حين ظهر عبد العزيز بن الدراورديّ على السلاح.

قال: وأخبرني محمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زَبَالة وغيرهما ، قالوا: لما ظهر محمد ، قال ابن هَرْمة ـ وقد أنشد بعضهم ما لم ينشد غيرُه لأبي جعفر:

غلبتَ على الخلافة مَن تمنَّى ومنَّاه المُضِلُّ بها الضَّلُولُ
فأَهلك نفسَه سَفَهاً وجُبْناً ولم يُقسَمْ له منها فتيلُ
ووازَرَهُ ذَوُو طَمَعٍ فكانوا غُثاءَ السَّيْل يجمعه السُّيولُ
دَعوا إبليسَ إذ كذبوا وجارُوا فلم يُصْرِخْهمُ المُغوِي الخَذول
وكانوا أهلَ طاعتِهِ فولَّى وسار وراءَه منهم قبيل
وهُمْ لم يُقصِرُوا فيها بحقّ على أثَرِ المُضِلِّ ولم يُطِيلوا

وما النّاسُ احْتَبَوْكَ بها ، ولكن حَبَاكَ بذلك الملك الجليلُ
تراثُ محمد لكمُ وكنتمْ أصولَ الحقِّ إذ نُفِيَ الأُصولُ[1]

قال: وحدّثني محمود بن مَعْمر بن أبي الشدائد الفزاريّ وموهوب بن رشيد بن حيّان الكلابي ، قال: قال أبو الشدائد لما ظهر محمد وتوجّه إليه عيسى:

أتتك النجائبُ والمُقْرَباتُ بعيسى بن موسى فلا تَعْجَلِ

قال: وحدّثني عيسى ، قال: كان محمد آدم شديد الأدْمة ، أدلم[2] جسيماً عظيماً؛ وكان يلقب القارئ من أدْمته ، حتى كان أبو جعفر يدعوه محمّماً.

قال: وحدّثني عيسى ، قال: حدّثني إبراهيم بن زياد بن عنبسة ، قال: ما رأيتُ محمداً رَقِيَ المنبر قطّ إلا سمعت بقعقعة من تحته؛ وإني لبمكاني ذلك.

قال: وحدّثني عبد الله بن عمر بن حبيب ، قال: حدثني من حضر محمداً على المنبر يخطب؛ فاعترض بَلْغَم في حلقه فتنحنح ، فذهب ثم عاد فتنحنح ، فذهب ثم عاد فتنحنح ، ثم عاد فتنحنح ثم نظر فلم ير موضعاً؛ فرمى بنُخامته سَقْف المسجد فألصقها به.

قال: وحدّثني عبد الله بن نافع ، قال: حدّثني إبراهيم بن عليّ من آل أبي رافع ، قال: كان محمد تمتاماً ، فرأيته على المنبر يتلجلج الكلام في صدره ، فيضرب بيده على صَدْره ، ويستخرج الكلام.

قال: وحدثني عيسى ، قال: حدّثني أبي ، قال: دخل عيسى بن موسى يوماً على أبي جعفر ، فقال: سرّك الله يا أمير المؤمنين! قال: فيم؟ قال: ابتعتُ وجه دار عبد الله بن جعفر من بني معاوية؛ حسن ويزيد وصالح ، قال أتفرح! أما والله ما باعوها إلاّ ليثِبوا عليك بثمنها.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن عبد الله بن الربيع بن عبيد الله بن عبد المدان بن عبيد الله ، قال: خرج محمّد بالمدينة ، وقد خطّ المنصور مدينته بغداد

(١) ج: «إذ بقى».

(٢) الأدلم: الشديد السواد من الرجال. القاموس ص ١٤٣١.

بالقصب ، فسار إلى الكوفة وسرتُ معه ، فصيَّح بي فلحقتُه ، فصَمتَ طويلاً ثم قال: يا بن الربيع ، خرج محمد ، قلت: أين؟ قال: بالمدينة ، قلت: هلك والله وأهلك؛ خرج والله في غير عدد ولا رجال يا أميرَ المؤمنين؛ ألا أحدّثك حديثاً حدّثنيه سعيد بن عمرو بن جعدة المخزوميّ؟ قال: كنت مع مَرْوان الزّاب واقفاً ، فقال: يا سعيد ، مَنْ هذا الذي يقاتلني في هذه الخيل؟ قلتُ: عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، قال: أيّهم هو؟ عَرِّفْه ، قلت: نعم ، رجل أصفر حَسَن الوجه رقيق الذراعين ، رجل دخل عليك يشتم عبد الله بن معاوية حين هزم؛ قال: قد عرفته ، والله لوددت أن عليّ بن أبي طالب يقاتلني مكانه؛ إن عليّاً وولده لاحظّ لهم في هذا الأمر ، وهذا رجل من بني هاشم وابن عمّ رسول الله ﷺ وابن عباس ، معه ريح الشأم ونصر الشأم ، يا بن جعدة ، تدري ما حملني على أن عقدتُ لعبد الله وعبيد الله ابني مروان ، وتركتُ عبدَ الملك وهو أكبر من عبيد الله؟ قلتُ: لا ، قال: وجدتُ الذي يلي هذا الأمر عبد الله؛ وكان عبيد الله أقربَ إلى عبد الله من عبد الملك؛ فعقدتُ له ، فقال: أنشدك الله! أحدّثك هذا ابن جعدة! قلت: ابنةُ سفيان بن معاوية طالق البتّة إن لم يكن حدثني ما حدثتك.

قال عمر: وحدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال: خرج إلى أبي جعفر في الليلة التي ظهر فيها محمد رجل من آل أويس بن أبي سَرْح من بني عامر بن لؤيّ ، فسار تسعاً من المدينة ، فقدم ليلاً ، فقام على أبواب المدينة ، فصاح حتى نُذِر به ، فأدخِل ، فقال له الربيع: ما حاجتك هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم! قال: لابدّ لي منه ، قال: أعلمْنا نُعلمْه ، فأبى فدخل الرّبيع عليه فأعلَمه ، فقال: سلْه عن حاجته ثم أعلمني؛ قال: قد أبى الرّجلُ إلا مشافهتك ، فأذن له ، فدخل عليه ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ، خرج محمد بن عبد الله بالمدينة ، قال: قتلتَه والله إن كنت صادقاً! أخبرني مَنْ معه؟ فسمّى له مَن خرج معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته ، قال: أنتَ رأيتَه وعاينتَه؟ قال: أنا رأيته وعاينته وكلمتُه على منبر رسول الله ﷺ جالساً ، فأدخله أبو جعفر بيتاً ، فلما أصبح جاءه رسول لسعيد بن دينار؛ غلام عيسى بن موسى كان يلي أموال عيسى بالمدينة ، فأخبره بأمر محمد ، وتواترت عليه أخباره ، فأخرج الأويسيّ فقال: لأوطئنّ الرجال عَقِيبك ولأغنينّك؛ وأمر له بتسعة آلاف ، لكلّ ليلة سارَها ألفاً.

قال: وحدّثني ابن أبي حرب، قال: لما بلغ أبا جعفر ظهورُه أشفق منه؛ فجعل الحارث المنجّم يقول له: يا أميرَ المؤمنين، ما يجزعك منه! فوالله لو ملك الأرض ما لبث إلا تسعين يوماً[1]. [٧/ ٥٥٢ ـ ٥٦٤].

قال: وحدّثني سهل بن عقيل بن إسماعيل، عن أبيه، قال: لما بلغ أبا جعفر خبره بادر إلى الكوفة، وقال: أنا أبو جعفر؛ استخرجت الثعلب من جُحْره.

قال: وحدّثني عبد الملك بن سليمان، عن حبيب بن مرزوق، قال: حدّثني تسنيم بن الحواريّ، قال: لما ظهر محمد وإبراهيم ابنا عبد الله، أرسل أبو جعفر إلى عبد الله بن عليّ وهو محبوس عنده: إنّ هذا الرجل قد خرج؛ فإن كان عندك رأي فأشِرْ به علينا ـ وكان ذا رأي عندهم ـ فقال: إنَّ المحبوس محبوس الرأي، فأخرجني حتى يخرج رأيي؛ فأرسل إليه أبو جعفر: لو جاءني حتى يضرب بابي ما أخرجتك؛ وأنا خير لك منه، وهو مُلْك أهل بيتك، فأرسل إليه عبد الله: ارتحل الساعة حتى تأتيَ الكوفة، فاجثم على أكبادهم؛ فإنهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم، ثم احففها بالمسالح؛ فمن خرج منها إلى وَجْه من الوجوه أو أتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه؛ وابعث إلى سَلْم بن قتيبة ينحدر عليك ـ وكان بالريّ ـ واكتب إلى أهل الشأم فمرهم أن يحملوا إليك من أهل البأس والنجدة ما يحمل البريد، فأحسِنْ جوائزهم، ووجّههم مع سَلْم ففعل.

قال: وحدّثني العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد، قال: سمعتُ أشياخنا يقولون: لما ظهر محمد ظهر وعبد الله بن عليّ محبوس، فقال أبو جعفر لإخوته: إن هذا الأحمق لا يزال يطلع له الرأي الجيّد في الحرب؛ فادخلوا عليه فشاوروه ولا تُعلموه أني أمرتكم، فدخلوا عليه، فلما رآهم قال: لأمر ما جئتم؛ ما جاء بكم جميعاً وقد هجرتموني منذ دَهْر! قالوا: استأذنَّا أميرَ المؤمنين فأذن لنا، قال: ليس هذا بشيء؛ فما الخبر؟ قالوا: خرج ابن عبد الله، قال: فما ترون ابن سلامة صانعاً؟ يعني أبا جعفر ـ قالوا: لا ندري والله، قال: إنّ البُخل قد

---

(١) وهنا خبر منكر آخر من مناكير المجهول ابن أبي حرب والروايات الصحيحة التي سنذكرها في سيرة أبي جعفر بعد ذكر وفاته تبين أنه كان يستشير العلماء ويتقرب إليهم بعكس ما صوره ابن أبي حرب في أكثر من موضع من أنه كان يستشير المنجمين ويسمع لهم.

قتله ، فمروه فليُخرج الأموال ، فليُعْط الأجناد ، فإن غلب فما أوشك أن يعود إليه مالُه ، وإن غُلب لم يقدم صاحبُه على درهم واحد.

قال: وحدّثنا عبد الملك بن شيبان ، قال: أخبرني زيد مولى مسمع بن عبد الملك ، قال: لما ظهر محمد دعا أبو جعفر عيسى بن موسى ، فقال له: قد ظهر محمد فسرْ إليه ، قال: يا أمير المؤمنين؛ هؤلاء عمومتك حولك ، فادْعهُم فشاورهم ، قال: فأين قول ابن هَرْمة:

تـروْن امْـرَأً لا يُمْحِـض القـومَ سِـرّهُ ... ولا يَنْتَجِـي الأُذْنَيْـنِ فيمـا يحـاولُ
إذا ما أَتى شيئاً مضى كالذي أَبَى ... وإن قـال إنـي فـاعِـلٌ فهـو فـاعِـلُ

قال: وحدّثني محمد بن يحيى ، قال: نسختُ هذه الرسائل من محمد بن بشير؛ وكان بشير يصححها؛ وحدّثنيها أبو عبد الرحمن من كُتّاب أهل العراق والحكم بن صدقة بن نزار ، وسمعت ابن أبي حرب يصحّحُها؛ ويزعم أن رسالة محمد لما وردتْ على أبي جعفر ، قال أبو أيوب: دعني أجبْه عليها ، فقال أبو جعفر: لا بل أنا أجيبه عنها؛ إذ تقارعنا على الأحساب فدعني وإيّاه.

قالوا: لما بلغ أبا جعفر المنصور ظهورُ محمد بن عبد الله المدينة كتب إليه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] ولك عليّ عهد الله وميثاقه وذمَّتُه وذِمَّةُ رسوله ﷺ إنْ تبت ورجَعْت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك وجميعَ ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومَن اتّبعكم على دمائكم وأموالكم ، وأسوّغك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألت من الحوائج ، وأنزِلَك من البلاد حيث شئتَ ، وأن أطلق مَنْ في حبسي من أهل بيتك ، وأن أؤمّن كلّ مَنْ جاءك وبايعك واتبعك ، أو دخل معك في شيء من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً ، فإن أردت أن

---

(١) المائدة: ٣٣ ، ٣٤.

تتوثّق لنفسك ، فوجِّه إليّ مَنْ أحببتَ يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به .

وكتب على العنوان: من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله . فكتب إليه محمد بن عبد الله :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله المهديّ محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾(١) وأنا أعرضُ عليك من الأمان مثلَ الذي عرضْتَ عليّ ، فإنّ الحقّ حَقُّنا؛ وإنما ادّعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا؛ وإنّ أبانا عليّاً كان الوصيّ وكان الإمام؛ فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء! ثم قد علمتَ أنه لم يطلب هذا الأمر أحدٌ له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا؛ لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلَقاء ، وليس يمتّ(٢) أحدٌ من بني هاشم بمثل الذي نمتُّ به من القَرابة والسابقة والفَضْل؛ وإنا بنو أمّ رسول الله ﷺ فاطمة بنت عمرو في الجاهليّة وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم

إن الله اختارنا واختار لنا؛ فوالدنا من النبيين محمد ﷺ ، ومن السلف أوّلهم إسلاماً عليّ ، ومن الأزواج أفضلهنّ خديجة الطاهرة ، وأوّل مَنْ صلى القبلة ، ومن البنات خيرهُنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام حسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنة؛ وإنّ هاشماً ولد عليّاً مرتين(٣)؛ وإن عبد المطلب ولد حسناً مرتين(٤) وإن رسول الله ﷺ ولدني مرّتين من قِبل حسن

---

(١) القصص: ١ ـ ٥.

(٢) يمت ، أي يتوسل ، القاموس ص ٢٠٥ . وبعدها في الكامل: «دونكم».

(٣) يعني علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وعليا زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٤) يعني جده وأبا جده؛ فهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وحسين؛ وإني أوسط بني هاشم نسباً ، وأصرحُهم أباً ، لم تعرّق فيّ العجم[١] ، ولم تنازع فيّ أمهاتُ الأولاد؛ فما زال الله يختارُ لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتى اختار لي في النار؛ فأنا ابن أرفع الناس درجةً في الجنة ، وأهونهم عذاباً في النار[٢] ، وأنا ابن خير الأخيار ، وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار ، ولك الله عليّ إن دخلتَ في طاعتي ، وأجبت دعوتي أن أؤمّنك على نفسك ومالك؛ وعلى كل أمر أحدثته؛ إلا حدّاً من حدود الله أو حقّاً لمسلم أو معاهد؛ فقد علمتَ ما يلزمك من ذلك ، وأنا أوْلى بالأمر منك وأوفى بالعهد؛ لأنك أعطيتَني من العهد والأمان ما أعطيته رجالاً قبلي؛ فأيّ الأمانات تعطيني! أمان ابن هبيرة ، أم أمان عمّك عبد الله بن عليّ ، أم أمان أبي مسلم[٣] !

فكتب إليه أبو جعفر :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ ، فقد بلغني كلامُك ، وقرأتُ كتابَك ، فإذا جلُّ فخرك بقرابة النساء؛ لتضلَّ به الجُفاة والغوغاء؛ ولم يجعل الله النساء كالعُمُومة والآباء ، ولا كالعَصبة والأولياء؛ لأن الله جعل العمّ أباً ، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا[٤] ، ولو كان اختيارُ الله لهنّ على قدر قرابتهنّ كانت آمنةُ أقرَبهنَّ رحِماً ، وأعظمهن حقّاً؛ وأوّل من يدخل الجنة غداً؛ ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم ، واصطفائه لهم .

وأما ما ذكرت من فاطمة أمّ أبي طالب وولادتها؛ فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها[٥] الإسلام لا بنتاً ولا ابناً؛ ولو أن أحداً رُزق الإسلام بالقرابة رُزقه عبد الله

---

(١) يعرض بالمنصور؛ وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة بربرية؛ انظر مروج الذهب (٢ : ٢٩٤) .

(٢) يعني جده أبا طالب .

(٣) كامل المبرد : (١١٣ ـ ١١٦) .

(٤) الكامل : «الوالد الأدنى» ، وبعدها هناك : «فقال جل ثناؤه عن نبيه يوسف عليه السلام : ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾» .

(٥) ذكر الطبري أن أولادها هم : «عبد الله أبو رسول الله ، والزبير ، وعبد الكعبة ، وعاتكة ، وبرة ، وأميمة ، ولد عبد المطلب إخوة ، وأمهم جميعاً فاطمة بنت عمرو» .

أوْلاهم بكلّ خير في الدنيـا والآخرة؛ ولكنّ الأمر لله يختارُ لدينـه من يشاء؛ قال الله عزّ وجل: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (١)؛ ولقد بعث الله محمداً عليه السلام وله عُمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢). فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبي ، وأبى اثنان أحدهما أبوك؛ فقطع الله ولايتهما منه؛ ولم يجعل بينه وبينهما إلاًّ ولا ذمة ولا ميراثاً. وزعمتَ أنك ابن أخفّ أهل النار عذاباً وابن خير الأشرار؛ وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير؛ وليس في الشرّ خيار؛ ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وستردُ فتعلم ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (٣).

وأما ما فخرت به من فاطمة أمّ عليّ وأنّ هاشماً ولده مرتين ، ومن فاطمة أمّ حسن ، وأن عبد المطلب ولده مرتين؛ وأن النبيّ ﷺ ولدك مرتين؛ فخير الأوّلين والآخرين رسولُ الله ﷺ ولم يلده هاشم إلاّ مرةً ولا عبد المطلب إلا مرّة.

وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً ، وأصرحهم أمّاً وأباً؛ وأنه لم تلدك العجَمُ ولم تعرّق فيك أمّهاتُ الأولاد؛ فقد رأيتُك فخرت على بني هاشم طرّاً؛ فانظر ويحك أين أنْتَ من الله غداً! فإنك قد تعدَّيتَ طَوْرك ، وفخرت على مَنْ هو خير منك نفساً وأباً وأولاً وآخراً ، إبراهيم (٤) بن رسول الله ﷺ وعلى والد ولده؛ وما خيار بني أبيك خاصّة وأهل الفضل منهم إلاّ بنو أمهات أولاد ، وما وُلد فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضلُ من عليّ بن حسين؛ وهو لأمّ (٥) ولد؛ ولهو خيرٌ من جدّك حسن بن حسن؛ وما كان فيكم بعده مثلُ ابنه محمد بن عليّ ، وجدّتُه أمّ ولد؛ ولهو خيرٌ من أبيك ، ولا مثلُ ابنه جعفر وجدّته أمّ ولد؛ ولهو خيرٌ منك.

وأما قولك: إنكم بنو رسول الله ﷺ؛ فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ مَّا كَانَ

---

(١) القصص: ٥٦.
(٢) الشعراء: ٢١٤.
(٣) الشعراء: ٢٢٧.
(٤) أم إبراهيم مارية التي أهداها المقوقس عظيم القبط إلى رسول الله ﷺ.
(٥) أم علي زين العابدين؛ سبية من بنات يزدجرد. وانظر ابن خلكان (١ : ٣٢٠).

مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[١] ، ولكنكم بنو ابنته؛ وإنها لقرابة قريبة؛ ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة؛ فكيف تورَث بها! ولقد طلبها أبوك بكلّ وجه فأخرجها نهاراً ، ومَرضها سرّاً ، ودفنها ليلاً؛ فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما؛ ولقد جاءت السنّة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجدّ أبا الأم والخال والخالة لا يرثون.

وأما ما فخرت به من عليّ وسابقته ، فقد حضرتْ رسولَ الله ﷺ الوفاةُ ، فأمر غيرَه بالصّلاة ، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه؛ وكان في الستّة فتركوه كلهم دفعاً له عنها ، ولم يروْا له حقّاً فيها؛ أما عبد الرحمن فقدّم عليه عثمان ، وقُتِل عثمان وهو له متَّهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعَته ، وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاويةَ بعده ، ثم طلبها بكلّ وجه وقاتل عليها ، وتفرّق عنه أصحابه ، وشكّ فيه شيعتُه قبل الحكومة ، ثم حكَّم حكَمين رضي بهما ، وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه ، ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرَق ودراهم ولحق بالحجاز؛ وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله؛ وأخذ مالاً من غير ولائه ولا حِلّه؛ فإنْ كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ، ثم خرج عمّك حسين بن عليّ على ابن مَرْجانة[٢] ، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه ، وأتْوا برأسه إليه ، ثم خرجتم على بني أميّة ، فقتلوكم وصلَّبوكم على جُذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفوْكم من البلدان؛ حتى قُتِل يحيى بن زيد بخُراسان ، وقتلوا رجالكم وأسروا الصِّبيْة والنساء ، وحملوهم بلا وطاء في المحامل[٣] كالسّبْى المجلوب إلى الشأم؛ حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسنّينا سلفكم وفضّلناه ، فاتخذتَ ذلك علينا حجة.

وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضّلناه للتقدمة منّا له على حمزة والعباس

---

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) هو عبيد الله بن زياد ، ومرجانة أمه.

(٣) الوطاء: المهاد الوطيء. القاموس ص ٧٠. والمحمل: شقان على البعير؛ يحمل فيهما العديلان؛ وجمعه محامل. القاموس ص١٢٧٦ . في الكامل: «ثم أتوابكم على الأقتاب من غير أوطئة كالسبي المجلوب».

وجعفر؛ وليس ذلك كما ظننت؛ ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلَّماً منهم ، مجتمَعاً عليهِم بالفضل ، وابتُلي أبوك بالقتال والحرب؛ وكانت بنو أميّة تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له وذكّرناهم فضله وعنّفناهم وظلّمناهم بما نالوا منه ، ولقد علمتَ أن مكرُمتنا في الجاهلية سقايةُ الحجيج الأعظم ، وولاية زمزم؛ فصارت للعباس من بين إخوته؛ فنازعَنا فيها أبوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام ، ولقد قحط أهلُ المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربّه ولم يتقرّب إليه إلا بأبينا ، حتى نعَشهم الله وسقاهم الغيث ، وأبوك حاضرٌ لم يتوسّل به؛ ولقد علمت أنه لم يبق أحدٌ من بني عبد المطلب بعد النبيّ ﷺ غيرُه؛ فكان وراثَه من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غيرُ واحد من بني هاشم فلم يَنَلْه إلا ولدُه؛ فالسقايةُ سقايتُه وميراثُ النبيّ له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شَرَفٌ ولا فضل في جاهلية ولا إسلام في دنيا ولا آخرة إلاّ والعباس وارثه وموِرّثه .

وأما ما ذكرت من بَدْر؛ فإن الإسلام جاء والعباس يمون أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم للأزمة التي أصابته؛ ولولا أنّ العباس أخرج إلى بدر كارهاً لمات طالب وعَقِيل جوعاً ، ولَلَحسا جِفان عُتْبة وشيبة؛ ولكنه كان من المطعِمين ، فأذهب عنكم العار والسبّة ، وكفاكم النَّفقة والمؤونة ، ثم فدى عَقِيلاً يوم بَدْر؛ فكيف تفخر علينا وقد عُلْناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحُزْنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه؛ ولم تدركوا لأنفسكم! والسلام عليك ورحمة الله[1] .

قال عمر بن شبّة: حدثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال: أجمع ابن القسريّ على الغدر بمحمد ، فقال له: يا أمير المؤمنين ، ابعث موسى بن عبد الله ومعه رزاماً مولايَ إلى الشأم يدعوان إليك.

فبعثهما فخرج رزام بموسى إلى الشأم ، وظهر محمد على أن القسريّ كتب إلى أبي جعفر في أمره ، فحبسه في نفر ممن كان معه في دار ابن هشام التي في قبلة مصلى الجنائز ـ وهي اليوم لفرج الخصيّ ـ وورد رزام بموسى الشأم ، ثم

---

(١) كامل المبرد ٤ : ١١٦ ـ ١٢٠ .

انسلَّ منه ، فذهب إلى أبي جعفر ، فكتب موسى إلى محمد: إني أخبرك أني لقيت الشأم وأهله ، فكان أحسنهم قولاً الذي قال: والله لقد مللنا البلاء ، وضقنا به ذرعاً؛ حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ، ولا لنا به حاجَة؛ ومنهم طائفة تحلف: لئن أصبحنا من ليلتنا أو مسّينا من غد ليرفعنّ أمرنا وليدلنّ علينا؛ فكتبت إليك وقد غيبت وجهي ، وخفت على نفسي ، قال الحارث: ويقال إنّ موسى ورزاماً وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور توجهوا إلى الشأم في جماعة؛ فلما ساروا بتيْماء ، تخلّف رزام ليشتري لهم زاداً ، فركب إلى العراق ، ورجع موسى وأصحابه إلى المدينة.

قال: وحدّثني عيسى ، قال: حدثني موسى بن عبد الله ، ببغداد ورزام معنا ، قال: بعثني محمد ورزاماً في رجال معنا إلى الشأم ، لندعُوَ له؛ فإنا لبدَوْمَة الجِندل؛ إذا أصابنا حرٌّ شديد؛ فنزلنا عن رواحلنا نغتسل في غدير ، فاستلَّ رزام سيفه ، ثم وقف على رأسي ، وقال: يا موسى ، أرأيتَ لو ضربتُ عنقك ثم مضيت برأسك إلى أبي جعفر؛ أيكون أحد عنده في منزلتي! قال: قلت: لا تدع هزلَك يا أبا قيس! شمْ سيفك غفر الله لك. قال: فشام سيفه ، فركبنا ، قال عيسى: فرجع موسى قبل أن يصل إلى الشأم ، فأتى البصرة هو وعثمان بن محمد ، فدُلّ عليهما ، فأخِذا.

قال: وحدّثني عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير ، قال: حدّثني أخي عبد الله بن نافع الأكبر ، قال: لما ظهر محمد لم يأته أبي نافع بن ثابت ، فأرسل إليه ، فأتاه وهو في دار مَرْوان ، فقال: يا أبا عبد الله ، لم أرك جئتنا! قال: ليس فيّ ما تريد ، فألحّ عليه محمد؛ حتى قال: البس السلاحَ يتأسّ بك غيرك ، فقال: أيها الرجل؛ إني والله ما أراك في شيء؛ خرجتَ في بلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كُراع ولا سلاح؛ وما أنا بمهلك نفسي معك ، ولا معين على دمي ، قال: انصرفْ؛ فلا شيء فيك بعد هذا قال: فمكث يختلف إلى المسجد إلى أن قُتِل محمد ، فلم يصلّ في مسجد رسول الله ﷺ يومُ قُتل إلا نافع وحدَه.

ووجّه محمد بن عبد الله لما ظهر ـ فيما ذكر عمر بن أزهر بن سعيد بن نافع ـ الحسن بن معاوية إلى مكة عاملاً عليها ، ومعه العباس بن القاسم ـ رجل من آل أبي لهب ـ فلم يشعر بهم السريّ بن عبد الله حتى دنَوْا من مكة ، فخرج إليهم ،

فقال له مولاه: ما رأيك؟ قد دنونا منهم ، قال: انهزِموا على بركة الله ، وموْعدكم بئر ميمون ، فانهزموا؛ ودخلها الحسن بن معاوية ، وخرج الحسين بن صَخْر ـ رجل من آل أوَيس ـ من ليلته ، فسار إلى أبي جعفر تسعاً فأخبره فقال: «قد أنصف الْقَارة من رَاماها»[1] ، وأجازه بثلاثمئة درهم.

قال: وحدّثني أيوب بن عمر ، قال: حدّثني محمد بن صالح بن معاوية ، قال: حدّثني أبي ، قال: كنت عند محمد حين عقد للحسن بن معاوية على مكة ، فقال له الحسن: أرأيت إن التحم القتال بيننا وبينهم ، ما ترى في السريّ؟ قال: يا حسن ، إن السريّ لم يزل مجتنباً لما كرهنا ، كارهاً للذي صنع أبو جعفر ، فإن ظفرتَ به فلا تقتله؛ ولا تحركنّ له أهلاً ، ولا تأخذنّ له متاعاً ، وإن تنحّى فلا تطلبنّ له أثراً ، قال: فقال له الحسن: يا أميرَ المؤمنين ، ما كنت أحسبك تقول هذا في أحد من آل العباس ، قال: بلى ، إن السريّ لم يزل ساخطاً لما صنع أبو جعفر.

قال: وحدّثني عمر بن راشد مولى عَنْج ، قال: كنت بمكة ، فبعث إلينا محمد حين ظهر الحسن بن معاوية والقاسم بن إسحاق ومحمد بن عبد الله بن عنبسة يدعى أبا جبرة ، أميرهم الحسنُ بن معاوية ، فبعث إليهم السريّ بن عبد الله كاتبه مسكين بن هلال في ألف ، ومولى له يدعى مسكين بن نافع في ألف ، ورجلاً من أهل مكة يقال له ابن فرس ـ وكان شجاعاً ـ في سبعمئة ، وأعطاه خمسمئة دينار ، فالتقوْا ببطن أذاخر بين الثنيّتيْن وهي الثنيّة التي تهبط على ذي طُوىً ، منها هبط النبي ﷺ وأصحابه إلى مكة ، وهي داخلة في الحَرم ، فتراسلوا؛ فأرسل حسن إلى السريّ أن خلّ بيننا وبين مكة ، ولا تُهريقوا الدماء في حرم الله ، وحلف الرسولان للسريّ: ما جئناك حتى مات أبو جعفر ، فقال لهما السريّ: وعليّ مثل ما حلفتما به؛ إن كانت مضت لي أربعة؛ منذ جاءني رسول من عند أمير المؤمنين ، فأنظروني أربع ليال؛ فإني أنتظر رسولاً لي آخر ، وعليّ ما يصلحكم ، ويصلح دوابكم ، فإن يكن ما تقولونه حقّاً سلّمتها إليكم؛ وإن يكن باطلاً أجاهدكم حتى تغلبوني أو أغلبكم؛ فأبى الحسن ، وقال: لا نبرح حتى

(١) مثل ، والقارة: قبيلة من عضل؛ وكانوا من رماة العرب.

نناجزَك ، ومع الحسن سبعون رجلاً وسبعة من الخيل ، فلما دنوْا منه ، قال لهم الحسن: لا يقدَمنّ أحد منكم حتى ينفخ في البوق؛ فإذا نفخ فلتكن حملتُكم حملة رجل واحد ، فلما رهِقْناهم وخشي الحسن أن يغشاه وأصحابَه ، ناداه: انفخ ويحك في البوق! فنفخ ووثبوا وحملوا علينا حَمْلة رجل واحد ، فانهزم أصحاب السريّ ، وقتل منهم سبعة نفر ، قال: واطلع عليهم بفرسانٍ من أصحابه وهم من وراء الثنيّة في نفر من قريش قد خرج بهم ، وأخذ عليهم لينصُرُنَّه ، فلما رآهم القرشيّون قالوا: هؤلاء أصحابَك قد انهزموا ، قال: لا تعجلوا ، إلى أن طلعت الخيل والرجال في الجبال؛ فقيل له: ما بقي؟ فقال: انهزِموا على بركة الله ، فانهزموا حتى دخلوا دار الإمارة ، وطرحوا أداة الحرْب ، وتسوّروا على رجل من الجند يكنى أبا الرزام ، فدخلوا بيته فكانوا فيه ، ودخل الحسن بن معاوية المسجد ، فخطب الناس ونعى إليهم أبا جعفر ودعا لمحمد.

قال: وحدّثني يعقوب بن القاسم ، قال: حدّثني الغمر بن حمزة بن أبي رملة ، مولى العباس بن عبد المطلب ، قال: لما أخذ الحسن بن معاوية مكة ، وفرّ السريّ بلغ الخبر أبا جعفر ، فقال: لهفِي على ابن أبي العَضَل.

قال: وحدّثني ابن أبي مُساور بن عبد الله بن مساور مولى بني نائلة من بني عبد الله بن مُعيْص ، قال: كنت بمكة مع السريّ بن عبد الله ، فقدم عليه الحسنُ بن معاوية قبل مخرج محمد ـ والسريّ يومئذ بالطائف وخليفته بمكة ابن سُراقة من بني عديّ بن كعب ـ قال: فاستعدى عتبة بن أبي خداش اللِّهْبيّ على الحسن بن معاوية في دَيْنٍ عليه فحبسه ، فكتب له السريّ إلى ابن أبي خداش: أما بعد فقد أخطأتَ حظّك ، وساء نظرك لنفسك حين تحبس ابنَ معاوية؛ وإنما أصبت المال من أخيه ، وكتب إلى ابن سراقة يأمره بتخليته وكتب إلى ابن معاوية يأمره بالمقام إلى أن يقدَم فيقضي عنه ، قال: فلم يلبث أن ظهر محمد ، فشخص إليه الحسن بن معاوية عاملاً على مكة ، فقيل للسريّ: هذا ابن معاوية قد أقبل إليك ، قال: كلا ما يفعل وبلائي عنده [بلائي] وكيف يخرج إليّ أهل المدينة! فوالله ما بها دار إلا وقد دخلها لي معروف ، فقيل له: قد نزل فجاء. قال: فشخص إليه ابن جريج ، فقال له: أيها الرجل ، إنك والله ما أنتَ بواصل إلى مكة وقد اجتمع أهلُها مع السريّ ، أتُراك قاهراً قريشاً وغاصبها على دارها! قال: يا بن

الحائك ، أبأهل مكة تخوّفني! والله ما أبيت إلا بها أو أموت دونها ، ثم وثب في أصحابه ، وأقبل إليه السريّ ، فلقيه بفخّ ، فضرب رجل من أصحاب الحسن مسْكين بن هلال كاتب السريّ على رأسه فشجّه ، فانهزم السريّ وأصحابه ، فدخلوا مكة ، والتفّ أبو الرزام ـ رجل من بني عبد الدار ثم أحد آل شيبة ـ على السريّ ، فواراه في بيته ، دخل الحسن مكة ، ثم إن الحسن أقام بمكة يسيراً ، ثم ورد كتاب محمد عليه يأمره باللحاق به.

وذكر عمر عن عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال: سمعتُ من لا أحصى من أصحابنا يذكر أنّ الحسن والقاسم لما أخذا مكة ، تجهّزا وجمعا جمعاً كثيراً ، ثم أقبلا يريدان محمداً ونُصرته على عيسى بن موسى؛ واستخلفا على مكة رجلاً من الأنصار؛ فلما كانا بقُدَيْد لقيهما قتْلُ محمد ، فتفرّق الناس عنهما ، وأخذ الحسن على بَسْقة ـ وهي حرّة في الرمل تدعى بسَقة قُدَيد ـ فلحق بإبراهيم؛ فلم يزل مقيماً بالبصرة حتى قُتل إبراهيم ، وخرج القاسم بن إسحاق يريد إبراهيم؛ فلما كان ببديع من أرض فَدَك ، لقيه قتلُ إبراهيم ، فرجع إلى المدينة ، فلم يزل مختفياً حتى أخذت ابنة عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر؛ زوجة عيسى بن موسى ، له ولإخوته الأمان فظهر بنو معاوية ، وظهر القاسم.

قال: وحدّثني عمر بن راشد مولى عنج ، قال: لما ظهر الحسن بن معاوية على السريّ أقام قليلاً حتى أتاه كتاب محمد يأمره بالشخوص إليه؛ ويخبره أن عيسى قد دنا من المدينة ، ويستعجله بالقدوم ، قال: فخرج من مكة يوم الإثنين في مطر شديد ـ زعموا أنه اليوم الذي قُتِل فيه محمد ـ فتلقاه بريدٌ لعيسى بن موسى بأمَج ـ وهو ماء لخزاعة بين عُسفان وقُديد ـ بقتل محمد ، فهرب وهرب أصحابه.

قال عمر: وحدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبي سيار ، قال: كنت حاجبَ محمد بن عبد الله فجاءني راكبٌ من الليل ، قال: قدمتُ من البصرة ، وقد خرج بها إبراهيم ، فأخذها قال: فجئتُ دار مَرْوان ، ثم جئت المنزل الذي فيه محمد ، فدققتُ الباب ، فصاح بأعلى صوته: من هذا؟ قلت: أبو سيّار ، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ اللهم إني أعوذ بك من شرّ طوارق الليل؛ إلا طارق يطرق منك بخير ، قال: خير! قلت: خير ، قال: ما وراءك؟ قلت: أخذ إبراهيم البَصْرة ـ [قال]: وكان محمد إذا صلى المغرب

والصبح صاح صائح: ادعوا الله لإخوانكم من أهل البصرة، وللحسن بن معاوية واستنصروه على عدوّكم.

* * *

قال: وحدّثني عيسى، قال: قدِم علينا رجل من أهل الشأم، فنزل دارنا - وكان يكنى أبا عمرو - فكان أبي يقول له: كيف ترى هذا الرجل؟

فيقول: حتى ألقاه فأسبُره ثم أخبرك، قال عيسى: فلقيه أبي بعد، فسأله فقال: هو والله الرجل كلّ الرجل؛ ولكن رأيتُ شحم ظهره ذراعاً، وليس هكذا يكون صاحبَ الحرب، قال: ثم بايعه بعد، وقاتل معه.

قال: وحدّثني عبد الله بن محمد بن سلْم - يدعَى ابنَ البواب مولَى المنصور - قال: كتب أبو جعفر إلى الأعمش كتاباً على لسان محمد، يدعوه إلى نصرته، فلما قرأه قال: قد خَبرناكم يا بني هاشم؛ فإذا أنتم تحبّون الثريد، فلما رجع الرسول إلى أبي جعفر فأخبره، قال: أشهد أنّ هذا كلام الأعمش.

وحدّثني الحارث، قال: حدّثني ابنُ سعد، عن محمد بن عمر، قال: غلب محمد بن عبد الله على المدينة، فبلغنا ذلك، فخرجنا ونحن شباب، أنا يومئذ ابنُ خمس عشرة سنة، فانتهينا إليه؛ وهو قد اجتمع إليه الناس ينظرون إليه؛ ليس يُصَدّ عنه أحد؛ فدنوتُ حتى رأيته وتأملته؛ وهو على فَرَس، وعليه قميص أبيض محشوّ وعمامة بيضاء؛ وكان رجلاً أحزم؛ قد أثَّر الجُدريّ في وجهه، ثم وجّه إلى مكة فأخِذت له، وبيّضوا؛ ووجّه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة، فأخذها وغلبها وبيّضوا معه. [٧/ ٥٦٤ - ٥٧٧].

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر، قال عمر: وحدّثني محمد بن يحيى، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق، قال: ندَب أمير المؤمنين أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال محمد، وقال: لا أبالي أيّهما قتل صاحبه؛ وضمّ إليه أربعة آلاف من الجُنْد، وبعث معه محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين.

قال: وحدّثني عبد الملك بن شيبان، عن زيد مولى مسمع، قال: لما أمر

أبو جعفر عيسى بن موسى بالشخوص ، قال: شاوِرْ عمومَتك ، فقال له: امضِ أيها الرجل؛ فوالله ما يراد غيري وغيرك؛ وما هو إلاّ أن تشخص أو أشخص؛ قال: فسار حتى قدم علينا ونحن بالمدينة.

قال: وحدّثني عبد الملك بن شيبان ، قال: دعا أبو جعفر ابنَ حنظلة البَهرانيّ - وكان أبرص طُوالاً ، وأعلم الناس بالحرب ، وقد شهد مع مَرْوان حروبه - فقال: يا جعفر ، قد ظهر محمد ، فما عندك؟ قال: وأين ظهر؟ قال: بالمدينة ، قال: فاحمد الله ، ظهر حيث لا مالَ ولا رجال ولا سلاح ولا كُراع؛ ابعث مولىً لك تثق به فليسِرْ حتى ينزل بوادي القرى؛ فيمنعه مِيرة الشأم ، فيموت مكانه جوعاً ، ففعل.

قال: وحدّثني عبد الملك بن راشد بن يزيد ، قال: سمعتُ أصحابنا إسماعيل بن موسى وعيسى بن النّضْر وغيرهما يذكرون أنّ أبا جعفر قدّم كَثير بن حُصَيْن العبدّي ، فعسكر بفيد ، وخندق عليه خندقاً؛ حتى قدم عليه عيسى بن موسى ، فخرج به إلى المدينة ، قال عبد الله: فأنا رأيتُ الخندق قائماً دهراً طويلاً ، ثم عفا ودَرس.

قال: وحدّثني يعقوب بن القاسم ، قال: حدّثني عليّ بن أبي طالب ، - ولقيته بصنعاء - قال: قال أبو جعفر لعيسى حين بعثه إلى محمد: عليك بأبي العسكر مسمع بن محمد بن شيبان بن مالك بن مسمع ، فسرْ به مَعك؛ فإني قد رأيته منعَ سعيد بن عمرو بن جعَدة بن هبيرة من أهل البصرة؛ وهم محلبون عليه[1]؛ وهو يدعو إلى مَرْوان؛ وهو عند أبي العسكر يأكل المخّ بالطَّبرْزَد ، فخرج به عيسى؛ فلما كان ببطن نخل ، تخلّف هو والمسعوديّ بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود حتى قُتِل محمد ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال لعيسى بن موسى: ألاّ ضربت عنقه!

وحدّثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عليّ بن أبي طالب ، قال: أخبرني أبي ، قال: قال أبو جعفر لعيسى بن موسى حين ودّعه: يا عيسى؛ إنّي أبعثك إلى ما بَيْن هذين - وأشار إلى جنبيه - فإن ظفرت بالرجل فشِمْ سيفك ، وابذل الأمان؛

---

(١) أحلب القوم ، أي جاؤوا من كل وجه للحرب. أو غير ذلك ، اللسان (١/ ٣٣٢).

وإن تغيب فضمّنهم إياه حتى يأتوك به ، فإنهم يعرفون مذاهبه ، قال : فلما دخلها عيسى فعل ذلك .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وجّه أبو جعفر إلى محمد بن عبد الله بالمدينة عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، ووجّه معه محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين وعدّةً من قُوّاد أهل خراسان وجندهم ، وعلى مقدّمة عيسى بن موسى حُميد بن قحطبة الطائي ، وجهّزهم بالخيل والبغال والسلاح والمِيرة ، فلم ينزل ، ووجّه مع عيسى بن موسى ابن أبي الكرام الجعفريّ؛ وكان في صحابة أبي جعفر ، وكان مائلاً إلى بني العباس ، فوثق به أبو جعفر فوجّهه . . .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر بن شبّة ، قال عمر : وحدّثني عيسى ، عن أبيه ، قال : كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى : مَنْ لقيَك من آل أبي طالب فاكتب إليّ باسمه ، ومَنْ لم يلقك فاقبض ماله ، قال : فقبض عين أبي زياد ـ وكان جعفر بن محمد تغيَّب عنه ـ فلما قدم أبو جعفر كلمه جعفر ، وقال : مالي ، قال : قد قبضه مهديُّكم . [٧/ ٥٧٧ ـ ٥٧٩] .

* * *

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : لما صار عيسى بفَيْد كتب إلى رجال من أهل المدينة في خِرَقِ الحرير؛ منهم عبد العزيز بن المطّلب المخزوميّ وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحيّ ، فلما وردتْ كتبه المدينة ، تفرقّ ناسٌ كثير عن محمد؛ منهم عبد العزيز بن المطلب؛ فأخِذ فُردَّ ، فأقام يسيراً؛ ثم خرج ، فرُدّ مرّة أخرى؛ وكان أخوه عليّ بن المطلب من أشدّ الناس مع محمد؛ فكلم محمّداً في أخيه حتى كفه عنه .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : كتب عيسى بن موسى إلى أبي في حريرة صفراء جاء بها أعرابيٌ بين خصافيْ نعله ، قال عيسى : فرأيتُ الأعرابيَّ قاعداً في دارنا ، وإني لصبيٌّ صغير؛ فدفعها إلى أبي فإذا فيها :

إن محمداً تعاطى ما ليس يعطيه الله ، وتناول ما لم يُؤته الله ، قال عزّ وجل في

كتابه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١) .

فعجل التخلص وأقلّ التربُّص ، وادعُ مَنْ أطاعك من قومك إلى الخروج معك .

قال: فخرج وخرج معه عمر بن محمد بن عمر ، وأبو عَقِيل محمد بن عبد الله بن محمد بن عَقِيل ، قال: ودعوا الأفطس حسن بن عليّ بن أبي طالب إلى الخروج معهم فأبَى ، وثبت مع محمد؛ وذُكر خروجهم لمحمد فأرسل إلى ظَهْرهم فأخذه؛ فأتاه عمر بن محمد ، فقال: أنت تدعو إلى العَدْل ونفي الجور؛ فما بال إبلي تؤخذ! فإنما أعددتها لحجّ أو عُمْرة ، قال: فدفعها إليه ـ فخرجوا من تحت ليلتهم؛ فلقوا عيسى على أربع ـ أو خمس ـ من المدينة .

قال: وحدّثني أيوب بن عمر بن أبي عمرو بن نعيم بن ماهان ، قال: كتب أبو جعفر إلى رجال من قريش وغيرهم كتباً ، وأمر عيسى: إذا دنا من المدينة أن يبعث بها إليهم ، فلما دنا بعث بها إليهم؛ فأخذ حرسُ محمد الرسولَ والكتب ، فوجد فيها كتاباً إلى إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر وإلى جماعة من رؤساء قريش ، فبعث محمد إلينا جميعاً ما خلا ابن عمر وأبا بكر بن سبْرة ، فحُبسنا في دار ابن هشام التي في المصلّى .

قال أبي: وبعث إليّ وإلى أخي ، فأُتِيَ بنا فضُرِبنا ثلاثمئة ، قال: فقلت له وهو يضربني ويقول: أردتَ أن تقتلني! تركتُك وأنت تستتر بحجر وبيت شعر؛ حتى إذا صارت المدينة في يدك ، وغلُظ أمرك ، قمتُ عليك فبِمَنْ أقوم! أبطاقتي أم بمالي ، أم بعشيرتي! قال: ثم أمر بنا إلى الحبس ، وقُيِّدنا بكُبول وسلاسل تبلغ ثمانين رطلاً ، قال: فدخل عليه محمد بن عجلان ، فقال: إني ضربتُ هذين الرجلين ضرباً فاحشاً ، وقيّدتهما بما منعهما من الصلاة ، قال: فلم يزالا محبوسَين حتى قدم عيسى .

قال: وحدّثني محمد بن يحيى قال: حدّثني عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم ، قال: إنا لعند محمد ليلة ـ

(١) آل عمران: ٢٦ .

وذلك عند دُنوّ عيسى من المدينة - إذ قال محمد: أشيروا عليّ في الخروج والمقام، قال: فاختلفوا، فأقبل عليّ فقال: أشرْ عليّ يا أبا جعفر، قلت: ألستَ تعلم أنك أقلُّ بلاد الله فرساً وطعاماً وسلاحاً، وأضعفها رجالاً؟ قال: بلى، قلت: ألست تعلم أنك تقاتل أشدّ بلاد الله رجلاً وأكثرها مالاً وسلاحاً؟ قال: بلى، قلت: فالرأي أن تسير بمن معك حتى تأتي مصرَ، فوالله لا يردّك رادّ، فتقاتل الرّجل بمثل سلاحه وكُراعه ورجاله وماله. فصاح حُنين بن عبد الله: أعوذ بالله أن تخرج من المدينة! وحدّثه أن النبيّ ﷺ قال: «رأيتُني في درع حصينة فأوّلتُها المدينة».

قال: وحدثني محمد بن إسماعيل بن جعفر، عن الثقة عنده، قال: أجاب محمداً لما ظهر أهلُ المدينة وأعراضها وقبائل من العرب؛ منهم جُهينة ومُزَينة وسُليم وبنو بكر وأسْلَم وغِفار؛ فكان يقدّم جُهينة؛ فغضبت من ذلك قبائل قيس.

قال محمد: فحدثني عبد الله بن معروف أحد بني رياح بن مالك بن عصيَّة بن خُفاف - وقد شهد ذاك - قال: جاءت محمداً بنو سُلَيم على رؤسائها، فقال متكلّمهم جابر بن أنس الرياحيّ: يا أميرَ المؤمنين؛ نحن أخوالُك وجيرانُك، وفينا السلاح والكُراع، والله لقد جاء الإسلام والخيْل في بني سليم أكثر منها بالحجاز؛ لقد بقي فينا منها ما إن بقي مثلُه عند عربيّ تسكن إليه البادية، فلا تخندق الخندق؛ فإن رسول الله خندق خندقه لما الله أعلم به؛ فإنك إن خندقتَه لم يحسن القتال رجّالة، ولم تُوَجّه لنا الخيل بين الأزقّة؛ وإن الذين يخندقَ دونهم هم الذين يقاتلون فيها؛ وإن الذين يخندَق عليهم يحول الخندق دونهم، فقال أحد بني شجاع: خندقَ رسول الله فاقتدِ برأيه؛ أوَ تريد أن تَدَع رأي رسول الله ﷺ لرأيك! قال: إنه يا بن شجاع ما شيء أثقل عليك وعلى أصحابك من لقائهم؛ ولا شيء أحبّ إليّ وإلى أصحابي من مناجزتهم، فقال محمد: إنما اتّبعنا في الخندق أثر رسول الله ﷺ، فلا يردّني عنه أحدٌ، فلست بتاركه.

قال: وحدثني محمد بن يحيى، عن الحارث بن إسحاق، قال: لما تيقّن محمد أن عيسى قد أقبل حَفر الخندق، خندق النبيّ ﷺ الذي كان حفره للأحزاب.

قال: وحدّثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، قال: حدّثني محمد بن عَطيّة

مولى المطلبيّين ، قال: لما حفر محمد الخندقَ ركب إليه وعليه قَباء أبيض ومِنطقة ، وركب الناس معه؛ فلما أتى الموضع نزل فيه؛ بدأ هو فحفر بيده؛ فأخرج لبِنةً من خَنْدق النبيّ ﷺ ، فكبّر وكبّر الناس معه ، وقالوا: أبشر بالنَّصْر؛ هذا خندق جدّك رسول الله ﷺ .

قال: وحدثني محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال: حدثني مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير ، قال: لما نزل عيسى الأعوْصَ رقِيَ محمد المنبَر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن عدوّ الله وعدوّكم عيسى بن موسى قد نزل الأعوص؛ وإن أحقّ الناس بالقيام بهذا الدين ، أبناء المهاجرين الأوّلين والأنصار المواسين.

قال: وحدّثني إبراهيم بن أبي إسحاق العبسيّ ـ شيخ من غطفان ـ قال: أخبرني أبو عمرو مؤدب محمد بن عبد الرحمن بن سليمان ، قال: سمعت الزبيريّ الذي قتله أبو جعفر ـ يعني عثمان بن محمد بن خالد ـ قال: اجتمع مع محمّد جمع لم أر مثله ولا أكثر منه؛ إني لأحسب أنا قد كنا مئة ألف؛ فلما قرب عيسى خَطَبنا ، فقال: يا أيها الناس؛ إنّ هذا الرجل قد قرُب منكم في عدد وعُدّة؛ وقد حللتُكم من بيعتي؛ فمن أحبّ المقام فليقم ، ومن أحبّ الانصراف فلينصرف ، فتسللوا حتى بقي في شِرْذمة ليست بالكثيرة.

قال: وحدّثني موهوب بن رشيد بن حيّان بن أبي سليمان بن سمعان؛ أحد بني قَريظ بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، قال: حدّثني أبي ، قال: لما ظهر محمّد جمع الناس وحشرهم ، وأخذ عليهم المناقب فلا يخرج أحد؛ فلما سمع بعيسى وحُميد بن قحطبة قد أقبلا ، صعِد المنبر ، فقال: يا أيها الناس؛ إنّا قد جمعناكم للقتال؛ وأخذنا عليكم المناقب؛ وإن هذا العدوّ منكم قريب؛ وهو في عدد كثير ، والنصر من الله والأمر بيده؛ وإنه قد بدا لي أن آذن لكم وأفرج عنكم المناقب؛ فمن أحبَّ أن يقيم أقام ، ومَنْ أحبّ أن يظعن ظعن ، قال أبي: فخرج عَالمٌ من الناس؛ كنت فيهم؛ فلما كنا بالعُرَيض ـ وهو على ثلاثة أميال من المدينة ـ لقيتْنا مقدّمةُ عيسى بن موسى دون الرُّحبْة؛ فما شبَهت رجالهم إلاّ رِجْلاً من جراد. قال: فمضينا وخالفونا إلى المدينة.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال:

خرج ناس كثير من أهل المدينة بذراريّهم وأهليهم إلى الأعراض والجبال ، فأمر محمد أبا القَلَمّس ، فرَدّ مَنْ قدر عليه منهم ، فأعجزه كثير منهم ، فتركهم.

قال: وحدّثني عيسى ، قال: حدثني الغاضريّ ، قال: قال لي محمد: أعطيك سلاحاً وتقاتل معي؟ قلت: نعم؛ إن أعطيتَني رمحاً أطعنهم به؛ وهم بالأعوص وسيفاً أضربهم به وهم بهيفا ، قال: ثمّ مكث غير كثير ، ثم بعث إليّ فقال: ما تنتظر؟ قلت: ما أهون عليك ـ أبقاك الله ـ أن أقتَل وتمرّوا؛ فيقال: والله إن كان لبادياً! قال: ويحك! قد بيّض أهل الشأم وأهل العراق وخُراسان ، قال: قلت: اجعل الدنيا زبدةً بيضاء وأنا في مثل صوفة الدواة ، ما ينفعني هذا وعيسى بالأعوص!

قال: وحدّثني عيسى ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال: وجّه أبو جعفر مع عيسى بن موسى بابن الأصمّ يُنزله المنازل ، فلما قدموا نزلوا على ميل من مسجد رسول الله ﷺ ، فقال ابن الأصمّ: ألا إنّ الخيل لا عمل لها مع الرّجالة؛ وإني أخاف إن كشفوكم كشفةً أو يدخلوا عسكرهم.

فرفعهم إلى سقاية سليمان بن عبد الملك بالجُرْف ـ وهي على أربعة أميال من المدينة ـ وقال: لا يهرول الرّاجل أكثر من ميلين أو ثلاثة حتى تأخذَه الخيل.

قال: وحدّثني عيسى ، قال: قال: حدثني محمد بن أبي الكرام ، قال: لمّا نزل عيسى طَرَف القَدُوم أرسل إليّ نصفَ الليل ، فوجدتُه جالساً والشمع والأموال بين يديه ، فقال: جاءتني العيون تخبرني أنّ هذا الرجل في ضعف؛ وأنا أخاف أن ينكشف؛ وقد ظننتُ ألاّ مسلك له إلاّ إلى مكة ، فاضمُم إليك خمسمئة رجل؛ فامضِ بهم معانداً عن الطريق حتى تأتيَ الشجَرة فتقيم بها ، قال: فأعطاهم على الشّمع ، فخرجتُ بهم حتى مررتُ بالبصرة بالبطحاء ـ وهي بطحاء ابن أزهر على ستة أميال من المدينة ـ فخاف أهلها؛ فقلتُ: لابأس عليكم؛ أنا محمد بن عبد الله ، هل من سويق؟ قال: فأخرجوا إلينا سويقاً ، فشربنا وأقمنا بها حتى قتِل محمد.

قال: وحدّثني محمد بن إسماعيل؛ عن الثقة عنده ، قال: لما قرُب عيسى أرسل إلى محمد القاسمَ بن الحسن بن زيد يدعوه إلى الرُّجوع عمّا هو عليه ، ويخبره أنّ أمير المؤمنين قد آمنه وأهل بيته ، فقال محمد للقاسم: والله لولا أنّ

الرّسل لا تقتل لضربتُ عنقك؛ لأني لم أرك منذ كنت غلاماً في فرقتين؛ خير وشرّ ، إلاّ كنتَ مع الشرّ على الخير ، وأرسل محمد إلى عيسى : يا هذا؛ إنّ لك برسول الله قرابةً قريبةً ، وإني أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بطاعته ، وأحذّرك نقمته وعذابه؛ وإني والله ما أنا بمنصرف عن هذا الأمر حتى ألقى الله عليه؛ فإياك أن يقتلك مَنْ يدعوك إلى الله ، فتكون شرّ قتيل ، أو تقتله فيكون أعظمَ لوزرك ، وأكثر لمأثمك ، فأرسل هذه الرسالة مع إبراهيم بن جعفر ، فبلّغه ، فقال : ارجعْ إلى صاحبك ، فقل له : ليس بيننا إلاّ القتال .

قال : وحدّثني إبراهيم بن محمد بن أبي الكرام بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر ، قال : أخبرني أبي ، قال : لما قرب عيسى من المدينة ، أرسلني إلى محمد بأمانه ، فقال لي محمد : علام تقاتلونني وتستحلّون دمي ، وإنما أنا رجل فرَّ من أن يُقتل! قال : قلت : إنّ القوم يدعونك إلى الأمان ، فإن أبيت إلاّ قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك عليٌّ وطلحةَ والزبير؛ على نكث بيعتهم وكيد ملكهم ، والسعى عليهم ، قال : فأخبرتُ بذلك أبا جعفر ، فقال : والله ما سرّني أنك قلت له غير ذلك ، وأن لي كذا وكذا .

قال : وحدّثني هشام بن محمد بن عُروة بن هشام بن عروة ، قال : أخبرني ماهان بن بخت مولى قحطبة ، قال : لما صرْنا بالمدينة أتانا إبراهيم بن جعفر بن مصعب طليعة ، فطاف بعسكرنا حتى حسّه كله ، ثم ولّى ذاهباً .

قال : فرعبنا منه والله رعْباً شديداً؛ حتى جعل عيسى وحميد بن قَحْطبة يعجبان فيقولان : فارس واحد طليعةً لأصحابه! فلما ولّى مَدَى أبصارنا نظرنا إليه مقيماً بموضع واحد ، فقال حميد : ويحكم! انظروا ما حالُ الرجل؛ فإني أرى دابته واقفاً[1] لا تَزول؛ فوجّه إليه حميد رجلين من أصحابه ، فوجدا دابته قد عثر به؛ فصرعه فقوّس التنور عنقه ، فأخذا سلبه ، فأتِينا بتنور ـ قيل إنه كان لمصعب بن الزبير ـ مُذْهب لم يُرَ مثله قطّ .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : نزل عيسى بقصر سليمان بالجُرْف ، صَبِيحة ثنتى عشرة من رمضان من سنة خمس

---

(١) تقع الدابة على المذكر والمؤنث. القاموس ص ١٠٥ .

وأربعين ومئة ، يوم السبت ، فأقام يوم السبت ويوم الأحد وغدا يوم الإثنين ، حتى استوى على سَلْع ، فنظر إلى المدينة وإلى مَنْ دخلها وخرج منها ، وشحن[1] وجوهها كلها بالخيل والرّجال إلا ناحية مسجد أبي الجرّاح؛ وهو على بُطحان؛ فإنه تركه لخروج مَنْ هرب ، وبرز محمد في أهل المدينة.

قال: وحدّثني عيسى ، قال: حدّثنا محمد بن زيد ، قال: قدمنا مع عيسى ، فدعا محمداً ثلاثاً: الجمعة والسبت والأحد.

قال: وحدّثني عبد الملك بن شيبان ، قال: حدثني زيد مولى مِسمَع ، قال: لمّا عسكر عيسى أقبل على دابة يمشي حواليه نحو من خمسمئة وبين يديه راية يُسار بها معه؛ فوقف على الثنيّة ونادى: يا أهل المدينة؛ إن الله قد حرّم دماء بعضنا على بعض؛ فهلمّوا إلى الأمان؛ فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ، ومَن دخل داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن؛ ومَن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن ، خلّوا بيننا وبين صاحبنا فإمّا لنا أو له ، قال: فشتموه وأقذعوا له ، وقالوا: يا بن الشاة ، يا بن كذا ، يا بن كذا ، فانصرف يومه ذاك ، وعاد من الغد ففعل مثل ذلك ، فشتموه؛ فلما كان اليوم الثالث أقبل بما لم أر مثله قطّ من الخيل والرجال والسلاح؛ فوالله ما لبثنا أن ظهر علينا ونادى بالأمان ، فانصرف إلى معسكره.

قال: وحدثني إبراهيم الغَطفانيّ ، قال: سمعت أبا عمرو مؤدّب محمد بن عبد الرحمن يحدّث عن الزبيريّ - يعني عثمان بن محمد بن خالد - قال: لما التقينا نادى عيسى بنفسه: أيا محمد ، إن أمير المؤمنين أمرني ألاّ أقاتلك حتى أعرض عليك الأمان ، فلك عليَّ نفسك وأهلك وولدك وأصحابك ، وتُعطى من المال كذا وكذا ، ويُقضىٰ عنك دينك ، ويُفعل بك ويفعل! قال: فصاح: محمد الهُ عن هذا ، فوالله لو علمتَ أنه لا يثنيني عنكم فَزَع ، ولا يقرّبني منكم طمع ما كان هذا ، قال: ولجّ القتال ، وترجّل محمد؛ فإني لأحسبه قتَل بيده يومئذ سبعين رجلاً.

قال: وحدّثني عيسى ، قال: حدّثني محمد بن زيد ، قال: لما كان يوم

---

(١) في اللسان (١٣/ ٢٣٤): «شحن البلد بالخيل ملأه ، والبلد شحنة من الخيل ، أي رابطة».

الإثنين ، وقف عيسى على ذُباب ، ثم دعا مولى لعبد الله بن معاوية كان معه؛ وكان على مجففته ، قال: خذ عشرة من أصحابك؛ أصحاب التجافيف؛ فجاء بهم ، فقال لنا: ليقم معه عشرة منكم يا آل أبي طالب ، قال: فقمنا معه ، ومعنا ابنا محمد بن عمر بن عليّ: عبد الله وعمر ، ومحمد بن عبد الله بن عَقيل ، والقاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ ، وعبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر؛ في عشرة منّا ، فقال: انطلقوا إلى القوم ، فادعوهم وأعطوهم أماناً؛ وبقيَ أمان الله ، قال: فخرجنا حتى جئنا سوق الحطّابين؛ فدعوْناهم فسبُّونا ورشقونا بالنَّبل ، وقالوا: هذا ابن رسول الله معنا ونحن معه؛ فكلمهم القاسم بن الحسن بن زيد ، فقال: وأنا ابنُ رسول الله؛ وأكثر من ترون بنو رسول الله؛ ونحن ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وحقْن دمائكم والأمان لكم؛ فجعلوا يسبُّوننا ويرشقوننا بالنبل ، فقال القاسم لغلامه: القَطْ هذه النّبل ، فلقطها فأخذها قاسم بيده ، ثم دخل بها إلى عيسى ، فقال: ما تنتظر! انظر ما صنعوا بنا ، فأرسل عيسى بن حميد قَحْطبة في مئة.

قال: حدّثني أزهر بن سعيد بن نافع ، قال: حدّثني أخواي عثمان ومحمد ابنا سعيد ـ وكانا مع محمد ـ قالا: وقف القاسم بن الحسن ورجل معه من آل أبي طالب على رأس ثنيّة الوداع ، فدعَوْا محمداً إلى الأمان ، فسبّهما فرجعا ، وأقبل عيسى وقد فرّق القواد فجعل هزارمرد عند حمّام بن أبي الصعْبة ، وكثير بن حُصَين عند دار ابن أفلَح التي ببقيع الغرْقد ، ومحمد بن أبي العباس على باب بني سلمة ، وفرّق سائر القوّاد على أنقاب المدينة ، وصار عيسى في أصحابه على رأس الثنيّة ، فرَموا بالنشاب والمقاليع ساعة.

وحدثني أزهر ، قال: جعل محمد ستور المسجد دراريع لأصحابه.

قال: وحدّثني عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال: حدّثني عمر؛ شيخ من الأنصار ، قال: جعل محمد ظلال المسجد خَفاتين لأصحابه ، فأتاه رجلان من جُهينة ، فأعطى أحدهما خَفْتاناً ولم يعط الآخر ، فقاتل صاحب الخَفْتان ، ولم يقاتل الآخر معه؛ فلما حضرت الحرب أصابت صاحب الخَفْتان نُشابَة ، فقتلته ، فقال صاحبه:

يـــا ربِّ لا تجعَلنـــي كمَـــنْ خـــانْ   وبـــاع بـــاقـــي عَيْشِـــهِ بِخفْتـــانْ

قال: وحدّثني أيوب بن عمر، قال: حدّثني إسماعيل بن أبي عمرو، قال: إنا لَوقوف على خندق بني غِفار؛ إذ أقبل رجل على فَرس؛ ما يُرَى منه إلاّ عيناه، فنادى: الأمان، فأعطي الأمان، فدنا حتى لصق بنا، فقال: أفيكم مَنْ يبلِّغ عني محمداً؟ قلت: نعم، أنا، قال: فأبلِغْه عني - وحسر عن وجهه؛ فإذا شيخ مخضوب - فقال: قل له: يقول لك فلان التميميّ، بآية أنّى وإياك جلسنا في ظل الصخرة في جبل جُهينة في سنة كذا، اصبر إلى الليل؛ فإن عامة الجند معك، قال: فأتيته، قبل أن يَغْدُوَ - وذلك يوم الإثنين في اليوم الذي قُتل فيه - فوجدت بين يديه قِرْبة عسل أبيض قد شُقَّت من وسطها، ورجل يتناول من العسل ملء كفه، ثم يغمسه في الماء، ثم يلقمه إياه، ورجل يحزم بطنه بعمامة؛ فأبلغتُه الرسالة فقال: قد أبلغتَ، فقلت: أخواي في يدك، قال: مكانُهما خير لهما.

قال: وحدّثني إبراهيم بن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير، قال: حدّثني محمد بن عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، قال: كانت راية محمد إلى أبي، فكنت أحملها عنه.

قال: وحدّثني عيسى، عن أبيه، قال: كان مع الأفطس حسن بن عليّ بن حسين عَلم أصفر، فيه صورةُ حيّة، ومع كلّ رجل من أصحابه، من آل عليّ بن أبي طالب علَم، وشعارهم: أحَد أحَد، قال: وكذلك كان شعار النبيّ ﷺ يوم حُنَين.

قال: وحدّثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم، قال: أخبرنا جَهْم بن عثمان مولى بني سُلَيم ثم أحد بني بَهْز، قال: قال لي عبد الحميد بن جَعْفر يوم لقيَنا أصحابُ عيسى: نحن اليوم على عِدّة أهل بدر يوم لَقُوا المشركين - قال: وكنا ثلاثمئة ونيّفاً[(١)].

قال: وحدّثني إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس، قال: سمعت أبي يقول: وُلِد عيسى بن موسى في سنة ثلاث ومئة، وشهد حرب محمد وإبراهيم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وعلى مقدّمته حميد بن قَحْطبة، وعلى مَيمنته محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين، وعلى

---

(١) هذا خبر منكر سنداً ومتناً وجهم بن عثمان منكر الحديث.

ميسرته داود بن كِرّاز من أهل خُراسان ، وعلى ساقته الهيثم بن شعبة .

قال : وحدّثني عيسى ، عن أبيه ، قال : لقى أبو القلمّس محمد بن عثمان ، أخا أسد بن المرزبان بسوق الحطابين ، فاجتلدا بسيفيهما حتى تقطّعا ثم تراجعا إلى مواقفهما ، فأخذ أخو أسد سيفاً ، وأخذ أبو القلمّس بأثفيّة ، فوضعها على قَرَبُوس سَرْجه ، وستَرها بدِرْعه ، ثم تعاودا ، فلما تدانيا قام أبو القلمّس في ركائبه ؛ ثم ضرب بها صَدْره فصرعه ، ونزل فاحتزّ رأسه .

قال : وحدّثني محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال : حدثني عبدُ الله بن عمر بن القاسم بن عبد الله العمريّ ، قال : كنا مع محمد ، فبرز رجل من أهل المدينة ؛ مولى لآل الزبير يدعى القاسم بن وائل ، فدعا للبراز ، فبرز إليه رجل لم أرَ مثل كماله وعُدّته ؛ فلما رآه ابن وائل انصرف ، قال : فوجَدنا من ذلك وجداً شديداً ، فإنا لعلى ذلك إذ سمعتُ خَشْف[1] رجل ورائي ، فالتفتّ فإذا أبو القلمّس ، فسمعتُه يقول : لعن الله أميرَ السفهاء ، إن ترك مثل هذا اجترأ علينا! وإن خرج رجل خرج إلى أمر عسى ألاّ يكون من شأنه قال : ثم برز له فقتله .

قال : وحدّثني أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : خرج القاسم بن وائل يومئذ من الخندق ، ثم دعا للبراز ، فبرز له هزارمرد ، فلما رآه القاسم هابه ، فرجع فبرز له أبو القلمّس ، فقال : ما انتفع في مثل هذا اليوم بسيفه قطّ ، ثم ضربه على حبْل عاتقه فقتله ، فقال : خذها وأنا ابن الفاروق ، فقال رجل من أصحاب عيسى : قتلتَ خيراً من ألف فاروق .

قال : وحدّثني عليّ أبو الحسن الحذّاء من أهل الكوفة ، قال : حدّثني مسعود الرّحال ، قال : شهدت مقتل محمد بالمدينة ، فإنّي لأنظر إليهم عند أحجار الزّيت ، وأنا مشرف عليهم من الجَبل ـ يعني سَلْعاً ـ إذ نظرت إلى رجل من أصحاب عيسى قد أقبل مستلئماً في الحديد ؛ لا يُرى منه إلاّ عيناه ، على فرس ؛ حتى فَصَل من صفّ أصحابه ، فوقف بين الصّفين ، فدعا للبراز ؛ فخرج إليه رجل من أصحاب محمد ، عليه قَباء أبيض ، وكُمّة بيضاء ، وهو راجل ، فكلمه مليّاً ، ظننت أنه استرجله لتستوى حالاهما ، فنظرتُ إلى الفارس ثَـنَى رجله ، فنزل ،

(١) الخشف : الصوت الخفي ، أو الحركة . القاموس ص ١٠٣٩ .

ثم التقيا فضربه صاحب محمد ضربة على خُوذة حديد على رأسه ، فأقعده على استِهِ وقِيذاً لا حراك به ، ثم انتزع الخُوذة ، فضرب رأسه فقتله ، ثم رجع فدخل في أصحابه ، فلم ينشب أنْ خرج من صفّ عيسى آخر؛ كأنه صاحبه ، فبرز له الرّجُل الأوّل ، فصنع به مثل ما صنع بصاحبه ، ثم عاد إلى صفّه ، وبرز ثالث فدعاه ، فبرز له فقتله ، فلما قتل الثالث ولّى يريد أصحابه ، فاعتوره أصحاب عيسى فرموْه فأثبتوه ، وأسرع يريد أصحابَه ، فلم يبلغهم حتى خرَّ صريعاً فقتلوه دونهم.

وحدّثني عيسى ، قال: أخبرني محمد بن زيد ، قال: لما أخبرْنا عيسى برميهم إيانا ، قال لُحميد بن قَحْطبة: تقدّم ، فتقدم في مئة كلهم راجل غيره معهم النشاب والترسة ، فلم يلبثوا أن زحفوا إلى جدار دون الخندق ، عليه أناس من أصحاب محمد ، فكشفوهم ووقفوا عند الجدار ، فأرسل حُميد إلى عيسى بهدْم الجدار ، قال: فأرسل إلى فَعَلَة فهدموه ، وانتهوا إلى الخندق ، فأرسل إلى عيسى: إنا قد انتهينا إلى الخندق ، فأرسل إليه عيسى بأبواب بقدر الخندق ، فعبروا عليها؛ حتى كانوا من ورائه ، ثم اقتتلوا أشدّ القتال من بُكْرة حتى صار العصر.

وحدّثني الحارث ، قال: أخبرنا ابنُ سعد ، قال: قال محمد بن عمر: أقبل عيسى بن موسى بمَنْ معه ، حتى أناخ على المدينة ، وخرج إليه محمد بن عبد الله ومَنْ معه ، فاقتتلوا أياماً قتالاً شديداً ، وصبَر نفر من جُهينة ، يقال لهم بنو شجاع مع محمد بن عبد الله ، حتى قُتِلوا وكان لهم غَناء.

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر: حدثني أزهر ، قال: أمرهم عيسى فطرحوا حقائب الإبل في الخندق فأمر ببابي دار سعد بن مسعود التي في الثنيّة فطُرحا على الخندق؛ فجازت الخيل ، فالتقوْا عند مفاتح خَشْرم ، فاقتتلوا حتى كان العصر.

حدثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ، قال: انصرف محمد يومئذ قبل الظهر حتى جاء دار مَرْوان ، فاغتسل وتحنّط ، ثم خرج ، قال عبد العزيز بن أبي ثابت: فحدّثني عبد الله بن جعفر ، قال: دنوتُ منه ، فقلت له: بأبي أنت! إنه والله ما لك بما رأيتَ طاقة ، وما معك أحد يصدُق

القتال؛ فاخرج الساعة حتى تلحق بالحسن بن معاوية بمكة؛ فإنّ معه جِلّة أصحابك ، فقال: يا أبا جعفر؛ والله لو خرجتُ لقتل أهل المدينة؛ والله لا أرجع حتى أقتُل أو أقتَل؛ وأنت مني في سعة؛ فاذهب حيث شئت ، فخرجت معه حتى إذا جاء دار ابن مسعود في سوق الظهر ركضتُ فأخذت على الزيّاتين ، ومضى إلى الثنيّة ، وقُتل من كان معه بالنّشاب وجاءت العصر فصلّى.

حدّثني محمد بن الحسن بن زَبالة ، قال: حدّثني إبراهيم بن محمد ، قال: رأيت محمداً بين داري بني سعد ، عليه جُبّة ممشّقة ، وهو على بِرْذون ، وابنُ خُضَير إلى جانبه يناشده الله إلاّ مضى إلى البصرة أو غيرها؛ ومحمد يقول: والله لا تُبْتلون بي مرتين؛ ولكن اذهب حيث شئت فأنت في حلّ.

قال ابن خُضير: وأين المذهب عنك! ثم مضى فأحرق الديوان ، وقتل رِياحاً ثم لحقه بالثنيّة ، فقاتل حتى قتِل.

وحدثني الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال: خرج مع محمد بن عبد الله بن خُضير؛ رجل من ولد مُصعب بن الزبير؛ فلما كان اليوم الذي قتل فيه محمد ، ورأى الخلل في أصحابه ، وأنّ السيف قد أفناهم؛ استأذن محمداً في دخول المدينة فأذن له؛ ولا يعلم ما يريد؛ فدخل على رياح بن عثمان بن حيّان المُرّيّ وأخيه ، فذبحهما ثم رجع؛ فأخبر محمداً ، ثم تقدّم فقاتل حتى قُتِل من ساعته.

رجع الحديث إلى حديث عمر: حدثني أزهر ، قال: حدثني أخي ، قال: لما رجع ابن خُضير قتل رياحاً وابن مسلم بن عُقْبة.

وحدثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال: ذبح ابن خُضير رياحاً ولم يُجْهِز عليه ، فجعل يضرب برأسه الجِدار حتى مات؛ وقتل معه عباساً أخاه؛ وكان مستقيمَ الطريقة ، فعاب الناسُ ذلك عليه؛ ثم مضى إلى ابن القَسْريّ وهو محبوس في دار ابن هشام ، فنذِر به فردم بابي الدار دونَه ، فعالج البابين ، فاجتمع مَنْ في الحبس فسدّوهما ، فلم يقدر عليهم؛ فرجع إلى محمد ، فقاتل بين يديه حتى قُتِل.

حدّثني مسكين بن حبيب بن محمد ، قال: لما جاءت العصر صلاها محمد

في مسجد بني الديل ، في الثنيّة ، فلما سلّم استسقى ، فسقته رَبيحة بنت أبي شاكر القرشية ، ثم قالت له: جعلت فداك انجُ بنفسك ، قال: إذاً لا يبقى بها ديكٌ يصرخ؛ ثم مضى فلما كان ببطن مسيل سلْع ، نزل فعرقبَ دابته ، وعرقب بنو شجاع دوابهم ، ولم يبق أحد إلا كسر غِمْد سيفه ، قال مسكين: فلقد رأيتُني وأنا غلام ، جمعت من حَليها نحواً من ثلاثمئة درهم؛ ثم قال لهم: قد بايعتموني ولستُ بارحاً حتى أقتَل ، فمن أحبّ أن ينصرف فقد أذنتُ له ، ثم أقبل على ابن خُضَير ، فقال له: قد أحرقتَ الديوان؟ قال: نعم ، خفت أن يؤخذ الناس عليه؟ قال: أصبت.

حدثني أزهر ، قال: حدّثني أخوَاي ، قالا: لقد هزمْنا يومئذ أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثاً ، ولكنا لم نكن نعرف الهزيمة؛ ولقد سمعنا يزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، يقول ، وقد هزمناهم: ويل أمه فَتْحاً لو كان له رجال!

حدثني عيسى ، قال: كان ممّن انهزم يومئذ وفرّ عن محمد عبدُ العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فأرسل محمد وراءه ، فأتِيَ به ، فجعل الصبيان يصيحون وراءه: «ألا باقة بقبقبة» ، فكان عبد العزيز يقول بعد ذلك: إن أشدّ ما أتى عليَّ لصياح الصبيان.

وحدّثني عيسى ، قال: حدّثنا مولى لهشام بن عُمارة بن الوليد بن عديّ بن الخيار ، قال: كنا مع محمد ، فتقدّم هشام بن عُمارة إليه وأنا معه ، فقال: إني لا آمن أن يخذُلك مَنْ ترى ، فأشهد أنّ غلامي هذا حرٌّ لوجه الله إن رمتُ أبداً أو تُقتَل أو أقتَل أو نُغلَب؛ فقلت: فوالله إنّي لمعه إذ وقعت بترسه نشابة ، ففلقته باثنتين ، ثم خسفت في درْعه ، فالتفت إليَّ فقال: فلان! قلت: لبيك؟! قال: ويلك! رأيتَ مثل هذا قطّ يا فلان! أيما أحبّ إليك؛ نفسي أم أنت؟ قلت: لا بل نفسك ، قال: فأنت حرّ لوجه الله ، فانطلق هارباً.

وحدّثني متوكل بن أبي الفحوة ، قال: حدّثني محمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن أبي فَرْوة ، قال: إنّا لعلى ظهر سلْع نَنظر ، وعليه أعاريب جُهينة ، إذ صعد إلينا رجل بيده رُمْح ، قد نصب عليه رأس رجل متّصلٌ بحلقومه وكبده وأعْفَاج بطنه ، قال: فرأيتُ منه منظراً هائلاً ، وتطيّرت منه الأعاريب ، وأجفلت هاربة حتى أسهلت ، وعلا الرّجُل الجبل ، ونادى على الجبل رطانة لأصحابه

بالفارسية «كوهبان»؛ فصعد إليه أصحابه حتى علوْا سلْعاً فنصَبُوا عليه راية سوداء، ثم انصبُّوا إلى المدينة، فدخلوها، وأمرتُ أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب - وكانت تحت عبد الله بن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس - بخمار أسود، فنصب على منارة مسجد رسول الله ﷺ؛ فلمّا رأى ذلك أصحابُ محمد تنادوا: دُخِلت المدينة، وهربوا، قال: وبلغ محمّداً دخول الناس من سلْع، فقال: لكلّ قوم جبل يعصمهم؛ ولنا جبل لا نؤتَى إلاّ منه.

وحدثني محمد بن إسماعيل، عن الثقة عنده، قال: فتح بنو أبي عمرو الغفاريون للمسوّدة طريقاً في بني غفار، فدخلوا منه حتى جاؤوا من وراء أصحاب محمد.

وحدّثني محمد بن يحيى، قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، قال: نادى محمد يومئذ حُميد بن قحطبة: إن كنتَ فارساً وأنت تعْتَدّ ذاك على أهل خُراسان فابرز لي، فأنا محمد بن عبد الله، قال: قد عرفتُك وأنت الكريم ابن الكريم، الشريف ابن الشريف؛ لا والله يا أبا عبد الله لا أبرز لك وبين يديّ من هؤلاء الأغمار إنسان واحد؛ فإذا فرغتُ منهم فسأبرزُ لك لَعَمْري.

وحدثني عثمان بن المنذر بن مصعب بن عروة بن الزبير، قال: حدّثني رجل من بني ثعلبة بن سعد، قال: كنت بالثنيّة يوم قُتِل محمد بن عبد الله بن حسن ومعه ابن خضير، قال: فجعل ابن قحطبة يدعو ابنَ خضير إلى الأمان، ويشحّ به عن الموت، وهو يشدّ على الناس بسيفه مترجّلاً، يتمثل:

لا تَسْقِهِ حَزراً ولا حليباً ... إن لم تجدْه سابحاً يَعْبُوبَا
ذا مَيْعَةٍ يَلتَهِمُ الجبوبَا ... كالذئب يتلو طَمَعاً قريبا
يبادر الآثارَ أن تَئُوبا ... وحاجبَ الجَونةِ أَن يغيبا

قال: فخالط الناس، فضربه ضارب على أَلْيَته فخلّها، فرجع إلى أصحابه، فشقّ ثوباً فعصّبها إلى ظهره، ثم عاد إلى القتال، فضربه ضارب على حَجَاج عينه[1]، فأغمض السيف في عينه، وخرّ فابتدره القوم، فحزُّوا رأسه؛ فلما قتِل

---

(١) الحجاج: العظم الذي يثبت عليه الحاجب. اللسان (٢/ ٢٢٩) القاموس ص ٢٣٤.

ترجّل محمد ، فقاتل على جيفته حتى قتل.

وحدثني مخلّد بن يحيى بن حاضر بن المهاجر الباهليّ ، قال: سمعتُ الفضل بن سليمان مولى بني نُمير يخبِر عن أخيه ـ وكان قد قتل له أخ مع محمد ـ قال: كان الخُراسانية إذا نظروا إلى ابن خُضير تنادوا: «خضير آمد ، خضير آمد!» ، وتصعصعوا[1] لذلك.

وحدثني هشام بن محمد بن عروة بن هشام بن عروة ، قال: أخبرني ماهان بن بخت مولى قَحْطبة ، قال: أتِينا برأس ابن خضير؛ فوالله ما جعلنا نستطيع حَمْله لما كان به من الجِراح؛ والله لكأنه باذنجانة مفلّقة ، وكنا نضمُّ أعظَمهُ ضمّاً.

وحدثني أزهر بن سعيد ، قال: لما نظر أصحاب محمد إلى العلم الأسود على مَنارة المسجد فتّ ذلك في أعضادهم ، ودخل حُميد بن قحطبة من زُقاق أشجع على محمد فقتله وهو لا يشعر ، وأخذ رأسه فأتَى به عيسى ، وقتَل معه بشراً كثيراً.

قال: وحدثني أبو الحسن الحذّاء ، قال: أخبرني مسعود الرّحال ، قال: رأيت محمداً يومئذ باشرَ القتال بنفسه ، فأنظر إليه حين ضربه رجلٌ بسيف دون شحمة أذنه اليمنى ، فبرك لرُكبتيه وتعاوروا عليه ، وصاحَ حُميد بن قحطبة: لا تقتلوه ، فكفُّوا ، وجاء حميد فاحتزّ رأسه.

وحدثني محمد بن يحيى ، قال: حدثني الحارث بن إسحاق ، قال: برك محمد يومئذ لركبتيْه وجعل يذبّ عن نفسه ويقول: ويحكم! أنا ابن نبيكم ، محرَج مظلوم!

وحدثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني ابن أبي ثابت؛ عن عبد الله بن جعفر ، قال: طعنه ابن قَحطبة في صدره فصَرعه ، ثم نزل فاحتزّ رأسه ، فأتى به عيسى.

وحدّثني محمد بن إسماعيل ، قال: حدّثني أبو الحجاج المنقريّ ، قال:

---

(١) الصعصعة: التفرق. القاموس ص ٩٥٣.

رأيتُ محمداً يومئذ وإن أشبه ما خلق الله به لَمَا ذُكِر عن حمزة بن عبد المطلب ، يهذّ الناس بسيفه هذّاً؛ ما يقاربه به أحد إلا قتله ، ومعه سيف ، لا والله ما يُليق شيئاً؛ حتى رماه إنسان بسهم كأني أنظر إليه ، أحمر أزرق ، ثم دهمتْنا الخيل ، فوقف إلى ناحية جدار ، فتحاماه الناسُ ، فوجد الموت ، فتحامل على سيفه فكسره ، قال: فسمعتُ جدّي يقول: كان معه سيف رسول الله ﷺ ذو الفقار.

وحدّثني هرمز أبو عليّ مولى باهلة ، قال: حدّثني عمرو بن المتوكل ـ وكانت أمّه تخدم فاطمة بنت حسين ـ قال: كان مع محمد يوم قتل سيف النبيّ ﷺ ذُو الفقار ، فلما أحسّ الموت أعطى سيفه رجلاً من التجار كان معه ـ وكان له عليه أربعمئة دينار ـ فقال له: خذ هذا السيف؛ فإنك لا تلقى به أحداً من آل أبي طالب إلاّ أخذه وأعطاك حقك ، قال: فكان السيف عنده ، حتى ولي جعفر بن سليمان المدينة فأخبر عنه ، فدعا الرجل وأخذ السيف منه ، وأعطاه أربعمئة دينار؛ فلم يزل عنده حتى قام المهديّ ، ووليِ جعفر المدينة ، وبلغه مكانُ السيف؛ فأخذه ، ثم صار إلى موسى ، فجرّب به على كلب ، فانقطع السيف. [٧/ ٥٧٩ ـ ٥٩٦].

وحدثني أبو عاصم النبيل ، قال: حدّثني أخو الفضل بن سليمان النُّميريّ قال: كنا مع محمد ، فأطاف بنا أربعون ألفاً ، فكانوا حولنا كالحرّة السَّوداء ، فقلت له: لو حملت فيهم لانفرجوا عنك ، فقال: إنّ أمير المؤمنين لا يحمل ، إنه إن حمل لم تكن له بقيّة ، قال: فجعلنا نعيد ذلك عليه؛ فحمل ، فالتفوا عليه فقتلوه.

وحدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سلم ـ ويدعى ابن البوّاب؛ وكان خليفة الفضل بن الربيع يحجب هارون ـ من أدباء الناس وعلمائهم ـ قال: حدّثني أبي عن الأسلميّ ـ يعني عبد الله بن عامر ـ قال: قال لي محمد ونحن نقاتل معه عيسى: تغشانا سحابة؛ فإن أمَطرتنا ظفرنا ، وإن تجاوزتْنا إليهم فانظر إلى دمِي على أحجار الزيت؛ قال: فوالله ما لبثنا أنْ أطلّتْنا سحابة فأحالت حتى قلتُ: تفعل ، ثم جاوزتنا فأصابت عيسى وأصحابه ، فما كان إلا كلا ولا؛ حتى رأيته قتيلاً بين أحجار الزيت.

وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبي الكرام ، قال: قال عيسى لحُميد بن قحطبة عند العصر: أراك قد أبطأتَ في أمر هذا الرجل ، فولّ حمزة بن

مالك حرْبَه ، فقال: والله لو رُمتَ أنت ذاك ما تركتُك؛ أحين قتلتُ الرجال ووجدتُ ريح الفتح! ثم جدّ في القتال حتى قُتِل محمد.

وحدثني جوّاد بن غالب بن موسى مولى بني عِجل ، قال: أخبرني حميد مولى محمد بن أبي العباس ، قال: اتّهم عيسى حميدَ بن قحطبة يومئذ ـ وكان على الخيل ـ فقال: يا حُميد ، ما أراك تبالغ ، قال: أتتهمني! فوالله لأضربنّ محمداً حين أراه بالسيف ، أو أقتل دونه ، قال: فمرّ به وهو مقتول؛ فضربه بالسيف ليبرّ يمينه.

وحدَّثني يعقوب بن القاسم ، قال: حدّثني عليّ بن أبي طالب ، قال: قُتِل محمد عند العصر ، يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة خلتْ من شهر رمضان.

وحدثني أيوب بن عمر ، قال: حدّثني أبي ، قال: بعث عيسى فدقّ السجن ، فحملنا إليه والقتال دائب بينهم؛ فلم نزل مطّرحين بين يديه ، حين أُتِيَ برأس محمد ، فقلتُ لأخي يوسف: إنه سيدعونا إلى معرفته ، ولا نعرفه له؛ فإنا نخاف أن نخطئ؛ فلما أُتِيَ به قال: أتعرفانه؟ قلنا: نعم ، قال: انظرا ، أهو هذا؟ قال أبي: فبدرتُ يوسف ، فقلت: أرى دماً كثيراً وأرى ضرباً؛ فوالله ما أُثبِته ، قال: فأطلقنا من الحديد ، وبتنا عنده ليلتَنا كلها حتى أصبحنا ، قال: ثم ولاّني ما بين مكة والمدينة ، فلم أزل والياً عليه حتى قدم جعفر بن سليمان ، فحمدوني إليه ، وألزمني نفسه.

وحدّثني عليّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم ، قال: حدثني أبو كعب ، قال: حضرت عيسى حين قتل محمداً فوضع رأسه بين يديه ، فأقبل على أصحابه ، فقال: ما تقولون في هذا؟ فوقعوا فيه ، قال: فأقبل عليهم قائد له ، فقال: كذبتم والله وقلتم باطلاً ، لمَا على هذا قاتلناه؛ ولكنه خالف أمير المؤمنين ، وشقّ عصا المسلمين ، وإن كان لصوّاماً قوّاماً ، فسكت القوم.

وحدثني ابن البوّاب عبد الله بن محمد ، قال: حدّثني أبي ، عن الأسلميّ ، قال: قدم على أبي جعفر قادم ، فقال: هرب محمد ، فقال: كذبت! نحن أهلَ البيت لا نفرّ.

وحدثني عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال: حدّثني أبو الحجاج الجمّال ،

قال: إني لقائم على رأس أبي جعفر ، وهو مسائلي عن مخرج محمد ، إذ بلغه أن عيسى قد هُزِم ـ وكان متّكئاً فجلس ـ فضرب بقضيب معه مصلّاه ، وقال: كلا ، فأين لعب صبياننا بها على المنابر ومشورة النساء! ما أنى لذلك بعدُ!.

قال: وحدّثني محمد بن الحسن ، قال: حدّثني بعض أصحابنا ، قال: أصاب أبا القلمّس نُشابة في ركبته ، فبقيَ نصلها ، فعالجها فأعياه ، فقيل له: دعه حتى يقيح فيخرج ، فتركه ، فلما طُلب بعد الهزيمة لحق بالحَرّة ، وأبطأ به ما أصاب ركبتَه ، فلم يزل بالنّصل حتى استخرجه ثم جثا لركبتيه ، ونكب كنانته[1] ، فرماهم فتصدّعوا عنه ، فلحق بأصحابه فنجا.

وحدثني محمد بن الحسن ، قال: حدّثني عبد الله بن عمر بن القاسم ، قال: لما انهزمنا يومئذ كنتُ في جماعة ، فيهم أبو القلمّس ، فالتفتّ إليه ، فإذا هو مستغرب ضحكاً ، قال: فقلت: والله ما هذا بموضع ضحك ، وخفضتُ بصري؛ فإذا برجل من المنهزمة قد تقطع قميصُه ، فلم يبق منه إلا جُرُبّانه[2] وما يستر صدره إلى ثدييه ، وإذا عورته بادية وهو لا يشعر؛ قال: فجعلت أضحك لضحك أبي القلمّس.

فحدثني عيسى ، قال: حدّثني أبي ، قال: لم يزل أبو القلمّس مختفياً بالْفُرْع ، وبقي زماناً ثم عدا عليه عبدٌ له ، فشدخ رأسه بصخْرة فقتله ، ثم أتى أمّ ولد كانت له ، فقال: إني قد قتلت سيِّدك فهلمّي أتزوّجك؟ قالت: رويداً أتصنّع لك ، فأمهلها ، فأتت السلطان فأخبرته ، فأخذ العبدَ فشدخ رأسَه.

حدّثني محمود بن معمر بن أبي الشدائد ، قال: أخبَرني أبي ، قال: لما دخلتْ خيلُ عيسى من شِعْب بني فَزارة فقتِل محمد ، اقتحم نَفر على أبي الشدائد فقتلوه ، وأخذوا رأسه ، فنادت ابنتُه الناعمة بنت أبي الشدائد: وارجالاه! فقال لها رجل من الجند: ومَنْ رجالك؟ قالت: بنو فَزارة قال: والله لو علمتُ ما دخلتْ بيتَك ، فلابأس عليك ، أنا امرؤ من عشيرتك من باهلة؛ وأعطاها قطعة من عمامته فعلقتها على بابها ، قال: وأُتِيَ عيسى برأسه ، وعنده ابن أبي الكرام

---

(١) نكب كنانته: نثر ما فيها. القاموس ص ١٧٩.

(٢) جربان القميص: جيبه. اللسان ١/ ٢٦١.

ومحمد بن لُوط بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فاسترجعا وقالا : والله ما بقي من أهل المدينة أحدٌ ، هذا رأس أبي الشدائد ، فالح بن معمر - رجل من بني فزارة مكفوف - قال : فأمر منادياً فنادى : مَنْ جاء برأس ضربْنا رأسه .

وحدثني عليّ بن زادان ، قال : حدّثني عبد الله بن برقي ، قال : رأيت قائداً من قوّاد عيسى ، جاء في جماعة يسأل عن منزل ابن هرمز ؛ فأرشدناه إليه . قال : فخرجَ وعليه قميص رياط ، قال : فأنزلوا قائدَهم ، وحملوه على بِرْذَوْنه وخرجوا به يزفّونه ، حتى أدخلوه على عيسى ، فما هاجه .

حدثني قدامة بن محمد ، قال : خرج عبد الله بن يزيد بن هرمز ومحمد بن عجلان مع محمد ، فلما حضر القتال ، تقلد كلّ واحد منهما قوساً ، فظننّا أنهما أرادا أن يُريا الناس أنهما قد صَلَحا ذلك .

وحدثني عيسى ، قال : حدثني حسين بن يزيد ، قال : أُتِيَ بابن هرمز إلى عيسى بعدما قتل محمد ، فقال : أيها الشيخ ، أما وزعك فقهُك عن الخروج مع من خرج! قال : كانت فتنةً شملت الناس ، فشملتنا فيهم ، قال : اذهب راشداً .

وحدثني محمد بن الحسن بن زبَالة ، قال : سمعتُ مالك بن أنس ، يقول : كنتُ آتي ابنَ هرمز فيأمر الجارية فتغلق البابَ ، وترخِي الستر ، ثم يذكر أوّل هذه الأمّة ، ثم يبكي حتى تخضلّ لحيته ، قال : ثم خرج مع محمد فقيل له : والله ما فيك شيء ، قال : قد علمتُ ؛ ولكن يراني جاهل فيقتدي بي .

حدثني عيسى ، قال : حدّثني محمد بن زيد ، قال : لمّا قُتِل محمدٌ انخرقت السماءُ بالمطر بما لم أر مثله انخرق قطّ منها ، فنادى منادي عيسى : لا يبيتنّ بالمدينة أحدٌ من الجند إلا كثير بن حُصَين وجنده ، ولحق عيسى بعسكره بالجُرْف ؛ فكان به حتى أصبح ، ثم بعث بالبشارة مع القاسم بن حسن بن زيد ، وبعث بالرأس مع ابن أبي الكرام[1] .

وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : لما

---

(١) إن كان ابن قدامة بن خشرم فقد قال ابن عدي له أحاديث غير محفوظة (ميزان الاعتدال/ تر ٦٨٧١) وإلا لم ندر من هو؟

أصبح محمد في مصرَعه ، أرسلتْ أخته زينب بنت عبد الله وابنته فاطمة إلى عيسى : إنكم قد قتلتم هذا الرجل ، وقضيتم منه حاجَتكم ، فلو أذنتم لنا فواريناه! فأرسل إليهما : أما ما ذكرتما يا بنتيْ عمّي مما نيل منه فوالله ما أمرتُ ولا علمتُ؛ فوارِياه راشدتين ، فبعثتا إليه فاحتُمل ، فقيل : إنه حُشي في مقطع عنقه عديله قُطْناً ، ودفن بالبَقيع ، وكان قبره وِجاه زقاق دار عليّ بن أبي طالب ، شارعاً على الطريق أو قريباً من ذلك؛ وبعث عيسى بألوية فوُضعَ على باب أسماء بنت حسن بن عبد الله واحدٌ ، وعلى باب العباس بن عبد الله بن الحارث آخر ، وعلى باب محمد بن عبد العزيز الزهريّ آخر ، وعلى باب عبيد الله بن محمد بن صفوان آخر ، وعلى باب دار أبي عمرو الغِفاريّ آخر ، وصاح مناديه : مَنْ دخل تحت لواء منها ، أو دخل داراً من هذه الدور فهو آمن ، ومطرت السماءُ مطراً جَوْداً ، فأصبح الناس هادئين في أسواقهم؛ وجعل عيسى يختلف إلى المسجد من الجُرْف ، فأقام بالمدينة أياماً ، ثم شخص صُبح تسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان يريد مكة .

حدّثني أزهر بن سعيد ، قال : لما كان الغد من قتل محمد أذن عيسى في دفْنه ، وأمر بأصحابه فصُلبوا ما بين ثنيّة الوَداع إلى دار عمر بن عبد العزيز .

قال أزهر : فرأيتُهم صفين؛ ووكل بخشبة ابن خُضير مَنْ يحرسها ، فاحتمله قومٌ في الليل فواروْه ، ولم يقدَرْ عليهم ، وأقام الآخرون مصلّبين ثلاثاً ، ثم تأذّى بهم الناس ، فأمر عيسى بهم فألقوا على المفرح من سَلْع ، وهي مقبرة اليهود ، فلم يزالوا هنالك ، ثم ألقُوا في خندق بأصل ذباب .

حدثني عيسى بن عبد الله قال : حدّثتني أمي أم حسين بنت عبد الله بن محمد بن عليّ بن حسين ، قالت : قلت لعمّي جعفر بن محمد : إني ـ فديتُك ـ ما أمرُ محمد بن عبد الله [هذا] قال : فتنته يقتل فيها محمد عند بيت روميّ ، ويقتل أخوه لأبيه وأمّه بالعراق وحوافر فرسه في ماء .

حدثني عيسى ، عن أبيه ، قال : خرج مع محمد حمزة بن عبد الله بن محمد بن عليّ ـ وكان عمه جعفر ينهاه؛ وكان من أشدّ الناس مع محمّد ـ قال : فكان جعفر يقول له : هو والله مقتول ، قال : فتنحى جعفر .

حدّثني عيسى ، قال : حدّثنا ابنُ أبي الكرام ، قال : بعثني عيسى برأس

محمد ، وبعث معي مئة من الجند ، قال: فجئنا حتى إذا أشرفنا على النّجَف كبّرنا - قال: وعامر بن إسماعيل يومئذ بواسط محاصِر هارون بن سعد العِجلّي - فقال أبو جعفر للربيع: ويحك! ما هذا التكبير! قال: هذا ابن أبي الكرام ، جاء برأس محمد بن عبد الله ، قال: ائذن له ولعشرة ممّن معه ، قال: فأذِن لي ، فوضعتُ الرأس بين يديه في ترس ، فقال: من قُتل معه من أهل بيته؟ قلتُ: لا والله ولا إنسان ، قال: سبحان الله! هو ذاك ، قال: فرفع رأسَه إلى الربيع ، فقال: ما أخبرنا صاحبه الذي كان قبله؟ قال الربيع: زعم أنه قتِل منهم عدد كثير ، قلت: لا والله ولا واحد.

حدثني عليّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم ، قال: لما قدِم برأس محمد على أبي جعفر وهو بالكوفة ، أمر به فطِيف في طَبَق أبيض ، فرأيته آدم أزْقَط ، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق.

وحدثني عبد الله بن عمر بن حبيب من أهل يَنْبُعُ ، قال: لما أُتِيَ أبو جعفر برؤوس بني شجاع ، قال: هكذا فليكن الناس ، طلبتُ محمداً فاشتمل هؤلاء عليه ، ثم نقلوه وانتقلوا معه ، ثم قاتلوا معه فصبروا حتى قتلوا.

قال عمر: أنشدني عيسى بن إبراهيم وإبراهيم بن مصعب بن عُمارة بن حمزة بن مصعب ، ومحمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زَبالة وغيرهم لعبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يرثي محمداً:

تبكي مُدلّه أن تقنَّص حَبْلَهُمْ ... عِيسى وأَقصَدَ صائباً عثمانا
هَلا على المَهْديّ وابنَيْ مُصْعَبٍ ... أَذرَيْتَ دَمْعَك ساكِباً تَهتانا!
ولفَقْدِ إبراهيمَ حينَ تصدَّعَت ... عنه الجمُوعُ فَواجَهَ الأَقرانا
سالَتْ دمُوعك ضَلَّةً قَدْ هِجْتَ لي ... بُرَحاءَ وَجْدٍ تَبْعَثُ الأَحزَانا
والله ما وَلَدَ الحواضنُ مثلَهم ... أَمْضَى وأَرفَعَ مَحْتِداً ومكانا
وأَشَدَّ ناهِضَةً وأقولَ لِلّتي ... تَنْفِي مصادرُ عَدْلها البهتانا
فهناك لو فَقَّأْتَ غير مُشَوَّهٍ ... عَيْنَيْك من جزع عذرتَ علانا
رُزْءٌ لَعَمْرُكَ لو يُصابُ بمثله ... مِبْطانُ صدَّع رُزْؤه مبْطانا

وقال ابن مصعب:

يا صاحبَيَّ دَعَا المَلامة واعْلما ... أن لستُ في هذا بألْوَم منكما

وَقِفَا بقبر ابن النبيّ فسلِّما ... لا بأسَ أن تَقِفا به فتُسَلِّما
قبرٌ تَضَمَّنَ خَيْرَ أَهْلِ زَمانه ... حَسَباً وطيبَ سجيَّةٍ وتكرُّما
رجلٌ نفى بالعَدْلِ جَوْرَ بِلادِنا ... وعفا عظيماتِ الأُمور وأنعَما
لم يَجْتَنِبْ قَصْدَ السبيل ولم يَجُرْ ... عنه ولم يفتح بفاحشةٍ فما
لو أعظَمَ الحَدَثَان شيئاً قبله ... بعد النبيّ به لكنتَ المعظَما
أوكان أمتع بالسلامة قبله ... أحداً لكان قصارُه أن يسلَما
ضحَّوا بإبراهيمَ خيرَ ضَحِيَّةٍ ... فتصرَّمت أيامُه وتصرّما
بطلاً يخوضُ بنفسه غمراتِها ... لا طائشاً رَعَشاً ولا مُسْتَسْلما
حتى مضَت فيه السُّيوفُ ورُبَّما ... كانت حُتُوفُهُمُ السيوف ورُبّما
أضحى بنو حَسَن أُبيحَ حَرِيمُهُمْ ... فينا وأصْبحَ نهبُهمْ متقسَّما
ونساؤُهم في دورِهنَّ نوائح ... سَجْعَ الحمامِ إذا الحَمامُ ترنّما
يتوسَّلون بقتلهم ويَرَوْنَه ... شَرَفاً لهم عند الإمام ومَغْنَمَا
والله لو شهد النبيُّ محمّدٌ ... صلّى الإله على النبيّ وسلّما
إشْراعَ أُمَّتِهِ الأَسِنَّةَ لابْنِه ... حتى تقطَّر من ظُبَاتِهِمُ دما
حَقَّاً لأيْقَنَ أنَّهم قد ضَيَّعوا ... تلك القرابةَ واستحلّوا المحرَما

وحدثني إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم، قال: حدثني موسى بن عبد الله بن حسن، قال: خرجتُ من منازلنا بسويقة في الليل، وذلك قبل مُخْرَج محمد بن عبد الله؛ فإذا بِنسوة كأنما خرجْن من ديارنا؛ فأخذتْني عليهنّ غَيْرة، فإني لأتبعهنّ أنظر أين يَرِدْنَ؛ حتى إذا كنّ بطرف الحُميرَاء من جانب الغَرْس؛ التفتت إليّ إحداهنّ، فقالت:

سُوَيْقَةُ بَعْدَ ساكنها يَبَابُ ... لقد أَمستْ أَجَدَّ بها الخرابُ

فعرفت أنهنّ من ساكني الأرض، فرجعت.

وحدّثني عيسى، قال: لما قَتَل عيسى بن موسى محمداً قبض أموالَ بني يحسن كلَّها، فأجاز ذلك أبو جعفر.

وحدّثني أيوب بن عمر، قال: لقيَ جعفر بن محمد أبا جعفر، فقال: يا أمير المؤمنين، رُدّ عليَّ قطيعتي عين أبي زياد آكل من سَعفها، قال: إياي تكلم بهذا الكلام! والله لأزهِقنَّ نفسَك، قال: فلا تعجلْ عليّ قد بلغت ثلاثاً وستين، وفيها

مات أبي وجدّي عليّ بن أبي طالب؛ وعليّ كذا وكذا إن ربتُك شيء أبداً ، وإن بقيتُ بعدك إن رِبْت الذي يقوم بعدك ، قال: فرقّ له وأعفاه.

وحدّثني هشام بن إبراهيم بن هشام بن هشام بن راشد ، قال: لم يَرُدّ أبو جعفر عينَ أبي زياد حتى مات فردّها المهديّ على ولده.

وحدّثني هشام بن إبراهيم ، قال: لما قُتِل محمد أمر أبو جعفر بالبحر فأقفل على أهل المدينة ، فلم يحمَل إليهم من ناحية البحار شيء؛ حتى كان المهديّ فأمر بالبحر ففتح لهم ، وأذن في الحمل.

وحدّثني محمد بن جعفر بن إبراهيم ، قال: حدّثتني أمّي أمّ سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر زوْجة موسى بن عبد الله ، قالت: خاصم بنو المخزومية عيسى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن حسن بن محمد بن عبد الله بن حسن في ميراث عبد الله ، وقالوا: قُتِل أبوكم محمّد فورثه عبد الله؛ فتنازعوا إلى الحسن بن زيد؛ فكتبَ بذلك إلى أمير المؤمنين أبي جعفر ، فكتب إليه: أما بعد؛ فإذا بلغك كتابي هذا فورِّثهم من جدّهم ، فإني قد رددت عليهم أموالَهم صلةً لأرحامهم ، وحفظاً لقَرابتهم.

وحدّثني عيسى ، قال: خرج مع محمد من بني هاشم الحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وحسين وعيسى ابنا زيد بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب؛ قال: فحدّثني عيسى ، قال: بلغني أن أبا جعفر كان يقول: واعجبًا لخروج ابني زيد بن عليّ وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله ، وصلبناه كما صلبه ، وأحرقناه كما أحرقه ، وحمزة بن عبد الله بن محمد بن عليّ بن حسين بن أبي طالب ، وعليّ وزيد ابنا حسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب!

قال عيسى: قال أبو جعفر للحسن بن زيد: كأني أنظر إلى ابنيك واقفيْن على رأس محمد بسيفيْن ، عليهما قَباءان ، قال: يا أمير المؤمنين ، قد كنت أشكو إليك عقوقهما قبل اليوم ، قال: أجل فهذا من ذاك ، والقاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والمرجّى عليّ بن جعفر بن إسحاق بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال عيسى: قال أبو جعفر لجعفر بن إسحاق: مَن المرجَّى هذا؟ فعل الله به وفعل! قال: يا أمير المؤمنين؛ ذاك ابني ، والله لئن

شئت أن أنتفي منه لأفعلنّ، ومن بني عبد شمس محمد بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس.

قال: وحدثني أبو عاصم النّبيل، قال: حدثني عبّاد بن كثير، قال: خرج ابن عجلان مع محمد، وكان على ثقَله فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة قيّده، فدخلت عليه، فقلت: كيف ترى رأي أهل البصرة في رجل قيّد الحسن؟

قال: سيّئاً والله، قال: قلت: فإن ابن عجلان بهذه كالحسن ثمَّ، فتركه ومحمد بن عجلان مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس[1]. [٧/٥٩٦ـ٦٠٥].

وحدّثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله، أنّ عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم خرج معه؛ فأُتي به أبو جعفر بعد قتل محمد، فقال له: أنت الخارج عليّ مع محمد؟ قال: لم أجد إلاّ ذلك أو الكفر بما أنزل الله على محمد ﷺ، قال عمر: هذا[1] وهْمٌ.

قال: وحدثني عبد العزيز بن أبي سلمة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، قال: كان عبيد الله قد أجاب محمداً إلى الخروج معه؛ فمات قبل أن يخرج، وخرج معه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سَبْرة بن أبي رُهم بن عبد العُزّى ابن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ، وخرج معه عبد الواحد بن أبي عون مولى الأزد وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسوَر بن مخرمة وعبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْديّ وعبد الحميد بن جعفر وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بني سباع، وابن سباع من خُزاعة حليف بني زُهرة، وبنو إبراهيم وإسحاق وربيعة وجعفر وعبد الله وعطاء ويعقوب وعثمان وعبد العزيز؛ بنو عبد الله بن عطاء.

وحدّثني إبراهيم بن مُصعب بن عُمارة بن حمزة بن مُصعب بن الزبير، قال: وحدثني الزُّبير بن خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير، قال: إنا لبالمُر من بطن

---

(١) عباد بن كثير متروك عند أئمة الحديث.
وقد ذكر الذهبي هذا الخبر في ترجمة ابن عجلان بصيغة لا تفيد التوكيد أو الجزم فقال: قد جاء أن. . . . الخبر والله أعلم.

إضَم، وعندي زوجتي أمينة بنت خضير؛ إذ مرّ بنا رجل مصعِد من المدينة، فقالت له: ما فعل محمد؟ قال: قُتِل، قالت: فما فعل ابن خُضير؟ قال: قتل، فخرّت ساجدة، فقلت: أتسجدين أن قُتِل أخوك! قالت: نعم، أليس لم يفِرّ ولم يُؤسَر!

قال عيسى: حدّثني أبي، قال: قال أبو جعفر لعيسى بن موسى: مَنْ استنصر مع محمد؟ قال: آل الزبير، قال: ومَنْ؟ قال: وآل عمر، قال: أما والله غير مودّة بهما له ولا محبّة له ولا لأهل بيته، قال: وكان أبو جعفر يقول: لو وجدتُ ألفاً من آل الزّبير كلهم محسِن وفيهم مسيء واحدٌ لقتلتهم جميعاً، ولو وجدت ألفاً من آل عمر كلهم مسيء وفيهم مُحِسنٌ واحد لأعفيتُهم جميعاً.

قال عمر: وحدّثني إبراهيم بن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب، قال: حدّثني محمد بن عثمان بن محمد بن خالد بن الزّبير، قال: لما قُتِل محمد، هرب أبي وموسى بن عبد الله بن حسن وأنا معهما وأبو هبّار المزنيّ، فأتينا مكة، ثم انحدرنا إلى البصرة، فاكترينا من رجل يدعى حكيماً، فلما وردنا البصرة ـ وذلك بعد ثلث الليل ـ وجدنا الدُّروب مغلَقة، فجلسنا عندها حتى طلع الفجر؛ ثم دخلنا فنزلنا المِرْبَد، فلما أصبحنا أرسلنا حكيماً يبتاع لنا طعاماً؛ فجاء به على رجل أسود، في رجله حديدة، فدخل به علينا فأعطاه جُعْله، فتسخّط علينا، فقلنا: زده، فتسخّط، فقلنا له: ويلك! أضعف له، فأبى، فاستراب بنا، وجعل يتصفح وجوهنا، ثم خرج فلم ننشَب أن أحاطت بمنزلنا الخيل، فقلنا لربّة المنزل: ما بال الخيل؟ فقالت: لابأس فيها، تطلب رجلاً من بني سَعْد يدعى نُميلة بن مُرّة، كان خرج مع إبراهيم، قال: فوالله ما راعنا إلاّ بالأسود قد دُخل به علينا، قد غُطّى رأسه ووجهه.

فلما دُخِل به كُشف عنه، ثم قيل: أهؤلاء؟ قال: نعم هؤلاء؛ هذا موسى بن عبد الله، وهذا عثمان بن محمد، وهذا ابنه؛ ولا أعرف الرابعَ غير أنه من أصحابهم، قال: فأخِذْنا جميعاً، فدُخل بنا على محمد بن سليمان فلما نظر إلينا أقبل على موسى، فقال: لا وصل الله رحِمك! أتركتَ البلاد جميعاً وجئتني! فإمّا أطلقتُك فتعرّضتُ لأمير المؤمنين، وإمّا أخذتُك فقطعت رَحِمك، ثم كتب إلى أمير المؤمنين بخبرنا. قال: فجاء الجواب أن احملهم إليّ، فوجّهنا إليه ومعنا جند، فلما صرنا بالبطيحة وجدنا بها جُنْداً آخر ينتظروننا؛ ثم لم نزلْ فأتى على

المسالح من الجُند في طريقنا كله ، حتى وردنا بغداد ، فدُخل بنا على أبي جعفر ، فلما نظر إلى أبي قال: هِيه! أخَرجتَ عليّ مع محمد! قال: قد كان ذاك؛ فأغلظ له أبو جعفر؛ فراجعه مليّاً ، ثم أمر به فضُربت عنقه ، ثم أمر بموسى فضُرِب بالسياط ، ثم أمر بي فقُرِّبت إليه ، فقال: اذهبوا به فأقيموه على رأس أبيه؛ فإذا نظر إليه فاضربوا عنقَه على جيفته ، قال: فكلمه عيسى بن عليّ ، وقال: والله ما أحسبه بلغ؛ فقلت: يا أمير المؤمنين ، كنتُ غلاماً حدثاً غِرّاً أمرني أبي فأطعتُه ، قال: فأمر بي فضُربتُ خمسين سوطاً ، ثم حبسني في المطبَق وفيه يومئذ يعقوب بن داود ، فكان خير رفيق أرافقه وأعطفه ، يُطعمني من طعامه ، ويسقيني من شرابه ، فلم نزل كذلك حتى توُفِّيَ أبو جعفر ، وقام المهديّ وأخرج يعقوب ، فكلمه فيّ فأخرجني.

قال: وحدّثني أيوب بن عمر ، قال: حدّثني محمد بن خالد ، قال: أخبرني محمد بن عروة بن هشام بن عُروة ، قال: إني لعند أبي جعفر ، إذْ أتي فقيل له: هذا عثمانِ بن محمد بن خالد قد دُخِل به ، فلما رآه أبو جعفر ، قال: أين المال الذي عندك ، قال: دفعته إلى أمير المؤمنين رحمه الله ، قال: ومَن أمير المؤمنين؟ قال: محمد بن عبد الله ، قال: أبايعتَه؟ قال: نعم كما بايعتَه ، قال: يا بن اللخناء! قال: ذاك مَنْ قامت عنه الإماء ، قال: اضرب عنقه ، قال: فأخِذ فضربت عنقه.

قال: وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال: حدّثني محمد بن عثمان بن خالد الزُّبيريّ ، قال: لما خرج محمد خرج معه رجلٌ من آل كثير بن الصلت ، فلما قتل وهُزِم أصحابه تغيّبوا؛ فكان أبي والكثيريّ فيمن تغيّب ، فلبثوا بذلك؛ حتى قدم جعفر بن سليمان والياً على المدينة ، فاشتدّ في طلب أصحاب محمد ، فاكترى أبي من الكثيريّ إبلاً كانت له ، فخرجنا متوجّهين نحو البصرة ، وبلغ الخبر جعفراً ، فكتب إلى أخيه محمد يعلمه بتوجّهنا إلى البصرة ، ويأمره بالترصّد لنا والتيقظ لأمرنا ومقدمنا ، فلما قدمنا علم محمد بمقدمنا ومكاننا ، فأرسل إلينا فأخذنا ، فأتِيَ بنا ، فأقبل عليه أبي ، فقال: يا هذا ، اتّق الله في

كَرِيّنا[1] هذا؛ فإنه أعرابيّ لا علم له بنا، إنما أكْرانا ابتغاء الرزق، ولو علم بجريرتنا ما فعل؛ وأنت معرّضه لأبي جعفر؛ وهو مَنْ قد علمت؛ فأنت قاتله ومتحمّل مأثمه. قال: فوَجَم محمد طويلاً، ثم قال: هو والله أبو جعفر، والله ما أتعرّض له، ثم حُمِلنا جميعاً فدخلنا على أبي جعفر؛ وليس عنده أحد يعرف الكثيريّ غير الحسن بن زيد، فأقبل على الكثيريّ، فقال: يا عدوّ الله، أتكري عدوّ أمير المؤمنين، ثم تنقله من بلد إلى بلد، تواريه مرة وتظهره أخرى! قال: يا أميرَ المؤمنين، وما علمِي بخبَره وجريرته وعداوته إياك! إنما أكريتُه جاهلاً به، ولا أحسبه إلاّ رجلاً من المسلمين، بريْ الساحة؛ سليم الناحية، ولو علمت حاله لم أفعل، قال: وأكبّ الحسن بن زيد ينظر إلى الأرض، لا يرفع رأسه، قال: فأوعد أبو جعفر الكثيريّ وتهدده، ثم أمر بإطلاقه، فخرج فتغيّب، ثم أقبل على أبي، فقال: هيه يا عثمان! أنتَ الخارج على أمير المؤمنين، والمعينُ عليه! قال: بايعتُ أنا وأنت رجلاً بمكة، فوَفَيتُ بيعتي وغدرتَ ببيعتك، قال: فأمر به فضربت عنقه.

قال: وحدّثني عيسى، قال: حدّثني أبي، قال: أتِيَ أبو جعفر بعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فنظر إليه فقال: إذا قتلتُ مثل هذا من قريش فمن أستبقي! ثم أطلقه، وأتِيَ بعثمان بن محمد بن خالد فقتله، وأطلق ناساً من القرشيّين، فقال له عيسى بن موسى: يا أميرَ المؤمنين، ما أشقَى هذا بك من بينهم! فقال: إن هذا يدي.

قال: وحدّثني عيسى، قال: سمعتُ حسن بن زيد يقول: غدوتُ يوماً على أبي جعفر؛ فإذا هو قد أمر بعمل دكان، ثم أقام عليه خالداً.

وأتي بعليّ بن المطلب بن عبد الله بن حنطب، فأمر به فضُرب خمسمئة سوط، ثم أتِيَ بعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع فأمر به فجُلِد خمسمئة سوط؛ فما تحرّك واحد منهما، فقال لي: هل رأيتَ أصبر من هذين قطّ! والله إنا لنؤتَى بالذين قد قاسوْا غلظ المعيشة وكدّها، فما يصبرون هذا الصبر، وهؤلاء أهل الخفض والكِنّ والنعمة، قلت: يا أميرَ المؤمنين، هؤلاء قومك أهلُ الشرف

---

(١) الكرى: الذي يكريك دابته. القاموس ص ١٧١٢.

والقَدْر ، قال: فأعرض عني ، وقال: أبيتَ إلا العصبيّة! ثم أعاد عبد العزيز بن إبراهيم بعد ذلك ليضربه ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ، اللهَ الله فينا! فوالله إني لمكِبّ على وجهي منذ أربعين ليلة ، ما صلّيتُ لله صلاة! قال: أنتم صنعتم ذلك بأنفسكم ، قال: فأين العفو يا أمير المؤمنين؟ قال: فالعفو والله إذاً ، ثم خلّى سبيله.

حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال: كثروا محمداً وألحّوا في القتال حتى قتِل محمد في النصف من شهر رمضان سنة خمسة وأربعين ومئة ، وحمِل رأسه إلى عيسى بن موسى ، فدعا ابنَ أبي الكرام ، فأراه إياه ، فعرفه فسجد عيسى بن موسى ، ودخل المدينة ، وآمن الناسَ كلهم ، وكان مكث محمد بن عبد الله من حين ظهر إلى أن قتل شهرين وسبعة عشر يوماً. [٧/ ٦٠٥ـ ٦٠٩].

* * *

ذكر الخبر عن وثوب السودان بالمدينة في هذه السنة والسبب الذي هيّج ذلك

ذكر عمر بن شبة أنّ محمد بن يحيى حدثه ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال: كان رياح بن عثمان استعمل أبا بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة على صَدَقة أسد وطيّئ فلما خرج محمد أقبل إليه أبو بكر بما كان جبا وشمّر معه ، فلما استخلف عيسى كثير بن حصين على المدينة أخذ أبا بكر ، فضربه سبعين سوطاً وحدّده وحبسه ، ثم قدِم عبد الله بن الرّبيع والياً من قِبَل أبي جعفر يوم السبت لخمس بقين من شوّال سنة خمس وأربعين ومئة ، فنازع جنده التجار في بعض ما يشترونه منهم ، فخرجت طائفة من التجار حتى جاؤوا دار مَرْوان ، وفيها ابنُ الربيع ، فشكوْا ذلك إليه ، فنهرهم وشتمهم ، وطمع فيهم الجند ، فتزايدوا في سوء الرأي.

قال: وحدثني عمر بن راشد ، قال: انتهب الجند شيئاً من متاع السوق ، وغدوْا على رجل من الصّرّافين يدعى عثمان بن زيد ، فغالبوه على كيسه؛ فاستغاث ، فخلّص مالَه منهم ، فاجتمع رؤساء أهل المدينة فشكوْا ذلك إلى

ابن الربيع فلم ينكرْه ولم يغَيره ، ثم جاء رجل من الجند فاشترى من جزّار لحماً يومَ الجمعة ، فأبى أن يعطيَه ثمنه ، وشهر عليه السيف؛ فخرج عليه الجزّار من تحت الوَضَم بشَفرة ، فطعن بها خاصرتَه ، فخرّ عن دابته ، واعتوره الجزّارون فقتلوه ، وتنادى السودان عن الجند وهم يروحون إلى الجمعة فقتلوهم بالعُمُد في كلّ ناحية ، فلم يزالوا على ذلك حتى أمسوْا؛ فلما كان الغد هربَ بن الربيع.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال: نفخ السودان في بُوق لهم؛ فذكر لي بعضُ مَنْ كان في العالية وبعض مَنْ كان في السافلة ، أنه كان يرى الأسود من سكّانهما في بعض عمله يسمع نفخَ البوق ، فيصغِي له حتى يتيقنه ثم يوحّش بما في يده ، ويأتمّ الصوتَ حتى يأتيه ، قال: وذلك يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة من سنة خمس وأربعين ومئة ، ورؤساء السودان ثلاثة نفر: وثيق ويعقل ورمقة ، قال: فغدوْا على ابن الربيع ، والناس في الجمعة فأعجلوهم عن الصّلاة ، وخرج إليهم فاستطردُوا له؛ حتى أتى السوق فمرَّ بمساكين خمسة يسألون في طريق المسجد ، فحمل عليهم بمَنْ معه حتى قتلوهم ، ثم مر بأصَيْبِيَة على طَنَف دار ، فظنّ أن القوم منهم؛ فاستنزلهم واختدعهم وآمنهم ، فلما نزلوا ضرب أعناقهم ، ثم مضى ووقف عند الحنّاطين ، وحمل عليه السودانُ ، فأجلى هارباً فاتّبعوه حتى صار إلى البَقِيع ، ورهقوه فنثر لهم دراهم؛ فشغلهم بها ، ومضى على وجهه حتى نزل ببطن نَخْل ، عن ليلتين من المدينة.

قال: وحدّثني عيسى قال: خرج السّودان على ابن الربيع ، ورؤساؤهم: وثيق وحَدْيا وعُنقود وأبو قيس؛ فقاتلهم فهزموه ، فخرج حتى أتى بطْن نَخْل فأقام بها.

وحدّثني عمر بن راشد ، قال: لما هربَ ابن الربيع وقع السودان في طعام لأبي جعفر من سَوِيق ودقيق وزيْت وقَسْب ، فانتهبوه ، فكان حِمْل الدّقيق بدرهمين ، وراوية زيت بأربعة دراهم.

وحدّثني محمد بن يحيى ، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال: أغاروا على دار مَرْوان ودار يزيد؛ وفيهما طعام كان حُمل للجنْد في البحر ، فلم يدَعوا فيهما شيئاً ، قال: وشخص سليمان بن فُلَيح بن سليمان في ذلك اليوم إلى أبي جعفر ، فقدم عليه فأخبره الخبر.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق، قال: وقتل السودان نفراً من الجُنْد، فهابهم الجند حتى أن كان الفارس ليلقى الأسود وما عليه إلا خِرْقتان على عَوْرته ودُرّاعة، فيولّيه دُبُره احتقاراً له، ثم لم ينشب أن يشدّ عليه بعمود من عُمُد السوق فيقتله: فكانوا يقولون: ما هؤلاء السودان إلا سَحرة أو شياطين! [٧/ ٦٠٩ ـ ٦١١].

وحدّثني محمد بن الحسن بن زَبالة، قال: حدّثني الحسين بن مُصعب، قال: لما خرج السودان وهرب ابن الرّبيع، جئتُهم أنا وجماعة معي، وقد عسكروا في السوق، فسألناهم أن يتفرّقوا، وأخبرناهم أنّا وإياهم لا نقوى على ما نصبو له، قال: فقال لنا وثيق: إنّ الأمر قد وقع بما تروْن؛ وهو غير مبقٍ لنا ولا لكم، فدعونا نشفِكم ونشتفِ أنفسنا، فأبينا، ولم نزل بهم حتى تفرّقوا.

وحدّثني عمر بن راشد، قال: كان رئيسهم وثيق وخليفته يعقل الجزّار.

قال: فدخل عليه ابنُ عمران، قال: إلى مَنْ تعهد يا وثيق؟ قال: إلى أربعة من بني هاشم، وأربعة من قُريش، وأربعة من الأنصار، وأربعة من الموالي؛ ثم الأمر شورى بينهم، قال: أسأل الله إن ولاك شيئاً من أمرنا أن يرزقَنا عدلك، قال: قَدْ والله ولآنيه الله.

قال: وحدّثني محمد بن يحيى، قال: حدّثني الحارث بن إسحاق، قال: حضر السوُّدان المسجد مع ابن أبي سَبْرة، فرَقِيَ المنبر في كَبْل حديد حتى استوَى في مجلس رسول الله ﷺ، وتبعه محمد بن عمران، فكان تحته، وتبعهم محمد بن عبد العزيز فكان تحتهما، وتبعهم سليمان بن عبد الله بن أبي سَبْرة، فكان تحتهم جميعاً؛ وجعل الناس يلغطون لغطاً شديداً، وابن أبي سبرة جالسٌ صامتٌ، فقال ابن عمران: أنا ذاهبٌ إلى السوق، فانحدر وانحدر مَنْ دونه، وثبت ابن أبي سَبْرة فتكلّم فحثّ على طاعة أمير المؤمنين؛ وذكر أمر محمد بن عبد الله فأبلغ.

ومضى ابن عمران إلى السوق، فقام على بَلاَسٍ من بُلُس الحنطة، فتكلم هناك، فتراجع الناسُ، ولم يصلّ بالناس يومئذ إلا المؤذّن، فلما حضرت العشاء الآخرة وقد ثاب الناس، فاجتمع القرشيون في المقصورة، أقام الصلاة

محمد بن عمار المؤذّن ، الذي يلقب كساكس ، فقال للقرشيين : مَنْ يصلِّي بكم؟ فلم يجبه أحدٌ ، فقال : ألا تسمعون! فلم يجيبوه ، فقال : يا بن عمران ، ويا بن فلان ، فلم يجبه أحدٌ ، فقام الأصبغ بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، فقال : أنا أصلي ، فقام في المقام ، فقال للناس : استووا ، فلما استوت الصُّفوف أقبل عليهم بوجههِ ، ونادى بأعلى صوته : ألا تسمعون! أنا الأصبغ بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، أصلِّي بالناس على طاعة أبي جعفر ، فردّد ذلك مرتين أو ثلاثاً ، ثم كبّر فصلى ، فلما أصبح الناس قال ابن أبي سبرة : إنه قد كان منكم بالأمس ما قد علمتم ؛ نهبتم ما في دار عاملكم وطعامَ جند أمير المؤمنين ، فلا يبقينّ عند أحد منكم شيء إلا ردّه ، فقد أقعدتُ لكم الحكم ، عبد الله بن المغيرة بن موهب ؛ فرفع الناسُ إليه ما انتهبُوا ، فقيل : إنه أصاب قيمة ألف دينار .

وحدّثني عُثامة بن عمرو ، قال : حدثني المسور بن عبد الملك ، قال : ائتمر القرشيّون أن يدعوا ابن الربيع يخرج ثم يكلموه في استخلاف ابن أبي سَبْرة على المدينة ، ليتحلّل ما في نفس أمير المؤمنين عليه ؛ فلما أخرجه السودان ، قال له ابن عبد العزيز : أتخرج بغير والٍ استُخلف! ولّها رجلاً ، قال : مَنْ؟ قال : قدامة بن موسى ، قال : فصيح بقدامة ، فدخل فجلس بين ابن الربيع وبين ابن عبد العزيز ، فقال : ارجع يا قدامة ، فقد وليتك المدينة وأعمالها ، قال : والله ما قال لك هذا مَنْ نصحك ، ولا نَظَر لمن وراءه ، ولا أراد إلاّ الفساد ، ولأحقّ بهذا مني ومنه مَنْ قام بأمر الناس وهو جالسٌ في بيته ـ يعني ابن أبي سبرة ـ ارجع أيّها الرجل ؛ فوالله ما لك عذر في الخروج ، فرجع ابن الربيع .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : ركب ابن عبد العزيز في نفر من قريش إلى ابن الربيع ، فناشدوه وهو ببطْن نخل إلاّ رجع إلى عمله ، فتأبّى ، قال : فخلا به ابن عبد العزيز ، فلم يزل به حتى رجع وسكن الناس وهدؤوا .

قال : وحدّثني عمر بن راشد ، قال : ركب إليه ابن عمران وغيرُه وقد نزل الأعْوَص ، فكلّموه فرجع ، فقطع يد وثيق وأبي النار ويعقل ومِسْعر . [٧/ ٦١٢ ـ ٦١٤] .

وكان سبب ذلك أنّ أبا جعفر المنصور بنى ـ فيما ذكر ـ حين أفضى الأمر إليه الهاشميّة ، قبالَة مدينة ابن هُبيرة ، بينها عَرْض الطريق ، وكانت مدينة ابن هبيرة التي بحيالها مدينة أبي جعفر الهاشميّة ، إلى جانب الكوفة . وبني المنصور أيضاً مدينة بظهر الكوفة سماها الرُّصافة ، فلما ثارت الرّاوندية بأبي جعفر في مدينته التي تسمى الهاشمية ، وهي التي بحيال مدينة ابن هبيرة ، كره سُكناها لاضطراب من اضطرب أمرُه عليه من الرّاوندية ، مع قرب جواره من الكوفة ، ولم يأمن أهلها على نفسه ، فأراد أن يبعُد من جوارهم؛ فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد لها موضعاً يتخذه مسكناً لنفسه وجنده ، ويبتني به مدينة ، فبدأ فانحدر إلى جَرْجَرَايا ثم صار إلى بغداد ، ثم مضى إلى الموصل ، ثم عاد إلى بغداد ، فقال: هذا موضع معسكر صالِحٌ ، هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء ، يأتينا فيها كلّ مافي البحر ، وتأتينا المِيرة من الجزيرة وأرمينيَة وما حول ذلك ، وهذا الفرات يجيء فيه كلّ شيء من الشأم والرّقّة وما حول ذلك ، فنزل وضرب عسكره على الصّراة ، وخطّ المدينة ، ووكل بكل رُبْع قائداً.

وذكر عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عياش ، قال: لمّا أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث روّاداً يرتادون له موضعاً ينزله واسطاً ، رافقاً بالعامة والجُنْد ، فنُعت له موضع قريب من بارِمّا ، وذُكِر له عنه غذاء طيّب ، فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه ، وبات فيه ، وكرّر نظره فيه ، فرآه موضعاً طيباً ، فقال لجماعة من أصحابه؛ منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزيّ وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم: ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا: ما رأينا مثله ، هو طيّب صالحٌ موافقٌ ، قال: صدقتم؛ هو هكذا ، ولكنه لا يحمل الجندَ والناس والجماعات ، وإنما أريد موضعاً يرتفِق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي ، ولا تغلو عليهم فيه الأسعارُ ، ولا تشتدّ فيه المؤونة ، فإني إن أقمت في موضع [1] لا يجلَب إليه من البرّ والبحر شيء غلَت الأسعار ، وقلّت المادّة ، واشتدَّت المؤونة ، وشقَّ ذلك على الناس؛ وقد مررتُ في طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال؛ فأنا نازل فيه ، وبائت به؛ فإذا اجتمع لي فيه ما أريد من طيب الليل

---

(١) هذا خبر غير صحيح ومحمد بن معروف مجهول وأبوه معروف بن سويد إن كان الحزامي فهو مقبول من السابعة [تقريب/ تر ٧٦٥٢].

والموافقة مع احتماله للجند والناس أبتنيه.

قال الهيثم بن عديّ: فخُبّرت أنه أتى ناحية الجِسْر، فعبر في موضِع قصر السلام، ثمّ صلى العصر ـ وكان في صَيْف، وكان في موضع القصر بِيعة قَسّ ـ ثم بات ليلةً حتى أصبح، فبات أطيب مبيت في الأرض وأرفقَه، وأقام يومه فلم ير إلاّ ما يحبّ، فقال: هذا موضع أبني فيه؛ فإنه تأتيه المادّة من الفرات ودِجْلة وجماعة من الأنهار، ولا يحمل الجندَ والعامّة إلاّ مثلُه، فخطّها وقدّر بناءها، ووضع أوّل لَبِنة بيده، وقال: بسم الله والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاءُ من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنُوا على بركة الله.

وذُكِر عن بِشْر بن ميمون الشرويّ وسليمان بن مجالد، أنّ المنصور لما رجع من ناحية الجبل، سأل عن خبر القائد الذي حدّثه عن الطبيب الذي أخبره عمّا يجدون في كتبهم من خبر مِقلاص، ونزلَ الدّيْر الذي هو حذاء قصره المعروف بالخُلْد، فدعا بصاحب الدَّيْر، وأحضر البِطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد وصاحب المخرّم وصاحب الدير المعروف ببستان القسّ وصاحب العتيقة، فسألهم عن مواضعهم، وكيف هي في الحرّ والبرد والأمطار والوحول والبقّ والهوامّ؟ فأخبره كلّ واحد بما عنده من العلم، فوجّه رجالاً من قِبَله، وأمر كلَّ واحد منهم أن يبيتَ في قرية منها، فبات كلُّ رجل منهم في قرية منها، وأتاه بخبرها، وشاور المنصور الذين أحضرهم، وتنحّر[1] أخبارهم؛ فاجتمع اختيارهم على صاحب بغداد، فأحضره وشاوره، وساءله ـ فهو الدّهقان الذي قريته قائمة إلى اليوم في المربّعة المعروفة بأبي العباس الفضل بن سليْمان الطوسيّ، وقباب القرية قائم بناؤها إلى اليوم، وداره ثابتة على حالها ـ فقال: يا أمير المؤمنين، سألتني عن هذه الأمكنة وطيبها وما يُختار منها؛ فالذي أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طَسَاسيج[2] في الجانب الغربيّ طسّوجَيْن وهما قطربُّل وبادورَيَا، وفي الجانب الشرقيّ طَسّوجَيْن وهما نهر بوق وكَلْواذَى، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء، فإن أجدب طسُّوج وتأخّرت عِمارته كان في الطسّوج الآخر العِمارات، وأنت يا أمير المؤمنين على الصَّراة، تجيئك الميرة في السفن

(١) ينتحر أخبارهم، أي يتفطن لها. اللسان (٥/ ١٩٧).
(٢) الطسوج: الناحية. اللسان (٢/ ٣١٧).

من المغرب في الفرات ، وتجيئك طرائف مصر والشأم ، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمينيَة وما اتصل بها في تأمَرّا حتى تصل إلى الزاب ، وتجيئك الميرة من الرّوم ، وآمِد والجزيرة والموصل في دِجلة ، وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوّك إلا على جِسْر أو قنطرة؛ فإذا قطعت الجِسر وأخرجت القناطر لم يصلْ إليك عدوّك ، وأنت بين دِجْلة والفرات لا يجيئك أحدٌ من المشرق والمغرب إلاّ احتاج إلى العُبور ، وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسّوَاد كله ، وأنت قريب من البرّ والبحر والجبل ، فازداد المنصور عزماً على النزول في الموضع الذي اختاره ، وقال له: يا أميرَ المؤمنين؛ ومع هذا فإنّ الله قد منَّ على أمير المؤمنين بكثرة جيوشه وقوّاده وجنده؛ فليس أحد من أعدائه يطمع في الدنوّ منه ، والتدبيرُ في المدن أن تتخذ لها الأسوار والخنادق ، والحصون ، ودجلة والفرات خنادق لمدينة أمير المؤمنين(١).

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن حماداً التركيّ ، قال: بعث المنصور رجالاً في سنة خمس وأربعين ومئة ، يطلبون له موضعاً يبني فيه مدينته ، فطلبوا وارتادوا ، فلم يرض موضعاً ، حتى جاء فنزل الدَّيْر على الصَّرَاة ، فقال: هذا موضع أرضاه ، تأتيه المِيرة من الفرات ودِجْلة ، ومن هذه الصراة.

وذكر عن محمد بن صالح بن النطاح عن محمد بن جابر ، عن أبيه ، قال: لما أراد أبو جعفر أن يبني مدينته ببغداد رأى راهباً ، فناداه فأجابه ، فقال: تجدُون في كتبكم أنه تبنى هاهنا مدينة؟ قال الرّاهب: نعم ، يبنيها مِقْلاص ، قال أبو جعفر: أنا كنت أدعى مِقلاصاً في حداثتي ، قال: فأنت إذاً صاحبُها ، قال:

---

(١) رحم الله الطبري كان يقول حدثني ابن شبة قال حدثني المدائني قال حدثني فلان ـ فقلنا موصول ـ ثم قلل من ذكر الإسناد شيئاً فشيئاً حتى قال ذكر ابن شبة أن فلاناً حدثه فقلنا لا بأس فقد اطلع على كتب ابن شبة ولإنكساره في المثنى الفلاني ثم قال ذكر المدائني عن فلان ولكنه استمر على هذا الحال حتى أنه قال هاهنا: وذكر عن بشر بن ميمون الشروي وسليمان فكيف يعتمد على إسناد مثل هذا في إثبات هذا الحوار وهذه التفاصيل؟وبشر بن ميمون الشروي لم نجد له ترجمة سوى ما ذكره ابن أبي حاتم دون ذكر الشروي وقال أحاديثه منكرة [لسان الميزان/ ١٦٥٥] [الجرح والتعديل ٢/ تر ١٤٠٩] والله أعلم.

وكذلك لما أراد أن يبني الرّافقة بأرض الروم امتنع أهل الرّقة ، وأرادوا محاربتَه ، وقالوا: تعطّل علينا أسواقنا ، وتذهب بمعاشنا ، وتضيق منازلنا ، فهمَّ بمحاربتهم ، وبعث إلى راهب في الصَّوْمعة ، فقال: هل عندك علم أن يبنى هاهنا مدينة؟ فقال له: بلغني أنّ رجلاً يقال له مِقلاص يبنيها ، قال: أنا مقلاص؛ فبناها على بناء مدينة بَغْداد سوَى السّور وأبواب الحديد وخندقٍ منفرد. [٧/ ٦١٤-٦١٨].

وذكر أن المنصور لما عزم على بنائها أحبّ أن ينظر إليها عَياناً ، فأمر أن يخطّ بالرّماد ، ثم أقبل يدخل من كلّ باب ، ويمرّ في فُصلانها وطاقاتها ورحابها؛ وهي مخطوطة بالرّماد ، ودار عليهم ينظر إليهم وإلى ما خطّ من خنادقها؛ فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حبّ القطن ، وينصب عليه النِّفط ، فنظر إليها والنار تشتعل ، ففهمها وعرف رسمها ، وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم ، ثم ابتدئ في عملها.

وذُكِر عن حمّاد التركيّ أنّ المنصور بعثَ رجالاً يطلبون له موضعاً يبني فيه المدينة ، فطلبوا ذلك في سنة أربع وأربعين ومئة ، قبل خروج محمد بن عبد الله بسنَة أو نحوها ، فوقع اختيارهم على موضع بغداد؛ قرية على شاطىء الصراة؛ مما يلِي الخُلْد ، وكان في موضع بناء الخُلْد دَيْر ، وكان في قَرْن الصَّرَاة مما يلي الخُلْد من الجانب الشرقيّ أيضاً قرية وَديْر كبير كانت تسمّى سوق البقر؛ وكانت القرية تسمى العتِيقة؛ وهي التي افتتحها المثنّى بن حارثة الشيبانيّ ، قال: وجاء المنصور ، فنزل الدّيْر الذي في موضع الخُلْد على الصّراة ، فوجده قليل البقّ ، فقال: هذا موضع أرضاه ، تأتيه المِيرة من الفُرات ودِجْلة ، ويصلح أن تبتني فيه مدينة؛ فقال للراهب الذي في الدير: يا راهب ، أريد أن أبني هاهنا مدينة ، فقال: لا يكون ، إنما يَبني هاهنا مِلك يقال له أبو الدوانيق؛ فضحك المنصور في نفسه ، وقال: أنا أبو الدوانيق وأمر فخُطّت المدينة ، ووكَّل بها أربعة قوّاد ، كلّ قائد بربع.

وذُكر عن سليمان بن مجالد ، أنّ المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضَاء ، فامتنع من ذلك ، فحلف المنصور أن يتولّى له ، وحلف أبو حنيفة ألاّ يفعل ، فولاّه القيام ببناء المدينة ، وضرْب اللَّبِن وعدّه ، وأخْذ الرجال

بالعمل ، قال : وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه ؛ قال : وكان أبو حنيفة المتولّي لذلك ، حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخندق ، وكان استتمامه في سنة تسع وأربعين ومئة .

وذُكِر عن الهيثم بن عديّ ، وأن المنصور عرضَ على أبي حنيفة القضاء والمظالم فامتنع ، فحَلف ألاّ يُقلع عنه حتى يعمل ، فأخبِر بذلك أبو حنيفة ، فدعا بقصَبة ، فعدّ اللبِن على رجل قد لبَّنه ، وكان أبو حنيفة أوّل مَنْ عدّ اللّبِن بالقصب ، فأخرَج أبا جعفر عن يمينه ، واعتلّ فمات ببغداد .

وقيل : إنّ أبا جعفر لما أمر بحفر الخندق وإنشاء البناء وإحكام الأساس ؛ أمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً ، وقدّر أعلاه عشرين ذراعاً ، وجعل في البناء جوائز قَصَب مكان الخشب في كل طرقة ؛ فلمّا بلغ الحائط مقدار قامة ـ وذلك في سنة خمس وأربعين ومئة ـ أتاه خبر خروج محمد فقطع البناء .

وذكر عن أحمد بن حميد بن جبلة ، قال : حدّثني أبي ، عن جدّي ، جبلة ، قال : كانت مدينة أبي جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديّين ، يقال لها المباركة ، وكانت لستين نفساً منهم ، فعوّضهم منها وأرضاهم ، فأخذ جدّي قسمة منها .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور ، أنّ حماداً التركيّ قال : كان حول مدينة أبي جعفر قرىً قبل بنائها ؛ فكان إلى جانب باب الشأم قرية يقال لها الخَطابية ، على بابَ درب النُّورة ، إلى درب الأقفاص ، وكان بعض نخلها في شارع باب الشأم ، إلى أيام المخلوع في الطريق ، حتى قطع في أيام الفتْنة وكانت الخطّابية هذه لقوم من الدّهاقين ، يقال لهم بنو فَرْوة وبنو قنورا ؛ منهم إسماعيل بن دينار ويعقوب بن سليمان وأصحابهم .

وذكِر عن محمد بن موسى بن الفرات أنّ القرية التي في مربّعة أبي العباس كانت قرية جدّه من قِبَل أمّه ، وأنهم من دهاقين يقال لهم بنو زُرارى ؛ وكانت القرية تسمى الوردانيّة ، وقرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلي مربعة أبي فروة .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن المعروفة اليوم بدار سعيد الخطيب ، كانت قرية يقال لها شرَفانيّة ، ولها نخيل قائم إلى اليوم مما يلي قنطرة أبي الجوْن ، وأبو الجون من دَهاقين بغداد من أهل هذه القرية .

وذُكِر أن قطيعة الربيع كانت مزارع للناس من قرية يقال لها بناورى من رُستاق الفروسَيجَ من بادُوريا.

وذكر عن محمد بن موسى بن الفرات، أنه سمع أباه أو جدّه ـ شك راوي ذلك عنه ـ يقول: دخل عليّ رجل من دهاقين بادُوريا وهو مخرّق الطْيلسان؛ فقلت له: مَنْ خرّق طيلسانك؟ قال: خُرِق والله في زحمة الناس اليوم، في موضِع طالما طردت فيه الأرانب والظباء ـ يريد باب الكرخ.

ويقال: إن قطيعة الربيع الخارجة إنما هي أقطاع المهديّ للربيع، وأنّ المنصور إنما كان أقطعه الداخلة.

وقيل: إن نهر طابق كسرويّ، وأنه نهر بابك بن بهرام بن بابك، وأن بابك هذا هو الذي اتّخذ العَقْر الذي عليه قصر عيسى بن عليّ، واحتفر هذا النهر.

وذكر أنّ فُرْضة جعفر إقطاع من أبي جعفر لابنه جعفر، وأن القنطرة العتيقة من بناء الفرس.

وذكر عن حماد التركيّ، قال: كان المنصور نازلاً بالدّير الذي على شاطئ دجلة بالموضع المعروف بالخُلْد، ونحن في يوم صائف شديد الحرّ في سنة خمس وأربعين ومئة؛ وقد خرجت فجلستُ مع الربيع وأصحابه، إذ جاء رجل، فجاوز الحرس إلى المقصورة، فاستأذن فآذنّا المنصور به، وكان معه سلم بن أبي سَلْم، فأذن له فخبّره بخروج محمد، فقال المنصور: نكتب الساعة إلى مصر أن يقطع عن الحَرَمَيْن المادة، ثم قال: إنما هم في مثل حَرَجَة، إذا انقطعت عنهم المادّة والميرة من مِصْر، قال: وأمر بالكتاب إلى العباس بن محمد ـ وكان على الجزيرة يخبره بخبر محمد ـ وقال: إني راحل ساعة كتبتُ إلى الكوفة، فأمدّني في كلّ يوم بما قدرتَ عليه من الرّجال من أهل الجزيرة، وكتب بمثل ذلك إلى أمراء الشأم، ولو أن يَرِد عليّ في كل يوم رجل واحد أكثر به مَنْ معي من أهل خراسان، فإنه إن بلغ الخبر الكذّاب انكسر، قال: ثم نادى بالرّحيل من ساعته، فخرجنا من حرّ شديد حتى قدم الكوفة، ثم لم يزل بها حتى انقضت الحرب بينه وبين محمد وإبراهيم، فلما فرغ منهما رجع إلى بغداد.

وذُكِر عن أحمد بن ثابت، قال: سمعتُ شيخاً من قريش يحدّث أنّ أبا جعفر

لما فصَل من بغداد ، متوجّهاً نحو الكوفة ، وقد جاءه البريد بمخرَج محمد بن عبد الله بالمدينة ، نظر إليه عثمان بن عُمارة بن حريم وإسحاق بن مسلم العقيليّ وعبد الله بن الربيع المدانيّ ـ وكانوا من صحابته ـ وهو يسير على دابّته وبنو أبيه حوله ، فقال عثمان: أظنّ محمداً خائباً ومن معه من أهل بيته؛ إنّ حَشو ثياب هذا العباسيّ لمكرٌ ونُكر ودهاء؛ وإنه فيما نصب له محمد من الحرب لكما قال ابن جِذْل الطِّعان:

فَكَمْ مِنْ غارة ورَعيل خَيْلٍ تداركها وقد حَمِيَ اللِّقاءُ
فردّ مخيلَها حَتّى ثناها بأَسْمَر ما يُرَى فِيهِ التواءُ

قال: فقال إسحاق بن مسلم: قد والله سبرتُه ولمست عودَه فوجدته خشِناً ، وغمزته فوجدته صليباً ، وذقته فوجدته مُرّاً؛ وأنه ومَنْ حوله من بني أبيه لكما قال ربيعة بن مُكدّم:

سَمَا لِيَ فُرْسانٌ كأَنَّ وجوهَهُمْ مصابيح تَبْدُو في الظلام زوَاهِرُ
يَقُودُهُمُ كَبْشٌ أَخُو مُضْمَئِلّةٍ عَبُوسُ السُّرَى قَدْ لوَّحتْه الهَوَاجِرُ

قال: وقال عبد الله بن الربيع: هو ليث خِيسٍ ، ضَيْغم شموس ، للأقران مفترس ، وللأرواح مختلس؛ وأنه يهيج من الحرب كما قال أبو سفيان بن الحارث:

وَإِنَّ لَنَا شيخاً إذا الحربُ شَمَّرتْ بَدِيهَتُهُ الإِقْدَامُ قَبل النوافِرِ

قال: فمضى حتى سار إلى قصر ابن هُبيرة ، فنزل الكوفة ووجّهَ الجيوش ، فلما انقضت الحرب ، رجع إلى بغداد فاستتمّ بناءها. [٧/ ٦١٨ ـ ٦٢٢].

قال عمر: حدثني أبو نعيم الفضل بن دُكين ، قال: حدّثني مطهر بن الحارث ، قال: أقبلنا مع إبراهيم من مكة نريد البصرة؛ ونحن عشرة ، فصحبَنا أعرابيّ في بعض الطريق ، فقلنا له: ما اسمك؟ قال: فلان بن أبي مصاد الكلبيّ ، فلم يفارقنا حتى قربنا من البصرة؛ فأقبل عليّ يوماً ، فقال: أليس هذا إبراهيم بن عبد الله بن حسن؟ فقلت: لا ، هذا رجل من أهل الشأم؛ فلما كنّا على ليلة من البصرة ، تقدّم إبراهيم وتخلّفنا عنه ، ثم دخلنا من غدٍ.

قال عمر: وحدّثني أبو صفوان نصر بن قُديد بن نصر بن سيار؛ قال: كان مقدم إبراهيم البصرة في أول سنة ثلاث وأربعين ومئة ، منصرَف الناس من

الحجّ؛ فكان الذي أقدمه وتولّى كِراءه وعادله في محمَله يحيى بن زياد بن حسان النَّبطيّ، فأنزله في داره في بني لَيْث، واشترى له جارية أعجمية سِنديّة، فأولدها ولداً في دار يحيى بن زياد؛ فحدّثني ابن قُديد بن نصر؛ أنه شهِد جنازة ذلك المولود، وصلى عليه يحيى بن زياد.

قال: وحدّثني محمد بن معروف، قال: حدّثني أبي، قال: نزل إبراهيم بالخيار من أرض الشأم على آل القعقاع بن خُليد العبسيّ، فكتب الفضل بن صالح بن عليّ ـ وكان على قنَّسرين ـ إلى أبي جعفر في رقْعة أدرجها في أسفل كتابه، يخبره خبرَ إبراهيم، وأنه طلبه فوجده قد سبقه منحدراً إلى البَصْرة؛ فورد الكتاب على أبي جعفر، فقرأ أوّلَه فلم يجد إلاّ السلامة، فألقى الكتاب إلى أبي أيوّب المورياني، فألقاه في ديوانه؛ فلما أردوا أن يجيبوا الوُلاة عن كتبهم فتح أبان بن صدقة ـ وهو يومئذ كاتب أبي أيوب ـ كتاب الفضْل؛ لينظر في تاريخه، فأفضى إلى الرّقْعة؛ فلما رأى أوّلها: «أخْبِرُ أمير المؤمنين»، أعادها في الكتاب وقام إلى أبي جعفر فقرأ الكتاب، فأمر بإذكاء العيون ووضع المراصِد والمسالح.

قال: وحدّثني الفضل بن عبد الرحمن بن الفضل، قال: أخبرني أبي قال: سمعت إبراهيم يقول: اضطرّني الطّلَب بالموصل حتى جلست على موائد أبي جعفر، وذلك أنه قدمها يطلبني، فتحيّرت؛ فلفظتْني الأرض، فجعلت لا أجد مساغاً، ووضع الطلب والمراصد؛ ودعا الناس إلى غَدائه، فدخلت فِيمن دخل، وأكلت فيمن أكل؛ ثم خرجت وقد كفّ الطلب.

قال: وحدّثني أبو نعيم الفضل بن دُكين، قال: قال رجل لمطهر بن الحارث: مرّ إبراهيم بالكوفة ولقيتُه، قال: لا والله ما دخلها قطّ؛ ولقد كان بالموصل، ثم مرّ بالأنبار، ثم ببغداد، ثم بالمدائن والنّيل وواسط.

قال: وحدّثني نصر بن قُديد بن نصر، قال: كاتب إبراهيم قوماً من أهل العسكر كانوا يتشيّعون؛ فكتبوا يسألونه الخروج إليهم، ووعدوه الوثوب بأبي جعفر؛ فخرج حتى قدم عسكر أبي جعفر، وهو يومئذ نازل ببغداد في الدّيْر، وقد خَطَّ بغداد، وأجمع على البناء؛ وكانت لأبي جعفر مرآة ينظر فيها، فيرى عدوّه من صديقه، قال: فزعم زاعمٌ أنه نظر فيها، فقال: يا مسيّب؛ قد والله

رأيتُ إبراهيم في عسكري وما في الأرض عدوّ أعدى لي منه ، فانظر ما أنت صانع!

قال: وحدّثني عبد الله بن محمد بن البوّاب ، قال: أمر أبو جعفر ببناء قنطرة الصَّراة العَتيقة ، ثم خرج ينظر إليها ، فوقعت عينُه على إبراهيم ، وخنَس إبراهيم ، فذهب في الناس ، فأتى فاميّاً فلجأ إليه فأصعده غُرفة له ، وجدّ أبو جعفر في طلبه ، ووضع الرّصَد بكلّ مكان ، فنشب إبراهيم بمكانه الذي هو به ، وطلبه أبو جعفر أشدّ الطلب ، وخفيَ عليه أمره.

قال: وحدّثني محمد بن معروف ، قال: حدّثني أبي ـ وحدّثني نصر بن قُديد ، قال: حدّثني أبي قال؛ وحدّثني عبد الله بن محمد بن البواب وكَثير بن النّضر بن كثير وعمر بن إدريس وابن أبي سفيان العَمِيّ؛ واتفقوا على جُلّ الحديث ، واختلفوا في بعضه ـ أنّ إبراهيم لما نشب وخاف الرَّصَد كان معه رجل من بني العمّ ـ قال عمر: فقال لي أبو صفوان ، يدعى رَوْح بن ثقف ، وقال لي ابن البوّاب: يكنى أبا عبد الله ، وقال لي الآخرون: يقال له سفيان بن حَيّان بن موسى: قال عمر: وهو جد العميّ الذي حدثني ـ قال: قلت لإبراهيم: قد نزل ما ترى ، ولابدّ من التغرير والمخاطرة ، قال: فأنت وذاك! فأقبل إلى الربيع ، فسأله الإذن ، قال: ومَن أنت؟ قال: أنا السفيان العمّيّ ، فأدخله على أبي جعفر؛ فلما رآه شتمه ، فقال: يا أميرَ المؤمنين؛ أنا أهلٌ لما تقول؛ غير أني أتيتك نازعاً تائباً ، ولك عندي كلّ ما تحبّ إن أعطيتني ما أسألك ، قال: ومالي عندك؟ قال: آتيك بإبراهيم بن عبد الله بن حسن؛ إني قد بلوته وأهلَ بيته؛ فلم أجد فيهم خيراً ، فمالي عندك إن فعلت؟ قال: كلّ ما تسأل؛ فأين إبراهيم؟ قال: قد دخل بغداد ـ أو هو داخلها عن قريب ـ قال عمر: وقال لي أبو صفوان ، قال: هو بعَبْدَسي ، تركتُه في منزل خالد بن نهيك ، فاكتب لي جوازاً ولغلام لي ولفُرانق[1] واحملني على البريد ، قال عمر: وقال بعضهم: وجِّهْ معي جُنداً واكتب لي جوازاً ولغلام لي آتِيكَ به ، قال: فكتب له جوازاً ، ودفع إليه جنداً ، وقال: هذا ألف دينار فاستِعنْ بها ، قال لا حاجة لي فيها كلّها؛ فأخذ ثلاثمئة دينار ، وأقبل بها

(١) الفرانق: الذي يدل صاحب البريد. القاموس ص ١١٨٥.

حتى أتى إبراهيم وهو في بيت ، عليه مدرّعة صوف وعمامة ـ وقيل بل عليه قَباء كأقبية العبيد ـ فصاح به: قم؛ فوثب كالفزِع؛ فجعل يأمره وينهاه حتى أتى المدائن ، فمنعه صاحب القنطرة بها ، فدفع إليه جوازه ، فقال: أين غلامك؟ قال: هذا؛ فلما نظر في وجهه ، قال: والله ما هذا غلامك؛ وإنه لإبراهيم بن عبد الله بن حسن ، ولكن اذهبْ راشداً ، فأطلقهما وهرب ، قال عمر: فقال بعضهم: ركبا البريد حتى صارا بعَبْدَسِي ، ثم ركبا السفينة حتى قدما البصرة فاختفيا بها ، قال: وقد قيل: إنه خرج من عند أبي جعفر حتى قدم البصرة فاختفيا بها ، قال: وقد قيل: إنه خرج من عند أبي جعفر حتى قدم البصرة ، فجعل يأتي بهم الدارَ ، لها بابان ، فيقعد العشرة منهم على أحد البابيْن ، ويقول: لا تبرحوا حتى آتيَكم ، فيخرج من الباب الآخر ويتركهم ، حتى فرّق الجند عن نفسه ، وبقي وحده فاختفى حتى بلغ الخبر سفيانَ بن معاوية ، فأرسل إليهم فجمعهم ، وطلب العمّيّ فأعجزه.

قال عمر: وحدثني ابن عائشة ، قال: حدّثني أبي ، قال: الذي احتال لإبراهيم حتى أنجَاهما منه عمرو بن شداد.

قال عمر: وحدثني رجل من أهل المدائن ، عن الحسن بن عمرو بن شدّاد ، قال: حدّثني أبي ، قال: مرّ بي إبراهيم بالمدائن مستخفياً ، فأنزلته داراً لي على شاطىء دِجْلة ، وسُعي بي إلى عامل المدائن؛ فضربني مئة سَوْط ، فلم أقرِر له؛ فلما تركني أتيت إبراهيمَ فأخبرتُه ، فانحدر.

قال: وحدّثني العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد مولى الحجاج بن يوسف ـ وكان يحيى بن زياد ممَن سُبِي من عسكر قطريّ بن الفجاءة ـ قال: لما ظهر إبراهيم كنت غلاماً ابنَ خمس سنين ، فسمعتُ أشياخنا يقولون: إنه مرّ منحدراً يريد البصرة من الشأم؛ فخرج إليه عبد الرحيم بن صفوان من موالي الحجاج ، ممن سُبِي من عَسْكر قَطَرِيّ؛ قال: فمشى معه حتى عبّره المآصر؛ قال: فأقبل بعض مَنْ رآه ، فقال: رأيتُ عبدَ الرحيم مع رجل شاطر ، متحجز بإزار (١)

(١) يقال: احتجز بالإزار ، إذا شده على وسطه ، وأصل الحجزة: موضع شد الإزار.

مُوَرّد ، في يده قَوس جُلاَهِق[1] يرمي به؛ فلما رجع عبد الرحيم سُئِل عن ذلك فأنكره ، فكان إبراهيم يتنكّر بذلك.

قال: وحدّثني نصر بن قُديد ، قال: لما قدم إبراهيم منصرَفه من بغداد ، نزل على أبي فَرْوة في كِنْدة فاختفى ، وأرسل إلى الناس يندبهم للخروج.

قال عمر: وحدّثني عليّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم الأهوازيّ ، قال: حدّثني عبد الله بن الحسن بن حبيب ، عن أبيه ، قال: كان إبراهيم مختفياً عندي على شاطئ دُجَيْل ، في ناحية مدينة الأهواز؛ وكان محمد بن حُصين يطلبه ، فقال يوماً: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ يخبرني أنّ المنجّمين يخبرونه أن إبراهيم بالأهواز نازل في جزيرة بين نهرين ، فقد طلبتُه في الجزيرة حتى وثِقت أنه ليس هناك - يعني بالجزيرة التي بين نهر الشاه جُرْد ودُجَيْل - فقد اعتزمتُ أن أطلبه غداً في المدينة ، لعلّ أمير المؤمنين يعني بين دجيل والمسرقان ، قال: فأتيتُ إبراهيم ، فقلت له: أنت مطلوب غداً في هذه الناحية ، قال: فأقمت معه بقيّة يومي ، فلما غشيَني الليل ، خرجت به حتى أنزلته في أدانى دشت أربُك دون الكثّ؛ فرجعت من ليلتي ، فأقمت أنتظر محمداً أن يغدُوَ لطلبه؛ فلم يفعل حتى تصرّم النهار ، وقربت الشمس تغرُب ، فخرجتُ حتى جئت إبراهيم ، فأقبلت به حتى وافينا المدينة مع العشاء الآخرة ونحن على حماريْن؛ فلما دخلنا المدينة فصرنا عند الجبل المقطوع؛ لقيَنا أوائل خيل بن حصين ، فرمى إبراهيم بنفسه عن حِماره وتباعد؛ وجلس يبول ، وطَوَتني الخيل ، فلم يعرّج عليّ منهم أحد؛ حتى صرت إلى ابن حُصين؛ فقال لي: أبا محمد؛ من أين في مثل هذا الوقت؟ فقلت: تمسَّيت عند أهلي ، قال: ألا أرسل معك مَنْ يبلِّغُك؟ قلت: لا ، قد قرُبت من أهلي ، فمضى يطلب ، وتوجّهت على سَنني حتى انقطع آخر أصحابه ، ثم كررتُ راجعاً إلى إبراهيم؛ فالتمست حماره حتى وجدتُه ، فركب ، وانطلقنا حتى بِتْنَا في أهلنا ، فقال إبراهيم: تعلم والله لقد بُلت البارحة دماً؛ فأرسِلْ من ينظر ، فأتيت الموضع الذي بال فيه ، فوجدته قد بال دماً.

قال: وحدّثني الفضل بن عبد الرحيم بن سليمان بن عليّ ، قال: قال

---

[1] في اللسان: «الجلاهق»: البندق؛ ومن الجلاهق؛ وأصله بالفارسية: «جله».

أبو جعفر: غَمُضَ عليّ أمر إبراهيم لمّا اشتملت عليه طفوفُ البصرة.

قال: وحدثني محمد بن مسْعر بن العلاء، قال: لما قدم إبراهيم البَصْرة، دعا الناس، فأجابه مربي بن عمر بن موسى بن عبد الله بن خازم، ثم ذهب بإبراهيم إلى النّضر بن إسحاق بن عبد الله بن خازم مختفياً، فقال للنضر بن إسحاق: هذا رسول إبراهيم، فكلّمه إبراهيم ودعاه إلى الخروج، فقال له النّضر: يا هذا، كيف أبايع صاحبك وقد عَنَد جدّي عبد الله بن خازم عن جده عليّ بن أبي طالب، وكان عليه فيمن خالفه، فقال له إبراهيم: دع سيرة الآباء عنك ومذاهبَهم؛ فإنما هو الدّين؛ وأنا أدعوك إلى حقّ. قال: إني والله ما ذكرتُ لك ما ذكرتُ إلا مازحاً، وما ذاك الذي يمنعني من نُصرة صاحبك، ولكني لا أرى القتال ولا أدينُ به، قال: وانصرف إبراهيم، وتخلّف موسى، فقال: هذا والله إبراهيم نفسه، قال: فبئس لعمر الله ما صنعتَ! لو كنتَ أعلمتني كلّمتُه غير هذا الكلام!

قال: وحدّثني نصر بن قديد، قال: دعا إبراهيم الناس وهو في دار أبي فَرْوة فكان أوّل مَنْ بايعه نُمَيلة بن مرّة وعفو الله بن سفيان وعبد الواحد بن زياد وعمر بن سلمة الهجيميّ وعبيد الله بن يحيى بن حُضَين الرّقاشيّ، وندبوا الناس له، فأجاب بعدهم فتيانٌ من العرب؛ منهم المغيرة بن الفزع وأشباهٌ له؛ حتى ظنوا أنه قد أحصى ديوانه أربعة آلاف؛ وشهر أمرُه، فقالوا: لو تحوّلت إلى وسط البصرة أتاك مَن أتاك وهو مُريح؛ فتحوّل ونزل دار أبي مروان مولى بني سليم - رجل من أهل نيسابور.

قال: وحدثني يونس بن نجدة؛ قال: كان إبراهيم نازلاً في بني راسب على عبد الرحمن بن حرب؛ فخرج من داره في جماعة من أصحابه؛ منهم عفو الله بن سفيان وبُرْد بن لبيد؛ أحد بني يَشْكر، والمضَاء التغلَبيّ والطُّهَويّ والمغيرة بن الفزع ونُميَلة بن مرّة ويحيى بن عمرو الهُمانيّ، فمرّوا على جُفرة[1] بني عَقِيل حتى خرجوا على الطُّفاوة، ثم مرّوا على دار كرزم ونافع إبليس، حتى دخلوا دار أبي مروان في مقبرة بني يَشْكر.

---

(١) الجفر: الحفرة الواسعة المستديرة. القاموس ص ٤٦٨.

قال: وحدّثني ابن عفو الله بن سفيان، قال: سمعتُ أبي يقول: أتيتُ إبراهيمَ يوماً وهو مرعوب؛ فأخبرني أن كتاب أخيه أتاه يخبره أنه قد ظهر، ويأمره بالخروج، قال: فوجمَ من ذلك واغتمّ له، فجعلت أسهِّل عليه الأمر وأقول: قد اجتمع لك أمرُك، معك المضاء والطُّهويّ والمغيرة، وأنا وجماعة، فنخرج إلى السجن في الليل فنفتحه؛ فتُصبح حين تصبح ومعك عالم من الناس؛ فطابت نفسه.

قال: وحدّثني سهل بن عَقِيل بن إسماعيل، قال: حدّثني أبي، قال: لما ظهر محمد أرسل أبو جعفر إلى جعفر بن حنظلة البَهرانيّ ـ وكان ذا رأي ـ فقال: هاتِ رأيك؛ قد ظهر محمد بالمدينة، قال: وجّه الأجنَاد إلى البصرة.

قال: انصرفْ حتى أرسل إليك، فلما صار إبراهيم إلى البصرة، أرسل إليه، فقال: قد صار إبراهيم إلى البصرة، فقال: إيّاها خفتُ! بادرْه بالجنود، قال: وكيف خفتَ البصرة؟ قال: لأن محمداً ظهر بالمدينة، وليسوا بأهل حَرْب، بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم، وأهل الكوفة تحت قدمك، وأهل الشأم أعداء آل أبي طالب؛ فلم يبق إلا البَصْرة، فوجّه أبو جعفر ابني عقيل ـ قائدين من أهل خُراسان من طيّئ ـ فقدما، وعلى البصرة سفيان بن معاوية فأنزلهما.

قال: وحدّثني جوّاد بن غالب بن موسى مولى بني عجل، عن يحيى بن بُديل بن يحيى بنُ بديل، قال: لما ظهر محمد، قال أبو جعفر لأبي أيوب وعبد الملك بن حميد: هل من رجل ذي رأي تعرفانه، نجمع رأيه على رأينا؟ قالا: بالكوفة بدُيل بن يحيى ـ وقد كان أبو العباس يشاوره ـ فأرسلْ إليه، فأرسل إليه، فقال: إنّ محمداً قد ظهر بالمدينة، قال: فاشحن الأهواز جنداً، قال: قد فهمتُ؛ ولكن الأهواز بابُهم الذي يُؤتَوْن منه، قال: فقبل أبو جعفر رأيه، قال: فلما صار إبراهيم إلى البصرة أرسل إلى بُديل، فقال: قد صار إبراهيم إلى البصرة، قال: فعاجله بالجُنْد وأشغِل الأهواز عنه.

وحدّثني محمد بن حفص الدِّمشقيّ، مولى قريش، قال: لما ظهر محمد شاور أبو جعفر شيخاً من أهل الشأم ذا رأي، فقال: وجّه إلى البصرة أربعة آلاف من جُند أهل الشأم، فلها عنه وقال: خَرِف الشيخ؛ ثم أرسل إليه، فقال: قد ظهر إبراهيم بالبصرة، قال: فوجّه إليه جنداً من أهل الشأم، قال: ويلك! ومن

لي بهم! قال: اكتب إلى عاملك عليها يحمل إليك في كلّ يوم عشرة على البريد؛ قال: فكتب بذلك أبو جعفر إلى الشأم.

قال عمر بن حفص: فإنّي لأذكر أبي يعطى الجندَ حينئذ، وأنا أمسك له المصباح، وهو يعطيهم ليلاً، وأنا يومئذ غلام شاب.

قال: وحدّثني سَهلُ بن عَقِيل، قال: أخبرني سَلْم بن فرقد، قال: لما أشار جعفر بن حنظلة على أبي جعفر بحدر جند الشأم إليه، كانوا يقدمون أرسالاً؛ بعضهم على أثر بعض؛ وكان يريد أن يروّع بهم أهل الكوفة؛ فإذا جنَّهم الليل في عسكره أمرهم فرجعوا منكبين عن الطريق، فإذا أصبحوا دخلوا، فلا يشكُّ أهل الكوفة أنهم جند آخرون سوى الأوّلين.

حدّثني عبد الحميد ـ وكان من خَدَم أبي العباس ـ قال: كان محمد بن يزيد من قوّاد أبي جعفر؛ وكان له دابّةٌ شِهْريّ كُميَت، فربما مرّ بنا ونحن بالكوفة وهو راكبُه، قد ساوى رأسُه رأسَه، فوجّهه أبو جعفر إلى البصرة، فلم يزل بها حتى خرج إبراهيم فأخذه فحبسه.

حدثني سعيد بن نوح بن مجالد الضُّبَعيّ[1]، قال: وجّه أبو جعفر مجالداً ومحمداً ابني يزيد بن عمران من أهل أبيوَرْد قائديْن، فقدم مجالد قبل محمد، ثم قدم محمد في الليلة التي خرج فيها إبراهيم، فثبّطهما سُفيان وحبسهما عنده في دار الإمارة حتى ظهر إبراهيم فأخذهما، فقيَّدهما؛ ووجّه أبو جعفر معهما قائداً من عَبْد القيس يدعى معَمراً.

حدّثني يونس بن نجدة، قال: قدم على سفيان مجالدُ بن يزيد الضُّبعيّ من قِبَل أبي جعفر في ألْف وخمسمئة فارس وخمسمئة راجل.

حدّثني سعيد بن الحسن بن تَسنيم بن الحوارَى بن زياد بن عمرو بن الأشرف، قال: سمعتُ من لا أحصي من أصحابنا يذكرون أنّ أبا جعفرٍ شاور في أمر إبراهيم، فقيل له: إن أهل الكوفة له شيعة، والكوفة قِدْر تفور؛ أنت طَبقُها، فاخرج حتى تنزلها، ففعل.

---

(١) سعيد بن نوح بن مجالد الضبعي من شيوخ أبي حاتم وقد قال فيه: كان صدوقاً من خيار عباد الله [الجرح والتعديل / ٤/ تر ٢٩٠].

حدّثني مسلم الخصيّ مولى محمد بن سليمان ، قال: كان أمْرُ إبراهيم وأنا ابن بضع عشرة سنة؛ وأنا يومئذ لأبي جعفر ، فأنزلنا الهاشميّة بالكوفة ونزل هو بالرّصافة في ظهر الكوفة؛ وكان جميع جنده الذين في عسكره نحواً من ألف وخمسمئة؛ وكان المسيّب بن زهير على حَرَسه ، فجزّأ الجند ثلاثة أجزاء: خمسمئة ، خمسمئة ، فكان يطوف الكوفة كلَّها في كلّ ليلة وأمر منادياً فنادى: مَنْ أخذناه بعد عَتَمَة فقد أحلّ بنفسه؛ فكان إذا أخذ رجلاً بعد عَتَمة لفّه في عباءة وحمله ، فبيّته عنده ، فإذا أصبح سأل عنه ، فإن علم براءته أطلقه ، وإلا حبسه. [٧/ ٦٢٢ ـ ٦٣١].

وحدّثني جوّاد بن غالب ، قال: حدثني العباس بن سَلْم مولَى قحْطبة ، قال: كان أمير المؤمنين أبو جعفر إذا اتّهم أحداً من أهل الكوفة بالميْل إلى إبراهيم أمر أبي سلماً بطلبه؛ فكان يمهل حتى إذا غَسق الليل ، وهدأ الناس ، نصب سلّماً على منزل الرجل فطرقه في بيته حتى يخرجه فيقتله؛ ويأخذ خاتمه ، قال أبو سهل جوّاد: فسمعت جميلاً مولى محمد بن أبي العباس يقول للعباس بن سلم: والله لو لم يورّثك أبوك إلا خواتيم مَن قُتِل من أهل الكوفة كنت أيسرَ الأبناء.

حدّثني سهل بن عَقيل ، قال: حدثني سلم بن فَرقدْ حاجب سليمان بن مجالد ، قال: كان لي بالكوفة صديق ، فأتاني ـ فقال: أيا هذا ، اعلم أن أهل الكوفة معدّون للوثوب بصاحبكم ، فإن قدرت على أن تبوّئ أهلك مكاناً حريزاً فافعل ، قال: فأتيتُ سليمان بن مجالد ، فأخبرته الخبر؛ فأخبر أبا جعفر ـ ولأبي جعفر عين من أهل الكوفة من الصّيارفة يدعى ابن مقرّن ـ قال: فأرسل إليه ، فقال: ويحك! قد تحرّك أهل الكوفة ، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ، أنا عذيرك منهم ، قال: فركن إلى قوله ، وأضرب عنهم.

وحدثني يحيى بن ميمون من أهل القادسيّة ، قال: سمعت عدّة من أهل القادسية يذكرون أن رجلاً من أهل خراسان ، يكنى أبا الفضل ويسمّى فلان ابن معقل ، وُلِّيَ القادسية ليمنع أهل الكوفة إتيان إبراهيم؛ وكان الناس قد رصدوا في طريق البصرة ، فكانوا يأتون القادسيَة ثم العُذَيْب ، ثم واديَ السباع ، ثم يعدلون ذات اليَسار في البر ، حتى يقدموا البصرة ، قال: فخرج نفرٌ من الكوفة اثنا عشر رجلاً؛ حتى إذا كانوا بوادي السباع لقيَهم رجل من موالي بني أسد ، يسمَّى بكراً ،

من أهل شرَاف ، دون واقصةَ بميلين من أهل المسجد الذي يدعى مسجد الموالي ـ فأتى ابن معقل فأخبره ، فاتَّبعهم فأدركهم بخَفان ـ وهي على أربعة فراسخ من القادسيّة ـ فقتلهم أجمعين.

حدّثني إبراهيم بن سَلْم ، قال: كان الفُراقصَة العجليّ قد همّ بالوثوب بالكوفة ، فامتنع لمكان أبي جعفر ونزوله بها؛ وكان ابن ماعز الأسديّ يبايعُ لإبراهيم فيها سرّاً.

حدّثني عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال: سمعت إسماعيل بن موسى البَجَليّ وعيسى بن النَّضر السُّمَّانيْنِ وغيرهما يخبرون أن غَزوان كان لآل القعقاع بن ضِرار ، فاشتراه أبو جعفر ، فقال له يوماً: يا أميرَ المؤمنين؛ هذه سفُن منحدرة من الموصل فيها مبيّضةٌ تريد إبراهيم بالبصرة ، قال: فضمّ إليه جنداً ، فلقيهم بباحَمشا بين بغداد والموصل فقتلهم أجمعين؛ وكانوا تجاراً فيهم جماعة من العُبّاد من أهل الخير وغيرهم ، وفيهم رجل يُدعى أبا العرفان من آل شعيب السّمّان ، فجعل يقول: ويلك يا غزوان! ألست تعرفني! أنا أبو العرفان جارك؛ إنما شخصتُ برقيق فبعتُهم؛ فلم يقبل وقتلهم أجمعين وبعث برؤوسهم إلى الكوفة ، فنصِبت ما بين دار إسحاق الأزرق إلى جانب دار عيسى بن موسى إلى مدينة ابن هبيرة ، قال أبو أحمد عبد الله بن راشد: فأنا رأيتها منصوبةً على كوم التراب.

قال: وحدّثنا أبو عليّ القَدّاح ، قال: حدّثني داود بن سليمان ونيبخت وجماعة من القدّاحين ، قالوا: كنّا بالموصل وبها حرْب الراونديّ رابطة في ألفين ، لمكان الخوارج بالجزيرة ، فأتاه كتاب أبي جعفر يأمره بالقفل إليه؛ فشخص؛ فلما كان بباحَمْشا اعترض له أهلها ، وقالوا: لا نَدَعُك تجوزنا لتنصر أبا جعفر على إبراهيم ، فقال لهم: ويحكم! إني لا أريد بكم سوءاً؛ إنما أنا مارٌّ دعوني ، قالوا: لا والله لا تجوزنا أبداً ، فقاتلهم فأبارهم ، وحَمل منهم خمسمئة رأس ، فقدم بها على أبي جعفر ، وقصّ عليه قصتهم. قال أبو جعفر: هذا أوّل الفتح. [٧/ ٦٣١ ـ ٦٣٣].

قال أبو عمر الحوضيّ: جعل أصحاب إبراهيم ينادون سفيان وهو محصور: اذكر بيعتَك في دار المخزوميّين.

قال أبو عمر: وحدّثني محارب بن نصر، قال: مرّ سفيان بعد قتل إبراهيم في سفينة وأبو جعفر مُشرِفٌ من قصره، فقال: إنّ هذا لسفيان؟ قالوا: نعم، قال: والله للعَجب! كيف يفلتني ابن الفاعلة! قال الحوْضيّ: قال سفيان لقائد من قوّاد إبراهيم: أقمْ عندي، فليس كل أصحابك يعلم ما كان بيني وبين إبراهيم.

قال: وحدّثني نضر بن فرقد قال: كان كَرْزَم السَّدوسيّ يغدو على سفيان بخبر إبراهيم ويروح، ويُعْلمه مَنْ يأتيه فلا يعرض له، ولا يتبع له أثراً.

وذكر أن سفيان بن معاوية كان عامل المنصور أيّامئذ على البصرة، وكان قد مالأ إبراهيم بن عبد الله على أمره فلا ينصح لصاحبه. [٧/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤].

* * *

* ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: قال محمد بن عمر: لما ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن، وغلَب على المدينة ومكة، وسُلِّم عليه بالخلافة، وجّه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة، فدخلها في أوّل يوم من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومئة، فغلب عليها، وبيّض بها وبيّض بها أهل البصرة معه، وخرج معه عيسى بن يونس ومُعاذ بن معاذٍ بن العوّام وإسحاق بن يوسف الأزرق ومعاوية بن هشام، وجماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم؛ فلم يزلْ بالبصرة شهر رمضان وشوّالاً، فلما بلغه قتلُ أخيه محمد بن عبد الله تأهَّب واستعدّ، وخرج يريد أبا جعفر بالكوفة.

وقد ذكرنا قول من قال: كان مقدم إبراهيم البصرة في أول سنة ثلاث وأربعين ومئة، غير أنه كان مقيماً بها، مختفياً يدعو أهلها في السرّ إلى البيعة لأخيه محمد، فذكر سهل بن عَقيل، عن أبيه، أنّ سفيان كان يرسل إلى قائدين كانا قدِما عليه من عند أبي جعفر مدداً له قبل ظهور إبراهيم، فيكونان عنده؛ فلما وعده إبراهيم بالخروج أرسلَ إليهما فاحتبسهما عنده تلك الليلة حتى خرَج، فأحاط به وبهما فأخذهم.

وحُدّثت عن محمد بن معروف بن سويد، قال: حدّثني أبي، قال: وجَّه أبو جعفر مجالداً ومحمداً ويزيد؛ قوّاداً ثلاثة كانوا إخوة قبل ظهور إبراهيم،

فقدَّموا جندهم ، فجعلوا يدخلون البصرة تَتَرَى بعضهم على أثر بعض ، فأشفق إبراهيم أن يكثروا بها فظهر.

وذكر نصر بن قديد ، أنّ إبراهيم خرج ليلة الإثنين لغرّة شهر رمضان من سنة خمس وأربعين ومئة ، فصار إلى مقبرة بني يشكر في بضعة عشر رجلاً فارساً ، فيهم عبيد الله بن يحيى بن حصين الرّقاشيّ ، قال: وقدم تلك الليلة أبو حمّاد الأبرصُ مدداً لسفيان في ألفي رجل ، فنزل الرّحبة إلى أن ينزلوا ، فسار إبراهيم فكان أوّل شيء أصاب دوابَّ أولئك الجند وأسلحتهم ، وصلّى بالناس الغداة في المسجد الجامع ، وتحصّن سفيان في الدّار ، ومعه فيها جماعة من بني أبيه وأقبل الناسِ إلى إبراهيم مِنْ بين ناظر وناصر حتى كثروا ، فلما رأى ذلك سفيان طلب الأمانَ ، فأجيب إليه ، فدسّ إلى إبراهيم مطهّر بن جويرية السَّدوسيّ ، فأخذ لسفيان الأمان ، وفتح الباب ، ودخل إبراهيم الدّار؛ فلما دخلها ألقي له حصير في مُقدَّم الإيوان ، فهبّت ريح فقلبته ظهراً لبطن؛ فتطيَّر الناسُ لذلك ، فقال إبراهيم: إنا لا نتطيّر ، ثم جلس عِليه مقلوباً والكراهة تُرَى في وجهه؛ فلما دخل إبراهيم الدّار خلّى عن كلّ مَنْ كان فيها ـ فيما ذكر ـ غير سفيان بن معاوية؛ فإنه حبسه في القصر وقيّده قيداً خفيفاً ، فأراد إبراهيم ـ فيما ذكر ـ بذلك من فعله أن يُرِى أبا جعفر أنه عنده محبوس ، وبلغ جعفراً ومحمداً ابني سليمان بن عليّ ـ وكانا بالبصرة يومئذ ـ مصيرُ إبراهيم إلى دار الإمارة وحبْسه سفيان ، فأقبلا ـ فيما قيل ـ في ستمئة من الرّجالة والفرسان والنَّاشبة يريدانه ، فوجَّه إبراهيم إليهما المضاء بن القاسم الجزريّ في ثمانية عشر فارساً وثلاثين راجلاً؛ فهزمهم المضاءُ ، ولحق محمداً رجل من أصحاب المضاء فطَعنه في فخِذه ، ونادى مناد لإبراهيم: لا يُتْبَعْ مدبر؛ ومضى هو بنفسه حتى وقف على باب زينب بنت سليمان ، فنادى بالأمان لآل سليمان ، وألاّ يعرِض لهم أحد.

وذكر بكر بن كثير؛ أنّ إبراهيم لما ظهر على جعفر ومحمد أخذ البصرة ، وجَدَ في بيت المال ستمئة ألف ، فأمر بالاحتفاظ بها ـ وقيل إنه وجد في بيت المال ألفي درهم ، فقويَ بذلك ، وفرض لكلّ رجل خمسين خمسين؛ فلما غلب إبراهيم على البصرة وجّه ـ فيما ذكر ـ إلى الأهواز رجلاً يُدعى الحسين بن ثوْلاء ، يدعوهم إلى البيْعة ، فخرج فأخذ بيعتهم؛ ثم رجع إلى إبراهيم ، فوجه إبراهيم

المغيرة في خمسين رجلاً ، ثم اجتمع إلى المُغيرة لمّا صار إلى الأهواز تمام مئتي رجل ، وكان عامل الأهواز يومئذ من قِبَل أبي جعفر محمد بن الحصين ، فلما بلغ ابنَ الحصين دنوُّ المغيرة منه خرج إليه بمَنْ معه ، وهم - فيما قيل - أربعة آلاف ، فالتَقوْا على مِيل من قَصبة الأهواز بموضع يقال له دشت أربُك ، فانكشف ابن حصين وأصحابه ، ودخل المغيرة الأهواز.

وقد قيل: إنّ المغيرة صار إلى الأهواز بعد شخوص إبراهيم عن البصرة إلى باخَمْرى.

ذكر محمد بن خالد المربّعيّ ، أنّ إبراهيم لما ظهر على البصرة ثم أراد الخروج إلى ناحية الكوفة ، استخلف على البصرة نُمَيْلة بن مرّة العبشَميّ ، وأمر بتوجيه المغيرة بن الفزع أحد بني بَهْدلة بن عوْف إلى الأهواز ، وعليها يومئذ محمد بن الحصين العبديّ ، ووجّه إبراهيم إلى فارس عمرو بن شدّاد عاملاً عليها ، فمرّ برامَ هرمز بيعقوب بن الفضل وهو بها ، فاستتبعه؛ فشخص معه حتى قدم فارس ، وبها إسماعيل بن عليّ بن عبد الله عاملاً عليها من قِبَل أبي جعفر ، ومعه أخوه عبد الصّمد بن عليّ ، فلما بلغ إسماعيل بن عليّ وعبد الصمد إقبالُ عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل - وكانا بإصطخْر - بادرا إلى دَارَا بْجِرد ، فتحصّنا بِها ، فصارت فارس في يد عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل ، فصارت البَصْرة والأهواز وفارس في سلطان إبراهيم.

وحدِّثت عن سليمان بن أبي شيخ ، قال: لما ظهر إبراهيم بالبصرة ، أقبل الحكم بن أبي غَيْلان اليشكريّ في سبعة عشر ألفاً حتى دخل واسطاً؛ وبها هارون بن حميد الإياديّ من قِبَل أبي جعفر، فدخل هارون تنوراً في القصر حتى أخرِج منه، وأتى أهلُ واسط حفصَ بن عمر بن حفص بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ، فقالوا له: أنت أولى مِنْ هذا الهجيميّ؛ فأخذها حَفْص ، وخرج منها اليشكُريّ ، وولّى حفص شُرَطه أبا مقرن الهُجيميّ.

وذكر عمر بن عبد الغفار بن عمرو الفُقَيْميّ ، ابن أخي الفضل بن عمرو الفُقيميّ ، قال: كان إبراهيم واجداً على هارون بن سعد ، لا يكلِّمه ، فلما ظهر إبراهيم قدم هارون بن سعد ، فأتى سلم بن أبي واصل ، فقال له: أخبرني عن صاحبك ، أما به إلينا حاجة في أمره هذا! قال: بلى لعمر الله ، ثم قام فدخل على

إبراهيم ، فقال: هذا هارون بن سعد قد جاءك ، قال: لا حاجة لي به ، قال: لا تفعل؛ في هارون تزهّد؛ فلم يزل به حتى قِبله ، وأذن له فدخل عليه؛ فقال له هارون: استكفِني أهمَّ أمورك إليك ، فاستكفاه واسطاً ، واستعمله عليها. [٧/ ٦٣٤ ـ ٦٣٧].

وذكر عن ابن أبي الكرام ، وأنه قال: قدمت على أبي جعفر برأس محمد ، وعامر بن إسماعيل بواسط محاصرٌ هارون بن سعد ، وكانت الحرب بين أهل واسط وأصحاب أبي جعفر قبل شخوص إبراهيم من البصرة ، فذكر سليمان بن أبي شيخ ، قال: عسكر عامر بن إسماعيل مِنْ وراء النيل ، فكانت أول حرب جرت بينه وبين هارون ، فضربه عبدٌ سقّاء وجرحه وصرعه وهو لا يعرفه ، فأرسل إليه أبو جعفر بظبية فيها صَمْغ عربيّ؛ وقال: داوِ بها جراحتك ، فالتقوْا غير مرّة ، فقتِل من أهل البصرة وأهل واسط خلْق كثير؛ وكان هارون ينهاهم عن القتال ، ويقول: لو لقى صاحبنا صاحبَهم تبيّن لنا الأمر ، فاستبقوا أنفسكم؛ فكانوا لا يفعلون ، فلما شخص إبراهيم إلى باخَمْرَى كفّ الفريقان من أهل واسط وعامر بن إسماعيل بعضُهم عن بعض ، وتوادعوا على تراك الحرب إلى أن يلتقي الفريقان ، ثم يكونوا تبعاً للغالب؛ فلما قتل إبراهيم أراد عامر بن إسماعيل دخولَ واسط ، فمانعه أهلُها الدخول ، قال سليمان: لما جاء قتلُ إبراهيم هرب هارون بن سعد ، وصالح أهلُ واسط عامر بن إسماعيل على أن يؤمنهم ، فلم يثق كثير منهم بأمانه ، فخرجوا منها ، ودخلها عامر بن إسماعيل ، وأقام بواسط فلم يُهجْ أحداً.

وكان عامر ـ فيما ذكر ـ صالح أهلَ واسط على ألاّ يقتل أحداً بواسط ، فكانوا يقتلون كلّ مَنْ يجدونه من أهل واسط خارجاً منها؛ ولما وقع الصُّلْح بين أهل واسط وعامر بعد قتلِ إبراهيم هرب هارون بن سعد إلى البصرة ، فتوفِّيَ قبل أن يبلغها فيما ذكر.

وقيل: إن هارون بن سعد اختفَى فلم يزل مختفياً حتى ولي محمد بن سليمان الكوفة ، فأعطاه الأمان ، واستدرجه حتى ظهر ، وأمره أن يفرض لمئتين من أهل بيته ، فهمّ أن يفعل ، وركب إلى محمّد ، فلقيه ابن عمّ له ، فقال له: أنت مخدوع ، فرجع فتوارى حتى مات ، وهدم محمد بن سليمان داره.

قال: ولم يزل إبراهيم مقيماً بالبصرة بعد ظهوره بها، يفرّق العمال في النواحي ويوجّه الجيوش إلى البلدان؛ حتى أتاه نعيُّ أخيه محمد؛ فذكر نصر بن قُديد؛ قال: فرض إبراهيم فروضاً بالبصرة، فلما كان قبل الفِطْر بثلاثة أيام، أتاه نعيّ أخيه محمد؛ فخرج بالناس إلى العيد، وهم يعرفون فيه الانكسار، وأخبر الناسَ بقتل محمد؛ فازدادوا في قتالَ أبي جَعفر بصيرةً، وأصبح من الغدِ فعسكر، واستخلف نُمَيلةَ على البَصْرة، وخلّف ابنه حسناً معه.

قال سعيد بن هريم: حدثني أبي، قال: قال عليّ بن داود: لقد نظرت إلى الموت في وجْه إبراهيم حين خطَبنَا يوم الفطر، فانصرفتُ إلى أهلي فقلت: قتِل والله الرجل!

وذكر محمد بن معروف، عن أبيه أن جَعفراً ومحمداً ابني سليمان لما شخصا من البصرة، أرسلاه إلى أبي جعفر ليخبره خبر إبراهيم، قال: فأخبرتُه خبرهما، فقال: والله ما أدري كيف أصنع! والله مافي عسكري إلا ألفا رجل؛ فرّقت جندي، فمع المهديّ بالرّيّ ثلاثون ألفاً، ومع محمد بن الأشعث بإفريقية أربعون ألفاً والباقون مع عيسى بن موسى؛ والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً.

وقد قال عبد الله بن راشد: ما كان في عسكر أبي جعفر كثيرُ أحد؛ ما هم إلا سودانٌ وناسٌ يسير؛ وكان يأمر بالحطَب فيحزَم ثم يوقَد بالليل، فيراه الرائي فيحسِب أن هناك ناساً؛ وما هي إلاّ نار تضرَم، وليس عندها أحد.

قال محمد بن معروف بن سويد: حدّثني أبي، قال: لما ورد الخبر على أبي جعفر، كتب إلى عيسى بن موسى وهو بالمدينة: إذا قرأتَ كتابي هذا فأقبل وَدعْ كلّ ما أنت فيه؛ قال: فلم ينشب أن قدم، فوجّهه على الناس، وكتب إلى سلْم بن قتيبة فقدِم عليه من الرّيّ، فضمّه إلى جعفر بن سليمان.

فذكر عن يوسف بن قتيبة بن مسلم، قال: أخبرني أخي سلْم بن قتيبة بن مسلم، قال: لما دخلتُ على أبي جعفر قال لي: اخرج؛ فإنه قد خرج ابنا عبد الله، فاعمد لإبراهيم ولا يروعنّك جمعُه؛ فوالله إنهما جملا بني هاشم المقتولان جميعاً؛ فابسط يدك، وثِقْ بما أعلمتك، وستذكر مقالتي لك، قال:

فوالله ما هو إلا أن قُتِل إبراهيم ، فجعلت أتذكر مقالته فأعجب.

قال سعيد بن سلم : فاستعمله على ميسرة الناس ، وضمّ إليه بشار بن سلم العُقيليّ وأبا يحيى بن خُرَيم وأبا هُراسة سنان بن مخيَّس القشيريّ ، وكتب سلم إلى البصرة فلحقت به باهلة ؛ عُرْبُها ومواليها ، وكتب المنصور إلى المهديّ وهو يومئذ بالرّيّ يأمره بتوجيه خازم بن خزيمة إلى الأهواز ، فوجّهه المهديّ ـ فيما ذُكر ـ في أربعة آلاف من الجند ، فصار إليها ، وحارب بها المغيرة ، فانصرف إلى البصرة ، ودخل خازم الأهواز ، فأباحها ثلاثاً.

وذكر عن الفضل بن العبّاس بن موسى وعمر بن ماهان ، أنهما سمعا السنديّ يقول : كنت وصيفاً أيام حرب محمد ، أقوم على رأس المنصور بالمذَبّة ، فرأيته لما كثف أمر إبراهيم وغلُظ أقام على مصلى نيّفاً وخمسين ليلة ، ينام عليه ويجلس عليه ، وعليه جُبَة ملوّنة قد اتّسخ جَيْبها وما تحت لحيته منها ؛ فما غيَّر الجُبّة ، ولا هجرَ المصلَّى حتى فتح الله عليه ؛ إلاّ أنه كان إذا ظهر للناس علا الجبّة بالسواد ، وقعد على فراشه ؛ فإذا بطن عاد إلى هيئته ، قال : فأتته ريسانة في تلك الأيام ، وقد أهديت له امرأتان من المدينة ؛ إحداهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله والأخرى أمَة الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد بن أبي العيص ؛ فلم ينظر إليهما ، فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ إن هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما ، وساءت ظنونهما لما ظهر من جفائك لهما ؛ فنهرها ، وقال : ليست هذه الأيام من أيام النساء ؛ لا سبيل لي إليهما حتى أعلم : أرأس إبراهيم لي أم رأسي لإبراهيَم!

وذُكِر أن محمداً وجعفراً ابني سليمان كتبا إلى أبي جعفر يُعْلمانه بعد خروجهما من البَصْرة الخبر في قطعة جِراب ، ولم يقدرا على شيء يكتبان فيه غير ذلك ؛ فلما وصل الكتاب إليه ؛ فرأى قطعة جِراب بيد الرسول ، قال : خلع والله أهل البصرة مع إبراهيم ، ثم قرأ الكتاب ودعا بعبد الرحمن الخُتّليّ وبأبي يعقوب ختن مالك بن الهيثم ، فوجّههما في خيل كثيفة إليهما ، وأمرهما أن يحبساهما حيث لقياهما ، وأن يعسكرا معهما ، ويسمعا ويطيعا لهما ؛ وكتب إليهما يعجّزهما ويضعّفهما ويوبخهما على طمع إبراهيم في الخروج إلى مصر هما فيه ، واستتار خبره عنهما ، حتى ظهر وكتب في آخر كتابه :

أَبْلغْ بني هاشمٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً ... فاستَيْقِظُوا إنَّ هذا فِعْل نُوّام
تعدو الذِّئاب على من لا كلاب له ... وتتَّقي مَرْبِضَ المسْتَنْفِر الحامي

وذكر عن جعفر بن ربيعة العامريّ عن الحجاج بن قتيبة بن مسلم ، قال: دخلت على المنصور أيام حرْب محمد وإبراهيم ، وقد جاءه فتق البَصْرة والأهواز وفارس وواسط والمدائن والسواد ، وهو ينكت الأرض بمخْصَرته ويتمثّل:

ونصبتُ نفسي للرِّماح دَريّةً ... إن الرئيسَ لمثل ذاك فعول

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ، أدام إعزازك ونصرك على عدوّك! أنت كما قال الأعشى:

وإنْ حَرْبُهُمْ أُوقِدَتْ بينهمْ ... فحرَّت لهم بعد إبرادِها
وجدتَ صَبُوراً على حَرِّها ... وكرِّ الحروب وتَرْدادها

فقال: يا حجاج ، إنّ إبراهيم قد عرف وُعورة جانبي وصعوبة ناحيتي ، وخشونة قرني؛ وإنما جرّأه على المسير إليّ من البصرة اجتماعُ هذه الكُور المُطلّة على عسكر أمير المؤمنين وأهل السواد معه على الخلاف والمعصية ، وقد رميت كلّ كورة بحجَرها وكلّ ناحية بسهمها ، ووجّهت إليهم الشهْم النجْد الميمون المظفر عيسى بن موسى ، في كثرة من العدد والعُدّة ، واستعنت بالله عليه ، واستكفيته إياه؛ فإنه لا حول ولا قوة لأمير المؤمنين إلا به.

قال جعفر بن ربيعة: قال الحجاج بن قتيبة: لقد دخلتُ على أمير المؤمنين المنصور في ذلك اليوم مسلِّماً ، وما أظنّه يقدر على ردّ السلام لتتابع الفتوق والخروق عليه والعساكر المحيطة به ، ولمئة ألف سيف كامنة له بالكوفة بإزاء عسكره ، ينتظرون به صَيْحة واحدة فيثبون؛ فوجدته صقْراً أحوزيّاً مشمّراً ، قد قام إلى ما نزل به من النوائب يعرُكها ويمرُسها ، فقام بها ولم تقعد به نفسه؛ وإنه لكما قال الأوّل:

نفْسُ عِصامٍ سوَّدَتْ عصاما ... وعلَّمتْه الكرَّ والإقْداما[1]
وصيّرتْهُ مَلِكاً هُمَاما

وذكر أبو عبيدة أنه كان عند يونس الجَرْميّ ، وقد وجَّه محمد بن عبد الله أخاه

(١) مما نسب إلى النابغة الذبياني؛ العقد الثمين ١٧٥.

لحرب أبي جعفر ، فقال يونس: قدِم هذا يريد أن يزيل ملكاً فألهتْهُ ابنة عمر بنُ سلمة عمّا حاوله ، ولقد أهدِيت التيميّة إلى أبي جعفر في تلك الأيام ، فتركها بمزجَر الكلب ، فما نظر إليها حتى انقضى أمرُ إبراهيم.

وكان إبراهيم تزّوج بعد مقدمه البصرَة بهكْنة بنت عمر بن سلمة ، فكانت تأتيه في مصبّغاتها وألوان ثيابها.

فلما أراد إبراهيم الشخوص نحو أبي جعفر ، دخل ـ فيما ذكر بشرُ بن سلم ـ عليه نُمَيلة الطُّهَوِيّ وجماعة من قوّاده من أهل البَصْرة ، فقالوا له: أصلحك الله! إنك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط ، فأقِمْ بمكانك ، ووجّه الأجناد ، فإن هُزِم لك جند أمددتَهم بجند ، وإن هُزِم لك قائد أمددته بقائد ، فخيِف مكانك ، واتّقاكَ عدوُّك ، وجُبِيت الأموال ، وثبتتْ وطأتك؛ ثم رأيْك بعد. فقال الكوفيّون: أصلحك الله! إن بالكوفة رجالاً لو قد رأوْك ماتُوا دونك ، وإلاّ يرْوك تقعد بهم أسبابٌ شتى فلا يأتونك ، فلم يزالوا به حتى شخَص.

وذُكر عن عبد الله بن جعفر المدينيّ ، قال: خرجنا مع إبراهيم إلى باخَمْرَى ، فلمّا عسكرنا أتانا ليلة من الليالي ، فقال: انطلق بنا نطفْ في عسكرنا ، قال: فسمع أصوات طَنابير وغناء فرجع ، ثم أتاني ليلة أخرى فقال: انطلق بنا ، فانطلقتُ معه ، فسمع مثل ذلك فرجع وقال: ما أطمع في نصر عسكر فيه مثل هذا.

وذُكر عن عفان بن مسلم الصفار ، قال: لمّا عسكر إبراهيمُ افترض معه رجال من جيراننا ، فأتيت معسكَره ، فحزَرتُ أنّ معه أقلّ من عشرة آلاف.

فأما داود بن جعفر بن سليمان ، فإنه قال: أحصِيَ في ديوان إبراهيم من أهل البصرة مئة ألف ، ووجّه أبو جعفر عيسى بن موسى ـ فيما ذكر إبراهيمُ بن موسى بن عيسى ـ في خمسة عشر ألفاً ، وجعل على مقدّمته حُميد بن قحطبة على ثلاثة آلاف ، فلما شخص عيسى بن موسى نحو إبراهيم سار معه ـ فيما ذكر ـ أبو جعفر حتى بلغ نهر البصريّين ، ثم رجع أبو جعفر ، وسار إبراهيم من معسكره بالماخور من خُرَيبة البصرة نحو الكوفة.

فذكر بعض بني تيم الله عن أوس بن مهلهل القطعيّ ، قال: مرّ بنا إبراهيم في

طريقه ذلك ، ومنزلنا بالقباب التي تدعى قباب أوْس ، فخرجتُ أتلقّاه مع أبي وعمّي ، فانتهينا إليه وهو على بِرْذون له يرتاد منزلاً من الأرض ، قال : فسمعته يتمثّل أبياتاً للقُطاميّ :

أمــورٌ لــو تَــدَبّــرهــا حَليـمٌ ... إذاً لنَهـى وهَيَّـبَ مـا استَطَـاعـا

ومعْصِيَــة الشفيــق عليــك ممّــا ... يــزيــدك مــرةً منــه استمــاعــا

وخبْـرُ الأَمـر مـا استقبلـتَ منـه ... وليــس بــأَن تَتَبّعــه اتّبــاعَــا

ولكــنَّ الأَدِيــمَ إذا تفــرَّى ... بِلــىً وتعيُّبــاً غلــب الصَّنَــاعــا

فقلت للذي معي : إني لأسمع كلامَ رجل نادم على مسيره ، ثم سار فلما بلغ كرختا قال له ـ فيما ذكر عن سليمان بن أبي شيخ عن عبد الواحد بن زياد بن لبيد ـ إن هذه بلادُ قومي ، وأنا أعلم بها ، فلا تقصد قصْد عيسى بن موسى ، وهذه العساكر التي وُجّهتْ إليك ، ولكني أسلك بك ـ إن تركتَني ـ طريقاً لا يشعر بك أبو جعفر إلا وأنت معه بالكوفة ، فأبى عليه . قال : فإنا معشر ربيعة أصحاب بيات ، فدعني أبيّت أصحاب عيسى بياتاً ، قال : إني أكره البَيَات .

وذُكر عن سعيد بن هريم أنّ أباه أخبره ، قال : قلت لإبراهيم : إنك غير ظاهر على هذا الرجل حتى تأخذ الكوفة ، فإن صارت لك مع تحصّنه بها لم تقم له بعدها قائمة ، ولي بعدُ بها أهيْلٌ ، فدعني أسِرْ إليها مختفياً فأدعو إليك في السرّ ثم أجهر ؛ فإنهم إن سمعوا داعياً إليك أجابوه ، وإن سمع أبو جعفر الهْيعة بأرجاء الكوفة لم يردّ وجهه شيء دون حُلوان ، قال : فأقبل على بشير الرحّال ، فقال : ما ترى يا أبا محمد؟ قال : إنا لوثقنا بالذي تصِف لكان رأياً ؛ ولكنّا لا نأمن أن تجيبك منهم طائفة ، فيرسل إليهم أبو جعفر خيلاً فيَطأ البَريء والنَّطِف[١] والصّغير والكبير ؛ فتكون قد تعرّضت لمأثمِ ذلك ، ولم تبلغ منه ما أمّلتَ ، فقلتُ لبشير : أخرجت حين خرجت لقتال أبي جعفر وأصحابه ؛ وأنت تتوقّى قتل الضّعيف ، والصغير والمرأة والرجل ؛ أوَليس قد كان رسول الله ﷺ يوجّه السرّية فيقاتل فيكون في ذلك نحو ما كرهت! فقال : إنّ أولئك كانوا مشركين كلهم ، وهؤلاء أهلُ ملّتنا ودعوتنا وقبلتنا ، حكْمهم غير حكم أولئك ، فاتبع إبراهيم رأيه

(١) النطف : الرجل المريب المتهم . القاموس ص ١١٠٨ .

ولم يأذن له ، وسار إبراهيم حتى نزل باخَمْرَى.

وذكر خالد بن أسيد الباهليّ أنه لما نزلها أرسل إليه سلْم بن قتيبة حكيم بن عبد الكريم: إنك قد أصْحَرْت ، ومثلك أنفسُ به عن الموت ، فخندِق على نفسك حتى لا تؤتَى إلا من مأتىً واحد ، فإن أنت لم تفعل فقد أعرى أبو جعفر عسكرَه ، فتخْفِفْ في طائفة حتى تأتيَه فتأخذ بقفاه.

قال: فدعا إبراهيم أصحابَه ، فعرض ذلك عليهم ، فقالوا: نخندق على أنفسنا ونحن ظاهرون عليهم! لا والله لا نفعل ، قال: فنأتيه؟ قالوا: ولمَ وهو في أيدينا متى أردناه! فقال إبراهيم لحكيم: قد تسمع ، فارجع راشداً.

فذكر إبراهيم بن سلم أنّ أخاه حدّثه عن أبيه ، قال: لما التقينا صفّ لهم أصحابُنا ، فخرجت من صفهم ، فقلت لإبراهيم: إن الصّفّ إذا انهزم بعضه تداعَى ، فلم يكن لهم نظام ، فاجعلهم كراديس ، فإن انهزم كُرْدوس ثبت كردوس ، فتنادوا: لا ، إلا قتال أهل الإسلام يريدون قوله تعالى: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾[1].

وذكر يحيى بن شكر مولى محمد بن سليمان ، قال: قال المضاء: لما نزلنا باخَمْرَى أتيتُ إبراهيم فقلت له: إن هؤلاء القوم مصبِّحوك بما يسدّ عليك مغرب الشمس من السلاح والكُراع ، وإنما معك رجال عُراة من أهل البصرة ، فدعني أبيّته ، فوالله لأشتِّتَنّ جموعه ، فقال: إني أكره القَتْل فقلت: تريد المُلْك وتكره القتل!

وحدّثني الحارث قال: حدّثني ابن سعد ، قال: حدّثنا محمد بن عمر ، قال: لما بلغَ إبراهيمَ قتلُ أخيه محمد بن عبد الله ، خرج يريد أبا جعفر المنصور بالكُوفة ، فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى يعلِمه ذلك ، ويأمره أن يُقبِل إليه؛ فوافاه رسول أبي جعفر وكتابُه ـ وقد أحرم بعمرة ـ فرفضها ، وأقبل إلى أبي جعفر ، فوجّهه في القوّاد والجند والسلاح إلى إبراهيم بن عبد الله.

وأقبل إبراهيم ومعه جماعة كثيرة من أفناء الناس؛ أكثر من جماعة عيسى بن موسى ، فالتقوْا بباخَمْرَى ـ وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة ـ فاقتتلوا بها

(١) الصف: ٤.

قتالاً شديداً ، وانهزم حُميد بن قحطبة ـ وكان على مقدّمة عيسى بن موسى ـ وانهزم الناس معه ، فعرض لهم عيسى بن موسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوُون عليه ، ومرّوا منهزمين ، وأقبل حُميد بن قحطبة منهزماً ، فقال له عيسى بن موسى: يا حُميد ، الله الله والطاعة! فقال: لا طاعةَ في الهزيمة ، ومرَّ الناس كلهم حتى لم يبقَ منهم أحد بين يديْ عيسى بن موسى ، وعسكر إبراهيم بن عبد الله ، فثبت عيسى بن موسى في مكانه الذي كان فيه لا يزول ، وهو في مئة رجل من خاصّته وحَشمه ، فقيل له: أصلح الله الأمير! لو تنحّيت عن هذا المكان حتى يثوب إليك الناس فتكرّ بهم! فقال: لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أقتَل أو يفتح الله على يدي؛ ولا يقال: انهزم.

وذكر عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن عليّ أنّ إسحاق بن عيسى بن عليّ حدّثه أنه سمع عيسى بن موسى يحدّث أباه أنه قال: لما أراد أمير المؤمنين توجيهي إلى إبراهيم ، قال: إنّ هؤلاء الخبثاء ـ يعني المنجّمين ـ يزعمون أنك لاقٍ الرجلَ ، وأن لك جولةً حين تلقاه ، ثم يفيء إليك أصحابك ، وتكون العاقبة لك ، قال: فوالله لكان كما قال؛ ما هو إلاّ أن التقيْنا فهزمونا ، فلقد رأيْتني وما معي إلا ثلاثة أو أربعة؛ فأقبل عليّ مولىً لي ـ كان ممسكاً بلجام دابتي ـ فقال: جُعلت فداك! علامَ تقيم وقد ذهب أصحابك! فقلت: لا والله لا ينظر أهل بيتي إلى وجهي أبداً وقد انهزمتُ عن عدوّهم.

قال: فوالله لكان أكثر ما عندي أن جعلت أقول لمن مرّ بي ممن أعرف من المنهزمين: أقرِئوا أهل بيتي مني السلام ، وقولوا لهم: إني لم أجد فداءً أفديكم به أعزّ عليّ من نفسي ، وقد بذلتُها دونكم ، قال: فوالله إنا لعلَى ذلك والناس منهزمون ما يلوي أحدٌ على أحد ، وصمد ابنا سليمان: جعفر ومحمد لإبراهيم ، فخرجا عليه من ورائه ، ولا يشعر مَنْ بأعقابنا من أصحاب إبراهيم؛ حتى نظر بعضهم إلى بعض؛ وإذا القتال من ورائهم ، فكرُّوا نحوه ، وعقّبنا في آثارهم راجعين؛ فكانت إياه ، قال: فسمعت عيسى بن موسى يومئذ يقول لأبي: فوالله يا أبا العباس؛ لولا ابنَا سليمان يومئذ لافتضحنا؛ وكان مِنْ صنع الله أنّ أصحابنا لما انهزموا يومئذ اعترضَ لهم نهر ذو ثنيّتين مرتفعتين ، فحالتا بينهم وبين الوثوب؛ ولم يجدوا مخاضة؛ فكرّوا راجعين بأجمعهم.

فذُكر عن محمد بن إسحاق بن مهران ، أنه قال: كان بباخَمْرى ناسٌ من آل طلحة فمخرُوها على إبراهيم وأصحابه ، وبثقُوا الماء ، فأصبح أهل عسكره مرتطمين في الماء ، وقد زعم بعضهم أن إبراهيم هو الذي مخرَ ليكون قتاله من وجه واحد؛ فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار ، فلما انهزم أصحاب إبراهيم وثبتَ معه جماعة من أصحابه يقاتلون دونه ، اختلف في مبلغ عدَدهم ، فقال بعضهم: كانوا خمسمئة ، وقال بعضهم: كانوا أربعمئة ، وقال بعضهم: بل كانوا سَبعين.

فحدثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: قال محمد بن عمر: لما انهزم أصحاب عيسى بن موسى وثبت عيسى مكانه ، أقبل إبراهيم بن عبد الله في عسكره يدنُو ويدنو غبارُ عسكره؛ حتى يراه عيسى ومَنْ معه؛ فبيناهم على ذلك إذا فارس قد أقبل وكرّ راجعاً يجري نحو إبراهيم ، لا يعرّج على شيء؛ فإذا هو حُميد بن قحطبة قد غيّر لأمته ، وعصَب رأسه بعصابة صفراء ، فكرّ الناس يتبعونه حتى لم يبق أحدٌ ممن كان انهزم إلا كرّ راجعاً ، حتى خالطوا القوم ، فقاتلوهم قتالاً شديداً حتى قَتل الفريقان بعضهم بعضاً ، وجعل حُمَيد بن قحطبة يرسل بالرؤوس إلى عيسى بن موسى إلى أن أتي برأس ومعه جماعة كثيرة وضجة وصياح ، فقالوا: رأس إبراهيم بن عبد الله ، فدعى عيسى بن موسى بن أبي الكرام الجعفريّ ، فأراه إياه ، فقال: ليس هذا؛ وجعلوا يقتتلون يومهم ذلك؛ إلى أن جاء سهم عائر لا يُدْرَى من رمى به ، فوقع في حَلْق إبراهيم بن عبد الله فنحرَه ، فتنحّى عن موقفه ، فقال: أنزلوني ، فأنزلوه عن مركبه ، وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[1] ، أردنا أمراً وأراد الله غيره؛ فأنزِل إلى الأرض وهو مثخَنٌ ، واجتمع عليه أصحابه وخاصّته يحمونه ويقاتلون دونه ، ورأى حُمَيد بن قحطبة اجتماعهم ، فأنكرهم فقال لأصحابه: شدّوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم ، وتعلَموا ما اجتمعوا عليه ، فشدُّوا عليهم ، فقاتلوهم أشدّ القتال حتى أفرجوهم عن إبراهيم ، وخلصوا إليه فحزُّوا رأسه؛ فأتوا به عيسى بن موسى ، فأراه ابنَ أبي الكرام الجعفريّ ، فقال: نعم؛

(١) الأحزاب: ٣٨.

هذا رأسه ، فنزل عيسى إلى الأرض فسجد ، وبعث برأسه إلى أبي جعفر المنصور ، وكان قتْلُه يوم الإثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومئة ، وكان يوم قُتل ابن ثمان وأربعين سنة ، ومكث منذ خرج إلى أن قتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام.

وذكر عبد الحميد أنه سأل أبا صلابة : كيف قُتِلَ إبراهيم؟ قال : إني لأنظر إليه واقفاً على دابّةٍ ينظر إلى أصحاب عيسى قد وَلَّوْا ومنحوه أكتافهم ، ونكَص عيسى بدابته القَهْقَرَى وأصحابه يقتلونهم ، وعليه قباء زَرَد ، فآذاه الحرّ ، فحل أزرار قَبائه ، فشال الزّرد حتى سال عن ثدييه ، وحسر عن لَّبته ، فأتته نُشّابة عائرة[1] ، فأصابته في لبّتِهِ ، فرأيته اعتنق فرسه ، وكرّ راجعاً ، وأطافت به الزيديّة.

وذكر إبراهيم بن محمد بن أبي الكرام؛ قال: حدّثني أبي ، قال: لما انهزم أصحاب عيسى تبعتْهم رايات إبراهيم في آثارهم ، فنادى منادى إبراهيم: ألا لا تَتّبعوا مدبراً؛ فكرّت الرايات راجعةً ، ورآها أصحاب عيسى فخالُوهم انهزموا ، فكرُّوا في آثارهم؛ فكانت الهزيمة.

وذكر أن أبا جعفر لما بلغته جولةُ أصحاب عيسى عزَم على الرحيل إلى الرّيّ ، فذكر سلم بن فرقد حاجب سليمان بن مجالد ، أنه قال: لما التقوْا هُزم أصحاب عيسى هزيمة قبيحةً حتى دخل أوائلهم الكُوفة ، فأتاني صديق لي كوفيّ ، فقال: أيّها الرجل ، تعلمْ والله لقد دخل أصحابك الكوفة؛ فهذا أخو أبي هريرة في دار فلان؛ وهذا فلان في دار فلان؛ فانظر لنفسك وأهلك ومالك؛ قال: فأخبرت بذلك سليمانَ بن مجالد ، فأخبر به أبا جعفر ، فقال: لا تكشفنّ من هذا شيئاً ولا تلتفتنّ إليه؛ فإنّي لا آمن أن يهجم عليّ ما أكره ، وأعْدِدْ على كلّ باب من أبواب المدينة إبلا ودوابّ؛ فإن أتِينا من ناحية صرنا إلى الناحية الأخرى ، فقيل لسلم: إلى أين أراد أبو جعفر يذهب إن دهمه أمر؟

قال: كان عزم على إتيان الرّي ، فبلغني أن نيبخت المنجّم دخل على أبي جعفر ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ، الظَّفرُ لك ، وسيُقتل إبراهيم ، فلم يقبل

---

(١) النشابة: واحدة النشاب وهو النبل ، اللسان (١/٧٥٧). والعائر: ما لا يدرى راميه. القاموس ص ٥٧٣.

ذلك منه ، فقال له: احبسني عندك ، فإن لم يكن الأمر كما قلت لك فاقتلني ، فبينا هو كذلك إذ جاءه الخبر بهزيمة إبراهيم ، فتمثَّل ببيت معقَّر بن أوْس بن حمار البارقيّ:

فألقتْ عَصَاها واستقرّتْ بها النَّوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[1]

فأقطع أبو جعفر نيبخت ألفي جريب بنهر جَوْبر؛ فذكر أبو نعيم الفضل ابن دكين أن أبا جعفر لما أصبح من الليلة التي أتِيَ فيها برأس إبراهيم - وذلك ليلة الثلاثاء لخمس بقين من ذي القعدة - أمر برأسه فنُصب رأسه في السوق[2].

وذكر أن أبا جعفر لما أتِيَ برأسه فوُضع بين يديه بكَى حتى قطرت دموعه على خدّ إبراهيم ، ثم قال: أما والله إن كنتُ لهذا لكارهاً ، ولكنّك ابتليتَ بي وابتليتُ بك[2].

وذكر عن صالح مولى المنصور أنّ المنصور لما أتِيَ برأس إبراهيم بن عبد الله وضَعه بين يديه ، وجلس مجلساً عامّاً ، وأذن للناس ، فكان الدّاخل يدخل فيسلّم ويتناول إبراهيم فيسيء القول فيه ، ويذكر منه القبيح ، التماساً لرضا أبي جعفر ، وأبو جعفر ممسكٌ متغيّر لونه؛ حتى دخل جعفر بن حنظلة البهرانيّ ، فوقف فسلّم ، ثم قال: عظّم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمّك ، وغفر له ما فرّط فيه من حقك! فاصفرّ لونُ أبي جعفر وأقبل عليه ، فقال: أبا خالد ، مرحباً وأهلاً هاهنا! فعلم الناس أن ذلك قد وقع منه ، فدخلوا فقالوا مثل ما قال جعفر بن حنظلة.

* * *

وفي هذه السنة خرجت الترك والخَزَر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينيَة جماعة كثيرة. [٧/ ٦٣٧ - ٦٤٩].

---

(١) البيت بهذه النسبة في اللسان (١٥/ ٦٥) (عصا)؛ ونقل عن ابن برى أنه لعبدون السلمى ، ويقال لسليم بن ثمامة الحنفي قال؛ وأول الشعر:

تذكَّرتُ من أمّ الحويرث بعدمَا مضت حججٌ ، وذو الشوق ذاكرُ

(٢) هذان خبران متناقضان.

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[خبر استتمام بناء بغداد وتحول أبي جعفر إليها] [٧/ ٦٥٠]

ذُكِر عن رشيد أبي داود بن رَشِيد أنّ أبا جعفر شخص إلى الكوفة حين بلغه خروجُ محمد بن عبد الله ، وقد هيّأ لبناء مدينة بغداد ما يحتاج إليه من خَشب وساج وغير ذلك؛ واستخلف حين شخص على إصلاح ما أعدّ لذلك مولىً له يقال له أسلم؛ فبلغ أسلم أنّ إبراهيم بن عبد الله قد هزم عسكر أبي جعفر ، فأحرق ما كان خَلَفه عليه أبو جعفر من ساجٍ وخشب؛ خوفاً أن يؤخذ منه ذلك؛ إذا غُلب مولاه؛ فلما بلغ أبا جعفر ما فعل من ذلك مولاه أسلم كتب إليه يلومه على ذلك؛ فكتب إليه أسلم يخبر أنه خاف أن يظفر بهم إبراهيم فيأخذه ، فلم يقل له شيئاً.

وذُكِر عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، عن أبيه ، قال: لما أراد المنصور بناء مدينة بغداد ، شاور أصحابه فيها؛ وكان ممّن شاوره فيها خالد بن برمك ، فأشار بها؛ فذكِرَ عن عليّ بن عصمة أن خالد بن برمك خطّ مدينة أبي جعفر له ، وأشار بها عليه؛ فلما احتاج إلى الأنقاض ، قال له: ما ترى في نقض بناء مدينة إيوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه إلى مدينتي هذه؟ قال: لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين ، قال: ولمَ؟ قال: لأنه علَمٌ من أعلام الإسلام ، يستدلّ به الناظر إليه على أنه لم يكن ليُزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا؛ وإنما هو على أمر دين؛ ومع هذا يا أمير المؤمنين؛ فإن فيه مصلّى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قال: هيهات يا خالد! أبيتَ إلا الميل إلى أصحابك العجم! وأمر أن يُنقض القصر الأبيض ، فنُقِضت ناحية منه ، وحمِل نقضه ، فنظر في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الجديد لو عُمل ، فرُفع ذلك إلى المنصور ، فدعا بخالد بن برمك ، فأعلمه ما يلزمهم في نقضه وحمله ، وقال: ما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين ، قدْ كنت أرى قبل ألاّ تفعل ، فأما إذ فعلتَ فإني أرى أن تهدم الآن حتى تلحق بقواعده؛ لئلا يقال: إنك قد عجزت عن هدمِه ، فأعرض المنصور عن ذلك ، وأمر ألاّ يهدم ، فقال موسى بن داود المهندس: قال لي

المأمون ـ وحدّثني بهذا الحديث: يا موسى إذا بنيتَ لي بناء فاجعله ما يعجز عن هدمه ليبقى طللُه ورسْمه[1].

وذكر أنّ أبا جعفر احتاج إلى الأبواب للمدينة؛ فزعم أبو عبد الرحمن الهمانيّ أن سليمان بن داود كان بنى مدينةً بالقرب من موضع بناء الحجاج واسطاً يقال لها الزَّنْدورد، واتّخذت له الشياطينُ لها خمسة أبواب من حديد لا يمكن الناس اليوم عملُ مثلها، فنصبها عليها، فلم تزلْ عليها إلى أن بنى الحجاج واسطاً، وخرْبت تلك المدينة، فنقل الحجاجُ أبوابها فصيّرها على مدينته بواسط فلمّا بنى أبو جعفر المدينة أخذ تلك الأبواب فنصبها على المدينة؛ فهي عليها إلى اليوم، وللمدينة ثمانية أبواب: أربعة داخلة وأربعة خارجة؛ فصار على الداخلة أربعة أبواب من هذه الخمسة، وعلى باب القصر الخارج الخامس منها، وصيّر على باب خراسان الخارج باباً جيء به من الشأم من عمل الفراعنة، وصيّر على باب الكوفة الخارج باباً جِيء به من الكوفة، كان عمله خالد بن عبد الله القسريّ، وأمر باتّخاذ باب لباب الشأم، فعُمل ببغداد، فهو أضعف الأبواب كلها، وبنِيت المدينة مدوّرة لئلا يكون الملك إذا نزل وسطَها إلى موضع منها أقرب منه إلى موضع، وجعل أبوابها أربعة؛ على تدبير العساكر في الحروب، وعمِل لها سوريْن، فالسور الداخل أطول من السور الخارج، وبنى قصره في وسطها، والمسجد الجامع حول القصر.

وذُكر أنّ الحجاج بن أرطاة هو الذي خطّ مسجد جامعها بأمر أبي جعفر، ووضع أساسه، وقيل أن قبلتَها على غير صواب وإنَّ المصلِّي فيه يحتاج أن ينحرف إلى باب البصرة قليلاً، وإن قبلة مسجد الرُّصافة أصوب من قبلة مسجد المدينة؛ لأنّ مسجد المدينة بني على القصر، ومسجد الرّصافة بُني قبل القصر وبُني القصر عليه، فلذلك صار كذلك.

وذكر يحيى بن عبد الخالق أنّ أباه حدّثه أن أبا جعفر ولّى كلَّ ربع من المدينة قائداً يتولى الاستحثاث على الفراغ من بناء ذلك الرُّبع.

---

(١) إبراهيم الموصلي (وابنه إسحاق) قال الذهبي في ترجمته كان مطرباً لعاباً مترفاً سامحه الله وله أخبار في الأغاني فهو وال إسحاق بن إبراهيم الطلاق الأديب [سير أعلام النبلاء ٩/ تر ٢٢] تاريخ بغداد [٦/ ١٧٠].

وذكر هارون بن زياد بن خالد بن الصلت ، قال: أخبرني أبي ، قال: ولّى المنصور خالد بن الصلت النفقة على رُبع من أرباع المدينة وهي تبنى.

قال خالد: فلما فرغتُ من بناء ذلك الرُّبع رفعت إليه جماعة النفقة عليه ، فحسبها بيده ، فبقي عليّ خمسة عشر درهماً ، فحبسني بها في حبس الشرقية أياماً حتى أدّيتُها ، وكان اللبِن الذي صُنع لبناء المدينة اللبِنة منها ذراعٌ في ذراع.

وذكِر عن بعضهم أنه هدم من السور الذي يلِي باب المحوّل قطعة فوجد فيها لبنة مكتوباً عليها بمُغْرة وزنها مئة وسبعة عشر رطلاً ، قال: فوزنّاها فوجدناها على ما كان مكتوباً عليها من الوزن وكانت مقاصير جماعة من قوّاد أبي جعفر وكتابه تشرع أبوابها إلى رَحَبة المسجد.

وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق؛ خال الفضل بن الربيع ، أنَّ عيسى بن عليّ شكا إلى أبي جعفر ، فقال: يا أميرَ المؤمنين؛ إن المشي يشقّ عليّ من باب الرّحبة إلى القصر ، وقد ضعفت ، قال: فتحمَل في محفّة ، قال: إني أستحي من الناس ، قال: وهل بقي أحدٌ يستحيَا منه! قال: يا أمير المؤمنين ، فأنزلني منزلة راوية من الروايا ، قال: وهل يدخل المدينة راوية أو راكب؟ قال: فأمر الناس بتحويل أبوابهم إلى فُصْلان الطاقات؛ فكان لا يدخل الرّحبة أحد إلاّ ماشياً ، قال: ولمّا أمر المنصور بسدِّ الأبواب ممّا يلي الرحبة وفتحها إلى الفُصْلان صيرت الأسواق في طاقات المدينة الأربع ، في كلّ واحد سوق ، فلم تزل على ذلك مدّة حتى قدم عليه بِطْريق من بطارقة الرُّوم وافداً ، فأمر الرّبيعَ أن يطوف به في المدينة وما حولها ليرى العمران والبناء ، فطاف به الرّبيع ، فلمّا انصرف قال: كيف رأيتَ مدينتي - وقد كان أصعد إلى سور المدينة وقباب الأبواب؟ قال: رأيت بناء حسناً؛ إلاّ أني قد رأيتُ أعداءك معك في مدينتك ، قال: ومَنْ هم؟ قال: السوقة ، قال: فأضبّ عليها أبو جعفر ، فلما انصرف البِطريق أمر بإخراج السوق من المدينة ، وتقدّم إلى إبراهيم بن حُبيش الكوفيّ ، وضمّ إليه جوّاس بن المسيَّب اليمانيّ مولاه ، وأمرهما أن يبنيا الأسواق ناحية الكرخ ، ويجعلاها صفوفاً وبيوتاً لكل صنف؛ وأن يدفعاها إلى الناس ، فلما فعلا ذلك حوّل السوق من المدينة إليها ، ووضع عليهم الغلة على قدر الذَّرْع؛ فلما كثر الناس بنوا في مواضع من الأسواقِ لم يكن رغب في البناء فيها إبراهيم بن

حبيش وجوّاس ، لأنها لم تكن على تقديم الصُّفوف من أموالهم؛ فألزِموا من الغلة أقلّ مما ألزِم الذين نزلوا في بناء السلطان.

وذكر بعضهم أن السبب في نقل أبي جعفر التجار من المدينة إلى الكَرْخ وما قرب منها مما هو خارج المدينة ، أنه قيل لأبي جعفر: إنّ الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ، ولا يؤمن أن يكون فيهم جَواسيس ، ومَنْ يتعرّف الأخبار ، أو أن يفتح أبواب المدينة ليلاً لموضع السوق ، فأمر بإخراج السوق من المدينة وجعلها للشُّرط والحرَس ، وبنى للتجار بباب طاق الحرّانيّ وباب الشأم والكرخ.

وذُكِر عن الفضل بن سليمان الهاشميّ ، عن أبيه ، أنّ سبب نقله الأسواق من مدينة السلام ومدينة الشرقيّة إلى باب الكَرْخ وباب الشعير وباب المحوّل؛ أنّ رجلاً كان يقال له أبو زكرياء يحيى بن عبد الله ، ولاّه المنصور حِسْبة بغداد والأسواق سنة سبع وخمسين ومئة ، والسوق في المدينة؛ وكان المنصور يتبع مَنْ خرج مع محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن ، وقد كان لهذا المحتسب معهم سبب ، فجمع على المنصور جماعة استغواهم من السفلة ، فشغَبوا واجتمعوا ، فأرسل المنصور إليهم أبا العباس الطوسيّ فسكّنهم ، وأخذ أبا زكرياء فحبسه عنده ، فأمره أبو جعفر بقتله ، فقتله بيده حاجبٌ كان لأبي العباس الطوسيّ ، يقال له موسى ، على باب الذهب في الرّحبة بأمر المنصور ، وأمر أبو جعفر بهدم ما شَخَص من الدُّور في طريق المدينة ، ووضع الطريق على مقدار أربعين ذراعاً ، وهدم ما زاد على ذلك المقدار ، وأمر بنقل الأسواق إلى الكرْخ.

وذكر عن أبي جعفر أنه لما أمر بإخراج التجار من المدينة إلى الكَرْخ كلمه أبان بن صَدَقة في بقّال ، فأجابه إليه على ألاّ يبيع إلا الخلّ والبقْل وحده ، ثم أمر أن يجعل في كلّ رُبع بقّال واحد على ذلك المثال.

وذكِر عن عليّ بن محمد أن الفضل بن الربيع ، حدّثه أن المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة ، دخله فطاف فيه ، واستحسنه واستنظفه ، وأعجبه ما رأى فيه؛ غير أنه استكثر ما أنفق عليه ، قال: ونظر إلى موضع فيه استحسنه جدّاً ، فقال لي: اخرج إلى الرّبيع فقل له: اخرج إلى المسيّب ، فقل له: يحضرني الساعة بنّاء فارهاً ، قال: فخرجتُ إلى المسيّب فأخبرته ، فبعث إلى رئيس البنائين فدَعاه ، فأدخله على أبي جعفر؛ فلمّا وقف بين يديه قال له: كيف عملت

لأصحابنا في هذا القصر؟ وكم أخذت من الأجرة لكل ألف آجُرَّة ولبِنة؟ فبقي البنّاء لا يقدر على أن يُردّ عليه شيئاً ، فخافه المسيّب ، فقال له المنصور : مالك لا تكلّمُ! فقال: لا علم لي يا أمير المؤمنين ، قال: ويحك! قل وأنت آمن مِنْ كلّ ما تخافه ، قال: يا أميرَ المؤمنين ، لا والله ما أقف عليه ولا أعلمه ، قال: فأخذ بيده ، وقال له: تعال ، لا علَّمك الله خيراً! وأدخله الحجرة التي استحسنها ، فأراد مجلساً كان فيها ، فقال له: انظر إلى هذا المجلس وابْنِ لي بإزائه طاقاً يكون شبيهاً بالبيت ، لا تدخل فيه خشباً ، قال: نعم يا أمير المؤمنين ، قال: فأقبل البنّاءُ وكل مَنْ معه يتعجَّبون من فهمه بالبناء والهندسة ، فقال له البنّاء: ما أحْسِنُ أن أجيء به على هذا ، ولا أقوم به على الذي تريد! فقال له: فأنا أعينك عليه ، قال: فأمر بالآجر والجِصّ فجيء به ، ثم أقبل يحصي جميع ما دخل في بناء الطاق من الآجُرّ والجصّ؛ ولم يزل كذلك حتى فرغ منه في يومه وبعض اليوم الثاني ، فدعا بالمسيّب ، فقال له: ادفع إليه أجْره على حسب ما عمل معك ، قال: فحاسبه المسيّب ، فأصابه خمسة دراهم؛ فاستكثر ذلك المنصور ، وقال: لا أرضى بذلك؛ فلم يزل به حتى نقصه دِرْهماً ، ثم أخذ المقادير ، ونظر مقدار الطاق من الحجرة حتى عرفه ، ثم أخذ الوكلاء والمسيّب بُحملان النفقات، وأخذ معه الأمناء من البنائين والمهندسين حتى عرّفوه قيمة ذلك؛ فلم يزل يحسبه شيئاً شيئاً ، وحملهم على ما رفع في أجرة بناء الطاق؛ فخرج على المسيّب مما في يده ستة آلاف درهم ونيّف ، فأخذه بها واعتقله ، فما برح من القصر حتى أدّاها إليه.

وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال: وجدتُ في خزائن أبي المنصور في الكتُب ، أنه أنفق على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب بها والأسواق والفُصلان والخنادق وقبابها وأبوابها أربعة آلاف وثمانمئة وثلاثة وثلاثين درهماً ، ومبلغها من الفلوس مئة ألف ألف فَلْس وثلاثة وعشرون ألف فَلْس؛ وذلك أن الأستاذ من البنّائين كان يعمل يومه بقيراط فِضّة والروزكاري بحبّتين إلى ثلاث حبّات. [٧/ ٦٥٠ ـ ٦٥٥].

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزله إياه:

ذكر عبد الملك بن شيبان أنّ يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن الهاشميّ ،

قال: كتب أبو جعفر إلى سلْم بن قتيبة لما ولاه البصرة: أما بعد، فاهدم دور مَنْ خرج مع إبراهيم، واعقِر نخلَهم، فكتب إليه سلم: بأيّ ذلك أبدأ؟ أبالدّور أم بالنخل؟ فكتب إليه أبو جعفر: أما بعد، فقد كتبتُ إليك آمرك بإفساد تَمْرهم، فكتبتَ تستأذنني في أيّةٍ تبدأ به بالبَرْنيّ أما بالشهريز[1]! وعزله وولّى محمد بن سليمان، فقدم فعاث.

وذكر عن يونس بن نجدة، قال: قدم علينا سَلْم بن قتيبة أميراً بعد الهزيمة وعلى شُرطه أبو برقة يزيد بن سلْم، فأقام بها سلْم أشهراً خمسة، ثم عزِل، ووليَ علينا محمد بن سليمان.

قال عبد الملك بن شيبان: هدم محمد بن سليمان لما قدم دار يعقوب بن الفضل، ودار أبي مَرْوان في بني يشكُر، ودار عوْن بن مالك، ودار عبد الواحد بن زياد، ودار الخليل بن الحصين في بني عديّ، ودار عفو الله بن سفيان؛ وعَقَر نخلهم. [٧/ ٦٥٥ ـ ٦٥٦].

* * *

(١) البرني: ضرب من التمر أصفر، مدور؛ وهو أجود التمر، واحدة برنية، اللسان (١٣/ ٥٠) والشهريز: ضرب من التمر أيضاً، فارسي معرب، ذكره صاحب المعرب، ولم يذكر وصفه. اللسان (٥/ ٣٦٢).

فهرس الموضوعات

السنة الخامسة والأربعون

السنة السادسة والأربعون

السنة السابعة والأربعون

السنة الثامنة والأربعون

السنة التاسعة والأربعون

السنة الخمسون

السنة الحادية والخمسون

السنة التاسعة والخمسون

السنة الستون

السنة الحادية والستون

السنة الثانية والستون

السنة الثالثة والستون

السنة الرابعة والستون

السنة التاسعة والسبعون

السنة الثمانون

السنة السادسة والثمانون

السنة السابعة والثمانون

السنة الثامنة والثمانون

السنة التاسعة والثمانون

السنة التسعون

السنة الحادية والتسعون

السنة الثانية والتسعون

السنة الثالثة والتسعون

السنة الرابعة والتسعون

السنة الخامسة والتسعون

السنة السادسة والتسعون

السنة السابعة والتسعون

السنة الثامنة والتسعون

السنة التاسعة والتسعون

السنة المئة

سنة إحدى ومئة

سنة أربع ومئة

سنة اثنتين وعشرين ومئة

سنة ثلاث وعشرين ومئة

سنة أربع وعشرين ومئة

سنة خمس وعشرين ومئة

سنة سبع وعشرين ومئة

سنة ثمان وعشرين ومئة

سنة ثلاثين ومئة

اثنتين وثلاثين ومئة

سنة ثلاث وثلاثين ومئة

سنة أربع وثلاثين ومئة

سنة خمس وثلاثين ومئة

سنة ست وأربعين ومئة